

التفسير الوحي

عاش

القرآن العظيم

ومنه أسباب النزول وقواعد الترتيل

الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي

دار الفکر
دمشق - سورية

سب الزحيلي

التفسير الوحي

دار الفکر
دمشق - سورية

النفسير الوجيز

على هامش

القرآن العظيم

ومعه أسباب النزول وقواعد الترتيل

تأليف

الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي

رئيس قسم اللغة الإسلامي ودراساته في جامعة دمشق

دار الفكر

دمشق - سورية

الرقم الاصطلاحي : 1001, 011

الرقم الموضوعي : 220

الرقم الدولي : ISBN : 1-54547-238-4

الموضوع : القرآن وعلومه

العنوان : التفسير السجيز على هامش القرآن العظيم

ومعه أسباب النزول وقواعد الترتيل

التأليف : الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي

خطوط المصحف : أحمد الباري

زخارف المصحف : هيثم قسومة

التنفيذ الطباعي : مطابع دار المستقبل - بيروت

التجليد الفني : علي الحصي - بيروت

عدد الصفحات : ٦٤٠

قياس الصفحة : ١٧ × ٢٥ سم

عدد النسخ : ٣٠٠٠

وقد وافق على نسخة المصحف وإصداره كل من :

١ - إدارة الإفتاء العام والتدريس الديني في سورية برقم ٦٦١ وتاريخ ١٤٠٣/٩/٤ هـ الموافق ١٩٨٣/٧/١٤ م

٢ - دار الفتوى في لبنان برقم ٣٦/٤٦٦ وتاريخ ١٤١٤/١٠/١٤ هـ الموافق ١٩٩٤/٣/٢٦ م

٣ - المجلس الإسلامي الأعلى تونس بموجب الكتاب رقم ٥٠٧ الصادر بتاريخ ١٩٩٠/٢/٢٩ م

الطبعة الثانية ١٤١٦ هـ = ١٩٩٦ م ط ١ ١٤١٥ هـ = ١٩٩٤ م

جميع الحقوق لكافة الطباعات محفوظة

لدار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر بدمشق

التي تشرف بإصدار ونشر هذا القرآن العظيم وتحتفظ لديها بجميع أصوله الخطية والزخرفية ملكاً تجارياً
وفنياً مسلجاً مع التنويه بأن جميع حقوق الطبع والنشر والنقل والانتباس في كافة البلاد العربية وأقطار
العالم محصورة بـ :

دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر

سورية - دمشق - برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد - ص . ب (٩٦٢)

برقياً : فكر - هاتف ٢٢٣٩٧١٧ - ٢٢٣٩٧١٦ فاكس : ٢٢٣٩٧١٦ (٠٠٩٦٣١١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على النبي محمد الذي أرسله ربه رحمة للعالمين.

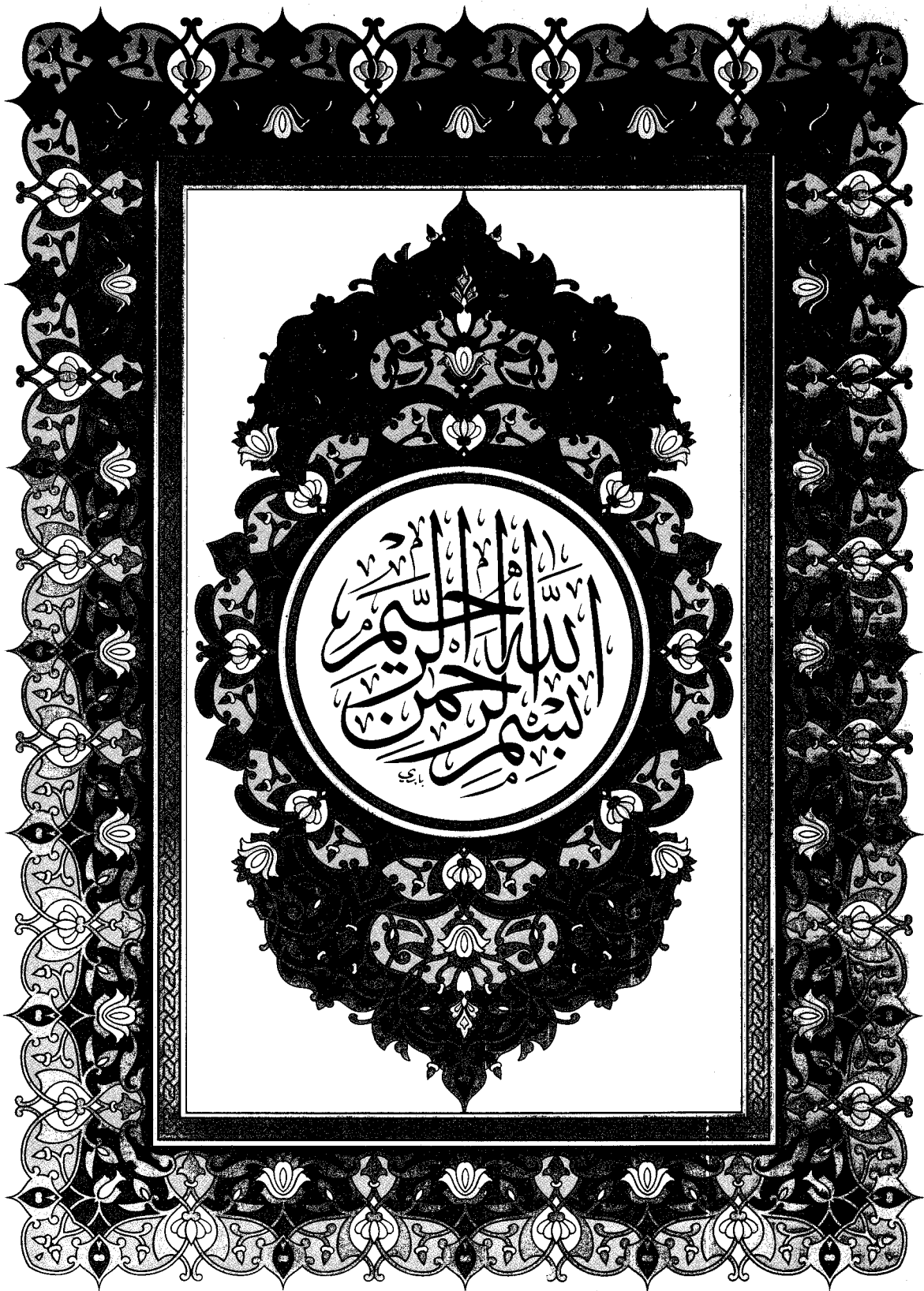
وبعد: فإن الهدف الأول من إنزال القرآن الكريم هو العمل بآياته والتأدب بأدابه، والالتزام بأحكامه وشرائعه، ليكون العاملون به خير أمة أخرجت للناس. - وتحقيق هذه الغاية إنما يكون بتلاوة القرآن، وتدبر آياته، وفهمها فهماً دقيقاً، وسليماً، وواعياً، ولا يتم ذلك إلا ببيان واضح، وقلب واع، وإدراك شامل لمقاصد القرآن وأحكامه.

- والسبيل الأمثل في البيان: تلاوة الآية، وفهمها فهماً إجمالياً، ثم العمل على توسيع المدارك تدريجياً بتفسير أشمل، مثل كتابي (التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج) ١٦ مجلداً، من منشورات دار الفكر العامرة، والذي منحت عليه جائزة أفضل كتاب في العالم الإسلامي لعام ١٩٩٤م من جمهورية إيران الإسلامية.

- و (التفسير الوجيز) هذا يقتصر على بيان الآية إجمالاً، وعلى سبب نزولها الصحيح إن وجد، مع تجنب الإسرائيليات، والتزام أدق ما توصلت إليه كتب التفسير، القديمة منها والحديثة، وما أحاطت به من التفسير بالمأثور والمعقول المنسجم مع أصول البيان في اللغة العربية، ومقاصد الشريعة، واتباع منهج السلف الصالح في الاعتقاد.

- ومن المعلوم أن ترتيب القرآن العظيم واجب، فيحتاج إلى تعلم علم التجويد ومعرفة قواعده على يد أستاذ متقن، إذ لا بد من معرفة أصول التجويد نظرياً وعملياً، كما جاء في ختام هذا المصنف.

- أسأل الله سبحانه أن يلهم المسلمين قاطبة حكماً ومحكمين العمل التام لتحقيق السعادة في الدارين، فإنه الكتاب الإلهي الحكيم، كما قال الله تعالى: ﴿... وَإِنَّ لِكِتَابٍ عَزِيزٍ. لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ، مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١/٤٢].



سورة الفاتحة

«أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» أي أتجئ إلى الله مستجيراً به من الشيطان المطرود من رحمة الله والخير، لئلا يضرني في شيء.

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أي أبتدئ تلاوتي مستعيناً باسم الله وذاته، المتصف بالرحمة والإحسان وموصلهما إلى المنعم عليه، والرحمن أشد مبالغة من الرحيم، واسم الله يطلق على الذات والحقيقة والوجود.

٢- الثناء باللسان والقلب على جميل نعم الله، المعبود بحق، مربى العوالم كلها من الإنس والجن والملائكة والشياطين، ومالكهم ومدبر أمرهم، فهو المستحق لجميع المحامد بالقلب واللسان.

٣- واسع الرحمة ودائم الرحمة في الدنيا والآخرة.

٤- مالك الأمر كله في يوم الحساب والجزاء، والمتصرف فيه وحده.

٥- نخصك يا الله بالعبادة، وبالاستعانة، فلا نعبد غيرك، ولا نستعين إلا بك.

٦- وفقنا إلى الطريق القويم الواضح غير المعوج، وهو الإسلام والإيمان.

٧- طريق الذين أنعمت عليهم من الملائكة والنبیین والصدیقین والشهداء والصالحین، غیر أولئك الذین غضبت عليهم، الحائذين كبراً عن طريق الحق والاستقامة، البعيدين جهلاً عن جادة الصواب، من أتباع المذاهب والمثل الأخرى غير الإسلام، وأهل الفسق والنفاق.

- «أمين» اللهم استجب لنا.

فضل الفاتحة: أخرج البخاري في صحيحه عن أبي سعيد بن المعلی رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد؟ فأخذ بيدي، فلما أردنا أن نخرج قلت: يا رسول الله، إنك قلت: لأعلمتك أعظم سورة في القرآن، قال: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ [الفاتحة ٢/١] هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته».

وأخرج ابن حبان في صحيحه، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ في مسير، فنزل ونزل رجل إلى جانبه، فالتفت النبي ﷺ، فقال: «ألا أخبرك بأفضل القرآن؟» قال: بلى، فتلا: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ [الفاتحة ٢/١].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
 الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ
 إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ
 أهدنا الصراط المستقيم
 صراط الذي أنعمت عليهم
 غير المغضوب عليهم ولا الضالين

سورة البقرة

فضل السورة: أخرج مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة». وأخرج مسلم عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أيضاً: أن رسول الله ﷺ قال: «اقرأوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة» أي السحرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 اللَّهُمَّ ذَلِكِ الْكِتَابَ لَارْتِيَابَ فِيهِ هُدًى
 لِلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ
 وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝
 وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ
 مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولَئِكَ
 عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝

١- الم: هذه الأحرف وأمثالها من أوائل السور
 جيء بها بياناً لإعجاز القرآن، وإثبات كونه كلام

الله، بتحدّي العرب للإتيان بمثله أو بمثل أقصر سورة منه، وبيان عجزهم عن مجاراته، علماً بأنه مركب من الحروف العربية التي ينطقون بها، وينظمون بها كلامهم.

٢- هذا هو القرآن العظيم، الذي لا شك في أنه من عند الله تعالى، وأنه هداية وإرشاد للخير، يرشد الذين اتقوا ربهم بامتثال الأوامر الإلهية واجتناب النواهي وترك المعاصي، فهم المنتفعون به، وهي أوصاف ثلاثة للقرآن.

٣- أوصاف المتقين ستة: يصدقون تصديقاً جازماً كاملاً بكل الغيبيات، كالملائكة والجن والبعث والنشور والحساب وغير ذلك من أهوال القيامة، ويؤدون الصلاة كاملة بأركانها وشرائطها، والخشوع فيها لله ويدومون عليها في أوقاتها، ويؤتون مما رزقهم الله حلالاً طيباً الزكاة المقروضة، والصدقات المندوبة في سبيل الله، والنفقات الواجبة على الأقارب وغيرهم.

٤- ويوقنون بما أوحى إليك أيها النبي من القرآن، وبما أوحى إلى الرسل من قبلك، من الكتب السابقة، ويصدقون بالدار الآخرة وما فيها من بعث وجنة ونار وحساب وصراط وميزان، ويؤمنون بكل ذلك إيماناً لا شك فيه.

٥- أولئك المتصفون بالصفات المذكورة، وهم المتقون، المؤمنون بالغيب، المؤدون الفرائض، هم أهل الهداية والإرشاد، الفائزون بسعادة الدارين، الناجون من النار.

إِنَّا الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَوْ تَنْذِرْتَهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ
وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ
مَنْ يَقُولُ ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ
بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ
إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ
اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِذَا
قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾
أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذِ قِيلَ
لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ
السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذِ الْقَوْمُ
الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا لَوْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شُطُوبِنَا إِذَا
مَعَكُمُ ءَانِمًا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ
فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اسْتَرَأُوا الضَّلَالَةَ
بِأَهْلِكُمْ فَارْتَبِعْتُمْ تَحِلَّيْتُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾

٦- إن الذين أصروا على كفرهم وجحودهم وحادانية الله وإنكار رسالتك يا محمد، لا يفيدهم شيئاً إنذارك، فسواء أهدرتهم وأخفتهم أم لم تحذرهم، لا يصدقون برسالتك، لاتباعهم أهواءهم.

٧- طبع الله على قلوبهم بكفرهم، فلا ينفذ إليها الإيمان، ولا يسمعون الحق، ولا يبصرون الهدى، ولا يعقلون، ولهم عذاب شديد مؤلم. وسبب نزول هاتين الآيتين - كما أخرج الطبري عن ابن عباس والكلبي - أنهما نزلتا في رؤساء اليهود، منهم حبي بن أخطب وكعب بن الأشرف ونظراؤهما.

٨- بعد أن ذكر الله صفات المؤمنين وصفات الكافرين، ذكر صفات المنافقين: وهم الذين يظهرون الإسلام، ويبطنون الكفر، فهم غير مؤمنين، في الدرك الأسفل من النار.

٩- يخادعون من لا يُخدع بإظهار غير ما في النفس للتمويه، فهم في الواقع خادعون لأنفسهم، والله يعلم بواطنهم.

١٠- في قلوبهم فساد الاعتقاد، إما شكاً ونفاقاً، أو جحوداً وتكديباً، فزادهم الله مرضاً آخر هو الحسد والحقد، بسبب إعلاء كلمة الله وتثبيت قواعد الإسلام، ونصر المؤمنين، ولهم عذاب موجه بسبب كذبهم وادعائهم الإيمان في الظاهر.

١١- وإذا قيل لهم: لا تفسدوا في الأرض بالنفاق وموالاته الكفار، وتفريق المؤمنين، ادعوا أنهم مصلحون.

١٢- إنهم هم المفسدون حقاً، لمخالفتهم أوامر الله ولعاصيهم، ولكنهم لا يدركون أنهم مفسدون حقيقة، لتمكن الفساد في قلوبهم.

١٣- وإذا طلب منهم الإيمان، أبوا التشبه بالمؤمنين، ووصفهم بالسفه: وهو الطيش وخفة العقل، وهم السفهاء في الواقع: الجهال السخفاء، من غير أن يعلموا حقيقة أمرهم.

١٤- وإذا قابلوا المؤمنين أظهرت إيمانهم، وإذا خلوا إلى رؤسائهم في الكفر، قالوا: نحن ثابتون على الكفر، مستهزئون بالمسلمين بإظهار الموافقة لهم.

١٥- الله يجازيهم على استهزائهم ويستخف بهم، ويملي لهم ويزيدهم في ضلالهم، ويتدردون بين الكفر والإيمان تحيراً وقلقاً.

١٦- أولئك الذين استبدلوا الضلالة بالهدى، واختاروا الكفر وتركوا الهداية، فما ربحوا في تجارتهم باتباعهم الكفر بدل الإيمان، وما كانوا مهتدين إلى الحق والصواب في شرائهم الكفر بالإيمان.

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ
 اللَّهُ بِنُورِهِ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّ بُكْرًا
 عُمِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ
 ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْغَبَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ
 حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الذُّرُّ يُخَفِّفُ
 أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَتْ لَهُمْ نَشْوَأَ فِيهِ وَإِنَّا أَطَّلَعْنَا عَلَيْهِمْ قَامُوا
 وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّا اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
 شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي
 خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ
 لَكُمْ الْأَمْطِرَ مِمَّا فِي السَّمَاءِ بَيِّنَاتٍ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ
 بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ
 تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا
 فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَوْ تَفَعَّلُوا وَلَنْ تَفَعَّلُوا فَاذْعَبُوا النَّارَ
 الَّتِي تَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾

١٧- مثل هؤلاء المنافقين في إصلاحتهم الإسلام،
 كمن أوقد ناراً ينتفع بها مع رفاقه، فلما أضاءت بهم
 النار، انطفأت، وأظلم ما حولهم، وأذهب الله نورهم،
 وتركهم يتخبطون في ظلمات الشك والنفاق، لا
 يبصرون طريق الحق، ولا يعرفون الخير من الشر.
 ١٨- إنهم صُمُّ عن الحق، لا يسمعون منادياً، حُرْسٌ
 لا يتكلمون، عُمِّي عن طريق الهدى لا يرونه، فلا
 يرجعون عن غيهم وضلالهم.
 ١٩- ومثل هؤلاء المنافقين في تشبيهه آخر كمثل
 أصحاب مطر غزير، تخلله رعد شديد وبرق خاطف،
 يتقون الصواعق: وهي الأصوات الشديدة المهلكة بما
 فيها من نار حارقة، خشية الموت، بما لا يقيةهم منه،
 والله محيط بالكافرين في قبضته، لا يفلتون من
 قدرته وعقابه. وسبب نزول هذه الآيات - كما ذكر
 الطبري عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما - أن
 ناساً دخلوا في الإسلام بعد الهجرة، ثم نافقوا،
 فكان مثلهم كمثل رجل كان في ظلمة، فأوقد ناراً،
 ثم انطفأت، وكمثل من تعرض لمطر شديد
 مصحوب بالرعد والصواعق والبرق فحاول
 انتقاءها من الخوف، ثم تركها وعاد لكفره، فصار لا
 يعرف المحلل من المحرام، ولا الخير من الشر،

وهكذا مثل المنافق كان في ظلمة الشرك، فأسلم، ثم عاد تائهاً. والمثل الأول لسرعة انكشاف أمرهم، والمثل الثاني لخيرتهم وقلقهم.

٢٠- المنافقون في انتهازيتهم كمثل المعرض للبرق، يمشون في النور، ويقفون في الظلام، فإذا صلحت أحوالهم
 المادية واستفادوا من النعم، أعلنوا إيمانهم واستقاموا على الإسلام، وإذا أصابهم البلاء، توقفوا عن السير،
 وسخطوا وارتدوا كفاراً وأظهروا نفاقهم، والله قادر لا يعجزه شيء، فلو شاء لأذهب أسماعهم وأبصارهم.

٢١- أيها الناس جميعاً اعبدوا الله وحده الذي أوجدكم، وأوجد من قبلكم من الأمم السابقة، لتتقوا عقابه،
 وتفوزوا برضائه.

٢٢- والله هو الذي جعل لكم الأرض وطاء للاستقرار عليها والحياة فيها، وجعل السماء محكمة البناء والنظام
 كالقبة أو السقف، فلا تقع على الأرض، وأنزل الماء من السحاب، فأخرج به مختلف الثمار وأنواع النبات للتمتع
 والطعام، فلا تتخذوا شركاء لله تعبدونهم كعبادته، وأنتم تعلمون أن الأنداد (الأمثال) لم يخلقوكم ولم يرزقوكم،
 وأن الله هو الخالق الرازق.

٢٣- وإن كنتم في شك من إنزال القرآن على محمد ﷺ فأتوا بمثل أي سورة منه مهما صغرت، وادعوا أناساً
 يشهدون لكم أنكم على حق، إن كنتم صادقين في ادعائكم، وهذا تحدٍ سافر من الله.

٢٤- فإن لم تستطيعوا، وعجزتم عن الإتيان بسورة من مثله، فاحذروا نار جهنم بالإيمان وأداء الفرائض واجتتاب
 النواهي، تلك النار التي حطَّبها الذي توقد به: الناس الكفار، والحجارة الأصنام المعبودة، وهيئت للجاحدين الكفرة.

٢٥- وبشر أيها النبي المؤمنين الذين عملوا بالأعمال الصالحة المفروضة عليهم والندوبة باليساتين الخضراء، التي تجري الأنهار من تحت أشجارها ومسكنها، كلما رزقوا من ثمراتها اليانعة، قالوا: هذا مثل أرزاق الدنيا في الجودة والحسن، ولقد قدم لهم في وضع يشبه بعضه بعضاً في اللون والحجم والمنظر والطعم والرائحة، فإذا أكلوا وجدوه مخالفاً لطعم سابقه، ولهم في الجنة أزواج مطهرون من سائر الأذناس الحسية، والمعنوية كالفواحش، وهم مقيمون في نعيم دائم لا ينقطع.

٢٦- إن الله لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ونحوها صغراً وكبيراً لللظة والعبارة، فالؤمنون يعلمون أنه المثل الحق الثابت غير الباطل المنزل من الله، والكافرون يسخرون من هذا المثل ويستخفون بفائدته، والله يريد بهذا المثل إضلال قوم وهداية آخرين، ولكن الإضلال للفاسقين، أي الخارجين عن طاعة الله، إنهم فسقوا فأصلهم الله بفسقهم. نزلت هذه الآية - كما ذكر

الطبري - لما طعن الكفار في كون القرآن من كلام الله قائلين: إن الله يستحي أن يضرب المثل بالشيء الحقيقير كالذباب والنمل والنحل والعنكبوت، فذلك لا يليق بكلام الفصحاء.

وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾

﴿٢٦﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَبْعُوضَةً فَأَفَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ الرَّحْمَنُ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا بِيضُلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَفْضَحُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَانًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّسُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ نُؤْتِيهِمُ الرَّجْمُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ كُلِّ شَيْءٍ عَالِمٌ ﴿٢٩﴾

٢٧- الفاسقون: هم ناقضو العهد الذين يخالفون ما أمر الله به وعاهدهم عليه من الإيمان به، من بعد توثيق العهد وتأكيده على ألسنة الرسل جميعاً، ويقطعون الرحم والقرابة وموالات المؤمنين، ويعملون في الأرض بالمعاصي وإعاققة الناس عن الإيمان برسالة محمد ﷺ، وأولئك هم أهل النار.

٢٨- كيف تمجدون وجود الله وقدرته ونعمه وتعبدون غيره؟ والله هو الذي أحياكم وخلقكم بعد أن كنتم معدومين، ثم يميتكم في الدنيا عند انتهاء آجالكم، ثم يحييكم بالبعث يوم القيامة، ثم تمشرون إلى الموقف بين يدي الله، فيجازيكم بأعمالكم.

٢٩- والله وحده هو الذي خلق لكم جميع ما في الأرض للانتفاع به من حيوان ونبات وجماد وغيرها، ثم استوى استواء يليق به، والاستواء: الارتفاع والعلو على الشيء، فعدل وأتقن خلق سماوات سبع على أحسن وجه، فلا اعوجاج فيها، والسماوات: هي المرتفعات الشاهقات ذات الطبيعة المخالفة لطبيعة الأرض، والسماوات: ما يقابل الأرض، والله عالم بجميع أموركم وأحوالكم، وبما خلق في الأرض وفي السماء. والآيات تدرجت من ذكر المبدأ والمنتهى، إلى بيان البرهان على البعث، إلى توجيه النفوس نحو الإيمان بسبب تفرده الله بالقدرة على الخلق والإعادة.

٢٩- والله وحده هو الذي خلق لكم جميع ما في الأرض للانتفاع به من حيوان ونبات وجماد وغيرها، ثم استوى استواء يليق به، والاستواء: الارتفاع والعلو على الشيء، فعدل وأتقن خلق سماوات سبع على أحسن وجه، فلا اعوجاج فيها، والسماوات: هي المرتفعات الشاهقات ذات الطبيعة المخالفة لطبيعة الأرض، والسماوات: ما يقابل الأرض، والله عالم بجميع أموركم وأحوالكم، وبما خلق في الأرض وفي السماء. والآيات تدرجت من ذكر المبدأ والمنتهى، إلى بيان البرهان على البعث، إلى توجيه النفوس نحو الإيمان بسبب تفرده الله بالقدرة على الخلق والإعادة.

٣٠- واذكر أيها النبي لقومك حين قال ربك للملائكة: إني جاعل في الأرض خليفة هو آدم، استخلفته في عمارة الأرض وفي تنفيذ أحكامي، فقال للملائكة في نفوسهم: أتجعل فيها من يفسد فيها بالشرك وفعل المعاصي؟ وقد علموا ذلك بتعليم الله بوجه ما، والمعنى أتجعل فيها من يريق الدماء المحرمة بالقتل والأذى والعدوان، ونحن شاكرون حامدون لك، ونزهك عما لا يليق بك؟ قال: أعلم ما لا تعلمون أنه سيكون من الخليفة أنبياء وصالحون.

٣١- وعلم الله تعالى آدم أسماء السميات والمخلوقات كلها، ثم سأل الملائكة عن تلك الأسماء التي تعلمها آدم- معبراً عنها بضمير العقلاء- فقال: أخبروني عنها إن كنتم صادقين في ادعائكم أنكم أحق بالخلافة من غيركم، فعجزوا.

٣٢- قالت الملائكة بعد إعلان عجزهم وقصورهم: يارب، تنزيهاً لك، لا يعلم الغيب سواك، ولا علم لنا إلا بتعليمك، إنك أنت العليم بكل شيء، الحكيم بكل صنع.

٣٣- أمر الله آدم بإخبار الملائكة بأسماء المخلوقات التي عجزوا عن معرفة أسمائها، فلما أخبرهم بها، قال الله تعالى للملائكة: ألم أخبركم بأني أعلم ما غاب في السموات والأرض عنكم، وما هو مشاهد لكم أيضاً، وأعلم ما تظهرون من أقوالكم، وما تخفون في نفوسكم.

٣٤- واذكر أيضاً أيها الرسول لقومك حين أمرنا الملائكة بالسجود لآدم سجود تحية وتكريم، لا سجود عبادة وتعظيم، فسجدوا جميعاً إلا إبليس الذي كان من الجن، فرفض السجود وتعاضم في نفسه، وكان في علم الله كافراً، لمخالفته أمر الله تعالى وتكبره عن السجود لآدم.

٣٥- واذكر كذلك أيها الرسول حين قلنا لآدم: اتخذ الجنة مسكناً مع زوجتك حواء، وكُلَا منها أكلاً هنيئاً لِعَنَاءِ فِيهِ، من أي مكان ومن أي ثمرة، ولا تقربا هذه الشجرة: الكرمة أو التين أو الخنطة أو غيرها، فلا تأكل منها، فتكونا من الظالمين لأنفسكم بالمعصية.

٣٦- فأوقعهما الشيطان في الزلّة وهي الخطيئة، وأبعدهما عن الجنة، وأخرجهما مما كانا فيه من نعيم الجنة، بسبب إغوائه ووسوسته وادعائه أنها شجرة الخلد، فقلنا لآدم وحواء وإبليس: انزلوا إلى الأرض، يعادي بعضكم بعضاً من ذرية آدم وإبليس، عداوة إيمان وكفر إلى يوم القيامة، ولكم في الأرض منزل استقرار، ومنفعة ومعاش وتمتع إلى أجل هو الموت في الدنيا.

٣٧- فآلهم الله آدم كلمات قالها، هي ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ [الأعراف ٧/ ٢٣] فقبل الله توبتهما، إنه سبحانه كثير القبول للتوبة، الرحيم بعباده التائبين.

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً
قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ
مِحْدَلًا وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ
﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ
فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا
سُبْحٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ
﴿٣٢﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ قَالَ أَمْ
أَقُولُكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبُ السَّمْعَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُدْرُونَ وَمَا كُنْتُمْ
تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا
إِبْلِيسَ أَتَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَا آدَمُ
اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا
وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا
الشَّيْطٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ
لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَىٰ
آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ
هَذَا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ يٰٓأَيُّهَا
إِسْرَائِيلُ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي
أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَأَيُّهَا زَهْرُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَايَاتِنَا أَنْزَلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا
مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ وَلَا تَنْشُرُوا بِآيَاتِي مَثَاقِيلًا وَلَا يَأْتِي
فَاتَّقُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْسَبُوا الْحَقَّ بِالْبُاطِلِ وَكُفُّوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ
﴿٤٣﴾ إِنَّا أَمَرْنَا النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَسْوَأِ أَنْفُسِكُمْ وَأَنْتُمْ
تَتَلَوْنَهَا أَلَيْسَ لَكُمُ الْعُقُوبُ ﴿٤٤﴾ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ
وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ
مُلَقَّوْنَ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يٰٓأَيُّهَا إِسْرَائِيلُ اذْكُرُوا
نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَلْقُوا تَسْوَأَكُمْ عَلَى الْعُقُوبِ
﴿٤٧﴾ وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ
مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

٣٨ - قال تعالى للمخالفين أوامره: اهبطوا من الجنة، فإن أتاكم مني هدى: وهو كتاب الله، فمن قبل به وعمل، فلا خوف عليهم من العذاب في الآخرة، ولا هم يحزنون عما فاتهم في الدنيا.

٣٩ - وأما الذين كفروا بالله، وجحدوا وحدانيته، وأعرضوا عن هدايته وكتبه المنزلة، وكذبوا بالقرآن، فأولئك هم أهل النار، مقيمون فيها، لا يخرجون منها إلى الأبد.

٤٠ - يا أولاد يعقوب، اذكروا نعمتي عليكم وعلى آبائكم بإنقاذكم من الغرق ومن ظلم فرعون، وتظليل الغمام، وإنزال الكتاب، واصطفاء الرسل منكم وغير ذلك، وأوفوا بعهدي إليكم في التوراة باتباع محمد ﷺ، أحقق لكم ما ضمنتم لكم من الجزاء الحسن والثواب الجزيل على الطاعة، وخافوني ولا تخافوا أحداً سواي.

٤١ - وصدقوا بالقرآن الذي أنزلته على محمد ﷺ المصدق للتوراة في التوحيد وأصول الاعتقاد والفضائل، ولا تكونوا أول من كفر، ولا تستبدلوا بآياتي الأمانة والناحية آيات أخرى محرقة، ولا تبيعوها بعرض قليل ورياسة زائفة، وثمن بخس من حطام الدنيا، وخافوني واحذروا عقابي، ولا تخافوا أحداً غيري.

٤٢ - ولا تخلطوا الحق من الدين بالباطل من عندكم، والصدق بالكذب، ولا تخفوا حجج الله التي أوجب عليكم تبليغها، ومنها البشارة المدونة في كتابكم ببعثة النبي محمد ﷺ وصفاته، وأنتم تعلمون أنه رسولي، والقرآن كتابي وكلامي.

٤٣ - وأقيموا الصلاة المفروضة على المسلمين، وأدوا الزكاة الواجبة للمستحقين، واخضعوا لأوامر الله، وصلوا جماعة مع المصلين، وأتموا الركوع معهم؛ لأن اليهود لا ركوع في صلاتهم.

٤٤ - يا أحبار اليهود، كيف تأمرون الناس بطاعة الله وكل ما فيه خير؛ وتتركون أنفسكم فلا تأمرونها بالبر والطاعة، وأنتم تقرؤون التوراة التي تحرم القول من غير فعل، أفلا تدركون تناقضكم وسوء فعلكم؟! وسبب النزول: قال السدي: كان بنو إسرائيل يأمرون الناس بطاعة الله ويتقواه وبالبر، ويخالفون، فعيبرهم الله عز وجل.

٤٥ - واستعينوا بالصبر على الطاعات ومنع النفس من الشهوات، وبالصلاة في أوقاتها مع الخشوع، لما فيهما من ضبط النفس وتحمل المشاق ونبذ الشر وفعل الخير، وإن كانت الصلاة لشاقة ثقيلة إلا على الخاضعين الذين ذلت نفوسهم لعظمة الله وخافت من عذابه.

٤٦ - الذين يوقنون أنهم يلقون ربهم، فيجزئهم أجورهم ويزيدهم من فضله، وأنهم عائدون إلى الله للحساب والجزاء.

٤٧ - يا بني يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم تذكروا نعمتي عليكم، فقوموا بحقها، وآمنوا برسولي، وتذكروا أنني فضلتكم على العالمين في زمانكم.

٤٨ - واتقوا عذاب يوم القيامة، الذي لا تغني فيه نفس عن نفس شيئاً، ولا تقبل فيه شفاعاة الشفعاء عند الله لمن مات على كفره، ولا يقبل منها فدية بدل العذاب، ولا يجدون أحداً يعينهم ويمنع عنهم عذاب الله تعالى.



٤٩- واذكروا وقت أن أجبنا آباءكم - وذلك فضل على الأبناء - من جماعة فرعون: وهو لقب لمن ملك مصر قديماً قبل البطالسة، يذيقونكم أشد العذاب، يقومون بذبح أبنائكم، وترك نسائكم أحياء للخدمة والمهنة، لقول بعض الكهنة لفرعون: إن مولوداً من بني إسرائيل، يكون هلاكك وذهاب ملكك على يده، وفي ذلك المذكور من الشر والعذاب، والإنجاء من آل فرعون شديد لترحوا إلى ربكم.

٥٠- واذكروا أيضاً نعمتنا عليكم حين شققنا لكم البحر الأحمر حتى صار يابساً تمشون على أرضه، فأنجيناكم من البحر، وأغرقنا فرعون وقومه، وأنتم تنظرون إليهم وهم يغرغرون.

٥١- واذكروا مواعيدنا لموسى، وهي وعد من الله وقبول من موسى، بأن يأتي إلى الطور بعد أربعين ليلة، ليكلمه الله ويوحى إليه، ويعطيه التوراة لتعملوا بها، ثم اتخذتم أيها الإسرائيليون العجل إلهاً، صاغه لكم السامري، فعبدموه في غيبة موسى وذهابه إلى الطور لتلقي التوراة، وأنتم ظالمون لأنفسكم بعبادتكم العجل من دون الله تعالى.

٥٢- ثم محونا ذنوبكم وعفونا عنكم، من بعد عبادتكم العجل، لكي تشكروا فضل ربكم وعفوه عنكم.

٥٣- واذكروا حين آتينا موسى التوراة، وهو الكتاب الفارق بين الحق والباطل والحلال والحرام، لكي تهتدوا به، وتعملوا بما جاء فيه.

٥٤- واذكروا حين قال موسى لقومه عبدة العجل: إنكم ظلمتم أنفسكم بعبادة العجل، ففتوبوا إلى خالقكم، بقتل بعضكم بعضاً، فذلك خير لكم عند خالقكم للنجاة من عذاب الآخرة، فقتلوا حتى قتل منهم سبعون ألفاً، ثم أوقف القتال بأمر الله لموسى، وغفر الله لمن قُتل، وتاب على من بقي، إن الله كثير القبول للتوبة، رحيم بعباده التائبين.

٥٥- واذكروا حين قال السبعون الذين اختارهم موسى لشاهدة الوحي وتلقي التوراة في الطور: لن نصدقك بما جئتنا به، حتى نرى الله عياناً بأبصارنا، فنزلت عليهم نار من السماء فأهلكتهم، وأنتم ترون ذلك معانية. وسبب ذلك: طلبهم ما لم يأذن به الله من رؤيته في الدنيا، أما في الآخرة فإن العباد يرون ربهم، بدليل الأحاديث المتواترة القطعية الدلالة.

٥٦- ثم أحبيتكم بعد إيمانكم بالصاعقة، لكي تشكروني على نعمتي عليكم بإحيائكم.

٥٧- وفي مدة التيه في الصحراء بين مصر والشام جعلنا عليكم الغمام (السحاب) كالمظلة يقيكم حر الشمس، لما امتنعوا من دخول مدينة الجبارين، وأنزلنا عليكم المن: مادة حلوة كالعسل تشكل مع الندى (الظل) على الشجر، والسلوى: هو الطير السمانى، يذبحونه ويأكلونه، كلوا من لذات الطعام في هذه الصحراء المقفرة، وما ظلمونا بعبائناهم أمرنا، وكفرهم نعمنا، ولكن ظلموا أنفسهم بتعريضها للعذاب.

وَإِذْ حَسِبْنَاكُمْ مِنْ آيَاتِنَا فَرِعُونَ بِمُؤْمِنِكُمْ لَمَا سَاءَ أَلْعَابُ
يَذَّبِحُونَ أَنْبَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ جَلَاءٌ مِنْ
رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قَرَّبْنَا كَبَاؤُنَ الْأُنْصَارِ فُؤَادًا يَفِيضًا
فَرِعُونَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً
نُفِئْنَا بِتِلْكَ اللَّيْلِ مِنَ الْغَمِّ فَأَتَىٰ بِتِلْكَ الْمَوَدَّةِ الْكَثِيرَةِ فَرَمِينَا
عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥١﴾ وَإِذْ آتَيْنَا
مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ قَالَ
مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يُعْرَبُ بِكُمْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنْفُسَكُمْ بَاتِحًا ذَٰلِكُمْ
أَعْيَلٌ فَوَيْلٌ لِلَّيْلِ بَارِعِكُمْ فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ
لَّكُمْ عِنْدَ بَارِعِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾
وَإِذْ قُلْنَا لِمُوسَىٰ أَنْ نُؤْمِنْ لَكَ بِحَقِّ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً
فَأَخَذْنَاكَ الصَّلِيقَةَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ
مُوتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٥﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ
وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَلْحِهَا مَا رَزَقْنَاكُمْ
وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٦﴾

٥٨. واذكروا أيضاً نعمتنا عليكم حين قلنا لا يأتكم بعد خروجهم من التيه: ادخلوا بيت المقدس، واكلوا منها حيث اردتم اكلأ هنيئاً كثيراً واسعاً، وادخلوا باب بيت المقدس منحنيين خاشعين تواضعاً لله تعالى، وهو نوع من سجدة الشكر، وقولوا: حطة، أي نطلب منك يا رب إسقاط خطايانا وغفرانها، وستزيد المحسنين منكم بالشكر وطلب المغفرة إحساناً وثواباً وفضلاً.

٥٩. فبدل الظالمون منهم كلامهم المقول لهم، وقالوا: «حطة» أو «حبة في شعرة» بدل «حطة» [البقرة ٥٨/٢ والأعراف ١٦١/٧] ودخلوا يزحفون على أستاههم، فأنزلنا على الظالمين أنفسهم بما خالفتهم أمرنا عذاباً من السماء بسبب عصيانهم وخروجهم عن الطاعة.

٦٠. واذكروا كذلك حين عطش أبائكم في صحراء التيه، فطلب موسى لهم السقيا، فقلنا له: اضرب الحجر بعصاك، فضربه بها، فأخرج الله الماء من الصخر، آية من الله، ونعمة عليهم، حينما فقدوا الماء، وخرج اثنتا عشرة عيناً من الماء بعدد الأسباط، لكل سبط عين لا يتعدها إلى غيرها، والأسباط: ذرية الاثني عشر من أولاد يعقوب، وقلنا لهم: كلوا المن والسلوى، واشربوا الماء المتفجر من الحجر، ولا تكثروا الفساد في الأرض.

وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَكُمْ وَسَيِّدُوا الْحَسَنِينَ ﴿٥٨﴾ قَبْلِ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كَلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِيَسْمُو سَيِّدًا لَنَا عَلَى الْأَرْضِ وَمَنْ يُضِرَّهُ كَفَرْنَا بِهِ عَدُوًّا مُبِينًا لَنَا إِنَّمَا تَنبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِشَائِبُهَا وَقُومِهَا وَعَدَسُهَا وَبَصِلَةٌ قَالَ أَسْتَبِيدُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْطُوا بِمُضْرٍ وَإِنْ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءَ وَبَغَضَ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٦١﴾ بَيَّاتَ اللَّهُ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦٢﴾

٦١. واذكروا أيها اليهود حين قال أسلافكم: يا موسى، لن نستطيع الصبر على طعام واحد من المن والسلوى، لتكررهما كل يوم، فاسأل لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من خضارها ويقولها كالنعناع والكرفس والخيار، وقمحها أو ثومها، وعدسها وبصلها المعروفين، قال: أتطلبون ما هو أحسن وأحقر بدلاً مما هو أحسن وأفضل، وهو المن والسلوى اللذان هما ألد وأطيب، ومن عند الله بغير واسطة أحد، ادخلوا بلاداً زراعياً، ففيها تجدون ما طلبتم من البقل والثوم وغيرهما، وأصبحوا في ذل وفقروا وحاجة، وإن كانوا أغنياء، ورجعوا مستحقين غضب الله، وذلك كله بسبب كفرهم بالله، وقتلهم الأنبياء ظلماً وعدواناً بغير حق، كشعيب وذكرياء ويحيى، وهم يعلمون أنهم ظالمون يقتلهم، وذلك العقاب بسبب عصيانهم وأمر الله، واعتدائهم على أنبيائه.

٦٢. واذكروا أيها اليهود حين قال أسلافكم: يا موسى، لن نستطيع الصبر على طعام واحد من المن والسلوى، لتكررهما كل يوم، فاسأل لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من خضارها ويقولها كالنعناع والكرفس والخيار، وقمحها أو ثومها، وعدسها وبصلها المعروفين، قال: أتطلبون ما هو أحسن وأحقر بدلاً مما هو أحسن وأفضل، وهو المن والسلوى اللذان هما ألد وأطيب، ومن عند الله بغير واسطة أحد، ادخلوا بلاداً زراعياً، ففيها تجدون ما طلبتم من البقل والثوم وغيرهما، وأصبحوا في ذل وفقروا وحاجة، وإن كانوا أغنياء، ورجعوا مستحقين غضب الله، وذلك كله بسبب كفرهم بالله، وقتلهم الأنبياء ظلماً وعدواناً بغير حق، كشعيب وذكرياء ويحيى، وهم يعلمون أنهم ظالمون يقتلهم، وذلك العقاب بسبب عصيانهم وأمر الله، واعتدائهم على أنبيائه.



إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ
 مِنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
 آلَ حَرْثٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
 يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا
 فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا
 مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
 قُلُوبًا فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ
 ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ
 فَقَالُوا لَمَنَّا هَذِهِ قَوْمٌ نَارِئِينَ ﴿٦٥﴾ فَجَمَعْنَاهَا
 نَكَلًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ
 ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا
 بَقَرَةً قَالُوا أَتَلَوْنَا أَحْزَابًا مَّاءُ هَرُونَ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ
 مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا أَنْعِنَا رَبُّكَ يَا مُوسَى
 مَا هِيَ قَالَتْ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ
 وَلَا يَبْكُ وَعَوَّانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَأَفْهَمُوا صَوْتَهُمْ ﴿٦٨﴾

٦٢- إن الذين صدقوا النبي ﷺ وصاروا من أتباعه، والذين صاروا يهودا، والنصارى الذين نصرروا المسيح عليه السلام، والصابئين: وهم الذين تركوا اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة والنجوم، ومنهم جماعة في العراق، من آمن من هؤلاء الطوائف الأربع، إيمانا حقا بالله واليوم الآخر، وعمل صالح الأعمال التي أمر الله بها، فلهم ثواب عملهم الصالح عند ربهم يوم القيامة، ولا خوف عليهم من أهوال القيامة، ولا يحزنون على ما فاتهم في الدنيا. نزلت هذه الآية في أصحاب سلمان الفارسي، أخرج الواحدي عن مجاهد قال: لما قص سلمان على رسول الله ﷺ قصة أصحابه، قال: هم في النار، قال سلمان: فأظلمت علي الأرض، فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ...﴾ قال: فكأنما كشف عني جبل.

٦٣- واذكروا يا بني إسرائيل حين أخذنا عليكم العهد المؤكد بالعمل بما في التوراة، ورفعنا فوقكم جبل الطور الذي ناجى موسى ربه عليه، وقلنا لكم: خذوا ما أمرناكم به في التوراة، بجد واهتمام، وادرسوا ما جاء في التوراة واعملوا به، لكي تتقوا عذابي، وتفوزوا برضائي.

٦٤- ثم عرضتم عن الميثاق المأخوذ عليكم، وتركتم العمل بما أمرتم، من بعد قبول الميثاق ورفع الجبل فوق رؤوسكم كأنه ظلة عليكم، فلولا تدارككم بلطف الله ورحمته بكم، بتوفيقكم للتوبة وإعلانها، لكتنتم من الهالكين في العذاب الأليم المهين.

٦٥- ولقد علمتم أيها اليهود شأن آباءكم وهم يهود إيلات الذين خالفوا أمر الله، فاصطادوا السمك يوم السبت، وكان محرما فيه، لقصره على العبادة بتشريع موسى عليه السلام، محتالين على ذلك بإقامة الأحواض يوم الجمعة، لتقع الأسماك فيها بعملية المد البحري والجزر، فمسخوا قرودا وصيروا أذلاء صاغرين مبعدين مطرودين.

٦٦- فجعلنا عقوبة قرية إيلات في العقبة المخالفة عبرة مانعة من ارتكاب مثلها، للقرى الموجودة أمامها وفي عصرها، ولما يأتي بعدها، وتذكرة للمؤمنين الأتقياء الذين يأتون بعدهم إلى يوم القيامة.

٦٧- واذكروا يا بني إسرائيل حين قال موسى لقومه: إن الله يأمركم بذبح بقرة، لمعرفة قاتل شخص غني عقيم ليس له إلا وارث وحيد، وهو ابن أخيه، قتله ليرثه، ثم ألقاه على باب رجل من اليهود، ثم أصبح يدعيه عليهم، كما روى ابن أبي حاتم عن عبيدة السلماني، فقالوا للموسى: أتتهأ بنا، وتسخر منا؟ فقال لهم: أستجير بالله أن أكون من السفهاء أهل الجهل الذين يكذبون على الله، فكيف أنسب إليه أمر لم يأمر به؟!

٦٨- قالوا: أسأل ربك أن يبين لنا صفة هذه البقرة، قال: إنه يقول: إنها بقرة، لا مسنة ولا بكر صغيرة، متوسطة بين الاثنتين، فافعلوا ما تؤمرون لمعرفة القاتل، ولا تشددوا.

قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنْ الْأَبْعُرُ شَدَبْنَا وَإِنَّا أَن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُوكَ تُشِيرُ الْأَمْخَرَسَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَّا تَشِيءُ فِيهَا قَالُوا لَئِن نَّجِثْنَا بِالنَّجِيِّ ذَكَرْنَا بِهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَاتَلْتُم نَفْسًا فَادَّارَ اللَّهُ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا أَصْرَبُوهُ بِيْضَهَا كَذَلِكَ يُجِيءُ اللَّهُ الْمَوْتِ وَأُورِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَّخِذُ مِنْهَا الْأَنْهَارُ وَابْتِغَاءً مِنْهَا لَمَّا يَسْقُوقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَّا يَهْطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ أَفَظَنُّوا أَنْ يُؤْمِنُوا لَكَ وَقَدْ كَانُوا فَرِيقًا مِّنْهُمْ سَمْعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾

٦٩- قالوا للموسى مرة أخرى: اسأل ربك يبين لنا ما لونها؟ قال موسى: يقول الله تعالى: إنها بقرة صفراء اللون، شديدة الصفرة، تبهج الناظرين وتعجبهم في حسن منظرها ولونها.

٧٠- قالوا للموسى أخيراً: اسأل ربك يبين لنا حالة هذه البقرة، أسائمة أم عاملة؟ لأن جنس البقر تشابه علينا، لكثرة الأبقار الصفرة المتوسطة السن، فلا ندري أي بقرة يريد بها الله، ونحن مهتدون بمشيئة الله إلى البقرة المطلوبة إذا أخبرتنا.

٧١- قال لهم موسى: إن الله تعالى يقول لكم: إنها بقرة غير مذللة بالعمل، فلا تحرث الأرض، ولا تستخدم في سقي الزرع، كالدواب النواضح الأخرى المستعملة لإخراج المياه من الآبار، بريئة من العيوب، خالصة الصفرة لا يخالطها لمعة أو بقعة من لون آخر، قالوا: الآن نظقت بالبيان أو الوصف التام، فوجدوها عند فتى باربأمه، فشرورها بثمان غال جداً، وذبحوها وما كادوا يفعلون، لغلاء ثمنها، ولو ذبحوا أي بقرة كانت قبل هذه الأسئلة، لأجزأتهم، ولكن شدوا، فشد الله عليهم، كما روى أبو هريرة.

٧٢- واذكروا حين قتل بعضكم نفساً، فتخاصمتم وتنازعتن فيمن هو القاتل؟ والله مظهر ما كتمتم من أمر القتل، لإخفائه على الحاكم.

٧٣- فقلنا: اضربوا القليل بأحد أعضاء البقرة المذبوحة، فضرهه، فأحياءه الله، فأخبرهم عن القاتل، وهكذا يحيى الله الأموات يوم القيامة كمثل هذا الإحياء، ويريكم علاماته الدالة على كمال قدرته، لكي تذكروا قدرة الله تعالى، وتندبروا في أمر البعث.

٧٤- ثم صلبت قلوبكم عن قبول الحق، ولم تدعن آيات الله من بعد رؤية هذه الحادثة، فهي كالحجارة قسوة وصلابة، أو أشد قسوة منها، بل إن من الحجارة لألين من قلوبكم، فينبع من بعضها ماء الأنهار، وبعضها يتصدع، فتخرج منه العيون الصغيرة، وبعضها يهوي من خوف الله كسقوط الجبل أمام موسى، وقلوبكم لا تلين، والله حافظ لأعمالكم ومجازيك عليها يوم القيامة.

٧٥- أنطمعون أيها المؤمنون أن يصدق اليهود برسالة نبيكم محمد ﷺ؟ وقد كان بعض أخبارهم يقرؤون كلام الله في التوراة، ثم يحرفونه بالزيادة أو النقص أو تبديل شيء بغيره، لتحريم الحلال، وتحليل الحرام بحسب أهوائهم، كتحريفهم صفة رسول الله ﷺ بجعله طويلاً أسمر بدلاً من «متوسط الطول أبيض» وإسقاط الحدود عن أشرفهم، يحرقونه من بعد ما فهموه بعقولهم، وهم يعلمون أنهم مبطلون كاذبون. ونزلت هذه الآية في الذين غيروا آية الرجم وصفة محمد ﷺ، كما ذكر الواحدى.



٧٦- وإذا لقوا الذين آمنوا، قالوا: آمنا بأن محمداً رسول الله، وإذا اختلوا مع بعضهم، قالوا لبعضهم الذي أفشى للمسلمين ما في التوراة من صفات رسول الله ﷺ وكل ما يدل على صدقه، وأخبر بما عذب به أبائهم: كيف تحدثون أتباع محمد بما علمكم الله في كتابكم، وبما أنزل الله عليكم في التوراة بدلالات صدقه، فيكون ذلك حجة لهم عليكم؟ أفلا تدركون أن ما تخبرون به هو حجة عليكم؟! قال ابن عباس: كانوا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا: آمنا أن صاحبكم رسول الله، ولكنه ليكم خاصة.

٧٧- أو لا يعلم هؤلاء اليهود أن الله يعلم ما يخفون من الكفر والتكذيب، وما يظهرون من النفاق، فسواء أعلتكم أم أسرتم، فإن الله سيجازيكم على أعمالكم.

٧٨- ومن اليهود أميون لا يقرؤون ولا يكتبون، لا يعرفون من التوراة إلا أنبياء وأكاذيب تلقوها عن أبحارهم، وما هم في هذه الادعاءات والأكاذيب إلا أصحاب ظنون موهومة، لا حقيقة لها ولا علم لهم بها.

٧٩- هلاك ودمار وعذاب للذين يحرقون التوراة بأيديهم الأثيمة، فهم يعلمون أنه من عند أنفسهم، وهم يزعمون في المحافل أنه من عند الله، ويوهمون أنه من التوراة، ليقبضوا قيمة التحريف شيئاً خسيساً

من الدنيا، فعذاب لهم على التحريف والتزوير، وعذاب لهم على الأموال المكتسبة ثمن التحريف لكلام الله. نزلت الآية كما قال العباس في أبحار اليهود الذين غيروا صفة النبي ﷺ وبدلوا نعته.

٨٠- وقالت اليهود: لن تصيبنا النار إلا أياماً قليلة أربعين يوماً مدة عبادة آبائهم العجل، قل لهم أيها النبي: هل أخذتم من الله وعداً ألا يعذبكم إلا هذه المدة، وحيث لا يخلف الله وعده؟ بل في الواقع تفترون على الله الكذب. روى الطبري عن ابن عباس: أن اليهود قالوا: لن ندخل النار إلا نحلة القسم، الأيام التي عبدنا فيها العجل أربعين ليلة، فإذا انقضت، انقطع عنا العذاب، فنزلت الآية.

٨١- ليس الأمر كما زعمتم أيها اليهود، بل سيدخل النار كل من كفر بالله وكذب رسله، وكل من أشرك وارتكب خطيئة ولم يتب منها، وأحاطت به سبته ومات على كفره، فهم أهل النار، ما كوث فيها إلى الأبد.

٨٢- والذين آمنوا بالله وصدقوا برسالة رسوله، وعملوا الأعمال الصالحة التي أمر الله بها، هم أهل الجنة، مقيمون فيها على الدوام.

٨٣- واذكر أيها الرسول مضمون الميثاق المأخوذ على بني إسرائيل: وهو إفراد الله بالعبادة، والإحسان إلى الوالدين بالمعاشرة بالمعروف والتواضع لهما وامتثال أمرهما، والإحسان إلى القرابة بصلة الرحم وأداء الحقوق، والإحسان إلى الأيتام الذين فقدوا آباءهم في الصغر قبل البلوغ، وإلى المساكين الذين ليس لديهم ما يتفقون على حوائجهم، والقول الحسن للناس بالكلمة الطيبة والمعاملة الحسنة، وإقامة الصلاة في أوقاتها، وإيتاء الزكاة للمستحقين، ثم عرضتم أيها اليهود عن هذا الميثاق، فلم تعملوا به إلا العدد القليل منكم كعبد الله بن سلام وأصحابه الذين نفذوا الميثاق، وأنتم معرضون عن تنفيذه كفرةً وعناداً.

وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا اتخذوا آياتهم بما فتح الله عليكم للجهنم به عند ربكم أفلا تعقلون ﴿٧٦﴾ أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ﴿٧٧﴾ ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون ﴿٧٨﴾ قويل للذين يكتبون بالأيديهم يقولون هذا من عند الله ليسروا به مما قبلنا قول لهم مما كتب أيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴿٧٩﴾ وقالوا لن نمسنا النار إلا أياماً معدودة قل اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهداً وأم تقولون على الله ما لا تعلمون ﴿٨٠﴾ بل من كسب سبته وأخطت به خطيئته فأولئك أضحت النار لهم فيها خلدون ﴿٨١﴾ والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أضحت الجنة لهم فيها خلدون ﴿٨٢﴾ وإذا أخذنا مشيقي بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله ووالوالدين إحساناً وذي القربى واليتامى والمسكين وقلوا للناس حسناً وأقيموا الصلوة وآتوا الزكاة ثم قولناهم إلا قليلاً منكم وأنتم معرضون ﴿٨٣﴾

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَآتِفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرَجُونَ
 أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ إِشْرًا وَقُرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾
 ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْسِلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرَجُونَ مِنْ دِينِكُمْ
 وَإِنْ يُبَيِّنْ لَهُمْ نَظَاهِرُهُمْ عَلَيْهِمْ إِلَّا لِيُؤْثِرُوا وَلِيَخْتَلِفُوا
 فِيهَا يَأْتُواكُمُ الْأَسْرَى تَقَالُدُ لَهُمْ وَهُمْ مُخْرَجُونَ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجًا
 أَقْوَمًا بَعْضُ الْكُتُبِ وَكَفَرُوا بِبَعْضِهَا فَجَاءَ
 مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ الْآخِرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ
 الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِفَاعِلٍ عَمَّا
 تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ أُشِّرُوا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ
 فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ وَلَا هُمْ يُبْصِرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ
 آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَفَقِينَا مِنْ بَعْدِهِ بِأَرْسَالِنَا
 وَمَا آتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا
 جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ اسْتَكْبَرُوا ثُمَّ فَخِرُوا
 كَذِبًا وَفَرِيقًا تَقْسِلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ
 لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَأْيُومُونَ ﴿٨٨﴾

٨٤- واذكروا يا معشر اليهود حين أخذنا العهد المؤكد عليكم في كتابكم التوراة ألا يقتل بعضكم بعضاً، وألا يخرجوه أو يطرده من داره كرهاً أو ظلماً، ثم اعترفتم وقبلتم بالميثاق المأخوذ عليكم، وأنتم تشهدون على أنفسكم بذلك، وتقرون بهذا العهد، وتعلمون أنه عهد الله في التوراة.

٨٥- ثم أنتم هؤلاء المشاهدون الحاضرون في عهد النبي ﷺ تخالفون ما أخذه الله عليكم في التوراة، فيقتل بعضكم بعضاً، وتعينون المشركين على أبناء دينكم، بتعريضهم للقتل وطردهم من منازلهم، بلا سبب يحل به ذلك، وإنما بالمعصية والظلم، وإن أسر الأعداء أحداً منكم، وجاءكم يطلب الفداء لنفسه، أنقذتموه من الأسر بدفع الفدية، إيماناً بما في التوراة، أي لا تنفذون من تعاليم التوراة إلا فداء الأسرى فقط، علماً بأنه محرم عليكم إخراجهم من ديارهم، وهذا توخيخ على تناقضهم؛ لأن الأسر نتيجة الإخراج من الديار، فكيف تفعلون الشيء وتبطلون نتيجته؟! وكيف تصدقون ببعض التوراة الذي يوجب المفاداة، وتكفرون ببعضه الآخر الذي يحرم القتل

والإخراج؟! وذلك بسبب تحالف بني قينقاع مع الخزرج، والنضير وقريظة مع الأوس، وإعانة كل فريق حلفاء على إخوانه. فالجزء على هذا التناقض حزبي وذلي في الدنيا، وأشد العذاب في الآخرة بسبب التلاعب بآيات الله، والله مطلع على أعمالكم ومجازيكم عليها.

٨٦- أولئك اليهود الذين استحبوا قليل الدنيا على كثير الآخرة، وباعوا نعيم الآخرة الدائم بمتاع الدنيا الزائل، فلا يخفف عنهم عذاب القيامة، ولا ينصرهم أحد فيمنع عنهم العذاب.

٨٧- ولقد آتينا موسى التوراة، وأتبعناه ببعثة أنبياء بني إسرائيل من بعده، وآتينا عيسى ابن مريم المعجزات الدالة على صدقه في آية (٤٩) من سورة آل عمران (٣) وهي إحياء الموتى وخلق الطير بإذن الله، وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله، والإخبار بالمغيبات، وإنزال المائدة من السماء، وإنزال الإنجيل عليه، وقويناه بروح القدس أي الطاهر وهو جبريل، أفكلما جاءكم أيها اليهود رسول بغير ما يوافق ويلاتكم أنفسكم، استكبرتم عن إجابته، احتقاراً للرسول، فريقاً كذبتم كعيسى ومحمد، وفريقاً قتلتم كزكريا ويحيى؟!

٨٨- وقال اليهود للنبي ﷺ لما دعاهم للإسلام: قلوبنا مغلقة ومغطاة بأغظية تمنعها من الاستجابة لدعوتك، وهذا دليل على أن الكفر عناد ومكابرة، لذا أبعدهم الله من رحمته بسبب كفرهم وعدم مبادرتهم إلى الإيمان، فلا يؤمنون إلا قليلاً، وهو الإيمان ببعض الكتاب، ولا يؤمن منهم إلا قليل.

٨٩- ولما جاء اليهود القرآن، مؤيداً لما معهم من التوراة والإنجيل، وكانوا قبل مجيئه يطلبون من الله النصر على أعدائهم بالنبي المبعوث آخر الزمان، الموصوف عندهم في التوراة، فلما جاءهم الرسول الذي عرفوا وصفه، كفروا به حسداً؛ لأنه ليس منهم، فاللجنة على الكافرين، أي الطرد من رحمة الله. وسبب النزول: ما أخرج ابن إسحاق وابن أبي حاتم عن ابن عباس: أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب، كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فنزلت الآية.

٩٠- بش الشيء الذي باعوا به أنفسهم، فأويقوا أنفسهم في نار جهنم، بسبب الكفر بما أنزل الله على رسوله من القرآن حسداً ومنافسة، على أن ينزل الله وحياً على نبي من غير بني إسرائيل؛ لأن محمداً ﷺ كان من العرب، وليس منهم، فرجع اليهود بسخط عليهم من الله لكفرهم برسالة محمد، على سخط سابق لتحريفهم أحكام التوراة وكفرهم بعيسى، وللكفار عذاب ذو إهانة.

٩١- وإذا قيل لليهود: صدقوا بالقرآن، قالوا: نصدق بالتوراة المنزلة علينا، ويكفرون بما سواه من الكتب الأخرى، فوراءه أي غيره، والقرآن حق مؤيد للتوراة؛ لأن كتب الله يؤيد بعضها بعضاً، قل لهم أيها النبي: إن كنتم مؤمنين بما أنزل عليكم، فكيف تقتلون أنبياء الله الذين حرم الله عليكم قتلهم؟ والخطاب وإن كان للحاضرين زمن النبي ﷺ فالمراد به أسلافهم، وصح خطابهم لرضاهم بما فعل أسلافهم، فكانوا مثلهم.

٩٢- ولقد جاءكم موسى بالمعجزات الدالة على صدقه، كقرب البحر وتظليل الغمام، وهي الآيات التسع [الإسراء ١٧/ ١٠١] ثم عبدتم العجل الذي صنعه السامري، واتخذتموه إلهاً من بعد مجيء موسى بالبيئات، وأنتم كافرون لعبادتكم ما لا يستحق العبادة.

٩٣- واذكروا أيها اليهود حين أخذنا عليكم العهد المؤكد على العمل بالتوراة، ورفعنا فوقكم جبل الطور (في الآية السابقة ٦٣) وقلنا لكم: اعملوا بالتوراة بجد واجتهاد، وأطيعوا وأقبلوا ما تؤمرون به، فقلتم: سمعنا قولك وعصينا أمرك، أي لا نقبل أمرك، وتمكن في قلوبكم أو امتزج حب عبادة العجل بسبب كفركم، قل لهم أيها الرسول: بئسما يأمركم به إيمانكم الذي زعمتم، إن كنتم مؤمنين بما أنزل عليكم، وتكفرون بما وراه.

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ
وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ
مَاعَرِفًا كَفَرُوا بِهِ فَغَضِبَ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا
آسَرُوا بِهِ أَنْ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
بَعِيثًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
فَبَاءُ وَبِعَضْبٍ عَلَى غَضْبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩٠﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَوْفِينَا بِمَا أَنْزَلَ
عَلَيْنَا وَكُفِّرُوا بِنَا وَأَوْرَاءَهُمْ وَهُوَ أَخْحَى مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ
قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى
بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ أَخَذْتُمْ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ
﴿٩٢﴾ وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ
خُذُوا مَاءً وَاتَّبِعُوا بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قُلُوبًا سَمِعْنَا
وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ
قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾



قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الْاٰخِرَةُ عِنْدَ اللّٰهِ خَالِصَةً مِّنْ دُوْنِ
النَّاسِ فَتَمَوَّاْ الْمَوْتِ اِنَّ كُنتُمْ صٰدِقِيْنَ ﴿٩٤﴾ وَلَنْ يَمَنُّوْهُ
اَبَدًا بِمَا قَدَّمْتْ اَيْدِيَهُمْ وَاللّٰهُ عَلِيْمٌ بِالظّٰلِمِيْنَ ﴿٩٥﴾
وَلَيَجَنَّبَنَّكُمْ اَحْرَصَ النَّاسِ عَلٰى حَيٰوةِهِمْ وَمِنَ الَّذِيْنَ اَشْرَكُوْا
يُوَدُّ اَحَدُهُمْ لَوْ يَكْفُرَ اَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْسِيْهِ
مِنَ الْعَذَابِ اِنَّ نَجْمَهُ وَاللّٰهُ بَصِيْرٌ بِمَا يَعْمَلُوْنَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَن
كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَاِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلٰى قَلْبِكَ بِاِذْنِ اللّٰهِ
مُصَدِّقًا لِّمَا بِيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرٰى لِّلْمُؤْمِنِيْنَ ﴿٩٧﴾
مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلّٰهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ
وَمِيْكَالَ فَاِنَّ اللّٰهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِيْنَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ اَنْزَلْنَا
اِلَيْكَ ءَايٰتٍ بَيِّنٰتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا اِلَّا الْفٰسِقُوْنَ ﴿٩٩﴾
اَوْ كُنَّا لَمَّا عٰهَدُوْا وَعٰهَدًا بَيْنَهُمْ فَرِيْقٌ مِّنْهُمْ بَلَّ اَكْثَرَهُمْ
لَا يُؤْمِنُوْنَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رُسُوْلٌ مِّنْ عِنْدِ اللّٰهِ
مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَّءٌ فَرِيْقٌ مِّنَ الَّذِيْنَ اٰتَوْا الْكِتٰبَ
كُتِبَ اِلَيْهِمْ وِرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَاْتَهُمْ لَا يَعْلَمُوْنَ ﴿١٠١﴾

٩٤- قل لهم أيها النبي: إن كانت لكم الجنة، خاصة بكم، من دون جميع الناس كما زعمتم، فتمنوا الموت لتفوزوا بالجنة؛ لأن من كان موقناً أنه من أهل الجنة، كان الموت أحب إليه من الحياة، إن كنتم صادقين في زعمكم. وسبب النزول: ما أخرج الطبري عن أبي العالية قال: قالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً، فنزلت الآية.

٩٥- ولن يتمنى اليهود الموت، بسبب ما فعلوه من الذنوب والآثام، كالتحريف والتكذيب؛ فهم غير آمنين من العذاب، بل ولا طامعين في دخول الجنة، والله عليم بالكافرين ومجازيهم.

٩٦- ولتجدن اليهود يا محمد أشد الناس حرصاً على حياة الدنيا، وأحرص من الذين أشركوا الذين لا يؤمنون بالبعث ولا بالآخرة والجزاء، يتمنى اليهودي، لو يطول عمره ألف سنة، وما التعمير يمزحجه أو مبعده من عذاب الله، فمهما عاش، فلا بدّ له من الموت، والله بصير بعملهم في الدنيا، وسيجازيهم في الآخرة.

٩٧- قل أيها الرسول لليهود الذين عادوا جبريل لنزوله بالعذاب وإخبارهم بتحريب بيت المقدس على

يد بختنصر أو غيره: من كان عدواً لجبريل، فإن جبريل نزل القرآن على قلبك بأمر الله، لا بأمر نفسه، موافقاً للكتب السماوية السابقة كالتوراة والإنجيل، وهدى للناس من الضلال، وبشرى للمؤمنين بحسن العاقبة. قال الطبري: أجمع أهل العلم بالتأويل جميعاً أن هذه الآية نزلت جواباً لليهود من بني إسرائيل، إذ زعموا أن جبريل عدو لهم، وأن ميكائيل ولي لهم.

٩٨- من كان عدواً لله وملائكته، وجبريل وميكائيل، فقد كفر، والله عدو للكافرين، فمن عادى أولياء الله، فقد عادى الله تعالى، والله يعاديه ويؤاخذُه. وخص جبريل وميكائيل بالذكر؛ لأنهما أشرف من بقية الملائكة.

٩٩- ولقد أنزلنا إليك أيها النبي علامات واضحات على نبوتك، ولشدة وضوحها لا يكفر بها إلا الفسقة الخارجون عن أمر الله. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس: أن عبد الله بن سوريا قال للنبي ﷺ: يا محمد، ما جئتنا بشيء نعرفه، وما أنزل الله عليك من آية بينة، فنزلت هذه الآية.

١٠٠- أو كلما أعطى اليهود عهداً مؤكداً على العمل بالتوراة، طرحه ونقضه فريق (طائفة) منهم، بل أكثر هؤلاء اليهود لا يؤمنون بالله ورسله، فكيف يحترمون عهده؟! وسبب النزول: أن مالك بن الصيف بعد البعثة النبوية قال: والله ما عهد إلينا في محمد، ولا أخذ علينا ميثاقاً، فنزلت الآية.

١٠١- ولما جاء اليهود رسول من عند الله هو محمد ﷺ تتفق أوصافه بما جاء في كتبهم، موافقاً للتوراة، طرح ورفض فريق منهم وهم أحبار اليهود التوراة، ولم يعملوا بما جاء فيها، كأنهم لا يعلمون شيئاً من التوراة، فعملوا عمل من لا يعلم.

وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُؤَمِّكَ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ
 سُلَيْمَانَ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ
 السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوَتَ
 وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ
 فَيَعْلَمُونَ مِنْهُمَا مَا يَفْتَرُونَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَرَوْحِهِ
 وَمَا هُمْ بِضَازِلِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَّبِعُونَ
 مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ
 مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ
 أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا
 لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا
 وَاسْمَعُوا وَاللَّكْفِيرِينَ عَذَابُ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَا يُوَدُّ
 الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ
 أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ
 بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

١٠٢- واتبع اليهود ما تروي وتقول شياطين أو
 خبشاء الإنس المشعوذون السحرة على عهد ملك
 سليمان، ظانين أنه ما سخر الريح والجن إلا بالسحر،
 وأنه كان يستجيزه، ولم يكفر سليمان بفعل السحر
 وتعلمه ولم يكن ساحراً؛ لأن السحر كفر، ولكن
 الشياطين المذكورين هم الذين كفروا بتعليم الناس
 السحر وفعله، بقصد إغوائهم وإضلالهم،
 ويعلمونهم أيضاً ما أنزل على الملكين: هاروت
 وماروت الموجودين ببابل: بلد بالعراق، وكان هذان
 الملكان يعلمان الناس السحر ليجتنبوه، وكانا في
 الأصل من الملائكة، وأهبطا إلى الأرض بطلبهما. وما
 يعلمان أحداً إلا قال له: لا تفعلوا كذا ولا تكفروا،
 ونحن فتنة، أي ابتلاء واختبار من الله لعباده،
 ويتعلم الناس منهما ما يسبب التفريق بين الزوجين
 بزور الكراهية والبغضاء بينهما، وللسحر حقيقة ثابتة
 عند الجمهور غير المعتزلة وأبي حنيفة، وله تأثير في
 القلوب في هذا المجال، ولكنه لا يضر إلا بما يأذن الله
 به، ويتعلم الناس السحر الذي يضر في الدين، ولا
 ينفع في الدنيا، لأنه ضرر محض، ولقد علم اليهود
 أن من اختار السحر بدلاً عن كتاب الله، ليس له نصيب
 من الجنة، ولبئس ما باعوا به أنفسهم بالسحر عوضاً

عن دينهم، وتركهم العمل بما علموا، لو علموا ما ينتظرهم من العذاب.

وسبب النزول: ما أخرجه محمد بن إسحاق والطبري وغيرهما: قال بعض أئمة اليهود: ألا
 تعجبون من محمد، يزعم أن سليمان كان نبياً؟ والله ما كان إلا ساحراً، فنزلت الآية.

١٠٣- ولو أن متعلمي السحر آمنوا بالله ورسوله، واتقوا الله، فعملوا بأوامره، واجتنبوا نواهيه، وما وقعوا فيه
 من السحر والكفر، لكان لهم ثواب هو خير لهم من السحر ومكاسبه، ولو علموا ذلك لما أخذوا بالسحر، ولا
 تركوا الإيمان والتقوى.

١٠٤- أيها المؤمنون، لا تقولوا: ﴿راعنا﴾ من المراعاة والاهتمام؛ لأن هذه كلمة سب قبيح عند اليهود، من
 الرعونة، وقولوا: ﴿انظرننا﴾ أي انظر إلينا وأقبل علينا لنفهم قولك، واسمعوا سماع قبول وطاعة للشرع
 والرسول. ولللكفار الذين يؤذون الرسول عذاب مؤلم يوم القيامة. وسبب النزول: ما ذكره ابن عباس: أن
 اليهود استعملوا كلمة ﴿راعنا﴾ لسب النبي ﷺ، ففطن لذلك سعد بن معاذ، فهدد القائل بالقتل،
 فقالوا: ألستم تقولونها؟ فنزلت الآية.

١٠٥- ما يتنى كفار أهل الكتاب من اليهود وعبدة الأوثان، لشدة عداوتهم وبغضهم المسلمين أن ينزل أي خير
 من الوحي أو غيره على المؤمنين، ومنه القرآن، والله يختص بالنبوة والهداية من يشاء من العباد، والله صاحب
 الفضل العظيم الذي لا يتناهى. وسبب النزول: أن المسلمين كانوا إذا قالوا لخلفائهم من اليهود: آمنوا
 بمحمد ﷺ قالوا: هذا الذي تدعوننا إليه، ليس بخير مما نحن عليه، ولوددنا لو كان خيراً، فأنزل الله
 تعالى تكذيباً لهم.

﴿ مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ إِنَّهَا أَوْشَاهَا
 أَوْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَوْ تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ
 لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ
 كَمَا سَأَلِ سُورِيُّ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَبْدُلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ
 فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
 لَوْ رَدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ
 أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَدُوا وَأَصْحَابُ
 حَقِّي يَأْتِي اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَيُّهَا
 الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ مَا تَقَدَّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ
 تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنْ أَنْتُمْ تَعْمَلُونَ صَبِيرِينَ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا
 لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا الْآمِنُونَ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَانِيًّا
 تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
 ﴿١١١﴾ بَلْ مِنْ أَسْمَاءٍ وَرَجُلٍ لَمْ يَكُن مِنَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ
 عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾

١٠٦- ما يبدل أو يغير حكم آية، أو يمجها من الذاكرة فتساها حتى لا تُقرأ، إلا أتينا بما هو أنفع للناس منها عاجلاً أو آجلاً، أو بمثل لها في النفع، سواء أكان الناس أخف أم أثقل وهو ذو ثواب أكثر، ألم تعلم أيها النبي أن الله قادر على كل شيء، ومنه نسخ الأحكام تحقيقاً لمصلحة العباد. وسبب النزول: أن المشركين حينما سمعوا بالنسخ، قالوا: ما في هذا القرآن إلا كلام محمد، يقوله من تلقاء نفسه، وهو كلام يناقض بعضه بعضاً، فنزلت الآية وآية النحل ١٠٦/١٠٦.

١٠٧- ألم تعلم أيها النبي أن الله مالك السموات والأرض، والمتصرف فيهما بالإيجاد والإعدام ونفوذ الأمر بمقتضى مصالح العباد، وليس لكم أيها الناس غير الله يتولى أموركم وينصركم على أعدائكم. نزلت هذه الآية في قريش حين قالوا: يا محمد، اجعل لنا الصفا ذهباً، ووسع لنا أرض مكة، وفجر الأنهار خلالها تفجيراً، نؤمن بك، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقال المفسرون: نزلت رداً على اليهود والمشركين المطالبين بهذه المطالب، وهو الأولى.

١٠٨- بل أتريدون سؤال رسولكم محمد ﷺ أسئلة تعجيزية كالإتيان بالله والملائكة قبيلاً، مثلما سئل موسى من قبل أن يريه الله جهرة؟ فتضلوا كما ضلوا، ومن يفضل الكفر على الإيمان، فقد حاد عن الطريق المستقيم أي طريق طاعة الله. أخرج الطبري عن مجاهد قال: سألت قريش محمداً أن يجعل لهم الصفا ذهباً، قال: نعم، وهو لكم كالمائدة لبني إسرائيل، إن كفرتم، فأبوا ورجعوا، فنزلت الآية.

١٠٩- تمنى وأحب الكثير من اليهود لو يرجعونكم إلى الكفر، حسداً منهم على توفيق الله لكم وإرشادكم، من بعد تبينهم الحق أن محمداً رسول الله، فتجاوزوا عن سيئاتهم وأصفحوا عما بدر منهم من عداوة، والعفو: ترك المؤاخذه بالذنب، والصفح: محو أثر الذنب، حتى يأذن الله بقتالهم أو إجلائهم أو فرض الجزية عليهم، والله تام القدرة على كل شيء. قال ابن عباس: نزلت في نفر من اليهود قالوا للمسلمين بعد وقعة أحد: ألم تروا إلى ما أصابكم ولو كنتم على الحق، ما هزتمم، فارجعوا إلى ديننا، فهو خير لكم.

١١٠- وأدوا الصلاة كاملة الأركان والشروط، وادفعوا الزكاة المفروضة للمستحقين، وما تقدموا من أعمال الخير والطاعة في الدنيا، تجددوا ثوابه عند الله في الآخرة، والله لا يخفى عليه شيء قليل أو كثير.

١١١- وقالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا اليهودي، وقالت النصارى: لن يدخلها إلا النصراني، تلك مجرد تمنيات وشهوات يتمنونها بغير حق، قل لهم أيها النبي: أحضروا دليلكم وحجتكم على زعمكم، إن صدقتم في مزاعمكم وأمانيتكم ودعاويكم الباطلة.

١١٢- ليس الأمر كما تقولون، بل يدخل الجنة من أسلم ذاته لله، وأخلص دينه وعبادته لربه، وهو محسن عمله، فله ثواب إيمانه وعمله عند ربه يوم القيامة، ولا خوف عليهم من العذاب، ولا يحزنون على ما فاتهم في الدنيا، بل هم في طمأنينة ونعيم.

١١٣- اتهمت كل طائفة من اليهود والنصارى الأخرى بأنها ليست على شيء معتبر من الحق، مع أن كلاً يتلو في كتابه أنه مصدق للآخر، وكذلك قال الجاهلاء من المشركين الذين لا علم عندهم ولا كتاب مثل هذا القول، فإنهم قالوا: ليس مدعو الأديان على شيء والله يحكم يوم القيامة بين الناس فيما اختلفوا فيه من أمر الدين، وسيجازيهم بما هو مستحق عليهم. ونزلت الآية في يهود المدينة ونصارى نجران حين تناظروا، فقالت اليهود: ما أنتم على شيء من الدين، وكفروا بعيسى والإنجيل، وقالت لهم النصارى: ما أنتم على شيء من الدين، فكفروا بموسى والتوراة، فنزلت الآية.

١١٤- لا أحد أظلم ممن منع عبادة الله في المساجد، وسعى في هدمها، أولئك الآثمون ما كان ينبغي لهم أن يدخلوا المساجد إلا خائفين من عقاب الله، ولهم في الدنيا ذل وهوان، وفي الآخرة عذاب شديد في النار. قال ابن عباس: نزلت في مشركي أهل مكة الذين منعوا المسلمين من ذكر الله تعالى في المسجد الحرام، ومنعوا النبي ﷺ من الصلاة عند الكعبة في المسجد الحرام.

١١٥- الله ملك المشرق والمغرب وما بينهما، فأى جهة تتجهون فيها في صلاتكم، فهناك الجهة أو القبلة التي يرضى بها الله، إن الله واسع الرحمة بعباده، عليم بما يصلحهم. نزلت كما ذكر الطبري قبل الأمر بالتوجه إلى استقبال الكعبة في الصلاة، وفيها إبطال ما كان يعتقد أرباب الملل السابقة من أن العبادة لا تصح إلا في الهياكل والمعابد.

١١٦- وقال الكفار: اتخذ الله ولداً، فقالت اليهود: عزيز ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، تنزه الله تعالى عن اتخاذ الولد، بل الله جميع ما في السموات والأرض ملكاً وخلقاً، الكل عباد الله، وكلهم خاضعون لسلطانه، فكيف يكون أحدهم ولداً لله؟ نزلت الآية في اليهود حين قالوا: عزيز ابن الله، وفي نصارى نجران حيث قالوا: المسيح ابن الله، وفي مشركي العرب الذين قالوا: الملائكة بنات الله.

١١٧- الله مبدع السموات والأرض، أي خالقهما على غير مثال سبق، وإذا أراد شيئاً خلقاً أو أمراً أو تدبيراً، قال للشيء الذي يريد: كن فيكون، أي فيوجد فوراً، لكمال قدرته.

١١٨- قال مشركو العرب للثني: هلا يكلمنا الله كما كلم ملائكته ورسله، فيخبرنا بأنك رسوله، أو تأتينا معجزة أو علامة مادية مما اقترحوه في الآيات (٩٠) وما بعدها من سورة الإسراء، تدل على صدق نبوتك، قال مثل ذلك كفار الأمم السابقة، اتفتت قلوب وأقوال المشركين مع من سبقهم على الكفر والتباعد والتكذيب، قد بين الله الدلالات على نبوة محمد ﷺ لقوم يعترفون بالحق. قال ابن عباس فيما أخرج الطبري: قال رافع بن خزيمة لرسول الله: إن كنت رسولاً من الله كما تقول، فقل لله: فليكلمنا حتى نسمع كلامه، فنزلت الآية.

١١٩- يؤكد الله أنه أرسل نبيه بالدين الحق مبشراً للمؤمنين بالجنة، ومنذراً للكافرين بالنار، ولست مسؤولاً يا محمد عن مات كافراً ولم يؤمن برسالتك. قال الإمام السيوطي: والذي يقطع به أن الآية في كفار أهل الكتاب كما لايات السابقة عليها والتالية لها، لافي أبيه ﷺ.

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ أَنْصَرِي عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتَّبِعُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسُئِلَ فِي حُرَابِهَا أَوْلِيكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تَوَلَّوْا فَوَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ عِلْمَهُ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلِداً سُبْحَانَ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَسْتٌ ﴿١١٦﴾ يَدْعُ الْمَسْمُوتَ وَالْأَرْضَ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِآحْتَىٰ نَبِيًّا وَتَذِيْرًا وَلَا تَسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْحَيْمِ ﴿١١٩﴾

١٢٠- ولن ترضى عنك أيها النبي اليهود والنصارى حتى تتبع عقيدتهم، وتنصرف عن دينك إلى دينهم، وتتبع أهواءهم، قل أيها الرسول: إن الهدى القرآني هو الدين الحق والهدى الحقيقي، لا ما هم عليه من الشريعة المنسوخة، ولئن اتبعت أيها الرسول أهواء اليهود والنصارى والموجودة في كتبهم المحرفة، بعدما جاءك من وحي القرآن، مالك ولي غير الله يتولى أمرك ويحفظك، ولا ناصر ينصرك ويمنعك من عقابه. وسبب النزول: أن اليهود كانوا يسألون النبي ﷺ الهدنة، ويطمعون أنه إذا هادنهم وأمهلهم، اتبعوه ووافقوه، فنزلت هذه الآية.

١٢١- الذين أنزلنا عليهم القرآن يتبعونه حق الاتباع، ويعملون بما فيه، فيحلون حلاله، ويحرمون حرامه، أولئك يصدقون تصديقاً تاماً بالكتاب المنزل، ومن يكفر بالقرآن، فهم الخاسرون لاستبدالهم الكفر بالإيمان.

١٢٢- يا معشر بني إسرائيل، تذكروا النعم التي أنعمت بها عليكم وعلى أسلافكم بشكري وطاعتي، وأني فضلت أصولكم على عالمي زمانهم. أعاد هذا التذكير بالنعم والتحذير من النقم لبيان الهدف الحقيقي من القصة.

١٢٣- وخافوا عذاب يوم لا تتوب فيه نفس عن نفس أخرى في المسؤولية، ولا يقبل منها فدية تجو بها من النار، ولا تفيدها شفاعة شافع، ولا نصرة ناصر، يمنع عنها العذاب.

١٢٤- واذكر يا محمد حين اختبر الله إبراهيم بأوامر ونواه، فقام بحق التكليف تماماً، وقال الله له: إني مصيرك إماماً (قدوة) في الدين وأعمال الخير، قال إبراهيم: واجعل من ذريتي أيضاً أئمة، فأعلمه الله أن عهده بالإمامة والنبوة لا يشمل الظالمين والعصاة من ذريتك، فإنهم لا يصلحون قدوة للناس، لأن الإمام لا بد أن يكون عادلاً عاملاً بالشرع، وإلا كان ظالماً.

١٢٥- واذكر أننا جعلنا البيت الحرام (الكعبة) مرجعاً لعبادة الله وأداء المناسك فيه، والصلاة نحوه بعد التفرق عنه، ومأمناً من الظلم والمخاوف، واتخذوا أيها المسلمون من مقام إبراهيم حول الكعبة (وهو الحجر المعروف) مكاناً للصلاة والعبادة تكرة لإبراهيم، ووصينا وأمرنا إبراهيم وإسماعيل أن يطهرا البيت الحرام من الأوثان والكفار والنجاسات والخبثات، من أجل طواف الطائفين به، والمقيمين في المسجد للعبادة، والمصلين فيه راكعين ساجدين. قال عمر رضي الله عنه: قال النبي ﷺ: هذا مقام إبراهيم، فقلت: يا رسول الله، أفلا نتخذة مصلي؟ فنزلت هذه الآية.

١٢٦- واذكر حين قال إبراهيم: رب اجعل مكة بلداً آمناً يأمن الناس فيه، وارزق أهله المؤمنين بالله واليوم الآخر من الثمار التي تجيى إليه من كل مكان، قال تعالى: وارزق أيضاً من كفر، لأمته بالرزق قليلاً في الدنيا، ثم ألقه وأدفعه إلى عذاب النار، فلا يجد عنه مخلصاً، وبش المرجع الذي يصير إليه في جهنم.

وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ آلِهَةٍ مِمَّا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيِّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢١﴾ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَتَّى تَلَوتِهِمْ أَوْ لِيكَ يُوَسْوِسُ بِهِ مِنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢٢﴾ لَيْتَ إِسْرَائِيلَ أَذْكَرُوا بَعْضَ الَّذِي آتَيْنَاهُمْ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٣﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْرِي فِئْسٌ عَنْ نَفْسٍ سَيِّئًا وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إني جاعلك للناس إماماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا لِنَسَالِ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنهُمُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِمَّ لَهُ قِيلَافًا أَصْطَفَىٰ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَيَشَىٰ الْمَصِيرُ ﴿١٢٧﴾



١٢٧- واذكر أيها الرسول أيضاً حين كان إبراهيم وإسماعيل يرفعان أسس أو جذران البيت الحرام، قائلين: ربنا تقبل منا هذا العمل الحسن، إنك تسمع دعاءنا وتعلم نياتنا.

١٢٨- ربنا اجعلنا ثابتين على الإسلام، خاضعين لطاعتك، واجعل من ذريتنا: أولادنا وأحفادنا جماعة مخصصة لك بالطاعة، وعرقنا مناسك الحج ومواضع الذبح، وتجاوز عن خطايانا، إنك أنت كثير التوبة على عبادك، رحيم بالثائبين تغفرو وتغفر لهم. قال مجاهد: قال إبراهيم: رب أرنا مناسكنا، فأناه جبريل، فأتى به البيت، فقال: ارفع القواعد، ثم دله على مواضع رمي الجمرات في منى، وعلى المشعر الحرام، وعلى عرفات، وأمره أن يؤذن فيه بالحج، فقال: يا أيها الناس أجيئوا ربكم، فأجاب العباد: لبيك اللهم لبيك، فمن أجاب إبراهيم حينئذ فهو حاج.

١٢٩- ربنا وابعث في العرب - وهم ذرية إبراهيم وإسماعيل - رسولا من العرب، وهو محمد ﷺ يقرأ عليهم آياتك المنزلة، ويعلمهم القرآن، وأحكام الشريعة والفقه والفهم في الدين، وأسرار الأشياء، ويظهرهم من الشرك والمعاصي وسوء

وَأذِ بَرِّعَ إِبْرَاهِيمَ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلَ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ الْأَمْنِ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْمِ مَا لَكَ أَنَسْتُ رَبِّي الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَيْنَهُ وَيَعْقُوبَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الَّذِينَ فَلَاحُونَ ﴿١٣٢﴾ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ النَّوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ أَبَاكَ وَإِبْرَاهِيمَ وَاسْمَعِيلَ وَاسْمَعِيلُ الْهَامِ وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٤﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ حَلَّتْ هَامًا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٥﴾

الأخلاق، إنك يا رب القوي الغالب، الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة.

١٣٠- ولا يعدل عن شريعة إبراهيم وعقيدته التوحيدية إلا من جهل أمر نفسه، فلم يفكر فيها، واستخف بها وامتنعها، ولقد اخترناه رسولا في الدنيا، وإنه في الآخرين لمن الفائزين برضوان الله. ونزلت الآية في شأن ابني أخي عبد الله بن سلام حين دعاهما إلى الإيمان، فأمن سلمة وأبى مهاجر.

١٣١- واذكر أيها الرسول حين قال لإبراهيم ربه: تمسك بالإسلام ديناً، فقال: أخلصت العبادة والدين لرب العوالم كلها.

١٣٢- ووصى إبراهيم بوصية الله بالتمسك بالإسلام أبناءه، وأوصى يعقوب (إسرائيل) بنيه بذلك، كما أوصى إبراهيم، قائلاً لهم: يا أبنائي، إن الله اختار لكم الملة التي يجيء بها محمد ﷺ فهي صفوة الأديان، فالزموا الإسلام، ولا يأتاكم الموت إلا وأنتم على الإسلام.

١٣٣- أبطل الله دعاوى اليهود والنصارى أن إبراهيم يهودي أو نصراني، قائلاً: بل أشهدتكم أو حضرتم يعقوب؟ وعلمتم وصيته لأبنائه، حين حضره الموت، إذ قال لهم: ماذا تعبدون من بعد وفاتي؟ فقالوا: نعبد الإله الواحد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسحاق، وإسماعيل الذي كان عما يعقوب، وتسمي العرب العم أباً، ونحن له مخلصون العبادة، فأقروا بذلك، وشهد على إسلامهم. نزلت في اليهود حين قالوا للنبي ﷺ: ألسنت تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية.

١٣٤- تلك أمة - وهي إبراهيم ويعقوب وأبناؤهما - جماعة مضت، لها ما عملت من العبادة والخير، ولكم ما عملتم من خير أو شر، ولا تؤاخذون بسيئاتهم، ولا تستفيدون من حسناتهم.

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ
 حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٥﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ
 إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
 وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ
 مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٢٦﴾
 فَإِنِ آمَنُوا بِمِلَّةِ مَا آمَنَ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا
 هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَبَّ كَيْفَ كَرِهَ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾
 صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٢٨﴾
 قُلْ أَخْبَرْتُنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلِنَا أَعْمَلْنَا وَكَمْ
 أَعْمَلْنَا كُمْ وَنَحْنُ لَهُ مَخْلُصُونَ ﴿١٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ إِن
 إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ
 كَانُوا هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ قُلْ أَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ
 مِمَّنْ كَرِهَ شَهَادَةَ عِنْدِ مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ
 عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٣٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ
 وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣١﴾

١٣٥- وقالت اليهود والنصارى للمسلمين: كونوا يهوداً أو نصارى، واتركوا الإسلام، تكونوا على الحق والرشاد، قل لهم أيها النبي: لم تكن اليهودية ولا النصرانية طريق الهداية، بل تكون على ملة إبراهيم الخنيفية المائلة عن الأديان الباطلة إلى دين الحق، والخنيفية: هي دين الإسلام، ولم يكن إبراهيم من عبدة الأوثان أو مشركاً بالله، وهذا تعريض بهم، فكيف تدعون أنه كان يهودياً أو نصرانياً؟! أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: قال ابن صوريا للنبي ﷺ: ما الهدى إلا ما نحن عليه، فاتبعنا يا محمد تهتد، وقالت النصارى مثل ذلك، فنزلت الآية.

١٣٦- قولوا أيها المسلمون: آمنا بالله وحده لا شريك له وبالقرآن وبما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط: أولاد يعقوب وهم اثنا عشر ولداً، وبالنبوة المنزلة على موسى، وبالإنجيل المنزل على عيسى، وبكل ما أنزل على الأنبياء من ربهم من الكتب، لا نفرق بين أحد منهم، وإنما نؤمن بهم جميعاً، ونحن لله تعالى متقادون خاضعون.

١٣٧- فإن آمن أهل الكتاب وغيرهم بجميع ما آمن به المسلمون من كتب الله ورسله، وصدقوا مثل تصديقهم، فقد اهتدوا إلى الحق والصواب، وإن أعرضوا عن هذا الإيمان، فهم في مخالفة ومعادة لدعوة الإسلام، ويكفيك الله أيها الرسول شر من عاند وخالف، وينصرك عليهم، والله هو السميع لأقوالهم، العليم بخفايا نفوسهم.

١٣٨- الزموا أيها الناس دين الله الذي فطركم عليه وهو الإسلام، فلا هداية أفضل من هدايته، ونحن مطيعون لله تعالى. قال ابن عباس: إن النصارى كان إذا ولد لأحدهم ولد، فأتى عليه سبعة أيام، صبغوه في ماء لهم، يقال له: المعمود، ليظهره بذلك، ويقولون: هذا طهور، مكان الختان، فإذا فعلوا ذلك، صار نصرانياً حقاً، فأنزل الله هذه الآية.

١٣٩- قل أيها النبي لأهل الكتاب: اتجادلونا في شأن الله، ونحن وأنتم سواء في ربوبيته لنا، وعبوديته له، فكيف تدعون أو تريدون ألا يختار رسولاً إلا منكم؟ وسيجزي كل فريق منا بعمله، فلستم بأولي بالله منا، ونحن له مخلصون في طاعتنا وعبادتنا دونكم.

١٤٠- بل أتقولون: إن هؤلاء الأنبياء على دينكم؟ وإنهم مع أولاد يعقوب (الأسباط) كانوا يهوداً أو نصارى، مع أنهم وجدوا قبل موسى وعيسى، وقل لهم أيها النبي: هل أنتم أعلم بدينهم أم الله الذي برأ إبراهيم من اليهودية والنصرانية، ومن أشد ظلماً ممن كتم شهادة عنده من الله بأن هؤلاء الأنبياء ما كانوا يهوداً ولا نصارى، بل كانوا مسلمين، والله لا يترك عقوبة هؤلاء المدّعين بسبب ظلمهم وتكذيبهم الرسل وكتمان الشهادة.

١٤١- تلك جماعة مضت، لها ثواب أعمالها ولكم ثواب أعمالكم الطيبة وجزاء أعمالكم السيئة، فلا ينفعكم انتسابكم إليهم إذا لم تفعلوا الخير، وأنتم مسؤولون عن أعمالكم يوم القيامة، لا عن أعمال غيركم ممن سبقكم أو يأتي بعدكم.



١٤٢- سيقول الجهال ضعفاء العقول من اليهود والمشركين والمنافقين: ما سبب تحولهم وانصرافهم عن قبلة بيت المقدس التي كانوا يستقبلونها في صلاتهم، قل لهم أيها النبي: الله الجهات كلها مشرقها ومغربها، فله أن يأمر بالتوجه إلى أي جهة شاء، يهدي من يريد من عباده إلى سلوك الطريق القويم في العبادة، فيكون التحول إلى الكعبة هداية. روى البخاري عن البراء قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، فصلّى نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان رسول الله ﷺ يحب أن يتوجه نحو الكعبة، فأنزل الله: ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾ [البقرة 144/2] فقال السفهاء وهم اليهود: ﴿ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾ فقال الله تعالى: ﴿قل: لله المشرق والمغرب﴾.

١٤٣- وكما هديناكم إلى الإسلام وإلى قبلة إبراهيم عليه السلام، جعلناكم أمة خياراً عدولاً وسطاء، لتشهدوا على الناس يوم القيامة أن أنبياءهم قد بلغوهم رسالة الله، ويكون الرسول محمد ﷺ شاهداً يشهد عليكم بالتبليغ لكم وبالوسطية، وما جعلنا قبلة بيت المقدس التي كنت تصلي باتجاهها إلا امتحاناً لنعلم علم ظهور وتحقق فعلي المؤمن والمرتد عن دينه والمنافق، وإن كانت حادثة تحويل القبلة صعبة شاقة، يصعب الإيمان بها، إلا على الذين هداهم الله للحق، وما كان الله ليضيع صلاتكم إلى بيت المقدس، بل يتقبلها منكم، إن الله كثير الرأفة (وهي أشد الرحمة) بعباده، كثير الرحمة بهم. وقد نزلت فيمن مات وهو يصلي إلى بيت المقدس، جاء في الصحيحين عن البراء: مات على القبلة قبل أن تحول رجال، فلم ندر ما نقول فيهم، فنزلت: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾.

١٤٤- قد رأينا أيها النبي تطلعك إلى جهة السماء وترديد بصرك ورفع، راجياً نزول الأمر بتحول القبلة نحو الكعبة، فلنوجهك نحو قبلة تحبها وتنشوق إليها، فتوجه في صلاتك نحو المسجد الحرام، وأينما كنتم، فتوجهوا إلى الكعبة، وإن أهل الكتاب يعلمون أن توجهكم إلى الكعبة حق بأمر الله فرضه الله على عباده، وأنه موجود في كتبهم أن النبي المبشر به يصلي إلى قبلة أبيه إبراهيم، وما الله بغافل عن أعمالهم بإثارة الشبهات وترويح الفتن، وسيجازيهم على ذلك.

١٤٥- ولئن آتيت أيها النبي أهل الكتاب بكل حجة وبرهان على أن تحويل القبلة حق بأمر الله، ما تبعوا قبلك كفرةً وعناداً، ولا تتبع أنت قبلتهم، وكل فريق يتبع قبلته، فاليهود تستقبل بيت المقدس، والنصارى تستقبل مطلع الشمس، ولئن وافقت أهواءهم بالتوجه إلى قبلتهم التي يدعونك إليها، من بعد العلم الذي جاءك من طريق الوحي، تكن من الظالمين لأنفسهم.

سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا كُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عِبَادَهُ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَوُّوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَمَكِّنْ قَرُوفًا وَجْهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ آتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾

الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكْفُرْنَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلِّ وُجْهَةٍ هُومُؤَلِّيَاتٌ فَأَسْتَفِوا الْخَبْرَاتِ مِنْ مَّا تَكْفُرُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا حَسْبُا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِمُغْلِبٍ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَتَّبِعُوا عَمَلَكُمْ وَلَمَّا كُنْتُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَادْكُرُونِي أذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾

١٤٦- يعرف اليهود نبوة محمد ﷺ بأوصافه المذكورة في التوراة، كمعرفة أبنائهم تماماً، وإن فريقاً منهم ممن لم يسلموا، وهم علماءهم الذين عرفوا تلك الصفات، ليخفون الحق الثابت الذي أرسلت به حسداً وعناداً، وهم يعلمون أن الله أوضحه في كتابهم.

١٤٧- الحق الأبدى: ما أخبرك به ربك، لا ما يخبرك به أهل الكتاب، فلا تكن أيها السامع من الشاكين فيه.

١٤٨- ولكل جماعة من أتباع الأديان قبلة هو مستقبلها في الصلاة، فتسابقوا في فعل الطاعات وعمل الخيرات واستقبال الكعبة، وأيضا تكونوا في أي مكان في الأرض، يجمعكم الله للجزاء يوم القيامة، إن الله تام القدرة على بعثكم وجمعكم.

١٤٩- وأيضا اتجهت أيها المسلم في بر أو بحر، وفي أي جهة كنت شرقاً أو غرباً، فتوجه في صلاتك جهة المسجد الحرام، وهذا التوجه هو الحق الثابت من الله الذي لا ريب فيه، وسيكافئك على اتباعه، ولا يغفل الله عما عملت من عمل، ولا يترك شيئاً.

١٥٠- وأيضا حللت، فتوجه نحو الكعبة،

وأيضا كتتم معشر المسلمين في أي مكان في العالم، فتوجهوا نحو الكعبة المشرفة، وتكرر الأمر بذلك ثلاث مرات لتأكيد الأمر بتحويل القبلة، لتلا يبقى لأحد من الناس محاججة أو مجال في المجادلة والمخاصمة حول التولي إلى غير القبلة، فتبطل حجة اليهود القائلين: ترك محمد ديننا واتبع قبلتنا، وحجة المشركين القائلين: إن محمداً يدعي اتباع إبراهيم ويترك قبلته (الكعبة) فاتجاهكم نحو المسجد الحرام ينهي هذه الأقاويل، أما الظالمون أنفسهم منهم بالعناد والمكابرة، وهم مشركو العرب، فلا تخافوا مطاعتهم أو جدالهم بالباطل، وخافوا عقابي إن خالفتهم أو امرني، ولكي أتم عليكم نعمتي عرفتكم قبلتي، وستفتحون مكة، وتدخلون البيت الحرام آمنين مطمئنين، ولكي تهتدوا إلى الحق والصواب والثبات عليه.

١٥١- وإتمام النعمة كإتمام الرسالة بإرسال محمد ﷺ لتلاوة آيات القرآن الكريم، وتطهير نفوسكم من الشرك والوثنية وسوء الأخلاق، ولتعليم القرآن والكتابة ومحو الأمية، وفهم أحكام الشريعة ومعرفة أسرارها، وتعليمكم أمور الدنيا والآخرة، وما لم تعلموا به من قبل.

١٥٢- فاذكروني أيها الناس بالطاعة، أذكركم بالشواب والمغفرة، واشكروا لي نعمي عليكم، والشكر: معرفة الإحسان والتحدث به، ولا تمجدوا نعمي عليكم فتستروها، والكفر هنا: ستر النعمة، فأسلبها منكم.

١٥٣- يا أيها المؤمنون استعينوا بالصبر على تحمل التكليف المشروعة كالصلاة والصيام والجهاد، وبالصلاة التي توثق الصلة مع الله، وتفرج الكروب، وتزيل الهموم، إن الله يعين الصابرين وينصرهم.

١٥٤- ولا تصفوا شهداء القتال في سبيل الله بأنهم أموات، بل هم في الحقيقة أحياء في البرزخ، ولكن لا تعرفون بهذه الحياة عند مشاهدة أجسادهم وسلب أرواحهم. نزلت في قتلى بدر، وكانوا بضعة عشر رجلاً، ثمانية من الأنصار، وستة من المهاجرين، وكان الناس يقولون للرجل يقتل في سبيل الله: مات فلان، وذهب عنه نعيم الدنيا ولذتها، فأنزل الله هذه الآية.

١٥٥- ولنعامكنكم معاملة المختبر لمعرفة قوي الإيمان وضعيفه بتسليط شيء من الخوف (الضرر من عدو أو غيره) أو الجوع (المجاعة والقحط) أو نقص الأموال التي تملكونها كالأنعام، وفقد الأنفس بالموت والقتل في الجهاد والمرض، ونقص الثمار بالأفات والجوائح، وبشر أيها الرسول الصابرين بالفوز بالجنة والمغفرة والرحمة.

١٥٦- والصابرون: هم الذين إذا تعرضوا لنكبة تؤذي الإنسان قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون، أي إنا عبيد لله، وصاترون إليه بعد الموت.

١٥٧- وعلى الصابرين مغفرة وثناء حسن من الله، ورحمة بعد رحمة، وإحسان، وأولئك هم المهتدون إلى الحق والصاب والرضوان الله تعالى.

١٥٨- إن الصفا والمروة للذنان يتكفونان من صحور

مرتفعة في بداية المسعى ونهايته، من أعلام مناسك الحج

أو مواضع العبادة التي خصصها الله لأعلاماً للناس كالموقف والمسعى والمنحر، فمن قصد البيت الحرام حاجاً للفریضة، أو اعتمر بزيارته البيت الحرام، فلا إثم عليه أن يطوف بهما (يتطوف) بالسعي بينهما في الحج والعمرة، وهو فرض ونسك، بالرغم من أنه كان عليهما في الجاهلية صنمان: «إساف» على الصفا، و«نائلة» على المروة، ومن أكثر من الطاعة بالعمرة النافلة، فالله شاكر له طاعته. أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه: أنه سئل عن الصفا والمروة، فقال: كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية، فلما جاء الإسلام، أمسكنا عنهما، فأنزل الله: ﴿إِنَّ الصفا﴾.

١٥٩- إن الذين يخفون عن الناس، وهم علماء اليهود وربهان النصارى، ما أنزل الله من الآيات البيّنات الدالة على صدق رسالة محمد ﷺ، ومن بعد بيانه في التوراة، أولئك يطردهم الله من رحمته، ويلعنهم الملائكة والمؤمنون. نزلت في علماء أهل الكتاب وكتماهم آية الرجم ونعت محمد ﷺ.

١٦٠- لكن يستثنى التائبون من الكتمان، المصلحون لما أفسدوا، الميّنون للناس ما بيّنه الله في كتبه، فلا يستحقون اللعنة، ويقبل الله توبتهم، فهو كثير القبول لتوبة التائبين، الرحيم بهم.

١٦١- إن الذين ماتوا على كفرهم، ولا عاص معين. الدنيا فلا يلعن كافر معين ولا عاص معين.

١٦٢- وهم خالون (مقيمون على الدوام) في النار أو في اللعنة ولا يُمهّلون، ولا أمل في تخفيف العذاب عنهم.

١٦٣- والإله الحق إله واحد لا شريك له، ولا مثيل له في ذاته وصفاته وأفعاله، هو مصدر الرحمة الدائمة، الكثير الرحمة على العباد بالنعمة المستمرة.

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاوْا وَلَكِنْ لَأَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَيَبْئُوكُمْ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَالرُّجُوعِ وَنَقِصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ إِنَّ الصفا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَارِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ وَأَعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْكِتَابِ وَالهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَابْتُغُوا إِلَيْكَ أُنُوبٌ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْمَنُوا وَهُمْ كَقُلُوبِ قَدْحٍ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخَفُونَ لِعَذَابِ اللَّهِ وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَاللَّهُ كَوَالِدٌ إِلهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾



إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْخَيْلِ وَالْبِئْرِ وَالنَّهَارِ
وَاللَّيْلِ وَالنَّجْمِ فِي الْبَحْرِ مَا يَسْمَعُ النَّاسُ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَيَّتَ
فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَضْرِبُ الرِّيحُ وَالسَّحَابُ الْمُحْسِرِينَ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ النَّاسِ
مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يُرُونَ الْعَذَابَ
أَنْ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ
تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ آتَوْا وَأَوَّلُوا الْعَذَابَ وَنَبَطَتْ
بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً
فَنَنْتَبِرَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يَرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ
حَسَّرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِمُخْرَجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَا أَيُّهَا
النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا
حُطُوتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ
بِالشُّعْرِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾

١٦٤- إن في إيجاد السموات والأرض وما بينهما من عجائب المخلوقات، واختلاف الليل والنهار بالإضاءة والإظلام، والحرارة والبرودة، والطول والقصر، وتعاقبهما إثر بعضهما بعضاً، والسفن التي تسير في البحر لنفع الناس بالركوب وحمل البضائع ونحوهما، وما أنزل الله من السحاب من مطر وبرد ونحوهما، فأحيا به الأرض بالنبات، بعد جفافها، ونشر وفرق في أنحاء الأرض، من مختلف أنواع الحيوان، وتسيير الرياح في جميع الأنحاء، والسحاب المذلل بأمره تعالى، إن في جميع ذلك لدلالات على وجود الله تعالى ووحدانيته، لقوم يتفكرون، فيستدلون على قدرة الله سبحانه وتوحيده. قال عطاء: نزل على النبي ﷺ بالمدينة: ﴿والهكم إله واحد..﴾ فقال كفار قريش بمكة: كيف يسع الناس إله واحد؟ فأنزل الله: ﴿إن في خلق السموات والأرض..﴾ الآية.

١٦٥- أما حال الذين لا يعقلون هذه الأدلة، فهم المشركون الذين يتخذون من غير الله للعبادة أمثالا ونظراء من أصنام وجمادات وأشخاص، يحبون أوثانهم، كحب المؤمنين الله، والمؤمنون أشد حبا لله، من حب المشركين لأوثانهم وأندادهم، ولو يرى الذين ظلموا أنفسهم بالكفر ومحبة الأنداد حالهم عند رؤية العذاب يوم القيامة، لما أحبوا تلك الأنداد، ولأقروا أن القوة الشاملة لله، ولا قوة لأحد سواه، وأن الله ذو عذاب شديد لهم.

١٦٦- واذكر حين يتبرأ يوم القيامة السادة وقادة الكفر ممن اتبعهم، ورأى الفريقان التابعون المقلدون والمتبعون العذاب المحيط بهم، عند المسائلة في الآخرة، وزالت الروابط والعلاقات التي كانت قائمة بينهم في الدنيا من الرحم وغيره.

١٦٧- وقال الأتباع: لو أن لنا رجعة وعودة إلى الدنيا حتى نعمل صالحاً، ونتبرأ من زعماء الكفر الذين غررونا هناك، كما تبرؤوا منا وتخلوا عنا هنا، مثل ذلك الذي رأوه من العذاب، يريهم الله أعمالهم الفاسدة التي ارتكبوها في الدنيا، فتكون عليهم ندامات، ولن يخرجوا من النار، لخلودهم فيها بسبب الشرك وحب الأنداد.

١٦٨- يا أيها الناس، كلوا مما أوجده الله لكم في الأرض مباحاً مستلذاً لكم، ولا تتبعوا طرق الشيطان وأساليبه في الدعوة إلى المعاصي وفي تحليل الحرام وتحريم الحلال، إن الشيطان لكم ظاهر العداوة. قال الكلبي: نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة، حرموا على أنفسهم أشياء من الحرث والأنعام، وحرموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي.

١٦٩- إن الشيطان يأمركم بالبيح وكل معصية تسوء عاقبتها، وبالفحشاء: أقبح أنواع المعاصي كالزنا والقتل وغيرهما من الكبائر، وأن تحللوا الحرام، وتحرموا الحلال من البحيرة والسائبة ونحوهما مما جعلتموه شرعاً لكم.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آجَالَهُمْ وَإِذْ هُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَسْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَتَّقُ النَّارَ لَا يَسْمَعُ الْإِدْعَاءَ وَنِدَاءَ ضَرْبِكَ عُمَىٰ فَمَنْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ آيَاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلِيَ بِهِ لَعَنَ اللَّهُ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنْ الَّذِينَ يَكْفُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَسْتُرُونَ بِهِ ثَمًّا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَضْبَرْتُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ آخَذُوا بِالْحَقِّ فِي الْكِتَابِ لَوْ شِقَاقَ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

١٧٠- وإذا قيل للكفار: اتبعوا ما أنزل الله على رسوله من القرآن والحكمة والإيمان بالله ورسوله قالوا: لا نتبع دينكم، بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا في عبادتهم، فرد الله عليهم: أولو كان آباؤهم الذين يقلدونهم لا يعقلون شيئاً من حقائق الدين وأسراره، ولا يهتدون إلى ما فيه السداد والرشاد والخير والسعادة.

١٧١- وصفة تشبيهه واعظ الكافرين المقلدين لأبائهم وداعيتهم إلى الإيمان، وهو النبي ﷺ، مثل الراعي الذي يصيح بالابل أو الغنم، فلا تسمع إلا صياحاً على القريب منها لتأتي أو تسير أو تنزجر مثلاً، ونداء على البعيد منها، تنقاد للأصوات فقط، ولا تفهم ما يقول، صمٌ عن سماع الحق، بُكمٌ لا ينطقون بخير، عُمى البصائر لا يميزون الأشياء تمييزاً واضحاً، بل ينقادون لغيرهم كما هو شأن الحيوان، فكيف يعقلون ما يقال لهم، أو يتفهمون دعوة الحق والإيمان؟!

١٧٢- يا أيها المؤمنون كلوا من الحلال الطيب، والخيرات الوفرة، ولا تحرموا شيئاً مما لم يحرمه الله، واحمدوا الله على ما أنعم عليكم من النعم والطيبات، إن كنتم لا تعبدون غيره، وإنما تخصصونه بالعبادة، فكلوا من الطيبات، ولا تحرموا غير الحرام.

١٧٣- إنما المأكَل التي حرّمها الله فقط هي الميتة التي تموت حتف أنفها من غير ذبح شرعي، وهي ميتة البر، لا ميتة البحر من السمك والجراد، والدم المسفوح، فيحل الدم الجامد وهو الكبد والطحال، وجميع أجزاء الخنزير، وما ذبح وذكر عليه اسم غير الله، كاللات والعزى، فمن اضطر إلى شيء من هذه المحرمات بسبب الجوع الشديد، ولم يجد شيئاً من الحلال، فأكل غير طالب للشيء المحرم ذاته، وغير متجاوز قدر الضرورة الشرعية، فلا إثم عليه فيما أكل منها، إن الله غفور لمن أكل الحرام مضطراً، رحيم بعباده حيث أحلّ لهم الحرام للضرورة.

١٧٤- إن علماء اليهود الذين يخفون ما أنزل الله في التوراة من صفة محمد ﷺ ووصحة رسالته، وكل من كتم ما شرعه الله، وأخذ عليه الرشوة، ويستبدلون بما كتموه عوضاً قليلاً من متاع الدنيا وهو ما يأخذونه من أتباعهم، وهو قليل- وإن كثر- أمام عذاب الآخرة، أو تلك ما يأكلون إلا ما يدخلهم النار، ويوجب عليهم العذاب، ولا يكلمهم الله كلام محبة ورضا وتحقيق التمنيات، ولا يظهرهم من دنس الذنوب أو الأعمال الخبيثة، ولهم عذاب مؤلم إذا ماتوا مصرين على كفرهم. أخرج الطبري عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية والتي في آل عمران [٣/ ٧٧]: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ نزلنا جميعاً في يهود.

١٧٥- إن الذين يكتمون ما أنزل الله هم الذين يستبدلون الضلالة بالهدى في الدنيا، والعذاب بالمغفرة في الآخرة، فما أجرهم على عذاب النار بسبب كتمانهم الحق وكفرهم برسالة محمد ﷺ.

١٧٦- ذلك العذاب بسبب أن الله أنزل ما أنزل من الكتاب (التوراة) بالحق الثابت والحجة القاطعة، فكتموه وحرفوه، وإن الذين اختلفوا في الكتاب، فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه، أو وصفوه بالسحر أو بالأساطير، لفي خلاف بعيد عن الحق والصواب والهداية.



لَسَرَّ لَبْرَانَ تَوْلُوا رُحُومَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ
 وَلَكِنَّ الْبَرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ
 وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
 وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ
 وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا
 وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ
 الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ
 بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ الْعُرْفَ
 وَأَدِّ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ مِّن
 رَبِّكُمْ يَعْتَدِي بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ
 حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا
 حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ
 بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ
 فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾

١٧٧ - ليس الخير الكثير في مجرد التوجه جهة المشرق والمغرب، ولكن الخير الجامع هو إيمان من آمن بالأصول الستة للإيمان، وأصول الأعمال الصالحة - والمراد بالكتاب هنا جنس الكتاب، أي كتب الله، وأعطى المال وهو يعبه لأقاربه، فإن دفع المال إليهم صدقة وصله إذا كانوا فقراء - وأتى اليتامى الفقراء (الذين فقدوا والدهم في سن الصغر) والمساكين الذين لا يجدون ما يكفيهم لحاجاتهم، والمسافر المنقطع في الطريق عن بلده، والسائلين: الطالبين للمال لعوزهم واضطرارهم إليه، ولشراء المالك وإعتاقها وفك الأسارى، وأقام الصلاة بأركانها وشروطها، وأتى الزكاة المفروضة للمستحقين مع صدقة التطوع، والموفون لعهود الله والناس، وأخص بالمدح الصابرين في الشدة والفقير، وفي المرض والضرر يفقد الأهل والمال والولد، أولئك الذين صدقوا في إيمانهم، وأولئك الذين اتقوا ربهم بال التزام أوامره واجتناب نواهيه واتقوا النار. روى عبد الرزاق عن قتادة قال: كانت اليهود تصلي قبيل المغرب، والنصارى قبيل المشرق، فنزلت الآية: ﴿ليس البر...﴾.

١٧٨ - يا أيها المؤمنون فرض عليكم القصاص من القاتل عمداً دون غيره، يقوم به ولي الأمر، على أساس قاعدة المائلة، الحر يقتل بالحر، والعبد يقتل بالعبد، ولا يقتل الحر بالعبد، ولا يقتل عند الجمهور غير الخنفة المسلم بالكافر عملاً بالسنة الثابتة، وتقتل الأنثى بقتلها أنثى، ويقتلها الرجل بالأولى، ويقتل الرجل بالمرأة عملاً بالحديث: «وإن الرجل يقتل بالمرأة» فإذا عفي للقاتل عن القصاص من جهة المجني عليه أو وليه مجاناً أو بالدية، ففي حال قبول الدية على المستحق مطالبة القاتل بالمعروف، فلا يلزمه بدفع الدية مرة واحدة، وينظر إن كان معسراً، وعلى القاتل أداء الدية إلى ولي الدم بإحسان دون محاطلة أو جحود أو إساءة في القول، ذلك الحكم المقرر بالعرف أو الدية تخفيف عليكم أيها المؤمنون من المشرع بتشريع القصاص، والعفو بدلاً عنه مجاناً أو بعوض، إذا قورن بحكم التوراة المقتصر على القصاص فقط، وهو رحمة بكم، فمن اعتدى بعد العفو أو الدية بالثأر من القاتل، فله عذاب مؤلم في الآخرة، وقصاص في عالم الدنيا. نزلت هذه الآية - كما ذكر قتادة والشعبي وغيرهما - للرد على تجاوزات الجاهلية وبغيهم بقتل الحر مكان العبد، والرجل مكان المرأة، وقتل غير القاتل.

١٧٩ - ولكم في عقاب القصاص القائم على المائلة لفعال الجاني قتلاً أو جرحاً، حياة آمنة يا ذوي العقول، بدلاً من عادة الأخذ بالثأر؛ لأن القاتل إذا علم أنه سيقتل ارتدع، ولكي تتقوا إراقة الدماء مخافة القصاص وعذاب الآخرة.

١٨٠ - فرض عليكم أيها المؤمنون حين ظهور أمارات الموت، الإيصال للوالدين والأقارب غير الورثة بالعدل الذي لا يتجاوز فيه عن مقدار الثلث، حقاً واجباً على المتقين. وقد نسخ الإيجاب بأية الموارث في سورة النساء [الآية ١١] وأصبحت الوصية سنة.

١٨١ - فمن بدّل الإيصال بعدما سمعه من الموصي، وكان شاهداً أو وصياً، فإنم تبديله على المبدّل ما جاء في الوصية، ولا إثم على الموصي الميت، إن الله سميع لأقوال الموصين والمبدّلين، عليهم بنواياهم ومقاصدهم.

فَرَخَافَ مِنْ مُوسَى حَتَّىٰ أَوْتَمَّ فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا تَعْدُونَ فَإِنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضٌ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُمْ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ كُرْهًا فَمَنْ تَعَلَّىٰ الْعِدَّةَ وَلَيْسَ كَارِهًُا فَمَا هَدَّكُمْ وَعَلَّ كُمْ تُنَادُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿١٨٦﴾

١٨٢- فمن علم من الموصي ميلاً عن الحق خطأ أو عمداً، فأصلح بين الورثة والموصى له ما وقع من الشقاق والخلاف بسبب الوصية، بإبطال ما فيه ضرر ومخالفة للشرع، وإثبات ما هو حق، فلا ذنب عليه في هذا التعديل، إن الله كثير الغفران والرحمة للمصلحين.

١٨٣- يا أيها المؤمنون فرض الله عليكم الصيام بالإمساك عن شهوتي البطن والفرج من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية خالصة، كما فرض على الأم السابقة، لتتقوا النار وتفوزوا بالرضوان الإلهي، وتزكوا النفس من مساوي الأخلاق.

١٨٤- كتب عليكم أن تصوموا أياماً محدداً بعدد معلوم، وهي أيام رمضان، فمن كان من المكلفين مريضاً: لا يطبق الصوم أو يطيقه مع الضرر والمشقة، أو مسافراً سفر قصر (٨٩ كم) أو أكثر، فله أن يفطر، وعليه صيام الأيام التي أفطرها بعد الشفاء أو السفر، وعلى الذين يتحملون الصيام بمشقة شديدة، ولم يصوموا كالشيخ الكبير الفاني والحامل والمرضع، فعليهم فدية، وقدرها طعام مسكين ومن كان مريضاً أو مسافراً فله أن يفطر من بر أو صاعاً من تمر ونحوهما، فمن أطعم أكثر من مسكين واحد، أو زاد على قدر الفدية، فهو أفضل وأكثر ثواباً، والصيام خير لهم من الإفطار مع الفدية، إن كنتم تعلمون مدى ثواب الصيام عند الله تعالى. أخرج ابن سعد في الطبقات عن مجاهد قال: هذه الآية نزلت في مولاي قيس بن السائب: ﴿وعلى الذين يطيقونه...﴾ فأفطر، وأطعم لكل يوم مسكيناً.

١٨٥- تميز شهر رمضان بيده نزول القرآن فيه في ليلة القدر، أو بنزوله جملة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، هادياً للناس من الضلالة، وآيات محكمات واضحات، من الهدى الإلهي القوي البيان الواضح للعقول، وهو واضح الفرق بين الحق والباطل، فمن حضر الشهر مقيماً غير مسافر، بأن رأى الهلال أو بلغه ذلك، فعليه صيامه، ومن كان مريضاً يشق عليه الصيام أو مسافراً بعض الشهر أو كله، فله أن يفطر، ويقضي بدلاً عن الأيام التي أفطرها بعد رمضان، يريد الله التيسير عليكم بالترخيص للمسافر والمريض في الإفطار، ولا يريد التشديد والمشقة، ويكون القضاء لمن أفطر بعد لإتمام عدد الأيام التي أفطرها، ولإكمال الأجر، ولتعظيم الله وشكره على نعمه كلها بالصوم والذكر المعروف، بدءاً من رؤية هلال شوال إلى صلاة العيد.

١٨٦- وإذا سألك أيها الرسول عبادي عني، فقل لهم: إن الله قريب منكم لا حجاب بينه وبينكم، يجيب دعاء الداعين إذا دعوه، فليجيبوا ما أطلبه منهم مخلصين، وليعملوا بما أمرهم به من الإيمان والعمل الصالح، وليصدقوا بقراب الله منهم وإجابته دعاءهم مع دوام التصديق، لكي يهتدوا لما فيه خير الدنيا والآخرة. وسبب النزول فيما ذكره الطبري عن معاوية بن حيدة قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: أقریب ربنا، فنناجیه، أم بعید فننادیه؟ فسکت عنه، فنزلت الآية.

١٨٧- أبيض لكم في ليالي الصيام لا في النهار مباشرة الزوجات بالجماع وغيره، فكل من الزوجين ستر للآخر من الحرام، بسبب مخالطة كل واحد منهما بالآخر، كامتزاج الثوب ولايسه، فلهدائم الترخيص والتيسير، علم الله أنكم تخونون أنفسكم بالمباشرة في ليالي الصوم، حينما كان الصوم يبدأ بمجرد نوم الصائم بعد الإفطار، فتاب عليكم بأن قبل التوبة من تلك الحياة، وغفر لكم، فالآن بعد نسخ حكم تحريم المقدرات بعد النوم، يجوز لكم مباشرة نسائكم، واطلبوا ما أباحه الله لكم من الاستمتاع للإنجاب الذرية أو الولد، ويساح لكم الأكل والشرب أثناء الليل كله، إلى أن يطلع الفجر الصادق، بيده ظهور ضوء النهار وانحسار ظلمة الليل، وذلك هو المراد بالخيط الأبيض، أي ضوء الفجر المعترض في الأفق الذي يظهر كالخيط الممدود بجوار سواد الليل، وشبهه الفجر والليل بخيطين: أبيض وأسود لامتدادهما. ثم أمّوا الصيام إلى غروب الشمس. ولا يجوز مباشرة النساء أثناء الإقامة في المساجد للعبادة (وهو الاعتكاف) وتلك الأحكام المذكورة للصيام والاعتكاف حدود الله، أي محظوراته وممنوعاته، فلا تقربوها بالمخالفة، وبمثل هذا التوضيح بين الله أحكام دينه للناس ليتقوا ربهم، ويتعدوا عن المحرمات. أخرج أحمد وغيره عن معاذ بن جبل قال: كانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء، ما لم يتاموا، فإذا ناموا، امتنعوا، فخالف ذلك قيس بن الصرمة وعمر، فنزلت الآية.

أحل لكم ليلة الصيام الرفق إلى نسائكم هن لباسكم وأنتر لباسن
هن من الله أنكم كنتم تخافون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم
فأذن لشرورهن وأبتنوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى
يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أمّوا
الصيام إلى الليل ولا تشرورهن وأنتن علىكنون في المسجد
تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك بين الله بينه للناس
لعلهم يتقون ﴿١٨٧﴾ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها
إلى الحكام ولتأكلوا قريباً من أموال الناس بالإيثار وأنتم تعلمون
﴿١٨٨﴾ يستولونك من الأهلة قل هي موقيت للناس والحج
وليس البر أن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا
البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴿١٨٩﴾ وقلوا في
سبيل الله الذين يقلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴿١٩٠﴾
واقبلوهم حيث يصفونهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة
أشد من القتل ولا تقبلوهم عند المسجد الحرام حتى يفتلوك
فيه فإن قتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين ﴿١٩١﴾

١٨٨- ولا تأكلوا أموال غيركم بالباطل: وهو ما لم يبيح الشرع أخذه من مالكه، كهمر البغي، وحلوان الكاهن، وثمان الخمر، وتخصموا بشأنها (أي الأموال) إلى القضاة، وتلتمسوا الأحكام الجائرة بالرشوة وغيرها، فحكم الحاكم لا يجل الحرام، ولا يحرم الحلال، وأنتم تعلمون أنكم ظالمون غيركم بأخذ تلك الأموال. نزلت في امرئ القيس بن عباس وعبدان بن أشرع الحضرمي، اللذين اختلفا في أرض، وأراد الأول أن يحلف، ففيه نزلت: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾.

١٨٩- يسألونك أيها النبي عن أحوال الأهلة كل شهر بالزيادة والنقصان، فقل لهم: إنها موقيت للناس في أعمالهم الدينية والدنيوية، يحددون بها أوقات زرعهم وأعمالهم وشروطهم المؤجلة، وأمور دينهم في الصوم والقطر وعيد النساء ومناسك الحج، وليس عمل الخير بأن تأتوا البيوت من ظهورها، حيث كان العرب في الجاهلية إذا حجوا لا يدخلون من أبواب بيوتهم، ولكن من ظهورها، ولكن الخير في تقوى الله بالزمام أو امره وتجنب محارمه، ويساح لكم دخول البيوت من أبوابها في سائر الأحوال، وعبدوا الله حتى عبادته، لكي تصفروا وبرضوانه. نزلت آية ﴿يسألونك﴾ في معاذ بن جبل وثلعبنة بن غنم الأنصاريين اللذين سألا عن تقلبات الهلال صفراً وكبراً. ونزلت آية ﴿وليس البر﴾ في رجل خالف ما كان يفعل الأنصار في الجاهلية بعد حجهم بالدخول إلى البيوت من ظهورها، فكانه غير بذلك، فنزلت هذه الآية.

١٩٠- قاتلوا أيها المؤمنون لإعلاء كلمة الله الذين يقاتلونكم من الكفار، ولا تعتدوا على غير المحاربين، إن الله يعاقب المعتدين. نزلت هذه الآية في الإذن بقتل قريش بعد صلح الحديبية إذا صدوهم عن المسجد الحرام وقاتلوهم في الشهر الحرام.

١٩١- واقتلوا المشركين المعتدين حيثما وجدتموهم، وأخرجوهم من ديارهم مثلما أخرجوكم من مكة، وفتنة المؤمنين عن دينهم بالتعذيب ومحاولة الإرجاع إلى الكفر أشد سوءاً من القتل، ولا تبتدئوا المشركين بالقتال في حرم مكة وما حولها حتى يقاتلوكم فيه، فإن بدؤوكم بالقتال في الحرم، فقاتلوهم فيه؛ لأن سنة الله أن يجازي الكافرون مثل هذا الجزاء ليدتهم بالعدوان.



١٩٢- فإن انتهوا عن قتالكم أو أسلموا، فإن الله غفور لما سلف منهم، رحيم يقبل توبتهم، فإن الإسلام يجب ما قبله من الآثام.

١٩٣- وقاتلوا المشركين حتى لا يعودوا التعذيب المؤمنين وفتتتهم عن دينهم، ويكون الدين خالصاً لله وحده، فإن انتهوا عن القتال، فلا اعتداء إلا على الظالمين أنفسهم المصيرين على شركهم.

١٩٤- انتهاك حرمة الشهر الحرام تقابل بالمثل، فمن قاتلكم فيه، قوتل جزاءً وفاقاً، والأشهر الحرم أربعة: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، والحرمات (وهي كل ما يجب احترامه وحفظه ويمنع الشرع من انتهاكه) يقابل انتهاكها بمثله، والجزء من جنس العمل، فمن استباحها بقتال أبيح دمه وماله، وللمعتدى عليه رد العدوان بمثله في مال أو بدن دون ظلم أو ارتكاب حرام، ويكون الجزاء بمثل فعل المعتدى، واعلموا أن الله مع المتقين بالعون والنصر.

ذكر فتادة فيما أخرج الطبري: أن الآية نزلت للرد على المشركين في الحديبية، حين صدوا النبي ﷺ وأصحابه عن دخول مكة في ذي القعدة، فأقصه الله تعالى منهم في العام المقبل، وأنزل هذه الآية.

فَإِنْ أَنهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ لِلَّهِ فَإِنْ أَنهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرْمَتُ قِصَاصٌ فَمَنْ عَتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا عَتَدَى عَلَيْكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَخْلُقُوا زُرًّا وَسَكْرًا حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أُمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامًا لثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرًا فِي الْأَشْهُرِ الْحَرَامِ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

١٩٥- وأنفقوا في سبيل الله وهو الجهاد، ولا تعرضوا أنفسكم للهلاك بسبب البخل في إنفاق المال، وترك الجهاد، والاكتفاء بإصلاح الأموال، وأحسنوا إنفاق المال في طاعة الله، إن الله يثيب المحسنين ببذل أموالهم في طاعته. قال الشعبي: نزلت في الأنصار، أمسكوا عن النفقة في سبيل الله تعالى، فنزلت هذه الآية.

١٩٦- وأدوا الحج والعمرة، وأتموا مناسكهما، فإن منعتهم من الدخول إلى مكة بمرض أو عدو أو نحوهما، فأنحروا للتحلل من الإحرام ما تيسر من الهدى: وهو ما يهدى إلى البيت الحرام من إبل أو بقر أو غنم ليذبح في مكة تقريباً إلى الله تعالى، ولا تخلقوا زوراً وسكراً للإحلال من الإحرام حتى يذبح الهدى في المكان الذي شرع فيه ذبحه، إن كان مع المحرم هدي، بأن يصل إلى محل نحره بنية التحلل. فمن كان مريضاً أو برأسه علة تستوجب الحل، فيجب عليه فدية يخير فيها بين إطعام ستة مساكين، أو إهداء شاة، أو صوم ثلاثة أيام، فإذا أمنتهم من خوفكم أو شفيتهم من مرضكم، فعلى المتمتع بالعمرة (وهو أن يحرم بعمرة في أشهر الحج، ثم يقيم حلالاً بمكة إلى أن يحرم بالحج) المنتظر إلى ميقات الحج ليحرم به من جديد: هدي يذبحه جبراً لنقص الإتمام بالتمتع، واستفادته من المباحات في غير حالة الإحرام، فمن عجز عن الهدى لفقدانه أو لعدم استطاعته شراؤه (أي عدم المال أو عدم الحيوان) صام ثلاثة أيام قبل الوقوف بعرفة في أيام الحج، بدءاً من الإحرام به إلى يوم النحر، وصام سبعة أيام إذا رجع إلى الوطن، فتصبح العدة عشرة أيام، ذلك الحكم من إيجاب الهدى أو الصيام على المتمتع، لغير أهل الحرم المقيمين في مكة، بأن يبعدوا عنها مسافة القصر، واعلموا أن الله يعاقب كل من ينتهك حرمة. نزلت كما أخرج ابن أبي حاتم فيمن أساء عمرته بالظهور والشباب، فقال النبي له: ألق عنك ثيابك، ثم اغتسل واستنشق ما استطعت، ثم ماكنت صانعاً في حجك، فاصنع في عمرتك.

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهَا فَجَّ فَلَا رَفْعَ
وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ
يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى
وَأَتَّقُوا يَاقُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
أَنْ تَسْعَوْا فَضُلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ
فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ
وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَقِضُوا
مِنْ حَيْثُ أَقَضْتُمُ النَّاسَ وَأَسْتَغْفِرُوا لِلَّذِينَ أَنْتُمْ
عَفْوٌ رَجِيهِمْ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مِنْ حَجِّكُمْ
فَأَذْكُرُوا اللَّهَ الَّذِي كَذَّبَكُمْ عَنْ آبَاءِكُمْ
أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا
فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُمْ
مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ
حَسَنَةً وَقَدْ آذَنَّا لِلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ
نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾

١٩٧- وقت الحج: أشهر معلومة: وهي شوال، وذو القعدة، وذو الحجة (العشر الأوائل منه) فمن أحرم قبلها أهل بعمره، ومن أوجب على نفسه الحج في هذه الأشهر، وأحرم به، فلا رقت (جماع أو فحش في الكلام) ولا فسوق (ارتكاب معاص أو خروج عن حدود الشرع) ولا جدال (مجادلة تورث الخصومة والمشاجرة) وما تفعلوا في الحج من خير كإطعام وصدقة، يعلمه الله، ثم شيب عليه، وتزودوا للحج بزاد الطعام والتفقة حتى لا تحتاجوا غيركم، وللآخرة بالعمل الصالح، فإن خير زاد نافع يوم القيامة هو تقوى الله، وخافوا الله يا أصحاب العقول.

١٩٨- ليس عليكم إثم من التجارة وطلب الرزق في الحج، فإذا اندفعتكم إلى المزدلفة من عرفات بعد الوقوف فيها، فاذكروا الله وادعوه وصلوا عند المشعر الحرام بالمزدلفة: وهو جبل مُزَح الذي يقف عليه الإمام في المزدلفة، واذكروه ذكراً حسناً بالتلبية والتهيل والدعاء والحمد والثناء، وإن كنتم من قبل هذا الهدى لمن الجاهلين البعيدين عن الحق في العقيدة والعبادة. روى البخاري عن ابن عباس قال: كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية، فتأثموا أن يتجروا في المواسم،

فسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فنزلت: ﴿ليس عليكم جناح﴾.

١٩٩- ثم اندفعوا إليها الحاج من المزدلفة صباح يوم العيد، من حيث يفيض الناس من عرفة، واطلبوا المغفرة في مواطن الإجابة والقبول، إن الله كثير المغفرة، واسع الرحمة بالتائبين. أخرج الطبري عن ابن عباس قال: كانت العرب تقف بعرفة، وكانت قريش تقف دون ذلك بالمزدلفة، فأنزل الله: ﴿ثم أفيضوا...﴾.

٢٠٠- فإذا فرغتم من أعمال الحج يوم النحر، وهي الرمي والذبح والحلق وطواف الإفاضة، فاذكروا الله ذكراً حسناً بالحمد والثناء والتهيل والتكبير، كافتخاركم بأسلافكم وبطولاتكم، بل أكثر ذكراً واهتماماً وتضرعاً، فمن الناس من يطلب في الدنيا الرزق والمنصب والنصر، وما له في الآخرة من نصيب. أخرج الطبري عن مجاهد قال: كانوا إذا قضوا مناسكهم، وقفوا عند الجمرة، وذكروا آباءهم في الجاهلية، وفعال آباؤهم، فنزلت هذه الآية.

٢٠١- ومنهم من يطلب في الدنيا سعة الرزق والعافية والأمن، والزوجة والولد الصالحين، وفي الآخرة الجنة والرضوان والوقاية من عذاب النار. قال ابن عباس: كان قوم من الأعراب يجيئون إلى الموقف، فيقولون: اللهم اجعله عام غيث، وعام خصب، وعام ولاء وحسن، لا يذكرون من أمر الآخرة شيئاً، فنزلت الآية (٢٠٠) ويحيى آخرون من المؤمنين فيقولون: ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة...﴾.

٢٠٢- أولئك الذين طلبوا خيري الدنيا والآخرة لهم حظ وافر من الثواب والقبول بسبب عملهم، والله سريع الحساب، يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف يوم، لا يشغله شأن عن شأن.



﴿٢٠٣﴾ وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ نَعِيَ يَوْمَئِذٍ لَّا إِحْسَابَ لَهُمْ فِي أَيَّامٍ مَّنَى أَيَّامِ رَمِي الْجُمُرَاتِ، وَهِيَ أَيَّامُ التَّشْرِيقِ الثَّلَاثَةِ بَعْدَ الْعِيدِ، بِالتَّكْبِيرِ عَقِبَ الصَّلَوَاتِ، وَوَقْتَهُ لَغَيْرِ الْحَجَّاجِ مِنْ صَبِيحِ يَوْمِ عَرَفَةَ إِلَى عَصْرِ آخِرِ أَيَّامِ النَّحْرِ، فَمَنْ اسْتَعْجَلَ بِالنَّفْرَةِ مِنْ مَنْى فِي الْيَوْمِ الثَّانِي بَعْدَ الرَّمِي، فَلَا حَرَجَ، وَمَنْ تَأَخَّرَ إِلَى الثَّلَاثِ، فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ أَيْضًا، وَإِبَاحَةَ ذَلِكَ لِمَنْ اتَّقَى اللَّهَ فِي حُجَّهِ، وَخَافَا اللَّهَ فِي جَمِيعِ أُمُورِكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَجْمُوعُونَ إِلَى اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ، فَيَجْزِيكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ.

﴿٢٠٤﴾ بَعْضُ النَّاسِ وَهَمَّ الْمُنَافِقُونَ بِعَجْبِكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ قَوْلُهُ فِي الدُّنْيَا: إِنَّهُ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَيَحْلِفُ عَلَى صِدْقِ مَا فِي قَلْبِهِ مِنْ مَحَبَّةِ الرَّسُولِ أَوْ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ أَشَدُّ النَّاسِ خِصُومَةً. رَوَى الطَّبْرِيُّ عَنِ السُّدِّيِّ أَنَّ الْآيَاتِ (٢٠٤-٢٠٦) نَزَلَتْ فِي الْأَخْنَسِ بْنِ شُرَيْقٍ، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، وَأَظْهَرَ لَهُ الْإِسْلَامَ، ثُمَّ خَرَجَ، فَمَرَّ بِبَرْقِ لِقَوْمٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَحُمْرٍ، فَاحْرَقَ الزَّرْعَ، وَعَقَرَ الْحُمْرَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ.

﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا ذَهَبَ وَانصَرَفَ عَنْكَ، بِذَلِكَ جَهْدِهِ لِيُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ بِالتَّخْرِيْبِ وَالاِحْتِيَالِ وَالمَقْتَلِ وَالمَظْلَمِ، وَيُهْلِكُ النَّبَاتَ وَالحَيَوَانَ وَنَسْلَهُ، وَاللَّهُ لَا يَرْضَى عَنِ الْفَسَادِ مَطْلَقًا فِي الدُّنْيَا وَالدُّنْيَا، بَلْ يِعَاقِبُ عَلَيْهِ.

﴿٢٠٦﴾ وَإِذَا طَلَبَ مِنْهُ اتِّقَاءَ اللَّهِ فِي فِعْلِهِ وَتَرْكِ الْإِنْفَادِ، أَخَذَتْهُ الْحَمِيَّةُ وَالكِبْرِيَاءُ عَنِ قَبُولِ النَّصِيحَةِ، بِسَبَبِ غِيهِ وَضَلَالِهِ، فَيَكْفِيهِ عَذَابُ جَهَنَّمَ عِقَابًا، وَيَسُّ الْمَوْضِعَ الَّذِي يَسْتَقِرُّ فِيهِ.

﴿٢٠٧﴾ وَبَعْضُ النَّاسِ يَبِيعُ نَفْسَهُ فِي مَرَضَاتِ اللَّهِ، كَالْجِهَادِ، وَاللَّهُ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ بَعْدَهُ. نَزَلَتْ بِسَبَبِ تَخَلُّي صَهْبِ بْنِ سِنَانَ الرَّومِيِّ عَنِ مَالِهِ بِمَكَّةَ، لِيَمْكُنُوهُ مِنَ الْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «رَبِحَ الْبَيْعَ أَبَا يَحْيَى صَهْبِ، رَبِحَ الْبَيْعَ»، وَنَزَلَتْ الْآيَةُ.

﴿٢٠٨﴾ يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، ادْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ بِكُلِّيَّتِهِ دُونَ تَجْزِئَةٍ أَوْ سَالِمُوا، وَاعْمَلُوا بِجَمِيعِ أَحْكَامِهِ، فَلَا تَنَافَقُوا، وَاحْذَرُوا وَسْوَاسَ الشَّيْطَانِ، وَلَا تَطِيعُوا مَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ، إِنَّهُ عَدُوٌّ ظَاهِرُ الْعِدَاوَةِ لَكُمْ. أَخْرَجَ الطَّبْرِيُّ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي عِبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَصْحَابِهِ مِنَ الْيَهُودِ، لَمَّا عَظَّمُوا السَّبْتَ، وَكْرَهُوا الْإِبْرِيلَ بَعْدَ قَبُولِ الْإِسْلَامِ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِمُ الْمُسْلِمُونَ.

﴿٢٠٩﴾ فَإِنْ انْحَرَفْتُمْ عَن طَرِيقِ الْحَقِّ، مِنْ بَعْدِ مَجِيءِ الْآيَاتِ الْوَاضِحَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ الدَّخُولَ فِي الْإِسْلَامِ هُوَ الْحَقُّ، فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَالِبٌ لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ، قَادِرٌ عَلَى الْإِنْتِقَامِ مِنْكُمْ، حَكِيمٌ فِيمَا يَفْعَلُ بِكُمْ.

﴿٢١٠﴾ هَلْ يَنْتَظِرُ التَّارِكُونَ لِلدَّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ لِلْحِسَابِ وَالعَذَابِ، وَتَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ لِتَنْفِذِ أَمْرِ اللَّهِ فِيهِمْ، فِي مَظَلَّةٍ مِنَ السَّحَابِ الْأَبْيَضِ الرَّقِيقِ، وَتُفْرَغُ مِنْ أَمْرِ إِهْلَاكِهِمْ، وَإِلَى اللَّهِ مَرْجِعُ الْأُمُورِ كُلِّهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

﴿٢١١﴾ أَسْأَلُ يَا مُحَمَّدُ بَنِي إِسْرَائِيلَ سِوَالِ تَوْبِيخٍ عَنِ الْعَدَدِ الْكَثِيرِ مِنْ بَرَاهِينِ أَنْبِيَائِهِمُ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِهِمْ وَصِدْقِكَ، فَبَدَّلُوهَا، وَمَنْ يَغْيِرُ هِدَايَةَ اللَّهِ وَدِينَهُ بِالْكَفْرِ بِهَا وَالتَّحْرِيفِ، فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَالتَّرْهيبِ لِمَنْ خَالَفَ أَوْامِرَهُ وَأَسَاءَ لَشْرَعَهُ وَأَنْبِيََاءَهُ.

﴿٢٠٣﴾ وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ نَعِيَ يَوْمَئِذٍ لَّا إِحْسَابَ لَهُمْ فِي أَيَّامٍ مَّنَى أَيَّامِ رَمِي الْجُمُرَاتِ، وَهِيَ أَيَّامُ التَّشْرِيقِ الثَّلَاثَةِ بَعْدَ الْعِيدِ، بِالتَّكْبِيرِ عَقِبَ الصَّلَوَاتِ، وَوَقْتَهُ لَغَيْرِ الْحَجَّاجِ مِنْ صَبِيحِ يَوْمِ عَرَفَةَ إِلَى عَصْرِ آخِرِ أَيَّامِ النَّحْرِ، فَمَنْ اسْتَعْجَلَ بِالنَّفْرَةِ مِنْ مَنْى فِي الْيَوْمِ الثَّانِي بَعْدَ الرَّمِي، فَلَا حَرَجَ، وَمَنْ تَأَخَّرَ إِلَى الثَّلَاثِ، فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ أَيْضًا، وَإِبَاحَةَ ذَلِكَ لِمَنْ اتَّقَى اللَّهَ فِي حُجَّهِ، وَخَافَا اللَّهَ فِي جَمِيعِ أُمُورِكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَجْمُوعُونَ إِلَى اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ، فَيَجْزِيكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ.

﴿٢٠٤﴾ بَعْضُ النَّاسِ وَهَمَّ الْمُنَافِقُونَ بِعَجْبِكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ قَوْلُهُ فِي الدُّنْيَا: إِنَّهُ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَيَحْلِفُ عَلَى صِدْقِ مَا فِي قَلْبِهِ مِنْ مَحَبَّةِ الرَّسُولِ أَوْ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ أَشَدُّ النَّاسِ خِصُومَةً. رَوَى الطَّبْرِيُّ عَنِ السُّدِّيِّ أَنَّ الْآيَاتِ (٢٠٤-٢٠٦) نَزَلَتْ فِي الْأَخْنَسِ بْنِ شُرَيْقٍ، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، وَأَظْهَرَ لَهُ الْإِسْلَامَ، ثُمَّ خَرَجَ، فَمَرَّ بِبَرْقِ لِقَوْمٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَحُمْرٍ، فَاحْرَقَ الزَّرْعَ، وَعَقَرَ الْحُمْرَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ.

﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا ذَهَبَ وَانصَرَفَ عَنْكَ، بِذَلِكَ جَهْدِهِ لِيُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ بِالتَّخْرِيْبِ وَالاِحْتِيَالِ وَالمَقْتَلِ وَالمَظْلَمِ، وَيُهْلِكُ النَّبَاتَ وَالحَيَوَانَ وَنَسْلَهُ، وَاللَّهُ لَا يَرْضَى عَنِ الْفَسَادِ مَطْلَقًا فِي الدُّنْيَا وَالدُّنْيَا، بَلْ يِعَاقِبُ عَلَيْهِ.

﴿٢٠٦﴾ وَإِذَا طَلَبَ مِنْهُ اتِّقَاءَ اللَّهِ فِي فِعْلِهِ وَتَرْكِ الْإِنْفَادِ، أَخَذَتْهُ الْحَمِيَّةُ وَالكِبْرِيَاءُ عَنِ قَبُولِ النَّصِيحَةِ، بِسَبَبِ غِيهِ وَضَلَالِهِ، فَيَكْفِيهِ عَذَابُ جَهَنَّمَ عِقَابًا، وَيَسُّ الْمَوْضِعَ الَّذِي يَسْتَقِرُّ فِيهِ.

﴿٢٠٧﴾ وَبَعْضُ النَّاسِ يَبِيعُ نَفْسَهُ فِي مَرَضَاتِ اللَّهِ، كَالْجِهَادِ، وَاللَّهُ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ بَعْدَهُ. نَزَلَتْ بِسَبَبِ تَخَلُّي صَهْبِ بْنِ سِنَانَ الرَّومِيِّ عَنِ مَالِهِ بِمَكَّةَ، لِيَمْكُنُوهُ مِنَ الْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «رَبِحَ الْبَيْعَ أَبَا يَحْيَى صَهْبِ، رَبِحَ الْبَيْعَ»، وَنَزَلَتْ الْآيَةُ.

﴿٢٠٨﴾ يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، ادْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ بِكُلِّيَّتِهِ دُونَ تَجْزِئَةٍ أَوْ سَالِمُوا، وَاعْمَلُوا بِجَمِيعِ أَحْكَامِهِ، فَلَا تَنَافَقُوا، وَاحْذَرُوا وَسْوَاسَ الشَّيْطَانِ، وَلَا تَطِيعُوا مَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ، إِنَّهُ عَدُوٌّ ظَاهِرُ الْعِدَاوَةِ لَكُمْ. أَخْرَجَ الطَّبْرِيُّ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي عِبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَصْحَابِهِ مِنَ الْيَهُودِ، لَمَّا عَظَّمُوا السَّبْتَ، وَكْرَهُوا الْإِبْرِيلَ بَعْدَ قَبُولِ الْإِسْلَامِ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِمُ الْمُسْلِمُونَ.

﴿٢٠٩﴾ فَإِنْ انْحَرَفْتُمْ عَن طَرِيقِ الْحَقِّ، مِنْ بَعْدِ مَجِيءِ الْآيَاتِ الْوَاضِحَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ الدَّخُولَ فِي الْإِسْلَامِ هُوَ الْحَقُّ، فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَالِبٌ لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ، قَادِرٌ عَلَى الْإِنْتِقَامِ مِنْكُمْ، حَكِيمٌ فِيمَا يَفْعَلُ بِكُمْ.

﴿٢١٠﴾ هَلْ يَنْتَظِرُ التَّارِكُونَ لِلدَّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ لِلْحِسَابِ وَالعَذَابِ، وَتَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ لِتَنْفِذِ أَمْرِ اللَّهِ فِيهِمْ، فِي مَظَلَّةٍ مِنَ السَّحَابِ الْأَبْيَضِ الرَّقِيقِ، وَتُفْرَغُ مِنْ أَمْرِ إِهْلَاكِهِمْ، وَإِلَى اللَّهِ مَرْجِعُ الْأُمُورِ كُلِّهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

﴿٢١١﴾ أَسْأَلُ يَا مُحَمَّدُ بَنِي إِسْرَائِيلَ سِوَالِ تَوْبِيخٍ عَنِ الْعَدَدِ الْكَثِيرِ مِنْ بَرَاهِينِ أَنْبِيَائِهِمُ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِهِمْ وَصِدْقِكَ، فَبَدَّلُوهَا، وَمَنْ يَغْيِرُ هِدَايَةَ اللَّهِ وَدِينَهُ بِالْكَفْرِ بِهَا وَالتَّحْرِيفِ، فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَالتَّرْهيبِ لِمَنْ خَالَفَ أَوْامِرَهُ وَأَسَاءَ لَشْرَعَهُ وَأَنْبِيََاءَهُ.

زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَمْحِوهُمُ الذُّنُوبَ وَيَحْضُرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا
وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ
يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً
فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ
بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ
فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ آوَوْهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ
بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ
مِنَ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَوْحَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ
وَمَا يَأْكُمُ مِثْلَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَكْمِلِينَ الْبِئْسَ مَا
وَالصَّرَّاءُ وَرُزُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا
مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ الْآلِ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾
يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ
وَالْأَقْرَبِينَ وَالتَّمَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ
وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾

٢١٢- حُسِّنَت الدنيا للكفار والمشركين حتى
افتتنوا بهذا التزيين وأعرضوا عن الآخرة، على
عكس المسلم، ويستهزئون من المؤمنين لفقيرهم
واهتمامهم بالآخرة، والمؤمنون المتقون ربهم
ومنهم الفقراء أعلى رتبة ومقاماً عند ربهم يوم
القيامة، لأنهم في الجنة، والكفار في النار، والله
يمنح الرزق الواسع للمستحقين بغير حساب، أي
بغير تقدير ولا حصر أو تعداد.

٢١٣- كان الناس بين آدم ونوح على دين
واحد، فاختلقوا، فبعث الله الأنبياء لهداية البشر،
مبشرين من أطاع بالجنة، ومنذرين من عصى
بالنار، وأنزل معهم الكتب السماوية بالحق الثابت
لبيان شريعة الله، ليكون الكتاب السماوي حكماً
بين الناس فيما اختلفوا فيه من أمر الدين، وما
اختلف في الكتب السماوية إلا اليهود والنصارى
الذين أتوا الكتاب بعد مجيء الأدلة الدالة على
صدق الكتاب ونيبه، حسداً وحرصاً على الدنيا أو
ظلاماً، فهدى الله المؤمنين أمة النبي ﷺ إلى الحق
فيما اختلف فيه من كان قبلهم بإرادته ومشيتته
وأمره، والله يوفق من يشاء من عباده إلى الطريق
القوم.

٢١٤- بل أو هل تظنون أيها المؤمنون أنكم تدخلون الجنة بمجرد الإيمان وحده، ولم تتعرضوا لمثل ما تعرض
له من كان قبلكم من الشدائد والمحن، أصابهم الخوف والفقر، والمرض والجوع، واضطربت نفوسهم من
الخوف والرعب، وأزعجوا بأنواع البلايا، حتى وصل الأمر إلى أن يقول النبي والمؤمنون به عند شدة البلاء:
متى يأتي نصر الله الذي وعدنا به؟ ونصر الله قريب من المؤمنين. نزلت هذه الآية يوم الخندق، حين أصاب
المسلمين ما أصابهم من الجهد والشدّة، والحرب والبرد، وسوء العيش، وأنواع الأذى، كما قال
تعالى: ﴿هنالك ابتلي المؤمنون، وزلزلوا زلزلاً شديداً﴾ [الأحزاب ٣٣ / ١١].

٢١٥- يسألونك أيها النبي عن الشيء الذي ينفقونه ما هو؟ فأجيبوا عما هو الأولى بالقصد، وهو بيان
المصرف، فما أردتم إنفاقه من الأموال، فادفعوه للوالدين والأقارب واليتامى والمساكين، والمسافر المنقطع في
سفره، وما تقدموا من خير لهؤلاء أو غيرهم، فالله عالم به، ومجاز عليه. أخرج الطبري عن ابن جريج
قال: سأل المؤمنون رسول الله ﷺ: أين يضعون أموالهم، فنزلت: ﴿يسألونك ماذا ينفقون...﴾.

٢١٦- فرض عليكم القتال وهو كرهٌ وعسى أن
تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم وعسى أن يحببوا شيئاً وهو شرٌّ
لكم والله يعلم ولا تعلمون ﴿٢١٦﴾ يسئلونك عن الشهر
الحرام قال فيه قل قاتل فيه كبيرٌ وصدد عن سبيل
الله وكفر بربه والتمسجد الحرام وإخراج أهله منه
أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون
يقتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطعوا ومن
يتردد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت
أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم
فيها خالدون ﴿٢١٧﴾ إن الذين آمنوا والذين هاجروا
وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجو رحمت الله والله
غفورٌ رحيم ﴿٢١٨﴾ يسئلونك عن الخمر والميسر
قل فيما أنتم كبيرٌ ومنفع للناس وإثمهما أكبر من
نفعهما ويسئلونك ما إذا يفتنون قل ألنؤفك ذلك
يبئن الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ﴿٢١٩﴾

٢١٧- يسألك الناس أيها النبي عن القتال في الشهر
الحرام: شهر رجب، قل: القتال فيه ذنب كبير، ولكن
منعكم فيه عن الدخول في الإسلام، وعن المسجد
الحرام، وإخراج أهله: النبي والمؤمنين منه أعظم إثماً عند
الله من القتال في الشهر الحرام، وفتنة المستضعفين
المسلمين عن دينهم بالعذيب والإخراج أكبر إثماً من
القتل، ولا يزال الكفار يقاتلونكم أيها المؤمنون، حتى
يردوكم عن دينكم إلى الكفر، إن تمكنوا من ذلك، ومن
يرتد عن دينه الإسلام، ثم يموت كافراً، فأولئك بطلت
أعمالهم الصالحة في الدنيا، فلا يعامل معاملة المسلمين،
وفي الآخرة، فيضيع ثوابه، ويكون من أصحاب النار،
المقيمين فيها على الدوام، وهذا جزاء المرتد، أخرج
الطبري وغيره: أن رسول الله ﷺ بعث رهطاً أو

سرية، فلقوا عمرو بن الحضرمي، مقبلاً من الطائف، في أول ليلة من رجب الحرام، فقتله رجل منهم، وأخذوا
ما كان معه، ولم يشعروا بدخول رجب، فغيرهم المشركون بذلك، فنزلت الآية.

٢١٨- إن الذين صدقوا بالله ورسوله، وهاجروا من دار الكفر إلى دار الإسلام، وجاهدوا لإعلاء كلمة الله، أولئك
لهم رحمة الله كرمًا وفضلًا، والله واسع المغفرة، عظيم الرحمة بعباده. نزلت في سرية عبد الله بن جحش في رجب
قبل بدر حين قتلوا الحضرمي، فإنهم قالوا: يا رسول الله، هل نطمع أن تكون لنا هذه غزوة نعطى فيها أجر
المجاهدين؟ فأخبرهم الله تعالى أنهم على رجاء في الأجر، لإيمانهم وهجرتهم وجهادهم.

٢١٩- يسألونك عن حكم الخمر: (وهو ماء العنب المتخمّر)، وعن القمار (قمار العرب بالأزلام: وهي قطع من
الخشب يتقمارون بها بطريقة معينة على لحم البعير) قل لهم أيها النبي: في تعاطيهما ذنب كبير ومفسدة عظيمة بضیاع
العقول وذهاب الأموال، وفيهما أيضاً منافع اقتصادية ضئيلة، فنفع الخمر: ربح التجارة فيها، ونفع الميسر: نفع الفقراء،
وإثمهما أكبر من نفعهما؛ لأنه لا خير يساوي فساد العقل بالخمر، وفساد الميسر بالمخاطرة بالمال والعداوة والتعرض
للفقر، ويسألونك عما يفتنون من أموالهم في سبيل الله، قل: أنفقوا العفو: وهو ما زاد عن الحاجة ونفقة العيال، ومثل
هذا البيان يبين لكم الآيات لتتأملوا في مصالحكم الدنيوية والأخروية. نزلت آية السؤال عن الخمر والميسر في عمر
ومعاذ ونصر من الأنصار، أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: أفتنا في الخمر والميسر، فإنهما مذهبة للعقل، مسلبة
للمال، فنزلت. ونزلت آية السؤال عن النفقة في نفر من الأنصار المؤمنين حين أمروا بالنفقة في سبيل الله،
فسألوا عما ينفقون من أموالهم، فنزلت، وهي في رأي الجمهور في نفقة التطوع.



فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَسَأَلُونَكَ عَنِ النَّسَاءِ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ عَنَّا الظُّهُمُ فَأَجْرٌ نَكَرٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُنْفَسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ سَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَمَكُمُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى تُؤْمِنُ وَلَا أُمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ حَتَّى تُؤْمِنُوا مِنْ شُرَكَائِكُمْ وَلَا تَعْجَبُوا وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبُدُ مُؤْمِنِينَ خَيْرٌ مِنْ شُرَكَائِكُمْ وَلَا تَعْجَبُوا كُفْرًا أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْعَفْوَةِ بِإِذْنِهِ وَيَسْتَأْذِنُ لِنَاسٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْخَيْضِ قُلْ هُوَ أَدْنَىٰ مِمَّا عَنَزْتُمْ وَإِنَّ أَدْنَىٰ فِي الْخَيْضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نَسَاءُكُمْ حَرَّمَ لَكُمْ فَأَوْلَا حُرِّمَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَلَا تُنْفِسُوا وَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَعْلُوا أَنْكُمْ مُلْفُوهٌ وَيَسِّرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ عُزُةً لَا يَمُنُّوكُمْ أَنْ تَبْكَرُوا وَتَسْقُوا وَتَصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾

٢٢٠- أي تفكرون في أمور الدنيا والآخرة، فتتفكرون من أموالكم على معاش الدنيا، والباقي في قربات الآخرة، ويسألونك أيها النبي عن مخالطة اليتامى والإشراف على شؤونهم، قل لهم: الإصلاح لهم خير من الترك، وتنمية أموالهم أفضل من تعطيلها، وإن تخلطوا أموالكم بأموالهم، وطعامكم بطعامهم، فهم إخوانكم في الدين، وذلك جائز، والله يعلم الفساد لأموالهم يأكلها من المصلح لها باستثمارها وتشغيلها، ولو أراد الله لأوقفكم في الحرج والمشقة، ولكنه يسر لكم، وأذن لكم بمخالطتهم، إن الله قوي لا يغالب، يضع الأمور في موضعها بمقتضى الحكمة، فلا يكلف فوق الطاقة. قال الضحاک والسدي: سبب نزولها أنهم كانوا في الجاهلية يتحرجون من مخالطة اليتامى في ماكل ومشرب وغيرهما.

٢٢١- ولا تزوجوا المشركات الوثنيات والكافرات غير أهل الكتاب، حتى يؤمن بالله ورسوله، والتزوج بمملوكة مسلمة خير من حرة كافرة، ولو أعجبتكم المشركة بسبب جمال أو مال أو شرف، ولا تزوجوا المشركين بالمؤمنات، حتى يؤمنوا بالله ورسوله، وتزويج عبد مملوك مؤمن خير من حرة مشرك، ولو أعجبكم بجماله وماله وحسبه، فالنكاح والمشرك يدعوكم إلى الأعمال الموجبة للنار، فكان في مصاهرتهم ضرر ديني، والله يدعوكم للعمل بما يدخل الجنة، ونيل المغفرة الإلهية بإرادة الله وفضله، والزواج

بين المؤمنين والمؤمنات يحقق ذلك، ويوضح الله أوامره ونواهيه للناس لكي يتعظوا ويعتبروا. قال مقاتل: نزلت هذه الآية في ابن أمي مرثد الغنوي استأذن النبي ﷺ في (عناق) أن يتزوجها وهي مشركة، وكانت ذات حظ من جمال، فنزلت.

٢٢٢- ويسألونك عن جماع النساء وقت الحيض، قل لهم: الجماع في الحيض أدنى، أي قدر ضرر، فاجتنبوهن في زمن الحيض، والمراد ترك المجامعة، لا ترك المجالسة أو الاستمتاع بما عدا الفرج أو بما دون الإزار، ولا تقربوهن بالجماع حتى يطهرن من الحيض بانقطاعه، فإذا اغتسلن بالماء، فأتوهن في المأني الذي أباحه الله، وهو القبل موضع الإنجاب، إن الله يرضى عن التائبين من الذنوب، وعن المتطهرين من الجنابة والأحداث والفواحش. قال أنس بن مالك: كان اليهود إذا حاضت المرأة منهم، لم يؤاكلوها ولم يجامعوها في البيوت، فسأل الأصحاب رسول الله ﷺ عن ذلك، فنزلت الآية، فقال: (اصنعوا كل شيء إلا النكاح).

٢٢٣- زواجكم موضع الإنجاب وزرع النطف، فأتوهن على أي كيفية تريدون قائمة قاعدة، جالسة نائمة، باركة مضطجعة، إذا كان ذلك في موضع النسل، وقدموا عملاً صالحاً تجود به عند الله، وخافوا الله بالوقوع في الحرمات، واعلموا أنكم ملاقوا الله يوم القيامة، فيجازيكم بأعمالكم، وبشر المؤمنين بالجنة. قال جابر: كانت اليهود تقول إذا جامعها في القبل من ورائها: إن الولد يكون أحول، فنزلت الآية.

٢٢٤- لا تجعلوا الخلف بالله على قطعة الرحم أو ترك الصدقة سبباً مانعاً لكم من فعل الخير، بل كفروا عن أيمانكم واصنعوا الخير، فتحسنوا إلى المحتاج، وتتقوا ما حرم الله، وتصلحوا بين الناس، والله سميع لأقوالكم، عليم بنياتكم، قال ابن جريج: نزلت الآية بسبب أبي بكر الصديق إذ حلف ألا يتفق على مسطح، حين خاض مع المنافقين في حديث الإفك، وتكلم في عائشة رضي الله عنها، وفيه نزل: ﴿ولا يأتل أولوا الفضل...﴾ [النور ٢٤/٢٢].

٢٢٥- لا كفارة بالحنث في يمين اللغو: وهي ما يسبق إليه اللسان من غير قصد الخلف، ولكن الكفارة على الأيمان المنقذة، أي التي قصدتموها وعزتم عليها، والله كثير المغفرة حيث لم يواخذكم بيمين اللغو، حلیم لا يعاجل بالقوية .

٢٢٦- للذين يحلفون ألا يطؤوا نساءهم انتظار أربعة أشهر، فإن رجعوا عن يمين الإيلاء المذكورة، والقيء: الجماع لمن لا عذر له، فإن الله كثير المغفرة للزوج عما حلف بقصد الإضرار، رحيم بالتائبين. روى مسلم: أن النبي ﷺ آلى وطلق، وسبب إيلائه: سؤال نسائه إياه من النفقة ما ليس عنده. وقال ابن عباس: كان إيلاء أهل الجاهلية السنة والستين وأكثر من ذلك، فوفت الله أربعة أشهر.

٢٢٧- وإن قصدوا الطلاق وصمموا عليه، فالله سميع لأقوالهم، عليم بمقاصدهم.

٢٢٨- وعدة المطلقات: انتظار من غير زواج بأخر ثلاث حيضات، أو ثلاثة أطهار، ويحرم عليهن كتمان وجود الحمل أو الحيض في أرحامهن، استعجالاً لإعلان انتهاء العدة، ومنع الزوج من الرجعة، إن كن يصدقن بالله واليوم الآخر، فيه وعيد شديد للكفآت، وأزواجهن أحق بردهن إلى الزوجية السابقة، في مدة العدة، إن أرادوا إصلاحاً بالرجعة، وللزوجات على الرجال من الحقوق مثل ما عليهن من الواجبات، بالمعروف شرعاً، من حسن العشرة، وترك الإضرار، من كلا الطرفين، وللرجال على النساء

درجة، أي منزلة زائدة، هي درجة القروامة، بسبب قيامهم بالإنفاق عليهن، وكونهم أشد قوة وتمقلاً، فعليهم عبء الجهاد ومسؤوليات الحياة، والله قوي في ملكه لا يُغلب ولا يعارض، حكيم فيما دبره خلقه. قالت أسماء بنت يزيد: طُلِّقت على عهد رسول الله ﷺ ولم يكن للمطلقة عدة، فأنزل الله العدة للطلاق: ﴿والمطلقات...﴾.

٢٢٩- الطلاق الذي تجوز بعده الرجعة مرتان، أي الطلقة الأولى والثانية، فلا رجعة بعد الثالثة، ويكون مرة بعد مرة، لا دفعة واحدة، وبعد كل مرة إما إمساك أي رجعة بمعروف بحسن العشرة وأداء الحقوق، أو تفريق بإحسان بترك مراجعتها إلى انتهاء عدتها، وذهابها إلى بيت أهلها بطيب القول، وتقديم المتعة: وهي هدية أو مال، ولا يحل لكم أيها الأزواج أخذ شيء مما أعطيتموه من المهر أو غيره، إذا كان الفراق برغبتكم، ولا دخل لها فيه، فإن خفتم أيها الحكام، أو الوسطاء بين الزوجين، أو الزوجان، ألا يقيما حدود الله في بقائهما في الزوجية بحسن عشرة وطاعة، فلا إثم على الطرفين أن تبذل المرأة شيئاً من المال عوضاً عن فراقها، وهذا هو الخُلْع، تلك هي أحكام الله في الزواج والفراق التي أمرتم بامتثالها، فلا تتجاوزوها بالمخالفة لها، ومن يخالفها فهم الظالمون لأنفسهم. قالت عائشة: نزلت حينما قال رجل لامرأته: والله لا أطلقك فتبينني مني، ولا أويك أبداً، قالت: وكيف ذلك؟ قال: أطلقك، فكلما همت عدتلك أن تنقضي، وراجعتك، فنزل القرآن: ﴿الطلاق مرتان...﴾.

٢٣٠- فإن طلقها الزوج طلقة ثالثة، فلا تحل له رجعتها، حتى تتزوج زوجاً آخر غيره زوجاً دائماً غير مؤقت، ويجامعها، فإن قصد التحليل للأول، فذلك حرام، فإن طلقها الزوج الثاني، فلا حرج على الزوج الأول أن يتزوجها بعقد جديد بعد انقضاء العدة، إن علما أنهما ينفذان حقوق الزوجية الواجبة على الطرفين، وتلك أحكام الله بينهن لقوم يتدبرون. نزلت هذه الآية في عائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك، تزوجت بعد البيئونة الكبرى بزواج، ثم طلقها قبل أن يمس، وأرادت الرجوع للأول، فقال لها النبي ﷺ: لا، حتى يمس، ونزل فيها هذا الحكم.

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبَكُمْ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ الَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ نَرْضَىٰ وَرِجَعُهُنَّ بِمَا كَسَبْنَ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَالْمُطَلَّاتُ بِرِجْعَتِهنَّ بِأَنْفُسِهِنَّ فَلَنَّهُنَّ فُرُوجٌ وَلَا حِيلَ لِمَنْ أَنْ يَكْتُمَنَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِيهِ أَرْحَامَهُنَّ إِنْ كُنَّ يَوْمِينَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيُعْلِمَنَّ أَنْ حَقَّ بَرْدَهُنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَمْ يُشْرِكْ عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَالرِّجَالُ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ أَلْطَلْقُ مَرَّتَانٍ فَمَا سَكَتَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَشْرَحَ بِإِحْسَانٍ وَلَا حِيلَ لِمَنْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَاءٍ يَتَّقُونَهُمْ سَيِّئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا حِيلَ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَيْثُ نَسَخَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهَا أَنْ تَرَاجَعَا إِنْ طَلَّقَ أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُسْئَلُ لِقَوْمٍ يُعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾

وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَعْنُ أَجْلِهِنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ
 أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تَمْسِكُوهُنَّ ضُرَارًا لَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ
 ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَسْتَحِدُّوهُنَّ لِهَرَأٍ وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ
 اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يُعْظِمُكُمْ وَيَتَّقُوا
 اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ
 فَلَعْنُ أَجْلِهِنَّ فَلَا تَتَّصِلُوهُنَّ أَنْ يَتَّخِذْنَ أَرْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَصُوا
 بَيْنَهُنَّ الْمَعْرُوفَ ذَلِكَ يُعْظَمُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
 الْآخِرِ ذَلِكَ لَكُمْ وَأَنْتُمْ وَاللَّهُ بِعَمَلِكُمْ لَاعْتَمِدُونَ ﴿٢٣٢﴾
 ﴿٢٣٣﴾ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَتَّىٰ كَامِلَتَيْنِ مِنْ أَرَادَ أَنْ يُنِمَّ
 الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ
 لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ الْاِئْتِمَاعَ لَأَئْتِمَاعِ الْوَالِدَةِ وَلَا يُكَلِّفُ الْوَالِدَ
 وَالْوَالِدَاتُ لِمَا بَوْلَهُنَّ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَ الْفَصْلَ
 عَنْ رَضَائِهِمَا وَسَّاءُوا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ
 أَنْ تَسْرِعُوا فَأُولَٰئِكَ فَلَاحِاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ أَمَّا
 بِالْمَعْرُوفِ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٤﴾

٢٣١- وإذا طلقتم النساء طلاقاً رجعيّاً مرة أو مرتين، فقاربن انقضاء عدتهن، فراجعوهن قبل انتهاء العدة، من غير قصد الإضرار وعاملوهن بالحسنى، أو اتركوهن حتى تنقضي عدتهن من غير مراجعة ضرراً، ولا تراجعوهن إضراراً وإيذاء بتطويل العدة، لتعتدوا عليهن بإلجائتهن إلى الفداء بالمال (الخلع) ومن يفعل ذلك فقد عرض نفسه في الآخرة للعذاب، ولا تتخذوا أحكام الطلاق والرجعة ونحوهما طريقاً للهراء واللعب بمخالفتها، فمن طلق هازلاً لزمه الطلاق، ومن تلاعب عبه الله، واذكروا نعمة الإسلام وشرائعه بعد أن كنتم في جاهلية، واذكروا ما أنزل الله من القرآن والسنة أو أسرار الشريعة، يذكركم ويعلمكم بما أنزل عليكم لتعملوا به، وخافوا الله في جميع أموركم، واعلموا أن الله عالم بكل أعمالكم ومجازيكم عليها. قال ابن عباس: كان الرجل يطلق امرأته، ثم يراجعها قبل انقضاء عدتها، ثم يطلقها، يفعل ذلك، يضارها ويعضلها، فانزل الله هذه الآية.

٢٣٢- وإذا طلقتم زوجاتكم طلاقاً رجعيّاً، وانتهت عدتهن، فلا تمتعوهن أيها الأولياء من نكاح أزواجهن الذين طلقوهن أو غيرهم بعد انقضاء العدة، إذا رضي كل منهما بالآخر، بما هو معروف شرعاً، ذلك النهي عن المنع (العضل) يتعظ به المؤمن بالله والآخرة، لقبوله إياه وتركه هوى النفس، وذلك الحكم المقرر بالرجعة بعقد جديد أبرك وأنفع لكم، وأطهر للسمعة من الأذناس والأثام، والله يعلم ما فيه الصلاح والخير، وأنتم لا تعلمون ذلك. نزلت في معقل بن يسار حينما أراد زوج أخته أن يراجع زوجته بعد انقضاء العدة، فمنعها، وعلم الله حاجة كل من الطرفين للآخر، فانزل الله ﴿ وإذا طلقتم ﴾.

٢٣٣- على الوالدات المطلقات أو غير المطلقات إرضاع أولادهن ستين كاملتين لمن أراد إرضاع هذه المدة، ويجوز ما دونها برضا الوالدين، وعلى والد الطفل نفقة المطلقة من طعام وكسوة بقدر طاقته، وغير المطلقة تجب نفقتها ولو من غير إرضاع الأولاد، لا تطالب نفس بنفقة الرضاع إلا بقدر طاقتها أو استطاعتها، ولا يجوز إضرار الوالدة بسبب ولدها، كالتضييق عليها بالنفقة، أو بتزع الولد منها إذا رضيت بإرضاعه أو بإكراهها على إرجاعه إذا امتنعت، وعلى وارث الأب الوصي على المولود مثل الواجب الذي كان على أبيه من نفقة المرضعة وكسوتها، فإن أراد الوالدان فطام الولد عن الرضاع، قبل الحولين، باتفاق بينهما، وتشاور فيما يحقق مصلحة الطفل، فلا إثم عليهما في هذا الاتفاق، وإن أردتم أيها الآباء أن تطلبوا مرضعة من النساء غير الأم، فلا إثم ولا حرج عليكم إذا أديتم حقوق الأمهات أو المرضعات، من الأجر، دون ملاحظة أو نقص، وبالقدر المتعارف عليه بين الناس؛ لأن نقص الأجر يبعث على التساهل بأمر الولد، وبشرط ألا تتضرر الأم باسترضاع غيرها، وخافوا الله، واعلموا أن الله خير، بصير بأعمالكم، ومجازيكم عليها.

٢٣٤- والذين يموتون من الأزواج، ويتركون زوجات، فعليهن عدة أربعة أشهر وعشرة أيام بلياليها، فلا يتزوجن ولا يتزين ولا يخطبهن أحد، وقدرت هذه المدة؛ لأن الجنين يتحرك في الغالب في نهاية الأربعة أشهر، وتزاد العشرة احتياطاً لاحتمال ضعف الحركة، فإذا انتهت عدتهن، فلا إثم عليكم إن عدن للتزين والتعرض للخطاب والتزوج إن أردن ذلك، بحسب المتعارف عليه شرعاً ومقتضى العادة الحسنة عند ذوي المروءات، والله مطلع على أموركم، لا يخفى عليه شيء. وهذه هي عدة الوفاة بعد بيان عدة الطلاق، والإحداد واجب على المرأة المتوفى عنها زوجها، والإحداد: ترك الزينة من الطيب ولبس الثياب المزركشة والحلي.

٢٣٥- ولا ذنب عليكم في التعريض دون التصريح بخطبة النساء المعتدات المتوفى عنهن أزواجهن، أو المطلقات طلاقاً باتناً، كان يقول: إنك امرأة صالحة، أو يمدح نفسه أو يشير إشارة لطيفة بقول أو فعل، ولا يجوز ذلك للمطلقة الرجعية، ولا ذنب أيضاً فيما أضمرتم في أنفسكم بالرغبة في زواجهن، علم الله أنكم ستذكروهن بالخطبة في العدة، ولا تصبرون عنهن، فأباح لكم التعريض دون التصريح، ولا تواعدوهن سراً في العدة بالزواج، كالقول: تتزوجيني؟ إلا إذا قلتم قولاً معروفاً شرعاً: وهو ما أبيح من التعريض، مثل: إنك جميلة، أو إنني بحاجة إلى النساء الصالحات، أو إظهار الاهتمام بمصالحها وشؤونها، ولا تعقدوا عقد الزواج حتى تنتهي العدة، وتحريم العقد في العدة مجمع عليه، ولا تحل به المرأة، واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم من الرغبة والعزم وغيره، فاحذروا العقاب إذا عزمتم على الزواج قبل انتهاء العدة، واعلموا أن الله كثير المغفرة لحديث النفس، حلِيم لا يعاجل بالعقوبة، صفوح عن الأخطاء.

٢٣٦- لا إثم ولا تبعة عليكم ولا مهر مثل إن طلقتم النساء قبل الدخول بهن وقبل تسمية المهر، وإنما يجب كامل المهر المسمى أو مهر المثل بالجماع، والواجب في حال عدم تسمية المهر وقبل الدخول إعطاء المطلقة المتعة: وهي هدية أو كسوة أو مال عوضاً عن المهر، وتقدير المتعة بحسب حال الزوج يساراً وإعساراً، فعلى الغني الموسر قدر استطاعته، وعلى الفقير بقدر إمكانه، تمتعاً بالمعروف: وهو ما عُرِف في الشرع والعادة الموافقة له، و تمتعاً واجباً على الذين يحسنون معاملة المطلقات، ويخشون الله، ويخافون الظلم. نزلت الآية في رجل من الأنصار تزوج امرأة، ولم يسم لها صداقاً، ثم طلقها قبل أن يمسه، فقال له ﷺ: «أمتعها ولو بقلنسوتك».

٢٣٧- وإن طلقتم النساء قبل الدخول بهن، وقد حددتم لهن مقدار الصداق، فالواجب عليكم نصف المهر المسمى، إلا أن تعفو المطلقة وتتازل عن المهر كله أو بعضه، أو يعفو الزوج، فيعطيه المهر كله، أو لا يسترده منه شيئاً بعد الطلاق، والعفو من الرجال أو النساء أحب إلى الله تعالى، ولا تسوا أن يتفضل بعضكم على بعض بتسامحه عن بعض حقوقه للأخر، إن الله مطلع على أعمالكم، فيجازيكم عليها.

وَالَّذِينَ يَمُوتُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَرْتَضْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنُتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلَيَّ اللَّهُ أَنْتُمْ سَتَدْرُوهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْرِضُوا عَهْدَ الْتِكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَزَمَتْهُنَّ وَأَتَيْتُمْ قَدْرَهُنَّ وَتَوَعَّدْتُمُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرُهُ مَتَعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَيَضْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُوَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ عَهْدُ التِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَوْبَ التَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنْ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

٢٣٨- واظبوا على إقامة الصلوات، وعلى صلاة العصر، فهي الوسطى على الراجح لتوسطها بين الصلوات الخمس، وقوموا في صلاتكم خاشعين. قال مجاهد- فيما رواه الطبري: كانوا يتكلمون في الصلاة، وكان الرجل يأمر أخاه بالحاجة، فأنزل الله: ﴿وقوموا لله قانتين﴾.

٢٣٩- هذه صلاة الخوف، فإن خفت من عدو أو حيوان مفترس مثلاً، فصلوا مشاة، أو راكبين، مستقبلي القبلة أو غير مستقبلين، مع الحركة أو بدونها، فإذا زال الخوف، فصلوا صلاة الأمنين، باستقبال القبلة والقيام، وعبر عن ذلك بالذكر: وهو التحميد والتسبيح والتشهد والقراءة؛ لأن كل ذلك ركن في الصلاة، واذكروا الله كما علمكم من الشرائع والأركان والشرائط، ما لم تكونوا تعلمون ما يرضيه من أنواع العبادات وكيفياتها المشروعة.

٢٤٠- والذين يموتون ويشتركون زوجات، فليوصوا وصية لأزواجهم، بأن يمتنع بعدهم بالفقعة والسكنى سنة كاملة، من غير إخراج من بيوتهن- بيوت الأزواج- فإن خرجن باختيارهن قبل انتهاء السنة، فلا إثم على الولي وغيره فيما فعلن بالخروج وترك الحداد على أزواجهن، واتباع المعروف في الشرع، مما يدل على تخيير النساء في سكنى الحول، والله قوي غالب في ملكه، حكيم في صنعه وتدبير مصالحي خلقه. وهذا الحكم منسوخ بآيات الموارث،

حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةَ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَاتًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا لِلَّهِ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا تَرَكُوا كُفْرًا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَاللَّطَّلَاقُ مَبْعُوعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ بَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أضعافًا كثيرةً ﴿٢٤٥﴾ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْضِطُ وَإِلَيْهِ تُرجَعُونَ ﴿٢٤٦﴾

ويوجب عدة الوفاة أربعة أشهر وعشرة أيام. نزلت في رجل من أهل الطائف قدم المدينة، فمات فيها، فأعطى النبي ﷺ ميراثه لوالديه وأولاده بالمعروف، وأمرهم بأن ينفقوا على المرأة من تركه زوجها إلى الحول.

٢٤١- وللمطلقات عموماً المدخول بهن وغير المدخول بهن متممة أو مستحبة، وقيل: المراد نفقة العدة، بالقدر المستطاع للأزواج، حقاً مقررراً على الأتقاء. قال ابن زيد: لما نزلت: ﴿ومتعوهن...﴾ [البقرة ٢/ ٢٣٦] قال رجل: إن أحسنت فعلت، وإن لم أزد ذلك لم أفعل، فأنزل الله: ﴿وللمطلقات متاع...﴾.

٢٤٢- مثل ذلك البيان بين الله لكم أحكام شريعته في العبادات والمعاملات لكي تدرکوا حكمة التشريع وتعملوا بما أمرتم.

٢٤٣- ألم ينته إلى علمك أيها النبي خير أولئك القوم، وهم الؤف مؤلفة جنه، فرؤا من عدوهم مع كثرتهم، خوفاً من أسباب الموت، فأماتهم الله، ثم أحياهم، إن الله صاحب الفضل الكبير على الناس جميعاً، حيث أرشدهم إلى طريق العزة والنصر، ولكن أكثر الناس وهم الكفار لا يشكرون الله على نعمه. والهدف: هو تشجيع المسلمين على الجهاد. قال ابن عباس: كانوا أربعة آلاف، خرجوا فراراً من الطاعون، وقالوا: تأتي أرضاً ليس بها موت، حتى إذا كانوا بموضع كذا وكذا، قال لهم الله: موتوا، فماتوا، فمر عليهم نبي من الأنبياء، فدعا ربه أن يحييهم حتى يعبدوه، فأحياهم. ورأي بعض المعاصرين: أنه لما انقرض الجيل الجبان، ظهر منهم جيل عزيز، ثار وهزم عدوه.

٢٤٤- وقاتلوا أيها المسلمون في سبيل إعلاء كلمة الله، واعلموا أن الله سميع لدعاكم، عليم بشؤونكم وأحوالكم.

٢٤٥- الجهاد يتطلب الإنفاق، فالذي ينفق نفقة طيبة بها نفسه من مال حلال، ينمي الله ماله في الدنيا، وينح في الآخرة الثواب مراراً كثيرة، والله يقلل الرزق على من يشاء، ويوسعه على من يشاء، وإليه ترجعون يوم القيامة، فيجازيكم بما قدمت من الأعمال. قال ابن عمر: لما نزلت: ﴿مثل الذين ينفقون...﴾ [البقرة ٢/ ٢٦١] قال رسول الله ﷺ: رب، زد أمتي، فنزلت: ﴿من ذا الذي يقرض...﴾.



٢٤٦- ألم ينته إلى علمك قصة أشرف الناس من بني إسرائيل الذين جاؤوا من بعد وفاة موسى، إذ قالوا للنبي لهم هو شمويل أو صمويل: عين أو اختر لنا ملكاً أو قائداً نعمل برأيه في الحرب، نقاتل معه الطغاة في سبيل الله، قال لهم نبيهم في ذلك الزمان: لعلمكم أو أتوقع منكم الجبن والتخاذل إن فرض عليكم القتال؟ قالوا: وما لنا ألا نقاتل، وكيف لا نكون شجعاناً، نقاتل في سبيل الله، وقد طردنا من ديارنا، وحرمتنا من أبنائنا بسبب أخذهم أسرى أو قتلهم؟ فلما فرض عليهم القتال، تخلفوا عن الجهاد إلا قليلاً منهم ثبتوا على العهد، والله عالم بمن نقض العهد، وظلم نفسه فأخلف الوعد.

٢٤٧- وقال لهم نبيهم صمويل: إن الله أرسل لكم طالوت ملكاً، فعليكم بطاعته، والقتال معه، فاعترضوا قائلين: كيف يكون ملكاً علينا، وهو فقير، ليس من أسرة الملوك، ونحن أصحاب السلطة والسيادة أحق بالملك منه، وهو فقير لم يؤت رزقاً واسعاً ومالاً وفيراً يستعين به على إقامة الملك؟ فقال نبيهم: إن الله اختاره لكم ملكاً، وزاده سعة في العلم، وقوة في الجسم، فكان قوياً في دينه وتدييره الأمور، وبدنه ليقاوم الأعداء في الحروب، والله واسع الفضل، عليم بمن هو أهل للملك وأصلح له والله يهب الملك لمن يختاره هو.

٢٤٨- وقال لهم نبيهم صمويل: إن علامة ملك طالوت أن يأتيكم التابوت، وهو صندوق التوراة، الذي سلب منكم وأخذه أعداؤكم الفلسطينيون، فيه سكينته: وقار وطمانينة وسكون للنفس، أي سبب سكون قلوبكم فيما اختلفتم فيه من أمر طالوت، وفيه بقية، أي قطع من ألواح التوراة، ومخلقات وآثار آل موسى وآل هارون، كحصا موسى، تحمله الملائكة حتى تضعه في بيت طالوت، إن في ذلك علامة على ملكه، إن كنتم أمتم بالله حقاً، فاسمعوا لطالوت وأطيعوه. قال ابن عباس: «كانت العماليق قد سبوا التابوت من بني إسرائيل، فجاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض، وهم ينظرون إليه، حتى وضعته عند طالوت، فلما رأوا ذلك قالوا: نعم، فسلموا له وملكوه، وكان الأنبياء إذا حضروا قتالاً، قدموا التابوت بين أيديهم».

أَرْسَلْنَا إِلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ أَيُّهَا اللَّهُ إِنَّا مَرَدُّوا عَلَىٰ أَعْقَابِنَا وَكَانَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْنَا آلُ قَارِئِينَ ۚ قَالَ اللَّهُ إِنَّكُمْ تُجِيبُونَ نَبِيَّكُمْ بِمَا لَمْ يَحْكُمُ اللَّهُ بِهِ ۚ فَكَذَّبَتْكُمْ آلُ قَارِئِينَ ۚ وَأَخْرَجْنَا مِنْ دِينَارًا وَأَبْنَاءًا فَلَمَّا كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالَ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ سَعَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۗ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ إِنَّ كُنْتُمْ مِّنْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ
 بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ
 مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا
 مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ
 ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ
 وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلتَمُوا اللَّهَ
 كَمَثَلِ قَلِيلٍ مِّنْ قَلِيلٍ غَلَبَتْ فِيهِ قُوَّةٌ يَبْأَدُنُ
 اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَكَتَبَ بِرَأْسِ جَالُوتَ
 وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذَا وَقَاتِلْ
 أُقْدَامَنَا وَاجْعَلْنَا لِقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾
 فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ
 اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ
 اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ
 وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ إِنَّكَ عَلَيْكَ
 اللَّهُ نَتَلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

٢٤٩- فلما خرج طالوت عن بلده بيت المقدس مع جنوده إلى قتال العمالقة، قال لهم طالوت: إن الله مختبركم بنهر: هو نهر الأردن، فمن شرب منه، فليس من جنودي أو أصحابي الطيبين، ومن لم يذقه أو لم يشرب منه، فإنه من أتباعي وجنودي، إلا من أخذ منه بمقدار ملاء الكف بالاعتراف غرفة واحدة، فشربوا منه وعصوا أمر ملكهم إلا عدداً قليلاً منهم بعدد أصحاب بدر، ثلاثمائة وبضعة عشر، كما في صحيح البخاري، فلما اجتاز طالوت النهر هو وجماعته المؤمنون القلة الطائعون، قال ضعفاء الإيمان منهم: لا قدرة لنا على قتال جالوت: أكبر طاغية وثني كان قد احتل مع أتباعه فلسطين، ولا قتال جنوده لكثرتهم وقلة عددنا، قال الذين يتيقنون أنهم ملاقور بهم في الآخرة: قد تغلب الجماعة القليلة الجماعة الكثيرة بإرادة الله ونصره وتأيدته، والله مع الصابرين بالعون، وإن النصر مع الصبر، وليس بكثرة العدد.

٢٥٠- ولما ظهروا لقتال جالوت (أمير العمالقة)

وجنوده، قالوا: ربنا صبرنا كثيراً، وثبتنا وقوتنا على الجهاد وعدم الفرار، وانصرنا على أعدائنا الكفار: جالوت وجنوده، ومددنا بالعون حتى نتغلب عليهم.

٢٥١- فأجاب الله دعاءهم، وهزموا العمالقة بأمر الله وإرادته، وقتل داود بن إيشا، أحد جنود عسكر طالوت، جالوت الجبار الكافر، وأعطى الله داود النبوة (الحكمة) وجعله ملكاً على بني إسرائيل أثناء حياة طالوت، بعد أن كان راعياً، وعلمه ربه من علومه، كصناعة الدروع، ومعرفة منطق الطير، ولولا مدافعة بعض الناس بالبعض الآخر، ومقاومة الأشرار، لتغلب أهل الفساد على الأرض، وقتلوا المؤمنين، وأهلكوا الحرث والنسل والسكان، ولكن الله صاحب فضل على العالمين، يتولى رعايتهم وحفظهم، ودفع بعضهم ببعض.

٢٥٢- هذه آيات الله في هذه القصة، نتلوها عليك أيها النبي، بالحق: الخبر الصحيح من غير زيادة ولا نقصان ولا تحريف، وإنك يا محمد من جملة رسل الله، يأتيك وحى الله تعالى، وتخبر به الناس. وفي هذا تقوية لقلبه وتثبيت شأنه.



٢٥٣- أولئك الرسل الذين قص الله عليك أيها الرسول أخبارهم في القرآن، فضل الله بعضهم على بعض بخصائص أو مآثر، وميز بعضهم على الآخرين ببعض المناقب، منهم من كلم الله مباشرة، وهو موسى ونبينا عليهما السلام، ورفع بعضهم درجات كإدريس، وإبراهيم ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وأتى الله عيسى المعجزات الدالة على نبوته، وهي المذكورة في الآية [٤٩] من سورة آل عمران [٣]، كإحياء الموتى وإبراء المرضى بإذن الله، وأيده الله بروح القدس: جبريل عليه السلام، ولو شاء الله ما اقتتل الذين جاؤوا من بعد هؤلاء الرسل، ومن بعد مجيء الأدلة الواضحة على صدق رسلهم، ولكن اختلف أم الأنبياء بعد إقامة الحججة عليهم، حتى اقتتلوا، فمنهم من آمن بالله ورسله، ومنهم من كفر بالله ورسله، ولو شاء الله عدم اقتتالهم بعد هذا الاختلاف، ما اقتتلوا، ولكن الله يفعل ما يريد، لحكمة اقتضاها، ولا راد لحكمه، يفعل ما يشاء.

٢٥٤- يا أيها المؤمنون أنفقوا في سبيل الله، عما رزقكم الله، بقدر الاستطاعة، لتنالوا الثواب في الآخرة، من قبل مجيء يوم القيامة، الذي لا يبيع ولا شراء فيه حتى تشتتروا أنفسكم من العذاب، وما فيه النجاة، ولا توجد فيه صداقة ومودة تنفع، والكافرون هم الظالمون لأنفسهم بتكذيب الرسل، وعصيان أوامر الله تعالى.

٢٥٥- الله الذي لا معبود بحق سواه، المتفرد بالالوهية، الحي الباقي الدائم الحية، القائم بتدبير الخلق وحفظهم ورعايتهم، لا يتعرض لنعاس ولا يغلبه، ولا ينام، له جميع ما في السموات والأرض ملكاً وخلقاً وعبداً، ليس لأحد أن يشفع عنده إلا بإذنه، يحيط علمه بكل ما في الدنيا والآخرة، أحاط كرسية بجميع السموات والأرض، والكرسي: شيء عظيم لا تدركه عقولنا، وبعضهم أوكه بقوله: أحاط علمه أو شمل سلطانه كل شيء، ولا يشقله ولا يشق عليه حفظ السموات والأرض، وهو الرفيع الشأن والمقام، القاهر الغالب، وهو ذو العزة والكبرياء والجلال الذي لا شيء أعظم منه. روى مسلم في صحيحه عن أبي بن كعب: أن النبي ﷺ قال عن آية الكرسي فيما معناه: إنها أعظم آية من كتاب الله تعالى.

٢٥٦- لا إجبار على الدخول في الإسلام، قد ظهر طريق الرشد (أي الإيمان والهدى) وسبيل الضلال والجهل الناشئ عن الاعتقاد الفاسد، فمن يصدق بوجود الله ووحديته ورسالة محمد ﷺ، فقد تمسك بوسيلة النجاة المحكمة هي الإسلام، لا انحلال لها ولا انقطاع، بل مضمونة النجاة، وقد شبه الدين بالعروة القوية الربط التي لا تنفصم، والله سميع لإقرار من آمن وصدق، عليم بصدقه وإخلاصه. قال ابن عباس: نزلت في أنصاري هو الحصين أراد إكراه ابنين نصرانيين له على الإسلام، فأبيا إلا النصرانية، فأنزل الله الآية.

تَاكَ الرُّسُلَ فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ
 اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْكِتَابَ
 وَآتَيْنَاهُ بُرُوحَ الْقُدُسِ وَوَلَّيْنَاهُ مَا نَشَاءُ اللَّهُ مَا أَفْتَلُوا وَلَكِنْ أَفَعَلَ مَا يُرِيدُ
 مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ أَخْلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ
 وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَوَلَّيْنَا اللَّهُ مَا أَفْتَلُوا وَلَكِنْ أَفَعَلَ مَا يُرِيدُ
 يَتَأْتِمُ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفُسَهُمْ مِمَّا رَزَقْتُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِي
 يَوْمَ لَا تَنْبَغُ فِيهِ وَالْأَخَلَّةُ وَالْشَفْعَةُ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ
 اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَلَمْ يَلْقَ الْتَقْوَمُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ
 وَلَا نَوْمٌ لَمَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ ذَا الَّذِي
 يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ
 وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ
 كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا
 وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ
 تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ
 فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

اللَّهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
 وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ أَطُغُوهُم يُخْرِجُوهُمْ
 مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ
 فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي
 رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمَلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ انزِلْ
 عَلَيَّ وَيُحْيِي قَالَ أَنَا نُحْيِي وَنُمِيتُ قَالِ إِبْرَاهِيمُ
 فَأَن لَّلهُ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ
 فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾
 أَوَلَمْ تَرَ إِلَى سَرَّ عَلَى قَرِيْبَةٍ وَهِيَ خَاطِبَةٌ عَلَى عَرْشِهَا قَالَتْ
 أَنِّي نُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ
 ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِيتُ قَالَ لَبِيتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ
 يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِيتُ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ
 لَمْ يَسْنَهُ وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ
 وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهُا لَعَلَّكَ
 فَالِتَّابِتِينَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

٢٥٧- الله نصير ومعين المؤمنين، يرعاهم
 ويوفقهم ويمدهم بتأييده، يخرجهم من ظلمات
 الكفر والشك والجهل إلى نور الهداية والإيمان
 والعلم، والكفار: نصراؤهم قادة الضلال وكل ما
 عبد من دون الله والشياطين، يخرجونهم من نور
 الإيمان الذي هو فطرة الله إلى ظلمات الكفر
 والعصيان والجهل، أولئك الكفار هم أصحاب
 النار الماكثون فيها أبداً. أخرج الطبري عن عبدة
 بن أبي لُبابة في قوله: ﴿الله ولي...﴾ قال:
 هم الذين كانوا آمنوا بعبس، فلما جاء
 محمد ﷺ آمنوا به، وأنزلت فيهم هذه الآية.

٢٥٨- ألم تعلم بالذي جادل إبراهيم في وجود
 ربه، وهو عمرو بن كنعان من جبابرة كفار بابل في
 العراق، بسبب إتياء الله له الملك الذي أورثه الكبر
 والعتو، فكفر بأنعم الله، حين قال: من ربك يا
 إبراهيم؟ فقال: ربي هو الذي يحيي الناس
 ويميتهم، قال عمرو: أنا أيضاً أحيي وأميت، قال
 ابن عباس: أتى برجلين، فقتل أحدهما وعفا عن
 الآخر، وادعى أنه أحيا وأمات. وذلك مغالطة؛

لأن إبراهيم أراد أن الله هو الذي يخلق الحياة والموت في الأشياء، قال له إبراهيم: إن الله يُطلع الشمس من
 المشرق، فأطلعها من المغرب، وتلك حجة لا تقبل المغالطة، فتحير ودُهِش الكافر، والله لا يوفق الكفار إلى
 طريق الهداية، لا يتعادهم عنه.

٢٥٩- أو هل رأيت أيها النبي مثل العزير من بني إسرائيل، حين مرَّ على قرية من أرض بيت المقدس بعد
 تخريب بُخْتَنَصَّرَ لها، فهي خاوية من السكان، والبيوت قائمة، أو أن السقوف والحيطان سقطت منها،
 فقال: كيف يحيي الله أهل هذه القرية، أو كيف تعود فيها الحياة بالبناء والعمارة والسكان؟ فأماته الله بنفسه،
 مائة سنة، ثم بعثه حياً بعد موته، فقال له: كم مكثت هنا ميتاً؟ قال بحسب ظنه: مكثت يوماً أو بعض يوم،
 معتقداً أنه نام وأفاق، قال له ربه: بل مكثت مائة سنة، فانظر إلى ما كان معك من طعام وشراب لم يتغير
 مع طول المدة بقدرة الله، وانظر إلى حمارك الذي مات كيف نحياه بعد تفرق أجزائه، ولنجعلك مثلاً على
 البعث بعد الموت، ودليلاً على قدرتنا، وانظر إلى العظام، كيف نرفع بعضها من الأرض، ونضم أجزاءها،
 ثم نردها إلى أمكانها، ثم نسترها باللحم، فلما اتضح له ذلك عياناً، بعد أن أنكر أو استغرب كيفية قدرة الله،
 قال: أعلم، أي اطمأن قلبي إلى أن الله قادر على كل شيء، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

٢٦٠- واذكر أيها النبي حين قال إبراهيم الخليل: رب أرني رؤية عين لا رؤية قلب، ليطمئن قلبي، كيف تعيد الموتى أحياء؟ قال له الله تعالى: أو لم تصدق بقدرتي على الإحياء حتى ترى؟ قال: بلى يا رب علمت وأمنت بقدرتك، ولكن سألت ذلك ليزداد يقيني باجتماع المعاينة إلى الاستدلال على الإيمان، قال: فخذ أربعة طيور، وضمهن واجمعهن إليك، ثم قطعهن، واجعل على كل جبل من كل واحد منهن جزءاً، ثم نادهن، يجثن إليك مسرعات في الطيران، واعلم يا إبراهيم أن الله قوي غالب لا يعجزه شيء، حكيم في صنعه وتديبه.

٢٦١- صفة حال المتفقين أموالهم في سبيل الله في الجهاد وغيره بقصد مرضاته، كصفة زارع حبة أنبت سبع سنابل في ساق واحدة، في كل سنبله مئة حبة، والله يضاعف عطاء لمن يشاء من عباده، والله كثير الفضل والعطاء، عليم بأحوال المنفق: نيته ومقدار نفقته. نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن ابن عوف، حيث جهز الأول

جيش تبوك، وجاء الثاني بأربعة آلاف درهم صدقة، وأبقى أربعة آلاف لعياله، فقال النبي ﷺ: (يا رب، إن عثمان بن عفان رضيت عنه، فارض عنه، وقال لعبد الرحمن: (بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت).

٢٦٢- الذين ينفقون أموالهم فيما يؤدي لمرضاة الله، ثم لا يتبعون صدقاتهم متاً، أي تحديتاً بما أعطى أو تعداد الإحسان على المحسن إليه، ولا أذى (وهو أعم من المن)، أي سيئاً وإساءة وتطاولاً، لهم ثوابهم عند ربهم على ما أنفقوا، ولا خوف عليهم في الدارين، ولا يحزنون على شيء في الدنيا.

٢٦٣- كلام حسن ورد جميل على السائل، وستر لسوء حاله وتجاوز وعفو عن إلحاحه في السؤال خير من الصدقة المعطاة له، المصحوبة بالمتن عليه بها، وإيدائه بالقول أو بالفعل، والله غني عن مثل هذه الصدقة، حلیم على عباده، فلا يعاجل بالعقوبة، وإنما يوخرها.

٢٦٤- يا أيها المؤمنون لا تبطلوا ثواب صدقاتكم بالمتن والأذى (بمعناها المتقدم) متشبهين بحال المنافق الذي ينفق ماله مرثياً للناس ليحمدوه، ولا يقصد وجه الله وثواب الآخرة، ولا يصدق بالله والآخرة، ومثله كمثل حجر أملس، عليه تراب، فأصابه مطر غزير، فحرف عنه التراب، وبقي مجرد نقيلاً لا يثبت شيئاً، فكذلك تكون نفقة هذا المرثي لا تنفعه ولا ثواب له، فلا يحصل المنان والمؤذي والمرثي على شيء من الثواب يوم القيامة، على ما عملوا أو أنفقوا في الدنيا، كما لا شيء على الحجر من التراب الذي كان عليه، والله لا يوفق الكافرين لما فيه الخير والرشاد.

وَأَذْكَرَ أَيُّهَا النَّبِيُّ حِينَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ: رَبِّ ارْزُقْنِي رُؤْيَا عَيْنٍ لَا رُؤْيَا قَلْبٍ، لِيُطْمَئِنَّ قَلْبِي، كَيْفَ تُعِيدُ الْمَوْتَى أَحْيَاءَ؟ قَالَ لَهُ اللَّهُ تَعَالَى: أَوَلَمْ تُصَدِّقْ بِقُدْرَتِي عَلَى الْإِحْيَاءِ حَتَّى تَرَى؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ عِلْمْتُ وَأَمَنْتُ بِقُدْرَتِكَ، وَلَكِنْ سَأَلْتُ ذَلِكَ لِيُزَادَ يَقِينِي بِاجْتِمَاعِ الْمَعَايِنَةِ إِلَى الْاِسْتِدْلَالِ عَلَى الْإِيمَانِ، قَالَ: فَخُذْ أَرْبَعَةَ طَيْرٍ، وَضُمَّهُنَّ وَاجْمَعْهُنَّ إِلَيْكَ، ثُمَّ قَطِّعْهُنَّ، وَاجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا، ثُمَّ نَادِهِنَّ، يَجْتُنَّ إِلَيْكَ مُسْرِعَاتٍ فِي الطَّيْرَانِ، وَاعْلَمْ يَا إِبْرَاهِيمَ أَنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ غَالِبٌ لَا يَعْجُزُهُ شَيْءٌ، حَكِيمٌ فِي صُنْعِهِ وَتَدْبِيرِهِ.

٢٦١- صِفَةُ حَالِ الْمُتَّفِقِينَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي الْجِهَادِ وَغَيْرِهِ بِقَصْدِ مَرْضَاتِهِ، كَصِفَةِ زَارِعِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي سَاقٍ وَاحِدَةٍ، فِي كُلِّ سَنَبْلَةٍ مِئَةَ حَبَّةٍ، وَاللَّهُ يُضَاعِفُ عَطَاءَ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَاللَّهُ كَثِيرُ الْفَضْلِ وَالْعَطَاءِ، عَلِيمٌ بِأَحْوَالِ الْمُنْفِقِ: نِيَّتِهِ وَمَقْدَارِ نَفَقَتِهِ. نَزَلَتْ فِي عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، حَيْثُ جَهَّزَ الْأَوَّلُ جَيْشَ تَبُوكَ، وَجَاءَ الثَّانِي بِأَرْبَعَةِ أَلْفِ دَرَاهِمٍ صَدَقَةً، وَأَبْقَى أَرْبَعَةَ أَلْفٍ لِعِيَالِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (يَا رَبِّ، إِنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَانَ رَضَيْتُ عَنْهُ، فَارْضُ عَنْهُ، وَقَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: (بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي مَا أَمْسَكْتَ وَفِي مَا أَعْطَيْتَ).

٢٦٢- الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي مَا يُؤَدِّي لِمَرْضَاةِ اللَّهِ، ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ صَدَقَاتِهِمْ مَتًّا، أَيَّ تَحَدِيَّتًا بِمَا أَعْطَى أَوْ تَدَاوُلًا عَلَى الْمُحْسِنِ إِلَيْهِ، وَلَا أَذَى (وَهُوَ أَعْمُ مِنَ الْمُنِّ)، أَيَّ سَيِّئًا وَإِسَاءَةً وَتَطَاوُلًا، لَهُمْ ثَوَابُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ عَلَى مَا أَنْفَقُوا، وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ فِي الدَّارَيْنِ، وَلَا يَحْزَنُونَ عَلَى شَيْءٍ فِي الدُّنْيَا.

٢٦٣- كَلَامٌ حَسَنٌ وَرَدٌّ جَمِيلٌ عَلَى السَّائِلِ، وَسِتْرٌ لِسُوءِ حَالِهِ وَتَجَاوُزٌ وَعَفْوٌ عَنِ الْإِلْحَاحِ فِي السُّؤَالِ خَيْرٌ مِنَ الصَّدَقَةِ الْمَعْطَاةِ لَهُ، الْمَصْحُوبَةِ بِالْمَتْنِ عَلَيْهِ بِهَا، وَإِيْدَاةُ الْقَوْلِ أَوْ بِالْفِعْلِ، وَاللَّهُ غَنِيٌّ عَنِ مِثْلِ هَذِهِ الصَّدَقَةِ، حَلِيمٌ عَلَى عِبَادِهِ، فَلَا يَعْاجِلُ بِالْعُقُوبَةِ، وَإِنَّمَا يُوَخِّرُهَا.

٢٦٤- يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَا تَبْطُلُوا ثَوَابَ صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَتْنِ وَالْأَذَى (بِمَعْنَاهَا الْمَتَّقَمُّ) مُتَشَبِّهِينَ بِحَالِ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَنْفِقُ مَالَهُ مَرْتِيًّا لِلنَّاسِ لِيُحْمَدُوهُ، وَلَا يَقْصِدُ وَجْهَ اللَّهِ وَثَوَابَ الْآخِرَةِ، وَلَا يَصَدِّقُ بِاللَّهِ وَالْآخِرَةِ، وَمِثْلُهُ كَمِثْلِ الْحَجَرِ الْأَمْلَسِ، عَلَيْهِ تَرَابٌ، فَاصْبَاهُ مَطَرٌ غَزِيرٌ، فَحَرَفَ عَنْهُ التَّرَابَ، وَبَقِيَ أَجْرَدٌ نَقِيًّا لَا يَنْبَتُ شَيْئًا، فَكَذَلِكَ تَكُونُ نَفَقَةُ هَذَا الْمَرْتِيِّ لَا تَنْفَعُهُ وَلَا ثَوَابَ لَهُ، فَلَا يَحْصُلُ الْمَنَّانُ وَالْمُؤَذِي وَالْمَرْتِيُّ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الثَّوَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عَلَى مَا عَمِلُوا أَوْ أَنْفَقُوا فِي الدُّنْيَا، كَمَا لَا شَيْءَ عَلَى الْحَجَرِ مِنَ التَّرَابِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ، وَاللَّهُ لَا يُوفِّقُ الْكَافِرِينَ لِمَا فِيهِ الْخَيْرُ وَالرِّشَادَ.



وَمَثَلُ الَّذِينَ يُبْغُونَ أَمْوَالَهُمْ آتِبَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَيَسْبِغُونَهَا
 مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَاتَتْ
 أَكْطَافَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ
 بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيُودٌ أَحْسَنُكُمْ أَن تَكُونَ
 لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ
 فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ
 ضِعْفَاهُ فَاصْبِرْ لَهَا إِعْصَارًا فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ
 يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَا أَيُّهَا
 الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّي فَعَلْتُ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ وَمَا أَرْجَا
 لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَتَّبِعُوا الْهَيْبَةَ مِنَ اللَّهِ غَنِيٌّ
 وَلَسْتُ مَرِيضًا جَذِبُهُ إِلَّا أَنْ تُغْضُوا فِيهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ
 حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ
 بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَسِعَ عِلْمُهُ
 كُلَّهُ ﴿٢٦٨﴾ أَوْفَى الْحِكْمَةِ مِنْ نِسَاءٍ وَمِنْ بُنْيَانٍ أَوْفَى الْحِكْمَةِ فَتَدَّبَّرُوا
 خِيَرًا كَثِيرًا وَبَدَأُوا كَرًّا إِلَّا تَلْوًا إِلَّا أَلْبَسُوا ﴿٢٦٩﴾

٢٦٥- ومثل أو صفة المتفقين أموالهم بقصد إرضاء الله، وتيقنا من ثوابه تعالى وتوطينا على الطاعة والإيمان، كصفة بستان بأرض مرتفعة ارتفاعاً يسيراً (هضبة) لحسن نباتها، أصابها مطر شديد، فأعطت ثمرها مثلي ما كانت تثمر، بسبب الوابل، فإن لم يصبها وابل، فمطر خفيف يكفيها، لطيب منبتها، والمراد أنها لجودة أرضها يكفيها الطل، والله مطلع على أعمالكم، لا يخفى عليه شيء منها.

٢٦٦- هل يجب أحدهم أن يكون له بستان فيه أشجار النخيل والعنب، تجري من تحت أشجارها الأنهار، وله من كل أنواع الثمار، وأدرسته الشيخوخة أو كبر السن الذي هو مظنة شدة الحاجة، بسبب العجز عن العمل، وله ذرية صغار عاجزون عن الكسب، والجمع بين الكبر وضعف الذرية، لبيان شدة الحاجة، فأصاب بستانه ريح سُموم عاصفة شديدة الحرارة، ثم ترتفع حاملة غباراً كهيئة العمود، وهي الزوبعة، فاحترق، وهذا تمثيل لنفقة المراتي، تضاع يوم القيامة، عند شدة الحاجة إليها، مثل ذلك، يبين الله الآيات عن طريق ضرب الأمثال والعبر، لكي تتفكروا في زوال الدنيا، وبقاء الآخرة.

٢٦٧- يا أيها المؤمنون أدوا زكاة أموالكم، من جيد وأفضل ما كسبتم ومن حاله، ومن مختلف أنواع الأموال التي تجب فيها الزكاة، وأنفقوا مما أخرج الله لكم من الأرض من زروع وثمار ومعادن، ولا تقصدوا رديء المال، تخرجون منه الزكاة، والحال أنكم لا تأخذونه إذا دفع إليكم في معاملاتكم، إلا أن تتساهلوا وتغضوا النظر عنه كراهة وحياء، وترضوا ببعض حقكم، فكيف تؤدون حق الله منه؟ واعلموا أن الله غني عن زكواتكم ونفقاتكم، مستحق للحمد في كل حال على نعمه الكثيرة، محمود الأفعال. قال سهل بن حنيف: كان الناس يتييمون شرّ ثمارهم، يخرجونها من الصدقة، فنزلت الآية: ﴿ولا تيمموا الخبيث...﴾

٢٦٨- الشيطان يخوفكم الفقر إذا أنفقتم، بوسوسته أن الإنفاق يذهب المال، ويأمركم بالمعاصي والبخل ومنع الزكاة وكل خير فيه ثواب في الآخرة، والفاحش عند العرب: البخل، والله يعدكم إذا أنفقتم مغفرة لذنوبكم وستراً في الدنيا والآخرة، ورزقاً واسعاً في الدني، وثواباً جزيلاً في الآخرة، والله كثير الفضل، عليم بالمتفق في سبيل الله تعالى.

٢٦٩- يعطي الله العلم ومعرفة أسرار القرآن، وفهم الأمور، وإصابة القول والعمل، ووضع الشيء في محله، من يشاء من عباده، ومن يؤت الحكمة (العلم النافع) فقد فاز بخيري الدنيا والآخرة، وما يتعظ بأحكام القرآن والوحي إلا أصحاب العقول السليمة.



وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ
يَعْلَمُهَا وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِنْ تَبَدُّوا
أَنْصَدَقْتُمْ فِعْمًا بِهِنَّ وَإِنْ مَخَّوهُمَا وَتَوَوَّهُمَا
الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ مِنَ
سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ لَيْسَ
عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا
تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا يُنْفِقْكُمْ وَمَا تَنْفِقُونَ إِلَّا لِأَتَّبِعَاءَ
وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤْتِ الْيَتِيمَ وَأُتُوهُ
لَا تَطْلُبُونَّ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمْ
أَجْمَالُ أَغْيَاءٍ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ سِيمَاهُمْ لَا يَتَسَلَّوْنَ
النَّاسَ الْخَائِفَ أَوْ مَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ
اللَّهَ بِهِ عَلَيْهِ ﴿٢٧٣﴾ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ
بِالْئِيلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَهُمْ أَجْرُهُمْ
عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

٢٧٠- ما من نفقة تنفقونها بقصد مرضاة الله،
فالله يعلمها ويجازيكم عليها، ويعلم ما نذرتهم،
والنذر: التزام قرينة لم يلزم الله بها، فيجب على
الناذر الوفاء بالطاعة واجتناب المعصية، وليس
للظالمين الذين لا يؤدون الزكاة والنفقات الواجبة
وإنما ينفقون أموالهم في المعاصي، أنصار يدفعون
عنهم العذاب، بسبب الإثم ومخالفة الأمر
بالإنفاق ووفاء النذر.

٢٧١- إن تظهروا الصدقات المتطوع بها، فهو
حسن ليقتدى بكم، ونعم ما فعلتم، أي نعم
إظهارها، وإن تخرجوها سرا أو تعطوها الفقراء في
السر، فهو خير لكم من إظهارها، للبعد عن
الرياء، ويمحو الله عنكم من ذنوبكم بقدر ما
أنفقتهم، والله مطلع على ما تعملون من إظهار
الصدقة أو إخفائها. أما الزكاة المفروضة فالأفضل
إظهارها ليقتدى بالزكي. قال الكلبي: لما نزل
قوله تعالى: ﴿وما أنفقتهم من نفقة﴾ قالوا:
يا رسول الله، صدقة السر أفضل أم صدقة
العلانية؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

٢٧٢- ليس عليك أيها الرسول أن تجعل
المشركين مهديين بوسيلة التضييق أو المنع أو
الإكراه، ولكن الله يهدي إلى الإسلام بتوفيقه من يشاء من عباده، ما على الداعية إلا التبليغ، وأمر الهداية
إلى الله وحده، وما تنفقوا من مال، فلا نفسكم ثوابه المدخر يوم القيامة، وما تنفقون إلا طلبا لرضا الله
وثوابه، لا رياء ونحوه، فتلك هي النفقة المقبولة، وما تنفقوا من مال ثوابه يكون أضعافاً مضاعفة لكم،
وأنتم لا تنقصون منه شيئا. قال ابن عباس: كان النبي ﷺ يأمر أن لا يتصدق إلا على أهل الإسلام،
فنزلت: ﴿ليس عليكم هداهم﴾ فأمر بالتصدق على كل من سأل من كل دين.

٢٧٣- ادفعوا الصدقات للفقراء الذين منعوا من الكسب وحبسوا في طاعة الله لجهاد أو تعلم علم،
والذين لا يستطيعون التكسب بتجارة أو زراعة لتفرغهم للجهاد أو طلب العلم، وهم الذين يظنهم الجاهل
بأحوالهم أغنياء موسرين، بما يظهرون من التعفف عن المسألة، وإظهار المسكنة، والقناعة، تعرفهم فقراء
محتاجين بعلاماتهم، وبما يظهر عليهم من الحاجة والفقر، لا يطلبون المعونة كغيرهم بالإلحاح لعفتهم، بل لا
يسألون الناس أصلا، وما تنفقوا من مال، فالله عليم به يجازيكم عليه. نزلت في أهل الصفة (الذين
يعيشون في صفة المسجد) وهم أربعمائة من المهاجرين، أرسدوا لتعلم القرآن، والخروج مع
السرايا.

٢٧٤- الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله، كل وقت ليلاً أو نهاراً، خفية أو جهاراً، عند نزول الحاجة
بالناس، من غير إسراف ولا تقتير، لهم ثوابهم عند ربهم، ولا خوف عليهم من عذاب القيامة، ولا يحزنون
على ما فاتهم في الدنيا. نزلت في أصحاب الخيل: وهم الذين يرتبطون الخيل في سبيل الله تعالى، ينفقون

الَّذِينَ يَكُونُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَخْبِطُهُ
السَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ
الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ
مِّن رَّبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ
فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَحَى اللَّهُ الرِّبَا
وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ
تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن بُنْتُمْ فَالْكُفْرُ
رُبُّهُم مَّا قَدْ كَفَرُوا وَلَا تَظْلُمُونَ وَلَا تَظْلُمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ
ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن يَصَدَّقَ خَيْرٌ لَّكَ
إِن كُنْتَ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ
تُشْرَفُونَ ﴿٢٨١﴾ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهِيَ لَا تَظْلُمُونَ ﴿٢٨٢﴾

٢٧٥- الذين يأخذون الربا- وهو الزائد عن مقدار القرض أو في البيع الربوي- لا يقومون من قبورهم يوم القيامة، بسبب الذهول من شدة الهول، إلا كما يقوم الذي يصرعه الشيطان من الجنون أي كالمصروع، عقوبة له، ذلك بسبب قولهم: إنما البيع مثل الربا، كلاهما شيء واحد يحقق ربحاً، فرد الله عليهم بالفرق بينهما، وهو أن الله أحل البيع القائم على المعاوضة التجارية بحسب الحاجة، وحرّم الربا القائم على أخذ مال الغير بغير عوض، فمن انتعظ بالنهاي عن الربا، فلا يؤاخذ بما سلف؛ لأنه فعله قبل التحريم، ولا يسترد منه ما أخذ من الربا، وله ما مضى من الربا قبل التحريم، وأمره إلى الله بالعضو عنه أو خذلانه، ومن عاد إلى التعامل بالربا بعد التحريم، فأولئك أهل النار ماكون فيها على الدوام. كان غالب ما تفعله العرب في الجاهلية أنه إذا حل أجل الدين، قال الدائن للمدين: أتقضي أم تربي؟ فإذا لم يقض زاد في الفائدة، وأخر له الأجل إلى حين آخر، وهذا حرام بالاتفاق.

٢٧٦- يذهب الله بركة الربا وما خالطه من المال في الدنيا، وإن كان كثيراً، ويُسمى الصدقات ويزيد في المال الذي أخرجت صدقته، ويضاعف الثواب للمتصدق، والله يعاقب كل شديد الكفر، كثير الإثم.

٢٧٧- إن المؤمنين بالله، العاملين الأعمال الصالحات، ومنها ترك الربا، وأدوا الصلاة المفروضة بأركانها وشرائطها، ودفَعوا الزكاة الواجبة، لهم ثواب أعمالهم عند ربهم في الآخرة، ولا خوف عليهم من عذاب القيامة، ولا يحزنون على ما تركوا في الدنيا.

٢٧٨- يا أيها المؤمنون اتقوا الله بالتزام أوامره واجتناب نواهيه، واتركوا ما بقي لكم من الربا بما لم يقبض، إن كنتم مؤمنين حقيقة، فالإيمان يدفع إلى احترام شريعة الله. نزلت هذه الآية والتي بعدها في بني عمرو بن عوف بن ثقيف وبني المغيرة من بني مخزوم الذين أرادوا بعد وضع الربا كله عقب فتح مكة مصالحة والي مكة عتاب بن أسيد على أن لهم رباهم عند ثقيف، فكتب عتاب في ذلك إلى رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية والتي بعدها.

٢٧٩- فإن لم تتركوا الربا، صرتم أعداء الله ورسوله، وتعاقبون في الدنيا والآخرة، وإن تبتم من أخذ الربا، فلکم رؤوس أموالكم التي أقرضتموها، من غير زيادة ولا نقصان في رؤوس الأموال. أي أن أكل الربا من الكيثر.

٢٨٠- وإن كان المدين معسراً لا يستطيع وفاء دينه، فعليكم تأخيرها إلى وقت اليسر، وأن تصدقوا برؤوس أموالكم أو ببعضها على غرماكم المدينين المعسرين بالإبراء خير وأفضل لكم عند ربكم، إن علمتم فضل الصدقة وثوابها على المعسر. نزلت حينما طالب بنو عمرو بن عمير بن بني المغيرة بالديون وترك الربا، فقال بنو المغيرة: نحن اليوم أهل عسرة، فأخرونا إلى أن تدرك الشمرة، فأبوا أن يؤخروهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وإن كان ذو عسرة..﴾

٢٨١- وخافوا يوم القيامة الذي ترجعون فيه إلى الله، ثم تجد كل نفس ما عملت من خير أو شر، وهم لا يظلمون بنقص حسنة أو زيادة سيئة. قال ابن جريج: نزلت قبل موت النبي ﷺ بتسع ليال، ثم لم ينزل بعدها شيء. وقال ابن عباس: آخر آية نزلت من القرآن على النبي ﷺ: ﴿واتقوا يوماً..﴾ وكان بين نزولها وبين موت النبي ﷺ واحد وثلاثون يوماً.

٢٨٢- يا أيها المؤمنون إذا أقرض بعضكم بعضاً، ونشأت علاقة مدينية، والدين عند العرب: ما كان غائباً، ويقابله العين: وهي ما كان حاضراً، وكان القرض إلى أجل معين، غير مجهول؛ لأن الجهالة تفسد العقد، فاكتبوا الدين بأجله منعاً للمنازعة والخلاف، وليكتب عقد القرض بين الدائن والمدين كاتب بالعدل أي بالحق من غير زيادة ولا نقصان، ولا يمتنع كاتب من الكتابة، ويكتب كما شرع الله بالعدل والضيبط، ويكتب ما يملئ عليه من غير زيادة ولا نقصان، ويملي من عليه الحق على الكاتب، مبيناً جميع الشروط والأجل منعاً من الظلم أو الغبن، وليستق الله ربه في الإملاء، ولا ينقص من الحق شيئاً، والبخس: النقص.

فإن كان الذي عليه الحق وهو المدين سفيهاً، أي سيء التصرف أو محجوراً عليه لتبذير، أو ضعيفاً عن الإملاء لصغر أو كبر أو عجز أو مرض، أو عاجزاً عن الإملاء بأن كان جاهلاً أو أخرس أو عمي اللسان ونحو ذلك، فيملي عنه وليه أو وصيه أو القيم القائم على أمره أمام الكاتب ما عليه من الدين، بالعدل أي بالصدق.

وأشهدوا شاهدين رجلين مسلمين على كتاب

الدين، فإن لم يكن الشاهدان رجلين، فليشهد رجل وامرأتان، وهذا أقل نصاب في الشهادة على المعاملات، ممن ترضون دينهم وعدلتهم من الشهود، خشية أن تخطف أو تنسى امرأة جزءاً من الشهادة، وتذكر جزءاً، فتذكر الناكرة الناسية، لما يلحقهما من الضعف أو قلة الاهتمام بالأمر، ولا يمتنع الشهداء (الشهود) عن أداء الشهادة التي تحملوها من قبل، إذا ما دعوا لأداء الشهادة أو تحملها. والشهادة على الدين أو البيع وكتابة الدين مندوبان بقرينة الآية التالية بعدئذ.

ولا تملأوا أن تكتبوا الدين الذي تداينتم به مهما كان صغيراً (قليلاً) أو كبيراً (كثيراً) إلى الأجل المتفق عليه، وكتابة الدين والإشهاد عليه أعدل، أي أصح وأحفظ، وأعون على إقامة الشهادة على وجهها الحق وأثبت لها، فالكتابة أو الإشهاد توثق للدين، وأقرب إلى عدم الشك في قدر الدين وأجله، لتدوين العقد في صلح مكتوب، إلا إذا كانت المدينية في تجارة حاضرة بحضور البديلين: الثمن والمبيع، وتديرونها بينكم أي تتبادلون العوضين أو تقبضونهما يداً بيد من غير أجل، والمعنى أن التبايع ناجز، فلا إثم عليكم ألا تكتبوها أي تتركوا الكتابة، لتقباض البديلين في الحال قبل التفرق، وأشهدوا على التبايع مهما كان، حاضراً أو ديناً، منعاً من الاختلاف، ولا يجوز للدائن والمدين إلحاق الضرر بالكاتب والشاهد، بالتحريف والتبديل، والزيادة والنقص في الكتابة، أو الامتناع من الشهادة، وليس لصاحب الحق تكليفهما ما لا يليق من الضرر أو الغبن، أو يشق فعله كالسفر الطويل من أجل الكتابة والشهادة، وإن فعلوا ما نهيتهم عنه من المضارة، ففعلكم هذا فسوق، أي خروج عن الطاعة إلى العصيان. واتقوا الله في أمره ونهيه، ويعلمكم الله مصالح أموركم في الدين والدنيا، والله عالم بكل أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَسْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيَمْلِكِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيَمْلِكْ وَلْيَكْتُب بِالْعَدْلِ وَأَنْ شَهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشَّاهِدَاتِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبُ الشَّاهِدَاتُ إِذَا مَا دَعُوا وَلَا تَسْتَمْتُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلٍ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا نَبَأْتُمُوهَا وَلَا يَضَارُ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَاِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَوَهْنٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْفُرُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْفُرْ فَإِنَّهُ إِذَا أَشْرَقَ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْنَ بِهَا سَبْكُوهُ اللَّهُ فَيَعْرِضُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ﴾ ءَمَّا ارَّسُولُ يَمَّا أَنْزَلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامِنٌ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا أَوْسَعَهَا مَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لِطَآئِفَةٍ لَنَا بِهٍ وَوَعَفْنَا عَنْكُمْ وَأَغْنِنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

٢٨٣- وإن كنتم معشر المتعاملين بالدين مسافرين، ويلحق بالسفر كل عذر مثله، ولم تجدوا كاتباً لعقد المداينة، فليقدم المدين رهناً يقبضه الدائن، والرهان جمع رهن، والقبض شرط لتمام الرهن عند الجمهور غير المالكية الذين يكتفون بالإيجاب والقبول لصحة الرهن، فإن وثق بعضكم ببعض، فلم يأخذ الدائن رهناً بالدين، فليدفع المدين المؤمن دينه المستحق عليه، ولا يخن الأمانة، ولا يجحد شيئاً من الحق، ولا تكتموا الشهادة أيها الشهود إذا طلب منكم أداؤها، ومن يكتم الشهادة، فإنه فاجر القلب، مرتكب للمعصية، فيعاقب على ذلك لتضييعه حق الدائن، والله لا يخفي عليه شيء من أعمالكم.

٢٨٤- الله ما في السموات والأرض ملكاً وخلقاً وتصرفاً، وإن تظهروا ما في قلوبكم من شرٍ أو سوء أو تكتموا عن الناس، يحاسبكم به الله ويجازكم عليه، فيغفر لمن يشاء الغفران له، ويعذب من يشاء تعذيبه، والله قادر على كل شيء. والحساب لا يكون على مجرد النية ما لم تقترن بعزم أو كلام أو تنفيذ، إلا على بعض الأمور التي محلها القلب المحض كالشك في الله أو الدين أو النفاق أو التكذيب أو الرياء أو كتمان الشهادة.

أو النفاق أو التكذيب أو الرياء أو كتمان الشهادة، فهذه يحاسب الإنسان عليها.

٢٨٥- صدق النبي ﷺ بما أنزل إليه من القرآن، وصدق به أيضاً المؤمنون، كل واحد منهم آمن بالله وحده، وبالملائكة والكتب المنزلة والرسول الكرام المبشرين ما نزل إليهم، يقولون: لا نفرق معشر المؤمنين بين أحد من الرسل وآخر، بل نؤمن بهم جميعاً، وقال النبي والمؤمنون: سمعنا سماع قبول وأطعنا الأمر، فاغفر لنا يا ربنا، وإليك المرجع والمآب بالبعث. نزلت بعد آية ﴿لله ما في السموات وما في الأرض...﴾ حين ظن الصحابة أنهم مؤخذون على مجرد النيات، فقال لهم الرسول ﷺ: أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتاب: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا.. إلخ.

٢٨٦- لا يكلف الله نفساً إلا بقدر استطاعتها، لها ثواب ما كسبت من خير، وعليها وزر ما اكتسبت من شر، ويقول المؤمنون: ربنا لا تعاقبنا على النسيان الحاصل عفواً من غير إرادة، وعلى الخطأ في الفعل من غير قصد، ربنا ولا تحمّلنا التكالييف الشاقة، والإصر: التكليف الشاق والأمر الصعب، كما حملته على الأمم السابقة، ربنا ولا تحمّلنا ما لا قدرة لنا عليه من التكالييف، مما فيه مشقة زائدة غير معتادة، واستر علينا ذنوبنا وخطايانا، وارحمنا رحمة واسعة بفضلك وكرمك، أنت ولينا (متولي أمورنا) وناصرنا، فانصرتنا على القوم الجاحدين نعمتك، الذين عبدوا غيرك. جاء في الصحيح عن النبي ﷺ: أن الله تعالى قال عقب كل دعوة من هذه الدعوات: «قد فعلت». وقال جبريل للنبي ﷺ: أبشر بنورين، قد أوتيتهما، لم يؤتتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ حرفاً منهما إلا أوتيته.

سورة آل عمران

فضلها: أخرج مسلم عن النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْقُرْآنِ وَأَهْلُهُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ، تُقَدَّمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَأَلْ عَمْرَانَ».

١- ﴿الم﴾: هذه الأحرف المقطعة للتنبيه والتحدي للإتيان بمثل أقصر سورة من القرآن، كما ذكرنا في أول البقرة.

٢- الله لا معبود بحق في الوجود سواه، الدائم الحياة والقائم على كل شيء في السموات والأرض بحفظه ورعايته. نزلت هذه الآية إلى بضع وثمانين آية من صدر آل عمران في وفد نصارى نجران الذين وفدوا على رسول الله ﷺ وخاصموه في عيسى عليه السلام، وقالوا له: من أبوه؟ ثم وصفوه مرة بأنه إله، ومرة بأنه ابن الله، ومرة بأنه ثالث ثلاثة.

٣، ٤- نزل الله عليك أيها الرسول القرآن، بالصدق وبالحجة البالغة، موافقاً للكتب السماوية السابقة، وأنزل التوراة والإنجيل قبل القرآن على موسى وعيسى عليهما السلام، لأجل هداية البشر، وأنزل الفرقان أي الفارق بين الحق والباطل وهو القرآن وغيره من الكتب والصحف، وهذا من قبيل عطف العام على بعض

أفراده. إن الذين كفروا بآيات الله في القرآن وغيره الدالة على وحدانيته وتزويه عما لا يليق، لهم عذاب شديد يوم القيامة، والله قوي غالب على أمره، ينتقم من كذب آياته وخالف رسله الكرام، والانتقام: العقاب بسبب ذنب تقدم.

٥- إن الله لا يخفى عليه شيء صغير أم كبير، ظاهر أم باطن في الأرض والسماء.

٦- هو الذي يخلقكم في الأرحام كما يشاء، ذكراً أو أنثى، حسناً أو قبيحاً وغير ذلك، لا إله غيره، هو القوي في سلطانه، الحكيم في صنعه وتدبيره.

٧- الله هو الذي أنزل عليك يا محمد القرآن، منه آيات واضحات محكمات: لا تحتمل إلا وجهاً واحداً من التفسير، مثل ﴿ولا تقربوا الزنا﴾ [الإسراء ١٧/ ٣٢] هن أصل الكتاب الذي يعتمد عليه. ومنه آيات متشابهات: محتملات أوجه كثيرة من المعاني، مثل ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه ٢٠/ ٥] وآية ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ [الفتح ٤٨/ ١٠] وموعده قيام الساعة وحقيقة الروح ونحو ذلك. فأما الذين في قلوبهم ميل عن الحق إلى الباطل، فيتملقون بالمتشابه من الكتاب، يفسرونه بما يوقع في الشك، بقصد فتنة الناس عن الدين الحق، وطلباً لتأويله بما يوافق أغراضهم، ولا يعلم تفسير المتشابه وحقيقته إلا الله، والعلماء المتضلعون في العلم يقولون: أمنا به جميعاً، كل من المحكم والمتشابه من عند ربنا، لا يخالف بعضه بعضاً، فترد آيات الصفات إلى آيات التنزيه المطلق، وآيات أوصاف عيسى بالكلمة والروح إلى آيات التوحيد المطلق. وما يعظف بهذه الآيات إلا أصحاب العقول السليمة.

٨- ويدعو الراسخون في العلم بقولهم: ربنا لا تغل قلوبنا عن الحق والإيمان، كما مالت قلوب الذين يتبعون المتشابه، بعد أن هديتنا إلى الحق والصواب، وامنحنا رحمة عظيمة كائنة من عندك، إنك كثير العطاء لمن تشاء، تعطي التوفيق والسداد.

سُورَةُ الْعَمْرَانَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝١
 اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝٢
 نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ ۝٣
 مِن قَبْلِ هَٰذِهِ لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ۝٤
 إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۝٥
 هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٦
 هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرَىٰ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ۝٧
 رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ۝٨

٩- ربنا إنك تحشر وتبعث الناس وتحيهم للجزاء في يوم لا شك فيه، هو يوم القيامة، إن الله لا يخلف وعده للبعث والحساب.

١٠- إن الذين كفروا بالله ورسله ومنهم نبينا محمد ﷺ لن تنفعهم شيئاً أموالهم وأولادهم، من عذاب الله، وهم حطب جهنم توقد به.

١١- حال أو شأن وعادة هؤلاء الكفار، كحال آل فرعون مع موسى ومن قبلهم من الأمم الكافرة كعاد وقوم لوط، لا تفيدهم الأموال والأولاد شيئاً؛ لأنهم كذبوا آيات الله التي جاءت بها الرسل، فعاقبهم الله بسبب ذنوبهم ومنها تكذيبهم، والله شديد العقاب لكل من كفر وكذب.

١٢- قل أيها النبي للكفار من اليهود ومشركي مكة وغيرهم سَتُغْلَبُونَ في الدنيا، وتجمعون يوم القيامة إلى جهنم، وبئس الفراش أو المستقر الذي يأروون إليه. نزلت وما بعدها في اليهود بعد بدر حينما قالوا: يا محمد، لا يغرركم بعد نفسك أن قتلت نفرًا من قريش، كانوا أعمارا لا يعرفون القتال، إنك والله لو قاتلنا لعرفت أننا نحن الناس، وأنك لم تلق مثلنا.

رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُنْفِئَهُمْ عَنْ أَمْوَالِهِمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١١﴾ كَذَّبَ آلُ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاحْذَرُوا اللَّهَ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٢﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبئس المهاد ﴿١٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا فَبَقِيَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ فَمِنْهُمْ مَنْ رَأَىٰ أَنَّهُمْ يُبَدِّلُونَ بَصِيرَةً مِنْ شَيْءٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٤﴾ زَيْنَ النَّاسِ حُجُبُ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثُ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَ حَسَنِ الْمَقَابِلِ ﴿١٥﴾ قُلْ أَوَلَمْ تَكُنْ مِنْ حَاجِرِينَ الَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَاءَتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٦﴾

١٣- قد كان لكم أيها اليهود علامة على صدق ما أقول بنصر المؤمنين وهزيمتكم في جماعتين التقنا للقتال يوم بدر، هم المسلمون والمشركون، جماعة تقاتل في سبيل إعلاء كلمة الله، وهم المؤمنون، وجماعة أخرى كافرة بالله ورسوله وهم المشركون، يرى المسلمون الكفار ضعفيهم في العدد، رؤية حقيقية ظاهرة من غير لبس، بالعين المجردة، وكانوا في الواقع ثلاثة أمثالهم، فأراهم الله مثلي عددهم لتقوى أنفسهم، وهذا مدد معنوي، والله يقوي ويعزز من يشاء تقويته، إن في هذه الرؤية ونصر الفئة القليلة على الكثيرة لموعظة لأهل البصائر الواعية والعقول المدركة.

١٤- حُبِّ النَّاسِ الْمَشْتَهَاتِ الْمَفْرَحَةِ لِلْقُلُوبِ مِنَ النِّسَاءِ لِلتَّمَتَّةِ وَالنَّاسِلِ، والأولاد الذكور، والأموال الكثيرة المجمعة أو المضاعفة البالغة حدًا واسعًا، من الذهب والفضة، والخيال الأصيلة المُعَلِّمَةِ المميّزة ببعض العلامات، والأنعام (الإبل والبقر والغنم) والزرع، ذلك المذكور مما يتمتع به في الدنيا ثم يزول، والله عنده حسن المرجح لأهل التقوى.

١٥- قل أيها النبي: هل أخبركم بما هو خير من تلك المشتهيات: وهو ما أعده الله للمتقين الطائعين القائمين بأوامر الله والمجتنبين نواهيه، من الجنات التي تجري الأنهار من تحت أشجارها ومنازلها، وهم ما كشون فيها أبداً، ولهم زوجات مطهرات من عيوب نساء الدنيا كالحيض والنفاس، ورضا دائم من الله سبحانه لا غضب بعده، والله مطلع على شؤون العباد، ولا يخفى عليه شيء، فيجازي كلًا بما يستحق.



١٦- أوصاف المتقين: هم الذين يصدقون بالله ورسله، ويطلبون المغفرة عن السيئات، والوقاية من عذاب النار.

١٧- وخص الله بالمدح الصابرين على طاعة الله وعن محارمه، والصادقين في إيمانهم وأقوالهم وأفعالهم وتعاملهم مع الناس، والمداومين على طاعة الله، الخاشعة قلوبهم، والمنفقين أموالهم في سبيل الله، والمستغفرين بالأسحار، أي السائلين المغفرة في أواخر الليل قبل الفجر، وهو ثلث الليل الأخير؛ لأن الدعاء فيه مجاب.

١٨- أخبر الله خبراً مقروناً بالعلم والبيان وإقامة الأدلة القاطعة والمعجزات، أنه لا إله معبوداً بحق في الوجود سواه، وشهدت الملائكة بالإقرار بأنه لا إله إلا الله، وشهد أولو العلم من الأنبياء والعلماء والمؤمنين بالإيمان والإقرار اللفظي بوحداية الله، وشهد الكل بأن الله مقيم للعدل بين خلقه وفي جميع أموره، لا إله بحق إلا هو، الغالب الذي لا يقهر، الحكيم في صنعه وتدبيره وأفعاله. نزلت حينما قال حبران من أحبار أهل الشام للنبي بعد الهجرة: أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله؟ فأنزل الله تعالى: ﴿شهد الله...﴾

١٩- إن الدين المقبول عند الله هو الإسلام الذي يشمل الإيمان، وما اختلف اليهود والنصارى إلا بعد أن جاءهم العلم في التوراة والإنجيل بوجوب توحيد الله وعبادته وطاعته، وكان اختلافهم تعدياً، وتجاوزاً للحق والإنصاف، وحسدًا، أي لمجرد البغى، ومن يكفر بدلائل الله على توحيده، فإن الله سريع الجزاء له على ما يستحقه.

٢٠- فإن جادلوك بالباطل والقول المحرف والشبه الواهية في التوحيد والدين، فقل لهم أيها النبي: أخلصت ديني وعبادتي لله، وخضعت له بكليتي، لا أشرك به غيره، وأخلص القصد معي أيضاً أتباعي المسلمون، وقل لأهل الكتاب من اليهود والنصارى، والأُميين (مشركي العرب): هل قبلتم الإسلام، وعملمت بموجبه، أم ما زلتُم كفاراً؟ فإن دخلوا في الإسلام، فقد اهتدوا إلى الصواب وتركوا الضلال، وإن أعرضوا عن الإسلام ويقروا في الكفر، فإنما عليك أن تبلغهم ما أنزل إليك، وليس عليك إلا تبليغ الرسالة، والله مطلع على أحوال العباد كلها، وسيجازيهم على أعمالهم.

٢١- إن الذين يكفرون بالآيات الدالة على وحداية الله وصدق أنبيائه، ويقتلون الأنبياء ظلماً بغير حق، وهم اليهود، ويقتلون الأمرين بالعدل، وهم الأمرون بالمعروف، والناهون عن المنكر، فأنذرتهم بعذاب مؤلم موجه. قال المبرد: كان ناس من بني إسرائيل، جاءهم النبيون يدعونهم إلى الله عز وجل، فقام أناس من بعدهم من المؤمنين، فأمرهم بالإسلام، فقتلواهم، ففيهم نزلت هذه الآية.

٢٢- أولئك قتلة الأنبياء وقتلة الأمرين بالعدل بطلت حسناتهم، في الدنيا والآخرة، فلم تقبل منهم، وليس لهم ناصر يتخذهم من العذاب.

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ائْتِنَا مِنَّا فَغُفِرَ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَاللَّهُ كُفُوًا فَلْيَا قَلْبًا بِأَقْسَطِ لَأ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ لَأَسْلَمُوا وَمَا أَخَذَتِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ الْأَمِّنِينَ بِعَدَمِ جَاءِهِمْ أَعْلَامُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِكَآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَكِرَةٌ لِّلسَّكَابِ ﴿١٩﴾ فَإِن حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعْتُ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالَّذِينَ أَسْلَمُوا فَإِن أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِكَآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَبْعَثُ فِيهِمْ رَسُولًا لِّئَلَّا يَقُولُوا لَوْلَا نَزَّلَ اللَّهُ الْكِتَابَ فَقُلْ لَوْ أَنِّي كُنْتُ هَادِيًا لِّلنَّاسِ لَأَسْلَمْتُ وَلَكِن بَدَأْتُ بِنَفْسِي فَسَدَّتْ خَدْيًا لِّمَن يَكْفُرُ ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَالُهُمْ مُّزْنَصِرٍ ﴿٢٢﴾

أَمَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نُصِيْبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعُونَ إِلَى
 كِتَابِ اللَّهِ لِيُقَرَّبَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ
 ﴿٢٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن نَّمْسَنَ النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً
 وَعَرَضُوا فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْرُقُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتُمْ
 لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُقِيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ
 لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ
 وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ
 بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تَوَلَّى الْآئِلُ
 فِي النَّهَارِ وَتَوَلَّى الْآئِلُ فِي اللَّيْلِ وَتَخْرُجُ الْحَيِّ مِنَ
 الْمَيِّتِ وَتَخْرُجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِعَدْرِ
 حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ
 دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ
 إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمُ تُقَاتُوا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ
 الْمُبْصِرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تَحْتَفُوا مَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾
 وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٠﴾

٢٣ - ألم تنظر أيها النبي إلى الذين أوتوا حظاً من التوراة، وهم أحبار اليهود، ويدعون إلى تطبيق التوراة، للحكم بينهم فيما اختلفوا فيه مع خصومهم، وكان ما في التوراة لصالح خصمهم، ثم ينصرف فريق منهم عن الإجابة إلى ما دُعوا إليه، مع علمهم به، وهم معرضون عن سماعه، إنهم أخطؤوا اعتماداً على أن النار لن تمسهم إلا قليلاً. نزلت حينما ادعى اليهود أن إبراهيم كان يهودياً، فقال الرسول ﷺ: (فهلماً إلى التوراة، فهي بيننا وبينكم، فأبى عليه، فأنزل الله: ﴿الم تر...﴾ إلى آخر الآية التالية.

٢٤ - ذلك التولي عن القبول بحكم الله تعالى كان بسبب قولهم افتراء: لن تمسنا النار إلا أياماً قلائل، وهي أربعون يوماً، مقدار عبادتهم العجل، وخدمهم في دينهم ما كانوا يفترون من الأكاذيب، ومنها قولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه، فلا نعذب إلا يسيراً. ٢٥ - فكيف يصنعون، أو كيف يكون حالهم إذا جمعناهم ليوم الجزاء الذي لا شك في وقوعه، وهو يوم القيامة، وجوزيت كل نفس بما عملت، وهم لا يُظلمون بزيادة العذاب على سيئاتهم، ولا نقص من حسناتهم، وحيث يدركون أنه لن ينفعهم شيء.

٢٦ - قل أيها النبي: يا مالك جنس الملك في الدنيا والآخرة، أنت تعطي الملك من تشاء إعطاءه من عبادك، وتسلب الملك من تريد نزعاً منه، وترفع من تشاء وتخضع من تشاء بيدك الخير لا يبدع غيرك، إنك القادر على كل شيء. قال قتادة: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ سأل ربه أن يجعل ملك فارس والروم في أمته، فأنزل الله: ﴿قل اللهم...﴾.

٢٧ - تدخل بعض الليل في النهار، فيقصّر الليل ويطول النهار، وتدخل بعض النهار في الليل، فيطول الليل ويطقصّر النهار، ويظل الأمر كذلك بحسب الفصول والمواقع، ضمن مدة كليهما وهي ٢٤ ساعة، وتخرج الحي من الميت كالنبات أو الحيوان من التراب أو الشجرة من النواة أو العالم من الجاهل أو المؤمن من الكافر، وتخرج الميت من الحي، كالنواة من الشجرة، واللبن من الحيوان، والجاهل من العالم أو الكافر من المؤمن، وترزق من تشاء من العباد بغير تعداد ولا تقتير.

٢٨ - لا يتخذ المؤمنون الكافرين نصراء، يحبونهم ويطلعونهم على أسرار المؤمنين الخاصة، ومن يتخذهم أنصاراً، فليس من دين الله في شيء، أي فهو بعيد عن رحمة الله، إلا في حال خوفكم من ضررهم كالقتل مثلاً، فلكم حيثئذ موالاتهم في الظاهر بقدر دفع الضرر عنكم، ويخوفكم الله من عقابه إن اتخذتموهم أولياء ظاهراً وباطناً، وإلى الله مرجعكم، فيجازيكم على أعمالكم. نزلت في عبادة بن الصامت الذي أراد يوم الأحزاب الاستعانة بخمسمائة رجل من اليهود على الأعداء، فأنزل الله تعالى: ﴿لا يتخذ...﴾.

٢٩ - قل لهم أيها الرسول: إن تخفوا موالات الأعداء أو تظهروها، يعلمه الله، فيجازيكم به، ولا يخفى عليه شيء في السموات والأرض، والله تام القدرة على عقوبتكم وجميع أحوالكم.

٣٠- يوم تجدد كل نفس ما عملت من خير فحضرًا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدًا ويحذركم الله نفسه والله رؤوفٌ بالعباد ﴿٣٠﴾ قل إن أكثر من يحبون الله فاتبعوني يحبكم الله ويعفو عنكم ﴿٣١﴾ قل طيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين ﴿٣٢﴾ إن الله اصطفى آزر ونوحًا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ﴿٣٣﴾ ذرية بعضها من بعض والله سميعٌ عليم ﴿٣٤﴾ إذ قالت امرأت عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم ﴿٣٥﴾ فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر إلا الأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيدها بك وذرية من الشايطان الرجيم ﴿٣٦﴾ فقبلها ربها بقبول حسن وأنبأها نبأاً حسناً وكفها ذكرها كلما دخل عليها ذكرها قالت الحرات وجد عند هارزفا قال يرمي أني لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ﴿٣٧﴾

٣١- قل أيها النبي لليهود: إن كنتم كما تزعمون تحبون الله، فاتبعوني على الإسلام، يرض الله عنكم؛ لأن المحبة تقتضي اتباع النبي ﷺ وطاعة الله ورسوله، والله يستر لكم ذنوبكم الماضية، والله كثير المغفرة للذنوب عباده، رحيم بهم. قال الحسن البصري: قال أقوام على عهد نبينا: والله يا محمد، إنا لنحب ربنا، فأنزل الله: ﴿٣١﴾ قل: إن كنتم... ﴿٣٢﴾

٣٢- قل لهم يا محمد: أطيعوا الله ورسوله في جميع الأوامر والنواهي، فإن تعرضوا عن طاعة الله ورسوله، فالله يسخط عليكم ويغضب على الكفار الجاحدين للحق.

٣٣- إن الله اختار للنبوة آدم أباً للبشر، ونوحاً أول مرسل برسالة يبلغها، وهو آدم الثاني، واختار وفضل آل إبراهيم لكون النبي ﷺ منهم، وآل عمران (وهم موسى وهارون وعيسى وأمه) لكون عيسى عليه السلام منهم، وفضلهم على عالمي زمانهم.

٣٤- والحال أنها ذرية منسجمة متفقة في الصلاح والتدين، يشبه بعضها بعضاً في النسب والخير والعمل الصالح والنية والتوحيد، والله سميع لأقوال عباده، عليم بنياتهم وضمائرهم وأفعالهم.

٣٥- واذكر أيها النبي حين قالت امرأة عمران (حنة أم مريم) لما أحست بالحمل: رب إني نذرت أن أجعل ما في بطني لعبادتك غلاماً عتيقاً خالصاً لله، متفرغاً لخدمة بيتك المقدس (المسجد) فتقبل مني نذري، إنك سميع الدعاء، عالم بالمقاصد والنيات.

٣٦- فلما ولدت امرأة عمران ابنتها مريم، قالت متحسرة محزونة معتذرة: رب إني وضعتها أنثى، وهي لا تصلح لخدمة المسجد، وكنت أرجو أن يكون الولد ذكراً لأوفي بندرك، والله عالم بما وضعت. أورد الله تعالى هذه الجملة لدفع توهم أنها تريد إخباره تعالى. ثم قالت: ليس الذكر الذي نذرته لخدمة المسجد كالأنثى التي وضعتها والتي لا تصلح للخدمة في بيوت العبادة، فاجعلها عابدة قانتة، وإني سميتها مريم (أي خادمة الرب) وإني أجبرها وأحفظها بحفظك، هي وذريتها، من الشيطان المطرود من رحمة الله.

٣٧- فرضي الله بمرم لوفاء النذر، ورباها تربية حسنة تصلح جميع أحوالها، وجعل زكريا (زوج خالتها) كافلاً لها قائماً بمصالحها، وكلما دخل عليها للحراب: أشرف المجالس، والمصلّي، وجد عندها طعاماً وفاكهة من غير فواكه الموسم المعتاد، قال لها: من أين لك هذا يا مريم؟ قالت: هو من عند الله، ساقه الله إليّ، إن الله يرزق من يشاء من عباده بغير إحصاء ولا حدود.



هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً
طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَادَّاهُ الْمَلَلِكَةُ وَهُوَ
قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا بَلَدَةً
فَرَّحْنَا اللَّهُ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ
رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَغَيْتُ الْكِبَرَ وَأَمْرَأَتِي عَاقِرٌ
قَالَ كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً
قَالَ إِنَّا أَنبَأُكَ بِالْحُكْمِ أَلَّا يَكُونَ لَكَ الْتِسَاءُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَأَذْكُرُ
رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلِكَةُ
يَكْرَهُمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى
نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَمْرُرُ بِكِ لِرَبِّكَ وَأَسْجُدِي وَأَزْكِي
مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَلِكَ مِنْ نَّبَأِ الْعَجِيبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ
وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَقْلَمُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ
وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلِكَةُ لِيُمْرِئِ
إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عَلَى ابْنٍ مَرْيَمَ
وَيَجْعَلُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾

٣٨. في ذلك المكان عند مريم في المحراب، دعا زكريا ربه طالباً أن يمنحه ذرية طيبة أي نسلاً صالحاً، إنك يا الله تسمع دعاء من دعاك، وتلبي من تضرع إليك.

٣٩. فنادته الملائكة والمنادي وحده هو جبريل كما ذكر الطبري عن ابن مسعود، وهو قائم يصلي ويدعو في محرابه: أن الله يشرك بولادة يحيى (وفي الإنجيل يوحنا) مصداقاً بالكلمة وهو عيسى عليه السلام، ويشتر بيعشته، وبعث في زمانه، وكان ابن خالته، وسمي عيسى كلمة الله؛ لأنه وجد بقوله سبحانه: ﴿كن﴾ وسيكون يحيى سيداً يسود قومه بالعلم والحلم والفضل، وحصوراً، أي لا يأتي النساء زهداً، ونبياً صالحاً يؤدي حقوق الله والناس، ومعصوماً من الذنوب.

٤٠. قال زكريا: رب كيف يوجد لي ولد؟ وقد صرت شيخاً كبيراً هرمياً، وامرأتي عقيم لا تلد، مستبعداً ذلك بحسب العادة، لا على قدرة الله تعالى، فأجابه الله تعالى: مثل ذلك الخلق غير المعتاد، يفعل الله ما يشاء من الأفعال العجيبة، لا يعجزه شيء، فلا تتعجب من ذلك.

٤١. قال زكريا داعياً: رب اجعل لي علامة أعرف بها وجود الحمل لأشكرك، فقال سبحانه:

علامتك أنك تعجز عن خطاب الناس إلا بالإشارة مدة ثلاثة أيام، فتصبح محبوس اللسان، وسمى الرمز كلاماً؛ لأنه يحقق المراد من الكلام، واذكر الله ذكراً كثيراً، ونزهه الله في الصباح والمساء. والعشي: من الظهر إلى الغروب. والإبكار: من طلوع الفجر إلى الضحى.

٤٢. واذكر أيها الرسول حين قالت الملائكة: يا مريم إن الله اختارك وتقبلك لخدمة بيت المقدس، وطهرتك من العيوب (الأدناس) المعنوية والحسية، وفضلك على جميع نساء العالمين في زمانك، وقيل: إلى يوم القيامة، بولادتك نبياً من غير مساس رجل.

٤٣. يا مريم اخشعي لله، وصلي وأطيعي ربك، وتذلي لله، وصلي الصلاة مع الجماعة، وكل ذلك يراد به التواضع والخشوع في العبادة.

٤٤. ذلك المذكور من هذه القصة، نقصه عليك أيها النبي من أخبار الغيب التي كنت غائبا عنها، وهو ما نوحيه إليك في هذا القرآن، وما كنت موجوداً مع المتنازعين في تربية مريم، بل الله أوحى بخبرهم إليك، حين اقترحوا على حضانة مريم وتربيتها، جاعلين أقلامهم التي كتبوا بها التوراة، في الماء الجاري، فمن وقف قلمه فهو الكافل، فوقف قلم زكريا، ولم تكن يا محمد عندهم حين تنافسوا على الكفالة والتربية.

٤٥. واذكريا محمد حين قالت الملائكة: يا مريم، يشرك الله بولود منك من غير أب هو الكلمة، وسمي عيسى بالكلمة؛ لأنه وجد بكلمة ﴿كن﴾ فيكون من عند الله، اسمه المسيح عيسى ابن مريم، فهو منسوب إليك، ولقب بالمسيح لمسحه بالبركة أو بالدهن الذي يسح به الأنبياء، وهو ذوجه في الدنيا بالنبوة، وفي الآخرة بالشفاعة وعلو الدرجة، ومن المقربين إلى الله يوم القيامة.

٤٦- ويكلم الناس في المهدي وكهلاً ومن الصّليين ﴿٤٦﴾ قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشرٌ قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كُن فيكون ﴿٤٧﴾ وتعلية الكتب والحكمة والتوراة والإنجيل ﴿٤٨﴾

٤٧- قالت مريم مستبعدة الأمر بحكم العادة: كيف يكون لى ولد، ولم يقربنى رجل؟ فأجابها الوحي: مثل ذلك يخلق الله ما يشاء من العدم بمقتضى قدرته وحكمته، إذا أراد أمراً أو شيئاً، أوجده بكلمة ﴿كن﴾ فيكون كما أراد.

٤٨- ويعلم الله عيسى الكتابة والخط، والعلم النافع وفهم أسرار الأشياء، والتوراة التي أنزلها على موسى، والإنجيل الكتاب الذي سيوحى به إليه بعد ذلك.

٤٩- ويرسله الله رسولاً إلى بني إسرائيل: أنى آيتكم بعلامة دالة على صدق نبوتى ورسالتى، وهي أنى أصور لكم من الطين شيئاً كهيشة الطير، فأنفخ فيه، فيصير حياً كسائر الطيور، بإرادة الله،

فالخلق الحقيقي من الله، وأشفي الأكمه: الذي ولد أعمى، والأبرص الذي به البرص: وهو بياض يظهر في الجلد، وخص هذان المرضان؛ لاستحالة الشفاء منهما في العادة الغالبة، وأحى الموتى، وكل ذلك بإرادة الله، وأخبركم بما تأكلون وتدخرون في بيوتكم، وذلك مما لا يطلع عليه الناس عادة، إن في جميع ما ذكر لدليلاً قاطعاً وحجة ظاهرة على صدق رسالتى، إن كنتم مصدقين بالرسالات الإلهية.

٥٠- وجئتكم مصدقاً لما سبقني من التوراة، عاملاً بها، مخففاً بعض أحكامها، أحل من الطيبات بعض المحرم في التوراة، كلحوم كل ذي ظفر وشحوم الأنعام، وجئتكم بحجة شاهدة على صدقي من الله، فخافوا عذابه، وأطيعوني فيما دعوتكم إليه، وتابعوني في ديني.

٥١- إن الله ربي وربكم، لا إله غيره ولا رب سواه، وأنا عبده، فأعبده وحده لا شريك له، هذا هو الطريق القويم الواضح الذي لا اعوجاج فيه.

٥٢- فلما لمس عيسى الكفر والضلال من بني إسرائيل، قال لهم: من أعواني في الدعوة إلى الله، وتبليغ رسالته للناس؟ قال الحواريون- أصحابه وتلاميذه- الاثنا عشر رجلاً: نحن أنصار دين الله ورسله، أمنا بالله، وأشهد يا عيسى بأننا مخلصون في إيماننا، متقادون لرسالتك.

وَيَكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَتَعْلِيمَ الْكُتُبِ وَالْحِكْمَةِ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي آخِطِقُ لَكُمْ مِنَ لَاطِنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفِخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَصَدَقْنَا مَنَّا بَيْنَ يَدَيْكَ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحْلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَنْقُوا لِلَّهِ وَاطِيعُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ فَلَمَّا أَحْسَسَ عَيْسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَأَمْنَا بِاللهِ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُّسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾



رَبَّنَا أَمَّا بِنَا أَنْزَلْتَ وَأَتَّبَعْتَ الرَّسُولَ فَأَنْتَ مُبْتَلَاةٌ
 الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكْرُوهًا وَمَكْرُوهًا وَمَكْرُوهًا وَاللَّهُ خَبِيرٌ الْمَكْرِينِ
 ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَرَأَيْكَ إِلَى وَمَطْرَرَكُ
 مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اشْعُرَكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِنَّكَ مَرْجِعُهُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا
 كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعْدِبْهُمْ
 عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ
 ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ
 وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَلِكَ نَتَلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ
 الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ
 كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾
 لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَكَ
 فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا
 وَإِبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ
 فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾

٥٣- ربنا إننا صدقنا بما أنزلت من الوحي على نبيك، وامتثلنا أوامر رسولك، فاجعلنا من الشاهدين يوم القيامة لك بالوحدانية، ولرسولك بالصدق.

٥٤- ومكر كفسار بني إسرائيل، أي دبروا وتدبيراً خفياً لقتل عيسى، وأبطل الله مكرهم، بإلقاء شبه عيسى على أحد الحواريين، ورفع عيسى إلى السماء، والله خير وأنفذ وأقوى المدبرين.

٥٥- واذكر يا محمد حين قال الله: يا عيسى، إني مستوفي أجلك في الدنيا، وقابضك، ورفعك إلي بروحك وبدنك بجعلك في منزلة رفيعة كإدريس والصالحين، ومخلصك من خبت الكافرين ومكرهم، ومبعدك عن سوء عملهم، وجاعل أتباعك الذين آمنوا برسالتك فوق الذين كفروا أو جحدوا برسالتك إلى يوم القيامة، وهي فوقية وعلو فضائل وقوة حجة، ومن هؤلاء: المسلمون الذين آمنوا بعيسى رسولاً وبما يستحقه من دون غلو، ثم يكون إلي رجوعكم جميعاً، فأحكم بين المؤمنين الأتباع وبين الكفار به، فيما تختلفون من شأن المسيح وصلبه وأمور الدين كلها.

٥٦- فأما الكفار فلهم عذاب شديد في الدنيا بأنواع العقاب، وفي الآخرة بنار جهنم والغضب الإلهي، وليس لهم أنصار ينصرونهم ويمنعون عنهم العذاب.

٥٧- وأما المؤمنون والذين يعملون الأعمال الصالحة التي أمر الله بها، فيعطيه الله ثواب أعمالهم كاملاً وافرًا، والله يعاقب الظالمين أنفسهم، الذين كفروا بالله ورسله، وعصوا أوامر ربه.

٥٨- ذلك المذكور من أخبار عيسى ومريم نقصه عليك يا نبي الله، من جملة الآيات العلامات الدالة على صدق نبوتك، ومن القرآن المحكم الذي لا خلل فيه. قال الحسن البصري: أتى راهبا نجران، فقال أحدهما: من أبو عيسى؟ وكان رسول الله ﷺ لا يعجل، حتى يؤمر ربه، فنزل عليه: ﴿ذلك نتلوه عليك...﴾ إلى آخر الآية (٦٠).

٥٩- إن شأن عيسى الغريب كشأن آدم الذي خلقه الله من التراب، ثم أوجده بقوله: كن بشراً، فكان، بل أمر آدم أغرب، فإنه لا أب له ولا أم، لخلقه من التراب. قال وقد نجران للنبي ﷺ: ما لك تشتم صاحبنا؟ قال: وما أقول؟ قالوا: تقول: إنه عبد، قال: أجل، إنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى العذراء البتول، فغضبوا وقالوا: هل رأيت إنساناً قط من غير أب؟ فإن كنت صادقاً فأرنا مثله، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

٦٠- هذا الذي أوحى إليك أيها النبي هو الحق الثابت من ربك، فلا تكن من الشاكرين فيه، والنهي للرسول لزيادة التثبيت والتأكيد، ومثله كل سامع معن النظر.

٦١- فمن جادلك في شأن عيسى بغير حق، من بعد ما جاءك من الوحي والخبر بحقيقة الأمر، فقل لهم: هلموا لنجتمع جميعاً مع الأولاد والنساء، ثم ندعو الله خاشعين، ونقول: اللهم العن الكاذب في شأن عيسى.

٦٢ - إن هذا المذكور من قصة عيسى لهو القصة الواقعية لولادة عيسى عليه السلام ونشأته ومنهجه في دعوته، ولا يوجد إله يعبد بحق غير الله تعالى وحده، خالق كل شيء، وإن الله هو القوي الغالب في هذا الكون، الحكيم في صنعه وتسييره.

٦٣ - فلإن أعرضوا عن هذا الحق المبين واتباع عقيدة التوحيد التي دعا إليها جميع الأنبياء، فهذا هو الفساد بعينه؛ لأنه شرك وكفر، والله عليم بالفسدين، وسيعاقبهم على إفسادهم.

٦٤ - قل أيها الرسول: يا أهل الكتاب تعالوا نتفق على كلام مفيد، وسط عادل موجود فيما أنزل إلينا وإليكم، تتسارى في طلبه جميع الكتب الصحيحة، وهي صحف إبراهيم والتوراة والإنجيل والقرآن، ألا تكون عبادتنا إلا لله وحده، ولا نجعل غيره شريكاً له في خلق أو ملك أو رزق أو استحقاق للعبادة، ولا نتخذ أرباباً أخرى من غير الله، كاعتقاد ربوبية عزيز المسيح وجعلهم كالرب تعالى في التحليل والتحریم، ولا نسجد لرب غير الله، فلإن أعرضوا عما دعوا إليه، فقولوا: اشهدوا بأننا مسلمون متقادون لله ولاحكامه.

٦٥ - يا أهل الكتاب من اليهود والنصارى، لم تجادلون في ملة إبراهيم، وتصفه اليهود بأنه كان يهودياً، والنصارى بأنه كان نصرانياً، علماً بأن اليهودية بعد موسى، والنصرانية

بعد عيسى، وكان إبراهيم قبل ذلك بدهر طويل، والتوراة أنزلت على موسى، والإنجيل على عيسى بعد إبراهيم، فكيف يكون يهودياً أو نصرانياً؟ أفلا تدركون فساد قولكم وبطلانه؟ قال ابن عباس: اجتمعت نصارى نجران وأحبار يهود عند رسول الله ﷺ، فتنازعوا عنده، فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلا يهودياً، وقالت النصارى: ما كان إلا نصرانياً، فأنزل الله: ﴿يا أهل الكتاب لم تحاجون..﴾ إلى آخر الآية [٦٧].

٦٦ - أيها اليهود والنصارى، لقد جادلتم فيما لكم به علم من أمر دينكم الموجود في كتابكم التوراة، من الحلال والحرام وأنواع العبادة، فلم تجادلون فيما ليس لكم به علم؟ وهو الزعم بأن إبراهيم كان على دينكم، والله يعلم الحقائق، وأنتم لا تعلمون ذلك.

٦٧ - ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً؛ لأنه كان متقدماً على ديانة الفريقتين، وكان مثلاً عن الأديان كلها إلى التوحيد والحق، مطيعاً لله عابداً له، ولم يكن مشركاً يعبد مع الله إلهاً آخر.

٦٨ - إن أحق الناس بالانتماء لإبراهيم هم الذين آمنوا به واتبعوا ملته الحنيفية، وهذا النبي محمد ﷺ لكونه من ذريته، واتفقه مع ملته القائمة على التوحيد، والله ناصر المؤمنين. سأل اليهود قائلين: والله يا محمد، لقد علمت أننا أولى بدين إبراهيم منك ومن غيرك، وإنه - في اعتقادنا - كان يهودياً، وما بك إلا الحسد، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

٦٩ - تحمّنت طائفة من الكتائبين لو يردونكم عن دينكم، وما يُضِلُّون بدعوتهم هذه إلا أنفسهم، بسبب ثبات المؤمنين على الإيمان، ومضاعفة العذاب على الكافرين، وما يشعرون بذلك. نزلت هذه الآية في طوائف اليهود في المدينة حين دعوا جماعة من المسلمين إلى دينهم.

٧٠ - يا أهل الكتاب لم تكفروا بآيات الله المنزلة على نبيه محمد ﷺ والمنزلة في كتبكم الدالة على صدق نبوته، وأنتم تشهدون أنها حق وصدق، وأن محمداً رسول، والقرآن حق.

إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَصُّ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ
أَعَزُّ مِنَ الْحَكِيمِ ﴿٦٥﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ الْمَفْسِدِينَ
﴿٦٦﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ
بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا
بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٧﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحْجِجُونَ فِي
إِبْرَاهِيمَ وَمَا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا لِمَنْ بَعْدَهُ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ هَذَا نَسَبُ هَوْلَاءَ حَاجِجَةٍ فِي الْكُفْرِ بِعِلْمِهِمْ
تَحْجِجُونَ فَمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٩﴾
مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا
وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٠﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ
اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّحْيُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ
﴿٧١﴾ وَذَتَّ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ
وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٧٢﴾ يَا أَهْلَ
الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَسْهَدُونَ ﴿٧٣﴾

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَوْ تَلَسْتُمْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْمُنُونَ الْحَقَّ
وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا
بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَرَجَعَهُ النَّهَارُ وَكُفُّوا عَنْ آخِرِهِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا بِنِعِّ دِينِكُمْ قُلْ
إِنِّي لَهْدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيَ أَوْ يَكْحَرُ
عِنْدَ رَبِّكَ قُلْ إِنِّي لَفَضَّلْتُ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ
عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن إِن تَأْتَتْهُ بِغُضَارٍ
يُؤْتِيهِ إِيَّاكَ وَمِنْهُمْ مَن إِن تَأْتَتْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤْتِيهِ إِيَّاكَ
إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ فَإِنَّمَا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَسْتَ عَلَيْنَا فِي
الْأَمْنِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكِبْرُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾
بَلَىٰ مَن أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَأَتَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يَحِثُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِن
الَّذِينَ يَشْرُونَ بَعْدَ اللَّهِ وَأَتَمَّتْهُمُ مَمْنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ
لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يَكْتُمُهُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

٧١- يا أهل الكتاب لم تخلصون الحق بالباطل الذي هو التحريف
القائم على الهوى، وتكتمون الحق الثابت في كتبكم من
نعت محمد ﷺ وصدق رسالته، وأنتم توتنون بذلك في
قلوبكم.

٧٢- وقال جماعة من اليهود هم الرؤساء لأتباعهم:
صدقوا بالقرآن الذي أنزل على المسلمين في بداية النهار،
واكفروا به آخر النهار، أي بالردة في وقت قريب، ليرتد
المؤمنون عن دينهم بما تلقون عليهم من الشكوك
والشبهات. وهي مؤامرة فاشلة لعلمهم بثبات المؤمنين
على عقيدتهم. قال نفر من اليهود بعضهم لبعض:
تسالوا نؤمن بما أنزل الله على محمد وأصحابه
غدوة، ونكفر به عشية، حتى نلبس عليهم دينهم،
لعلهم يصنعون كما نضع، فيرجعوا عن دينهم،
فأنزل الله فيهم هذه الآية.

٧٣- وقال رؤساء اليهود أيضاً لأتباعهم: لا تصدقوا
إلا من تبع دينكم من أهل الملة التي أنتم عليها، - قل لهم
أيها النبي: الهداية بيد الله- ثم قالوا: ولا تصدقوا أن
يعطي الله أحداً من غير اليهود مثلما أعطيتهم من الكتاب
والنبوة، ولا تصدقوا أن أحداً يقيم عليكم حجة عند
ربكم يوم القيامة على أنه محق وأنتم مبطلون- قل أيها
النبي: إن الفضل بيد الله، ومن فضله النبوة والإسلام،
يؤتيه من يشاء من عباده، والله كثير الفضل، واسع العلم

عن هو أهل له - وقد شاء الله اختصاص محمد ﷺ وأمة بالقرآن. كانت أخبار اليهود تقول للذين من دونهم: ﴿ لا
تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ﴾، فأنزل الله: ﴿ قل: إن الهدى هدى الله ﴾.

٧٤- يختص الله برحمته، أي بالنبوة من شاء من عباده، ويختص المؤمنين بالفضل بما يريد، والله ذو الفضل الواسع.

٧٥- بعض أهل الكتاب إن تأتمنه على قنطار أو مال كثير، يرده إليك، وبعضهم إن اتتمته على دينار واحد أو أقل، لا
يرده إليك لطمعه، إلا ما دمت ملازماً له بالمطالبة والتقاضى، ذلك جحود الأمانة لأنهم قالوا: لا حرج علينا في ظلم
الأميين: العرب وغيرهم من الأمم غير أهل الكتاب، ولا ذنب في أكل أموالهم، لمخالفتهم لنا في الدين، وقد أحل الله لنا
أموالهم، ويفترون على الله الكذب بقولهم هذا، فهو مجرد اختلاق، وهم يعلمون يقيناً أن الله لم يحل لهم ذلك.

٧٦- بلى عليهم سبيل، أي مؤاخذه وذنب، لكذبهم واستحلال أموال العرب وغيرهم، وأكلها بالباطل، ومن وفى
بعهده الذي التزمه، وأدى الأمانة التي أوتمن عليها، وخاف الله، فلم يكذب ولم يستحل ما حرم عليه، استحق رضوان
الله، والله يرضى عن المتقين الذين يطيعون الأوامر، ويجتنبون النواهي.

٧٧- إن الذين يستبدلون بعهد الله: وهو ما أنزله في كتابه من الإيمان بالنبي وأداء الأمانة، وبإيمانهم الكاذبة، بدلاً حقيراً
ياخذونه من الدنيا، أو رشوة، وهو قليل وإن كثر، لعدم البركة فيه، أولئك لا نصيب لهم في نعيم الآخرة، ولا يكلمهم الله
كلام مودة، وإنما يغضب عليهم، ولا ينظر إليهم نظرة رحمة، ولا يطهرهم من الذنوب، ولهم عذاب مؤلم. روى
الشيخان وغيرهما أن الأشعث قال: كان بيني وبين رجل من اليهود أرض، فجحدي، فقدمته إلى النبي ﷺ،
فقال: ألك بيتة؟ قلت: لا، فقال لليهودي: احلف، فقلت: يا رسول الله، إذن يحلف، فيذهب مالي، فأنزل
الله: ﴿ إن الذين يشترون... ﴾.



٧٨- وإن فريقاً من اليهود يميلون ألستهم، ويحرقون التوراة، ويوجهونها إلى ما يريدون، لتظنوا أن الكلام المحرف من التوراة، وما هو في الحقيقة من الكتاب المتزك من الله، ويقولون عن هذا الكلام المحرف: هو من عند الله، وليس هو من عنده، وإنما هو كذب وافتراء، ويقولون على الله الكذب، وهم يعلمون أنهم كاذبون، وذلك من أعظم الآثام، قال ابن عباس عن هؤلاء المفتريين: هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الأشرف، غيروا التوراة، وكتبوا كتاباً بدلوها فيه صفة رسول الله ﷺ ثم أخذت بنو قريظة ما كتبوه، فخلطوه بالكتاب الذي عندهم.

٧٩- لا ينبغي لبشر ينزل الله عليه الكتاب، ويعلمه الحكمة (فقه الشريعة والعلم النافع) ويؤتية النبوة والرسالة، ثم يأمر الناس بعبادة نفسه من دون الله، ولكن يقول النبي لأتباعه: كونوا علماء فقهاء عاملين بما أمر الله، مطيعين لله طاعة تامة، بسبب تعليمكم كتاب الله للناس، ودراستكم ما جاء في التشريع من الأحكام والمواعظ. نزلت

الآية في النصارى، افتروا على عيسى عليه السلام ما لم يصح عنه، ولا ينبغي أن يقوله هو، ولا أحد من إخوانه النبيين.

٨٠- وليس لني أن يأمر باتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً آلهة من دون الله، وإنما ينهى عنه، وهل يعقل أن يأمركم النبي بالكفر بعد أن صرتم مسلمين متقادين لله؟!

٨١- واذكروا معشر أهل الكتاب حين أخذ الله العهد المؤكد على الأنبياء، لئن آتيتكم شيئاً من الكتاب والحكمة (فهم أسرار الشريعة) ثم جاءكم رسول مؤيد لما معكم، لتؤمنن به ولتنصرنه نصرأ مؤزرأ، وأخذتم على ذلكم عهدي المؤكد الذي يحمل صاحبه على الوفاء بما التزمه، وقال الأنبياء: أقررنا، قال الله: فليشهد بعضكم على بعض وبينوه للناس، وأنا شاهد على إقراركم وشهادتكم.

٨٢- فمن أعرض عن الإيمان بعد ذلك الميثاق والعهد المأخوذ على جميع الأمم، فأولئك هم الخارجون عن طاعة الله وحدوده.

٨٣- أيطلبون ديناً غير دين الله الخالق؟ وله أسلم طوعاً أو كرهاً، اختياراً أو جبراً، جميع من في السموات والأرض، من الملائكة والجن والإنس، وإليه يعودون يوم القيامة، فيجازي كل امرئ بما كسب.

وَأَنَّ مِنْهُمْ لَفِرْقًا شَلُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِخَسْبِهِ
مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
وَمَا هُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ
يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي
مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا يَكُنْ كُونُوا رَبَّيْحِينَ وَمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
الْكِتَابِ وَمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا
الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآ أَنبَأْتُمْ مِنْ
كُتُبٍ وَحِكْمَةٍ وَتُجَآءَ كُرْسُومًا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ
لَتؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ
إِبْرَئِيمَ قَالَ أَقْرَرْنَا قَالَ فَأَشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ
السَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَعَرِّدِينَ اللَّهُ بِيَعْقُوبَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ
فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

٨٤- قل أيها النبي لجميع الأمم: آمنا بالله وحده لا شريك له، وما أنزل علينا من القرآن، وما أنزل على إبراهيم من الصحف، وما أنزل الله من الآيات البينات على إسماعيل وإسحاق ولدي إبراهيم، ويعقوب بن إسحاق، والأسباط: أولاد يعقوب الاثني عشر، لا نفرق بين أحد من هؤلاء، كما فرقت اليهود والنصارى، بل نؤمن بهم جميعاً، ونحن له تعالى خاضعون، متقادون، مخلصون له العبادة.

٨٥- ومن يطلب ديناً غير الإسلام، فلن يقبل منه، وهو في عالم الآخرة من الذين خسروا أنفسهم واستحقوا العذاب. نزلت هذه الآية في الحارث بن سويد الأنصاري، ارتد عن الإسلام، هو واثنا عشر معه، ولحقوا بمكة كفاراً، فنزلت هذه الآية، ثم أرسل إلى أخيه يطلب التوبة، وأسلم بعد نزول الآيات.

٨٦- لا يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم، وهم اليهود والنصارى، كفروا بمحمد ﷺ بعد إيمانهم بأنه صاحب الأوصاف المذكورة في التوراة، وشهدوا أن الرسول حق أرسله الله، وجاءهم الحجج الظاهرات الدالة على صدق النبي، والله لا يوفق القوم الكافرين الذين آثروا الكفر على الإيمان. نزلت هذه الآية في

قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أَوَلَيْكَ جَزَاءُ مَن عَلَّمَهُمُ الْعِلْمَ وَاللَّهُ وَالْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ أَزْدَادًا كُفْرًا لَّن نَقْبَلُ تَوْبَهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفٰسِقُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفْرًا فَلَن نَقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِّثْلَ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أَفْتَدَىٰ بِهِ ﴿٩١﴾ أَوَلَيْكَ لَهْمُ عَذَابِ الْيَوْمِ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٩٢﴾

أهل الكتاب من اليهود والنصارى رأوا نعت النبي ﷺ في كتابهم، وأقروا بذلك، وشهدوا أنه حق، وكانوا يستفتحون به على المشركين، فلما بعث من غيرهم، حسدوا العرب على ذلك، وأنكروه، وكفروا به بعد إيمان سابق.

٨٧- أولئك الذين كفروا بعد إيمانهم جزاؤهم الطرد من رحمة الله، ولعنة الملائكة والناس جميعاً، وهذا عقاب المرتدين.

٨٨- وهم ماكثون في النار على الدوام، ولا يخفف عنهم العذاب، ولا هم يمهلون ويؤخرون لتوبة أو اعتذار، ثم استثنى التائبين في الآية التالية.

٨٩- إلا الذين تابوا من بعد الارتداد، وأمنوا، وأصلحوا العمل، وصدقوا التوبة، فالله كثير الغفران لمن تاب وأناب، رحيم بالتائبين.

٩٠- إن الذين كفروا بمحمد ﷺ بعد إيمانهم بصفاته، كما أبانت الآيات السابقة، ثم ازدادوا كفراً بمحاربهته وإيدائه والصد عن دينه والكيد للإسلام وأهله، لن تقبل توبتهم عن ذنب ما داموا كفراً، أو ماتوا كفراً، وأولئك هم الفالون الحائدون عن طريق الإيمان والحق وسبيل النجاة.

٩١- إن الذين ماتوا كفراً أصلياً أو بعد الردة، لن يقبل من أحدهم فدية ولو كانت ملء الأرض ذهباً، للنجاة من العذاب في النار، حتى ولو أمكنه أن يملك في ذلك اليوم ذهباً، أولئك لهم عذاب مؤلم يوم القيامة، وليس لهم أنصار ينجونهم من نار الله، جاء في الحديث الصحيح عند الشيخين: «جاء بالكافر يوم القيامة، فيقال له: أرايت لو كان لك ملء الأرض ذهباً، أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم، فيقال له: قد كنت سئلت ما هو أسير من ذلك».



لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ
 اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ كُلُّ الظَّالِمِ كَانَ حَلَالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ
 إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُزَّلَ التَّوْرَةُ فَلَمْ
 يَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَأَتَوْهَا بِإِنْ كُتِبَ صَدَقِينَ ﴿١٧﴾ فَمَنْ
 أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ
 الظَّالِمُونَ ﴿١٨﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا
 وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٩﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي
 بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ
 إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ
 مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ
 الْعَالَمِينَ ﴿٢١﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَرُكُونُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ
 شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنِ
 سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبِعُونَهَا وَعِوَاجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ
 عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ
 الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ ﴿٢٤﴾

٩٢- لن تصيبوا ثواب البر وهو الجنة، حتى
 تتصدقوا بما تحبون من خيار أموالكم، وأفضل النفقة:
 ما كان على الأهل والقرابة، وما تتصدقوا بشيء،
 فإله عليم به، يجازيكم عليه.

٩٣- كل الطعومات كانت حلالاً لبني إسرائيل،
 إلا ما حرم إسرائيل (وهو يعقوب بن إسحاق) على
 نفسه، حين مرض، فنذر إن عافاه الله ألا يأكل لحوم
 الإبل، ولا يشرب البانها، من قبل نزول التوراة على
 موسى، قل أيها النبي: فاتوا بالتوراة فافروا بها إن
 كنتم صادقين في ادعائكم تحريم لحوم الإبل والبانها في
 شرعكم.

٩٤- فمن كذب على الله بعد تلاوة التوراة والنظر
 فيها، فأولئك هم الظالمون لأنفسهم؛ لأنهم يجادلون
 بالباطل.

٩٥- قل أيها النبي: صدق الله فيما أخبر به، فاتبعوا
 ما يدعوكم إليه خاتم النبيين من اتباع ملة إبراهيم
 الحنيفة، فإن إبراهيم كان حنيفاً، أي مائلاً عن الباطل
 إلى الحق، وعن عقيدة الشرك إلى التوحيد.

٩٦- إن أول بيت وضع لعبادة الله في الأرض لكذي
 بناه إبراهيم في بكة (مكة)، وهو الكعبة المشرفة، كثير
 الخير والنفع، لكونه قبلة، ومركز توحيد الله وحده.

٩٧- في البيت الحرام علامات واضحات على تعظيمه واحترامه، منها مقام إبراهيم (الحجر الذي كان يقوم عليه
 أثناء بناء البيت) والحجر الأسود، والصفاء والمروة، وزمزم والحطيم، ومن دخله خائفاً صار آمناً على نفسه، وإليه
 يحج الناس، ومن كفر بهذه الآيات البيئات، وأنكر فريضة الحج، فالله غني عن العالمين وعبادتهم، لا تنفعه طاعة،
 ولا تضره معصية، وإنما الناس بحاجة إليه. لما نزلت: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً﴾ [آل عمران ٣ / ٨٥]
 قالت اليهود: فنحن مسلمون، فقال لهم النبي ص: ﴿فرض الله على المسلمين حج البيت، فقالوا: لم
 يكتب علينا، وأبوا أن يحجوا، فأنزل الله: ﴿ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾.

٩٨- قل أيها اليهود والنصارى: لم تحجدون بآيات الله الدالة على إثبات نبوة محمد ﷺ، والله مطلع عليكم
 حينما تصرون على الكفر بالقرآن وبدلائل الحق. نزلت حينما حرّض اليهود نفرأ من الأوس والخزرج في
 مجلس لهم على الاقتتال فيما بينهم.

٩٩- يا معشر اليهود والنصارى لم تمنعون الناس عن دين الله، وتلقون الشبهات في سبيل الإيمان بالله، وتكيدون
 للمسلمين بلقاء الفتنة بينهم؟ تريدون لسبيل الله اعوجاجاً وميلاً عن الحق والاستقامة، لتفروا الناس منها، والحال
 أنكم تشهدون أنها دين الله الحق، كما في كتبكم، وما الله بغافل عن أعمالكم الكيدية، وسيجازيكم عليها.

١٠٠- يا أيها المؤمنون إن تطيعوا فريقاً من اليهود بالإصغاء لدساتهم وأقوالهم، يردوكم كفراً بعد إيمانكم.
 نزلت كسابقتها حينما حاول اليهود إثارة الفتنة بين الأوس والخزرج.

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُسَلِّىٰ عَلَيْهِمْ أَيَّتُهَا آلَةُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ
 وَمَنْ يَعْتَصِرِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا
 وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا
 وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ
 قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ
 مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ
 لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلَتَكُنَّ نَبِيئَكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَىٰ
 الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ
 هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَحْكُمُوا بِالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا
 مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ هُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
 عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ يَبْيَضُ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا
 الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ عِلْمِكُمْ
 فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ كَافِرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ
 أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَبِإِذْنِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾

١٠١- وكيف يتأتى الكفر أو الجحود منكم أيها
 المؤمنون، وتعودون إلى ضلال الجاهلية، وأنتم
 تتلى عليكم آيات الله الأمرة بوحدة الصف
 والتوادد والبعد عن الخلاف، وفيكم رسول الله
 يرشدكم إلى الحق، ويخلصكم من ضلال
 الجاهلية وتاراتها وأحقادها؟ فارجعوا إليه، وإلى
 القرآن بعده، ومن يعتصم ويتمسك بكتاب الله
 ودينه، فقد هدي إلى طريق قويم واضح هو
 الإسلام.

١٠٢- يا أيها المؤمنون خافوا الله أشد الخوف بأن
 يطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر بنعمته، ويذكر
 فلا ينسى، واحرصوا على الإسلام قبل مفاجأة
 الموت. ذكر المفسرون أنه لما نزلت هذه الآية،
 قالوا: يا رسول الله، من يقوى على هذا؟
 وشق عليهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿فَاتَّقُوا
 اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن ١٦/٦٤].

١٠٣- وتمسكوا جميعاً بالقرآن وبدين الإسلام،
 ولا تفرقوا كما كنتم في الجاهلية، يحارب بعضهم
 بعضاً، ولا تختلفوا في الدين، وتذكروا أيها
 الأوس والخزرج نعمة الله عليكم بالاتلاف
 والاجتماع، والجمع على كلمة الإسلام، بعد أن

كنتم أعداء في الجاهلية، يقتل بعضكم بعضاً، وينهب بعضكم بعضاً، فأصبحتم بنعمة الله إخواناً متحابين في
 الله، مجتمعين على عبادته وطاعته، وكنتم على طرف حفرة من حفر جهنم، يوشك أن تقعوا فيها إذا متم
 كفاراً، فأنقذكم الله من النار وهذه الحفرة بالإيمان أو الإسلام وبعثة محمد ﷺ، ويمثل ذلك البيان الناصع
 يوضح الله لكم آياته الدالة على الخير والاتحاد، والتحذير من مكائد اليهود، لتتهتدوا إلى طريق الرشاد على
 الدوام، ولا تعودوا إلى أوضاع الجاهلية من التفرق والوثنية والعداوة.

١٠٤- ولتكن يا جماعة المؤمنين طائفة أوفية منكم، يقومون بواجب الدعوة بالتعليم والإرشاد إلى عمل
 الخير: وهو كل ما فيه صلاح الدنيا والآخرة، ويأمرون بالمعروف: وهو ما استحسنة الشرع والعقل السليم،
 وينهون عن المنكر: وهو كل ما استقبحة الشرع والعقل الصحيح، وتلك الطائفة القائمة بتلك المهمة: هم
 المختصون بالفوز برضا الله وحبته.

١٠٥- ولا تكونوا يا مسلمون متفرقين عن الحق، كتفرق اليهود والنصارى، ولا تختلفوا كاختلافهم في
 دينهم، من بعد مجيء الآيات الواضحة المبينة للحق، والموجبة للاتفاق والبعد عن الاختلاف، وأولئك
 الذين تفرقوا واختلفوا، لهم عذاب شديد كبير يوم القيامة.

١٠٦- لهم عذاب عظيم يوم القيامة حين تكون وجوه المؤمنين مشرقة بالسورور، ووجوه الكافرين مسودة
 بالكآبة والحزن، فأما الذين اسودت وجوههم، فيقال لهم على سبيل التوبيخ: أكفرتم بالرسول محمد بعد
 إيمانكم به، وعلمكم ببعثته، ولديكم أوصافه والبشارة به؟ فذوقوا العذاب بسبب كفركم في الدنيا.

١٠٧- وأما الذين أشرقت وجوههم بالإيمان، ففي الجنة ودار الكرامة (أثر الرحمة) هم فيها ما كانوا أبدأ.

١٠٨- تلك آيات القرآن نقصها عليك أيها النبي متلبسة بالحق وهو العدل، مقررة ما هو حق، ولا يريد الله ظلماً لأحد من العالمين: الإنس والجن، بتعذيبهم من غير ذنب.

١٠٩- والله حق التصرف في ملكه في السموات والأرض كما يشاء، فكل شيء في قبضته، وإلى الله ترجع جميع الأمور، لمجازاة المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

١١٠- أوجدكم الله خير أمة، وكنتم في علم الله على هذه الخيرية، فالأمة الإسلامية خير الأمم على الإطلاق، وخيريتهم بسبب الأمر بالمعروف: وهو ما استحسنته الشرع وأمر به، والنهي عن المنكر: وهو ما استكرهه الشرع من قول أو خلق أو عمل، ويسبب الإيمان بالله وحده لا شريك له، ولو آمن اليهود والنصارى برسالة النبي ﷺ لكان إيمانهم خيراً وأنفع لهم عند ربهم، ولكنهم لم يفعلوا، وكان بعضهم مؤمناً، وأكثرهم خارجون عن طريق الحق وطاعة الله ورسوله. نزلت في يهوديين قالوا لجماعة من المؤمنين: إن ديننا خير مما تدعوننا إليه، ونحن خير وأفضل منكم، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

١١١- لن يلحق بكم الفاسقون يا جماعة

المؤمنين ضرراً من أي نوع إلا بأذى اللسان من هجاء وطعن في الدين وإلقاء شبهات، وإن قاتلوكم فرؤوا منهزمين، ثم لا يتصرون عليكم ما دتمت مؤمنين حق الإيمان. نزلت حينما عمد رؤوس اليهود إلى مؤمنهم عبد الله بن سلام وأصحابه، فأذوهم لإسلامهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

١١٢- أحاطت بهم الذلّة من كل جانب، في أي مكان وجدوا، إلا إذا عصموا بمعاهدة ذمة أو أمان أو عقدوا عهداً مع غيرهم على عدم الإضرار، ولزمهم غضب من الله، وأحاطت بهم المهانة والاستكانة من جميع الجوانب، ذلك الغضب وغيره بسبب كفرهم بآيات الله في التوراة والقرآن، وقتلهم الأنبياء ظلماً وعدواناً، وذلك العقاب الذي ينزل بهم بسبب عصيانهم أوامر الله واعتدائهم.

١١٣- ليس أهل الكتاب متساوين في تلك الصفات، بل فيهم جماعة مؤمنة، يقرؤون آيات القرآن في ساعات الليل أثناء الصلاة، وهم يصلون لله تعالى. عبر بالسجود عن مجموع الصلاة، لما فيه من الخضوع والتذلل. نزلت حينما آمن عبد الله بن سلام وصحبه، فقالت أحبار اليهود: ما آمن بمحمد واتبعه إلا شرارنا، ولو كانوا خيارنا ما تركوا دين آبائهم، وذهبوا إلى غيره، فأنزل الله في ذلك هذه الآية.

١١٤- يؤمنون بالله وبالأخرة ويأمرون بالمعروف: وهو اتباع أوامر الله، وينهون عن المنكر: وهو ما أنكروه الشرع من قول أو عمل، ويبادرون إلى فعل الخيرات، وأولئك مع الصالحين وهم الصحابة.

١١٥- وما تفعل هذه الأمة من خير، فلن يضيع ثوابه، بل يجازون عليه، والله عليم بأهل التقوى، وتلك بشارة لهم بالقبول وحسن الثواب.

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَسْلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا
لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَاللَّهُ مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَافِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ
تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ
بِالمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ
الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهْمُ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ أَكْثَرُهُمُ الْفٰسِقُونَ
﴿١١٠﴾ لَنْ يَضُرَّوكُمُ الْإِنْفِئَةُ إِن يَبْتَلُواكُم بِتُلوٰكُمُ الْاَدْبَارَ
فَلَا يَضُرُّوكُمْ ﴿١١١﴾ ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ اَيْنَ مَا تُثَفُّوْا
الْاِجْحَالِ مِنَ اللَّهِ وَحَبَّلَ مِنَ النَّاسِ وِبِأَنَّهٗ وَبَغَضِبَ مِنَ اللَّهِ
وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ
بِأَيَّتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْاَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا
وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ اُمَّةٌ
قَالِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ اِنَّاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولٰٓئِكَ مِنَ الصّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾
وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾



إِنَّا الَّذِينَ كَفَرُوا لَمْ نَكُنْ عَنْهُمْ آمِنًا لَهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ
 سَيِّئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ
 مَا يَبْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ
 أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ
 وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ تَابَتْهَا الَّذِينَ آمَنُوا
 لَا يَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا بِالْأُولَى كَجِلاؤُنَا وَمَا عَشْتُمْ
 قَدِ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَوْلَاهُمْ وَمَا نَحْنِي صُدُّوهُمْ أَكْبَرُ
 قَدِ يَتَّبِعُونَ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَسَّانَتْ
 أَوْلَادَهُمْ يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ
 كُلِّهِ وَإِنَّا لَمُتَوَكِّفُونَ أَمَانًا وَإِنَّا لَخَالِدُونَ عَلَيْكُمْ الْأَمَلِ
 مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مَوْتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنْ أَلَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بَدَاتِ
 الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِنْ تَمَسَسْتُمْ حَسَنَةً سَوْفَ هُمْ وَإِنْ نَصَبْتُمْ
 سَيِّئَةً نَفَرُوا بِهَا وَإِنْ نَصَبْتُمْ وَإِنْ تَقَوُّوا لِابْتِغَاءِ كَيْدِهِمْ
 سَيِّئًا إِنْ أَلَّ اللَّهُ تَمَّاعِلُونَ مَحِيظٌ ﴿١٢٠﴾ وَأَذَعَدْتُمْ مِنْ
 أَهْلِكِ تَبَوُّؤِ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدًا لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾

١١٦- إن الذين كفروا لن تنفعهم أموالهم ولا أولادهم، ولن تدفع عنهم شيئاً من عذاب الله الذي يريد إيقاعه بهم، وهم أصحاب النار ما يكون فيها على الدوام.

١١٧- حال ما يفتق هؤلاء الكفار من الصدقات والخيرات في محاربة الرسول، في الدنيا، في ذهابها وبطلان أثرها وزوالها كمثل أو حال ریح باردة أصابت زرع قوم ظلموا أنفسهم بالكفر، فأحرقته أو أهلكته، وما ظلمهم الله بتبديد ثواب أعمالهم، ولكن ظلموا أنفسهم بإضاعة أموالهم في مقاومة دين الله الذي لا يغلب. وهذا تشبيه مركب.

١١٨- يا أيها المؤمنون لا تتخذوا أمناء الأسرار من غير المسلمين، لا يقصرون في خديعتكم وإفساد أمركم والمكر بكم، والخبال: فساد العقل والبدن والفعل، بل يجتهدون في إلحاق الأذى بكم، تمنوا إيقاعكم في المشقة والضرر، ظهرت شدة البغضاء والعداوة لكم في كلامهم وإفشاء أسراركم، لما تضمنه قلوبهم من الحسد والحقد، وما تخفي صدورهم من العداوة أشد مما يظهره، قد أوضحنا لكم دلائل شدة عداوتهم لكم، إن عقلتم وميزتم ما أوضحناه، واتعظتم به. قال ابن عباس: كان رجال من المسلمين يواصلون رجالاً من يهود، لما كان

بينهم من الجوار والحلف في الجاهلية، فأنزل الله فيهم، ينهاهم عن مبايحتهم، بسبب تخوف الفتنة عليهم: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دُونِكُمْ... ﴾

١١٩- أيها المؤمنون الذين اتخذتم غيركم بطانة لكم، أنتم تودونهم وتحبونهم، وهم لا يودونكم ولا يحبونكم، بل يبطنون لكم العداوة، والحال أنكم تؤمنون بجميع ما أنزل الله من الكتب على أنبيائه، ومنها كتابهم، وهم يكفرون بكتابتكم، وإذا قابلوكم قالوا لكم نفاقاً وتقيّة: صدقنا برسالة نبيكم، وإذا فارقوكم واختلى بعضهم مع بعض، عضواً أطراف الأصابع، كناية عن شدة غيظهم من قوة المؤمنين واتلافهم، وتأسفاً وتحسراً، حيث لم يتمكنوا من الانتقام منكم، قل لهم يا نبي الله، موتوا بغيبظكم أي ابقوا عليه إلى الموت، فإن الله مظهر دينه وامت نعمته على المؤمنين، والله عليم بما في القلوب والخواطر القائمة بها، ومنها ما يضررونه من الشر.

١٢٠- إن تصيبكم أيها المؤمنون نعمة كنصر أو غنمة أو قوة مثلاً، تحزنهم وتضايقهم، وإن تصيبكم نقمة كهزيمة وقحط، يفرحوا بها، لشماتتهم وكراهيتهم، وإن تصبروا على أذاهم وعداوتهم، وتتقوا الله وتركوا مواليتهم، لا يضرهم تدبيرهم الماكر لكم؛ لأنكم في رعاية الله، إن الله مطلع على أعمالهم، قادر على إحباطها.

١٢١- واذكري يا نبي الله حين خرجت في الصباح، من المنزل الذي فيه أهلك، تنزل وترتب المؤمنين في أماكن أو مراكز مناسبة للقتال، في معركة أحد، والله سميع لكل شيء من الأقوال والأصوات، عليم بالأحوال والشؤون. وهذا انتقال لذكريات الحرب في بدر وأحد، ليتعظ اليهود، ويدركوا مصيرهم إذا حاربهم المسلمون. نزلت في قصة المؤمنين يوم أحد، هي وما بعدها بمقدار ستين آية.

١٢٢- اذكر حين همت طافتان كانتا جناحي العسكر يوم أحد وهما بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس أن ترجعا عن القتال مع النبي ﷺ، والله حافظهما من التراجع، وإلى الله وحده، فليفوض المؤمنون أمورهم إليه.

١٢٣- ولقد نصركم الله أيها المؤمنون بيدر: موضع بين المدينة وجدة، وأنتم قليلون ضعفاء لقله عددكم وعتادكم أمام عدوكم، فاخشوا الله واثبتوا مع رسوله، لتشكروا الله على نعمة النصر. هذا تذكير بموقعة بدر للإعلام بأن النصر مع الصبر.

١٢٤- اذكر أيها النبي حين قلت للمؤمنين، وهم يتضرعون إلى الله لينصرهم على عدوهم: ألا يكفيكم لتطمئنوا أن يدرككم الله بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين من السماء لمساعدتكم.

١٢٥- نعم يكفيكم ذلك، إن صبرتم على لقاء العدو، واثقيتم الله والمعاصي، وأتاكم المشركون لقتالكم فجأة من ساعتهم، يدرككم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة معلمين أنفسهم أو خيلهم بعلامات، كما يُعلم الشجعان أنفسهم بعصاة حمراء، ليعرف مكانهم.

١٢٦- وما جعل الله وعده بالإمداد إلا بشرى لكم

بالنصر، ولتسكن قلوبكم بذلك، فلا تضطرب، والنصر من عند الله وحده، لا من عند غيره، فهو القوي الغالب المنتقم من الأعداء، الحكيم في صنعه وتدييره.

١٢٧- وكان النصر بيدر ليهلك طائفة من الكفار، وهم الذين قتلوا بيدر، أو يحزنهم بالهزيمة، فيرجعوا غير ظافرين بمطلبهم.

١٢٨- ليس لك أيها النبي من الأمر شيء، بل أمرهم بيد الله، يصنع بهم ما يشاء من الإهلاك أو الهزيمة، أو التوبة عليهم بإسلامهم، أو تعذيبهم على كفرهم، فإنهم يستحقون العقاب إن لم يؤمنوا، وفيه تلميح بإيمان قريش. قال أنس: إن النبي ﷺ يوم أحد كسرت رباعيته، وشج رأسه، حتى سال الدم على وجهه، فقال: كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم، وهو يدعوهم إلى ربهم؟ فأنزل الله الآية.

١٢٩- ثم أبان الله سعة ملكه، فذكر أن له ملك جميع ما في السموات والأرض وما بينهما من المخلوقات، يغفر لمن يشاء المغفرة له بفضلته، ويعذب من يشاء عذابه بعدله، والله كثير الغفران، رحيم بالمستغفرين. وفيه إشارة إلى أن رحمته سبقت غضبه.

١٣٠- ثم ذكر في قصة أحد أمر الربا ليرتكو ذلك، ويدلوا أموالهم في سبيل الله، فقال الله: لا تتعاملوا بالربا، ولا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة كما كنتم في الجاهلية، وخافوا عقاب الله بأكل الربا، لتفوزوا في الدنيا والآخرة. كانوا يبتاعون إلى الأجل، فإذا حل الأجل، زادوا عليهم، وزادوا في الأجل، فنزلت الآية.

١٣١- وخافوا أيها المؤمنون نار جهنم التي هيأها الله للكفار، أي إن أكل الربا شأن الكفار، لا شأن للمؤمنين.

١٣٢- وأطيعوا الله ورسوله فيما جاء به الأمر والنهي الصريحان لكي تكونوا بالطاعة أهلاً لرحمة الله.

إِذْ هَمَّتْ طَافِتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَابِتُهُمَا وَعَلَى اللَّهِ
فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٧﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ
فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ ﴿١٢٨﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ
أَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
مُتَرَلِّينَ ﴿١٢٩﴾ بَلَى إِنْ نَصَرْتُمْ وَتَّقُوا وَأُتُوا كَرِهًا فَرِهًا
هَذَا يُمَدُّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٣٠﴾
وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلَطْمِئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ
وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٣١﴾ لِيَقْطَعَ
طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَاسِبِينَ ﴿١٣٢﴾
لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ
ظَالِمُونَ ﴿١٣٣﴾ وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ
لِيْسَاءٍ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٣٤﴾
يَسْأَلُ الَّذِينَ آمَنُوا لَأَتَّكُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً
وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٥﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ
لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٧﴾

﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَلَظِيمِ أَعْيُظُ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَنْ يَسْرِ إِلَّا اللَّهُ وَالْمُرْتَضِينَ وَعَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَئِكَ جَزَاءُ مَنْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّتْ تَحْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَنْ تَجَرَّأَ عَلَى الْعِبَادِ ﴿١٣٦﴾ قَدْ حَلَّتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِنْ يَسْتَكْبِرْ فَوَجَّعْنَا لَهُمْ فَجًّا مِثْلَهُ الَّذِي كَفَرُوا بِتِلْكَ الْأَيَّامِ نَدَاؤُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيَحْضُرَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَحْيِيَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٤١﴾

١٣٣- ويبادروا إلى أسباب المغفرة من التوبة والطاعة، والقبول من ربكم، وإلى ما يوصل إلى جنة واسعة، عرضها السموات والأرض أوسع مخلوقات الله، وقد أعدت للمتقين: المتبتدين عن المعاصي، ومن أكبرها أكل الربا.

١٣٤- ومن صفات المتقين: الذين ينفقون أموالهم في مرضاة الله، والذين يكتفون غضبيهم بالصبر، مع قدرتهم على إظهاره، فلا يظلمون أحداً، والله يرضى عن المحسنين في أعمالهم.

١٣٥- والذين إذا ارتكبوا فعلة فاحشة: وهي كل معصية كبيرة كالزنا والقتل، أو ظلموا أنفسهم باقتراف الذنب الصغير، استحضروا عظمة الله، وتذكروا وعيد الله وعقابه بألستهم وعقولهم، فطلبوا المغفرة لها من الله، ولا يغفر الذنوب إلا الله، ولم يبقوا على ذنوبهم - والإصرار: العزم على معاودة الذنب والاستمرار عليه - وهم يعلمون خطورة الذنب، وأن الإصرار عليه من الكبائر. نزلت في نهبان الثمار أبي مقبل، أتمته امرأة حسناء، باع منها تمراً، فضمها إلى نفسه وقبلها، ثم ندم على ذلك، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فنزلت هذه الآية.

١٣٦- أولئك المتقون بالأوصاف المذكورة ثوابهم:

مغفرة على ذنوبهم من ربهم، والظفر بجنت (ساتين)

تجري من تحت أشجارها ومسكنها الأنهار، وهم مقيمون فيها أبداً، ونعم ثواب المطيعين: وهو الجنة.

١٣٧- قد مضت من قبل وجودكم معشر البشر سنن (طرائق) الله في عقاب الظالمين بإهلاكهم لتكذيبهم أنبياءهم، ونصر المؤمنين، فإن شكركم فسروا في الأرض بقصد الاعتبار، فانظروا مصير المكذبين رسلكم، وأثار الأمم البائدة.

١٣٨- هذا المذكور في القرآن من التأمل في قصص الظلمة: بيان للمكذبين وغيرهم، وهداية من الضلالة، وإرشاد للخير، وعظة وعبرة للمتقين وهدمهم؛ لانتفاعهم بالموعظة دون غيرهم.

١٣٩- ولا تضعفوا عن قتال الكفار، ولا تحزنوا على ما نالكم يوم أحد من القتل والجراح، وأنتم الأعلى منزلة، المنصورون على أعدائكم، إن كنتم مؤمنين حق الإيمان بالله ورسوله. نزلت لمواساة النبي ﷺ والمؤمنين فيما أصابهم يوم أحد.

١٤٠- إن أصابكم أيها المؤمنون جراح وقتل يوم أحد، فقد أصاب الكفار مثله يوم بدر، أي إن نالوا منكم في أحد، فقد نلتهم منهم في بدر، وتلك أيام الدنيا من نصر وهزيمة نداولها بين الناس، فيكون النصر يوماً لهؤلاء، ويوماً لأولئك، وليظهر الله علمه في المؤمنين، ويختبر مدى إيمانهم وصبرهم على الشدائد، ويكرم بعضهم بالشهادة في سبيله، وسموا شهداء لشهادتهم على من قتلهم ظلماً وعدواناً، والله يعاقب الظالمين الكافرين. نزلت حينما قالت امرأة لرجلين بعد أحداث أحد: ما فعل رسول الله؟ قالوا: حي، قالت: فلا أبالي، يتخذ الله من عباده الشهداء، ونزل القرآن على ما قالت: ﴿ ويتخذ منكم شهداء ﴾.

١٤١- وليطهر ويخلص المؤمنين من ذنوبهم، ويهلك ويستأصل الكافرين بسبب عنادهم.

١٤٢- أظنتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين صبروا؟! ولما يتبين في حياتكم الذين جاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، ويعلم الصابرين الذين يثبتون في القتال.

١٤٣- ولقد كنتم أيها المؤمنون تسمنون الشهادة في سبيل الله قبل موقعة أحد، من قبل مشاهدة القتال وأهواله، فقد رأيتم أسباب الموت قريباً منكم، وأنتم تتأملون الحال كيف هي، فلم انهزمت؟! عن ابن عباس: أن رجالاً من الصحابة كانوا يقولون: ليتنا نقتل كما قتل أصحاب بدر، فاشهدهم الله أحداً، فلم يلبثوا إلا من شاء منهم، فأنزل الله الآية.

١٤٤- وما محمد إلا رسول كسائر الرسل من البشر، قد مضت من قبله الرسل وماتوا عند انتهاء آجالهم، أفان مات أو قتل كغيره من الناس، رجعتكم كفاراً بعد إيمانكم؟! ومن يرتدد منكم عن دينه، فلن يضرك الله شيئاً، وإنما يضرك الله على ما صنع، وسيجزى الله الشاكرين جزاء حسناً لثباتهم على دينهم، نزلت لما هزم المسلمون في أحد، وأشيع أن النبي ﷺ قتل، فقال قائل: قد

أصيب محمد فأعطوا بأيديكم، فإنما هم إخوانكم، ورأى عمر الناس يتراجعون، فنزلت هذه الآية: ﴿وما محمد إلا رسول﴾.

١٤٥- ليس لنفس أن تموت إلا بقضاء الله وقدره، وكتب الله الموت على كل نفس كتاباً ذا أجل محدود، ومن يرد بعمله ثواب الدنيا كالغنيمة ونحوها، نعطه من ثوابها المقدر له، ومن يرد بعمله ثواب الآخرة، وهو الجنة، نعطه من ثوابها ونضاعف حسنته، وستجزى جزاء وافر الشاكرين، أي الثابتين على دينهم، المطيعين أوامر ربهم كالقتال والصبر.

١٤٦- وكثير من الأنبياء قاتلوا أعداء الله، وقاتل معهم العلماء والعباد الربانيون المنسوبون إلى الرب، لشدة تمسكهم بطاعة الله، فما جئوا عن القتال لما أصابهم من القتل والجراح في سبيل إعلاء كلمة الله، أو لقتل قائدهم، وما ضعضعوا عن ملاقاته عدوهم، وما خضعوا وذلوا له، بل ثبتوا وصبروا، والله يثيب الصابرين في الجهاد وغيره. والفرق بين الألفاظ الثلاثة: أن الوهن في القلب، والضعف في الجسد، والاستكانة: الاستسلام للعدو.

١٤٧- وما كان قول أولئك الربانيين الذين كانوا مع الأنبياء عند لقاء عدوهم، إلا أن قالوا: ربنا اغفر لنا ذنوبنا الصغائر، وخطايانا الكبائر التي تجاوزنا بها حدودك، ورسخ أقدامنا في القتال بتقوية قلوبنا على الجهاد حتى لا نفرأو نهزم، وانصرتنا على الكافرين، نصرأ مؤزرأ ينتصر به دينك.

أَوْحَيْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّونَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ سَاطِرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ مَيِّتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَذَبُوا بَعْدَ مَا بُرِّدُوا مِنْ رُبِّهِمْ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَسْرَأْتُمْ فِي أَمْرِكُمْ وَإِنَّكُمْ لَأَقْدَامَكُمُ وَالنَّصْرُ لَكُمْ وَاللَّهُ يَكْفُرُ عَنِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾

فَأَسْأَلُهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ
 يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِبُّوا
 الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنَالِبُوا
 حَسِيرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ
 ﴿١٥٠﴾ سَنَلِقُوا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ بِمَا أَسْرَفُوا
 بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ
 مَثْوًى لِّلظَالِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ
 اتَّخَذْتُمْ بِأَذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ
 فِي الْأَرْضِ وَوَعَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ
 مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ
 صَرَّفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ
 ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ إِذْ تَضَعُونَ
 وَلَا تَلْمِزُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَلَا تَرْسُولَ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَاكُمْ
 فَأَنْتُمْ كَغَمَّابِعْمٍ لَكَيْلًا تَخْرُجُونَ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ
 وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾

١٤٨ - فأعطاهم الله بسبب جهادهم وصبرهم ثواب الدنيا من النصر والغنيمة، والثواب الحسن في الآخرة، وهو الجنة ونعيمها، والله يرضى عن المحسنين الذين يخلصون في أعمالهم لله تعالى.

١٤٩ - يا أيها المؤمنون إن تطيعوا الذين كفروا في ترك الجهاد والاستسلام للعدو، يرجعوكم إلى الكفر بعد الإسلام، فتصبحوا مغبونين أذلاء في الدنيا، معذيين في الآخرة. قال علي رضي الله عنه: نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة في أحد: ارجعوا إلى إخوانكم، وادخلوا في دينهم.

١٥٠ - بل الله متولي أموركم وناصركم، لا حاجة لنصرة أحد، فلا ترجعوا إلى المشركين، ولا تتولوهم، واعتصموا بالله، وهو خير من نصر وأقدر من غلب.

١٥١ - سنملا قلوب الكفار خوفاً بالرغم من انتصارهم، بسبب إشراكهم بالله شركاً لا برهان ولا حجة عليه، ومسكنهم في الآخرة نار جهنم، وقبح مقام الكفار النار. نزلت لما عزم المشركون بقيادة أبي سفيان بعد أحد على العودة لاستئصال المسلمين، فلما عزموا على ذلك،

ألقى الله تعالى في قلوبهم الرعب، حتى رجعوا عما هموا به، وأنزل الله تعالى هذه الآية.

١٥٢ - ولقد صدقكم الله وعده بالنصر يوم أحد، حين بدأت تقتلونهم وتستأصلونهم بتيسيره تعالى وإرادته، حتى إذا جبتكم وضعفتكم عن القتال واختلقتم أيها الرماة فوق الجبل في شأن البقاء في أماكنكم، أو اللحاق بالغانم، وعصيتهم أمر نبيكم بترك مركزكم على الجبل لطلب الغنيمة، من بعد رؤية ما تحبون من النصر على المشركين، وسبب التنازع: أن منكم من يريد الغنيمة، ومنكم من يريد الآخرة بالثبات في مراكزهم فاستشهدوا، ثم ردكم عنهم منهزمين بعد أن استوليت عليهم، ليمتحنكم ويختبر إيمانكم، أي يعاملكم معاملة من يختبركم، ليظهر للناس الصادق والمنافق، ولقد عفا الله عنكم حيث ندمتم على مخالفة أمر النبي ﷺ، والله صاحب الفضل على المؤمنين، بالعفو عنهم، وعدم استئصالهم. نزلت لما قال بعض المسلمين يوم أحد: من أين أصابنا هذا، وقد وعدنا الله النصر؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية. وذلك أنهم انتصروا في الابتداء، ثم انهزموا لما اشتغلوا بالغنيمة، وترك الرماة مراكزهم على الجبل طلباً للغنيمة.

١٥٣ - اذكروا إذ تذهبون بعيداً في الوادي فارين من القتال، هارين، ولا يلتفت بعضكم إلى بعض خوفاً وذعراً، والرسول من خلف ظهوركم يناديكم: هلموا إلي عباد الله، يناديكم لترجعوا، فلم تستجيبوا، فجازاكم الله غماً (كرباً شديداً) بهزيمتكم، بسبب غم النبي ﷺ بمخالفة أمره وعصيانتكم، لأجل ألا تمزقوا بعد هذا الدرس البليغ على ما فاتكم من النصر والغنيمة، ولا على ما أصابكم من الجراح والقتل والانهازم، والله مطلع على أعمالكم، فيجازيكم جزاء وفاقاً.

١٥٤- ثم أنزل الله عليكم أيها المؤمنون من بعد الكرب والهم أمناء، فأزال الخوف، وألقى عليكم النعاس (الفتور قبل النوم) للتنشيط والقوة والثبات، رحمة بكم، يغطي النعاس فشة منكم، هم الصادقون الذين خرجوا للقتال بقصد الثواب، والفشة الأخرى، وهم المنافقون لا هم لهم إلا نجاة أنفسهم، يظنون ظناً باطلاً أن الله لن ينصر نبيه محمداً ﷺ وأصحابه، كظن الجاهليين المشركين، حين يقول المنافقون للنبي ﷺ: هل لنا من النصر وقهر العدو شيء من الغنيمة؟! قل لهم أيها الرسول: إن النصر بيد الله، يكتُمون في أنفسهم من النفاق والكفر، ما لا يظهرون لك من أقوالهم ونواياهم، يقولون في أنفسهم: لو كان لنا من أمر الخروج لقتال المشركين شيء من الحرية والاختيار ما خرجنا ولا قتل بعضنا هنا، ولكننا أخرجنا كرهاً، قل لهم أيها النبي: لو كنتم في منازلكم لخرج المكتوب عليهم القتل من بينكم إلى مصارعهم التي يموتون فيها ويصرعون؛ لأن قضاء الله لا يرد، والأجل محتوم، وليختبر الله ما في صدوركم من الإخلاص ويكشفه أمام الناس، ويميز ما في قلوبكم من الإيمان أو النفاق، والله عليم بما في القلوب أي خفايا النفوس، لا يخفى عليه شيء.

نزلت حينما اشتد الخوف على المؤمنين يوم أحد، وناموا، وقال بعض المنافقين: لو كان لنا من الأمر شيء، ما قتلناها هنا، فأنزل الله في ذلك: ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم...﴾ إلى آخر الآية.

١٥٥- إن الذين انهزموا يوم أحد يوم التقاء الجمعين من المؤمنين والمشركين، إنما أوقعهم الشيطان في الزلة أو الخطيئة وهي الانهزام، بسبب ذنبهم، وهو مخالفة أمر النبي ﷺ، ولقد صفح الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم، إن الله كثير المغفرة لمن تاب، حلیم لا يعجل بعقوبة أهل الذنب.

١٥٦- يا أيها المؤمنون لا تكونوا كالمنافقين بزعامة عبد الله بن أبي الذين كفروا بالله، وقالوا عن إخوانهم في الكفر والمودة، إذا سافروا للتجارة مثلاً، أو كانوا غزاة خارجين للقتال، فماتوا في السفر أو قتلوا في الحرب: لو كانوا باقين في ديارهم ولم يخرجوا: ما ماتوا ولا قتلوا، بسبب عدم إيمانهم بالقضاء والقدر، ليجعل الله ذلك القول في عاقبة أمرهم تحسراً أو ندامة في قلوبهم، والله هو المحيي والمميت في السفر أو في القتال أو في غيرهما، فلا تتحسروا أيها المؤمنون على من استشهد منكم، واصبروا، فإن الموت بيد الله وقدره، والله مطلع على أعمالكم ومجازيكم عليها.

١٥٧- ولئن قتلتم أيها المؤمنون في الجهاد أو متم في سفر أو غيره، فإن مغفرة الله لذنوبكم، ورحمته بكم بدخول الجنة خير مما تجمعون من حطام الدنيا ومنافعها ومتاعها.

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نَاعَسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ لَاقِي ظُنِّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخَفِّفُ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يَبْذُرُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كُنَّا لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْلِغَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَيُنْجِصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَى لَوْ كَانُوا عِدَدًا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّرُ وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ مَعْرَةً مِنْ لَدُنْهُ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٨﴾

وَلَنْ تُنْشَأَ أَوْ تُنْشَأَ لِي إِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَا تُرْكُتَ فَمَا غَلِظَ الْقَلْبَ لَا نَفْسُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَسَأَوْنَهُمْ فِي الْآخِرَةِ فَاذًا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِنْ يَصْرِكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَجِدْكُمْ مِنْ ذَا الَّذِي يَصْرِكُمْ مِنْ بَعْدِكُمْ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغُلَّ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَنْ بِيَاءَ يَسْخَطُ مِنَ اللَّهِ وَمَا لَهُ مِنْ جَنَّةٍ وَيَسَّرُ الْمَصِيرَ ﴿١٦٢﴾ هُدًى رَجَحْتَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لِي سَلَّ مُبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوْلَاكَ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مَثَلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنْ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾

١٥٨- ولئن متم أو قتلتم في أي مكان بالسفر أو بالجهاد وغيرهما، لتحشرون أي تجمعون إلى الله وحده في الآخرة للحساب والجزاء، أي أن موت بعض إخوانكم يعقبه لقاء في الآخرة.

١٥٩- أيها الرسول إن اللين (السهولة وسعة الصدر) في معاملة قومك ما كان إلا بسبب رحمة وضمها الله في قلبك، لتأليف القلوب ونشر الدين، ولو كنت فظاً (سبى الخلق شرس الطباع) قاسي القلب لا شفقة عندك، لانصرف قومك من حولك وتفرقوا عنك، فتجاوز عما أتوه من زلات، واطلب المغفرة لهم من الله، واستشرهم في أمور الدين والدنيا، مما لم يرد به الشرع أو لم ينزل فيه وحى، فإذا صممت على تنفيذ أمر بعد المشاورة، فامض على ما عازمت عليه مفوضاً أمرك إلى الله واثقأ به، إن الله يرضى عن المتوكلين الذين يفوضون أمورهم إليه. والتوكل: الاعتماد على الله في كل أمر.

١٦٠- إن أيديكم الله ينصره كما في بدر، فلا غالب لكم من أحد، فاتكلوا عليه وثقوا به، وإن يترك إعانتكم أو يخذلكم كما في أحد، فلن تجددوا أحداً ينصركم من بعد الله أبداً، وعلى الله فليتوكل المؤمنون أي ليفوضوا أمورهم إليه، فهو مصدر النصر بعد اتخاذ الأسباب والإعداد والكفاح اللازم.

١٦١- ما صحح وما تأتى لنبي أن يغلل، أي يخون في الغنيمة بأخذ شيء منها قبل قسمتها، ومن يخن، يأت بما أخذه خيانة يوم القيامة للحساب عليه، ثم تجد وتعطى كل نفس جزاء عملها وأفياً تاماً، وهم لا يظلمون شيئاً من نقص ثواب أو زيادة عقاب. قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في قطيفة حمراء، افتقدت يوم بدر، فقال بعض الناس: لعل رسول الله ﷺ أخذها، فأنزل الله: ﴿ما كان لنبي أن يغلل﴾.

١٦٢- ليس من اتبع رضوان الله في أوامره ونواهيه وعمل بطاعة الله كالأنبياء؛ كغيرهم ممن غل أو عصى ورجع بسخط (غضب شديد) من الله، ومقره جهنم، وبئس المرجع الذي ينتظره.

١٦٣- الناس درجات عند الله في الآخرة بحسب أعمالهم، فدرجات أهل الرضوان ليست كدرجات أهل السخط الإلهي، والله مطلع على أعمالكم، فمجاز عليها من خير أو شر.

١٦٤- لقد أنعم الله وتفضل على المؤمنين، حين أرسل فيهم رسولاً بشراً عربياً من جنسهم، يقرأ عليهم آيات القرآن بعد أن كانوا في جاهلية لا يعرفون الشرائع، ويظهرهم من دنس الكفر والآثام، ويعلمهم القرآن والسنة، وإن كانوا من قبل بعة هذا الرسول لفي انحراف واضح، وجهل ظاهر.

١٦٥- أو حين أصابكم مصيبة يوم أحد، يقتل سبعين منكم، وكنتم قد أصبتم يوم بدر مثلي ذلك، فقتلتم سبعين وأسرتم سبعين، قتلتم: من أين أصابنا هذا الانهزام والقتل؟ ونحن مسلمون، نقاتل في سبيل الله، وفينا رسول الله! قل لهم أيها النبي: أصابكم ذلك بسبب من أنفسكم: وهو ترك الطاعة أو مخالفة الأمر، إن الله قادر على كل شيء وحال. نزلت عقاباً للمسلمين بما صنعوا يوم أحد، من ترك الرماة الجبل، ومخالفة أمر القائد النبي ﷺ.

١٦٦- وما أصابكم من قتل وجراح وهزيمة يوم التقاء جمعي المؤمنين والمشركين في أحد، فبقضاء الله وقدره، وليظهر لكم شأن المؤمنين الصادقين الصابرين .

١٦٧- ومن فوائد ذلك المصاب: أن يميز الله المنافقين: عبد الله بن أبي وأصحابه، والذين قيل لهم: تعالوا قاتلوا من أجل إعلاء كلمة الله إن كنتم مؤمنين، أو دافعوا عن أنفسكم وأموالكم ودياركم إن لم تقاتلوا في سبيل الله ولم تؤمنوا بالله واليوم الآخر، قالوا: لو نعلم أنه سيكون قتال، لذهبنا معكم وقاتلنا معكم، ولكننا نعلم أنكم لا تقاتلون لعدم التكافؤ بين الفريقين، إنهم يوم قالوا هذا أقرب للكفر منهم للإيمان، والله أعلم بما يكتمونه من النفاق. قال الزهري وغيره: خرج رسول الله ﷺ إلى أحد في ألف رجل من أصحابه، فلما كانوا بالشوط بين أحد والمدينة، انخزل (مشى في تشاقل) عنهم عبد الله بن أبي ثلث الناس، وقال: أطاعهم وعصاني، والله ما ندري علام نقتل أنفسنا ها هنا؟ فرجع بمن تبعه .

١٦٨- المنافقون الذين لم يخرجوا مع المؤمنين لقتال المشركين في أحد قالوا لإخوانهم في النفاق: لو أطاعنا قتلى أحد في عدم الخروج من المدينة، ما قتلوا يومئذ، قل لهم أيها النبي: فادفعوا عن أنفسكم الموت إذا جاء الأجل، إن صدقتم في أن التخلف أو القعود ينجي من الموت، أي لا ينفع الحذر

من القدر، فإن القتل يموت بأجله .

١٦٩- ولا تظنن أيها النبي وكل سامع أن الذين يستشهدون في أحد وغير ذلك من المعارك هم أموات، بل هم أحياء حياة برزخية خاصة، لا يعلم حقيقتها إلا الله تعالى . جاء في الحديث الثابت: أن أرواح الشهداء في أجواف طير خضر، وأنهم في الجنة يرزقون ويأكلون، وأخبر النبي بذلك عن شهداء أحد، فأنزل الله هذه الآية: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا...﴾ .

١٧٠- أولئك الشهداء هم عند ربهم مسرورون بما أعطاهم الله من الثواب والتكريم، ويستبشرون خيراً ويفرحون بما سيلاقه إخوانهم المجاهدون الذين تركوهم أحياء بعدهم، بأنهم لا خوف عليهم من مكروه، ولا يحزنون لفوات محبوب في الدنيا .

١٧١- يسرون بما أنعم الله عليهم وكرمهم، ويفرحون لإخوانهم المؤمنين للمجاهدين بما وجدوه من الجنة والرضوان، وأن الله لا يضيع أجر مؤمن عمل صالحاً، بل يزيدهم من فضله .

١٧٢- الذين أطاعوا الله ورسوله في خروجهم للقتال، من بعد تعرضهم في أحد لإصابات الجراح، لهؤلاء الذين أحسنوا العمل بالطاعة والجهاد، ثواب جزيل . نزلت حينما نذب النبي ﷺ أصحابه للخروج معه لمطاردة جيش أبي سفيان بعد أحد، ونزلوا في بدر الصغرى وكان عددهم سبعين رجلاً، ساروا في طلب أبي سفيان، حتى بلغوا الصفراء، فأنزل الله: ﴿الذين استجابوا﴾ .

١٧٣- الذين قال لهم الناس (أعرابي أرسله أبو سفيان) في غزوة حمراء الأسد بعد غزوة أحد: إن الناس (مشركي مكة) قد حشدوا لكم الجموع الكثيرة لقتالكم، فاحذروهم، فزادهم ذلك القول تصديقاً بالله، وقالوا: كافينا الله أمرهم، ونعم المفوض إليه الأمر، وخرجوا حتى أتوا سوق بدر، وألقى الله الرعب في قلب أبي سفيان وأصحابه، فلم يأتوا، وكان النبي ﷺ قد قال: والذي نفسي بيده لأخرجن ولو لم يخرج معي أحد .



١٧٤- فرجع هؤلاء الخارجون للقتال بعد معركة أحد خلف جيش قريش بسلامة وعافية من عدوهم، وأجر عظيم تفضل الله به عليهم، لم يتعرضوا لأذى أو مكروه من قتل أو جرح، لترك العدو المواجهة، وسلكوا في عملهم هذا طريق رضوان الله عنهم أي الرضا الكثير، والله صاحب الفضل العظيم على عباده الطائعين.

١٧٥- إن ذلك المشبط لكم أيها المؤمنون القائل: «إن الناس» هو الشيطان الذي يخوف المؤمنين من أنصاره المشركين لترهبوهم أي يخوفكم من أوليائه، فلا تخافوا الكفار، فهم أولياء الشيطان الذي لا يشير إلا بالباطل، ولكن خافوني بفعل أمري ولا تخالفوه، واركبوا ما أنهاكم عنه، إن كنتم مؤمنين حقاً.

١٧٦- ولا يحزنك ولا يكدرك أيها النبي الذين ارتدوا عن الإسلام بعد أحد، وهم المنافقون، إنهم لن يضروا الله شيئاً بكفرهم، فلا ينقص كفرهم من ملك الله شيئاً، يريد الله ألا يجعل لهم حظاً من الثواب أو الجنة أو الرحمة، ولهم عذاب كبير بسبب مسارعتهم في الكفر وردتهم.

فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّوَيْسَهُمْ سَوْءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يَسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُوا اللَّهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللَّهُ الْأَيُّحِلُّ لَهُمْ حَظًّا فِي الْأَخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَالْكَافِرِينَ لَن يَضُرُوا اللَّهَ شَيْئاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا حُمِّلُوا ظَهْرَهُمُ الْاِئْتِمَارُ إِنَّمَا حُمِّلُوا ظَهْرَهُمُ الْاِئْتِمَارُ وَاللَّهُ عَذَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمُرَ بِالنَّبِيِّ مِنَ الظَّالِمِينَ وَمَا كَانَ لِلَّهِ لِيُطْلِعَكُمُ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَسِي بِمَنْ يُرْسِلُهُ مِنْ شَيْءٍ فَأَمَّا مَنَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن يَأْتِيَهُمْ آيَةٌ فَسَاءَ لَكُمْ أَجْرُ عَظِيمٍ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا أَنهَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لِّمَن بَلَ هُوَسْرَ فَهُمْ سَبُطُونَ مَا يَبْخُلُونَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ مِيرَاتُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾

١٧٧- إن الذين اختاروا الكفر أو استبدلوه بدل الإيمان، لن يضروا الله شيئاً بردتهم، ولهم عذاب مؤلم في الآخرة.

١٧٨- ولا يظنن الذين كفروا إنما حُمِّلوا (نمهل) بطول العمر ورغد العيش، خير لأنفسهم، بل إنما غمَّلهم ونوخر آجالهم، ليزدادوا عقاباً بكثرة المعاصي، ولهم عذاب ذو ذل وإهانة يوم القيامة.

١٧٩- ما كان الله ليترك المؤمنين على ما هم عليه من الاختلاط بالمنافقين، حتى يميز ويفصل بالحنة يوم أحد الخبيث (المنافق والمعاصي) من الطيب (المؤمن الزكي) ولا يطلعكم الله أيها المؤمنون على الغيب، فتعرفوا المنافق بمجرد رؤيته، ولكن الله يختار أحد رسله، فيطلع على شيء من غيبه، فيميز بينكم، فأمنوا بالله ورسله بصدق وإخلاص، وإن تؤمنوا حقاً وتتقوا ما يغضب الله من النفاق وغيره، فلکم ثواب عظيم يوم القيامة. نزلت حينما قال المنافقون: يزعم محمد أنه يعلم من يؤمن به ومن يكفر، ونحن معه ولا يعرفنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

١٨٠- ولا يظنن الذين يبخلون بما أعطاهم الله من فضله، فيمتنعون عن الإنفاق في سبيل الله وعن دفع الزكاة، هو خيراً لهم في الآخرة، بل هو شر مستطير، سيكون ما بخلوا به من المال طوقاً من نار في أعناقهم يوم القيامة يعذبون به، والله جميع ما يتوارثه أهل السموات والأرض من مال وغيره، فما بالهم يبخلون به؟ والله عالم خبير بما تعملون، ويجازيكم خيراً للمحسن، وشرراً للمسيء. نزلت في مانعي الزكاة في رأي جمهور المفسرين.

١٨١- لقد سمع الله قول اليهود القائلين: إن الله فقير ونحن أغنياء، سنكتب قولهم هذا في صحف أعمالهم لنجازيهم عليه، ونكتب أيضاً قتلهم الأنبياء ظلماً وعدواناً، والجمع بين الأمرين تنبيه على الشناعة، ونقول لهم وهم في النار: تذوقوا عذاب جهنم المحرق المولم. والحريق: النار الملتهبة، نزلت في يهودي اسمه فنحاص قال لأبي بكر: ما بنا إلى الله من حاجة، وإنه إلينا لفقير، ما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وأنا نحن الأغنياء، ولو كان غنياً ما استقرض منا، كما يزعم صاحبكم. وذلك حين نزلت آية: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً، فيضاعفه له أضعافاً كثيرة﴾ [البقرة ٢/٢٤٥].

١٨٢- ذلك العذاب الذي تُعَذِّبُونَهُ فِي الآخِرَةِ بسبب ما اقترنتم من الآثام، - معبراً باليد عن الإنسان - والله ليس بظالم أحداً، وإنما عذابه بما يرتكب الإنسان من الذنب، فهو جزاء على فعل.

١٨٣- إن اليهود هم الذين قالوا: إن الله أمرنا في التوراة ألا نصدق رسولاً حتى يأتينا بقرآن تحرقه النار: وهو ما يتقرب به إلى الله، فتتزل نار من السماء فتحرقه. قل لهم أيها الرسول: قد جاء أسلافكم

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُكَ دُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَبَدَبَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَالِمٍ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَاهَدُ الْبَنِي الْأَثَرِ مِنْ رَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بَقْرَبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَلْتَمَّ فَلَمَّ قَتَلْتُمُوهُمُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِنْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ كَذَّبَتْكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكُمْ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ الْأَجْرَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُجِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَكَذَّبَ أَرَأَيْتُمْ لِحَيَاتِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ الْأَمْتَعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ لَسْتَلُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَسْتُمْ مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَسْرَكُوا أَدَىٰ كِبِيرًا وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

رسل من قبلي بالمعجزات والأدلة الدالة على صدق رسالتهم، مثل زكريا ويحيى وأشعياء عليهم السلام، وجاؤوكم بما طلبتم من القرابين، فلم تقتلتموهم، إن كنتم صادقين في ادعائكم؟!]

١٨٤- فإن كذبوك يا محمد، فلك أمثال، لقد كذب رسل سابقون، جاؤوا بمثل ما جئت به من الأدلة والمعجزات والكتب السماوية (الزُّبُر) كصحف إبراهيم، والكتاب المنير كالتوراة والإنجيل. والزبور: الكتاب المشتمل على المواعظ، وهو كتاب داود عليه السلام. والمنير: الموضح لطريق الحق.

١٨٥- وهذه آية فيها الوعد والوعيد للمصدق والمكذب، ومضمونها أن كل نفس ستموت، وإنما تعطون أجوركم كاملة يوم القيامة على الأعمال الحيرة والشريرة، فمن أبعده عن النار وأدخل الجنة، فقد نجى من الخوف وفاز بما أراد، وما الحياة الدنيا إلا اغترار بالأماني. والمتاع: ما يتمتع به الإنسان، ويتفجع به، ثم يزول ويفنى، والغرور: الخديعة، أي أنها تخدع المشغول بها، فلا يتنبه للمخاطر.

١٨٦- لتختبرن أيها المؤمنون بالمصائب في الأموال والأنفس، بأن تعاملوا معاملة المختبر، لتظهر حالتكم على حقيقتها، والاختبار في الأموال بالزكاة والنفقات والتكاليف المتعلقة بالأموال، وفي الأنفس بالموت والمرض وفقد الولد والأحبة والقتل في سبيل الله، ولتسمعن أذى كثيراً كالسب والشتم والطعن في العرض والدين، من اليهود والنصارى ومن سائر المشركين غير الكتابيين، وإن تصبروا على الأذى، وتتقوا الله بفعل ما أمر وترك ما نهى عنه، فالصبر والتقوى من عزائم الأمور، أي مما يجب عليكم أن تعزموا عليه. نزلت في فنحاص اليهودي القائل: ﴿إن الله فقير ونحن أغنياء﴾ [آل عمران ٣/١٨١] وفي كعب بن الأشرف الذي كان يهجو النبي ﷺ بالشعر، ويحرض عليه كفار قريش في شعره.



١٨٧- واذكر أيها النبي حين أخذ الله الميثاق (العهد المؤكد) على اليهود والنصارى من طريق أنبيائهم أن يُظهروا جميع ما في كتابهم من أحكام وأخبار للناس، ولا يخفون شيئاً مما ورد فيه، فطرحوا العهد وراء ظهورهم، واستبدلوا به شيئاً حقيراً يسيراً من متاع الدنيا، فبئس ما اشتروا وبدلوا، وبئس شراؤهم هذا.

١٨٨- لا تظنن أيها النبي الذين يفرحون بما فعلوا من تضليل الناس ومحاولة صرفهم عن الإسلام، ويحبون أن يحمدهم الناس بما لم يفعلوا من التمسك بالحق، وهم على ضلال، فلا تظننهم بمنجاة من العذاب في جهنم، ولهم عذاب مؤلم فيها. أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عوف: أن مروان قال ليوأبه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس، فقل: لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمده بما لم يفعل معذباً، لنعذبن أجمعون؟ فقال ابن عباس: ما لكم وهذه الآية؟ إنما أنزلت في أهل الكتاب، سألهم النبي ﷺ عن شيء، فكتموه إياه، وأخبروه بغيره، فخرجوا قد أروه أنهم قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أتوا من كتمان ما سألهم عنه.

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْمُلُوهُ فَبُذِّعُوا وَرَأَىٰ ظُهُورَهُمْ وَاسْتَرَوْا بِهِ ثُمَّ قَلِيلًا فَيَلْسُ مَا يَشْفُرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبِ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحَدِّثُوا بِالْحَبْلِ وَلَا تَحْسَبِهِمْ مِمَّا قَرَأَ مِنَ الْقُرْآنِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مَلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قَلِيلًا وَمُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا تُشِجُّنَا كَقَبْضَةِ الْعَيْنِ عَذَابِ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مِنْ تَدْخِيلِ النَّارِ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُبَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّعْ لَنَا الْإِبْرَارَ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآءِ إِنَّا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴿١٩٤﴾

١٨٩- والله ملك جميع السموات والأرض، يتصرف فيه حسبما يشاء، والله قادر على كل شيء.

١٩٠- إن في إيجاد وإبداع السموات والأرض، وتعاقب الليل والنهار بدقة، وتفاوتهما طولاً وقصرأ، وحرأ وبرداً وغير ذلك، لدلالات واضحات على وجود الله وقدرته ووحدانيته، لأصحاب العقول السليمة. نزلت هذه الآية لَمَا طلبت قريش من النبي ﷺ قائلين: ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهباً، فدعا ربه، فنزلت هذه الآية: ﴿إِن فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ﴾ فليتفكروا فيها.

١٩١- الذين يتذكرون الله دائماً في جميع أحوالهم، قائمين في صلاتهم، وقاعدين في مجالسهم، ومضطجعين على جنوبهم، ويتفكرون في بديع صنع السموات والأرض وإتقانها، يقولون: ربنا ما خلقت هذا عبثاً ولهوأ، بل خلقته دليلاً على قدرتك وحكمتك، تنزهك عما لا يليق بك وعن العبث، فاجعل لنا من طاعتك وقاية لنا من النار.

١٩٢- ربنا إنك من تدخله النار من عبادك، فقد أهتته وأذلتته، وليس للظالمين أنفسهم أنصار ينصرونهم من عذابك.

١٩٣- ربنا إننا سمعنا منادياً وهو النبي والقرآن ينادي أن تؤمن بك، فأمن بك إلهاً واحداً لا شريك لك، ربنا استر معاصينا، وأمتنا مع الأخيار المحسنين أعمالهم، وهم الأنبياء الصالحون. والذنوب: ما ينشأ من التقصير في العبادة، والسيئات: ما يتعلق بحقوق العباد.

١٩٤- ربنا وأعطنا ما وعدتنا به على السنة رسلك من الرحمة والفضل، ولا تفضحنا بذنوبنا يوم القيامة، فنذل ونهان، إنك لا تخلف الوعد الذي وعدت به عبادك، من المغفرة للمتقين، واللفظ بالمسيئين.

١٩٥- فأجاب الله دعاءهم أني لا أترك إثابة العاملين ذكورا وإنائاً، الجنسان متساويان لا تفاضل بينهما في ثواب الطاعة وعقاب المعصية، ولا يتميزان إلا بالعمل الصالح، فالذين هاجروا من بلادهم لنصرة دينهم، وأخرجهم الكفار المشركون من أوطانهم، وأوذوا في سبيل الله، بسبب إيمانهم به، ليردوهم عن دينهم، وقتلوا الأعداء لإعلاء كلمة الله، وقتلوا أو استشهدوا في سبيله، لأمحون عنهم ذنوبهم وسيئاتهم بالمغفرة، ولأدخلنهم الجنان التي تجري الأنهار من تحت أشجارها ومسكنها، جزاء لهم من ربهم على حسن أعمالهم، والله عنده حسن الجزاء: وهو ما يرجع إلى العامل من عمله. قالت أم سلمة: يا رسول الله، لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء، فأنزل الله: ﴿فاستجاب لهم﴾.

١٩٦، ١٩٧- لا يخدعك أيها النبي تنقل الكفار بالأسفار للتجارة والكسب، وما لديهم من الثروات، فهو شيء قليل يتمتع به صاحبه تمتعا يسيراً في الدنيا، ثم مصيرهم إلى جهنم، وبئس المكان الذي يأوون إليه. نزلت في مشركي

مكة، فإنهم كانوا في رخاء ولين من العيش، وكانوا يتجرون ويتنعمون، فقال بعض المؤمنين: إن أعداء الله فيما نرى من الخير، وقد هلكنا من الجوع والجهد، فنزلت الآية.

١٩٨- هذا حال الكفار، وأما حال المؤمنين المتقين بالالتزام بالأوامر واجتناب النواهي، فلهم جنات النعيم بالوصف السابق، وهم ماكثون فيها أبداً، تكريماً وإنزالاً طيباً من عند الله، وما عند الله من الثواب والفضل والرضوان خير للمحسين البررة الطائعين، مما يوجد لدى الكفار في الدنيا من أرباح ومكاسب وثروات.

١٩٩- وإن بعض أهل الكتاب يؤمنون بالله إلهاً واحداً إيماناً صادقاً، وبالقرآن، وبالنبوة والإنجيل، ويخضعون لله بالطاعة، ولا يستبدلون بآيات الله شيئاً من متاع الدنيا، طمعاً في مال أو منصب أو جاه، وإنما يحافظون على الوحي كما هو، دون أن يكتموا شيئاً منه كالإشارة بمحمد ﷺ، ودون تحريف ولا تبديل، فهؤلاء لهم ثوابهم عند ربهم مرتين على عملهم وطاعتهم، إن الله سريع الحساب، يحاسب الناس جميعاً في وقت قصير. نزلت بمناسبة أمر النبي ﷺ بالصلاة على النجاشي حين مات.

٢٠٠- يا أيها المؤمنون اصبروا على الطاعات وعن الشهوات، وصابروا، أي غالبوا الأعداء في الصبر على شدائد الحرب، وكونوا أشد صبراً منهم، وأقيموا في ثغور البلاد التي يتسرب منها الأعداء، رابطين خيلكم فيها، مستعدين للجهاد، والتزموا تقوى الله في السر والعلن، لتفوزوا برضوان الله وجنته. ومن الرباط: انتظار الصلاة في المساجد، قال أبو سلمة بن عبد الرحمن: لم يكن في زمان النبي ﷺ ثغر يرباط فيه، ولكن الآية نزلت في انتظار الصلاة خلف الصلاة.

فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ
أَوْ أُنْتَهَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ
دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ
سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَأَغْرِيَنَّكَ نَقَلُكَ
الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَيُسَّ
الْمِهَادِ ﴿١٩٧﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ أَتَقَوَّزُوا مِنْهُمْ لَيُكَفِّرَنَّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَلِدِينَ فِيهَا تَرَى لَئِنْ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ
لِلْأَنْزَالِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ
إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْرُونَ
بِتَابَتِ اللَّهُ ثَمَنًا قَلِيلًا أَوْلِيكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ
إِنِ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

سُورَةُ النَّسَاءِ (١٩)

سُورَةُ الْعَمْرَانِ (١٩٥-٢٠٠)

سورة النساء

فضلها: روى الحاكم وغيره عن ابن مسعود قال: إن في سورة النساء لحسن آيات، ما يسرني أن لي بها الدنيا وما فيها: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [٤٠] و﴿إِنْ تَحْتَسِبُوا كِبَائِرَ مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ [٣١] و﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [٤٨، ٤٩] و﴿لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاوَزُوا﴾ [٦٤].

١- يا أيها الناس اتقوا الله بال التزام أواضره واجتناب نواهيه، الذي أوجدكم من نفس واحدة، خلقها أولاً من تراب هي آدم عليه السلام، فكنتم نوعاً واحداً، وخلق حواء زوجها من نوعها، لينسجما وتجمعهما المودة والرحمة، ونشر منهما في الأرض رجالاً كثيرين ونساء كثيرات، وخافوا الله الذي يسأل بعضكم بعضاً به قتلاً: سألتك بالله أن تفعل كذا، واتقوا الله في الأرحام، فلا تقطعوها، فإن الله أمر بوصلها، والأرحام: جميع القرابات من الرجال والنساء، من جهة الأب أو الأم، إن الله رقيب على أعمالكم.

٢- وأعطوا أيها الأرياء والأوصياء يتامى أموالهم إذا بلغوا سن الرشد، واليتيم: من فقد أباه دون البلوغ، ولا تأخذوا الطيب من أموال اليتامى، وتضعوا مكانه الخبيث من أموالكم، ولا تأخذوا أموالهم لتضموها إلى أموالكم، إن ذلك الفعل إثم عظيم. نزلت في رجل من غطفان كان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿٢﴾ وَلَا تَلْبَسُوا الْحُجُبَ بِالطَّبِيبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٣﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَقْسُطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِنْهُنَّ وَلَكُمْ فِيهَا نِكَاحٌ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَقْدِرُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَنْتُمْ أَلَّا تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿٥﴾ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَاةَ الَّذِينَ خَلَقْتُمْ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمِنْهُمْ مُسْتَضَاءٌ وَمِنْهُمْ سَآئِرٌ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا فَاعْتَدُوا لِلْيَوْمِ الَّذِي تَكْفُرُونَ ﴿٦﴾ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّهَفَاءَ الَّذِينَ هَضَمُوا أَمْوَالَكُمْ أَلَّا يَكُنْ لَهُمْ جُزْءٌ مِمَّا رَزَقُوا مِنْهُمْ وَأَنْتُمْ كُنْتُمْ شَاهِدِينَ عَلَيْهِمْ فَأْتُوا أَمْوَالَكُمْ فِيهَا وَأَكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٧﴾ وَاتَّبِعُوا الْيَتَامَى حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْعَفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَانَ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٨﴾

عنده مال كثير لابن أخ له يتيم، فلما بلغ اليتيم، طلب المال، فمنعه عمه، فترافعا إلى النبي ﷺ فنزلت هذه الآية.

٣- وإن خفتهم ألا تعدلوا في شؤون اليتامى، كالتزوج بهن بمهر قليل، فخافوا أيضاً ظمناً من نوع آخر، هو عدم العدل بين النساء اللاتي تزوجن بهن، ومن أجل دفع الظلم حدد الله أقصى عدد للزوجات، فانكحوا ما حل لكم نكاحهن بفئات مختلفة: الزواج بالثنتين اثنتين، أو ثلاثاً ثلاثاً، أو أربعاً أربعاً فقط، فإن خفتهم ألا تعدلوا بينهن، فتزوجوا واحدة فقط، أو تسروا بالإماء مهما كثر عددهن، من غير شرط القسمة (العدل في البيت) في المملوكات، والاقصا على واحدة من الحرائر أقرب إلى عدم الجور بينهن. نزلت من أجل النهي عن الزواج باليتيمة من غير أن يقسط في صداقها، فلا يعطيها مثلاً يعطى أترابها من الصداق، وأمروا بالاقصا على أربع زوجات فقط.

٤- وأعطوا النساء مهورهن عطية عن طيب نفس، من غير أن تأخذوا أنتم وأولياؤهن شيئاً من المهور، فإن طابت نفوسهن بالتنازل عن شيء من المهر، فخذوه حلالاً طيباً. نزلت في الرجل كان إذا زوج ابنته، أخذ صداقها دونها، فنهاهم الله عن ذلك.

٥- ولا تعطوا من لا يحسن التصرف في ماله أموالهم، لصغر أو تبذير أو ضعف في الإدراك العقلي، تلك الأموال التي تكون قوام معاشهم، وقدموها لهم جزءاً من أموالهم رزقاً للإلتفاق على أنفسهم، وقولوا لهم كلاماً طيباً، وعدوهم وعداً حسناً بدفعها إليهم عند الرشد.

٦- واختبروا اليتامى في حسن التصرف بأموالهم قبل البلوغ، فإذا بلغوا سن الرشد، ووجدتم فيهم رشداً وهو صلاح المال وحسن التصرف، فسلموا إليهم أموالهم من غير تأخير، ولا تتعجلوا بأكلها قبل أن يكبروا، ومن كان من الأوصياء غنياً، فلا يأخذ شيئاً من مال اليتيم، ومن كان محتاجاً فليأكل بالقدر المعروف، فإذا دفعتم إليهم أموالهم بعد الرشد، فأشهدوا عليهم أنهم قد تسلموها منكم، لئلا ينكروا قبضها، وكفى بالله محاسباً ومجازياً لأعمالكم. نزلت في عم ثابت بن رفاعة الذي سأل النبي عما يحل له من مال يتيم هو ابن أخيه، ومتى يدفع إليه ماله؟

٧- للذكور الأقرباء صغاراً وكباراً حظ أو حصة مما ترك المتوفون، وللنساء صغيرات أو كبيرات حصة مما ترك المتوفون، أي كان جنسه من الميراث، وبأي مقدار منه قليلاً أو كثيراً، جعله الله حقاً ثابتاً، ونصيباً محدداً. كان أهل الجاهلية لا يورثون البنات ولا الصغار الذكور حتى يدركوا، ويوزعون التركة على الرجال فقط، فنزلت هذه الآية.

٨- وإذا حضر قسمة الميراث الأقارب غير الوارثين، واليتامى والمساكين، فأعطوهم نديباً أيها الكبار مما ترك الميت قبل القسمة، فإن كان هناك صغار فأعطوهم من نصيبكم فقط، وقولوا لهم قولاً جميلاً ليس فيه من ولا أذى، كالدعاء بالرزق، أما القرابة، فيعتذر لهم بسبب الصغار مثلاً، وأما المحتاجون فتراعى عزة نفوسهم.

٩- وليخف الأوصياء من ظلم اليتامى، كما يخافون على صغارهم من الظلم من بعد موتهم، ويعاملوهم بالشفقة والرحمة التي يحبونها لأبنائهم، وليتقوا الله فيهم بالحفاظ على أموالهم وتميئتها، وليقولوا لهم قولاً موافقاً للحق والعدل ولين الخطاب، مثل يا ابني أو يا ولدي، حتى

لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانُ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانُ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَنزِلُوهُ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضَعِيفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمُ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَتْهُ أَبَوَاهُ فَلِلْأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِلْأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوصِي بِهَا أَوْ وِثْقَاءَ آثَارِهِمْ وَإِن سَأَلْتُمْ لَتَنَزِلَنَّ إِلَيْكُمْ مِّن سَمَاءٍ قَرِيبَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾

يواسوهم .

١٠- إن الذين ينتفعون بمال اليتامى ظالمين لهم من غير حق، إنما يأخذون شيئاً موداه إلى النار، وسيحرقون بالنار. نزلت في رجل من غطفان يقال له: مرثد بن زيد، ولي مال ابن أخيه، وهو يتيم صغير، فأنزل الله فيه هذه الآية.

١١- يأمركم الله ويفرض عليكم في شأن ميراث أولادكم أن يقسم للذكر ضعف الأنثى، إذا توافر النوعان، فإن كان الأولاد إناثاً فقط فوق اثنتين، فلهن ثلثا التركة كالأختين المذكور حكمهما في الآية الأخيرة من السورة، وإن كانت بنتاً واحدة فقط، فلها نصف التركة ولكل واحد من أبوي الميت (الأب أو الأم) السدس إن كان للميت ولد: ذكر أو أنثى، فإن لم يكن للميت ولد، وليس هناك وارث آخر، فللأم الثلث، والباقي للأب المنفرد بالتركة، فإن كان للميت إخوة ذكور أو إناث، فللأم السدس، والباقي للأب تصيباً إن لم يوجد للميت ولد، لأن الأب يحجب الإخوة، وتوزع التركة لا يكون إلا بعد سداد الديون الموجودة، وتنفيذ الوصايا التي أوصى بها الميت، ولا يدري أحد أي الأصول أو الفروع أنفع للميت في الدنيا والآخرة بالدعاء والصدقة، وهذه الأحكام مفروضة من الله، والله عليم بخلقه، حكيم فيما وزع وقدر. قال جابر: عادني رسول الله ﷺ وأبو بكر في بني سلمة ماشيين، فوجدني النبي ﷺ لا أعقل شيئاً، فدعا بجماء فتوضأ، ثم رش علي، فأفقت، فقلت: ما تأمرني أن أصنع في مالي؟ فنزلت: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ...﴾ وهذه الآية في ميراث الوالدين والأولاد.

﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وِلْدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ مِنَ الأزْوَاجِ نِصْفٌ مِمَّا تَرَكَتِ الزَّوْجَاتُ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وِلْدٌ فَكُلُّهُمَا لَكُمْ إِنْ كَانَ لَكُمْ مِنَ المِيرَاثِ إِنْ لَمْ يَكُنْ لِلزَّوْجَاتِ وِلْدٌ، وَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وِلْدٌ فَلِلزَّوْجَاتِ الثَّمَنُ، وَاحِدَةٌ أَوْ أَكْثَرٌ، مِنْ بَعْدِ الدِّينِ وَالْوَصِيَّةِ، كَمَا تَقْدُمُ. وَإِنْ كَانَ المِتْوَفَى رَجُلًا أَوْ امْرَأَةً كِلَايَةً: وَهُوَ مِنْ لَا وَالِدَ لَهُ وَلَا وِلْدَ، وَكَانَ لَهُ أُخٌ أَوْ أُخْتٌ مِنْ أُمِّهِ فَقَطْ، فَلكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِنَ التَّرِكَةِ ذَكَرًا كَانَ أَوْ اُنْثَى، فَإِنْ كَانَ الإِخْوَةُ أَكْثَرَ مِنْ وَاحِدٍ، ذَكَرًا أَوْ اِنْثَاءً، فَلَهُمُ الثَّلَاثُ بِالتَّسَاوِي بَيْنَ الذَّكَرِ وَالاُنْثَى، مِنْ بَعْدِ الدِّينِ وَالْوَصِيَّةِ إِنْ وَجَدَا، وَتِلْكَ وَصِيَّةُ اللهِ الْوَاجِبَةُ، مِنْ غَيْرِ إِضْرَارٍ المَوْرَثُ لورثته بدين أو وصية، كالأقرار بدين ليس عليه، أو الإيضاء بأكثر من الثلث، والإضرار حرام وهو من الكبائر، والله عليهم بما يصلح الخلق وبأهل الميراث، حلِيم لا يعجل بالعقوبة، ويحلم بأهل الجهل. قال ابن عباس: «الإضرار في الوصية من الكبائر».

١٢- وهذه الآية في ميراث الزوجين والإخوة والكلالة. لكم أيها الأزواج نصف ميراث ما تركت الزوجات، إذا لم يكن لهن ولد ذكر أو أنثى، ولكم الربع مما تركن إن كان لهن ولد منكم أو من زوج آخر، بعد أداء الديون وتنفيذ الوصايا. وللزوجات الربع من الميراث إن لم يكن للأزواج ولد، فإن كان لهم ولد فللزوجات الثمن، واحدة أو أكثر، من بعد الدين والوصية، كما تقدم. وإن كان المتوفى رجلاً أو امرأة كلالة: وهو من لا والد له ولا ولد، وكان له أخ أو أخت من أمه فقط، فلكل واحد منهما السدس من التركة ذكراً كان أو أنثى، فإن كان الإخوة أكثر من واحد، ذكوراً أو إناثاً، فلهم الثلث بالتساوي بين الذكر والأنثى، من بعد الدين والوصية إن وجدوا، وتلك وصية الله الواجبة، من غير إضرار المورث لورثته بدين أو وصية، كالإقرار بدين ليس عليه، أو الإيضاء بأكثر من الثلث، والإضرار حرام وهو من الكبائر، والله عليهم بما يصلح الخلق وبأهل الميراث، حلِيم لا يعجل بالعقوبة، ويحلم بأهل الجهل. قال ابن عباس: «الإضرار في الوصية من الكبائر».

١٣- تلك الأحكام المتقدمة في اليتامى والوصايا والموارث شرائع الله التي وضعها الله لعباده للعمل بها دون تعد أو تجاوز، وفصل فيها بين الحق والباطل، ومن يطع الله ورسوله في قسمة الموارث وغيرها من الأوامر والنواهي، يدخله الله جنات الخلد (الخلود الأبدي) وذلك الفوز العظيم الذي لا مثيل له.

١٤- ومن يخالف أوامر الله ورسوله، ويتجاوز نظام الميراث وغيره، فيترك العمل بها، أو يغير هذه الأحكام، يدخله الله ناراً خالداً مخلداً فيها أبداً، وله عذاب كله خزي وذُل وهوان. والحدود: هنا شرائع الله وأحكامه التي حدّها لعباده، ليعملوا بها ولا يتعدوها، وقد تطلق الحدود على المحارم التي منعها الله، ومنها الحدود الشرعية، أي العقوبات المقدرة.

١٥- واللاتي يرتكبن فاحشة الزنا، فاطلبوا لإثبات الجريمة أربعة شهود يشهدون على وقوع الفاحشة، فإن شهدوا، فاحبسوهن في البيوت حتى الموت، وامنعوهن من مخالطة الناس حتى يتوفاهن ملك الموت، أو يجعل الله لهن طريقاً إلى الخروج من هذا الجزء، بأن ينزل في شأنهن حكماً آخر، وقد نسخ هذا الحكم، وجعل لهن سبيلاً بأية حد الزنا بالجلد مائة جلدة، قال ابن عباس: كانت المرأة إذا زنت حبست في البيت حتى تموت، ثم أنزل الله تعالى بعد ذلك: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا...﴾ [النور ٢٤/٢] فإن كانا محصنين رجماً، فهذا سبيلهما الذي جعل الله لهما.

١٦- والذنان يأتیان الفاحشة من الرجال فأذوهما أيها الحكام بالتوبيخ والتعبير والجفاء والضرب، يفعل الإمام ما يكون فيه زجر لغيرهما، فإن تابا من الزنا قبل إقامة الحد، وأصلحا أحوالهما، وندما على فعل الفاحشة، فاتركوهما ولا تؤذوهما، إن الله كان وما يزال كثير التوبة، رحيماً بالعباد. وذكر الصاوي أن في الآية دلالة على تحريم اللواط. وهذا العقاب في هذه الآية وما قبلها منسوخ بأية حد الزنا في سورة النور إن أريد بها الزنا، وكذا إن أريد بها اللواط عند الشافعي.

وَالَّذِي يَأْتِيَنَّكَ الْفَاحِشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَامْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَالذَّانِبُ وَالذَّانِبَةُ بِأَيْدِيهِمَا مِنْكُمْ فَأُذَوْهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ الشُّرُوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَلنَّسْتِ التَّوْبَةَ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْإِيمَانَ وَلَا الَّذِينَ يُمُوتُونَ وَهُمْ كُفْرًا أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا يُحِجُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَاءِ أَيْتِمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّكُمْ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَعْسَى أَنْ يَكْرِهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾

١٧- إنما قبول التوبة من الله تفضلاً وإحساناً من العصاة الذين يعملون المعاصي جاهلين طائشين عند ثورة الشهوة، ثم يتوبون من عملهم السيئ في وقت قريب، بعد الذنب مباشرة، أو ما قبل الغرغرة، والجهالة: الحمق والسفاهة، فأولئك يقبل الله توبتهم، وكان الله عليماً بضعف الإنسان أمام الشهوة، ويصدق في التوبة، حكيماً في صنعه وقبول توبة الضعيف.

١٨- وليس قبول التوبة من أرباب المعاصي إذا تابوا عند الغرغرة، بحيث يعلم الإنسان أنه ميت حتماً، أو كان الشخص مصراً على المعصية، فإذا صار في حال الاحتضار، أعلن توبته قائلاً: إني تبت الآن، وهو وقت لا تنفعه التوبة. وكذلك لا تقبل التوبة ممن ماتوا على الكفر، وأولئك هيأنا أو أعدنا لهم عذاباً مؤلماً موجعاً يوم القيامة.

١٩- لا يباح لكم أيها الرجال أن تأخذوا بطريق الإرث نساء الأقارب بعد الموت، زاعمين أنكم أحق بهن من غيركم، فتنزوجهن بلا صداق، أو تزوجهن وتأخذوا صداقهن، ولا يباح لكم أن تعضلوهن، أي تمنعهن من الزواج لتأخذوا ميراثهن بعد الموت، أو صداقهن إذا أذنتن لهن بالزواج، أو تمسكوهن في زواجكم مع الإعراض عنهن، وإظهار الكراهة لهن، لتأخذوا بعض ما أتيتموهن من المهر، إلا إذا ارتكبن الفاحشة بينة ظاهرة واضحة، فيحل لكم أن تضاروهن، حتى يفتدين منكم بالخلع، وعاشروهن بما هو معروف في هذه الشريعة معاشرة حسنة كريمة في القول والفعل، فإن كرهتموهن لسبب آخر غير الفاحشة، فاصبروا، فرجما كرهتم شيئاً، ويجعل الله فيه ثواباً جزيلاً، أو يرزقكم منهن ولداً صالحاً. قال ابن عباس: كانوا إذا مات الرجل، كان أولياؤه أحق بامراته، إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاؤوا تزوجها، فهم أحق بها من أهلها، فنزلت هذه الآية.

وَإِنْ أَرَدْتُمْ تَبْدِيلَ الزَّوْجَاتِ بِتَطْلِيقِ امْرَأَةٍ
وَتَزْوِجِ أُخْرَى، وَأَتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ مَالًا كَثِيرًا فِي
الصَّدَاقِ، كَفَنْتَارَ مِنَ الذَّهَبِ، أَيْ الْمَالِ الْكَثِيرِ فَلَا
يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا دَفَعْتُمْ شَيْئًا، أَوْ تَأْخُذُوهُ
ظُلْمًا وَذَنْبًا ظَاهِرًا، أَيْ بِغَيْرِ حَقِّ .

٢٠- وكيف يجوز لكم استرداد شيء من المهر،
وقد وصل بعضكم إلى بعض بالجماع والخلوة
والعشرة، وأخذت النساء منكم عهداً ملزماً في
عقد الزواج على الإمساك بمعروف أو التسريح
ياحسان، فيحرم أخذ شيء من المهر إلا في حال
إتيانها بفاحشة الزنى، أو صارت ناشزة في مذهب
الإمام مالك وغيره. ذكر ذلك ابن عطية في تفسيره
(٣/ ٥٤٤).

٢١- ولا تتزوجوا أيها الأبناء زوجات الآباء
(الأرامل) كما كان عليه حال الجاهلية، إلا ما قد
مضى فعله قبل التحريم، فهو معفو عنه، إن هذا
الزواج شديد القبح، وسبب مقت (أشد البغض)
من الله والمؤمنين، وكانت الجاهلية تسميه نكاح
المقت: وهو أن يتزوج الرجل امرأة أبيه إذا طلقها
أو مات عنها، ويش هذا الزواج طريقاً أو عملاً .

قال ابن عباس: كان أهل الجاهلية يحرمون ما يحرم إلا امرأة الأب والجمع بين الأختين، فأنزل الله
هذه الآية: ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا... ﴾ وآية ﴿ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ ﴾ إلا ما قد سلف ﴿ الآية التالية .

٢٣- حرم عليكم التزوج بالأمهات والجدات من جهة الأب أو الأم وإن علون، والبنات وبنات الأولاد
وإن نزلن، والأخوات الشقيقات أو لأب أو لأم، والعمات: أخوات الآباء أو الأجداد، والحالات:
أخوات الأمهات أو الجدات من جهة الأب أو الأم، وبنات الأخ وبنات الأخت وبناتهن مهما نزلن،
والأمهات المرضعات في سن الحولين بخمس رضعات معلومات، وأخوات الرضاعة: وهي التي رضعت
أنت وإياها من امرأة واحدة، وأمهات الزوجات وكل جداتها، والربائب اللاتي تربين في رعيتكم، ودخلتم
بأمهاتهن، والربيبية: بنت الزوجة من زوج سابق، وإن كانت تعيش في بيت آخر غير بيت زوج أمها الجديد،
ولا إثم في الزواج بالربائب إذا فسخ الزواج قبل الدخول، أما سائر المحرمات بالصهر: وهن زوجة الأب
وزوجة الابن وأم الزوجة، فيحرم بمجرد العقد على الزوجة. وتحرم زوجات الأبناء بمجرد العقد ولو لم
يكن دخول، إذا كان الأبناء صلبين، أما أولاد التبني فيحل التزوج بزوجاتهم خلافاً لما كان عليه أهل
الجاهلية، ولا يباح الجمع في الزواج بين الأختين ولو من رضاع، ومثلهما سائر المحارم كالعمة والحالة، إلا ما
مضى قبل نزول التحريم، فلا مؤاخذه فيه، إن الله كثير المغفرة لما سلف من آثار الأعمال السيئة، رحيم بشاريع
أحكام الزواج التي فيها الخير والمصلحة لكم .

٢٠- وكيف يجوز لكم استرداد شيء من المهر،
وقد وصل بعضكم إلى بعض بالجماع والخلوة
والعشرة، وأخذت النساء منكم عهداً ملزماً في
عقد الزواج على الإمساك بمعروف أو التسريح
ياحسان، فيحرم أخذ شيء من المهر إلا في حال
إتيانها بفاحشة الزنى، أو صارت ناشزة في مذهب
الإمام مالك وغيره. ذكر ذلك ابن عطية في تفسيره
(٣/ ٥٤٤).

٢١- ولا تتزوجوا أيها الأبناء زوجات الآباء
(الأرامل) كما كان عليه حال الجاهلية، إلا ما قد
مضى فعله قبل التحريم، فهو معفو عنه، إن هذا
الزواج شديد القبح، وسبب مقت (أشد البغض)
من الله والمؤمنين، وكانت الجاهلية تسميه نكاح
المقت: وهو أن يتزوج الرجل امرأة أبيه إذا طلقها
أو مات عنها، ويش هذا الزواج طريقاً أو عملاً .

قال ابن عباس: كان أهل الجاهلية يحرمون ما يحرم إلا امرأة الأب والجمع بين الأختين، فأنزل الله
هذه الآية: ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا... ﴾ وآية ﴿ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ ﴾ إلا ما قد سلف ﴿ الآية التالية .

٢٣- حرم عليكم التزوج بالأمهات والجدات من جهة الأب أو الأم وإن علون، والبنات وبنات الأولاد
وإن نزلن، والأخوات الشقيقات أو لأب أو لأم، والعمات: أخوات الآباء أو الأجداد، والحالات:
أخوات الأمهات أو الجدات من جهة الأب أو الأم، وبنات الأخ وبنات الأخت وبناتهن مهما نزلن،
والأمهات المرضعات في سن الحولين بخمس رضعات معلومات، وأخوات الرضاعة: وهي التي رضعت
أنت وإياها من امرأة واحدة، وأمهات الزوجات وكل جداتها، والربائب اللاتي تربين في رعيتكم، ودخلتم
بأمهاتهن، والربيبية: بنت الزوجة من زوج سابق، وإن كانت تعيش في بيت آخر غير بيت زوج أمها الجديد،
ولا إثم في الزواج بالربائب إذا فسخ الزواج قبل الدخول، أما سائر المحرمات بالصهر: وهن زوجة الأب
وزوجة الابن وأم الزوجة، فيحرم بمجرد العقد على الزوجة. وتحرم زوجات الأبناء بمجرد العقد ولو لم
يكن دخول، إذا كان الأبناء صلبين، أما أولاد التبني فيحل التزوج بزوجاتهم خلافاً لما كان عليه أهل
الجاهلية، ولا يباح الجمع في الزواج بين الأختين ولو من رضاع، ومثلهما سائر المحارم كالعمة والحالة، إلا ما
مضى قبل نزول التحريم، فلا مؤاخذه فيه، إن الله كثير المغفرة لما سلف من آثار الأعمال السيئة، رحيم بشاريع
أحكام الزواج التي فيها الخير والمصلحة لكم .



٢٤- وَحُرِّمَ عَلَيْكُمُ النِّسَاءُ الْمُتَزَوِّجَاتِ،
المسلّمات وغير المسلّمات إلا بعد انقضاء العدة من
موت أو طلاق، إلا السبايا في حرب مشروعة بعد
الاستبراء بحيضة، وأبيح لكم الزواج من غير
هؤلاء المحرّمات، بأن تطلبوا الزواج بالمهور من
النساء اللاتي أحلهن الله لكم، متعففين عن الحرام
بالزواج الشرعي، غير زانين، فما تمتعتم به من
النساء بالنكاح الشرعي، فأتوهن مهورهن التي
تراضيتن عليها، والمهور مفروضة للزوجات من الله
تعالى، ولا إثم عليكم في الزيادة أو نقصان المهر أو
التنازل عن المهر كله أو بعضه، إن الله عليم بما
يصلح خلقه، حكيم في صنعه وتدبيره وتشريعه
هذه الأحكام. نزلت في سبايا أوطاس اللاتي
لهن أزواج، حين سأل الصحابة النبي ﷺ
عنهن، فنزلت: ﴿وَاحْصِنَاتٍ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا
مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾. وأما قوله تعالى: ﴿وَلَا
جُنَاحَ عَلَيْكُمْ...﴾ الآية، فنزلت بسبب رجال
كانوا يفرضون المهر، ثم قد تدرك أحدهم
العسرة..

﴿وَاحْصِنَاتٍ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ
اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا
بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ
بِهِ مِنْهُنَّ فَأْتُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا
تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَنْ لَزِمْتَ طَعْمًا مِنْكُمْ فَلَا أَنْ يَنْكَحَ
الْمُحْصَنَاتُ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَنْ قَامَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ قَبْلِكُمْ
الْمُؤْمِنَاتُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَيْمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ
فَأَنْ كُوهُنَّ بِأَذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ
بِالْمَعْرُوفِ مُحْصِنَاتٍ غَيْرِ مُسْفِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ
فَإِذَا أَحْصِنْتُمْ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَحْشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى
الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ حَبِطَتِ الْعَنْتُ مِنْكُمْ
وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٥﴾
يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّسَالَةَ مِنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ
وَيُثَوِّبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾

٢٥- ومن لم يجد منكم غنى وسعة في ماله للزوج بحرة مسلمة مؤمنة، فيحل له أن يتزوج أمة مؤمنة غير
مشركة ولا كتابية، والله أعلم بحقيقة إيمانكم، فلا تابوا الزواج بالإماء عند الضرورة؛ لأنكم جميعاً
مخلوقون من نفس واحدة هي آدم عليه السلام، وأنكم سواء في الدين، وتزوجوا الإماء بإذن أولياتهن،
وأدوا إليهن مهورهن بالمعروف شرعاً وعادة بحسب التراضي، حال كونهن عفيفات، غير زانيات علناً، ولا
متخذات أصحاب يزنون بهن سرّاً، وذات الخدن: التي تزني بواحد سرّاً، وكانت العرب تعيب الإعلان
بالزنا دون السر، وإذا صارت الإماء محصنات بالزواج، فعليهن بالزنى نصف عقوبة الحرائر، أي خمسين
جلدة فقط؛ لأن حد الحرة مائة جلدة، أما الزانية غير المحصنة من الإماء، فلا تحدد، وإنما تضرب تأديباً
(تعزيراً). ذلك الترخيص بالزواج من الإماء لمن خاف منكم الوقوع في الزنا- والعنت: المشقة والضرر
وخشية الوقوع في الإثم- وأن تصبروا عن نكاح الإماء خير لكم، حرصاً على حرية النسل، والله غفور
لذنوب عباده التائبين، رحيم بهم حين يسر لهم ذلك. لكن يلاحظ أن الدول الحديثة تعاهدت فيما بينها من
عام ١٩٥٢ على إنهاء الرق في العالم، والإسلام يقر ذلك.

٢٦- يريد الله أن يبين لكم ما خفي عليكم من أفضل الأعمال، ويرشدكم إلى طرق الأنبياء السابقين لتقتدوا
بهم، ويتوب عما سلف منكم، والله عليم بشؤونكم فرخص لكم، حكيم فيما سنّه أو شرعه لكم.

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
الشَّهَوَاتِ أَنْ قِيمُوا بِمِثْلِ مَا عَلَّمُوا ۗ يُرِيدُ اللَّهُ
أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٧﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبُطْلِ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٨﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ
عَدُوًّا وَظَلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيه نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا
﴿٢٩﴾ إِنْ تَجَدَّدُوا كَمَا بَدَأْتُمْ بِهِ فَمَا تَتَّخِذُونَ
سِتْرًا لَكُمْ وَتَدْخُلُونَ فِي مَدْخَلَ كَرِيمًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَتَّبِعُوا
مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِرِجَالٍ نَصِيبٌ
مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبْنَ وَسَأَلُوا
اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا
﴿٣١﴾ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانُ
وَالْأَقْرَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ
نَصِيبَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٢﴾

٢٧ - والله يريد أن يتوب عليكم بإرجاعكم إلى طاعته عن معصيته، ويريد متبعو شهوات أنفسهم أن تميلوا عن طريق الحق، ميلاً عظيماً بارتكاب الحرام دون تقييد بشرع، ولا نظر في العواقب والحلال والحرام. والشهوات هنا: ما حرمة الشرع دون ما أحله.

٢٨ - يريد الله التخفيف عنكم بإباحة الزواج بالإماء، وخلق الإنسان عاجزاً عن مقاومة الشهوات الجامحة، أو عن مقاومة نفسه وهواه.

٢٩ - يا أيها المؤمنون لا تأخذوا أموال غيركم بالحرام في الشرع، كالربا والقمار والغصب والغش، لكن يجوز لكم أخذ الأموال بالتجارة الصادرة عن تراض أو طيب نفس بين الطرفين، وضمن قيود الشرع، والتجارة: التكبس بالبيع والشراء، والتراضي: الاتفاق المتبادل بين المتبايعين دون غش ولا كتمان عيب ولا مقامرة ولا مراباة. ولا يقتل بعضكم بعضاً ظلماً وعدواناً بغير حق أثبتته الشرع، ولا يقتل الإنسان نفسه حقيقة، إن الله رحيم بكم في تحريم تلك الأمور أو منعه لكم من ذلك.

٣٠ - ومن يأخذ أموال الناس متعمداً اعتداء بغير حق وظلماً لهم، كالنهب والغصب، أو يقتل أحداً عمداً عدواناً في غير قصاص ولا حد ولا ردة، فسوف ندخله ناراً عظيمة في الآخرة، وكان ذلك العقاب هيئاً على الله، فلا يعجزه شيء. والعدوان: التعدي على غيره مع القصد، والظلم: تجاوز الحق بالفعل.

٣١ - إن تركوا أيها المؤمنون كباث الذنوب المنهي عنها: وهي التي ورد عليها وعيد أوحد في الشرع، كالشرك بالله والقتل والزنى والسرقة، تتجاوز عن ذنوبكم الصغائر، وتدخلكم الجنة مدخلاً حسناً مرضياً.

٣٢ - إن تركوا أيها المؤمنون كباث الذنوب المنهي عنها: وهي التي ورد عليها وعيد أوحد في الشرع، كالشرك بالله والقتل والزنى والسرقة، تتجاوز عن ذنوبكم الصغائر، وتدخلكم الجنة مدخلاً حسناً مرضياً.

٣٢ - ولا تتمنوا أخذ ما لدى الآخرين، وارضوا بما قسم الله لكم، والتمني: طلب حصول الشيء المرغوب المستبعد تحقيقه، ويجوز تمنّي مثل ما لدى صاحبه، من دون تمنّي زواله عن غيره، للرجال حظ مما اكتسبوا بسبب مشروع كالجهاد والعمل والتجارة، وللنساء حظ مما اكتسبن من طاعة أزواجهن وحفظ فروجهن، والكل متساوون في الجزاء في الآخرة، واطلبوا من الله الإحسان والخير، والتوفيق على ما يرضيه، والرزق الحلال، بدل الاشتغال بالتمني، إن الله عالم بما يصلح عباده وبما قسم لهم من الأرزاق. قالت أم سلمة: يفترو الرجال ولا تغزو النساء، وإنما لها نصف الميراث، فأنزل الله: ﴿ولا تتمنوا...﴾ وأنزل فيها: ﴿إن المسلمين والمسلمات﴾ [الأحزاب ٣٣ / ٣٥].

٣٣ - ولكل واحد من الرجال والنساء جعلنا ورثة من أقاربه يرثونه، والذين تحالفتم معهم في الجاهلية على النصره والإرث، وهم موالي الموالاة، حيث كان الرجل يعاقد الرجل، فيقول له: ترثني وأرثك، فآتوهم نصيبهم من الميراث، وهو السدس، ثم نسخ بقوله تعالى: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾ [الأفئال ٨ / ٧٥] وبقي للحليف الوصية والمعروف، لقوله تعالى: ﴿إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً﴾ [الأحزاب ٣٣ / ٦] إن الله شاهد على أفعالكم ومجازيكم عليها. نزلت في أبي بكر وابنه حين أبى الإسلام، فحلف أبو بكر ألا يرثه، فلما أسلم، أمر أن يؤتبه نصيبه.

٣٤- الرجال يقومون بأمر النساء ويحافظون عليهن لسببين: (١) خصائص الرجولة ومقوماتها الجسدية، وزيادة الخبرة. (٢) الإنفاق على الأسرة كلها ودفع الصداق، فالصالحات من النساء مطيعات لله ولأزواجهن، ويحفظن غيبة أزواجهن في نفوسهن وأولادهن، وأموال الزوج من غير تبذير، يحفظ الله لهم ومعونته، ويأمر الله بالحفظ، وبإداء الأزواج حقوقهن كالعادل والإحسان إليهن. واللاتي تخافون نشوزهن: وهو عصيان أوامر الزوج، ومنع نفسها بلا عنذر، والخروج من بيتها بغير إذنه، فذكروهن بما أوجب الله عليهن من الطاعة وحسن العشرة، ورجوهن بشواب الله، ورتبوهن عقاب الله في الآخرة، واهجروهن في المضاجع بالنوم في فراش آخر، إن لم يتعظن بالكلام، واضربوهن ضرباً خفيفاً للتأديب والإصلاح إن لم يصلحن بالهجر، فإن أظعنكم في أي أمر من هذه الأمور، فلا تتعدوا عليهن بقول أو فعل؛ لأن الظلم حرام، ولا تكلفوهن الحب لكم، فذلك غير مستطاع ولا يدخل في اختيارهن، إن الله علي قاهر، كبير قادر. نزلت حينما جاءت امرأة إلى النبي ﷺ تستعدي على زوجها أنه لطمها، فأمر الرسول بالقصاص، فأنزل الله: ﴿الرجال قوامون...﴾ فرجعت بغير قصاص.

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَإِذَا فَضِلْتُمْ فَانْتَبِهُوا كَمَا حَفِظْتُ لَكُمْ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّي تَخَافُونَ نَشُوزَهُمْ فَيَقْطَعُوهُمْ وَأَهْرُوهُمْ فِي الْمَصَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُمْ فَإِنْ أظَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِمْ سَبِيلاً إِنْ أَنْتُمْ إِذْ كَانَ عَلَيَا كَبِيراً ٣٥ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَنِيهَا فَأَبْغُوا حَكماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكماً مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً ٣٦ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَآئِنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنْ أَنْتُمْ لِلَّهِ لِلنَّاسِ آخِذِينَ بِالْحَقْلِ يَكْفُونَ مَا لَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْدَتُنَا لِلْكَافِرِينَ عَدَاؤُنَا مُبِيناً ٣٧ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً ٣٨

٣٥- وإن خفتم استمرار الخلاف بين الزوجين، فابعثوا إليهما حكماً من أهله وحكماً من أهلها، ممن يصلح لذلك عقلاً ودينياً، إن يرد الحكمان أو الزوجان إصلاحاً، يوفق الله الحكيمين والزوجين، حتى يعودا إلى الألفة وحسن العشرة أو الرفاق، وإلا فالفراق، وإذا اختلف الحكمان لم ينفذ حكمهما، إن الله واسع العلم بكل شيء، خبير بأمور عباده.

٣٦- واعبدوا الله حق العبادة، ولا تجعلوا معه شريكاً آخر، وعليكم بطاعة الوالدين والإحسان إليهما، وإلى ذوي القرابة، واليتامى الذين فقدوا آباءهم في الصغر، والمحتاجين، والجار القريب الدار أو النسب، ولو كان غير مسلم، والجار البعيد أو الغريب غير القريب، والرفيق الملازم في العمل أو السفر، والمسافر المنقطع في أثناء سفره- والسبيل: الطريق- والأرقاء من العبيد والإماء، إن الله يجازي المتكبر على الناس، المتعالي عليهم.

٣٧- أولئك المتكبرون الذين يضنون بأموالهم عن أداء الواجبات والحقوق، ويطلبون من الناس عدم الإنفاق في سبيل الله، ويكتمون نعم الله عليهم من العلم والمال، ويتظاهرون بالمسكنة، لئلا يطعم بهم أحد، وأعدنا للكفار عذاباً فيه ذل وإهانة. قال سعيد بن جبير: كان علماء بني إسرائيل يبخلون بما عندهم من العلم، فأنزل الله: ﴿الذين يبخلون...﴾ وقال أكثر المفسرين: نزلت في اليهود كتموا صفة محمد ﷺ ولم يبينوها للناس، وهم يجدونها مكتوبة عندهم في كتبهم.

٣٨- والذين أيضاً يتفقون أموالهم رياء وسمعة، ولا يؤمنون بالله وحده، ولا بالآخرة، كالمناقضين أهل مكة؛ لأنهم أعوان الشيطان، ومن يكن الشيطان له صاحباً، فيبس هذا الصاحب قريناً له في النار؛ لأنه يورده المهالك، كالفضخ والبخل والرياء.

وَمَا ذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَبْضَعَهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَبُوءُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ سَوَّيْ بِهِمُ الْأَرْضَ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَنُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَسْتُرُونَ الْأَصْلَ وَلَا يَرِيدُونَ أَنْ يُضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾

٣٩- أي ضرر عليهم في الإيمان والإنفاق مما رزقهم الله ابتغاء مرضاته، وكان الله وما يزال عالماً بما هم عليه في الإنفاق وغيره، وسيجازيهم عليه.

٤٠- إن الله لا يظلم أحداً ولا ينقص ثواب عمله وزن ذرة: وهي الواحدة من أجزاء الهباء المتناثر في الجو، ولا يزيد في عقابه مقدار ذرة أيضاً فما فوقها، وإن تكن هذه الذرة حسنة يضاعفها أضعافاً كثيرة، ولا يضاعف السيئة، ويعطى من فضله على العمل الصالح ثواباً غير محدود.

٤١- كيف يكون حال هؤلاء الكفار إذا جئنا من كل أمة يوم القيامة بشاهد يشهد على قومه بما حصل عند تبليغهم الرسالة من رسولهم، هل آمنوا أم كفروا، والشاهد هو نبيهم، ثم جئنا بك أيها الرسول شاهداً على أمتك؟!

٤٢- في يوم القيامة يتمنى الكفار، لو سواهم الله بالأرض، فصاروا تراباً، أو ساخوا في الأرض ثم طمرهم التراب، أي يتمنون أن يكونوا تراباً، ولا يتمكنون من إخفاء شيء من أعمالهم عن الله تعالى، فأسرارهم وأحاديثهم كلها معلومة لديه، وجوارحهم تشهد عليهم.

٤٣- يا أيها المؤمنون، لا تُصَلُّوا حال السكر، حتى تدركوا معاني ما تقولون في صلاتكم، وهذه

إحدى مراحل تحريم الخمر، ولا تدخلوا المساجد وأنتم في حال الجنابة: وهي أثر كل جماع أو إنزال باحتلام وغيره، إلا أن تكونوا مجتازين فيها من جانب إلى آخر، حتى تغتسلوا من الجنابة، وإن كنتم في حال مرض بحيث يلحقكم الضرر باستعمال الماء، أو كنتم مسافرين ولم تجدوا ماء، أو قضيتم حاجتكم ببول أو غائط (وهو الحدث الأصغر) أو جامعتم النساء (وهو الحدث الأكبر) ولم تتمكنوا من استعمال الماء لفقده أو إلحاق ضرر باستعماله، أو لم تجدوا في أثناء السفر ما يسخن به الماء، فاقصدوا وجه الأرض من تراب أو حجر، طاهراً، فامسحوا من ذلك الصعيد وجوهكم وأيديكم إلى المرافق، في الحدث الأصغر أو الأكبر، إن الله كان كثير العفو بالترخيص والتوسعة عليكم، كثير المغفرة عن التقصير أو الخطأ. نزل مطلع الآية في أناس من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يشربون الخمر ويحضرون الصلاة، وهم نشاوى (سكارى) فلا يدرون كم يصلون، ولا ما يقولون في صلاتهم. وأنزل الله على رسوله قصة التطهر بالصعيد الطيب، حينما استيقظ النبي في بعض أسفاره ومعه عائشة، والمسلمون، وليس معهم ماء، فأنزل الله تعالى آية التيمم، فتميموا.

٤٤- ألم تنظر أيها النبي إلى هؤلاء اليهود الذين أعطوا حظاً من التوراة يستبدلون الضلالة بالهدى، بالبقاء على اليهودية، بعد قيام الأدلة على صحة نبوة محمد ﷺ، ويريدون إضلال المؤمنين بترك دينهم الحق وصيورتهم مثلهم.

٤٥- والله أعلم بأعدائكم أيها المؤمنون وما يريدونه منكم من الإضلال، ويحذركم الله منهم، وكفى بالله متولياً أمورك، وناصركم في الحروب، فاكفوا بولايتهم ونصره دون غيره.

٤٦- بعض اليهود يحرفون كلام التوراة بتأويله على غير وجهه الذي نزل ويفسرونه بغير المقصود منه، ويقولون للنبي: سمعنا قولك، أي يتظاهرون بتصديقه، وعصينا أمرك، أي يقولون ذلك همساً فيما بينهم، واسمع قولنا لا سمعت خيراً، أي أصبت بالصمم وهم يوهمون: لا سمعت مكروهاً، وراعنا (من الرعونة) يوهمون أنهم يقولون: ارقبنا وانتظرنا، لاوين الستهم عن الحق إلى معنى خبيث وإلى ما في قلوبهم، وطعنا في النبوة والدين بالاستهزاء ويقولهم: لو كان نبياً لعلم أننا نسبه، فاطلعه الله على خباثت مقاصدهم. ولو أنهم قالوا للنبي: سمعنا قولك وأطعنا أمرك، واسمع ما نقول، وانتظرنا نظرة إشفاق ورحمة لفهم ما تلوه علينا، بدل قولهم: «راعنا» لكان خيراً لهم مما قالوه، وأصوب واليق، ولكنهم لم يفعلوا، فطردهم الله من رحمته ولعنهم بسبب كفرهم بالنبي والقرآن، فلا يؤمنون إلا إيماناً قليلاً، أي جزئياً: وهو الإيمان ببعض الكتب والرسائل دون بعض.

٤٧- يا أيها الكتايبون معشر اليهود: آمنوا بما أنزلنا من القرآن، مصدقاً (مؤيداً) لما معكم من التوراة- وهذا إنذار إلهي بالغضب منه عليهم- من قبل طمس الوجوه (إزالة معالمها ومحوها) وردها على أديبارها بجعلها كالقفا، وهذا هو الرد الحسي، والمقصود هنا هو الرد المعنوي: وهو إبطال المقاصد من الكيد للإسلام، فتقتلكم الحسرة، أو نظردكم من رحمتنا ولنعنكم كما لعنا أصحاب السبت بمسخهم قرده وخنازير، وكان أمر الله نافذاً لا محالة.

٤٨- إن الله لا يغفر لمن مات مشركاً، لم يتب من شركه، ويغفر ما عدا ذلك من سائر الذنوب، لمن يشاء من عبادته المغفرة له، كعصاة المؤمنين، ومن يشرك بالله إلهاً آخر، فقد ارتكب إثماً عظيماً، وكذب كذباً خطيراً يستحق به العذاب.

٤٩- ألم تنظر إلى الذين يدحون أنفسهم بالباطل، بادعاء فضائل ليست لهم، كقول اليهود والنصارى: نحن أبناء الله وأحباؤه، وقول بعض الناس: لا ذنوب لنا ونحن كالأطفال، قل لهم أيها النبي: لا تمدحوا أنفسكم، بل الله العالم بمن يستحق التزكية (الطهارة من الذنوب) ولا يظلمون بالزيادة على ما يستحقون ولو بقدر القليل (الخيوط الذي في نواة التمر) ولا يتقصون من الثواب شيئاً. نزلت في رجال من اليهود أتوا رسول الله ﷺ بأطفالهم، وحلفوا بأنهم مثلهم، تكفرو عنهم ذنوبهم.

٥٠- انظر أيها الرسول كيف يختلقون الكذب بزعمهم أنهم أبناء الله وأحباؤه، أو أنهم أرباب من الذنوب، وكفى بهذا الكذب ذنباً واضحاً.

٥١- ألم تنظر إلى هؤلاء علماء اليهود الذين أتوا حظاً من العلم بالتوراة يصدقون بالجنت (كل ما خضع له الناس من دون الله من شيطان أو ساحر أو كاهن) والطاغوت (كل معبود من دون الله وهو راض) ويقولون لمشركي قريش: إنهم أهدى سبيلاً من المؤمنين بمحمد. نزلت في حبيبي بن أخطب وكعب بن الأشرف اللذين قالوا لأهل مكة الذين ذكروا فضائلهم من الضيافة وسقاية الحجيج وفك الأسرى: بل أنتم خير منه- من محمد- وأهدى سبيلاً.

٥٢- أولئك القائلون هذا القول: طردهم الله من رحمته وأذلهم، ومن يلعن الله فلا ناصر له يدفع عنه عذاب الله وسخطه. نزلت في اليهوديين المذكورين في الآية السابقة اللذين حملهما على ذلك القول حسد محمد وأصحابه، فلما أنزل الله هذه الآية قالوا: والله ما حملنا على ذلك إلا بغضه وحسده.

مَنْ آذَى هَادُوا يُحْرِفُونَ الْكَلِمَةَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَإِرَاعِنَا إِنَّمَا بَالِغُنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لِمَنْزِلَةِ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهَ فِرْدَوْهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا أَصْحَابِ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لِمَنْ يُشْرِكْ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ بِلِلَّهِ بُرُكِيِّ مِنْ يَشَاءُ وَلَا يَظُنُّونَ قَيْلًا ﴿٤٩﴾ أَنْظُرْ كَيْفَ يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَكَيْفَ إِيمَانُ مَيْمِنًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحَيَاتِ وَالطَّعُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ نَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾

أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمَلِكِ فَإِذَا لَا يُوَفُّونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾
 أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ
 آتَيْنَاهُمُ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾
 فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكُنِيَ بِجَهَنَّمَ
 سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا
 كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ
 إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
 فِيهَا أَبَدًا لَمْ يَمُوتْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَوُجِدَ جَاهُهُمْ ظِلًّا
 ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ الَّذِينَ يُؤْتُوا الْأَمْثَالَ إِلَىٰ أَهْلِهِمْ
 وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ
 نِعْمًا بِعَظَمِكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا
 الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ
 فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ
 تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾

٥٣- أم هنا: بمعنى «بل» مع الف الاستفهام الإنكاري، أي ألهم ملك؟ والمعنى ليس لهم نصيب من الملك، ولو كان لهم شيء من الملك لا يعطون الناس نقيراً (وهو النقرة في ظهر نواة التمر) لشدة بخلهم وحسدكم.

٥٤- أم هنا على بابها؛ إذ لم يتقدمها استفهام كالتي قبلها، والمعنى أم يحسد اليهود النبي ﷺ وأصحابه على النبوة والنصر، فقد أعطينا آل إبراهيم كداود وسليمان عليهما السلام التوراة، ومعرفة أسرار الشرائع، والنبوة، وآتيناهم الملك العظيم كملك يوسف في مصر، وداود وسليمان في الشام، والمعنى: لم يبخسون النبي بالחסد، ولا يحسدون آل إبراهيم، أي داود وسليمان في أنهما أعطيا النبوة والكتاب والملك العظيم! نزلت حينما قالت اليهود لكفار العرب: انظروا إلى هذا الذي يقول: إنه بعث بالتواضع، وإنه لا يميل بطنه طعاماً، ليس همه إلا في النساء، ونحو هذا، فنزلت الآية.

٥٥- فمن اليهود من آمن بالنبي ﷺ ومنهم من أعرض عنه، فلم يؤمن به، وكفى بنا رجساً سعيراً لمن كفر بالله تعالى.

٥٦- إن الذين كفروا بالقرآن، سوف ندخلهم ناراً يصلونها، كلما احترقت جلودهم، بدلناهم جلوداً أخرى بدلاً عنها، فذلك أبلغ في العذاب، ليدوقوا العذاب المستمر، بتجدد الجلد، إن الله قوي غالب في ملكه، حكيم في صنعه.

٥٧- والذين صدقوا بالله ورسوله، وعملوا صالح الأعمال، سندخلهم جنات الخلد الممتعة، ماكثين فيها على الدوام، لهم فيها أزواج مطهرون من العيوب التي تكون في أزواج الدنيا، وندخلهم ظلاً دائماً لا حرقه ولا سموم، أي جواً لا شمس فيه ولا برد.

٥٨- إن الله يأمركم يا جميع الناس أن تردوا الأمانات إلى أهلها (وهي كل ما يؤتمن الإنسان عليه من حقوق الآخرين، سواء أكانت لله أم للعباد) وإذا حكمتم بين الناس أيها الحكام أو الولاة، فعليكم أن تحكموا بالعدل (وهو الأيمل الوالي أو القاضي إلى أحد الخصمين، وإنما عليه القضاء بالحق المبين في القرآن والسنة) نعم الشيء الذي يعظكم (يأمركم) الله به، وهو أداء الأمانة، والحكم بالعدل، إن الله سميع لأقوالكم، بصير بأعمالكم. نزلت يوم فتح مكة في عثمان بن طلحة الحبشي من بني عبد الدار، حينما أخذ علي مفتاح الكعبة منه قهراً وفتح الباب، فأراد العباس أن يأخذه، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فأمر رسول الله ﷺ علياً أن يرد المفتاح إلى عثمان ويعتذر إليه، ثم أسلم عثمان، لَمَّا علم أن الله أنزل في حقه هذه الآية.

٥٩- يا أيها المؤمنون أطيعوا الله فيما أنزل في القرآن، وأطيعوا الرسول فيما ثبت في السنة صراحة، وأطيعوا العلماء الذين يأمرون بالحق، والرؤساء والخبراء فيما يأمرون به من طاعة الله وما فيه من المصالح العامة في مجال الدنيا، فإن اختلفتم في شيء من أمور الدين والدنيا، فردوه إلى الكتاب العزيز والسنة المطهرة، إن أمتم بالله واليوم الآخر، أي إن ذلك من شأن أهل الإيمان، ذلك الرجوع عند التنازع إلى القرآن والسنة، خير لكم عند ربكم، وأحسن مرجعاً من رجوعكم لأهوائكم. نزلت في عبد الله بن حذافة، بعثه رسول الله ﷺ في سرية.



٦٠- ألم تر أيها النبي إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بالقرآن وبالكتب السماوية السابقة، كبعض اليهود والمنافقين يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت: الكهان وكل من يحكم بغير ما أنزل الله، فكيف يصح منهم ذلك؟ وقد أمروا أن يكفروا بكل من لم يحكم بأمر الله، ويريد الشيطان أن يوقعهم في الضلال البعيد عن الحق. نزلت في خصومة بين منافق ويهودي، فأراد اليهودي الاحتكام إلى النبي ﷺ لأنه لا يقبل الرشوة، وأراد المنافق الاحتكام إلى زعماء اليهود لأنهم يأخذون الرشوة في أحكامهم، فلما اختلفا اتفقا على أن يحكما كاهناً في جهينة، فأنزل الله هذه الآية.

٦١- وإذا قيل لهؤلاء اليهود الذين نافقوا: تعالوا إلى حكم الله في كتابه، وإلى حكم رسوله، رأيت المنافقين يعرضون عنك إعراضاً، نفوراً من التحاكم إلى القرآن والنبي ﷺ.

٦٢- فكيف صنعهم إذا تعرضوا لعقوبة من الله على ذنوبهم، أو فضيحة تكشف نفاقهم بسبب ارتكابهم المعاصي، ومنها التحاكم إلى الطاغوت، ثم جاؤوك يحلفون كذباً: ما أردنا بتحاكمنا إلى

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَيَّ أَطْلُغُوتٍ وَقَدَّامُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِمْ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يُصَدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيَهُمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيَسْأَلُوكَ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

غيرك إلا الإحسان (الصلح) والتوفيق بين الخصمين، لا مخالفة حكمك.

٦٣- كذبهم الله بقوله: أولئك يعلم الله نفاقهم وعداوتهم للحق، فأعرض عن قبول اعتذارهم، وخوفهم من النفاق، وعظهم، والوعظ: الكلام الرقيق المؤثر في النفوس، وقل لهم في حق أنفسهم قولاً مؤثراً فيهم، بأن توعدهم بسفك دماهم وسلب أموالهم.

٦٤- لم ترسل رسولاً إلا ليطاع أمره ونهيه، بأمر الله بطاعته، فلا يعصى، ويعلمه سبحانه، ولو أنهم حين ظلموا أنفسهم بترك طاعتك واحتكامهم إلى غيرك، جاؤوك معتذرين، فاستغفروا الله لذنوبهم، وتضرعوا إليه فاستغفرت لهم أيها الرسول، لوجدوا الله كثير القبول للتوبة الصادقة، واسع الرحمة بالتائبين المصلحين أعمالهم.

٦٥- قسماً بربك ليسوا كما يزعمون أنهم مؤمنون حقاً، حتى يحكموك في جميع أمورهم، ولا يحكموا أحداً غيرك، فيما نشأ بينهم من منازعات أو خصومات، ويقبلوا بحكمك من صميم القلب واطمئنان النفس، ويدعوا إذعاناً كاملاً، ويرضوا بحكمك رضاً تاماً بما حكمت بينهم، دون ضيق أو شك، أو رد أو مخالفة. نزلت في الزبير بن العوام وخصمه وهو رجل من الأنصار من أهل بدر، اختلفا في شراج الحرة (مسيل ماء) فقال النبي ﷺ للزبير: «اسق»، ثم أرسل إلى جارك، فغضب الأنصاري، وقال: يا رسول الله، أن كان ابن عمتك؟ فتلون وجه الرسول، ثم قال للزبير: «اسق»، ثم أحبس الماء حتى يرجع إلى الجدر، (الحواجز التي تحبس الماء) قال الزبير: والله ما أحسب هذه الآية أنزلت إلا في ذلك: ﴿فلا وربك﴾.

وَلَوْ أَنَّا كَذَّبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ أَقْتَلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَاعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَدُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنْبِيئًا ﴿٦٦﴾ وَإِذْ آلُ لَيْسَ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهْدَيْتَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رِيفًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوَّانِفِرُوا حَمِيمًا ﴿٧١﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ مَنْ لَيْسَ بِشَهِيدًا فَإِنِ اصْبَحْتُمْ مُصِيبَةً قَالَ قَدِ افْتَرَأَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَوْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ اصْبَحْتُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولُنَّ كَأَن لَوْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ فَلْيَقْتُلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقْتَلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلْ أَوْ يَمُوتْ نَفْسٌ فَهُوَ أُجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾

٦٦- ولو فرضنا على بعض الناس الذين يريدون التوبة كما فرضنا على بني إسرائيل: أن اقتلوا أنفسهم، بأن يقتل الرجل نفسه، أو يقتل الناس بعضهم بعضاً، أو امرناهم بترك مساكنهم وديارهم، ما نفذ هذا الأمر إلا قليل منهم، ولو أنهم فعلوا ما يطلب منهم واتعظوا وأتابوا، لكان ذلك خيراً لهم في الدنيا والآخرة، وأشد يقيناً وتصديقاً، وأشد تنبيئاً لأقدامهم على الحق والإيمان، أي يثبتهم الله تعالى، والطاعات تثبت الإيمان. نزلت هذه الآية معلمة حال أولئك المنافقين، وأنه لو كتب ذلك على الأمة لم يفعلوه، وما كان يفعله إلا قليل مؤمنون محققون، كثابت بن قيس وعمار وابن مسعود.

٦٧- وإذا نفذوا الأمر، لأعطيناهم من عندنا ثواباً عظيماً في الآخرة.

٦٨- ولأرشدناهم طريقاً مستقيماً، يحققون به مصالح الدنيا والآخرة.

٦٩- ومن يطع أوامر الله والرسول، فأولئك يكونون مع النعم عليهم بدخول الجنة والوصول إلى رضوان الله والدرجات العلا، من النبيين الذين يوحي الله إليهم بشرع، والمبالغين في التصديق بدين الله وكتبه ورسله، وأهل الأعمال الصالحة، ونعم هؤلاء رفقاء في الجنة. نزلت في ثوبان مولى رسول الله

ﷺ، وكان شديد الحب له، قليل الصبر عنه، وتذكر الآخرة، وخاف إن دخل الجنة ألا يرى فيها رسول الله؛ لأنه مع النبيين، وإن لم يدخل الجنة، فذاك أحرى ألا يراه أبداً، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

٧٠- ذلك النعيم في الجنة من الله المتفضل على عباده، وكفى بالله علماً بمن يستحق إيتاءه هذا الفضل.

٧١- يا أيها المؤمنون احذروا مباغرة الأعداء، أعداء الدين، فأعدوا لهم العدة الملائمة، وانهضوا لقتال العدو جماعات متميزة متفرقة جماعة بعد جماعة بمقتضى نظام الحرب، أو مجتمعين جيشاً واحداً، إذا دخل العدو دياركم، فالجهاد يكون بحسب الحاجة أو المصلحة، لقمع شر العدو، وأمن مكره وعدوانه.

٧٢- وإن بعضكم وهم المنافقون الذين قعدوا عن القتال ليتشاكل ويتأخر عن الجهاد، ويشبط غيره عنه، فإن أصابكم مصيبة من قتل أو هزيمة أو فقد مال، قال هذا المنافق المتخلف: قد أنعم الله علي حيث لم أكن حاضراً معهم، فيصيني ما أصابهم.

٧٣- ولئن أصابكم خير من نصر أو غنيمة، قال هذا المنافق نادماً، كأنه بعيد عنكم، لا مودة بينه وبينكم، ولا محبة ولا عون، لم لا تشاركونني في الغنيمة؟ يا ليتني كنت مع المجاهدين في هذه المعركة، فأفوز بحظ وافر من الغنيمة.

٧٤- إن لم يقاتل هؤلاء المنافقون المبطنون المبطنون، فليقاتل المؤمنون المخلصون الذين يبذلون أو يبيعون الحياة الدنيا بالآخرة، أي من أجل الحصول على نعيم الآخرة، ومن يقاتل من أجل إعلاء دين الله ونصر شريعته، فيقتل شهيداً، أو يغلب عدوه ويظفر، فله الثواب الوافر (أي الجنة) في كلا الحالتين، مع مجد الدنيا والغنيمة.



٧٥- وما لكم لا تتقاتلون في سبيل الله وسبيل المستضعفين، لتخلصوهم من أسر الكفار، والمستضعفون في عصر النبوة: هم من كان بمكة من المؤمنين، وقد حبسهم المشركون عن الهجرة إلى المدينة، وأذوهم في أنفسهم وأموالهم، وكان النبي ﷺ يدعو لهم فيقول: اللهم أنج الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام، وعبّاش بن ربيعة، والمستضعفين من المؤمنين. وهم كانوا يقولون: ربنا أخرجنا من هذه القرية (أي مكة) الظالم أهلها، فإنهم ظلمونا وأضروا بنا، واجعل لنا من عندك ولياً يتولى أمرنا، وناصراً ينصرنا عليهم.

٧٦- المؤمنون يقاتلون من أجل إعلاء كلمة الله: كلمة الحق والعدل والتوحيد ونصرة الدين والشريعة، والكفار يقاتلون في سبيل الشيطان وأتباعه لطلب الفخر والغلبة بالباطل، فقاتلوا أيها المؤمنون أنصار الشيطان، إن مكر الشيطان بالمؤمنين ضعيف هزيل، فيبده عزم المؤمنين وحزمهم. وفي هذا تقوية لقلوب المؤمنين.

٧٧- ألم ترى يا نبي الله إلى بعض الصحابة المؤمنين الذين قيل لهم في مكة: كفوا أيديكم عن قتال المشركين، وأدوا الصلاة المفروضة، وأعطوا الزكاة لمستحقيها، فلما فرض عليهم في المدينة الجهاد الذي

طلبوه، خاف بعضهم من قتال المشركين كخوفهم من عذاب الله، أو أشد خوفاً من عذابه، من غير شك في الدين، بل خوفاً من الموت وأهوال القتال، وقالوا: لم فرضت علينا القتال؟ هلا أمهلنا لتمتع بحياتنا مدة أخرى؟! قل لهم أيها النبي: متاع الدنيا كله سريع الزوال، وثواب الآخرة خير لكم من المتاع القليل في الدنيا، لمن اتقى الله منكم ورغب في الخلود والثواب الدائم، ولا تظلمون (لا تنقصون) شيئاً حقيراً بقدر القليل: وهو الخيط الذي في شق النواة. نزلت في نفر من الصحابة، كانوا يلقون من المشركين أذى كثيراً، ويقولون: يا رسول الله، ائذن لنا في قتال هؤلاء؟ فيقول لهم: (كفوا أيديكم عنهم، فإنني لم أؤمر بقتالهم)، فلما أمر الله بعد الهجرة بقتال المشركين كرهه بعضهم وشق عليهم، فأنزل الله هذه الآية.

٧٨- أنتم صائرون إلى الموت لا محالة، ويصيبكم الموت في أي مكان، ولو كنتم في حصون منيعة، وإن تصب المنافقين نعمة كخصب أو غنيمة، نسبوها إلى الله تعالى لما علم فيهم من الخير، وإن تصبهم نقمة كجذب ومرض، نسبوها إلى الرسول ﷺ وأنها حصلت بسببه، فكذبهم الله بقوله: قل لهم أيها النبي: كل من الحسنة والسيئة من عند الله، وليس كما تزعمون، فما شأن هؤلاء القوم لا يكادون يفهمون قولاً، ولا يدركون أن كل شيء بقضاء الله وقدره. قال ابن عباس: لما استشهد من المسلمين من استشهاد يوم أحد، قال المنافقون الذين تخلفوا عن الجهاد: لو كان إخواننا الذين قتلوا عندنا، ما ماتوا وما قتلوا، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

٧٩- ما أصابك أيها الإنسان من حسنة (خير أو نعمة) فمن فضل الله وإحسانه الذي يسر لك أسبابها، وما أصابك من سيئة (شر أو نقمة) فبسبب ذنب من نفسك أنتهت فعوقبت عليه، وما أنت أيها النبي إلا مبلغ رسالة ربك، وليس بيدك مقادير الخلائق، حتى يكون منك الضرر والنفع، وكفى بالله شاهداً على ذلك.

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَوْلَاهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصْرًا ۗ الَّذِينَ آمَنُوا يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ۗ أَوْتَرْنَا إِلَى الَّذِينَ قَبِلْ لَهُمْ كُفْرًا أَتَيْدِكُمْ وَتَجْمَعُوا إِلَى الصَّلَاةِ وَأَتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كَبِّ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِرَكْبَتِكَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَى الْقِتَالُ الْفَيْلُ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۗ أَيْمَنَّا تَكُونُوا يَدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشْتَدَّةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَإِنَّ الْقَوْمَ لَا يَكَادِرُونَ بِعَقُوبَتِهِمْ حَدِيثًا ۗ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَرِحْتُمْ بِهَا وَأَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِن نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ سَعِيدًا ۗ

٨٠- من يطع رسول الله فقد أطاع الله ومن تولَّى فما أرسلناك
 عليهم حفيفاً ﴿٨٠﴾ ويقولون طاعة فإذا برزوا من
 عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب
 ما يبتون فأعرض عنهم وتوكل على الله وكن بالله وكيلاً
 ﴿٨١﴾ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا
 فيه اختلافاً كثيراً ﴿٨٢﴾ وإذا جاءهم أمر من الأمن
 أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أُولي
 الأُمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل
 الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً ﴿٨٣﴾
 فقتل في سبيل الله لا تكلف الأنفك وحرص المؤمنين
 عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأساً
 وأشد تنكيلاً ﴿٨٤﴾ من يشفع شفاعتاً حسنة يكن
 له نصيب منها ومن يشفع شفاعتاً سيئة يكن له هلك منها وكان
 الله على كل شيء مقيماً ﴿٨٥﴾ وإذا حُببتم بحبوحتكم أحسن
 منها أوردوها إن الله كان على كل شيء حسيباً ﴿٨٦﴾

٨٠- من يطع رسول الله فقد أطاع الله؛ لأنه
 رسوله، ومن أعرض عن طاعته وعصاه فقد عصى
 الله، ولست أيها الرسول حافظاً لأعمالهم أو
 مهيمناً ومسيطر عليهم، تجبرهم على الخير
 والإيمان، وتحاسبهم عليه، إنما عليك البلاغ.

٨١- ويقول المنافقون إذا كانوا عندك وأمرتهم
 بشيء: أمرك طاعة، أي مطاع، فإذا خرجوا من
 عندك، زورت أو غيرت أو دبرت طائفة منهم في
 الظلام غير ما تقول لهم وتأمرهم به، والله يُثبت
 في صحائف أعمالهم ما يدبرون ويذرون،
 ليجازيهم عليه، فأعرض عن هؤلاء المنافقين،
 وفوض أمرك إلى الله، وحسبك الله معيناً وناصراً.

٨٢- أفلا يتفهمون القرآن ويتأملون معانيه
 وأحكامه وعظاته؟! ولو تدبروه لوجدوه منسجماً
 مع بعضه، ولو كان من كلام البشر، لوجدوا
 تفاوتاً وتناقضاً كثيراً.

٨٣- وإذا جاء بعض ضعاف المسلمين أمرماً،
 فسمعوا شيئاً فيه الأمن كالانتصار، أو الخوف
 كالهزيمة والقتل، أذاعوه للناس، وروجوا
 الإشاعات الباطلة وقد يضر ذلك بالجيش، ولو

ردوا ذلك الخبر إلى الرسول، وإلى أهل العلم والعقل من القادة والرؤساء، لعلم حقيقة الخبر الذين
 يستخرجون خفاياه بتدبيرهم واتزان عقولهم من ولاة الأمر، فيتحققون من صحته، وما ينبغي أن يعلن أو
 يكتم، أي لو تركوا إذاعة الأخبار للرسول أو لأولي الأمر، لفعلوا ما يحقق المصلحة من الإعلان أو
 الكتمان. ولولا توفيق الله وفضله وإنعامه عليكم بالإيمان، لاتبعتم طريق الشيطان، كما اتبعه المنافقون،
 وقوله: ﴿إلا قليلاً﴾ استثناء من الإذاعة أو الاستنباط، والظاهر أنه من الاتباع، أي لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً
 منكم كالراشدين الذين ثبتوا على الحق، لما وهبهم الله من عقل صاف، وإرادة قوية لا تخضع للشيطان.

٨٤- فقاتل أيها النبي في سبيل الله، ولو كنت وحلك، لست مسؤولاً إلا عن نفسك، ولا تسأل عن
 أصحابك، وحرص المؤمنين على القتال، لعل الله يدفع بجهادكم بطش الكفار وشدتهم، علماً بأن البأس في
 الأصل الحرب، والله أشد عذاباً، وأعظم قوة وسلطاناً، وأشد تعذيباً.

٨٥- من يشفع شفاعتاً حسنة، يكن له حظ من ثوابها، والشفاعة الحسنة: هي التي تكون في حق مسلم،
 أو دفع شر أو ضرر عنه، ومن يشفع شفاعتاً سيئة: وهي التي تجلب ضرراً أو أذى أو تمنع حقاً لآخر، يكن له
 نصيب من وزرها، وكان الله على كل شيء مهيمناً ورقيباً، وحافظاً للأعمال، فيجازيكم عليها.

٨٦- وإذا حبيبتم أيها المؤمنون بتحبة، أي سلام، فحيوا بأحسن منها، أي بأن تردوا بأفضل منها، أو تردوا
 بثلها على الأقل، إن الله محاسب على كل شيء، ومجاز عليه.

٨٧- الله الإله الواحد القادر هو الذي يحشركم إلى الحساب والجزاء، ويبعثكم من القبور يوم القيامة الذي لا شك في وجوده عند المدركين حجج الله وبيئاته، ولا أحد أصدق من الله في قوله وخبره، لقدرتة وغناه.

٨٨- لا يصح الاختلاف في الحكم على المنافقين، ولا بد من معاداتهم والاتفاق على كفرهم، فما لكم أيها المؤمنون اختلفتم في شأن المنافقين وانقسمتم فرقتين: فرقة توأبهم لجهلها بحالهم، وفرقة تعاديبهم، وهو ما أيده الله، فالله ردهم- وهو رد معنوي - إلى الكفر ونكسهم بسبب كسبهم وهو لحوقهم بركب الكفر وعودتهم إلى الغدر، أتريدون هداية من أضله الله بكفره؟ وهذا للتقريع، ومن أضله الله لا تنفع فيه هداية أحد، ولن يجد طريقاً للإيمان. نزلت في قوم خرجوا مع رسول الله ﷺ إلى أحد، فرجعوا، فاختلف فيهم المسلمون، فقالت فرقة: نقلهم، وقالت فرقة: لا نقلهم، فنزلت هذه الآية.

٨٩- غنى هؤلاء المنافقون إمعاناً في الكفر والضلال أن يكفر المؤمنون كما كفروا، فتكونون متساوين معهم في الكفر، فلا توأبهم ولا تتخذوا منهم أنصاراً وأحباء، حتى يهاجروا إلى المدينة مع المؤمنين، فإن أعرضوا عن الهجرة والإيمان الصادق، فخذوهم إذا قدرتم عليه، أي اثسروهم، واقتلوهم في أي مكان وجدتموهم فيه، ولا تتخذوا منهم صديقاً توأبونه، ولا معينا ينصركم. وهذا في قوم ادعوا الإسلام، ثم لحقوا بدار الحرب في مكة، وليس ذلك في منافقي المدينة.

٩٠- لكن لا تقتلوا الذين يتصلون بقوم بينكم وبينهم ميثاق، بالجوار والخلف، فإن العهد يشملهم، كما لا تقتلوا الذين جاؤوكم، وقد ضاقت صدورهم عن القتال، ووقفوا على الحياد، فلم يقاتلوكم ولم يقاتلوا معكم، ولو شاء الله لسأطهم عليكم اختياراً منه لكم، وقاتلوكم مع الأعداء المشركين، ولكن الله كف أذاهم عنكم بفضلته ورحمته. فإن اعتزلوكم ولم يعرضوا لقتالكم، ورجعوا في مسالمتكم، فلا يحل لكم قتلهم ولا أسرهم ولا أخذ أموالهم. نزلت كسابقتها في قوم جاؤوا إلى المدينة زاعمين أنهم مهاجرون، ثم ارتدوا بعد ذلك، وعادوا إلى مكة ببضائع لهم يتجرون فيها، ونزلوا عند هلال بن عويمر الأسلمي حليف النبي ﷺ، وهو الذي حصر صدره أن يقاتل المؤمنين، فرفع عنهم القتل بهذه الآية: ﴿إلا الذين يصلون﴾.

٩١- ستجدون فريقاً آخر من المنافقين، يظهرن لكم الإسلام، ويظهرون لقومهم الكفر، كلما دعاهم قومهم إلى الشرك وقتال المسلمين، انقلبوا فيه ورجعوا إلى قومهم، ووقفوا في فتنة الكفر أشجع وقوع، فإن لم يتركوا قتالكم، ولم يسألوكم، ولم يمنعوا أيديهم عن قتالكم، فخذوهم أيها المؤمنون، واقتلوهم حيث لقيتموهم أو وجدتموهم، وأولئك المنافقون جعلنا لكم حجة بينة واضحة في قتلهم والتسلط عليهم، وإباحة قتالهم.

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي الْمَيِّتَ كَمَا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُمِيتُ الْمَيِّتَ لَآتِي بِفِيهِ
وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴿٨٧﴾ قَالَ كَفَرُوا فِي الْمُنَافِقِينَ
فَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمَا كَسْبًا أَتْرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ
اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَذُوا التَّوَكُّرُونَ
كَمَا كَفَرُوا فَكُونُوا سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ
حَتَّى يَهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُواهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ
حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وِلِيَاءَ وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾
إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مَبِيتٌ أَوْ جَاءَ وَكُرِّ
حَصْرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ أَوْ يَقْتُلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ
اللَّهُ لَسَأَطْنَاهُمْ عَلَيْكُمْ فَاقْتُلُوا قَوْمًا فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يَقْتُلُوا
وَأَقْوَامًا يَكْفُرُ السَّعَاءَ فَاَجْعَلِ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾
سَيَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوا بِنُكْحِ قَوْمِهِمْ كُلِّ مَا
رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أَرْكَسُوا فِيهَا فَإِنِ اتَّعَبْتُمْ لَوَدُّوا لِقَوْلِ الْيَكْفُرُ
السَّعَاءَ وَكْفُرُوا أَتَيْتُمْ فَخُذُواهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ
تَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿٩١﴾



وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ
 مُؤْمِنًا خَطَاً فَحَرِيرٌ رَقَبَةٌ مُؤْمِنَةٌ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ
 إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ
 لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَحَرِيرٌ رَقَبَةٌ مُؤْمِنَةٌ وَإِنْ
 كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ قَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ
 إِلَىٰ أَهْلِهِ وَحَرِيرٌ رَقَبَةٌ مُؤْمِنَةٌ فَمَنْ لَوْ جِدَّ فِصِيَامٌ
 سَهْرَيْنِ مُتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ
 اللَّهُ عَلَيْهِمُ حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا
 فَجَزَاءُ مِثْلِهِ بِحَيَاتِهِ فِيهَا وَعُضْبٌ مِّنَ اللَّهِ عَلَيْهِ
 وَلَعْنَةٌ وَأَعْدَاءُ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
 إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَيَّنُّوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ
 آتَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامُ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ
 عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ
 كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ
 فَبَيَّنُّوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

٩٢- ما كان ينبغي لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ من غير قصد، ومن قتل مؤمناً خطأ كأن يرمي صيداً أو شيئاً فيصيب إنساناً، فعليه تحرير رقبة مؤمنة من الرقيق، بأن يعتقها كفارة له عن خطئه، وعليه دفع دية تسلّم إلى أهله (ورثته) يقتسمونها كالإيراث، والدية: مال يعطى عوضاً عن دم المقتول إلى ورثته، إلا أن يتصدق (يعفو) أهل المقتول على أهل القاتل بالدية أو ببعضها. فإن كان القاتل من الأعداء أي الكفار الحربيين، وهو مؤمن، بأن يكون قد أسلم ولم يهاجر، فلا دية له على قاتله، ويجب على القاتل فقط عتق رقبة مؤمنة؛ لأن حرمة قليلة ولثلاث يتقوى الكفار بالدية علينا. وإن كان المقتول من قوم كفار بينكم وبينهم عهد على المسالمة، وهو مؤمن، فتجب له دية تدفع إلى ورثته، ويجب أيضاً على القاتل تحرير (عتق) رقبة مؤمنة، فمن لم يجد رقبة يعتقها، أو مالا يتسع لشراؤها، فعليه صيام شهرين متتابعين دون انقطاع بدلاً عن العتق، فلو أفطر لغير عذر استأنف، والعذر كالخض ونحوه، شرع ذلك تيسيراً وتسهيلاً وقبولاً لتوبة القاتل خطأ، وكان الله عليماً بمصالح خلقه، حكيماً في صنعه وتدييره وتشريعه. قال أبو زيد: نزلت في رجل قتله

أبو الدرداء، كان يرعى غنماً، وهو يتشهد، فقتله وساق غنمه إلى رسول الله ﷺ، وقال القاسم: نزلت حينما قتل عياش بن أبي ربيعة المخزومي الحارث بن زيد الذي كان شديداً على النبي ﷺ، فجاء وهو يريد الإسلام، وعياش لا يشعر، فقتله.

٩٣- ومن يقتل مؤمناً متعمداً، أي قاصداً قتله، فجزاؤه الخلود في جهنم إلا أن يتوب، وغضب الله عليه، وطرده من رحمته، وهياً له عذاباً عظيماً في النار. نزلت في مقيس بن ضبابة الكناني الذي قتل رجلاً من بني فهد، بالرغم من أخذه مئة من الإبل دية أخيه هشام بن ضبابة، من بني النجار، ورجع بها إلى مكة كافراً.

٩٤- يا أيها المؤمنون، إذا سافرتم للجهاد أو القتال في سبيل الله، فثبّتوا ولا تتسرعوا أثناء الضرب حتى لا تقتلوا مسلماً، ولا تقولوا لمن أعلن إسلامه بالنطق بالشهادتين والتحية بتحية الإسلام: لست مؤمناً، ثم تورطوا بقتله، تريدون متاع الدنيا، أي طالين الغنيمة، وهي حطام الدنيا الزائل، فعند الله مغانم وخيرات كثيرة خير مما رغبت فيه، وهي حلال لكم دون ارتكاب محظور، أي فلا تتهافتوا، وهذه عدة بما يأتي به الله على وجهه، ولقد كنتم مثل هؤلاء كفاراً، فهذاكم الله للإيمان، وحُققت دماؤكم بكلمة الإسلام أو الشهادة، فثبّتوا ولا تتعجلوا بالقتل، إن الله مطلع على أعمالكم. قال ابن عباس: لحق المسلمون رجلاً في غنيمة له، فقال: السلام عليكم، فقتلوه وأخذوا غنيمته، فنزلت هذه الآية: ﴿ولا تقولوا لمن ألقى﴾

٩٥- لا يستوي في الدرجة والشواب المتخلفون عن الجهاد، من المؤمنين، غير أهل الأعدار، من مرض أو عمى أو عجز، والمقاتلون في سبيل إعلاء كلمة الله، المجاهدون بالأموال والأنفس، فضل الله المجاهدين على القاعدين المتخلفين بدرجة، حيث جعل لهم سمعة عالية، ومرتبة زائدة في الآخرة، وكلام من الفريقين: المجاهدين والقاعدين، وعده الله الحسنی، أي المنزلة الحسنی أو المثوبة وهي الجنة، بسبب وجود الإيمان والنيات الطيبة عند القاعدين، وفضل الله المجاهدين على المتخلفين عن الجهاد بغير عذر بشواب عظيم. وهذا مبالغة وتأکید، ومثله الآية التالية. قال زيد بن ثابت: كنت عند النبي ﷺ حين نزلت عليه ﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين... والمجاهدون في سبيل الله ﴾ ولم يذكر ﴿ أولي الضرر ﴾ فقال ابن أم مكتوم: كيف وأنا أعمى لا أبصر؟ فنزل ﴿ غير أولي الضرر ﴾.

٩٦- أعد الله للمجاهدين درجات رفيعة في الجنة بحسب مراتب أعمالهم، ومغفرة لذنوبهم، ورحمة منتزلة عليهم، وكان الله غفوراً لذنوب عباده، رحيماً بالثائبين منهم.

٩٧- إن الذين تتوفاهم الملائكة بإذن الله، ظالمي

أنفسهم؛ لأنهم لم يهاجروا من ديار الكفر، مثلما كان في صدر الإسلام من مكة إلى المدينة، وبقوا بين الكفار يخفون إسلامهم، قالت الملائكة لهم توبيحاً: في أي الفريقين كنتم، أكنتم مع المسلمين أم مع المشركين؟ قالوا معتمرين: كنا عاجزين لا نقدر على إظهار ديننا، فتقول الملائكة لهم مكذبين وموبخين: ألم تكن أرض الله واسعة فنهاجروا فيها من بلاد الكفر إلى ديار الإيمان؟! فأولئك المستضعفون الذين رضوا البقاء في دار الكفر ماوهم جهنم، وبنست النار مرجعاً لهم. نزلت هذه الآية في ناس من أهل مكة، تكلموا بالإسلام ولم يهاجروا، وأظهروا الإيمان وأسروا النفاق، فلما كان يوم بدر، خرجوا مع المشركين إلى حرب المسلمين، فقتلوا، فضربت الملائكة وجوههم وأديبارهم، وقالوا لهم ما ذكر الله سبحانه.

٩٨- إلا المستضعفين العاجزين حقيقة، كالشيوخ والعجزة والزمنى الذين لا يجدون وسيلة للتخلص.

٩٩- فأولئك المعذورون المذكورون لعل الله يعفو عنهم بفضلهم وإحسانه، وكان الله كثير العفو والغفران.

١٠٠- ومن يهاجر في سبيل الله بقصد حسن لا يتبغي إلا رضوان الله، يجد في الأرض أمكنة كثيرة وخيراً وفيراً على رغم أنف عدوه، ويجد سعة في الرزق والبلاد، ومن هاجر قاصداً وجه الله، ثم مات في الطريق، فقد ثبت ثوابه عند الله، وكان الله كثير المغفرة للمستغفرين، رحيماً بالثائبين. نزلت في حبيب بن ضمرة الليثي، الذي كان شيخاً كبيراً، وهاجر إلى المدينة، فمات في التنعيم حميداً، فأنزل الله تعالى فيه هذه الآية.

١٠١- وإذا سافرت في الأرض، فلا حرج ولا إثم عليكم أن تقصروا الصلاة الرباعية في السفر ركعتين فقط، إن خفتهم أذى الكفار وفتنتهم بمكروه من قتل أو جرح، وكذلك يجوز القصير حال الأمن، إن الكفار ظاهروا العداوة لكم.

لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِّ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَلَا وَعَدَ اللَّهُ أَحْسَنَ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ ظَالِمًا فِي نَفْسِهِمْ قَالُوا فَبِمَا كَفَرْنَا قَاتِلُونَا أَمْ كَفَرْنَا بِأَلْوَانِكُمْ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسَعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوَالِدِينَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٩﴾ وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مَرْغًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَأُولَئِكَ أُولُو الْأَرْحَامِ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا صَرْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتَنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَكْفَرْتُمْ كَانُوا كُفْرًا وَعَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾



وَإِذَا كُنْتَ فِيهَا فَاقْتِمْ لَهَا الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةً مِنْهُمْ
مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ
وَدَائِكُمْ وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَوَيْصَلُوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ
وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا
لَوْ قَعَلُونِ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْنَكُمْ مُبْتَلَةً
وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذَى مِنْ طَرَفٍ أَوْ كُنْتُمْ
مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أََعَدَّ
لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ
فَازْكُرُوا لِلَّهِ قِلْمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ
 فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا
مُتَوَقَّفًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ كُنُوا تَأْمِنُونَ
 فَأَنْهَمُوا الْمُؤْمِنِينَ كَمَا تَأْمِنُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا
يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا
إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا
أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْكَافِرِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾

١٠٢- وإذا كنت أيها الرسول فيهم، ومثلك إمام الجيش، فأقمت الصلاة بالجد من أصحابك، فاجعلهم طائفتين: إحداهما تصلي معك، وأخرى تراقب العدو، ولتأخذ الطائفة التي تصلي معك أسلحتهم في الصلاة، للاستعداد في كل لحظة، فإذا سجد المسلمون معك، فلتحرسهم الطائفة الأخرى في مقابلة العدو التي لم تصل، حتى تنتهي الطائفة الأولى من نصف الصلاة معك، ثم تكمل وحدها، ثم يسلموا وينصرفوا لحراسة العدو، وتأتي الطائفة الثانية، فتصلي معك نصف الصلاة، ثم تسلم وتكمل وحدها بقية الصلاة، فتصلي كل طائفة صلاة الجماعة، ولتأخذ هذه الطائفة الأخرى حذرهم وأسلحتهم أثناء الصلاة، غنى الكفار لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم، فيهجمون عليكم هجمة واحدة، للاستيلاء عليكم. ولا إثم عليكم حال التأذي بمطر أو مرض أن تضعوا أسلحتكم للضرورة، فلا تحملوها، وخذوا حذرهم من العدو في أي حالة، لا سيما حينما يتعدون عن أسلحتكم حتى لا يأخذكم العدو على غرة، إن الله أعد للكافرين عذاباً مقترناً بالذل والإهانة. نزلت هذه الآية حينما صلى المؤمنون مع رسول الله ﷺ الظهر، فقال المشركون: قد كانوا على حال لو كنا أصبنا

منهم غرة، قالوا: تأتي عليهم صلاة هي أحب إليهم من آباتهم، وهي العصر، فنزل جبريل بهذه الآية بين الظهر والعصر، وهم بعسفان، وعلى المشركين خالد بن الوليد، وهم بينهم وبين القبلة.

١٠٣- فإذا فرغتم من الصلاة، فداوموا على ذكر الله في جميع الأحوال حتى في القتال، فإذا أمتم فأتوا الصلاة على الصفة المشروعة الكاملة، إن الصلاة كانت على المؤمنين مفروضة عليهم في أوقات محدودة معينة، لكل منها بدء ونهاية، لا يصح تقديمها ولا تأخيرها.

١٠٤- ولا تضعوا في طلب أعدائكم الكفار وقتالهم، إن تألمتم من القتال والجراح، فإنهم يتألمون منه مثلكم، وهم لا يجنبون عن قتالكم، فأنتم أولى بالصبر منهم، وترجون أيها المؤمنون من الله النصر والثواب ما لا يرجون بسبب كفرهم وجحودهم، فأنتم أحق بالصبر منهم، وكان الله عليماً بأعمالكم، حكيماً في أمركم ونهيكم.

١٠٥- إنا أنزلنا إليك القرآن إنزالاً مقروناً بالحق، لتحكم بين الناس بما أوحى إليك من الأحكام، وبما عرّفك الله من الأسرار، ولا تكن للخائنين مدافعاً ومخاصماً عنهم، مجادلاً للمحققين بسببهم. نزلت هذه الآية وما بعدها إلى الآية [١١٦] في رجل من المنافقين هو طُعْمَةُ بن أبيرق، سرق درعاً من جارية له هو قتادة بن النعمان، في جراب دقيق، ثم خباها عند رجل من اليهود هو زيد بن السمين، فلما أتبعوا أثر الدقيق إلى منزل اليهودي، وجدوها عنده، فقال: دفعها إلي طُعْمَةُ، فحاول قومه بنو ظفر أن يجادل النبي عن صاحبهم، فهم الرسول أن يفعل، وأن يعاقب اليهودي، فأنزل الله تعالى: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق..﴾ الآيات.

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تَجِدَلْ
عَنِ الَّذِينَ يَخْتَفُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ
خَوَّانًا أَنِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَخْتَفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَخْتَفُونَ
مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ
وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَذَا نُهُهُ لَوْلَا جَدَلُهُ
عَنْهُمْ فِي الْخَيْرَةِ الدُّنْيَا لَفَنَّ يَجِدَلُ اللَّهُ عَنْهُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ أَمْ مَن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ
سُوءًا أَوْ يظلم نفسه ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا
﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبْهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ
عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرِ
بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ أَحْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْ لَا فَضْلُ
اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ هَمَّتْ تَطَافِعُ مِنْهُمُ أَنْ يُضِلُّوكَ
وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّوكَ مِن شَيْءٍ
وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ
مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾

(محامياً) عنهم؟

١٠٦- واطلب أيها النبي المغفرة مما عزمت عليه،
إن الله غفور لمن استغفره، رحيم بمن تاب وأناب .

١٠٧- ولا تمحاجج أو تدافع عن الذين يخونون
أنفسهم بالسرقة أو غيرها من المظالم، أو يبالغون
في خيانتها بالمعاصي الضارة، إن الله لا يحب أي
يعاقب الكثير الخيانة، الكثير الإثم أو الذنب
وارتكاب المعاصي .

١٠٨- يستتر المنافقون من الناس حذراً من
الفضيحة، ولا يستترون عند فعل المعصية من الله؛
لأن الله عالم بكل شيء، فإن فعلوا شيئاً لم يخف
عليه تعالى، والله عالم بهم ويجمع أفعالهم
السرية والجهرية، حين يدبرون ليليل، ويخططون
لما لا يرضاه الله من الرأي الذي اتفقوا عليه، وكان
الله مطلعاً على أعمالهم ومجازيهم عليها .

١٠٩- أيها القوم الذين جادلوا بالباطل عن
صاحبهم السارق وهو طعمة ومن ساعده، دافعتم
عن الخائنين في الدنيا، فمن يحاجج الله، ويدافع
عنهم عند تعذيبهم بذنوبهم، لإنقاذهم من العذاب
يوم القيامة، أم من يكون عليهم وكيلاً بالخصوصة

١١٠- ومن يعمل فعلاً قبيحاً يسوء غيره، أو يظلم نفسه بمعصية شخصية كشرب خمر، ثم يطلب من الله
ستر الذنب ومحوه عنه، بقوله: أستغفر الله، يجد الله غفوراً ساتراً للذنوبه، رحيماً به بقبول توبته .

١١١- ومن يفعل معصية متمعداً، فإنما يتحمل جزاءه بنفسه، وكان الله عليماً بخلقه، حكيماً في صنعه،
لا يعاقب غير العاصي .

١١٢- ومن يرتكب معصية مطلقاً، أو معصية عمدية، والخطيئة: تكون عن عمد وعن خطأ، والإثم لا
يكون إلا عن عمد، ثم يتهم به بريئاً، فقد ارتكب ذنباً كبيراً افتراءً- والبهتان: الكذب على البريء بما لم يصدر
منه ويحيره- وجُرمًا واضحاً عظيماً .

١١٣- ولولا فضل الله عليك أيها النبي ورحمته بك بتحذيرك وتنبهيك على الحق في قصة طعمة، لهمت
جماعة هم بنو أبيرق أن يضلوك أو يبعدوك عن الحق بالشهادة الباطلة، وما يُضِلُّونَ بفعلهم هذا إلا
أنفسهم؛ لأن وباله عليهم، وما يضررونك بشيء، لأنك قضيت بما تسمع من الشهادة الظاهرة، وأنزل الله
عليك القرآن، والعلم النافع وفهم أسرار الشريعة والقدرة على تحري الحق والصواب، وعلمك ما كنت
جاهله من أمور الدين وأحكام الشرع، وكان الفضل الإلهي عليك عظيماً بإرسالك للناس كافة، ولا فضل
أعظم من النبوة ونزول الوحي .

لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ
 أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ
 اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن يَشَاقِقِ الرَّسُولَ
 مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ
 نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾
 إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لِمَن يَشْرِكْ بِهِ وَيَغْفِرُ مِمَّا دُونَ
 ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا
 بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنثًا وَإِن يَدْعُونَ
 إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ
 مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَا ضَلَمَ لَهُمُ وَلَا يُنَبِّئُهُمُ
 وَلَا مَرَّتَهُمْ فَلْيَتَذَكَّرْنَ ؕ أَلَا تَرَ أَنَّ الْآلِهَةَ لَا تُعْبَدُ
 فَلْيَعْبُدُوا اللَّهَ وَمَن يَشْخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ
 اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعْبُدُهُمْ
 وَيَمْتَنِعُهُمْ وَمَا يَعْبُدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا عُرْوًا ﴿١٢٠﴾
 أُولَئِكَ مَاؤُنْهَمُ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحَصًا ﴿١٢١﴾

١١٤- لا خير ولا نفع في كثير من النجوى: السريين الاثنين أو الجماعة إذا تحدثوا به، إلا في أمور ثلاثة: الأمر بأداء الصدقة، أو عمل المعروف: وهو يشمل جميع أنواع البر كإنقاذ ملهوف، ونهي عن منكر، أو الإصلاح بين الناس في الدماء والأعراض والأموال ومختلف الخصومات، ومن يفعل هذه الأمور بقصد إرضاء الله، لا لغرض دنيوي، فسوف نعطيه ثواباً عظيماً واسعاً.

١١٥- ومن يخالف الرسول ويعارضه، من بعد ظهور الحق له، وأنه رسول الله بالبراهين الدالة على ذلك، ويتبع غير طريق المؤمنين: وهو ما هم عليه من الإسلام والتزام أحكامه، بأن يناصر أهل الكفر والضلال، تتركه وما اختاره لنفسه من الضلالة، وندخله جهنم، وبشئ ذلك مرجعاً ومالاً.

١١٦- إن الله لا يغفر أبداً الشرك بأن يُعبد معه إله آخر، ومثله الكفر بالرسول أو باليوم الآخر، وقد يغفر كل الذنوب لمن شاء من عباده، ومن يشرك بربه، فقد ابتعد عن الحق ابتعاداً شديداً.

١١٧- ما يعبد المشركون من غير الله من

الأصنام إلا معبودات ضعيفة، كالإناث أو بأسماء مؤنثة مثل اللات والعزى ومناة ونحوها، والعرب تصف الضعيف بالأنثى، وما يعبدون إلا شيطاناً هو إبليس، متمرداً على طاعة الله عاتياً، أي شديد التمرد والعتو.

١١٨- لعنه الله وأبعده عن رحمته، وقال حين اللعنة: لأجعلن مقداراً معلوماً من عبادك غواة كفره، أخرجهم من طاعة الله إلى الكفر والعصيان.

١١٩- ولأصرفهم عن الهداية، وأزرع في نفوسهم الأمانى الباطلة كطول العمر وتحقيق الأمل، والمضي في المعصية، ولأمرهم فليقطعن آذان الأنعام (الإبل والبقر والغنم)، كشق آذان الحائث والسواحب، وتحريم الانتفاع بها، ولأمرهم بتغيير الفطرة التي فطروا عليها، تغييراً مادياً كخصاء الأدميين، أو معنوياً كالانغماس في الشر، ومن يتخذ الشيطان معلماً يتولى أمره من دون الله، باتباع أمره وإطاعته، فقد خسِرَ خساراً واضحاً في الدنيا والآخرة.

١٢٠- يعبد الشيطان أولياءه بإيجاز وعوده لهم إن اتبعوه، ويمتئهم الأمانى الكاذبة بالتفوق والجاه والمال في الدنيا، والنجاة في الآخرة فلا بحث ولا جزاء، وما يعدهم من الوعود الباطلة بالسواوس الفارغة إلا باطلا يغرهم به ويظهر لهم فيه النفع، وهو شر محض.

١٢١- أولئك المستحسنون لما وعدهم الشيطان، مصيرهم جهنم يوم القيامة، ولا يجدون عنها مهرباً يفرون إليه.

١٢٢- والذين آمنوا بالله ورسله، وعملوا الأعمال الصالحة من فرائض وتطوعات، سندخلهم في الآخرة جنات تجري من تحت أشجارها ومسكنها الأنهار، ماكثين فيها إلى الأبد، وعدمهم الله ذلك وعداً صادقاً، ولا أحد أصدق قولاً أو خبراً من الله تعالى .

١٢٣- ليس الدين بالتحلي ولا بالتمني، وليست الجنة والقرب من الله بمجرد التمني، لا أنتم أيها المشركون ولا أهل الكتاب الذين قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، ولن نمسنا النار إلا أياماً معدودة، بل من يقترف سيئة صغيرة أو كبيرة، يجازاه الله بفعله في الدنيا والآخرة، ولا يجده من غير الله من يتولى حفظه، أو يدفع عنه العذاب. نزلت للرد على أتباع الديانات الثلاث: اليهود والنصارى الذين زعموا النجاة، والمسلمين الذين ردوا عليهم قائلين: لن يدخلها إلا نحن، فلفظ الآية عام، والكافر والمؤمن مجازي بالسوء يعمله، فجزاء الكافر النار دائماً، وجزاء المؤمن نكبات الدنيا ومصائبها، كالحزن والمرض والأواء (الشدة والمحنة) والنار مؤقتاً. قال أبو صالح: جلس أهل الكتاب (أهل التوراة وأهل الإنجيل) وأهل الأديان، كل صنف يقول لصاحبه: نحن خير منكم، فنزلت هذه الآية.

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْرِبْ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ فِيهَا شَيْئًا وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٤﴾ وَاللَّهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ كُلَّ شَيْءٍ مُحِيطًا ﴿١٢٥﴾ وَسَيَسْأَلُكَ فِي النِّسَاءِ قُلُوبُ اللَّهِ يَفْقَهُكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُسْأَلُ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَّبِعِ النِّسَاءَ الَّتِي لَا تُوَلُّوهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوُلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٦﴾

١٢٤- ومن يعمل الأعمال الصالحة، ذكراً أو أنثى، وهو مؤمن حق الإيمان، فأولئك يدخلون الجنة، ولا ينقصون شيئاً من الثواب ولو شيئاً حقيراً مقدار النقيير: وهو النقرة التي في ظهر نواة التمر.

١٢٥- ولا أحد أصح ديناً عن أخلص مقصده وتوجهه لله، وأحسن في أعماله، واتبع دين إبراهيم الخليل عليه السلام، حال كونه مثلاً عن الأديان الباطلة إلى الدين الحق، وهو الإسلام، واتخذ الله إبراهيم صفوة له، لإخلاصه في عبادته واجتهاده فيما يرضى الله به.

١٢٦- والله ما في السموات والأرض خلقاً وملكاً وتصرفاً، وهذا إشارة إلى أنه اتخذ إبراهيم خليلاً لطاعته، لا للتكثير به، وكان الله محيطاً علمه بكل شيء.

١٢٧- ويطلبون منك أيها النبي الفتيا في أمور النساء: واجباتهن وحقوقهن، قل: الله يبين لكم حكم بعض أحوالهن، وهو الآيات الثلاث التالية، والذي نزل من القرآن، وهو أول سورة النساء: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَقْسُطُوا...﴾ [الآية ٣] في يتامى النساء اللاتي لا تعطينهن ما فرض لهن من الميراث والمهر وغيرهما، وترغبون في نكاحهن لجمالهن، وتعزلوهن أن يتزوجن طمعاً في الميراث، فلا تفعلوا ذلك إلا أن تعطينهن صدقاتهن كاملاً ولا تمنعهن من الزواج، ويفتيكم في المستضعفين (الصغار اليتامى) من الولدان بأن تورثوهن، وكانوا في الجاهلية لا يورثون النساء والأولاد الصغار، وإنما يورثون الكبار، ويأمركم الله برعاية اليتامى في القوامة أو الوصاية عليهم، بأن تعاملوهم بالعدل في الميراث والمهر وتنمية الأموال، وما تفعلوا من خير في هؤلاء من الإكرام والإحسان، فالله عليم به، يحصيه ويجازي عليه. روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها بيان الاستفتاء وجوابه، كما أوضحت في تفسير الآية هنا.

١٢٨- وإن خافت امرأة من زوجها نشوزاً (أي تباعداً عنها) أو إعراضاً عن مكانتها، فلا إثم عليهما من إجراء الصلح بينهما صلحاً يمنع من الفراق أو سوء العشرة، كإسقاط النوبة أو بعض النفقة أو بعض المهر، وترضى المرأة بالبقاء عند زوجها على هذه الحال، وكل صلح يحقق التفاهم والتوادد خيراً من الفرقة أو الخصومة، وجلبت النفوس على الشح (وهو البخل الشديد مع الحرص) فيشح الرجل في إحسان العشرة والنفقة، وتشح المرأة في أداء حقوق الزوج، وإن تحسنا عشرة النساء، وتتقوا الله فيما لا يجوز من الجور عليهن، والنشوز والإعراض، فالله مطلع على نياتكم وأعمالكم ويجازيكم عليها. قالت عائشة في هذه الآية: نزلت في المرأة تكون عند الرجل، فلا يستكثر منها، ويريد فراقها، ولعلها أن تكون لها صحبة، ويكون لها ولد، فيكره فراقها، وتقول له: لا تطلقني، وأمسكني وأنت في حل من شأني، فأنزلت هذه الآية.

١٢٩- لن تتمكنوا من العدل التام على الإطلاق بين النساء في المحبة والمتعة، ولو حرصتم عليه، لما جلبت عليه النفوس البشرية من ميل النفس لواحدة أكثر من الأخرى، فلا تميلوا كل الميل لواحدة وتتركوا الأخرى، فتجعلوها كالمعلقة، التي لا هي زوجة ولا هي مطلقة،

وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً أو الصلح خيراً وأحضرت الأنفس الشح وإن تحسنا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً ﴿١٢٨﴾ ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان عفواً رحيماً ﴿١٢٩﴾ وإن يتفرقا يغن الله كلاً من سعته وكان الله واسعاً حكيماً ﴿١٣٠﴾ والله ما في السموات وما في الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله وإن تكفروا بالله ما في السموات وما في الأرض وكان الله غنياً حميداً ﴿١٣١﴾ والله ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً ﴿١٣٢﴾ إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديراً ﴿١٣٣﴾ من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعاً بصيراً ﴿١٣٤﴾

فتضرر بذلك ضرراً كبيراً، أي لا تميزوا زوجة على غيرها بما هو مقدر لكم التسوية فيه، وهو العدل المادي في النفقة ونحوها، أما الميل القلبي فلا قدرة لكم عليه ولا مواخذة فيه، وإن أصلحتكم ما أفسدتم ما بالميل لواحدة في العشرة والعدل، دون الأخرى، واتفقتكم الله في حسن المعاملة وترك ما يكره، فالله غفور رحيم لما سبق، لا يؤاخذكم فيما فرطتم فيه، وتبتم عنه. نزلت إما في النبي ﷺ وسودة بنت زمعة التي تنازلت عن قسمتها لكبر سنها، أو في رافع بن خديج وخولة بنت محمد بن مسلمة لكبرها، أو في أبي السنابل بن بعكك وامراته.

١٣٠- وإن يتفرق الزوجان بعد تعذر الصلح، يغن الله كلاً منهما عن الآخر، ويرزقهما من فضله رزقاً يستغني به عن الحاجة، وكان الله واسع الفضل، حكيماً في تدييره وتشريعه الأحكام.

١٣١- ثم نبه الله على موضع الرجاء لهذين المشرقين، وهو أن الله جميع ما في السموات والأرض، وهو القادر والرازق، ولقد أمرنا أهل الكتاب، وأمرناكم أيضاً بالتقوى بالتزام الأوامر واجتناب النواهي، وإن تكفروا بما شرع الله لكم، فالله مالك السموات والأرض، لا يضره كفركم، كرز ذلك للتأكيد وتبنيه العباد على سعة ملك الله وحقه أن يطاع فلا يعصى، وكان الله غنياً عن خلقه، محموداً على كل حال، وفي جميع أفعاله، وقادراً عليهم.

١٣٢- والله ملك السموات والأرض وما بينهما، تأكيد بعد تأكيد على استغناء الخالق، واحتياج المخلوقات له، وكفى بالله وكيلاً يتكل عليه الخلق، ويفوضون أمورهم إليه.

١٣٣- إن يشأ الله يمتكم أيها الناس جميعاً، ويأت بآخرين غيركم يقومون مقامكم، وكان الله قادراً على كل شيء.

١٣٤- من كان يريد بعمله شيئاً من ثواب الدنيا كالغنيمة، دون الأجر، فعند الله ثواب الدنيا والآخرة، فلم يطلب أدنى الأمرين، ويترك ما عند الله من حسنة الدنيا وأجر الآخرة، فيعطيه الثوابين، وكان الله سميعاً لأفواكم، بصيراً بأعمالكم.



١٣٥- يا أيها المؤمنون كونوا مداومين على القيام بالعدل بين الناس في جميع أموركم في الأسرة والقضاء والإمارة والمجتمع، شهداء بالحق لوجه الله تعالى، بإقامة الشهادة على وجهها، ولو كانت الشهادة على أنفسكم بالإقرار بالحق، أو على الوالدين بالشهادة عليهما بحق للغير- وذكرنا لأنهما أحب الناس للولد- أو على الأقرين مثل ذلك؛ لأنهم مظنة المودة والمجاملة، فاصدقوا في الشهادة، ولا تمتنعوا عن أدائها، وإن يكن المشهود عليه غنياً أو فقيراً، فالله أولى بكل واحد منهما، فلا يراعى الغني لغناه، والفقير لفقره، فترك الشهادة عليهما، فلا تميلوا مع الهوى لجلب النفع لهم أو دفع الضرر عنهم، كراهة أن تعدلوا، أي لا يكن اتباع الأهواء سبباً في الجور بالشهادة، وإن تكلوا الستمكم في الشهادة، بأن تأتوا بها على غير وجهها أو بتحريفها، أو تمتنعوا عن أداء الشهادة، فإن الله مطلع على أعمالكم ومجازيكم عليها. قال السدي: نزلت في النبي ﷺ، اختصم إليه غني وفقير، وكان ضلعه (ميله) مع الفقير، رأى أن الفقير لا يظلم الغني، فأبى الله تعالى إلا أن يقوم بالقسط في الغني والفقير، فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا...﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن كُنْتُمْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوْتُمْ أَوْ نَعَسْتُمْ فَاِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ﴿١٣٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِن الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا يَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ يُبْتَلُونَ عِنْدَ اللَّهِ عِزَّةً فَإِنِ الْعِزَّةُ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَن إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَعْدُوا وَمَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخْرُجُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ ؕ وَإِن كُنْتُمْ إِذًا مِّنْهُمْ ؕ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾

١٣٦- يا أيها المؤمنون اثبتوا على الإيمان بالله ورسوله، وهذا مثل قوله: ﴿يا أيها النبي اتق الله﴾ [الأحزاب ١/٣٣] وعلى القرآن المنزل على الرسول محمد ﷺ، وعلى الكتب المنزلة على الرسل السابقين، ومن يكفر، أي يجهل بشيء من عناصر الإيمان بذلك وبالملائكة وباليوم الآخر، فقد انحرف عن الهداية والحق والصواب انحرفاً شديداً، فليرجع إلى طريق الهداية. نزلت في جماعة من مؤمني أهل الكتاب، قالوا: يا رسول الله، إنا نؤمن بك وبكتابك، وبموسى والتوراة وعزير، ونكفر بما سواه من الكتب والرسل، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

١٣٧- إن بعض المنافقين الذين ترددوا بين الكفر والإيمان، ثم ازدادوا كفراً بحاربة الرسول، وماتوا على الكفر، لن يغفر الله ذنوبهم، ولن يهديهم الطريق إلى الجنة، لإمعانهم في الكفر.

١٣٨- بشر على سبيل التهكم والتقريع، بمعنى أنذر المنافقين بأن لهم في الآخرة عذاباً مؤلماً في نار جهنم.

١٣٩- الذين يتخذون الكفار أصدقاء وأصفياء وأنصاراً، ولا يتخذون المؤمنين أولياء، هل يطلبون عند الكفار قوة وغلبة؟ هذا خطأ، فإن العزة كلها لله في الدنيا والآخرة، فهو الذي يمنح العزة بفضه وفضله لمن يشاء من عباده.

١٤٠- وقد نزل الله عليكم أيها الذين أظهرتم الإيمان في القرآن: أن إذا سمعتم الكفر بآيات الله والاستهزاء بها، فلا تعدوا مع الكافرين والمستهزئين ما داموا على ذلك، حتى يدخلوا أو يشروا في حديث آخر غير حديث الكفر والاستهزاء بالآيات، إنكم إن فعلتم ذلك بالعود معهم، فأنتم مثلهم في الكفر والإثم، والله جامع الكافرين والمنافقين جميعاً في نار جهنم. والذي أنزل في القرآن آية الأنعام [٦/٦٨]: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم...﴾.

الَّذِينَ يَرَبُّونَكُمْ وَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْنَةٌ مِنْ اللَّهِ فَاتُوا أَلَمْ تَكُنْ
مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ فَأَلَوْا أَلَمْ تَسْخُودُوا
عَلَيْكُمْ وَتَمَعُّكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَسَاءَ مَا يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا
﴿١٤١﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا
إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُزَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ
اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُذَّبَّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا
إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخِنُوا أَكْافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ
الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا
﴿١٤٤﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي اللَّهِ لِرِذْوَانٍ لَئِيمٍ لَنْ يَجِدَهُمْ
نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ
وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي
اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدُوِّكُمْ
إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

١٤١ - الذين يتظرون بكم ما يحدث لكم من خير أو شر، أو يحل بكم من العذاب، فإن كان لكم فتح من الله كنصر أو غنيمة، قالوا لكم: ألم نكن أنصاراً لكم في الإسلام، فأعطونا من الغنيمة، وإن كان للكفار حظ من النصر والغلبة، كما حدث في معركة أحد، قالوا لأعدائكم الكفار: ألم نستول عليكم ونحافظ عليكم، ولكننا لم نفعل إخلاصاً لكم، وكانت مهمتنا تثبيط المؤمنين عنكم، ومنعهم عنكم وتخذيلاً لهم حتى ضعفوا عن مقاومتكم، والمراد أنهم يميلون دائماً مع الغالب المنتصر، والله يحكم بالحق والعدل يوم القيامة بين المؤمنين والمنافقين، فتكشف الحقائق، ولن يجعل الله للكافرين طريقاً للتغلب على المؤمنين، ما داموا صادقي الإيمان، عاملين بالحق والشرع، غير راضين بالباطل، فترفع درجة المؤمنين على درجات الكفار والمنافقين.

١٤٢ - إن المنافقين يخادعون الله بإظهار الإيمان وإبطان الكفر، وهو خادعهم، أي يجازيهم على خداعهم، مؤخراً عقوبتهم إلى الآخرة، وإن كان يجعلهم كالمسلمين في الدنيا، بعصمة دعاتهم وأسماؤهم، وإذا صلوا أدوا الصلاة متكاسلين متشاققين، يراؤون الناس، أي يظهرون الشيء الحسن ليراه الناس، لا يقصد اتباع الدين، ليظنهم مؤمنين، ولا يذكرون الله في الصلاة وغيرها إلا ذكراً قليلاً، حين الاضطرار لذلك.

١٤٣ - إنهم يترددون بين الكفر والإيمان، لا هم مع الكفار فيصرحوا بكفرهم، ولا مع المؤمنين، فيخلصوا إيمانهم، ومن لم يوفقه الله، فلا طريق له إلى الحق والهدى.

١٤٤ - يا أيها المؤمنون، لا تتخذوا الكفار بطانة وأصدقاء وأنصاراً تصدقونهم المودة، بدلاً من المؤمنين، كما فعل المنافقون، أتريدون أن تجعلوا الله عليكم حجة واضحة على ضعف إيمانكم، واستحقاق العذاب بسبب موالاته الكفار؟!

١٤٥ - إن المنافقين يوم القيامة في الطبقة السفلى من النار، وهي الهاوية، لشدة الكفر وكثرة أضراره، ولن تجد لهم نصراً يخلصهم من العذاب في ذلك الدرك الأسفل.

١٤٦ - لكن الذين تابوا من النفاق، وأصلحوا ما فسد من أحوالهم، وتمسكوا بشرع الله ووثقوا بوعده، وأخلصوا العمل بترك الرياء والنفاق وطاعة غير الله، فهم مع المؤمنين في أحكام الدنيا والآخرة، وللمؤمنين في الآخرة ثواب عظيم، يكون مثله للثابتين من النفاق.

١٤٧ - أي منفعته لله بعبادكم؟ إن شكرتم نعمته، وأمتتم بما أنزل على رسوله، وكان الله شاكراً طاعة عباده، يقبل القليل، ويعطي الكثير من الأجر، عليمًا بأفعالهم ومجازيهم عليها.



١٤٨- لا يحب الله الجهر بسوء القول كالسب والشتم، وإنما يعاقب عليه، لكن من ظلم فله أن يقول في الادعاء أمام المحاكم ونحوها لدى أصحاب السلطة: ظلمني فلان، ليتمكن من دفع الظلم أو الضرر واستيفاء حقه، وكان الله سمياً لشكوى المظلوم، عليمًا بظلم الظالم، ومعاقباً عليه. قال مجاهد: إن ضيفاً تضيف قوماً، فأسأؤوا قراه، فاشتكاهم، فنزلت هذه الآية رخصة في أن يشكو.

١٤٩- إن تطهروا أيها المؤمنون عملاً خيراً، أو تعملوه سراً، أو تصفحوا عن الإساءة إليكم، فالله كثير العفو عن عباده المذنبين، تام القدرة على الانتقام منهم بما كسبت أيديهم، فاقتدوا بالله بالعفو عند المقدرة.

١٥٠- إن الذين يكفرون بالله ورسله، ويؤمنون بالله ويكفرون ببعض رسله أو بكلمهم، وهذا تفریق بين الله ورسله، ويقولون: نؤمن ببعض الرسل، ونكفر ببعض، وهم اليهود الذين آمنوا بموسى، وكفروا بعباسي ومحمد، والنصارى الذين آمنوا بعباسي وكفروا بمحمد، ويريدون أن يتخذوا بين الإيمان والكفر طريقاً أو ديناً وسطاً بينهما.

١٥١- أولئك هم الكفار الكاملون في الكفر، والكفر ثابت فيهم لا شك فيه، فهو كفر حقيقي، وأعدنا

وهيأتنا للكافرين عذاباً فيه ذل وخزي وإهانة.

١٥٢- والذين صدقوا بالله ورسله جميعاً، ولم يفرقوا بين واحد وآخر، بل آمنوا بهم جميعاً، فهم الذين يعطيهم الله ثواب أعمالهم الكامل، وكان الله كثير المغفرة لذنوبهم، رحيماً بهم.

١٥٣- يسألك يا رسول الله أخبار اليهود، سؤال تعنت وعتاد أن تنزل عليهم كتاباً جملة، خاصاً بهم، من السماء، لإثبات ادعائك النبوة، ولقد طلب أسلافهم من موسى عليه السلام أعظم من ذلك، فقالوا له: أرنا الله عياناً، فأخذتهم الصاعقة: نار نزلت عليهم من السماء، فأهلكتهم، بسبب ظلمهم، أي تعنتهم في السؤال برؤية الله عياناً في الدنيا، ثم اتخذوا العجل إلهاً، وعبده من دون الله، والعطف بـ«ثم» للتطاول في الجريئة، لا للترتيب الزمني؛ لأن اتخاذ العجل كان من قبل طلب الرؤية، وكان كل ذلك من بعد مجيء المعجزات والأدلة الواضحة على وحدانية الله ونبوة موسى كاليد والعصا وقلع البحر، فعفونا عما بدر منهم من طلب الرؤية وعبادة العجل، وقبلنا توبتهم، وأعطينا موسى حجة بيته، وسلطة ظاهرة قوية، فأخضعناهم له مع شدة تمردهم، وسميت الحجة سلطاناً؛ لأن من جاء بها قهر خصمه. نزلت في اليهود، قالوا للنبي ﷺ: إن كنت نبياً، فأتنا بكتاب جملة من السماء، كما أتى به موسى، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

١٥٤- ولما امتنع اليهود من شريعة موسى، رفع الله فوق رؤوسهم جبل الطور مثل المظلة، وأمرناهم بدخول باب مدينة بيت المقدس ساجدين خاشعين، حين أذن الله لهم بافتتاحها بعد موسى عليه السلام، وقلنا لهم: لا تعتدوا على حرمة العبادة يوم السبت، بالصيد أو بأخذ ما أمرتم بتركه من الأسماك، وأخذنا منهم عهداً مؤكداً على العمل بالتوراة.

لَا يَحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَةِ مِنَ الْقَوْلِ إِذْ لَمْ يَكُنْ ظَلَمَ وَلَا كَانَ اللَّهُ سَمِيْعًا عَلِيْمًا ﴿١٤٨﴾ إِنَّ تَبْدُ وَآخِرًا أَوْ تُخْفَوُ أَوْ تُعْفَوُ عَنْ سُوَةِ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيْرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنُكْفِرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيْلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِيْنَ عَذَابًا مُّبِيْنًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِيْنَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا رَحِيْمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتٰبِ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتٰبًا مِنَ السَّمَاءِ فَتَقْرَأَهُمْ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرٰبَا لِلَّهِ حِجْرَةٌ فَاخَذَتْهُمْ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ أَنبٰتُكُم مَّعْفُوْنَ عَنْ ذَلِكَ وَءَاتَيْنَا مُوسَى سُلْطٰنًا مُّبِيْنًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِثْقَلِهِمْ وَقَالَا لِمَ أَذْهَبْنَا عَنْ الْآبَاتِ سِجْنًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِثْقَلًا عَلِيْظًا ﴿١٥٤﴾

فَمَا نَقَضَهُمْ مِيثَقَهُمْ وَكَرِهَ رَبَّائِلَ آيَاتِ اللَّهِ وَقَالَهُمُ الْآبِيَاءُ
بِعِزِّ حَقِّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِخُرْفَةٍ فَلَا
يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَكَرِهَ لَهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بَسَّتْ
عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ
اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا
فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِمَّنْ مَالَهُمْ بِيَدٍ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتَّبَاعُ الظُّلَمِ
وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا
﴿١٥٨﴾ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ
يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَيُظَلِّمُونَ الَّذِينَ هَادُوا وَأَحْرَمْنَا عَلَيْهِمْ
طَبِيبَاتٍ أَحَلَّتْ لَهُمْ وَبَيَّضَهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾
وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدَّحُوا عَنْهُ وَأَكَلَهُمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ
وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَكِنَّ الرَّاكِبِينَ
فِي أَعْلَامِ مَنْهَرٍ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا
أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُسَبِّحِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾

١٥٥ - فبسبب نقضهم العهد مع الله للعمل بما في التوراة لعناهم، وكذا بسبب كفرهم بآيات الله المنزلة، وقتلهم الأنبياء ظلماً وعدواناً كيحى وزكريا وغيرهما، وقولهم للأنبياء: قلوبنا مغطاة بالغلاف، أي بالأغشية والأغطية، فلا تفقه ما تقول، والواقع ليس الأمر أو عدم قبولهم للحق كما يقولون: إن قلوبهم مغلقة، بل بسبب ختم الله على قلوبهم، فأصبحت محجوبة عن قبول الإيمان عقاباً لهم، فلا يؤمنون إلا إيماناً قليلاً بسبب عدم استجابتهم لأمر الله، وإصرارهم على الكفر.

١٥٦ - وبسبب كفر اليهود ببعيسى عليه السلام، واتهامهم السيدة مريم بالزنا مع يوسف النجار زوراً وبهتاناً، أي كذباً يبهت العقول أي يحيرها.

١٥٧ - وبسبب قولهم كذباً: إنا قتلنا المسيح رسول الله، افتخاراً بقتله، وذكروا وصف الرسالة استهزاء، والواقع أنهم لم يقتلوه ولم يصلبوه، كما زعموا، ولكن النبي شبهه على رجل آخر، فظنوا أنهم قتلوه. وإن الذين اختلّفوا في شأن قتله في تردد وشك من قتله، فقال بعضهم: هو، ونفى غيرهم ذلك، ليس لهم علم متيقن أنه هو أم غيره، لكنهم يتبعون الظن فهم مترددون، وما قتلوه ييقين، أي أن القتل متف يقيناً.

١٥٨ - بل أكرمه الله وتوفاه، ورفع منزلته إلى السماء كما فعل بإدريس، وكان الله قوياً في ملكه، حكيماً في صنعه وتدييره.

١٥٩ - وما (أي ليس) من أحد من أهل الكتاب يهودي أو نصراني إلا ليؤمنن بعيسى على الوجه الصحيح، وهو أنه رسول بشر لا إله، قبل الإشراف على الموت، ويوم القيامة يكون عيسى شاهداً على من صدقه ومن كذبه، يشهد على اليهود بالكذب له، وعلى النصارى بالمغالاة فيه، حتى قالوا: إنه إله أو ابن الله.

١٦٠ - بسبب ظلم عظيم وكفر بالله وبموسى من اليهود، وارتكاب الذنوب المذكورة في الآيات السابقة، حرّمنا عليهم طبيبات أحلت لهم، ذكرت في سورة الأنعام [١٤٦/٦]: ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر﴾. وجمعهم عن الإيمان برسالة محمد ﷺ كثيراً من الناس، وتحريفهم وقتلهم الأنبياء.

١٦١ - وأخذهم الربا في معاملاتهم، وقد حرمه الله عليهم في التوراة، وأكلهم بالباطل (بغير حق مشروع) أموال الناس، كالرشوة ونهب أموال المصريين، وأعدنا وهياناً للكفار منهم عذاباً مؤلماً في نار جهنم.

١٦٢ - لكن المتصلعون الثابتون في العلم بالكتاب منهم (أي من اليهود) والمؤمنون من أهل الكتاب أو من المسلمين، يؤمنون بما أنزل إليك من القرآن، وما أنزل سابقاً من الكتب السماوية، والمقيم الصلاة في أوقاتها، والدافع الزكاة لمستحقيها، والمؤمنون بالله إلهاً واحداً وبالأخرة (وهم مؤمنو أهل الكتاب والمسلمون الأولون) أولئك سنُعطيهم ثواباً عظيماً وهو الجنة، على إيمانهم وطاعتهم لله تعالى.



﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ
 وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ
 وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ
 زَبُورًا ﴿١٦٦﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا
 لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٧﴾ رُسُلًا
 مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ
 بَعْدَ أَرْسَالِنَا وَقَدْ كَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٨﴾ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ
 بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ لَهُ يَشْهَدُونَ
 وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ
 اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٧٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا
 لَو كُنَّا اللَّهُ لَيَغْفِرَنَّهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٧١﴾ إِلَّا
 طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا
 ﴿١٧٢﴾ سَاءَ مَا يَحْكُمُ النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ
 فَتَأْمِنُوا أَخْبِرُوا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٣﴾

١٦٣- إنا أوحينا إليك القرآن أيها الرسول، كما
 أوحينا إلى نوح، لكونه أول رسول صاحب تشريع،
 والأنبياء بعده، وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل
 وإسحاق ويعقوب (إسرائيل) والأسباط (ذرية أو
 أولاد يعقوب الاثني عشر) الأنبياء، وعيسى وأيوب
 ويونس وهارون وسليمان، وآتينا والده داود الزبور:
 وهو كتاب إلهي يشتمل على مواظ وحكم.

١٦٤- وأرسلنا رسلاً آخرين، قصصنا أخبارهم
 عليك أيها الرسول؛ من قبل نزول هذه الآيات،
 ورسلاً لم نخبرك عنهم، وكلم الله موسى تكليماً
 خاصاً به، بلا وساطة ملك الوحي: وهو جبريل عليه
 السلام. والأنبياء كما روى أبو ذر: مئة ألف وأربعة
 وعشرون ألفاً، والرسول: ثلاث مئة وثلاثة عشر،
 كلمهم الله تعالى عن طريق جبريل.

١٦٥- وأرسلنا رسلاً مبشرين بالشواب لمن أطاع،
 ومنذرين بالعقاب لمن عصى، لئلا يحتج الناس على
 ترك الإيمان والطاعة بعدم إرسال الرسل، وكان الله
 قوياً قاهراً منتقماً من كفره، حكيماً في إرسال
 الرسل. قال ابن مسعود في حديث: «... ولا أحد
 أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك بعث الله النبيين
 مبشرين ومنذرين».

١٦٦- لكن الله يشهد بما أنزل إليك من القرآن،
 أنزله يعلم منه لا يعلمه غيره، من كونك أهلاً للنبوته والقرآن، والملائكة يشهدون بأنك رسول الله، وكفى بالله شاهداً
 على ذلك، فشهادته وحده تكفي. نزلت حينما قال المشركون: نحن لا نشهد لك بالوحي إليك، وقال
 بعض اليهود: ما نعلم يا محمد أن الله أرسل إليك، ولا أنزل عليك شيئاً. وحكى القرآن قول اليهود:
 ﴿ ما أنزل الله على بشر من شيء ﴾ [الأنعام ٩١/٦]. قال الكلبي: إن رؤساء أهل مكة أتوا رسول الله
 ﷺ فقالوا: سألنا عنك اليهود، فزعموا أنهم لا يعرفونك، فأتنا بمن يشهد لك أن الله بعثك إلينا رسلاً،
 فنزلت هذه الآية: ﴿ لكن الله يشهد ﴾.

١٦٧- إن الذين كفروا بالله ورسوله، وصدوا عن الدخول في الإسلام، قد انحرفوا بشدة عن طريق الحق
 والهدى؛ لأنهم مع كفرهم منعوا غيرهم عن الحق.

١٦٨- إن الذين كفروا بالله، وظلموا أنفسهم بكفرهم وغيرهم بصددهم عن السبيل، لا يغفر الله ذنوبهم ما داموا
 كفاراً، ولا يهديهم طريقاً رشيداً ينجيهم من العذاب، أي لا يوصلهم إلا إلى جهنم.

١٦٩- إلا طريق جهنم لسوء اختيارهم، خالدين فيها مخلوداً دائماً لا نهاية له، وكان تخليدهم وعذابهم يسيراً
 هيناً على الله تعالى.

١٧٠- يا أيها الناس قاطبة قد جاءكم الرسول محمد ﷺ بالدين الحق المنزّل إليه من ربكم، فأمنوا برسالته، يكن
 الإيمان خيراً لكم من الكفر، وإن تبقوا على الكفر بالله ورسوله، فله جميع ما في السموات والأرض ملكاً
 وخلقاً، لا يضره كفركم، وهو قادر على جزائكم بسوء أفعالكم، وكان الله عليماً بخلقهم، حكيماً في صنعه
 وتدبيره.

١٧١- يا أهل الكتاب لا تتجاوزوا الحدود في التدين فيطعن بعضكم ببعضي، ويؤلمه آخرون، ولا تقولوا على الله إلا القول الحق، فلا تقولوا: عزيز ابن الله، والمسيح ابن الله، إنما المسيح هو كلمة الله، أي وجد وكون بكلمة ﴿كن﴾ وجهها إلى مريم بوساطة جبريل، وروح منه أي سر من الله، كسائر الأرواح التي خلقها الله، وإنما أضافه إلى نفسه للتفضيل والتكريم، فأمنوا بأن الله إله واحد لا شريك له، وبأن رسله صادقون، فلا تكذبوهم ولا تتغالوا فيهم، ولا تقولوا: الآلهة ثلاثة، يقول النصارى: ثلاثة أقانيم: أي أقنوم الوجود، وأقنوم الحياة، وأقنوم العلم، ويعبر عن الأقانيم بالأب والابن وروح القدس، انتهوا عن هذا القول بالتثليث، يكن انتهاؤكم خيراً لكم من بقائكم على الكفر، إنما الله إله واحد لا شريك له، هو منزّه تنزيهاً عن أن يكون له ولد، له جميع السموات والأرض، وما جعلتموه ولداً أو شريكاً هو من مملوكات الله، والمملوك لا يرقى أن يكون شريكاً أو ولداً، وكفى بالله وكيلاً قائماً بجميع أمور خلقه. نزلت في طوائف من النصارى حين

قالوا: عيسى ابن الله، فأنزل الله تعالى: ﴿ لا تغلوا في دينكم .. ﴾.

١٧٢- لن يأنف المسيح عن عبوديته لله، ولن يرى ذلك عيباً، ولن يستكبر الملائكة المقربون كجبريل وميكائيل عن أن يكونوا عباداً لله، ومن يترفع عن عبادة الله، ويأنف تكبراً من الخضوع لله، فالله سيحشر الجميع إليه في الآخرة، ويجازيهم على أعمالهم.

١٧٣- فأما الذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا صالح الأعمال، فيوفيهم الله ثواب أعمالهم، ويزيدهم من فضله وعطائه الذي لا حدود له، وأما الذين استكفوا وتكبروا عن عبادته، فيعذبهم ربهم عذاباً مؤلماً جزاء تكبرهم، ولا يجدون لهم أحداً من غير الله، يدفع عنهم العذاب، ولا ناصرأ ينجيهم من العقاب.

١٧٤- يا أيها الناس جميعاً قد أتاكم برهان، أي معجزات وأدلة توحيد، من الله ربكم، بما أنزله عليكم من الكتب وبما أرسله إليكم من الرسل، وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً هو القرآن، يهتدي به الناس في ظلمات الضلال.

١٧٥- فأما الذين آمنوا بالله، واعتصموا بالله، وتمسكوا بالقرآن، فسيدخلهم الله تعالى في جنته، ويزيدهم من إحسانه على الأجر والثواب، ويوفقههم لسلوك الطريق المستقيم الذي لا عوج فيه، وهو دين الإسلام.

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ
 إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا
 إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا
 ثَلَاثَةً أَنَّهُمْ آخِرُ الْكُرَى إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ
 لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكفى بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴿١٧١﴾
 لَنْ يَسْتَكْبِرَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدَ اللَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ
 الْمَفْرُوعُونَ وَمَنْ يَسْتَكْبِرْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ
 فَسَيَحْشُرُهُ رَبُّهُ لِيَلْبِسَ جَمِيعاً ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا
 الَّذِينَ اسْتَكْفَرُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلِيماً
 وَلَا يُجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً ﴿١٧٣﴾
 يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ نُورٌ مِنْ رَبِّكُمْ
 وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا
 بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ
 وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً ﴿١٧٥﴾

١٧٦- يطلبون منك أيها الرسول الفتيا فيمن مات ولا والد له ولا ولد، قل الله يفتيكم في الكلالة: الورثة الحواشي غير الأصول والفروع، إن امرؤ مات ليس له ولد: ذكر أو أنثى، وليس له أيضاً والد، وهذا مفهوم ظاهر، وله أخت شقيقة أو لأب- أما الأخت لأم فإن فرضها السدس كما تقدم- فلها نصف الميراث- والأخوات مع البنات عصبية- وأخوها يرثها في جميع التركة، إذا لم يكن لها ولد، فإن كان لها ولد ذكر فلا شيء للأخ، وإن كان ولدها بنتاً فلها النصف، والباقي للأخ تعصياً. فإن كانت الأخوات اثنتين فأكثر، فلهما ثلثا تركة الأخ، وإن كان الورثة إخوة وأخوات، ذكوراً وإناثاً، فللذكر منهم ضعف الأنثى فيما يأخذونه تعصياً، يبين الله لكم حكم الكلالة لثلاثا تفضلوا عن الحق، والله عليم بكل شيء فيه الخير لعباده. قال جابر: نزلت آية الكلالة في، حينما مرضت، وعندى سبع أخوات، فأنزل الله: ﴿يستفتونك قل: الله يفتيكم في الكلالة﴾ فقال لي النبي ﷺ: «يا جابر، إني لا أراك تموت في وجعك هذا، إن الله قد أنزل، فبسين الذي لأخواتك: الثلثين».

سورة المائدة

فضلها: روى أحمد وغيره عن عائشة قالت عن

المائدة: «إنها آخر سورة نزلت، فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه، وما وجدتم من حرام فحرّموه». ومنها ما نزل في حجة الوداع وهي آية ﴿اليوم أكملت لكم دينكم...﴾ [٣]. ومنها ما نزل عام فتح مكة وهو قوله تعالى: ﴿ولا يجزمنكم شنان قوم...﴾ [٢].

١- يا أيها المؤمنون أوفوا بالعقود المؤكدة التي أخذها الله على عباده، أو أخذها العباد بعضهم على بعض في عقود المعاملات الجائزة شرعاً. أحلت لكم الأنعام (وهي الإبل والبقر والغنم المذبوحة شرعاً) إلا ما نص الله على تحريمه في الآية التالية من الميتة ونحوها، وغير مبيحي الصيد البري، وأنتم محرمون بحج أو عمرة، أو صيد حرم مكة مطلقاً في الإحرام وغيره، إن الله يحكم ما يريد من الأحكام، لا يعترض عليه.

٢- يا أيها المؤمنون لا تبيحوا جميع مناسك الحج كالصفا والمروة وغيرهما، بالإخلال بشيء منها، وهو كل ما أشعر، أي جعل علامة على الحج أو العمرة من إحرام وطواف وسعي، ولا تُحِلُّوا القتال بالشهر الحرام، والأشهر الحرم أربعة: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب، ولا تستحلوا الهدي: وهو ما يهدى إلى بيت الله تقريباً إليه من ناقة أو بقرة أو شاة، بأن تأخذوه أو تمنعوه من الوصول إلى البيت الحرام، ولا الأنعام المقلدة بالقلائد عند إهدائها لفقراء البيت، بأن تقتصبوها، وتقليدها بالقلايد لتعرف فلا يتعرض لها، ولا تمنعوا قاصدي البيت الحرام، يتتبعون الفضل (الرزق) والربح في التجارة، ورضوان الله بالعبادة، وإذا حللتكم من إحرامكم أبيع لكم الصيد من غير الحرم، ولا يحملنكم بغض قوم وعداوتهم، من أجل منعكم عن الحرم، عام الحديدية أن تعتدوا عليهم، وتعاونوا على فعل الخيرات وترك المنكرات، ولا تعاونوا على معصية الله وظلم الناس، وخافوا عذاب الله، إن الله شديد العقاب لمن كفر وعصى ولم يتب. نزلت حينما حاول بعض الصحابة عام الحديدية أن يصدوا بعض المشركين عن العمرة، وقالوا: نصد هؤلاء كما صدنا أصحابهم.

يَسْتَفْتُونَكَ قُلْ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنَّ أَمْرًا هَاكِ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِيحُهَا وَلَهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَيْنِ فَلَهُمَا الثَّلَاثَانِ بِمَا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ بَيْنَ اللَّهِ كَوْنٌ أَنْ تُصَلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أَحَلَّتْ لَكُمْ بَيْعَةَ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُبَيِّتُ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يُحْكِمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعْتًا مِنَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهُدَى وَلَا الْقَلْبِدَ وَلَا آئِينَ الْيَدِ الْحَرَامِ يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمُكُمْ شَتَانُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنْ النَّسِيبِ بِالْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَنَعَا وَفُوا عَلَى الْبَرِّ وَالْتَقَوَى وَلَا نَعَا وَنَوَاعِلُ الْأَيْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾



حُرِّمَتْ عَلَيْكَ الْمَيْتَةُ وَالدمُ وَلَحْمُ الْخِتِيرِ وَمَا أَمَلَ لِقَاءَ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْحَنَةُ وَالْمُؤَفَّذَةُ وَالْمُتَرَدِّبَةُ وَالْقَطِيعَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتَهُ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَٰلِكُمْ فَسَنُقُّ إِلَيْكُمُ الْيَوْمَ يُرْسِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضَيْتُمْ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٨﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ قُلْ أَحَلَّ اللَّهُ لِلطَّيِّبَاتِ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ يَعْلَمُونَهَا فَمَا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَعَلُوا إِنَّمَا أَسْخَرْتُمْ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعٌ حَسَابٌ ﴿١٠٩﴾ الْيَوْمَ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ وَطَعَامَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكَلْبَ حَلَّ لَكُمْ وَطَعَامَ كَلْبِكُمْ حَلَّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكَلْبَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَيِّئِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَعْدَابٍ وَمَنْ كَفَرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١١٠﴾

٣- حُرِّمَ عَلَيْكُمْ تناول لحم الميتة (وهي كل حيوان مات حتف أنفه من غير ذبح شرعي) والدم المسفوح ولحم الخنزير بجميع أجزائه، وما ذكر عليه اسم غير الله تعالى، والميتة خنقاً بنفسها أو بفعل غيرها، والميتة ضرباً بشيء ثقيل كعصا أو حجر، والساقطة من مكان عال إلى أسفل فماتت، والتي نطحها أخرى فماتت، وما افترس بعضه حيوان مفترس كذئب وغمر وضبع، إلا ما ذبحت من هذه الأشياء وهو حي لم يمِتْ بأن تحرك بعد ذبحه، وما ذبح على الحجارة التي نصبها المشركون حول الكعبة، تعظيماً لأصنامهم، وحرم عليكم الاستقسام بالأزلام، أي طلب القسمة والنصيب، بالسهم التي توضع في جراب، ثم يقتصر بها بإخراج واحد منها، والأزلام كانت ثلاثة عند العرب: كتب على أحدها: افعل، وعلى الآخر: لا تفعل، والثالث: مهمل لا شيء عليه، فيطلب معرفة الحظ في زواج أو سفر مثلاً، ويسحب سهم منها يعمل بما فيه، فإن خرج الثالث، أعيد الضرب حتى يخرج واحد من الأولين، وتحريم ذلك للدعاء بمعرفة الغيب كالكهانة. ذلك المذكور من المحرمات فسق، أي خروج عن طاعة الله، وهو أشد الكفر، اليوم ينس الكفار من إبطال دينكم، فلا تخافوهم وخافوني ولا تخالفوا أمري، ونهيي، اليوم أكملت لكم أحكام دينكم من الحلال والحرام وأتممت عليكم نعمتي

بالنصر وقهر الكفار، واخترت لكم الإسلام ديناً، فمن أوجاهته الضرورة لتناول شيء من هذه المحرمات، في مجاعة، غير مائل للذنب، ولا قاصد لمعصية، فالله كثير المغفرة له، رحيم به، لا يؤاخذ به. نزلت آية ﴿اليوم أكملت..﴾ يوم الجمعة، وكان يوم عرفة، بعد العصر، في حجة الوداع، سنة عشر، والنبي ﷺ بعرفات على ناقته العضاء (أي اسم ناقته). قال يهودي: لو نزلت هذه علينا في يوم لاتخذناه عيداً، فقال ابن عباس: فإنها نزلت في عيدين اتفاقاً في يوم واحد: يوم الجمعة، وافق ذلك يوم عرفة.

٤- يسألونك أيها النبي: ماذا أحل لهم من المأكول؟ قل: أحل لكم كل ما تستطيبه النفس ولم يحرمه الشرع، وصيد ما علمتم من جوارح الطير، كالصقر والعقاب، والسباع، كالكلاب والفهود، معلّمي الكلاب وسائر الجوارح كيفية الاضطهاد بأن تمسك الصيد أو تجرحه دون أن تأكل منه ثلاث مرات، تدريونهن على ما علمكم الله من آداب الصيد وحيله، فكلوا مما أمسكت عليكم من الصيد، بأن لم تأكل منه شيئاً، فإن أكلت منه، فإنما أمسكته على نفسها، فلا يحل، واذكروا اسم الله على الجراح عند إرساله للصيد، واتقوا الله بالتزام ما أمر به، واجتنب ما نهى عنه، إن الله سريع الحساب، أي سريع إتيانه، إذ يوم القيامة قريب. قال أبو رافع: أمرني رسول الله ﷺ بقتل الكلاب، فقال الناس: يا رسول الله، ما أحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

٥- اليوم أحل لكم أيها المؤمنون كل ما تستطيبه النفس ولا يحرمه الشرع من المأكول، وذبائح اليهود والنصارى إذا لم نسمعهم يذكرون اسم غير الله، وطعام المسلمين حلال لأهل الكتاب، ومن الحلال: النساء الحرائر العفاف المومنات والكتابات، قاصدين إحصان أنفسكم بالزواج منهن، غير مجاهرين بالزنى، ولا متخذين صدقات للزنى بهن سراً، ومن يكفر بالله ويرساله نبيه محمد، فقد بطل عمله الصالح، وكان من الخاسرين في الآخرة إذا مات كافراً.

٦- يا أيها المؤمنون إذا أردتم القيام للصلاة فتوضؤوا حال الحدث، فاغسلوا وجوهكم بالماء، والوجه: من أعلى منابت الشعر إلى أسفل الذقن طولاً، وما بين الأذنين عرضاً، واغسلوا أيديكم إلى المرافق، والمرق: المفصل الذي بين الساعد والعضد، وامسحوا رؤوسكم أو بعضها بالماء، واغسلوا أقدامكم مع الكعبين: وهما العظمان الناتان في أسفل عظم الساق، وإن كنتم جنباً بسبب الجماع أو إنزال النبي، فاغتسلوا بالماء، وإن كنتم مرضى بمرض يمنع من استعمال الماء، أو مسافرين، أو قضيتم حاجتكم بالبول أو الغائط، أو جامعتم النساء، أو لمستم النساء عند الشافعية، فلم تجدوا ماء، فاقصدوا ما على وجه الأرض من تراب وغيره، حال كونه طاهراً غير نجس، فامسحوا بالتراب الوجه واليدين بضربتين: إحداهما للوجه والأخرى للذراعين، أو للكفين عند المالكية والحنابلة، ما يريد الله بطهارة الماء أو التراب إيقاعكم في المشقة، ولكن يريد تطهيركم من الذنوب، وإتمام نعمته عليكم بتشريع أحكام الإسلام، ومنها رخصة التيمم عند فقد الماء، لكي

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُنِيعَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِنْفَعَهُ الَّذِي وَاتَّفَعْتُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ بَدَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ سُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يُحْرِمَنَّكُمْ شَنَاانُ قَوْمٍ عَلَىٰ إِلَّا أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾

تشكروا نعمة الله عليكم، ويشيكم على الشكر.

٧- واذكروا نعمة الله عليكم بالهداية للإسلام، وتذكروا عهده الذي عاهدكم عليه، أي أمركم به، بوساطة رسوله ﷺ حين قلتم للنبي في البيعة على الإسلام: سمعنا قولك وأطعنا أمرك، واتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، إن الله عليم بخفيات الصدور كالنيات والأحقاد.

٨- يا أيها المؤمنون كونوا قائمين أتم قيام بكل ما عوهدتم عليه، معظمين الله ومخلصين له في ذلك، وكونوا شهوداً بالعدل من غير محاباة لأحد، ولا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم، وكنتمان الشهادة التي تنفعهم، اعدلوا مع جميع الناس، فالعدل أقرب لأن تتقوا الله، أو لأن تتقوا النار، واتقوا الله بالتزام شرائعه، إن الله مطلع على جميع أعمالكم ومجازيكم عليها.

٩- وعد الله وعداً جازماً حسناً المؤمنين الذين عملوا صالح الأعمال بالتزام الفرائض والطاعات، بستر ذنوبهم، وبالثواب العظيم وهو الجنة. ثم عقب تعالى في الآية بعدها بذكر حال الكفار ليبين الفرق.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ
اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ يَّبْسُطُونَ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ
فَكَفَّتْ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ
وَيَعْتَمِدُنَّ مِنْهُ اثْنِي عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ
لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي
وَعَزَّيْتُمْ هُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ
عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ
ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٣﴾ فَمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ
لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْبَةً يَجْرُونَ فِي الْكَلِمِ
عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ
تَطَّلُعُ عَلَى حَايِطَةٍ مِّنْهُمُ الْإِقْلَابَ لَمِثْمُهُمْ فَآعَقُوا
عَنْهُمُ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾

١٠- والذين جحدوا وجود الله ووجدانيته، وكذبوا بالآيات المنزلة على الرسل الكرام، أولئك لا غيرهم أصحاب النار خالدون فيها.

١١- يا أيها المؤمنون تذكروا نعمة الله عليكم حين عزم قوم: هم كفار قريش ويهود بني النضير على قتل النبي ﷺ ومن معه من أصحابه، غدرا، فأحبط مكيدتهم ودفع أذاهم عنكم، وخافوا الله بامتثال تشريعاته، وليفوض المؤمنون أمورهم إلى الله، فهو حافظهم من سوء. قال ابن عباس: إن بني النضير هموا أن يطرحوا حجرا على النبي ﷺ ومن معه، فجاء جبريل، فأخبره بما هموا به، فقام ومن معه، فنزلت هذه الآية. وهذا رأي الجمهور. وقال جماعة فيما رواه جابر: سبب الآية فعل الأعرابي (غورث بن الحارث) في غزوة ذات الرقاع لبني محارب، وذلك أن النبي ﷺ نزل منزلا، فتفرق الناس في العشاء (الشجر البري) يستظلون تحتها، فعلق النبي ﷺ سلاحه بشجرة، فجاء أعرابي إلى سيفه، فأخذه فسأله، ثم أقبل على رسول الله ﷺ فقال: من يمنعك مني؟ قال: الله،

وقال الأعرابي قوله مرتين أو ثلاثا، والنبي يقول: الله، فشام (أغمد) الأعرابي السيف، فدعا النبي ﷺ أصحابه، فأخبرهم بصنيع الأعرابي، وهو جالس إلى جنبه لم يعاقبه.

١٢- لقد أخذ الله العهد المؤكد على بني إسرائيل بالوفاء فيما أمرهم به في هذه الآية، وأرسلنا منهم اثني عشر نقيباً ليعلموهم الوفاء بالعهد، وهم زعماء أسباطهم أو قاداتهم، وقال الله لهم: إني معكم بالنصر والتأييد، لئن أدبتم الصلاة على الوجه الأكمل، وآتيتم الزكاة المفروضة عليكم، وصدقتم برسلي جميعاً، ونصرتموهم وحميتموهم من عدوهم، وأنفقتم في سبيل الله ووجوه الخير ابتغاء رضوانه، لأمحون عنكم ذنوبكم، ولأدخلنكم في الآخرة جنات الخلد، فمن كفر بعد ذلك منكم بعد هذا الميثاق، فقد أخطأ، وخرج عن الطريق الموصل إلى رضوان الله والنجاة. وهكذا فعل النبي ﷺ مع الأوس والخزرج في بيعة العقبة قبل الهجرة إلى المدينة، عاهدهم بمثل ذلك وجعل عليهم اثني عشر نقيباً، والنقيب: كبير القوم.

١٣- فيسبب نقضهم ميثاقهم، طردناهم من رحمتنا، وجعلنا قلوبهم صلبة لا تلين لموعظة، ولا تعي خيراً، يتأولون ويبدلون التوراة على غير ما أنزلت، وتركوا نصيباً أو بعضاً مما ذكروا به من الميثاق والأوامر الدينية، ولا تزال أيها الرسول تتعرف على خيانتهم وكذبهم، إلا نفرأ قليلاً منهم ممن آمنوا برسالتك، فتجاوز عن سيئاتهم، واصفح عن أخطائهم وأترك قتالهم، إن الله يحب، أي ييبس من أحسن وعفا وغفر. ثم نسخ ذلك بآية التوبة [٢٩/٩]: ﴿قاتلوا الذين...﴾.



١٤- وأخذنا أيضاً العهد المؤكد على النصارى بطاعة الله واتباع رسله، كميثاق بني إسرائيل، فتركوا أو أهملوا نصيباً أو جزءاً وافراً من الميثاق المأخوذ عليهم، والأحكام الشرعية، فهي جنا وأوقعنا العداوة والبغضاء بين اليهود والنصارى، أو بين النصارى خاصة، فصاروا فرقاً وطوائف متناحرة، ومذاهب متنافرة، وكفر بعضهم بعضاً، ولا يزالون منقسمين متعادين إلى يوم القيامة، وسوف يخبرهم الله بسوء صنيعهم، وسيلقون جزاء نقض الميثاق.

١٥- يا أيها اليهود والنصارى قد جاءكم رسولنا محمد ﷺ يوضح لكم كثيراً مما تخفون من الكتاب المنزل عليكم، وهو التوراة والإنجيل، ويعفو عن كثير مما تكتمونه، كآية الرجم، ومسخ أصحاب السبت قرده، قد جاءكم من الله نور هو القرآن أو الإسلام أو محمد ﷺ ينير لكم طريق الحق والهداية، وقرآن مبين (عطف تفسير).

١٦- يهدي الله بهذا القرآن، من اتبع في عمله ما يرضي الله، طرق السلامة والنجاة من مخاوف الدنيا والآخرة، ويخرجهم من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم، بإرادته وتوفيقه، ويرشدكم إلى طريق قويم، هو الإسلام. ذكر ذلك ثانياً لبيان أن طريق السلام أو الإسلام مستقيم.

١٧- لقد صاروا كفاراً الذين قالوا: إن الله هو المسيح ابن مريم، قل لهم أيها الرسول: فمن يقدر أن يرد من أمر الله شيئاً، إن أراد إهلاك المسيح وأمه وجميع من في الأرض، ولو كان المسيح إلهاً، كما يزعم النصارى، لقد ر على أن يدفع عن نفسه الهلاك أو الموت عند نزوله به أو بأمه، فإذا عجز عن ذلك، فهو أعجز عن أن يدفع عنكم شيئاً من أمر الله، والله ملك جميع السموات والأرض وما بينهما، يخلق ما يشاء، والله قادر على كل شيء، لا يعجزه أمر من الأمور.

١٨- وقالت اليهود والنصارى: نحن أبناء الله وأحباؤه، كما قالت اليهود عن عزيز: إنه ابن الله، والنصارى عن المسيح: إنه ابن الله، فلا يعذبنا، وتلك دعاوى باطلة، قل لهم أيها الرسول: إن صدقتم في ادعائكم: فلم يعذبكم في الدنيا بذنوبكم بالقتل والمسخ، وبالنار في الآخرة، كما تعترفون بذلك؟! فإن الحبيب لا يعذب محبوبه، وأنتم تعذبون، بل أنتم بشر من جنس خلقه كسائر عباده، يغفر لمن يشاء ذنبه بفضله، ويعذب من يشاء تعذيبه بعدله، والله ملك السموات والأرض وما بينهما، يتصرف في ملكه كيفما يشاء، وإليه المرجع والمآب يوم القيامة، يجازي كل واحد بحسب عمله.

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرْنَا أَخَذْنَا مِنْهُمْ فَيْسُوهَا حَقًّا
ذَكَرُوا بِهَا قَعْرَبَاتٍ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ
قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ
مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ
مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ
وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَقَدْ ذَكَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ
ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ
الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَآمَنُوهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ
اللَّهِ وَأَحِبُّونَهُ قُلْ لِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ
مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِر لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

يَسْأَلُ الْكَلْبَ فَدَجَّاهُ كَمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى قُرَّةٍ مِّنَ الرَّسُولِ
 أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدَجَاهُ كَرَبِّشِيرٍ
 وَنَذِيرٍ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى
 لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ يَتَقَوْمِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ
 أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَ لَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَالًا ثُبُوتَ أَحَدَاتٍ مِّنَ
 الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَتَقَوْمِ أَذْكُرُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ
 اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا
 يَمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنذِرُكُم بِخُرُوجِهِمْ
 مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا
 مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا نَدْخُلُهَا ﴿٢٢﴾ قَالُوا
 رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخْفَوْنَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا إِذْ دَخَلُوا
 عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلُوهُ فَانكَّرَ عَلَيْهِمْ وَعَلَى اللَّهِ
 قَوْلُنَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَمُوسَى
 إِنَّا لَنَنذِرُكُم بِمَا أَتَى مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ
 وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي
 لَأَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي هَارُونَ وَلَئِنِّي أَخشى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾

١٩- يا أيها اليهود والنصارى قد جاءكم رسولنا محمد ﷺ يوضح لكم الدين الحق على انقطاع وجود أحد من الرسل، وكانت المدة الزمنية بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ٦١١ سنة حيث بعث محمد، كيلا تقولوا يوم الحساب معتذرين عن تفریطكم: ما جاءنا مبشر بالجنة ومنذر من النار، فلا تعتذروا، فقد جاءكم بشير ونذير، وهو محمد ﷺ الذي ولد سنة ٥٧١ م عام الفيل، والله قادر على كل شيء وعلى بعثة رسول وقت الحاجة إليه، فهو المتقد، لا رب غيره.

٢٠- واذكر أيها النبي حين قال موسى لقومه: تذكروا واشكروا نعمة الله عليكم، حين بعث فيكم أنبياء كثيرين، وجعلكم كالمملوك مستقلين عن الغير في الحرية، بعد أن كنتم مملوكين مستعبدين لفرعون، أو جعل منكم ملوكاً، أي لكم بيوت وزوجات وخدم، وأعطاكم ما لم يعط غيركم من النعم الكثيرة كالمال والسلوى وتظليل الغمام وانفجار الماء من الحجر، وكثرة الأنبياء.

٢١- وقال موسى أيضاً: يا قوم ادخلوا فلسطين الأرض المطهرة من الوثنية، لكثرة ما بعث فيها من الأنبياء، التي قدر الله لكم دخولها في سابق علمه، ما دمتم صالحين بالإيمان والطاعة، فإذا فسدتم طردتم منها، ولا ترجعوا -مدبرين منهزمين- عن أمري وطاعتي بقتال الجبارين، فتعودوا خاسرين لخير الدنيا وثواب الآخرة.

٢٢- قال الإسرائيليون: يا موسى، إن في هذه الأرض المقدسة قوماً أشداء البطش والقوة، وهم الكنعانيون أو العماليق، والجبار: العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد، ولن ندخلها حتى يخرجوا منها، ويسلموها لنا صلحاً من غير قتال، فإن خرجوا منها فإننا داخلون إليها.

٢٣- قال لهم رجلان يخافان الله تعالى، هما يوشع وكالب بن يوفنا من النقباء الاثني عشر، أنعم الله عليهما بالإيمان والثقة بوعده الله لهم بالنصر: ادخلوا عليهم باب المدينة (بلد الجبارين) وأرهبوه، فإذا دخلتموه بغتة (أو على حين غرة) فأنتم منتصرون بإذن الله، قال ذلك ثقة بوعده الله تعالى.

٢٤- قال الإسرائيليون: يا موسى، إننا لن ندخل مدينة الجبارين أبداً، ما داموا مقيمين فيها، وكان هذا القول منهم فشلاً وجبناً، فاذهب أنت وربك وحدكما، فقاتلا الأعداء، إننا هنا قاعدون، لا نبرح المكان. وكان هذا القول جهلاً بالله وبصفاته، وكفرآبه وبرسوله.

٢٥- قال موسى حيثئذ: رب لا أملك إلا نفسي وأخي هارون، لنصرة دينك، فاحكم بيننا وبين الفسقة، أي الخارجين عن طاعتك.



٢٦- قال الله تعالى: فإن الأرض المقدسة محرمة على هؤلاء الإسرائيليين العصاة، بسبب امتناعهم من قتال الجبارين، أن يدخلوها مدة أربعين سنة، يتيهون في صحراء التيه: أرض سيناء، يتحيرون ولا يهتدون إلى طريق الخروج منها، وكان معهما موسى وهارون اللذان ماتا في التيه، ولما مضت الأربعون سنة نهض بهم يوشع بن نون، ودخل بالجيل الجديد فلسطين، فلا تحزن يا موسى على تعذيب القوم الخارجين عن طاعة الله تعالى.

٢٧- واقتصر أيها النبي على قومك خبير قاييل وهابيل، كما حصل حقيقة، حين قرب كل منهما قرباناً: وهو ما يتقرب إلى الله تعالى من ذبائح وصدقات وغيرها، فتقبل الله قربان هابيل، وكان كبشاً لأنه كان راعي غنم، واختارها من أجود غنمه، ولم يتقبل الله قربان قاييل، وكان حزمة سنبل؛ لأنه كان مزارعاً، واختارها من أردأ زرع، فغضب على أخيه، وقال له غيره وحسداً: لأقتلك، لأنه تقبل الله قربانه، قال هابيل: إنما يتقبل الله من أهل التقوى الذين يخشون الله ويلتزمون بأوامره، كأنه قال: بسبب عدم تقواك.

٢٨- لئن قصدت قتلي ظلماً وعدواناً، فلن أقصد قتلك، وهذا إشاراً وتضحية بالنفس منعاً من ظلم الآخرين، إني أخاف عقاب الله بالاعتداء عليك.

وهذا في شريعة آدم، أما في شرعنا فيجوز الدفاع عن النفس، بل أوجه بعضهم؛ لأنه نهى عن المنكر. والأولى في حال الفتنة والشبهة ترك الدفع.

٢٩- إني أريد أن ترجع إلى ربك، حاملاً إثم (ذنب) قتلي وذنبك الأصلي الذي هو السبب في عدم قبول قربانك.

٣٠- فزيتت أو سهلت له نفسه قتل أخيه هابيل، فقتله ظلماً وحسداً، فأصبح قاييل من الخاسرين في الآخرة، لقتله أخاه، فيعذب بشطر عذاب أهل النار، وبالشطر الآخر لتحمله جزءاً من جرائم القتل الواقعة على الناس؛ لأنه أول من سن القتل.

٣١- حار قاييل فيما يفعل بجثة أخيه، وكيف يواريه، لكونه أول ميت مات من بني آدم، فأرسل الله غرابين فاقتتلا، وقتل أحدهما الآخر، فحفر له ثم حثا عليه التراب، ليعلمه الله كيف يستر جثة أخيه التي يسوؤه أن يراها بارزة، فقال قاييل: يا وليتي، وهي كلمة تحسر عند وقوع ما يؤلم، أعجزت عن أن أكون مثل هذا الغراب، فأواري جثة أخي، فواراه بدفته في التراب، وأصبح نادماً على قتله.

٣٢- من أجل وقوع هذه الجريمة العدوانية، حكمتنا على بني إسرائيل أي والناس كافة: أنه من قتل نفساً عمداً عدواناً، بغير قتل نفس يوجب قصاصاً، أو قتلها بغير فساد في الأرض، كالردة وقطع الطريق وسفك الدماء ظلماً، فكأنما قتل جميع الناس، فاستحق جهنم وغضب الله ولعنته، ومن أنقذها من غرق أو حرق أو هدم أو عفا عن من وجب قتله، فكأنما أحيى جميع الناس وأنقذهم من الهلاك، فاستحق شكرهم، ولقد جاءتهم رسلنا ببيانات الشرائع والأحكام، ثم إن كثيراً من بين إسرائيل بعد ذلك لمسرفون في الأرض، بارتكاب المعاصي ومخالفة أوامر الله، وقتل الأنبياء.

قَالَ فَإِنَّا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ
فَلَا تَأْمُرْ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ وَأَلْعَلِّمْ نَبِيَّ ابْنِي
آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَا يَقْبَلُ
مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَا قُضِيَ لَكَ قَالَ إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾
لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيْكَ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ
لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَبُوَّ
يَا بَنِي وَإِثْمُكَ فَكَوْنُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ
﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَفَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ
الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحِثُ فِي الْأَرْضِ لِيَبْرُكَيْفَ
يُؤَرِّي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُؤَلِّقُهَا لِي فَأَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا
الْغُرَابِ فَأُؤَرِّي سَوْءَةَ أَحِي فَأَصْبَحَ مِنَ اللَّتَّامِينَ ﴿٣١﴾ مَنْ
أَعْلَى ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ قَتَلُوا نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ
أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا
أَحْيَاهَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ نَهْيُ رَسُولِنَا أَنْ يَلْبِثُوا سَمًّا
إِنْ كَثُرَ مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾

إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
 وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا
 أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ
 الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ
 فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا
 مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقَدَّرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
 عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
 وَاتَّبِعُوا الْبَيْتَ الْوَسِيلَةَ وَجَدَّ هُدًى فِي سَبِيلِهِ
 لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ
 أَنَّ لَهُمْ مَتَاعَ فِي الْأَرْضِ كَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ
 لَيَسْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تَقْبَلُ
 مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابُ الْإِلِيمِ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا
 مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَهُمْ عَذَابٌ مُبِينٌ
 ﴿٣٧﴾ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً
 بما كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾

٣٣- إنما جزاء الذين يحاربون أولياء الله
 ورسوله، أي عباد الله، ويفسدون في الأرض
 بقطع الطريق وإثارة الفتن والإخلال بالأمن
 والاعتداء على الأنفس والأموال: أن يقتلوا إن
 قتلوا، أو يصلبوا إن قتلوا وأخذوا المال، أو تقطع
 أيديهم وأرجلهم من خلاف، بقطع اليد اليمنى من
 الرسغ والرجل اليسرى من الكعب فقط، إن
 أخذوا المال ولم يقتلوا، أو ينفوا من الأرض، أي
 يبعدوا إلى بلد آخر إن أخافوا الناس، ولم يقتلوا
 ولم يأخذوا مالاً، ذلك الجزاء لهم ذل في الدنيا،
 ولهم في الآخرة عذاب شديد في النار. قال ابن
 عباس والضحاك: إنها نزلت بسبب قوم من
 أهل الكتاب نقضوا العهد مع الرسول ﷺ
 وقطعوا الطريق، وأفسدوا في الأرض. وقال
 الجمهور: نزلت في قوم من عكّل وعربنة
 (وهما قبيلتان) قتلوا رعاء إبل المسلمين
 واستاقوا الإبل، فبعث رسول الله ﷺ في
 آثارهم، فأتى بهم، وأمر أن يفعل بهم مثلما
 فعلوا بالرعاة، معاملة بالمثل. والآية هي في
 الحارب المؤمن.

٣٤- إلا الذين تابوا عن المحاربة قبل القدرة عليهم، فلا يعاقبون بشيء من العقوبات المذكورة، والله يقبل
 التوبة عن عباده التائبين فيما يتعلق بحقوق الله، ويجب رد حقوق العباد كالأموال إلى أصحابها.

٣٥- يا أيها المؤمنون اتقوا الله بالتزام شرائعه وأحكامه، واطلبوا ما يتوسل به إلى رضاه تعالى، وهو العمل
 الصالح، والوسيلة: القربة، واجهدوا لإعلاء كلمة الدين، لتفوزوا بالنجاة والجنة.

٣٦- لو يفندي الكفار بجميع ممتلكات الدنيا، وضعفها، من العذاب الأخروي، لم يقبل منهم الفداء،
 ولهم عذاب مؤلم موجه.

٣٧- يريد الكفار الخروج من النار بمختلف الوسائل، فلا يخرجون منها أبداً، ولهم عذاب دائم. وهذا لا
 يشمل عصاة المؤمنين.

٣٨- وحكم أي سارق: وهو أخذ أموال الآخرين خفية من حرز المثل بمقدار النصاب الشرعي وهو ربع
 دينار: قطع اليد من الرسغ، ردعاً له بما ارتكب من جريمة السرقة، وعقوبة له من الله، وتعذيب شديد يكون به
 عبرة لغيره، والله قوي لا يغالب، حكيم في صنعه وتديبه. قال الكلبي: نزلت في طعمة بن أبيرق
 سارق الدرع، كما تقدم في قصته في سورة النساء [١٠٥].



٣٩. فمن تاب من السرقة، وندم على ما مضى، من بعد ارتكابها، وقبل رفعها إلى الحاكم، وأصلح عمله برد الشيء المسروق إلى صاحبه، وأصلح سائر أعماله، فإن الله يقبل توبته، إن الله كثير المغفرة لمن استغفر، رحيم بمن تاب وأتاب.

٤٠. ثم نبه الله تعالى إلى علة أحكام المحاربين والصلوص بقوله: ألم تعلم أيها الرسول أن الله مالك السموات والأرض والمتصرف فيها بحكمته وعدله، يعذب من يشاء تعذيبه، ويغفر لمن يشاء المغفرة له، والله قادر على كل شيء، لا يعجزه شيء في الدنيا والآخرة.

٤١. يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الوقوع في أسباب الكفر وفي الكفر عندما تسنح لهم الفرصة، من المنافقين الذين أظهروا الإيمان بالستهم، ولم تؤمن قلوبهم، فأخفوا كفرهم، ومن اليهود قوم سماعون لكذب أجباهم المحرفين للتوراة، ويستمعون لأقوال أقوام آخرين لم يحضروا مجلسك تكبراً وتمادياً، أو ينقلون

الكلام لهم، فهم جواسيس، والسماعون: كثيرو التسمع للكذب والافتراء، يبدلون كلام التوراة أو يتأولونه على وجه غير صحيح أو يخفونه، وما بدلوه: رجم الزناة، جعلوا بدله تسويد الوجه، يقولون: إن أوتيتهم من جهة محمد هذا الحكم المخالف للتوراة، وهو الجلد والتحميم مكان الرجم، فاقبلوه منه، وإن لم تؤتوه بل جاءكم بغيره، وهو الرجم، فاحذروا من قبوله والعمل به، ومن يرد الله ضلالتة بسبب انحرافه وكفره، لا تستطيع إنقاذه من الضلال، أولئك الضالون، لم يرد الله تطهير قلوبهم من الكفر والنفاق، كما طهر قلوب المؤمنين، لهم في الدنيا ذل وهوان بظهور نفاقهم وتحريفهم وكتهم لما أنزل الله في التوراة، ولهم في الآخرة عذاب شديد في النار. نزلت في رجل وامرأة يهوديين زنيا، وكانت اليهود جعلت تسويد الوجه بدلاً عن الرجم، فأتوا النبي ﷺ ليحكم لهم بما كانوا يحكمون، ليحتجوا بذلك عند الله، فأمر برجمهما.

٤٢. سماعون لكذب أجباهم سماع قبول، أكلون للمال الحرام كالرشوة والربا وأجر الزنا، فإن احتكموا إليك أيها الرسول، فلك الخيار بين الحكم فيهم أو الإعراض عنهم، ثم نسخ التخيير بقوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة ٥/٤٩] وإن تعرض عن الحكم بينهم، فلا سبيل لهم عليك، ولن يقلدوا على الإضرار بك، وإن حكمت بينهم فاحكم بالعدل، إن الله يحب العادلين في الحكم ويرضى عنهم.

فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ
 إِنَّ اللَّهَ عَفُودٌ رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ
 وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ
 الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا
 بِأَفْرَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ
 لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَوْ يَأْتَوُكَ مِنْهُ الْكُفْرُ
 مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَادُّوهُ
 وَإِنْ لَمْ تَأْتُوهُ فَأَاحِذُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ يَمْلِكَ
 لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ
 قُلُوبَهُمْ لَمْ يَكُنِ فِي الدِّينِ جَزَاءُ لِمَنْ ظَلَمَ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ
 عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ
 فَإِنْ جَاءَ وَكَفَّ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِنْ
 تُعْرَضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرَّوْكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ
 فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾

وَكَيْفَ يَحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمٌ
 اللَّهُ ثُمَّ يَقُولُونَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ
 ﴿٤٣﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكَمُ بِهَا
 الَّذِينَ اسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالَّذِينَ يَنْتَوُونَ
 وَالْأَحْكَارُ بِمَا اسْتَحْمَطُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا
 عَلَيْهِ سَهْدَاءَ فَلَا تَخْشَوْا النَّكَاسَ وَآخِشُوا وَلَا
 تَشْتَرُوا بِعَاتِقِي تَمْنَا قَلِيلًا وَمَنْ لَوْ يَخِجْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ
 اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا عَلَيْهِمْ
 فِيهَا أَنَا النَّفْسُ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفُ بِالْأَنْفِ
 وَالْأُذُنُ بِالْأُذُنِ وَاللِّسَنُ بِاللِّسَنِ وَالْجُرُوحُ فَصَاصٌ مَنْ
 نَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَوْ يَخِجْكُمْ بِمَا
 أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَيْنَا عَلَى
 آثَارِهِ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ
 وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ
 يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾

٤٣- وكيف يحكمونك أيها الرسول، وعندهم حكم الله الواضح في التوراة كالرجم ونحوه، ولكنهم يطمعون بفعلهم هذا موافقة أهوائهم وتعريفاتهم، فإذا لم يوافق الحكم هواهم، أعرضوا عن حكمك بعد التحكيم، وهم في الواقع ليسوا بالمؤمنين برسالتك ولا بكتابهم.

٤٤- إنا أنزلنا التوراة على موسى فيها هدى ونور ببيان الشرائع، والإرشاد إلى سعادة الآخرة والدنيا، يحكم بالتوراة لليهود الأنبياء من بني إسرائيل كموسى ومن بعده، الذين انقادوا لأوامر الله تعالى، ويحكم بها العلماء الربانيون: أهل الورع والحكمة، والأخبار: علماء اليهود، بما جعلهم الله حفظه عليه من التوراة والعمل بها، وكانوا رقباء على التوراة يحمونها من التغيير والتبديل، فلا تخشوا الناس يا علماء اليهود، وخافوا مني، ولا تتركوا العمل بآياتي في التوراة لتأخذوا بدل ذلك عوضاً حقيراً أثلاً من متاع الدنيا مقابل كتمانها، ومن لم يحكم بما أنزل الله وحكم

بحكم آخر، فهم الكافرون، وهذا موجه لكل من ولي الحكم. نزلت في قصة رجل من اليهود وامرأة زنيا، وذهب إلى النبي ﷺ بقصد التخفيف، فسألهم عن حكم الزنى في التوراة فقالوا: التحميم (التسويد) والجلد، والتجبيه، أي التطواف بالزاني والزانية على حمار بجلسة مقلوبة، ثم أقرؤا بالرجم، فحكم به، وأمر بهما فرجما.

٤٥- وفرضنا على اليهود في التوراة القصاص بقتل النفس بالنفس، وفتق العين بالعين، وجدع الأنف بالأنف، وقطع الأذن بالأذن، وقلع السن بالسن، والقصاص في الجروح بأن يقتص من الجاني بمثل فعله، عند إمكان المماثلة، وإلا حكم بالتعويض، فمن عفا عن حق القصاص من الجاني، كان العفو كفاً له، يكفر الله عنه به ذنوبه، ومن لم يحكم بما أنزل الله في القصاص وغيره، فهم الظالمون ظلماً عظيماً لأنفسهم، فيعاقبون في الآخرة.

٤٦- ثم بعثنا عيسى رسولاً، متبعاً آثار أنبياء بني إسرائيل، مصدقاً لما سبقه من التوراة، وأنزلنا عليه الإنجيل مشتملاً على الهدى من الضلال، والنور من عمى الجهالة، ومصدقاً لما سبقه من التوراة وأحكامها، وهداية وموعظة للمتقين الذين يخافون الله وعذابه، وخص المتقون بالذكر؛ لأنهم المقصودون في علم الله، وإن كان الجميع يُدعى ويُوعظ. والهدى: الإرشاد لتوحيد الله وأحكامه، والنور: ما فيه مما يستضاء به.

٤٧- وليحكم أهل الإنجيل النصارى بما أنزل الله فيه من الأحكام، فإنه قبل البعثة النبوية حق، وأما بعدها فعليهم العمل بالقرآن؛ لأنه ناسخ لجميع الكتب المنزلة السابقة في فروعها، ومن لم يحكم بما أنزل الله فهم الخارجون عن طاعة الله تعالى.

٤٨- وانزلنا إليك أيها النبي القرآن متضمناً حقائق الأمور وأنه حق في نفسه لإصلاح العباد، ومصداقاً لما تقدمه من الكتب الإلهية، ورقياً مؤتمناً عليها، يقر الحق ويظهر خطأ ما حرفوه، فاحكم أيها النبي بين أهل الكتاب إذا ترفعوا إليك بما أنزل الله في القرآن، ولا تتبع في حكمك أهواء أهل الملل السابقة، فتتحرف عما جاءك من الحق الذي أنزل الله عليك؛ لأن كل ملة تهوى ما هم عليه وإن كان محرفاً، كما حدث في الرجم ونحوه مما حرفوه من التوراة، لكل أمة جعلنا شريعة تتبناها، ومنهاجاً: طريقاً واضحاً في الدين تسلكه، وهذا قبل نسخ الشرائع السابقة بالقرآن، وأما بعده فلا شرع إلا ما جاء في القرآن، فيجب على أهل الكتاب وغيرهم العمل بشريعة القرآن، ولو شاء الله لجعلكم أيها الناس أمة واحدة متفقة على شريعة واحدة، ولكن لم يشأ الله ذلك، بل أراد تنوع الشرائع في العصور والأزمان، ليختبركم باختلاف

وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ يُؤْمِرْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّبًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ هُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْفَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَبِئْسَ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ هُمْ وَاحِدَ زَرْعٍ أَنْ يَفْنَوْكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنْ كَثُرَ مِنْ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ لَقَدْ كُفِرْتُمْ بِالْجَاهِلِيَّةِ يَعْبُودُونَ مِنْ أَحْسَنَ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقُونَ ﴿٥٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ يَتَّبِعُونَ أَوْلِيَاءَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَبَى اللَّهُ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى أَنْ يُعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ فَاتَّبِعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٥١﴾

الشرائع، وهذه هي العلة، لا اختلاف المصالح باختلاف الأزمان، فسارعوا إلى أعمال الخير والصلاح، لتفوزوا برضوان الله، إلى الله مرجعكم جميعاً أيها البشر، فيخبركم باختلافاتكم في أمور الدين، ويحاسبكم على ذلك.

٤٩- ثم كرر الأمر تحذيراً من التضليل، فقال تعالى: وأن احكم أيها النبي بين أهل الكتاب وغيرهم بما أنزل الله، ولا تتبع أهواءهم وتحريفاتهم إحقاقاً للحق وإبطالاً للباطل، واحذرهم أن يضلوك عن بعض ما أنزل الله إليك، فترك العمل به، فإن أعرضوا عن قبول حكمك بما أنزل الله عليك، فذلك لمجازاتهم ببعض ذنوبهم، وهو الإعراض عما جئت به، وإن كثيراً من الناس لخارجون عن طاعة الله تعالى. قال ابن عباس: جاء بعض علماء اليهود فقالوا: يا محمد نحن أحبار اليهود، ولو اتبعناك لاتبعت اليهود كلهم، وإن بيننا وبين أناس من قومنا خصومة، ونريد أن نتحاكم إليك، فإن قضيت لنا، أعلننا صدقك، فأبى ذلك رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿ واحذرهم ﴾.

٥٠- أيتغنون حكم الجاهلية القائم على الجور والتسلط والشهوات، ولا يقبلون بحكم الله، ولا أحسن من حكم الله لقوم يوقنون بصدق التنزيل المحكم في القرآن، وأما غيره فهو حكم أهل الجهل والأهواء.

٥١- يا أيها المؤمنون لا تتخذوا اليهود والنصارى أصدقاء تطلعونهم على أسراركم، فإنهم أعداء لكم، بعضهم أنصار بعض، تخوفاً من قوتكم واتحادكم، ومن يتخذهم أنصاراً، فقد صار منهم، لرضاه بموالاته أعداء الله، إن الله لا يوفق الظالمين لأنفسهم بموالاتهم أعداءه. نزلت في عبد الله بن أبي حينما قال: إني رجل أخاف الدوائر، ولا أبرأ من ولاية اليهود، وأما عبادة بن الصامت فقد تبرأ من ولاية اليهود، وأوى إلى الله ورسوله، فنزلت فيهما الآية.



فَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَى
 أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ وَأَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ
 فَيُصِيبُوا عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ لَنْدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ أَنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حِطَّتْ
 أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ
 مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى
 الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ
 لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ
 ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ
 يُعْمَلُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ
 يَبُولُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنْ حَزَبَهُمْ غَلَبُ بَنِي
 إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُجِدُوا وَالَّذِينَ لَا تَحْمِلُ دِينَهُمْ هَرَوُا
 وَلَعِبَائِنَ الَّذِينَ أُرْوُوا الْكَيْدَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارُ أَوْلِيَاءُ
 وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ
 اتَّخَذُوا هَرَوًا وَلَعِبَاءَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٧﴾

٥٢- فترى الذين في قلوبهم مرض الشك والنفاق في الدين، يسارعون في مودة اليهود والنصارى يقولون: نخشى أن تصيبنا مصيبة، بأن تظهر الكفار بمحمد ﷺ فتكون الدولة لهم، ولا تنتصر دعوته، فنخسر ولا هم ويصيبنا مكروه، فرد الله عليهم بأنه ربما يجيء النصر من الله لرسوله والمؤمنين على أعدائهم، أو يأتي أمر من الله بقتل أعداء الإسلام وفضيحة المنافقين وكسر شوكة اليهود، فيصبح المنافقون على ما أسروا من النفاق الباعث على المرواة نادمين على ذلك.

٥٣- ويقول المؤمنون لليهود مشيرين إلى المنافقين بعد فضيحتهم: أهؤلاء الذين أكدوا أيمانهم تأكيداً شديداً، إنهم لمعكم بالمناصرة في القتال، بطلت أعمالهم الصالحة بنفاقهم، فأصبحوا خاسرين في الدنيا بالفضيحة والأخرة بالعقاب الأليم.

٥٤- ثم شرع الله تعالى في بيان أحكام المرتدين بعد بيان حكم موالاة الكفار، فإياها المؤمنون من يرجع منكم عن دينه الإسلام إلى الكفر، فسوف يأتي الله بقوم آخرين هم خير منكم يرضى عنهم، ويخلصون الله العمل ويطيعونه في كل أمر ونهي، متواضعين لإخوانهم المؤمنين، أشداء على الكفار، يقاتلون لإعلاء كلمة الله، ولا يخافون لومة لائم في نصرة دينهم، بل هم في غاية

الصلابة، ذلك فضل الله يعطيه من يشاء من عباده، والله واسع الفضل، عليم بمن يستحق الإنعام.

٥٥- لا ناصر لكم أيها المؤمنون إلا الله ورسوله وأهل الإيمان الذين يؤدون الصلاة كاملة الأوصاف في أوقاتها، ويؤتون الزكاة المفروضة لمستحقيها، وهم خاضعون لأمر ربهم، فلا يترفعون على فقير. والولي: من تجب موالاته، والركوع هنا: الخشوع والخضوع. نزلت هذه الآيات فيمن ارتد من القبائل في عهد النبي ﷺ وهم بنو مدلج وبنو حنيفة وبنو أسد. وقال جابر: نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه الذين شكوا إلى النبي هجر بني قريظة والنضير لهم، وأقسموا ألا يجالسوهم، فقال ابن سلام: رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين وأولياءه.

٥٦- ومن يستنصر بالله ورسوله والمؤمنين الصادقين القائمين بنصر شرع الله، فإن أنصار دين الله هم الغالبون، لتأييد الله لهم بنصره. وسبب النزول: ما تقدم من تمسك عبد الله بن أبي جهلف مع بني قينقاع، وتبرؤ عبادة من حلفهم.

٥٧- يا أيها المؤمنون لا توالوا المتخذين للدين هزواً ولعباً، من المشركين والكتابين، فلا تتخذوهم أنصاراً تودونهم، وإن أظهروا لكم الود والمحبة، وخافوا عذاب الله بموالاتهم، إن كنتم مؤمنين، فالؤمن يخاف الله، ولا يوالي أعداء الله. نزلت في رجال من المسلمين كانوا يوادون رجلين أظهرا الإسلام، ثم نافقا.

٥٨- وإذا أذن مؤذنكم للصلاة، سخروا واستهزؤوا من دعوتكم، بسبب أنهم قوم جاهلون طائشون، لا يعقلون حقيقة العبادة. كان بعض اليهود إذا سمع الأذان سخروا به، وقالوا: لعن الله الكاذب، فإذا صلى المسلمون ضحكوا منهم وسخروا بهم، وقالوا: قوموا صلوا، اركعوا على طريق الاستهزاء والضحك، فنزلت هذه الآية.

٥٩- قل أيها النبي: يا معشر اليهود والنصارى، هل تكفرون منا وتعيبون علينا إلا إيماننا بالله وبالقرآن والكتب المنزلة على جميع الأنبياء، وأن أكثركم خارجون عن طاعة الله، بترك الإيمان وامتنال أوامر الله تعالى؟! ١

٦٠- قل أيها الرسول: هل أخبركم بما هو أولى من العيب الذي عبتوا به بالإيمان، وهو ما أنتم عليه من الكفر الموجب للعنة الله وغضبه، جزاء ثابتاً عند الله، إنه عمل من طرده الله من رحمته، وغضب عليه، فأخزاه في الدنيا وهم اليهود قتل الأنبياء وعبدة العجل، ومسخ بعضهم قرده، وبعضهم خنازير، وهم اليهود أصحاب السبت، ومسخ من النصارى خنازير كفار مائدة عيسى، وعبد الطاغوت: الشيطان أو الكهنة، والمراد: الخضوع لكل طاغية جبار، أولئك الموصوفون بما ذكر شر منزلة يوم القيامة من غيرهم، وأبعد عن طريق الرشاد. نزلت في نفر من اليهود سألو النبي ﷺ عن من يؤمن به من الرسل، فأجاب بالمدكور في الآية [١٣٦] من البقرة، ولما ذكر عيسى جحدوا نبوته، وقالوا: والله ما نعلم أهل دين أقل حظاً في الدنيا والآخرة منكم، ولا ديناً شراً من دينكم، فنزلت الآية.

٦١- وإذا جاءكم منافقوا اليهود أظهروا الإيمان

بدينكم كذباً، ودخلوا عليكم كفاراً وخرجوا كفاراً كما دخلوا، لم يؤثر فيهم ما سمعوا من النبي ولم يفارقهم الكفر لحظة، والله أعلم بما يضمرونه عندك من الكفر.

٦٢- وترى أيها الرسول كثيراً من هؤلاء اليهود يسارعون في الوقوع في الإثم، وهو الكذب، والاعتداء على أموال الناس، والظلم، وأكلهم المال الحرام كالربا والرشوة، لبس ما يعملون من القبائح.

٦٣- هلا ينهاهم الربانيون (أهل الورع من اليهود) والأخبار (علماء اليهود) عن قول الكذب، وأكل المال الحرام، لبس ما يصنعون من السكوت عن إنكار المنكر، وترك الأمر بالمعروف.

٦٤- وقالت اليهود إذا حصل جذب وطلب منهم الإنفاق في الخير: يد الله مغلولة عن الإمداد بالرزق، أي أن الله بخيل، قيّدت أيديهم بالأغلال عن فعل الخير، وهو دعاء عليهم بالبخل، وطردهوا من رحمة الله بسبب قولهم هذا: يد الله مغلولة، بل يدا الله مسبوتان: كتابة عن العطاء الواسع الكثير، فهو في غاية الجود، يتفق كيف يشاء بحسب علمه وحكمته، وليزيد المنزل إليك من القرآن عن أحوالهم وأخبارهم وشرع الله كثيراً من اليهود والنصارى طغياناً وكفراً (أي تغالياً في التكذيب وإمعاناً في الجحود) على كفرهم وغلوهم، بسبب الحسد والكفر بالقرآن، وألقينا بين اليهود والنصارى العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة، كلما أشعلوا نار الحرب والفتنة والكيد على النبي والمؤمنين، ردهم الله خائبين، فلم يحققوا فائدة، ويجتهدون في الإفساد، وإثارة الفتن والكيد للمسلمين، والله يجازي الفاسدين في الأرض. قال ابن عباس: قال رجل من اليهود يقال له: النباش بن قيس، إن ربك بخيل لا يتفق، فأنزل الله: ﴿وقالت اليهود: يد الله مغلولة...﴾

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ نَبْرُمُونَ مَا آلَا آءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَن أَكْثَرُكُمْ فَسِيقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّن ذَاكَ مُشَوِّبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مِن أَعْتِهَ اللَّهُ وَعَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ لَطْفُوتٍ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ قَوْلٌ مِّنْ آءَامَنَّا وَقَدَّ خَلَوْا بِ الْكُفْرِ وَهُمْ قَدَّ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَسُرُّونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السَّخِيتَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّيُّونَ وَالْأَخْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السَّخِيتَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوتَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارَ الْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ ﴿٦٤﴾

٦٥- ولو أن الكفايين: اليهود والنصارى آمنوا بالله ورسوله محمد ﷺ كما أمرت كتبهم المنزلة عليهم، واتقوا المعاصي كالشرك بالله وجحود رسالة رسول الله، لكفّرنا ذنوبهم التي اقتترفوها، ولأدخلناهم الجنان مع المسلمين.

٦٦- ولو أنهم عملوا بأحكام التوراة والإنجيل التي منها الإيمان برسالة محمد ﷺ، واتبعوا المنزل إليهم من ربهم في سائر كتب الله، لتمتعوا بالرزق الواسع والعيش الهنيئ من كل جانب، منهم جماعة معتدلة في التدين، وهم المؤمنون الذين دخلوا في الإسلام، وكثير منهم قبحت أعمالهم وهم المصرون على الكفر، المنكرون لرسالة محمد ﷺ.

٦٧- يا أيها الرسول بلغ جميع ما أنزل إليك من القرآن، لا تكتم منه شيئاً، ولا تخشى مكروهاً، وإن لم تبلغ وكتمت بعض ذلك، فما بلغت رسالة ربك، وقد بلغ الرسول فعلاً لأمته ما نزل إليهم، والله يحفظك ويحميك من أذى الناس وإساءاتهم، فلا يوجد أي مانع يمنعك من تبليغ جميع ما أوحى الله به إليك، إن الله لا يوفق الكفار للخير والصلاح. قال رسول الله ﷺ فيما ذكر الحسن البصري: إن الله بعثني برسالة، فضقت بها ذرعاً، وعرفت أن

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سَتَانَةً
وَلَا دَخَلْنَا فِيهِمْ الْجَنَّةَ إِن كَانُوا إِتَّقَوْا اللَّهَ الْعَلِيمَ ﴿٦٥﴾
وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْفُرُوا مِنْ فَوْقِهِمْ
وَمَنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ
مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ
مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَوْ تَفَعَّلَ فَمَا تَلَعْتَ رَسُولًا لَوْ أَنَّ اللَّهَ يَبْصُرُ
الْنَّاسَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ
لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ سَخِيٍّ تَتَّبِعُوا التَّورَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ
مِنْ رَبِّكُمْ وَلَئِنْ يَدْرَأَكُمْ كَثِيرًا مِنْهُمَا فَرِيقًا إِلَى اللَّهِ
طَلْفِينَ وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالصَّابِقَاتُ
مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَلَى صَلَاحٍ فَلَا خَوْفَ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ حَيْرُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ
وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلْنَا جَاءَ هُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى
أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾

الناس مكذبي، فوعدني لأبلغن أو ليعذبني، فنزلت: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك..﴾. وقال النبي ذات ليلة: ألا رجل صالح يحرسنا الليلة، فأرسل الله سعداً وحذيفة لحراسته، ثم نام فنزلت هذه الآية: ﴿والله يعصمك من الناس﴾ فقال: «انصرفوا أيها الناس، فقد عصمني الله».

٦٨- قل أيها الرسول: يا معشر الكفايين، لستم على شيء من الدين الحقيقي يعتد به، حتى تعملوا بجميع ما في التوراة والإنجيل ومنه اتباع محمد ﷺ، وبما أنزل إليكم من ربكم وهو القرآن، وليزيدن كثيراً من أهل الكتاب ما أنزل إليكم من ربك في القرآن غلوأفي التكذيب، وإمعاناً في الكفر، إلى كفرهم وطفيانهم، فلا تحزن على عدم إيمان القوم الكافرين برسالتك، ففي المؤمنين بك كفاية. نزلت في جماعة من اليهود قالوا للنبي ﷺ: فإننا نأخذ بما في أيدينا، فإننا على الحق والهدى، ولا نؤمن بك، ولا نتبعك، فأنزل الله: ﴿قل: يا أهل الكتاب..﴾.

٦٩- إن الذين صدقوا بالله ورسوله، وهم المسلمون، واليهود، والنصارى، والصابئون عبدة الكواكب والنجوم، من آمن منهم بالله واليوم الآخر إيماناً حقاً، وعمل صالح الأعمال كما أمر الله، فلا خوف عليهم أبداً من عذاب يوم القيامة، ولا يحزنون على لذات الدنيا ونعيمها.

٧٠- لقد أخذنا العهد المؤكد على بني إسرائيل بأن يعملوا بالتوراة، وأرسلنا إليهم رسلاً ليعرفوهم بالشرائع والأحكام وينذروهم، لكن كلما جاءهم رسول بما يعارض أهواءهم، كذبوا بعض الرسل كعيسى وأمثاله، وقتلوا البعض الآخر كزكريا ويحيى عليهم السلام.



٧١- وظن اليهود ألا يتعرضوا للبلاء والاختبار والعذاب العظيم بقتل الأنبياء وتكذيب الرسل اعتماداً على زعمهم أنهم أبناء الله وأحباؤه، فعموا عن إبطار الهدى، وسموا أذانهم عن استماع الحق من أنبيائهم، فخالفوا أحكام التوراة وقتلوا أشعياء، ثم تاب الله عليهم حين تابوا، فكشف عنهم القحط ونجاههم من إذلال البابليين، ثم عمي كثير منهم وسموا بعد تبين الحق بنبوته محمد ﷺ وقبل ذلك بقتل زكريا ومحاولة قتل عيسى، والله مطلع على أعمالهم ومجازيهم في الآخرة، وقليل منهم مقتصد.

٧٢- لقد كفر القائلون: إن الله هو المسيح، وهم اليهقوية أو الملكانية، قالوا: إن الله حل في ذات عيسى، فرد الله عليهم بأن المسيح قال لبني إسرائيل: اعبدوا الله ربي وربكم، خالقي وخالقكم، فكيف يكون العبد العابد لها؟! إنه من يتخذ شريكاً لله، فقد منعه الله الجنة أبداً، ومسكنه النار أبداً، وليس لظالمي أنفسهم عبادة غير الله أعوان يتقنونهم من العذاب الأخرى.

٧٣- لقد كفر القائلون: إن الله ثالث ثلاثة:

الأب والابن وروح القدس، وهم الطائفة الثانية غير المذكورة في الآية السابقة القائلون هم ثلاثة وهم واحد، والثالثة هي المذكورة في الآية الآتية [١١٦] ولا إله بحق في الوجود إلا الله سبحانه، فهو المستحق للعبادة، وإن لم يكفوا عما يقولون من هذه الأباطيل وترك الكفر، ليتعرض الكفار منهم إلى عذاب مؤلم في النار.

٧٤- هلا يتوبون إلى الله عما قالوا، ويطلبون المغفرة عما اقترفوا من أعظم جريمة وهي الشرك، والله كثير المغفرة لذنوب التائبين، رحيم بهم.

٧٥- ما المسيح إلا رسول بشر كسائر الرسل الذين مضوا من قبله، ومعجزاته مثل بقية الرسل لا توجب كونه الهاً، مثل خلق آدم من غير أب، وعصا موسى، وأم عيسى مبالغة في الصدق فيما تقوله، وهي وإنها عيسى بشران يأكلان الطعام كسائر البشر، ومن احتاج إلى الطعام لا يكون رباً أو الهاً، لأنه لو ترك الأكل هلك، والرب لا يموت، انظر أيها الرسول كيف نوضح لهم الأدلة الدالة على وحدانيتنا، وانظر كيف يصر فهم الشيطان عن التأمل في البراهين وعن الحق إلى الباطل بعد هذا البيان.

٧٦- قل أيها الرسول لهم: أتعبدون من غير الله من لا يضر ولا ينفع - والمراد هنا المسيح وأمه - وتتركون عبادة الله القادر على كل شيء؟! والله هو السميع للأقوال، العليم بكل شيء خفي أو علني، ومن كان كذلك فهو الإله الحق.

وَصِمُوا إِلَّا تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ يَصِيرُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّ اللَّهَ فَعَدَّ حَسْرَةً اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا الظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ وَمِنَ اللَّهِ إِلَهٌ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَوِ بَدَّاهُمْ أَعْمَاءُ يَقُولُونَ لَيْسَ إِلَهِنَّ إِلَّا اللَّهُ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا بِاِكْلَانِ الطَّعَامِ أَنْظَرُ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظَرْنَا أَنْ يُؤْفِكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَكُمْ لَكُمْ صِرًا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ
وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَصْلُوا
كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٦﴾ لِعَنِ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِلِ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى
ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٧﴾
كَانُوا لَا يَتَنَبَّهُونَ عَنْ مَنكِرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا
يَفْعَلُونَ ﴿٧٨﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ فِي الْعَذَابِ هُوَ خَالِدُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَوْ كَانُوا
يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ مَا آخَذُوا مِنْهُمْ
أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨٠﴾
لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ
وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ
آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرُكَ ذَلِكَ إِنَّا مِنْهُمْ
قَتِيلِينَ وَرَهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨١﴾

٧٦. قل أيها الرسول: يا معشر النصارى، لا تتجاوزوا حد المعقول، ولا تتغالوا في المسيح بادعاء الوهيته أو بنوته لله، فتركوا الحق إلى الباطل، ولا تتبعوا أهواء أسلافكم من اليهود والنصارى قبل البعثة المحمدية، فإنهم انحرفوا عن الحق، وأضلوا كثيراً من الناس بنشر الكفر والضلال قديماً، وضلوا بعد البعثة عن السير في الطريق القويم.

٧٨. طرد من رحمة الله كفار بني إسرائيل في الزبور على لسان داود، وفي الإنجيل على لسان عيسى بسبب العصيان والاعتداء، مثل كفرهم بعيسى، واعتدائهم في السبت وقتل الأنبياء، وما ذكر فيما يأتي.

٧٩. كانوا لا ينهي بعضهم بعضاً عن معصية تفعل، أو يهياً لفعلها، بل يرضون بها، لبئس ما فعلوا من معاصر، وتركوا من إنكار المنكر.

٨٠. ترى كثيراً من اليهود يصادقون المشركين ويوالونهم، ويتحالفون معهم لمحاربة النبي ﷺ والمسلمين، لبئس ما قدموا لأنفسهم في الآخرة، غضب الله عليهم، وهم خالدون في نار جهنم، يمحكون فيها أبداً.

٨١. ولو كان اليهود يؤمنون حقاً بالله وبالنبي موسى وبما أنزل عليه في التوراة، ما اتخذوا المشركين أولياء وأنصاراً لهم من دون المؤمنين، ولكن كثيراً منهم خارجون عن ولاية الله وطاعته.

٨٢. لتجدن أيها الرسول وكل من يصلح للخطاب أشد جميع الناس معاداة للمؤمنين برسالتك: اليهود والمشركين في مكة، ولتجدن النصارى أتباع عيسى أقرب الناس مودة للمؤمنين؛ لأن في النصارى قسماً (علماء) في التوراة والإنجيل ورهباناً (زهاداً عباداً) في الصوامع يعلمون الناس التواضع لله ونفع الناس والتماس الحق، ولا يستكبرون عن قول الحق واتباعه، خلافاً لليهود. نزلت في وفد النجاشي - وكانوا ثلاثة وثلاثين رجلاً - الذين قدموا من الحبشة على الرسول ﷺ وآمنوا به، وبكوا لما قرأ عليهم سورة يس، وقالوا: ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام. وقال آخرون: نزلت في وفد الرسول ﷺ من المهاجرين الذين حملوا كتاباً من النبي للنجاشي، فلما قرؤوا عليهم سورة مريم، آمنوا بالقرآن، وفاضت أعينهم من الدمع.



٨٣. وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَمَا كُنَّا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَنْهَاهُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا وَجَبَّ جَبَّيْهِمْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا لِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَلَيْسَ لَهُمْ مَأْوَى إِلَّا اللَّهُ لَكُمُ وَاللَّعْنَةُ وَاللَّهُ يُعَذِّبُ الْمُظْلِمِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُّوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ بِهِ إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كَسْوَتَهُمْ أَوْ تَجْرِيرَ رِبْعَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفْرَةٌ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

٨٤. وقالوا ردأ على اليهود: وما لنا لا نؤمن بالله وحده وبما جاءنا من الحق على لسان رسوله ﷺ، ونرجوا أن يدخلنا ربنا في جنته مع القوم الصالحين من الأنبياء وأتباعهم الأوفياء المؤمنين.

٨٥. فأتابهم (جازاهم) الله بسبب هذا القول المقول بصدق وإخلاص، وأعلنوا به عن اعتقادهم، جنات تجري الأنهار من تحت أشجارها ومسكنها، ماكين فيها إلى الأبد، وذلك الثواب جزاء المحسنين الذين أحسنوا في اتباعهم الحق، وأحسنوا القول والعمل.

٨٦. والذين جحدوا الدين الحق، وكذبوا بآيات القرآن، أولئك أصحاب الجحيم: سكان جهنم.

٨٧. يا أيها المؤمنون لا تحرموا الطيبات (المستلذات) التي أحلها الله لكم، بقصد الزهد، أو

التقرب إلى الله، ولا تتجاوزوا حدود الحلال والحرام، فتحلوا ما حرم الله عليكم، إن الله يعاقب أو يجازي الذين تخطوا حدود الله وشريعته.

٨٨. وأبيح لكم أيها المؤمنون أن تأكلوا من رزق الله الذي رزقكم إياه، حلالاً: غير محرّم، طيباً: غير مستقذر، من المطاعم والشارب، وخافوا الله بالتزام شريعته، الذي تؤمنون به، فإن الإيمان الحق بالله خير باعث على التقوي والعمل الصالح. نزلت فيمن حرم اللحم على نفسه، وفي جماعة لازموا الصلاة ليلاً، والصوم نهاراً، وتركوا النساء، وكانوا عشرة.

٨٩. لا يؤاخذكم الله في أيمان اللغو، ولا تجب فيها الكفارة، وهي ما يجري على اللسان من غير قصد الخلف، مثل قول الشخص: لا والله، وبلى والله، في كلامه غير معتقد لليمين، ولكن يؤاخذكم بأيمانكم المعقودة (الموثقة) بالقصد والنية، إذا حشتم فيها، وكفارة اليمين المعقودة عند الحنث: إطعام عشرة مساكين، من المتوسط الذي تطعمون منه أهليكم، وهو ما جرت العادة أن تأكلوه، من غير إسراف ولا تقتير، غداء وعشاء، بمقدار نصف صاع من بُرٍّ أو تمر (والصاع ٢٧٥١ غم) أو قيمة ذلك، أو كسوة كل مسكين ثوباً واحداً يستر البدن، أو إعتاق مملوك من الرقيق، والحالف الموسر الحانث مخير بين هذه الخصال الثلاث، فمن لم يجد هذه الخصال بأن كان فقيراً معسراً، فيكفيه صيام ثلاثة أيام متتابعات أو متفرقات، واحفظوا أيمانكم، فلا تحلفوا بدون سبب قوي، وبروا بها ولا تحشوا إذا كانت في طاعة غير معصية، ومثل ذلك البيان، يبين الله لكم أحكام شريعته، لتشكروا ما أنعم الله به عليكم من بيان الشرائع والأحكام. نزلت في القوم الذين كانوا حرموا النساء واللحم على أنفسهم، بأيمان حلفوا بها، لبيان كيفية ما يصنعون بأيمانهم الخلوقة.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ
 رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاحْتَبِرُوهُ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا
 يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ
 وَالْمَيْسِرِ وَيُضِدَّكُمْ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ
 ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فِئْتَانَ تَوَلَّيْتُمْ
 فَأَعْلَمُوا إِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ
 الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَلْعَنُوا لِمَ أَتَى اللَّهُ يَتَشَىٰ وَمَنْ
 أَصِيدَ تَنَاوَهُ الْيَدِيمُ كَوْرًا حَكِيمًا لِيَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ نَجَافِهِ بِالْغَيْبِ فَمَنْ
 اعْتَدَىٰ بِعَدَاةٍ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَانْتَقَلُوا
 الْبَصِيدَ وَأَنْتُمْ حَرَمٌ وَمَنْ قَاتَلَ مِنْكُمْ مَعْرُوفًا فَجَاءَ بِمِثْلِ مَا قَاتَلَ مِنْ النَّعْمِ
 يُحْكَمُ بِيُرْدٍ وَأَعْدَلٌ مِّمَّنْ هَذَا بَالِغُ الْكُفَّةِ أَوْ هَدْرَةَ طَعَامِ مُسْكِينٍ
 أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ
 وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

٩٠- يا أيها المؤمنون إنما الشراب المسكر، وأنواع القمار، والأصنام المنصوبة للعبادة، والأزلام (قداح الميسر) شيء نجس مستقذر، والرجس والرجز يشمل المستقذر حساً كالميتة، والخمر هنا، والمستقذر معنى كالميسر وما ذكر هنا بعده، فاتركوه وابتعدوا عنه أشد البعد، وهذا يدل على التحريم وزيادة وهي التفتير منه، مثل الأمر القرآني باجتناب الشرك والوثنية وشهادة الزور، لتفوزوا في الدنيا بالسعادة والطمأنينة، وفي الآخرة بالجنة ونعيمها. نزلت بسبب سعد بن أبي وقاص الذي شرب خمراً قبل تحريم الخمر، وخاصم رجلاً على شراب لهما، أو لقوله: المهاجرون خير من الأنصار، فضربه صاحبه بلخي رأس جمل، فجدع أنفه أو جرحه، فنزلت فيهما.

٩١- إنما يريد الشيطان بوسوسته لارتكاب هذه المنكرات أن يقع بينكم العداوة والبغضاء بشرب الخمر، ولعب الميسر؛ لأنهما مصدر الشرور في الدنيا، وفيهما مفساد دينية وهي الصد عن ذكر الله وعن الصلاة المفروضة لإضاعة دينكم ودنياكم، فهل أنتم تاركون لها نهائياً؟ فقال عمر وبقية الصحابة: انتهينا يا رب انتهينا، وأراقوا ما لديهم من الخمر.

٩٢- وأطيعوا الله ورسوله في الأمر باجتناب الخمر والميسر وبقية المحرمات، واحذروا مخالفة الله ورسوله، فإن أعرضتم عن الطاعة، فإن مهمة النبي تنتهي بالتبليغ الواضح.

٩٣- ليس على المؤمنين الذين عملوا الصالحات كالجهاد في سبيل الله ثم تناولوا من المطاعم التي يشتهونها، فأكلوا أو شربوا، أو شربوا الخمر قبل التحريم، إذا اتقوا الشرك والمحرمات بعد التحريم كالخمر وغيرها، وآمنوا بالله ورسوله وقرآنه، وعملوا صالح الأعمال التي ترضي الله، ثم اتقوا ما حرم بعد التحريم واستمروا على التقوى، وصدقوا بالتحريم وازدادوا إيماناً بالله، ثم اتقوا المحرمات من الصغائر وغيرها، وأحسنوا العمل وأتقنوه، والله يرضى عن المحسنين أعمالهم ويشيهم ثواباً كريماً. قال البراء بن عازب: مات بعض الصحابة، وهم يشربون الخمر، فلما حرمت قال أناس: كيف لأصحابنا، ماتوا وهم يشربونها؟ فنزلت هذه الآية: ﴿ليس على الذين آمنوا...﴾.

٩٤- يا أيها المؤمنون ليختبرنكم الله بتحريم الصيد البري في حرم مكة أو أنتم محرمون بحج أو عمرة، تتمكنون من الصيد بالأيدي والرماح من غير مشقة، ليظهر ما يعلمه الله من أحوال الخائفين منه سراً، كما يخافونه جهراً، فمن اعتدى بعد النهي بالصيد في حال الإحرام، فله عذاب مؤلم في نار جهنم. وهذا مثل ابتلاء بني إسرائيل بعدم الاعتداء في السبت.

٩٥- يا أيها المؤمنون لا تقتلوا الصيد في حال الإحرام بحج أو عمرة أو في حرم مكة، ومن قتله متمعداً غير مخطئ فعليته جزاء مماثل لما قتله من الأنعام (الإبل والبقر والغنم) يحكم بالجزاء المثليل رجلان عدلان مسلمان، ويفعل بالجزاء مثلما يفعل بالهدي، فيُرسل إلى حرم مكة ويذبح هنالك، ويوزع لحمه على مساكين الحرم، أو يدفع طعاماً للمساكين وهو مدغم أو بر لكل مسكين مماثل لقيمة الجزاء، أو يصوم يوماً عن طعام كل مسكين، وهذا تخيير بين الأصناف المذكورة، ليذوق عقوبة فعله، عفا الله عما سلف من قتل الصيد قبل التحريم والكفارة، ومن عاد إلى قتل الصيد عمداً وهو محرم، فيعذبه الله في الآخرة بذنبه، والله قوي لا يغلب، منتقم من العصاة المخالفين.



أَجَل لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَنَّاَ لَكُمْ وَالسَّيَابَةُ وَحُرْمَةٌ
عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ ﴿١٦﴾ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا
لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْبَدَ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ
أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ
وَمَا تَكْمُلُونَ ﴿١٩﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْحَيْدُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ
كَثْرَةُ الْحَيْدِ فَأَتَقُوا اللَّهَ يَتَأْتَى الْآلِيبَ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ ﴿٢٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَن شَيْءٍ إِن بُدِيَ
لَكُمْ تَسْوَأُكُمْ وَإِن سَأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَلُ الْقُرْآنُ تَبَدُّ
لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢١﴾ قَدْ سَأَلَهَا
قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْحَبُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿٢٢﴾ مَا جَعَلَ
اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ وَكَذُّهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٣﴾

٩٦- أبيض لكم صيد البحر والنهر ولو أثناء الإحرام،
وما ألقاه البحر أو طفا عليه تميمياً ومنفعة للمقيمين
وللمسافرين، وحرّم عليكم صيد البر ما دمتم محرمين
أو صاده لأجلكم غير محرم، وخافوا عذاب الله الذي
تُجمعون إليه يوم القيامة للحساب والجزاء.

٩٧- جعل الله الكعبة وما حولها وهي البيت الحرام
مقرأ لقيام الناس بأمر دينهم بالحج، وديناهم بالأمن فيه
ونصر الضعيف وريح التجارة فيه، وكذلك الأشهر الحرم
(وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب) مأمناً من
القتال وطلب حق الدم من القاتل، وكذلك الهدى (ما
يهدى للحرم من الأنعام) وذو القلادة من الهدى، فإذا
أعلمه صاحبه بقلادة ونحوها، فلا يتعرض له أحد،
لتعلموا أن الله عالم بكل ما فيه الصلاح والخير في الدنيا
والآخرة، وأن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا
في السماء.

٩٨- وعلموا أن الله شديد العقاب لمن يخالف
أوامره، وأنه غفور لمن تاب، رحيم به.

٩٩- ليس على الرسول هداية الناس، وإنما عليه فقط
تبليغهم الوحي الإلهي، فإن لم يستجيبوا للدعوت، لم
يضرُوا إلا أنفسهم، والله يعلم ما تظهرون من الأقوال
والأفعال، وما تخفون من النيات والمقاصد.

١٠٠- قل أيها الرسول: لا يتساوى الحرام والحلال،
والكافر والمؤمن، والعاصي والطائع، ولو أعجبك كثرة المفسدين، فاتقوا الله باجتناب الحرام والتزام الحلال، لتفوزوا في
الدنيا والآخرة. نزلت في رجل جمع من بيع الخمر قبل تحريمها مالا، ويريد أن يعمل فيه بطاعة الله، فأخبره النبي ﷺ بأنه لا
ثواب له في إنفاقه في حج أو جهاد أو صدقة، إن الله لا يقبل إلا الطيب، فأنزل الله تعالى تصديقاً له هذه الآية.

١٠١- يا أيها المؤمنون لا تسألوا في فترة نزول الوحي عن أشياء لا تعنيكم في أمر دينكم، إن ظهرت ساءتكم، لأن
السؤال في ذلك قد يكون سبباً للإيجاب، وإن تسألوا عنها حين نزول الوحي تظهر لكم، عفا الله عن تلك الأشياء التي
سكت عنها القرآن، والله غفور لمن استغفر، حلِيم لا يعاجل بالعقوبة. نزلت في سؤال قوم أسئلة استهزاء، مثل أين ناقته
الضالة، ومن أبوه، وفي الأقرع بن حابس حين سأل عن الحج كل عام، فقال النبي ﷺ: لو قلت: نعم، لوجبت، ولما
استطعتم.

١٠٢- قد سأل قوم من السابقين عن مثلها مما لا حاجة إليه، فلما أجيبوا عن أحكامها، لم يعملوا بها لمشقتها، ثم
صاروا بها كفاراً لتركهم العمل بها. والقوم: من بني إسرائيل، سألوا إما بلسان المقال، أو بلسان الحال مثل الرهبانية التي
لم يصروحوا بطلبها وإنما فعلوها.

١٠٣- ما شرع الله على أهل الجاهلية تحريم البحيرة (وهي الناقة التي تشق أذنها ويجعل درها للظواغيت أي الأصنام،
لولا دنتها خمسة أبطن إناث آخرها ذكر) والسائبة (التي تسيب لأهنتهم بنذر إن شفي أحدهم من مرض أو بلغ منزله)
والوصيلة (وهي الشاة التي تلد ذكراً وأنثى، فيقال: وصلت أخاها) والحام (الفحل من الإبل الذي خرج من صلبه عشرة
أبطن، فيحمي ظهره من الركوب والحمل) ولكن المشركين من العرب يفترون على الله الكذب بتحريم هذه الأشياء
وأكثرهم لا يعقلون أن ذلك افتراء على الله وتعطيل للعقل والفكر.

وَإِذَا قِيلَ لَهُ تَعَالَىٰ أَلَمَ الْأَلَمُونَ ۖ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا أَسْبَغْنَا
 مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا
 وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ
 لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَبِئْسَ
 مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا
 حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذُو عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ
 آخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ صَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصْلَبَكُمْ
 مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسَبُوهمَا مِّن بَعْدِ الْوَصِيَّةِ فَبِئْسَ مَا يَلَّهَ إِنْ
 آزَبْتُمْ وَلَا نَشْرَىٰ بِرِمَايَاكُمْ وَكَانَ دَافِعِينَ وَلَا تَكُنْمْ شُهَدَاءَ اللَّهِ
 إِنَّمَا يَدْرَأُ مِنَ الْأَعْيُنِ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عَشَرَ عَلَىٰ إِيْمَانَهُمَا فَاتَّقِ خُرَانَ
 يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ فَبِئْسَ مَا
 يَلَّهَ لَشَهَادَتِهِمَا أَحَقُّ مِّنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا عَدَدْتُمَا إِنَّمَا إِذَا
 لِمَنِ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَلِكَ أَذْفَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ
 وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُونَ أَنَّ تُرَدَّ أَيْمَنُ بَعْدَ أَيْدِيهِمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ
 وَأَسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

١٠٤- وإذا قيل للمشركين: تعالوا إلى تطبيق ما أنزل الله من أحكام القرآن، وإلى الرسول المبلغ لها، قالوا: لن نؤمن بالقرآن ولا بالرسول، وكافينا دين آبائنا، فرد الله عليهم: هل يبقون على دين آبائهم ولو كانوا جهلة ضالين، لا يعلمون حقيقة الحلال والحرام، ولا يهتدون إلى طريق الحق؟!

١٠٥- يا أيها المؤمنون الزموا إصلاح أنفسكم بمراقبة الله تعالى، وإرشاد الجاهل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن فعلتم ذلك لا يضركم من ضل إذا اهتديتم، إلى الله مرجعكم جميعاً يوم القيامة، فيخبركم بأعمالكم ويجازيكم عليها. نزلت حينما قبل النبي ﷺ الجزية من أهل الكتاب والجوس، فقال منافقو العرب، عجباً من محمد، يزعم أن الله بعثه ليقاتل الناس كافة حتى يسلموا، ولا يقبل الجزية إلا من أهل الكتاب، فلا نراه إلا قبل من مشركي أهل هجر ما رد على مشركي العرب، فنزلت.

١٠٦- يا أيها المؤمنون إذا حضرت علامات الموت يكون الإشهاد على الوصية شهادة اثنين عدلين عارفين مسلمين على الموصي به، أو شهادة اثنين آخرين من غير المسلمين في السفر على الوصايا، تحجزونهما

لأداء اليمين بعد صلاة العصر، إن كانا مسلمين وإلا فبعد صلاتهما في دينهما، وهو الوقت الذي يخاف فيه من الكذب، فإن شككتم في صدقهما، فيحلفان بالله، لا ينبع حظنا من الله تعالى بعوض حقير من الدنيا، أي لا نستبدل بصدق القسم عرضاً دينياً، فلا نكذب لأجل المال المدعى به، ولو كان المشهود له قريباً، ولا تكتم شهادة الله الحقة المأمور بها، فإنا إن فعلنا ذلك، فتحن إذن من العاصين. نزلت في رجلين نصرانيين كانا يترددان بالتجارة إلى مكة، فصحبهما قرشي من بني سهم، فمات في الطريق، وأوصاهما بتركته، فدفعاهما إلى أهله، وكتما جاماً (كأساً) فضياً منقوشاً بالذهب، ثم وجد عند قوم من أهل مكة، مع أنهما حلفا أمام النبي ﷺ: ما كتما ولا اطلعا، فأخذه أقارب السهمي، وحلف رجلان منهم بالله: إن هذا الحمام جام صاحبنا، وشهادتنا أحق من شهادتهما، وما اعتدنا، فنزلت.

١٠٧- فإن أطلع بعد التحليف على أن الشاهدين فعلا ما يوجب الإثم من خيانة أو كذب في الشهادة أو اليمين، فيشهد أو يحلف على ما هو الحق اثنان آخران يقومان مقام الأولين، من الورثة الذين استحق عليهم الوصية، ويكون الشاهدان من أقرب الناس للميت، فيحلفان بالله ليميننا أصدق من يمينهما، وما تجاوزنا الحق في اليمين، فإنا إن اعتدنا بنسبتهما إلى الخيانة أو الكذب، أي كذبنا، نكن من الظالمين لأنفسهم.

١٠٨- ذلك الحكم وهو رد اليمين على الورثة أقرب إلى أن يأتي الشهود على الوصية بالشهادة على وجهها الصحيح من غير خيانة ولا تحريف، أو يخافوا أن ترد أيمانهم على الورثة المدعين، فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم، فيفتضح أمرهم، واتقوا الله بترك الخيانة والكذب، واسمعوا المأمور به سماع قبول، والله لا يوفق القوم الخارجين عن طاعته، ولا يهديهم إلى سبيل الخير.



١٠٩- اذكر أيها الرسول يوم يجمع الله الرسل وهو يوم القيامة، فيقول الله: ماذا أجابتكم به أقوامكم الذين بعثكم الله إليهم؟ قالوا إظهاراً للعجز والتفويض إلى الله: لا علم لنا أمام علمك المحيط بكل شيء، إنك تعلم جوابهم، وتعلم ما غاب عن الناس وما خفي منهم وما ظهر.

١١٠- اذكر أيها الرسول حين قال الله: يا عيسى اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك التي اصطفيتها بقصد تعريف الأم بما لهما من ميزة وكرامة، وتوبيخ من اتخذهما إلهين، حين قويتك بروح القدس: جبريل عليه السلام، تُكلم الناس في عهد الطفولة، والكهولة بعد بلوغ الثلاثين لتبليغ رسالة ربك، وحين علمتكم الكتابة أو الخط الذي يكتب به، والعلم النافع وفهم المعاني، وعلمتكم التوراة المنزلة على موسى، والإنجيل المنزل عليك، وإذ توجد وتصور من الطين شيئاً كهية أو كصورة الطير بإرادتي، فتفتخ في تلك الهية المصورة، فتكون طيراً حياً متحركاً بأمرى، وتبرئ الأكمة

يَوْمَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ ١٠٩ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَبَدْنَاكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ فِي كَلِمِ النَّاسِ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ خَلَقْنَا مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفَخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَرٌ مُّبِينٌ ١١٠ وَإِذْ أُوحِيَتْ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّكَ مُسْلِمُونَ ١١١ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ سَتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ أَتَقْوُونَ اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ١١٢ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَ وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ١١٣

(الذي ولد أعمى) والأبرص (المصاب بالبرص): وهو بياض في الجسد يورث الحكمة الشديدة) بإذني وأمرى، وإذ تخرج الموتى من قبورهم أحياء بأمرى، فالفعل الحقيقي لله، وعيسى مجرد وسيلة، واذكر نعمتي عليك حين صرفت ومنعت عنك بني إسرائيل حين هموا بقتلك، بعد أن جثتهم بالبراهين والمعجزات الواضحة الدالة على نبوتك، فقال الكافرون منهم: ما هذا الذي أتيتنا به إلا سحر واضح.

١١١- وحين ألهمت الحواريين (وهم خالصاء عيسى وصحبه الأصفياء) أن يؤمنوا بي إلهاً واحداً، ويرسالة رسولي، فقالوا: آمنا بالله وبرسوله إيماناً حقاً، واشهد يا رب أننا صادقون مخلصون في إيماننا.

١١٢- واذكر حين قال الحواريون (تلاميذ عيسى) على سبيل طلب الطمأنينة مثلما طلب إبراهيم عليه السلام لإحياء الموتى: هل يعطيك ربك ويجيب طلبك أن ينزل علينا مائدة من السماء (وهي الخوان الذي يوضع عليه الطعام، وهو شيء مرتفع عن الأرض) والمراد هنا الطعام نفسه، قال لهم عيسى: خافوا الله، ودعوكم من هذا السؤال ونحوه، إن كنتم صادقين في إيمانكم.

١١٣- قال الحواريون: نريد أن نأكل من هذه المائدة، وتطمئن قلوبنا بكمال قدرة الله، ونعلم علماء يقينياً بأنك صدقتنا في نبوتك، ونكون على هذه الآية من الشاهدين على بني إسرائيل الذين لم يحضروها.

قَالَ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا
عِيدًا لَأُولَئِنَّا وَآحِبَارِنَا وَبَاطِنَ أُنُوسِكُمْ وَأَنْتَ خَبِيرُ الرَّزَاقِينَ
﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَنِّئُهَا عَلَيْكُمْ فَخُفُّوا عَنْهَا وَلَا تَجِدُوا فِيهَا غَوْلًا
لَّا تَعْدُوهُ أَحَدًا مِنْ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِعَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ
مَا أَنْتَ قَالَتِ النَّاسُ لَمَجْنُونٍ وَأُنزِلَ إِلَيْهِنَّ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ
سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحِجَابٍ أَنْ كُنْتُ فَاتِمَّةً فَقَدْتُ
عَلَيْتَهُ تَعَلَّمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ
الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي
وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مِمَّا دُمْتُمْ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ
أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾
إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تُعْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ نَسْفَعُ الْأَصْدِقِينَ صِدْقَهُمْ لَمْ
يَجَلَّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ اللَّهُ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾

١١٤ - قال عيسى داعياً، لما رأى إصرار
الحواريين وقصدتهم بإنزال المائدة: اللهم ربنا أنزل
علينا مائدة من السماء يكون لنا يوم نزولها يوم عيد
وسرور لمن عاصرنا ولمن يأتي بعدنا، وتكون دليلاً
واضحاً علي قدرتك وصحة رسالة رسولك،
وارزقنا رزقاً نستعين به على شكرك وعبادتك،
وأنت أفضل الرازقين، وخير من أعطى، بل لا
رازق في الحقيقة غيرك.

١١٥ - قال الله تعالى مجيباً سؤال عيسى عليه
السلام: إني منزل عليكم هذه المائدة، فمن يكفر
منكم بعد نزولها، فإني أعذبه تعذيباً لا أعذب مثله
أحد من العالمين: عالمي زمانهم؛ لأنه كفر بعد
مشاهدة دليل حسي طلبه، قال ابن عباس: نزلت
المائدة على عيسى ابن مريم والحواريين: خوان
عليه سمك وخبز، يأكلون منه أينما تولوا إذا
شاؤوا.

١١٦ - اذكر يا محمد يوم القيامة الذي يقول الله
سبحانه فيه لعيسى: أنت قلت للناس: اتخذوني
مع أمي إلهين من دون الله؟ قال عيسى: أنزهك
تنزيهاً، ما ينبغي لي أن أقول ما لا يحق لي قوله، إن
كنت قلت هذا القول، فقد علمته سابقاً قبل

السؤال، تعلم ما أكتمه في صدري من أسرار، ولا أعلم ما تخفيه من علومك الذاتية في نفسك، إنك أنت
وحكك العليم المحيط بالغيبيات: وهو كل ما غاب عن الحواس والإدراكات البشرية.

١١٧ - ما أمرتهم في العقيدة والعبادة إلا ما أمرتني، وكنت المراقب الشاهد على أعمالهم وأحوالهم أمنهم
عن مخالفة أمرك، فلما قبضتني إليك، ورفعتني إلى السماء، كنت أنت المراقب الشاهد عليهم، وأنت شاهد
على كل شيء، لا تخفى عليك خافية، وتشهد لي حين كنت فيهم. والوفاء هنا عند الأغلب: وفاة الرفع إلى
السماء، وليس الموت.

١١٨ - إن تعذب هؤلاء على ضلالهم، فإنهم عبادك تملك أن تفعل فيهم ما تشاء، وذلك عدل، وإن تغفر
لهم، فأنت القوي القادر على ذلك، الحكيم في أفعاله. والمقصود من قول عيسى الاستعطاف وتضيؤ
الأمر كلها إلى الله؛ لأن عيسى يعلم أن الله لا يغفر الشرك.

١١٩ - قال الله: هذا يوم القيامة الذي ينفع فيه صدق الصادقين في إيمانهم في الدنيا، ولهؤلاء الصادقين
جنات تجري من تحت غرفها وأشجارها الأنهار، ما كثر فيها أبداً، رضي الله عنهم بما عملوا من الطاعات
الخالصة له، ورضوا عنه بهذا الثواب الذي جازاهم به، ذلك هو الظفر المطلوب على أتم الأحوال.

١٢٠ - الله تعالى مالك السموات والأرض وما فيهن من الخلائق كلهم، دون عيسى وسائر المخلوقات،
فلا والده ولا ولد، والله قادر على كل شيء، لا يعجزه شيء، ولا يحتاج إلى نصير ينصره.

سورة الأنعام

فضلها: وهي مكية إلا ست آيات منها، نزلت جملة واحدة، قال ابن عباس: نزلت سورة الأنعام بمكة ليلاً جملة واحدة، حولها سبعون ألف ملك يجارون بالتسبيح. أولهم زجل بالتسبيح والتحميد.

١- الثناء والشكر بالجميل على فعل الله الحسن، وبدأ به؛ لأن الحمد كله لله، وللرد على الجاعلين معه إلهاً آخر، فهو موجود السموات والأرض عن تقدير وحكمة، لا على مثال سابق، وهو جاعل ظلمة الليل ونور النهار، وبالرغم من هذا الخلق والإبداع، ترى الكفار يجعلون له شريكاً في العبادة. والجعل: إيجاد شيء له تعلق بشيء آخر.

٢- الله الذي خلق أصلكم آدم من طين، ثم قدر أجلاً محدداً لكل مخلوق وهو الموت، وعنده أجل مسمى معين وهو القيامة، ثم أيها المشركون تشكّون في البعث وقدرة الله عليه.

٣- وهو الله المعبود بحق، المتصرف في السموات والأرض، يعلم سركم: وهو ما تخفونه في صدوركم، وجهركم: وهو ما تعلنونه من أقوالكم وأفعالكم، ويعلم ما تعملون من خير أو شر، ويجازيكم عليه.

٤- وما يأتي المشركين من معجزات الأنبياء الدالة على قدرة الله ووحدانيته إلا عرضوا عنها.

٥- وكذبوا بأعظم من تلك الآيات (المعجزات) وهو القرآن الحق لما جاءهم من عند الله، فسوف يأتيهم أخبار ما كانوا به يستهزئون، أي سيجدون العقاب المناسب لهم في الدنيا والآخرة عند إرساله إليهم.

٦- ألم يعلم هؤلاء المكذبون بالقرآن كم أهلكنا من قبلهم من الأمم السابقة، والقرن: أهل كل عصر، والمتوسط نحو مئة عام، وأعطيناهم من القوة وطول العمر، ما لم نعظكم يا أهل مكة، وأهلكناهم جميعاً، فأنتم أهون، وأرسلنا عليهم المطر مدراراً: غزيراً مستتابعاً، وجعلنا الأنهار تجري من تحت مساكنهم وأشجارهم، فأهلكناهم بذنوبهم، وأوجدنا من بعدهم جماعة آخرين.

٧- ولو نزلنا عليك أيها النبي كتاباً سماوياً في صحيفة مكتوبة، فلمسوه بأيديهم بعد أن رأوه بأعينهم، لقال الكافرون منهم عناداً: ما هذا الذي نزل عليك إلا سحر واضح، وإذا كان هذا حالهم في المرثي المحسوس، فكيف فيما هو مجرد وحي وإخبار إلى الرسول؟! نزلت لما طلب المشركون من النبي ﷺ إنزال كتاب من عند الله، ومعه أربعة ملائكة يشهدون بذلك.

٨- وقال مشركو مكة: هلا أنزل على محمد ملك نراه يشهد بأنه نبي مرسل، حتى تؤمن به وتنبعه؟ ولو أنزلنا ملكاً، لقضي الأمر بإهلاكهم، ثم لا يجهلون ليؤمنوا.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ
 ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ
 قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ سَمِيٌّ عِنْدَهُمْ أَنْ تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي
 السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ مَا كُتِبُونَ ﴿٣﴾
 وَمَا لَهُمْ مِنْ دِينٍ أَيْتٍ بِرَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ هَذَا
 كَذَّبُوا بِالحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمُ الْبُتُوكُمَا كَمَا كَانُوا فِي سَنَاهِمْ
 وَمَنْ بَرَأَكُمْ أَهْلَكُمْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنْتُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ
 يَكُنْ لَكُمْ مِنْ أَرْسَالِنَا السَّمَاءِ عَلَيْهِمْ مَذْرَأٌ وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي
 مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ
 ﴿٥﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَابٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالُوا
 الَّذِي نَزَّلَهُ وَإِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ
 مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ لِمَا نَبْطِرُونَ ﴿٧﴾

وَوَجَعَلْنَاهُ مَلَكًا لِّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ
 مَا يَلْبَسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ آسَأْهُمْ مِمْسِرًا بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ
 فَخَافَ بِالَّذِينَ سِخَرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾
 قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
 الْمُكذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُلْ لَنْ تَمَاقِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لَئِنْ كُنتُمْ
 عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْزِيَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَنْتُمْ فِيهِ
 الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَئِنْ
 مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ
 أَغْوَى اللَّهُ أَنْتُمْ وَلِيَا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُهُمْ
 وَلَا يَعْطِمُهُمْ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ
 مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ
 يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَنْ يَصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ
 وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْبَرُّ الْبَيْنُ ﴿١٦﴾ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا
 كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ خَيْرٌ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
 قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾

٩- ولو جعلنا الرسول ملكاً كما طلبوا، لجعلناه رجلاً ليستطيعوا رؤيته؛ لأنهم لا يتمكنون من رؤية الملك على صورته الأصلية ويخافون منه، وخططنا الأمر عليهم إذا تجسّم بصورة إنسان ليقدروا على رؤيته، كما يخلطون على أنفسهم، فيقولون: هذا إنسان وليس بملك.

١٠- ولقد استهزأ الناس بالرسول السابقين، كما استهزأ قومك بك أيها الرسول، فتزل بالساحرين ما كانوا به يستهزون من العذاب.

١١- قل أيها الرسول للمستهزين: سافروا في الأرض، وانظروا آثار الأمم السابقة لتعرفوا ما حل بهم من العقوبات، وانظروا كيف كان مصير الكاذبين لرسولهم، فأنتم هالكون إن كذبتم مثلهم.

١٢- اسألهم: من الذي له ملك السموات والأرض، وله حق التصرف فيهما؟ وقل: هي الله، سواء اعترفوا أو أقيمت عليهم الحجة، فإله قادر على عقابهم، ولكنه سبحانه أوجب على نفسه الرحمة، فلا يتعجل بالعقوبة، بل يتقبل منهم التوبة، ثم أقسم الله بأنه ليجمع الناس أو يحشرهم من القبور إلى يوم القيامة لا شك في أنه آت، والذين كفروا بالله ولم يؤمنوا برسوله هم الذين خسروا وجودهم.

١٣- وملك الله شامل لكل ساكن ومتحرك، فإله تعالى في الآية السابقة أبان أنه مالك لكل ما في الأمكنة من سموات وأرض، وهنا أوضح أنه مالك لكل ما في الأزمنة، والساكن يشمل الجمادات، والحيوانات التي تسكن في الليل أو في النهار، والله هو السميع لجميع الأقوال، العليم بكل ما تخفيه النفوس. نزلت حينما عرض كفار مكة على النبي ﷺ نصيباً من أموالهم، حتى يصير أغناهم رجلاً، ويرجع عما هو عليه من الدعوة.

١٤- قل أيها الرسول لأهل مكة الذين دعوك إلى عبادة الأصنام: كيف أتخذ غير الله ناصراً ومعبوداً، وهو مبدع السموات والأرض، وهو يرزق الناس ما يحتاجون، ولا يرزق من أحد، فهو غني عن الناس والطعام وغيره، قل: إنني أمرت أن أكون أول من خضع لربه بالعبادة، وقيل لي: إياك أن تكون من المشركين الذين اتخذوا لله شريكاً من خلقه.

١٥- قل لهم: إنني أخاف إن عصيت ربي بعبادة غيره عذاب يوم شديد هو يوم القيامة.

١٦- من يصرف عنه العذاب يوم القيامة، فقد رحمه الله ونجاه من النار، وذلك هو الفوز الواضح الباهر.

١٧- وإن تتعرض أيها الإنسان لضرر من فقر أو مرض، فلا قادر على رفع الضرر الواقع أحد غير الله، وإن يصبك خير من رخاء أو عافية، فإله قادر على كل شيء من إيصال الخير والشر وغيرهما.

١٨- والله هو الغالب المستعلي فوق عبادة استعلاء قهر وغلبة، وهو الحكيم في أفعاله، الخبير بما يصلح عبادة.

١٩- قل أيها الرسول لمن يطلب شهادة على نبوتك وصدقت: أي شاهد أعظم شهادة وأولى بالتصديق؟ قل: الله شاهدي، وهو أعظم شاهد لرسوله تجاه خلقه، وأوحى الله إلي هذا القرآن لأنذر بالعذاب من عصى ولم يؤمن، وأنذر به من بلغ إليه من الناس جميعاً إلى يوم القيامة، أنتكم معشر المشركين لتشهدون من غير حجة أن مع الله إلهاً آخر؟ قل لهم: أنا لا أشهد بوجود آلهة أخرى مع الله، فتلك أبطال الشهادات، وإني بريء مما تقولون وتشركون من الأصنام. قال رؤساء مكة: يا محمد، ما نرى أحداً يصدقك بما تقول من أمر الرسالة، فأرنا من يشهد لك أنك رسول كما تزعم، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

٢٠- إن أهل التوراة والإنجيل يعرفون النبي ﷺ وأنه صادق في رسالته بنعته في كتابهم معرفة حقة، كما يعرفون أبناءهم، الذين خسروا أنفسهم بعنادهم وتمردهم وتعريضها للعذاب في الآخرة: هم الذين لا يؤمنون بما بعث الله به نبيه محمداً ﷺ.

٢١- لا أحد أظلم ممن اختلق على الله الكذب، فزعم أن له الولد أو الشريك، أو كذب بآيات القرآن، إنه لا يفلح الكافرون الظالمون لأنفسهم بالتكذيب والكفر.

قُلْ أَى شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ سَهَّدَ بِنَبِيِّ وَسَيِّدِكُمْ وَأَوْحَى إِلَى هَذَا الْقُرْآنِ أَنْ لَا يُدْرِكُ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَيْتَكُمْ لِتَشْهَدُوا أَنْ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةٌ أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُغْنِي عَنْ الظَّالِمِينَ قَوْلُهُمْ وَيَوْمَ تُنْفَخُ الصُّرُورُ أَنتُمْ فِيهَا كَاذِبُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِينَ يَشْرِكُونَ بِاللهِ شُرَكَاءَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُزْعَمُونَ ﴿٢٢﴾ لَمْ يَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كَانُوا مِنَّا بِأَنَّ أَتَى عَلَيْهِمُ الْبُيُوتَ كَمَا أَتَى الْبُيُوتَ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُؤْمِنُوهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُكَ يَجِدُلُونَكَ يَتُولَوْنَكَ ابْنُ كُفْرِهِمْ وَإِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلَكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَعُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَكُنَّا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٦﴾

٢٢- واذكر لهم خبر يوم القيامة يوم يجمع الله العابدين والمعبودين، ثم نقول للمشركين: أين شركاؤكم من الأصنام التي عبدتموها من دون الله، والتي تزعمونها شركاء وشفعاء لكم عند الله؟

٢٣- ثم لم تكن عاقبة كفرهم وجرأتهم على الكذب وجوابهم لما رأوا العذاب إلا التبري من الشرك.

٢٤- انظر وتأمل في كذبهم الصريح بإنكار الشرك، وكيف تلاشى افتراؤهم، وتبدد زعمهم أن الشركاء يقربونهم إلى الله.

٢٥- ومن المشركين من يستمع إلى تلاوتك القرآن، لا للاهتمام وإنما للجدل، وجعلنا على قلوبهم أغطية كراهة أن يفقهوا (أو يفهموا) القرآن، وجعلنا في آذانهم صمماً لئلا يدركوه، بسبب عنادهم، وإن يروا كل آية تدل على وحدانية الله لا يؤمنوا بها، حتى إذا جأؤوك يجادلونك، قال الكفار: ما هذا القرآن إلا خرافات الماضين. نزلت في النضر بن الحارث حينما سئل عما يقول محمد، فقال: والذي جعلها بيته، ما أدري ما يقول، إلا أنني أراه يحرك شفثتي يتكلم بشيء، وما يقول إلا أساطير الأولين، مثلما كنت أحدثكم عن القرون الماضية.

٢٦- والمشركون يهنون الناس عن سماع القرآن، ويتعدونهم بأنفسهم عنه، وما يهلكون بابتعادهم عن الدين الحق إلا أنفسهم بتعريضها للعذاب، وما يشعرون بضرر كفرهم على أنفسهم. نزلت في عمومة النبي ﷺ وكانوا عشرة، كانوا أشد الناس معه في العلانية، وأشد الناس عليه في السر.

٢٧- ولو ترى حال المشركين حين حسبوا قرب النار معينين لها، لرأيت حالاً عجيبة هائلة، فقالوا: ليتنا نرد إلى الدنيا لتتوب فيها، ولا نكذب بآيات ربنا، ونصدق بالله ورسوله، وكل ذلك كذب ومراوغة.

بَلْ يَدَاهُ مَبْلُوطَةٌ مَا كَانُوا يَحْفُوفُونَ مِنْ قَبْلِ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ
وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا
وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ
السِّرُّ هَذَا الْحَقُّ فَالْوَالِي وَقَرِيبًا قَالَ فَذُقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ
تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ
السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا اتَّخَسَّرْنَا عَلَى مَا قَوْمَانَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَانَهُمْ
عَلَى ظُهُورِهِمْ إِلَّا سَاءَ مَا يَزِينُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا نُحْيِيهِ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ
وَلَهُمْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ عَلِمَ
إِنَّهُ يَخْرُجُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنْ الظَّالِمِينَ
يَسَاءَلِ اللَّهُ مُحَمَّدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ
فَصَبْرًا وَعَلَى مَا كَذَّبُوا وَأُودُوا وَحَتَّى أَنَّهُمْ نَصَرُوا وَلَا مَسَدَلْ
لَكَمَلَّتِ اللَّهُ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الرُّسُلِ الَّذِينَ
وَإِنْ كَانَ كَبْرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَنْجِيَهُ
نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سَلْمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَاتِنَا وَلَوْ سَاءَ
اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٤﴾

٢٨ - بل ظهر للمشركين ما كانوا يخفونه من الكفر وسوء الأعمال في الدنيا، ولو ردوا إلى الدنيا كما تمنوا، لعادوا إلى قبح الاعتقاد من الشرك والمعصية، وغلبهم طبعهم، وإنهم لكاذبون في وعدهم أو قولهم، أي أن تمنيتهم العودة ليس نابعا من رغبة صادقة في الإيمان.

٢٩ - وقال هؤلاء المشركون منكرو البعث: ما هذه الحياة إلا حياتنا الدنيا التي نحيهاها، وما نحن بمبعوثين بعد الموت، ولا آخرة.

٣٠ - ولو ترى حال هؤلاء المنكرين للبعث حين حُسبوا لانتظار أمر ربهم وعرضوا للحساب، لشاهدت العجب، قال الله تعالى لهم: أليس هذا البعث الذي أنكروا في الدنيا حقا أي كائنا موجودا؟ قالوا: بلى والله إنه لحق، قال الله: فذوقوا عذاب جهنم بسبب كفركم به.

٣١ - قد خسروا في الآخرة الذين أنكروا البعث والجزاء، حتى إذا جاءتهم القيامة فجأة، قالوا: يا ندامتنا الشديدة على تفرطنا في الإعداد لها من التصديق والعمل الصالح، وهم يحملون ذنوبهم على ظهورهم، أي فتلزمهم آثامهم، وتثاقلوا بها

وأحسوا بوطأتها، ألا تبس ما يحملون، وما يلقون من سوء العذاب.

٣٢ - رد الله على قول الكفار: ما هي إلا حياتنا الدنيا، بأن هذه الحياة مجرد لعب لا يحقق نفعاً ولا يدفع ضرراً، وكهو يشغل عما يعني ويهم، فهي سراب خادع، والدار الآخرة والإعداد لها خير للذين يتقون الله والشرك والعصيان، أفلا تعقلون ذلك يا من أنكروتم الآخرة؟

٣٣ - نعلم بالتأكيد أنه ليحزنك أيها الرسول ما يقوله المشركون من التكذيب لك، فلا تحزن، فإنهم لا يكذبونك في السر والحقيقة، لعلمهم أنك صادق، ولكن الظالمين لأنفسهم إنما يكذبون في الحقيقة آيات الله ويكفرون بها. قال أبو جهل للنبي ﷺ: إنا لا نكذبك، ولكن نكذب ما جئت به، فنزلت هذه الآية.

٣٤ - ولقد كذبت الرسل السابقون كما كذبك قومك، فصبروا على التكذيب والإيذاء، فاصبر مثلهم، حتى يأتيك نصرنا كما أتاهم بالإهلاك، ولا مبدل لوعده الله بنصره رسله، ووعده أعداءهم بالخذلان، ولقد أتاك بعض أخبار الرسل المرسلين من إنجائهم وتدمير أعدائهم.

٣٥ - وإن كان عظم وشق عليك إعراض المشركين عن رسالتك، فهذا كائن في علم الله السابق، وإن استطعت أن تتخذ سرياً في الأرض، أو سلماً تصعد عليه إلى السماء، فتأتيهم بأية خارقة تضطرهم إلى الإيمان، فافعل، ولكنهم مع ذلك لا يؤمنون، ولو شاء الله هدايتهم لهداهم جميعاً، ولكنه لم يشأ ذلك، فلا تكونن من الجاهلين بذلك وبحكمة الله في الأمر.



٣٦- إنما يجيب دعوتك أيها النبي إلى الإيمان الذي يسمعون سماع تفهم وتدبر، وموتى القلوب وهم الكفار يبعثهم الله في الآخرة، ويردون إلى الله، فيجازيهم بأعمالهم.

٣٧- وقال مشركو مكة: هلا أنزلت عليه من ربه معجزة مما اقترحناه، تشهد على صدقه، مثل تنق الجبل ونزول الملائكة عياناً، قل لهم أيها الرسول: إن الله قادر على إنزال آية تلجى إلى الإيمان، لكن لو أنزل الله آية كما طلبوا، عوجلوا بالعقوبة إذا لم يؤمنوا، وأكثرهم لا يعلمون ما يحل بهم من العذاب إذا لم يؤمنوا. نزلت هذه الآية بعد وقعة حمراء الأسد بعد وقعة أحد.

٣٨- ما من دابة تدب على الأرض أو طائر يطير في الهواء إلا أصناف وجماعات أمثالكم أيها الناس، خلقها الله، ورزقها، وأحاط علمه بها، ما تركنا في اللوح المحفوظ شيئاً من شؤونها لم نكتبه، ثم تحشر تلك الأصناف إلى ربها يوم القيامة، كما يحشر بنو آدم، ثم يقتص لبعضها من بعض، ثم تصير تراباً بأمر الله تعالى.

٣٩- والذين كذبوا آياتنا القرآنية لا يسمعون ما ينفعهم سماع تفهم وتدبر، ولا ينطقون بالحق، غارقون في ظلمات الكفر والجهل، لا يهتدون لشيء فيه خيرهم وصلاحهم، من يشأ الله إضلاله يضلله، ومن يشأ هدايته يجعله على طريق مستقيم، وهو دين الإسلام، والإضلال والهداية بحسب علم الله أولاً بالمخلوقات، فمن أضله فلا عراضه عن دعوة الله الحق، ومن هداه فلا نية نظر وتامل واستقل بفكره دون تأثر بالتقليد الأعمى.

٤٠- قل أيها الرسول لأهل مكة: أخبروني عن حالكم إن جاءكم عذاب الله في الدنيا، أو جاءكم القيامة بأهوالها، أتدعون أحداً غير الله لكشف الضر عنكم، أم تدعون الله؟ إن كنتم صادقين في ادعائكم أن الأصنام تضر وتنتفع، وأنها تقربكم إلى الله تعالى.

٤١- بل إنكم تدعون الله، لا غيره عند الشدائد، فيرفع عنكم ما نزل بكم إن شاء، وتتركون ما تشركون به من الأصنام ونحوها قبل نزول العذاب.

٤٢- ولقد أرسلنا رسلاً إلى أم سابقة من قبلك أيها النبي، فكذبوهم، فعاقبناهم بالمصائب في الأموال، والأمراض في الأجسام، لعلهم يتذللون ويخشعون لربهم بالتوبة.

٤٣- فهلا إذ جاءهم عذابنا تضرعوا بالتوبة، ولكن اشتدت وصلبت قلوبهم فلم تبادر إلى الإيمان، وحسن لهم الشيطان سوء أعمالهم، وأغواهم بالبقاء على الكفر، أي كان ينبغي لهم أن يتضرعوا، ولكنهم لم يفعلوا.

٤٤- فلما تركوا الاتعاظ بالشدائد، والعمل بما أمرهم به رسلهم، فتحتنا عليهم أبواب النعم والخيرات، استدراجاً لهم، حتى إذا فرحوا بما أوتوا فرح بطر وأشر، عاقبناهم بالعذاب فجأة، فإذا هم آيسون من النجاة، حزينون على ما نزل بهم من الكوارث.

إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ عَلَيْنَا آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنْ اللَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُزِيلَ آيَةَ وَالَّذِينَ لَا يَكْفُرُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَلُكُمْ مَاقَاتِلًا فِي الْكَيْبِ مِنْ شَيْءٍ وَهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ مَحْشُرُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُومٌ بِكُمْ فِي الظُّلُمَاتِ مِنْ بَيْنَا اللَّهُ يَضِلُّهُ وَمَنْ يَشَأُ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابَ اللَّهِ أَنْتُمْ أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةَ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْأَسْوَءِ وَالْأَضْرَءِ لَعْنَاهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَحَضَّ عَلَيْهِمْ أَبْوَابُ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَحَدْتَهُمْ بَعْتَهُ فَاذَّاهُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾

فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَلْحَدَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾
 قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَسَعَهُ عَلَى قُلُوبِكُمْ
 مَنِ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَا أَيُّكُمْ بِهِ أَنْظَرَ كَيْفَ نَصْرَفَ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ
 يَصْدُقُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابَ اللَّهِ بَغْتَةً
 أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ
 الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ
 فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
 يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ
 عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ
 إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ
 أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ
 رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ
 ﴿٥١﴾ وَلَا تَنْظُرْ إِلَى الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعُدْوَةِ وَالْعَفْئِ
 يُرِيدُونَ وَجْهَ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمِنْ
 حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَنْظُرُهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾

٤٥ - استؤصل جميع القوم الظلمة الكفرة حتى آخرهم، فلم يبق منهم أحد، والحمد لله على إهلاكهم؛ لأن في ذلك تخليصاً للبشر من مفسدهم. وهذا تنبيه للعباد على حمده تعالى على نصر المصلحين، وإهلاك المفسدين.

٤٦ - قل أيها النبي لمن كذب برسالتك: أخبروني إن أصمكم الله وأعماكم، وحجب عنكم العقل والفكر والإدراك، من إله غير الله يأتيكم بما أخذه منكم، انظر أيها النبي كيف نبين وننوع الحجج الدالة على الخير والرشاد، من ترغيب وترهيب، ثم هم يعرضون عنها، فلا يؤمنون.

٤٧ - قل لهم أيها النبي: أخبروني عما تفعلون إن أتاكم عذاب الله فجأة من غير مقدمات أو أمارات تنذره، كما حصل لقوم لوط، أو أتاكم ظاهراً علانية بعد تقديم مقدمات دالة عليه، كما حصل لقوم نوح وفرعون، ما يهلك ويُعذب إلا القوم الظالمون لأنفسهم وهم الكفار المصرون على الكفر.

٤٨ - وما نرسل الرسل إلا مبشرين لمن أطاعهم بالجنة، ومنذرين لمن عصاهم بالنار، فمن آمن بالله ورسله وكتبه، وأصلح عمله، فلا خوف عليهم من عذاب الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم في الدنيا.

٤٩ - والذين كذبوا بآيات الله التي أرسل بها الرسل، يصيبهم العذاب في الآخرة بسبب كفرهم وخروجهم عن طاعة الله تعالى.

٥٠ - قل أيها النبي: لا أقول لكم أيها الجاحدون الكافرون عندي خزائن قدرة الله ورزقه، فأعطيكم منها وأتيكم بما تقترحون من الآيات، ولا أقول لكم: إني ملك يأتي بالأفعال الخارقة، ما أتبع إلا ما يوحى إلي من الله، فأبلغكم إياه.

٥١ - وخوف أيها الرسول بهذا القرآن المؤمنين الذين يخافون من الحشر وأهواله يوم القيامة، ويعتقدون بأنه ليس لهم من غير الله ولي ناصر يواليهم وينصرهم، ولا شفيع يشفع لهم عند الله لينجيهم من عذابه، أنذرهم ليتقوا الله في الدنيا، فيأتمروا بالأوامر، ويتهوا عن الكفر والمعاصي.

٥٢ - ولا تنظروا الفقراء أو الضعفاء من مجلسك أيها الرسول، الذين يذكرون الله، ويصلون له صباحاً ومساءً، وهم مخلصون في عبادتهم، لا يريدون بذلك إلا وجه الله تعالى، ويتغنون مرضاته، حسابهم مستقل بهم، لا تحاسبهم على شيء، ولا يحاسبونك على شيء، فكل إنسان مسؤول عن عمله، لا تنظروهم من مجلسك إرضاء لمن ليس مثلهم في الدين والفضل، فتكون من الظالمين إن طردتهم. نزلت في سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود وأربعة، قالوا لرسول الله ﷺ: اطردهم، فإننا نستحي أن نكون تبعاً لك كهؤلاء. هذه رواية ابن حبان والحاكم جعلت ابن مسعود مع أئمة قريش، والصحيح رواية مسلم التي جعلت هؤلاء الستة من المطلوب طردهم.

٥٣- إن مقال المشركين في الضعفاء اختبار، وهكذا ابتلى الله بعض الناس ببعض، ليعلم هل يشكر الأولون فيعطفون على الآخرين، وهل يرضى الآخرون ولا يسخطون؟ وليقول التكبرون منهم ساخرين: أهولاء الضعفاء الذين من الله عليهم بالهداية، وأكرمهم بإصابة الحق من دوننا؟ فرد الله عليهم: ليس الله بأعلم بالذين يشكرونه ويعبدونه بإخلاص، فيمن عليهم بالهداية والتوفيق؟!

٥٤- وإذا جاءك أيها الرسول المؤمنون بآيات الله المنزلة في القرآن، وهم المستضعفون من المؤمنين الذين نهيت عن طردهم، فقل لهم تطبيقاً لحواظهم: سلام عليكم، أوجب ريكم على نفسه الرحمة إيجاب تفضل وإحسان، أنه من ارتكب ذنباً بسبب جهالة، لا يعتمد وإصرار، ثم تاب إلى الله من بعد عمله، وأصلح عمله وما أفسده بالمعصية، فرجع إلى الصواب، فإن الله غفور للمستغفرين رحيم بالتائبين. قال عكرمة: نزلت في الذين نهى الله تعالى نبيه عن طردهم، فكان إذا رآهم النبي ﷺ بدأهم بالسلام.

٥٥- ومثل ذلك التفصيل، نبين الحجج والأدلة، لتظهر طريقة الكفار، ويتضح سبيل ضلالهم.

٥٦- قل أيها النبي للمشركين: إن الله نهاني أن أعبد الأصنام التي تعبدون من غير الله، وأمرني ألا أتبع أهواءكم الفاسدة التي توقع في الضلال، من عبادة معبوداتكم، وطردهم فريق من المؤمنين، فإن اتبعت أهواءكم فأنأضال.

٥٧- قل لهم: إني فيما أحالفكم فيه على بصيرة من شريعة الله، والحال أنكم كذبتم بالحق والقرآن الذي جاءني من عند الله، فجعلتم الله شركاء، ليس عندي ما تعجلون به من العذاب استهزاء، ما الحكم في تأخير العذاب أو تعجيله وفي كل شيء إلا الله وحده، يقضي القضاء الحق، ويقص على رسوله القصص الحق في وعده ووعيدته، وهو سبحانه خير الحاكمين الذين يفصلون بين الحق والباطل في قضايا العباد. قال الكلبي: نزلت في النضر بن الحارث وروساء قريش: كانوا يقولون: يا محمد، اثنتا بالعذاب الذي تعدنا به استهزاء منهم، فنزلت هذه الآية.

٥٨- قل لهم: لو أن عندي القدرة على إنزال ما تطلبون تعجيله، لأنزلته بكم، ويقضي الله بيني وبينكم، والله أعلم بالظالمين أنفسهم بما هم عليه من الشرك.

٥٩- وعنده تعالى خزائن الغيب، لا يعلم بها أحد سواه سبحانه، وبهذا يطل ادعاء الكهان والمنجمين وغيرهم، ويعلم ما يحدث في البر والبحر، ويعلم ما يسقط من أوراق الشجر، ويعلم بكل حبة كائنة في باطن الأرض وأعماقها، ويعلم بكل رطب ويابس من نبات وجماد وجميع الموجودات، كل ذلك في اللوح المحفوظ، في علم الله تعالى.

وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَن بَارَأَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِن بَيْنِنَا لَلنَّاسِ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَاءَ لَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ لَّا يُعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أُعْبَدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قُلْ لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُمْ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَّبِعِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِمَا عِنْدِي مَا اسْتَجِيبُونَ بِهِ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يُفْضِلُ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاضِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ لَوْ أَن عِنْدِي مَا اسْتَجِيبُونَ بِهِ لَفَضَيْتُ الْأَمْرَ لِبَنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ رِزْقِهِ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَافِيَ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾



وَهُوَ الَّذِي يَتَوَقَّكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى إِلَيْهِ تَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْعَلُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَنْ يَنْجِيكُمْ مِنْ ظُلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّيْنٍ أَهِنًا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ اللَّهُ يَنْجِيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ سِيبَاعًا وَيُدْبِقَ بَعْضَكُمْ بِأَسْبَعْ أَنْظِرْ كَيْفَ تَنْصُرُ لآيَاتِ لَعْنَتِهِمْ يَفْقَهُوْنَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَنْسَأَلَ عَنكُمْ بِنُوحِيكُمْ وَلِكُلِّ قَبِيلٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي الْآيَاتِ فَاعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيكُ الشَّيْطَانُ فَالْتَقِعْهُ بِالَّذِي أُنذِرْتَهُ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٧﴾

٦٠- وهو الله تعالى الذي يلقي النوم عليكم بالليل، فيمتنع التمييز والتصرف الاختياري، وتتوقف الحواس عن أعمالها، وهذا هو المراد بالتوفي هنا، ويعلم ما كسبتم بجوارحكم (أعضائكم) بالنهار، من الخير والشر، ثم يوقظكم في النهار من نومكم، لينفذ الأجل المعين للحياة، ثم ترجعون إلى الله بالبعث بعد المات، ثم يخبركم بأعمالكم في الدنيا، ويجازيكم عليها، بالخير والشر.

٦١- وهو سبحانه الغالب الذي قهر كل شيء، وخضع لجلاله وعظمته كل شيء، ويرسل عليكم ملائكة حفظة تحفظكم من الآفات، وتحفظ أعمالكم، حتى إذا حان أجل الوفاة توفته الملائكة الموكلون بقبض الأرواح أعوان ملك الموت، وهم لا يقصرون فيما أمروا به من الإكرام أو الإهانة.

٦٢- ثم تردُّ الخلاق التي توفتها الرسل، إلى الله المالك الوالي الذي يحكم بالحق، ألا الله وحده لا لغيره القضاء الحق، وهو المحاسب لجميع الخلاق في أسرع وقت، لا يحتاج إلى تأمل وتفكر.

٦٣- قل أيها النبي لهؤلاء المشركين: من ينقذكم من شدائد البر والبحر إذا تعرضتم لها؟ تدعونه جهراً وسراً متضرعين: متذللين خاضعين، قائلين: لنن

أنجيتنا من هذه الشدة التي نزلت بنا، لنكونن من الشاكرين لك على نعمتك علينا.

٦٤- قل لهم أيها النبي: الله وحده هو الذي ينجيكم من هذه الأهوال (الظلمات) ومن كل هم وغم، ثم أنتم بعد ذلك تشركون بالله في العبادة آلهة أخرى، بعد أن أحسن إليكم، مع أن تلك الآلهة المزعومة لا تضر ولا تنفع.

٦٥- قل لهم أيضاً: إن الله هو القادر على إزلال العذاب بكم من كل جانب، من السماء بالمطر والصواعق، ومن تحتكم بالخسف والغرق والزلازل مثلاً، أو يجعلكم فرقاً مختلفة الأهواء مختلطة الآراء، يقاتل بعضهم بعضاً، ويذيق بعضهم بأس (شدة) بعض، من قتل وجرح وتشريد ونهب، انظر كيف نبين لهم الدلالات على قدرتنا، ليدركوا ويفهموا الحقائق، ويرجعوا عما هم عليه من الباطل. ومن المعلوم أن النبي ﷺ سأل ربه ثلاثاً، فأعطي اثنتين وهما ألا يهلك الله أمته بالفرق، والسنة، ومنع الثالثة وهي ألا يجعل بأسهم بينهم.

٦٦- وكذب بالقرآن قومك قريش، والحال أن القرآن حق لا شك فيه، قل لهم أيها النبي: لست بحفيظ ولا رقيب على أعمالكم، فأجازيكم عليها، إنما أنا منذر.

٦٧- لكل خبر في القرآن وقت معين يقع فيه ويستقر، وسوف تعلمون ما يقع وما أخبرتكم به.

٦٨- وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا بالكذب والاستهزاء، فاتركهم ولا تجالسهم، حتى يتحدثوا في حديث آخر، وإن أنساك الشيطان أن تقوم عنهم، فلا تقعد بعد التذکر مع القوم الظالمين لأنفسهم، وقم في الحال، عن ابن عباس: أن الآية في مجالسة الذين يتجادلون في آيات الله، ويتخاصمون فيها، وهم أهل الأهواء والبدع. وعن السدي: أنها في المشركين المستهزئين بالقرآن والنبي.

٦٩- ليس على المتقين ربهم حساب الخائفين في آيات الله، وليس عليهم أي شيء من الإثم إذا أعرضوا عنهم، أو جالسوهم وهم يخوضون في حديث آخر، ولكن اجتنابهم أو القيام عنهم تذكير بعظمة الإثم الذي وقعوا فيه بسبب هذا الخوض، لعلهم يتركونه، ويتقوا الله، فيمسكوا عن الكلام الباطل.

٧٠- وارك الذين اتخذوا الدين الحق مجالاً للعبث، والاستهزاء أو التسلية، وخذعتهم الحياة الدنيا بزيتها، فأنكروا البعث ونسوا الآخرة، وعظ بالقرآن، لئلا تهلك نفس أو تحبس في جهنم، بسبب ما عملت من المعاصي في الدنيا، والمراد ذكر بالقرآن لتنجو النفس من العذاب قبل الإحاطة به، وليس لتلك النفس ناصر يتصرها وينجيها من عذاب الله، ولا شفيع يشفع لها، حتى وإن بذلت النفس التي أسلمت للهلاك كل فدية، ولو ملء الأرض ذهباً، فلا يقبل منها، أولئك الذين أسلموا للعذاب الإلهي بسبب عملهم السيء، لهم في جهنم شراب من ماء شديد الحرارة، وعذاب شديد مؤلم بسبب كفرهم واستهزائهم بآيات الله تعالى.

وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذَكَرُوا لَعْنَهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْفَعُوا بِهِمْ وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ يُنْزِلُوا السَّمَانَ مِنَ السَّمَاءِ كَمَا يُنْزِلُونَ السَّمَاءَ مَاءً فَسَيَفْضَحُونَ عَنْهُ وَيَصْلَحُونَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَدْعُوا إِلَىٰ مَا نَدَعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَاللَّهُ مُتَعَدِّلٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ قُلْ أَدْعُوا إِلَىٰ مَا نَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَنْفَعُنَا اللَّهُ شَيْئاً وَإِن نَدْعُوهُ بَشْرًا أَوْ زُجْرًا عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ أَدْعَاؤُكُمْ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ الْهُدَىٰ أَتَيْنَا قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمَّا لَلْإِسْلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْحَيَّ وَتَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلَهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْعَالَمِينَ ۗ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٣﴾

٧١- قل أيها النبي للمشركين: أنعبد من دون الله أصناماً لا تنفع ولا تضر، وترك عبادة الله الذي بيده النفع والضرر، ونرجع إلى الضلالة والشرك، بعد أن هدانا الله إلى الإسلام، كالذي أضلته مردة الجن وحملته على اتباع هوى نفسه، وجعلته تائهاً متحيراً في الأرض، لا يهتدي لجهة، له أصحاب (رفقة) يدعونه إلى طريق الهداية ويحاولون إنقاذه من الضلالة، قائلين له: اسلك طريقنا ووافقنا على الدين الحق، فلا يجيبهم فيهلك، قل أيها النبي: إن دين الله الذي ارتضاه لعباده وهو الإسلام هو الهدى وغيره باطل، وأمرنا جميعاً كي نخلص العبادة لله رب الإنس والجن. قال السدي: قال المشركون للمسلمين: اتبعوا سبيلنا واركوا دين محمد، فأنزل الله: ﴿ قل: أندعوا من دون الله... ﴾.

٧٢- وأمرنا أيضاً بأن نقيم الصلاة تامة في أوقاتها، وبأن نتقي الله ونتجنب معصيته ونخشى عذابه، فهذا هو الهدى، والله هو الذي نجمع إليه وحده في الآخرة للحساب، وله الحكم وحده يوم القيامة، ولا ينفعكم فيه إلا العلم الصالح من تقوى وصلاة ونحوهما.

٧٣- والله هو الذي خلق السموات والأرض خلقاً متلبساً بالحق، لا عبثاً ولا باطلاً، ويوم يقول لشيء أراد إيجاده: كن فيكون موجوداً، قوله الصدق الواقع لا محالة، وله المُلْكُ والسلطان التام الذي لا ينازعه فيه شيء، يوم يُنْفَخُ في قرن النسخة الأولى للفناء، والثانية للإحياء، وهو العالم بما غاب وما حضر من كل شيء، وهو الحكيم في جميع أفعاله وما يصدر عنه، الخبير بكل شيء ظاهر أو باطن.

٧٤- واذكر أيها النبي حين قال إبراهيم لأبيه أزر أنتخذ أصناماً إلهة أو تاريخ: أنتخذ أصناماً إلهة لك تعبدها من دون الله، وهي لا تضر ولا تنفع، إني أراك وقومك المواقفين لك في عبادة الأصنام في حال عدول واضح عن الحق.

٧٥- وكما أرينا إبراهيم ضلال أبيه وقومه في عبادة الأصنام، أريناه أيضاً ملكوت (الملك العظيم) السموات والأرض وعجائبهما وما فيهما من الإبداع، ليستدل بها على وحدانيتنا وقدرتنا، ليكون نبياً عالمًا بيقين، من غير أي شك في عظمة الله وقدرته.

٧٦- فلما أظلم عليه الليل وستره بظلمته، رأى نجماً مضيئاً هو المشتري أو الزهرة، فقال لقومه: هذا ربي، فهو بنوره وارتفاعه أجدر من الأصنام أن يكون إلهاً، مريداً بذلك إقامة الحججة على قومه، على طريق الافتراض، ثم نقضه بالحس والعقل، فلما غرب، قال إبراهيم: لا أحب الألهة التي تغرب، فهي تتغير ظهوراً وخفاءً.

٧٧- فلما رأى القمر طالعاً، قال لقومه: هذا ربي، فلما غاب قال لقومه: لئن لم يهتدي ربي إلى الحق، لأكونن من القوم التائهين الذين لا يهتدون إلى الحق.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أزر أنتخذ أصناماً إلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين ﴿٧٤﴾ وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين ﴿٧٥﴾ فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الأفلين ﴿٧٦﴾ فلما رأى القمر بارزاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهتدي ربي لأكونن من القوم الضالين ﴿٧٧﴾ فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يقوم إني بري بما أشركون ﴿٧٨﴾ إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ﴿٧٩﴾ وحاجه قومه قال أتحجرني في الله وقد هدني ولا أخاف ما أشركون به إلا أن يشاء ربي شيئاً وسع ربي كل شيء علماً أفلا تتذكرون ﴿٨٠﴾ وكيف أخاف ما أشركم ولا تحفون أنكم أشركم بالله ما أولئذ ليه عليكم سلطاناً فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون ﴿٨١﴾

٧٨- فلما رأى الشمس طالعة مشرقة، قال: هذا ربي، هذا أكبر من غيره من الكواكب والقمر، فلما غابت، قال إبراهيم: يا قوم، إني بريء من الأشياء التي تجعلونها شركاء لله وتعبدونها. أثبت إبراهيم ألوهية الله بأقول هذه الكواكب، وأنها لا تضر ولا تنفع.

٧٩- إني وجهت كل ذاتي وعبادتي وقلبي وعقلي لله الذي أبدع خلق السموات والأرض، من غير مثال سبق، مثلاً إلى الدين الحق، ولست من الذين أشركوا في العبادة مع الله إلهاً آخر.

٨٠- وجداله قومه في التوحيد، وخوقوه من غضب آلهتهم، قال لهم: أتجادلونني في وحدانية الله وقدرته، وقد هداني للإيمان به (وجوده وتوحيده) فلا أكون مثلكم في الضلالة، ولا أخاف مما تخوفونني به من آلهتكم، فهي مخلوقات لله لا تضر ولا تنفع، إلا بمشيئة ربي أن يصيبني بمكروه بسبب ذنب فعلته، فالأمر إليه، أحاط علمه بكل شيء، أفلا تتذكرون هذا وما بينته لكم فتؤمنوا؟!

٨١- وكيف أهرب آلهتكم التي عبدتموها من دون الله، وهي لا تضر ولا تنفع؟ ولا ترهبون أنتم ما جعلتم الله من شركاء، ما لم ينزل بعبادته عليكم حجة قاطعة وبرهاناً، فأى الفريقين (فريق المؤمنين بالله وفريق الكافرين بالله) أجدر بالأمن من العذاب، إن كنتم تعرفون الحقائق والبراهين الصحيحة وموازين التمييز بين الحق والباطل.

الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ
 مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ
 نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا
 لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ
 وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى
 وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْحَسَنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى
 وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ
 وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا كُلًّا فَضَلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾
 وَمِن آبَائِهِمْ ذُرِّيَّتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ
 إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن
 يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾
 أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا
 هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَكْفُرْنَ بِهَا ﴿٨٩﴾
 أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيمُهَدَاهُمْ أَقْتَدَهُ قُلْ
 لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾

٨٢- الذين يستحقون الأمن هم المؤمنون الذين لم يخلطوا بإيمانهم بشرك، أولئك لا غيرهم لهم الأمن من العذاب في الآخرة، وهم مهتدون إلى الحق والرشاد. نزلت في رجل من الأعداء قتل اثنين من المسلمين، ثم قال: أينفعني الإسلام؟ فقال النبي ﷺ: نعم، ثم قتل ثلاثة من الأعداء من أصحابه، ثم قتل، فنزلت فيه.

٨٣- وتلك حجتنا التي وردت على لسان إبراهيم آتيناه إبراہیم، أي ألهمناه إياها، ليحتج بها على قومه ويغلبهم ليقنعوا عن شركهم، نرفع من شتنا من عبادنا درجات في الدنيا في النبوة والعلم والحكمة، والهداية ومعرفة الحق، إن ربك حكيم في صنعه، عليم بخلقه.

٨٤- ووهبنا لإبراهيم إسحاق، ووهبنا له يعقوب بن إسحاق، كل واحد منهما هديناه أي وفقناه إلى الحق وجعلنا كلا منهما نبياً، وهدينا نوحاً من قبل ذلك، فجعلناه أول رسول إلى الناس، ومن ذرية نوح جعلنا أنبياء، وهدينا داود وسليمان، وأيوب، ويوسف، وموسى وهارون، وتلك نعم عدها الله على إبراهيم؛ لأن شرف الأبناء متصل بالآباء، وكما جزينا هؤلاء الأنبياء الذين أحسنوا أعمالهم بالجهاد

والدعوة، كذلك نجزي كل محسن بالجمع بين هداية الدين وإرشاد الناس.

٨٥- وهدينا أيضاً زكريا ويحيى وعيسى وإلياس، والصحيح أنه ليس إدريس الذي كان قبل نوح، وإلياس من ذرية نوح كما تدل هذه الآيات، وكل هؤلاء من الصالحين الذين امتازوا بالزهد في الدنيا.

٨٦- وهدينا أيضاً إسماعيل واليسع، قيل: هو صاحب إلياس، ويونس ولوطاً وهما ليسا من ذرية إبراهيم، وإنما من ذرية نوح؛ لأن لوطاً هو ابن أخي إبراهيم، وكل واحد من هؤلاء الأنبياء فضلكناه بالنبوة على غيره من الناس، مما يدل على أن الأنبياء أفضل الناس.

٨٧- وهدينا بعض آبائهم وذرياتهم وإخوانهم، واصطفيناهم لرسالتنا، وهديناهم إلى طريق قويم هو الإيمان والدين الحق.

٨٨- ذلك الهدى والتفضيل والاجتباء (الاختيار) يهدي به الله من يشاء هدايته من عباده، وهم الموفقون للخير واتباع الحق، ولو أشرك هؤلاء المذكورون، لبطل كل ما عملوه من أعمال الخير والصلاح، وذهبت حسناتهم.

٨٩- أولئك الأنبياء الثمانية عشر واتباعهم الذين آتيناهم جنس الكتاب، أي الكتب السماوية، والعلم، والرسالة، فإن يكفر بالرسالة كفار المشركون، فقد وكلنا برعاها وبالإيمان قوماً ليسوا بكفار، وهم المهاجرون والأنصار، وفقناهم لحمل رسالة الإيمان، كأنهم وكلاء بها.

٩٠- أولئك الذين هداهم الله، فاقتد أيها الرسول بهديهم، واتبع سبيلهم في الدعوة إلى توحيد الله والأخلاق السامية، قل أيها الرسول لقومك: لا أطلب منكم أجرأ على القرآن وتبليغ الرسالة، ما هذا القرآن إلا موعظة لجميع المخلوقات من الإنس والجن.

٩١ - ثم رد الله على من ينكر أن يرسل الله بشراً بأن هؤلاء الناس ما عرفوا الله تمام المعرفة، حيث أنكروا إرساله للرسول، وإنزاله للكتب، وقالوا للنبي ﷺ: ما أنزل الله على بشر شيئاً من الآيات والكتب، قل أيها النبي لهم: من الذي أنزل التوراة على موسى ضياءً وبيانا للحق من الباطل؟ فجمعون أيها اليهود التوراة صحفاً متفرقة تظهرون بعضها، وتخفون كثيراً منها، أي إنهم جعلوا كل قرطاس (صحيفة) وحده، ليظهروا ما شاؤوا بحسب مصلحتهم، ويكتموا ما أرادوا، وعلمت ما لم تعلموا بالوحي من أمور الدين والدنيا، قل: الله هو الذي أنزل التوراة والقرآن، ثم دعهم في باطلهم يعيثون. نزلت للرد على يهودي اسمه مالك بن الصيف أو فنحاص، قال للنبي ﷺ: لم ينزل الله كتاباً من السماء.

٩٢ - وهذا القرآن كتاب كثير البركة والنعف، أنزلناه عليك أيها الرسول، موافق لما أنزل قبله من الكتب على الأنبياء كالتوراة والإنجيل، ولتنزيه أهل مكة أعظم القرى شأنًا وعاصمة لها، فيها الكعبة المشرفة أول بيت وضع للناس، وهي قبلة الأمة، وتندر من حولها من الناس جميعاً، والذين يصدقون بالدار الآخرة يصدقون بهذا القرآن؛ لأن

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِثْلَ
 قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى
 لِلنَّاسِ لِيَجْزِيَوهُ قِرَاطِينَ تُبْدُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَالِمِ
 مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَآءَا بَاؤُكُمْ فَذُرُّهُمُ فِي حُرُوفِهِمْ
 يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَذَا كِتَابُنَا أَنْزَلْنَاهُ مَبَآرِكًا مُصَدِّقًا لِّذِي
 بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ وَلِنُوذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
 يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ
 أَقْرَبَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوْحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ
 وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ
 فِي عَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ خِرَاجًا أَنْفُسِكُمْ
 أَيُّوهُمْ يُخْرَجُونَ عَذَابُ الْهُونِ مَا كَثُرَ نَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ
 وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرْدًا
 كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكْتُمْ مَا حَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ
 وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَؤَا
 لَقَدْ نَقَطْنَا بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

من صدق بالآخرة، قبل ما يؤدي خيرا ويدفع ضرها، وهم على صلاتهم يداومون خوفاً من عقاب الآخرة. ٩٣ - لا أحد أظلم ممن اختلق على الله كذباً، فادعى النبوة أو كذب على الله في شيء، أو قال: أنزل الله عليّ وحياً، وهو كاذب في ادعائه، أو ادعى أنه قادر على إنزال مثل القرآن، ولو ترى حين يكون هؤلاء الظالمون (الكافرون) في شدائد النزع وسكرات الموت، والملائكة باسطو أيديهم لانتزاع أرواحهم، قائلين لهم: أخرجوا أنفسكم من أيدينا، وخلصوها من العذاب إن استطعتم، وهذا دليل العنف في إزهاق الروح، اليوم تلقون العذاب المهين المذل جداً، حتى لكأنه هو الذل نفسه، بسبب افتراءكم على الله الباطل غير الحق، كادعاء شريك لله، أو ادعاء الوحي والنبوة، وكنتم تتكبرون عن التصديق بآيات الله والعمل بها. ذكر عكرمة أن آية ﴿ومن أظلم..﴾ نزلت في مسيلمة، وآية ﴿سأنزل مثل..﴾ نزلت في عبد الله بن أبي سرح الذي كان يكتب الوحي، فيبدل فيه، ثم ارتد عن الإسلام ولحق بقريش، ثم أسلم يوم الفتح.

٩٤ - ويقال لهؤلاء في الآخرة: ولقد جئتمونا للحساب منفردين عن الأهل والمال والولد، كما خلقناكم في المرة الأولى عند ولادتكم حفاة عراة، وتركتم خلفكم ما أعطيناكم من الأموال وغيرها في الدنيا، ولا نجد معكم شفعاءكم الأصنام الذين زعمتم أنهم في استحقاق عبادتكم شركاء لله، لقد تشئت جمعكم، وتقطع الوصل وما كان من الروابط بينكم، أنتم وشركاؤكم، وغاب وذهب عنكم ما كنتم تزعمون من الشرك والشركاء.



٩٥- إن الله فالق والنون يخرج الحبي من التين ويخرج التين من الحبي ذلكم الله فأنى تؤفكون ﴿٩٥﴾ فالق الإصباح وجعل أيل سكتا والنمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم ﴿٩٦﴾ وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون ﴿٩٧﴾ وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ﴿٩٨﴾ وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ فأخرجنا منه خضرًا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان داية وجنت من أعناب والزيتون والرمان مشتتها وغير مششبه انظر إلى النعمة إذا أثمر ونعمه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون ﴿٩٩﴾ وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون ﴿١٠٠﴾ يدع السموات والأرض أن يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم ﴿١٠١﴾

٩٥- إن الله فالق (شاق) الحب فيخرج منه النبات، وفالق النوى فيخرج منه الشجر، يخرج النبات الحي من الحب اليابس، والحيوان من البيضة، ويخرج الحب اليابس من النبات الحي والبيضة من الحيوان، ويخرج أيضاً المؤمن من الكافر بالولادة، ويخرج الكافر من المؤمن أيضاً، ذلكم الصانع لهذا الصنع العجيب هو الله وحده، فكيف تصرفون عن الحق بعبادة الله خالق كل شئ، وتعبدون ما لا يضر ولا ينفع؟!

٩٦- الله أيضاً شاق ظلمة الإصباح وهي الغيش بضياء النهار، وجعل الليل سكتاً للراحة، يسكن فيه الناس عن الحركة والتعب، وجعل الشمس والقمر محل (أو وسيلة) حساب للأوقات، تتعلق به مصالح العباد، ذلك النظام المذكور هو تقدير القوي في ملكه، العليم بخلقه، فيفعل هذا التدبير المحكم.

٩٧- وهو الذي جعل أو خلق لكم النجوم، للاهتداء بها في أسفاركم في ظلمات الليل، وفي عبور البحر، عند اشتباه طرقهما، قد بينا الآيات الدالة على تمام قدرتنا، لقوم يعلمون سر عظمتها، ويدركون حقيقتها، ويستدلون بها على وجود الله وتوحيده وعلمه وقدرته.

٩٨- تلك آيات الأرض والسماء، وأما آيات النفس فالله خلقكم في الأصل من نفس واحدة هي آدم عليه السلام، ثم تكاثرت، فلكم مستقر على ظهر الأرض، ومستودع لكم بعد الموت في باطن الأرض، قد بينا الآيات الدالة على كمال قدرتنا وإرادتنا، لقوم يفقهون ما يتلى عليهم، فيؤمنون به.

٩٩- والله هو الذي أنزل من السحاب مطراً، فأخرج به من الأرض أصناف النبات المختلفة، وأخرج من النبات زرعاً أخضر طرياً، يخرج من بعضه حباً مركباً بعضه على بعض كالسنابل، ويخرج من طلع النخل (أول ما يخرج منه) عناقيد قريبة للتناول للقائم والقاعد، وينشئ بساتين من العنب والزيتون والرمان، متشابهة في الحجم واللون، وغير متشابهة في الطعم والمذاق، انظروا نظرة تأمل واعتبار إلى ثمره إذا أثمر، ونضجه وإدراكه حين ينضج، حيث يكون ملائماً للأبدان، إن فيما تقدم ذكره لدلالات على كمال قدرة الخالق، لقوم يصدقون بوجود الله وقدرته، فهؤلاء هم المنتفعون بالإرشاد.

١٠٠- وجعل بعض المشركين الجن شركاء لله، فعبدوهم وعظموهم، والله هو الذي خلقهم، وهم يعلمون ذلك، فكيف يكون المخلوق شريكاً لله الخالق؟ واختلفوا كذباً واخترعوا له بنين كعزير وعيسى، وبنات كالملائكة حين زعموا أنهم بنات الله، جهلاً خالصاً منهم بالله وعظمته، تنزيهاً له وتقديساً، وتباعداً عما يصفه به هؤلاء من الإفك والباطل.

١٠١- الله مبدع ومنشئ السموات والأرض من العدم على غير مثال سابق، فكيف يكون لهذا الخالق المبدع ولد، وكيف يتخذ ما يخلقه ولداً؟ وليس له زوجة حتى يأتي منها الولد؟ وخلق كل شئ ومنهم الملائكة والمسيح وعزير، فيكون غنياً عن كل شئ، وهو عليم بكل شئ، لا تخفى عليه خافية.

ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ
الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ
رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ
بِحَفِيفٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ لِيَفْقَهُوا أَدْرَسَتْ
وَلَيَبَيِّنَنَّ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيفًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ
﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسْتَوُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَمَا تَسْتَوُوا اللَّهُ عَدُوًّا
بَعِيرٍ عَلَيْهِمْ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ
فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ
أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَهْرٌ مَاءٌ لَيُتْرَكْنَ يَمَا قُلْنَا إِلَّا الْآيَاتُ عِنْدَ
اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾
وَنَقَلْنَا أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ
أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَدَّرَهُمْ فِي ظَنِينِهِمْ يَعْهَدُونَ ﴿١١٠﴾

١٠٢- إن المتصف بالأوصاف السابقة هو الله
ريكم المتفرد بالألوهية والوحدانية، لارب لكم
غيره، هو خالق كل شيء، فهو المستحق وحده
للعباداة فاعبدوه، وهو رقيب على كل شيء.

١٠٣- لا تراه الأبصار في الدنيا، ولا يحيطون
به في الآخرة، والمؤمنون يرون ربهم في الآخرة
لقوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها
ناظرة﴾ [القيامة ٧٥-٢٢-٢٣] وأكدت الرؤية
الأحاديث المتواترة، والله وحده يحيط بالأبصار
وغيرها، وهو الرقيب بعباده، الخبير بشؤون خلقه.

١٠٤- قد جاءكم أيها الناس مبصرات وبراهين
واضحة من ربكم، دالة على ألوهيته ووجدانيته،
وذلك في القرآن، من عقلها عرف الحق، فمن
أبصر الحق وتعقل الحجة وأمن، فقد قدم الخير
لنفسه، ومن تعامى عن الحجة ولم يتعقلها، فقد
ألحق الضرر بنفسه، وما أنا الرسول برقيب أحصي
عليكم أعمالكم، وإنما أنا نذير.

١٠٥- كما بينا ما ذكر، نبين الآيات على وجوه
مختلفة بما يناسب المقام من الوعد والوعيد،
ليعتبروا، وليقول الكفار في عاقبة الأمر: إنك يا
محمد درست علوم أهل الكتاب وتعلمت منهم،

فجئت بهذا القرآن، ولنبين القرآن لقوم يعلمون الحق، فيتبعونه.

١٠٦- اتبع أيها النبي ما أوحى الله إليك، واشهد بأنه لا إله إلا هو، وأعرض عن جدال المشركين
ومقاومتهم.

١٠٧- إن الله قادر أن يجعل الناس كلهم مؤمنين غير مشركين، فلو شاء الله هداية المشركين ما أشركوا بعبادة
غيره أحداً، وما جعلناك أيها النبي رقيباً عليهم، فتجازيهم بأعمالهم، وما أنت بموكل مفوض في أمرهم،
فتجعلهم مؤمنين.

١٠٨- ولا تستوا أيها المؤمنون آلهة (أصنام) المشركين لثلاث سببوا الله عدواناً وظلماً، وجهلاً منهم بالله، وبما
يجب له من التعظيم والتقدیس، وكما زينا لهؤلاء المشركين ما هم عليه من الوثنية وعبادة الأصنام، زينا لكل
أمة عملهم من الخير والشر، فأتوه، ثم يكون مرجعهم جميعاً إلى الله في الآخرة، فيخبرهم بما كانوا يعملون
في الدنيا، ويجازيهم به.

١٠٩- وأقسم كفار مكة أشد الأيمان وأوكدها عندهم، لئن جاءتهم معجزة بما اقترحوا في سورة [النحل
١٦/٩٠] وما بعدها، ليصدقن بها، وبأنك رسول الله، قل لهم أيها النبي: إنما مرجع هذه الآيات إلى الله،
وهو القادر عليها، إن شاء جاءكم بها، وإن شاء ألا ينزلها، وما يدريكم أيها المؤمنون بأنهم يؤمنون إذا
جاءتهم، إنهم لن يؤمنوا في الواقع.

١١٠- وما يشعركم أن الآيات إذا جاءت أيضاً تقلب قلوبهم بالخواطر الباطلة، وتقلب أبصارهم في توهم
التخيلات، فلا يؤمنون بها، كما لم يؤمنوا بالقرآن حين دعاهم الرسول للإيمان به، وتركهم في ضلالهم



١١١- ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة، فرأوهم عياناً وشهدوا بصدق رسالتك، وأحيينا لهم الموتى وشهدوا بأنك نبي صادق مرسل من عند الله، وجمعنا وعرضنا عليهم مواجهة ومعابنة، كل شيء مما اقترحوا من المعجزات المادية، لم يؤمنوا إلا بمشيئة الله إيماناً اختيارياً لا جبرياً، فلا تهتم لعدم إيمانهم، ولكن أكثر هؤلاء المشركين يجهلون أن الإيمان والكفر باختيارهم وإرادتهم. ذكر ابن عباس أن جماعة من كفار مكة وزعمائها قالوا للنبي ﷺ: أرنا الملائكة يشهدون بأنك رسول الله، أو ابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم، أحق ما تقول أم باطل، أو اثنا بالله والملائكة قبيلاً؟ فنزلت الآية.

١١٢- وكما جعلنا لك أيها النبي أعداء يعارضونك، جعلنا لكل نبي من قبلك أعداء من شياطين الإنس كالكهان والسحرة وزعماء الكفر، وشياطين الجن أولاد إبليس يُضِلُّونَ الجن والإنس، ويوسوس بعضهم لبعض القول المزخرف ظاهراً، الفاسد باطناً، لتزيين الباطل، وتغريبهم وخداعهم ومحاولة صرفهم عن جادة الحق، ولو شاء ربك ما فعلوا هذا التغرير

﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَسَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِلْيُؤْمِنِ إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ اللَّهُ وَلَٰكِنِ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَٰطِئِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۗ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَّضُوءَةٍ وَلِيَّغُرُورًا مَا هُمْ مُقَرَّفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَعَدَّ اللَّهُ لِتَأْتِيهِمْ حِكْمًا ۗ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ الْمُقَدِّسَ وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۗ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ بِيضُلُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَسْمَعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾

والموسوس، فاتركهم أيها النبي وما يكذبون ويزورون.

١١٣- يوحى (يوسوس) هؤلاء الشياطين إلى بعضهم زخرف القول، ليغروا المؤمنين، ولتميل إلى الباطل والزخرفة قلوب الكفار المتعلقين بالدنيا وحدها، الذين لا يؤمنون بالآخرة، وليرضوه لأنفسهم، وليكتسبوا ما هم مكتسبون من المعاصي والآثام.

١١٤- يا معشر المشركين، أطلب قاضياً حكماً بيني وبينكم أعدل من الله؟! والله هو الذي أنزل إليكم القرآن مبيناً واضحاً، ظهر فيه الحق والباطل، وإن علماء أهل الكتاب يعلمون يقيناً أن القرآن منزّل من عند الله، بالحق الذي لا شك فيه، من طريق كتبهم المنزّلة كالتوراة والإنجيل، فلا تكونن من الشاكين.

١١٥- وتم كلام الله وهو القرآن، واكتمل شرعه، وتم الكلام الذي وعد الله فيه نبيه بالنصر، صدقاً في الإخبار، وعدلاً في الأوامر والأحكام، لا تغيير لما حكم به الله، وهو السميع لأقوال عباده، العليم بشؤونهم، يجازي كل عامل بما عمل.

١١٦- وإن تطع أيها النبي الكفار (أكثر الناس)، يضلوك أو يبعدوك عن الدين الحق، ما يتبعون في دينهم ومجادلتهم إلا الظن الذي لا أصل له، وما هم إلا يخبثون ويقدرّون من غير بينة وعلم.

١١٧- إن ربك أيها النبي عالم بمن يسير في طريق الضلال، وعالم بمن هو على طريق الاستقامة.

١١٨- كلوا أيها المؤمنون من المذبح الذي ذكر اسم الله عليه، ولا تحرموا منه شيئاً، فكل مذبوح غير محرم الأكل حلال إن كنتم مصدقين بأحكام الله تعالى. نزلت حينما قال ناس: يا رسول الله، أناكل ما نقتل ولا نأكل ما يقتل الله؟ فأنزل الله: ﴿فكلوا مما ذكر...﴾

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ
 مَحْرُومًا عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرُّنَا بِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ
 بِأَهْوَاءِهِمْ يَعْبُرُونَ فِي رَيْبِكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا
 ظَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيَجْرُونَ
 بِمَا كَانُوا يَفْرُقُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا بَدْرَاسًا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ
 عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفُسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُؤْخَذَ إِلَى أُولِيَ الْأَهْمِ
 لِيَجْذِلَهُمْ وَإِنَّ أَطْعَمْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ أَوْ مِنْ
 كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ
 كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ
 زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَلِكَ
 جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مَجْرُمِيهَا لِيُذَكَّرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ
 إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا
 لَنْ نُؤْمِنَ بِحَتَّى تَأْتِيَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ
 حَيْثُ يُجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ
 عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

١١٩- ما المانع أن تأكلوا مما أذن الله لكم فيه، وذكر اسم الله عليه؟ وقد بين الله لكم ما حرم عليكم أكله بياناً مفصلاً في الآية الثالثة من سورة المائدة، إلا في حال الضرورة لتناول شيء مما حرم عليكم، فإن الضرورات تبيح المحظورات، وإن كثيراً من الناس وهم الكفار ليضلون غيرهم بأهوائهم، فيحللون الحرام، ويحرمون الحلال، بغير حجة ولا دليل، إن ربك أيها الرسول عالم بمن تجاوزوا الحدود، فأحلوا ما حرم الله، وحرموا ما أحل الله، كاهل الجاهلية الذين أحلوا أكل الميتة، واتخذوا البحائر والسوائب.

١٢٠- ثم أمر الله تعالى بترك جميع الآثام والمعاصي، ظاهرة كالضرب والسب والسرقة والزنا، أو باطنة كالخسد والحقد والبغضاء، إن الذين يرتكبون الذنب في الدنيا، سيجازون في الآخرة بقدر ما ارتكبوا من الذنوب.

١٢١- ولا تأكلوا من الذبائح ما ذبح على اسم غير الله، لأنه خروج عن طاعة الله، أهـ. متروك التسمية عمداً من المسلم، فيحرم أكله عند الجمهور، ويباح أكله عند الشافعي، وإن الشياطين

ليوسوسون إلى أعوانهم من المشركين ليجادلوكم

في أكل الميتة، كما ذكر في سبب نزول الآية السابقة [١١٨] وإن أطعتموهم في إباحة الميتة، كنتم مشركين أمثالهم. قال المشركون: تزعم يا محمد أن ما قتلت أنت وأصحابك حلال، وما قتل الكلب والصقر حلال، وما قتله الله حرام، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

١٢٢- ثم ضرب الله مثلاً للمؤمن والكافر، وهو: أفمن كان ميتاً بالكفر والجهل، فأحييناه بالإيمان، وجعلنا له نوراً وهو الهداية، يضيء له طريقه بين الناس، كمن هو واقع في ظلمات الكفر، وهو غارق فيها لا يتخلص منها؟ وكما زين الله الإيمان للمؤمنين، زين للكافرين ما يعملونه من المنكرات. نزلت في عمر بن الخطاب وأبي جهل بن هشام، كانا ميتين في الضلالة، فأحيا الله عمر بالإسلام، وأبقى أبا جهل في ضلالته. وقال ابن عباس: يراد بهذه الآية حمزة بن عبد المطلب وأبو جهل.

١٢٣- كما جعلنا فساق مكة أكابرها (رؤساءها) المحاربين لدعوتك، كذلك جعلنا في كل قرية أي مدينة أكابر مجرميها، ليمكروا فيها بالصد عن الإيمان، ويحتالوا في العصيان ومخالفة الاستقامة، وما يدبرون تدبيراً خفياً للسوء إلا على أنفسهم، وما يشعرون بالعاقبة لفرط جهلهم واتباعهم أهواءهم.

١٢٤- وإذا جاءت أهل مكة ونحوهم من أكابر المجرمين حجة دالة على صدقه ﷺ، قالوا: لن نصدق برسالتك حتى نكون مثلك أنبياء، فرد الله عليهم: الله أعلم بمن هو أهل للرسالة، سيصيب المجرمين بقولهم ذلك ذل وهوان عند الله، وعذاب شديد يوم القيامة هو عذاب النار. نزلت هذه الآية في الوليد بن المغيرة قال: لو كانت النبوة حقاً، لكنت أولى بها من محمد؛ لأنني أكبر منه سناً، وأكثر منه مالاً وولداً.



١٢٥- فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأن أسامة قد أضلته؛ كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ﴿١٢٥﴾ وهذا صراط ربك مستقيماً قد فصلنا الآية لقوم يذكرون ﴿١٢٦﴾ لهم دار السالم عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون ﴿١٢٧﴾ ويوم يحشرهم جميعاً يمعشر الجن قديماً استكذبوا عن الإيس وقالوا لينا وهم من الإيس ربنا استمع بعضنا لبعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار متوكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم ﴿١٢٨﴾ وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون ﴿١٢٩﴾ يمعشر الجن والإيس أنزينا تكفراً رسلنا تنكمم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ﴿١٣٠﴾

١٢٦- وهذا الطريق الذي عليه النبي ﷺ والمؤمنون: هو الدين القويم الذي لا اعوجاج فيه، قد بينا الآيات القرآنية ووضحناها لقوم يتذكرون ويتفكرون ويتدبرون، فيستفهمون.

١٢٧- لهؤلاء المتذكرين المتدبرين الجنة دار السلامة من كل مكروه، يوم القيامة والله متولي أمورهم وانصارهم ومعينهم بسبب أعمالهم الطيبة.

١٢٨- واذكر أيها النبي ما يحدث يوم القيامة يوم يجمع الله الجن والإنس والجن جميعاً، ثم يقول الله: يا جماعة الجن، قد استكثرتم من إغواء الإنس وإضلالهم، حتى صاروا في حكم الأتباع لكم، فحشرناهم معكم، وقال أنصارهم من الإنس:

ربنا انتفع كل منا بالآخر، انتفع الجن بالإنس حيث اتبعوهم وأطاعوهم، وانتفع الإنس بالشياطين حيث دلّوهم على الشهوات وزيتوا لهم المحرمات، واستفاد الكهان من معلومات الجن، وبلغنا الأجل الذي حددته لنا وهو الموت وما يتبعه وهو يوم القيامة، ووصلنا إلى ما وعدتنا به، مما كذبنا به في الدنيا، قال الله: النار موضع مقامكم (إقامتكم) خالدين فيها إلى الأبد، إلا ما شاء الله من الخروج خارج النار، تسقون شراب الحميم الذي يقطع الأمعاء، إن ربك حكيم في صنعه وجزائه، عليم بما يستحقه كل فريق. قال ابن عباس: في هذه الآية، لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه، لا يتزلمه جنة ولا ناراً.

١٢٩- كما متعنا عصاة الإنس والجن بعضهم ببعض، نسلط ظلمة الجن على ظلمة الإنس، ونسلط بعض الظلمة على بعض، فيهلكهم، جزاء لهم، بسبب كسبهم للذنوب وكفرهم وعصيانهم.

١٣٠- في يوم الحشر يقول الله: يا معشر الجن والإنس، ألم يأتكم رسل من جملتكم أو مجموعكم يدعونكم إلى الإيمان؛ لأن جميع الرسل من بني آدم، يتلون عليكم آياتي المنزلة عليكم، ويخوفونكم عذاب يوم القيامة، قالوا: أقرنا بأن الرسل قد بلغونا رسالاتك، وأنذرنا لقاءك، وإن هذا اليوم كائن لا محالة، ولكن خدعتهم الحياة الدنيا بزيتها وشهواتها، فصرفتهم عن الإيمان بالرسل، وأنستهم الحساب والجزاء، وأقروا أيضاً على أنفسهم أنهم كانوا كافرين في الدنيا بالله ورسله وكتبه وآياته.

ذَلِكَ أَنْ لَوْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهَيَّبًا فَأَقْرَبُ يَطْمَ وَأَهْلَهَا
 غَظْلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ عَمَلُوا وَمَا رَبُّكَ
 بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ
 إِنْ يَسْأَلْهُ هَبْكُمْ وَيَسْخَلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا
 أُنْتَأْتُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنْ مَا تَوْعَدُونَ
 لَأْتِيَنَّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى
 مَكَانَتِكُمْ إِنْ عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْمَلُونَ مَنْ تَكُونُ
 لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ
 مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ
 بِرِغْمِهِ وَهَذَا لِلشُّرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا
 يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ
 سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ
 مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءَهُمْ
 لِيُرُدُّوهُمْ وَلَا يَلْسَبُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ
 اللَّهُ مَا فَعَلُوا فَدَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

١٣١ - ذلك الإرسال للرسول وإنزال الكتب بسبب أن الله لا يهلك أهل القرى والمدن بظلم منه، وأهلها غافلون، أي لم يرسل إليهم الرسول الذي يبين لهم، فتزول الغفلة بإرسال الأنبياء.

١٣٢ - ولكل من الجن والإنس المكلفين، سواء العامل في الطاعة أو العصية: درجات متفاوتة في الآخرة، في الجنة والنار، بحسب أعمالهم، والله مطلع على كل الأعمال، لا تخفى عليه خافية، ليجازيهم عليها في يوم المعاد.

١٣٣ - وربك أيها النبي هو المستغني عن جميع خلقه، وعن عبادتهم وأعمالهم، لا ينفعه إيمانهم، ولا يضره كفرهم، ومع غناه عنهم هو ذورحمة واسعة بهم، وذلك غاية الكرم والفضل، إن يشأ يهلككم ويستأصلكم بالعذاب معشر العصاة، ويستخلف من بعد إهلاككم ما يشاء من خلقه، ممن هو أفضل منكم وأطوع، كما قدر على إنشائكم من ذرية قوم آخرين، كأهل سفينة نوح، أي إنه قادر على الإهلاك والإنشاء معاً.

١٣٤ - إن ما توعدون به من البعث والجزاء كائن لا محالة، ولن تغفلوا من العذاب؛ لأن وعد الله منجز، ولا يعجزه شيء.

١٣٥ - قل أيها النبي: يا قوم ابقوا واستمروا على ما أنتم عليه من الطريقة والكفر، وعلى أقصى ما يمكنكم، فلست بمبال بكم، واني عامل بطريقتي ودعوتي وإسلامي، فسوف تعلمون من تكون له العاقبة المحمودة في الآخرة، والعاقبة الحسنى في الدنيا من النصر ووراثة الأرض وبقاء الآثار الطيبة في العالم، إنه لا يفوز الظالمون أنفسهم بسبب كفرهم بالله تعالى وبنعمه، واتخاذ الشركاء آلهة.

١٣٦ - وجعل كفار مكة في الجاهلية نصيباً لله، يصرف إلى الضيوف والمساكين، مما خلق وبث من الزروع والثمار ونتاج الأنعام (الإبل والبقر والغنم) فقالوا: هذا لله بزعمهم (تقولهم) يتقربون به إليه، وهذا نصيب آخر لشركاء الله من الأصنام والأوثان يصرف للسدنة والخدم، فما كان لشركائهم الأصنام، فلا يصل منه شيء ولا يصرف للوجوه التي شرعها الله، كصلة الرحم وقرى الضيف والصدقة على المحتاجين، بل جعلوه للسدنة وذبح القرابين، وما جعلوه لله يجعلونه لألهتهم، لا للمحتاجين، قائلين: إن الله غني عنه، قبح أو بسس الحكم الذي يحكمون بإيثار آلهتهم العاجزة، على الله الخالق القادر على كل شيء.

١٣٧ - ومثل ذلك التزيين أو التحسين بقسمة الزروع والأنعام بين الله والأوثان، زين أو حسن الشياطين أو خدمة الأوثان أو شركاء المشركين في الكفر لأهل الجاهلية قتل الأولاد مخافة الفقر أو العار، ليهلكوهم وليخطوا عليهم أمر دينهم الذي يدعون، وهو دين إسماعيل وإبراهيم، فلا يعلموا المشروع من غيره، ولو شاء الله ما فعلوا هذا أبداً، وإغاثم بإرادة الله الكونية لحكمة يعلمها، فتركهم وتقولهم على الله بالكذب، فذلك لا يضرهم، وما عليك إلا التبليغ.

١٣٨- وقال المشركون: هذه الأشياء التي جعلناها للآلهة من الأنعام والزرع محجور، أي ممنوع الانتفاع بها لأحد، ومخصصة للمعبودات والأوثان، لا يأكل منها إلا من نشاء وهم خدام الأوثان، والرجال دون النساء، بزعمهم، أي زعمنا منهم أن الله أذن لهم به، وهذه مواش محرمة الظهور، أي لا تتركب ولا يحمل عليها، وهي السواحب والبحائر والحوامي، ومواش لا يذكر اسم الله عليها عند الذبح، وإنما تذكر أسماء الأصنام عند ذبحها، وذلك مجرد كذب واختلاق على الله، حيث قالوا: إن الله أذن لهم بهذا، سيجزيهم الله الجزاء المستحق بسبب افتراءهم وكذبهم على الله تعالى.

١٣٩- وقال المشركون أيضاً: إن أجنة وألبان هذه البحائر والسواحب المسيية للآلهة حلال فقط لرجالنا دون النساء، فهي محرمة على النساء من بنات وأخوات ونحوهن، وإن يكن الموجود في بطون الأنعام ميتة، فيشترك في الأكل منه الذكور والإناث، سيجازيهم الله بما يستحقون، بقولهم هذا الكذب الظاهر والافتراء بتحريم ما لم يحرمه الله، إن الله حكيم في صنعه وتشريعته، عليم

بأحوال خلقه. قال ابن عباس: كانت الشاة إذا ولدت ذكراً ذبحوه، فكان للرجال دون النساء، وإن كانت أنثى تركوها فلم تذبح، وإن كانت ميتة كانوا فيها شركاء.

١٤٠- قد خسر الذين قتلوا أولادهم خساراً ميبيناً، خوفاً من العار أو الفقر، وجهلاً أي خفة وطيشاً، من غير حجة مقبولة، وحرّموا ما رزقهم الله من الأنعام ومن الطيبات، كذباً على الله، فإن الله لم يحرم شيئاً من هذا، قد ضلوا عن طريق الحق والمصلحة، وما كانوا مهتدين إلى الصواب والشرع الحكيم، أي لم يحصل منهم اهتداء قط.

١٤١- الله الذي خلق بساتين وكروماً مشجرة مرفوعة على الأعمدة كهيئة العريشة، وغير مرفوعة وإنما تترك على الأرض من غير تعريش، وأوجد النخل والزرع مختلفاً أكّله، أي ثمره في الطعم والرائحة، وخلق الزيتون والرمان، متشابهاً في المنظر، وغير متشابه في الطعم والأكل، مع أن التربة واحدة ويسقى بماء واحد، كلوا من ثمره إذا أثمر ولو لم ينضج، وأخرجوا زكاته المفروضة فيه يوم حصاده (قطعه وجمعه) ولا تسرفوا في الأكل أو الإنفاق، إن الله يؤاخذ المسرفين المتجاوزين حدود الشرع.

١٤٢- وخلق الله لكم من الأنعام (وهي الأصناف الثمانية الآتية) حمولة يحمل عليها الناس والمتاع وهي الإبل، وقرشاً، أي يتخذ الإنسان من الوبر والصوف والشعر فراشاً يفرشه، كلوا مما رزقكم الله وأحلّه من لحمها وألبانها، ولا تتبعوا طرائق الشيطان بالتحليل والتحريم، إنه لكم عدو بين العداوة.

وَقَالُوا هَذِهِ أَعْنَمٌ وَسَحَنٌ حِمْرٌ لَا يُطْعَمُ إِلَّا مِنْ نَسَاءٍ بَرِّعَهُمْ وَأَنْعَمٌ حَرِمَتْ ظُهُورُهُمْ وَأَنْعَمٌ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَجَزُوا بِهِمْ كَانُوا يَفْتُرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَمِ خَالِصَةً لِلذَّكُورِ وَأَوْحِيَتْ عَلَيَّ وَإِنْ يَكُن مِيتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَجَزُوا بِهِمْ وَصَفَّهُمُ اللَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوسَاتٍ وَعَيْبَرٌ مَعْرُوسَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّيْحَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ الْأَنْعَمِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهَا إِذْ رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٤٢﴾



١٤٣- وخلق الله لكم من الأنعام ثمانية أصناف مزدوجة: ذكر وأنثى، من الضأن (الغنم) اثنين: ذكر وأنثى، ومن المعز اثنين، قل أيها النبي لمن حرم ذكور الأنعام تارة وإناتها أخرى، زاعمين ذلك من الله: أحرم الله الذكريين (الكبش والتميس) من الضأن والمعز، أم حرم الأنثيين (النعجة والعنز) منهما؟ أم حرم ما اشتملت عليه البطون وهي الأجنة؟ أخبروني بدليل علمي موثوق به عن مصدر التحريم، إن كنتم صادقين في دعواكم، فمن أين جاء التحريم؟ فإن كان من قبل الذكورة، فجميع الذكور حرام، وإن كان من قبل الأنوثة، فجميع الإناث حرام، وإن كان مما اشتملت عليه الأرحام فهي تشتمل على الصنفين: الذكر والأنثى، فمن أين جاء التخصيص؟

١٤٤- وخلق لكم من الإبل اثنين: الجمل والناقة، ومن البقر والجاموس اثنين: الثور والبقرة، قل أيها النبي: هل حرم الله الذكريين من الإبل والبقر، أم حرم الأنثيين منهما؟ وإذا لم يكن لكم مستند على التحريم والتحليل، هل كنتم شهوداً حاضرين حين أمركم الله أو وصاكم بهذا التحريم؟ فمن أشد ظلماً ممن اختلق الكذب على

مَلِيَّةَ أَرْوَجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْ قُلْ الذَّكْرَيْنِ حَرَّمَ أَمَ الْأُنثِيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثِيَيْنِ يُشَوِّنُ بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ الذَّكْرَيْنِ حَرَّمَ أَمَ الْأُنثِيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثِيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْتُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا يُضِلُّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خنزير فَإِنَّهُ رِجْسٌ وَنَفْسٌ أَهْلُ الْغَيْبِ اللَّهُ بِهِ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ رَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَعْضِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾

الله، فنسب إليه ما لم يحكم به افتراء عليه، كما فعل كبراء المشركين، لإضلال الناس عن الدين الحق بغير دليل موثوق، وإنما عن جهل تام، إن الله لا يوفق للرشاد الظالمين أنفسهم، ولا يهديهم إلى الحق والعدل والصواب.

١٤٥- قل أيها النبي: لا أجد طعاماً محرماً على أحد يأكله فيما أوحى الله إلي في القرآن إلا تناول الميتة (غير المذكاة) والدم السائل، ولحم الخنزير فإنه نجس، أو المذبوح على الأصنام، على غير اسم الله وسمي فسقاً، أي سبب فسق أي خروج عن الطاعة بذبحه لغير الله، فمن اضطر إلى تناول شيء مما ذكر لجوع شديد أو عطش شديد، غير قاصد أو متعمد الحرام، ولا متجاوز قدر الضرورة، فإن ربك كثير الغفران له ما أكل، رحيم به، لا يؤاخذة على ما فعل؛ لأنه مضطر. ولا تعارض بين هذه الآية وآية المائدة الثالثة؛ لأن كل الأشياء من المتخنة والموقودة والمتريدة والنطيحة وما افترس السبع من أنواع الميتة. قال طائوس: إن أهل الجاهلية كانوا يحرمون أشياء، ويستحلون أشياء، فنزلت: ﴿قل: لا أجد...﴾

١٤٦- ليس لأهل الجاهلية تحريم ما حرموا، وليس ذلك في التوراة ولا في القرآن، فلقد حرمنا على اليهود في التوراة ذوات الأظفار التي لم تنفج أو لم تتفرق أصابعها كالإبل والنعام، والبط والإوز، ويباح لهم ما انفرجت أصابعه كاللدجاج والعصافير، وحرمنا عليهم أيضاً ما يكون من الشحم الرقيق (الدهن) على الكرش والغلى، ولم نحرم من الشحوم ما علق بالظهر، والحوايا (المصارين) والمختلط بالعظم وهو شحم الآلية، ذلك التحريم جزاء ظلمهم وعدوانهم، وإنا لصادقون في الوعد والوعد.

١٤٧. فإن كذبك أيها النبي اليهود والمشركون فيما أوحينا إليك، فقل لهم: ربكم ذو رحمة واسعة حيث لم يعاجلكم بالعقاب ويحلم عليكم، وفيه تطف بدموعهم إلى الإيمان وترغيبهم به، ولا يرد عذابه إذا جاء عن القوم المجرمين.

١٤٨. سيقول مشركو قريش وغيرهم: إن إشراكنا وتحرينا أشياء على أنفسنا بمشيئة الله، فهو راض به، محتجين بالقدر، زاعمين أن ما فعلوه حق، وهذا منهم كذب وتضليل، وكما كذب هؤلاء المشركون، كذب الكفار السابقون رسلهم، حتى ذاقوا عذابنا الذي أنزلناه بهم، قل لهم أيها النبي: هل عندكم من دليل يدل على أن الله راض بما أشركتم وبما حللتم وحرمتهم، فتظهروه لنا؟ أي لا علم ولا دليل عندكم، ومجرد وقوع الفساد منكم لا يدل على رضا الله عنكم، ما تتبعون في قولكم هذا إلا الظن القائم على الخطأ والجهل، وما أنتم إلا تحزرون وتخمنون وتتوهمون.

فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبِّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا سَاءَ مَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا خُرُوصٌ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلْ مِنْكُمْ مِنْ أَلِيٍّ إِيَّاهُ يُشْهَدُ بِأَنْ أَلَّهِ حَرَمٌ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ قُلْ نَعَا لَوْ أَشْرَكُوا مَا حَرَّمَ رَبِّي كُفْرًا بِكُمْ وَلَا شَيْئًا مِمَّا تَكْفُرُونَ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَنْزَرُهُمْ كُفْرًا وَإِنَّمَا هُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَلَّمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

١٤٩. قل: فله الحجة البالغة، أي الدليل التام

الذي يبين الحق، يرسل الرسل لهداية الناس، وتصحيح الاعتقاد، وتشريع الأحكام، فلو شاء الله هدايتكم لهداكم أجمعين، فلا يكون لكم اختيار وإرادة، ويكون وضع مخالفيتكم أيضاً بمشيئة الله تعالى.

١٥٠. قل لهم: هاتوا واحضروا شهودكم على أن الله حرم تلك الأشياء، كالبحيرة والسائبة وغيرهما، فإن قدموا شهوداً، فلا تصدقهم أيها النبي ولا تقبل لهم شهادة، فإنها شهادة زور، ولا تتبع أهواء المكذبين بآياتنا وبالآخرة، وهم يجعلون لربهم عديلاً (أي شريكاً مائلاً) أو نداءً من مخلوقاته، كالأوثان، فيعبدها ويشركونها مع الله تعالى.

١٥١. قل أيها النبي لهؤلاء المشركين وأمثالهم: أقبلوا أقرأ وأقص عليكم الآيات التي تبين ما حرم ربكم عليكم حقاً: ألا تشركوا بالله شيئاً في العبادة، وأوصاكم بالإحسان إلى الوالدين، ببرهما وإطاعتهما، وألا تقتلوا أولادكم خوفاً من الفقر بقتل الذكور، وخوفاً من العار بواد البنات، كما كان يفعل بعض عرب الجاهلية، ولا تقربوا الفواحش: كباثر الذنوب والمعاصي، كالزنا، في العلن والسري، ولا تقتلوا عمداً النفس التي حرم الله قتلها إلا بحق، كالقتل قصاصاً، ورجم الزاني المحصن، وقتل المرتد، ذلكم المذكور أمركم الله به وأوجبه عليكم، لتعلموا وتفهموا عن الله وأمره ونواهيه الدالة على الخير، والمنفرة من الشر.



وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ
 وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا
 وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ
 أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَدِّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ
 هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ
 بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَدِّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ
 ءَأَنذَيْنَا مُوسَىٰ الْكَلْبَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ
 شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾
 وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ
 ﴿١٥٥﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا
 وَإِن كُنَّا عَن دَرَأْسَتِهِمْ لَلظَّالِمِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا
 لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمُ
 فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن
 كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَجِرَى الَّذِينَ
 يَصْدَفُونَ عَن ءَأَيِّنَا سُوءَ الْعَذَابِ يَمَّا كَانُوا يَصْدَفُونَ ﴿١٥٧﴾

١٥٢- ولا تقربوا شيئاً من أموال اليتامى بالأخذ أو الإتلاف ونحوهما، إلا بما فيه المصلحة والنفع باستثمار المال وتنميته والإنفاق منه لصالح اليتيم بحسب الحاجة، والنهي عن الاقتراب من الشيء أبلغ من النهي عن الشيء نفسه، ويستمر الإشراف على مال اليتيم حتى يبلغ رشده، وهو التمكن من التصرف السليم بالمال، وأوفوا الكيل والميزان بالعدل في الأخذ والإعطاء، من غير نقص ولا زيادة، لا يكلف الله نفساً إلا قدر طاقتها واحتمالها في سائر التكاليف، وإذا قلتم أو حكمتم فاعدلوا في الشهادة والحكم، ولو كان المقول له أو المحكوم عليه صاحب قرابة لكم، وإذا عاهدتم الله أو الناس، فأوفوا بمقتضى العهد، ذلكم المذكور في هذه الآية، أمركم الله به أمراً مؤكداً، لكي تتذكروا وتتعضوا وتتسوهوا عما كنتم فيه قبل هذا، وتحملوا بأوامر الله تعالى، وتحذروا عذابه.

١٥٣- وأن هذا المذكور من الوصايا العشر: هو دين الله القويم الذي ارتضاه لعباده، لا اعوجاج فيه، فاتبعوه ولا تتبعوا الطرق المخالفة له والأديان المباينة له، فتميل بكم عن سبيل الله المستقيم ودينه الذي ارتضاه لكم، ذلكم أمركم به ربكم، لتنتقوا الله، فتلتموا بأوامره وتجتنبوا نواهيه، وتحذروا عقابه.

١٥٤- ثم قل: أعطينا موسى عليه السلام التوراة قبل إنزال القرآن على محمد ﷺ، تاماً على أحسن الأمور، وإتماماً للنعمة على الذي أحسن في اتباعه والاهتداء به، وهو موسى وكل من أحسن عمله، وتبيناً لأحكام كل شيء في زمانهم، فيصبح مجموع التوراة والقرآن حجة دامغة على المشركين الذين قالوا: ما أنزل الله من شيء.

١٥٥- وهذا القرآن كثير البركة والنفع، عظيم الشأن، لاشتماله على منافع الدين والدنيا، فاعملوا بما جاء فيه، واحذروا مخالفته وتكذيبه، لترحموا برحمة الله ورضوانه وجنته.

١٥٦- ولثلاثاً تقولوا يا أهل مكة: إنما أنزل التوراة والإنجيل على من قبلنا من اليهود والنصارى، ولم ينزل علينا كتاب، وقد كنا عن دراسة كتبهم والتأمل فيها وفهمها غافلين، أي لا ندري ما فيها، لجهلنا بلغتهم.

١٥٧- أو تقولوا أيضاً: لو أنزل علينا الكتاب السماوي بلغتنا، كما أنزل على من قبلنا من اليهود والنصارى، لكننا أهدى منهم إلى الحق؛ لأننا أكثر ذكاء وفهماً، فرد الله عليهم بأنه قد جاءكم حجة واضحة، وهو القرآن المنزل على نبيكم من عربيتكم، وهداية من الضلالة، ورحمة لمن اتبعوه، فلا أحد أشد ظلماً ممن كذب بآيات الله في قرآنه، وأعرض عنها، سنجزى المعرضين عن آياتنا أشد العذاب بسبب إعراضهم عنها وتكذيبهم بها.

١٥٨- ما ينتظر المكذبون إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم، أو يأتي أمر ربك بعذابهم، أو تأتي أمارات الساعة، يوم تأتي بعض علامات القيامة، كطلوع الشمس من مغربها والذجال، لا ينفع النفس إيمانها في ذلك اليوم، لأنه إيمان اضطراري، ولا ارتفاع التكليف، إذالم تكن آمنت من قبل مجيء بعض الآيات، في دار التكليف وهي دار الدنيا، أو كانت مؤمنة، ولكن لم تعمل خيراً، من الأعمال الصالحة المطلوبة منها، أو كسبت خيراً ولم تؤمن، فإن إيمانها وتوبتها وعملها حيثذ غير نافع في منع العذاب، قل أيها النبي: انتظروا عذاب ربكم إنا منتظرون ثواب ربنا وفضله ونصره على الأعداء.

١٥٩- إن الذين جعلوا دينهم أجزاء متفرقة، فأخذوا بعضه وتركوا بعضه، وهم اليهود والنصارى والمشركون والابتدعة، وصاروا فرقاً وأحزاباً، لا تعرض لهم، وأنت بريء من تفرقهم، وإنما أمر حسابهم وجزائهم إلى الله، ثم ينبتهم (يخبرهم) يوم القيامة بما فعلوا في الدنيا، فيجازيهم على أفعالهم.

١٦٠- القانون العام للمؤمنين: أن من عمل خصلة حسنة، فله عشر أمثالها، وقد يزيد إلى سبعمائة ضعف، وقد يجازى الفاعل بغير حساب، ومن ارتكب فعلة سيئة فلا يجزى إلا سيئة واحدة مثلها، من غير زيادة عليها، ولا يظلم المحسن بنقص ثواب؛ ولا المسيء بزيادة عقاب.

١٦١- قل أيها النبي: لقد أرشدني ربي إلى الطريق المستقيم، وهو ملة (شريعة) إبراهيم عليه السلام، ديناً مستقيماً لا عوج فيه، وكان إبراهيم مائلاً عن الأديان الباطلة إلى الدين الحق، وهو دين الإسلام، ولم يكن من المشركين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر.

١٦٢- قل أيها الرسول: إن صلاتي بأنواعها، وعبادتي وقرباتي، وما عملته في حياتي من الطاعة والخير، وما أموت عليه من الإيمان والعمل الصالح، كله خالصاً لله رب العالمين من إنس وجن.

١٦٣- لا شريك لله في عبادتي وعملي، وقد أمرني ربي بذلك فأطعت، وأنا أول المسلمين المتقادين لله من أمتي.

١٦٤- قل أيها النبي رداً على المشركين الداعين إلى عبادة الأصنام: أغير الله أطلب رباً؟ كيف أعبد غير الله وأترك عبادة الله؟ والله خالق ومدبر كل شيء ومالكه، ولا تكسب كل نفس ذنباً إلا كان عليها إثم وعقابه، ولا تتحمل نفس بريئة ذنب نفس أخرى، فلا يؤخذ أحد بجريرة غيره، ثم إلى ربكم مصيركم يوم القيامة، فيخبركم بما اختلفتم فيه في العقيدة والعمل، ويجازيكم على أعمالكم.

١٦٥- وهو الذي جعلكم خلفاء في عمران الأرض، يخلف بعضكم بعضاً فيها، ورفع بعضكم فوق بعض درجات في العلم والمال والجاه وغير ذلك، ليختبركم فيما آتاكم من هذه الأمور، إن ربك سريع العقاب لمن عصاه، وإنه لغفور لذنوب المؤمنين بالله ورسله وكتبه، رحيم بهم.

هَلْ يُنظَرُونَ إِلَّا أَنْ نَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ أَنْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ أَنْ يَقْبَضَ
 آيَاتُ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا
 لَوْ كُنَّ آءِ مَنَّتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ انظُرُوا
 أَنَا مُنظَرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَابًا
 لَسَتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا
 يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مِنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرَ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ
 بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يَجْزِيهِ إِيمَانُهَا وَهُوَ لَا يَظُنُّونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ
 رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قَدِيمًا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ
 مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ
 رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ يُؤَيِّدُكَ بِأَمْرٍ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ
 ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ بَنِي رَبِّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ
 نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ
 فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ حَلِيفَ
 الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَسْلُوَ كُمْ فِي
 مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

سورة الأعراف

هي مكية إلا ثمان آيات، وهي قوله تعالى: ﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ إلى ما قبل قوله: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ﴾ [١٦٣- ١٧٠].

١- ﴿المص﴾: تقرأ هكذا: ألف، لام، ميم، صاد، وهي كأول البقرة وآل عمران لتحدي العرب بالآيتين بمثل القرآن، ما دام مركباً من حروف لغتهم العربية، وهم فرسان البلاغة والفصاحة.

٢- هذا القرآن كتاب أنزل إليك أيها النبي، فلا يكن في صدرك ضيق من إيلاعه إلى الناس، حتى ولو كذبوك وأذوك، فإن الله عاصمك وناصرك وحافظك، أنزلناه إليك لتخوف به من عقاب الله من عصاه، وتذكيراً بفضلله سبحانه على المؤمنين.

٣- اتبعوا أيها الناس المنزل إليكم من ربكم في القرآن العظيم والسنة النبوية التي تبينه وتفسره، ولا تتبعوا من دون كتاب الله أنصاراً كأنفسكم أو الشياطين، تقلدوهم في الدين، ولكنكم تذكرون الحق في شأن الإيمان تذكراً قليلاً جداً، وتتسبون الواجب عليكم نحو ربكم.

٤- وكثير من القرى المكذبة بالحق وأهلها أردنا

إهلاكهم، فأتاهم عذابنا ليلاً وهم نائمون، أو مستريحون وقت القيلولة: هي نوم نصف النهار.

٥- فما كان دعاؤهم واستغاثتهم حين أتاهم عذابنا إلا اعترافهم بظلم أنفسهم بالإشراك بالله وتكذيب رسله.

٦- وأؤكد لكم أنه لنسألن الأمم السالفة عن مدى إجابتهم الرسل، ولنسألن الأنبياء المرسلين عما أجاب به أقوامهم، وعمن أطاع منهم وعصى.

٧- ولنخبرن الرسل والمرسلين عن علم تام ويقين بما وقع بينهم عند الدعوة إلى الإيمان، وما كنا غائبين عنهم حتى يخفى علينا شيء مما حدث بينهم.

٨- ووزن الأعمال يوم القيامة هو الوزن الحق الدقيق العدل الذي لا ظلم فيه، فمن رجحت حسناته على سيئاته، فهم الفائزون بالرضوان والجنة.

٩- ومن رجحت سيئاته على حسناته، فهم الخاسرون أنفسهم بتصييرها إلى النار أو تعريضها للعذاب، بسبب جحودهم آيات الله تعالى.

١٠- يا بني آدم لقد جعلنا لكم في الأرض مكاناً وقراراً، وهيأنا لكم فيها أسباب المعاش، من السكنى والطعام والشراب والملبس، تشكرون قليلاً جداً تلك النعم.

١١- ولقد أوجدنا أصلكم أو أباكم آدم من تراب، ثم صورناكم بشراً، وأمرنا الملائكة بالسجود لآدم تكريماً، فامتثلوا وسجدوا سجود تحية وتعظيم لا سجود عبادة، إلا إبليس لم يسجد تكبراً.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَمْص ﴿١﴾ كِتَابٌ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِئَلْتَذِرَهُ وَذَكَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَمَن فَرَّقْنَا أَهْلَكُنَّ فَأَجْأَهَا بِأَسَانِيئِنَا أَوْ هَمَّ قَابَلُونَ ﴿٤﴾ فَأَكَانَ دَعْوَتُهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ رَسُولُنَا إِنَّا فَالِقُوا إِبْرَاهِيمَ طَلْعَيْنِ ﴿٥﴾ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقْضَنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كَانُوا عَلَيْهِمْ ﴿٧﴾ وَالْوَزْنَ لَبُوءًا لِّحَىٰ فَمَن تَقَلَّتْ مُوزِنُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُظْلِمُونَ ﴿٨﴾ وَمَن حَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ إِن كَانُوا يَنظُرُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمُ فِيهَا مَعْيَشًا قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَوْ كُن مِّن السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾



١٢- قال الله تعالى له لإقامة الحجة والتوبيخ؛ لأن الله عالم بذلك؛ ما الذي منعك من السجود لآدم حين أمرتك بالسجود؟ قال إبليس: أنا أفضل من آدم، خلقتني من نار، وخلقته من طين، وعصر النار بما فيها من الارتفاع والنور خير من الطين الذي فيه الخمود والركود.

١٣- قال الله له: فاهبط من الجنة التي خلقت فيها، فما ينبغي ولا يصح لك أن تتكبر فيها وتعصي أمري، فأخرج منها، إنك من الأذلاء المحتقرين المهانين، جزاء استكبارك.

١٤- قال إبليس: رب أمهلني ولا تعجل بموتي إلى يوم البعث الذي يبعث فيه آدم وذريته، من قبورهم عند النفخة الثانية.

١٥- قال الله تعالى: إنك من المهملين المؤجلين إلى وقت الصعق والفناء بالنفخة الأولى، وهي نفخة الفزع، لا إلى يوم البعث، والحكمة من ذلك ابتلاء العباد ليعرف الطائع من العاصي.

١٦- قال إبليس: فسبب إغوائك وإضلالك إياي، أقسم لأجهدن أن أصدبني آدم عن طريق الإيمان والحق والهداية، ولأغوينهم حتى يفسدوا بسبي، ولا يعبدوك ولا يوحدوك.

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أُمِرْتَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَأَهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَّكِبَ فِيهَا فَأَخْرَجْنَاكَ مِنَ الصُّرُورِ ﴿١٣﴾ قَالَ أَظُنُّ بِرَبِّي لَأُؤْتَى بِعِشْوَانٍ لَشَدِيدٍ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَاغْوِينِي لَأُفْسِدَنَّ لَهُمْ سَبِيلَكَ أَسْتَقْبِرُ فِيهَا مِنْ لَدُنْهُمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٦﴾ قَالَ أخرج منها مدهم ومأمدحورا لمن يبعك منهم لا ملان جهم منك أجمعين ﴿١٧﴾ وَبِئْسَ أَهْلُهَا أَصْحَابُ إِنَّهُمْ فِي النَّارِ لَأَجْمَعُونَ ﴿١٨﴾ وَتَقَرَّبَا إِلَى الشَّجَرَةِ فَتَكَوَّمَا مِنَ الظُّلُمِاتِ ﴿١٩﴾ فَسَوَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِ أَيْمَانِهِمَا وَقَالَ مَا مَنَّكَمُ رَبُّكُمَا عَلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَائِكَةً أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَامِسَهُمَا إِلَى لَكُمَا مِنَ النَّصِيِّينَ ﴿٢١﴾ فَذَلَّهُمَا بِعُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الشَّجَرَةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾

١٧- ثم لأتينهم من كل جهة من الجهات الأربع لإغوائهم وتشكيكهم في الآخرة، ولا تجد أكثر الناس شاكرين لك نعمتك، ولا مطيعين أوامرک. وهذا ظن منه وتوهم.

١٨- قال الله سبحانه لإبليس مؤكداً اللعنة والطرده من الملأ الأعلى: أخرج من الجنة مذموماً محقوتاً، مطروداً من رحمتي، وأقسم لمن ترك طاعتي واتبعتك، لأملان جهنم منك ومن ذريتك ومن أتباعك أجمعين.

١٩- وقلنا بعد إخراج إبليس من الجنة: يا آدم اسكن أنت وزوجك حواء الجنة، فكلما من ثمارها من أي نوع كان أردتما، ولا تقربا هذه الشجرة الواحدة بالأكل منها، فهي محرمة عليكما، فتكونا من الظالمين أنفسهم بمخالفة أمر الله تعالى. ولم يصح تعيين الشجرة، وقيل: إنها الحنطة.

٢٠- فحسدما الشيطان، وحدثهما بصوت خفي من الأرض إلى السماء، وزين لهما الأكل من تلك الشجرة، ليكشف لهما ويسيء إليهما بإظهار ما ستر وعطى من عوراتهما، فلا يريانها ولا يراها أحد، وقال إبليس لهما: ما نهاكما ربكما عن الأكل من هذه الشجرة، إلا لأجل ألا تكونا ملكين مقربين أو تكونا من الخالدين الذين لا يموتون أبداً.

٢١- وحلف لهما: إني ناصح لكما فيما أقول، وأعلم بهذا المكان.

٢٢- وما زال يخدعهما ويفريهما بالحلف والترغيب في الأكل من الشجرة وتزيين الباطل، حتى أوقعهما في المعصية، فلما أكلا من ثمر الشجرة، ظهرت لهما عوراتهما، وشرعا يقطعان ورق الجنة، ويستتران به عورتهما، وناداهما ربهما معاتباً لهما وموبخاً: ألم أنهما عن الأكل من ثمر تلك الشجرة، وأقل لكما: إن الشيطان لكما عدو ظاهر العداوة. والتدلية والإدلاء: إنزال الشيء إلى أسفل شيئاً فشيئاً، والمعنى أهبطهما من رتبة الطاعة والكرامة، وهي الرتبة العالية، إلى رتبة دنيا وهي المعصية.

٢٣- قالوا: ربنا إننا ظلمنا أنفسنا بالمخالفة وطاعة الشيطان، وإن لم تغفر لنا ذنباً، وتشملنا برحمتك، لنكونن من الهالكين.

٢٤- قال الله تعالى لأدم وحواء وإيليس: انزلوا جميعاً من هذه الجنة إلى الأرض، بعضكم عدو بعض، وهذا نوع من العقوبة، ولكم في الأرض مكان استقرار، وتمتع وانتفاع بخيرات الأرض إلى وقت موتكم، وهذا دليل على أن الأجل معلومة ومقدرة أزلاً.

٢٥- قال الله تعالى: في الأرض تمحون، وفيها تموتون وتدفنون، ومنها تخرجون من قبوركم إلى دار الآخرة.

٢٦- يابني آدم قد خلقنا لكم لباساً يستر عوراتكم، وريشاً للتحمل، وهو لباس الزينة، ولباس التقوى المعنوي: وهو لباس الإيمان والعمل الصالح خير لباس وأفضل من اللباس المادي، ذلك اللباس بنوعيه (المادي والمعنوي) من آيات الله الدالة على قدرته وفضله ورحمته، ليتذكروا ذلك، فيشكروا نعمته ويؤمنوا به سبحانه.

٢٧- يابني آدم لا يضلنكم الشيطان، فيصرفكم عن الإيمان وطاعة الله، كما فتن أبويكم آدم وحواء، وأخرجهما من الجنة بخداعه ووسوسته، وتسبب في نزع لباسهما وإظهار عورتها، إن الشيطان يراكم هو وجنوده وأعوانه، من حيث لا ترونهم، فاحفظوا أنفسكم من رؤيته إياكم في حال العري، إنا جعلنا الشياطين أعواناً وأنصاراً للغير المؤمنين بالله ورسله.

فَلَا رِبَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّو تَغَفَّرْنَا وَرَحِمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ أَهبطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ الْبُغْضَ وَالْبُغْضَ الَّذِي فِيهِ تَخْتَلَفُونَ ﴿٢٦﴾ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا لِيَأْخُذَ اللَّهُ بِغُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ بِشَيْئِكُمْ خَبِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ أَخْرَجْنَا الْأَنْبِيَاءَ مِنْ الْجَنَّةِ يُزَجُّ مِنْهُمُ اللَّبَاسُ الَّتِي هُمْ فِيهَا كَانُوا يُرَوِّجُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِذْ أَخْرَجْنَا الْأَنْبِيَاءَ مِنْ الْجَنَّةِ يُزَجُّ مِنْهُمُ اللَّبَاسُ الَّتِي هُمْ فِيهَا كَانُوا يُرَوِّجُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ أَخْرَجْنَا الْأَنْبِيَاءَ مِنْ الْجَنَّةِ يُزَجُّ مِنْهُمُ اللَّبَاسُ الَّتِي هُمْ فِيهَا كَانُوا يُرَوِّجُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذْ أَخْرَجْنَا الْأَنْبِيَاءَ مِنْ الْجَنَّةِ يُزَجُّ مِنْهُمُ اللَّبَاسُ الَّتِي هُمْ فِيهَا كَانُوا يُرَوِّجُونَ ﴿٣١﴾

٢٨- وإذا فعل المشركون معصية كبيرة، كالطواف حول الكعبة عراً، وعبادة الأصنام، اقتداءً بأبائهم، قالوا: وجدنا عليها آباءنا، والله أمرنا بتلك الفاحشة، قل لهم أيها النبي: إن الله أمر بمحاسن الأخلاق ومكارمها، ولم يأمر بالفحشاء والمنكر، أنتقولون على الله ما لا تعلمون صحته ولا ثبت بدليل مقبول؟! نزلت في طواف المشركين بالبيت عراً.

٢٩- قل أيها النبي: أمر ربي بالعدل والاستقامة، لا بالفحشاء كما زعموا، واتجهوا إلى الله وحده في صلاتكم إلى القبلة، وعبادته مخلصين له الدعاء والعبادة والطاعة، كما أنشأكم أول مرة من العدم، يعيدكم أحياء يوم القيامة، فيجازيكم على أعمالكم.

٣٠- وتعودون حين البعث فريقين: فريق سعداء وفقهم الله للإيمان والعبادة، وهم الذين أسلموا، وفريق أشقياء وجبت عليهم بسوء اختيارهم الضلالة، وهم الكفار، إن هؤلاء الكفار اتخذوا الشياطين أنصاراً وأعواناً من دون الله، فأطاعوهم في المعاصي وقبلوا ما دعوهم إليه، ويظنون أنهم مهتدون إلى الحق والصواب.



٣١- يا بني آدم تزينوا واستروا العورة عند كل صلاة وطواف، ويباح لكم الأكل والشرب من غير إسراف: وهو تجاوز الحد في كل شيء، إن الله يؤاخذ المفسرين، ويرضى عمن يحل الحلال، ويحرم الحرام.

٣٢- قل أيها النبي للناس قاطبة: من الذي حرم الزينة؟ وهي ما يتزين به الإنسان من ثياب وغيرها من المباحات كالمعادن والجواهر ونحوها، تلك الزينة المودعة في الأرض من نبات ومعادن وحيوان، ومن الذي حرم طيبات الرزق: وهي المستلذات من المأكول والمشرب غير المحرمة شرعاً؟ فإن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، كما جاء في الحديث الصحيح، إن تلك الزينة والطيبات للمؤمنين أصالة ولغيرهم تبعاً، ما داموا في الحياة الدنيا، وهي خاصة بالمؤمنين في الآخرة، ومثل هذا التفصيل أو البيان التام لحكم الزينة والطيبات، نبين الآيات الدالة على كمال الشرع والدين وأحكام الحلال والحرام لقوم يعلمون متطلبات الحياة ونهضتها، فيتدبرون ويتعظون، لا لقوم يجهلون علوم المدنية والحضارة. قال ابن عباس: كانت المرأة تطوف بالبيت في الجاهلية، وهي عريانة، وعلى فرجها خرقة، فنزلت

يٰٓبَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا حَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْإِثْمَ وَالنَّبِيَّ بَعْدَ الْحَقِّ أَنَّ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يٰٓبَنِي آدَمَ إِنَّا جَاءْنَا بِكُمْ رَسُولٌ مِّنكُمْ يَفْضُلُ عَلَيْكُمْ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ أَتَى الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ نُهُوا زُسُلُهُمْ يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَهُمْ يَدْعُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾

الآيتان: ﴿خذوا زينتكم...﴾ و ﴿قل: من حرم...﴾.

٣٣- قل أيها النبي للمشركين وغيرهم: إنما حرم ربي الفواحش الظاهرة والباطنة، الجهرية والسرية: المعاصي الكبيرة الشنيعة، وما يوجب الوقوع في الإثم والذنب: وهي المعاصي الصغيرة، وظلم الناس والاعتداء الذي يجاوز الحد، وأن تجعلوا الله شركاء من غير حجة عقلية ولا برهان علمي، وأن تقولوا على الله جهلاً بغير علم ولا حجة، كافتراء الكذب في تحليل الحرام وتحريم الحلال.

٣٤- ولكل أمة وإنسان وقت محدد في الحياة، فإذا حان أجلهم الذي يموتون فيه لا يتأخرون ساعة أو لحظة عنه ولا يتقدمون ساعة عليه، ويقع المقدر عليهم حتماً.

٣٥- يا بني آدم إن أتاكم رسل من جنسكم يخبرونكم بما شرعته لكم من الأحكام، فأطيعوهم وصدقوهم، فمن اتقى المعاصي وأصلح عمله وحاله باتباع الرسل، فلا خوف عليهم من عذاب الآخرة، ولا هم يحزنون على ما أصابهم أو فاتهم في الدنيا.

٣٦- والذين كذبوا بآياتنا المنزلة على الرسل، المتضمنة الأحكام والشرائع، وتكبروا عن قبولها والإيمان بها، فأولئك أهل النار خالدون فيها على الدوام.

٣٧- لا أحد أظلم من افترى على الله الكذب، بأن شرع ما لم يشرع الله، أو نسب الله ولداً أو شريكاً، أو كذب بآيات الله فأنكر القرآن أو جحد برسالة النبي محمد ﷺ، أولئك ينالهم نصيب مما قُدر لهم من خير أو شر، ورزق وعمر، حتى إذا أتتهم رسل الموت يتوفونهم قالوا لهم: أين الشركاء الذين كنتم تدعونهم من دون الله وتعبدونهم؟ قالوا: ذهبوا عنا وغابوا، فلا ندري مكانهم، ولا نرجو منهم النفع ودفع الضرر، وأفروا على أنفسهم بالكفر والضلال.

٣٨- قال الله تعالى أو عن طريق الملائكة للمشركين في الآخرة: ادخلوا النار في جملة الأمم الكافرة الماضية من قبلكم، سواء من الجن والإنس، كلما دخلت جماعة منهم النار لعنت الأخرى في الملة التي ضلت بالاعتداء بها، والتي سبقتها إلى النار، حتى إذا تداركوا (أدرك بعضهم بعضاً) وتابعوا وتلاحقوا في النار، قالت أحرامهم دخولاً أو منزلة، وهم الأتباع والسفلة لأولاهم دخولاً أو منزلة وهم الرؤساء والكبار أو القادة: ربنا هؤلاء أضلونا عن سبيل الحق وصرفونا عنه، فاتهم عذاباً مضاعفاً مثلين أو أكثر، من النار، قال الله: لكل منكم عذاب مضاعف، طائفة الأتباع بسبب التقليد وزيادة ضلال الرؤساء، وطائفة القادة بسبب الإضلال، ولكن لا تعلمون مقدار ونوع هذا العذاب.

٣٩- وقال أولاهم لأحرامهم: المتبعون للأتباع: ليس لكم فضل أو مزية علينا، تقتضي تخفيف العذاب، فقد ضللتكم كما ضللنا، فذوقوا العذاب جميعاً بسبب ما اكتسبتم وتسببتم من العصيان والكفر والضلال.

قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا آذَرُكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرِبُهُمْ وَلَا لَنَهُمُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَكَانَتْ لَهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَاهُمُ لِأَخْرِبُهُمْ فَكَانَ لِكُلِّ عِلْتَانٍ مِّنْ فَضْلِ قَدُوقٍ وَالْعَذَابُ بِمَا كُفَرْتُمْ كَسِبْتُمْ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَتَّبِعُهُمْ فِي سَمَاءِ السَّمَاوَاتِ وَلَا يُدْخِلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِغَ الْجَمَلُ فِي نَمِيمِ الْخَيْطِ وَكَذَلِكَ نُجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَمْ يَنْجَسْتُمْ مَاءَ دَرِيٍّ مِن فَوْقِهِمْ غَوَّاشٍ وَكَذَلِكَ نُجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ فَخَرَّى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارَ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَعَدَّ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تَبْلُغُوا إِلَى الْجَنَّةِ أَوْ رَسُمُوا فِيهَا كَمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

٤٠- إن الذين كذبوا بآياتنا الدالة على أصول الدين وأحكام الشرع في العقيدة والعبادة والمعاملة، المنزلة على رسلنا، وتكبروا عنها فلم يؤمنوا بها، لا تفتح أبواب السماء لأرواحهم إذا ماتوا، ولا يصعد لهم عمل صالح ولا دعاء، لحبث أعمالهم، ويستحيل عليهم دخول الجنة، كاستحالة أن يدخل الجمال (البعير) في ثقب الإبرة، وكذلك الجزاء، نجزي المجرمين بالكفر. والسهم: الثقب، والخياط: الإبرة، وذكر ذلك لكونه غاية في الضيق.

٤١- لهم من جهنم فُرُش من نار، ومن فوقهم لحف أو أغطية من نار، أي تغشاهم النار من فوقهم كالأغطية، ومثل هذا الجزاء نجزي الظالمين أنفسهم وغيرهم من الناس، وهم الكافرون.

٤٢- والذين آمنوا بالله ورسوله جميعاً، وعملوا صالح الأعمال قدر استطاعتهم، بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، لا تكلف نفساً عبادة أو طاعة إلا بقدر طاقتها، أولئك أهل الجنة وحدهم دون سواهم، ماكون فيها أبداً.

٤٣- وأخرجنا ما في صدور أهل الجنة من حقد كامن في الدنيا، حتى تصفو النفوس، ويزول تنغيص نعيم الجنة، نجزي من تحتهم أنهار الجنة، وقالوا: الشكر والحمد التام لله الذي هدانا في الدنيا لما يوجب هذا الجزاء العظيم من الإيمان والعمل الصالح، وما كنا لنهتدي إليه بأنفسنا، لولا هداية الله وإرشاده وتوفيقه لنا، لقد جاءت رسل الله بالحق، فاتبعناهم، ونادتهم الملائكة قائلين: تلكم الجنة أورتكم الله إياها بعملكم الصالح.



٤٤- ونادى أصحاب الجنة أهل النار بعد استقرار كل من الفريقين في منزله: أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين ﴿١﴾ الذين يصدون عن سبيل الله ويغفونها عوجاً وهم بالأخرة كفرون ﴿٢﴾ وبئنا أحبابٌ وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ﴿٣﴾ ونادوا أصحاب الجنة أن سلم عليكم لم يدخلوها وهم تطمعون ﴿٤﴾ وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ﴿٥﴾ ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون ﴿٦﴾ أهؤلاء الذين أقسمت لآبائهم الله برحمة أدخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ﴿٧﴾ ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرم ما على الكافرين ﴿٨﴾ الذين اتخذوا دِينَهُمْ لَهْواً وَلِعباً وَغَرَبَتِمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا فَأَلِيمُ نَسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٩﴾

٤٥- الذين يمنعون الناس عن اتباع سبيل الله وشرعه والدخول في الإسلام، ويطلبون أن تكون السبيل معوجة غير مستقيمة، زاعمين أنها خطأ وباطل، وأنهم على الحق والصواب، وهم بلقاء الله في الدار الآخرة جاحدون مكذبون.

٤٦- وبين أهل الجنة وأهل النار حاجز أو سور مانع من وصول أهل النار، وعلى الأعراف: أعالي السور رجال تساوت حسناتهم وسيئاتهم، يعرفون كلا من أهل الجنة وأهل النار بعلاماتهم، من بياض وجوه المؤمنين، وسواد وجوه الكافرين، ونادى أهل الأعراف أصحاب الجنة حين رأوهم قائلين لهم: سلام عليكم أي تحية لكم وتكريم، ولكنهم يطمعون في دخول الجنة، لما يرون من فضل الله ورحمته، وأن رحمته تغلب غضبه.

٤٧- وإذا حوَّلت أبصار أهل الأعراف نحو أو جهة أهل النار، ورأوا ما هم فيه من العذاب، قالوا متضرعين: ربنا لا تجعلنا مع هؤلاء القوم الظالمين أنفسهم.

٤٨- ونادى أصحاب الأعراف رجالاً من أهل النار يعرفونهم بعلامتهم المميزة لهم عن غيرهم، قالوا لهم: ما أغنى عنكم من النار ما جمعتم من الأموال، ولا اجتماعكم للصدع سبيل الله، ولا استكباركم عن الإيمان.

٤٩- قالوا للكفار كأبي جهل والوليد بن المغيرة: أهؤلاء المؤمنون المستضعفون المضطهدون كليل وعمار بن ياسر الذين حلفتم في الدنيا: ألا ينالهم الله برحمة لفقركم وضعفهم وقلة أتباعهم؟ وقال أهل الأعراف للمسلمين: ادخلوا الجنة، لا خوف عليكم من العذاب، ولا أنتم تحزنون على ما فاتكم أو أصابكم في الدنيا.

٥٠- وطلب أصحاب النار من أهل الجنة أن يوافقهم بشيء من الماء أو الطعام أو النعمة أو مما رزقهم الله من الطيبات، فقال لهم أهل الجنة: إن الله منعهما، أي الماء وما رزقهم الله عن الكافرين، فلا نواسيكم ولا نعطيك شيئاً منعه الله عنكم.

٥١- والكافرون: هم الذين اتخذوا دينهم ملهة وعبثاً، وسخرية وهزءاً، وخدعتهم الحياة الدنيا بزيتها وشهواتها، فيوم القيامة تتركهم في النار والعذاب، كما تركوا العمل للآخرة، وبسبب ما كانوا يتكرون آيات الله وما جاءت به الرسل.

وَلَقَدْ جِئْتَهُم بِكِتَابٍ فَصَلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً
لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّمَاءَ وَابِلَهُ يَوْمَ بَأْسٍ
ثَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا
بِأَحْسَنِ فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفْعَاءَ فَيَسْمَعُونَ لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ
الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرْنَا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا
يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُعْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ
يَطْلُبُهُ حِينًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَجِّرَاتٍ بِأَمْرِهِ
أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ بَارِكْ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ادْعُوا
رَبَّكُمْ خَشْيَةً وَأَوْخَفِيَةً إِنَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تَفْسُدُوا
فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا
إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ
الرِّيحَ بُشْرًا لِّبَنِي يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا
نَقَّالًا سَقْنَاهُ لِبِلَالٍ فَمِنَ الْمَاءِ فَأَخْرَجْنَا مِنْ كُلِّ
الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

٥٢- ولقد جئنا أهل مكة وغيرهم بقرآن بيناه أتم بيان، عاملين بما نبين فيه، هادياً الناس إلى الحق، منقاداً من الضلالة، ورحمة لمن يؤمن به ويتبع أحكامه.

٥٣- هل ينتظرون، أي هؤلاء المكذوبون إلا ما وعدوا به في الكتاب من العذاب الذي يؤول الأمر إليه، يوم يتحقق العقاب وهو يوم القيامة ويظهر صدق ما أخبر به، يقول الذين تركوا العمل بما جاء فيه، من قبل في الدنيا: قد جاءت رسل ربنا بما هو الحق، ونصدق بما قالوا، فهل لنا من شفعاء يخلصوننا من العذاب، أو يشفعون لنا لتعود مرة ثانية إلى الدنيا؟ فنعمل عملاً صالحاً غير الذي كنا نعمل من المعاصي، قد غبنوا أنفسهم وضيعوها بدخولهم النار وخلودهم فيها، وذهب عنهم ما كانوا يكذبون في الدنيا قائلين: إن الأصنام ونحوها تشفع لنا عند الله تعالى.

٥٤- إن المرابي والمدير هو الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما، في ستة أيام ثم استوى: اعتلى واستقر على العرش- والعرش مخلوق عظيم- استواء يليق بجلاله وعظمته، لا

نعرف حقيقته، يجعل الليل كالغشاء للنهار، أي يأتي بالظلمة بعد النور، حال كون الليل طالباً النهار، طلباً سريعاً بانتظام لا يتأخر عنه دون وجود فاصل، والشمس والقمر والنجوم جعلها مذلات مسيرات بأمره وقدرته، ألا له تعالى وحده الخلق كله، والأمر والتصرف كله، وله شأن المخلوقات وأحوالها، تعظم الله رب العالمين من إنس وجن، واتسع فضله وعز سلطانه، وتزايدت خيراته وبركاته.

٥٥- ادعوا ربكم أيها المؤمنون بضرعة وتذلل وخضوع، وفي السر والإخفاء، لبعده عن الرياء، إنه سبحانه يكره المتجاوزين الحدود في الدعاء وغيره، برفع الصوت والصراخ، أو الدعاء بما لا يجوز أو ما لا ينبغي.

٥٦- ولا تفسدوا في الأرض بالشرك والمعاصي، بعد إصلاحها ببعثة الرسل، وإنزال الكتب، وتقرير الشرائع، وادعوه تعالى خوفاً من عقابه، وطمعاً في رحمته وفضله، إن رحمة الله وعفوه وإجابته الدعاء أمر قريب من المحسنين أعمالهم، الذين يتبعون أوامره، ويتركون زواجره.

٥٧- والله تعالى الذي يرسل الرياح العاصفة المبشرة بالخير وهطول الأمطار، حتى إذا حملت الرياح سحاباً مثقلاً بالماء، سقنا السحاب لإحياء أرض مجدبة لانيات فيها، فأنزلنا الماء بالبلد، فأخرجنا به جميع أنواع الثمار، ومثل إخراج الثمرات والنباتات، نخرج الموتى أحياء من القبور يوم البعث والنشور، لتتذكروا، فتعلموا قدرة الله على البعث وكل شيء، وتؤمنوا بالله وحده لا شريك له.

٥٨- البلد الطيب التربة، الوفير النماء والخصوبة، يخرج نباته حسناً تاماً نضراً، والذي خبث ترابه كالأرض السبخة أو المالحلة لا يخرج نباته إلا عسراً بمشقة، لا خير فيه، وهذا مثل حسي للذي يستجيب لنداء الإيمان، والكافر المعرض عن الإيمان، مثل ذلك البيان والإيضاح، نبين الآيات الدالة على القدرة الباهرة والتشريع الأمثل، لقوم يشكرون الله ويعترفون بنعمته.

٥٩- لقد أرسلنا نوحاً عليه السلام أول الرسل في الأرض لهداية قومه، فقال: يا قوم اعبدوا الله وحده دون سواه، لا إله لكم غيره، إني أخاف عليكم بسبب الشرك عذاب يوم عظيم شديد، يوم القيامة أو يوم الطوفان.

٦٠- قال أشرف القوم وسادتهم: إنا نجدك يا نوح في خطأ واضح وعدول عن الحق.

٦١- قال: يا قوم: ليس بي انحراف عن جادة الحق والصواب، ولكني رسول إليكم من رب العالمين: الإنس والجن، لهدايتكم وإرشادكم، وجلب الخير إليكم، ودفع الشر عنكم.

٦٢- أبلغكم ما أرسلني به ربي من الدعوة إلى التوحيد الخالص، ونبذ الشرك، وأريد صلاح أموركم، والدلالة على ما فيه خيركم ونجاتكم، وأعلم من جلال الله وقدرته وعقابه الشديد لمن عصى أو امره ما لا تعلمون، بالإخبار الموحى به حقاً وصدقاً.

٦٣- أكذبتم وأنكرتم وعجبتم أن أتاكم وحي وعظة من ربكم على يد رجل منكم تعرفونه، ومن جنسكم تأمنون به، ليخوفكم العذاب إن عصيتم، ولتتقوا ربكم بامثال أوامره واجتناب نواهيه، ولتظفروا برحمته ورضوانه إن أطعتم وسمعتم.

٦٤- فتمادوا في تكذيبه ومعارضته، فأنجيناه والمؤمنين القلائل الذين اتبعوه، في السفينة التي أمرناه ببنائها، وأغرقنا بالطوفان والدمار الشامل الذين كفروا وتمادوا في ضلالهم واستمروا في تكذيبهم، إنهم كانوا قوماً عمي البصائر والقلوب عن إدراك الحقائق، لا تنفع فيهم الموعظة والتذكير.

٦٥- وأرسلنا إلى قبيلة عاد الأولى (الذين كانوا في الأحقاف بحضرموت اليمن) واحداً من قبيلتهم أو جنسهم، هو هود عليه السلام، قال: يا قوم اعبدوا بحق الله وحده، لا إله لكم غيره، أفلا تخافون عذاب الله؟

٦٦- قال له الرؤساء والأشراف الكفرة من قومه: إنا لنراك يا هود في خفة عقل وحمق، وإنا نعتقد أنك من الكاذبين في ادعاء النبوة والرسالة.

٦٧- قال هود لهم: يا قوم ليس بي سفاهة كما تتصورون، ولكني رسول مبعوث إليكم من رب العالمين لهدايتكم وإرشادكم لما فيه سعادتكم.

وَالْبَلَدَ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثُ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكَبًا كَذَّابًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾
لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ الْمَلَأِينَ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالٌ وَلَا لَكُنِي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أَبْلَغُكُمْ رَسُولًا مِّن رَّبِّي وَأُضْحِكُكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرُنَا مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ يُبَدِّدُكُمْ وَيَتَشَفَّعُ لَكُمْ تَرَاهُونَ لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِلَهًا غَيْرُهُ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٣﴾ وَإِنِّي لَأَعْلَمُ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٤﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٥﴾ قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَا لَكُنِي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾



أُتِلِّغُكُمْ رَسُولَاتِي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوْعَجِبْتُمْ
 أَنْ جَاءَ كُرُوبِكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رِجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا
 إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خَلَفَاءَ مِنْ أُمَّةٍ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ
 فِي الْخَلْقِ بَصِطَةً فَأَذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَقْلِقُونَ
 ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْنَا بِتَعْبُدِ اللَّهِ وَحَدُّهُ وَنَذَرْنَا مَا كَانَ
 يُعْبَدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾
 قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَصَبٌ أَنْجِدُوا نَفْسِي
 فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا
 مِنْ سُلْطَانٍ فَأَنْظِرُوا إِيَّايَ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٧١﴾
 فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ
 الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾
 وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ
 مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَ شِكْرَ بَيْتِهِ مِنْ رَبِّكُمْ
 هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي
 أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ اللَّهِ ﴿٧٣﴾

٦٨- أبلغكم ما أرسلت به من التكاليف الإلهية (الأوامر والمواظع والنواهي) وأنا لكم ناصح فيما أَدعوكم إليه، أمين مخلص فيما أبلغكم إياه، فلا أكذب على الله تعالى.

٦٩- أكذبتهم واستبعدتم وتعجبتم أن جاءكم وحى ومسوعة من ربكم، على يد رجل منكم تعرفونه، ليخوفكم عذاب الله إن عصيتم، وتذكروا نعمة الله عليكم حين جعلكم خلفاء أو سكان الأرض بعد هلاك قوم نوح، وزادكم على غيركم طولاً في القامة، وضخامة وقوة في الأجسام، فاذكروا نعم الله الكثيرة عليكم، لتفوزوا برضوان الله وجنته.

٧٠- قالوا له: أجيئنا لأجل أن نعبد الله وحده، ونترك ما كان عليه آبائنا من عبادة الأصنام، فاتنا بالعذاب الذي أوعدتنا به، إن كنت صادقاً في تهديتك ووعيدك.

٧١- قال هود عليه السلام: قد حق ووجب عليكم عذاب وسخط، أتجاجونني في أصنام

سميتموها آلهة، أنتم وآبائكم، ما نزل الله بها من حجة ولا برهان على عبادتها، فانظروا نزول العذاب الشديد، إني معكم أحد المنتظرين له، وهو واقع بكم لا محالة. وجعلها أسماء: كناية عن أنها لا حقيقة لها.

٧٢- فأنجينا هوداً وأتباعه المؤمنين من العذاب برحمة منا بأهل الإيمان، وأهلكنا واستأصلنا القوم الذين كذبوا بآياتنا المنزلة على الرسل، فلم نبق منهم أحداً، بسبب عدم إيمانهم وتكذيبهم رسولهم.

٧٣- وأرسلنا صالحاً عليه السلام إلى قبيلة ثمود (التي كانت تسكن الحِجْر شمال المدينة قرب تبوك) يدعوهم إلى الإيمان، قال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده، ليس لكم إله يستحق العبادة سواه، قد جاءكم معجزة ظاهرة من الله تدل على صدق رسالتي، وهي الناقة العظيمة من عند الله تعالى، فاتركوها تأكل في أرض الله، وليس عليكم إطعامها، ولا تتعرضوا لها بشيء من الأذى، فياخذكم عذاب مؤلم بالاعتداء عليها.

٧٤- وتذكروا نعمة الله وفضله حين استخلفكم في الأرض من بعد قوم عاد، وأنزلكم المساكن في الأرض، وتتخذون من سهولها قصوراً شامخة عالية، وتنتحون الجبال فتتخذون منها بيوتاً وكهوفاً، فتذكروا هذه النعم الكثيرة العظيمة، ولا تكثروا الفساد في الأرض، بما يدل على إمعان الفساد والمداومة عليه.

٧٥- قال الزعماء المتكبرون عن الإيمان من قوم صالح للمستضعفين المؤمنين، على طريق الهزاء والسخرية: أتعلمون أن صالحاً رسول مرسل من ربه؟ قال المستضعفون: إننا مصدقون برسالته ونتبع أوامره، فضلاً عن أننا نعلم صدقه يقيناً.

٧٦- قال الرؤساء المتكبرون عن الإيمان برسالة صالح عليه السلام: إننا جاحدون منكرون لما أمتمم به.

٧٧- فقتلوا الناقة بنحراها أو بقطع عرقوبها، ونسب القتل للجميع لرضاهم بما فعل أحدهم،

ومردوا عن اتباع رسالة صالح وتكبروا، وقالوا متحدين مستهزئين: يا صالح اثنتا بما تعدنا من العذاب، إن كنت حقاً نبياً مرسلًا.

٧٨- فأخذتهم الزلزلة الشديدة، فأصبحوا في بلادهم ومساكنهم صرعى ميتين دون حراك.

٧٩- فأعرض صالح عنهم وترك ديارهم بعد عقرهم الناقة، وقال لهم: يا قوم لقد بلغتكم رسالة ربي، وجهدت في نصحتكم وإرشادكم، ولكن لا تحببون الناصحين المخلصين، وأبيتم نصحي، فحق عليكم العذاب.

٨٠- وأرسلنا لوطاً، وهو ابن أخي إبراهيم، واذكر أيها النبي حين قال لوط لقومه موبخاً: أتفعلون الفعلة الفاحشة الشديدة الشناعة، وهي اللواط، لم يفعلها أحد قبلكم في أي زمان، بل هي مبتدعة منكم، ولم تركبها أمة من الأمم.

٨١- إنكم تأتون الرجال لمجرد قضاء الشهوة، لا بمقتضى عقل وفطرة سليمة، وتتركون النساء اللاتي هن محل الشهوة بحسب الفطرة، بل أنتم قوم متجاوزون الحدود في العصيان، وخارجون عن حد الاعتدال.

وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأْنَا فِي الْأَرْضِ تُحَدُّونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَجْعَلُونَ لِبِلَالِ يَبُوتًا فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَتَّبِعُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ آسَئْتُمْ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ آسَضِعُوا لَمِنَ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَلَاحًا مَرَّسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ آسَئْتُمْ مِنْهُمْ إِنَّ الَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَذِبٌ فَعَقَرُوا وَالنَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصَالِحُ أَتَيْتُمَا بِمَا قَدَّمْنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الرُّسُلِ إِنْ فَخَذْتُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْحَبُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمًا ﴿٧٦﴾ فَنَوَى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَضَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴿٧٧﴾ وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنِّي أَنْتُونَ الْفَحْشَاءَ مَا سَفَقْتُكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٧٨﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ إِنَّ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٧٩﴾

٨٢- وما كان جواب قومه حين تويخه لهم من هذا الإنكار الشديد إلا أن قال بعضهم لبعض: أخرجوا لوطاً وأتباعه المؤمنين به من بلدكم: سدوم عاصمة قري قوم لوط، في شرق الأردن في الغور، إنهم أناس ينتزهون عن عملنا هذا، فلا بقاء لهم معنا، قالوا ذلك استهزاء وسخرية منهم.

٨٣- فأجينا لوطاً وأهله والمؤمنين معه إلا امرأته الكافرة، كانت من جماعة الهالكين الباقين مع قومها في مكان العذاب.

٨٤- وأمطرنا عليهم مطراً كثيراً عجيبياً وهو الحجارة المحماة بالنار، فانظر كيف كان مصير المجرمين الذين كذبوا لوطاً عليه السلام، وانغمسوا في الفاحشة.

٨٥- وأرسلنا إلى قبيلة مدين من ولد إبراهيم (وكانت أرضهم ما بين طور سينا والفرات) رسولا من جنسهم ونسبهم هو شعيب عليه السلام، قال لهم: يا قوم اعبدوا الله ليس لكم إله غيره، فهو

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَبْطِئُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَجَبْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا نَظِيرًا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِهِ وَبِعُوذتِهَا عِوَجًا وَأَدْكِرُوا إِنْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَذَّبْتُمْ وَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِنْ كَانَ ظَاقِفَةٌ مِّنكُمْ أَمْنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَظَاقِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَخْرُجَ اللَّهُ بَيِّنَاتٍ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾

المعبود بحق، وهذا جوهر دعوة الرسل، قد جاءكم واضحة من ربكم تدل على صدق رسالتي، فأتموا الكيل والميزان إذا بعتم، ولا تنقصوا البائع والمشتري وغيرهما من الناس حقوقهم، بتعييب السلعة، أو التزهد فيها، أو الاحتيال على صاحبها، فكل ذلك أكل لأموال الناس بالباطل، ولا تفسدوا في الأرض بالكفر والمعاصي بعد إصلاح أهلها من طريق الأنبياء والرسل، هذا الذي أمرتكم به أحسن وأفضل عند الله لكم مما أنتم عليه من الكفر والظلم، إن كنتم مصدقين برسالتي وبوحدانية الله وشرعه؛ لأن الإيمان يقتضي الامتثال.

٨٦- ولا تقطعوا الطرق، تتوعدون وتهددون بالعذاب الناس الذين يريدون المجيء إليكم، وتمنعون الناس عن الإيمان بدين الله، والوصول إلى شعيب عليه السلام، وتطلبون لشريعة الله أن تكون معوجة غير مستقيمة، واذكروا حين كنتم قليلي العدد، فكثرت جمعكم بالنسل، وأمدكم بالقوة والغنى، وتأملوا كيف كان مصير المفسدين البغاة من الأمم الماضية، حيث أهلكهم الله بكفرهم وذنوبهم.

٨٧- وإن كان آمن جماعة منكم بما أرسلت به من عند الله، وجماعة أخرى لم يؤمنوا برسالتي، فاصبروا حتى يقضي الله بالحق والعدل بيننا وبينكم، ويتحقق نصرنا عليكم، والله خير الحاكمين؛ لأن حكمه حق وعدل، لا مجال فيه للظلم أو المحاباة.



٨٨- قال الأشراف المتكبرون عن الإيمان بالله ورسوله: لنظردنك يا شعيب والمؤمنين معك من بلدتنا، أو لترجعن أيها الأتباع إلى ديننا كما كنتم، أي لا خيار لكم إلا أحد أمرين: الطرد أو العود للملة السابقة، قال لهم شعيب: أتعيدوننا في ملتكم، ولو كنا كارهين تلك العودة أو الإخراج؟!!

٨٩- وأضاف شعيب قائلاً: قد اختلقتنا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم التي هي الشرك والظلم، بعد إذ نجحنا (خلصنا) الله منها؛ لأن العود أعظم ذنباً، ومن ارتد عن الإيمان أعظم كفراً، وما ينبغي لنا ولا يصح أن نعود في ملتكم أبداً، إلا أن يشاء الله ربنا ذلك، أحاط علم الله بكل شيء من الموجودات، فوضنا أمرنا إلى الله واعتمدنا عليه في التثبيت على الإيمان وإتمام النعمة والعصمة من الكفر والنقمة، احكم ياربنا بيننا وبين قومنا بالحكم العادل، بما يستحقه كل منا من نصر أو هزيمة، وأنت عدل وخير الحاكمين.

٩٠- وقال أشراف القوم الكافرون لجماعة منهم: لئن أمتمم بشعيب واتبعتموه، إنكم إذا لخاسرون في تجارتكم بترك التطفيف للكيل والميزان، وهالكون في النهاية.

٩١- فأبيدوا وأهلكوا بالزلزلة الشديدة بسبب عصيانهم وإصرارهم على الكفر، فأصبحوا صرعى هامدين موتى.

٩٢- الذين كذبوا برسالة شعيب، أصبحوا كأن لم يقيموا في دارهم زمناً طويلاً، لاستئصالهم بالعذاب، الذين كذبوا شعيباً كانوا خاسرين لأنفسهم وأملأهم، فالخسران لهم لا للمؤمنين، في الدنيا والآخرة.

٩٣- فأعرض عنهم شعيب حينما شاهد وقوع العذاب بهم، وقال لهم: يا قوم لقد أديت ما علي، وبلغتكم ما أرسلت به من الأوامر والنواهي، فكيف أتأسف أو أحزن على قوم مصيرين على الكفر؟!!

٩٤- وما أرسلنا في بلد من البلاد من نبي من الأنبياء، فكذب أهلها إلا أخذناهم بالبؤس والفقر، والضر والمرض، ليتضرعوا ويتذللوا، فيؤمنوا ويتوبوا.

٩٥- ثم أعطيناهم مكان الابتلاء والشدة: الغنى والسعة والقوة والصحة، حتى كثروا ونموا، وكفروا ولم يشكروا النعم، وقالوا: هذه عادة الدهر، وليس ذلك عقاباً من الله، قد أصيب أبأؤنا بالبؤس ثم الرخاء، فلنكن على ما كانوا عليه، ولم يدركوا أن ذلك ابتلاء أو اختبار من الله وغفلوا عنه، فأخذناهم بالعذاب فجأة دون تراخ، وهم لا يشعرون بوقت مجيئه.

قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنَجْزِيَنَّكَ يَا شُعَيْبُ
وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَوْمِنَا أَوْ لَنُعَوِّدَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَئِكَ
كُنَّا كَارِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدْ أَقْرَبْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ
إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهُ مِنْهُمَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ
اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا
أَفْخِ بِمَنَّا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرَ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾
وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْنَا شُعَيْبًا
إِن كُنَّا إِذًا لَخَاسِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذْتُهُمُ الرِّجْفَةَ فَأَصْحَرُوا فِي
دَارِهِمْ خَبِيرِينَ ﴿٩١﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا يَتَفَكَّهُونَ فِيهَا
الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ
وَقَالَ يُعَوِّدُوكُمْ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَصَحْتُ لَكُمْ كَيْفَ
ءَأْسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا
أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ
بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ
ءَابَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَعْتَهُ وَهُمْ لَا يُسْعَرُونَ ﴿٩٥﴾

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ عَلَيْهِمْ بَرَكَتٌ مِّنَ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا
وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا
سُحْحًا وَهُمْ يَأْكُمُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يُأْمَنُ مَكْرَ
اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوْ لَوْ هَدَىٰ لِلَّذِينَ يَرْتُونَ
الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوَنَشَاءُ أَصْبَغْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَطَعْنَا
عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهَلَّا يُسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ
مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا
لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْمَعُ اللَّهُ عَلَىٰ
قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ
وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم
مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا
فَنَظَرْنَا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ
مُوسَىٰ يَفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾

٩٦- ولو أن أهل القرى (المدن الجامعة) التي أرسلنا إليها الرسل آمنوا بالله وبرزلوه، واتقوا الكفر والقبائح وابتعدوا عنها، لوسعنا عليهم الخير من السماء بالمطر، والأرض، بالنبات والثروات المعدنية، ولكن كذبوا بالآيات الدالة على الإيمان وبالرسل، ولم يؤمنوا، فأخذناهم بالعذاب وعاقبناهم، بسبب كفرهم وذنوبهم.

٩٧- أفأمن أهل القرى الذين كذبوا رسلهم أن يأتيهم عذابنا في الليل، وهم نائمون.

٩٨- أو أمن أهل القرى المذكورة أن يأتيهم عذابنا في ضحوة النهار، وهم يلعبون، أي يعملون بما لا فائدة فيه.

٩٩- أفأمنوا ما يبدوه الله لهم من العقوبة، واستدرجهم لهم بالنعمة والصحة من غير أن يشعروا، فلا يأمن تديبر الله وبأسه إلا القوم الذين خسروا أنفسهم.

١٠٠- أو لم يتبين لورثة الأرض ومكانها بعد هلاك أهلها السابقين، أن الله لو شاء أهلكتهم وعاقبهم بذنوبهم، كما عاقبنا من قبلهم، ونختم على قلوبهم، فلا ينفذ إليها شيء من المعظة، ولا يسمعون المواعظ سماع تدبر وتفهم، حتى يموتوا.

١٠١- تلك القرى المذكورة التي أهلكتها وهي قرى الأقوام الخمسة: وهم قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب، نذكر لك شيئاً من أخبارها كيف أهلكت، ولقد جاءتهم رسلهم بالمعجزات والبراهين الواضحة الدالة على صدق رسالتهم، فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بهذه المعجزات، بسبب تكذيبهم بها قبل مجيئهم، بل استمروا على الكفر، ومثل ذلك الطبع على قلوب كفار الأمم الخالية، يطبع الله على قلوب الكافرين من قومك وغيرهم، فلا ينفذ فيهم وعظ ولا تذكير.

١٠٢- وما وجدنا لأكثر الناس من وفاء بعهدهم أو وصية بالإيمان والفضائل، وما وجدنا أكثرهم إلا خارجين عن الطاعة خروجاً شديداً.

١٠٣- ثم بعثنا من بعد الرسل المتقدمين كنوح وهود وصالح ولوط وشعيب: موسى بالمعجزات الدالة على صدق نبوته، إلى فرعون الطاغية وأشرف قومه، فكفروا بالمعجزات، وكذبوا بها وظلموا أنفسهم، والتكذيب ظلم عظيم، فتأمل أيها النبي كيف كان مصير المكذبين الكافرين.

١٠٤- وقال موسى عند تبليغ رسالته: يا فرعون إني رسول إليك من الله رب الإنس والجن، فهو حقيق بالإيمان به وحده.

١٠٥- جدير بي على ألا أقول على الله إلا القول الحق الذي أمرني أن أخبركم به كما هو، قد جتكم بحجة واضحة من ربكم تبين صدقي، فأرسل معي بني إسرائيل وأطلقهم من أسرك واستعبادك، ليرجعوا معي إلى الأرض المقدسة؛ فإنهم كانوا ممنوعين من الرجوع إلى موطن آبائهم.

١٠٦- قال له فرعون: إن كنت مؤيداً بمعجزة من عند الله دالة على صدق رسالتك، فأظهرها لئراها، إن كنت صادقاً في ادعائك.

١٠٧- فألقى موسى عصاه من يده، فإذا هي حية عظيمة ظاهرة الحياة، وكانت من ذكور الحيات.

١٠٨- وأخرج يده من جيب قميصه، فإذا هي بيضاء تلالاً نورا، من غير برص ولا مرض، تظهر للناظرين المبصرين إليها من غير لبس.

١٠٩- قال أشرف القوم الزعماء من قوم فرعون لما شاهدوا ذلك: إن موسى لساحر كبير، عليم خبير بأنواع السحر وفتونه.

١١٠- يريد أن يخرجكم من أرض مصر، وقال فرعون لهم: فماذا تشيرون به علي؟!

حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ فَمَدِينَتُكُمْ بَيْنَتِي
مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ
بِحَيَاةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَى
عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ
لِلنَّظَرِ ﴿١٠٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ
﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَأَيُّ الْفِرْعَوْنِ ﴿١١٠﴾ فَالْتَمَأُوا
أَرْجَاهُ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَا تَوَكُّ
كَيْلَ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ فَالْتَمَأُوا إِنَّ
لَنَا لَأَنْجَارًا إِنَّ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنِ كُنَّا
لَمِنَ الْمُفْرِقِينَ ﴿١١٤﴾ فَالْتَمَأُوا قُلُوبًا وَإِنَّمَا أَنْ تَكُونَ
نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ الْفُلُوكُ أَفَلَا تَسْمَعُونَ أَعْيُنَ
النَّاسِ وَأَسَدَهُمْ هُوَ وَجَاءَهُمْ وَسِحْرٌ عَظِيمٌ ﴿١١٦﴾
﴿١١٧﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ
مَا يَأْكُرُونَ ﴿١١٨﴾ فَرَفَعَ الْحُجُرُومَ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٩﴾ فَفَعَلُوا
هُنَالِكَ وَفَعَلُوا صَغِيرًا ﴿١٢٠﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَهُمْ ﴿١٢١﴾

١١١- قال الملأ لفرعون: آخره وأمهله وأخاه هارون إلى وقت آخر، واطلب من حكام الأقاليم ومدائن المملكة في مصر أن يجمعوا لك السحرة، ويرسلوهم إليك. وقوله: ﴿حاشرين﴾ أي رجالاً يجمعون السحرة.

١١٢- يأتوك بكل ساحر ماهر بفنون السحر.

١١٣- وجاء السحرة إلى فرعون، فقالوا: هل لنا أجر أو نُجعل على عملنا، إن غلبنا موسى بسحرنا؟!

١١٤- فأجابهم فرعون: نعم لكم ذلك الأجر، وإنكم أيضاً من المفرقين لدينا.

١١٥- خير السحرة موسى بين الابتداء بالقاء ما يريد، أو ابتدائهم هم بذلك.

١١٦- قال لهم موسى: ألقوا أنتم أولاً، فلما ألقوا حبالهم وعصيهم، سحروا أعين الناس، وصرخوا عن إدراك حقيقة ما فعلوا من التمجيد والخذاع، وأوقعوا الرهبة والخوف الشديد في نفوسهم، وجاء السحرة بسحر متفوق، عظيم في أعين الناظرين، وإن كان لا حقيقة له في الواقع.

١١٧- ثم أوحينا إلى موسى وأمرناه بالقاء عصاه، فإذا هي تبسغ بسرعة حبالهم وعصيهم التي يوهون بها كذباً، وسميت إلكاً؛ لأنه لا حقيقة للسحر في الواقع.

١١٨- فثبت وتبين الحق، وهو صدق موسى، وبطل ما عملوا من السحر.

١١٩- فغلب السحرة في المكان الذي اجتمعوا فيه، ورجعوا من ذلك الموقف أذلاء مهزورين.

١٢٠- وخر السحرة ساجدين لله، أي أن معرفتهم للحق أخضعتهم له في الحال.



فَأَتَوْا أُمَّتَنَا رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ
 فِرْعَوْنُ أَنَسْتُم بِدِينِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَذَا لَكُم مَكْرَهُمْ
 فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾
 لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفِكُمْ لَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ
 ﴿١٢٤﴾ فَأَلْوَانًا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا نُنْقِمُ مَنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا
 بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْ تَارَةً تَارَةً أَفَرِحَ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّا مُسْلِمِينَ
 ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ الْمَلَأَمِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُسُونِي وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا
 فِي الْأَرْضِ وَيَذُرْكُمُ وَعَا لِهَيْتُكَ قَالَ سَنَقْتَلُنَّ أَبْنَاءَهُمْ
 وَنَسْتَحْيِي عِصْيَانَهُمْ وَأَقْفُوهُمْ قَهْرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ
 اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ
 مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ فَأَلْوَا أَوْذِينَكَ
 مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ
 أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ
 فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ
 بِالسِّبْيِ وَنَقَصْنَا مِنَ اللَّحْمِ لِعَالَمِهِمْ يَذْكُرُونَ ﴿١٣٠﴾

١٢١، ١٢٢ - قالوا: آمنا بالله وحده لا شريك له، رب الإنس والجن، ورب موسى وهارون، حتى لا يتوهم أحد أن السجود لفرعون.

١٢٣ - قال فرعون للسحرة: كيف أمتم بموسى ورسالته، قبل أن أذن لكم في الإيمان، إن هذا الفعل لتدبير خفي وحيلة احتلتموها في مدينة مصر قبل المباراة، لتخرجوا منها أهلها، فسوف تعلمون ما ينالكم مني على هذه المؤامرة.

١٢٤ - لأقطعن اليد اليمنى والرجل اليسرى من كل إنسان منكم وبالعكس، ثم لأصلبنكم في جذوع النخل بعد التقطيع حتى الموت.

١٢٥ - قال السحرة جواباً لتهديد فرعون: إنا إلى ربنا راجعون جميعاً في الآخرة، ويجازيك على ما تصنع بنا، ويغفر لنا خطايانا.

١٢٦ - وما تعيب منا وتكر علينا إلا بسبب إيماننا بآيات ربنا التي جاءتنا على يد موسى، وهذا شرف عظيم، ربنا أفض علينا صبراً بغيرنا عند التعذيب، أي ألهمنا صبراً كثيراً، لثلاث نرجح كفاراً، وتوفنا ثابتين على الإسلام، خاضعين لجنابك، غير محرقين ولا مبدلين.

١٢٧ - وقال زعماء قوم فرعون له: أتترك

موسى وقومه أحياء: ليفسدوا في أرض مصر بالدعوة إلى معارضتك، وإدخال الناس في دينهم، ويترك عبادة إلهتك: وهي الأصنام التي جعلها فرعون لقومه يعبدونها تقرباً بها إليه، وهو أعلى معبودات الأرض، وإله العالم السفلي، والكواكب آلهة العالم العلوي، قال فرعون: سنقتل أولادهم الذكور، ونستبقي الإناث أحياء لخدمتنا، وإنا فوقهم قادرين، متسلطون ومسيطرون عليهم بالقهر والغلبة، وهم تحت قهرنا.

١٢٨ - قال موسى لقومه حين سمع تهديد فرعون وخوف بني إسرائيل: استعينوا بالله على فرعون وقومه، واصبروا على البلاء والمحنة، إن الأرض لله يعطيها من يشاء من عباده، وهو وعد من موسى بالنصر على فرعون وقومه، والخاصة المحموده أو النهاية في الدنيا والآخرة للمتقين الله من عباده، وهم موسى ومن معه، في ذلك الزمان.

١٢٩ - قال بنو إسرائيل لموسى: لقد أوذينا إيذاء شديداً بقتل آبائنا وإذلالنا من قبل أن تأتينا رسولا، ومن بعد ما جثتنا رسولا، بقتل الأبناء ونشر الرعب، قال موسى: لعل ربكم أن يهلك عدوكم فرعون وقومه، ويجعلكم خلفاء الأرض بعدهم، ويكون الأمر والملك لكم، فينظر كيف تعملون بعدئذ، في حال طاعة أو عصيان؟

١٣٠ - ولقد عاقبنا آل فرعون بالقحط والجذب والجوائح المتتالية، ونقص الثمار بالعاهات وإتلاف الغلات بالآفات، بسبب عدم نزول المطر، لعلهم يتعظون، ويرجعون عن كفرهم.

١٣١- فإذا جاءتهم مواسم الخير الحسنة بالخصب ووفرة الثمار والرخاء، قالوا: لنا هذه نستحقها، وإن يتعرضوا لمواسم سيئة من الجذب والقحط والبلايا والأمراض، يتشاءموا بموسى والمؤمنين معه، إلا إن شؤمهم يأتيهم من عند الله على عملهم، لا من عند موسى ومن معه، فجميع ما ينالهم من خير أو شر هو من عند الله، وهذا على نمط ما يعتقدونه، لذا عبر بالطائر عن الخير والشر، لا إثبات التطير، ولكن أكثرهم لا يعلمون بهذا، بل ينسبون الخير والشر إلى غير الله خطأ وجهلاً.

١٣٢- وقال أتباع فرعون لموسى: مهما تأتتا من معجزة، لتصرفنا بلطف وحيلة عما نحن عليه من ديننا، كما يفعل السحرة بسحرم، رددناها، ولا تؤمن بك ولا تصدق برسالتك. قاصدين بذلك إعلان اليأس من إيمانهم.

١٣٣- فأرسلنا عليهم الطوفان (الأمطار الكثيرة المتلفة للزرع) والجراد الذي يأكل الزرع، والقمل حشرات صغيرة تلتف الزرع والنبات، غير القمل المعروف، والضفادع المعروفة التي تكاثرت، فملأت البيوت، والدم أي الرعاف من الأنوف أو تحول المياه إلى دم، آيات مبيّنة دالة على قدرة الله تعالى وصدق

موسى، فتكبروا عن الإيمان بالله، وكانوا قوماً عصاة مجرمين. هذه آيات خمس، يضاف لها آيتان من الآية السابقة [١٣٠] وهي القحط ونقص الثمار، وآيتان من سورة يونس [٨٨] وهما الطمس على الأموال أي هلاكها ومحققها، وتشديد الوطأة على القلوب، أي الطبع عليها، فتصير الآيات تسعاً.

١٣٤- ولما وقع عليهم العذاب بهذه الأمور، قالوا: يا موسى ادع لنا ربك أن يكشف عنا البلاء، متوسلاً بما اختصك به وأكرمك من الرسالة والنبوة وهو العهد، لئن كشفت عنا العذاب لنصدقن بنبوتك وبما تخبر به عن ربك، ولنرسلن معك بني إسرائيل، بإعطائهم حرية الانتقال والمغادرة من البلاد بعد منع السفر.

١٣٥- فلما رفعنا عنهم العذاب المتقدم من القحط وغيره، إلى أجل محدد من الزمان لإهلاكهم بالغرق، هم بالغوه حتماً، إذا هم يقضون العهد الذي عقده على أنفسهم.

١٣٦- فانتقمنا منهم لما نقضوا العهد، فأغرقناهم في البحر، بسبب تكذيبهم بآياتنا وإعراضهم عنها، حتى صاروا كالغافلين عنها.

١٣٧- وأورثنا قوم بني إسرائيل الذين كانوا مستظليين بالخدمة لقوم فرعون، أرض مصر والشام، التي باركنا فيها بإخراج الزرع والثمار الوفيرة، وتم إنجاز وعد الله لبني إسرائيل بإهلاك فرعون وقومه، بسبب صبرهم على أذى فرعون وملته، وتحملهم الشدائد، وأهلكنا وخربنا ما كان يصنع فرعون وقومه من العمائر والمزارع، وما كانوا يعرشون من عرائش الكروم والأشجار. وليس ميراث الأراضي المذكورة على الدوام، وإنما كان ذلك لفترة زمنية في وقتهم ما داموا مستقيمين على أمر الله، ثم سلبهم الله ذلك بظلمهم، فلم يبق لهم أصل تاريخي بما يسمونه أرض الميعاد.

فَإِذَا جَاءَهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا مَتَىٰ تَأْتِينَا بِهِ مِنْ آيَةٍ نُسَخِّرَنَّ بِهَا ۖ فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالذَّمَءَ ۗ آيَاتٍ مُّعْضَلَةٍ فَأَسْتَكَبَرُوا ۖ وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَىٰ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ ۖ مَا عَاهَدْنَاكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بِلِقَاؤِهِ إِذْ أُنْزِلَتْ سُورَةٌ ۖ فَأَنْشَقْنَا عَنْهُمْ فُؤُودَهُمْ فِي لَيْلِيَاتِهِمْ كَذَّبُوا ۖ بَعَيْنَا وَأَكْوَابَهَا غُفْلِينَ ﴿١٣٥﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَمُونَ مَسْرِقَ الْأَرْضِ وَمَعْرِبَهَا ۗ أَتَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ۖ الْحَسَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ۖ وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فَرِحُوا وَقَوْمَهُ ۖ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

١٣٨- ومكناهم من عبور بحر السويس بسلام وأمان، فمروا على قوم يلازمون عبادة الأصنام، وقيمون عليها، فقالوا: يا موسى، اجعل لنا إلهاً، أي صنماً نعبد، كما لهؤلاء القوم آلهة من الأصنام، قال موسى: إنكم قوم تجهلون حقيقة الألوهية وعظمة الله، واستحقاقه وحده العبادة دون سواه، وقد شاهدتم من آيات الله ما يزرع عن عبادة غير الله تعالى.

١٣٩- إن عبدة الأصنام هؤلاء مدمرٌ ومهلك ما هم فيه من عبادة الأصنام وزائل وذهب جميع ما كانوا يعملون من الأعمال والعبادة للأصنام.

١٤٠- قال موسى لقومه: كيف أطلب لكم إلهاً غير الله تعبدونه؟ وقد أقام لكم الأدلة القاطعة على وحدانيته، وفضلكم على عالمي زمانكم، بإهلاك عدوكم، وتخسيركم، وتكسينكم في الأرض واستخلافكم فيها.

١٤١- وتذكروا معشر الإسرائيليين لتشكروا الله

وَجَوْرًا بَيْنَ إِسْرَائِيلَ فَانظُرْ فَأَلْهَمْنَاهُ عَلَىٰ قَوْمٍ بَعْدَكَ عَلَىٰ
أُمَّتٍ أُمَّتَهُ قَالُوا بَلْ يَمُسَىٰ بِكُمُ الْبَغْيُ إِنَّهُمْ كَانُوا أَهْلًا
قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَثَرٌ مِّمَّا فِيهِ وَبَطْلٌ
مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَعْبَدُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْبَأَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ
وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَخْبَرْنَا مَرْيَمَ بِمَا
فَعَلْتِ وَنُوحًا بِمَا هُوَ آثِمٌ غَافِلٌ وَأِذْ أَخْبَرْنَا هَارُونَ
بِأَخِيهِ هَارُونَ قَالَ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿١٤١﴾ وَإِذْ
أَخْبَرْنَا لُوطَ بْنَ عَادَ بِمَا هُوَ آثِمٌ غَافِلٌ وَأِذْ أَخْبَرْنَا
مُوسَىٰ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿١٤٢﴾ وَتَذَكَّرُوا عِبَادَةً لِّذِي
الْحُرْمَةِ الَّذِي قَدَّسَهُمْ وَآمَنَ بِذِكْرِهِ وَعَصَىٰ لِقَوْلِهِ
وَالْجِبَالَ حَشَبًا لِّمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١٤٣﴾ فَلَمَّا أَتَىٰ
الْمَدْيَنَ وَجَدَ مِنْهَا قَوْمًا لَّيْثِينَ كَارِهِينَ وَأَصْحَابَ
مَالٍ يَخْفَىٰ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٤﴾ إِذْ أَخْبَرَهُمْ أَنَّ
بِهِمْ رَسُولًا مِّنْ رَبِّهِمْ فَيَكْفُرُونَ بِهِمْ عِلْمًا بِمَا
كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١٤٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ
وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ اللَّهَ مَلَأَ ثَوَابَهُمْ لِقَوْلِهِمْ إِنَّ
اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٦﴾ فَخَرَّ سَاجِدًا وَسُجَّدًا
مُّسَبِّحًا وَمُؤْمِنًا رَّاكِعًا ﴿١٤٧﴾ وَتَذَكَّرُوا عِبَادَةً
لِّذِي الْحُرْمَةِ الَّذِي قَدَّسَهُمْ وَآمَنَ بِذِكْرِهِ وَعَصَىٰ
لِقَوْلِهِ وَالْجِبَالَ حَشَبًا لِّمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١٤٨﴾

عليه حين خلصناكم من آل فرعون يذيقونكم أشد العذاب، يقتلون أطفالكم الذكور، ويقنون نساءكم أحياء للخدمة، وفي ذلكم الإنجاء من الأضرار امتحان واختبار عظيم من ربكم، لتشكروا نعمه وأفضاله.

١٤٢- ووعدنا موسى بتكليمه ومناجاتنا بعد انتهاء ثلاثين ليلة، قائماً الليل، صائماً النهار، ثم زدناه عشراً بعد مجيئه إلى الميقات (الوقت المحدد لعمل من الأعمال)، فتم وقت المناجاة أربعين ليلة، وقال موسى لأخيه هارون حين انجى للمناجاة: كن خليفتي فيهم، وأصلح أمر بني إسرائيل بالرفق بهم وتفقد أحوالهم، ولا تسلك سبيل العصاة بموافقته على المعاصي وإعانة الظالمين.

١٤٣- ولما حضر موسى في الوقت المحدد لكلام الله، وكلمه ربه مباشرة من وراء حجاب ولا واسطة، قال موسى: رب أرني إلهك شوقاً وشرفاً، فأجابه الله تعالى: ليس لبشر أن يراني في الدنيا، ولكن انظر إلى الجبل، فإن ثبت مكانه، فسوف تراني، أي لا تثبت لرؤيتي، ما دام الأعظم منك صلابة وقوة وهو الجبل لم يثبت حين تجلّى الرب عليه، فلما ظهر نور الله على الجبل، جعله مدكوكاً تراباً مفتتاً، وسقط موسى مغشياً عليه، فلما أفاق من غشيته، قال: أنزهك يا رب تنزيهاً، تبت إليك من سؤالي رؤيتك، وأنا أول المؤمنين بك من قومي.



١٤٤- قال الله تعالى: يا موسى إني اخترتك على الناس أهل زمانك، وفضلتكم وخصصتكم بالرسالة والنبوة وتبليغ أوامري، وبالتكليم من غير واسطة، فخذ ما أعطيتك من الفضل، وكن شاكراً لأنعمي وعطائي الجليل.

١٤٥- وكتبنا لموسى في الألواح التوراة (وهي ما يكتب فيها) من كل ما يحتاج إليه الإسرائيليون من أمور الدين والدنيا، لمن يتعظ بها، وتبيناً لكل شيء من الأحكام، فخذها بجد وعزيمة قوية واعمل بها، واطلب من قومك أن يأخذوا بأحسن وأفضل مما فيها وأكثرها أجراً، كالعفو بدل القصاص، والصبر على الغير، وإبراء المعسر، وفعل المأمور به، وترك المنهي عنه، سأريكم دار الفاسقين: فرعون وأتباعه، وهي مصر، لتعتبروا بها، وقيل: هي منازل الكفار من الجبابرة والعمالقة، وثمود وأصحاب الأيكة.

١٤٦- سأمع عن فهم آياتي (دلالي على الإيمان) وكتابي وشريعتي الذين يتكبرون على الناس بغير حق كفرعون وقومه، وإن يروا كل آية

دالة على قدرة الله وعظمته لا يصدقوا بها، وإن يروا سبيل (طريق) الهدى الذي جاء من عند الله والصلاح والاستقامة، لا يتخذوه منهجاً أو طريقاً، وإن يروا سبيل الغواية والضلالة يتخذوه طريقاً ومنهجاً، ذلك الصرف بسبب التكذيب بالآيات المنزلة من عندنا المشتملة على الهدى وتركية النفوس، وبسبب تغافلهم عنها وإعراضهم عناداً، لا سهواً.

١٤٧- والذين كذبوا بآياتنا التي جاءت بها رسلنا، وبالبعث والحساب، بطلت أعمالهم الحسنة التي عملوها في الدنيا كصلة رحم وصدقة، فلا ثواب لها في الآخرة، لعدم الإيمان، ما يجوزون إلا جزاء عملهم من التكذيب والمعاصي.

١٤٨- واتخذ قوم موسى من بعد خروجه إلى جبل الطور للمناجاة، مما معهم من حلي القبط الذي استعاروه لعرس، فبقي عندهم، اتخذوا عجلاً إلهاً مجسماً، أي تمثالاً لعجل لا روح فيه، له خوار (صوت البقر) صنعه السامري بطريقة تجعل مرور الريح فيه محدثاً صوتاً، ألم يروا أن هذا التمثال أحرص لا يكلمهم، ولا يقدر على هدايتهم للحق والصواب وطريق الخير، اتخذوه إلهاً، وكانوا ظالمين لأنفسهم في اتخاذه.

١٤٩- ولما ندموا وتحيروا، وأدركوا أنهم قد أخطؤوا وضلوا عن الإيمان باتخاذهم العجل إلهاً، لجؤوا إلى التوبة والاستغاثة، وقالوا: إذا لم يرحمنا ربنا بقبول توبتنا وغفران ذنوبنا، لنكونن من الخاسرين أنفسهم أو الهالكين.

قَالَ يٰمُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتَكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمَتِي فَخُذْ مَا آتَيْنَاكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّقْضِيَّةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْ مَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةً مِنْ آيَاتِنَا لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خَوَارُ الْوَسْوَاسِ الَّذِينَ لَا يَكْلَمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

وَمَا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ لَيْسَ بَلَسًا حَلَفْتُ لِي
 مِنْ بَعْدِي أَنْ أَعْلَمَنَّ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَالْقِيَ الْأُلُوحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ
 أُخِيهِ يَجْرُهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أَمْرِ إِنْ الْقَوْمَ اسْتَصْحَفُونِي
 وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تَشْتُمْنِي بِالْأَعْدَاءِ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ
 الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي
 رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنْ الَّذِينَ اتَّخَذُوا
 الْعِجْلَ سَيِّئًا لَمْ يَكُنْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي أَنْجُومِ الدُّنْيَا
 وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ
 ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا بِرَبِّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ
 رَحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَمَا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأُلُوحَ
 وَفِي سَفْحِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمُ رِيبِيهِمْ يَرْهَوْنَ ﴿١٥٤﴾
 وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا يُحِبُّونَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ
 قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَبْلُغَ أَهْلُكُمَا بِمَا فَعَلَ
 السُّفَهَاءُ مِمَّا أَنْ هُمْ إِلَّا فَبَدَّلْنَا نُصْلَ بِهَا مَنْ نَشَاءُ وَنَهْدِي
 مَنْ نَشَاءُ أَنْتَ وَابْنَاتُنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾

١٥٠- ولما رجع موسى إلى قومه من ميقات المناجاة، غضبان حزينا، بسبب عبادة العجل، قال: بسس الفعل الذي فعلتموه من بعد غيابي عنكم، هل استعجلتم أمر ربكم وميعاده، فلم تصبروا له، وهو ما وعدكم من الأربعين، فلما لم أرجع مسرعاً، عبدتم غيره، وألقى الالواح التوراة من شدة غضبه وأسفه لعبادة العجل، وأخذ بشعر رأس أخيه يجره إليه، على وجه المعاتبة على لينة، لا الإهانة، قال له هارون: يا ابن أُمي - وهي كلمة استعطف وترفق - إن القوم الذين عبدوا العجل وجدوني ضعيفاً فريداً، وهموا بقتلي، فلا تفرح الأعداء بإهانتك إياي، ولا تجعلني أحد القوم الظالمين الذين عبدوا العجل، فلست منهم ولم أفعل مثلهم، ولا أؤاخذ على فعلهم.

١٥١- قال موسى: رب اغفر لي هذا الفعل بأخي، واغفر لأخي هارون إن كان فرطاً أو قصر في نهيهم عن فعلهم، وأدخلنا في جنتك ورحمتك الواسعة، وأنت أرحم الرحماء في الدنيا والآخرة.

١٥٢- إن الذين اتخذوا العجل إلهاً ولم يتوبوا، سينالهم عذاب من ربهم في الآخرة، وعقاب في الدنيا يقتل بعضهم بعضاً، وذل ومهانة واحتقار الناس لهم، وكما جزيناها من نجزي المفتريين على الله بالإشراك وغيره، ومنهم عبدة العجل.

١٥٣- والذين ارتكبوا السيئات أو المعاصي، ثم تابوا من بعد ما عملوها، وآمنوا بالله ورسوله، إن ربك من بعد هذه التوبة، لغفور لهم، رحيم بهم، أي كثير المغفرة والرحمة.

١٥٤- ولما ذهب الغضب عن موسى، وسكن وهدأ، أخذ الألواح التوراتية التي ألقاها عند غضبه، وفيما نسخ أو كتب فيها إرشاد للضالين وهداية للأحكام، ورحمة واسعة، للذين يخافون من ربهم.

١٥٥- واختار موسى من قومه سبعين رجلاً ليكونوا معه في الوقت الذي وعدناه بإتيانهم فيه، وليكون سماعهم مناجاة موسى ربه دليلاً على صدقه، وفي رأي آخر: اختارهم للاعتذار عن عبادة العجل، فطلبوا رؤية الله جهراً، فأخذتهم الزلزلة الشديدة وصعقوا، قال موسى تحسراً: رب لو شئت إهلاكننا لأهلكتنا بذنوبنا، قبل أن تأتي إليك في الميقات، أنهلكننا يا رب بما فعل الطائشون منا، ما هي إلفنتك، أي اختبارك وابتلاؤك، نُفضلُ بها من تشاء من عبادك، وتهدي من تشاء هدايته، أنت ناصرنا ومتولي أمورنا، فاغفر لنا ذنوبنا، وارحمنا برحمتك الواسعة، وأنت خير الغافرين للذنوب، تغفر لمحض الفضل والوجود، لا للمصلحة.



١٥٦- واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إننا هداة إليك قال عذابي أصيب به من أساء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ﴿١٥٦﴾ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينههم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴿١٥٧﴾ قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ﴿١٥٨﴾ ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ﴿١٥٩﴾

١٥٧- الذين يتبعون الرسول محمداً ﷺ النبي الذي لا يقرأ ولا يكتب، وليس من أهل الكتاب، الذي يجد اليهود والنصارى اسمه ونعته وصفته مدوناً عندهم في التوراة والإنجيل، يأمر بما يقره الشرع والعقول السليمة من الإيمان بالله ومكارم الأخلاق، وينهى عن الكفر والشرك وما ينكره الشرع والعقل الصحيح من مساوئ الأخلاق، ويحل لهم المستلذات التي تستطيعها النفوس والطباع السليمة من الأطعمة، ويحرم عليهم ما تستخبثه الطباع السليمة وتنفرد منه، كالميتة والدم المسفوح والختزير والمذبوح لغير الله، ويضع عنهم الثقل الذي يضايق الإنسان، وما يشق حسيباً على النفس، والتكاليف الشاقة الثقيلة، كقتل النفس في التوبة، وقطع موضع النجاسة من الثوب، فالذين آمنوا بمحمد ﷺ وعظموه ووقروه، ومنعوه من عدوه، ونصروه على من يعاديه، واتبعوا القرآن الذي أنزل معه، أولئك هم الفائزون في الدنيا والآخرة، بالهداية والاستقامة، والجنة والرضوان.

١٥٨- قل أيها الرسول: يا أيها الناس إني رسول الله إلى أهل الأرض جميعاً، فرسالي للناس عامة، رسول من الله الذي يتصرف في السموات والأرض كيف يشاء، ويملكهما ملكاً تاماً، لا إله غيره ولا رب سواه، يحيي الخلق ويفنيهم، فهو المستحق للربوبية ونفي الشركاء عنه، فأمنوا بالله وما تضمنته كتبه من التوراة والإنجيل والقرآن من أحكام وإرشادات، واتبعوا ما جاء به، لتهدوا وترشدوا.

١٥٩- ومن قوم موسى وهم بعض بني إسرائيل جماعة عظيمة، يدعون الناس إلى الرشاد والهدى متلبسين بالحق ويلتزمون الحق الذي جاء به نبيهم، وبالحق يعدلون في أحكامهم.

١٥٨- قل أيها الرسول: يا أيها الناس إني رسول الله إلى أهل الأرض جميعاً، فرسالي للناس عامة، رسول من الله الذي يتصرف في السموات والأرض كيف يشاء، ويملكهما ملكاً تاماً، لا إله غيره ولا رب سواه، يحيي الخلق ويفنيهم، فهو المستحق للربوبية ونفي الشركاء عنه، فأمنوا بالله وما تضمنته كتبه من التوراة والإنجيل والقرآن من أحكام وإرشادات، واتبعوا ما جاء به، لتهدوا وترشدوا.

١٥٩- ومن قوم موسى وهم بعض بني إسرائيل جماعة عظيمة، يدعون الناس إلى الرشاد والهدى متلبسين بالحق ويلتزمون الحق الذي جاء به نبيهم، وبالحق يعدلون في أحكامهم.

وَقَطَعْنَاهُمْ أَثْنَيْ عَشْرَةَ آسَابِطًا أُمَّمًا وَأَوْحَيْتُ إِلَىٰ مُوسَىٰ
 إِذْ اسْتَسْقَمَهُ قَوْمُهُ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحِجْرَ فَانْبَجَسَتْ
 مِنْهُ اثْنَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ وَظَلَمْنَا
 عَلَيْهِمُ الْعَقَبَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلًّا
 مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ
 يَظْلِمُونَ ﴿١٦١﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا
 حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَعْفِرْ
 لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ سِوَ ذَلِكَ الْيَوْمِ ﴿١٦٢﴾ فَكَذَّبَ الَّذِينَ
 ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلَ عِمْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا
 مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٣﴾ وَرَسَلْنَاهُمْ مِنْ آتِي
 كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْتَدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ
 حِينًا نُهُهُمْ بِيَوْمِ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمًا لَا تَنْبِتُونَ لِأَنَّ يَهُودِيَّ
 كَذَلِكَ نَبَلَّوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٤﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ
 مِنْهُمْ لِمَ تَعْبُدُونَ قَوْمًا اللَّهُ مَهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا
 شَدِيدًا قَالُوا مَعذْرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكَوَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٥﴾

١٦٠- ميزنا وفرقنا قوم موسى بعضهم من بعض، حتى صاروا اثنتي عشرة قبيلة، كل سبط (قبيلة) معروف على حدة، والأسباط: أولاد الأولاد، وهو عندهم كالقبيلة في ولد إسماعيل، وجعلناهم أمماً، أي كل سبط قبيلة من أب واحد من أولاد يعقوب. وأوحينا إلى موسى حين طلب قومه السقيا، لما أصابهم العطش في صحراء التيه: أن اضرب بعصاك الحجر، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً بعدد الأسباط، قد علم كل سبط منهم مكان شربهم، وجعلنا السحاب يظلمهم في التيه، يقيهم حر الشمس، وأنزلنا على ورق الشجر وغيره المن (مادة بيضاء حلوة) والسلوى (وهو طير يشبه السُّماني) وقلنا لهم: كلوا من مستلذات ما رزقناكم، وما ظلمونا بكفرانهم هذه النعم، ولكن ظلموا أنفسهم، حيث عرضوها للعقاب.

١٦١- واذكر أيها النبي حين قيل لأبناء بني إسرائيل بعد الخروج من التيه: اسكنوا أرض بيت المقدس، وقولوا: حطة، أي أمرنا حطة،

والمعنى: حطّنا خطايانا، وادخلوا باب القرية (بيت المقدس) ساجدين لله شكراً على نعمه، وهو نوع من سجدة الشكر، نغفر لكم ذنوبكم، متى دخلتم على هذه الحال بيت المقدس منتصرين، سترزيد المحسنين أعمالهم إحساناً وثواباً وإدراار نعم.

١٦٢- فبدّل الظالمون منهم أقوالهم، فأنزلنا عليهم عذاباً من السماء، بسبب ظلمهم.

١٦٣- واسأل أيها النبي عما وقع لأهل القرية (أيلات) بجوار العقبة على ساحل البحر الأحمر، التي كانت قريبة مجاورة للبحر الأحمر، حين يعتدون ويتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت، وقد نهوا عنه، حين تأتيتهم أسماكهم يوم السبت الذي حرّم العمل عليهم فيه، ظاهرة على الماء، وفي غير يوم السبت لا تأتيتهم الحيتان (الأسماك)، مثل ذلك البلاء الشديد، نبلوهم بسبب فسقهم وظهوره فيهم، وفي ذلك امتحان لمعرفة مدى قدرتهم على الصبر عن المحارم.

١٦٤- واذكر أيها النبي حين قالت جماعة من أهل القرية، لم تصد ولم تنه عن الصيد للصلحاء الواعظين: لم تعظون قوماً، الله مهلكهم في الدنيا، أو معذبهم عذاباً شديداً في الآخرة؟ قال الواعظون: موعدتنا معذرة نعتذر بها إلى الله، لثلاثا تنسب إلى التقصير في ترك النهي، أي لعذر عند الله بأداء واجبنا، ولكي يتقوا الله، فيقلعوا عن المعصية التي لازمها، ويتركوا الصيد.

١٦٥- فلما ترك عصاة أهل القرية العمل بما وعظوا به، فلم يرجعوا عن المخالفة، أنجينا الذين يتهون عن المعصية أو العمل الذي تسوء عاقبته؛ وهما الطائفتان الأخريان: التي نهت ثم يثست، والتي استمرت على النهي، أهلكتنا الظالمين العصاة المستدين في يوم السبت بعذاب شديد بسبب عصيانهم وخروجهم عن طاعة الله تعالى.

١٦٦- فلما تجبروا وتجاوزوا الحد في معصية الله تكبراً، وأبوا ترك ما نهوا عنه، مسخناهم قردة، أذلاء مطرودين مبعدين عن كل خير، أي تحولوا فعلاً قردة، أو صاروا كالقردة في الاحتقار.

١٦٧- واذكر أيها النبي حين أعلم ربك إعلاماً ظاهراً، ليسلطن على اليهود إلى يوم القيامة من يذيقهم أسوأ أنواع العذاب بسبب ظلمهم، إن ربك لسريع العقاب لمن عصاه، وإنه لغفور لأهل طاعته، رحيم بهم.

١٦٨- وفرقتهم في الأرض جماعات وفرقاً،

فلا يوجد قطر إلا وفيه منهم طائفة، منهم الصالحون: وهم الذين آمنوا واستقاموا، ومنهم أناس دون من قبلهم في الاستقامة، وهم الكفار والفساق، واختبرناهم بالخير والشر، بالنعم والأمن والرخاء تارة، وبالنقم والخوف والضيق تارة، ليرجعوا عما هم فيه من العصيان والضلال والكفر.

١٦٩- فجاء من بعدهم أولاد وذرية، وهم خلف السوء، ورثوا التوراة من أسلافهم، يأخذون الرشوة ويأكلون السحت مقابل تحريفهم آيات الله، وتهويتهم العمل بأحكام التوراة، ويزعمون أنه سيغفر لهم، متمنين الأمانى الباطلة، وإن يأتيهم مال آخر غير مشروع يأخذوه، ويزعمون المغفرة أيضاً، والعرض: المتاع الزائل. ألم يؤخذ عليهم ميثاق التوراة ألا يقولوا على الله إلا الحق الثابت، وقد درسوا وقرؤوا ما في التوراة وفهموا وعلموا، فكان ترك العمل منهم عن علم، لا عن جهل، وكيف يزعمون المغفرة مع المخالفة؟! والأخرة خير من الدنيا وما فيها من عرض أو متاع، للذين يتقون الله ويحذرون عقابه، أفلا تعقلون ذلك وتدركونه؟

١٧٠- والذين يتمسكون ويعملون بما جاء في التوراة، وداوموا على الصلاة في أوقاتها، فلا نضيع أجر المصلحين أعمالهم، ونجازهم على طاعتهم.

فَلَمَّا تَسَاءَلُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَجَبْنَا الَّذِينَ يَهْتُونَ عَنِ الشُّعْرِ
وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا
يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا
قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ لَبِيعْنَا
عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْفَيْسَمَةِ مِنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ
إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٧﴾
وَقَطَعْنَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَصْنَافًا مِمَّا يَتَّبِعُونَ وَمِنْهُمْ
دُونَ ذَلِكَ وَبَلَّوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ خَلَفَ مِنْ بَدْرِهِمْ خَلْفٌ وَرثُوا
الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ
لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ
عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ
وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَاللَّذَّارِ الْأَخْرَىٰ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يَتَمَسَّكُونَ بِالْكِتَابِ
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

﴿ وَإِذْ نُنزِّلْنَا الْحَبْلَ فَوَقَّهُمْ كَأَنَّهُمْ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾
 وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَسْبَغَ لَهُمْ
 عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلْسُنَ بَرِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ سَهْدًا إِنَّ نَقُولُوا يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ
 آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا
 فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ
 يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ آيَاتِنَا
 فَاسْتَعْصَمَ مِنهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ
 شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ
 فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكهُ
 يَلْهَثُ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا فَاقْصُصْ
 الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمَ الَّذِينَ
 كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ اللَّهُ
 فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَن يُضِلِلْ فَلَا تَأْتِيكُ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

١٧١- واذكر أيها الرسول حين رفعنا جبل الطور من جذوره، كأنه مظلة سحاب فوقهم، وأيقنوا أنه ساقط عليهم، بإنذار الله لهم بوقوعه إن لم يقبلوا أحكام التوراة، وقلنا لهم: خذوا ما آتيناكم في التوراة بجد وعزيمة، واذكروا ما فيه من الأحكام بالعمل به، لتتقوا الله وتأمروا عذابه.

١٧٢- واذكر أيضاً حين أخرج ربك من أصلاب بني آدم ذريتهم، وهم في عالم الذر، وأخذ عليهم العهد بالإقرار بوجود الله ووحدانيته، والمراد أن الله تعالى خلق الإنسان مستعداً بفطرته وبالآلة الكونية للتوصل إلى الحق والاعتراف بخالقي الكون، وأشهد كل واحد منهم على نفسه قاتلاً لهم قول إرادة وتكوين لا بالوحي: ألسنت بربكم؟ قالوا بلسان الحال: بلى شهدنا على أنفسنا بأنك أنت ربنا المستحق للعبادة، منعاً لهم من أن يقولوا يوم القيامة أو لئلا يقولوا: لم ينبهنا أحد إلى التوحيد، ولا علم لنا بأنك أنت ربنا وحملك لا شريك لك.

١٧٣- أو تقولوا: إنما أشرك آبائنا من قبلنا، وكنا ورثتهم فاقتدينا بهم، واستمر العمل بما عليه أوائلنا، ولم نهتد إلى الحق والصواب، أفتعذبنا بما فعل المبطلون من آياتنا بتأسيس الشرك، ولا ذنب لنا لجهلنا وعجزنا عن النظر؟

١٧٤- مثل ذلك البيان للميثاق، نبين الآيات ليتدبروها، وليرجعوا عن الشرك، ويعودوا إلى الحق، ويؤمنوا بالله وحده، ويتركوا ما عليه الأسلاف.

١٧٥- واتل أو اقرأ أيها النبي على قومك خير الشخص الذي مكنه من علم آياتنا المنزلة على رسولنا، وهو بلعم بن باعوراء من علماء بني إسرائيل، فانخلع منها، أي أهملها وتبرأ منها، فلحقه الشيطان فصار قرينه، فكان من الراسخين في الغواية والضلالة، أي من الكفار الفاسدين المفسدين.

١٧٦- ولو شئنا له المنزلة العالية، لأكرمناه ورفعنا قدره إلى منازل الأبرار بتلك الآيات، ولكنه مال إلى المنزلة الدنية، ورجب فيها، وأثر الدنيا على الآخرة، واتبع أهواءه النفسية، فمثل أو صفة هذا الرجل كمثل الكلب، إن تطارده وتزجره يلهث وإن تركه يلهث، والمراد أنه مكروب دائماً، يركض وراء الدنيا، ذلك المثل الخسيس مثل القوم المكذبين بآياتنا من اليهود والمشركين وغيرهم، بعد أن علموا بها، فاقصص أيها النبي القصص الحق على هؤلاء المكذبين، ليتفكروا بها ويتعظوا.

١٧٧- بش وحب وحب وصف القوم الذين كذبوا بآياتنا المنزلة على رسلنا بقبح أفعالهم، وإنهم يظلمون أنفسهم بالتكذيب.

١٧٨- من يوفق الله للإيمان والخير واتباع القرآن، فهو المهتدي حقاً، ومن يخذله ولا يوفقه للخير، فأولئك هم الخاسرون خسارة كاملة.

١٧٩- ولقد خلقنا جنهم كثيراً من الجن والإنس، ونحن نعلم مصيرهم سابقاً؛ لأنهم يعمل أهل النار يعملون، لهم قلوب لا يفهمون بها الحق، ولهم أعين لا يبصرون بها أدلة قدرة الله ووحدانيته، ولهم آذان لا يسمعون بها الآيات والمواعظ سماع تدبر واتعاظ، أولئك الموصوفون بما ذكر كالبهائم في تعطيل الطاقات المدركة والحواس، بل هم أضل من البهائم؛ لأنها تعرف ما ينفعها وما يضرها، فتقدم أو تحجم، والكفار لا يميزون بين النافع والضار كما كلفهم به الله، أولئك هم الغافلون.

١٨٠- والله الأسماء الحسنى الدالة على أكمل الصفات وأشرفها، كالغفور الرحيم العليم القدير، فاذكروه ونادوه بها قائلين: يا رحمن يا رحيم يا حليم يا غفور... الخ فإنه إذا دعي بها، كان ذلك أقرب للإجابة، واتركوا المشركين الذين يميلون عن الحق بتحريف هذه الألفاظ، كالنطق بلفظ الجلالة «أه» أو تحريف معانيها بالتشبيه بالمخلوقات، أو منافاة الكمال المطلق كتفسير علم الله تعالى وسمعه وبصره بصفات المخلوقين، أو بالتغيير واشتقاق أسماء منها لألتهم، كما فعل المشركون، حيث اشتقوا اسم اللات من «الله» والعزى من العزيز، ومناة من المنان، أو بالزيادة عليها أو

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ لَا يَصْبُرُونَ بِهَا وَهُمْ ذُرِّيَّةٌ لِّأَلْسِنَتِهِمْ لِيَلْمُوا بِهَا وَأَلَّا يَحْسَبُوا أَنَّهَا قَوْلُ رَبِّهِمْ أَذَانٌ لَّيْسَمُوعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلَّغْنَا لَكُمُ الْوَعْدَ أَنتَ أَذَانٌ لَّيْسَمُوعُونَ ﴿١٧٩﴾
 وَهُوَ اللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الَّذِينَ يُجَادُونَ فِي أَسْمَائِهِمْ سَجِرُونَ مَا كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أُولَئِكَ يَتفَكَّرُوا مَا يَصَاحِبُهُمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أُولَئِكَ يَنْظُرُونَ فِي مَلَائِكَتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا إِلَّا مَوْجِبَاتُ الْأَمْثَلِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسُورُوكَ كَأَنَّكَ حَتَّىٰ عَنَّا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّا كَرَّ النَّاسِ لَإِعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

النقصان منها. نزلت في رجل من المسلمين، قال في صلاته: يا رحمن، يا رحيم، فقال المشركون: محمد وأصحابه يزعمون أنهم يعبدون رباً واحداً، فما بال هذا يدعو اثنين؟ فنزلت الآية.

١٨١- ومن خلقنا جماعة يرشدون الناس بالحق وإلى الحق والخير، وبالحق يحكمون في أحكامهم.

١٨٢- والذين كذبوا بآياتنا أي القرآن، من أهل مكة وغيرهم، سنأخذهم قليلاً قليلاً إلى الهلاك، من حيث لا يعلمون مصيرهم. والاستدراج: الأخذ بالتدرج درجة بعد درجة إلى مهاوي الهلاك، بإمداد النعم وإهمال الشكر عليها.

١٨٣، ١٨٤- وأمهلهم وأوخر عنهم العقوبة، إن تديبيري الخفي شديد محكم، قوي لا يطاق. أولم يتفكروا بعين العقل أو يتأملوا في شأن رسول الله ﷺ صاحبهم أن ليس فيه شيء مما يدعونه من الجنون، ما هو إلا منذر عقاب الله.

١٨٥- إن هؤلاء لم يتفكروا في الملك العظيم للسموات والأرض وما خلق فيهما من كواكب ونبات وحيوان وغيرها، حتى يهتدوا بذلك إلى الإيمان بالله، وأنه ربما اقترب أجلهم، فيموتوا على الكفر قريباً، فبأي كلام غير القرآن يؤمنون إن لم يؤمنوا به؟!

١٨٦- من لم يوفقه الله إلى الإيمان، فلا هادي له أبداً، وبتركهم في ضلالهم وكفرهم يترددون تائهين.

١٨٧- يسألك اليهود أو قريش عن القيامة متى وقوعها ورسوها (تثبيتها)؟ قل: إنما علمها عند الله لا يعلمها غيره، لا يظهرها لوقتها إلا هو سبحانه وحده، نقل علمها على أهل السموات والأرض، فلا يتوصلون إليه، لا تأتكم إلا فجأة، يسألونك أيها النبي كأنك مبالغ في السؤال عنها حتى تعلمها، قل لهم مؤكداً: إنما علمها خاص بالله تعالى، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الله هو المختص بالعلم بها. نزلت حينما قال اليهود للنبي ﷺ: إن كنت نبياً فأخبرنا عن الساعة متى تقوم؟

١٨٨- قل لهم أيها النبي مؤكداً عدم العلم بالقيامة: لا أملك لنفسي نفعاً، ولا أقدر منع الضرر عني إلا بمشيئة الله والهامة وتوفيقه إياي، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من جلب الخير لنفسي، وتوقيت السوء، وما أصابني شيء من الشر، ما أنا إلا منذر من عصاني بالنار، ومبشر من أطاعني بالجنة، وهم المؤمنون بالله وحده، فليس من مهامي الإعلام بالغيب. قال أهل مكة: ألا يخبرك ربك بالرخص والغلاء حتى نشترى فنربح، وبالأرض التي تجذب لنترحل إلى الأرض الخصبة، فنزلت هذه الآية.

١٨٩- الله الذي خلقكم من نفس واحدة: آدم عليه السلام، ثم خلق حواء زوجة من جنسه وشكله، ليأنس إليها ويطمئن بها، فلما جامعها، حملت منه حملاً خفيفاً هو النطفة، فاستمرت بذلك الحمل دون مشقة أو ثقل، فلما صارت ثقيلة الحمل لكبر الجنين في بطنها، دعا آدم وحواء ربهما، لئن آتيتنا ولداً سليماً صالحاً للحياة من غير نقص، لنكونن من الشاكرين نعمتك.

١٩٠- فلما رزقهما الله ولداً صالحاً سليماً، جعل الزوجان من جنس بني آدم - وليس آدم وحواء

الله شركاء، فيما أعطاهما، فتعاطم الله وتنزه عما يشركون به، بنسبة الولد أو الشريك له.

١٩١- أيشركون بالله الأصنام في العبادة؟ علماً بأنها لا تخلق شيئاً من المخلوقات، حتى تستحق العبادة، وهؤلاء الذين جعلوا شركاء من الأصنام أو الشياطين مخلوقون.

١٩٢- ولا تملك هذه الأصنام لعبادتها نصراً إن طلبوه منهم، ويعجزون عن نصر أنفسهم بدفع المكروه والأذى.

١٩٣- وإن تطلبوا من الأصنام الهداية والرشاد لأنفسهم أو لكم، لا يجيبوا طلبكم، وإذا لم تصلح الأصنام تبعاً، فلا تصلح بالأولى أن تكون متبوعة، وحالهم واحدة، سواء في عدم الإفادة عندئذكم أو سكوتكم؛ لأنهم مجرد أحجار جامدة.

١٩٤- إن هذه الأصنام التي تعبدونها من غير الله، وتجعلونها آلهة: مخلوقات أمثالكم، خاضعون لقدرة الله، ومملوكون لله، فادعوه لهم لنفع أو دفع ضرر، فليردوا عليكم الجواب إن كانوا أحياء، إن كنتم صادقين في جعلهم آلهة، وما تدعون لهم من قدرة على النفع والضرر.

١٩٥- ألهؤلاء الأصنام المعبودة شيء مما لكم من الآلات والأعضاء؟ هل لهم أرجل للمشي، أو أيدي للبطش والعمل بها، أو أعين للبصر بها أو أذان للسمع بها، لا، ليس لهم شيء من الحواس المدركة التي لكم، فكيف تعبدونهم وأنتم أتم خلقاً منهم؟ قل لهم أيها النبي: ادعوا شركاءكم أي الأصنام واستعينوا بهم، ثم افعلوا ما شئتم من وجوه الكيد (التدبير الخفي) علي، فلا تمهلوني ولا تتأخروا في إضرارني وكيدي إن استطعتم. وهذا تحد لإظهار عجز آلهتهم عن كل شيء.

قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ
أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَا سَأَلْتُكُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَخِيَ السُّوءُ
إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّعَمَلِكُمْ فَمَنْ لَبَسَ
مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زُجَجًا لِيَسْكَنَ إِلَيْهَا فُكَّتْ
تَعَشُّهَا حَلَلَتْ حَمَلًا خَفِيًّا فَمَنْزَتْ بِهَا قَلْبًا فَأُنْقَلَتْ
دَعْوَا اللَّهِ فَلَئِمَّا فَكَّتِ
رَبُّهَا إِلَيْنَا إِنَّا إِنَّا صَلَاحًا لِّتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٨﴾ فَلَمَّا
ءَاتَيْنَاهُمَا صَلَاحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَيْنَاهُمَا فَعَلِيَ اللَّهُ
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨٩﴾ أَلَيْسَ لَكُم مَّا لِخَلْقِ سَبِيحًا وَهُمْ يَلْحَقُونَ ﴿١٩٠﴾
وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩١﴾
وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءَ ءَعَابِكُمْ
أَدْعُوهُمْ أَمْ أَنَا نَسِيئُونَ ﴿١٩٢﴾ إِنْ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُ لَكُم فَاذْعُوهُمْ فَلَيْسَ يُجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ﴿١٩٣﴾ أَلَمْ نَزَلْ بِكُمُ الْبُرْهَانَ فَمِمَّا تَدْعُونَنَا
بِهَا أَمْ لَكُمْ ءَعِينٌ يَبْصُرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ
بِهَا قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقْبِلُوا لِيُذَكَّرُوا ﴿١٩٤﴾



١٩٦- إن ناصري ومتولي أموري الله الذي نزل القرآن، وهو يحفظ الصالحين وينصرهم، فكيف أخاف هذه الأصنام؟

١٩٧- والذين تعبدون من غير الله عاجزون عن نصركم ونصر أنفسهم.

١٩٨- وإن دعوتهم الأصنام إلى الهداية والرشاد، لا يسمعون دعاءكم، وترى الأصنام أيها النبي يقابلونك كالناظر إليك، وهم لا يبصرون في أعينهم، لفقدهم الحياة فيها، فكيف يرجى منهم النصر والعون والخير؟!

١٩٩- خذ أيها النبي اليسر من أخلاق الناس، ولا تكلفهم ما يشق عليهم، وأمر بالمعروف، وهو المستحسن عقلاً وشرعاً من الأقوال والأفعال، وأعرض عن أفعال الجاهلين: السفهاء الحمقى، فلا تعاملهم بمثل عملهم من السفاهة والجدال بالباطل.

٢٠٠- وإما يصيبك إصابة من الشيطان، أي يوسوس لك بشيء من الفساد وتخريب الأخلاق، فاستجر بالله والجا إلىه من وساوسه، لدفعها عنك، إنه سميع للدعاء، عليم بالخال.

٢٠١- إن الذين اتقوا ربهم وخافوا عقابه

وأطاعوا أوامره وتركوا ما زجر عنه إذا أصابهم شيء ألم بهم، أي وسوسة ما، تذكروا عقاب الله وثوابه، فإذا هم مبصرون الحق من غيره، ومدركون ببصائرهم الأخطاء ومكائد الشيطان، فيرجعون عن الفساد.

٢٠٢- وإخوان الشياطين من الكفار والمشركين يعاونونهم في الضلال، ثم لا يكفون عن إغوائهم ولا يتباطون. ويقصرون بمعنى يقصرون.

٢٠٣- وإذا لم تأت أيها النبي المشركين المكين بمعجزة مما اقترحوا، أو بآية من القرآن قالوا: هلا اخترعتها من تلقاء نفسك؟ قل لهم: إنما أنا متبع الوحي من ربي، ولست بمخترق للآيات من عندي، هذا القرآن مبصّر للقلوب وبرهان من ربكم يغني عن غيره من المعجزات، فيه يعرف الحق والصواب، وهو حجج وبيّنات، وهو هداية للناس إلى الإيمان، ونعمة من الله لقوم يؤمنون به ويعملون بأحكامه.

٢٠٤- وإذا قرئ القرآن في الصلاة وغيرها، فاستمعوا له بقصد ونية لتفهموا معانيه، واسكتوا عن الشواغل والكلام للاستماع عند تلاوته، لتظفروا برحمة الله عند امتثال أوامره، وسماع آيات كتابه. نزلت في رفع الأصوات في الصلاة خلف النبي ﷺ.

٢٠٥- واتجه إلى ربك بالذكر والدعاء، تذللاً وخوفاً، تسمع نفسك، وتتوسط في الذكر، دون الجهر، فلا ترفع صوتك كثيراً، ولا تسر به بمجرد تحريك اللسان، بالصباح والمساء، ولا تكن غافلاً عن ذكر الله. والغدو: وقت الغدوة أي الصباح، والأصالي: ما بين العصر والغروب.

٢٠٦- إن الملافة الأبرار عند ربك لا يتكبرون عن عبادة الله، ويتزهون عما لا يليق به، وله يصطلون ويخصونه بالعبادة والخضوع، فتشبهوا بهم.

إِنَّ وَتِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ الَّتِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾
وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْمَعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا
أَنْفُسَهُمْ يَبْصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا
وَيَرْهَبُهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ الْعَفْوَ
وَأْمُرَ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِنَّمَا يَرْجِعُكَ
مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ
الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَلِيفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِنَّا
مُهْتَبِصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ
لَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا آخِذَتْنَا
بِقَوْلِ إِنَّمَا آتَيْتُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَافُ مِنْ رَبِّكُمْ
وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ
فَأَسْمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَأَذْكُرْ بِكَ
فِي نَفْسِكَ نَصْرَ مَا وَخِيفَةَ وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ
وَالْأَصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ
لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾



سورة الأنفال

وهي مدنية تتحدث عن أحكام الجهاد والغنائم، نزلت عقب غزوة بدر.

١- يسألونك أيها النبي عن كيفية قسمة الغنائم الحربية، قل: حكمها مختص بالله والرسول، يقسمها الرسول ﷺ بأمر الله تعالى على وفق المصلحة العامة، فاتقوا الله بامتنثال أوامره، واجتنب نواهيه، وأصلحوا الحالة الناشئة عن تفرقكم، وأطيعوا الله ورسوله فيما يأمركم به وينهاكم عنه، إن كنتم مؤمنين حقاً بالله ورسوله، فإن الإيمان لا يتم إلا بالتقوى وإصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله. نزلت في غنائم بدر وفي قسمتها، كيف تقسم، ولن الحكم فيها، أهي للمهاجرين أم للأَنْصَار أم لهما جميعاً.

٢- إنما كاملو الإيمان الذين تخاف قلوبهم عند ذكر الله تهيأ لجلاله وعظمته، وإذا تليت عليهم آيات القرآن، زادتهم تصديقاً، ويفوضون الأمور لربهم، ويثقون به، لا بغيره.

٣- الذين يؤدون الصلاة كاملة بأوقاتها وحقوقها، وينفقون في طاعة الله مما أعطيناهم من الرزق والمال.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا لَبِثَ عَلَيْهِمُ آيَةُ اللَّهِ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَتَّقُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَحْظَرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهُمَا لَكَ وَكَأَنَّهُ وَقُودٌ أَنْ تَعْمُرَ بِهِ دَابِرَ الْكَافِرِينَ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ الْحَقَّ بَاطِلًا وَيَقْطَعُ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيَجْزِيَ الْحَقَّ وَيُسْطَلَّ الْبَطِلُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾

٤- أولئك الموصوفون بما ذكر: هم المؤمنون حقاً وصدقاً بلا شك، لهم عند ربهم منازل عالية رفيعة في الجنة، ومغفرة لذنوبهم، ورزق حسن لا كدر فيه في الجنة.

٥- إن كره الصحابة في كيفية قسمة غنائم بدر مثل كرههم الخروج لموقعة بدر، كانت المصلحة في الحالين على غير ما يتوقعون، كان إخراجك لغزوة بدر من بيتك أي من المدينة المنورة إخراجاً بالحق، متلبساً بالحكمة والصواب، وكان فريق من المؤمنين كارهين الخروج للقتال لقلّة عددهم وسلاحهم.

٦- يجادلوك أيها النبي المؤمنون في الحق والرأي السديد وهو القتال، بعدما ظهر لهم أنهم يتصرون، كأنما يساقون إلى الموت المحقق، وهو مشاهد أسبابه، ناظر إليها، وكان الموت واقع بهم، لشدة خوفهم وكرهاتهم للقتال.

٧- واذكروا أيها المؤمنون حين يعدكم الله إحدى الطائفتين: العير (قافلة قريش من الشام) أو النضير (جيش قريش) أنها ملك لكم، وتتمنون أن طائفة العير غير ذات السلاح تكون لكم، ويريد الله لكم بوعده المؤمنين بالنصر غير هذا وهو نصر الإسلام والمؤمنين لتأييد آياته المنزلة على رسوله، في محاربة المشركين ذوي الشوكة، وأن يستأصل المشركين جميعاً. و﴿دابر الكافرين﴾ أي آخرهم الذي يأتي من ورائهم، وهو كناية عن استئصالهم بالهلاك.

٨- ليعز الإسلام ويثبتته ويعليه؛ لأنه الحق، ويمحق الكفر والشرك ويزيله من الوجود، ولو كره ذلك المشركون من قريش وغيرهم من سائر الكفار.

٩- واذكروا كما علمتم أنه لا بد من قتال النضير (جيش قريش) حين تطلبون من ريكم الإغاثة والنصر على عدوكم، فأجاب دعاءكم واستغاثكم باني معينكم بألف من الملائكة يقاتلون المشركين متتابعين يتبع بعضهم بعضاً، ومتقدمين على صفوف الجيش. نزلت حينما دعا النبي ﷺ ربه قائلاً: اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آتني ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة (الجماعة) من أهل الإسلام، لا تعبد في الأرض.

١٠- وما جعل الله الإمداد بالملائكة إلا بشارة لكم بالنصر، ولتسكن بالإمداد قلوبكم من الاضطراب والخوف الذي عرض لكم، وما النصر في النهاية والحقيقة إلا من عند الله، لا من عند غيره، فلا بد من إرادة الله مع الأخذ بالأسباب، إن الله قوي غالب على أمره، حكيم في كل أفعاله، يضع الشيء في موضعه.

١١- واذكروا حين يلقي الله النعاس عليكم، في الليلة السابقة ليوم القتال، أمناً من تعالي ليذهب عنكم الاضطراب والخوف، وينزل عليكم من السحاب مطراً ليطهركم بالماء من الحدث والجنابة، فقد أنزل الله على جيش المسلمين مطراً حتى سال الوادي، ومن أجل إذهب وسوسة الشيطان عنكم بالخوف، ولتقوية قلوبكم بجعلها صابرة قوية، وتثبيت الأقدام في مواطن الحرب بالمطر الذي اشتد به رخو الأرض.

١٢- واذكر أيها النبي حين ريك لكتاب إمدادات الملائكة أني معكم بالنصر والعون، فثبثوا المؤمنين في القتال وبشروهم بالنصر، سألني الرعب في قلوب الكفار، حتى ينهزموا، فاضربوا الرؤوس، واضربوا أطراف الأصابع من اليدين والرجلين، فإنه إذا ضربت البنان، تعطلت اليد عن القتال.

١٣- ذلك القتل للمشركين بسبب معاداة دين الله ومحاربه، بإخراج المؤمنين من ديارهم واضطهادهم، ومن يعادي الله ورسوله بمخالفة أمرهما، فالله شديد العذاب.

١٤- ذلكم العقاب العاجل في الدنيا للمشركين، فتذوقوه وتحملوا آلامه مغشراً الكفار، وللكافرين عذاب النار في الآخرة.

١٥- يا أيها المؤمنون إذا قابلتم الكفار زاحفين كثيرين مجتمعين، فلا تنهزموا أمامهم، ولا تعطوهم ظهوركم أي لا تفروا ولا تهربوا.

١٦- ومن ينهزم أمامهم يوم الزحف أو القتال إلا إذا كان قاصداً الانحراف إلى جانب آخر، أي متحايلاً ليغلب عدوه بمكيدة، أو منضمماً إلى جماعة أخرى من إخوانه ليقاتل العدو معها، فقد رجع بغضب من الله، والملمج الذي يأوي إليه أو مسكنه في الآخرة هو جهنم، وبس المرجع هي، وما آل إليه من عذاب النار.

إِذْ تَسْتَفِينُونَ رَيْبَكُمْ فَاتَّسَبَّابَ لَكُمْ أُنِي مُخَذِّكُمْ بِالْفِ
مِنَ الْمَلَكِ مُرْدِفِينَ ① وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرًا
وَلِطَمَعِينَ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ② إِذْ يَغْشِيكُمُ النَّعَاسُ أَمَنَةٌ مِنْهُ
وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم
رِجْسَ السَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُنَبِّئَ بِهِ الْأَفْئَامَ ③
إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَكِ أَنْ مَعَكُمْ قَوْمٌ الَّذِينَ آمَنُوا
سَأَلُو فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ
الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ④ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
سَأَفَرُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ ⑤ ذَلِكَ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ
عَذَابَ النَّارِ ⑥ سَأَلِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيْتَهُ الَّذِينَ
كَفَرُوا زَعْماً فَلَا تُولُوهُمْ الْأَذْبَانَ ⑦ وَمَنْ يُولِهِمْ يُؤمِدْ
ذُبْرَهُ وَالْأُمُحْرَفَاتِ لِقَتَالِ أَوْ تَحْتِياً إِلَى فِتْنَةٍ فَفَدَّ بَاءً
بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَيَسُّ الْمُنْصِرُ ⑧

فَلَوْ تَقَشَّرُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَاتَلَهُمْ وَمَا زِمْتِ إِذْ زَمَيْتِ
 وَلَكِنَّ اللَّهَ زَمَىٰ لِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا
 إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَلِكَ وَأَنَّ اللَّهَ مُهِمٌّ كَبِيرٌ
 الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ إِنْ سَأَلْتَهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ
 تَنَهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ رَعُدْتُمْ وَأَنْتُمْ تَعْرِفُونَ عَنْكُمْ
 فَمَنْكُمْ سَيِّئًا وَلَوْ كَذَّبْتُمْ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَا أَيُّهَا
 الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَاتَّبِعُوا
 نَجْوَىٰ مَنْ لَا يُسْمِعُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ يَا أَيُّهَا
 الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ
 لِمَا حَيِّبْكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَٰهٌ
 مُّخْتَصِرٌ ﴿٢١﴾ وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا
 مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾

١٧- فلم تقتلوهم بيدت بقوتكم، ولكن الله قتلهم بتأييده وتهيته أسباب النصر، وما رميت أيها النبي في الحقيقة وجوه المشركين، حين رميت بالخصي، ولكن الله رمى وجوههم فأثرت الرمية فيهم وأوصلها إليهم، وليختبر المؤمنين بالنصر اختباراً حسناً بالنعمة العظيمة، لا بالنقم، ليشكروه، إن الله سميع لأقوالهم ودعائهم، عليم بأحوالهم. نزلت في رمي النبي ﷺ يوم بدر قبضة من حصباء الوادي، حين قال للمشركين: شاهدت الوجوه، ورماهم بتلك القبضة، فلم يبق عين مشرك إلا دخلها منه شيء.

١٨- ذلكم الحادث في بدر لاختبار المؤمنين وإضعاف تدابير الكافرين ومؤامراتهم.

١٩- إن تستفتحوا أيها الكفار بأن تطلبوا الفتح والنصر في الحرب، فإنهم حين خرجوا من مكة سألو الله أن ينصر أحق الطائفتين بالنصر، فقد جاءكم حكم الله بنصر الحق، ودحر الباطل، وهلاك المبطلين، وإن تنهوا عن الكفر وحرب الرسول، فهو خير لكم في الدنيا والآخرة، وإن تعودوا الحرب المسلمين وقتالهم، نعد لنصرتهم عليكم وتأييدهم، ولن تدفع عنكم جماعتكم شيئاً من الهزيمة، مهما كثرت، وأن الله مع المؤمنين بالنصر والتأييد، ومن كان الله معه فهو المنتصر. نزلت

حينما قال أبو جهل: اللهم انصر أعز الفئتين، وأكرم الفرقتين. وقال المشركون مثل ذلك.

٢٠- يا أيها المؤمنون أطيعوا الله ورسوله فيما يأمركم به وينهاكم عنه، ولا تعرضوا عنه إذا ناداكم بمخالفة أمره، وأنتم تسمعون القرآن والمواظ.

٢١- ولا تكونوا كالمتنافقين والمشركين واليهود الذين تظاهروا بالسمع، وسمعوا بأذانهم من غير فهم ولا عمل، وهم في الواقع لا يسمعون أبداً سماع تدبر وفهم.

٢٢- إن شردم داب على الأرض في حكم الله: الصم عن سماع الحق، الخرس عن النطق بالحق، الذين لا يعقلون ولا يدركون ما فيه النفع والضرر.

٢٣- ولو علم الله في نفوس هؤلاء المعرضين ميلاً إلى الخير، واستعداداً للإيمان والاهتداء بنور الإسلام، لأسمعهم سماع تفهم وانتفاع. ولو أسمعهم ذلك. على سبيل الافتراض. لأعرضوا عنه، وهم معرضون عن قبول الإيمان عناداً وجحوداً.

٢٤- يا أيها المؤمنون أطيعوا الله والرسول بالطاعة والالتقياد وتنفيذ الأوامر، إذا دعاكم لما فيه حياتكم وصلاحكم وعزتكم، من علوم الشريعة أو الدين، واعلموا يقيناً أن الله يحول بين المرء وبين ما يطمناه قلبه من طول الحياة، بأن يميتة فجأة، فلا يستطيع الإيمان والعمل، أي لا تأخروا عن فعل الخير، فقد يعاجلكم الموت، ثم تجتمعون إلى الله وترجعون إليه، يوم القيامة، فيجازيكم على أعمالكم.

٢٥- واحذروا أيها المؤمنون الوقوع في محنة وبلاء، وصراع على متاع الدنيا، فيصيب الضرر الجميع، ولا يقتصر على الظالمين فقط، واعلموا أن الله شديد العذاب لمن خالفه وعصاه. والمراد التحذير من الفتن ومقاومة المعتدين.



٢٦- واذكروا أيها المهاجرون حين كنتم قلة مستضعفين في أرض مكة، تخشون أن يأخذكم بسرعة كفار مكة، أو غيرهم، فيقتلوكم أو يعذبوكم، فجعل لكم مأوى تتحصنون به في المدينة، وأعانكم بالنصر في المعارك التي منها يوم بدر، وأزركم بالأصهار، ووزقكم من مستلذات الدنيا، ومنها الغنائم، لتشكروا الله على هذه النعم التي أنعم بها عليكم. روى الطبري عن قتادة ما يدل على أن الآية نزلت في العرب حين كانوا أذلاء، يتحكم فيهم الفرس والروم، ثم أعزهم الله بالإسلام وتوسع البلاد، مما يوجب الشكر على نعم الله تعالى.

٢٧- يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا عهد الله والرسول بتعطيل الفرائض وتعدي الحدود والمحارم، وإفشاء الأسرار للمشركين، ولا تخونوا أماناتكم: كل ما ائتمتم عليه من الديون والحقوق، وأتمت تعلمون كون ذلك الفعل خيانة، أي عن عمد لا عن نسيان، وتعلمون عقوبة الخيانة. نزلت الآية في أبي لبابة: مروان ابن عبد المنذر حين أخبر حلفاءه بني قريظة بما عزم عليه النبي ﷺ من قتلهم بعد حصارهم إحدى وعشرين ليلة.

٢٨- واعلموا أنما أموالكم وأولادكم سبب فتنة

واختبار، لمعرفة تغليب جانب الله وشرعه أو التقصير فيه بالحرص على المال ومحابة الأولاد، والله عنده ثواب عظيم، فعاظوه خير لكم من الأموال والبنين، فلا تضيعوا حق الله بمراعاة مصالح الأموال والأولاد.

٢٩- يا أيها المؤمنون إن تتقوا الله بطاعته وتجنب معصيته، يجعل لكم نوراً تفرقون به بين الحق والباطل، وعلماً نافعاً، ونصراً على الأعداء، ويمحو عنكم ذنوبكم، والله صاحب الفضل العظيم، يعطي الثواب الجزيل.

٣٠- واذكر أيها النبي حين يتأمر عليك المشركون في دار الندوة بمكة ليحبسوك، أو يقتلوك أو يخرجوك من مكة مقهوراً، ويتأمر عليك في الخفاء، والله يرد كيدهم ويطل مكرهم، والله خير المجازين على المكر. نزلت في تأمر المشركين في مكة في دار الندوة على قتل النبي ﷺ بمشاركة القبائل.

٣١- وإذا تتلى على المشركين آياتنا في القرآن، قالوا: قد سمعنا ما تتلوه علينا، لو أردنا أن نقول مثل هذا لفعلنا، ما هذا القرآن إلا أكاذيب السابقين وأخبارهم غير الموثوقة.

٣٢- واذكر أيها النبي حين قال المشركون: اللهم إن كان الذي يقرؤه محمد، هو الحق المنزل من عندك، فأمطر علينا حجارة من السماء تهلكنا بها كما فعلت بقوم لوط، أو اتتنا بنوع آخر من العذاب الشديد. نزلت في النصير ابن الحارث لما قال: إن هذا إلا أساطير الأولين، ثم دعا بما ذكر، عناداً وجحوداً واستهزاء.

٣٣- وما كان الله ليعذب قومك عذاب استئصال كما سألوا، وأنت موجود فيهم، إكراماً لك، وما كان الله معذبهم بمكة، وهم يستغفرون الله، قائلين في طوافهم حول الكعبة: غفرانك، أو فيهم مسلمون مستضعفون يستغفرون الله. نزلت حين قال أبو جهل بن هشام: ﴿اللهم إن كان...﴾. وآخر الآية نزلت حين كان المشركون يطوفون بالبيت ويقولون: غفرانك غفرانك.

وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخطفَكُمُ النَّاسُ فَتَأْوِلُكُمْ وَأَيُّكُمْ بَصِيرَةٌ وَرَزَقَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَحُونُوا أُمَّتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُخْرِجَكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَخْرُجُكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِن عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بَعْدَ الْعَذَابِ أَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾

وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يُصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ
 الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُنَافِقُونَ
 وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ
 عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ
 بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ
 أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُفْسِقُونَهَا ثُمَّ
 يَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ ثُمَّ يَغْلِبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
 إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِزَ اللَّهُ الَّذِينَ
 أَطَّيَّبُوا وَيَجْعَلَ الَّذِينَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا
 فَيَجْعَلُهُمْ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُلِ الَّذِينَ
 كَفَرُوا إِنْ يَنْهَوُا عَنْ فَكْرِهِمْ مَا فَدَسَفَ وَإِنْ يَعُودُوا
 فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَدْ تَلَّوْهُ حَتَّىٰ
 لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي اللَّهِ فَإِنْ أَنْتَهُوا
 فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا
 أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٤٠﴾

٣٤- ولم لا يعذبهم الله دون الاستئصال أو الهلاك العام، بقتل بعضهم أو أسرهم، لما فعلوا من القبائح، فهم يمنعون المؤمنين عن دخول المسجد الحرام وأداء المناسك، وما صح أن يكونوا أصحاب الولاية على الحرم مع إشراكهم وعداوتهم الرسول، ما أولياؤه إلا المؤمنون الأتقياء الذين يتقون الشرك والمعاصي، ولكن أكثر المشركين لا يعلمون إلا ولاية لهم عليه.

٣٥- وما كان أداء صلاتهم عند الكعبة إلا تصفيراً وتصفيقاً، وليس عبادة صحيحة فيها تعظيم الله على النحو المشروع، فذوقوا أيها المشركون عذاب الدنيا كما حدث لكم يوم بدر، وعذاب الآخرة بسبب كفركم بالله وتكذيبكم رسوله. قال ابن عمر: كانوا يطوفون بالبيت ويصفرون ويصفقون، فنزلت هذه الآية.

٣٦- إن الكفار المشركين ينفقون أموالهم لمنع الناس عن الدخول في الإسلام، إنهم ينفقون أموالهم، ثم تصير العاقبة أن يكون إنفاقهم ندامة والمأ، ثم يغلبون في الدنيا، ويساق الكفار الذين ماتوا على الكفر إلى نار جهنم، ليجازوا بعملهم. نزلت حينما بدأ كفار قريش بعد موقعة بدر بجمع المال لحرب النبي ﷺ والثأر منه.

٣٧- فعل الله سبحانه ذلك ليفصل الفريق الكافر عن الفريق المؤمن، ويجمع الفريق الكافر بعضهم إلى بعض متراكماً أو متراكباً بعضه على بعض، ثم يلقيه في جهنم، أولئك الكافرون هم الخاسرون في الدنيا والآخرة.

٣٨- قل أيها النبي لكفار أهل مكة: إن يتتبعوا عن شركهم ومعاداتهم المؤمنين وقتالهم بالدخول في الإسلام، يغفر لهم ما قد مضى من العداوة والكفر والمعاصي، ترغيباً في الإسلام، وإن يعودوا إلى قتالكم، فقد تقررت سنة (طريقة) الله في عقاب الماضين بالتدمير والهلاك، فليتوقعوا مثله.

٣٩- وقاتلوا أيها المؤمنون المشركين حتى لا يبقى شرك وتعذيب للمسلمين بمكة وغيرها، ويكون الدين كله لله وحده، ولا يعبد غيره، فإن انتهوا عن الكفر، فإن الله بصير بأعمالهم، فيجازيهم على إسلامهم وترك كفرهم.

٤٠- وإن أعرضوا عن الإيمان، ويقوا على الكفر، فاعلموا معشر المؤمنين أن الله متولي أموركم وناصركم عليهم، نعم المتولي المعين، ونعم الناصر، فلا يتخلى عن نصره.



٤١- واعلموا أيها المسلمون أن الغنيمة: وهي مال الكفار إذا ظفر به المسلمون عنوة على وجه الغلبة والقهر تخمس، فأربعة أخماسها للغائبين القتالين، والخمس يقسم خمسة أسهم، سهم الله والرسول يصرف في مصالح المؤمنين العامة، وسهم لقراية النبي ﷺ من بني هاشم وبني المطلب، وسهم للأطفال الأيتام الذين مات أبائهم قبل البلوغ، وهم فقراء، وسهم للمساكين المحتاجين، وسهم للمسافر المتقطع في سفره عن بلده، من المسلمين، إن كنتم مصدقين بالله وبالقرآن المنزل على نبيه محمد ﷺ يوم بدر، يوم الفرقان الذي فرق الله فيه بين الحق والباطل، وأهل كل منهما، يوم التقى جمعا المسلمين والمشركين، والله قادر على كل شيء، ومنه نصركم مع قتلتم وكثرة أعدائكم.

٤٢- واذكروا يوم الفرقان حين كنتم معسكرين بالجانب الأدنى من الوادي القريبة من المدينة، وأعداؤكم معسكرون في الطرف المقابل بناحية الوادي البعيدة عن المدينة، وقافلة أبي سفيان (العيبر) في مكان أسفل مما أنتم فيه، وهو ساحل البحر، ولو تواعدتم أنتم وجيش قريش (التفكير)

على اللقاء والقتال في هذا الموضع، لاختلفتم ولما اجتمعتم في ترتيب هذا الموعد على هذا النحو، ولكن جمع الله بينكم بغير ميعاد، ليحقق الله أمرا كان مقدرًا له في علمه أن يتم، وهو نصر المؤمنين وخذلان الكافرين. فعل الله ذلك ليكفر من كفر بعد حجة ظاهرة قامت عليه، ويؤمن من يؤمن بعد حجة واضحة لا شبهة فيها، وإن الله لسميع لأقوالكم، عليم بأحوالكم. ويلاحظ أن المراد بالهلاك في الآية: الكفر لأنه سببه، والمراد بالحياة: الإيمان؛ لأنه سببها، فالإيمان حياة، والكفر موت.

٤٣- واذكر أيها النبي حين أراك الله في المنام المشركين قبل المعركة أنهم عدد قليل، فأخبرت أصحابك، فتحمسوا وثبتوا، ولو أراك إياهم عددا كثيرا لجبتم أيها المؤمنون، ولاختلفتم في أمر القتال، والواقع أن جيش قريش كان فوق الألف، وجيش المسلمين ٣١٤ فقط، ولكن الله سلم وعصم من الجبن (أو الفشل) والتنازع، فقللهم في عين النبي ﷺ، إنه سبحانه عليم بما في القلوب.

٤٤- واذكروا أيها المؤمنون حين يريكم الله أعداءكم قليلا نحو سبعين أو مئة كيلا تهابوهم، ويجعلكم قليلا أقل من ٣٠٠ في عين المشركين، كيلا يستعدوا كثيرا لقتالكم، ويتجرأ كل فريق على القتال، ليحقق وينفذ الله قضاءه في التمهيد للحرب، ونصر المؤمنين، وإذلال الكافرين، وإلى الله تصير أمور المخلوقات، فيجازي كل واحد بما صنع. وهذا كله قبل بدء المعركة، أما بعد بدئها، فإن الله أرى المسلمين لأعدائهم مثلي عددهم لتتهار قواهم، كما في آل عمران [٣/١٣].

٤٥- يا أيها الذين آمنوا إذا حاربتهم جماعة كافرة مقاتلة، فاثبتوا لقتالهم ولا تنهزموا، وادعوا الله كثيرا بالعون والنصر، لتفوزوا بالخير في الدنيا والآخرة.

وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُمْسَهُ وَلِلرَّسُولِ
وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآبَائِنَا السَّبِيلِ
إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ
يَوْمَ التَّفَاقُحِ لِمَعْمَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٤١ إِذْ أَنْتُمْ
بِالْعُدُوِّ الذَّنْبِيَّ وَهُمْ بِالْعُدُوِّ الْفُصُوحَىٰ وَارْتَكَبُ
أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ
وَلَكِنْ لِيُضَيِّقَ اللَّهُ أَمْرَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُعْضِلِيهَا مَنْ
هَلَكَ عَنْ بَيْتِهِ وَيُحِي مِنْ حَتَّىٰ عَنْ بَيْتِهِ وَإِنْ بَلَغَ اللَّهُ
لَسَمِيعٌ عَلَيْهِ ٤٢ إِذْ يُرِيكُمْ اللَّهُ فِي مَنَامِكُمْ قَلِيلًا
وَلَوْ أَنَّ رُكُوكُمْ كَثِيرًا فَقَسَدْتُمْ وَلَسْتُمْ عَنْهُ فِي الْأَمْرِ
وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ٤٣ وَإِذْ
يُرِيكُمْوهُ إِذْ التَّفَاقُحِ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ
فِي أَعْيُنِهِمْ لِيُضَيِّقَ اللَّهُ أَمْرَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُعْضِلِيهَا وَإِلَى اللَّهِ
تُرْجَعُ الْأُمُورُ ٤٤ بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً
فَاتَّبَعُوا وَادَّكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٤٥

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَسْزِعُوا فَتَنَسَلُوا وَتَذَهَبَ
 رِيحُكُمْ وَأَصِيرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا
 كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِيقَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ
 عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَّ
 لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ
 مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَمَاتَا تَرَءَاتِ الْوَيْتَانِ نَكَصَ
 عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَصِيرٌ فَمَنْ كَانَ لَكُمْ آيَاتٌ مِمَّا لَا
 تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ
 الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ
 وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَى
 إِذْ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَالْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ
 وَأَذْذِبُ رُءُوسَهُمْ وَأَنْزَلْنَا عُذَابًا أَنْزَلْنَاهُ لِكُلِّ بَدَنٍ
 آيَاتٍ كُفْرًا وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ كَذَابِ
 آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ
 اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥١﴾

٤٦ - وأطيعوا الله ورسوله في الأمر والنهي على السواء، ولا تختلفوا فيما بينكم، فتجنوا وتذهب قوتكم ويأسكم ويفوت النصر، واصبروا على الشدائد ومكاره الحرب، إن الله مع الصابرين بالنصر والعون.

٤٧ - ولا تكونوا أيها المسلمون كالمشركين الذين خرجوا من ديارهم يوم بدر بزعامة أبي جهل، متفاخرين بقوتهم ومنعتهم، ومرآة للناس ليمدحهم بأنهم أقوياء ويمنعون الناس عن الهداية والدخول في الإسلام، والله محيط علمه بما يعملون، فلا تخفى عليه خافية.

٤٨ - واذكروا حين حسن الشيطان للمشركين الخروج لقتال المسلمين، وأوهمهم أنهم على حق في هذا القتال، وألقى في قلوبهم بوسوسته أنه لن يغلبكم أحد لقوتكم وكثرتكم ووفرة سلاحكم، وإني مجير لكم من كل عدو، وناصركم، فلما التقت الجماعة المؤمنة والكافرة في ساحة المعركة ورأت كل منهما الأخرى، تراجع هارباً، أي رجع القهقري، وقال لهم: إني بريء من جواركم، إني أرى ما لا ترون من الملائكة الذين جاؤوا للنصرة المؤمنين، إني أخاف الله أن يهلكني، والله شديد

العقاب لمن عصاه وتمرد على أوامره. لقد جاء الشيطان لقريش في صورة سراقه بن مالك، من بني بكر بن كنانة، وكانت قريش تخاف من بني بكر أن يأتوهم من ورائهم.

٤٩ - واذكروا حين يقول المنافقون (الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر) والذين في قلوبهم ضعف إيمان (وهم الشاكون من غير نفاق، لحداثة عهدهم بالإسلام): اغتر هؤلاء المسلمون بدِينهم، وتوهموا أنهم سيصتصرون من أجل دينهم، ولو كانوا قلة ضعافاً، قل لهم أيها الرسول: ومن يفوض أموره إلى الله ويعتمد عليه ويتق به، يغلب عدوه، لأن الله قوي لا يغلب، حكيم في صنعه وتدبيره، فسيهزم الأعداء.

٥٠ - ولو ترى أيها الرسول حال الكفار، حين تتوفاهم الملائكة، لرأيت أمراً عظيماً مخيفاً، فهم يضربون وجوههم وظهورهم بمقامع من حديد، وينزعون أرواحهم بشدة وعنف، ويقولون لهم: تدو قوا عذاب النار الشديد الإحراق.

٥١ - ذلك التعذيب لمشركي قريش في بدر واقع بسبب ما كسبتم من الكفر وظلم المؤمنين والمعاصي، وبسبب أن الله لا يظلم العباد إطلاقاً، فقد أنزل الكتب وأرسل الرسل لهدايتهم، فأعرضوا عن ذلك.

٥٢ - العادة في عذاب هؤلاء المشركين، كالعادة الدائمة الماضية لله في تعذيب قوم فرعون ومن قبلهم من طوائف الكفر، إنهم كفروا بآيات الله المنزلة الدالة على وحدانية الله وتفرده بالعبادة، وكذبوا الرسل، فأهلكهم الله بسبب معاصيهم من الكفر والتكذيب، إن الله قوي بأسه، شديد عقابه لمن كفر به وعصاه.

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ تَوَكَّلَ عَلَيْكَ فَمَا أَتَى عَلَى الْقَوْمِ حَتَّى
 يُعِيرُوا نَمَائًا بِنَفْسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَذَابٌ
 آلُ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ
 فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلُّ كَانُوا
 ظَالِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ سَرَ الْأَوَابِ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ
 لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ
 فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِنَّمَا تَتَّقِ الَّذِينَ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ
 بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِنَّمَا تَحْفَاقُ مِنْ قَوْمٍ
 خِيَانَةٍ فَاذْبُذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَإِيحْيِي الْحَيَاتِينَ
 ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُجْرُونَ ﴿٥٩﴾
 وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ
 بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَوَدَّ الْآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ
 اللَّهُ بَسْمَلُهُمْ وَيَمَانُفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُؤَفِّقُ
 إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنْ يَحْسَبُوا لَسَلَمْنَا فَاجْتَحِ
 لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾



٥٣- ذلك التعذيب للكفرة بسبب أن سنة الله هي الأبدل نعمة بنعمة، أو يسلب نعمة أنعمها على قوم، حتى يبدلوا نعمتهم كفرًا، فيكفروا بنعم الله، ويهملوا أو امره ونواهيته، وأن الله سميع للأقوال، عليم بالأفعال والنيات.

٥٤- حال كفار قريش بما تسببوا به لعذاب الله بالكفر والظلم وتكذيب آيات الله ورسله، كحال وعادة قوم فرعون ومن سبقهم من الأمم الكافرة، كذبوا بآيات ربهم الذي رباهم بنعمه وأفضاله، فأهلكناهم بمعاصيهم، وأغرقنا قوم فرعون معه، وكل من الأم المكذبة كانوا ظالمين أنفسهم بالجوحد والتكذيب. وكررت الجملة للإشارة إلى أن الآية الأولى في كفر العقيدة والوحدانية، والثانية في كفر النعمة والتربية، لذا عبر هنا بلفظ «الرب» لأنه المربي والمنعم، وفي الأولى بلفظ «الله».

٥٥، ٥٦- إن شر ما يبد على الأرض من المخلوقات عند الله في حكمه وعلمه: الذين كفروا، فهم لا يؤمنون بوحدانية الله وكمال قدرته. الذين عاهدتهم ألا يعينوا المشركين، وهم يهود بني قريظة، ثم ينقضون عهدهم المؤكد مرارًا، وهم لا يتقون الله في غدرهم، ولا يخافون عاقبة نقض

العهود. نزلت في بني قريظة نقضوا عهد رسول الله ﷺ وأعانوا عليه بالسلاح في بدر، ثم قالوا: نسينا وأخطانا، فعاهدتهم الثانية، فنقضوا العهد يوم الخندق.

٥٧- فإن تصادفتهم في الحرب، فحقوق بهم ونكل بهم تنكيلاً شديداً، وأرهب من وراءهم من الكفار المشركين، حتى يهابوا جانبك، ولا يجترأوا على محاربتك، لكي يتعظروا بهم، فلا ينقضوا العهود.

٥٨- وإن ظننت أو علمت بظهور أمارات الخيانة، فاطرح إليهم عهدهم وحاربهم، حتى تصير أنت وهم متساوين في العلم بنقض العهد، لثلاثتهم بالصدر، إن الله يعذب الغادرين ويكرههم.

٥٩- ولا يظن الذين نجوا يوم بدر من القتل أنهم فاتوا وخلصوا أو أفلتوا من الظفر بهم وتعذيبهم، إنهم لا يعجزون الله في إدراكهم، ولا يفلتون من العذاب، بل سيجازيهم الله على كفرهم في الوقت المناسب. نزلت في يهود المدينة، وكان زعيمهم الطاغوت كعب بن الأشرف، وهو فيهم كأبي جهل في مشركي مكة.

٦٠- وأعدوا وهينوا أيها المسلمون لأعدائكم كل ما استطعتم من أسباب القوة المادية والمعنوية، التي تحقق النصر، ومن الخيل المعدة للجهاد في سبيل الله، تخوفون بهذا الإعداد كل أعداء الله والمسلمين في كل عصر، وغيرهم من المنافقين واليهود وكل من لا تعرف عداوته، وما تنفقوا من مال قليل أو كثير في الجهاد، تعطوا جزاءه وعوضه في الدنيا والآخرة، ولا تنقصون منه شيئاً.

٦١- وإن مالوا للصالح والمسألة، فمل إلى ذلك، وثق بالله وفوض أمرك إليه فيما تعاهدتهم به، إن الله سميع للأقوال، عليم بالأفعال والنيات.

وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ
بَصِيرَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٦﴾ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا مَأْلَفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ
إِنَّهُ عَزِيزٌ رَحِيمٌ ﴿٦٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ
إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ
يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ صَعْمًا
فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ قَوْمٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ
مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفِينَ يَا ذُنَّ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ
﴿٧٠﴾ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ رَسُولٌ حَتَّى يُمَيِّنَ فِي الْأَرْضِ
تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ لَوْلَا كَتَبْنَا مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَسْتُمْ فِي مَا
أَخَذْتُمْ عَذَابَ عَظِيمٍ ﴿٧٢﴾ فَكُلُوا مِنَّمَا عَمِلْتُمْ حَالًا
طَلِبًا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٣﴾

٦٦- وإن يريدوا بالعهد أو الصلح أن يخدعوك بإضمار الغدر والمكر والاستعداد للحرب، فإن الله كافيك ما تخافه من شرهم بالغدر، هو الذي قواك عليهم بالنصر، وقواك بالمؤمنين الصادقين.

٦٧- وألف الله بين قلوب العرب المتنافرة بالإيمان والإسلام، كما كان الحال بين الأوس والخزرج من الأنصار، من العصبية والافتتال، لو أنفقت أيها النبي ما في الأرض جميعاً من الأموال، ما ألفت بين قلوبهم بسبب العداوة والعصبية المستحكمة، ولكن الله ألفت وجمع بينهم على الهدى، إنه سبحانه قوي لا يغلب، حكيم في صنعه، يفعل ما فيه الخير والمصلحة.

٦٨- يا أيها النبي كافيك شرهم الله وأتباع المؤمنين في المحن والأزمات، وناصرك عليهم. قال الكلبي: هذه الآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال.

٦٩- يا أيها النبي حث المؤمنين حثاً شديداً وحضهم على قتال الأعداء من المشركين وغيرهم، إن يكن منكم معشر المؤمنين عشرون صابرون في المعركة، يغلبوا مئتين، وإن يكن منكم مئة صابرة مقاتلة، يغلبوا ألفاً من الكفار، ذلك بسبب أنهم

أي الكفار قوم لا يدركون حكمة الحرب، ويقاتلون على غير بصيرة.

٧٠- ولما شق ذلك عليهم، رخص الله لهم وخفف عنهم، لما علم من وجود ضعف عن قتال الواحد عشرة أمثاله، وصار الواجب الصمود أمام اثنين فقط، فإن يكن منكم أيها المؤمنون مئة صابرة، يغلبوا مئتين، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين من الكفار الأعداء بإرادة الله ومشيته، والله يعين الصابرين. قال ابن عباس: لما افترض الله عليهم أن يقاتل الواحد عشرة، ثقل ذلك عليهم وشق، فوضع الله ذلك عنهم إلى أن يقاتل الواحد رجلين، فأنزل الله هاتين الآيتين.

٧١- ما كان يصح وينبغي لنبى أن يكون له أسرى يقبل منهم الفداء، حتى يبالغ في القتل في الحرب، ويستقر له الأمر ويعلو سلطانه، تريدون أيها المؤمنون حطام الدنيا ونفعها بأخذ الفداء من الأسرى، والله يريد لكم ثواب الآخرة في الإثخان بالقتل، والله قوي لا يُقهر ولا يُغلب، حكيم في صنعه وتدبيره. نزلت حينما أخذ النبي ﷺ برأي أبي بكر في العفو عن أسرى بدر وقبول الفداء منهم، ولم يأخذ برأي عمر في قتلهم.

٧٢- لولا حكم من الله سبق إثباته في اللوح المحفوظ: ألا يعذب المخطئ في اجتهاده، لأصابكم فيما أخذتم من الفداء عن أسرى بدر عذاب كبير شديد. وفسر الكتاب أيضاً بالأ تعذب أمة محمد عذاب إفناء، أو بمغفرة الله لأهل بدر.

٧٣- فكلوا من الفداء الذي أخذتموه فهو من جملة الغنائم، جعله الله حلالاً طيباً لكم، لا حرمة فيه، واتقوا الله بامتثال أمره، إن الله كثير المغفرة لذنوب عباده المؤمنين، رحيم بهم.

٧٠- يا أيها النبي قل لأسرى بدر الذين هم في أيديكم وأخذتم منهم الفداء، إن يعلم الله في قلوبكم استعداداً للإيمان، وإخلاصاً ونية طيبة، يعوضكم رزقاً أفضل مما أخذ منكم من الفداء، وثواباً جزيلاً في الآخرة، ويغفر لكم ذنوبكم، والله كثير المغفرة للذنوبكم، رحيم بالثائنين.

٧١- وإن يرد الأسرى بعد فدائهم خيانتك بما أظهروا من القول، فقد خانوا عهد الله من قبل بدر بالكفر والمكر، فمكتنكم منهم بيد قتل وأسر، ونصركم عليهم، والله عليم بخلفه، حكيم في صنعته.

٧٢- إن الذين آمنوا بالله ورسوله، وهاجروا من بلادهم لنصرة الإسلام، وجاهدوا بالمال والنفس، وهم المهاجرون، والذين آووا المهاجرين في المدينة المنورة، وهم الأنصار، أولئك بعضهم أولياء (أعوان) بعض في النصر والإرث، والذين آمنوا ويقوا في ديار الكفر ولم يهاجروا منها، ليس عليكم نصرتهم وإعانتهم ولا توارث بينهم وبينهم، ولا نصيب لهم في الغنمة، حتى يهاجروا إلى دار الإسلام، وإن طلبوا نصرتكم لدفع أذى الكفار والمحافظة على دينهم ومنع اضطهادهم،

فوجب عليكم النصر، إلا إذا استنصروكم على قوم معاهدين؛ لأن الميثاق لا بد من احترامه ورعايته، فلا تنصروهم على المعاهدين، والله مطلع على أعمالكم، خبير بكل شيء. والتوارث بالهجرة كان في بادئ الأمر، ثم نسخ وصار التوارث بقرباة الرحم.

٧٣- والذين كفروا بعضهم أنصار بعض، فلا يناصروهم مؤمن، إن لم تفعلوا ما أمرتكم به، تحدث فتنة عظيمة بقوة الكفر وضعف الإسلام، ومفسدة كبيرة في الدين والدنيا. قال رجل: نوزت أرحامنا المشركين؟ فنزلت هذه الآية.

٧٤- والذين آمنوا بالله ورسوله، وهاجروا من بلادهم للنجاة بدينهم، وجاهدوا لإعلاء كلمة الله والدين، والذين آووا المهاجرين في المدينة، ونصروا الإسلام والمسلمين، وهم الأنصار، أولئك هم الكاملون في الإيمان، لهم عند الله مغفرة لذنوبهم، ورزق كريم طيب خالص من الكدر في الجنة.

٧٥- والذين آمنوا بالله ورسوله، وهاجروا من ديار الكفر بعد صلح الحديبية سنة ست، وجاهدوا مع المسلمين في سبيل الله، فأولئك من جملة المؤمنين في الموالاة والمناصرة، وذوو القربى من المؤمنين، بعضهم أولى ببعض في الإرث من التوارث بسبب الهجرة، في حكم الله وشرعه، إن الله عليم بكل شيء، ومنه الانتقال بالتوارث بالهجرة إلى التوارث بالرحم، إلى التوارث بشدة القرابة في سورة النساء. كان الرجل يعاقد الرجل: ترضني وأرثك - أي بالحلف - فنزلت: ﴿وأولوا الأرحام﴾. وقد نسخت هذه الآية التوارث بالهجرة والمؤاخاة.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُم وَيَغْفِرْ لَكُمُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّا لَذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يهاجِرُوا مَا لَكُم مِّنَ لَّيْنِهِمْ شَيْءٌ حَتَّىٰ يهاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُم فِي الَّذِينَ قَعَلْتُمُ الْأَنْصَارِ الْأَعْلَىٰ قَوْمِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّثْقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ لَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءُ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾

سورة التوبة



بِرَاءةٍ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾
 فَيَسْجُأُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعَاهِدِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ
 مُحِبُّ الْمُنْكَرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ
 الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتِغُوا فَتَوْهِنًا
 فِي الْأَرْضِ وَأَنْ تَبْسُتُوا فَيُخَذَ مِنْكُمْ بَضْعَةٌ وَلِيُنْفِضَ اللَّهُ عَنْكُمْ
 الْكُفْرَ وَالَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُواكُمْ شَيْئًا وَنَبَذُوا أَيْدِيَهُمْ
 أَيْدِي الْمُنْفِقِينَ ﴿٣﴾ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ
 الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوا مِنْهُمْ وَاجْتَنِبُوا
 قُرُوبَهُمْ وَاقْعُدُوا لِلْمَكْرِ كُلِّ مَرْصِدًا فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا
 الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤﴾
 وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ
 اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُ قَوْلُهُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾

نزلت في المدينة بعد فتح مكة بعام، في السنة التاسعة من الهجرة، في سنة غزوة تبوك، ولم تبدأ بالبسملة، لافتتاحها ببراءة الله ورسوله من المشركين، والأمر بقتالهم، وإخراجهم من جزيرة العرب.

١- تبرؤ من الله ورسوله من عهد المشركين، وإسقاط لشروط المعاهدة بين المسلمين والمشركين، بسبب نقض الكفار عهدهم.

٢- قولوا للمشركين: أنتم أحرار وسيروا في أنحاء الأرض أربعة أشهر، تبدأ يوم الحج الأكبر في العشر (١٠) من ذي الحجة سنة تسع، يوم إبلاغ هذه السورة، إلى عشر من ربيع الآخر سنة عشر، واعلموا أنكم لا تعجزون الله أو تفوتونه بالهرب منه إذا أراد عقابكم على شرككم، وأن الله مذل الكافرين، ومعذبهم في الدنيا والآخرة.

٣- وإعلام عام من الله ورسوله إلى الناس كافة، يوم الأضحى (الحج الأكبر الذي فيه تمام أعمال الحج) بالبراءة من عهود المشركين الناقضين للعهد،

فهي هدنة لمدة أربعة أشهر، يباح قتال المشركين بعدئذ حيث وجدوا، فإن تبتم من الكفر، فهو خير لكم من البقاء على الشرك والكفر، وإن عرضتم عن الإيمان والتوبة وبقيتم على الكفر، فاعلموا أنكم لن تفلتوا من عذاب الله، بل هو لاحق بكم، وأخبر أيها النبي الذين كفروا فلم يؤمنوا برسالتك، بعذاب مؤلم في الآخرة.

٤- ويستثنى من مدة التأجيل بأربعة أشهر المعاهدون المشركون الذين لم ينقصوا المسلمين شيئاً من شروط العهد، ولم يعاونوا عليكم أحداً من الأعداء، كبنِي ضَمْرَةَ وبنِي كِنَانَةَ، فأكملوا مدة عهدهم التي عاهدتموهم إليها، إن الله يرضى عن المتقين الموفين بالعهد.

٥- فإذا انقضت الأربعة الأشهر التي أمهلهم الله إليها، وهي التي سميت حرماً لتحریم التعرض لدماء المشركين، فقاتلوا المشركين الناقضين للعهد حتى تقتلوهم، حيث وجدتموهم في أي مكان، في الحل أو الحرم، وأسروهم، وامنصوهم من التنقل في بلاد الإسلام إلا بإذن، وراقبوا تحركاتهم حتى لا يفلتوا، وترصدوهم في كل مكان حتى تقبضوا عليهم، فإن تابوا من الكفر، وأقاموا الصلاة المفروضة، وأدوا الزكاة الواجبة، فاتركوهم وشأنهم ولا تؤذوهم، فإنهم صاروا مسلمين، إن الله غفور لمن تاب، رحيم بمن أناب.

٦- وإن طلب الجوار أو الأمان أحد من المشركين، فأمته، حتى يسمع القرآن ويتفهمه، ثم أبلغه المكان الذي يأمن فيه بين أهله، ذلك الأمان المذكور بسبب أنهم قوم لا يعلمون الإسلام أو دين الله وحقيقته، ولا يميزون بين الخير والشر.

٧- كيف يكون: أي لا يكون للمشركين الغادرين عهد عند الله ورسوله، وهم نقضوا العهود، إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام يوم الحديبية، وهم كما تقدم بنو ضمرة وبنو كنانة، فما داموا مقيمين على العهد ولم ينقضوه، فاستقيموا لهم على الوفاء بالعهد، إن الله يرضى عن المتقين المحافظين على أحكام الله، الموفين بالعهد.

٨- كيف يكون للمشركين عهد محترم واجب الوفاء به، وإن يغلبوكم ويتمكنوا منكم، لا يراعوا فيكم حلفاً أو قرابة، ولا عهداً، يرضونكم بالسستهم بكلام معسول، وتأبى قلوبهم الوفاء بالعهد، وتضممر السوء والأذى، وأكثرهم خارجون عن الحق ناقضون للعهد والميثاق.

٩- استبدلوا آيات القرآن عوضاً حقيراً من أعراس الدنيا، فمتعوا الناس عن الإسلام وسبيل الحق، بش هذا العمل الذي عملوه.

١٠- لا يراعون ولا يحافظون على حقوق

المؤمنين، ولا يحترمون حلفاً أو قرابة، ولا عهداً، وأولئك هم المجاوزون الحدود، المبتدئون بالعهد. وهذه الآية ليست تكراراً؛ لأن الآية السابقة لجميع المشركين، وهذه لليهود خاصة.

١١- فإن تابوا عن الشرك، وأدوا الصلاة المفروضة، والزكاة الواجبة، فهم إخوانكم في الدين، مسلمون أمثالكم، لا يحل لكم قتالهم، ونبين الآيات لقوم يدركون الحقائق، ويتفهمون مراد الشرع، ويعلمون أنه تشريع من عند الله تعالى.

١٢- وإن نقضوا عهودهم المؤكدة، من بعد ما عاهدوكم على الوفاء بالعهد، وعابوا دينكم، فقاتلوا زعماء أو صناديد الكفر، إنهم لا عهود لهم، ليتهاوا عن الكفر، وعن مقاتلة المسلمين. وهاتان الآيتان تخيير للمشركين بين أمرين: التوبة أو القتال.

١٣- حض الله تعالى على قتال كفار مكة الذين نقضوا العهد لأسباب ثلاثة وهي: ١- فهلا تقاتلون هؤلاء الناكثين عهودهم، والطاعين في دينكم، ٢- الذين عزموا على إخراج الرسول من مكة، ٣- وهم بدؤوكم بالقتال في المرة الأولى يوم بدر وأحد والخندق وغيرها، أتخافونهم معشر المسلمين؟ فالله وحده أجدر وأولى بالخوف من عقابه، إن كنتم مصدقين بوعد الله ووعيده.

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ
إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْتُمُوا
لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ
وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا تَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وِلَايَةَ
يَرْضَوْنَكُمْ وَأَقْرِبْهُمْ وَأَبْنِ قُلُوبَهُمْ وَأَكْثِرْهُمْ
فَيَسْخَرُونَ ﴿٨﴾ اسْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ مِنَّا قَلِيلًا فَوَصَدُوا
عَنْ سَبِيلِنَا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا تَرْقُبُونَ
فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وِلَايَةَ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٠﴾
فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ
فِي الدِّينِ وَنَقَصْنَا لَآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِنْ
كَفَرُوا أَيْدِيَهُمْ مِنْ بَدْعِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا آيَةَ
الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْهَوْنَ
﴿١٢﴾ أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَتُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا
بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَّءُواكُمْ وَأُولَ مَرَّةٍ
أَتَخَشَوْنَهُمْ فَأَلَّ اللَّهُ أَحْسَنَ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

قَاتِلُوهُمْ وَعَدَّنَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ بِضُرْمِكُمْ عَلَيْهِمْ
وَيَسْفِئُ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيَذْهَبُ عِظَابُ قُلُوبِهِمْ
وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾
أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا أَنْ تَقُولُوا مَا لَمْ يَعْلَمْ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ
وَلَمْ يَخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَبَةٍ
وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلشُّرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا
مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ أُولَٰئِكَ حِطَّتْ
أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ
اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى
الزَّكَاةَ وَلَمْ يَجْشِ إِلَّا بِاللَّهِ فَصَلَّىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ
﴿١٨﴾ أَجْعَلُهُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ
آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوِينَ
عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آمَنُوا
وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْثَمُ
دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾

١٤- قاتلوا معشر المؤمنين أعداءكم بغيرهم والله بأيديكم وعدنهم، ويذلهم بالأسر والانهزام والهوان، وينصرم عليهم نصراً مبيناً، ويشفي بالقتال صدور قوم مؤمنين لم يشهدوا القتال. قال قتادة: ذكر لنا أن هذه الآية نزلت في خزاعة حين جعلوا يقتلون بني بكر بمكة.

١٥- في الآية السابقة أربعة فوائد لقتال الأعداء، وهنا فائدة خامسة: هي إذهاب كرب أو غم قلوب المؤمنين الذين تأذوا بنقض المشركين العهد، ويتوب الله على من يشاء من عباده الذين أسلموا وحسن إسلامهم بمكة يوم الفتح، والله عليم بما يصلح عباده وسرايرهم، حكيم في صنعه وأفعاله.

١٦- أم حسبتم أيها المؤمنون أن تتركوا، فلا تمتحنوا بالجهاد، لتمييز المؤمن من المنافق، ولم يعلم علم ظهور لا وجود، أي لم يظهر الجاهدون للمخلصون منكم في الجهاد من غير المخلصين، والذين لم يتخذوا بطانة من المشركين يفشون إليهم أسرارهم، حال كون البطانة من غير الله ورسوله والمؤمنين، والله عالم بكل شيء، مطلع على كل شيء من أعمالهم.

١٧- ما صح وما ينبغي للمشركين أن يعمروا

مساجد الله معنوياً بالعبادة والملازمة والزيارة، ومادياً بالبناء والترميم وأداء الخدمات، شاهدين بلسان حالهم على أنفسهم بالكفر، حيث عبدوا الأصنام، وأظهروا نُصْب الأوثان، أولئك الذين ماتوا على الشرك، بطلت أعمالهم الخيرية التي عملوها وافتخروا بها، وهم ماكثون في النار على الدوام. قال العباس حين أسر يوم بدر: إن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد، لقد كنا نعمر المسجد الحرام، ونسقي الحجاج، ونفك العاني - الأسير - فنزلت هذه الآية. يعني أن ذلك كان في الشرك وهو غير مقبول.

١٨- إنما يعمر مساجد الله بالعبادة والخدمة من آمن بالله واليوم الآخر، وأقام الصلاة المفروضة في أوقاتها، وأدى الزكاة للمستحقين، ولم يخف أحداً إلا الله، فهؤلاء هم الجديرون بعمارة المساجد، ويرجى أن يكون أولئك فقط لا الكفار من المهتدين إلى الحق والصواب، والخير، ومرضاة الله تعالى.

١٩- أجعلتم أيها المشركون سقاية الحجيج وعمارة البيت الحرام بالخدمة مساوياً لإيمان من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله؟ لا تساوي عند الله بين الفتيين: الكافرة والمؤمنة، فكيف تدعون أيها المشركون أنكم أفضل عملاً ومكانة من المؤمنين؟! فلا فضل لعمل من غير إيمان، والله لا يوفق الكافرين للخير، ولا تنفعهم شيئاً عمارة المسجد الحرام. نزلت للرد على المشركين الذين كانوا يفتخرون بالسقاية والحجاجة (خدمة البيت الحرام) ويعدون ذلك أفضل مآثر قریش، ويفضلونهما على عمل المسلمين. وكان العباس قبل إسلامه يرى ذلك.

٢٠- إن الفريق المفضل: الذين آمنوا بالله ورسوله، وهاجروا من دار الكفر إلى دار الإسلام، وجاهدوا في سبيل الله بالأموال والأنفس، أولئك أعظم رتبة عند الله، وأولئك هم الظافرون بالخير والرضوان وحسن الثواب.



يُشْرِكُوا بِهِمْ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ لَمْ يَكُنْ فِيهَا نَمِيمٌ
 مُقْسِدٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ
 ﴿٢٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ
 أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحْبَبْتُمْ إِلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَبَشِيرٌ
 فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ
 وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ
 وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَبُيُوتٌ تَبْنُونَ كَادَها وَمَسَكِينٌ
 تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي
 سَبِيلِهِ فَتَرْتَضَوْنَ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ قَدِيرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
 الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ
 كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كُنُوزِكُمْ فَأَلْفَوْا
 نَعْنَ عَنْكُمْ مَشِينًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ
 بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ تَلَيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ
 عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا
 وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾

٢١- يشر الله رب هؤلاء بالرحمة السابعة منه، وبالرضوان: وهو الرضا التام الكامل من كل وجه، فهو فوق نعيم الجنة كله، ويجنات لهم فيها نعيم خالد دائم لا يفارق صاحبه.

٢٢- خالدين في تلك الجنات أبداً من غير انقطاع ولا زوال، إن عند الله ثواباً عظيماً لأهل طاعته، كل ما دونه فهو حقير.

٢٣- يا أيها المؤمنون لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أعواناً توالونهم وتطلعونهم على أسراركم، إن فضلوا الكفر على الإيمان بالله ورسوله، ومن يتولهم منكم يجعلهم أمناء سر، ويرضى بهم دون المؤمنين، فأولئك هم الظالمون لأنفسهم؛ لأنهم أضروا بأنفسهم، ورضوا بأهل الشرك. نزلت فيمن يؤثر زوجته وعياله وولده، ويجلس معهم، ويدع الهجرة من مكة إلى المدينة، وذلك عتاباً لهم.

٢٤- قل أيها النبي لمن ترك الهجرة وأثر البقاء مع

أهله: إن كان آباؤكم وأبناؤكم وأزواجكم وأقرباؤكم الأذنون (ذوو القرابة القريبة) وأموال اكتسبتموها، وتجارة تخافون كسادها (عدم رواجها) ومسكن تعجبكم وتميل إليها أنفسكم، أحب إليكم من الهجرة لإعلاء دين الله، وطاعة الله ورسوله، وجهاد من أجل إعلاء كلمة الله، فانتظروا حتى يأتي الله بعقوبته، والله لا يوفق الخارجين عن طاعته. نزلت مع الآية السابقة فيمن ترك الهجرة إلى المدينة لأجل أهله وتجارته.

٢٥- لقد نصركم الله معشر المؤمنين في مواطن عديدة بالرغم من ضعفكم وقوة عدوكم، واذكروا يوم وقعة حنين: وهو وادي بين الطائف ومكة، حين أعجبتكم كثرتكم، فكتم اثني عشر ألفاً، وعدوكم أربعة آلاف، وقتلتم: لن تغلب اليوم من قلة، وضائق عليكم الأرض مع سعتها، ثم تركتم الرسول مع قلة مؤمنة، هاربين منهزمين. قال رجل يوم حنين: لن نغلب من قلة، وكانوا اثني عشر ألفاً، فشق ذلك على النبي ﷺ، فأنزل الله هذه الآية.

٢٦- ثم أنزل الله طمأنينة على رسوله وعلى المؤمنين، فثبتت القلوب وعادوا إلى القتال، لما ناداهم العباس، وأنزل جنوداً لم تروها، وهم الملائكة، لتقوية أرواح المؤمنين، وعذب الكفار بالقتل والأسر وأخذ المال، وذلك جزاء الذين كفروا بالله ورسوله.

سُئِبُوا بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ
 حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ
 نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَعَدَّ عَامِيهِمْ هَذَا
 وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
 إِنَّ سَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَاتِلُوا الَّذِينَ
 لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ
 مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ
 أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ
 صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزْرُ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ
 النَّصَارَى الْمَسِيحُ بْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ
 يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَتَلَّهُمْ
 اللَّهُ أَنَّهُ يُؤَكِّدُ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ
 وَرُءْيَاهُمْ أَزْوَاجًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ
 مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًُا وَاحِدًا
 لَإِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُجَّدًا عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾

٢٧- ثم بعد هذا التعذيب للكفار في الحرب، يتوب الله على من يشاء من عباده الذين تابوا، وأسلموا، والله كثير المغفرة لذنوب التائبين، رحيم بهم.

٢٨- يا أيها المؤمنون إنما المشركون نجاس الاعتقاد، شريرون خبيثاء، بسبب الشرك والظلم وقبح الأخلاق، لا أنجاس الذوات المادية، فلا يدخلوا الحرم المكي والبيت الحرام، ولو بحج أو عمرة، بعد العام التاسع الهجري، الذي حج فيه أبو بكر قائداً للموسم، أي لا تمكنوهم من الدخول، وإن خفتهم فقرأ بانقطاع تجارتهم عنكم، فالله يعوضكم من عطائه ويفضله بالإحسان، إن شاء لكم الغنى، وقد أغناهم بالفتح بالنبي، والحزبية، والأمطار والنباتات والمعادن، إن الله عليم بما يصلح الحال، حكيم فيما يصنع ويدبر. قال ابن عباس: كان المشركون يجيئون إلى البيت، ويجيئون معهم بالطعام يتجرون فيه، فلما منعوا عن أن يأتوا البيت، قال المسلمون: من أين لنا الطعام؟ فأنزل الله: ﴿وإن خفتهم عيلة...﴾

٢٩- قاتلوا أيها المؤمنون الذين لا يصدقون بالله،

ولا بالأخرة وما فيها من الحساب والجزاء والحياة المادية، وليست روحية فقط كما كانوا يقولون، ولا يحرمون الحرم الذي حرمه الله ورسوله كالخمر والربا، ولا يعتقدون بالإسلام الذي هو الدين الحق، من اليهود والنصارى، حتى يلتزموا أداء الجزية: وهي ضريبة مفروضة على الأشخاص القادرين الذين يقيمون في دار الإسلام، وهم عن سعة وقدرة وطاعة من غير امتناع، وهم خاضعون للحكم الإسلامي، ملتزمون أحكام الإسلام وسيادة الدولة الإسلامية. نزلت في أهل الكتاب، فكان أول من أعطى الجزية أهل مجران قبل وفاته ﷺ.

٣٠- قالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح عيسى ابن الله، وهو مجرد قول لا برهان لهم عليه، يشابهون بقولهم هذا في الكفر والشناعة قول الكفار من قبلهم كعبدة الأوثان الذين قالوا: اللات والعزى ومناة بنات الله، والملائكة بنات الله، لعنهم الله وأهلكهم كيف يُصرفون عن الحق إلى غيره مع قيام الدليل على وحدانية الله؟ نزلت في نفر من اليهود قالوا للنبي ﷺ: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا؟ وأنت لا تزعم أن عزيراً ابن الله، فنزلت الآية.

٣١- اتخذ اليهود أحبارهم علماءهم، والنصارى رهبانهم: عبادهم المقطعين للعبادة، اتخذوهم أرباباً من دون الله؛ إذ يطيعونهم فيما أحلوا لهم أو حرموا عليهم، واتخذ النصارى المسيح ابناً لله ورباً معبوداً، ولم يؤمروا في التوراة والإنجيل إلا بعبادة الإله الواحد الذي لا إله غيره، تنزيهاً عما يشركون باتخاذ شركاء لله في الطاعة والعبادة.



٣٢- يقصد أهل الكتاب بأقوالهم الباطلة ومجادلاتهم الزائفة وافتراءاتهم أن يطفثوا القرآن وهدايته، والإسلام وشرعه، بأقوالهم، ويأبى الله إلا أن يظهر ويعلي دينه القويم، وينصر رسوله، ولو كره الكافرون ذلك.

٣٣- الله الذي أرسل رسوله محمداً ﷺ بالهدى الشامل القائم على البرهان والأحكام الصائبة، ودين الإسلام الحق الذي هو الاعتقاد الصواب والتوحيد الخالص، يُعليه ويغلبه على جميع الأديان المخالفة له بالحجة والبرهان ومسانة التشريع، ولو كره المشركون ذلك.

٣٤- يا أيها المؤمنون إن كثيراً من علماء اليهود، وعلماء النصرى، ليأكلون أموال الناس بالباطل كالرشاوى وأثمان الأحكام الباطلة، ويمنعون الناس عن الدخول في الإسلام، والذين يدخرون الذهب والفضة ويتخذون ذلك كنزاً، أي مجموعاً بعضه إلى بعض من غير أداء زكاته، ولا ينفقون الكنوز في مرضاة الله، فبشركم على سبيل التهكم، وأخبرهم وأنذرهم بعذاب شديد الألم. نزلت

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنِيرَ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴿٣٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرَّهْبَانِ لِيَأْكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَطْلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٥﴾ يَوْمَ يُخْسَىٰ عَلَيْهِمَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْفَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمَا وَيُجُنُّبُهُمَا وَظُهُرُهُمَا هَذَا مَا كُنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذَوْرًا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَدِيمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٧﴾

مقدمة الآية في العلماء والقراء من أهل الكتاب، كانوا يأخذون الرشا من سفلتهم، وهي الماكل الذي كانوا يصيبونه من عوامهم. ونزلت مؤخرة الآية في أهل الكتاب والمسلمين الكانزين أموالهم.

٣٥- يوم يوقد على الأموال التي جمعوها في نار جهنم الشديدة الحر، فتحرق بها جباههم وجنوبهم وظهورهم، ويقال لهم تهكماً وتوبيخاً: هذا ما كنتم لتنتفعوا به، فذوقوا عذاب ووبال ما كنتم تكتنون من الأموال التي لم تؤدوا زكاتها، فكل مال أدبت زكاته ليس بكنز.

٣٦- إن عدد شهور السنة القمرية في حكم الله وقضائه اثنا عشر شهراً محددة فيما أثبتته الله في كتابه: اللوح المحفوظ وثبت علمه بها في أول ما خلق الله العالم، من هذه الشهور أربعة محرمة معظمة كان يحرم القتال فيها، ثم نسخ التحريم، وهي ذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم، ورجب، ثلاثة سرد، وواحد فرد، ذلك التقسيم للأشهر وتحريم الأربعة منها هو الدين المستقيم، والحساب الصحيح، فلا تظلموا أنفسكم في هذه الأشهر الحرم بيده القتال فيها، وتتهكوا حرمتها بالمعاصي، فإن الله عظمها، وقاتلوا المشركين جميعاً في المعارك المشروعة، كما يقاتلونكم جميعاً، واعلموا أن الله ينصر المتقين ويعينهم، ومن كان الله معه بالنصر والتأييد، فهو الفائز. وظاهر آية ﴿وقاتلوا المشركين...﴾ إياحة قتالهم في جميع الأشهر، حتى الأشهر الحرم. وآيات تحريم القتال في الأشهر الحرم في سورة البقرة [١٩٤، ٢١٧] وآية المائة [٢] منسوخة بآيات التوبة، لنزولها بعد سورة البقرة بستين.

٣٧- إنما تأخير حرمة شهر إلى شهر آخر زيادة لكفرهم بحكم الله فيه بعد كفرهم بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر، وإضلال لهم من سن لهم ذلك، يحلون النسيء أو الشهر عاماً من الأعوام ويحرمونه عاماً آخر، ليوافقوا بهذا التبديل عددا ما حرم الله من الأشهر الأربعة، فيحلوا ما حرم الله من الأشهر الحرم التي بدلوها بغيرها، فيبقى التحريم لأربعة أشهر في العام، زين لهم الشيطان أعمالهم السيئة، فعدوها حسنة، والله لا يوفق المصرين على كفرهم. قال أبو مالك: كانوا يجعلون السنة ثلاثة عشر شهراً، فيجعلون الحرم صفر، فيستحلون فيه الحرمات، فأنزل الله: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ...﴾.

٣٨- يا أيها المؤمنون ما لكم إذا طلب منكم النفي: الخروج للقتال، تناقستم: تباطأتم عن الجهاد في سبيل الله، وأترتم البقاء في دياركم؟ أرضيتم بنعيم الدنيا بدلاً من الآخرة ونعيمها الدائم، فما التمتع به من لذائذ الدنيا في جنب متاع الآخرة، إلا حقير تافه. قال مجاهد: هذا حين أمروا بغزوة تبوك بعد الفتح وحين، في الصيف حين طابت الثمار، واشتهوا الظلال، وشق عليهم المخرج، فأنزل الله هذه الآية.

إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحَلِّوهُنَّ عَامًا وَيَحْرِمُونَهُنَّ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لِمَنْ سَوَّأَ أَعْمَالَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَرُّوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِذَا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ رَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِنَّا نَنْفَرُوا لِيُعَذِّبَكُمْ عَذَابًا آلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

٣٩- إن لم تنفروا وتخرجوا للجهاد يعذبكم الله عذاباً مؤلماً في الدنيا بالإذلال، ويأت بقوم آخرين بدلكم يطيعون الله وينصرون دينه ودولته، ولا تضروا الله ولا نبيه شيئاً بترك الامتثال والنصرة، والله مقتدر على كل شيء، ومنه نصر دينه ونبيه. قال ابن عباس: استنفر رسول الله ﷺ أحياء من العرب، فتناقلوا عنه، فأنزل الله: ﴿إِلَّا تَنْفَرُوا يَعْذِبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ فأمسك عليهم المطر، فكان عذابهم.

٤٠- إن لم تنفروا نبي الله، فالله ناصرهم ومتكفل به، كما فعل حين أخرجه الكفار من مكة، أي تسبوا في إخراجه وهو أحد اثنين: الرسول وأبو بكر، حين كانا في الغار: أي فجوة في جبل ثور قرب مكة مسافة ساعة، حين يقول الرسول لصاحبه أبي بكر: لا تستسلم للحزن وجاهد نفسك، إن الله معنا بنصره وتأييده، فأنزل الله الطمأنينة والأمان على نفس رسوله، وأعمى أعين المشركين عنه، وأيده بجنود من الملائكة لم تروها كما حدث في بدر، وجعل دعوة الكفار إلى الشرك والكفر وقتل النبي هي المغلوبة المهزومة، وكلمة التوحيد ودعوة الإسلام هي الغالبة، والله غالب قوي في ملكه، حكيم في صنعه، لا يفعل إلا ما فيه حكمة وصواب.

٤١- اخرجوا معشر المؤمنين جميعاً للجهاد في سبيل الله، نشاطاً وغير نشاط، فرساناً ورجالاً، مشاة وركباناً، وجاهدوا حق الجهاد بالمال والنفس من أجل نصره دين الله، ذلكم الأمر بالخير العام والجهاد خير عظيم لكم في حد ذاته في الدنيا والآخرة، إن علمتم أنه خير، وأن في الجهاد عز الدنيا وسعادة الآخرة. نزلت الآية في الذين اعتذروا بالضيعة والشغل، فأبى الله أن يعذرهم، دون أن ينفروا على ما كان منهم.

٤٢- لو كان الأمر الذي تدعو إليه أيها الرسول متاعاً دنيوياً سهل التناول، وسفراً سهلاً متوسطاً معتدلاً، لمشوا معك، أي هؤلاء المتخلفون، ولكنهم استبعدوا السفر إلى غزوة تبوك، وشق عليهم الخروج في زمن الحر، وسيحلفون بالله إذا رجعتم إليه، قائلين: لو أمكننا الخروج إلى لقاء العدو، لخرجنا معكم، يهلكون أنفسهم بالحلف الكاذب، والله يعلم أنهم لكاذبون في أيمانهم.

٤٣- عفا الله عنك أيها الرسول، لم أذنت لهم في التخلف عن الجهاد في غزوة تبوك، وكان عليك التريث لتعلم الصادقين في اعتذارهم والكاذبين منهم الذين لا عذر لهم. نزلت هذه الآية في الإذن للمنافقين من غير وحي سابق، وكان ذلك تركاً للأولى، فقدم الله العفو على العتاب.

٤٤- لا يستأذنك عادة المؤمنون في الجهاد، وإنما يبادرون إليه امتثالاً للأمر المتقدم، والله مطلع على أحوال المتقين الذين يخافون الله، فيطيعون أوامره، وهم الذين لم يستأذنوا في التخلف.

٤٥- إنما يستأذنك في التخلف عن الجهاد الذين لا يؤمنون بالله وأخبرته، وهم المنافقون، والإيمان خير باعث على الجهاد، وإنما هؤلاء شكك قلوبهم في الدين، فهم في شكهم يتحيرون، ويترددون بين الكفر والإيمان.

٤٦- ولو أرادوا بحق وصدق الخروج معك للجهاد، لأعدوا له العدة المناسبة، من السلاح والعتاد واليزاد والراحلة، ولكن كره الله خروجهم معك وتوجههم بنشاط، فحبسهم وعوقبهم عن الخروج بالجن والكسل، وقيل لهم: اقعدوا في منازلكم مع أصحاب الأعداء وأولي الضرر، من العميان والعجزة والمرضى والنساء والصبيان، وفي هذا غاية الذم والازدراء بهم.

٤٧- لو خرج هؤلاء المنافقون للجهاد معكم، ما زادوكم إلا فساداً وشرّاً وفتنة ونجاسة وإضراراً، ولأسرعوا بالمشي أو الدخول فيما بينكم بالنجاسة، يريدون أن يفتنوكم بزخ الخلافات واللقاء الرعب في صفوفكم وذات بينكم، وفيكم قوم ضعاف يستمع إلى كذبيهم وأراجيفهم، والله عليم بالظالمين أنفسهم وبأحوالهم الظاهرة والباطنة، فالحكمة ألا يخرجوا.

أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَلَيْهِمُ الْمَقْتَلُ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ قَبْضَتَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِئَكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا آخَابًا وَلَا وَمَضُوا لَإِخْلَاكُم بِبَغْوِكُمْ أَلْتُنَّةَ وَفَكَّرْتُمْ سَعُونَ لَهُمُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾



لَقَدْ ابْتِغَوْا لَفْتَنَةً مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى
جَاءَ الْحُجُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُم كَارِهُونَ ﴿٤٨﴾
وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَنْصُرَنِي وَلَا يَنْصُرَنِي إِلَّا فِي الْفِتْنَةِ
سَقَطُوا وَإِنْ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِنْ
نُصِبَتْكَ حَسَنَةٌ لَسَوْفَ أَنْ تُنصِبَ كَاصْبِيَةٍ يَقُولُوا قَدْ
أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُلْ لَنْ
يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ
فَلْتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبُّصُونَ بِنَا أَلَّا
يَأْتِيَكُمُ الْحَسَنَاتُ وَإِخْرَاجُكُمْ أَنْ تُصِيبَكُمْ
اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ
مُتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنْصَبُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يَقْبَلَ
مِنْكُمْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا
مَنْعَهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا مِنْهُ نَفَقَاتِهِمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا
بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ
كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٤﴾

٤٨ - لقد أراد المنافقون التخويف من العدو، وطلبوا الفساد، وإيقاع الخلافات بين المؤمنين من قبل غزوة تبوك، وفكروا في تدبير المكائد والحيل لك أيها النبي، وقلبوا آراءهم ليختاروا ما يضرركم، ونظروا في إبطال دعوتك ودينك، حتى أتى النصر والتأييد الإلهي لك، وعلاد دين الله وشرعه بالرغم منهم، وهم كارهون انتصار هذا الدين، على رغم منهم.

٤٩ - ومن المنافقين من يقول لك أيها الرسول: ائذن لي في التخلف عن الجهاد، ولا توقعني في الفتنة: وهي الإثم، بأن لا تأذن لي، لأنني إن تخلفت بغير إذنك وقعت في الإثم، ألا إنهم وقعوا في الفتنة بالتخلف عن الجهاد والنفاق والاعتذار الكاذب، وإن جهنم محيطه بجميع الكافرين، فلا مفر لهم عنها. قال ابن عباس: لما أراد النبي ﷺ أن يخرج إلى غزوة تبوك قال لجد بن قيس: يا جد، ما تقول في مجاهدة بني الأصفر، أي الروم؟ فقال: يا رسول الله، إني امرؤ صاحب نساء، ومتى أرى نساء بني الأصفر أفتتن، فأذن لي، ولا تفتني، فنزلت هذه الآية.

٥٠ - إن تصببك أيها النبي حسنة من نصر

وغنيمة، تُحزن المنافقين، وإن تصببك مصيبة من نكبة أو شدة، قالوا: احتطنا لأنفسنا وابتعدنا عن الخطر وأخذنا بالحرزم، من قبل ذلك، وبُعضوا وهم فرحون بسلامتهم وبما أصابك مع المؤمنين من هزيمة. وسبب النزول: أن المنافقين الذين تخلفوا في المدينة جعلوا يخبرون عن النبي ﷺ أخبار السوء، زاعمين أنه هلك مع أصحابه، فلما بلغهم سلامة النبي وصحبه، ساءهم ذلك.

٥١ - قل لهم أيها النبي: لن يصيبنا شيء إلا ما قدره الله علينا، فنرضى به، هو ناصرنا ومتولي أمورنا، وليفوض المؤمنون أمورهم إلى الله لا إلى غيره.

٥٢ - قل أيها النبي للمنافقين: هل تنتظرون أن يقع بنا إلا إحدى العاقبتين: النصر أو الشهادة، ونحن نتنظر أحد أمرين بكم: أن يعذبكم الله بقارعة من السماء، أو يعذبكم بأيدينا بقتالكم وأسركم، فانتظروا بنا عاقبتنا، ونحن نتنظر عاقبتكم.

٥٣ - قل أيها النبي للمنافقين: مهما أنفقتم في سبيل الله طائعين أو مكريين، لن تقبل نفقاتكم عند الله ولا ثواب لكم، إنكم كنتم قوماً خارجين عن الطاعة، عتاة متمردين. نزلت في الجد بن قيس حين تخلف عن غزوة تبوك، وقال لرسول الله ﷺ: هذا ما لي أعينك به، فتركني.

٥٤ - لا مانع من قبول نفقاتهم إلا لأمر ثلاثة: الكفر بالله وبرسوله حقيقة، ولا يصلون إلا وهم كسالى متشاقلون؛ لأنهم لا يرجون ثواباً ولا يخافون عقاباً، فهم يصلون رياء، ولا ينفقون شيئاً من أموالهم في الجهاد وغيره إلا وهم كارهون غير طائعين؛ لأنهم يعدون النفقة مغرماً.

٥٥- فلا تستحسن ما تجده عند المنافقين من أموال وأولاد، فإنما هي سبب المحنة، وسبب التعذيب في الدنيا بالهم والقلق والحزن ومكابدة المشاق، لتركهم الشكر عليها، وترك ما يجب على الأموال من زكاة وصدقات، وتكون نهايتهم زهوق أرواحهم أو موتهم بآلم حال كفرهم، فيعذبون في الآخرة، ويخسرون الدنيا والآخرة. وهذا استدراج لهم.

٥٦- ويحلفون بالله كذباً إنهم لمن المؤمنين، وما هم في الحقيقة من المؤمنين، فإسلامهم ظاهري، ولا إيمان في قلوبهم، وهم قوم يخافون خوفاً شديداً أن يعاملوا كالمشركين، فيحلفون تقية وتسترأ.

٥٧- لو يجدون حصناً يلتجئون إليه للاعتصام به، أو كهوفاً وسرايب للاستتار فيها عنكم، لثلا تخرجوهم إلى القتال، أو موضعاً يدخلون فيه، لانصرفوا إليه، وهم يسرعون في دخوله باضطراب إسراعاً لا يقاوم كالفرس الجامحة.

٥٨- وبعض المنافقين يعيبك أيها النبي في قسمة الصدقات وتوزيعها، فإن أعطيتهم منها بقدر ما يرغبون، رضوا عنك في القسمة، وإن لم يُعطوا منها ما يريدون، غضبوا وعبأوا وطعنوا في عدلك وقسمتك. نزلت في ذي الخويصرة التميمي حين قال: عدل يا رسول الله، فقال: ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل؟

٥٩- ولو أن هؤلاء المنافقين رضوا بما أعطاهم رسول الله ﷺ من الغنيمة، وقالوا: الله كافينا، سيعطينا الله من فضله شيئاً كثيراً، وسيعطينا رسوله أكثر مما أعطانا سابقاً، إننا راغبون في أن يعطينا الله من فضله، لكان ذلك خيراً لهم.

٦٠- إنما تصرف الزكوات المفروضة لثمانية أصناف: الفقراء الذين لا يملكون شيئاً، والمساكين: الذين لهم مال لا يكفهم، والجابة المخصصين لجباية الزكاة وتحصيلها، والكفار الذين يتألفهم الإمام ليسلموا، أو الذين أسلموا وهم ضعفاء في الإسلام، أو لشراء المماليك واعتاقهم أو لفك عبودية المكاتبين وتحريرهم، والمديون الذين استدانوا لأنفسهم، وعجزوا عن وفاء ديونهم، والمجاهدين والمرابطين في سبيل الله، والمنقطع في سفره عن بلده، وإن كان غنياً في وطنه، فرض الله هذه القسمة فريضة وحكماً لازماً، والله عليم بمصالح خلقه، حكيم في تدبير شؤونهم.

٦١- وبعض هؤلاء المنافقين يعيبون النبي ﷺ أنه يسمع مقال كل أحد ويصدقه، قل: نعم يستمع لكل واحد، ولكنه يسمع الخير لا الشر، ويصدق بالله ويصدق المؤمنين فيما أخبروه به، وهو رحمة لمن آمن منكم، والذين يؤذون رسول الله بالقول أو الفعل، لهم عذاب مؤلم موجه في نار جهنم. نزلت في نبتل بن الحارث الذي كان يجلس إلى رسول الله ﷺ فيسمع منه، وينقل حديثه إلى المنافقين.

فَلَا تُحِبُّكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَرُوفُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُمْ بِكُمْ قَوْمٌ يَمْرُقُونَ ﴿٥٦﴾ لِيُجْزَى عَنْهُمْ أَجْرٌ أَوْ مَعْرَافَاتٍ أَوْ مَدَافِلًا لَوْ لَوْأُوا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْحَدُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ لِيُزَلَّكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَجْحَدُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَاةِ قُلُوبُهُمْ فِي الرِّقَابِ وَالْعَدِيمِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَعُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾



يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُلِّ رِضْوَانٍ وَأَلَّهِ وَرَسُولَهُ أَحْسَنَ
 أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ أَلْيَعْلَمُونَ أَنَّهُ
 مَنْ يُجَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا
 ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٨﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ
 عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَخْرِزُوا
 إِنْ أَلَّ اللَّهُ مَخْرَجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴿٦٩﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ
 لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلِ أَبِ اللَّهِ وَعَآلِهِ
 وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٧٠﴾ لَا تَقْتُزِرُوا
 قَدْرَكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ تَعَفَّيْتُمْ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ
 نُعَذِّبْ طَائِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٧١﴾ الْمُنَافِقُونَ
 وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَنكْرِ وَيَنْهَوْنَ
 عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ سَأَلَا اللَّهَ فَسَيَبْرُهُمْ
 إِنْ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْقٰسِقُونَ ﴿٧٢﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ
 وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكٰفِرَاتِ نَارَ جَهَنَّمَ خٰلِدِينَ فِيهَا
 هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَعَذَابٌ مُعَقِّمٌ ﴿٧٣﴾

٦٦- إذا بلغ المؤمنين طعن المنافقين بالنبي ﷺ
 جاؤوا إليهم يحلفون بالله لكم معشر المؤمنين أنهم
 ما قالوا ما نقل إليكم؛ لإرضائكم بظاهر أيمانهم،
 والله ورسوله أحق بالإرضاء إن كانوا مؤمنين حقاً.
 نزلت في شأن ناس من المنافقين امتدحوا
 المتخلفين في غزوة تبوك، وقالوا: لئن كان ما
 يقوله محمد حقاً على إخواننا الذين هم
 سادتنا وخيارنا لنحن أشرف من الحمير، فلما
 سألهم النبي ﷺ أنكروا، فنزلت فيهم.

٦٧- ألم يعلم المنافقون أنه من يعادي الله
 والرسول، فله نار جهنم خالداً فيها على الدوام،
 ذلك العذاب هو الذل العظيم والهوان الشديد.

٦٨- يخشى المنافقون ويتحذرون أن ينزل الله
 فيهم سورة تخبر المؤمنين بما في قلوبهم من النفاق،
 وتطلعهم على ما في نفوسهم، قل أيها الرسول
 لهم على سبيل التهديد: استهزئوا بما تريدون، إن
 الله مظهر ما تخافون إظهاره من النفاق. قال
 السدي: قال بعض المنافقين: والله لو ددت أني
 قُدمت فجلدت مئة، ولا ينزل فينا شيء
 يفضحنا، فأنزل الله هذه الآية. وهذا دليل على
 إيمانهم بأن الرسول حق يتلقى عن الله الوحي.

٦٥- ولئن سألت أيها الرسول المنافقين عن استهزائهم بالدين والقرآن وبك، في طريقهم إلى تبوك، لقالوا
 معتذرين: إنما كنا نخوض في الحديث للتسلية، ونمزح لنقطع به الطريق، قل لهم: أنستهزئون بالله وآياته
 ورسوله؟ أليس لكم مجال آخر للحديث غير ذلك؟ وهذا تكذيب لإنكارهم، وانتزاع الاعتراف بوقوع ذلك
 منهم. نزلت في ناس من المنافقين في غزوة تبوك إذ قالوا: يرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام
 وحصونها؟ هيهات له ذلك، فأطلع الله نبيه على ذلك، فسألهم، فقالوا: يا رسول الله، إنما كنا
 نخوض ونلعب، فنزلت.

٦٦- لا تعتذروا أيها المنافقون، فعذركم غير مقبول، قد كفرتم بالاستهزاء المذكور بعد إظهار الإيمان، إن
 نغف عن جماعة منكم تابوا وتركوا النفاق. وهذا ترغيب في التوبة. نعذب جماعة آخرين بسبب إجرامهم
 وإصرارهم على النفاق ولم يتوبوا.

٦٧- المنافقون والمنافقات متشابهون في صفة النفاق والبعث عن الإيمان، ويمسكون أيديهم عن الإنفاق في
 سبيل الله كالجهد وصله الرحم والصدقة، تركوا طاعة الله، فأهملهم من رحمته وثوابه، إن المنافقين هم
 المتمدون الخارجون عن الطاعة.

٦٨- أوعد الله أهل النفاق والكفر نار جهنم، مخلدين فيها، هي كفايتهم عقاباً وجزاء، وطردهم الله من
 رحمته، ولهم عذاب دائم ثابت لا يتقطع.

٦٩- إن فعلكم أيها المنافقون كفعل من كان قبلكم من الكفار الذين كانوا أقوى منكم، وأكثر أموالاً وأولاداً، فتمتعوا تمتعاً زائداً بنصيبهم من ملاذ الدنيا، فتمتعتم بنصيبكم المقدر لكم من الملاذ والشهوات وحظوظ الدنيا، كما تمتع الذين من قبلكم بنصيبهم بمتع الدنيا وشهواتها، ودخلتم في الباطل والطعن بالنبي ﷺ كخوضهم في متع الدنيا وملاهيها والعابها وتكذيب آيات الله، أولئك بطلت أعمالهم في الدنيا والآخرة ولا ثواب عليها، وأولئك الذين خسروا الدنيا والآخرة، فصار عزمهم ذلاً في الدنيا، وعذبوا بعذاب النار في الآخرة.

٧٠- ألم يصل إلى المنافقين خبر الذين كانوا من قبلهم، مثل قوم نوح الذين أغرقوا بالطوفان، وعاد قوم هود الذين أهلكوا بالريح الصرصر العاتية، وشمود قوم صالح الذين أهلكوا بالرجفة أو الصيحة، وقوم إبراهيم وملكهم غمرد الذين أهلكوا بالبعوض وسلب النعمة، وأصحاب مدين قوم شعيب الذين أهلكوا بعذاب يوم الظلة أو الرجفة، والمؤتفكات: قرى قوم لوط الذين اتفكت أي انقلبت بهم مداثهم وخسفت، حتى صار عاليها سافلها، جاءتهم رسل هؤلاء الطوائف الست بالمعجزات والأدلة الدالة على وحدانية الله، فكذبوهم، فما كان الله ليعذبهم من غير ذنب، ولكنهم ظلموا أنفسهم بارتكاب الذنب والكفر بالله وتكذيب الرسل.

٧١- والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أنصار بعض، يتعاضدون بسبب اتحاد الدين والاشترك في الإيمان بالله، يأمرون بالمعروف: وهو كل ما أمر به الشرع من صالح الأعمال، كالتوحيد والعبادة، وينهون عن المنكر: وهو كل ما نهى عنه الشرع من قول أو فعل، كالظلم والفواحش، ويؤدون الصلاة المفروضة في أوقاتها، ويدفعون الزكاة الواجبة، ويطيعون الله ورسوله في الأوامر والنواهي، أولئك الموصوفون بما ذكر، سيرحمهم الله بإنجاز وعده بنعيم الجنان، إن الله قوي لا يعجزه شيء، حكيم في صنعه وتدبيره، لا يضع شيئاً إلا في محله.

٧٢- وعد الله المؤمنين والمؤمنات بدخول الجنات التي تجري الأنهار من تحت أشجارها وغرفها، وبالمساكن حسنة البناء طيبة القرار والعيش، في جنات الخلد والإقامة الدائمة غير المنقطعة، ورضوان الله الذي هو أكبر وأعظم من ذلك كله؛ لأنه سبب كل فوز وسعادة، ذلك الموعود به من الجنات والمساكن والرضوان هو الفوز العظيم وحده الذي لا يعادله فوز آخر.

كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَأَوْ أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ
أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخُلُقِهِمْ
كَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخُلُقِهِمْ وَخَضُمْتُمْ كَالَّذِي
خَاصُوا وَأُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ
وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاكْأَنَّ
اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَآتُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾
وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ
وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ
سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَّ اللَّهُ
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ
وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

يَسْأَلُهَا الَّذِينَ جَاهَدُوا كُفْرًا وَلَمْ تُغْنِ عَنْهُمْ وَاللَّيْفَيْنِ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ
 وَأَوْهَنَهُمْ جَسَدًا وَيَسَّرَ الْمَصِيرَ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا
 وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ
 بِمَا كَفَرُوا وَالْمَأْتِلُونَ وَالْمَأْتِلُونَ وَالْمَأْتِلُونَ وَالْمَأْتِلُونَ
 فَمَنْ يَتُوبْ إِلَى اللَّهِ حَبِيرًا وَمَنْ يَتُوبْ إِلَى اللَّهِ حَبِيرًا
 اللَّهُ عَذَابُكَ إِلَيْنَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ
 مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ وَمَنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ
 نَأْتِيَنَّكَ مِنْ فَضْلِهِ لَنْصَدِّقَكَ وَلَنْكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾
 فَلَمَّا آتَاهُمُ مِنْ فَضْلِهِ تَخَلَّوْا بِهِ وَقَالُوا هُمْ مَعَهُ ضُوءٌ
 ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ لِقَائِهِ يَمَا أَخْلَفُوا
 اللَّهُ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ الرَّيْبُ لَكُمْ
 أَنْ اللَّهُ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنْ اللَّهُ عَلِيمٌ
 الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ الْأَطْلُوعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
 فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ لِالْحُدُودِ قَيْضًا
 مِنْهُمْ يَخْرُجُوا مِنَ اللَّهِ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

٧٣- يا أيها النبي جاهد الكفار بمختلف وسائل الجهاد من المال والنفس واللسان، أي بالقتال أو الحوار، وجاهد المنافقين بالحوار والإقناع وإقامة الحججة وحدود الله، وأغلظ عليهم بالقول والفعل، على نحو شديد وخشن، ومسكنهم جهنم، ويسر المرجع الذي يصيرون إليه.

٧٤- يحلف المنافقون بالله كذباً ما قالوا: وهو ما بلغك عنهم من السب والطعن، ولقد نظقوا بكلمة الكفر: وهي سب النبي ﷺ والطعن في الدين، وأظهروا الكفر بعد إظهار الإسلام، وعزموا على ما لم يصلوا إليه وهو قتل النبي ﷺ ليلة العقبة، عند عودهم من تبوك، وهم بضعة عشر رجلاً، وهموا بطرد المؤمنين من المدينة، وما عابوا وكرهوا وأنكروا إلا ما يستوجب الشكر والثناء، وهو إغناء الله لهم من فضله بالعتائم، بعد أن كانوا في ضيق من العيش، فإن يتوبوا ويؤمنوا يكن الإيمان خيراً لهم، وإن يعرضوا عن الإيمان والتوبة، يعذبهم الله عذاباً مؤلماً في الدنيا بالقتل والأسر، وفي الآخرة بعذاب النار، وما لهم في الأرض من ولي يواليهم ويحفظهم، ولا نصير يتصرهم ويمنعهم من العذاب. نزلت في المنافقين أثناء سيرهم إلى تبوك، حينما سبوا رسول الله ﷺ وأصحابه،

وطعنوا في الدين، فأبلغ حذيفة ما قالوا رسول الله، فقال لهم: يا أهل النفاق، ما هذا الذي بلغني عنكم؟ فحلفوا ما قالوا شيئاً من ذلك، فنزلت الآية إكذاباً لهم.

٧٥- ومن المنافقين من عاهد الله لئن أعطانا الله من فضله وكرمه، لنخرجن زكاة المال، ولنعملن عمل الصالحين بإخراج كل مال يجب إخراجهم مطلقاً. نزلت في رجال من المنافقين: نبتل بن الحارث، وجد بن قيس، ومعتب بن قشير.

٧٦- فلما أعطاهم الله من فضله مالاً، بخلوا به فلم ينفقوا منه شيئاً كما حلفوا، وتولوا عن طاعة الله، وهم مدبرون معرضون عما قالوا وعاهدوا، ولم يوفوا بعهدهم.

٧٧- فأورثهم البخل نفاقاً ثابتاً متمكناً في قلوبهم إلى أن يموتوا بسبب إخلاف ما وعدوا الله من التصديق والصلاح، أو زادهم نفاقاً إلى يوم القيامة يوم يلقون ربهم، بسبب إخلاف الوعد وكذبهم: وهو نقض العهد وترك الوفاء بالتزامهم ذلك.

٧٨- ألم يعلم المنافقون أن الله يعلم ما تنطوي عليه صدورهم من الكفر والنيات السيئة، وبما يتحدثون به سرّاً فيما بينهم من الطعن في الإسلام والنبي ﷺ والمؤمنين، وأن الله لا يخفى عليه شيء.

٧٩- الذين يعيبون المتطوعين المؤمنين في دفع الصدقات، فإن تطوعوا بشيء يسير، قالوا: ما أغنى الله عن هذا! وإن تصدقوا بشيء كثير قالوا: ما فعلوا هذا إلا رياء، ويعيبون الذين لا يجدون إلا شيئاً قليلاً يتصدقون به هو مقدار طاعتهم، فيسخرون منهم قائلين: إن الله غني عن صدقاتهم، جازاهم الله على سخريتهم وعذبهم وأهانهم، ولهم عذاب مؤلم في الآخرة.



٨٠- استغفر لهم أيها الرسول أو لا تستغفر لهم، فهم ليسوا أهلاً للاستغفار ولا للمغفرة من الله، إن تستغفر لهم سبعين مرة أو أكثر، فإن الله لن يغفر لهم، بل سيعاقبهم، ذلك أي عدم قبول الاستغفار والدعاء لهم، بسبب كفرهم بالله ورسوله، وموتهم على الكفر، والله لا يوفق للخير والهداية القوم المتمردين في الكفر، الخارجين عن الطاعة.

٨١- طرب المتخلفون عن غزوة تبوك بقعودهم بعد رسول الله ﷺ عن الجهاد، وكرهوا الجهاد بالأموال والأنفس في سبيل إعلاء كلمة الله، وقال المنافقون لإخوانهم: لا تخرجوا للجهاد في وقت الحر صيفاً، قل لهم أيها الرسول: نار جهنم أشد حرّاً من حرّ تبوك، فإن فررتم من هذا الحر اليسير، فنار جهنم التي تدخلونها أشد حرارة مما فررتم منه من الحر، لو كانوا يدركون ويفهمون أسرار أوامر الله تعالى.

٨٢- وعاقبة أمر هؤلاء المنافقين أنهم سيضحكون ويفرحون قليلاً في الدنيا بتخلفهم عن الجهاد، ويكون كثير أفي الآخرة، لتلاعيبهم

واستهزائهم بدين الله، جزاء بما اقترفوا من الآثام والمعاصي.

٨٣- فإن ردك الله أيها النبي من تبوك إلى جماعة من المنافقين وهم الذين لم يتوبوا من نفاقهم، وتخلفوا بالمدينة عن الجهاد، فاستأذنونك للخروج معك في غزوة أخرى، فقل لهم: لن تخرجوا معي أبداً للجهاد، ولن تقاتلوا معي أبداً عدواً بأي وضع كان، عقوبة لهم وتحزراً من مفاسدهم، إنكم رضيتم بالعودة في المرة الأولى في غزوة تبوك، فاقعدوا مع المتخلفين عن الخروج من الضعفاء والنساء والأولاد.

٨٤- ولا تصل أيها النبي على أحد من المنافقين مات أبداً، وهي صلاة الجنائز، ولا تقف على قبره للدعاء له، إنهم كفروا بالله ورسوله، وكانوا خارجين عن جادة العدالة والاستقامة، وماتوا على تلك الحال. نزلت بسبب صلاة النبي ﷺ على زعيم المنافقين عبد الله بن أبي، فترك الصلاة على المنافقين بعدئذ.

٨٥- لا تستحسن ما أنعمنا به عليهم من الأموال والأولاد، إنما يريد الله أن تكون سبباً لتعذيبهم في الدنيا بالمصائب والقلق والمتاعب، وتخرج أرواحهم، ويموتوا على الكفر دون التأمل في عواقب الأمور، فيُلْقُونَ في جهنم، وهؤلاء نوع آخر من المنافقين.

٨٦- وإذا أنزلت سورة من القرآن أو بعض سورة تأمرهم بالإيمان بالله والجهاد مع رسول الله، استأذنتك ذؤ الفضل والسعة والمقدرة على الجهاد بالنفس والمال في التخلف عن الجهاد، وقالوا: دعنا نكن مع العاجزين عن القتال المعدورين، كالضعفاء والأولاد والنساء. وهذا دليل على الجبن والذل والهوان.

أَسْتَغْفِرُكُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُكُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ إِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا أُنْكُرُ رِضِيئَهُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تَجْعَلْ أَمْوَالَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ أَيْمَانًا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَغْدِرَ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَتَزَمَّنَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا نَزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّلُوقِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَحْنُ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾

رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِحَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ فَعَزَّ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أُجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُوكَ وَهُمْ غَائِبٌ لِيُكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِحَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٩٣﴾

٨٧- رضوا بأن يبقوا مع النساء اللاتي تخلفن في البيوت، وختم الله على قلوبهم بالكفر، فلم تعد قابلة لتنفيذ الخير إليها، فهم لا يعقلون ولا يعلمون ما في الجهاد من الفضائل، وما في التخلف من النقص والمعايب.

٨٨- لكن الرسول والمؤمنون برسالته جاهدوا بأموالهم وأنفسهم، فاستحقوا الثناء والثواب العظيم، وأولئك لهم الخيرات والمنافع الجسام في الدنيا والآخرة، بالنصر والغنيمة، وجنات الفردوس الأعلى.

٨٩- أعد الله للمؤمنين المجاهدين جنات تجري الأنهار من تحت بساطينها وغرفها، ذلك هو الفوز العظيم الذي لا فوز بعده، وهو الدرجة العالية.

٩٠- وجاء المعتذرون أي بعذر صحيح من الأعراب إلى النبي ﷺ ليأذن لهم في التخلف عن غزوة تبوك، وقعد مناقفو الأعراب عن القتال من غير اعتذار، وهم الذين لم يؤمنوا ولم يصدقوا بالله ورسوله، وإنما كانوا كاذبين في ادعاء الإيمان، سيصيب الذين كفروا من الأعراب الذين اعتذروا بالأعداء الباطلة والذين لم يعتذروا عذاب مؤلم في الدنيا والآخرة. قال مجاهد: هم نفر من غفار أو من غطفان اعتذروا، فلم يعذرهم الله تعالى.

٩١- ليس هناك إثم بترك الجهاد على الضعفاء (وهم الشيوخ العجزة والنساء والصبيان) ولا على المرضى كالزمنى والعمى، ولا على الفقراء الذين لا يجدون نفقة على أنفسهم، إذا أخلصوا لله في إيمانهم به وأقروا بوحدانيته، وبالرسول نبياً فصدقوا بنبوته، وأطاعوهما في الأمر والنهي، ولم يكونوا منافقين، ليس على هؤلاء المحسنين في النصح لله ولرسوله، وهم المعذورون، من إثم ولا مؤاخذه ولا عتاب في التخلف عن الجهاد، والله غفور لهم، رحيم بهم في التوسعة عليهم وعدم تكليفهم ما لا يطيقون. نزلت الآية في أعمى جاء يسأل الرسول ﷺ عن حكم القتال في حقه، فنزلت: ﴿ليس على الضعفاء﴾.

٩٢- ولا إثم على جماعة من الأنصار طلبوا من النبي ص ما يركبونه من الدواب للمشاركة في الجهاد، فلما قلت لهم: لا أجد ما أحملكم عليه من الإبل أو غيرها، انصرفوا ليكون حزننا؛ لأنهم لم يجدوا ما ينفقون على أنفسهم في الجهاد لفقيرهم، لا عندهم ولا عند غيرهم. نزلت في جماعة البكائين سبعة من الأنصار، قالوا للرسول: احملنا، فقال: والله ما أجد ما أحملكم عليه، فتولوا ولهم بكاء، وعز عليهم أن يحبسوا عن الجهاد، ولا يجدوا نفقة ولا محملاً، فأنزل الله عذرهم.

٩٣- إنما طريق العقوبة والمؤاخذه على الذين يستأذنونك في التخلف عن الجهاد، وهم يملكون المال والقدرة على القتال، رضوا بأن يكونوا مع المتخلفين لعذر كالنساء، وأعيد هذا لزيادة توبيخهم، ووصفهم بأنهم كالنساء، وفي هذا مهانة شديدة عند العرب، وختم الله على قلوبهم فلم يبصروا الحق، وهم لا يعلمون فضائل الجهاد ومخازي التخلف عن لقاء العدو، ولا يدركون المنافع لتقدم على الخسائر.



٩٤- هؤلاء المنافقون المتخلفون سوف يعتذرون إلى المؤمنين في التخلف بعد عودتهم من غزوة تبوك، قل لهم أيها النبي: لا تعتذروا بأبي عذر، فلن نصدقكم؛ لأنه قد أعلمنا الله بالوحي حقيقة أمركم وحالكم، وسيرى الله ورسوله فيما بعد عملكم، أتوبون من النفاق أم تبقون عليه؟! وهذه فرصة للتوبة، ثم ترجعون بعد الموت والبعث إلى الله عالم الغيبيات والحسيات، فيخبركم بأعمالكم، ويجازيكم عليها بالتوبيخ والعقاب. نزلت في ثمانين رجلاً من المنافقين، أمر النبي ﷺ المؤمنين لما رجعوا إلى المدينة بالألاعاب والخطايا.

٩٥- سيحلفون بالله لكم لتأكيد أذارهم الباطلة إذا رجعت إليهم ووصلتم من تبوك، لتتركوهم وتصفحوا عنهم، ولا توبخوهم ولتظهروا الرضا عنهم، فاتركوهم واهجروهم من غير توبيخ، ولا تجالسوهم، إنهم خبيثاء قذرون، وأعمالهم نجسة قبيحة، ومصيرهم ومكان إيوائهم النار، جزاء بما اقترفوا من الآثام والخطايا.

٩٦- يحلف هؤلاء المنافقون لكم أيها المؤمنون أيماناً كاذبة لاسترضائكم واستدامة معاملتهم، فإن رضيتهم وعذرتوهم، فإن الله ساخط على القديم المتمردين الخارجين عن طاعته، ولا يفقههم رضاكم.

٩٧- أهل البادية أو البدو العرب أشد كفراً ونفاقاً من كفر ونفاق غيرهم، لقسوة قلوبهم، وغلظ طبائعهم، وجهلهم وبعدهم عن العلم والمدينة، فمن استوطن القرى العربية فهو عربي، ومن سكن البادية فهو أعرابي، وهم أولى أو أخرى بالألاعاب يعرفوا حدود الله من الشرائع والأحكام، لغربتهم عن تعاليم ومواطن الأنبياء، والله عليم بأحوالهم، حكيم في تدبير أمور خلقه. نزلت في أعراب من أسد وغطفان، وفي أعراب حاضري المدينة.

٩٨- وبعض الأعراب المنافقين يعدُّ إنفاقه في سبيل الله غرامة وخسراناً؛ لأنه لا يعتقد بالثواب عليه، وإنما يدفعه رياء وتقية، ويتنظر بكم ما يدور به الزمان من المصائب، فيتخلص من الإنفاق، عليهم مصائب الدهر من الهزيمة والبلاء وما يسوء الإنسان، وهو دعاء مماثل لما ترقبوه بالمسلمين، والله سميع لأقوالهم، عليم بأفعالهم ونواياهم الخبيثة.

٩٩- وهناك نوع ثان من الأعراب مثل جهينة ومزينة، يصدقون بالله وبآخرفته، ويجعل ما ينفقه من ماله في سبيل الله قُرْبَاتٍ يتقرب بها إلى الله تعالى، وللوصول إلى استغفار الرسول ودعائه بالخير له، ألا إن نفقاتهم ودعوات الرسول قرابة لهم مقبولة عند الله تعالى، سيدخلهم الله فسيح جنانه، إن الله غفور للظالمين، رحيم بهم. نزلت في بني مَقْرَن الذين نزلت فيهم: ﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم﴾ [التوبة

يَعْتَدُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَآتَعْتَدُوا
لَنْ تَوْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأَ اللَّهُ مِنَ انْبِعَارِكُمْ وَسِرِّي اللَّهُ
عَمَّاكُمْ وَرَسُولُهُ يُنْمِزُوكَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
فَيُنبِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِالله لَكُمْ إِذَا
انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَنْ نَعْرُضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ
وَمَا وَهَدُوهُمْ مَهْمُ حَزَاءٍ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ
لَكُمْ لَنْ نَعْرُضُوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ الله لَا يَرْضَىٰ
عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا
وَأَجْدَرُ الْأَعْيُنُ أَنْ يَمُرُّوا بِكُمْ مَا نَزَّلَ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ
وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُخَيِّدُ
مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَرْتَضِ بِكُمْ الذَّلِيلَ وَالرَّحِيمَ كَابِرَةٌ
السَّوْءِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ
بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَخْتَدُ مَا يُنْفِقُ قُرْبًا عِنْدَ اللهِ
وَصَلَوَاتُ الرَّسُولِ أَلَّا إِنَّمَا تُقْرَبُ لَهُمْ
سَيَدْخُلُهُمُ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾

وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ
 اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَوَضَعْنَا عَنْهُمْ أَهْلَهُمْ
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ
 الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمَنْ حَوْلَكَ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ
 الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَعَدْنَا بِهِمْ
 فَزَيَّنَّا لَهُمْ يَوْمَ يَرُدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَآخَرُونَ
 اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَسَاتًا عَسَىٰ اللَّهُ
 أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ مَوْلَاهُ
 صَدَقَةً تَطْهَرُ بِهَا وَتُرَكَّبُ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنْ صَلَّوْنَاكَ
 سَكَنَ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ
 يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ
 الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلْ أَعْمَلُوا بِسِرِّي اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَسُولُهُ
 وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَيُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَلِيِّ وَالشَّهَادَةُ فَبَيْنَكُمْ
 بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَآخَرُونَ مُرْجُونَ لَأَمْرٍ اللَّهِ
 إِمَّا يَعْذِبُهُمْ وَإِمَّا يَنْتَوِبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ كَرِيمٌ ﴿١٠٦﴾

١٠٠- والسابقون الأولون إلى الإيمان والهجرة
 والنصرة والإنفاق من الصحابة المهاجرين والأنصار
 والتابعون لهم الذين اتبعوا السابقين الأولين في الإيمان
 ونصرة الدين والطاعة، قبل الله طاعتهم وارتضى
 أعمالهم ولم يسخط عليهم، ورضوا عن الله بما أفاض
 عليهم من نعمه وفضله، وأعد لهم جنات تجري من
 تحت بساطتها وغرفها الأنهار، ماكين فيها على الدوام،
 ذلك الرضا هو الفوز العظيم الذي لا يعادله فوز آخر.
 وهذه شهادة من الله للصحابة والتابعين ويشري لهم
 بالجنة.

١٠١- وبعض الأعراب حول أهل المدينة منافقون:
 أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، وكذلك بعض أهل
 المدينة قوم مرونا على النفاق، حتى خفي أمرهم على
 النبي ﷺ، لا تعلمهم أنت أيها النبي لمهارتهم في النفاق،
 نحن نعلمهم وسنعرفك بهم، سنعذبهم عذاباً مضاعفاً
 مرتين: بالفضيحة وكشف نفاقهم وتراكم المصائب،
 وتعذيبهم عند الموت وفي القبر، ثم يردون في الآخرة إلى
 عذاب شديد هو عذاب النار في الدرك الأسفل. نزلت
 في عبد الله بن أبي، وجد بن قيس، ومعتب بن
 قشيسر، والجلال بن سويد، وأبي عامر الراهب،
 من قبائل جهينة ومزينة وأشجع وأسلم وغفار من
 أهل المدينة وما حولها.

١٠٢- وجماعة آخرون من أهل المدينة تخلفوا عن الجهاد لغير عذر، وأقروا بمعاصيهم، وخطوا عملاً صالحاً لهم:
 وهو التزام شرائع الإسلام، بعمل سيء: وهو التخلف عن غزوة تبوك، ثم تابوا من هذا الفعل، لعل الله أن يقبل توبتهم،
 فهم تحت عفوه الله، إن الله غفور لمن تاب، رحيم بمن أحسن وأتاب. نزلت في أبي لبابة وخمسة معه، أو فقوا
 أنفسهم بسواري المسجد، حتى يطلقهم رسول الله ويعذرهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فاطلقهم النبي ﷺ
 وعذرهم، فقالوا: يا رسول الله، هذه أموالنا فتصدق بها عنا واستغفر لنا، فقال: «ما أمرت أن أأخذ من
 أموالكم شيئاً» فأنزل الله تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة﴾ الآية التالية.

١٠٣- خذ أيها النبي من أموال المسلمين صدقة الفرض، تكون سبباً في تطهيرهم من أثر الذنوب، وتُنمِّي في نفوسهم
 فعل الخير، وادع لهم واستغفر، إن دعاءك واستغفارك سبب لتسكين نفوسهم، والله سميع لاعترافيهم ودعائك لهم.
 والآية وإن كانت لسبب خاص، فهي عامة لجميع الأموال والناس؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

١٠٤- ألم يعلم هؤلاء التائبون وجميع المؤمنين أن الله يقبل التوبة الصادقة لعباده التائبين، لاستغفائه عن الطاعة وعدم
 مبالاته بالمعصية، ويتقبل الله الصدقات منهم ويضاعف ثوابها، وأن الله هو كثير القبول للتوبة، كثير الرحمة بالتائبين.

١٠٥- وقل أيها الرسول للتائبين وغيرهم: اعملوا الخير وأخلصوا العمل لله، فسرى الله عملكم خيراً أو شراً، وسرى
 ذلك أيضاً الرسول والمؤمنون، وسترجعون بعد الموت لعالم كل ما غاب وما حضر، فيخبركم بأعمالكم ويجازيكم
 عليها.

١٠٦- وجماعة آخرون من المتخلفين مؤجلون لحكم الله فيهم، وهم ثلاثة أرجؤوا توبتهم، إما أن يعذبهم الله إن بقوا
 على ما هم عليه، وإما أن يتوب عليهم إن تابوا وأصلحوا وأخلصوا، والله عليم بما في قلوبهم، حكيم في قضائه عليهم.
 نزلت في كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، من الأنصار، تخلفوا عن غزوة تبوك كسلاً لا
 نفاقاً.

١٠٧- ومن منافقي أهل المدينة وهم اثنا عشر بنوا مسجد الضرار أي الإصرار بمسجد قباء، في ضواحي المدينة، لكيد المؤمنين والتأمر عليهم، ولإيجاد الفرقة والاختلاف بين المؤمنين، وانتظاراً لقدم من حارب الله ورسوله من قبل بناء هذا المسجد، وهو أبو عامر الراهب الذي طلب من قيصر الروم مساعدته لقتال المسلمين، وأمر ببناء هذا المسجد، وليحلفن هؤلاء المنافقون أنهم ما أرادوا ببناء المسجد إلا فعل الخير وتسهيل أداء الصلاة على الضعفاء والعجزة ومن يمنعه المطر والحرق، والله يشهد على كذبهم فيما حلفوا. نزلت في بني غنم بن عوف من الخنزرج الذين بنوا مسجد الضرار بأمر أبي عامر الراهب، حسداً لما فعله بنو عمرو بن عوف من الأوس من بناء مسجد قباء، وطلبوا من الرسول ﷺ أن يصلي فيه كما صلى في مسجد قباء، فاعتذر حتى يعود من تبوك، فنزل عليه القرآن بخبر مسجد الضرار، فأمر بهدمه وإحراقه.

١٠٨- لا تصل أبداً أيها الرسول في مسجد المنافقين، إن مسجد قباء الذي أسس على التقوى من أول يوم دخل فيه النبي المدينة مهاجراً، أولى بأن تقوم فيه مصلياً من مسجد الضرار، فيه رجال من الأنصار يحبون أن يتطهروا بالطهارتين الحسية (بالوضوء

ونحوه) والمعنوية بإزالة آثار الذنوب، والله يرضى عن المتطهرين المبالغين في الطهارة ويثيبهم. نزلت هذه الآية في أهل قباء: ﴿فيه رجال﴾ كانوا يستنجون بالماء، رجالاً ونساء.

١٠٩- لا يستوي من أسس بنيانه على قاعدة متينة، وهي تقوى الله ورضوانه، ومن بنى مسجداً ضراراً وكفراً، معرضاً للانهدام، على جانب الوادي الذي ينحفر بالماء، المشرف على السقوط، فإذا انهار أو سقط فإمّا ينهار بيانه في قعر جهنم، والله لا يوفق الكافرين المفسدين إلى طريق الحق والسعادة.

١١٠- لا يزال بناء المنافقين مسجد الضرار وهدمه سبباً للشك والخيرة وتزايد النفاق، فإن البناء يجسد طبيعة النفاق والكفر، والهدم يؤدي للتصميم على الكفر ومقت الإسلام وحسرة صدورهم على الدوام، إلى أن يموتوا أو يقتلوا غماً وحزناً، والله عليم بأفعال عباده، حكيم في تدبير خلقه وجزائهم على أعمالهم خيراً أو شراً.

١١١- بعد بيان فضائح المنافقين، أبان الله فضيلة الجهاد، فهو مبادلة على النفوس والأموال بالجنة، فإن الله جعل ثواب المجاهدين هو الجنة، فهم يقاتلون من أجل إعلاء كلمة الله ودينه، فيقتلون الكفار في الحرب أو يستشهدون، وعدهم الله بالجنة وعداً حقاً ثابتاً في كتبه المنزلة: التوراة، والإنجيل، والقرآن، ولا أحد أوفى بالعهد وإنجاز الوعد الصادق من الله الذي لا يخلف الميعاد، فأظهروا السرور أيها المجاهدون بهذا البيع أو المبادلة، فإنه صفقة رابحة، وذلك الفوز بالجنة هو الفوز العظيم الذي لا فوز أعظم منه. نزلت لما بايع سبعون رجلاً من الأنصار رسول الله ص في بيعة العقبة الثانية الكبرى على عبادة الله وحده وترك الشرك به، والدفاع عنه كما يدافعون عن أنفسهم وأموالهم، وكان الثمن هو الجنة، فقالوا: ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل، أي لا ننقض العهد ولا نطلب التراجع عنه.

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِصْرًا أَلمن حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلُقُنَّ إِنَّا أَرْضَنَا إِلَّا الْخَسِيئَةَ وَاللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقْرَأُ فِيهِ أَبَدًا مَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقْرَأَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَّهَرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَقْرَبُ أُسِّسَ بَيْنَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بَيْنَهُ عَلَى شَفَا حَرْفٍ هَارٍ فَأَنهَارٍ يُورِي فِي تَارِحَتِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بَيْنُهُمُ الَّذِي بَنُوا رِيئَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ إِنْ اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْسِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾



الَّتِي بَوَّأَهُمُ اللَّهُ لَهَا فِي الْآخِرَةِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٢﴾
 السَّاجِدُونَ لِلْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ
 الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ
 ﴿١١٣﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا
 لِلشُّرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهَا
 أَصْحَابُ الْحَيْبِ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأبيه
 إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ
 تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَمَا كَانَ لِلَّهِ
 أَنْ يَضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ
 بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٦﴾ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ
 وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ
 وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٧﴾ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ
 وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ
 مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ
 سُوْرَتَابِ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رُءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٨﴾

١١٢- هؤلاء المؤمنون المجاهدون الموعدون
بالجنة هم التائبون من المعاصي، المخلصون العبادة
لله تعالى، الحامدون الله على كل حال في السراء
والضراء، المجاهدون أو الصائمون والمفكرون في
آيات الله، والراكون الساجدون، الأمرين بما أمر
به الشرع من الإيمان والطاعة والخلق الكريم،
الناهون عما أنكره الشرع من الكفر والعصيان
والفواحش، القائمون بحفظ الشرائع والتزام
الأحكام، وبشر أيها النبي المؤمنين بالجنة، قال ابن
عباس: من مات على هذه التسع فهو في سبيل الله
تعالى.

١١٣- ما كان ينبغي للنبي والمؤمنين أن يطلبوا
المغفرة للمشركين ولو كانوا أقرباء لهم، من بعد ما
ظهر لهم أنهم أصحاب النار بموتهم على الكفر.
نزلت في رجل يستغفر لأبويه، وهما
مشركان. وهي تتضمن تحريم الاستغفار
للكفار والدعاء لهم بالنجاة والرحمة.

١١٤- لم يكن استغفار إبراهيم عليه السلام
لأبيه الكافر إلا بناء على وعد سابق وعد به أباه قبل
أن يتبين أنه من أهل النار ومن أعداء الله، في قوله تعالى: ﴿لَا تَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [الممتحنة ٦٠/٤] فلما ظهر
لإبراهيم أن أباه عدو لله بإصراره على الكفر، تبرأ منه وترك الاستغفار له، إن إبراهيم كثير التآؤد والتضرع
والخضوع لله، صفوح عن الذنوب، صبور على الأذى.

١١٥- وما كان في حكم الله ليعامل قوماً معاملة الضالين ويؤاخذهم ويعاقبهم، بعد أن هداهم للإيمان،
حتى يبين لهم ما يجب عليهم اتقاؤه من المحرمات، إن الله عليم بكل شيء مما يحدث من استقامة وعصيان،
ومغفرة وعقاب، فإذا لم يتق الناس ربهم، حكم عليهم بالضلال، واستحقوا الإضلال، ولا إثم ولا مؤاخذه
عليهم قبل البيان.

١١٦- إن لله ملك السموات والأرض وما بينهما، وله السلطان المطلق عليهما، وليس لكم أيها البشر من
غير الله أحد يحفظكم ويتولى أموركم، وينصركم في وقت المحنة، ويمنع عنكم الضرر.

١١٧- لقد تاب الله على النبي في الإذن لبعض المنافقين بالتخلف عن الجهاد، وفي الاستغفار لبعض
المشركين، وتاب أيضاً على المهاجرين والأنصار الذين جاهدوا مع النبي ولم يتخلفوا عنه في وقت الشدة في
غزوة تبوك، فيما وقعوا فيه من أخطاء وذنوب، من بعد ما كاد يزيغ قلوب بعضهم، إذ هموا بالتخلف عن
الجهاد في وقت الحر الشديد وقلة الزاد والماء، حتى تقاسم الرجال التمرة، وتعاقب الرجال العشرة على بعير
واحد، ثم تاب الله عليهم إذ تبتهم على الإيمان الحق، بعد توبتهم الصادقة، إن الله رؤوف رحيم بالتائبين.

١١٨- وتاب الله على الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك كسلاً، لانفاقاً، وهم كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومُرارة بن الربيع، ولم تكن قد قبلت توبتهم في الحال كما قبلت توبة المتخلفين المعذورين، حتى إذا ضاقت عليهم الأرض مع سعتها ورحابتها، وضاقت صدورهم من شدة الهم والغم والجفوة، وعلموا أن لا نجاة ولا ملجأ لهم من عذاب الله إلا بالتوبة والاستغفار، ثم وفقهم للتوبة ليكونوا في عداد التائبين المستقيمين، وليداوموا على التوبة، إن الله كثير القبول للتوبة كثير الرحمة بالتائبين. نزلت في شأن هؤلاء الثلاثة، وفيها عبرة وعظة للمؤمنين حيث صدقوا العهد مع الله، وترجعوا عن خطئهم، وأقروا بأن تخلفهم من غير عذر.

١١٩- يا أيها المؤمنون، خافوا الله باتباع أوامره واجتتاب نواهيه، والزموا الصدق في الإيمان قولاً وعملاً.

١٢٠- ما جاز ولا صح لأهل المدينة ومن حولهم من المجاورين من أعراب البادية، كمزينة وجهينة وأشجع أن يتخلفوا عن رسول الله في غزوة تبوك وغيرها، ولا يؤثروا أنفسهم ويحبوا لها الدعة والراحة والمحافظة عليها، ويقدموها على حفظ نفس النبي ﷺ، ذلك النهي عن التخلف بسبب أنهم لا يتعرضون لشيء من العطش والتعب والجوع من أجل رضوان الله وإعلاء دينه وجهاد أعدائه، ولا يدوسون بأقدامهم أو خيولهم مكاناً من أمكنة الكفار التي تغضبهم، ولا ينالون من عدو شيئاً من المال أو القتل أو الأسر، إلا دون لهم في صحائف أعمالهم عملاً حسناً مقبولاً ذا ثواب جزيل، إن الله يحفظ ولا يضيع ثواب المحسنين أعمالهم.

١٢١- ولا ينفقون في سبيل الله نفقة قليلة أو كثيرة، ولا يجتازون وادياً بين جبلين في طريقهم إلا كتب لهم ثوابه الحسن، ليجزيهم الله به أحسن الجزاء.

١٢٢- لا ينبغي للمؤمنين أن ينفروا جميعاً للقتال (وقيل: أن ينفروا لطلب العلم)، ويتركوا المدينة خالية، بل تنفر جماعة من كل قبيلة، وتبقى جماعة أخرى للتمنق في الدين وتعلم علوم الشريعة، وإنذار قومهم إذا عادوا إليهم بتعليمهم ما تعلموه من أحكام الحلال والحرام، ليحذروا عقاب الله، بامتثال أمره ونهيه. نزلت حين كان المؤمنون، لحرصهم على الجهاد، إذا بعث رسول الله ﷺ سرية، خرجوا فيها، وتركوا النبي ﷺ بالمدينة في عدد قليل من الناس.

وَعَلَى الثَلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ
الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ
لَا مَلْجَأَ مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ
الْقَوِيُّ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ
حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَخْلَفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا
بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا
نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْغُونَ مَوْطِئًا
يَعِظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كَيْبَ لَهُمْ بِهِ
عِلْمٌ صَلِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْحَسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يَسْمَعُونَ
نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا
كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾
﴿١٢٢﴾ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ
فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا
قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٣﴾



يَتَّيِبُهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُوكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلِحُدُودِ
فِيكُمْ غَلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ
سُورَةٌ فِيهِمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا
الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا
الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ
وَمَا تَوَّأَوْا وَهُمْ يَكْفُرُونَ ﴿١٢٥﴾ أُولَئِكَ يُفْتَنُونَ
فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾
وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰ لَكُمْ
مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ
عَلَيْهِ مَا عَشِيتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ
رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾



١٢٣- يا أيها المؤمنون إذا توافرت شروط القتال ومقتضياته، فابدؤوا بقتال الأقرب فالأقرب إلى ديار الإسلام، من الكفار، وليجدوا في قتالهم شدة وخشونة، وجرأة وصبراً على القتال، واعلموا أن الله مع المتقين بالنصر والحراسة والإعانة.

١٢٤- وإذا أنزلت عليك أيها الرسول سورة قرآنية، فمن المنافقين من يقول لصحبه استهزاء: أيكم زادته هذه السورة إيماناً بالله؟ فأما المؤمنون فزادتهم السورة تصديقاً بالله وبكتابه، وهم يفرحون بتزولها وما اشتملت عليه من المنافع.

١٢٥- وأما المنافقون، فزادتهم السورة المنزلة شكاً وكفراً ونفاقاً إلى نفاقهم، وخبثاً إلى خبثهم، ومانوا على الكفر.

١٢٦- أو لا يرى المنافقون أن الله يختبرهم بالجهاد مع النبي ﷺ كل عام مرة أو مرتين؟ ثم لا يتوبون من نفاقهم، ولا يتعظون من افتضح أمرهم، ومعاينة انتصار الرسول ﷺ.

١٢٧- وإذا أنزلت سورة تبين مخازي المنافقين وعيوبهم، نظر بعضهم إلى بعض للتأمر على الهروب من مجلسه ﷺ، قائلين: هل يراكم أحد المؤمنين إن هربتم أو تسلتم؟ ثم انصرفوا من المجلس متسللين إلى منازلهم خوف الفضيحة، صرف الله قلوبهم عن الخير والرشد والهداية والإيمان، بسبب أنهم قوم لا يفهمون القرآن فهماً واعياً ومقبولاً، ولا يدركون الحق لعدم تدبرهم.

١٢٨- لقد جاءكم أيها العرب رسول من جنسكم ومنكم، شديد وشاق على نفسه عتتكم، أي تعيبكم ومشقتكم بعذاب الدنيا أو بعذاب الآخرة، حريص على إيمانكم وإبعادكم من النار، كثير الرأفة والرحمة بالمؤمنين، والرأفة أخص من الرحمة، فهي تكون مع الضعف والرقه، تزيل سبب البلاء، والرحمة فيها إحسان وعطاء.

١٢٩- فإن أعرضوا عن الإيمان برسالتك، فقل أيها الرسول: يكفيني الله ناصرًا ومعينًا، فهو المتفرد بالألوهية، فوُضعت أموري إليه، وهو رب الكرسي الذي هو أعظم المخلوقات، فالعرش مخلوق لا يدري عظمته وحقيقته سوى الله تعالى، نؤمن به على ما جاء في القرآن من غير تشبيه بشيء معروف. وتأوله بعضهم بأنه صاحب الملك والسلطان الذي يُحكّم به على كل شيء، ويُدبّر به كل أمر.

سورة يونس

١- ﴿الر﴾: تنطق ساكنة الآخر كما تنطق سائر الحروف الأبجدية، ألف، لام، را، وهي للتحدي والتثنية على إعجاز القرآن الكريم ما دام مكون الألفاظ من أحرف اللغة التي ينطق بها العرب ويكتبون. تلك الآيات الموحى بها آيات القرآن المحكم فيما تضمنه من حلال وحرام وحدود وأحكام.

٢- أكان إياحوانا إليك القرآن مدعاة لعجب مشركي العرب خاصة؟ وليس في ذلك عجب، فهو إيهام إلى رجل من جنسهم من البشر، وكأنهم يريدون رسولاً من غير جنسهم، ولو كان من الملائكة أو الجن لما تحقق المقصود من الإرسال؛ لأنهم لا يأنسون إليه، وقلنا لهذا الرجل الذي يعرفون صدقه: أن أنذر الناس العصاة بالنار، وبشر المؤمنين بهذا القرآن بأن لهم منزلة رفيعة عند ربهم، ولما سمع الكفار بعض آيات القرآن، قالوا: إن هذا الرجل - أي محمد ﷺ - لساحر واضح ظاهر، قال ابن عباس: لما بعث الله تعالى محمداً ﷺ رسولاً، أنكرت العرب ذلك، أو من أنكروا منهم، فقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً مثل محمد، فأنزل الله عز وجل: ﴿أكان للناس عجباً؟﴾.

٣- أخبرهم أيها النبي بأن ربكم هو الله، الذي أوجد السموات والأرض في أيام ستة، ثم استوى على العرش استواء يليق بعظمته وجلاله، والعرش: مخلوق عظيم يليق به تعالى، لا ندري حقيقته، يدبر أمر الخلائق وحده، ليس لأحد يوم القيامة أن يشفع لأحد إلا بشرطين: إذنه تعالى للشافع، ولا يأذن إلا لمن رضيه، بمقتضى حكمته، وهذا دليل على استقلال الله بالأمر كلها، ذلكم الله وحده ربكم، الذي لا يشاركه أحد في الألوهية والربوبية والتدبير، فاعبدوه وحده، أفلا تتفكرون في أن هذا الخالق المدبر هو الذي يعبد وحده؟!

٤- إلى الله تعالى مصيركم جميعاً أيها الناس يوم القيامة، وإرجاعكم بالبعث والحساب: وعدته تعالى، صادق لن يخلفه، إنه سبحانه يبدأ الخلق (المخلوقات) من التراب، ثم يعيده إلى الحياة بعد الموت للجزاء يوم القيامة، فيثيب المؤمنين الذين عملوا صالح الأعمال بالعدل الذي لا جور فيه، ويكون للكافرين في جهنم شراب شديد الحرارة، وعذاب شديد الألم.

٥- الله جعل الشمس مضبئة، والقمر منوراً، والضياء: ما كان من ذات الشيء، والنور: ما كان حادثاً من غير الذات، ونور القمر مستفاد من ضوء الشمس، وقدّر مسير القمر في منازل هي ثمان وعشرون منزلة، والمنزلة: المسافة التي يقطعها بحركته في يوم وليلة، لتعلموا بذلك حساب الأوقات، فبالشمس تعرف الأيام، وبالقمر تعرف الشهور والأعوام، ما خلق الله السماء والأرض وما بينهما إلا خلقاً متبسّطاً بالحق، لحكمة، لا عبثاً، يبين الآيات الدالة على وحدانيته وقدرته لقوم يتأملون ويتدبرون.

٦- إن في تبدل الليل والنهار طولاً وقصراً، وتعاقبهما بدقة، وما خلق الله في السموات والأرض من مخلوقات لعلامات دالة على وجود الله وقدرته وحدانيته، لقوم يتقون مخالفة سنن الله التكوينية والتشريعية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّسْمِ أَتَيْتُ الْكَلْبَ الْحَكِيمَ ۝ أكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا ۚ أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ أَنْ هَلُمَّ قَدَمَ صَدَقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ الْكَافِرُونَ ۚ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يُدِيرُ الْأَمْرَ ۚ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ عِنْدِ ذِي الْعَرْشِ ۚ لِيُكْفَرَ رَبُّكُمْ ۚ فَاغْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ إِلَيْهِمْ رُجْعُكُمْ جَمِيعًا ۚ وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا أَنَّهُ يُبْدِئُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيُخَبِّرِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ ۚ مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ۝ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ ۚ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا لِتَحْقُقُوا الْأَيَّاتِ ۚ لِقَوْمٍ يَعْمَلُونَ ۝ إِنَّ فِي خَلْقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝

٧- إن الذين لا يتوقعون لقاءنا خوفاً أو طمعاً لانتكارهم البعث، ورضوا بالمقام في الحياة الدنيا عن الآخرة، وسكنت أنفسهم إليها، وإلى لذائذها، والذين هم تاركو النظر في آياتنا الدالة على وحدانيتنا وقدرتنا، لا يتفكرون فيها.

٨- أولئك مقرّ إقامتهم النار بسبب ما اكتسبوا من الكفر والمعاصي والتكذيب بالآخرة.

٩- إن الذين صدّقوا بالله، وعملوا صالح الأعمال يرشدهم ربهم بسبب إيمانهم إلى الجنة، تجري الأنهار من تحت بساطينهم وغرفهم، في جنات النعيم المطلق والخلود. وهذا مثل التمتع والسعادة في ذلك المقام.

١٠- دعاؤهم في مناجاة ربهم في الجنة: هو تسبيح الله (أي تنزيهه عما لا يليق بعظمته) وتقديسه، وتحييتهم في الجنة من ربهم وملائكته: سلام، وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح قولهم: الحمد لله رب العالمين الذي أنعم علينا بهذه الخاتمة الحميدة من الرضوان والجنة.

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ مَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ إِلَّا مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِالْإِيمَةِ النَّجْوَى مِنْ تَحْتِهِمْ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجَ دَعْوَانَهُمْ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَوْ لَحِطَ اللَّهُ لِلنَّاسِ لَشَرًّا لَسْتَخْلِفَهُمُ بِالْخَيْرِ لَغَضِيضِ إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ فَذَرْنَا الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طَبَقَتِهِمْ يَمْجُرُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَا خَلْقَهُ أَزْوَاجًا أَيُّهَا إِلَهِي إِنِّي أَذْهَبُ أَزْوَاجًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ صُورَهُ مَرَّ كَأَنْ لَوِ دُعِيَ إِلَى صُرْمَتِهِ كَذَلِكَ زُرِّيْنَا لِلْمُؤْمِنِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا يَلْتَمِئُونَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْجَافِرِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلْقًا فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

١١- ولو يجعل الله للناس الشر أو العقوبة كما يطلبون، كاستعجالهم بالخير والثواب، لهلكوا وماتوا، فترك الذين لا يتوقعون لقاءنا وكفروا بالبعث والحساب يتحIRON ويرددون في تمردهم وكفرهم وتكبرهم ورفضهم الحق، ولا يهتدون إلى صواب.

١٢- وإذا أصاب الكافر الشدة من مرض أو فقر أو خطر، دعانا لإزالة الضر عنه في كل حال من أحواله، مضطجعا لجنبه، أو قاعداً في بيته، أو قائماً على قدمه. وهذا يدل على شدة حيرته وقلقه. فلما أزلنا عنه الضر والجهد الذي نزل به، مضى على طريقته التي كان عليها من الكفر، ونسي حالة الجهد والبلاء، وكأنه لم يدعنا لكشف الضر الذي أصابه، وكما زُرِينُ له الإعراض عند الرخاء، زُرِينُ للمشركين والكفار المتجاوزين الحد الإعراض عن الدعاء، والانشغال بأعمال المعاصي والشهوات.

١٣- ولقد أهلكنا الأمم الماضية من قبلكم يا أهل مكة حينما ظلموا أنفسهم بتكذيب الرسل والانغماس في المعاصي، وجاءتهم رسلهم المرسلون إليهم بالمعجزات والآيات الواضحات الدالة على صدقهم، وما كانوا يؤمنون حقاً برسلهم، مثل ذلك الجزاء وهو إهلاكهم بسبب الكفر وتكذيب الرسل، نجزي القوم الكافرين. وهذا وعيد شديد لكفار مكة وأمثالهم.

١٤- ثم جعلناكم معشر الناس خلفاء من هلكوا لإفسادهم، لننظر كيف تعملون حينئذ من خير أو شر، فنجازيكم على أعمالكم.



١٥- وإذا تلى على المشركين آيات القرآن المشبهة للتوحيد والمبجلة للمشرك، قال الذين لا يتوقعون لقاءنا المنكرون للمعاد: ائت بغير هذا القرآن جميعه الذي يعيب آلهتنا ويذم الأوثان، أو بدله بنفسك بحيث يتلاءم مع أهدافنا ولا يعيب آلهتنا، قل لهم أيها الرسول: ما يصح وما يحل لي أن أبدله من تلقاء نفسي ويأرأدي، لأنه كلام الله ووحيه المنزل، فالله هو الذي يأمر بتبديله، وليس لي إلا تبليغ الوحي به، إني أخاف إن بدلت أمر ربي أو بدلت وحيه عذاب يوم القيامة. وهذا هو الرد الأول على طلب تعديل القرآن أو تبديله، مبتدئاً بأقرب المذكور، ولقصر الرد. قال مجاهد: نزلت في مشركي مكة. وقال الكلبي: نزلت في المستهزئين، قالوا: يا محمد، ائت بقرآن غير هذا، فيه ما نسألك.

١٦- والرد الثاني على طلب الإتيان بغيره، قل لهم أيها الرسول: لو أراد الله ألا أتله عليكم ولا أبلغه لكم، لفعلت، ولو شاء الله ما أعلمكم بالقرآن عن طريقي، فقد مكثت فيكم زماناً طويلاً من قبل نزوله، وهو أربعون سنة، لم تجربوا علي كذباً، ولم تكن عندي قدرة على كلام كهذا، لعدم قراءتي الكتب المنزلة على الرسل، ثم أوحى الله علي هذا الكتاب

الذي عجزتم عن معارضته والإتيان بسورة منه، وأنتم أهل الفصاحة والبلاغة، مما يدل على أنه كلام الله، أفلا تدركون بعقولكم أن هذا القرآن من عند الله، لا من عندي؟!

١٧- لا أحد أشد ظلماً ممن افترى (اختلق) كذباً على الله، وادعى ما لم يقله الله، أو كذب بآياته المنزلة على رسله، إنه لا يفوز المجرمون المفترون على الله بشيء.

١٨- ويعبد المشركون من غير الله الأصنام والأوثان، مما لا يضرهم إن لم يعبدوها، ولا ينفعهم إن عبدوها؛ لأنها جمادات لا تضر ولا تنفع، والحق والعقل يقضيان أن يكون المعبود ذا قدرة على النفع والضرر، ولا فائدة لعبادته إن كان عاجزاً، ويزعمون أن هذه الأصنام والأوثان تشفع لهم عند الله في الآخرة، قل لهم أيها الرسول: أتخبرون الله بما لا يعلم في السماء والأرض؟ لا يعلم الله لنفسه شريكاً ولا شفيعاً، تنزه الله وتعاضم عن أن يكون له شريك في ملكه.

١٩- لم يكن الناس بحسب الفطرة إلا أمة واحدة موحدة الله، مؤمنة به، كلهم على الدين الحق، فاختلفوا، فصار بعضهم مؤمناً وبعضهم كافراً، ولولا وعد سابق من الله بتأخير العذاب ليوم القيامة، لقصي بينهم في الدنيا، فيما اختلفوا فيه، وأهلك المبطون وتُجبي المؤمنون.

٢٠- ويقول أهل مكة المشركون الذين كأنهم لم يقتنعوا بالآيات المنزلة على رسوله: هلا أنزل على محمد معجزة مادية محسوسة غير القرآن كإحياء الموتى وجعل الجبال ذهباً، وناقعة صالح، وعصا موسى ويده، ومائدة عيسى؟ فقل لهم أيها الرسول: إن نزول الآية غيب، ولا يعلم الغيب إلا الله، فانتظروا نزول ما اقترحتموه، أو العذاب إن لم تؤمنوا، وإظهار الحق على الباطل، إني منتظر معكم القضاء الفصل.

وَأِنَّا نُنزِّلُ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا تَبَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَأَنْتِ بِغَيْرِ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ فَكُلِّ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلَقَّائِي نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِئْتُ فِيكُمْ عُمَرَاءُ مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ قُلْ أَظَلُّمٌ مِمَّنْ فَتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُضِلُّ أَهْلَ حُجْرٍ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعْنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَشَاءُونَ اللَّهُ يَمَّا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفَقِصْنَا بِهِمْ فِي مَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْنَا إِنَّا نَعْتَبُ بِهِ فَاَنْظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٢٠﴾

وَإِذَا ذُوقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ عَذَابٍ مَسَّكُمْ إِذَا لَهُمْ مَكَرٌ فِي
 آيَاتِنَا قُلْ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكَرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾
 هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ
 وَرَبَّرْتُمْ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا جَاءٌ تَهَارِجُ عَاصِفٌ وَمَجَاءٌ
 الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعْوَاً لِيهِمْ مَخْلَصِينَ
 لَهُ الَّذِينَ لَيْسَ أَجْمَعِينَ مَنْ هَذَا لَنْ كُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾
 فَلَمَّا أَجْمَعُهُمْ إِذَا هُمْ يَبْعَثُونَ فِي الْأَرْضِ بِعَرَبٍ مَنحُوشَاتِنَا النَّاسَ
 إِنَّمَا بَعَثْنَاهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا قُلْ إِنَّمَا مَرَجَعُكُمْ
 فَتَنَتُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ
 أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْطَأَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ
 وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ
 وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْنَا إِنَّمَا أَنْزَلْنَا آبًا
 أَوْ نَهَارًا لِنَجْعَلَهَا حَبِيبًا كَانَ لَكُمْ تَعْنٍ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ
 نَقُصُّ عَلَيْكَ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ
 دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾

٢١- وإذا غمرنا الناس وهم الكفار برحمة، أي مطر وخصب وسعة، من بعد قحط وجوع إذا لهم تدبير خفي وهو الطعن بآياتنا المنزلة للهداية، ولم يشكروا النعمة، قل لهم أيها الرسول: الله أعجل عقوبة، يجازيكم قبل أن تكيّدوا لكتابه، إن الحفظة الملائكة الكاتبين الموكلين بكم يدوتون في صحفكم ما تدبرونه في الخفاء، وتجازون عليه.

٢٢- الله الذي يهسي لكم ويمكنكم من الانتقال في وسائل السفر في البر والبحر، حتى إذا كنتم في السفن وجرت بين فيها بريح ليّنة غير عاصفة توافق اتجاه السير، وفرحوا بتلك الريح، جاءتها ريح شديدة العصف أو الهبوب والتدمير، وأتاهم الموج من كل مكان، وغلب على ظنهم الهلاك وأحاط بهم، توجهوا إلى الله بالدعاء لإجرائهم، مخلصين المناجاة لله وحده. وهذا دليل على التوجه القطري إلى الله، وأن دعاء المضطر ولو كان كافراً مجاب. وقالوا في دعائهم: لئن أنجيتنا من هذه الشدائد والأخطار والمحنة، لنكونن شاكرين نعمتك بالإيمان والتوحيد والطاعة.

٢٣- فلما أنجاهم الله من محنتهم، إذا هم يسارعون إلى الكفر والفساد والمعصية، وينسون ما عاهدوا الله عليه، بغير حق، أي مبطلين فيه وتمردين، يا أيها الناس الذين لم يوفوا بالعهد، وإنما وبال بغيكم وفسادكم على أنفسكم، تتمتعون بالبغي زمن الحياة الدنيا فقط، ثم ترجعون بعد الموت ومتاع الدنيا إلى الله يوم القيامة، فنخبركم بعلمكم في الدنيا وتجازيكم عليه. قال محمول: ثلاث من كن فيه كن عليه: المكر والبغي والنكث.

٢٤- إنما حال الدنيا في سرعة انقضائها وذهاب نعيمها وزوالها مثل ما على الأرض من أنواع النبات، حيث ينزل المطر من السماء، فيختلط النبات بعضها ببعض بسبب الماء، من الحبوب والثمار التي تأكلها الناس، والكلأ والأعشاب التي تأكلها الأنعام، فإذا أخذت الأرض لونها الحسن ونضارتها، وتزيّنت بالأزهار الجميلة المتنوعة، وظن أصحابها أنهم قادرون على حصادها وجني ثمارها والتمتع بها، أتاهم أمرنا بالهلاك في الليل أو النهار، فجعلنا زرعها كالحصود أو المقطوع بالمنجل، كأن لم تكن قائمة بالأمس فيها، مثل ذلك التفصيل والبيان، نبين ونوع الآيات الدالة على التوحيد والقدرة وغيرهما، لقوم يتفكرون في تلك الآيات، فيتفنون بها.

٢٥- وبعد بيان سرعة زوال الدنيا، رغب الله في الآخرة، حيث ذكر أن الله يدعو إلى الإيمان الموصل إلى الجنة، فهي دار السلامة من الآفات، ويوفق من يريد إلى سلوك طريق مستقيم، هو الإقرار بوجود الله وتوحيده وطاعة أحكامه وتنفيذ أوامره.

٢٦. للذين أحسنوا بالإيمان والعبادة والأعمال المشوية الحسنى وهي الجنة، وزيادة عليها من النعيم الروحي وهو النظر إلى وجه الله الكريم، ولا يفشى وجوههم غيرة فيها سواد، ولا مذلة، مما يتعرض له أهل النار، أولئك هم أصحاب الجنة، هم فيها مقيمون على الدوام.

٢٧. والذين اقتصروا المعاصي وكفروا بالله، لهم جزاء السيئة بمنثلها فقط، فتجازى السيئة الواحدة بسيئة واحدة، لا زيادة عليها، وتغشاهم المذلة والخزي والهوان، ليس لهم مانع يعصمهم من سخط الله وعذابه، كأنما ألبست وجوههم جزءاً مظلماً من الليل، أولئك الكفار هم أصحاب النار، هم فيها مُخلّدون أبداً لا يخرجون منها.

٢٨. ويوم نجمع جميع المخلوقين للحسنين والمسيئين، ثم نقول للمشركين تقريباً وتوبيخاً: الزموا مكانكم أتم ومعبوداتكم الآلهة، ففرقنا بين المشركين وشركائهم، المعبودين والعابدين، فتخاصموا، وقال المعبودون الشركاء للعابدين المشركين: كم تكونوا عابدين لنا حقيقة، وإنما عبدتم أهواءكم وشياطينكم الأمرة بالإشراك، وهذا يتضمن إنكار أمرهم لهم بالعبادة.

٢٩. فكفى الله شاهداً بيننا وبينكم: أننا ما أمرناكم بالعبادة، ولا رضينا بها منكم، إننا كنا غير عالين بعبادتكم، ولم نشعر بها، ولا طلبناها منكم.

٣٠. هنالك في ذلك الموقف الأخروي في مكان الحشر تختبر كل نفس ما قدمت، أي تجدد نتيجة عملها من خير أو شر، وأرجع المشركون إلى جزاء ربهم، دون المعبودات الباطلة، وهو المتولي أمورهم حقيقة، والثابت الدائم الصادق الربوبية، وغاب واختفى وبطل ما كانوا يدعون ويفترون عليه من الآلهة المزيفة، فلا تنفع ولا تشفع.

٣١. قل أيها النبي للمشركين: من يرزقكم من السماء بالمطر، ومن الأرض بالنبات والثمر والمعادن؟ ومن الذي أوجد لكم السمع والأبصار وغيرهما من الحواس، فيملك خلقها وتسويتها على نحو يحصنها ويحفظها من الأفات؟ ومن الذي يخرج الحي من الميت كالنبات من الأرض، والطير من البيضة، والإنسان من النطفة، ويخرج الميت من الحي، كعكس ما ذكر، فيجعل الحي رماداً ميتاً؟ ومن يلي تدبير أمر السماء والأرض بتقديره وقضائه؟ فسيقولون لك: الله هو الفاعل لهذه الأمور، فقل لهم أيها الرسول: أفلا تتقون الله وتخشون فاعل هذه الأفعال، فتؤمنوا به وحده وتخصوه بالعبادة. ويلاحظ أنه أفرد السمع وجمع الأبصار؛ لأن السمع أداة تحصيل العلم من كل جهة للسامع، بخلاف البصر فإن المعلومات لا تحصل إلا بتعدد جهة النظر.

٣٢. فذلكم الفاعل لهذه الأشياء هو الله الرب الحقيقي، الثابت الربوبية، لا ما أشركتم معه، فليس بعد عبادة الله التي هي الحق إلا الضلال والانحراف، والكفر والشرك، فكيف تصرفون عن الحق الظاهر وهو الإيمان إلى الضلال مع قيام البرهان؟! مع قيام البرهان؟!

٣٣. كما صرف هؤلاء عن الإيمان بضلالهم، ثبت حكم الله وقضاؤه على الذين خرجوا عن الحق والإيمان إلى الباطل والكفر: أنهم لا يؤمنون أبداً، لإصرارهم على الإعراض عن التأمل في الأدلة والبراهين والمخلوقات.

الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ ظُلُمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جِجَاءً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ فَيَلْنَا بِهِنَّ وَقَالَ سُحْرَاءٌ مُّمْتِرَاتٌ أَيْنَ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكُنِ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ غَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلَأُونَ كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَيُّ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَشْنَىٰ بِمَالِكِ السَّمْعِ وَالْأَبْصَارِ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الَّذِي فَمَا ذَابَعَدَ الْحَيُّ إِلَّا الْأَضَلُّ فَإِنَّ تَصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾



قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ قُلْ اللَّهُ يَبْدَأُ
 الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ فَأَنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ
 يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَنْ يَهْدِيَ إِلَى الْحَقِّ أَحَدٌ
 أَنْ يَبِيعَ أَمِنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ فَأَلْكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾
 وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ
 عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَى مِنْ
 دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ نَصَدِقُونَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ
 لَدَرْبٍ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَنُوحًا
 بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعَاؤٍ مِنْ أَسْطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
 ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعَلَمِهِ وَكَلِمَاتِهِمْ تَأْوِيلُهَا
 كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
 الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمَنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ
 أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٌ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ
 اللَّهُ يَبْرِيئُ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بِسَبْحِيٍّ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمَنْهُمْ مَنْ
 يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمَمَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾

٣٤- قل أيها الرسول للمشركين: هل من معبوداتكم الأصنام والأوثان وغيرها من يقدر على خلق العالم، ثم يعيده مرة أخرى بالبعث بعد الموت، قل جوابا لا غيره: الله هو المبدئ والمعيد، لا الشركاء، فكيف تصرفون عن الحق إلى الباطل وعن عبادة الله إلى غيره مع قيام الدليل؟

٣٥- قل أيضا: هل من شركائكم المعسوبة والآلهة المزعومة من يرشد إلى الحق والإسلام؟ وإذ لم يجيبوا فقل: الله وحده هو الذي يهدي للحق بما أنزله من الآيات، وإرساله الرسل، وإنزاله الكتب، وخلق الموجودات، أفمن يرشد إلى الحق، وهو الله تعالى أحق أن يقتدي به أم الأحق بالاتباع من لا يهتدي بنفسه إلا أن يهديه غيره؟ فما لكم كيف تحكمون باتخاذ الأصنام ونحوها شركاء لله؟ وأصل ﴿يهدي﴾ يهتدي، فأدغمت التاء في الدال وفتحت الهاء بحركة التاء، أو كسرت لالتقاء الساكنين لاتباع ما بعدها.

٣٦- وما يتبع أكثر المشركين في عبادة الأصنام إلا ظنا مجرد خيال، وهما فاسدا، وهو تقليد الآباء، إن هذا الظن الفاسد لا يفيد شيئا في طلب العلم، ولا يغني عن الحق الأبلج والاعتقاد الصائب، إن الله عليم بأفعالهم، فيجازيهم عليها.

٣٧- وما كان من شأن هذا القرآن وما صح لعاقل أن يكون مكذوبا، وليس من عند الله، ولكن هذا القرآن مصدق لكل ما تقدمه من رسالات الرسل كدعوة إبراهيم وصحفه، والكتب الإلهية كالتوراة والإنجيل والزيور، ومبين ما جاء فيه من الأحكام وغيرها، لا شك فيه أنه من رب العالمين. والمراد بالكتاب: جنسه.

٣٨- بل يقولون: اختلقه محمد، قل أيها النبي: إن كان من فعلي، فأتوا بسورة مماثلة له في البلاغة والفصاحة، فأنتم عرب مثلي، واطلبوا المساعدة على الإتيان بمثله من أي شخص كان أو من ألهتكم شركاء الله، إن كنتم صادقين في ادعائكم أن هذا القرآن مقترى مني.

٣٩- بل إنهم كذبوا بالقرآن قبل أن يفهموا معانيه ويعلموا ما فيه، ولم يطلعوا على تأويله، ولم تتحقق عاقبة ما فيه من الوعيد، كذلك التكذيب بالقرآن، كذب من قبلهم من الأمم رسلهم، فانظر أيها المتأمل كيف كان مصير المكذبين رسلهم، كيف أهلكوا بكفرهم؟

٤٠- ومن أهل مكة المكذبين من يصدق بالقرآن، ومنهم من لا يصدق به في نفسه لفرط غيبائه، أو في المستقبل بموته على الكفر، وربك أعلم بالمعاندنين المصيرين على الكفر.

٤١- وإن أصروا على تكذيبك، فقل لهم: لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم، لا تؤاخذوني بعلمي، ولا تؤاخذكم بعملكم، فلا يؤاخذ أحد بذنوب غيره.

٤٢- ومن هؤلاء المشركين أو الكفار أناس يستمعون إليك أيها النبي إذا قرأت القرآن، وعلمت الشرائع، ولكنهم لا يقبلون كالأصم الذي لا يسمع أصلا، أتستطيع إسماع الصم ولو كانوا لا يعقلون شيئا؟ كلا.

وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَأَنْتَ تَهْدِي أَلْمَسَىٰ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ
 ٤٣ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسُهُمْ
 يَظْلِمُونَ ٤٤ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لُّرَيْبِيًّا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ
 يَنْعَارُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا
 مُهْتَدِينَ ٤٥ وَإِنَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّيَنَّكَ
 فَإِنَّمَا مَرْجِعُهُمْ إِلَى اللَّهِ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ٤٦ وَلِكُلِّ
 أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قَضِيَ بَيْنَهُمُ الْقِسْطُ وَهُمْ
 لَا يَظْلَمُونَ ٤٧ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ
 ٤٨ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ
 أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَجِرُّونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتُنْفِئُونَ ٤٩
 قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُمْ عِدَائِي عِدَابِي بَلَاءٌ أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَجِيرُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ
 ٥٠ أَمْ إِذَا مَا وَقَعَ أَمْنٌ بَيْنَهُمْ أَتَىٰ وَوَقَعَتْ بِهِمْ سَسَجِيلُونَ
 ٥١ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ
 إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ٥٢ وَيَسْتَدْعُونَكَ أَحَقُّ
 هُوَ قَوْلِي دَرَيْتُ إِنَّمَا لِحَقِّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ٥٣

٤٣- ومن المشركين من يشاهد فيك دلائل النبوة، ولكن لا يصدقونك، فهل تستطيع أن تهدي العمي، ولو انضم إلى عدم البصر فقد البصيرة؟ والآية كالتعليل بالتبري والإعراض عنهم، لعدم وجود الاستعداد للفهم والهداية.

٤٤- إن الله لا يعاقب أحداً من غير جرم، ولكن الناس يظلمون أنفسهم بتعطيل وسائل المعرفة، والتعصب وكرهية الحق.

٤٥- واذكر أيها الرسول يوم يجمع الله الخلاق في موقف واحد يوم القيامة، كأنهم من شدة الهول لم يكتفوا في الدنيا إلا لحظة بمقدار التعارف فيما بينهم، قد خسروا الذين كذبوا بالبعث، وما كانوا مهتدين إلى طريق الرشاد والنجاة من العذاب.

٤٦- وإن نبصرتك أيها النبي بعض ما نعدهم به من العذاب في حياتك بالقتل والأسر، أو نميتك قبل تعذيبهم، فريك عذابهم في الآخرة، وإلينا مصيرهم يوم القيامة، ثم الله مطلع على أفعالهم من الكفر والعناد والتكذيب، ويجازيهم عليها. والمراد: إخبارهم بأنه لا فائدة لهم من موت النبي ﷺ، ولا يأمنون من كل شر يموت كما يظنون.

٤٧- ولكل أمة من الأمم الماضية رسول يبين لهم

أحكام العقيدة والشريعة، ويشهد عليهم، فإذا حضر رسولهم إلى الموقف ليشهد عليهم، قضي بين الأمة ورسولها بالعدل، وهم لا يظلمون في مجازاتهم على أعمالهم.

٤٨- ويقول المشركون للنبي والمؤمنين: متى هذا الوعد بالعذاب الذي نتوعدنا به إن كنتم صادقين في التوعد؟ يريدون بذلك استبعاد العذاب والاستهزاء به.

٤٩- قل لهم أيها النبي: لا أملك لنفسي تحقيق نفع أو دفع ضرر، فكيف أملك ذلك لغيري؟ ولكن ما شاء الله من ذلك كان، فهو بمشيئته يمكنني من أمر، فكيف أملك لكم إيقاع العذاب؟ لكل أمة وقت محدد للهلاك، فإذا جاء وقت انقضاء آجالهم، فلا يتأخرون عن ذلك الأجل المعين ساعة، ولا يتقدمون عليه ساعة.

٥٠- قل لهم: أخبروني، إن أتاكم عذاب الله الذي تستعجلون به ليلاً أو نهاراً بغتة، فأى فائدة في استعجاله، وما مقتضي للاستعجال، وما نوع العذاب الذي يستعجلونه؟ وهو واقع بهم حتماً، وكله شديد الأكم، لا يلائم الاستعجال.

٥١- هل تستعجلون بالعذاب، ثم إذا وقع أمتهم به؟ أفي هذا الوقت تؤمنون حين لا ينفعكم الإيمان، وقد كنتم قبل نزوله تعجلون العذاب تكديباً منكم واستهزاءً؟!

٥٢- ثم يقال للذين ظلموا أنفسهم بالكذب: ذوقوا العذاب، لا تجزوا إلا ما كنتم تعملون في الدنيا من المعاصي والكفر.

٥٣- ويطلبون منك حقيقة النبا وهو الخبر أو يستخبرونك: أحق ما تعدنا به من العذاب؟ قل لهم: نعم والله ربي إنه لحق ثابت كائن، ولستم بمعجزتي الله إذا أراد تعذيبكم.



وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا
 التَّمَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَفُتِنَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ
 لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْآيَاتُ
 وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يَجِيءُ
 وَيَمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمْ مَوْعِظَةٌ
 مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي أصدُورِهِمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ
 ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا
 يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ بَيْنَهُ
 حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ ءَا لِلَّهِ آذُنٌ لَكُمْ أَعْلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ
 ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ
 ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ
 مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُبْعِضُونَ فِيهِ وَمَا
 يَمُرُّبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا نَعْلَمُ مَا تَفْعَلُ ﴿٦١﴾ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ
 بَرًّا إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦٢﴾

٥٤- ولو أن لكل نفس ظلمة بالكفر والضلال، يوم القيامة، جميع ما في الأرض من ثروات وخزائن وأموال، لجعلته فدية من العذاب، ما تُقبل منها، وأخفوا التمامة لما شاهدوه من ألوان العذاب الرهيبة المحيطة بهم من كل جانب، وحكم بين المؤمنين والكافرين بالعدل، وهم لا يُنقصون شيئاً من أعمالهم.

٥٥- وتقريراً لقدوته تعالى على الثواب والعقاب، أبان أن له جميع ما في السموات والأرض ملكاً وخلقاً وعبداً، فلا يملك أحد شيئاً يوم القيامة ليفتدي من العذاب، إلا إن وعد الله بالبعث والجزاء حق كائن لا محالة، ولكن أكثر الناس وهم الكفار لا يعلمون ما فيه صلاحهم وفسادهم حقيقة، وما ينتظرونهم في الآخرة.

٥٦- الله وحده هو الذي يحيي ويميت؛ وإليه تعودون في الآخرة، فيجازيكم على أعمالكم، خيراً أو شراً.

٥٧- يا أيها الناس في مكة وغيرها قد جاءكم موعظة بليغة مؤثرة؛ وهي ما تضمنه القرآن من الوصية بالحق والخير، واجتناب الشر والباطل، بأسلوب ترغيبية وترهيبية، ودواء ناجع لما في

الصدور من العقائد الفاسدة والشكوك، وبيان الحق من الضلال، وإرشاد لما يوصل إلى الجنة، ورحمة من الله تقتضي الإحسان والعطف على المؤمنين، وهي ما في القرآن من أمور ترحم العباد، كالتذكير الدائم بالطاعة، والتحذير من عقاب الآخرة، والترغيب في النعيم الأبدي في الجنة.

٥٨- قل أيها النبي: ليفرح المؤمنون بفضل الله وهو الإسلام وإنزال القرآن، وبرحمته بأن جعلهم من أهل القرآن وأتباع النبي ﷺ، فبذلك الفضل والرحمة يُسرُّوا، وهو خير مما يجمعون من حطام الدنيا.

٥٩- قل يا رسول الله للمشركين: أخبروني عما خلق الله لكم وأوجد من رزق، فجعلتم بعضه حراماً كالبهيرة والسائبة والوصيلة، وبعضه الآخر حلالاً كما ذكر في سورة الأنعام [٦/١٣٨، ١٣٩، ١٤٤] قل: الله آذن لكم بالتحريم والتحليل بوحى من عنده، أم أنكم تكذبون على الله؟

٦٠- وأي شيء ظن الذين يتعمدون الكذب على الله أن يصنع بهم في يوم القيامة، أيحسبون أنه لا يعاقبهم على أعمالهم؟ بل سيجازون بما يفترون، والمراد تهديدهم. والله صاحب الفضل الكبير على الناس حيث أمهلهم في العقاب، ولكن أكثر الناس لا يشكرون هذه النعمة.

٦١- وما تكون يا محمد في شأن من الشؤون كالعبادة أو الدعوة ونحوهما، وما تتلو من قرآن أنزله الله عليك، وتخصيصه بالذكر بعد التعميم تفخيم له، ولا تعملون أيها الناس من عمل خير أو شر إلا كنا عليكم رقباء، نراكم ونسمعكم ونحصى عليكم، حين تندفعون وتشرعون فيه من قول أو عمل، وما يغيب عن علم ربك وزن ذرة كنملة أو هباء، مهما كانت صغيرة، سواء كانت في الأرض أو السماء، حتى ولو كانت أصغر من تلك الذرة أو أكبر منها، إلا وقد دوّن في اللوح المحفوظ، فهو الكتاب البين.

٦٢- ألا إن أصفياء الله والمقربين إليه وهم
خلصاء المؤمنين الذين يلتزمون طاعة الله ويجتنبون
معصيته، فوالله بالعمارة والكرامة والتوفيق،
لا خوف عليهم من عذاب الآخرة، ولا يحزنون
على ما فاتهم من الدنيا.

٦٣- وهم المؤمنون حقاً بالله واليوم الآخر،
ويتقون الله بامثال أوامره واجتنب نواهيه.

٦٤- ولهؤلاء الأولياء البشري من الله في الدنيا
بالسعادة والنصر والتمكين في الأرض ما داموا على
شرع الله ودينه، وكذلك الرؤيا الصالحة التي
يرونها، وفي الآخرة الجنة والثواب وتلقي الملائكة
لهم مبشرين بالفوز بالنعيم والتكريم، لا تغيير
لأقوال الله ووعوده، فإنها تتحقق لا محالة، ذلك
هو الفوز العظيم بالجنة والرضوان.

٦٥- ولا يحزنك أيها الرسول إشراك المشركين
وتكذيبهم وطعنهم في الدين وبك، كقولهم:
ساحر أو مجنون أو كاهن كاذب؛ لأن الغلبة
والقوة والقهر لله جميعاً، فهو ناصرك عليهم،
وخاذلهم، وهو سبحانه السميع لأقوالهم، العليم
بنواياهم وأفعالهم ومؤامراتهم.

٦٦- ألا إن الله وحده جميع من في السموات
والأرض من الملائكة والجن والإنس، ملكاً وخلقاً وعبداً، فكيف يعبد المشركون المملوك ويتركون المالك؟
وما يتبع الذين يعبدون من غير الله أصناماً وغيرها شركاء له على الحقيقة، فهم ليسوا بالشركاء فعلاً، والله
مالكهم، ما يتبعون يقيناً، وإنما ظناً فاسداً أنهم شركاء لله، وما هم إلا يكذبون فيما ينسبون إلى الله تعالى،
ويخمنون باطلاً.

٦٧- الله هو الذي جعل لكم الليل محل سكن واطمئنان ليستريح الناس فيه من عناء التعب والكد، والنهار
مضيئاً، تظهر فيه الأشياء والمصالح بوضوح، إن في ذلك لآيات دالة على قدرة الله ووحدانيته، لقوم يسمعون
سماع تدبر واتعاظ، وتفهم وقبول.

٦٨- قال المشركون الذين زعموا أن الملائكة بنات الله، واليهود والنصارى: تبنى الله ولداً، تنزهه وتقدس
عن التبني وعما يقولون، هو الغني عن ذلك كله؛ لأن الولد للحاجة، والغني المطلق لا حاجة له حتى يتخذ
ولداً، وله كل ما في السموات والأرض، فلا يصح أن يكون له ولد، لأنه لا يجتمع الملك والبنوة والأبوة،
ولأن الكل محتاج إليه، ليس عندكم من حجة أو دليل على ادعائكم، أتقولون على الله قولاً لا حقيقة له،
ولا يصح عقلاً وواقعاً نسبته إليه؟

٦٩- قل أيها النبي: إن الذين يختلفون على الله الكذب بنسبة الولد والشريك إليه، لا يفوزون بالجنة، ولا
ينجون من النار.

٧٠- لهم تمتع قليل في الدنيا فقط مدة حياتهم، ثم يرجعون إلى الله بالموت، ثم نذيقهم العذاب الشديد
المؤبد بسبب كفرهم وكذبهم على الله تعالى.

أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَخَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ
اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ
إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَا إِنَّ اللَّهَ
مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ
يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ
وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخُصُّونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ
لِتَسْكُنُوا فِيهَا وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلِداً سُبْحَانَ هُوَ
الْعَلِيِّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ
مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَعْتَدُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾
قُلْ إِنْ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَقُولُونَ
﴿٦٩﴾ مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِقُهُمُ
الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

٧١. وائل يا محمد على المشركين في مكة خبر نوح حين قال لقومه: يا قوم إن كان عظيم وشق عليكم وجودي فيكم ألف عام إلا خمسين، وقيامي بوعظكم بآيات الله التكوينية والتنزيلية، وعزمت على إيدائي، فقد فوّضت أمري إلى الله وثقت به، فاعزموا عزمًا مؤكداً متفقين مع شركائكم الذين تعبدونهم من دون الله على أمر تفعلونه بي، ثم لا يكن أمركم مستوراً خفياً فيه حيرة وتردد، بل ظاهراً منكشفاً، ثم نفذوا ذلك الأمر الشرابي، ولا تمهلوني ولا تؤخروني، فإنني لست مبالياً بكم؛ لأن الله يحميني ويحفظني. وهذا الكلام من نوح لثقتة بنصر ربه.

٧٢. فإن أعرضتم عن دعوتي وتذكيري، فما طلبت منكم أجراً على تبليغ الرسالة، يوجب نقله عليكم وإعراضكم، ما ثوابي وأجري إلا على الله، سواء أتمتم أو توليتهم، وأمرت أن أكون من المنقادين لحكم الله، لا أخالف أمره، ولا أرجو غيره.

٧٣. فأصروا على تكذيبه بعد أن ألزمهم الحجة، فاستحقوا العذاب، فنجيتاه من الغرق، ومن آمن وركب معه في السفينة التي صنعها بأمر الله، وعددهم ثمانون، وجعلنا هؤلاء الناجين من الغرق خلفاء في عمارة الأرض وسكنائها بعد المهلكين بالطوفان،

﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَّبِعُونَ إِنْ كَانَ لَكُمْ عَلَيْنُمْ مَقَامِي وَتَذَكَّرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَسَىٰ أَلَّهُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ شِرْكَاءَ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غَمًّا ثُمَّ أَنْتُمْ تُنصِرُونَ وَلَا تُنظِرُونَ ﴿٧١﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَسْأَلُكُمْ مِنْ أَجْرِي أَنْ أَوْجِرَ إِلَى اللَّهِ وَأُفْرِتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُنْسَلِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْقًا وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَشَأْنَا مِنْ عِبَادِهِ رَسُولًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَشَأْنَا مِنْ عِبَادِهِمْ مِثْلَهُمْ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا فَجْرًا مِينًا ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْعَلُ سِحْرٌ وَلَا كِبْرٌ هَذَا قَالُوا أَجِئْنَاكَ بِآيَاتِنَا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آيَاتًا وَأَوْكُنَّا كَمَا كُنَّا الْكُفْرَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾

وأعرفنا الكفار المعاندين لنوح المكذبين بآياتنا بالطوفان، فانظر أيها النبي كيف كان مصير المنكرين من نوح المكذبين له، من إهلاكهم، فكذلك نفعل بمن كذب. وهذا تطمين وتسرية عن نفس الرسول ﷺ وتهديد للمشركين.

٧٤. ثم أرسلنا من بعد نوح رسلاً كهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب إلى أقوامهم، فجاوزهم بالمعجزات الدالة على صدقهم في دعواهم، وبالشرائع، فلم يصدقوا بالرسالة، واستمروا على الكفر، ولم يوفقوا للإيمان بسبب تصميمهم السابق على تكذيب الرسل، وكما ختمنا على قلوب أولئك، نختم على قلوب المتجاوزين الحد في الكفر والتكذيب.

٧٥. ثم أرسلنا من بعد الرسل المذكورين موسى وهارون إلى فرعون وقومه، بأدلتنا الدالة على صدقهما أو بالمعجزات وهي الآيات التسع المذكورة في القرآن الكريم، فاستكبروا عن الإيمان بها ولم يقبلوها، وكانوا قوماً آثمين مجرمين يرفضهم دعوة موسى وهارون.

٧٦. فلما جاء فرعون ووجهاء قومه الحق الذي جاء به موسى من عند الله، قالوا: هذا سحر واضح، مكابرة منهم.

٧٧. قال موسى لهم: أتقولون للحق الذي أتاكم: هذا سحر؟ والسحر باطل، ولا يظفر السحرة بخير، ولا ينجون من مكروه.

٧٨. قال فرعون وقومه: أتريد أن تصرفنا عما وجدنا عليه آباءنا وهو عبادة الأصنام، وتفرد مع أخيك بالرياسة بعد طرد رؤسائنا، ويكون الملك والسلطان في أرض مصر لكما، وما نحن بمصدقين برسالتكما، فهم رفضوا الرسالة لأمرين: التمسك بتقليد الآباء، والحرص على الرياسة.

٧٩- وقال فرعون لحاشيته لما رأى آيات موسى من اليد البيضاء والعصا التي تتحول ثعباناً: أحضروا لي كل ساحر حاذق في السحر، لاعتقاده أن ما جاء به موسى من السحر.

٨٠- فلما حضر السحرة قال لهم موسى في ساحة المبارزة: ألقوا ما أنتم ملقون من وسائل السحر وأدواته.

٨١- فلما ألقوا حبالهم وعصيهم، قال لهم موسى: الذي جئتم به هو السحر بذاته، لا ما سماه فرعون سحراً وهو المعجزات، إن الله سيظهر بطلانه، وينصرنى، إن الله لا يثبت ولا يقوى عمل المفسدين، وإنما يبدده. وهذا دليل على أن السحر إفساد وتعمية وتخيل.

٨٢- ويظهر الله الحق على الباطل ويثبتته، ويمكن له بأوامره الكونية وقضايه وكلماته في كتبه المنزلة على أنبيائه المشتملة على البراهين، ولو كره المجرمون ذلك.

٨٣- فما آمن برسالة موسى إلا عدد قليل من قومه أولاد بني إسرائيل، مع خوف من فرعون وأشرف قومه، لثلا يتلهم بالتعذيب ليصرفهم عن دينهم، وإن فرعون لمستعل متكبر جبار متسلط

على أرض مصر وأهلها، وإنه لمن المكثرين من الشر والفساد والمتجاوزين الحد في الكفر والضلال وادعاء الربوبية.

٨٤- وقال موسى: يا قوم إن أمنتكم بالله حقاً، فشقوا به واعتمدوا عليه إن كنتم متقادين له، مخلصين له، مدعين لأمره.

٨٥- فقالوا: اعتمدنا على الله وفوضنا أمرنا إليه، ربنا لا نجعلنا موضع فتنة، ولا تسلط علينا القوم الظالمين، فيعذبونا ليردونا عن ديننا.

٨٦- وخلصنا برحمتك من كيد القوم الكافرين: فرعون وقومه.

٨٧- وأوحينا لموسى وأخيه أن اتخذا لقومكما بني إسرائيل بمصر بيوتاً للعبادة، واجعلوا أيها المؤمنون بيوتكم مساجد تصلون فيها سرّاً لتأمنوا من الخوف، وأقيموا الصلاة وأتموها فيها، حتى لا يؤذيكُم الكفرة الأعداء، وبشر المؤمنين الصادقين بالنصر في الدنيا، والجنة في الآخرة.

٨٨- وقال موسى: ربنا أعطيت فرعون وجماعته ما يتزين به من ملبوس ومركوب وحلية وأثاث وسلاح وصحة وغير ذلك، وأموالاً كثيرة في الدنيا، ربنا أعطيتهم ذلك لتصير عاقبة أمرهم أن يضلوا عن دينك، ويصرفوا الناس عن الحق، ربنا أهلك أموالهم وأمحقها، واجعل قلوبهم قاسية مطبوعة مختومة لا تقبل الحق، ولا يدخلها الإيمان، حتى يزدادوا طغياناً فيزداد عذابهم، ولا يؤمنوا إلا بعد معاينة العذاب الشديد الألم، فلا ينفعهم الإيمان حيثئذ. قال موسى هذا القول لما يئس من إيمانهم الاختياري. كما طلب نوح عليه السلام ذلك.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُوقُونَ كُلَّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِمُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ

مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُطْلِعُنَا عَلَى الْفَاسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَبَشَّرَ اللَّهُ أَخِيَّ كَلْبًا وَوَلَوْ كَرِهَ الْخَافِرُونَ ﴿٨٢﴾

﴿٨٣﴾ فَأَمَّا مَنْ لَمْ يَرْغَبْ إِلَى الذِّكْرِ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَنْبِتَهُمْ وَإِنْ فِرْعَوْنُ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ

لَمِنَ الْمُتَسْرِفِينَ ﴿٨٤﴾ وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ تَمْتَرُونَ بِأَلَلِهِ فَمَا لَهُمْ قَوْمًا أَنْ كُنتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٨٥﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ وَنَجِّنَا

بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوُّوا الْقَوْمَ كَمَا بَصُرْتُمْ بِهِ وَأَجْعَلُوا لِيُؤْمِنُوا بِكُمْ قِبَلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقَالَ مُوسَى

رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَصْرُوا بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٨٩﴾

وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُوقُونَ كُلَّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِمُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُطْلِعُنَا عَلَى الْفَاسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَبَشَّرَ اللَّهُ أَخِيَّ كَلْبًا وَوَلَوْ كَرِهَ الْخَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَمَّا مَنْ لَمْ يَرْغَبْ إِلَى الذِّكْرِ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَنْبِتَهُمْ وَإِنْ فِرْعَوْنُ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُتَسْرِفِينَ ﴿٨٤﴾ وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ تَمْتَرُونَ بِأَلَلِهِ فَمَا لَهُمْ قَوْمًا أَنْ كُنتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٨٥﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوُّوا الْقَوْمَ كَمَا بَصُرْتُمْ بِهِ وَأَجْعَلُوا لِيُؤْمِنُوا بِكُمْ قِبَلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَصْرُوا بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٨٩﴾

قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمْ فَاَسْتَمِعُوا لَنَا نَبَأَ سَبِيلِ
 الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ وَجَوْرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالنَّهْرِ
 فَاتَّبِعْهُمْ فَرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ بَيْتًا وَعَدُوًّا حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكَ الْفَرْقُ
 قَالَ ءَأَمَنْتَ اللَّهُ إِلَّا لِلَّهِ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ
 وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَأَلْقَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ
 الْفَاسِقِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً
 وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي
 إِسْرَائِيلَ مَسَاجِدَ وَبَدْرًا قَهْرًا مِنَ الظَّالِمَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ
 جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَا كَانُوا
 فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ
 فَسْئَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ
 جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُ مِنَ الْمَشْكُوبِ عَلَيْهِ ﴿٩٤﴾
 وَلَا تَكُ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَكُفَرُوا مِنْهَا
 فَتُحْسِنُونَ ﴿٩٥﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَيْدُكَ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
 وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٦﴾

٨٩- قال الله لموسى وهارون: قد أجيبت دعوتكما، فاثبتا على ما أنتم عليه من الدعوة والزام الحجة، والتمسك بالدين وأحكامه، إلى وقت مجيء العذاب، ولا تتبعان طريق الجهلة في الاستعجال وعدم الثقة بوعده الله تعالى.

٩٠- وجعلنا بني إسرائيل يتجاوزون البحر بقدرتنا، حتى وصلوا إلى البر سالمين، فلحقهم فرعون ظملاً واعتداء، حتى إذا وصله الفرق، قال: أمنت أنه لا إله إلا الذي أمنت به بنو إسرائيل، وأنا من المستسلمين لله بالعبودية والتوحيد والطاعة. ولكن لم ينفعه هذا الإيمان عند اليأس.

٩١- فرد الله تعالى عليه: الآن تؤمن؟ أي أتؤمن الآن حين مشاهدة الموت، ومن غير اختيار؟ وقد عصيت الله قبل ذلك مدة عمرك، فلم تقر له بالعبودية والطاعة، وكنت من الضالين المضلين عن الإيمان.

٩٢- فاليوم نخرجك بجسدك من البحر ليرك بنو إسرائيل وغيرهم، فقفده البحر ميتاً، حتى شاهده، وتكون لمن يأتي بعدك عبرة يتعظ بها الناس، حتى يحذروا من التكبر وادعاء الربوبية، والتمرد على الله سبحانه، ويعرفوا عبوديتك، وإن كثيراً من الناس عن آياتنا ذات العظة والعبرة لغافلون لا يتأملون ولا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها.

٩٣- ولقد أنزلنا وأسكننا بني إسرائيل بعد هلاك فرعون وجنوده منزل كرامة ومكاناً صالحاً مرضياً في أرض مصر والشام، ورزقناهم من طبيبات الرزق وحلاله، فما اختلفوا في أمر دينهم، بأن آمن بعضهم وكفر بعض، إلا من بعد قراءة التوراة ومعرفة أحكامها، إن ربك يحكم بينهم بحكمه العادل يوم القيامة، فيما اختلفوا فيه، فيميز المحق بالنجاة، من المبطل بالهلاك.

٩٤- فلإن كنت أيها النبي- والمراد به قومه- في شك من حقيقة ما أخبرناك به من القصص- وهذا على سبيل الافتراض- فاسأل الذين يقرؤون الكتاب الإلهي كالتوراة والإنجيل، الذين أسلموا وأمنوا بالقرآن، كعبد الله بن سلام، فإنهم سيخبرونك بأن القرآن كتاب الله حقاً وأنتك رسوله، لقد جاءك الحق الساطع واضحاً لا مرية فيه، من ربك الذي أنزل عليك الوحي، والآيات القاطعة، فلا تكونن من الشاكين المترددين فيه، في صحة ما أنزلنا إليك. قال قتادة: ذكر لنا أنه ﷺ قال: «لا أشك ولا أسأل».

٩٥- ولا تكونن من المكذبين بآيات الله التكوينية والتنزيلية، فتصير من الخاسرين الدنيا والآخرة. وهذا من باب التهيج والتثيت، وتبئيه الأمة مبتدأة بقائدها وأسوتها.

٩٦- إن الذين وجبت وثبت عليهم كلمة ربك باستحقاق العذاب، أي قضى عليهم بالعقاب، لإصرارهم على الكفر وموتهم عليه، لا يقع منهم مطلقاً الإيمان بالله إلهاً واحداً.

٩٧- لا يؤمنون، ولو جاءتهم كل معجزة ودليل قاطع على وحدانية الله، من أدلة الخلق والإبداع والتنزيل، حتى يعابوا العذاب، كما فعل فرعون، وحيث لا يفهمهم الإيمان.

٩٨- فهلا آمنت قسرية من هذه القسرى التي أهلكناها، وصدق أهلها قبل معاينة مقدمات العذاب، ولم يؤخروا الإيمان كما أخر فرعون، فضعهم الإيمان بأن تقبله الله منهم وكشف العذاب عنهم، لكن قوم يونس الوحيدون الذي نضعهم الإيمان، لما آمنوا بحق وإخلاص، في حال الاختيار، عند رؤية أمارة العذاب، ولم يؤخروه إلى وقت حلوله، كشفنا عنهم عذاب الذل والهوان الذي كان يونس قد وعدهم به، ومتعناهم بخيرات الدنيا ومنافعها إلى وقت انقضاء آجالهم الطبيعية. وهذا تنبيه وتحذير لأهل مكة وأمثالهم ليختاروا الإيمان، ويقلعوا عن الكفر.

٩٩- ولو شاء ربك أيها الرسول، لخلق الإيمان، وصدق برسالتك الناس كلهم مجتمعين في وقت واحد، ولكنه سبحانه لم يفعل، ليكون الإيمان عن اختيار، وبمشيئة الله تعالى، فلا بد لكل إيمان وعمل من مشيئة الله، أفانت تجبر الناس على الإيمان بما لم يشأه الله منهم، حتى يكونوا مؤمنين مصدقين برسالتك، فليس ذلك بمقدورك، وما عليك إلا البلاغ.

١٠٠- وما صح وما تم لنفس أن تؤمن إلا بإرادة الله وتوفيقه، فلا يقع شيء في الوجود بغير مشيئة الله،

ولا يتجهد نفسك في هداها، فإنه إلى الله تعالى، ويجعل الله العذاب على الذين لا يتفكرون في آيات الله.

١٠١- قل أيها الرسول للكفار: تفكروا بما في السموات والأرض من عجائب المصنوعات الدالة على وجوده ووحديته وقدرته، ولا تنفع الآيات والبراهين، والرسائل المنذرة، في دفع العذاب عن قوم أصروا على الكفر، ولا يتوقع إيمانهم، في علم الله تعالى.

١٠٢- فهل ينتظر هؤلاء المشركون والكفار المعاصرون للنبي ﷺ إلا مثل ما وقع من ألوان العذاب للأمة الكافرة السابقة التي كذبت رسالتها، وصمموا على الكفر، فانظروا وعد ربكم، إني معكم من المنتظرين وعد ربي وقضاءه النافذ.

١٠٣- ثم نجينا رسلنا المؤمنين معهم من العذاب، وأهلكنا الأمم الظالمة، وكما أنجينا رسلنا والذين آمنوا بهم، كذلك ننجي حقاً علينا المؤمنين بالنبي محمد ﷺ من عذابنا للكفار.

١٠٤- قل أيها الرسول: يا أيها الناس، إن كنتم في شك من صحة ديني وهو عبادة الله وحده لا شريك له، فاعلموا أنني بريء من آديانكم، فلا أعبد ما تعبدون من الأصنام، ولكن أعبد الذي بيده مآلاتكم وحياتكم، وأمرت أن أكون من المصدقين بكل ما جاء من عند الله.

١٠٥- وأمرت أن أستقيم في الدين وأثبت عليه وأخصه بالعبادة والدعاء، ماثلاً عن الأديان الأخرى إلى دين الإسلام، والآن أكون من المشركين بالله إليها آخر، فأهلك.

١٠٦- ونهيت أن أعبد غير الله ما لا ينفع شيئاً إن عبدته، ولا يضر بشيء إن تركته، فإن خالفت ذلك على سبيل الفرض، فإني من الظالمين أنفسهم؛ لأن الشرك أعظم الظلم.

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَازِبَ الْاٰخِرِي فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَنَعَّمْنَا عَلَيْهِمْ بِذٰلِكَ اَلَّذِي كَانُوا يُسْتَعْتَبُونَ ۗ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مِنْ فِى الْاَرْضِ كُلُّهُمَّ جَمِيْعًا اَفَاَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتّٰى يَكُوْنُوْا مُؤْمِنِيْنَ ۗ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ اَنْ تُوْمِنَ اِلَّا بِاِذْنِ اللّٰهِ وَيَجْعَلُ الرِّحْسَ عَلَى الَّذِيْنَ لَا يَعْلَمُوْنَ ۗ قُلْ اَنْظُرُوْا مَا فِى السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَمَا تَنْفِى الْاٰيٰتِ وَآلَّذُرْعَن قَوْمًا يُّؤْمِنُوْنَ ۗ فَهَلْ يَنْظُرُوْنَ اِلَّا مِثْلَ اٰمِرٍ اَلَّذِيْنَ خَلَقُوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانظُرُوْا اِنِّىْ مَكْمُوْمٌ مِّنَ الْمُنظَرِيْنَ ۗ ثُمَّ سَجّٰى رُسُلَنَا وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا كَذٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نَجْحَ الْمُؤْمِنِيْنَ ۗ قُلْ يٰٓاَيُّهَا النَّاسُ اِنِ كُنْتُمْ فِىْ شَكٍّ مِّنْ دِيْنِيْ فَلَا اَعْبُدُ الَّذِيْنَ تَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ وَلٰكِنِ اَعْبُدُ اللّٰهَ الَّذِيْ يُّوَفِّكُمُ وَاْمْرًا اَنْ اَكُوْنَ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ ۗ وَاَنْ اَمُّ وَجْهِكُمُ لِلَّذِيْنَ حَبِيْبًا وَّلَا يَكُوْنَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ ۗ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَّلَا يَضُرُّكَ فَاِنْ فَعَلْتَ فَاِنَّكَ اِلٰذَاتِىْ الظّٰلِمِيْنَ ۗ

وَأَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ بَصُرًا فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِنْ يُرِيدْ لِكَفْرٍ فَلَا رَادَّ
لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ
يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَنْبَغِي لِنَفْسِهِ
وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَاتَّبِعْ
مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْرِحْ بِحُجَّتِكَ إِنَّ اللَّهَ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الرَّكِبِ أَحْكَمَتْ أَيْدِيَهُمْ فُضِّلْتَكَ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴿١٠٧﴾ أَلَا
تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَنَسِيرٌ ﴿١٠٨﴾ وَأَنْ تَسْتَغْفِرُوا
رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوْبُوا إِلَيْهِ يَتَّبِعْكُمْ مَغْفِرًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجْلِ اسْمِي وَبُورَتِ كُلِّ
ذِي فَضْلٍ فَضْلُهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ
﴿١٠٩﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١١٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ يَبْنُونَ
صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْثُونَ رَبَّهُمْ يَقُولُ
مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلَيْهِمْ بَدَأَتِ الصُّدُورِ ﴿١١١﴾

١٠٧- وإن يصيبك الله بضر، أي سوء، من مرض أو فقر، فلا رافع له إلا الله الذي أنزله، وإن يردك بخير، أي نعمة وسعادة، فلا دافع لفضله، يصيب بخيره من يريد من عباده، وهو كثير المغفرة وواسع الرحمة بعباده التائبين، فتمرضوا لها بالطاعة، واحذروا المعصية.

١٠٨- قل أيها الرسول: يا أيها الناس من أهل مكة وغيرهم قد جاءكم القرآن والرسول من ربكم، ولم يبق لكم عذر، فمن اهتدى إلى نفسه، ومن ضل وانحرف بالكفر بالقرآن والرسول، فإنما وبال ضلاله على نفسه، ولا قدرة لي على جعلكم مؤمنين، ومنعكم من الكفر، وإنما أنا بشير ونذير.

١٠٩- واتبع أيها النبي ما يوحى إليك من ربك بالامثال والتبليغ، واصبر على دعوتهم وأذاهم، حتى يحكم الله فيهم في الدنيا بالنصر أو القتال، وفي الآخرة بالعذاب، وهو أعدل الحاكمين، فلا يخطئ في حكمه.

سورة هود

فضلها: أخرج الترمذي والحاكم عن ابن عباس قال: قال أبو بكر: يا رسول الله، قد شئت، قال: شيبتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون ﴿النبأ ٧٨ / ١﴾، و﴿إذا الشمس كورت﴾ [التكوير ٨١ / ١] وهو حديث حسن كما قال الترمذي،

صحيح عند الحاكم. وسئل النبي ﷺ عما شئيه من سورة هود، فقال: قوله تعالى: ﴿فاستقم كما أمرت﴾ [١١٢].

١- الر: للتبنيع والتحدي وإثبات إعجاز القرآن، وكونه من عند الله، القرآن كتاب صارت آياته محكمة متفنة لا نقص فيها ولا نقض لها، كالبناء المحكم، ففي اللفظ بفواصل الآيات، وفي المعنى ببيان القصص والمواظ والأحكام، وفي الزمن بنزولها على فترات بحسب الحاجة والمصلحة. والتفصيل من عند حكيم الصنع والتدبير في أقواله وأفعاله وأحكامه، ومن عند العليم بأحوال الناس ومصالحهم.

٢- ومضمون تفصيل الآيات وإحكامها الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة غيره، إنني مرسل إليكم من الله، منذر بالعذاب والنار لمن كفر، مبشّر بالثواب والجنة لمن أطاع.

٣- وأمركم أن تطلبوا المغفرة من الله لذنوبكم وكفركم، وأن تتوبوا إلى الله وترجعوا إليه بالطاعة، فإن فعلتم ذلك، يمتنعكم في الدنيا بطيب عيش وسعة رزق، إلى وقت مقدر عند الله وهو الموت ونهاية العمر، ويعطي كل محسن ذي عمل صالح جزاء فضله وثوابه في الدنيا والآخرة، وإن تعرضوا عن الهداية، فإنني أخاف عليكم عذاب يوم القيامة، العذاب الشديد.

٤- إلى الله رجوعكم في يوم البعث، وهو القادر على كل شيء، ومنه الثواب والعذاب.

٥- ألا إن بعض الكفار والمنافقين يطوون صدورهم على ما فيها من حقد وحسد وعداوة النبي ﷺ، ليتواروا عن الرسول، ألا إنهم حين يجعلون ثيابهم غطاءً لوجوههم كراهة النظر إليه ﷺ، يعلم الله سرهم وعلانيتهم، إنه سبحانه عليم بالأسرار والضمائر التي توجد في الصدور. نزلت في الكفار، كانوا إذا لقيهم رسول الله ﷺ ثنوا صدورهم (طووها وستروها) وردوا إليه ظهورهم، وغشوا وجوههم بشياهم تباعداً منه وكراهة للقائه. وهم يظنون أن ذلك يخفى عليه وعلى الله عز وجل.



٦- كل ما يدب على الأرض زحفاً أو مشياً، إنساناً أو حيواناً، تكفل الله برزقه تفضلاً ورحمة وإحساناً، ويعلم الله ماواه ومدفنه، أي أماكن الحياة والممات، كل ذلك مثبت ومدون في اللوح المحفوظ.

٧- الله الذي أبدع وأوجد السموات والأرض في مدة ستة أيام، وكان عرشه قبل خلقهما على الماء، والعرش مخلوق عظيم يليق به تعالى، لا نعرف حقيقته، نؤمن به كما ورد من غير تشبيه، ليختبركم أيكم أحسن وأطوع عملاً فيما أمر الله به ونهى عنه، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، ولئن قلت يا محمد: إنكم أيها البشر مبعوثون بعد الموت للحساب والجزاء، قال الكفار: هذا سحر ظاهر باطل، أي كالسحر في الخديعة أو البطلان.

٨- ولئن أخرنا عن المشركين العذاب إلى أجل معلوم (جماعة من الأزمان أو مدة من الزمان) والمعدودة: إشارة للقلّة، ليقولن لك المكذوبون المنافقون استهزاء وإنكاراً: أي شيء يمنع من

التزول؟ فرد الله تعالى بقوله: الا حين يأتيهم العذاب ليس مدفوعاً عنهم، ونزل أو أحاط بهم العذاب الذي كانوا يستعجلون به استهزاء.

٩- ولئن أذقنا الإنسان المؤمن والكافر منا نعمة من صحة وأمن أو سعة رزق، ثم سليناها منه، إنه لشديد اليأس من الرحمة، عظيم الكفر بربه ونعمه.

١٠- ولئن أذقناه نعمة من صحة وسلامة وغنى، بعد ضرر من مرض أو خوف أو فقر أصابه، قال: ذهب الشر عني ولن يعود، وثم ترك شكر النعمة، إنه شديد الفرح بطراً بالنعمة واختاراً بها، شديد الفخر والتكبر على الناس بسبب النعم.

١١- إلا الذين صبروا عند الشدة رضاً بقضاء الله، وعملوا صالح الأعمال في الشدة والرخاء، أولئك المتصفون بالصبر، العاملون بالعمل الصالح، لهم مغفرة لذنوبهم، وثواب عظيم على أعمالهم الحسنة.

١٢- لا تترك أيها الرسول تبليغ بعض ما أنزل الله عليك مما يشير غضب المشركين، وضائق بتبليغه صدرك، مخافة ردهم أو تكذيبهم، واستهزائهم، ومخافة أن يقولوا: هلا أنزل عليه كثر، أو صحبه ملك يصدقه ويؤيد نبوته، ليس عليك إلا الإنذار بالوحي به، لا الإتيان بما اقترحوه، والله رقيب حافظ لكل أمر، فتوكل عليه وثق به، ويجازي جميع الناس على أعمالهم.

وَمِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا
وَسُودَهَا كُلِّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ
يَبْلُوكُ بِأَيْكُمُ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مبعوثون
مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِسْحَارٌ
مُبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِن أَخْرَأْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى آتَمَّةٍ مَعْدُودَةٍ
لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ صُرُوفًا عَنْهُمْ
وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨﴾ وَلَئِن أذَقْنَا الْإِنْسَانَ
مِنَ آيَاتِنَا ثُمَّ نَنزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكْفُرُ ﴿٩﴾ وَلَئِن
أذَقْتَهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضُرِّآءٍ مَسْتَهْتِكَةٍ لَيَقُولُنَّ ذَهَبَ
الْآيَاتُ عَنِّي وَإِنَّهُ لَفُرْحٌ مَحْجُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾
فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ
أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْجَاءٌ مَعَهُ
مَلَكٌ إِنَّا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾

أَمْ يَقُولُونَ أَفَنُفِرُّهُ قُلْ فَأَنزِلْ بَعْشَرَ سِوَى سِوَى مَعْرِيَّتِ
وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾
فَالَمْ يَسْجُبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنَّ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْخَيْرَ الدُّنْيَا
وَزِينَتَهَا يُوفِّ إِلَيْهَا أَعْمَلُهَا فِيهَا وَهَرَفِهَا لَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾
أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ
مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَطِلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ كَانَ
عَلَى بَنِيَّةٍ مِّنْ رَبِّهِ وَيَسْلُوهُ شَاهِدُ مَنَّهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كُتِبَ
مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ
مِنَ الْأَحْزَابِ فَأَلْئِنْ مَوْعِدُهُ فَكَانَكَ فِي مَرْيُومَتِهِ
إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ لَيْسَ يُعْرَضُونَ
عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ
أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ
اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾

١٣- بل يقول المشركون: اختلق محمد القرآن؟
قل لهم أيها النبي: فاتوا بعشر سور من مثل هذا
القرآن في البلاغة والحسن، مختلقات، فأنتم
فصحاء العرب وعباقرة البيان، وادعوا من قدرتم على
الاستعانة به من البشر من غير الله، ممن تتخذونه
شريكاً لله، إن صدقتكم في ادعائكم أنه من افتراضي
وإدعائي له.

١٤- فإن لم يجيبوا إلى ما دعوتهم إليه من المساعدة
والإتيان بمثله، فاعلموا علم اليقين أيها الناس قاطبة
من المشركين والمؤمنين أن القرآن أنزله الله على
رسوله، مصحوباً بعلم الله وإذنه، فلا يعلمه إلا الله،
ولا يقدر عليه سواه، لإعجازه، وليس افتراء عليه،
واعلموا أيضاً أن لا إله موجود ومعبود بحق إلا الله
تعالى، فهل أنتم بعد هذه الحجة القاطعة على أن
القرآن من عند الله مؤمنون بالله وبالقرآن إن كنتم غير
مسلمين؟!

١٥- من اقتصر على محبة الدنيا وزينتها من متاع
وأثاث ولباس وطيبات، نعطيهم ما يريدونه من الدنيا
وأفياً، وهم في الدنيا لا ينقصون شيئاً من أجورهم
وثمرات أعمالهم. قال مجاهد: هي في الكفرة

وأهل الرياء من المؤمنين. والظاهر أن المراد بها الكفرة، لقوله تعالى بعدها: ﴿ أولئك الذين... ﴾.

١٦- أولئك الذين قصرُوا عملهم على الدنيا ولم يعملوا شيئاً للآخرة، ليس لهم في الدار الآخرة إلا النار، وبطل
ثواب ما صنعوا في الدنيا من خير، وذهب نفعه، وتبدد أثر ما عملوه؛ لأنهم لم يعملوا لوجه الله تعالى.

١٧- أفمن كان في أعماله على هدى وبصيرة وبرهان من الله في اتباع النبي ﷺ والإيمان بالله، كمن يريد الحياة
الدنيا وزينتها؟ وتبعه ويقوي بيته شاهد له يصدق، وهو القرآن، من الله، ومن قبل القرآن كتاب موسى وهو
التوراة شاهد آخر بشر محمد ﷺ وبأنه رسول الله، وهذا الكتاب المذكور كتاب مؤتم به، متبع في الدين، ونعمة
عظيمة على من أنزله الله عليه وعلى قومه، أولئك المؤيدون بالشاهدين المذكورين يصدقون بالقرآن وبالنبي ﷺ،
ومن يكفر بالقرآن من أهل مكة وغيرهم وأتباع الأديان كلها المتحيزين على مقاومة الإسلام، فالنار مصيره لا محالة،
فلا تك في شك من هذا القرآن، إنه الحق الثابت المنزل من ربك، ولكن أكثر الناس لا يصدقون به، مع توافر الأدلة
القاطعة على تنزيله.

١٨- لا أحد أشد ظلماً ممن اختلق على الله كذباً بنسبة الشريك والولد إليه، من الأصنام والملائكة والبشر، أولئك
المفترون يعرضون على ربهم في الآخرة للحساب على أعمالهم، ويقول الأشهاد وهم الملائكة والأنبياء والعلماء:
هؤلاء المعروضون على الحساب: الذين كذبوا على ربهم في الدنيا، ألا إن لعنة الله على الظالمين أنفسهم بالافتراء.

١٩- وهؤلاء الظالمون هم الذين يمتنعون من دين الله والإيمان به، ويريدون الاعوجاج (الانحراف) لدعوة
الإسلام عن جادة الاستقامة، ويصفونها بذلك تنفيراً عنها، وهم متكرون مكذبون للبعث والحساب في الآخرة.

٢٠- أولئك الكافرون بالآخرة الصادون عن دين الله، ليسوا معجزين الله في الأرض عن عقابهم حتى يفلتوا منه، في الدنيا والآخرة، وليس لهم من غير الله أنصار يمنعون عنهم العذاب، وعذابهم مضاعف يوم القيامة لافتراهم وصددهم عن سبيل الله ووصف الإسلام بالاعوجاج، وأفرطوا في إعراضهم عن الحق، حتى صاروا كأنهم لا يستطيعون السمع والإبصار.

٢١- أولئك الكافرون المذكورون خسروا أنفسهم وضيعوها بالكفر والضلال بدلاً عن الهدى والإيمان، وغاب عنهم ما كانوا يفترون من ادعاء الشركاء الآلهة، وأنها تشفع لهم في الآخرة.

٢٢- حقاً ثابتاً أو لا محالة أنهم في الآخرة هم أكثر الناس خسارة وأشدهم عذاباً.

٢٣- إن الذين صدقوا بالله ورسوله، وعملوا بطاعة الله ومرضاته، وخشعوا وسكنوا الخشية الله، واطمأنوا عدله، وأنابوا إليه بالعبادة والإخلاص، أولئك أصحاب الجنة هم فيها ماكثون على الدوام الأبدي.

أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُجْرِبِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَأَجْرَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِذِي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ إِلَهِي ﴿٢٦﴾ قَالُوا الْمَلَائِكَةُ لَعَنُوا لَكَ وَأَمِنْ قَوْمِهِ مَا نَرِيكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرِيكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِإِدْحَانِي لرأي وما نرى لكم عليتنا من فضيل بل نظنكم كذابين ﴿٢٧﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ رَبِّي وَهَ الْبَنِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِي فَعَيَّبْتُ عَلَيْكُمْ أَنْتُمْ مَكْمُوهًا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴿٢٨﴾

٢٤- صفة الفريقين: الكفار والمؤمنين، كصفة الأعمى والأصم، لتعامي الكفار عن آيات الله وعدم استماعهم كلام الله، وكصفة البصير والسميع، لتبصر المؤمنين بالقرآن وسماعهم له سماع تدبر وإمعان، لا يستويان حالاً وصفة عند الله، أفلا تتعظون؟

٢٥- ولقد بعثنا في الماضي نوحاً رسولاً إلى قومه، قائلاً لهم: إني لكم منذر مخوف من الله بالنار إن كفرتم، وأبين لكم طريق النجاة وموجبات العذاب.

٢٦- بالآخرة غير الله وحده لا شريك له، إني أخاف عليكم عذاب يوم مؤلم في الآخرة، أو في الدنيا بالطوفان.

٢٧- فقال الزعماء الأشراف الكفرة من قومه: لست نبياً لأمر ثلاثة: ١- ما نراك إلا بشراً ماثلاً لنا، فليس لك مزية تستحق النبوة دوننا، ٢- ولم يتبعك إلا أراذل القوم وهم الفقراء الأحماء وأتباع الحرف الدنية، فلا مزية لك علينا، اتبعوك في الرأي ظاهراً من غير بحث ولا تحقق في صحته، ٣- وليس لك ولأتباعك الأراذل فضل تميزون به وتستحقون ما تدعونونه، بل نعتقد أنكم كاذبون فيما تقولون.

٢٨- قال نوح لهم: يا قوم أخبروني إن كنت على برهان من ربي في النبوة يدل على صحتها وصدقها، وليست المساواة في البشرية تمنع النبوة، وخصني ربي بالنبوة والرسالة، فضلاً منه وكرماً، فحفيت عليكم، أنجبركم على قبولها والإيمان بالله، وأنتم كارهون لا تختارونها ولا تأملون فيها؟ فذلك لا يقدر عليه إلا الله، ولا تقدر على ما تريد.



وَيَقُولُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا
بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلْمَعُونَ وَلَكِنِّي أَخَذْتُ قَوْمًا
بِجَهْلُونِ ﴿٢٩﴾ وَيَقُولُ مَنْ يَضُرُّنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ
الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ
لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنْ إِيَّاكُمْ
الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَدَدْنَا فَأَكْرَمْتَنَا خَلَقْنَا
فَأْتَيْنَا بِمَاءٍ مَدِينًا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا
يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنَا بِمُعْجِزٍ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ
نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ
هُوَ يُكَلِّمُ الْوَالِيَةَ وَرَجُلُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ
إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَى إِجْرَائِي وَأَنَا بِرَبِّي يَوْمَ نُجُومٍ ﴿٣٥﴾ وَأُوحِيَ
إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدَّامًا فَلَا تَبْتَئِسْ
بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَأَصْحَبُ الْفُلْكِ بِأَعْيُنِنَا وَوْحَيْنَا
وَلَا تُخْطِئُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُخْرَجُونَ ﴿٣٧﴾

٢٩- ويقوم لا أطلب على تبليغ رسالتي أجراً
تؤدونه إلي، فإن ثوابي المأمول على الله وحده،
ولست بمبعث المؤمنين الفقراء أو الضعفاء من
مجلس كما تطلبون، إنهم سيلقون ربهم بالبعث،
فيجازيهم على إيمانهم، ويعاقب من طردهم،
ولكنني أراكم قوماً تجهلون عاقبة أمركم، ومن
جهلهم: احتقارهم الفقراء، وطلب طردهم،
ترفعاً عليهم.

٣٠- ويقوم، من يخلصني من عقاب الله إن
طردتهم احتقاراً لهم، فهم أحق بالتكريم لإيمانهم
بالله، أفلا تتعظون؟

٣١- ولا أقول لكم: عندي خزائن رزق الله
أنفق منها كما أريد، ولا أقول لكم: أنا أعلم الغيب
لأخبركم وأتاكم بما تريدون حتى تكذبوني، وإنما
أنا نذير مبين، ولا أقول لكم: إنني ملك، بل أنا
بشر مثلكم، ولا أقول للذين تحقروهم وفقيرهم:
لن يؤتيهم الله خيراً، بل قد أتاهم الخير وهو
الإيمان، ويجازيهم في الآخرة خيراً مما أتاكم في
الدنيا، الله أعلم بما في قلوبهم من الإيمان
والإخلاص، فيحاسبهم عليه، إنني إن قلت ذلك
فأنا من الظالمين أنفسهم.

٣٢- قال القوم: يا نوح قد حاججتنا، فأكرمت وأتيت بمختلف أنواعه، فأتنا بما تعدنا به من العذاب الذي
تخوفنا به، إن كنت صادقاً في ادعاء النبوة.

٣٣- قال نوح لهم: إنما يأتيكم بالعذاب الله، إن شاء تعجيله لكم أو تأجيله، وما أنتم بمعجزتي الله بالإفلات
من عقابه.

٣٤- ولا ينفعكم نصحي بتجنب أسباب عقاب الله، إن أردت نصحكم؛ لأنكم ترفضون النصيحة، إن
كان الله يريد إضلالكم عن سبيل الرشاد، والمراد نتيجة الضلال، وهو أن يعذبكم ويهلككم، هو الله ربكم
الخالق والمتصرف فيكم بإرادته، هداية أو إغواء، وإليه المصير في الآخرة، ليجازيكم على أعمالكم.

٣٥- بل يقول كفار مكة: اختلق محمد القرآن ومنه قصة نوح، قل: إن اختلقته من عندي، فعلي عقوبة
ذنبي العظيم وجزاء كسبي، وأنا بريء من إجرامكم بنسبة الافتراء إلي.

٣٦- وأوحى الله سبحانه إلى نوح بعد دعائه على قومه بالهلاك والدمار: أنه لن يؤمن أحد من قومك بعد
الآن إلا من سبق إيمانه من قبل، فلا تحزن حزناً باستكانة بما فعلوا، من تكذيب وإيذاء. والآية تبيس له من
إيمانهم، لترتاح نفسه.

٣٧- واعمل السفينة برأى منا، وحفظ لك، ووحى بكيفية الصنع كما أرشدنا داود لصنع الدروع، ولا
تطلب مني العفو في الدين كفروا، إنهم مغرورون جميعاً بالطوفان.

٣٨- وقام يصنع نوح السفينة، وكلما مر عليه جماعة من وجهاء قومه، سخروا منه، وهزئوا به؛ لأنه كان يعملها في بركة بعيدة عن الماء، ويقولون له: صرت نجاراً بعدما كنت نبياً، قال نوح: إن تهزؤوا بنا الآن، فلإننا نهزؤاً بكم في المستقبل عند الغرق، كما تهزؤون منا اليوم.

٣٩- فسوف تعلمون من منا الذي يأتيه عذاب يذله ويفضحه، وينزل عليه في الآخرة عذاب دائم، وهو عذاب النار.

٤٠- حتى إذا جاء أمرنا بالإهلاك، وفار الماء من تنور الخبز الذي جعل علامة بدء الطوفان، قلنا لنوح: احمل في السفينة من كل صنف من الحيوانات الأرضية زوجين اثنين: ذكراً وأنثى، واحمل أهلك وهم امرأتهم وبنوه ونساؤهم، إلا من تقدم عليه الحكم منهم بالإهلاك والإغراق، واحمل من آمن معك من قومك، وما آمن معه إلا عدد قليل، هم ثمانون إنساناً، منهم ثلاثة من بنيه، وهم سام وحام ويافت وزوجاتهم.

وَيَصْنَعُ الْفُلَّ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ
إِنْ سَخِرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا نَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ سَوْفَ
تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ
ثَقِيلٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ
فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ آثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ
الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ
ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ نَحْمُرُهَا وَنُرْسِطُهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾
وَمِنْ تَجْرِي بِهِيَ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَتَادِي نُوحَ ابْنَهُ وَكَانَ
فِي مَعْرِلٍ يُبَيِّنُ أَرْكَبَ مَعْنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾
قَالَ سَتَدِينَا وَإِنَّا إِلَىٰ جِبَلٍ بَعْضُنَا مِن الْمَاءِ قَالِ لَأَعْلِمَنَّ الْيَوْمَ مِنَ
أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ
الْمُعْرِضِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَكَسِمَاءُ أَهْلِي
وَبِغِيضِ الْمَاءِ وَفُصِّى الْأَمْرَ وَاسْتَوَتْ عَلَىٰ الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا
لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَتَادِي نُوحٌ زَوْجَهُ فَصَالَ رَبُّهُ بِإِنْجِي
مِن أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾

٤١- وقال نوح لمن حملهم معه: اركبوا في السفينة باسم الله جريئتها ورسوها بعده، إن ربي لغفور للذنوب، رحيم بالثائبين.

٤٢- والسفينة تجري بنوح والمؤمنين وسط أمواج كالجبال، ونادى نوح ابنه (كنعان) الذي لم يؤمن، وكان في مكان منزول عن أبيه وقربته: يا بني اركب معنا في السفينة، ولا تكن مع الكافرين خارج السفينة، فإنهم هالكون.

٤٣- قال الابن لأبيه: سألجأ إلى جبل عال يحفظني ويمعني من الماء، قال الوالد: لا مانع اليوم من قضاء الله وعذابه، إلا من رحم الله فهو يعصمه، وهم الراكبون في السفينة، وحجب الموج بين نوح وابنه، فتعذر خلاصه، فكان من جملة المعرّفين.

٤٤- وقال الله للأرض بعد هلاك قوم نوح: يا أرض ابلعي ماءك فوراً، ويا سماء أمسكي عن المطر، وجفت الماء، وتم أمر هلاك قوم نوح الكفار، وإنجاء المؤمنين، واستوت السفينة على جبل الجودي بالجزيرة قرب الموصل، وقيل: هلاكاً للقوم الظالمين أنفسهم، وهذه آية في إيجازها وبيان مشاهد المأساة في غاية البلاغة والفصاحة، مما لا يستطيع أحد من علماء البيان واللغة الإتيان بمثلها، مما يدل على أنها كلام الله تعالى.

٤٥- ودعا نوح ربه مستعظفاً قائلاً: إن ابني من أهلي، وقد وعدتني بنجاتهم، ووعدك الثابت لا يخلف، وأنت أعلم الحاكمين وأعدلهم.



قَالَ يَنْبُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ
 ٤٦ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ
 وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَرَحْمَتِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ٤٧ قِيلَ يَنْبُوحُ
 أَمْ يَطْمِئِنَّ قلوبُكَ وَعَيْنُكَ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأَمْسِكْ
 سَيْمُومَهُمْ ثُمَّ يَنْصَبُهُمْ بِمِثْقَالَ أُنْثَىٰ ٤٨ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ
 الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ
 مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلصَّالِحِينَ ٤٩ وَإِلَٰهَ عَادِ
 أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ
 إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ٥٠ يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا
 إِنْ أَجْرِي إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٥١
 وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ
 عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا
 مُجْرِمِينَ ٥٢ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ
 بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ بِمُؤْمِنِينَ ٥٣

٤٦ - قال الله له: يا نوح إن ابنك كنعان ليس من أهلك الناجين؛ لأنه لم يؤمن بك، إنه صاحب عمل سيء لكفره وتكذيبه، فهو لشدة فجوره جعل كأنه العمل السيء، كما يقال للشريير: إنه الشر نفسه، أي صاحب الشر، فلا تطلب ما لا علم لك به، إذ لو كان في علمي أنه مؤمن لأنجيته، إني أحذرك أن تكون أحد الجاهلين، بسؤالك ما لا تعلم.

٤٧ - أجاب نوح بقوله، حينما علم أن سؤاله ناشئ عن وهم، لم يتفق مع مرضاة الله: إني أستجير بك أن أطلب منك ما لا علم لي بصحته أو جوازه، وإن لم تغفر لي ما فرط مني من السؤال، وترحمني بالتوبة والإحسان، أكن من الخاسرين في عمالي.

٤٨ - قيل لنوح: يا نوح انزل من السفينة إلى الأرض بسلامة من المكاراة وأمن، ونعم وخيرات عليك، وعلى جماعات من ذرية من معك في السفينة، وسيكون أم من نسلهم، تمتعهم في الدنيا بزخارفها إلى يوم القيامة، ثم يصيبهم منافي الآخرة عذاب شديد الألم، والمراد بهم الكفار من ذرية من معه.

٤٩ - تلك قصة نوح من أخبار الغيب نقصها عليك بالوحي، ما كنت تعلمها أنت، ولا يعلمها قومك على هذا النحو من البيان الدقيق، فاصبر أيها الرسول على التبليغ وأذى قومك، كما صبر نوح، إن العاقبة المحمودة في الدنيا بالنصر، وفي الآخرة بالفوز، للذين يتقون الله، ويخشونه، ويؤمنون بالرسول، ويتقون الشرك والمعاصي.

٥٠ - وأرسلنا إلى قبيلة عاد في الأحقاف باليمن أخاهم في القبيلة والنسب هوداً عليه السلام، واحداً منهم، قال: يا قوم، اعبدوا الله وحده، ليس لكم إله غيره، ما أنتم في عبادة الأوثان إلا قوم كاذبون على الله باتخاذكم شركاء لله، وشفعاء عنده.

٥١ - يا قوم، لا أطلب منكم على تبليغ الرسالة الإلهية عوضاً مالياً، ما ثوابي إلا على الذي خلقتني على الفطرة السليمة - فطرة التوحيد لله، أي إنه مخلص لهم في النصيحة، أفلا تفكرون تفكيراً صحيحاً لمعرفة الحق الذي جئت به.

٥٢ - يا قوم، استغفروا ربكم من الشرك والذنوب، ثم أخلصوا التوبة من الشرك، وأخلصوا العبادة لله، يرسل المطر عليكم كثيراً غزيراً، ويزدكم قوة مع قوتكم بالمال والولد، ولا تعرضوا عن دعوتي، حال كونكم مشركين.

٥٣ - قال القوم: يا هود ما أتيتنا بحجة واضحة أو معجزة لنقر لك بالنبوة، ولسنا بتاركي عبادة آلهتنا، من أجل قولك، ولسنا نحن بمصدقين بنبوتك.

٥٤- ما نقول في شأنك إلا أنه أصابك بعض آلهتنا
بجنون، لسببك إياها وصلدك عنها، فأنت تهذي
وتخرف، قال هود: أشهد الله على نفسي وأشهدوا
أنتم أني بريء مما تشركون مما اتخذتموه شركاء الله
تعالى.

٥٥- إني بريء من جميع الأصنام والأنداد مما
تشركون به من غير الله، فدير والي كل ما تستطيعون
من أنواع الكيد، أنتم وآلهتكم التي تزعمون أنها ضارة
بي، ثم لا تمهلوني طرفة عين، بل عاجلونني
بالإضرار. وهذا التحدي من هود بمحاولة إيقاع
الأذى والإهلاك أعظم معجزة له، فهو شخص
واحد، وهم جمع كبير طغاة.

٥٦- إني فوضت أمري إلى الله ربي وربكم، فهو
يعصمني من كيدكم، مهما بذلتم من محاولات
الإضرار، ما من دابة تدب على الأرض إلا وهو مالك
لها وقاهرها ويخضعها لما يريد لها، فلا نفع ولا ضرر
إلا بإذنه، إن ربي على منهج الحق والعدل فلا
يسلطكم علي، ولا يمكنكم من ظلمي، ولن
يضيغي.

٥٧- فإن تعرضوا وتولوا عن دعوتي وتصموا
على الكفر، فإني أبلغتكم رسالة ربي، وقامت عليكم

الحجة، وحق عليكم العذاب، ويهلككم ويأتي بقوم سواكم في دياركم هم أطوع منكم يوحّدونه ويعبدونه، ولا
تضرّونه بشيء إطلاقاً بإعراضكم، إن ربي رقيب على كل شيء عالم بكل ما تعملون، فهو يحفظني من أي سوء.

٥٨- ولما جاء أمرنا، أي عذابنا بإهلاك عاد، نجينا هوداً ومن آمن معه، برحمة كائنة منا، ونجيناهم من عذاب
شديد مُتناهٍ في الشدة.

٥٩- وتلك عاد الذين أهلكتناهم، فانظروا آثارهم في الأرض، إنهم كفروا بآيات الله الدالة على وحدانيته،
وأنكروا المعجزات، وخالفوا الرسول هوداً. عبر بالرسول عن واحد؛ لأن تكذيب رسول واحد تكذيب لجميع الرسل
- وأطاع القوم أمر كل متكبر، طاغ لا يقبل الحق ولا يدعن له.

٦٠- وجعل الله اللعنة (الطرد من الرحمة) ملازمة لهم لا تفارقهم في الدنيا، وتلحقهم أيضاً يوم القيامة حتى
توقعهم في العذاب، إلا إن عاداً كفروا بربههم، وجحدوا نعمته، ألا هلاكاً لهم وإبعاداً من رحمة الله تعالى.

٦١- وأرسلنا إلى ثمود في الحجر بين المدينة والشام أخاهم في القبيلة والنسب صالحاً، قال: يا قوم اعبدوا الله
وحده، ليس لكم إله غيره، هو ابتداء خلقكم وتكوينكم من الأرض، بخلق أبيكم آدم من تراب، وجعلكم عمّار
الأرض ببناء المساكن وغرس الشجر، فاستغفروه من ذنوبكم ومن الشرك، ثم ارجعوا إلى عبادته واهجروا
الذنوب، إن ربي قريب الرحمة من خلقه الطائعين، قريب من إجابة الدعاء.

٦٢- قالوا: يا صالح قد كنت مرجوئاً لك السيادة علينا، نتفع برأيك قبل ادعائك النبوة، أنتهانا عن عبدة الأوثان
التي كان يعبدها الآباء، ونحن في شك من التوحيد والتبري من الأوثان، شك موقع في الريبة أي سوء الظن
والقلق النفسي!؟

إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ
وَأَشْهَدُقَ أَنْ بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَيَكِيدُ وَفِي
جَمَاعَتِهِمْ لَأَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ
دَابَّةٍ إِلَّا هُمْ آخِذٌ بِأَصْنَافِهَا إِنْ رَزَقَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾
فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبغَضْنَاكُمْ مَا أَرْسَلْنَا بِهِ إِلَيْكُمْ وَنَسَخْنَا مِنْ رَبِّي
قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ سَيِّئًا إِنْ رَزَقَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ
﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا
وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ
رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُمْ وَتَبَعُوا أَمْرَ كَلْبِ بْنِ عَبِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأَتَّبَعُوا
فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَوَعْدَ الْعَلَمَةِ الْإِنِّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا
بَعْدُ لَعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ وَلِكِ عَمُودٌ آخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَمُورُ
أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنَ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ
فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ ثُمَّ تَوَلَّوْا إِلَهًا آخَرَ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّحِيطٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا
لَصَلِحَ فَكُذِّبَتْ فِتْنًا مَّرْجُوًّا قُلْ هَذَا أَشْهَدَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ
آبَاؤَنَا وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَهُ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾



قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِنْ رَبِّي وَءَاتَيْنِي مِنْهُ
 رَحْمَةً فَمَنْ يَضُرُّنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ حَصَيْتُمْ فَأَتَزِيدُ وَغِي
 غَيْرَ تَحْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ
 فَذُرُّوهُا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءِ
 فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَفَعَرُّوهَا فَقَالَ جَمْعُوهَا
 فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ آيَاتٍ أُولَٰئِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْدُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا
 جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَتِنَا وَمِنْ
 خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ
 ظَلَمُوا الصَّيْثَةَ فَاصْبُوهَا فِي دِيَارِهِمْ حَشِيمٍ ﴿٦٧﴾ كَأَنَّهُمْ يُضَيِّقُونَ
 فِيهَا إِلَّا إِنْ تَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَمْ يَعْلَمُوا وَلَقَدْ
 جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرِىَ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ
 قَالَتْ أَن جَاءَ بِجِلِّ حِينِدٍ ﴿٦٨﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ
 إِلَيْهِ نَكَرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ
 إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٦٩﴾ وَأَمْرًا لَهُمْ قَائِمَةٌ فَضَحَكْتُمْ
 فَبَشَّرْنَاهُمْ بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِهِ يَسْحَاقَ ﴿٧٠﴾ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾

٦٣- قال صالح: يا قوم فكروا وأخبروني إن كنت على يقين وبصيرة وبرهان صحيح من ربي أني على الحق، وآتاني النبوة، فمن يمنعني من عذاب الله إن خالفت أمره، وعصيته في تبليغ رسالته ومنع الإشراف به؟ فما تطلبون مني باتباعكم غير تضليل وإيقاع في الخسران.

٦٤- يا قوم، هذه ناقة الله، جعلها لكم حجة على صدقي، ومعجزة ظاهرة، فاتركوها في الأرض تأكل من المراعي، ولا تتعرضوا لها بسوء من قتل أو أذى، فياخذكم عذاب عاجل قريب الوقوع إن عقرتموها، وهو ثلاثة أيام.

٦٥- فقتلوا بسيف أو نحوه، فقال لهم صالح: عيشوا في منازلكم ثلاثة أيام، ثم تهلكون، ذلك وعد صادق غير مكذوب فيه.

٦٦- فلما جاء أمرنا بإهلاك قبيلة ثمود، نجينا صالحاً ومن آمن معه من الهلاك، برحمة سابغة، ونجيناهم من ذل وهوان يوم القيامة، إن ربك يا صالح هو القوي القادر على كل شيء، الغالب على كل شيء، قاهر الأعداء.

٦٧- وأخذ الظالمين أنفسهم بالكفر صيحة شديدة من السماء، أو صاعقة أحدثت رجفة في القلوب، وصعق بها الكافرون، فأصبحوا في ديارهم ساقطين على وجوههم هالكين موتى.

٦٨- كأنهم لم يقيموا ولم يوجدوا في ديارهم قبل ذلك، إلا إن ثمود كفروا بربههم، ألا هلاكاً وطراداً من رحمة الله لثمود.

٦٩- ولقد جاءت الملائكة إبراهيم يبشرونه بإسحاق ولدًا، قالوا: سلاماً عليك، قال: سلام عليكم، فما غاب طويلاً أو أبطأ إبراهيم حتى جاء بعجل مشوي على الحجارة المحماة بالنار، وهو أطيب الشواء.

٧٠- فلما شاهد أيديهم لا تمتد إلى العجل أو الطعام الذي قدمه لهم، ولا يأكلون منه، استنكر ذلك منهم، وظن أنهم يريدون شراً، كما هي العادة، وأحس في نفسه خوفاً وقرعاً، قالوا له: لا تخف منا، فنحن ملائكة أرسلنا لتعذيب قوم لوط.

٧١- وكانت امرأته سارة قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم وتخدم الملائكة، فضحكت الضحك المعروف، بزوال الخوف، فبشرناها على لسان الملائكة بولادة إسحاق، ووبئناها من بعد إسحاق حفيداً وهو يعقوب.

قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا
 لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٦﴾ قَالُوا اتَّخَذَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةً وَاللَّهُ وَبَرُّكَ
 عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ
 إِبْرَاهِيمَ الرُّوحُ وَجَاءَهُ الْبَشِيرُ جِدَّ لَنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٨﴾ إِنَّ
 إِبْرَاهِيمَ لَمَلِيحٌ أَوْهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٩﴾ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ
 جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ لَنِهْمٌ عَذَابٍ غَيْرِ مُرْدِدٍ ﴿٨٠﴾ وَكَلَّمَا
 جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا
 يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٨١﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا
 يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَوْمَهُمْ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْفَرُكُمْ فَاتَّقُوا
 اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ فِي ضَيْقِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٨٢﴾ قَالُوا
 لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٨٣﴾ قَالَ
 لَأُنْزِلَنَّ بِكُمْ قُوَّةً أَوْهً وَإِنِّي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٤﴾ قَالُوا
 يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرَأْ أَمْلَكَ
 بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا لَّكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا
 مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨٥﴾

٧٦- قالت امرأته: يا عجيباً أو دهشة، كيف ألد وأنا
 عجوز فوق التسعين عاماً، وهذا زوجي حال كونه
 شيخاً كبيراً بلغ مئة عام، إن هذا الخبر المبشّر به لشيء
 عجيب أن يأتي الولد من شخصين هرمين، وذلك كله
 بحسب العادة الشائعة، لا بالنظر للقدر الإلهية.

٧٧- قالت الملائكة: لا تتعجبي من قدرة الله
 وقضائه وحكمته، فأنت من بيت النبوة، لا يخفى
 عليك أن هذا من مقدورات الله تعالى، فإن رحمة الله
 الواسعة ونعمه الكثيرة عليكم يا أهل بيت النبوة- بيت
 إبراهيم، إن الله محمود الأفعال، كثير الخير
 والإحسان، ذو المدد والرفعة.

٧٨- فلما ذهب الخوف عن إبراهيم حين علم بأنهم
 ملائكة، وأتته البشري بإسحاق، أخذ يجادل رسلنا
 في شأن قوم لوط، طالباً تأخير العذاب عنهم، لعلهم
 يؤمنون.

٧٩- إن إبراهيم كثير الحلم، لا يتعجل في طلب
 العقاب، كثير التأوه والتضرع إلى الله، والخوف من
 الله وعلى الناس، الراجع إلى ربه في كل أمره.

٧٦- قالت الملائكة: يا إبراهيم، أعرض عن هذا
 الجدال في أمر حسم فيه القضاء، إنه قد أتى أمر ربك
 بعذابهم، وهو أعلم بحالهم، وبآتيهم عذاب غير

مصروف ولا مدفوع عنهم بجدال أو دعاء أو غير ذلك.

٧٧- ولما جاءت الملائكة لوطاً في صورة شبان حسان، بعد أن خرجوا من عند إبراهيم، وكان بين إبراهيم وقرى
 لوط فراسخ، ساءه مجيئهم وحزن بسببهم، وضاق صدره غماً برؤيتهم في تلك الصورة، خوفاً عليهم من قومه
 الفسقة الشذاذ بارتكاب فاحشة اللواط، وقال في نفسه: هذا يوم شديد الأذى والمكاره والمتاعب.

٧٨- وجاءه قومه يسرعون إليه إسراعاً مع رعدة، لتعاطي الفاحشة مع الأضياف، وكانت عادتهم من قبل إتيان
 الرجال، قال لهم لوط: هؤلاء بناتي من نساء الأمة فتزوجوهن؛ لأن نبي القوم أب للمؤمنين به، هن أحل وأنزه،
 فاتقوا الله بترك الفاحشة وخوف عقابه، ولا تفضحوني في أضيافي، أليس منكم رجل ذورشد وعقل يهتدي إلى
 الحق ويمتنع من القبيح، وينهى عن المنكر؟!

٧٩- قالوا: لقد علمت يا لوط ما لنا في البنات من شهوة ولا حاجة، وإنك لتعلم ما نريد من إتيان الرجال، وترك
 النساء.

٨٠- قال لوط لهم: لو كان عندي قوة وقدرة لدفعتمكم، أو لو وجدت معيماً وناصراً أو ألجأ إلى عشيرة قوية تمنعني
 منكم، لقاومتكم فيما تريدون من الأضياف.

٨١- قالت الملائكة الرسل: يا لوط إنا ملائكة أرسلنا الله لإهلاك القوم، لن يمسوك بسوء، فاخرج مع أهلك
 بساعة مظلمة أو بجزء من الليل، ولا يلتفت منكم أحد وراءه، إلا امرأتك لا تخرج معك، إنه مصيبها ما أصاب
 القوم من العذاب، إن موعد هلاكهم الصبح حيث تسكن النفوس فيه ويجتمعون، أليس وقت الصبح ساعة
 العذاب قريباً؟!

٨٢. فلما جاء أمرنا بوقوع العذاب، جعلنا قري قوم لوط عاليها سافلها، إذ خسفنا بهم الأرض، وأنزلنا عليهم حجارة كثيرة من الطين المتحجر، المتتابع والمتراكم بعضه فوق بعض.

٨٣. وهذه الحجارة لها علامة خاصة للعذاب، معلومة عند ربك في خزائنه، خاصة بهم لا تصيب غيرهم، وليست هذه الحجارة أو قري قوم لوط من الكافرين أهل مكة وأمثالهم ببعيدة، يمرون عليها في طريقهم إلى الشام، وهذا وعيد لكل ظالم.

٨٤. وأرسلنا إلى أهل مدين (مدينة قرب معان في الأردن) أخاهم في النسب شعيباً عليه السلام الذي كان يسمى خطيب الأنبياء لقوة حجته وبيانه وحسن إقناعه قومه، قال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك له، ليس لكم إله معبود بحق غيره، ولا تنقصوا المكيال والميزان في البيع والقرض ونحوهما، إني أراكم بشروء وسعة في الرزق، تغنيكم عن النقص، فإيفاء الكيل عدل، وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط بالناس جميعاً لما فيه من الأهوال، لا يفلت منه أحد.

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرًا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ تَنْصُرُونَ ﴿٨٢﴾ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدَةٌ ﴿٨٣﴾ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُ شُعَيْبًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ فَخَرُّوا كَعِبَادِ اللَّهِ أَفَكُنْتُمْ أَكْثَرًا عَدْوًا أَذَلَّتْكُمْ وَآبَاءُكُمْ أَنْ تَقُولُوا سُبْحَانَ اللَّهِ مُضْمِرِينَ ﴿٨٤﴾ بَقِيَتْ لِلَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِمَحْبُوطٍ ﴿٨٥﴾ قَالُوا لَشُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٦﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُمْ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَدَّتْ مِثْلُ رِزْقِهَا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْتُمْ كُنتُمْ عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٧﴾

٨٥. ولا يكفي الامتناع عن النقص، بل يلزمهم السعي في الإيفاء، ولو بزيادة لا بد منها، فأتموا الكيل والوزن بالعدل والتسوية، دون زيادة في الأخذ، ونقص في العطاء، ولا تنقصوا الناس من حقوقهم شيئاً، غشاً أو خديعة أو غضباً، ولا تفسدوا في الأرض، أو تكثروا الفساد، أو تداوموا على الفساد.

٨٦. ما ييقية الله لكم من الرزق الحلال الباقي بعد إيفاء الحقوق بالعدل، أفضل وأبرك لكم من الكسب الحرام، إن كنتم مصدقين بالله وبالْحَسَابِ؛ لأن المؤمن هو الذي يتنفع بالتذكير.

٨٧. قال القوم ساخرين مستهزئين: أصلاتك تأمرك بترك ما كان يعبد آباؤنا من الأصنام والأوثان، أو بترك ما كنا نفعل بأموالنا حسبما نشاء بحسب المصلحة، بالزيادة والنقص، تنصرف فيها بما نرضاه، إنك أنت المعروف بسعة الحلم، العاقل المتاني، شديد الرشد، أي الهداية، الراسخ فيها؟! وهذا على سبيل الاستهزاء.

٨٨. قال: يا قوم، أخبروني إن كنت على بصيرة وبرهان قاطع من ربي فيما أدعوكم إليه، ورزقي الرزق الكثير الطيب، فهل يعقل أن أخالف أمر الله ونهيه؟ وليس من المعقول ولا من شأني أن أنهارك عن شيء ثم أرتكبه أو أفعل خلافه، ما أريد إلا الإصلاح بالعدل قدر استطاعتي، وما توفيتي لإصابة الحق والصواب إلا بعون الله تعالى، عليه اعتمدت في جميع أموري، وإليه أرجع في كل أمر.

وَيَقُولُ لَا يُحِبُّ مَنَّا كُفْرًا شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ
 قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمَ لُوطٍ مِّنكُمْ بِبَعِيدٍ
 ﴿٨٩﴾ وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمْ فَمَا اسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِلَّا أَنْ يَرْجِعُوا
 وَدُونَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا يَسْمِعُ مَا نُنْفِقُ كَثِيرًا وَمَا نَعْمَلُ
 وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْمُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَكَأ
 نْتَ عَلَيْنَا بِغِيظٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَقُولُونَ حَقًّا عَلَيْنَا مِثْلُ
 مِثْلِ اللَّهِ وَأَتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَهُمْ ظَهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ
 ﴿٩٢﴾ وَيَقُولُوا أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَسَىٰ أَسُوفُ
 تَعْلَمُونَ مِّنْ آيَاتِهِ عَذَابٌ يُجْزِي بِهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَابُوا
 إِنِّي مَعَكُمْ رَبِّيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا مِّنَ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ
 فَأَصْحَابُ فِي دِيَارِهِمْ جَبَشِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لُّوَيْعًا
 فِيهَا الْأَبْعَدُ الْمَدِينِ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ
 أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
 وَمَلَأِيهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرًا فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾

٨٩- ويا قوم، لا يحملنكم عداوتي وخالفي
 الشديد على تكذبي، فيصيبكم عذاب مثل ما
 أصاب قوم نوح من الغرق، أو قوم هود من الريح
 الصرصر الباردة، أو قوم صالح من الرجفة
 وخسف الأرض بهم، وليس هلاك قوم لوط منكم
 يبعيد خبرهم ومكانهم وزمانهم عنكم، أفلا
 تتعظون؟

٩٠- واستغفروا ربكم من ذنوبكم، ثم توبوا
 إليه عن معاصيكم السابقة، إن ربي واسع الرحمة
 بالتائبين، كثير المحبة لهم، فاعمل بهم اللطف
 والإحسان، كما يفعل الصديق الودود بمن يوده.

٩١- قال القوم: يا شعيب، ما نفهم كثيراً بما
 تقول لنا من الغيبات، كما نفهم الأمور المشاهدة،
 وإننا لترك ضعيفاً لا قوة لك على مقاومتنا والدفاع
 عن نفسك، ولولا عشيرتك القرية التي تتقوى بها
 لرجمناك أي قتلناك بالحجارة، وما أنت علينا بكرم
 عن الرجم.

٩٢- قال شعيب لهم: يا قوم أعشيرتي أعز
 عليكم من الله؟ لأن الاستهانة بنبي الله استهانة بالله

عز وجل، وجعلتم أمر الله وأمر نبيه مهماً كالملقى خلف الظهر، إن ربي عليم بأحوالكم وأعمالكم،
 فيجازيكم عليها.

٩٣- ويا قوم، اعملوا غاية إمكانكم وما في وسعكم من الكفر والتكذيب، إنني عامل بما أمرني به ربي،
 وعلى حسب إكثاري، سوف تعلمون عاقبة الشرك وإضرار الناس، ومن يأتيه عذاب يهينه ويذله، ومن هو
 كاذب مني ومنكم، وانتظروا وعيد ربكم بالعذاب، إنني منتظر وعد ربي بالرحمة.

٩٤- ولما جاء أمرنا بإهلاكهم، نجينا شعيباً والمؤمنين معه من العذاب، بسبب رحمتنا، وأخذت الذين
 ظلموا أنفسهم بالشرك الصيحة أو الرجفة المهلكة، فأصبحوا في ديارهم ميتين.

٩٥- كأن لم يقيموا فيها، ألا هلاكاً للمدين، كما هلكت ثمود من قبلهم، وكان هلاك القومين بالصيحة،
 غير أن صيحة ثمود كانت من تحتهم، وصيحة مدين كانت من فوقهم.

٩٦- ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وهي التوراة أو الآيات التسع كما ذكر في سورة الإسراء (١٧/١٠١) المبينة
 في سورة الأعراف (٧/١٣٣)، وبالمعجزات الظاهرة، أو البراهين القوية الواضحة.

٩٧- أرسلناه إلى فرعون وزعماء قومه، فاتبعوا أمر فرعون بالكفر وأعرضوا عن موسى، وما شأن فرعون
 بذئ رشده وهدى، فليس فيه رشده قط، بل هو في ضلال محض.

يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْدَدَهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ الْوَرْدُ
 الْمُورُودُ ﴿٩٨﴾ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بئس
 الرِّقْدُ الْمُرُودُ ﴿٩٩﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْهَا
 قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا
 أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا
 جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُهُمْ عِتْرَتِي ﴿١٠١﴾ وَكَذَلِكَ أَخْذُ
 رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ
 تَجْمَعُ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُوحِرُ إِلَّا
 لِأَجْلِ مَعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلُمُ نَفْسٌ إِلَّا بِذَمِّ فِتْنَةٍ
 شَقِيٍّ وَسَعِيدٍ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا
 زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ
 وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يَرِيدُ ﴿١٠٧﴾
 وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
 السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُوفٍ ﴿١٠٨﴾

٩٨ - يتقدم فرعون قومه إلى عذاب النار يوم
 القيامة ، فأدخلهم نار جهنم ، بسن المورد الذي وردوه
 ودخلوه ؛ لأن المورد المائي يرده الناس عادة لإطفاء حر
 العطش ، والنار عكس ذلك .

٩٩ - وأتبع الله فرعون وكبار قومه بعد هلاكهم
 بالبحر طرداً وبعداً عن الرحمة في الدنيا ، وأتبعهم
 طرداً ولعنة أخرى يوم القيامة من أهل المحشر ، بسن
 العطاء المعطى أو العون المعان ، وسميت اللعنة عطاء
 تهكماً ، كما سمي الزقوم نزلاً في الصافات [٦٢] .

١٠٠ - ذلك الذي قصه الله عليك أيها النبي في هذه
 السورة من أخبار الأمم السابقة التي أهلكتنا أهلها بسبب
 الكفر والتكذيب ، من تلك القرى ما يزال قائماً باقياً
 أثره ، ومنها خراب هالك لا أثر له ، كالزراع القائم على
 ساقه ، والذي حصد .

١٠١ - وما ظلمناهم بإهلاكهم من غير ذنب ،
 ولكن ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي ، فما نفعتهم
 آلهتهم أي أوثانهم التي يعبدونها من غير الله ، من
 شيء من العذاب ، فلم تدفعه عنهم ، بل ضررتهم ، لما
 جاء أمر ربك بعذابهم ، وما زادتهم أصنامهم التي
 يعبدونها غير الهلاك والخسران .

١٠٢ - ومثل ذلك الأخذ بالعذاب عقوبة ربك إذا

عاقب أهل القرى وهم ظالمون بالذنوب ، إن عقابه للكافرين موجه مؤلم بشدة فاقته لا يرجى الخلاص منه .

١٠٣ - إن في ذلك المذكور من القصص المتعلقة بأخبار السابقين وإهلاكهم لعبرة وعظة لمن خاف عذاب الآخرة
 الشديد ، ذلك يوم القيامة ، يجمع له الناس للحساب والجزاء ، وذلك يوم يشهده جميع الخلائق .

١٠٤ - وما نؤخر مجيء يوم القيامة إلا لئلا نزعنا عن الله ، معلوم بالعدد .

١٠٥ - يوم يجيء ذلك اليوم والجزاء لا تتكلم نفس بحجة إلا بإذن ربها ، فمن الناس شقي بكفره وهم أصحاب
 النار ، ومنهم سعيد بإيمانه وهم أصحاب الجنة .

١٠٦ - فأما الذين شقوا بكفرهم وعصيانهم في علم الله تعالى ، فهم في النار مستقرون ، لهم فيها صوت شديد
 أثناء الزفير (إخراج النفس) والشهيق (أخذ النفس) من شدة ألم صدورهم ، وضيق نفوسهم .

١٠٧ - وهم ماكثون إلى الأبد في النار مدة دوام السموات والأرض في الدنيا ، وهذا التعبير يراد به التأبيد في
 كلام العرب على سبيل التمثيل ، فهو كناية عن تأبيد الخلود ، ويتم ذلك بمشيئة الله التي لا سلطان لأحد عليها ، فهو
 سبحانه الفعال لما يريد ، ومن مشيئته ألا يخلد عصاة المؤمنين في النار ، إن الله يفعل في الدنيا والآخرة ما يشاء ، فلا
 اعتراض لأحد .

١٠٨ - وأما الذين سعدوا بإيمانهم وعملهم الصالح في علم الله وتوفيقه ، فهم مقيمون في الجنة أبداً ، ما بقيت
 السموات والأرض ، وهو تعبير يفيد التأبيد في استعمالات كلام العرب ، ويتم ذلك بمشيئة الله التي لا سلطان
 لمخلوق عليها ، ومن مشيئته إكرامهم بما هو أكبر من ذلك ، يعطيهم ربه عطاء غير مقطوع ، وإنما هو ممتد إلى الأبد ،
 وكل ذلك لا يمنع تفاوت الناس في درجات النار ودرجات الجنان ، فيجازي الله كل عامل بما يعمل .



١٠٩- فلأتكن أيها النبي في شك في بطلان ما يعبد هؤلاء المشركون، فلا نفع في أصنامهم، ومصيرهم كمن سبقهم من الكفار إلى النار، وهم في عبادتهم للأصنام مقلدون لأبائهم المتقدمين، وإن الله تعالى لمعطيهم حظهم المستحق من العذاب كاملاً تاماً غير منقوص منه شيء.

١١٠- ولقد أعطينا موسى كتاب التوراة، فاختلف فيه قومه بين مصدق ومكذب، فأمن به قوم، وكفر به قوم، كما فعل مشركو مكة، ولولا قضاء الله السابق بتأخير العذاب إلى يوم القيامة، لفضي أي حكم بين قومك أو بين قوم موسى في الدنيا فيما اختلفوا فيه، فعجل لهم العقاب، وأهلك الطغاة في الدنيا، وإن كفار مكة أو المكذبين بالتوراة، لفي شك في كتابهم المنزل، موقع في الريبة والحيرة.

١١١- وإن كل فريق من المختلفين: المصدقين والمكذبين إلا ليتلقى يوم الحساب جزاء عمله تاماً وافياً، من خير أو شر، إن الله عالم بأعمال العباد ظاهرها وباطنها، لا يخفي عليه شيء.

١١٢- فاستقم أيها النبي على العمل بأمر ربك والدعوة إليه، وداوم على الاستقامة كما أمرك الله به ونهاك عنه، وليستقم أيضاً معك من تاب من الشرك

فَلَأَنكَ فِي مَرْيَبَةٍ تَمَّا يَبْعُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَبْعُدُونَ إِلَّا مَا يُعْبُدُ
 ءَابَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّمَا لِكُفْرِهِمْ نَصِيبُهُمْ عَمْرٍ مُنْقُوصٌ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ
 ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَآخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ
 مِن رَّبِّكَ لَفَقَضَىٰ بِئِنَّهُمْ وَأَنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَرِيبٌ ﴿١١٠﴾
 وَإِن كَلَّمْنَا لَوْلَا فِيقَهُمْ رَبِّكَ أَعْمَلَهُمُ اللَّهُ إِنَّمَا يَبْلُغُونَ خَيْرٌ ﴿١١١﴾
 فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطَّغَوْا إِنَّهُ
 بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا نَسَكُمُ
 النَّارَ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ
 لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَمَّا الصَّلَاةُ فَطَرْفَ النَّهَارِ وَزُلْفَىٰ مَنْ
 آتَىٰ الْبَيْتَ إِذَا حَضَرَ يَذْهَبَ السَّبْتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكْرَيْنِ ﴿١١٤﴾
 وَأَصْبِحْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُصْبِحُ أَجْرَ الْحَسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَنِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ
 فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ
 ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ
 رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصَلِحِينَ ﴿١١٧﴾

وأم برسالتك، والتزم هديك، ولا تتجاوزوا حد الاعتدال في الأوامر والنواهي، أي لا ترتكبوا المعاصي، إنه سبحانه بصير بأعمالكم، فمجازيكم عليها.

١١٣- ولا تميلوا أدنى ميل أيها المؤمنون إلى الظالمين الكافرين بأن ترضوا بما هم عليه، أو تشاركوهم في أعمالهم، فتصيبكم النار بسبب الميل إليهم، وليس لكم من غير الله من أعوان وأنصار لإنقاذكم من النار، ثم لا تجدون من ينصركم عند الله تعالى لمنع العذاب عنكم.

١١٤- وأقم الصلاة في الغداة والعشي، صباحاً ومساءً، والمراد صلاة الصبح والعصر ومعها الظهر، وفي مدة من الليل مطلقاً، وذلك يشمل المغرب والعشاء، إن فعل الحسنات ومنها الصلوات الخمس يذهبن، أي يكفرن صغائر الذنوب، وأما الكبائر فلا بد لها من التوبة، ورأي بعضهم أن السبب على العموم تكفرها الحسنات، ذلك الحكم عظة للمتظنين.

١١٥- واصبر على الصلاة والاستقامة وترك الطغيان والركون إلى الظالمين، فإن الله يوفي المحسنين أجورهم. والآية تشمل الصبر على جميع الطاعات، وترك جميع المعاصي.

١١٦- فهلا كان من الأمم التي أهلكتها أصحاب رأي وعقل ودين ينهون عن الفساد في الأرض من الشرور والمنكرات، لكن قليلاً من أنجينا منهم من العذاب، وهم المؤمنون برسالات الأنبياء كانوا يؤدون هذه المهمة، فأنجيناهم، واتباع الذين ظلموا أنفسهم ما أنعموا فيه من الشهوات والملاذ، وآثروها على أعمال الآخرة، وكانوا باتباع شهواتهم مجرمين.

١١٧- وما كان ربك ليهلك أهل القرى بظلم منه لهم، وهم مصلحون أعمالهم الدينية والدنيوية من الإيمان والمعاملات الاجتماعية.

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرُونَ مُخْتَلِفِينَ ۗ إِلَّا مَن زُجِرَ بِكَ وَكَذَّبَ وَعَتَىٰ ۖ وَقَتَّ كَلِمَةً رَبِّكَ لِأَمَلَانَ جَسَدٍ مِّنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۗ وَلَا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَبَّيْتُ بِهِ فِرَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۗ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ كَمَا تَبْتَكِمُ ۚ أَنَا سَطْرٌ وَأَنَا سَطْرُونَ ۗ وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَشْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِفَعْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۗ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الرَّتِّكَ أَيُّكَ الْكَلْبِ الْمُبِينِ ۗ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۗ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ۗ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ۗ

١١٨- ولو شاء ربك لجعل الناس لجملة النبي لجمع الناس كلهم على دين واحد، ولكنه أراد أن يكونوا مختارين لتحقيق مبدأ العدل في الثواب والعقاب، ولا يزالون بعد ترك الاختيار لهم مختلفين في الحق بسبب اتباع الأهواء.

١١٩- ولا يزالون مختلفين إلا من رحم الله، فهداهم بفضلهم إلى الدين الحق، ولتحقق هذه الإرادة غير الجبرية خلقهم مختارين، وكذلك خلقهم لرحمته، وثبت قضاء الله وأمره أنه يملأ جهنم بسبب الكفر والمعصية من الجن والإنس منهما أجمعين لا من أحدهما.

١٢٠- وكل نبي ناقص عليك أيها النبي من أنباء الرسل، من أجل تثبيت قلبك على أداء الرسالة وعلى تحمل الأذى، وجاءك في هذه السورة المتضمنة بعض قصص الأنبياء وأدلة الإيمان ما هو حق ثابت من ربك، وعظة وتذكير للمؤمنين أهل الحق بحسن العاقبة.

١٢١- وقل أيها النبي للذين لا يؤمنون بهذا الحق ورسالة الإنقاذ: اعملوا ما يمكنكم عمله من الشر في حقي بحسب منهجكم، إنا عاملون بمنهجنا ودعوتنا إلى الخير.

١٢٢- وانتظروا عاقبة أمركم ومصير كفركم وتكذيبكم، إنا منتظرون تحقيق هذا المصير.

١٢٣- والله وحده علم جميع ما غاب عن الناس في السموات والأرض، وإليه مرجع جميع الأمور يوم القيامة، فيجازي كل واحد بعمله، فاعبد ربك وحده ومن معك من المؤمنين، وفوض أمرك إلى الله في جميع أمورك، فإنه كافيك، وليس يخفى على الله كل ما تعملون من خير أو شر، بل هو عالم به، ومجازٍ عليه.

سورة يوسف

سمى الله تعالى هذه السورة أحسن القصص، وآيات للسائلين، وعبرة لأولي الألباب، وتصديق الكتب السماوية السابقة. سبب نزولها: أن كفار مكة لقي بعضهم اليهود، وتباحثوا في شأن محمد ﷺ، فقال لهم اليهود: سلوه، لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر، وعن قصة يوسف، فنزلت.

١- ﴿الر﴾ ألف لام راء: إشارة لإعجاز القرآن وتحدي العرب بمعارضته ما دام مكوناً من حروف اللغة العربية التي لهم فيها أفانين البيان وسحر الفصاحة والبلاغة، تلك الآيات في هذه السورة هي من آيات القرآن الظاهر في أنه من عند الله.

٢- إنا أنزلنا هذا القرآن بلغة العرب، لكي تعلموا معانيه، وتفهموا ما فيه، لبناء شخصية الفرد والجماعة.

٣- نحن نقص عليك أيها النبي أحسن القصص (الأخبار) عن الأمم الماضية، بإيحاتنا إليك هذا القرآن المحكم، وإن كنت من قبل الوحي لا تعلم شيئاً عن هذه القصة وغيرها من قصص القرآن، وسميت هذه السورة أحسن القصص، لما فيها من العبر والعظات، وسيرة الأنبياء والصالحين والملائكة والملوك والمماليك والتجار والرجال والنساء، ولأن كل من ذكر فيها كان من السعداء، قال ابن عباس: قالوا: يا رسول الله، لو قصصت علينا؟ فنزلت: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص...﴾ [٣].

٤- أذكر حين قال يوسف لأبيه يعقوب عليهما السلام: يا أبت (بإبدال ياء المتكلم تاء في نداء الأب أو الأم) إني رأيت في المنام أحد عشر كوكباً (أي إخوته) والشمس والقمر (أي أباه وأمه) رأيتهم ساجدين لي، وصفوا بصفة العلاء، بسبب السجود الذي هو سجود تحية لا سجود عبادة.



قَالَ يَبْنِي لَا تَقْضُصْ رُءُوكَ عَلَيَّ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا
 إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ
 رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُنَبِّئُكَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ
 وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ
 وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ
 وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلنَّاسِ الَّذِينَ ءَاتُوا لِيُؤَسِّفُوا لَهُمْ
 أَسْمَاءَهُمْ إِنَّ آيَاتِنَا لِلنَّاسِ لَآبْهَاتٍ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ
 أَحَبُّ إِلَيْنَا أَيْسَاءُ مَا تَحْكُمُ عَصَبُهُ إِنَّ آبَانَا لِيُؤَسِّلُ الْمُؤَسَّلِينَ ﴿٨﴾
 أَتَقُولُوا يُونُسَ أَوْ مُوسَىٰ أَوْ هَارُونَ أَوْ لُقْمَانَ لَئِذَا لَمْ يَأْتِكُمْ
 مَرْسَلٌ مِنَ اللَّهِ فَيُنذِرَكُم بَأْسًا تَلْمِزُونَ ﴿٩﴾ فَأْتُوا بِآيَاتِنَا
 إِن كُنْتُمْ فَعَلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْتِنَا عَلَىٰ يُونُسَ
 وَإِنَّا لَهُ لَنَصْحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَكْتُمُ وَيَكْتُمُ
 وَإِنَّا لَهُ لَنَحْفُظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَجُرَّحٌ مُّضِيٌّ أَن تَدَّهُونِي بِهِ
 وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذَّنْبُ وَأَن يَرْتَدَّ عَنْ عِقْلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا
 لِمَنِ آكَلَهُ الذَّنْبُ وَمَنْ عَصَبَهُ إِنَّ آدَاءَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤﴾

٥- قال يعقوب بن إسحاق: يا بني، لا تخبر إخوتك بالرؤيا لئلا يحسدوك، ويدبروا لك تدبيراً خفياً قد يضرك، فإن الشيطان للإنسان عدو ظاهر العداوة، ومهمته إيقاع الفتنة بين الناس.

٦- ومثل ذلك الاختيار والاصطفاء يختارك ربك ويصطفيك على سائر العباد، لمهمة عظيمة، ويعلمك تعبير الرؤيا: وهو الإخبار بما يؤول إليه الشيء في الوجود، ويتم نعمته عليك بالنبوة والملك، وفي ذلك خير الدنيا والآخرة، ويتمها على ذرية يعقوب، كما أتمها بالنبوة على جدك: إبراهيم، إذ نجَّاه الله من النار، واتخذته خليلاً، وجعله نبياً رسولاً، وإسحاق الذي جعله أيضاً نبياً رسولاً، إن ربك عليم بمن كان أهلاً للاصطفاء، حكيم في صنعه وتدييره، يضع الشيء في موضعه الصحيح. وكلمة ﴿آل﴾ لا تستعمل إلا في أتباع العظيم والعظماء.

٧- لقد كان في قصة أو خبر يوسف وإخوته عبر وعظات للسائلين عن قصصهم، وبراهين وعلامات دالة على صدق نبوة محمد ﷺ للسائلين (المفسرين) له من اليهود عن قصة يوسف، كما تقدم بيانه، ودلائل أيضاً على قدرة الله تعالى وحكمته ولطفه بعباده الذين يختارهم للنبوة.

٨- إنها عبرة حين قال إخوة يوسف (وهم أحد عشر) لأبيهم: قسماً كيوسف وأخوه بنيامين شقيقه من أمه أحب إلى أبينا منا كلنا، ونحن جماعة قوية تقدر على خدمته، إن أبانا لفي خطأ واضح في الرأي بإيثار يوسف وأخيه بالمحبة دوننا.

٩- قال أكثر الإخوة: اقتلوا يوسف أو القوه في أرض بعيدة عن أبيه وعن العمران، يصفُ ويخلص لكم توجه أبيكم ومحبته، وتكونوا من بعد هذا الفعل بالقتل أو الإبعاد قوماً صالحين مع أبيكم وفي أمور دينكم ودنياكم، بالبعد عن القلق النفسي والغيرة والحسد، والتفات الأب إليكم وحدكم.

١٠- قال أحد الإخوة وهو يهوذا: لا تقتلوا يوسف، والقوه في قعر البئر الذي يغرب عن رؤية البصر، إن كنتم فاعلين به شيئاً بقصد الإبعاد عن أبيه، فهم إذن غير أنبياء.

١١- قال الإخوة بعد اتفاقهم على الإبعاد: يا أبانا ما لك لا تأتمنا على يوسف وتخاف عليه منا، وإننا له لناصرون: نشفق عليه ونريد له الخير.

١٢- أرسله معنا غداً إلى البرية أثناء خروجنا للمرعى، ينشط ويأكل من الفاكهة والزرع، ويلعب بالسهم والمسابقة المباحة، وإننا لحافظون عليه من أن يناله مكروه، والبعد عن إضراره.

١٣- قال يعقوب لهم: إنني أحزن لغيبه يوسف بذهابه معكم وفراقه إلي، وأخاف أن يفترسه الذئب الكاسر، وأنتم عنه لاهون مشغولون باللعب ونحوه.

١٤- قالوا لأبيهم: والله لئن أكله الذئب، ونحن جماعة قوية، إننا لعاجزون ضعفاء مستحقون لوصف الخسارة.

١٥- فلما ذهب الإخوة ييوسف، وعزموا عزماً أكيداً أن يلقوه في قعر البئر، وألهمنا ييوسف بعد إلقائه في البئر، حال صغره وله سبع عشرة سنة أو نحوها، تأنيساً له، لتُخبرن إخوتك بما فعلوه معك، أو بصنيعهم هذا، وهم لا يشعرون بأنك أنت ييوسف، كما سيأتي في الآية [٨٩].

١٦- ورجعوا إلى أبيهم ليلاً وقت المساء متباكين، ليستروا فعلتهم وكذبهم، ويوهموأ أباهم أنهم صادقون.

١٧- قالوا: يا أبانا، إنا ذهبنا نتسابق في العدو أو الرمي أو ركوب الخيل، وتركتنا ييوسف عند ثيابنا وأمتعتنا ليحرسها، فأكله الذئب حال بعدنا عنه، ولست بمصلق لنا، ولو كنا عندك صادقين، لسوء ظنك بنا واتهامك لنا وشدة محبتك ليوسف.

١٨- وجاؤوا على قميص ييوسف بدم مكذوب فيه، غير دم ييوسف، فلما رآه يعقوب، قال لهم لما علم بكذبهم: لم يأكل الذئب ييوسف، بل زينت لكم أنفسكم أمراً شنيعاً منكراً فعلتموه بأخيكم، فصبر جميل: وهو ما لا شكوى فيه إلى أحد ولا جزع، وأطلب العون من الله على ما تذكرون من أمر ييوسف، وتكذبون.

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾
وَجَاءَ وَآبَاهُمُ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مِئْمَرٍ فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءَهُ وَعَلَى قَيْصِهِ يَدُ الْمَكِذِبِ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكَّارَةٌ فَاسْتَلُوا وَارِدَهُمْ فَادَّكُوا دَلْوَهُ قَالِ يَشْرِي هَذَا غُلْمٌ وَأَسْرُوهُ بَضْعَةَ وَأَلَّهِ عَلَيْهِمْ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّالِمِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَا مِرَّةَ بِهِ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَفْعَلْنَا أَوْ نَسْتَجِدَّهُمْ فَلَنَا كَذَلِكَ مَكْتَبًا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ رَءَاهُ أَنبِيَاءَهُمْ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نُخْرِجُ الْحَسَنِينَ ﴿٢٢﴾

١٩- ومر بالبئر قوم مسافرون من مدين في بلاد الشام إلى مصر، فأرسلوا واردهم: وهو الذي يرد الماء ليستقي لقومه، فألقى دلوه في البئر لئتمتلى، فتعلق ييوسف بالحبل، فلما رآه الوارد قال: يا فرحتا (يقال عند السرور مقال: يا حسرتا عند الجزع) هذا غلام، وأخفوا أمره عن الرفاق، حال كونهم جاعليه متاعاً للتجارة، يباع ويشترى كالرفيق، والله عليم بعملهم، لم يخف عليه إسرارهم، وما نزل ييوسف من المحنة، وصار كالسلة للبيع والشراء.

٢٠- وباعه الرفقة المسافرون بمصر بثمن مبخوس ناقص عن ثمن مثله، بدراهم قليلة، وكانوا في ييوسف من الراغبين عنه، غير المبالين ببقائه معهم.

٢١- وقال مشتره عزيز مصر، وزير الملك على خزائن المال، لامرأته: أحسني إقامته معنا، وأحسني تمهده بحوائجه ومصالحه، عسى أن يفيدنا إذا كبر، فيقوم ببعض الأعمال، أو نتبناه فنجعله ولدنا لنا لو سامته وجماله وأمارات ذكائه، وكما نجيانه من القتل والبئر، جعلنا له في مصر مكانة ومنزلة رفيعة حتى صار وزير ماليتها، لنملكه ونعلمه تعبير الرؤيا وتفسيرها، والله لا يعجزه شيء، تقع الأمور بحسب إرادته، ولو دبر الناس خلاف ذلك، ولكن أكثر الناس وهم المشركون لا يعلمون أن الله غالب على أمره، قادر على تنفيذ مراده، بيده الأمر كله.

٢٢- ولما بلغ أشده: وهو غاية القوة الجسدية والعقلية، وكمال الرشد، من ثلاثين إلى أربعين، أعطينا النبوة والحكمة وهي العلم المؤيد بالعمل أو معرفة أسرار الأشياء، وعلم الدين وتأويل الرؤيا والأحاديث، ومثل هذا الجزاء الذي جزيناه به، نجزي المحسنين لأنفسهم بطاعة الله تعالى.

٢٣- وراودته زليخا امرأة العزيز التي هو في بيتها عن نفسه، والمرادة: المطالبة برفق ولين وخداع، وطلبت منه أن يواقعها، وأحكمت إغلاق الأبواب، وقالت له: هلم وأقبل، تهيأت لك، قال لها: أعوذ بالله وأتحصن من الجهل والفسق، مما دعوتني إليه، كيف أفعل ذلك، والحال إن زوجك سيدي (قطفير) أحسن مقامي وأكرمني، وجعلني مؤتمناً على أموره، فلا أخونه، إنه لا يفلح الظالمون الذين يقابلون الإحسان بالإساءة. وقيل: إن الضمير لله تعالى، فإنه أحسن إقامتي في بلد الغربية.

٢٤- ولقد مال كل واحد منهما إلى الآخر بمقتضى الطبيعة البشرية، لكنها كانت مصرة تريد الوقوع، وهو لا يريد الإيقاع، لولا وجود النبوة وتذكره عهد الله ومراقبته بالطاعة للخالطها، مثل ذلك التثبيت ورؤية برهان الله للتذكر، لنصرف عنه خيانة العزيز في أهله، ونصرف عنه فاحشة الزنى، إنه من عبادنا الذين استخلصهم واجتباهم لرسالته وطاعته، أي طهرهم من النقائص.

٢٥- وتسابقا إلى الباب، يوسف يريد الفرار والخروج، وامرأة العزيز تريد أن تمنعه، وشقت قميصه من خلف أثناء هربه منها، ووجدت زوجها عند الباب، قالت محتالة مستترة على نفسها مخافة الاتهام بالفجور: ما جزء من أراد بزوجتك فاحشة، إلا السجن أو التعذيب الشديد الألم بالجلد انتقاماً منه؟

٢٦- قال يوسف دفاعاً عن نفسه: هي طلبت مني ذلك ولم أرد بها سوءاً، وشهد طفل في المهدي من آثارها، أنطقه الله، كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ في ذكر من تكلم بالمهد، ومنهم شاهد يوسف، فقال: إن كان قميصه شقاً أو قطع من أمام، فصدقت في قولها، وهو من الكاذبين في قوله، وعند طائفة كبيرة من المفسرين أن الشاهد لم يكن طفلاً وإنما رجل كبير هو ابن عمها.

٢٧- وإن كان قميصه شقاً من خلف، فكذبت في ادعائها عليه، وهو من الصادقين في دعواه عليها.

٢٨- فلما رأى العزيز زوجته أن ثوب يوسف شق من خلف، برآه، وقال لزوجته: إن هذا الأمر المختلف فيه من تدبير النساء ومكرهن، إن مكركن أيها النساء عظيم، أي أشد دهاء وتأثيراً في النفس. والكيد: المكر والحيلة.

٢٩- وتابع العزيز قوله: يوسف أعرض عن هذا الأمر واكتمه ولا تتحدث به، واستغفري أيتها المرأة لذنبك الذي وقع منك، إنك كنت بسببه من الأثمين.

٣٠- وقال جماعة من نسوة مدينة مصر لما شاع الخبر: امرأة العزيز تراود غلامها المملوك عن نفسه، طالبة منه الموافقة، وهو ممتنع عنها، قد دخل حبه شغاف قلبها، أي غلافه، إننا لنهاه بهذا الفعل في خطأ واضح. واسم المرأة: زليخا، والعزيز: لقب وزير ملك مصر.

وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْت لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأْيَ بَرِّهِنَّ كَذَلِكَ لَنَصْرَفَ عَنْهُ الشُّعْرَاءُ وَالْفُتَنَاءُ إِنَّهُم مِّنْ عِبَادِنَا الْخَاصِينَ ﴿٢٤﴾ وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيْتَا سَيْدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جِئْتِ مَن أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يَجِدَنَّ أَوْعَازَ الْيَوْمِ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَاوَدَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ سَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِّنْ قَبْلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَتْهُ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِّنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ لَدُنْكَ إِنَّا كُنَّا مِنَ الْفَاطِحِينَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرِيهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾



فَلَمَّا سَمِعَتْ مَكْرَهِنَ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِنًا
وَأَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا
رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا
بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا آيَاتُكَ كَرِيمًا ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي
فِيهِ وَلَقَدْ رُودْتُ عَنْ نَفْسِي فَأَسْخَمَ وَإِنِّي لَأَفْعَلُ مَا كُنْتُ
لَأَفْعَلُ وَلِيَكُونَ مِنَّا الصَّغِيرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ
مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ
وَإَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ
إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ تَوَدَّ الْمَلِكُ مَن بَعْدَ مَا رَأَى الْآيَاتِ
لَيْسَ لَهُ حَسْبِي سِجْنٌ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَسَاءَلَا قَالَا
أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُحْمَلُ
فَوْقَ رَأْسِ جَبْرًا تَأْكُلُ الظُّبُرَ مِنْهُ نَبَاتًا يَا وَيْلَةَ إِنِّي أَتْرِكُكَ
مِنَ الْحَسِينِ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَا بَنِيكَمَا طَعَامُ رَبِّي يَأْتِيَكُمَا
بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مَسَلَةً
قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ حَرْمِكُمْ فَرُودُونَ ﴿٣٧﴾

٣١- فلما سمعت امرأة العزيز باغتيالها وتديبرهن الخفي أو نقدهن - وسمي مكرًا؛ لأنهن لم يقصدن الغيرة على الفضيلة، وإنما قصدن إخراجها حتى تطرده، ويستأثرن به - دعتهم إلى وليمة ليعذرنها وتوقعهن فيما وقعت به، وهيات لهن وسائل في مجالس يتكثن عليها، وقال ابن عباس: التكاؤ: هو فاكهة الأرنج، وأعطت كل واحدة منهن سكينًا لتقطع طعام، وقالت ليوسف: اخرج عليهن، فلما رأينه أعظمته، وراعهن حسنه، حتى اضطربن، وجرحن أيديهن بالسكاكين، وقلن بقصد التعجب من جماله: تنزيهاً لله عن العجز، وتعجباً من قدرته على خلق مثله، ما هذا الفتى بشراً؛ لأن جماله الفائق لم يعهد في البشر، ما هذا إلا ملك كريم، لما في الطبع أن الملائكة راعوا الحسن بارعو الجمال.

٣٢- قالت امرأة العزيز حيثئذ: فهذا هو الفتى الذي عيرتني في حبي له، ولقد راودته عن نفسه، فامتنع امتناعاً شديداً، ولئن لم يفعل ما أمره به، ليحبسن في السجن، وليصيرن من الأذلاء المهانين بسلب النعمة والتعرض للإهانة.

٣٣- قال يوسف مناجياً ربه تعالى: يارب

دخول السجن الذي هددتني به هذه المرأة، أرغب إلي مما يدعونني إليه من المعصية، وإن لم تصرف عني مكرهن واحتيالهن، أمل إليهن وأوافقهن على مرادهن، وأكن حيثئذ من فئة الجهال السفهاء الذين يتورطون بالمنكرات عن طيش. وهذا لجوء إلى الله تعالى عند اشتداد البلاء وتعاطم الفتنة.

٣٤- فأجاب الله دعاءه ولطف به، وعصمه من المعصية، وأذهب عنه مكرهن، إنه سبحانه سميع الدعاء، عليم بحال المنتجي إليه.

٣٥- ثم ظهر لعزير مصر وجماعته المستشارين، من بعد رؤية العلامات الدالة على براءة يوسف، ليحبسن يوسف في السجن إلى مدة غير معلومة، لينقطع كلام الناس.

٣٦- ودخل مع يوسف السجن غلامان آخران للملك: الساقى والخباز، فرأياه يفسر الرؤيا، فحاولا اختباره، فقال أحدهما وهو الساقى: إني رأيت في المنام أني أعصر عنباً لصنع خمر منه، وقال الآخر وهو الخباز إني رأيت في المنام أني أحمل خبزاً تتناول الطير منه، أخبرنا بتأويل رؤيانا، إنا نراك يا يوسف من الذين يحسنون تعبير الرؤيا، ويحسنون معاملة الناس.

٣٧- قال يوسف: تعلمان أنه لا يأتيكما طعام إلى السجن من جهة الملك إلا أخبركما بما هيته ونوعه قبل مجيئه، ذلكما التأويل والإخبار بالغيبيات، مما علمني ربي بالوحي والإلهام، لا بالكهانة والتنجيم، إني تركت دين قوم كفروا بالله واليوم الآخر، وهو ملة ملك مصر وغيره.

٣٨- واتبعت دين آبائي، أي أجدادي: إبراهيم وإسحاق ويعقوب. سماهم آباء لترغيب صاحبيه في الإيمان بالله. ما صح لنا أن نشرك بالله شريكاً في عبادته، أي شيء كان الشريك صنماً أو ملكاً، ذلك التوحيد والإيمان من أفضال الله ومكارمه علينا، وعلى الناس كافة، ولكن أكثر الناس لا يشكرون الله على أفضاله ونعمه.

٣٩- يا صاحبي في السجن، هل الأرياب المتعددون في ذواتهم وصفاتهم خير للعبادة، وهم لا يضررون ولا ينفعون، أم الله الواحد المتفرد بالالوهية المعبود بحق الغالب لكل شيء، النافذ القدرة؟!.

٤٠- ماتعبدون من غير الله من الأصنام والأوثان إلا مجرد أسماء لا حقيقة لها، سميتوها آلهة أنتم وأباؤكم من تلقاء أنفسكم، لكونها جمادات لا تسمع ولا تبصر، ولا تضر ولا تنفع، ما أنزل الله ولا أوحى لعبادتها من حجة وبرهان، ما الحكم النافذ في كل شيء إلا الله وحده، ذلك هو الدين المستقيم الثابت، ولكن أكثر الناس وهم

وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِذِ هُمْ وَاسْتَحَقُّ وَيَعْقُوبُ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْحَبِي أَلَيْسَ آدَابُ مَنْفَرَةٍ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَقْبَلُوا إِلَّا آيَاتُهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقَيْمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَصْحَبِي أَلَيْسَ أَمَّا أَحَدُكُمْ فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَأَمَّا كُلُّ الطَّيْرِ مِنْ رَأْسِهِ فَضَى الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ سَتَقْبَلُونَ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا أذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعَ سُبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رَأْيِي إِنْ كُنْتُمْ لِلرَّيِّ يَا قَوْمِي قَالُوا أَصَعْتُكَ أَحْلِمٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ﴿٤٣﴾

الكفار لا يعلمون ذلك كله.

٤١- يا صاحبي في السجن، هذا تأويل رؤياكما: أما أحدكما وهو الساقى فسيعود إلى ما كان عليه، ويخرج من السجن، ويسقي سيده الملك خمراً، وأما الآخر وهو الخباز فيصلب، ويبقى مصلوباً، حتى تأكل الطير من رأسه، فقالوا: كذبنا وما رأينا شيئاً، فقال يوسف: فرغ من الأمر الذي سألتما عنه، صدقتما أم كذبتما.

٤٢- وقال يوسف للذي توقع نجاته وهو الساقى: اذكر صفاتي التي شاهدتها عند سيلك الملك، وذكّرني متى رجعت إليه، لينصفني ويطلق سراحي، فأنساه الشيطان تذكير الملك بيوسف، فبقي يوسف في السجن بضع سنين: من الثلاث إلى التسع.

٤٣- وقال ملك مصر الأكبر الذي كان العزيز وزيراً له: إني رأيت في المنام سبع بقرات يتلعهن سبع بقرات ضعاف مهزائل، وسبع سنابل خضر معقودة الحب، التوت عليها حتى غلبتها سبع آخر يابسات، يا أيها الأشراف من الحكماء والعلماء: أخبروني بتعبير ومعنى هذه الرؤيا، إن كنتم تعرفون تعبيرها وتفسيرها.

٤٤- قال الملأ: هذه الرؤيا أخلاط أحلام أي خواطر وخيالات كاذبة، ولسنا بتأويل المنامات الباطلة بعالمين، فلا تأويل لها عندنا.

وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنْتَكَبُ
بِنَازِلِهِ فَأَرْسَلُونِي ٤٥ يُوَسِّفُ أَهْمًا الصِّدِّيقُ أَقْنَانًا فِي
سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعَ عَجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ
خُضْرٍ وَأُخْرًا يَسْتَلْعِي أُنْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ
٤٦ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُونَهُ
فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ٤٧ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ
ذَلِكَ سَبْعُ شِدَادٍ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا خَصَّصْتُمْ
٤٨ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ
يَصْعُرُونَ ٤٩ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ
قَالَ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَهَذَا مَا بَالُ النَّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْتَ
أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ٥٠ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ
إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلَّمْنَا عَلَيْهِ
مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ لَنْ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا
رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ٥١ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي
لَمْ أَخْنُفُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ٥٢

٤٥ - وقال الذي نجا من الغلامين من العقوبة وهو الساقى، وتذكر يوسف بعد مدة من الزمان: أنا أخبركم بتأويل هذا المنام بسؤال عالم بالتأويل، فأرسلوني إلى يوسف في السجن، لأقص عليه الرؤيا، فيخبرني بتأويلها.

٤٦ - يا يوسف الكثير الصدق: أخبرنا عن رؤيا من رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع ضعاف، وسبع سنبلات خضر تلثوي عليها سبع آخر يابسات، رآها الملك في منامه، لعلي أرجع إلى الناس: الملك وأصحابه، لعلمهم يعلمون تأويل هذه الرؤيا، ويعلمون فضلك ومزنتك في العلم، فتخرج من السجن.

٤٧ - قال يوسف: ازرعوا الأراضي سبع سنين متوالية متتابعة على عادتكم المستمرة، وهي تأويل السبع البقرات السمان، والسبع السنبلات الخضر، فما حصدتم في كل عام، فاتركوا المحصول في سنبله أي عيدانه، لتلا يأكله السوس، إلا قليلاً مما يخصص للأكل في تلك السنين، فادرسوه.

٤٨ - ثم يأتي من بعد تلك السنين الخصبية سبع سنين مجذبة صعبة، وهي تأويل السبع العجاف الضعاف، يأكل أهلها ما ادخرتم لأجلهن - وأسند الأكل للسنين للمبالغة - إلا قليلاً مما تحرزون وتدخرون للبذار للزرع القادم.

٤٩ - ثم يأتي من بعد هذه السنين المجذبة عام فيه يغاث الناس بالمطر، ويأتي الفرج الإلهي بفيضان النيل لاعتماد زراعتهم عليه، لا على المطر، وفيه يعصرون ما يقبل العصر كالعنب والزيتون والسمسم، وكل ذلك من تعليم الله تعالى.

٥٠ - وقال الملك لمن حوله بعدما جاءه الرسول بتعبير الرؤيا وسمع عن أفضال يوسف: اتنوني بيوسف لأستمع منه، فلما جاء رسول الملك يدعو يوسف إلى مقابلة الملك، قال يوسف قاصداً إظهار براءته: أرجع إلى سيدك، فاطلب منه أن يسأل: ما حقيقة حال النسوة اللاتي قطعن أيديهن وما سبب ذلك؟ إن ربي تعالى عالم بما صنعن وبما أضمرن ومكرن؟

٥١ - قال الملك للنسوة اللاتي اجتمعن مع امرأة العزيز: ما شأنكن وما قضيتكن حين راودتن يوسف عن نفسه، هل وجدتن منه ميلاً لا يمكن؟ قلن: معاذ الله أن يكون يوسف متهماً، وهذا تعجب من شدة عفته، ما علمنا عليه من ذنب، قالت امرأة العزيز: الآن ظهر الحق جلياً، أنا التي راودت يوسف عن نفسه، وإنه لصادق في تبرئة نفسه.

٥٢ - قال يوسف: فعلت ذلك وطلبت التحقق في الأمر والبراءة قبل مغادرة السجن، ليعلم العزيز أنني لم أخنه في أهله وهو غائب عني، وأن الله لا يسدد ولا ينفذ ولا يوفق الخائنين في تدبيرهم الخفي، هذا تفسير الزمخشري. ورأى أبو حيان أن هذا القول من المرأة، لتظهر أنها لم تسع لسمة يوسف وعفته في غيبته.

٥٣- وتابع يوسف كلامه (على التفسير الأول): وما أبرئ نفسي من الخطأ والزلل، إن شأن النفس كثيرة الأمر باتباع الهوى والشهوة، إلا ما رحم ربي من النفوس فعصمها من الوقوع في المعصية، إن ربي كثير المغفرة للمستغفرين، واسع الرحمة بالتائبين الصالحين. وعلى التفسير الثاني لأبي حيان: إن هذا من تمة كلام امرأة العزيز، متصل بما قبله: ﴿الآن حصحص الحق﴾ [٥١].

٥٤- وقال ملك مصر: اتنوني بيوسف من السجن اجعله خالصاً لنفسي، من خاصتي وأهل مشورتي، فلما كلم الملك يوسف وشاهد منه الرشيد والفظنة والذكاء والبراءة، قال له: إنك اليوم ذو مكانة ومنزلة، مؤتمن على كل شيء.

٥٥- قال يوسف للملك: اجعلني والياً على خزانة أموال أرض مصر، إني أحسن الحفاظ على مصالحها وضابط لها، وذو علم بأمرها.

٥٦- وكانعامنا على يوسف بالخلّاص من السجن، جعلنا له مكانة في أرض مصر، بالتصرف في شؤونها، كما يتصرف الرجل في منزله، وهذا يدل على جواز تولي الأعمال للسلطان الجائر أو الكافر إذا تمكن من القيام بالحق، نرحم من نشاء في الدنيا

والآخرة، ولا نضيق ثواب المحسنين، بل نوفيهم كاملة غير منقوصة.

٥٧- وكثواب الآخرة أفضل وأعظم من ثواب الدنيا بسبب دوامه، للمؤمنين بالله ورسوله، وخافوا الله، وتجنّبوا الشرك والفواحش، وحذروا العقاب، فأطاعوا ربهم.

٥٨- وجاء إخوة يوسف وهم أحد عشر إلبنيامين، من أرض كنعان- فلسطين إلى مصر ليمتاروا ويشترى الطعام (الحبوب) بعد إصابتهم بالقمح، فدخلوا على يوسف، فعرّفهم أنهم إخوته، وهم جاهلون به؛ لأنهم فارقه صبيّاً مرافقاً.

٥٩- ولما أعطاهم ما طلبوا من الميرة وأوفى لهم الكيل من القمح، قال لهم: اتنوني بأخ لكم وهو بنيامين أخو يوسف الشقيق في المرة القادمة لأعلم صدقكم فيما قلتم، ألا ترون أنني أتم الكيل، وأنا خير المضيفين في هذه البلاد.

٦٠- فإن لم تأتونني به، فلا ميرة لكم عندي ولا أبيعكم الطعام، ولا تقربوا ببلادي.

٦١- قالوا: سنجتهد في طلبه من أبيه، وإنا لفاعلون ذلك لا نتوانى.

٦٢- وقال يوسف لعلمانه الكياليين: اجعلوا ثمن ما أتوا به من الطعام، في أوعيتهم، لكي يعرفوها ويعرفوا حق رتعا، فيطمعوا في العودة، إذا رجعوا إلى أهلهم فوجدوها فيها، لعلهم يرجعون إلينا، فتكون معرفتهم ذلك داعية لهم للرجوع.

٦٣- فلما عادوا من سفرهم إلى أبيهم، قالوا: يا أبانا حُكم بمنع كيل الطعام منا في المستقبل إن لم ترسل معنا أخانا بنيامين، نتمكن به من اكتيال ما نحتاج إليه، فأرسله معنا، لنحصل على الطعام، وإنا حافظون له من أن يناله مكروه.

﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنْ أَلْفَسْتُ لَأَمَانَةَ بِالشُّعْرِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنْ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٥٣) وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَنْتُونِي بِهِ إِسْتَحْضَاهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَلِكَ مَكَانَ يُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَا جَبْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٨﴾ وَكَانَ جَهْرًا بِرَجْمَتِهِمْ قَالَ أَتَنْتُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِنْ آبَائِكُمُ الْأَتْرُونَ أَيْ أَوْفَى الْكَيْلِ وَأَخِيرَ الْمَنْزِلَيْنِ ﴿٥٩﴾ فَإِنْ لَوْنَا تُونِي بِهِ فَكُلَّ كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ فَأَلَوْا أَسَدًا وَوَدَّعْنَهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِضَيْفِيهِ اجْعَلُوا يَضَعْتُهُمْ فِي رِحَابِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَنَا نَكْحَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾

قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ
فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَخَّرُوا مُنْتَهُمُ
وَجَدُوا بِصَعْنَتِهِ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ فَكَلَّمُوا يَا أَبَانَا
مَا نَبِيٌّ هَذِهِ بِصَعْنَتِكَ رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَبِيٌّ أَهْلَكَ
وَحَفِظَ أَخَانَا وَزَادَ كُلَّ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ لِيَسِيرٍ ﴿٦٥﴾ قَالَ
لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَنَا أَنْتُمْ بِهِ إِلَّا
أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّاءُ آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ
وَكَيْلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ بَيْنِي وَأَبِي وَأَدْخُلُوا مِنْ
أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أَعْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ وَإِنْ أُنزِلَ
إِلَّا اللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾
وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمَا كَانُوا عَنْ حَيْثُ هُمْ
أَلَّهِ مِنْ شَيْءٍ وَالْإِحَاجَةُ فِي أَنْفُسِهِمْ يَغُفُّوا فَعَلَسُوا وَإِنَّهُ
لَدُوْعٌ لِمَنْ عَاتَبَهُ وَلَكِنْ كَرِهَ النَّاسُ لِإِعْمَالِهِمْ
﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ أَوْحَى إِلَيْهِ آخَاةٌ قَالَ إِنَّ
أَنَا أَخَوْتُكَ فَلَا يَتَّبِعُنَّ بِمَآكِلِكُمْ لِيَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾

٦٤- قال يعقوب لأبنائه: هل ائتمنكم على أخيكم بنيامين إلا كما ائتمنتكم على أخيه يوسف في الماضي حين ذهبتم به إلى البرية ولم تعودوا به؟ وهذا تصریح منه بالخوف من خيانتهم في الحالتين، فالله خير حافظ له أثق به وأتوكل عليه، وهو سبحانه أرحم الرحماء بي، يرحم كبري وتعلقني بولدي، وأرجو أن يرده علي، ويجمع الشمل.

٦٥- ولما فتحوا أوعية طعامهم، وجدوا فيها ثمن الطعام قدر ذلك إليهم، قالوا: يا أبانا، ما الذي نطلبه أكثر من هذا الإكرام، من إعطاء الغلال وإعادة الثمن؟ هذه نقودنا رُدَّتْ إلينا بفضل الله، ونجلب الميرة (الطعام) ونحفظ أخانا في الذهب والإياب، ونزاد مكيل بعير بوجود أخينا بنيامين معنا، ذلك المكيل الزائد من الخسب سهل الحصول عليه، والعطاء على الملك، لسخائه وتوافر الغلال لديه.

٦٦- قال يعقوب لأولاده: لن أرسل بنيامين معكم، حتى تعطوني عهداً مؤكداً بالحلف بالله عليه لتردنه إلي، إلا أن يغلب عليكم عدو،

وتعرضوا للهلاك، فتهلكوا دونه، فتعذرون عندي، فلما أعطوه عهدهم بما طلب وتنفيذ ما أمر باليمين، قال يعقوب: الله على ما نقول من طلب الميثاق والإتيان بالأخ شهيد رقيب مطلع، يعاقب من نقض العهد وحث في اليمين.

٦٧- وقال يعقوب يوصي أبنائه: يا أولادي لا تدخلوا مصر من باب واحد، خوفاً من الضرر أو الحسد أو إصابة العين، وادخلوا من أبواب متفرقة، كيلا تلتفتوا الأنظار إليكم، وما أدفع عنكم بوصيتي هذه أو تديري شيئاً من قضاء الله وقدره عليكم، ما الحكم إلا لله وحده، عليه اعتمدت، وبه وثقت، لردكم إلي جميعاً بسلام، وعليه فليعتمد المؤمنون المفوضون إليه في جميع أمورهم.

٦٨- ولما دخل أبناء يعقوب من الأبواب المتفرقة، ما كان يفيد عنهم ذلك الدخول من قضاء الله عليهم شيئاً، فإنه سبحانه قدر أخذ يوسف أخاه بنيامين زيادة في المصائب، ولكن حاجة في نفسه: وهي شفقتهم عليهم وحرصه على سلامتهم، أظهرها لهم ووصاهم بها، وقد نفذوا الوصية، وقضاء الله فوق كل تدبير، وإن يعقوب عالم بما علمناه نحن الإله إياه، ومن تعاليمه: أن الحذر لا يمنع القدر، وأن العين لا تضر إلا بإذن الله، ولكن أكثر الناس، وهم الكفار لا يعلمون سر القدر، وأن التوكل والاعتماد على الله لا يمنع الأخذ بالأسباب وأخذ الحذر والتعقل.

٦٩- ولما دخلوا على يوسف، ضم إليه أخاه في غفلة منهم، وقال له سراً: أنا أخوك يوسف، فلا تخزن بما كانوا يعملون معنا في الماضي، من الحسد، وأمره ألا يخبرهم بهذا.

٧٠- فلما زودهم بالطعام، جعل خُفية وعاء السقاية والكيل الذي هو الصواع أو الكيال في وعاء طعام أخيه بنيامين الذي اشتراه من مصر، ثم نادى مناد قبل المغادرة: يا أصحاب القافلة (العيير المحملة المركوبة) إنكم لصوص سارقون.

٧١- قال إخوة يوسف، وهم مقبلون على المنادي من أتباع الملك: ماذا تفقدون من الأشياء؟

٧٢- قالوا لهم في الجواب: نفتقد صاع الملك الذي يباع به وهو السقاية، ولمن جاء بالصاع بنفسه حمل بغير، وأنا به كفيل، أي بحمل البعير (الجمل). ويعاد الضمير للصواع مذكراً ومؤنثاً.

٧٣- قال أبناء يعقوب: بالله إنكم معشر يوسف وأصحابه تعلمون يقيناً من خلال مرتي المجيء السابقتين أننا ما أتينا بلادكم لنعصي الله في أرضكم، ونحن أبرياء لسنا بسارقين.

٧٤- قال المنادي وأصحابه: فما جزاء السارق عندكم في شرعكم إن كنتم كاذبين في ادعاء البراءة من السرقة؟

٧٥- قال أبناء يعقوب: جزاء السارق للصواع:

أخذ الرجل الذي يوجد الصواع في رحله عبداً رقيقاً للمسروق منه، فهو جزاؤه العادل، بمثل ذلك الجزاء نجزي السارقين في شريعتنا- شريعة يعقوب.

٧٦- فبدأ المفتش يوسف بتفتيش أوعية الإخوة العشرة قبل وعاء أخيه بنيامين دفعاً للتهمة، وحبكاً للحيلة المدبرة، ثم استخرج الصواع من وعاء بنيامين أخيه، مثل ذلك ألهمنا يوسف هذا التدبير الخفي ليأخذ أخاه، فلولا ذلك ما كان ليستبقي أخاه في شريعة الملك التي كان عليها، والتي تكفي بضرب السارق وتغريمه ضعف قيمة المسروق، إلا في حال مشيئة الله وإذنه ووجهه، نرفع بالعلم والحكمة منازل من نشاء من عبادنا، وفوق كل عالم أعلم منه وأرفع منزلة، حتى ينتهي العلم المطلق إلى الله تعالى.

٧٧- قال إخوة يوسف بدافع الحقد والكراهة في أنفسهم: إن يسرق بنيامين أخونا من أبنائنا الصواع، فقد سرق أخ شقيق له من قبل، وهو يوسف، قيل في الروايات المنحولة: إنه في صغره أخذ صنماً من ذهب لجدته أبي أمه، فكسره وألقاه في الطريق، تغييراً للمنكر، فأخفى يوسف هذه التهمة في نفسه، ولم يُظهر لهم تأثيره منها، وقال في نفسه: أنتم شر موضعاً عند الله ممن اتهمتموه بالسرقة، وهو بريء، لخياتكم أخاكم وظلمكم له، والله أعلم بحقيقة ما تقولون وتكذبون، وما تزعمون من نسبة السرقة إلى يوسف.

٧٨- قال إخوة يوسف مسترحمين: يا أيها العزيز، إن له أباً شيخاً كبيراً في السن هرمأً، يحبه حباً شديداً، ويتسلى به عن ولده الهالك، ويحزنه فراقه، فخذ أحدنا عبداً غيره مكانه، إننا نراك من المحسنين في أفعالكم إلينا وإلى الناس كافة، فأنتم إحسانكم بهذا المطلب. والخطاب بصفة العزيز دليل على أن يوسف بمرتبة وزير.

فَلَمَّا حَمَّرُوهُمْ بِجِذَاهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رِجْلِ أَخِيهِ ثُمَّ
أَدْنَى مَوْزَنَ أَيُّهَا الْعَيْبَرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ فَأَلَوْا وَأَقْبَلُوا
عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ ﴿٧١﴾ فَأَلَوْا تَفْقَدُ صُوعَ الْمَلِكِ
وَلَمَّا جَاءَ بِرِجْلِ مِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ فَأَلَوْا تَأَلَّه
لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا خَسَا النَّفْسُ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ
﴿٧٣﴾ فَأَلَوْا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ فَأَلَوْا
جَزَاؤُهُ مِنْ وَجَدَ فِي رِحْلِهِ فهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نُجْزِي الظَّالِمِينَ
﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيْنَهُمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهُمْ مِنْ وَعَاءِ
أَخِيهِ كَذَلِكَ كَذَبْنَا لِيُؤْسِفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ
فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ
وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ ﴿٧٦﴾ فَأَلَوْا إِنْ يَسْرِقُ
فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَوْ مِنْ قَبْلِ قَسْرَهَا يُؤْسِفُ فِي نَفْسِهِ
وَلَمْ يَبْدِهَا لَهُمْ قَالَ اللَّهُ سَرَّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا صِفُونَ
﴿٧٧﴾ فَأَلَوْا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَنَا أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا
فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنْ آتَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾



٧٩- قال يوسف : نلجأ إلى الله من أن نأخذ أحداً إلا الذي وجدنا متاعنا (الصواع) عنده، وهو بنيامين، طبقاً لشريعتكم، إنا لظالمون إن أخذنا غيره مكانه.

٨٠- فلما يتسوا ياساً شديداً من يوسف وإجابته إياهم، انفردوا متاجين سراً فيمما بينهم، قال كبيرهم سناً: روبيل أو يهوذا، أو كبيرهم في الرأي: وهو شمعون، ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم عهداً موثقاً من الله بحفظ أخيكم، وقد سبق لكم من قبل هذا تفريطكم في يوسف، وحشتم بعودكم، فلن أفرق أرض مصر وأرجع إلى أرض كنعان، حتى ياذن لي أبي بالعودة إليه، أو يتصرف الله في أمري، ويخلص أخي، وهو سبحانه عدل الحاكمين؛ لأنه لا يحكم إلا بالحق والعدل.

٨١- ارجعوا إلى أبيكم وحدكم، فقولوا له: إن ابنك سرق صواع الملك، فاستعبد بحسب شريعتنا، وما شهدنا عليه بالسرقه إلا بما شاهدناه

من استخراج الصواع من رحله، وما كنا عالمين بما غاب عنا، فلم ندر أنه سرق.

٨٢- واسأل أهل القرية- أهل مصر، وأصحاب الإبل (القافلة) التي رجعنا معها إلى بلادنا وهم قوم من كنعان، وإنا لصادقون في قولنا الذي أخبرناك به عن بنيامين.

٨٣- قال يعقوب لهم: لم أصدقكم، وزينت لكم أنفسكم أمراً معيناً فعلتموه، كما حدث في سابقة يوسف، فصبري صبر جميل: وهو الذي لا جنح ولا شكوى فيه لأحد إلا لله تعالى، لعل الله أن يأتيني بيوسف وأخويه جميعاً، إنه عليم بحالي وحزني، حكيم في صنعه.

٨٤- وأعرض يعقوب عن أولاده تاركاً خطابهم، وقال: يا حزني على يوسف، وغطت عينيه غشاوة بيضاء حتى كاد لا يبصر، لشدة بكائه وحزنه على غياب أولاده الثلاثة، فهو مملوء غيظاً وحزناً، مغموم مكروب.

٨٥- قال أولاد يعقوب لأبيهم: والله لا تزال تذكر يوسف تفجعاً عليه وتأسفاً لفراقه، حتى تكون مريضاً مشرفاً على الهلاك، أو تكون من الموتى، أي إما قريباً من الهلاك أو تهلك فعلاً.

٨٦- قال لهم يعقوب: إنما أشكو أعظم غمي وأصعبه وحزني إلى الله، لا إلى غيره، فهو الذي تنفع الشكوى إليه، فاتركوني وشكايي ومعاناتي، وأعلم من فضل الله وصنعه، ولطفه ورحمته ما لا تعلمون، فإنه لا يخيب من دعاه. والبت: الغم الكثير، والحزن: ألم في النفس من شدة الغم.

قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عَنْهُ إِذْنَا إِذًا ظَالِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا أَسْتَيْسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْنَا فِي يَوْسُفَ فَلَنْ أَنْبَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذُنَ لِي أَبِي أَوْ حَكَمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِرْ جَمِيلًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَقَوْلِي عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سَفِي عَلَى يَوْسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَاطِمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُونََّا نَذْكُرُ يَوْسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرْصًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بِنِيِّ وَحَزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

٨٧- تابع يعقوب قائلاً: يا أولادي، اذهبوا إلى مصر، فابحثوا واطلبوا خبر يوسف وأخيه، ولا تقنطوا من رحمة الله بتفريخ كربنا وهمنا، إنه لا يقط من رحمة الله إلا القوم الجاحدون لفضله وقدرته ولطفه. والروح: كل ما يهتز الإنسان بوجوده ويستمتع به.

٨٨- فلما دخل أولاد يعقوب على يوسف، قالوا: يا أيها العزيز أصابنا وأهلنا الضر، أي شدة الجوع والحاجة والمرض من القحط، وجتنا بدراهم رديئة، فاتم لنا الكيل، وتفضل علينا بالمسامحة عن رداءة بضاعتنا (نقودنا) إن الله يثيب المتفضلين أحسن الجزاء.

٨٩- قال يوسف لهم توبيحاً بعدما رأى جهدهم وضيقهم: هل تذكرون ما فعلتم بيوسف من الضرب والبيع والاحتقار وغير ذلك، وما فعلتم بأخيه بما الحقتم به من الذل والإهانة، وفرقتم بينه وبين أخيه، حين كنتم جاهلين بقب ذلك وعاقبته.

٩٠- قالوا متذكرين نبرات صوته، متنبئين لما

قال في الآية السابقة، على طريق التعجب: أئنك أنت يوسف حقاً؟ قال: أنا يوسف، وهذا أخي الشقيق بنيامين، قد تفضل الله علينا وأنعم بالاجتماع والسلامة والكرامة، إنه من يخف الله، ويصبر على البلايا والمحن، فإن الله لا يضيع ثواب المحسنين الذين جمعوا بين التقوى والصبر، بل يجزيهم خير الجزاء.

٩١- قالوا له: والله لقد اختارك الله وفضلك علينا، والحال أننا كنا مذنبين بما فعلنا معك، آمين بما ارتكبنا والخطأى: الأثم الذي يتعمد الخطيئة، والمخطئ: الذي يريد الصواب فيخطئه.

٩٢- قال يوسف: لا تعبير ولا لوم أو تأنيب عليكم اليوم، فقد سامحتكم وعفوت عنكم، بالاعتراف بالذنب، يغفر الله لكم ذنوبكم، وهو سبحانه أرحم الراحمين بمن تاب وأناب، يغفر الصغائر والكبائر.

٩٣- اذهبوا بقميصي هذا الذي كان علي، فألقوه على وجه أبي يعقوب، فمتى يشم رائحتي، يرجع إليه بصره، وعودوا إلي بأهلكم أجمعين، من غير استثناء أحد.

٩٤- ولما انطلقت القافلة وفارقت أرض مصر متجهة إلى الشام، قال يعقوب أبوهم لمن حوله: إني لأشتم أو أحس برائحة يوسف، لولا أن تسبونني إلى القند: وهو فساد الرأي وضعف العقل، وتهموني بالخرق: ذهاب العقل من الشيخ الهرم.

٩٥- قالوا له: والله إنك لفي خطئك القديم الذي كنت عليه، بإفراطك في حبه، وتوقع لقاءه.

يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ أَنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلُنَا النَّضْرَ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُزَجَّجَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَصَدِّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُصْذِقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفَ قَالَ أَنَا يُوسُفَ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مِنْ يَتِّقُ وَيَصْبِرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَأَلَّفَهُ لَقَدْ أَتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ تَعْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأَوْتِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَ الْعَزِيزُ قَالَ أَيُّهُمْ أَجْرِي لِأَجْدِ رَجِحُ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُعْتَدُونَ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَأَلَّفَهُ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾

٩٦- وحينما جاء البشير من مصر وهو يهوذا حاملاً قميص يوسف، ومبشراً بسلامته مع أخيه، التي القميص على وجه يعقوب، فعاد مبصراً من شدة الفرح، وقال يعقوب لأولاده عندئذ: ألم أقل لكم: إني لأجد ربح يوسف، وإني أعلم من الله ما لا تعلمون: وهو ما قلته سابقاً: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ، وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [٨٦] وهو أن الله سيرد علي يوسف وأخاه ويجمع الشمل.

٩٧- قال أولاد يعقوب: يا أبانا، اطلب من الله أن يغفر لنا سيئاتنا التي ارتكبتها، إنا كنا مذنبين.

٩٨- قال يعقوب: سوف أدعو الله لكم بالمغفرة في وقت مناسب، وهو وقت السحر، حيث يستجاب الدعاء، ولم يبادر بالدعاء للتنبية إلى سوء فعلهم، والتحقق من إجابة دعائه شفقة على أولاده.

٩٩- فرحل يعقوب عليه السلام بأهله أجمعين، وساروا حتى أتوا مصر، ودخلوا على يوسف عليه السلام، فضم إلى مسكنه أبويه (أباه وأمه أو خالته) وعانقهما وقال: ادخلوا مصر آمنين إن شاء الله عما تكرهون.

١٠٠- وأجلس أبويه معه على سرير الملك، تكريماً لهما واحتراماً، وسجد له الأيوان والإخوة الأحد عشر سجود انحناء وتحية وتكرمة له، لا سجود عبادة، ولا وضع جبهة على الأرض، فإن ذلك كان تحيتهم في زمانهم، وجائزاً في شريعتهم، وقال يوسف: يا أبت، هذا تأويل رؤياي السابقة، أي مآلها وعاقبتها، قد جعلها ربي حقيقة واقعة، وقد أفاض علي اللطف والإحسان حين أخرجني من السجن وأظهر براءتي، ولم يقل: من الجب (البئر) تكرماً، لثلا يخجل إخوته في وقت الجمع والصفاء، وجاء بكم من البادية، وهي أرض كنعان بالشام، من بعد أن وسوس الشيطان بالشر، وأفسد بيني وبين أخوتي، إن ربي رفيق بعباده، لطيف التدبير بدقة، وإيصال الخير يسر وسهولة لما يشاء ويريد، وإنه تعالى هو العليم بخلقه وبما يحقق المصالح، الحكيم في صنعه وتدبيره.

فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ أَوْحَى إِلَيْهِ أَبُوئِهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مَعِيَ إِنِّي سَأَلَ اللَّهُ عِندَ رَبِّي زَيْتُونًا وَنَخِيلًا وَإِنِّي كُنْتُ مِنَ الْخَائِطِينَ ﴿٩٩﴾ وَأَوْحَى اللَّهُ عَلَى الْقُرْآنِ وَحَرَّرُوا لَهُ مِجْدَانًا وَقَالَ يَا بَنِيَّ هَذَا نَأْوِلُكُمْ مِنِّي مِنْ قَبْلِ قَدِّ جَهَنَّمَ رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَسَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ الْدُنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا أَكْذَرُ النَّاسَ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

١٠١- ثم دعا يوسف ربه، مقراً بأفضله، شاكرًا أنعمه عليه، بقوله: رب قد آتيتني بعض الملك، وهو ملك مصر، وهو مما يوجب الحمد والشكر، وعلمتني من تفسير وأخبار الرؤيا، يا خالق ومبدع السموات والأرض، أنت ناصرِي ومتولي أمري في الدنيا والآخرة، اجعلني في حياتي كلها مسلماً منقاداً لك، حتى أموت على الإسلام، وألحقني بال صالحين من الأنبياء من آبائي وغيرهم، لأظفر بثوابهم ودرجاتهم عندك.

١٠٢- ذلك المذكور من قصة يوسف من أخبار الغيب، نوحية إليك أيها النبي، لتخبر به قومك، وما كنت حاضرًا مع إخوة يوسف حين عزموا على إلقائه في البئر، وهم يَمْكُرُونَ به ويتآمرون عليه، وذلك من تعليم الله لك. وهذا دليل على صدق الإخبار بالغيبيات.

١٠٣- وليس أكثر الناس- ولو حرصت أيها الرسول على هدايتهم- بمصدقين دعوتك، إلا من رحم الله، لتصميمهم على الكفر.



١٠٤- وما تطلب أيها النبي على تبليغ القرآن وتلاوته أجرأ تأخذه، ما القرآن إلا تذكير وعظة للعالمين من إنس وجن .

١٠٥- وكم من آية، أي كثير من الآيات الدالة على وجود الله وتوحيده وكمال قدرته في أنحاء السموات والأرض، يشاهدونها غير متأملين بها، ولا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها .

١٠٦- لا يصلق أكثر الناس بالله، إلا وهم مشركون بالله، يعبدون معه غيره، أي حيث يقرون بوجوده وخالقيته، لكنهم يشبثون له شركاء معه في الخضوع والعبادة، والتذلل له، والتقرب إليه بالذبايح .

١٠٧- أفامن أولئك المشركون أن تعمهم داهية من العذاب الإلهي- والغاشية: ما يغمرهم من العذاب- أو تأتيهم القيامة فجأة، وهم لا يشعرون بوقت إتيانها .

١٠٨- قل أيها النبي: هذه الدعوة والطريقة هي

طريقتي وستي، أَدْعُو إِلَيْهَا عَلَى حُجَّةٍ وَاضِحَةٍ وَيَقِينُ، أَنَا وَمَنْ آمَنَ بِرِسَالَتِي وَاهْتَدَى بِهَدْيِي، وَلَسْتَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ .

١٠٩- وما أرسلنا من قبلك أيها الرسول إلا رجالاً لا ملائكة، نوحى إليهم بالرسالة لهداية الناس مثلك، من أهل المدن لا بدوا رحلاً، أفلم يسافر المشركون في أرض الله، فينظروا مصائر ومصارع الأمم المكذبة الماضية، فيعتبروا بهم، والآخرة بما فيها من خلود ونعيم مطلق خير من الدنيا الفانية، للذين يتقون الله بالطاعة واجتباب المعصية، أفلا تتفكرون في الأسباب والنتائج فتؤمنوا؟! .

١١٠- حتى إذا يشس الرسل من إيمان قومهم، وأيقنوا أن قومهم ظنوا أن الرسل قد أخلفوا ما وعدوا به من النصر، أتاهم نصرنا فجأة، فنجى الله من العذاب من شاء من عباده وهم النبي والمؤمنون، ولا يرد عذابنا عن القوم المشركين الذين كذبوا الرسل .

١١١- لقد كان في قصص الرسل عبرة وعظة لذوي العقول السليمة، ما كان هذا القرآن كلاماً يختلق، ولكنه جاء مصدقاً لما قبله من الكتب، وتبيين كل شيء، من أحكام العقيدة والدين والشريعة، وهدى من الضلالة وإلى كل خير، ورحمة يُنال بها خير الدارين، لقوم يصدقون به؛ وخصوا بالذكر لانتفاعهم به دون غيرهم .

وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾
وَكَايِن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ أَكْذَرُ بِهِ اللَّهُ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَتَىٰ أَنَّهُمْ السَّاعَةَ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ فَلْهٰذِهِ سَبِيلُ أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسُجِّنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ مِّثْلِهِمْ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

سورة الرعد



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْمُرْتَدَّةِ الْكُنُوزِ وَأَلَيْتُ الْكُنُوزِ وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ
 وَلَكِنْ كَثُرَ الْوَسْوَاسُونَ ﴿١٧﴾ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ
 عَمَدٍ وَنَهَا أَسْمَانَهُ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ
 لِلْحِجَلِ مَشْرُوعًا بِدِينِ الْأَمْرِ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بَلَاءَةً رُبِّكُمْ تُوَفَّقُونَ ﴿١٨﴾
 وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوْاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ
 جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
 يُفَكِّرُونَ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ قَطْعُ شَجَوَاتٍ وَجَنَّتْ مِنَ الْعَيْبِ
 وَزَّرَعَ وَخَيْلٌ صِنَوَانٌ وَعَيْرٌ صِنَوَانٌ يَسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَيَقْضِلُ
 بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
 ﴿٢٠﴾ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَأَكَلْنَا مِنْ لَدُنْكَ لَبَنًا
 جَدِيدًا أَوْ لَيْتَكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بَرْتَهُمْ وَأُولَئِكَ الْأَعْلَى
 فِي أَعْيُنِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١﴾

١- المراد ألف، لام، ميم، راء: حروف للدلالة على إعجاز القرآن للإنس والجن، وأنه حق من عند الله، من طريق تحدي العرب بمجاراته ومعارضته، ما دام مكوناً من حروف لغتهم العربية، آيات هذه السورة وغيرها آيات القرآن، والذي أنزل إليك أيها الرسول من ربك بالوحي هو الحق الذي لا شك فيه، ولكن أكثر الناس لا يصدقون بأنه من عند الله، لعدم تأملهم وإمعان نظرهم.

٢- الله وحده هو الذي رفع السموات قائمات من غير أعمدة تستند إليها، ثم اعتلى على العرش الذي هو من أعظم المخلوقات اعتلاء يليق به، لا ندري كيفيته، ونؤمن بأنه حق، بلا تكيف ولا تشبيه، وبلا تأويل ولا تعطيل، وذلك الشمس والقمر لمنافع العباد ومصالحهم، كل من الشمس والقمر يجري في فلكه إلى وقت معلوم: وهو فناء الدنيا، وقيام القيامة، بصرف الأمر على وجه

الحكمة، يبين الآيات الدالة على قدرته وتوحيده، لتوقنوا يا أهل مكة وأمالكم وتحققوا كمال قدرة الله على البعث والحساب.

٣- والله الذي بسط الأرض طولاً وعرضاً لتيسير العيش عليها والانتفاع بمنافعها، ولا ينافي ذلك كرويتها بذاتها لتباعد أطرافها، وخلق فيها جبالاً ثوابت، وأنهاراً تتدفق بالمياه، وخلق فيها من كل الثمار زوجين: ذكراً وأنثى للتلاقح، وصنفين متقابلين كالحلو والحامض، والأسود والأبيض، والصغير والكبير، يغطي الليل بظلمته ضوء النهار فيطمسه، إن في ذلك المذكور لدلالات على وحدانية الله تعالى، لقوم يتأملون، فيدركون وجود الله وتوحيده.

٤- وفي الأرض بقاع وأجزاء متلاصقات، ولكنها مختلفة النباتات والزرور والخصوبة ونوعية التربة، ويساتين عنب وزروع، ونخلات يجمعها أصل واحد، وتشعب فروعها، أو أصناف متماثلات وغير متماثلات، وكل من الزروع والأشجار يسقى بماء واحد، وتتفاضل فيما يؤكل من ثمرها شكلاً وطعماً، ولونا ورائحة، وقدراً وزمناً، إن في ذلك المذكور لدلالات على قدرة الله تعالى لقوم يتفكرون في عظمة الخالق، فيؤمنون به.

٥- وإن تتعجب أيها النبي من تكذيب الكفار لك وعبادة الأوثان، فالأعجب منه تكذيبهم بالبعث وإنكارهم له، وقولهم: أيمن بعثنا مرة أخرى بعد أن صرنا تراباً مفتتاً؟ أولئك المنكرون للبعث هم الذين جحدوا بقدرة ربهم، وأولئك الذين يقيدون بالقيود في أعناقهم، وأولئك أهل النار الماكثون فيها على الدوام.



٦- ويستعجلك المشركون المكذبون بالعقوبة قبل وقوعها بإنزال العقوبة المهلكة، وقد مضت من قبلهم عقوبات أمثالهم من المكذبين، فمالهم لا يعتبرون بهم؟ وإن ربك أيها النبي لذو ستر عظيم للذنوب، وإن ربك يعاقب الكفار المتمردين عقاباً شديداً. والمثلاث: العقوبات التي تماثل الذنب.

٧- ويقول الكفار العتاة: هلا أنزل على محمد من ربه معجزة حسية أخرى تدل على صدقه ونبوته، فردّ الله عليهم: إنما أنت أيها الرسول مخوف بالنار من عصي الله، وليس عليك إتيان الآيات، ولكل قوم نبي أو رسول يهديهم ويرشدهم إلى طريق النجاة.

٨- الله يعلم ما تحمل كل أنثى في رحمها من أنواع الأجنة وصفاتها وأحوالها وأعمارها، وغير ذلك، وما تنقص الأرحام بخروج الأولاد ومدة الحمل ونقص الأعضاء وظهور الحيض، وما تمرّ به الأجنة من أطوار النمو يوماً فيوماً، وكل شيء عند الله بقدر محدد ونسبة ثابتة معلومة. ومعرفة البشر نوع الجنين ذكر أو أنثى بالتحليل الكيميائي أو بالأشعة مثلاً، لا يخل باختصاص الله تعالى بمعرفة شؤون أخرى للحمل. وتغيض وتزداد أي تنقص وتزيده الأرحام للجنين.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسِّيئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَعْفَرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامَ وَمَا تَزِدُّهُنَّ مِنْ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِإِعْدَادٍ ﴿٨﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُعْجَلِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِأُتْبُلٍ وَسَارِبٍ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مَعْقِبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرَ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ آلٍ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ حَوَافِظًا وَمَعَا يُنْشِئُ السَّحَابَ الْثِقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُرْسِلُ الرِّعْدَ بِحُمُلِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحِمَالِ ﴿١٣﴾

٩- الله تعالى هو العالم بالحسيات الحاضرة

والغيبات غير المرئية، والعظيم الشأن، المستعلي على كل شيء بقدرته وقهره.

١٠- يستوي في علم الله تعالى من أخفى القول في نفسه ومن جهر به، من خير أو شر، ومن هو مستتر في ظلمة الليل، وظاهر بارز بالنهار، يسير في سره، أي طريقه.

١١- لكل إنسان ملائكة تتعاقب في حفظه ورعايته، وهم الملائكة الحفظة، يحفظونه بأمر الله وإعانتة، لا أن يردوا أمر الله، فإذا جاء القدر تخلوا عنه، ويحسون عليه أعماله من خير وشر، إن الله لا يغير ما يقوم من نعمة أو عافية، حتى يغيروا ما بأنفسهم من الطاعة والخير إلى المعصية والشر، وإذا أراد الله بقوم عذاباً أو هلاكاً، فلا رد له، وليس لهم من غير الله من ناصر يلي أمرهم، فيجلب لهم الخير، ويدفع عنهم الشر.

١٢- الله الذي يريكم البرق (الشرارة الضوئية في السماء بسبب تصادم الأجرام السماوية) للتخويف من الصواعق، والطمع في المطر، وينشئ السحب الكثيفة المثقلة بالماء.

١٣- وينزه الله تعالى الرعد (الصوت المسموع خلال السحاب بسبب احتكاك الأجرام السماوية) بحمد الله سبحانه، أي أن صوت الرعد يدل على خضوع السحاب وكل شيء لله وتزيه الله عما لا يليق به، والملائكة يستحون (ينزهون) من هيبته وجلاله، ويرسل الله الصواعق المحرقة (الشهب المنقضة من الأجرام السماوية) فيهلك الله بها من يشاء، وكفار مكة ونحوهم يجادلون في قدرة الله على البعث وفي الوجدانية، والله شديد القوة وأخذ الأعداء بالعقوبة. نزلت في شأن رجل من فراعنة العرب أرسل النبي ﷺ إليه رجلاً يدعو إلى رسول الله ثلاث مرات، فأبى وقال: وما الله؟ فأرسل الله عليه في المرة الثالثة صاعقة ذهبت بقحف رأسه.

١٤- لله تعالى الدعاء الصحيح؛ لأنه وحده القادر على إجابة الداعي، والذين يعبدون الأصنام والأوثان من غير الله ويدعونها لا يستجيبون لهم بشيء مما يطلبونه منهم، إلا استجابة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه إليه من بعيد، يطلب منه أن يأتيه، ليصل فاه، وما الماء يبالح وأصل إلى فم الداعي أبداً، وليس دعاء الكفار وعبادتهم ألهتهم إلا في ضياع وخسران.

١٥- والله يخضع جميع من في السموات والأرض، طائعين وهم المؤمنون وقت الرخاء وغيره، وكارهين وهم الكفار وقت الشدة والضيقة، وتخضع أيضاً أحييتهم تبعاً لخضوع أصحابها في أول النهار، وما بعد العصر إلى الغروب، وخص هذان الوقتان بالذكر لازدياد ظهور الظلال فيهما.

١٦- قل أيها النبي للمشركين من قومك: من خالق السموات والأرض ومتولي أمرهما؟ فإن لم يجيبوا، فلا جواب إلا أن تقول: الله الخالق، قل لهم: فكيف اتخذتم من غيره أصناماً تعبدونها، لا تقدر على جلب النفع لكم أو دفع الضر عنكم، وتركتم مالك السموات والأرض؟ قل لهم: هل يتساوى الكافر الجاهل والمؤمن البصير العالم، وهل تتساوى ظلمات الكفر والإيمان؟ لا، بل أجعل المشركون شركاء لله،

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ شَيْءٌ إِلَّا كَنُيُوسٍ كُفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِلَغِيهِ وَمَا دَعَا الْكَاهِنِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۗ وَبَلِّغْهُمْ نَجْمِمْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طُلُوعًا وَكَرْهًا وَظُلْمًا أَلْفِدُوا وَأَلْفِدُوا ۗ ۝ ١٤ ۗ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَتَأْتِدْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا خَلْقَهُ فَتَشْبِهُ الطَّلِقَ عَلَيْهِمْ قُلْ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهْدُ ۗ ۝ ١٥ ۗ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَبْتَغِي النَّاسُ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ۗ ۝ ١٦ ۗ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلرَّبِّمْ الْخَسْفِ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لَهُمْ قُلْ لَمْ يَأْتِ الْأَرْضَ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتِدُوا بِهِ أَوْلِيَاءَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۗ ۝ ١٧ ۗ

خلقوا كما خلق الله، فاستحقوا العبادة كما استحقها؟ فلم يتمكنوا من تمييز الخلقين، قل لهم: الله وحده خالق كل شيء، وهو المتوحد بالألوهية، الغالب على كل شيء.

١٧- أنزل الله من السحاب مطراً فسال (جرى) ماء الأودية بقدر حجم الوادي واتساعه قلة وكثرة، فرفع واحتمل بقوة السيل فيما جرف معه غثاء ورفوة طافية عالية فوق الماء، وبعض المعادن التي يوقدون عليها ليصهرها في النار من فلزات الحديد والذهب والفضة وغيرها، بقصد طلب الزينة واتخاذها حلية وهي الذهب والفضة، أو من أجل اتخاذها أمتعة وهي الحديد والنحاس ونحوهما، يتفجع بها كالأواني إذا أقيمت وآلات الحرب والزراعة والمصانع، لها زيد مثل زيد السيل، أي للمعادن زيد أيضاً، وهو خبث هذه الفلزات المعدنية، مثل ذلك المذكور مثل الحق والباطل وأهل كل منهما، فأما الزيد الطافي فيزول باطلاً مرمياً به، وأما ما ينفع الناس منهما من الماء والمعادن فيبقى في الأرض زماناً، ويتفجع به أهلها، ومثل ذلك المذكور بين الله الأمثال لإيضاح الشبهات. والمراد: أن الله تعالى بعد بيان خطأ الكفار في الآية المتقدمة (١٤) وما بعدها في اتخاذ آلهة لا تضر ولا تنفع، ضرب مثلين لثبات الحق وهو الإيمان بالقرآن، وزوال الباطل وهو الكفر، والباطل كالزيد فوق الماء يذهب ويتبدد، والحق يبقى كالماء والمعدن الصافي اللذين يبقيان في الأرض، فيتفجع بهما الناس. والمثلان أحدهما ريفي وهو الماء والزرع، والآخر مدني وهو صناعة المعادن. وقوله ﴿ومما﴾ خبر ابتداء، والبتداء ﴿زيد﴾ ومثله: نعت لزيد.

١٨- المثوبة الحسنة وهي الجنة للذين استجابوا للربهم بالإيمان والطاعة، والذين لم يطيعوا الله ورسوله لا ينفعهم في الآخرة الفداء بجميع ما في الدنيا، وضيع ما فيها، أولئك الذين لم يطيعوا الله وماتوا وهم كفار لهم سوء العذاب في الآخرة، ومسكنهم جهنم، وبئس المستقر الذي يستقرون فيه.





١٩- هل من يعلم فيؤمن ويستجيب كالحمزة، يعلم أن ما أنزله الله إلى رسوله هو الحق الثابت الصحيح، كمن لا يعلم كأي جهل وهو أعمى القلب والبصيرة ولا يؤمن؟ لا يستويك ولا يتشابهان، إنما يتعظ أصحاب العقول الراجحة.

٢٠- وأولو العقول هم الذين يوفون بعهد الله ويعهد العباد، فيقومون بما فرضه الله عليهم، وينفذون معاهداتهم مع الآخرين، ولا ينقضون بنود الموائيق والعهود التي التزموها. والميثاق: العهد المؤكد.

٢١- وهم أيضاً الذين يصلون ما أمر الله بوصله وهو صلة الأرحام وغيرها، ويخافون وعيد ربهم فلا يعصونه، ويخشون خطر الحساب، فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا.

٢٢- وهم كذلك الذين صبروا على طاعة الله، وعلى أقدار الله، وترك المعاصي، بقصد طلب رضا ربهم، لا لأغراض دنيوية أخرى من فخر أو سمعة وغيرها، وأدوا الصلاة في أوقاتها، وأنفقوا في طاعة الله مما رزقهم الله، فادوا الزكاة وغيرها، سرا وجهراً، ويدفعون الإساءة بالإحسان، أولئك المتصفون بالصفات المذكورة لهم العاقبة المحمودة في الدار الآخرة، وهي الجنات.

٢٣- تلك العاقبة الحميدة هي جنات إقامة وخلود، ومعهم من كان ممن صلح من الآباء والأمهات والأزواج والذرية الأولاد، وإن لم يكونوا في درجاتهم في التقوى والصلاح، تكريماً لهم وإناساً ببقاء أحببتهم وإقرار أعينهم وسرورهم، وتدخل الملائكة من جميع أبواب الجنة ومنازل السكنى للتهنئة والتحية، قائلين لهم ما يأتي:

٢٤- يقولون لهم: سلام عليكم، سلمتم من الآفات ودامت سلامتكم، بسبب صبركم على الطاعة والتقوى، وعن المعاصي، فنعمت الجنة عقابكم وداراً لكم أيها الأبرار.

٢٥- والذين ينقضون بنود عهد الله بعد إيمانه ومعاهدته على الطاعة، ويقطعون ما أمر الله بوصله كصلة الأرحام، ويفسدون في الأرض بالكفر والظلم والمعاصي وإثارة الفتن، أولئك لهم الطرد والإبعاد من رحمة الله، ولهم عذاب النار، والعاقبة السيئة في الآخرة.

٢٦- الله يوسع الرزق لمن يشاء، ويضيق الرزق على من يشاء من خلقه، والبسط لا يدل على الكرامة، والقبض لا يدل على الإهانة، وفرح أهل مكة فرح بطر بما بسط لهم في الدنيا، وجهلوا ما عند الله، وما الحياة الدنيا في جنب الآخرة إلا متعة قليلة لا تدوم.

٢٧- ويقول كفار مكة: هلا أنزل على محمد معجزة حسية كعصا موسى ويده وناقية صالح، قل لهم أيها النبي: إن الله يضل من يشاء إضلاله، لأنه عاند وتمرد، فلا تفيده الآيات شيئاً، ويرشد إلى دينه وإلى الحق من تاب، وأقلع عما كان عليه، وترك العناد.

٢٨- والذين أنابوا هم الذين آمنوا بالله وبما أنزل، وتسكن وتستأنس بذكر الله بتوحيده وتذكر وعده، ألا بتوحيد الله ووعده والتأمل في مخلوقاته وصنعه، وتذكر قدرته تسكن قلوب المؤمنين.

﴿فَمَنْ يَعْلَم مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ الذِّكْرِ الَّذِي كَانَ هُوَ أَعْمَىٰ أَسَىٰ
يَذْكُرُ أَولَى الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ
الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ
رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ
رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُونَ
الْحَسَنَةَ السَّيِّئَةَ ۚ أُولَئِكَ لَمْ نُعْطِ الدَّارَ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ
يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ
يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ
عُقُوبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ
وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ
أُولَئِكَ لَمْ نُعْطِ الْعَذَّةَ وَلَمْ نُؤْتِ الدَّارَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ
يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ
إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ
إِنَّ اللَّهَ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ آمَنُوا
وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ
 مَآبٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ
 لِنَتَلَوُا عَلَيْهِمْ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ فُلَهُمْ
 رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَآبٌ ﴿٣٠﴾
 وَلَوْ أَنَّ قَوْمًا عَصَيْتَ بِهِ الْجِبَالَ أَوْ قَطَعْتَ بِهِ الْأَرْضَ
 أَوْ كَذَّبَ بِهِيَ الْمَوْفَىٰ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِسَّ الَّذِينَ آمَنُوا
 أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَىٰ لِلنَّاسِ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا
 تُصَيْدُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً أَوْ تَحُلُّ قَرْيَاتٍ مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ
 وَعَدَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ الْمِعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَىٰ
 بِرُسُلِ مَن قَبْلِكَ فَمَا تَلِيتُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ
 كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ
 وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ
 مِمَّ بَيَّظَرُونَ الْقَوْلُ بَلْ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَضُدٌّ لِّعَيْنِ
 السَّبِيلِ وَمَن يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ عَذَابٌ فِي
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ ﴿٣٤﴾

٢٩- الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم الحياة الطيبة والسرور، وحسن المرجع في الآخرة.
 ٣٠- مثل إرسال الرسل السابقين، أرسلناك في جماعة من الناس، مضت من قبلها جماعات، لتقرأ عليهم القرآن الذي أوحينا به إليك، وهم يجحدون باسم الرحمن، فينكرون وجود هذا الاسم لله تعالى، ولا يشكرون نعمه، قل لهم أيها النبي: الرحمن هوربي، أي خالقي ومدبر أمري، لا إله في الوجود غيره، ولا مستحق للعبادة سواه، عليه اعتمدت في جميع أموري وناصرتي، وإليه وحده مرجعي في الآخرة وتوختي.

٣١- القرآن نفسه هو المعجزة أو الآية لو تعقلوا، فلو فرض أن هناك قرآناً أو كلاماً تُسبِّر به الجبال عن أماكن استقرارها بإذناله وتلاوته، أو قطعت وشققت به الأرض، فكانت سهولاً وعيوناً وأنهاراً، أو صار به الموتى أحياء بقراءته عليهم، لكان هذا القرآن، ولما آمن به أهل مكة عندما شاهدوا منه ما ذكر، بل لله الأمر جميعاً، فهو القادر وحده على إنزال الآيات، ولو شاء أن يؤمنوا لآمنوا، سواء أنزل ما اقترحوا أم لم ينزل،

أفلم يعلم المؤمنون ويتحققوا أن لو يشاء الله، لهدى الناس جميعاً إلى الإيمان، ولو من غير مشاهدة آيات ومعجزات، ولا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا من الكفر وتكذيب الرسول داهية تقرع قلوبهم، من قتل وأسرو قحط، أو تحل القارعة قرب ديارهم، فيملوهم الخوف والفرع منها، حتى يحيق مصداق وعد الله الذي وعلك به وهو النصر عليهم وفتح مكة أو قيام القيامة، إن الله لا يخلف الميعاد على الإطلاق، لا امتناع الكذب في كلامه.

٣٢- وكما استهزئ بك أيها الرسول من المشركين، استهزئ برسل سابقين من أقوامهم، حين دعوهم إلى الإيمان، فاصبر على أذاهم، فأمهلت الكافرين مدة للتوبة، ثم أخذتهم بالعذاب الشديد، فكيف كان عقابي لهم على الكفر والاستهزاء؟!

٣٣- هل يتساوى من هو رقيب على كل نفس، وعالم بما كسبت من خير أو شر، ومن ليس كذلك من الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع؟ وقد جعلوا لله شركاء في العبادة، قل لهم أيها النبي: سموهم له من هم، والمراد أنهم لا حقيقة لهم، بل أتخبرون الله بشركاء لا يعلمهم في الأرض ولا في السماء، بل أتصفونهم بالشركاء بقول ظاهري فقط، باطل لا أصل ولا حقيقة له فهو كالتخيل؟ بل زَيْنٌ للكفار كفرهم وكذبهم وافتراؤهم على الله، وصرَّفوا عن الهداية والإيمان، ومن يجعله الله ضالاً عن الحق والهدى بسبب علمه السابق بضلاله وكفره، فليس له أحد يهديه.

٣٤- لهؤلاء الكفرة عذاب في الدنيا بالقتل والأسر، ولعذاب الآخر أشد وأنكى منه، وما لهم من عذاب الله من مانع ولا دافع ولا عاصم.



٣٥- صفة الجنة العجيبة الشأن التي وعد بها المتقون: أنها تجري من تحت بساطتها الأنهار، ثمارها دائمة لا تنقطع، وظلها دائم كذلك لا يزول، تلك الجنة عاقبة الذين اتقوا الله، بالتزام أوامره، واجتناب نواهيه، وعاقبة الكافرين بالله النار، لا غير.

٣٦- والمسلمون من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه من مؤمني اليهود، وهم ثمانون رجلاً يفرحون بما أنزل إليك أيها النبي من القرآن، وأهل الكتاب الذين تحزبوا على النبي ﷺ من اليهود وساعدوا المشركين، مثل كعب بن الأشرف اليهودي وأصحابه، من ينكر بعض القرآن، مثل نسخه لشرائعهم وكل ما يخالف ما افتروه كادعاء نبوة المسيح لله، قل لهم أيها النبي: إنما أمرت أن أعبد الله وحده، ولا أشرك به أحداً غيره في عبادته، إلى الله أدمعوا الناس لا إلى غيره، وإلى وحده مصيري ومرجمي.

٣٧- ومثل هذا الإنزال المشتغل على أصول الدين، أنزلنا القرآن على أصول الشريعة وفروعها، للحكم بين الناس في الوقائع والقضايا بالحكمة والعدل، حكماً قاطعاً لا يبدل، فاصلاً بين الحق والباطل، بلسان العرب ليسهل فهمه وحفظه، كما أنزلنا الكتب على الرسل بلغات أقوامهم، ولئن اتبعت

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا دَامَ وَظَلْمَا نَكَ عَقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعَقْبَى النَّارِ وَالَّذِينَ أَتَوْا اللَّهَ الْكُفْبَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَخْرَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابِ ۖ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلِيُنَبِّئَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ لِيٍّ وَلَا وَاقٍ ۗ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرُسُلِنَا أَنْ يَأْتِيَ بِشَايئةِ الْآيَاتِنَا إِنَّ اللَّهَ لَكُلِّ أَجَلٍ كَاتِبٌ ۗ يَتَخَوَّاهُ اللَّهُ مَا بَيَّنَّاهُ وَبَيَّنَّاهُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ۗ وَإِنَّمَا تَرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ وَأَتَوْقِنَاكَ فَأَمَّا عَلَيْكَ الْأَبْلَغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ۗ أَوْ لَوِ تَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَمْ نُعْقِبْ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۗ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسِعِلْمُ الْكُفْرِ لِمَنْ عَقْبَى النَّارِ ۗ

فرضاً أهواء قومك الكفار فيما يدعونك إليه من ملتهم، كالصلاة إلى قبلتهم، بعدما جأك من تعليم الله إياك، ليس لك من الله من صديق ناصر ينصرك، ولا مانع يقيك من عذابه أو يمنع العقاب عنك.

٣٨- ولقد أرسلنا رسلاً بشراً من قبلك مثلك أيها النبي، وجعلنا لهم أزواجاً من النساء، وذرية توالدوا (أولاداً) كما هي لك، وما صح لرسول أن يأتي بمعجزة حسية من نفسه إلا بأمر الله وإرادته ومشيبته، لكل حادث كتاب معين، ولكل أمر مقضي أجل محدد. والمراد بالكتاب هنا: الشيء المكتوب، أي معجزة تناسب زمن الرسول المرسل.

٣٩- ينسخ الله أحياناً ما يشاء من الأحكام، ويبقي ما يشاء من الأحكام بمقتضى الحكمة والمصلحة وملائمات الزمان، وعنده تعالى أصل الكتب، وهو اللوح المحفوظ الذي لا تبدل فيه ولا تغيير.

٤٠- وإن أريناك بعض ما نعدهم به من العذاب في حياتك، أو تنوفيك قبل تعذيبهم، فما عليك إلا تبليغ الأحكام، وعلينا محاسبتهم على أعمالهم ومجازاتهم إذا صاروا إلينا.

٤١- أولم ير أو يعلم أهل مكة وغيرهم أننا نتقص من جوانب الأرض التي يعيشون فيها بتخريبها وإهلاك أصحابها، أو بفتح بعضها على المسلمين، والله يحكم بما يشاء، لا متابع ولا ناقض مبطل لحكمه، والله يحاسب الناس عما قريب في الآخرة، على وجه السرعة.

٤٢- وقد مكر الكفار الذين من قبلهم من الأمم بأنبيائهم، والمكر: التدبير الخفي، فله التدبير المطلق، لا يؤبه بتدبير دون تدبيره، ولا يخيب تدبيره أبداً، وأما مكر غير الله فلا يضر إلا صاحبه، يعلم الله جميع ما تكسب كل نفس، فيعد جزاءها، وسيعلم كل كافر لمن العاقبة المحمودة في الدار الآخرة، لهم أم للمؤمنين!!

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ
شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿١٧﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكِبِ ﴿١﴾ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَرِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٢﴾ اللَّهُ
الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَيُرْسِلُ الْكَافِرِينَ
مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى
الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ
فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُلٍ إِلَّا لِيُنذِرَ
قَوْمِهِ لَيْسَ لَهُمْ فِضْلٌ مِنْ نِسَاءٍ مَنْ يَسَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَسَاءُ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا
أَنْ أُنذِرَ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِنَا
أَلَمْ يَأْنِ فِي ذَٰلِكَ لَأَيِّتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٦﴾

٤٣- ويقول الكفار: لست يا محمد رسولا
مرسلا من الله إلى الناس، قل لهم: كفى بالله
شاهداً على صدقي بيني وبينكم، فهو يعلم صحة
رسالتي، وكذلك المطلع على علم أهل الكتاب من
مؤمني اليهود والنصارى يشهد أيضاً بصدق دعوتي
ورسالتي، لما علموا صدقه من كتبهم.

سورة إبراهيم

١- ﴿الر﴾: ألف، لام، را، للتنبيه والتعدي
وإثبات إعجاز القرآن، كما تقدم في أمثاله، هذا
كتاب وهو القرآن أنزلناه إليك أيها النبي، لتخرج
الناس به من ظلمات الكفر والجهل والضلالة إلى
نور الإيمان والعلم والهداية، بأمر ربهم وتوفيقه
وتيسيره، إلى طريق القوي، الغالب في ملكه،
القاهر لعباده، المحمود على كل حال، المستحق
للحمد لكثرة نعمه، وقوله: ﴿إلى صراط﴾ بيان
للنور المتقدم ذكره.

٢- الإله الذي له جميع ما في السموات
والأرض ملكاً وخلقاً وتصرفاً وتديراً وتعبداً،
وهلاك وعذاب للمتكفين وجود الله أو الذين عبدوا غيره، من عذاب شديد صاروا إليه يوم القيامة، أي
يولولون من شدة العذاب.

٣- العذاب للكفار الذين يختارون أو يؤثرون الحياة الدنيا على حياة الآخرة الدائمة، ويمنعون الناس عن
الإيمان والدخول في الإسلام، ويطلبون ملّة الإسلام اعوجاجاً وزيفاً وانحرافاً عن الحق، لموافقة أهوائهم،
أولئك الكفار المذكورون في خطأ بعيد عن الحق والصواب.

٤- ما أرسلنا رسولاً من الأمم السابقة إلا متكلماً بلغة قومه الذين بعث فيهم، ليفهموا عنه شرع الله تعالى،
وليبين لهم ما أتى به من الشريعة، ويكون المضل والهادي بعد هذا البيان هو الله عز وجل، وهو سبحانه القوي
في ملكه، الحكيم في صنعه، فلا يهدي ولا يضل إلا للحكمة. وليس الإضلال والهداية أمراً جبرياً، وإنما
الإضلال يكون بسبب التمادي في الكفر والعناد، والهداية بالتوفيق والرعاية.

٥- ولقد أرسلنا موسى مصحوباً بالمعجزات والآيات التسع إلى فرعون وملئه، وقلنا له في مضمون
الرسالة: أخرج بني إسرائيل في ملك فرعون من ظلمات الكفر والجهل، إلى نور الإيمان والعلم، وذكّرهم
بالوقائع الجسام التي مرت على أم الأنبياء السابقين، وكيف نجح المؤمنون وهلك الكافرون؟ إن في ذلك التذكير
بأيام الله لدلالات واضحات على التوحيد وكمال القدرة، وعبرة وعظة، لكل كثير الصبر على المحن والبلاء
والطاعة، كثير الشكر للنعم.

٦- واذكر أيها الرسول حين قال موسى لقومه: تذكروا نعمة الله عليكم حين أنجاهم من آل فرعون بإغراق فرعون وجنوده، يذيقونكم العذاب السيء الشديد، وهو استعبادكم واشتغالكم بالأعمال الشاقة، ويذبّحون أبناءكم المولودين، ويتركون البنات أحياء للخدمة والإذلال مع أمن شرهن وسرعة فناء نسلكم، وفي ذلكم المذكور من أفعالهم ابتلاء عظيم وامتحان وفتنة من ربكم.

٧- واذكروا يا بني إسرائيل حين أعلن ربكم إعلاناً عاماً مؤكداً وأخبركم فقال: لئن شكرتم نعمتي بالتوحيد والطاعة لأزيدنكم نعمة أخرى تفضلاً مني، ولئن جحدتم ذلك وعصيتم أمري لأعذبنكم، إن عذابي شديد لمن كفر وعصى.

٨- وقال موسى: إن تمجدوا نعمة الله تعالى أنتم وجميع البشرية، فإن الله لغني عن خلقه وعن شكركم لا يحتاج إليه، مستحق للحمد في ذاته لكثرة إنعامه على الناس، محمود على كل حال في صنعه بهم.

وَإِذ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدْبِحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَذْبَحُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَى إِنَّ نَسَفْتُمْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْنَا بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا نَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ قَالَ رَبُّنَا رَسُولُهُمْ أَوَى اللَّهُ لِي شَيْكًا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُونَا رَبَّهُمْ لِيُغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّا أَنشَأْنَا لَكُمْ مِثْلَنَا لَنُرِيدَنَّ أَنْ نَتَّصِدُنَا إِنَّمَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِإِسْلَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾

٩- وأضاف موسى قائلاً: ألم يصلحكم خبر الذين مضوا من الأمم المكذبة، من قوم نوح وعاد وثمود، والذين جاؤوا من بعدهم من الأقسام، لا يحصي عددهم إلا الله تعالى، فعصوا أيديهم غيظاً مما جاءت به الرسل من العقائد والشرائع، أي سمعوا الحديث عنها ولم يقبلوها، وقالوا: لقد كفرنا بما أرسلتم به في زعمكم، ونحن في شك في الربوبية والخلق والحيرة، مما تدعوننا إليه من الإيمان بالله وحده وترك ما سواه، فهو أمر غير متيقن.

١٠- قالت لهم رسالهم: أفي وحدانية الله تعالى شك؟ أي لا شك في توحيدهم لظهور ذلك ووضوحه، وهو سبحانه خالق السموات والأرض ومبدعهما على أكمل نظام، ولا على مثال سابق، يدعوكم إلى عبادته وطاعته والإيمان به وتوحيدهم ليغفر لكم بعض ذنوبكم وهي حقوق الله لا حقوق العباد، فلا تغفروا إلا بمسامحة أصحابها، ويؤخركم بلا عذاب كلي إلى انتهاء أجالكم العادية، قالوا لهم: ما أنتم إلا بشر مثلنا، ولستم ملائكة، فلا فضل لكم علينا، تريدون أن تصرفونا عما كان يعبد آباؤنا من الأصنام، فإن كنتم صادقين، فأتونا بحجة واضحة قوية على صدقكم وصحة ادعائكم النبوة. وهذا تعنت فإنهم جاؤوهم بمعجزات واضحة كثيرة.



قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ
 يَنْزِلُ عَلَيْنَا مِنْ سَمَاءٍ مِنْ عِبَادِهِ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ
 بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾
 وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدانا سُبُلًا وَلَنْصُرَنَّهُ
 عَلَى مَا آذَىنَا وَمَا عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾
 وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا
 أَوْ لَنَعُودَنَّ فِيهَا فَمَلِكًا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهَلِكَنَّ
 الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ
 لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَأَسْتَفْتُوا وَخَافَ
 كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمَ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ
 صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ بَجْرَعِهِمْ وَلَا يَكَادُ لِيُسْفَعَهُ وَيَأْتِيَهُ الْمَوْتُ
 مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ
 غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مِثْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ
 اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا
 كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

١١- قالت لهم رسلهم: ما نحن إلا بشر مثلكم في الخلقة والطبع كما قلتم، ولكن الله يفضل على من يشاء منهم بالنبوة، وما ينبغي لنا وليس في استطاعتنا أن نأتيكم بحجة أو معجزة إلا بمشيئة الله وقدرته وأمره، وعلى الله وحده فليعتمد المؤمنون، وليثقوا به في جميع أمورهم.

١٢- ولا عذر لنا في ألا نتوكل على الله، ولا مانع لنا من ذلك، والحال أنه قد أرشدنا إلى طريق رحمته والنجاة من عذابه، ولسوف نصبر على أذاكم وتكذيبكم، وسينصرنا الله عليكم، وعلى الله وحده فليثبت المتوكلون ثباتاً ناشئاً من إيمانهم، ويفوضوا أمورهم إليه.

١٣- وقال بعض الكفار المتمردين العتاة لرسولهم: لنخرجنكم من ديارنا، أولتصيرن وتعودن في ملتنا الموروثه، والملة: الدين والشريعة، فاختاروا أحد الأمرين، فأوحى الله إلى الرسل في تلك الحال: لنهلكن الكافرين الطغاة.

١٤- ولنسكننكم ديار هؤلاء الكفار الذين توعدوكم، من بعد إهلاكهم، ذلك الموحى به،

وهو إهلاك الظالمين وإسكان المؤمنين لمن خاف موقفه يوم الحساب، وخاف وعيدي بالعذاب لمن يخالف أمري. والمقام هنا كناية عن الذات الأقدس على سبيل التعظيم، كما في قوله تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ [الرحمن ٤٦/٥٥].

١٥- واستنصر الرسل بالله على أعدائهم، وخسر وهلك كل متعظم متكبر عن طاعة الله، معاند للحق مخالف له.

١٦- وجهنم أمامه وفي انتظاره ليصلاها ويدخلها يوم القيامة، بعد إهلاكه في الدنيا، ويسقى فيها من الصديد الذي يسيل من أجساد أهل النار، مختلطاً بالقيح والدم.

١٧- يتكلف شربه مرة بعد مرة بالشدة والقهر، لإطفاء عطشه، ولا يكاد يتلعه، بل يغص به، وتأتيه أسباب الموت من كل جهة، ولكنه لا يموت، فيستريح من الشدائد والآلام، وبعد ذلك العذاب عذاب قوي متصل وشديد غير منقطع.

١٨- الصفة العجيبة لأعمال الكفار الصالحة كصلة الرحم والصدقة وفعل الخير في عدم الانتفاع بها في الآخرة كرماد (أثر نار) عصفت به الريح ونسفته، في يوم شديد العواصف، لا يقدر الكفار على شيء مما كسبوا (عملوا في الدنيا) من تلك الأعمال في الدنيا، ولا يرون لها أثراً في الآخرة، ذلك الضلال مع توهمهم أنهم محسنون: هو الضلال البعيد عن النفع، والحق، والخسران والهلاك الذي لا يعوض.

١٩- ألم تعلم أيها المخاطب أن الله خلق السموات والأرض للاستدلال بهما على كمال قدرته، بالحكمة والوجه الصحيح الذي يحق أن يخلقهما عليه، إن يشأ يعدمكم، ويأتي بمخلوقات جديدة مكانكم أطوع وخيراً منكم.

٢٠- وليس ذلك بممتنع أو متعسر على الله، فإنه تعالى قادر لذاته على كل شيء، بكلمة ﴿كن فيكون﴾ [البقرة ٢/١١٧ ومواضع أخرى من السور].

٢١- وظهرت الخلائق جميعاً من قبورهم يوم القيامة في أرض متسعة، وهي المحشر، فقال الأتباع ضعفاء الرأي والفكر للقادة المستكبرين الأقوياء: إنا كنا أتباعاً لكم في الدنيا في شأن الكفر والتكذيب للرسل، فهل أنتم دافعون عنا بعض الشيء أو كله من عذاب الله؟ قال المستكبرون: لو هدانا الله للإيمان، لهديتناكم إليه، يستوي علينا الجزع أو التبرم والصبر، ليس لنا من منجى ومهرب من العذاب.

أَوَلَمْ نَرَأَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۗ
إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَاكَ
عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ
الصُّعْفُفُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمُ نِعْمًا
فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْعُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ
قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءَ عَلَيْنَا
أَنزَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنَ مَحْضٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ
الشَّيْطَانُ إِنِّي أُفْضِي الْأَمْرَ إِلَى اللَّهِ وَعَدَّكُمْ وَعَدَّ الْحَقَّ
وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ
مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا
تُؤْمِنُونَ وَلَوْ مَوَّأْتُمْ أَنفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنَا
بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُمْ بِمَا أَشْرَكْتُمْ مِنْ قَبْلِ إِيَّايَ
الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأَدْخِلْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ يُحْبَبُونَ ﴿٢٣﴾

٢٢- وقال الشيطان (إبليس) لأتباعه في الآخرة، لما أحكم الأمر وتُفد وفرغ منه، ودخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار: إن الله وعدكم وعداً حقاً أنجزه بالبعث والحساب ومجازاة المحسن والمسيء، ووعدتكم وعداً باطلاً: وهو ألا بعث ولا حساب، فأخلفتكم وعدي، ولم يكن لي تسلط وقدرة عليكم، لكن دعوتكم إلى الكفر والعصيان، فأسرعتم إجابتي وطاعتي، فلا تلومونني على إغرائي وتوريطي، وخلف وعدي، ولوموا أنفسكم على إجابتي وإطاعتي، ولم تطيعوا ريبكم لما دعاكم إليه من الحق، ما أنا اليوم بمغيثكم مما وقعتم فيه من العذاب، وما أنتم تتمكنون من إغائتي وإنقاذي، إني كفرت اليوم بإشراككم إياي مع الله، من قبل في الدنيا، إن الكافرين المشركين لهم عذاب مؤلم.

٢٣- وأدخل الله المؤمنين بالله، الذين عملوا الأعمال الصالحة التي أمر الله بها، جنات تجري من تحت بساطينها الأنهار، خالدين فيها خلوداً دائماً، بأمر ربهم ومشيتته، تحييتهم فيها على الدوام من الله وملائكته: سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار.

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ صَرَّبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَلِمَةً طَيِّبَةً
 أَصْلَهَا ثَابِتٌ وَوَعْدُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿١٦﴾ تَوَفَّى أَكْلَهَا كُلَّ حَبِيبٍ
 بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَصْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ
 ﴿١٧﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ
 مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿١٨﴾ تَبَيَّنَ اللَّهُ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ
 اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿١٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
 بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ ﴿٢٠﴾ جَهَنَّمَ
 يَصْلَوْنَهَا وَيَنْسَوْنَ الْفَرَاقَ ﴿٢١﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا
 عَنْ سَبِيلِهِ فَمَلَّغُوا فَيُنْصَرَفُونَ إِلَى النَّارِ ﴿٢٢﴾ فَلَمْ
 يُعَادِى الَّذِينَ ءَامَنُوا بِعِمْوِا الصَّلَاةِ وَيَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَهُمْ
 سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٢٣﴾
 اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ
 مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ
 الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْآنَهْرَ ﴿٢٤﴾

٢٤- ألم تعلم أيها المخاطب كيف ضرب الله مثلاً أي وضعه الموضوع اللائق به، شبه فيه الكلمة الطيبة وهي كلمة الإسلام: لا إله إلا الله، وكل ما يدل على الحق والخير والفضيلة، بالشجرة الطيبة، أصلها راسخ في الأرض، وأعلها مرتفع في السماء، وهكذا كلمة التوحيد والدعوة إلى القرآن راسخة في قلب المؤمن.

٢٥- تعطي ثمرها كل وقت بإرادة خالقها ومشيته، وبين الله الأمثال للناس ليتعظوا ويفهموا، فيؤمنوا ويعملوا. وهذا مظهر من مظاهر تصوير المعاني في القرآن الكريم بصور المحسوسات.

٢٦- والكلمة الخبيثة وهي كلمة الكفر وكل ما يدعو إلى الشر والضر، كالشجرة الخبيثة وهي شجرة الخنظل التي استؤصلت واقتلعت من أصلها فوق الأرض بسبب قرب جذورها من سطح الأرض، ليس لها استقرار، ولم يبق منها شيء. وكذلك كلمة الكفر والشر نهايتها إلى الفناء.

٢٧- ثبت الله المؤمنين بالقول الثابت الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم، وهو الكلمة الطيبة المتقدمة: كلمة الشهادة وكل كلمة حق، يشبههم في الدنيا وقت سؤال القبر، وفي يوم القيامة، فلا يتلثمون إذا سئلوا عن معتقدهم في موقف الحساب وعند رؤيتهم أهوال الحشر، ويضل الله الكفار عن حجتهم، فلا يهتدون إلى الحق والجواب الصحيح، بل يقولون: لا ندرى، ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض الناس، وإضلال آخرين، من غير اعتراض عليه.

٢٨- ألم تنظروا إلى من بدلوا شكر نعمته كفرًا، وهم قادة الكفار والمشركين، بتكذيبهم برسالة محمد ﷺ وشريعته، وأنزلوا قومهم الذين شايعواهم في الكفر دار الهلاك، وهي جهنم، بأن أعدوا لهم أسباب دخول النار، فدخلوها جميعاً. وهذا تعجب من حالهم.

٢٩- يدخلون جهنم ويقاسون حرها، وبئس المقر جهنم.

٣٠- وجعلوا لله شركاء ونظراء في الربوبية واستحقاق العبادات، ليقوموا قومهم في الضلال عن التوحيد ودين الإسلام، قل لهم أيها المشركون: تمتعوا بشهواتكم وإضلال غيركم، فمردكم ومرجعكم إلى النار ليس لكم سواها.

٣١- قل أيها النبي لعبادي الذين آمنوا بالله واليوم الآخر: أقيموا الصلاة المفروضة، على وجهها الأكمل، وأنفقوا وقت السر ووقت العلانية بالصدقات والزكوات، من قبل مجيء يوم القيامة الذي لا فداء فيه، ولا مصادقة خليل تنفع.

٣٢- وأدلة قدرة الله ووجوده ووحدانيته كثيرة، منها: أن الله أوجد السموات والأرض، وأنزل من السحاب مطراً، فأخرج بذلك الماء من الثمرات والغلال رزقاً تعيشون به أيها الناس، وذلك وأعد لكم السفن لتجري في البحر بكم للانتفاع والركوب والتصرف، بإذن الله ومشيته، وذلك لكم الأنهار للمتعة والزراعة والركوب وتوليد الكهرباء وغير ذلك من المنافع.



٣٣- وأوجد لكم الشمس والقمر دائمين
للاتفاح والاستضاء بضوءهما، متعاقبين عليكم
ليلاً نهاراً، لما يحقق مصالحكم، لمعرفة السنين
والحساب، وأوجد لكم أيضاً الليل للراحة،
والنهار للعمل وابتغاء فضل الله بالتجارة والزراعة
والصناعة وغير ذلك.

٣٤- وأعطاكم الله من كل ما طلبتموه بلسان
الحال أو المقال، ومالم تطلبوه، وإن تعدوا نعم
الله التي أنعم بها عليكم، لا تستطيعوا إحصاء
عددتها، ولا شكرها على النحو المطلوب، إن
الإنسان ظالم لنفسه بترك شكر النعمة، شديد
الكفران والجحود لنعم الله، لا يؤدي واجب
الشكر عليها.

٣٥- واذكر أيها النبي حين قول إبراهيم ودعائه:
رب اجعل بلد مكة آمناً دائماً لمن فيها من البشر
والشجر والصيد، وأبعدني وأبنائي عن عبادة
الأصنام التي لا تقصر ولا تنفع.

٣٦- يارب، إن الأصنام تسببت، مع كونها
جمادات، لضلال كثير من الناس، فمن تبعني في

الإسلام والتوحيد وترك عبادة الأوثان، فإنه من أهل ديني، ومن خالفني ولم يدخل في ديني، فإنك كثير
المغفرة لمن تاب، رحيم بمن أناب وأصلح. وهذا الدعاء شفاعة في العصاة غير المشركين والكفار، وفتح باب
الأمل والتوبة لمن يريد تدارك تقصيره.

٣٧- ربنا إني أسكنت إسماعيل وأمه هاجر بواد لا زرع فيه، هو وادي مكة، عند بيتك وهو الكعبة الذي
حرمت التهاون به وانتهاك حرمة ومقامه، أسكتهم به ودعوتك ليقموا الصلاة فيه، فاجعل قلوب بعض
الناس قميل إليهم، وتسرع إليهم شوقاً وحباً، وارزقهم من مختلف الثمرات بالإنبات أو الجلب، ليشكروا
نعمتك التي أنعمت بها عليهم.

٣٨- ربنا إنك تعلم ما نسر وما نعلن أو ما نكتم ونظهر، ولا يخفى على الله شيء في الأرض والسماء،
فكل شيء تطلع عليه.

٣٩- الشكر والحمد لله الذي رزقني حال الكبر ولدين هما إسماعيل وإسحاق، إن ربي كثير السماع للدعاء
الصادر عن صدق وإخلاص وإيمان.

٤٠- رب اجعلني مواظباً على الصلاة، واجعل من ذريتي من يؤدي الصلاة على الوجه الأكمل، ربنا
واقبل دعائي وتضرعي.

٤١- ربنا اغفر لي كل ما قصرت فيه نحوك، واغفر لوالدي. وهذا قبل أن يعلم بعداوتهما لله تعالى- يوم
يوجد الحساب ويتحقق.

وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ
وَالنَّهَارَ ۗ وَءَاتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ
اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ۝ وَإِذْ قَالَ
إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ
الْأَصْنَامَ ۝ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّونَ كَثِيرًا مِمَّنْ النَّاسِ فَمَنْ
يَتَّبِعْنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَمُودٌ رَحِيمٌ ۝
رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ
عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً
مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ
يَشْكُرُونَ ۝ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْتَلِ ۚ وَمَا يَخْفَى
عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۝
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ۝ رَبِّ اجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَ الصَّلَاةِ
وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ۝ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي
وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ۝

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ
لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٣﴾ مُطْعِمِينَ مُقْنِعِينَ رُءُوسِهِمْ
لَا يَرُدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفَهُمْ وَأَقْدُمُهُمْ هَوَاءً ﴿٤٤﴾ وَأَنْذِرْنَا لِنَاسٍ يَوْمَ
يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ
يُحْتَجُّ دَعْوَتُكَ وَتَتَّبِعُ الرُّسُلَ أَوْ لَوْ كُنُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ
مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ ﴿٤٥﴾ وَسَكَتُمْ فِي مَسْجِدِ الَّذِينَ ظَلَمُوا
أَنْفُسَهُمْ وَنَبِينَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ
﴿٤٦﴾ وَقَدْ مَكَرُوا وَمَكَرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ
لِيُزِيلَ بِهِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْجِبَالَ ﴿٤٧﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفًا وَعْدَ رَسُولِهِ
إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤٨﴾ يَوْمَ يُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ
وَالسَّمَوَاتُ وَبُرُوزًا لِلَّهِ الْوَجْدُ الْقَهَّارِ ﴿٤٩﴾ وَرَى الْجَحِيمِ
يَوْمَ يُذَمَّقَرَبِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٥٠﴾ سَرَّابُهُمْ مِنْ فِطْرَانِ وَتَعَسَّى
وَجُوهُهُمُ النَّارُ ﴿٥١﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنْ
أَلَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥٢﴾ هَذَا بَالِغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ
وَلِيَعْلَمُوا أَنَّهَا هَوَاءٌ وَحِدٌ وَلِيُنذِرُوا أُولَ الْأَلْبَابِ ﴿٥٣﴾

٤٣- ولا تظنن أيها الرسول أن الله غافل عن استحقاق الظالمين الكافرين من أهل مكة وغيرهم للعذاب، بسبب مقاومة دعوتك وإيذائك والصد عن دينك، إنما يؤخر جزاءهم وعذابهم ليوم ترتفع فيه أبصارهم، فلا تقر في أماكنها، لهول ما ترى في ذلك اليوم.

٤٤- وتراهم مسرعين إلى الداعي في ذل وانكسار، رافعي رؤوسهم إلى السماء، ناظرين نظرة فزع وذل، غير ملتفتين إلى شيء، لا ترجع إليهم أبصارهم، بل تبقى عيونهم شاخصة دائما في هذا الوقت، وتتوقف أجفانهم عن الحركة، بسبب الأحوال، وقلوبهم خالية من العقل والفهم، لشدة فزعهم ودهشتهم، كالهواء، أي الخلاء الذي لا شيء فيه.

٤٤- وخوف أيها النبي الكفار وحذرهم يوم يأتيهم العذاب يوم القيامة، فيقول الذين ظلموا أنفسهم بالكفر: ربنا أهملنا وأخر العذاب عنا إلى وقت معلوم غير بعيد، وردنا إلى الدنيا نتدارك تقصيرنا، ونجب دعوتك بالتوحيد، وتتبع الرسل الذين أرسلتهم فيما بلغوا من الشرائع، فيقال لهم توبخا: أو لم تكونوا حلفتكم من قبل في الدنيا أنكم مخلدون فيها، غير مفارقين لها، وأنه لا بعث ولا حساب.

٤٥- وسكتتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي كعاد وثمود، وعلمتم كيف عذبناهم وأهلكناهم بذنوبهم، فلم تنزجروا، وبيئنا لكم الأمثال والعبر في القرآن، فلم تعتبروا ولم تنتظروا بذلك كله، ولم تدركوا أنكم مثلهم في الكفر والعذاب.

٤٦- وقد دبر كفار مكة تديبرهم الخفي، وبدلوا غاية جهدهم لإبطال الحق، وإثبات الباطل، وعند الله العلم بمكرهم وجزاؤه، فهو قادر على إبطاله، وإن كان مكرهم من العظم والشدة والحيث يكاد يزيل الجبال عن أماكنها.

٤٧- فلا تظنن أيها الرسول أن الله مخلف وعده الذي وعد به الرسل بالنصر والتأييد، إن الله غالب قاهر لا يعجزه شيء، قادر على الانتقام لأوليائه من أعدائه.

٤٨- ويكون الانتقام يوم تتبدل الأرض غير هذه الأرض، وتتبدل السموات غير السموات، وخرجوا وظهروا من القبور، خاشعين لله الواحد الذي قهر كل شيء بقدرته.

٤٩- وتبصر الكافرين حينئذ يوم القيامة مشدودين مع بعض أو مقيدين بالقيود والأغلال، ومربوطاً كل واحد مع شيطانه الذي أغواه، والأصفاذ: قيود الحديد التي توضع في الأيدي والأرجل.

٥٠- قمصانهم من قطران (أسود متنن) تطلى به جلودهم، وتعلو النار وجوههم وتحرق أجسادهم.

٥١- برزوا من قبورهم ليجزي الله كل نفس ما كسبت في الدنيا من خير أو شر، إن الله سريع الحساب، يحاسب جميع الخلق، في قدر نصف يوم.

٥٢- هذا القرآن أنزله الله لتبليغ جميع الناس أحكام الشريعة والعقيدة، ولتخويفهم وعظمتهم، ولإعلامهم أن الله إله واحد لا شريك له، ولا معبود سواه، وليتعض أصحاب العقول السليمة التي تعقل وتدرك.

سورة الحجر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّسُلَ عَائِلَاتُ الْكُفْلِ وَرُوَّةُ إِنْ مُبِينٌ ﴿١﴾ ذُبَابُ يَوْمِ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرَّهُمْ أَكَلُوا وَتَمَتَّعُوا وَيُؤَلِّمُهُمُ
الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَا أَهْلَكَ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَفَا
كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَعْرُونَ ﴿٥﴾
وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾
لَوْ مَا نَأْتِينَا بِالْمَلَكِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نَزَّلَ الْمَلَكُ
إِلَّا الْحَقَّ وَمَا كَانُوا إِذْ أَنْظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ
لَحَفِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾
وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١١﴾ كَذَلِكَ نَسْلُكُ
فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ
﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَمْرُجُونَ ﴿١٤﴾
لَقَالُوا إِنَّمَا سَكْرَاتُ أَبْصَارِنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

- ١- ﴿الر﴾: ألف، لام، واو، تقدم بيان المراد منها، تلك آيات هذه السورة آيات الكتاب الكامل في كل شيء، والقرآن الواضح التام البيان. جمع بين الاسمين، وعطف كلمة ﴿قرآن﴾ على ﴿الكتاب﴾ من قبيل عطف الصفة على الموصوف. وتكثير كلمة ﴿قرآن﴾ للتفخيم.
- ٢- وكثيراً ما يتمنى الكفار في الآخرة حينما ينكشف لهم الأمر أن لو كانوا في الدنيا مسلمين خاضعين متقادين لله، مؤمنين بالقرآن. وربما: استعملت هنا في الكثير، والغالب استعمالها في القليل.
- ٣- اتركهم أيها النبي على ما هم عليه من الاشتغال بالأكل والتمتع بدنياهم، وإلهاء الأمل بطول العمر وغيره عن الإيمان واتباعك، فسوف يعلمون عاقبة أمرهم، وسوء صنيعهم إذا عاينوا الجزاء الأخروي. وهذا تهديد لهم.
- ٤- وما أهلكنا أهل قرية (بلد) من القرى، إلا ولها أجل محدود لإهلاكها، أجل مقدر، وأمر مكتوب في اللوح المحفوظ لا بد من حصوله.
- ٥- لا يتقدم هلاك أمة قبل مجيء أجلها ولا يتأخر عنه، فلا يغتروا بالإمهال. وتذكير فعل ﴿يستأخرون﴾ العائد على ﴿أمة﴾ للحمل على المعنى.
- ٦- وقال المشركون استهزاء وسخرية وتهكماً: يا أيها الذي نزل عليه القرآن، إنك لمجنون في ادعائك.
- ٧- هلا تأتينا بالملائكة ليشهدوا على صدقك وأنك رسول الله حقاً، إن كنت صادقاً في دعواك أو قولك: إنك نبي، وإن هذا القرآن من عند الله تعالى.
- ٨- رد الله عليهم بقوله: ما ننزل الملائكة للعذاب والإهلاك وغير ذلك إلا بمقتضى الحكمة الإلهية، فهو تنزيل مقترن بالحق، وما كانوا حين نزول الملائكة بالعذاب مؤخرين لحظة واحدة، أي لو نزلنا الملائكة لوجدوا بالعقاب.
- ٩- إنني أنا الله الذي نزلت القرآن، وإنني له لحافظ من التحريف والتبديل، والزيادة والنقص. وهذا رد لإنكارهم واستهزائهم.
- ١٠- ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك في الأمم الماضية والجماعات السالفة وسائر الفرق.
- ١١- وما يأتي رسول شيعته للدعوة إلى توحيد الله وطاعته إلا كانوا به يستهزئون. وهذا للتسرية عن ههيم وأحزان النبي.
- ١٢- مثل إدخالنا التكذيب والكفر والاستهزاء في قلوب أولئك الأولين، ندخله في قلوب المشركين من قومك، لقساوتهم.
- ١٣- لا يؤمنون أو لا يصدقون بالقرآن ولا بالنبي، وقد مضت سنة الله فيهم من الإذلال والإهلاك بتكذيب أنبيائهم. وهؤلاء مثلهم، والكلام تحذير لكفار مكة.
- ١٤- ولو فتحننا على هؤلاء المشركين باباً من السماء، ومكناهم من الصعود إليه، فصاروا يصعدون إلى السماء.
- ١٥- لقال هؤلاء الكفار لفرط عنادهم: إنما منعت أبصارنا عن الإبصار، بل نحن قوم مسحنا محمد بذلك. والمراد التأكيد منهم على أن ما يرونه لا حقيقة له، بل هو باطل خيل إليهم بنوع من السحر.

١٦- ولقد جعلنا في السماء منازل للنجوم والكواكب، ومنازل الكواكب السيارة اثنا عشر المشهورة، وزينا السماء بالكواكب للناظرين.

١٧- وحفظنا السماء من كل شيطان مرجوم بالحجارة، مطرود مبعد، من أن تسمع شيئاً من الوحي وغيره.

١٨- حفظناها بالشهب، لكن من استمع مستخفياً، فإن الشهب النارية الظاهرة لكل مبصر تتبعه وتحرقه. والشهاب: شعلة من نار.

١٩- والأرض بسطناها لتمكين الحياة المستقرة فيها، وجعلنا فيها جبالاً ثابتة لثلا تتحرك بأهلها، وأنبتنا في الأرض من كل شيء من النباتات، مقدر معلوم.

٢٠- وجعلنا لكم في الأرض كل ما يعاش به من غذاء وشراب ولباس ومسكن، وجعلنا معاش أيضاً لمن لا ترزقونهم من العيال والخدم والدواب، وإنما الله هو الرازق للجميع.

٢١- وما من شيء من الأرزاق والمنافع إلا عندنا خزائن رزقه، ونحن قادرون على إيجاده من العدم، وما نسمح بإنزاله إلا بمقدار معلوم، بحسب حاجة العباد إليه، ويمقتضى الحكمة.

٢٢- وأرسلنا الرياح لواقع للسحاب فتملؤه ببخار الماء فيصير ماء، ولواقع للأشجار والأزهار، فجعلنا المطر سقياً لكم ولزراعكم ومواشيكم وغسل الأرض وتنظيف الجو والبيئة، ولستم خازنين لخزائنه في الآبار والعيون والغدران.

٢٣- وبيدنا الإحياء والإماتة، ونحن نرث الأرض ومن عليها، فالبقاء لنا بعد فناء الخلق، نرث جميع الخلق والكون.

٢٤- ونحن نعلم بكل من تقدم ولادة وموتاً، ومن تأخر فيهما، نعلم من مات من ولادة آدم ومن سيوجد من الأجيال.

٢٥- وإن ربك أيها النبي هو وحده المتولي لحشرهم وجمعهم يوم القيامة، ثم لحسابهم جزائهم، إنه حكيم في صنعه، عليم بخلقهم.

٢٦- ولقد خلقنا آدم الإنسان الأول من طين يابس يصلصل، أي يظهر صوتاً إذا نُقِر عليه أو حرك، ومن طين أسود.

٢٧- وخلق أبا الجن إبليس من قبل خلق آدم من لهب النار الشديدة الحرا، التي تنفذ في المسام، الخالية من الدخان.

٢٨- واذكر أيها النبي حين قال ربك للملائكة: إني سأخلق بشراً من طين يابس أسود متغير.

٢٩- فإذا أتممت خلقته وكملت أجزاءه، ونفخت فيه من روحي، فصار حياً، فاسجدوا له. والروح: شيء نوراني عجيب من خلق الله تعالى. أضاف تعالى الروح إلى نفسه إضافة خلق إلى خالق، وهو تشریف لآدم.

٣٠- فسجد لآدم كل الملائكة مجتمعين.

٣١- لكن إبليس امتنع من السجود، تعالياً بأنه خير من آدم، وتكبراً بسبب خلقه من نار، وادم من طين.

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَرَازِبَاتٍ لِلظَّالِمِينَ ﴿١٦﴾ وَحِفْظًا
مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّرْجُومٍ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا أَسْرَفُ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ
مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِوَاسٍ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا
مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشًا وَمَنْ
لَسَدَلُهُ يُرَاقِبُ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا
نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاحٍ قَانِزِينَ
مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾
وَأَنَّا لَخُنُّنُ نَجِيءٍ وَنُحْيِي وَيُحْيِي وَيُخْنِ الْأُورُونَ ﴿٢٣﴾ وَوَلَقَدْ عَلِمْنَا
الْمُتَّقِدِينَ مِنْكُمْ وَوَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَسْخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِن رَّبَّكَ
هُوَ يُحْشِرُهُمُ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَوَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ
صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَأَنْجَاكَ خَلْقَهُ مِنْ قَبْلِ
تَارِ السُّمُورِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ
صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ
رُوحِي فَقَعُوا لَهُمُ السَّجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّجِدِينَ ﴿٣١﴾

٢٢- وأرسلنا الرياح لواقع للسحاب فتملؤه ببخار

الماء فيصير ماء، ولواقع للأشجار والأزهار، فجعلنا المطر سقياً لكم ولزراعكم ومواشيكم وغسل الأرض وتنظيف الجو والبيئة، ولستم خازنين لخزائنه في الآبار والعيون والغدران.

٢٣- وبيدنا الإحياء والإماتة، ونحن نرث الأرض ومن عليها، فالبقاء لنا بعد فناء الخلق، نرث جميع الخلق والكون.

٢٤- ونحن نعلم بكل من تقدم ولادة وموتاً، ومن تأخر فيهما، نعلم من مات من ولادة آدم ومن سيوجد من الأجيال.

٢٥- وإن ربك أيها النبي هو وحده المتولي لحشرهم وجمعهم يوم القيامة، ثم لحسابهم جزائهم، إنه حكيم في صنعه، عليم بخلقهم.

٢٦- ولقد خلقنا آدم الإنسان الأول من طين يابس يصلصل، أي يظهر صوتاً إذا نُقِر عليه أو حرك، ومن طين أسود.

٢٧- وخلق أبا الجن إبليس من قبل خلق آدم من لهب النار الشديدة الحرا، التي تنفذ في المسام، الخالية من الدخان.

٢٨- واذكر أيها النبي حين قال ربك للملائكة: إني سأخلق بشراً من طين يابس أسود متغير.

٢٩- فإذا أتممت خلقته وكملت أجزاءه، ونفخت فيه من روحي، فصار حياً، فاسجدوا له. والروح: شيء نوراني عجيب من خلق الله تعالى. أضاف تعالى الروح إلى نفسه إضافة خلق إلى خالق، وهو تشریف لآدم.

٣٠- فسجد لآدم كل الملائكة مجتمعين.

٣١- لكن إبليس امتنع من السجود، تعالياً بأنه خير من آدم، وتكبراً بسبب خلقه من نار، وادم من طين.

٣٢- قال الله تعالى: يا إبليس، ما منعك أن تكون من الساجدين لآدم؟

٣٣- قال إبليس: لا ينبغي لي أن أسجد لبشر خلقته من طين يابس، وأسود متغير الرائحة، مرئياً بذلك أن التراب أخس العناصر، وهو مخلوق من نار أشرف العناصر، والأرقى لا يسجد للأدنى.

٣٤- قال الله تعالى: فأخرج من الجنة، فإنك ملعون مطرود من رحمتي، لعصيانك أمري.

٣٥- وعليك الطرد والإبعاد من رحمة الله بنحو دائم مستمر إلى يوم القيامة والحساب.

٣٦- قال إبليس: رب، فأخزني ولا تمنني إلى اليوم الذي يبعث فيه الناس من القبور.

٣٧- قال الله تعالى: فإنك من المؤخرين هلاكهم. حدوته في علم الناس، وهو يوم القيامة.

٣٩- قال إبليس: بسبب إغوائك وإضلالك لي، أقسم بعزتك لأزين لبيني آدم المعاصي في الدنيا، ولا ضللتهم أجمعين.

٤٠- إلا عبادك المؤمنين المطهرين من النقائص، الذين استخلصتهم لطاعتك.

٤١- قال الله تعالى: إن حفظ العباد المخلصين من الإغواء حق علي أن أراعيه، ولا سلطان لك عليهم.

٤٢- إن عبادي المخلصين ليس لك تسلط عليهم بالوسوسة، أما القهر والإكراه على العصيان فليس في قدرتك، لكن من أتبعك من العصاة والكافرين الواقعيين في الضلال، فإنهم يتأثرون بإغوائك.

٤٣- وإن جهنم لموعده المتبعين لك، الفؤاء أجمعين.

٤٤- لجهنم سبعة أبواب، يدخل أهلها منها، وكانت سبعة لكثرة أهلها، لكل باب من أتباع إبليس الغواة قدر معلوم مخصص له.

٤٥- إن الذين اتقوا ربهم وتجنبوا الكفر والفواحش في بساتين خضراء، وأنهار جارية. نزلت في سلمان الفارسي الذي تقطع قلبه، وفر هارباً ثلاثة أيام من الخوف، لا يعقل، حينما سمع آية ﴿وإن جهنم لموعدهم أجمعين﴾ [٤٣].

٤٦- يقال للمتقين: ادخلوا الجنة سالمين من المخاوف والآفات، آمنين من كل فزع ومكروه.

٤٧- وأخرجنا ما في صدور أهل الجنة من حقد وعداوة وحسد، حال كونهم إخواناً متحابين، يتقابلون على أسرة: مجالس رفيعة. نزلت في أبي بكر وعمر، لنزع غل الجاهلية الذي كان بين بني هاشم وبني عدي وبني تميم.

٤٨- لا يصيب التعب أهل الجنة، ولا يخرجون منها أبداً، بل هم خالدون فيها.

٤٩- أخبر أيها النبي عبادي المخطئين أنني أنا الكثير المغفرة لذنوبهم، الكثير الرحمة بهم إذا تابوا.

٥٠- وأن عذابي لمن خالف أمري وتجراً على معصيتي هو العذاب المؤلم، فليخافوا عقابي.

٥١- وأخبر أيها النبي عبادي بقصة ضيوف إبراهيم الخليل، وهم الملائكة الاثنا عشر، منهم جبريل، حيث اجتمع له في أمرهم الرجاء والخوف، ليعتبروا بذلك.



إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَمًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا
لَا تَوْحَلْ إِنَّا نَبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشِّرْتُمُونِي عَلَى
أَنْ تَسَيِّرَ الْكِبْرِيَاءَ فِيهِ تَبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشِّرْكَ بِالْحَيِّ فَلَا
تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْطَعُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا
الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَاحْطَبْكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا
إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ آيَةُ آلِ لُوطٍ إِنَّا لَنَجُوزُهُ
أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا أَمْرًا لَكَ وَقَدَرْنَا أَن نَّهْلِكَ الْغَافِلِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَاءَهُ
آيَةُ آلِ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا
بَلْ جِئْنَاكَ بَيِّنَاتٍ مَّا كَانُوا فِيهِ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا
لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَاسْتَبْرَأْنَا لَكِ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَآتَيْنَاكَ آيَاتٍ مِّنْهُمُ
وَلَا يَلْتَفِتُ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَآمَضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَفَضِيلًا
إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرُ أَنْ دَبَّرَهُ لَوْلَا مَقْطُوعٌ مُّصِحِّينَ ﴿٦٦﴾ وَجَاءَهُ
أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ صُنْفُورٌ فَلَا
تَنْفَعُونَ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوْ لَوْ أَنَّكَ
عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ بِسَائِقٍ إِن كُنتُمْ قَلِيلِينَ ﴿٧١﴾

٥٢- حين دخلوا على إبراهيم، فسلموا عليه، فقال لهم بعد تقديم الضيافة: إننا فزعون خائفون منكم، بسبب الدخول علينا من غير استئذان.

٥٣- قالوا له: لا تخف، إننا نبشرك بولادة غلام كثير العلم، وهو إسحاق.

٥٤- قال إبراهيم: أتبشرونني بالولد حال الهرم والشيخوخة، فبأي شيء تبشرونني؟! وهو استفهام تعجب بمقتضى العادة المألوفة، لا بالنظر لقدرة الله تعالى.

٥٥- قالت الملائكة: بشرك بالأمر المحقق المتيقن الذي لا شك فيه، فلا تكن من اليائسين من رحمة الله بوجود الولد حال الكبر.

٥٦- قال إبراهيم: لا ييأس من رحمة الله إلا القوم الضالون عن طريق الحق والصواب، الكافرون الذين لا يعرفون كمال قدرة الله وسعة رحمته، فلم يكن تعجبي بسبب القنوط، وإنما بسبب الكبر عادة.

٥٧- قال إبراهيم: فما أمركم الخطير أو شأنكم وحالكم أيها المرسلون غير هذه البشارة؟

٥٨- قالوا له: إننا أرسلنا من الله إلى قوم كافرين، هم قوم لوط لإهلاكهم.

٥٩- إلا آل لوط الذين آمنوا برسالته، إننا لننجوهم ومنقذوهم أجمعين من الهلاك لإيمانهم.

٦٠- إلا امرأة لوط قضينا وحكمتنا بأنها من الباقيين في العذاب لكفرها.

٦١- فلما أتت الملائكة المرسلون قوم لوط.

٦٢- قال لوط: إنكم قوم لا أعرفكم، فلستم بمعرفين لنا.

٦٣- قالت الملائكة: لا تخف، بل جئناك بالعذاب الذي كانوا يشكون فيه.

٦٤- وأتيناك بالأمر والخبر المحقق الثابت، وإننا لصادقون في قولنا.

٦٥- فأخرج مع أهلك وأتباعك بجزء من الليل، وامش خلفهم لحثهم على الإسراع، ولئلا يتخلف منهم أحد، ولا يلتفت منكم أحد وراه، فيرى فداحة العذاب، وسيروا إلى المكان الذي أمركم الله بالاتجاه إليه، وهو الشام.

٦٦- وأوحينا إلى لوط ذلك الأمر المقضي فيه وهو إهلاك قومه، وآخر من يبقى منهم يهلك وقت الصبح، أي أنهم هالكون جميعاً.

٦٧- وجاء قوم لوط أهل مدينة سدوم، مستبشرين بأضياف لوط الحسان، بقصد ارتكاب الفاحشة بهم.

٦٨- فقال لهم لوط: إن هؤلاء أضيافي الذين يحتاجون إلى التكرم، فلا توقعوني في العار والخزي بالإساءة لهم.

٦٩- وخافوا الله وتجنبوا ارتكاب الفاحشة، ولا تلحقوا بي الذل والهوان بقصدكم إياهم.

٧٠- قال قومه: أو لم تنهك يا لوط عن التكلم في شأن أحد من الناس إذا قصدناه بشهوة؟ فإنهم يتعرضون لكل غريب، وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعته.

٧١- قال لهم لوط: هؤلاء بناتي تزوجهن حلالاً إن كنتم تريدون قضاء الشهوة، ولا تسيئوا لأضيافي.

٧٢- قسماً بحياتك، أي حياتك يا لوط أوي محمد، إنهم في غوايتهم يترددون .
 ٧٣- فأخذتهم صيحة الملك عند خسف ديارهم- والصيحة: الصوت الشديد المزعج- وقت الشروق .
 ٧٤- خسفنا بهم الأرض، بأن جعلنا عاليها سافلها، وقلبتا مدينتهم بمن فيها، وأنزلنا عليها حجارة من طين متحجر .
 ٧٥- إن في ذلك العذاب النازل بقوم لوط لدلالات على قدرة الله وتوحيده، وعبراً وعظات، للناظرين المتفكرين .
 ٧٦- وإن قرى قوم لوط على طريق قومك قريش إلى الشام، يراها المسافرون بنحو ثابت .
 ٧٧- إن في ذلك العذاب لعبرة للمؤمنين بالله .
 ٧٨- وقد كان أصحاب الأيكة (الغيضة: وهي مجتمع الشجر الكثير الملتف على بعضه، بين ساحل البحر الأحمر ومدين) وهم قوم شعيب قوماً ظالمين بتكذيبهم شعبياً وكفرهم بالله وحده .
 ٧٩- فأهلكناهم بعذاب يوم الظلة، وإن ديار قوم لوط، ومسكن قوم شعيب لبطريق واضح .
 ٨٠- ولقد كذب الرسل أصحاب الحجر وهم ثمود، والحجر: وادي بين المدينة والشام، والتكذيب

لَمَرُّكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُسْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَاتَّقِنَا مِنْهُمُ وَإِنَّهُمَا لِيَآمِرَ مُتَّبِعِينَ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَاهُمُ الْيَتِيمَ الْكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يُحِبُّونَ مِنَ الْجِبَالِ صِيوَاءً آمِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُصِيبِينَ ﴿٨٣﴾ فَأَعْرَضُوا عَنْهُمْ فَكَانُوا يُكْسَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآيَةٌ فَاصْبِرْ وَالصَّخْرَ الْجَبِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَلِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَدْعُنَّ عَيْنِيكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْنَا حَنَاحَ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِبِينَ ﴿٩٠﴾

لصالح عليه السلام، والتعبير بالرسول عن الرسول؛ لأن تكذيب رسول تكذيب لباقي الرسل .
 ٨١- وآتيناهم ثمود آياتنا الدالة على صدق رسولنا، المنزلة على صالح؛ ومنها الناقة، فكانوا معرضين عنها .
 ٨٢- أي وكانوا يقبون الجبال، وينون فيها منازل يحسبون أنها تحميهم من العذاب .
 ٨٣- فأخذتهم صيحة العذاب الشديد وقت الصباح .
 ٨٤- فما دفع عنهم العذاب ما كانوا يكسبون من الأموال وما ينحتون من بناء البيوت والحصون في الجبال .
 ٨٥- وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما من المخلوقات والجمادات إلا بما يتفق مع الحق الثابت الدائم، وإن القيامة لكائنة حتماً لا محالة، فاعف أيها النبي عن قومك عفواً حسناً، لا عتاب معه، ولا جزع فيه .
 ٨٦- إن ربك أيها النبي هو خالق كل شيء، والعليم بكل شيء من أفعال خلقه .
 ٨٧- ولقد آتيناك أيها الرسول سبع آيات تثني وتكرر في كل ركعة، وهي الفاتحة، والقرآن العظيم فيما اشتمل عليه، وهو عطف عام على خاص، والكل على الجزء .
 ٨٨- لا تنظر نظرة راغب متمن إلى ما متعنا به أصنافاً من الكفار والمشركين بمتع الدنيا وزخارفها، ولا تحزن عليهم إذا لم يؤمنوا، وتواضع برفق ولين للمؤمنين .
 ٨٩- وقل: إني أنا المخوف من عذاب الله كل من عصى الله ورسوله، الموضح كل ما يتعرضون له من عذاب .
 ٩٠- أنزلنا عليك القرآن كما أنزلنا كتاباً على اليهود والنصارى الذين قسموا القرآن إلى حق وباطل، فأمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض أو أنزلتكم ما أنزلنا على المقتسمين من العذاب يوم بدر وهم الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم لينفروا الناس عن الإيمان بالرسول ﷺ، والظاهر لي هذا الرأي .

الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿١١﴾ قَوْلِكَ لَسَعْنَاَهُمْ أَجْمَعِينَ
 ﴿١٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَلْعَلُونَ ﴿١٣﴾ فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرَضُ عَنِ
 الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ إِنَّا كُنْهِكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ
 يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسُوفَ يُعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ عَلِمَ
 أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿١٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ
 مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿١٩﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَنَّىٰ أُمِرَ اللَّهُ فَلَاحَسْتَعْجِلُوهُ سَجْدَةً تَعْلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾
 يَنْزِلُ الْمَلَكُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِ عَلِيٍّ مِنْ شِئَاءٍ مِنْ عِبَادِهِ
 أَنْ أُنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونَ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعْلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ
 مِنْ نَظْفَةٍ فَإِذَا هُوَ حَصِيدٌ مُبِينٌ ﴿٤﴾ وَاللَّائِمَةَ خَلَقَهَا
 لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾

٩١- الذين جعلوا القرآن أجزاء متفرقة، بعضه حق موافق للتوراة والإنجيل، وبعضه باطل مخالف لهما، أو قسمه المشركون أجزاء بعضه شعر، وبعضه سحر، وبعضه كهانة ونحو ذلك، والراجح الرأي الثاني.

٩٢، ٩٣- قسماً بريك أيها النبي لتسالن هؤلاء الكفرة يوم القيامة عما فعلوا من المعاصي، وعملوا في الدنيا من أعمال يؤاخذون عنها، من كفر وتكذيب. وهو سؤال توبيخ وتقرير.

٩٤- فاجهر أيها النبي بدعوتك إلى التوحيد، وبلغ ما أنزل إليك من ربك، ولا تبال بالمشركين. لم يزل النبي ﷺ مستخفياً بالدعوة، حتى نزلت هذه الآية، فخرج هو وأصحابه معلناً.

٩٥- إنا كفينك شر المستهزئين من المشركين المكيين وهم خمسة من رؤساء مكة: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن الطلب، والأسود بن عبيد يغوث، والحارث بن الطلائع، كضاهم الله بالإهلاك جميعاً في يوم واحد.

٩٦- المستهزئين الذين يشركون مع الله إلهاً آخر، فسوف يعلمون عاقبة أمرهم في الدارين. نزلت في أولئك المستهزئين بالنبي ﷺ الذين غمزوا به. وهذا وعيد لهم بالمجازاة على استهزائهم وشركهم في الآخرة.

٩٧- وتالله لقد نعلم أنك أيها النبي تتضايق بما يرميك به المشركون من السحر والجنون والكهانة والكذب.

٩٨- فنزه ربك عما لا يليق به تنزيهاً مقروناً بالتحميد، وكن من المصلين، فإن الصلاة تفرج الكرب وتذهب الهموم.
 ٩٩- ودوام على عبادة ربك حتى يأتيك الموت، وسمي باليقين لأنه أمر حتمي.

سورة النحل

١- قرب ودنا الأمر الموعود به وهو نصر النبي ص وتعذيب الكافرين، فلا تتعجلوه فإنه آت حتماً، تنزه الله وتعظيمه وتقديسه عن نسبة الشريك له من الأوثان والأصنام. كان المشركون يستعجلون قيام الساعة، أو الإهلاك، ويقولون: إن صح ما يقوله، فالأصنام تشفع لنا، وتخلصنا منه، فنزلت.

٢- ينزل الله جبريل من الملائكة بالوحي من قرآن وغيره، وهذا الوحي من أمر وإرادة الله وحده، على من يشاء من عباده، بأن أنذروا بالعذاب، وبلغوا أنه لا إله يعبد بحق إلا الله وحده، فخافوا عذابي إن عبدتم غيره وخالفتم أمري.

٣- خلق الله السموات والأرض بقدرته، خلقاً ملازماً للحق، لا باطلاً وعبثاً، تعظيم الله عن الشريك في ملكه.

٤- خلق الله الإنسان من نظفة هي ماء الرجل، فإذا هو شديد الخصومة والجدل وظاهر الخصام والإنكار للبعث والجزاء.

٥- وخلق الأنعام (الإبل والبقر والغنم) لكم، فيها ما تستدفنون به لدفع البرد والحر من الكساء والرداء بأشعارها وأصوافها وأوبارها، ومنافع كثيرة من النسل والدر والركوب، وتأكلون من لحومها وشحومها.

٦- ولكم في الأنعام تجمل وتزين في أعين الناس، حين الرواح بالعشي والمساء من المرعى، وحين الإخراج صباحاً للمرعى.

٧- وتحمل أحمالكم الثقيلة إلى بلد بعيد، لا تصلون إليه إلا بمشقة وإرهاق نفس، إن ربكم لكثير الرأفة والرحمة بكم حيث خلقها لكم.

٨- وخلق لكم الخيل والبغال والحمير لتركبوها عليها وتحملوا أمتعتكم عليها، وجعلها لتزينوا بها زينة في وقت الرخاء، ويخلق لكم ما لا تعلمون من الأشياء العجيبة الغريبة، مثل وسائل النقل ووسائل الفضاء الحديثة، من السيارات والطائرات والقطارات وسفن الفضاء والصواريخ الجبارة.

٩- وعلى الله بيان الطريق المستقيم إلى الخير ببسر وسهولة، ومن الطرق طريق حائد عن الاستقامة لا يوصل إلى الهداية، ولو شاء الله لهداكم أجمعين إلى الطريق الصحيح، ولكن اقتضت حكمته ترك حرية الاختيار لكم، ليظهر دور الإنسان وجهده وجهاده.

وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَوْنَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَجْمَلُ
أَنْفُسُكُمْ إِلَىٰ بِلَادِكُمْ لِتَكُونُوا بِلَيْنِهِ الْإِبْتِغَاءَ الْأَنْفُسِ إِنَّ
رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا
وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَىٰ اللَّهُ قُصْدُ السَّبِيلِ
وَمِنْهَا جَابِرٌ وَنُوشَاءٌ لِّهَدْيِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي
أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ
فِيهِ تُسْمُونَ ﴿١٠﴾ بَنَيْتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ
وَالْخَيْلَ وَالْأَنْعَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرْنَا لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأْنَاكُمْ فِي الْأَرْضِ
مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ
﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا الْبَحْرَ لِنَأْكُلَ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا
وَنَسَخَّرْنَا مِنْهُ حَلِيَةً نَّلبَسُوهَا وَتَرَىٰ عَالِيقَ
مَوَاحِرِ فِيهِ وَلِيَنْتَفِعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾

١٠- الله الذي أنزل من السحاب مطراً، لكم منه شراب عذب تشربونه أنتم ومواشيكم، ولكم منه شجر: وهو كل ما له ساق حتى المراعي، فيه ترعون مواشيكم.

١١- بنيت لكم بالماء الزرع والزيتون والنخيل والعنب ومن جميع أصناف ثمار الفاكهة وبقية الثمار النافعة، إن في ذلك الإنزال والابتات آية عظيمة دالة على وحدانية الله وقدرته، لقوم يتفكرون في صنعه.

١٢- وصير لكم الليل والنهار نافعين، وهما لمنافعكم، والشمس والقمر والنجوم مذلللات بإرادته، إن في ذلك التسخير آيات وعلامات دالة على القدرة الإلهية والوحدانية، لقوم يتأملون بعقولهم في هذه العلامات.

١٣- وخلق وسخر لكم جميع المخلوقات الأرضية على اختلاف ألوانها وأنواعها من حيوان ونبات وجماد، إن في ذلك الاختلاف آية واضحة لقوم يتذكرون نعم الله، فيعتبرون ويشكرون.

١٤- وهو سبحانه الذي ذلل البحر للركوب والاصطياد والغوص فيه، ولتأكلوا منه اللحم الطري وهو السمك، وتستخرجوا منه حلية للباس والزينة، وهي اللؤلؤ والمرجان، وترى السفن جوارى في البحر، تمخر الماء، أي تشقه بجريها فيه، مقبلة مدبرة، ولتطلبوا الرزق بالالتجار وغيره من فضل الله، ولتشكروا الله على هذه النعم، وتعرفوا حقها.

وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَالَمَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعضُهُنَّ مَهْرَجَاتٍ ۖ وَآيَاتٍ لِيُنشِئَ لَكُمُ الْيَوْمَ الْجَنَّةَ الَّتِي فِيهَا تَجْرِبُونَ ﴿١٦﴾ وَإِنَّ تَعْدَاةَ أَئِمَّةِ اللَّهِ لَأَخْصَوْهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩﴾ أَمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُدْعُونَ إِذَا دُعُوا لِلْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ أَيْسَارًا يُبْعَثُونَ ﴿٢٠﴾ إِيَّاكُمْ اللَّهُ وَحِيدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فُلُوقُهُمْ مُنكَّرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢١﴾ لِأَجْرٍ أَنْ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا لَأَسْطُرُّهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٣﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِيدُونَ ﴿٢٤﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَنَّ اللَّهَ بَنَّاهُمْ مِنَ الْفَوَاحِشِ فَحَزَّ عَلَيْهِمْ السَّقْفُ مِنَ فَوْقِهِمْ وَاللَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾

١٥- وألقى الله في الأرض جبلاً ثوابت لئلا تضطرب بكم، وفجر فيها أنهاراً، وأوجد فيها طرقاً مختلفة مدللة لعبورها في الأسفار، والاهتداء بها إلى المقاصد والبلدان.

١٦- وجعل في الأرض أمارات ومعالم في النهار تدل السائر على الطرق كالجبال والسهول والوديان، وجعل النجوم والكواكب أمارات للاهتداء بها في الليل، إلى الطرق والقبلة مثلاً.

١٧- أئمن يخلق هذه المخلوقات العظيمة المختلفة كمن لا يخلق كالأصنام، أفلا تتذكرون قدرة الله وتعظون، وتدركون وجوده ووحدانيته فتؤمنون؟ أي لا تسووا بين القادر على الخلق وهو الله، والعاجز عن خلق أي شيء مهما صغر.

١٨- وإن تعدوا نعم الله الكثيرة عليكم لا تضبطوها، فضلاً عن أداء حق شكرها، إن الله واسع المغفرة للذنوب والتقصير عن شكر النعمة، رحيم بالعباد حيث أوجد النعم لهم، وإن لم يشكروه عليها.

١٩- والله يعلم كل ما تخفون وما تظهرون من عقائد ونيات وضمائر وأعمال، وهو وعيد على الشرك وخبائث الأفعال.

٢٠- والأصنام الآلهة التي يعبدونها المشركون غير الله

لا يتمكنون من خلق شيء من المخلوقات، وهم مخلوقون مصنوعون بأيدي الكفار من أحجار وأخشاب وغيرها. وهذه موازنة تؤكد مضمون الآية السابقة [١٧]. وصفهم بصفة العقلاء في زعم العابدين.

٢١- إنهم جمادات ميتة لا روح فيها، وما تشعر هذه الجمادات متى يعبد عبدهم من الكفار؟

٢٢- إلهكم المعبود بحق معشر الناس إله واحد لا شريك له، فالذين لا يصدقون بالآخرة قلوبهم جاحدة للوحدانية، أعماها العناد والأهواء، وهم مستعلون عن قبول الحق والإيمان.

٢٣- حقاً، إن الله يعلم ما يخفون من ضمائر ونوايا، وما يعلنون من أقوال وأفعال، فيجازيهم بذلك، إنه تعالى يعاقب التكبرين عن توحيد الله وغيرهم.

٢٤- وإذا قيل للمشركين: ماذا أنزل ربكم على رسوله محمد ﷺ؟ قالوا: أكاذيب وأباطيل الغابرين القدماء، يتحدث بها الناس عن مضي.

٢٥- وتكون عاقبة تكذيبهم بالقرآن وإدعائهم أنه مجرد أساطير أن يتحملوا ذنوبهم بسبب هذا القول وغيره، لم يكفر منها شيء، لعدم إسلامهم، ويتحملوا أيضاً بعض ذنوب الذين أضلهم؛ لأنهم دعواهم إلى الضلال، فاتبعوهم، وهم يضلون الناس جاهلين الآثام المترتبة على فعلهم، إلا بس ما يحملون من أوزار وآثام.

٢٦- قد دبر في الخفاء الذين كانوا من قبل كفار مكة تديراً خائباً، وهو عمرو بن كنعان الذي بنى برجاً عظيماً ببابل، ليصعد إلى السماء، فيقاتل أهلها، فأهلكه الله وأفناه، وهدمه بالريح والزلزلة من الأساس، فسقط عليه وعلى قومه البناء، وجاءهم العذاب (الهلاك) من حيث لا يشعرون به ولا يتوقعون. وهذا وعيد للكفار المعاصرين للنبي ﷺ ولأمثالهم بأن مكرهم سيعود عليهم وباله.



٢٧. ثم يوم القيامة يذللهم ويعذبهم بالنار، ويقول لهم توبيحاً: أين شركائي من الآلهة المزعومة الذين كنتم تخاصمون وتنازعون الأنبياء والمؤمنين فيهم؟ قال الذين أوتوا العلم من الأنبياء والمؤمنين: إن الذل والفضيحة يوم القيامة، والعذاب واقع على الكافرين وحدهم لا محالة.

٢٨. الذين تقبض الملائكة أرواحهم، حالة كونهم ظالمي أنفسهم بالكفر، فانقادوا واستسلموا عند الموت، وأقروا بربوبية الله، وقالوا كذباً: ما كنا نعمل شيئاً من كفر أو شرك وعدوان، فتجيهم الملائكة: بلى، إن الله عليم بما كنتم تعملون السوء، ولا ينفعكم هذا الكذب، والله يجازيكم على عملكم.

٢٩. ثم يقال لهم عند الموت: ليدخل كل فريق بابَه المعد له إلى جهنم، خالدين فيها إلى الأبد، فبئس مكان إقامة المتكبرين عن الإيمان والطاعة: جهنم.

٣٠. وقيل للمؤمنين الذين اتقوا ربهم وتجنبوا الشرك: ماذا أنزل ربكم على رسوله؟ قالوا: أنزل

الله عليه خيراً عميماً في الدنيا والآخرة، وهو القرآن العظيم، للمحسنين الذين أحسنوا بالإيمان والعمل الصالح حياة طيبة في الدنيا ومثوبة حسنة، ومثوبة الآخرة بالجنة والرضوان خير وأفضل مما أوتوه في الدنيا، ونعم دار الآخرة دارهم. وقوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ هو من جملة قولهم الذي أنزله الله، أو من كلام الله تعالى، وهو وعد للمتقين جزاء قولهم وإيمانهم. والقاتل: وفود بعض القبائل المحيطة بمكة.

٣١. ودار المتقين: هي جنات إقامة دائمة يدخلونها، تجري الأنهار من تحت بساطينها وغرفها، لهم فيها صفاً أكل ما يشاؤون من أنواع المشتبهات، مثل هذا الجزاء يجزي الله الذين التزموا الأوامر واجتنبوا النواهي.

٣٢. الذين تقبض الملائكة أرواحهم طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصي، يقول الملائكة لهم مطمئناً عند الموت: سلام (أمان) عليكم، ادخلوا الجنة بعملكم الصالح، أي وبرحمته تعالى، كما جاء في الحديث الصحيح. والعمل عدل، والرحمة فضل.

٣٣. ما ينتظر هؤلاء الكفار إلا إتيان ملائكة الموت لقبض أرواحهم، أو إتيان أمر الله بالعذاب الدنيوي الذي يستأصلهم أو يوم القيامة المشتمل على العذاب، مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب، فعل الذين من قبلهم من الأمم، وما ظلمهم الله بالتعذيب، ولكنهم ظلموا أنفسهم بالكفر والعصيان.

٣٤. فأصابهم جزاء أعمالهم السيئة، ونزل وأحاط بهم العذاب الذي استهزؤوا به، وأنكروا وقوعه.

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِبُهُمْ وَيَقُولُ أَيُّ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَشْتَقُونَ فِيهِمْ قَالِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَالْقُرْآنَ السَّلَامَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ مِنْ سُوءِ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ وَكَذَلِكَ يُجْزَى اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ نَبِيٌّ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَنَّهُمْ أَنَّهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾

وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ سَاءَ اللَّهُ مَا عَبْدَنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ
 نَحْنُ وَلَا آبَاءُ آبَائِنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَكَذَلِكَ فَعَلَ
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾
 وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَجْتَنِبُوا
 الظُّفُوفَ فَهُمْ مِنْ هَدَى اللَّهِ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ
 الضَّلَالَةُ فَسَبُّوا فِي الْأَرْضِ فَأَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ
 عِقَابُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِنْ تَحَرَّضَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ
 لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ
 جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ نُبُوتٍ بَلَى وَعَدَّ عَلَيْهِ حَقًّا
 وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لَيْسَ لَهُمْ الَّذِينَ يَجْلِفُونَ
 فِيهِ وَيَلْعَمُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا
 قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾
 وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَنْتَهُمْ
 فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآخِرَ الْأَجْرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ
 ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

٣٥- وقال المشركون من أهل مكة استهزاء وتعتنا وإبطالاً لبعثة النبي والتكليف: لو شاء الله ألا نعبد غيره من الأصنام والأوثان؛ ما عبدنا ذلك، نحن وآباؤنا السابقون، ولا حرمتنا من غيره شيئاً من الأنعام كالسواحب والحيات، فأشركنا وتحررنا بمشيئة الله، فهو راض به، فأجابهم الله: مثل ذلك، فعل السابقون بالإشراك وتكذيب الرسل، فما على الرسل إلا الإيلاء البين الواضح لرسالة الله، وليس عليهم تحقيق الهداية.

٣٦- ولقد أرسلنا في كل أمة من الأمم السابقة رسولا يقول لهم: اعبدوا الله وحده، واتركوا كل معبود دون الله كالشيطان والكاهن والصنم والداعي إلى الضلال، فمن الناس من وفقهم الله للإيمان والعمل الصالح، ومنهم من وجبت عليه الضلالة في علم الله، فلم يؤمن باختياره دون أن يمنعه مانع، وأصر على الكفر والعناد، فامشوا في الأرض متأملين، وانظروا مصير المكذبين السابقين عند مشاهدة آثارهم كعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين.

٣٧- إن تحرص أيها النبي على هداية قومك المشركين، فإن الله لا يوفق ولا يرشد من كان ضالاً في علم الله، وهو من حقت عليه الضلالة، وليس لهم أنصار يتقدونهم من العذاب.

٣٨- وأقسم المشركون بالله أيماناً مغلظة هي متهى اجتهدهم في تأكيد اليمين أنه لا يبعث الله الموتى، بل يبعثهم، وعد الله ذلك وعداً حقاً، ولكن أكثر الناس وهم الكفار ومنهم أهل مكة لا يعلمون أنهم مبعوثون.

٣٩- يبعثهم ليوضح لهم الأمر المختلف فيه بينهم وبين المؤمنين من أمر الدين كالبعث والثواب والعقاب والجنة والنار، ويعرف الكافرون المنكرون البعث أنهم كانوا كاذبين في إنكار البعث.

٤٠- إنما قولنا في الخلق لشيء إذا أردنا إيجاداه: أن نقول له: ﴿كن فيكون﴾ [البقرة ٢/١١٧] ومواقع أخرى، سواء البدء والإعادة.

٤١- والذين تركوا الديار والأموال من أجل رضوان الله، ونصر دين الله، من بعد ما عذبوا وأوذوا من المشركين، لنتزلهم في الدنيا مساكن حسنة- والمراد هنا المدينة المنورة- وثواب الآخرة على أعمالهم الحسنة وهو الجنة أعظم، لو علم الظلمة الكفار بذلك. وفي هذا ترغيب في الهجرة من مكة إلى المدينة حينما كانت فرساً في صدر الإسلام؛ لأنه بالهجرة قوي الإسلام.

٤٢- أولئك المهاجرون الذين صبروا على أذى المشركين، واعتمدوا على ربهم في أمورهم كلها.

٤٣- وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً لا ملائكة، فاسألوا أيها المشركون المعترضون على بشرية الرسل العلماء بكتب الله السابقة كالتوراة والإنجيل، إن كنتم لا تعلمون ذلك أن جميع الرسل بشر.

٤٤- أرسلناهم بالمعجزات الدالة على صدق نبوتهم وبالكتب الإلهية المشتملة على الشرائع والتكاليف، وأنزلنا إليك أيها الرسول القرآن لتبين للناس ما أنزل الله من أسرار التشريع وأحكامه والوعد والوعيد، ويتفكروا ويتأملوا فيما جاء فيه، فيعرفوا الحقائق ويعتبروا.

٤٥- أفأمن الذين دبروا التدابير الخفية التي تسوء عاقبتها كإيذاء الرسول ﷺ وأصحابه ومحاولة إبطال الإسلام والصد عن دعوة الله: أن يخسف الله بهم الأرض كما خسف بقارون، أو يجيئهم العذاب فجأة، من حيث لا يتوقعون، من جهة لا تخطر ببالهم، كما فعل بقوم لوط، وكما أهلك المشركين في بدر.

٤٦- أو يأخذهم بالعذاب في سفرهم للتجارة ونحوها، فما هم بفاتنين الله بالهرب، ولا مفلتين من عقابه، ولا ممتنعين.

٤٧- أو يأخذهم مع خوف وحذر من الهلاك، وتقص أموالهم شيئاً فشيئاً، فإن ربكم لرؤوف رحيم حيث لم يعاجلهم بالعقوبة.

٤٨- أو لم ينظر الكفار نظرة تأمل إلى ما خلق الله من شيء ذي ظل كجبل وشجر ونحوهما، تميل ظلاله من جانب إلى جانب أو ترجع وتتقل من اليمين والشمال، منقادة لحكم الله وتسخيره، وهم أي الظلال خاضعون منقادون لما يراد منهم.

٤٩- والله يخضع وينقاد جميع ما في السموات والأرض، من الدواب التي تدب على الأرض، والملائكة الساجدون العابدون، وهم لا يتكبرون عن طاعته وعبادته والسجود له.

٥٠- يخاف الملائكة من ربهم الذي هو عال عليهم بالقهر والغلبة، ويطيعون الله في كل ما يأمرهم به.

٥١- وقال الله ناهياً عن الشرك: لا تتخلوا إلهين، كالثنوية الذين يقولون بإله النور وإله الظلمة، إنما إله واحد لا شريك له، فحافوني وحدي دون غيري، واحذروا عذابي.

٥٢- والله سبحانه جميع ما في السموات والأرض ملكاً وخلقاً وتصرفاً، وله الطاعة والإخلاص دائماً لازماً، أنخافون غير الله الذي لا يضر ولا ينفع!؟

٥٣- وليس بكم من نعمة دينية أو دنيوية إلا من الله وحده، ثم إذا أصابكم الضر من مرض وفقر وحاجة فإليه تتضرعون في كشفه.

٥٤- ثم إذا رفع الله الضر (الشدة والبلاء) عنكم، إذا فريق منكم وهم الكفار، يشركون مع ربهم إلهاً آخر في العبادة، حيث يقابلون النعمة بالنعمة، والشكر بالشرك بالله، وينسون النعم المنقذ.

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيَ إِلَيْهِمْ فَتَلَوْنَ أَهْلَ
الْأَنْكُرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِالنَّبِيِّ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا
إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ
﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ
الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾
أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَاهُمْ عَمَّجِرِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى
تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أُولَئِكَ إِذَا مَا خَلَقَ
اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ سَفِعُوا ظِلْمَهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سَجْدًا لِلَّهِ وَهُمْ
ذَخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَاللَّهُ سَجِدٌ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ
وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْأَلُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ
وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴿٥١﴾ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا
إِلَٰهِينَ آخِينَ إِتْمَانًا هُوَ إِلَهُ الْوَحِيدِ فَإِنِّي فَأَرْسِلُونَ ﴿٥٢﴾ وَلَهُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الَّذِينَ وَاصِبًا أَفْعَبُ اللَّهُ نَسْفُونَ ﴿٥٣﴾
وَمَا كُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرْفُ لِيُتَّخِذُوا
إِذَا كُفَّتِ الضَّرْفُ عَنْكُمْ إِذَا فَرِقَ بَيْنَكُمْ مِنْ رَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾



لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ
لَنَا آيَاتِنَا نَصيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ نَالَةً لَّنُسْأَلَنَ عَنْهَا أَن نَشْرَفَ
تَقْدِرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِقَاءَ رَبِّهِمْ أَجَلًا ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَاطِمٌ
﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ أَيَسْكَرُ عَلَىٰ
هُونٍ أَمْ يَرْدِيهِ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّمِوتِ وَبِاللَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ لَوَّخْتُمْ أَن نَّاتِيَكُم بِظُلْمٍ مِّنَ اللَّيْلِ أَوْ نَارٍ
مِّنَ النَّارِ لَوَّخْتُمْ أَن يَكُونَ لَكُم مَّوَدَّةٌ بَيْنَ يَدَيْكُمْ وَالصَّالِحِينَ
سَاعَةٌ وَلَا يَسْعَدُ مَوْنٌ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَصِفَ
السَّيْئَةِ الْكُذْبِ أَنَّهُمُ الْحَسَنَىٰ لِأَجْرٍ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ لَمَّا
مُفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ نَالَهُ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ قَتَلُوا
الَّذِينَ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ لَوِيظًا فَهَبْ لَهُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَنْعَمْنَا
وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي
اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٣﴾

٥٥- وتكون عاقبة هؤلاء الذين تقصر عواثم
أشركوا الكفر بما آتيناهم من النعمة، فاستمتعوا
بعبادة الأصنام، فسوف تعلمون عاقبة أمركم وما
يحل بكم من العذاب، وهذا على سبيل التهديد
والوعيد.

٥٦- ويجعل المشركون لألهتهم التي لا علم
لها؛ لأنها جمادات أو شياطين، جزءاً مما رزقناهم
من الزروع والأنعام، والله لتسألن سؤال توبيخ عما
كنتم تكذبون على الله من أنه أمركم بذلكم.

٥٧- ويجعل بعض المشركين لله البنات، وهم
خزاعة وكنانة القائلون: الملائكة بنات الله، تنزه الله
عما ينسبه إليه هؤلاء من الولد والشريك،
ويجعلون لأنفسهم ما يشتهون من البنين.

٥٨- وإذا بُشِّرَ أحد المشركين بولادة أنثى، صار
وجوه متغيراً بالغم والكآبة وهو ممتلى غيظاً
وحقدًا.

٥٩- يختفي حياء وخجلاً من وجه قومه، من
سوء البشارة أو الخبر الذي بلغه، أيتركه محبوساً
بلا قتل، بهوان وذل، أم يخفيه في التراب ويثده،

ألا قبح ما يفعلون، وبئس الحكم حكمهم هذا، بنسبة البنات إلى الله تعالى.

٦٠- للكفار صفة السوء القبيحة، والسوء: كل ما يسوء، وهي وأد البنات والمغالة في حب البنين الذكور
لحاجتهم إليهم في الحروب وشؤون الحياة، والله وحده الصفة العليا، وهي الكمال المطلق والاستغناء عن كل
ما عدها، وهو القوي في ملكه، القاهر، الكامل القدرة، المتصف بكمال الحكمة في صنعه وخلقه وتدييره.

٦١- ولو يعاقب الله فوراً الناس الكفار أو جميع العصاة بالشرك والمعاصي، ما ترك على الأرض كل شيء
يدب، يهلك الظالمين، ولكن اقتضت حكمة الله إمهالهم وتأخير عقابهم إلى وقت محدد هو وقت عذابهم،
فإذا حق عليهم العذاب أو انتهى أجل حياتهم لا يتأخرون ساعة عنه ولا يتقدمون.

٦٢- وينسبون إلى الله ما يكرهون لأنفسهم من البنات، ويكذبون مدعين أن لهم الخصلة الحسنى، وهي
الجنة، حقاً أن لهم النار، وأنهم متروكون في النار أو مقدمون قبل غيرهم، معجلون إليها.

٦٣- والله لقد أرسلنا رسلاً إلى أم قبلك، فحسن لهم الشيطان أعمالهم القبيحة السيئة، فهو متولي
أمورهم وناصرهم ومساعدهم، في الدنيا، ولهم عذاب مؤلم جداً.

٦٤- وما أنزلنا عليك أيها النبي القرآن إلا لتبين للناس ما اختلفوا فيه من أمر الدين، كالتوحيد والقدر
وأحوال المعاد، وأمر الأحكام من حلال وحرام، وهدايا إلى النور، ورحمة لقوم يصدقون بالله ويكتبه
ويرسله، ويعملون بأمره.

٦٥- والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآية لقوم يسمعون ﴿٦٥﴾ وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونهم من بين فئتين ودمرنا ما أصابنا سابقاً للشربين ﴿٦٦﴾ ومن ثمرة النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً إن في ذلك لآية لقوم يعقلون ﴿٦٧﴾ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر وما تمرشون ﴿٦٨﴾ ثم كلي من كل الثمرات فأسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يفتكرون ﴿٦٩﴾ والله خلقكم ثم يتوفاكم ثم يرثكم من برد إلى أزداب العمر لكن لا يعلم بعد علم شيئاً إن الله عليم قدير ﴿٧٠﴾ والله فصل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برأى رزقهم على ما ملكت أيديهم فهم فيه سواة أفئدة الله يتخذون ﴿٧١﴾

٦٦- وإن لكم في أنواع الأنعام (الإبل والبقر والغنم) اعتباراً وعظة، نسقيكم مما في بطون هذه الأنعام- وذكر الضمير العائد عليها باعتبار إرادة الجنس، كتذكير كلمة ﴿هذا﴾ [في الأنعام ٦/ ٧٨] العائدة إلى ﴿الشمس﴾ مراداً بها الكوكب- نسقيكم حلياً صافياً من بين الدم والقدر، لذيداً للشارب، سهل البلع والهضم لا يغص به شارب.

٦٧- وتتخذون من ثمار النخيل والعنب خمراً مسكراً- وهذا تعريض بتحريم الخمر قبل التحريم القاطع- ورزقاً حلالاً بأكله طازجاً أو يابساً كالزبيب والتمر، أو غير متخمر كالدبس والحل، إن في ذلك المذكور لدليلاً على قدرة الله تعالى لقوم يتدبرون وينظرون في آيات الكون.

٦٨- وألهمهم وعلمهم ريك النحل اتخاذ البيوت

والمساكن في كهوف وكوى الجبال، وتجويف الشجر، وعرائش المباني التي يبينها الناس تحت شجر الكرم أو لسقف البيت، وهي الخلايا المبنية من الطين أو الخشب أو غيرها.

٦٩- وألهم النحل أن تأكل من الأزهار والثمار، سالكة داخله مسالك في الذهاب والإياب إلى الخلايا مذلة بتيسير الله، لامتصاص الزهر والشم، وتحويل الرحيق بقدرة الله عسلاً طيباً، ويخرج العسل من بطون النحل مختلف الألوان: أبيض أو أصفر أو أحمر بحسب نوع الزهر، فيه شفاء للناس من المرض بإذن الله، كأمراض الهضم البلغمية، إن في ذلك المذكور من أمر النحل وصنعه العسل والبيوت الخلايا لدليلاً واضحاً على قدرة الله لقوم يتأملون في عجائب مخلوقات الله تعالى.

٧٠- ومن دلائل قدرة الله تعالى: إيجادكم من العدم، ثم إمامتكم عند انتهاء أجالكم، ومنكم من يتعرض لأخس العمر وأردته بالخرف وضعف العقل والحواس في حال الهرم، حتى يصير فاقد الذاكرة، لا يعلم شيئاً من العلوم، إن الله عليم بخلقهم، قدير على ما يشاء.

٧١- والله أوجد تفاضلاً في الرزق بين الناس، فمنهم الغني والفقير والمالك والمملوك، لحكمة بالغة يعلمها الله بحسب ما يحقق مصلحة الإنسان، فلا يرضى الأغنياء الملاك أن يعطوا رزقهم أو أموالهم للفقراء والمماليك، فيصير الجميع من الأسياد والأتباع متساوين مشتركين في هذا الرزق، فكيف يجعلون بعض ممالك الله أو عبده شركاء لله وهم لا يرضون ذلك لأنفسهم؟ وكيف يكفرون بنعمة الله حيث يجعلون لله شركاء؟ لأن من أثبت لله شريكاً، فقد نسب إليه بعض النعم والخيرات.

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِجَعَلْ لَكُمْ مِنْ أَوْجَاعِكُمْ بَيْنَ
وَحَفْدَةٍ وَرِزْقِكُمْ مِنَ الظَّالِمَاتِ أَفِي الْبَطْلِ يُؤْمِنُونَ وَيَعْبَتُ اللَّهُ
مُرِيكُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ
رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا
تَضُرُّوهُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ إِنْ اللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾
ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ
ذَرَفْتَهُ مِنْ آرِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ
يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ
مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى
مَوْلَاهُ أَيْمَانًا يُوجِبُهُ لَأَيَاتٍ بِحَجْرِ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ
بِأَمْرٍ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَنَفْثِ النَّفْسِ
أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنْ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ
مِنْ بُطُونَ أَمْهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ سِتْنًا وَجَعَلَ لَكُمْ
السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾

٧٢- والله تعالى جعل لكم زوجات من جنسكم، وجعل لكم من زوجاتكم أولاداً، وأولاد أولاد وهم الحفدة، ورزقكم من طيبات الرزق التي تتلذذون بها، أتصدقون بالباطل وهو أن الأصنام تضر وتنفع، وأنها تنفع عند الله؟ وتمجدون نعمة الله الجليلة، فتنسبونها إلى الصنم أو الوثن؟

٧٣- ويعبد هؤلاء المشركون معبودات من غير الله وهم الأصنام والأوثان، ما لا يجلب لهم رزقاً من السموات والأرض، وإن كان شيئاً قليلاً، ولا يقدر في المستقبل على التصرف بشيء. وكلمة «شيئاً» بدل من «رزقاً». والمعنى: أي رزق مهما كان قليلاً.

٧٤- فلا تجعلوا الله أمثالاً من الأنداد والشركاء، إن الله يعلم الحقائق وأنه الإله الواحد وأنتم لا تعلمون ذلك بسبب جهلكم.

٧٥- مثلكم أيها المشركون في إشراركم الأوثان والأصنام في العبادة مع الله، كمثل من سوى بين عبد مملوك لسيده، عاجز عن التصرف، وبين مالك حر التصرف في ملكه وماله، ينفق منه كيف يشاء، ويتصرف فيه كيف يريد، سرراً وعلانية، الأول مثل الصنم العاجز، والثاني مثل الإله القادر، فكيف

يتساوى العاجز مع القادر؟ فلا يستوي الرب الخالق الرازق، وجمادات الأصنام التي لا تضر ولا تنفع، الحمد لله على ظهور الحق، بل أكثر المشركين لا يعلمون الفرق، ويجب أن تعلموا أنه لا يستحق الشكر والثناء إلا الله وحده.

٧٦- ولكم مثل آخر أوضح مما قبله أيها المشركون، يوضح الفرق بين الله، والوثن المعبود من دون الله، وهو مثل رجلين: أحدهما أحرس لا ينطق بخير، ولا يقدر على شيء متعلق بنفسه أو بغيره، لعجزه عن الوعي والإدراك، وهو ثقيل على وليه وقريبه، حيثما يرسله، لا يرجع بفائدة؛ لأنه عاجز عن التصرف، هل يستوي هذا بهذه الأوصاف، مع رجل آخر كامل المواهب والحواس، ينفع نفسه و غيره، يأمر بالعدل بين الناس، وهو في ذاته على طريق واضح؟ والمقصود بيان انعدام المساواة بين الله سبحانه القادر على كل شيء، وبين الأصنام العاجزة عن كل شيء. نزلت الآية [٧٥] في رجل من قريش وعبدته، ونزلت الآية [٧٦] في عثمان ومولى له كافر كان يكره الإسلام ويأباه.

٧٧- والله علم ما غاب في السموات والأرض، يختص بذلك دون مشاركة أحد، وما أمر القيامة من الغيبات في سرعة وقوعها إلا مثل لمح البصر في السرعة والسهولة وأقرب من ذلك، فالله قادر على الإتيان بها بكلمة «كن فيكون» [البقرة ٢/١١٧] ومواقع في سور أخرى [إن الله تام القدرة على كل شيء، ومنها القيامة. والآية جمعت بين كمال العلم لله وكمال القدرة.

٧٨- ومن مقدوراته تعالى: أنه سبحانه أخرجكم من الأرحام في بطون الأمهات أطفالاً لا علم لكم بشيء، وأوجد فيكم وسائل العلم والإدراك وهي السمع والبصر والقلوب، لتؤمنوا بالخالق عن يقين وعلم تام، وتشكروا الله على نعمه باستعمال كل عضو من أعضائكم فيما خلق له من الخير.



٧٩- ألم ينظر هؤلاء المنكرون لوجود الله إلى الطيور مذلات للطيران في الجو أو الفضاء بين السماء والأرض بواسطة الأجنحة والذيل، ما يسكنهن في الجو إلا الله بقدرته العجيبة، إن في ذلك التسخير للدلالات على وحدانية الله وقدرته، لقوم يصدقون بالله وكتبه ورسله؛ لأنهم المتفعون بها.

٨٠- والله جعل لكم من بيوتكم (منازل لكم) مسكناً تستكون فيها، وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً هي الخيام وبيوت الأعراب في البداية، يخف عليكم حملها في الأسفار، أو تجودونها خفيفة للحمل والنقل في الرحلات، يوم سفركم أو انتقالكم من موضع إلى موضع طلباً للمرعى والماء، ومن أصوافها من الغنم وأوبارها من الإبل، وأشعارها من المعز: قرش البيت الذي يفرس في المنازل، ومتاع اللبس والتجارة الذي يتمتع ويتفجع به، إلى مدة من الزمان تبلى بعدها، فهي لصلابتها تبقى مدة مديدة.

٨١- والله جعل لكم مما خلق من البيوت والشجر والغمام مظلات تستظلون بها من حر الشمس، وجعل لكم من الجبال ما يستكن فيه من كهف أو غار أو سرب أو نفق، تستترون فيه من الحر والبرد والمطر، وجعل لكم قمصاناً وثياباً من الصوف والقطن والكتان وغيرها، تدفع عنكم ضرر الحر والبرد، ودروعاً تقيكم الشدة من الطعن والضرب والرمي في الحرب، وكإتمام هذه النعم المتقدمة هنا، يتم الله نعمته عليكم في الدنيا بخلق ما تحتاجون إليه، لتخلصوا لله العبادة والطاعة، وتوحدوه، وتؤمنوا به.

٨٢- فإن أعرضوا عن الدخول في الإسلام، فأما عليك التبليغ الواضح لما يوحى إليك، وليس عليك غيره.

٨٣- يعرف الكفار والمشركون نعمة الله وهي بعثة الرسول محمد ﷺ ثم ينكرون نبوته جهلاً وعناداً، قولاً وفعلاً، حيث يزعمون الشفاعة لها ويعبدونها، وأكثرهم الجاحلون المعاندون. نزلت هذه الآية في أعرابي أتى النبي ﷺ فقراً عليه الآيات السابقة [٨٠ - ٨١] فقال: نعم، ثم ولئى وأدبر ولم يسلم.

٨٤- واذكر أيها الرسول حين نبعث من كل جماعة شاهداً عليهم هو نبيهم، يشهد لمن آمن بالإيمان، وعلى من كفر بالكفر والجحود والتكذيب، ثم لا يسمح للكفار في الاعتذار ليعتدروا، ولا يطلب منهم العتبي، أي إزالة أسباب العتب، والرجوع إلى ما يرضي الله، بالعودة إلى الدنيا.

٨٥- وإذا رأى الذين كفروا العذاب يوم القيامة، فلا يخفف عنهم ذلك العذاب بالاعتذار، ولا هم يجهلون ويؤخرون إذا رأوه.

٨٦- وإذا رأى المشركون شركاءهم أو معبوداتهم من الأصنام والأوثان والشياطين وغيرهم، يوم القيامة، قالوا: هؤلاء شركاؤنا الذين كنا نعبدهم من دونك، ومرادهم: إحالة الذنب عليهم، والادعاء بأنهم هم الذين طلبوا منهم ذلك، فقالت الآلهة المزعومة لهم: إنكم كاذبون في اتهامننا، بل الذنب ذنبكم، ولم نطلب منكم عبادتنا.

أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَأْنَا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يَمُكِّرُونَهَا وَآكُرُهُمُ الْكَرْبُ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَارَةٌ الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابُ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَارَةٌ الَّذِينَ اشْرَكُوا شُرَكَاءُ هُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾

٨٧- واستسلم المشركون لله وحكمه يوم القيامة، وخضعوا لعزته، وغاب وذهب عنهم ما كانوا يفترون من أن آلهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم ويدفعون عنهم العذاب.

٨٨- الذين كفروا بالإسلام، ومنعوا الناس عن الدخول في الدين الحق، زادهم الله عذاباً يوم القيامة من أجل صدهم، فوق العذاب المستحق بكفرهم، بسبب إفسادهم في الأرض وهو منعهم الناس عن الإيمان.

٨٩- واذكر أيها النبي حين نبعت من كل أمة شاهداً عليهم من جنسهم، وهو نبيهم، وجئنا بك أيها الرسول شاهداً على قومك وبقية الأمم، بأنك بلّغت الرسالة، وأعيد ذلك هنا لتهديد كفار قريش بأن الشهادة تكون عليهم، وليس لهم، ولتريخهم على تكذيبهم رسول الله، ونزلنا عليك القرآن بيانا مفصلاً لكل شيء يحتاج إليه الناس من أحكام الدين والشريعة، وهدى من الضلالة، وسبب رحمة ونجاة لمن آمن، وبشرى بالجنة للمسلمين المتقادين لشريعة الله تعالى.

وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلْمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْزُونَ ﴿٨٧﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زَادَهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ نَسِيحًا أَكْبَلُ سَخِيًّا وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرٍ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِبْرَاهِيمَ ذِي الْقُرْبَى وَسَخِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْأَبِيِّ يُعْظَمُ لِعَاصِمِهِ لَنَنْكُرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَرْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَكَنَّ مِنْ جِثَّتِمْ دَخَلًا لِيُنْزِلَنَّكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةً هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبُلُوكُمْ اللَّهُ بِذُنُوبِكُمْ وَلَا تَبْسُتَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخَالِفُونَ ﴿٩٢﴾

٩٠- إن الله يأمر الناس جميعاً بالإنصاف والاعتدال في الأمور كلها، ومقابلة الخير بأحسن منه، والشر بالعمو والصفح، وإعطاء القرابة حقهم من الصلة والبر بهم، وينهى عن كل شيء قبيح قولاً أو فعلاً كالغيبة والنميمة، والزنى والبخل، وعن كل ما ينكره الشرع بالنهي عنه، ويستقبحه العقل السليم: وهو جميع المعاصي، وعن الظلم والاعتداء، يذكركم الله بأحكامه لتتعظوا فتعملوا بما أمر، وتجتنبوا ما نهى عنه. وهي أجمع آية في كتاب الله للخير والشر.

٩١- ووقوا بالعهود التي التزمتوها مع الله ومع الناس من الوعود والعقود والبيعة وغيرها، ولا تنقضوا الأيمان بعد توثيقها، وقد جعلتم الله عليكم شاهداً وراقباً بالوفاء، إن الله يعلم ما تفعلون من وفاء ونقض، فيجازيكم به. نزلت في مبايعة من عاهد النبي ﷺ على الإسلام.

٩٢- ولا تكونوا معشر المؤمنين في نقض العهود مثل المرأة الحمقاء المجنونة التي نقضت ما غزلته من بعد إحكام غزلها وإبرامه، فجعلته منقوضاً محلولاً كما كان قبل الغزل، حال كونكم متخذين أيمانكم على الوفاء بالعهد مكرراً وخديعة لغيركم وتغريراً بهم، تتظاهرون باحترام العهد، وتضمرون النقض والميل لغيرهم لأنهم أقوى وأغنى، إنما يختيركم الله بالوفاء بالعهد، وليوضحن الله لكم يوم القيامة ما كنتم تختلفون فيه في الدنيا، من حق وباطل، وموازنة القوى، والتأثر بالمصالح المادية الموقوتة. نزلت لضرب المثل بامرأة حمقاء من أهل مكة هي سعيدة الأودية، كانت تجمع الشعر والليف، فتغزله ثم تنقضه.



٩٣- ولو شاء الله لجعلكم على دين واحد، ولكن ترككم تختارون الطريق، فمنكم المؤمن ومنكم الكافر، وجعل الله بحسب سنته العامة ناساً للشقاوة والضلال والفساد، وهم الذين لم يأخذوا بأسباب الهدى، وجعل ناساً آخرين للسعادة والهداية للحق، وهم من اهتدوا بآيات الله، وعلى هذا النحو خلق الله الضلال والهدى، وسيقع السؤال عن أعمالكم التي اكتسبتموها في الدنيا.

٩٤- ولا تتخذوا إيمانكم المحلوفة وهي أيمان البيعة أسلوباً للخديعة والتفجير، ثم تلجسوا إلى الغدر والنقض، وتعرضوا للعذاب في الدنيا، بصددكم عن الوفاء بالعهد واقتداء غيركم بكم في هذا النقض، ولكم عذاب عظيم وهو عذاب الآخرة. ويلاحظ أن النهي عن النقض في آية سابقة [٩١] لبيان الباعث على النقض، وهذه الآية لبيان النتيجة وهي زلة القدم واستحقاق العذاب.

٩٥- ولا تستبدلوا بعهد الله وبيعة رسوله على العمل بشرعه عوضاً سيراً، بأن تنقضوه لأجله، فمتاع الدنيا قليل مهما كثر، إن ما عند الله من جزاء الوفاء بالعهد وهو النصر والغنيمة في الدنيا، والنعم في الجنة هو خير لكم وأفضل من عطاء الدنيا، إن كنتم من أهل العلم والتمييز، فلا تنقضوا العهد.

٩٦- ما عندكم من خير الدنيا ومتاعها يزول ويفنى

مهما كثر، وما عند الله من نعم الآخرة فهو باق دائم لا يفنى، ولنجزين الذين صبروا على الوفاء بالعهد ثوابهم بجزء أحسن من أعمالهم، بسبب صبرهم على تنفيذ مقتضى عهدهم مع النبي.

٩٧- من عمل عملاً صالحاً في دنياه، سواء أكان ذكراً أم أنثى، وهو مؤمن إيماناً صحيحاً، فلنجعلنه يعيش حياة طيبة في الدنيا بالرزق الحلال والرضا والاطمئنان، ولنجزينهم ثوابهم في الآخرة بأحسن مما عملوا من طاعات في الدنيا.

٩٨- فإذا أردت قراءة القرآن، فاجأ إلى الله لحمايتك من وساوس الشيطان في القراءة، الشيطان المطرود من رحمة الله، بأن تقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

٩٩- إنه ليس للشيطان تسلط وقهر بالإغواء على المؤمنين الذين يفوضون أمورهم إلى الله في كل شيء.

١٠٠- إنما تسلط الشيطان بالإغواء على الذين يتولونه بطاعته في وساوسه، والذين هم بسبب وسوسته مشركون بالله.

١٠١- وإذا جعلنا آية محل آية أخرى بنسخها، كنسخ آية التوراة في استقبال بيت المقدس بآية استقبال الكعبة، على وفق الحكمة الإلهية والمصلحة الدنيوية أو الدنيوية، والله أعلم بما ينزل من الآيات، قال المشركون للنبي ﷺ: إنما أنت كذاب، تتقول ذلك من عنك، ولم يقله الله، بل أكشروهم لا يعلمون حكمة النسخ والتبديل. نزلت حين قال المشركون: إن محمداً سحر أصحابه، يأمرهم اليوم بأمر، وينهاهم عنه غداً، أو يأتيهم بما هو أهون عليهم، وما هو إلا مفترى، يقول من تلقاء نفسه، فأنزل الله تعالى هذه الآية والتي بعدها.

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۗ وَلِنُسَخِّنَ عَنْكُمْ قُرْآنَ قَدَمِ بَعْدَ وَلَا تَخْذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَزَلَاقَ قَدَمِ بَعْدَ ثُبُونَهَا وَأَنْذَرُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَنْشُرُوا عَهْدَ اللَّهِ تَعْمًا فَلِئَلَّا يَأْسَ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ نَعَامُونَ ﴿٩٤﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٥﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ ذَكَرْنَا يُنْزِلُهُمْ هَوًى مُّوَمِّنٍ فَتَضَيُّهُ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطٰنِ الرَّجِيْمِ ﴿٩٧﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطٰنٌ عَلَى الَّذِينَ ءٰمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٨﴾ إِنَّمَا سُلْطٰنُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُّشْرِكُونَ ﴿٩٩﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ ۗ لَكِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٠﴾

قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا
 وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا
 يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَبِي وَهَذَا
 لِّسَانُ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ
 لَا يَهْدِيهِمْ اللَّهُ وَهُمْ وَعَسَاءَ لَلِئْبَاءِ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَغْتَبِرَ الْكَذِبَ
 الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١٠٥﴾ مَنْ
 كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ
 بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرٌ فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ
 مِنْ اللَّهِ وَهُمْ وَعَسَاءَ لَلِئْبَاءِ ﴿١٠٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحْبَبُوا
 الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
 الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَعَنَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ
 وَسَمِعَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ وَأَوْلَيْكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾
 لَأَجْرًا أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ نَعْرَانَ
 رَبِّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاءَهُمْ
 وَصَرُوا وَإِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾

١٠٢- قل أيها النبي: نزل جبريل المطهر من الأنداس عليه السلام القرآن العظيم تنزيلاً من عند الله، ملازماً للحق الذي لا خطأ فيه، وبالْحِكْمَةِ الْمُقْتَضِيَةِ لَهُ، لِيُثَبِّتَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْإِيمَانِ، وَهَادِياً لِلنَّاسِ مِنَ الضَّلَالِ، وَيُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ بِالْحَقِّ وَالرِّضْوَانِ الْإِلَهِيِّ. وَالْقُدُسِ: الطَّهْرِ، وَالرَّادِ هُنَا الطَّاهِرِ.

١٠٣- ونعلم علماً تاماً أن المشركين يقولون: إنما يعلم محمداً القرآن بشر من بني آدم، وهو غلام الفاكه بن الغيرة، واسمه جبر، وكان نصرانياً رومياً من صقلية، يصنع السيوف، فأسلم، فردَّ الله عليهم: لغة الذين يميلون وينسبون أو يشيرون إليه أعجمية، وهذا القرآن بلغة عربية ذات بيان وفصاحة، فكيف تزعمون أن عربياً يعلمه أعجمي غير عربي؟!

١٠٤- إن الذين لا يصدقون آيات الله القرآنية لا يفقههم الله للإيمان، ولهم عذاب مؤلم في الآخرة.

١٠٥- إنما يختلق الكذب على الله ورسوله الذين لا يصدقون آيات الله، وأولئك هم الكاذبون فعلاً في اتهامهم غيرهم بالكذب، فكيف يتهمون الرسول بالكذب، وهو رأس المؤمنين؟!

١٠٦- من ارتد عن الإسلام من بعد إيمانه به باستثناء

المكروه الذي نطق بالكفر، وقلبه مطمئن بالإيمان بالله ورسوله، وانشرح صدره بالكفر فرضي به واطمأن إليه، فعليه غضب الله، وله العذاب العظيم في نار جهنم. والإكراه على الكفر يكون بسبب التهديد بالقتل أو الأذى والضرب، سواء كان الأمر المكروه عليه قولاً، أو فعلاً كالسجود لغير الله. وحصر الشافعي وجماعة الرخصة في القول فقط. نزلت في شأن عمار بن ياسر الذي عذبه المشركون وأجبروه على سب النبي ﷺ، وذكر آلهتهم بخير، ثم أقر أمام النبي بأنه مطمئن بالإيمان.

١٠٧- ذلك الكفر بعد الإيمان، والعذاب العظيم بسبب إشارتهم الدنيا على الآخرة، وحبهم الحياة الدنيوية حباً شديداً أعماهم عن حب ما ينجي من عذاب الآخرة، ولأن الله لا يوفق للإيمان القوم الكافرين.

١٠٨- أولئك الذين كفروا بعد الإيمان هم الذين ختم الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم، فلا ينفذ الإيمان إلى قلوبهم، ولا يسمعون سماع تفهم وتدبر، ولا يبصرون آيات الحق وطريق النجاة، وأولئك هم الغافلون عن عذاب الله الشديد.

١٠٩- حقاً إنهم في الآخرة هم أشد الناس خسارة.

١١٠- ثم إن ربك أيها النبي لكثير المغفرة والرحمة لأولئك الذين هاجروا من ديارهم إلى دار الإسلام ابتغاء مرضاة الله، من بعد تعرضهم لمحاولات فتنه الكفار ليأبوا عنهم، وتعذيبهم لهم، ثم إنهم جاهدوا في سبيل الله، وصبروا على الجهاد وتكاليف الشرع، إن هؤلاء مغفور لهم لا يؤاخذون على ما أكرهوا عليه. نزلت في جماعة من المستضعفين، وهم عمار، وصهيب، وأبو فكيهة، وبلال، وعامر بن فهيرة وقوم من المسلمين، عذبهم أهل مكة، حتى صاروا لا يدرون ما يقولون.



١١١- واذكر أيها الرسول حين يأتي كل إنسان يجادل عن نفسه لينجو من العذاب، يوم القيامة، لايهمه شأن غيره، ويعطى كل امرئ جزاء ما عمل، ولا يظلم أحد، ولا ينقصون أجورهم شيئاً.

١١٢- جعل الله مثلاً لكل قوم أنعم الله عليهم، فأبطرتهم النعمة، فكفروا، وهم غير أهل مكة- في رأي الرازي- كانت بلدتهم أمنة من الاعتداءات، مطمئنة مستقرة، لا يخاف أهلها ولا يضايقهم شيء، يأتيها رزقها واسعاً كثيراً، من كل جهة، فكفر أهلها بنعم الله التي أنعم بها عليهم، فوقعوا جميعاً في الجوع والحرمان، والفزع والهلع، واشتد ألمهم، بسبب كفرهم وجحودهم النعم، حيث لم يشكروا ربهم، ونسوا فضله، ولجؤوا لغيره. وهذا المثل عبرة لكل قرية.

١١٣- ولقد جاء أهل مكة رسول من جنسهم يعرفونه حق المعرفة، فكذبوه فيما أتى به، فأحرق بهم العذاب من الله: وهو الجوع والخوف، وهم ظالمون لأنفسهم بتعريضها للعذاب الدائم.

١١٤- فكلوا أيها المؤمنون من رزق الله الذي جعله لكم حلالاً طيباً، وامتنعوا عن الخبائث كالميتة والدم، واشكروا نعمة الله عليكم بطاعته، إن كنتم تعبدونه وحده، وتخلصون العبادة لله سبحانه.

١١٥- إنما حرم الله عليكم أكل الميتة التي تموت من غير ذبح شرعي إلا السمك والجراد، والدم المسفوح السائل غير الكبد والطحال، ولحم الخنزير وشحمه، وما ذبح لغير الله، فمن اضطر لتناول شيء من هذه المحرمات بسبب الجوع الشديد أو العطش أو الغصة، غير متعمد تناوله، ولا متجاوز حد الضرورة، فإن الله غفور لمن أكل مضطراً، رحيم به، فلا يؤاخذة على ما فعل.

١١٦- لا تحرموا أيها الناس ولا تتحللوا بمجرد قول باللسان من غير دليل، فتقولوا: هذا حلال وهذا حرام لما لم يحله الله ولم يحرمه، لتنسبوا إلى الله الكذب، إن الذين يختلقون الكذب على الله لا يفوزون بالمطلوب.

١١٧- لهم تمتع قليل زائل في الدنيا، ولهم عذاب مؤلم شديد في الآخرة.

١١٨- ولقد حرمانا على اليهود خاصة دون غيرهم ما قصصنا عليك من قبل في سورة الأنعام [١٤٦/٦] من الأطعمة التي حرمها الله في التوراة، وما ظلمناهم بتحريم ذلك، ولكن كانوا ظالمين لأنفسهم بارتكابهم المعاصي الموجبة للتحريم، فكان التحريم عقوبة لهم.

يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مَّجْدُلَةٌ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهِيَ لَا يَظْلُمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قُرْبَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مَّتَطْمِئِنَّةً بِأَيْمَانِهَا رِزْقَهَا رِضًا تَمِّنُ كُلَّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكَلِمَاتٌ نَمَّاءٌ رَزَقُكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلِيَ لغيرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا نَصَبْنَا لِكُذِّبِ الْكُذِّبِ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنُفَرِّقَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِّبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِّبَ لَا يَفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَّعْ قَلِيلًا وَطَوَّلْ عَذَابَ الْيَمِيمِ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلٍ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمَلُوا الشُّرُوءَ بِحِمْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾
 إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَّلَوْ كَانَتْ مِنْ أَشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِنِعْمَةِ آتَيْنَاهُ وَهَدَيْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَآيَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعِ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جَعَلْنَا السَّبْتَ عَلَى الَّذِينَ ائْتَمَرُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَخَدِيمٌ يُبَدِّلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَا كَانَ مِنْ مِثْلِهِمْ وَلَا يَلْفُونَ ﴿١٢٤﴾ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْهُمْ يَوْمَ آتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَاقَبْتُمْ بِهِ وَإِنَّ صَبْرَ تَوْحِيدِ اللَّهِ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَلُوقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

١١٩- ثم إن ربك أيها النبي غفار للذين ارتكبوا الشرك والمعصية، مع جهلهم العاقبة، ثم تابوا من بعد عملهم السيء، وأصلحوا أعمالهم الفاسدة ونياتهم الخبيثة، إن ربك لكثير المغفرة للتائبين من الذنوب والخطايا، رحيم بهم، فلا يؤاخذهم على ما قبل التوبة.

١٢٠- إن إبراهيم كان رجلاً جامعاً للخير، عالماً بالشرائع، كالأمة والجماعة؛ لاتصافه بأوصاف كثيرة، وكان مطيعاً لله قائماً بأمره، ممتثلًا بخوف الله، وكان ماثلاً عن الأديان الباطلة إلى الذين الحق، مؤمناً بالله وحده، ولم يكن من المشركين.

١٢١- وكان إبراهيم عليه السلام شاكراً لنعم الله القليلة والكثيرة، اختاره ربه للنبوة، وهداه إلى طريق قوم هو التوحيد والإسلام.

١٢٢- وآتيناه إبراهيم في الدنيا حسنة: هي محبة جميع أهل الأديان له، والشأن الحسن عليه، وإنه في الآخرة من الذين لهم الدرجات العليا في الجنة.

١٢٣- ثم أوحينا إليك أيها النبي: أن اتبع ملة إبراهيم في التوحيد والدعوة إليه برفق، ماثلاً عن كل دين آخر إلى الدين الحق وعبادة الله وحده، ولم يكن من المشركين بل كان قدوة الموحدين، خلافاً لما يدعي مشركو قريش أنهم على ملته.

١٢٤- إنما جعل أو فرض تعظيم يوم السبت واحترامه وترك العمل فيه والتفرغ للعبادة على الذين اختلفوا في إبراهيم أنه يهودي أو نصراني: وهم اليهود والنصارى، أو اختلفوا في السبت، وهم اليهود الذين زعموا أنه من شرائع إبراهيم، فرد الله عليهم بأنه ليس من ملة إبراهيم، وإن ربك أيها النبي ليحكم بين المختلفين فيه يوم القيامة فيما اختلفوا فيه، فيجازي كل واحد بما يستحق ثواباً وعقاباً.

١٢٥- ادع الناس أيها النبي إلى دين الله الحق وهو الإسلام بالمقالة المحكمة المبينة للحق، أي بالدليل الواضح المزيل للشبهة، وبالموعظة النافعة، والقول المستحسن الرقيق غير المنفر، وجادلهم أي حاورهم بأحسن طرق المجادلة من الرفق واللين، والمنطق السليم، إن ربك هو أعلم بمن انحرف عن سبيل الإيمان، وهو أعلم بمن اهتدى وأبصر الحق، وأجاب دعوتك ورسالتك.

١٢٦- وإن أردتم العقاب معشر المسلمين، فعاقبوا بمثل الفعل والجنابة، ولئن صبرتم وتركتم العقاب، فالصبر خير كله من الانتقام. نزلت حينما استشهد الحمزة في أحد ومثل به، فقال النبي ﷺ: (لأمثلن بسبعين منهم مكانك، فكفر النبي عن يمينه، ولم ينتقم. وقوله: ﴿عوقبتم به﴾ أي اعتدي عليكم به، من قبيل تسمية السبب باسم مسببه ونتيجته، مثل: أمطرت السماء زرعاً، أي ماء تسبب في إنبات الزرع.

١٢٧- واصبر أيها النبي على الأذى في سبيل دعوتك، وما صبرك إلا بتوفيق الله وتشييته، ولا تحزن على إعراض الكفار عن دعوتك، ولا يضق صدرك من مكرهم لك، فإن الله ناصرك عليهم.

١٢٨- إن الله مع المتقين المعاصي والمحرمات بالعون والتأييد، ومع المحسنين في أداء الطاعات.

سورة الإسراء



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُجِّنَ الَّذِي أُسْرِيَ بِعَبْدِهِ لِيَلْمَنَ الْمُتَّعِدِ الْحُكَّامِ إِلَى
التَّسْبِيحِ الْأَفْصَحِ الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ مَاءِ الْيَمِينِ إِنَّهُ
هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَايَاتُ مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ
هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ لِيَلْتَمَثِلُوا مِنْ دُونِي وَكَيْلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةً
مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَصَدَقْنَا آلَ
يَعْقُوبَ إِسْرَائِيلَ فِي الْكُتُبِ لِنُفْسِدَنَ فِي الْأَرْضِ مَرثِنَ وَلِنُعَلِّمَنَّ
عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ
عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بِأْسِ شَدِيدٍ فَأَسَؤُوا خَلْلَ الدِّيَارِ وَكَانَ
وَعْدًا مُفْعُولًا ﴿٥﴾ فَرَدَدْنَا لَكُمْ الْكُرْةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ
وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرِ نَجْفَرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ
أَسَؤْا فُلْهَآ فَاذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْا وَجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا
الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾

فضلها: أخرج أحمد والترمذي والنسائي وغيرهم عن عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ كان يقرأ كل ليلة بني إسرائيل والزُّمَر». وتسمى أيضاً سورة بني إسرائيل، وهي من المتقدّمات في النزول في مكة.

١- تنزه الله عما لا يليق به من صفات العجز والنقص، الذي سار بعبده محمد ﷺ بالجسد والروح في جزء من الليل، قبل الهجرة بسنة، من دار أم هانئ بجوار المسجد الحرام - والمسجد الحرام يطلق على مكة، أو الحرم المكي - إلى مسجد بيت المقدس، الذي باركنا حوله بالشمس والزروع والأنهار، وجعله مهبط الملائكة، ومقر الأنبياء، لئريه من أدلة قدرتنا الباهرة وعجائب الخلق، إنه السميع لأقوال عباده، البصير بأفعالهم. ووصف الله نبيه هنا وفي مقام الوحي بالعبودية تشريفاً له وتكريماً وإيضاحاً، حيث اجتمع بالأنبياء، وعرج إلى السماء. وقد ذكر رسول الله ﷺ لقريش الإسراء به وتكذيبهم له، فأنزل الله ذلك تصديقا له.

٢- وآتيناهم موسى التوراة، وجعلنا ذلك الكتاب

هادياً لبني إسرائيل من الظلمات إلى النور، ولئلا تتخذوا رياءً غيري تفوضون إليه أموركم.

٣- لا تتخذوا من دوني وكيلاً يا ذرية من حملنا في السفينة مع نوح لإنجائهم من الغرق، إن نوحاً كان عبداً كثير الشكر، وحمد الله تعالى في جميع أحواله.

٤- وأعلمنا وأخبرنا بني إسرائيل في التوراة أنكم تفسدون في أرض فلسطين - الأرض المقدسة التي بها المسجد الأقصى مرتين من الإفساد: أولاهما - مخالفة أحكام التوراة وقتل أشعياء، وثانيتهما - قتل زكريا ويحيى والعزم على قتل عيسى، ولتستكبرن عن طاعة الله تعالى استكباراً عظيماً، وتستعلنن على الناس بالسلطان والظلم.

٥- فإذا جاء وعد أولى مرتي الفساد ووعد العقاب عليها، بعثنا عليكم عباداً لنا أصحاب قوة في الحرب والبطش، وهم وثنيون من بابل بالعراق وهم: بُحْتَنَصْرُ وجنوده، دخلوا وترددوا وسط دياركم لطلبكم وقتلكم وسيبكم، واستباحوا حرمتكم، وكان وعد عقابكم نافذاً واقعاً لا بد منه.

٦- ثم عند توبتكم أعدنا لكم الدولة والغلبة، وأمددناكم بأموال وبنين بعد النهب والسبي، وجعلناكم أكثر عدداً منهم.

٧- إن أحسنتم أفعالكم وأقوالكم بطاعة ربكم، أحسنتم لأنفسكم؛ لأن ثواب ذلك لكم، وإن أسأتم بالفساد والعصيان، فعلى أنفسكم وبالإساءة، فإذا جاء وقت المرة الآخرة من مرتي الإفساد في الأرض، بعثناهم ليجعلوا آثار الإساءة والذل والكتابة ظاهرة فيكم، أي ليلحقوا بكم الذل والأذى والشرف، وليدخلوا مسجد بيت المقدس ويخربوه، كما دخلوه في المرة الأولى، وليدمروا ويهلكوا ما غلبوا عليه من بلادكم تدميراً شديداً.

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عَدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ
 حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَن يَهْدِي لِلَّذِي هُوَ قَوْمٌ وَبَشِيرٌ
 الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الصَّالِحِينَ أَن لَّهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٩﴾
 وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾
 وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالْشُرَدِّ دَعَاً وَالْحَبِيرَ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾
 وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ لِّمَن فُحِّصَ آيَةُ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ
 النَّهَارِ مَبْصُرَةً لِّمَن تَبْتَغُوا أَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِنَعْلَمَ أَعْدَادَ
 الْيَسِينِ وَالْحَسَابِ ﴿١٢﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَلْتُهُ نَفْسِيلاً ﴿١٣﴾ وَكُلُّ
 إِنْسَانٍ أَزْمَنُهُ طَبْرٌ فِي عَقْبِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا
 يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٤﴾ أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَوَيْفَ نَفْسِكَ أَيَوْمَ عَلَيْكَ
 حَسِيبًا ﴿١٥﴾ مَن هَدَيْتُمْ فَأَنَّمَا يَهْدِي نَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا
 يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نُزِرُ وَلَا نُزِرُ فِي رِزْقٍ وَمَا كُنَّا مُعْدِينَ حَتَّىٰ بَعَثَ
 رَسُولًا ﴿١٦﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمْرًا مِّنْهَا فَافْسَدُوهَا فَمِنَ
 حَقِّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَعَرْنَاهَا تَذَمُّرًا ﴿١٧﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْقُرُونِ
 مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكُنِيَ بِرَبِّكَ إِذْ نُوحِيَ عَلَيْهِ حَيْرًا بِصَبْرٍ ﴿١٨﴾

٨- وقلنا في الكتاب: عسى ربكم أن يرحمكم إن تبتم وأطعتم بعد انتقامه منكم في المرة الثانية، وإن عدتم مرة أخرى للفساد، عدنا إلى العقوبة، وجعلنا جهنم للكفار محبساً وسجنأ، لا يقدر على الخروج منها أبداً. والحصير: مكان الحبس والتضييق.

٩- إن هذا القرآن يرشد لأقوم الطرق والحالات: وهي توحيد الله والإيمان والإسلام، ويشتر المؤمن برسالة التوحيد، الذين يعملون صالح الأعمال التي أمر الله بها أن لهم ثواباً عظيماً، يشترهم بشارتين: ثوابهم، وعقاب أعدائهم، وهو ما يأتي في الآية التالية.

١٠- وأن الذين لا يؤمنون بالقيامة وما فيها من حساب، أعدنا لهم عذاباً شديداً الأليم، وهو عذاب النار.

١١- ويدعو الإنسان على نفسه وأهله بالشر أو الضر عند الضجر أو الغضب كدعائه بالخير لنفسه ولأهله، كطلب الجاه والمال والعافية، وكان الإنسان متعجلاً في الأمور.

١٢- وجعلنا الليل والنهار علامتين دالتين على

كمال القدرة والحكمة والوحدانية، فجعلنا آية الليل محوطة مظلمة لا نور فيها للراحة والسكن، وجعلنا آية النهار مضيئة لإبصار الأشياء فيها، لتطلبوا في النهار رزقاً ومعاشاً من فضل الله، ولتعلموا بتعاقبهما عدد السنوات، وحساب الشهور والأيام، وكل شيء من أمر الدنيا والدين بيننا واضحاً.

١٣- وكل إنسان أزمنته عمله من خير أو شر لزوم الطوق في العتق، أي أعماله ملازمة له، ونخرج له يوم القيامة صحيفة عمله، مفتوحة أمامه غير مطوية، تشتمل على أعماله الصالحة والسيئة.

١٤- ويقال له ولو كان أمياً: اقرأ كتابك (صحيفتك) الذي فيه جميع أعمالك مدونة، كفى بنفسك اليوم محاسباً وشاهداً على أعمالك.

١٥- من اهتدى إلى الحق والإيمان، فثواب اهتدائه له، ومن انحرف عن طريق الحق والإسلام فإثمته على نفسه، ولا يحمل إنسان ذنب إنسان آخر، وإنما يتحمل ذنب نفسه فقط، ولم تكن بمقتضى عدل الله معذنين أحداً على الغيبيات والتعدييات، حتى نرسل لقومه رسولاً يبين لهم ما يجب عليهم، وما لهم من حقوق. نزلت الإشارة في الهدى إلى أبي سلمة بن عبد الأسود، وفي الضلال إلى الوليد بن المغيرة.

١٦- وإذا أردنا إهلاك أهل قرية أشد إجرامهم، أمرنا بالطاعة والخير المتعمين فيهم وهم القادة والمتسلطون وأصحاب الثروة، فخرجوا عن أمرنا، فوجب عليهم العذاب، فأهلكناهم إهلاكاً شديداً وخربنا ديارهم.

١٧- وكثيراً من الأم الكافرة السابقة كعاد وثمود من بعد نوح أهلكناهم لكفرهم وتكذيبهم الرسل، وحسبك أيها النبي أن الله عالم بنو بعباده، مطلع عليها، مبصر بها لا يخفى عليه شيء.



مَنْ كَانَ رَبِيدًا فَلْيَعْلَمْ تَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا
لِوَجْهِهِ بَصُلًا مَدْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ
وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا
﴿١٩﴾ كَلَّا يَذَّهَبُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ
رَبِّكَ مَحْطُورًا ﴿٢٠﴾ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ
وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَتَجْعَلَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿٢٢﴾ وَضَعِيَ رُبُّكَ لِأَتَقَدَّرَ إِلَّا
إِيَّاهُ وَيَا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَحْسَنَّا إِنَّمَا يَتْلَعْنَ عِنْدَكَ الْكِبْرَ أَحَدُهُمْ أَوْ
كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لِهَاتَيْنِ مَعًا أَوْ لَآئِنَّهُمَا وَقُلْ لِهَاتَيْنِ مَعًا ﴿٢٣﴾
وَأخْفِضْ لِهَاتَيْنِ أَلْيَ الْأَيْدِي مِنَ الرِّمَّةِ وَقُلْ رَبِّ رَحْمَهُمَا كَمَا
رَبَّيْنِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَبِّكُمْ أَكْبَرُ إِنَّمَا فِي نَفْسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَادِقِينَ
فَأَنْتُمْ كَانُوا لِلْأُولَٰئِينَ عَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَآيَاتِ الْقُرْآنِ حَقُّهُ وَالْمَسْكِينِ
وَأَنَّ السَّبِيلَ وَلَا تَبْذُرْ بِنَدِيرٍ ﴿٢٦﴾ إِنْ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ
السَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَأَمَّا نَعْرَضُنَّ عَنْهُمْ
أَنْبَاءَ رَحْمَتٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ هُمْ قَوْلًا يُبْسِرُونَ ﴿٢٨﴾

١٨- من كان يريد بعمله الدنيا وحدها ومتاعها السابق على الآخرة، عجلنا له في الدنيا ما نشاء نحن لمن نريد التسعجيل له منهم، لا ما يشاؤه المرید، ثم جعلنا له في الآخرة بسبب تركه العمل لها جهنم يدخلها ملوماً عقوباً، مطروداً من رحمة الله تعالى .

١٩- ومن أراد بعمله الآخرة، وعمل لها العمل المطلوب من الطاعات، وهو مؤمن بإيماناً صحيحاً لا شرك فيه ولا تكذيب، فأولئك الجامعون للشروط الثلاثة، كان عملهم مشكوراً عند الله تعالى، أي مقبولاً عنده ومثاباً عليه .

٢٠- كلاً من الفريقين نعطي ونيسر مرة بعد أخرى، من رزق ربك بمحض التفضل، وما كان رزق ربك وفضله ممنوعاً عن أحد يستحقه .

٢١- انظر أيها الإنسان بعين الاعتبار كيف فضلنا بعضهم على بعض في الرزق والقوة والصحة والجاه والحكمة بالغة لا تتركها العقول العادية، ودرجات التفاضل في الآخرة أعظم، وأكثر وأعلى تفضيلاً من تفاضل الدنيا، فيلزم الاعتناء بالآخرة أكثر .

٢٢- لا تجعل أيها الإنسان في عبادتك مع الله إلهاً آخر مشاركاً له، فتصير مذموماً من الله وملائكته وصاحبي عبادته، مغلوباً خائباً لا ناصر لك، يخذلك

الله تعالى .

٢٣- وأمر ربك أمراً قطعياً وحكم بالآخرة بالناس إلا الله وحده، وبأن تحسنوا للوالدين إحساناً شاملاً، إن بلغ في رعايتك وكفالتك أحد الوالدين أو كلاهما، فلا تؤذهما بأذى كقول كلمة «أف» التي تدل على التصجر والثقل، ولا تزرجهما بغلظة، وقل لهما قولاً جميلاً ليناً .

٢٤- وأظهر لهما التذلل والتواضع، لفرط رحمتك بهما، وقل : يا رب ارحمهما واعطف عليهما كما رحمتني ويرياني حال الصغر .

٢٥- ربكم أعلم بما في ضمائرهم من الإخلاص وغيره في الطاعة، إن تكونوا طائعين لله قاصدين للصلاح، ووقع منكم هفوة في حقهما مثلاً، ثم تبتنم، فإن الله كثير المغفرة للذنوب التوايين الراجعين إلى طاعته .

٢٦- وأعط ذا القرابة حقه من البر والصلة، وأعط المحتاج حقه من الزكاة، والمنقطع في سفره، وتصدق عليهم عند الحاجة من صدقة النفل، ولا تنفق المال في غير موضعه المطلوب شرعاً، وهو مجاوزة الحد المستحسن شرعاً في الإنفاق من الحلال، والإنفاق في غير الحق . نزلت في الوصية بهؤلاء .

٢٧- إن المبذرين قرناء الشياطين؛ لأن الإسراف من إغراء الشيطان، وكان الشيطان شديد الكفر لنعم ربه .

٢٨- وإن أعرضت لضرورة عن هؤلاء المذكورين من ذوي القرابة والمسكين وابن السبيل، حياءً من الرد، لطلب رزق تنتظره، فتعطيهم منه، فقل لهم قولاً سهلاً ليناً، بأن تعدهم بالمعطاء في المستقبل . نزلت في كل من كان يسأل النبي ﷺ من المساكين .

وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ
 مَلُومًا مَّحْضُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ
 كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً
 إِمَّا يَكُنْ رِزْقُهُمْ وَإِنَّمَا كُنَّ الْقُلُوبُ كَانَتْ خَطَا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا
 تَقْرُبُوا الزَّوْجَ الَّذِي أَنْتُمْ كَانُوا فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا
 النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا
 لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلْيَسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا
 تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا
 بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا بِالْعَيْلِ إِذَا كَلَّمْتُمْ
 وَزَوْجًا بِالْقِسْطِ اسْتَنْقِذْ ذَلِكُمْ خَيْرًا وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾
 وَلَا تَنْفُخْ مَا لَكَ مِنَ الْعِلْمِ بِهٖ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ
 كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَحْسَبِ فِي الْأَرْضِ حِجَابًا لَكَ لَنْ نَحْرِفَ
 الْأَرْضَ وَلَنْ نَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَلِكُمْ كَانَ سَيِّئَةً عِنْدَ رَبِّكَ
 مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ
 مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْفَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ﴿٣٩﴾

٢٩- لا تمسك يديك عن الإنفاق كمن ربطت يده إلى عنقه، أي لا تكن بخيلاً، ولا تتوسع في الإنفاق إلى حد الإسراف، فتصير ملوماً عند الله وعند الناس، نادماً مغموماً. قال النبي ﷺ لعائشة: أنفق ما على ظهر كفي، قالت: إذن لا يبقى شيء، فأنزل الله ﴿ولا تجعل يدك...﴾.

٣٠- إن ربك يوسع الرزق لمن يشاء، ويضيقه على من يشاء، لحكمة ترجع إلى صالح العباد، إنه سبحانه كان وما زال عالماً بكل شيء، فيرزق عباده على حسب مصالحهم.

٣١- ولا تقتلوا أولادكم خوف الفقر، كما كان يفعل بعض الجاهليين، نحن نرزق الأولاد ونرزقكم، ولستم أنتم الرازقين، وقدم هنا رزق الأبناء؛ لأن القتل خشية الفقر بسببهم، وفي الأنعام قدم رزق الآباء؛ لأن القتل بسبب فقر الآباء، إن قتلهم كان إثماً كبيراً: عظيماً.

٣٢- ولا تقربوا الزنى ومقدماته؛ إنه كان فعلة قبيحة بالغة القبح، ويشس طريقاً هو؛ لأنه يؤدي إلى النار، وإلى اختلاط الأنساب، والوقوع في الأمراض الخطيرة، والاعتداء على الأعراض.

٣٣- ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الاعتداء عليها بسبب عصمة الدين أو العهد لإقتلًا بحق، كالردة، وزنى المحصن، والقصاص من القاتل عمداً عدواناً،

ومن قتل عدواناً من غير سبب شرعي، فقد جعلنا لأقرب ورثته سلطة على القاتل: إن شاء قتل بإشراف الحاكم وقضائه، وإن شاء عفا، وإن شاء أخذ الدية، فلا يتجاوز الحد المشروع بقتل غير القاتل أو قتل أكثر من واحد أو التمثيل بالقاتل وتعديبه، إنه أي الولي كان مؤيداً معاناً من الله، ومن الحاكم يتمكن من القصاص العادل.

٣٤- ولا تقربوا مال اليتيم بالإتلاف أو الإفساد إلا بالطريقة الحسنى من حفظ وتنمية وإنفاق منه على اليتيم، مستمرين على هذا النحو حتى يبلغ اليتيم رشده: وهو تمام العقل وحسن التصرف، وأوفوا بالعهود: تكاليف الله، والمعاهدات مع الناس إلا بمسوغ النقص، فإن صاحب العهد مسؤول عن احترامه وتنفيذه.

٣٥- وأموا الكيل إذا كَلَّمْتُمْ، وزنوا بالميزان المعتدل الذي لا جور فيه، وإيفاء الكيل والوزن خير لكم وأفضل في الدنيا بتوفير حسن السمعة وترغيب العاملة، وأحسن عاقبة ومآلاً في الآخرة.

٣٦- ولا تتبع ما لا علم لك به، ولا تتدخل فيما لا يعنك، إنك مسؤول عند الله يوم القيامة عما تستعمل به أدوات السمع والبصر والقلب، في الخير أو في الشر، فهذه الأعضاء أمانة عندك.

٣٧- ولا تمش في الأرض مشية تكبر وتفاخر، إنك لن تثقب الأرض حتى تبلغ آخرها بكبرك، ولن تصل إلى الجبال بتطاولك. وفي هذا تهكم بالمخال، وحذله عن التعالي.

٣٨- كل المذكور من النواهي، كان المنهي عنه من الصفات مكروهاً عند الله، غير راض به، ويعاقب عليه.

٣٩- تلك التكاليف وهي خمسة وعشرون من الأوامر والنواهي من جملة ما أوحى الله إليك أيها النبي من الأحكام المحكمة والخير والموعظة، ولا تجعل مع الله إلهاً آخر في العبادة، فيكون شريكاً مرفوضاً، تلتقي في جهنم موبخاً مطروداً من رحمة الله. والحكمة في الأصل: معرفة الحق لذاته، والمراد هنا أن هذه الأحكام: من الآيات المرشدة للحكمة.

أَفَأَسْفَنُكُمْ رَبُّكَ بِالْبَيْنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْتَابًا يُنكِرُونَ
لَقَوْلُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿١٦﴾ وَقَدْ صَرَفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ
لِيَذْكُرُوا وَمَا يَزِيدُهُمُ إِلَّا نُفُورًا ﴿١٧﴾ فَلَوْ كَانَ مَعَهُ رِيءَ آلِهَةٍ كَمَا
يَقُولُونَ إِذَا لَا يَنْفَعُونَ إِلَّا ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿١٨﴾ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَى
عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ سُحِبَ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ
وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسْحَبُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ
لَأَنْفَقَهُنَّ نَسِيحَةً أَنْتَ لَئِنْ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ
الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا
مَسْتُورًا ﴿٢١﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي
أَذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِرْتِ رَبِّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحُذِرُوا وَكُلُوا عَلَى
أَذْيُرِهِمْ نُفُورًا ﴿٢٢﴾ مَن أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ
إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ مُجْرِمُونَ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا نَسْتَعِينُ
الْأَرْجُلَ سَحُورًا ﴿٢٣﴾ أَنْظَرَ كَيْفَ صَرُّوا لَأَنَّ
الْأَمْثَالَ فَضَّلُوا فَلَا يَسْطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٢٤﴾ وَقَالُوا أَوَإِذَا
كَانَ عِظْمًا وُرْقًا أَوْ تَابِيعُونَ خُلُقًا جَدِيدًا ﴿٢٥﴾

٤٠- هل خصمكم ربكم أيها المشركون بالذكر، واختار لنفسه الإناث من الملائكة؟ إنكم بهذا الافتراء لتقولون قولاً عظيماً الإنكار بإضافة الأولاد إليه تعالى، وذلك يوجب عقاباً شديداً.

٤١- ولقد بينا في هذا القرآن أنواع البيان من الأمثال والوعد والوعيد ليتعظوا ويتذكروا، وما يزيدهم ذلك إلا نفوراً وبعداً عن الحق.

٤٢- قل أيها النبي للمشركين: لو كان مع الله آلهة كما يزعمون، إذن لطلبوا طريقاً إلى الله رب العرش صاحب الملك المطلق للمغالبية ومحاولة الإسهام بنصيب من الملك، كما يفعل الملوك عادة في اقتسام السلطة والملك.

٤٣- تنزه الله تعالى عن أي شريك، وتعاضم وتباعد عن هذه المزاعم والأقوال الباطلة، تعالياً كبيراً لا يحده عن اتخاذ الشركاء.

٤٤- تنزه الله عما لا يليق به، وتقده السماوات السبع والأرض ومن فيهن من مخلوقات (الملائكة والإنس والجن وغيرهم مما لا يعقل) تنزيهاً على حقيقته، أو بلسان الحال؛ إذ تدل بوجودها وإتقانها على وجود خالقها الواحد الأحد، وما من شيء من الحيوان والنبات والجماد إلا ينزه الله، ولكن لا

تفهمون أيها البشر تسييحهم؛ لأنه بخلاف لغاتكم، إنه سبحانه كان وما يزال حليماً بعباده العصاة لا يعاجلهم بالعقاب، كثير الغفران لمن تاب وأناب.

٤٥- وإذا قرأت أيها النبي القرآن، جعلنا بينك وبين الذين لا يصدقون بالآخرة حاجباً مانعاً، ساتراً لك عنهم، فلا يرونك، والمراد جعلنا حواجز تمنعهم من الانتفاع وفهم مدارك القرآن بسبب إعراضهم عن القرآن وتغافلهم عنك.

٤٦- وجعلنا أيضاً على قلوبهم أغطية لئلا يفهموا القرآن، وفي آذانهم ثقلاً وصمماً يمنعهم عن استماعه استماع تأمل وتدبر، وإذا ذكرت أيها النبي ربك وحده من غير ذكر آلهتهم، رجعوا على أعقابهم هرباً لئلا يسمعوا. نزلت حينما قال النبي ﷺ في بيت أبي طالب: يا معشر قريش قولوا: لا إله إلا الله، تملكون بها العرب، وتدين لكم العجم، فولوا، فنزلت هذه الآية.

٤٧- نحن أعلم بالحال التي يستمعون بها القرآن، وهم مستهزونون بك وبالقرآن، حين يستمع المشركون إليك في تلاوة القرآن، وحين يتناجون سراً بتكذيب القرآن والاستهزاء به، وحين يقول المشركون: ما تتبعون إلا رجلاً مسحوراً، فصار مخبول العقل مجنوناً.

٤٨- انظر أيها النبي كيف جعلوا لك أمثالاً مختلفة لعنادهم وإغراقهم في كفرهم، فقالوا عنك: ساحر، وكاهن، وشاعر، ومجنون، فأخطؤوا طريق الهدى والحق، فلا يجدون طريقاً إليه.

٤٩- وقال المشركون منكرو البعث: أئذا كنا عظاماً بالية، وبقايا مفتتة متكسرة، أننا لمبعوثون خلقاً جديداً يتمتع بالحياة بعد الممات؟!

٥٠. قُلْ لَهُمْ أَيُّهَا النَّبِيُّ: كُونُوا أَيُّ شَيْءٍ، فَلَوْ كُنْتُمْ
 حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا، لِأَعَادِكُمْ اللَّهُ كَمَا بَدَأَكُمْ.
 ٥١. أَوْ كُونُوا خَلْقًا آخَرَ مَا تَسْتَعِدُّ عَقُولُكُمْ قَوْلَهُ
 لِلْحَيَاةِ، مِمَّا هُوَ أَصْلَبُ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْحَدِيدِ، فَإِنَّهُ
 يَحْيِيكُمْ وَيُعِثُّكُمْ، فَسَيَقُولُونَ: مَنْ الَّذِي يَعِدُنَا إِلَى
 الْحَيَاةِ؟ قُلْ لَهُمْ: سَيُعِيدُكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ فِي الْمَرَّةِ
 الْأُولَى، وَلَمْ تَكُونُوا شَيْئًا، فَسَيُحَرِّكُونَ إِلَى جِهَتِكَ
 رُؤُوسَهُمْ اسْتِهْزَاءً وَتَعْجِبًا، وَيَقُولُونَ: مَتَى هَذَا
 الْبِعْثُ؟ قُلْ لَهُمْ: لَعَلَّهُ يَكُونُ قَرِيبًا وَقَوْعُهُ، وَكُلُّ آتٍ
 قَرِيبٌ.
 ٥٢. يَوْمَ يناديكم ربكم من القبور على لسان
 إسرئيل، فتجيبون الداعي حامدين الله تعالى على
 كمال قدرته، وتحسبون أنكم لم تمكثوا في قبوركم إلا
 زمنًا قليلًا، أولم تبقوا في مدة حياتكم إلا فترة
 قصيرة، بسبب الأحوال التي تشاهدونها يوم القيامة.
 ٥٣. وقُلْ أَيُّهَا النَّبِيُّ لِعِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ: قُولُوا عِنْدَ
 حِوَارِ الْمُشْرِكِينَ الْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ وَالْعِبَارَةَ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
 مِنْ غَيْرِهَا بِالرَّفْقِ وَاللِّينِ، لِاسْتِمَالَتِهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ؛
 لِأَنَّ الْمَخَاشِنَةَ مَنفَرَةً عَنِ الْإِجَابَةِ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَفْسُدُ
 بَيْنَهُمْ بِالْوَسْوَسَةِ، إِنَّ الشَّيْطَانَ عَدُوٌّ ظَاهِرُ الْعِدَاةِ
 لِلْإِنْسَانِ. أَفْرَطَ الْمُشْرِكُونَ فِي إِيْذَانِهِمْ رَسُولَ اللَّهِ
 ﷺ، فَنَزَلَتْ.

٥٤. ربكم أعلم بكم أيها المشركون، إن يشأ يوفقكم للإيمان، وإن يشأ يمتكم على الكفر ويعذبكم تعذيبًا، وما
 أرسلناك أيها النبي عليهم موكلاً في منعهم من الكفر، وإجبارهم على الإيمان.

٥٥. وربك أعلم بأحوال جميع الموجودين في السموات والأرض، فيختار منهم من يشاء للنبوَّة، ولقد فضلنا
 بعض الأنبياء على بعض بمزايا، كاتخاذ إبراهيم خليلًا، وموسى كليمًا، وجعل عيسى كلمة الله وروحه، وسليمان
 ذا ملك عظيم، وتخصيص محمد بالإسراء والمعراج ومغفرة ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وجعله خاتم النبيين،
 وأعطينا داود الزبور.

٥٦. قُلْ أَيُّهَا النَّبِيُّ لِلْمُشْرِكِينَ: ادعوا الذين توهمتم أنهم آلهة، وكذبتم في ذلك، من غير الله كالملائكة وعيسى
 وعزير وغيرهم من العقلاء، أما الأصنام فأبطل الله ألوهيتهم في آيات أخرى، وانتظروا منهم العون أو المدد، فلا
 يقدرُونَ إِزَالَةَ الضَّرِّ كَالْفَقْرِ وَالْمَرَضِ عَنْكُمْ، وَلَا تَحْوِيلَهُ عَنْكُمْ لِغَيْرِكُمْ، لِعَجْزِهِمُ الْمَطْلُوقِ. قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: كَانَ
 نَاسٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعْبُدُونَ نَاسًا مِنَ الْجِنِّ، فَاسْلَمَ الْجِنِّيُّونَ، وَاسْتَمْسَكَ الْآخَرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ
 الْآيَةُ.

٥٧. أولئك الذين يعبدهم المشركون ويتخذونهم آلهة من دون الله كالملائكة والمسيح يطلبون ما يقربهم إلى الله
 بالطاعة والعبادة، ويطلب القربة الذي هو أقرب منهم إلى الله، فكيف بحال الأبعد؟ ويرجون رحمة ربهم،
 ويخافون عذابه كغيرهم من سائر العباد، فكيف تزعمون أنهم آلهة؟ إن عذاب ربك يحذرهُ كل أحد.

٥٨. وما من أهل قرية (بلد) ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي إلا سيهلكون قبل يوم القيامة: إما بموت، وإما
 بعذاب شديد يستأصلهم بالقتل أو غيره، كان ذلك الإهلاك والتعذيب مدونًا مكتوبًا في اللوح المحفوظ.

٥٩. وما معنا من الإتيان بالمعجزات المادية المحسوسة التي طلبها كفار مكة إلا علمنا بأنهم سيكذبون بها كما كذب بها السابقون، فاستحقوا الإهلاك العام بمقتضى سنتنا، ونحن لا نريد إغناءهم؛ لأنه قد يؤمن بعضهم، وأتينا قبيلة ثمود قوم صالح الناقة آية بينة واضحة على قدرتنا وصدق صالح عليه السلام، فظلموا أنفسهم بالكفر بها، وعقروها، فأهلكناهم، وما نرسل المعجزات مع الرسل إلا تخويفاً للمكذبن، لتعلمهم يتعظون فيؤمنون. قال ابن عباس: سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً، وأن ينحى عنهم الجمال، فيزرعوا، فقيل له: إن شئت أن كفرتم أهلكتهم، كما أهلكت من قبلهم، قال: بل أستأني بهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

٦٠. واذكر أيها النبي حين قلنا لك: إن ربك أحاط بالناس علماً وقدرة، فهم في قبضته وتحت قدرته، فبلغهم الرسالة، وما جعلنا الرؤيا التي أريناك عيناً ليلة الإسراء، وهي مشاهدة آيات الله وعجائبه كما في صدر السورة: ﴿لنريه من آياتنا﴾ [١] وما جعلنا شجرة الزقوم الملعون أكلها التي تثبت في أصل الجحيم دون احتراق إلا اختباراً لأهل مكة وامتحاناً لهم، ونخوفهم بها

وَمَا مَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ
وَمَا لَنَا نَعُودَ النَّاقَةَ مُصْرَعَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ
الْآتِيَاتِ ٥٩ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا
جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ الْآفَاقَةَ لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ
فِي الْقُرْءَانِ وَنَخُوفُهُمْ مَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ٦٠
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ
قَالَ أَ سَجِدُ لِمَنْ خَلَقْتَنِي طِينًا ٦١ قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي
كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَنْ أُوْحِرَّنَّ إِلَيْ يَوْمِ الْعِقَابِ إِنْ كُنْتُ نَذِيرًا
إِلَّا قَلِيلًا ٦٢ قَالَ أَذَهَبَ فَمَنْ يَتَّبِعُكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ
جَهَنَّمَ جَزَاءُ مَنْ جَزَاءُ مَنْ قَوْماً ٦٣ وَأَسْتَغْرِزُ مَنْ أَسْطَعْتُ
مِنْهُمْ بَصُوكَ وَأَحْبَبْتُ عَلَيْهِمْ بَيْعِيكَ وَوَجَّهْتُ وَجْهِيَ لَكَ
فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَيْدُهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّاطِرُ إِلَّا
عُرُودًا ٦٤ إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكفى
بِرَبِّكَ وَكِيلًا ٦٥ رَبِّكُمْ الَّذِي يُرْسِلُ لَكُمْ الْفَلَكَ
فِي الْبَحْرِ لِيُنْزِلَ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ هُوَ إِلَّا كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ٦٦

وبالآيات، فما يزيدهم تخويفنا وإرسال الآيات إلا زيادة وتعرداً في الكفر. أصبح الرسول ﷺ يوماً مهموماً، فقيل له: ما لك يا رسول الله؟ لا تهتم، فإنها رؤيا تنالهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وما جعلنا الرؤيا﴾. وقال أبو جهل وغيره: زعم صاحبكم أن نار جهنم تحرق الحجر، ثم يقول: ينبت فيها الشجر. وزعم أن شجرة الزقوم: هي طعام الشريد باللين، فنزلت ﴿والشجرة..﴾.

٦١. واذكر حين قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم سجود تحية وتكريم بالانحناء، فسجدوا جميعاً إلا إبليس أبى وقال: أسجد للمخلوق من طين؟! و ﴿خلقت طيناً﴾ معناه خلقته من طين.

٦٢. قال إبليس: أخبرني يا رب عن هذا الذي فضلته علي، لم فضلته، وأنا أكرم منه؟ أي لا أعرف سبباً لهذا التكريم، لئن أهملتي إلى يوم القيامة لأستولين عليهم بالإغواء والإضلال، إلا قليلاً منهم ممن عصمتهم، فلا سلطة لي عليهم.

٦٣. قال الله: امض لشأنك، فمن أطاعك منهم، فإن جهنم جزاؤك وجزاؤهم جزاء وأفراً كاملاً.

٦٤. واستخف بصوتك وإغرائك وسوستك من استطعت من ذرية آدم داعياً لهم إلى المعاصي، وصح عليهم بشدة، مستعيناً بجنودك الفرسان والمشاة الراجلين، وشاركهم في الأموال بإنفاقها في الحرام، والأولاد بتحصيلهم بالزنى، وتشجيعهم على وأد البنات، وعذمهم بالأبعث ولا جزاء وغير ذلك من الوعود الباطلة والأمانى الكاذبة كشفاعة الأصنام، وما يعدهم الشيطان إلا وعداً باطلاً خادعاً.

٦٥. ليس لك على عبادي الصلحاء المخلصين يا إبليس سلطة وقدرة على إغوائهم، كفى بربك حافظاً لهم منك.

٦٦. ربكم الله وحده الذي يجري، ويسير لكم السفن في البحر، لتطلبوا الرزق من فضله تعالى بالتجارة والسعي، إنه كان بكم كثير الرحمة بالإنعام عليكم، والاهتداء لمصالح دنياكم.

٦٧- وإذا تعرضتم لشدة أو لحوف الغرق في البحر، غاب عن خاطركم وذهب عنكم من تعبدون من الآلهة، فلا تدعونه، وإنما تدعون الله وحده؛ لأنكم تعلمون أنكم في شدة لا يكشفها إلا الله، ولا تنفعكم الأصنام ونحوها، فلما نجّاكم من الغرق، ووصلتم إلى البر، أعرضتم عن الإيمان بوحانية الله، وعدتم إلى دعاء أصنامكم، وكان الإنسان الكافر جحوداً للنعم.

٦٨- أنجوت من الغرق فأمنتم الخسف الأرضي في البر: بأن تنهار الأرض من تحتكم، أو يرسل عليكم ريحاً شديدة مهلكة حاصبة، ترمي بالحصباء، أي الحصى والحجارة الصغيرة، ثم لا تجدوا لكم حافظاً وناصرًا يمنع العذاب عنكم.

٦٩- أم أنتم أن يعيدكم في البحر مرة أخرى لأغراض مماثلة أو طارئة، فيرسل عليكم ريحاً شديدة تقصف السفن، أي تحطمها وتكسرها، فيغرقكم بسبب كفركم، ثم لا تجدوا لكم علينا تابعاً يطالبنا بالثأر.

٧٠- ولقد فضلنا بني آدم بحسن الخلقة وميزناهم بالعقل والتمييز والعلم والفهم، وحملناهم في البر على الدواب وغيرها من المراكب، وفي البحر على السفن، ورزقناهم من لذائذ المأكول والمشارب،

وفضلناهم على كثير من المخلوقات أي غير الملائكة تفضيلاً كبيراً، والمراد تفضيل الجنس.

٧١- واذكر يوم ندعو يوم القيامة كل أمة بمن اتصوا به من نبي أو كتاب منزل عليهم، ونعطي كل إنسان كتاب أعماله، فمن أعطي كتابه من المدعوين يمينه، وهم السعداء، فأولئك يقرؤون كتابهم الذي أعطوه فرحين، ولا يتقصون شيئاً من الثواب على أعمالهم. والقتيل: الخيط المستطيل في شق النواة، يضرب به المثل للقلقة والتفاهة.

٧٢- ومن كان في هذه الدنيا أعمى البصيرة أو القلب، فهو في الآخرة أعمى البصر، لا يهتدي إلى طريق النجاة، وأبعد طريقاً عنه.

٧٣- وإن قاربوا أن يوقعوك في الفتنة: وهي المحنة الشديدة، ويخدعوك بظنهم، بمجاملتهم في دينهم، ولكنه عليه السلام معصوم محفوظ عن الفتنة، ليصرفوك عن الذي أوحينا إليك من أحكام الأوامر والنواهي والوعد والوعيد، لو فعلت ذلك واتبعت أهواءهم لاتخذوك صديقاً مخلصاً. نزلت في جماعة من قريش كآبي جهل وأمينة ابن خلف، قالوا يا محمد، تعال تمسح بآلهتنا، وندخل معك في دينك، وكان يحب إسلام قومه، فأنزل الله هذه الآية.

٧٤- ولولا أن ثبتناك على الحق بالعصمة، لقد قاربت أن تميل إليهم ميلاً قليلاً، لشدة احتياليهم وإلحاحهم، ولكن أدركتك عصمتنا، فامتنعت من أدنى ميل إليهم.

٧٥- لو قاربت مجاراتهم في أهوائهم، لأذقناك ضعف عذاب الدنيا وضعف عذاب الآخرة، أي مثلي ما يعذب به غيرك في الدنيا والآخرة، ثم لا تجد لك ناصرًا يمنع العذاب عنك.

وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُه فَلَمَّا نَجَّيْكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخَسِّفَ بِكُرْحَابِ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وِكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَسْتَمْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْهَا بِدِيْعًا ﴿٦٩﴾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِيمَانِهِمْ فَمَنْ أَوْتَى كُتُبَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كُتُبَهُمْ وَلَا يَظُنُّونَ فِيهَا لَئِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَةً وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدَّتْ تَرْتِكُنَ آلِهَتَهُمْ شَتَّىٰ فَلْيَلِجُنَّكَ الْإِنَّمَاءُ لَوِ اتَّخَذْتُمُ الْحَيَوَةَ وَضَعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْهَا نَصِيرًا ﴿٧٤﴾



وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ
خَلْقَكَ الْأَلْفِيلَا ﴿٧٦﴾ سِتَّةَ مِّنْ قَدْرٍ رَّسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا وَلَا
نُحَدِّثُكَ نَبَأًا مَّخْبُورًا ﴿٧٧﴾ أَوْ الصَّلَاةُ إِذْ لَوْ كِ الْشَّمْسُ إِلَى عَسْفِ
الْبَلِّ وَوَرَى أَنْ الْقُرْآنَ قُرْءَانًا مَّشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ
فَهَجَّدَ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُلْ
رَبِّ دَخَلْتَنِي مَدْحَلٍ صِدْقٍ وَأَخْرَجْتَنِي مَخْرَجٍ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ
لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَى الْبَاطِلُ إِنْ الْبَاطِلُ
كَانَ زُهُوفًا ﴿٨١﴾ وَيُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ
وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا أُنْمِتْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أُعْرِضَ
وَتَابِعَانِي بِهِ وَإِذَا سَأَلَ الشَّرْكَانَ يُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَمُوجُ عَلَىٰ سَاكِنَتِهِ
فَرِحَ أَكْمَلُ مِّنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَسَيُؤَنِّقُكَ عَنِ الرُّوحِ قُلْ
الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَإِن شِئْنَا
لَنَنْهَيْنَ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَآتِيكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكَلَامًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً
مِّنْ رَبِّكَ إِنْ فَضَّلْنَاكَ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ رَّبِّكَ لَنُؤْتِيَنَّكَ الْإِسْرَافَ وَالْجِنُّ عَلَىٰ
أَنْ أَوْعَيْتَ هَذَا الْقُرْآنَ لَأَيُّوُنَ عَمَّا لَوْ كَانُوا بِعَصْمِهِمْ لَعَسَآ أَن يَكُونُوا

٧٦- وإن قاربوا أن يزعجوك أيها النبي، لإخراجك من أرض مكة، ولكن منعهم الله من ذلك، ولو أخرججوك، لا يكون بعدك إلا زمناً قليلاً، ثم يهلكون. قال اليهود للنبي ﷺ: إن كنت نبياً فالحق بالشام أرض الحشر، وأرض الأنبياء، فغزا غزوة تبوك- يريد الشام- فلما بلغ تبوك، أنزل الله هذه الآية، وأمره بالرجوع إلى المدينة.

٧٧- سُئِنَا المَقْررة: إهلاك الأمم السابقة الذين أخرجوا رسلهم من ديارهم، وهي سُئِنَا بك كمن قبلك، ولا تجهد تغييراً أو تبديلاً لستنا.

٧٨- أتم الصلاة- صلاة الظهر- لزوال الشمس عن كبد السماء، وميلها عن وسط السماء إلى جهة الغرب، ثم أتم صلاتي المغرب والعشاء عند مجيء ظلمة الليل، ثم أتم صلاة الفجر (الصبح) إن صلاة الفجر وما فيها من قرآن تشهدا ملائكة الليل وملائكة النهار.

٧٩- وفي جزء من الليل وهو الثلث الأخير منه، صل أيها النبي صلاة التهجد بعد النوم، فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة، لعل الله يبعثك يوم القيامة ويقمك في المقام المحمود الذي يحمدك عليه الناس جميعاً وهو مقام الشفاعة العظمى في فصل القضاء.

٨٠- وقل أيها النبي: رب أدخلني المدينة أو في كل أمر ديني ودينوي إدخالاً مرضياً، وأخرجني من مكة أو من الدنيا إخراجاً مرضياً، وهب لي من عنك قوة تنصرتني بها على أعدائك. والسلطان: الحجة البينة، والنصير: الناصر المعين.

قال ابن عباس: كان النبي ﷺ بمكة، ثم أمر بالهجرة، فنزلت عليه: ﴿وقل: رب أدخلني...﴾.

٨١- وقل أيها الرسول عند دخول مكة: ظهر الحق وهو الإسلام، واضمحل الباطل: وهو الشرك والكفر، إن الباطل كان وما زال مضمحلًا.

٨٢- ونزّل عليك أيها الرسول من القرآن ما هو شفاء للقلوب من الشك والشرك أو الضلالة، ورحمة سابغة للمؤمنين، ولا يزيد الكافرين إلا هلاكاً وانحرافاً، لتكذيبهم وكفرهم به.

٨٣- وإذا أنعمنا على أي إنسان بالصحة والسعادة، أعرض عن شكر نعمة ربه، وإذا أصابه مرض أو فقر كان قنوطاً من رحمة الله.

٨٤- قل: كل إنسان يعمل على مذهبه وطريقته في الهدى والضلال، فربكم أعلم بمن هو أسد طريقاً وأقوم منهجاً.

٨٥- ويسألونك أيها النبي عن حقيقة الروح وهي ما يحيا به الإنسان، قل لهم: الروح من إبداعات ربي، وما علمكم إلا شيء قليل من علم الله. قالت قريش لليهود: علمونا شيئاً نسأل هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح، فسأله، فأنزل الله هذه الآية.

٨٦- لو شئنا لمحونا حفظ هذا القرآن من القلوب والكتب، ثم لا نجد من يتوكل ويتعهد لك برد شيء منه.

٨٧- لكن لا نشاء ذلك، وأبقيناه محفوظاً في صدرك رحمة من ربك، إن فضله عليك أيها النبي كبير حيث جعلك رسولاً.

٨٨- قل أيها الرسول: لئن اجتمعت الإنس والجن معاً على الإتيان بمثل هذا القرآن في كمال البلاغة والفصاحة وجزالة اللفظ لم يتمكنوا من ذلك، ولو كان بعضهم معيماً وناصباً للبعض الآخر. قال بعض اليهود للنبي ﷺ: ليس هذا القرآن متناسقاً، كتناسق التوراة، فأنزل علينا كتاباً نعرفه، وإلا جئناك بمثل ما تأتي به، فنزلت هذه الآية.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَتْ
 أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُهُودًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى
 تَجِيءَنَا مِنَ الْأَرْضِ بِبُيُوتٍ ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَجِيلٍ
 وَعَنْ فَخْرٍ الْأَنْهَارِ خَلَّهَا تَجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءُ
 كَمَا زُحَّمَتْ عَلَيْنَا كَمَا أَفَاءَ فِي بِلَدِهِ وَالْمَلِيكَةَ قِبَلًا ﴿٩٢﴾
 أَوْ تَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرَى فِي السَّمَاءِ وَلِنَ تَوْمِينَ
 لِرُفُوكَ حَتَّى نُنزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ
 كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا
 إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٤﴾
 قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَسْمَعُونَ مَطْمَئِنِينَ لَنَزَلْنَا
 عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكَاتُ رَسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كُنْ بِاللهِ شَهِيدًا
 بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَنْ يَهْدِ
 اللهُ فَمَا لَهُ هَادٍ وَمَنْ يَضِللْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُمَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ
 وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمُيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا
 فَأُولَئِكَ جَزَاءُ كَمَا خَبِتَ زُودَهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾

٨٩- ولقد بيننا للناس في هذا القرآن مختلف أنواع البيان للاستدلال على الحق وكررنا المعاني على وجوه مختلفة ليؤمنوا ويستقيموا، وأتينا بأوجه الترغيب والترهيب وقصص الأولين ليقدّم الناس على العمل ويحذروا التقصير، فأبى أكثر الناس من أهل مكة وغيرهم إلا جحودا للحق وإنكاراً لإنزال القرآن من عند الله. وقوله: ﴿من كل مثل﴾ أي من كل معنى هو كالمثل في غرابته وتأثيره في النفس.

٩٠- وقال زعماء الشرك في مكة: لن نصدقك حتى تفجر لنا ينابيع الماء وعيونها، وتجربها دون أن تنضب.

٩١- أو يكون لك بحكمة بستان تظله الأشجار، فتجري الأنهار وسطها فتجيراً غزيراً قوياً.

٩٢- أو تطلب إسقاط قطع من السماء كما زعمت أو ادعت بوعيد الله لنا، أو تأتي بالله لنراه عياناً، وباللائكة لنشاهدهم مقابلة جماعة بعد جماعة، يشهدون لك بصحة رسالتك.

٩٣- أو يكون لك بيت من ذهب، أو تصعد أمامنا في معارج السماء، ولن نصدق بصعودك حتى تنزل علينا كتاباً يصدقك ويأمرنا باتباعك، قل

لهم أيها الرسول: تنزيهاً وتقديساً لربي أن يفعل ما أريد وأن يتدخل أحد في سلطانه؛ لأنه الفعال لما يريد، لست أنا إلا واحداً من البشر، مرسلًا كسائر الرسل، أبلغكم رسالة ربي، لا يستطيع أحد من الرسل أن يأتي بآية إلا بإذن الله تعالى. نزلت هذه الآيات في رؤساء قريش الذين طالبوا النبي ﷺ بهذه المطالب تعجيزاً ومعاندة وإحراجاً.

٩٤- وما منع الناس في الماضي وفي عصرك أيها النبي عن الإيمان بالله وبما أنزل حين مجيء وحى الهداية إلا أن أنكروا أن يكون الرسول من جنس البشر.

٩٥- قل لهم أيها الرسول: إن كل رسول من جنس المرسل إليهم، فلو كان في الأرض ملائكة يسرون فيها على الأقدام، مستقرين فيها، لأرسلنا إليهم ملكاً رسولاً من جنسهم، ليتفاهم معهم.

٩٦- قل لهم أيضاً: يكفيني الله شاهداً على صدق رسالتي، إنه تعالى كان وما يزال عليمًا بأحوال عباده، مطلعاً على جميع أعمالهم ظاهراً وباطناً.

٩٧- ثم يخبر الله تعالى عن إطلاق تصرفه في خلقه ونفاذ حكمه، فهو وحده القادر على الهداية، فمن يهده الله للإيمان ببيان سبيل الهداية، فهو المهتدي الموفق، ومن يضل الله من الناس بخذلانه عن الحق وبتعريف طرق الضلال وإعراضهم عن هداية ربه، فلا تجد لهم نصراً يتولون أمرهم ويدافعون عنهم، من غير الله، وتجمعهم بسرعة يوم القيامة مسحوبين على وجوههم، تجرهم الزبانية عمياً لا يبصرون ما يسرون، وبُكماً لا ينطقون بما يقبل، وُصماً لا يسمعون ما يلد، أي إنهم في متاهة حيارى لزيادة إيلاهم، مسكنهم جهنم، كلما خمدت نارها وسكن لهبها، تزداد بهم توقداً وتسعرا بشدة.



٩٨- ذلك العذاب في جهنم هو جزاؤهم، بسبب جحودهم بآيات الله التكوينية والتزليلية، وعدم تفكرهم بها، وإنكارهم بعثة الرسل، وتكذيبهم بالبعث والحساب قائلين: أنذا صرنا عظماً بالية، وأجزاء متفتتة كالتراب، سنبعث خلقاً جديداً بعدئذ؟! ٩٩- فرد الله عليهم: أو لم يعلموا- في رؤية قلبية- أن الله الذي أبدع السموات والأرض قادر على إيجاد أمثالهم، وهم بعض المخلوقات؟ وجعل لهم وقتاً محدداً للموت والبعث، لا شك في وقوعه حتماً، فأبى المشركون إلا جحوداً وإنكاراً.

١٠٠- قل لهم أيها النبي لبيان سبب رفض مطالبهم: وهو الشح، ولو أنكم ملكتم خزائن الأزواق، لبعيتهم على الشح والبخل مخافة الفقر، وكان الإنسان الكافر بخيلاً منوعاً.

١٠١- ولقد آتينا موسى تصديقاً لنبوته تسع علامات دالة على صدق رسالته، مساوية لمطالب أهل مكة، فلم يؤمن بها فرعون وقومه، مع وضوحها وكونها معجزات حسية، والآيات التسع: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والعصا، واليد البيضاء، والسنين المجذبة، ونقص الثمرات، والأصح غير المشهور جعل الطمس على الأموال،

والطبع على القلوب كما تقدم بدلاً من العصا واليد، فاسأل أيها الرسول مؤمني بني إسرائيل في عصرك عن هذه الآيات، فإنهم لا يكذبون بها، فتقوم الحجة على قومك، فقال فرعون لموسى: إني لأعتقد أنك يا موسى مسحور، أي سحر فاختلط عقله، فصار مخبول العقل. وجاءهم، أي جاء موسى إلى بني إسرائيل وفرعون بالرسالة.

١٠٢- قال موسى لفرعون: لقد علمت يا فرعون، ما أنزل تلك الآيات إلا رب السموات والأرض دلالات بينات على قدرته ووحدانيته وصدق رسالتي، وإني لأعتقد أنك يا فرعون هالك خاسر. والظن في الآيتين بمعنى اليقين.

١٠٣- فأراد فرعون أن يخرج موسى وقومه بني إسرائيل من أرض مصر، ويبيدهم عنها، فأغرقناه ومن معه من جنوده جميعاً.

١٠٤- وقتلنا من بعد إهلاك فرعون لبني إسرائيل: أقيموا في الأرض التي أراد فرعون أن يبيدهم منها أو الأرض المقدسة، فإذا وقع يوم القيامة، جئنا بكم جميعاً من قبوركم، أنتم وهم، اختلط المؤمن بالكافر.

١٠٥- ما أنزلنا القرآن من عندنا إلا بالحق الذي لا شك فيه، وما نزل إلا بشيء حق مقترن بالشرائع والعقائد الحقنة التي لا باطل فيها، والحق الأول صفة الإنزال من الله، والثاني صفة ما في القرآن من عقائد وأحكام. وما أرسلناك يا محمد إلا مبشراً المطيعين بالجنة، ومنذراً مخوفاً بالعصاة بالنار.

١٠٦- وأنزلنا القرآن مفرقاً منجماً على مدى ثلاث وعشرين سنة، لا جملة واحدة، لتقرأه على الناس على مهل وتؤدة، ليكون أقرب إلى الفهم وأسهل للحفظ، ونزغناه تنزيلاً، أي شيئاً بعد شيء، بحسب الحاجة أو المصلحة، ومقتضى الحكمة.

ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَوْذَا كَمَا عَظَمْنَا
وَرَفَعْنَا أَيْدِيَنَا لِلْمَعْيُونُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ
الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ
وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلَ آرِثٍ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ الْإِكْفَارَ ﴿٩٩﴾
فَلَوْ أَنَّهُمْ عَلِمَ كُنُوزَ رَبِّ إِنْ أَلَمَسُكَ خَشْيَةَ
الْإِقْتِافِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ سِنْعَ
ءَالِيَتٍ بَيْنَكَ فَسَأَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ
فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يُمُوسَىٰ مَسْمُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ
مَا أَنْزَلْنَا هَؤُلَاءِ بِالْآرِبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي
لَأَظُنُّكَ يُفْرَعُونَ مُشْبِرًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِرَهُمْ
مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقَتَلْنَا مَنْ بَعْدَهُ
لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَسْكَنُوا الْأَرْضَ فَإِن جَاءَهُمْ وَعَدَا الْآخِرَةَ
جُنَاتِكُمْ لِنَيْفًا ﴿١٠٤﴾ وَإِلْحِقْ أَنْزَلْنَاهُ وَإِلْحِقْ تَزَلُّكًا وَمَا
أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقَوْلُهُ أَنَا فَرَقْنَاهُ
لِنُفْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مَكِّكَ وَتَزَلُّكُهُ تَزِيلًا ﴿١٠٦﴾

قُلْ ءَاْمَنُوْا بِهٖٓ اَوْ لَا تُوْمِنُوْا اِنَّ الَّذِيْنَ اُوْتُوْا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهٖٓ اِذَا بُدِئَ عَلَيْهِمُ مَّحْرُوْجٌ لَّا دَفْقَانَ ﴿١٧﴾ وَيَقُوْلُوْنَ سُبْحٰنَ رَبِّنَا اِنْ كٰنَ وَعْدُ رَبِّنَا لِمَفْعُوْلٍ ﴿١٨﴾ وَمَحْرُوْجٌ لَّا دَفْقَانَ يَكُوْنُ وَرِيْدَهُمْ خُشُوْعًا ﴿١٩﴾ قُلْ اَدْعُوْا اللّٰهَ اَوْ اَدْعُوْا الرَّحْمٰنَ اَيَّٰمًا لَّا تَعْوَفَلَهٗ اَلْاَسْمَاءُ الْحُسْنٰى وَلَا تَجْهَرُ بِصَلٰتِكَ وَلَا تَخَافُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذٰلِكَ سَبِيْلًا ﴿٢٠﴾ وَقُلْ اَتَّخَذَ اللّٰهُ الَّذِيْ لَوْ تَجَدَّدَ لَوْلَا اَنْ يَّكُنْ لَّهُ شَرِيْكٌ فِى الْمَلِكِ وَمَنْ يَّكُنْ لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّنْيَا وَكَبِيْرَةٌ مَّكِيْدًا ﴿٢١﴾



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

اَتَّخَذَ اللّٰهُ الَّذِيْ اَنْزَلَ عَلٰى عَبْدِهٖ الْكِتٰبَ وَلِيًّا لِّمَنْ يَّجْعَلُ لَّهُ عِوَجًا ﴿١﴾ فَمَا لِيُبَدِّلَ اَسَاسًا شَدِيْدًا مِّنْ لَّدُنْهٖ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِيْنَ الَّذِيْنَ يَعْمَلُوْنَ الصّٰلِحٰتِ اَنْ لَهُمْ اَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّا كُنْ فِيْهِ اَبْرًا ﴿٣﴾ وَيُبَدِّلُ الَّذِيْنَ قَالُوْا اَتَّخَذَ اللّٰهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا اَبَآءُ بِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ اَفْوَاهِهِمْ اِنْ يَقُوْلُوْنَ اِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾

١٠٧- قل أيها النبي لمشركي مكة على سبيل التهديد: آمنوا بالقرآن، فإن الإيمان يضعكم أنتم، أو لا تؤمنوا، فإن ترك الإيمان يضركم أنتم وحدكم، إن علماء أهل الكتاب المؤمنين من قبل نزول القرآن الذين عرفوا حقيقة الوحي كورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو وابن نفيل، وعبد الله بن سلام إذا يتلى عليهم هذا القرآن يسقطون على وجوههم، مسارعين للسجود خاشعين، تعظيماً لأمر الله، وشكراً على إنجاز وعده ببيتك أي النبي.

١٠٨- ويقولون وهم ساجدون: تنزه ربنا عن تخلف الوعد، إن وعد ربنا بإنزال القرآن وبعثة النبي ونصر المؤمنين ومجيء البعث والحساب أت فعلاً.

١٠٩- ويسجدون على وجوههم باكين من خشية الله، ويزيدهم سماع القرآن تواضعاً لله. وكرر ذلك للتأكيد على تأثير القرآن في المؤمنين.

١١٠- قل أيها النبي للمشركين المنكرين اسم الرحمن: ادعوا الله ونادوه قائلين: يا الله أو يا رحمن، فله تعالى كلا الاسمين، وبأي اسم تدعونه أو تتادونه به، فهو حسن، فله الأسماء الحسنى أي المستقلة بصفات الجلال والإكرام، ولا تجهر أيها النبي في القراءة بصلاحتك، حتى لا يوذوك، ولا تخفض صوتك بها إلى حد لا يسمعك أحد، وتوسط بين الجهر والإسرار. سمع المشركون النبي ص يقول في دعائه: يا الله، يا رحمن، فقالوا: انظروا إلى هذا الصابئ، ينهاتنا أن ندعو إلهين وهو يدعو إلهين، فنزل مطلع الآية، ونزل آخرها حينما سب المشركون القرآن ومن أنزله.

١١١- وقل أيها النبي: الشكر والثناء الكامل لله الذي لا ولد له، رداً على اليهود والنصارى، والمشركين القائلين بأن الملائكة بنات الله، ولا شريك له في الملك والسلطان رداً على المشركين الوثنيين والشنوية القائلين بتعدد الآلهة، ولم يحتج لموااة أحد لذل يلحقه، فلا يحتاج لمعين ولا نصير، وعظم ربك تعظيماً تاماً متزهاً عن الولد والشريك. فنزلت حينما قال اليهود والنصارى: اتخذ الله ولداً، وقالت العرب: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك، وقال الصابئون والمجوس: لولا أولياء الله لذل.

سورة الكهف

فضلها: وردت أحاديث صحاح في فضل هذه السورة منها: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف، عصم من الدجال» ومنها: «من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف، عصم من فتنة الدجال».

١- الثناء الجميل على الله الذي أنزل القرآن على عبده محمد ﷺ ولم يجعل له ميبلاً عن الحق والصواب، ولا اختلافاً في اللفظ أو المعنى، أو اختلافاً فيه.

٢- مستقيماً محتدلاً، لا إفراط فيه ولا تفریط في التكاليف والأحكام، ليخوف بالعباد الناس، ويبشر المؤمنين الصادقين بما فيه الذين يعملون الأعمال الصالحة بالجنة والثواب الحسن.

٣- مقيم في نعيم الجنة إلى الأبد.

٤- ويخوف بالعذاب الذين نسبوا الولد أو الشريك لله.

٥- ليس لهم بهذا القول ولا بأبائهم دليل علمي صحيح، وإنما عن تقليد أو كذب، عظمت كلمة تخرج من أفواههم، فهي كلمة الكفر، وما يقولون إلا مجرد كذب وزور.

فَلَمَّا كَبُحَ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ
 أَسَافًا ۖ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَهُمْ
 أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُثًا
 ﴿١٠﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيِّ كَانُوا مِنْ آلِنَا
 عَجَبًا ۚ إِذْ أَوْيَ الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا
 مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۚ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ
 آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۚ ثُمَّ بَدَأْنَا مِنْ آتِي
 الْحَرِيِّنَ أَحْيَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمْكًا ۚ فَنَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم
 بِالْحَقِّ أَنَّهُم فَتِنَةٌ مِّنْ أَمْوَالِهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ۚ وَرَبَطْنَا
 عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن
 نَدْعُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذْ شَطَطًا ۚ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا
 اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَّوَلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ
 فَمِنْ أَظْمَلٍ مِّنْ أَظْمَلٍ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۚ وَإِذْ أَعْرَضُوا عَنْهُمْ
 وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْذَىٰ إِلَى الْكَهْفِ بِنِسْرِكَ
 رَبُّكُمْ مِنْ رَّحْمَتِهِ وَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَأًا ۚ

٦- فلعلك أيها النبي مهلك نفسك، من بعد
 توليهم عن الإيمان، إن لم يؤمنوا بهذا القرآن تأسفاً
 وحرزنا منك على موقفهم هذا، فلا يحزنك ذلك؛
 لأن مهمتك تبليغ رسالة الله، ولست مكلفاً إدخال
 الإيمان في قلوبهم.

٧- إنا جعلنا ما على الأرض من حيوان ونبات
 وجماد وشجر زينة لها، لنختبرهم ونظهر أيهم
 أصلح عملاً، فموقف المشركين محل اختبار
 وامتحان.

٨- وإنا لجاعلون يوم القيامة ما على الأرض من
 زينة تراباً ظاهراً، يابساً لا نبات فيه ولا زينة.

٩- بل أظننت أيها النبي أن أصحاب الكهف أي
 الغار في الجبل، واللوح الحجري الذي كتبت عليه
 أسماؤهم، كانوا وحدهم فقط عجباً من آياتنا؟ لا
 تظن ذلك، فإن آياتنا كلها عجب. نزلت هذه
 الآية وقصة أصحاب الكهف عند سؤال
 قريش النبي ﷺ عن ثلاثة أمور، منها هذه،
 بتوجيه اليهود.

١٠- حين لجأ أصحاب الكهف الشباب إلى
 غارهم فراراً بدينهم من الفتنة، قالوا: ربنا آتنا من
 عندك رحمة خاصة: وهي المغفرة في الآخرة، والأمن من الأعداء، والرزق في الدنيا، ويسر لنا الهداية إلى
 المطلوب الذي نحب وترضاه، بمفارقة الكفار.

١١- فأنتناهم نوماً عميقاً لا يشعرون فيه بالأصوات سنين كثيرة معلومة العدد.

١٢- ثم أيقظناهم من نومهم، لنعلم أي الفريقين المختلفين منهم في مدة نومهم أضبط لمدة بقائهم نياماً.

١٣- نحن نخبرك تفصيلاً بخبرهم على وجه الدقة والصواب والصدق: إنهم شبيبة آمنوا بالله إيماناً خالصاً
 من الشرك، وزدناهم ثباتاً على الإيمان وتوفيقاً إليه.

١٤- وقويت قلوبهم وعزائمهم بالصبر على الشدائد، حين قاموا بين يدي ملكهم الجبار دقلديانوس، وقد
 أمرهم بالسجود للأصنام، فرفضوا وقالوا: ربنا رب السموات والأرض، لن ندعو من غيره إلهاً معبوداً، فإن
 دعونا غيره، قلنا قولاً مجاوزاً الحد في البعد عن الحق والصواب.

١٥- هؤلاء جماعتنا في هذا البلد اتخذوا من غير الله آلهة يعبدونها، هلا يأتون على ألوهيتهم وعبادتهم
 بحجة واضحة، فلا أحد أشد ظلماً ممن اختلق الكذب على الله، فزعم، أن له شريكاً في العبادة.

١٦- ولأجل أنكم يا معشر الفتية تجنبتكم قومكم وما يعبدون من الآلهة سوى الله، فالجئوا إلى الكهف
 واجعلوه مأواكم، ييسط الله عليكم شيئاً من رحمته، فينقذكم من شر قومكم وملكهم، ويسر لكم من
 أمركم ما تترفقون به وتتفنون بحصوله من مرافق الحياة الضرورية.

وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوُجَعْنَ كَهْفَهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا
 غَرَبَتْ تَقَرَّبُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ
 اللَّهِ لَعَلَّكُمْ مِنْهُدًى اللَّهُ هُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا
 مُرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَحَسِبُهُمْ أَيْقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنَقَلْنَاهُمْ ذَاتَ
 الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلَّمَهُمْ بَيْطُ ذُرَاعِهِ بِأَلْوَصِيدٍ لَوْ
 اطَّلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلَّتْ مِنْهُمُ رِجْمًا ﴿١٨﴾
 وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْنَا
 قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَالْوَارِثُ عَلَّمَ بِنَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا
 أَحَدَكُمْ يَورِثُكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَهْبَأُ مِنْكُمْ فَأُتِيَهُمْ
 فَأَيُّكُمْ يَرْزُقُ رَبَّهُ وَلَيْسَ لَطْفٌ وَلَا يُعْرَبُ مِنْكُمْ أَحَدٌ ﴿١٩﴾ إِنَّمِ
 أَنْ يَطَّهَرُوا وَعَلَيْكُمْ بِالْحَيَاةِ وَأُوعِدْكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا
 إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ لِيَعْلَمُوا أَنْ وَعَدَ اللَّهُ
 حَقًّا وَأَنَّ السَّاعَةَ لَأَرِيبٌ فِيهَا إِذْ يَسْتَرْعُونَ بِأَمْرِ رَبِّهِمْ
 فَقَالُوا آتِنَا عَلَيْهِمْ نَبِيًّا ذُرِّيَّهُمْ عَلَّمَهُمْ نَبِيًّا
 الَّذِينَ عَلَّمُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَحْذَنَ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿٢١﴾

١٧- وتنتظر الشمس حين تطلع تميل وتنحرف عن كهفهم ناحية اليمين من باب الغار، وإذا غربت تركهم وتتجاوز عنهم شمال الكهف، فلا تدخل الكهف، وهم في وسط الكهف ومتسعة، ذلك الحاصل لهؤلاء الفتية من تحول الشمس عنهم وحفظ أبدانهم في حال الحياة، من دلائل قدرة الله، من يوفق الله للهداية والحق والخير فهو المهتدي، ومن يخذل الله ويبعده عن رحمته، فلن تجد له ناصرًا يليه ويرشده.

١٨- وتظنهم أيقاظًا منتبهين؛ لأن أعينهم مفتحة قليلاً، وهم في الواقع نيام، ونقلبهم جهة اليمين وجهة الشمال، لئلا تأكل الأرض أجسادهم، وكلبهم (قطمير) باسط يديه في فناء الكهف من جهة الباب، لو نظرت إليهم لأدبرت هرباً من منظرهم، ولملت منهم خوفاً وفزعاً يملاً الصدر.

١٩- وكما فعلنا بهم ما ذكر من النوم والحفظ، أيقظناهم ليتساءلوا فيما بينهم عن مدة لبثهم في الكهف، قال أحدهم: كم لبثتم في النوم، قال بعضهم جواباً للسائل: لبثنا يوماً أو بعض يوم لدخولهم الكهف أول النهار، ويقتتهم آخر النهار، ثم قالوا لبعضهم: ريكم هو الأعم مدة لبثكم، ثم اتجهوا لما هو الأهم بسبب إحساسهم بالجوع، وقالوا: أرسلوا أحداً يمشي بهذه العملة الفضية إلى المدينة وهي إفسوس ويقال لها اليوم: طرسوس، فلينظر أي المأكلات أطيب وأحل طعاماً، فليأتكم بطعام منه تأكلونه، وليكن متلطفاً في المعاملة حتى لا يغبن ولا يكشف أمره، ولا يعلمن بكم أحداً من الناس.

٢٠- إن أولئك الوثنيين من أهل المدينة، إن اطلعوا عليكم وعلموا بمكانكم، قتلوكم رمياً بالحجارة، أو صيروكم كرهاً في ملتهم الوثنية، ولن تفلحوا حيثنأ أبدأ إن عدتم في ملتهم.

٢١- وكما بعثناهم من نومهم، أطلعنا قومهم عليهم، وهم أحياء، ليعلم القوم أن وعد الله بالبعث حق ثابت، وأن القيامة آتية لا شك فيها، فلما شاهدوهم آمنوا بالبعث، ثم أماتهم الله، أعثرنا عليهم حين تنازع القوم في شأنهم بعد وفاتهم، فقال بعضهم بعد إمامتهم: ابنا حولهم بنياناً يستريحهم - والله ربه أعلم بشأنهم من المتنازعين فيهم - قال أصحاب النفوذ من القوم: لنبنين عليهم مكاناً للعبادة، وكان هذا جائزاً في شرعهم، ثم نهى الإسلام عن اتخاذ المساجد على القبور.

٢١- وكما بعثناهم من نومهم، أطلعنا قومهم عليهم، وهم أحياء، ليعلم القوم أن وعد الله بالبعث حق ثابت، وأن القيامة آتية لا شك فيها، فلما شاهدوهم آمنوا بالبعث، ثم أماتهم الله، أعثرنا عليهم حين تنازع القوم في شأنهم بعد وفاتهم، فقال بعضهم بعد إمامتهم: ابنا حولهم بنياناً يستريحهم - والله ربه أعلم بشأنهم من المتنازعين فيهم - قال أصحاب النفوذ من القوم: لنبنين عليهم مكاناً للعبادة، وكان هذا جائزاً في شرعهم، ثم نهى الإسلام عن اتخاذ المساجد على القبور.

٢٢- سيقول المختلفون في قصتهم وعددهم من أهل الكتاب والعرب أقوالاً كثيرة، فمنهم من يقول: هم ثلاثة رابعهم كلبهم، وبعضهم يقول: هم خمسة سادسهم كلبهم، قولاً ظناً في أمر غيبي من غير يقين، ويقول آخرون: هم سبعة وثامنهم كلبهم، ولعل هذا أقرب للصواب للسكوت عنه وعدم إدخاله في الرجم بالغيب، قل لهم أيها النبي: ربي أعلم بعددهم الحقيقي منكم أيها المختلفون، لا يعلم عددهم إلا قليل من الناس، فلا تجادل فيهم اليهود والمشركين إلا جدالاً ظاهراً: وهو بمقدار ما أوحينا إليك به، من غير تعمق في التفاصيل، ولا تسأل في قصتهم أحداً من أهل الكتاب، ففي هذا الوحي كفاية.

٢٣، ٢٤- ولا تقولن لشيء تعزم عليه: إني فاعل ذلك غداً أو في المستقبل، إلا بقرنه بمشيئة الله بقولك: إن شاء الله؛ لأن وجود كل شيء بمشيئة الله تعالى، واذكر ربك بالتسبيح والتكبير والاستغفار إذا نسيت تعليق الأمر بمشيئة الله، ولو بعد القول، وقل إذا سئلت عن شيء لا تعلمه:

لعل الله يوفقني إلى أمر آخر أقرب من هذه القصة إلى الخير والمصلحة. قال ابن عباس: حلف النبي ﷺ على يمين، فمضى له أربعون ليلة، فأنزل الله هذه الآية.

٢٥- وبقي الفتية نائمين في كهفهم ثلاث مئة سنين وتسع سنين هلالية، وهي ثلاث مئة سنة شمسية. ٢٦- قل أيها النبي: الله أعلم بمدّة لبثهم في الكهف من اختلافوا فيها، هو المختص بعلم الغيب في السموات والأرض، ما أحد أبصر ولا أسمع من الله!! ليس للمخلوقات من غير الله من ولي يتولى أمورهم، وليس لأحد الاشتراك فيما يبرمه الله من أحكام ويدبر من قضاء.

٢٧- اقرأ أيها النبي ما أوحى إليك في القرآن، واعمل بما فيه، لا مغيّب لشيء مما أخبر الله به، أو حكم به من الأحكام التي جاءت في كلماته، ولن نجد من دون الله ملجأً وحصناً.

٢٨- التزم الصبر والثبات والمعايشة أيها النبي مع أولئك الضعفاء الذين يدعون ويعبدون ربهم في جميع الأوقات، في الصباح والمساء، يريدون بعبادتهم رضا الله وطاعته، ولا تصرف عينك النظر عنهم إلى غيرهم ممن غرّبهم الدنيا، تقصد بتركهم مجالسة العظماء والأغنياء الذين تزين بهم الدنيا، ولا تطع من جعلنا قلبه غافلاً عن القرآن وذكر الله، وأثر هواه على الحق، فاختر الشرك على التوحيد، وتجاوز حد الاعتدال. والفرط: الأمر الضائع الذي لا منفعة فيه. نزلت في جماعة من أشرف قريش طلبوا من النبي ﷺ تنحية الفقراء من أصحابه من مجلسه، حتى يتبعوه، أو يخصصهم بمجلس دونهم.

سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا لَيْسَ لَهُمُ الْإِقْلِيلُ فَالْأَمْرُ فِيهِمْ الْأَمْرَاءُ ظَاهِرًا وَلَا سَمِعَتْ فِيهِمْ قِتْنَةً أَحَدًا ۖ وَلَا يَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ۖ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَآذُنُ الرَّبِّ إِذًا نَسِيتُ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبٍ مِنْ هَذَا رَسَدًا ۖ وَلْيَتُوبُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ۖ قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُمْ عِيبٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ۖ وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لِأَمْبِدَلٍ لِكَلِمَتِهِ وَلَنْ يَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۖ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَالْعَيْنِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تَضَعْ مِنْ أَحْفَافِنَا قَلْبَهُ عَنِ ذِكْرِنَا وَاتَّبِعْ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ۖ

٢٩- وقل أيها النبي للمشركين الذين طلبوا طرد الفقراء من مجلسك: الحق المقرر ومنه القرآن ما يكون من جهة الله تعالى، لا من طريق الهوى وغير الله من البشر، حتى يجري فيه التبديل والتغيير، فمن شاء منكم فليؤم بالإسلام والقرآن، فهو الحق والخير، ومن شاء منكم الكفر بهذا الدين فليكفر، وهذا تهديد لهم ووعيد، إنا أعدنا وهياناً للظالمين: الكافرين ناراً عظيمة، أحاطت بهم من كل جانب، كإحاطة الخيمة (أو الفسطاط) بمن تحتها، وإن يستغيثوا من شدة العطش، يغاثوا بماء كعكر الزيت، أو الشيء المذاب من المعادن كالنحاس والرصاص، يشوي الوجوه من شدة حرارته، يشرب المهل هو، وساءت النار مقراً ونزلاً.

٣٠- إن الذين صدقوا بالله ورسوله، وعملوا صالح الأعمال، لا نضيع أجرهم على ما أحسنوا من أعمال.

٣١- أولئك المؤمنون العاملون لهم جنات إقامة دائمة، تجري من تحت غرفهم ومساكنهم الأنهار، يلبسون فيها أساور الذهب، ويلبسون الثياب

وَقُلْ الْحَيُّ مِنْ دُونِكُمْ فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِشَاءِ فَلْيُكْفِرْ مِنِّي أَنَا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهَا وَمَنْ أَرَادَ أَن يَبْتَغِ غَيْرَهَا يَبْتَغِهَا كَمَا هَلْ يَشْوَى لَوَجْوهُ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَقَقًا ٢٩ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ٣٠ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُجِئُونَ فِيهَا مِنْ أَسْوَدٍ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خضراءَ تَبْدِيلًا لَمْ يَكُن فِيهَا مِنْ قَبْلِهَا شَيْءٌ وَأَصْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا لِرَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَجَعَلْنَاهُمَا بَنخْلًا جَمْعًا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ٣١ كُنَّا الْجَنَّتَيْنِ تَاتَا أَكَلَهُمَا وَنَحَلْتُهُمَا مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَزَا لَهُمَا نَهْرًا ٣٢ وَكَانَ لَهُمَا تَرْمِيمًا لِصَنِيعِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْرَمُ مِنْكَ مَا لَا وَعَظُّ نَقَرَ ٣٣ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ٣٤ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَى رَبِّي لَأُجِدَنَّ حِزْبًا مِمَّنْهَا مُنْقَلَبًا ٣٥

الخضراء من رقيق الحرير وثخينه، يجلسون في الجنة على الأسرة والوسائد، نعم الثواب: الجنة ونعيمها، وحسنت أرائك الجنة متكأ.

٣٢- واضرب أيها الرسول للمشركين مثلاً يعتبرون به، أي مثل لهم حال المؤمن والكافر بحال رجلين: أحدهما غني كافر، والثاني فقير مؤمن، جعلنا للكافر بستاتين من كروم العنب، وأحطناهما بنخل، وجعلنا بين النخيل والعنب زرعاً. يقال: إنهما كانا أخوين من بني إسرائيل، ورثا أربعة آلاف دينار، فصنع أحدهما بماله ما ذكر وأثرى، وأنفق الآخر ماله في طاعة الله حتى افتقر، والتقى، ففخر الغني ووبخ المؤمن، فجرت بينهما هذه المحاوره.

٣٣- كل واحدة من الجنتين (البستاتين) أعطت ثمارها، ولم تنقص من ثمرها شيئاً، وشققنا وسط كل منهما نهراً يسقيهما دائماً.

٣٤- وكان لصاحب الجنتين ثمر آخر غير العنب والنخيل، أي أموال أخرى، فقال لصاحبه المؤمن الفقير، وهو يتحدث معه: أنا أكثر منك مالاً، أي أغنى، وأعز جانباً بالأولاد والعشيرة.

٣٥- ودخل الكافر الغني بستاته مع صاحبه يطوف به فيه، وهو ظالم لنفسه بكفره وتكبره، قال بسبب غفلته: ما أعتقد أن تتلف هذه الجنة أبداً، لافتتانه بالدنيا.

٣٦- وما أعتقد أن القيامة كائنة، ولئن رجعت إلى ربي بالبعث في الآخرة، كما زعمت، لأجدن في الآخرة خيراً مما وجدت في الدنيا مرجعاً وعاقبة، لتوافر أهليتي لذلك.



٣٧- قال له صاحبه وهو يحاوره: أَكْفَرْت بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَكْرَنَ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَا لَأُؤَلِّدًا ﴿٣٩﴾ فَسَوَّى رَبِّي أَن يُؤْتِنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَبِيبًا زَلْفًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحُ مَاؤَهَا غُورًا فَلَنْ يَسْتَطِيعَ لَهُ طَلْبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطُ بِمَكْرِهِ فَتَأْتِي بِقَلْبِكَ كَفْهًا عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصِرًا ﴿٤٣﴾ هَذَا كَلِمَةُ التَّوَلَّيْتُ لِلَّهِ الْحَقُّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْطَأَ بِهِ نَبَاتَ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَلِيغَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرًا أَمَلًا ﴿٤٦﴾

٣٨- لكنني أنا أقول: هو الله ربي، ولا أشرك بربي أحدًا في العبادة، أي كما فعلت أنت.

٣٩- وهلا قلت عند دخول بستانك وإعجابك به: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، للاعتراف بأن جنتك وخيراتنا بمشيئة الله بقاء وفناء، إن كنت تراني أنا أقل منك مالاً وولداً. قال النبي ﷺ لأبي موسى: «ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة: لا حول ولا قوة إلا بالله».

٤٠- فلعل ربي أن يعطيني خيراً من بستانك في الدنيا أو في الآخرة، ويرسل على بستانك محسوبا مقدراً، أي صواعق مقدرة، جزاء كفرك، فتصبح أرضاً لا نبات فيها، تنزل عليها القدم، أي تصبح ملحاً مشبعاً بالماء وهي الأرض السبخة التي لا

تصلح للزرع مطلقاً.

٤١- أو يصبح ماؤها غائراً في الأرض، فلن تقدر الوصول إليه أو رده بأي حيلة.

٤٢- وأهلك الله ثمار ذلك الكافر بأفة سماوية، فأصبح يقلب كفيه ظهراً لبطن، تحسراً وندماً، على ما أنفق على عمارتها وإصلاحها من مال، وأضحت تلك الجنة خربة، ساقطة على دعائمها المنصوبة للكروم، ويقول: يا ليتني لم أشرك بالله أحدًا.

٤٣- ولم تكن لهذا الكافر جماعة ينصرونه أو ينقذونه من العذاب من غير الله. ولم يكن متمتعاً بقوته عن الهلاك والانتقام الإلهي.

٤٤- هنالك في مقام الشدة والمحنة النصرة لله وحده، هو سبحانه خير للمؤمن بالشواب الحسن في الدنيا والآخرة، وخير عاقبة طيبة له.

٤٥- واذكر لأولئك المستكبرين ما تشبهه الحياة الدنيا في جمالها وسرعة زوالها، إنها مثل نبات رواء المطر، فصار أخضر بهيجاً، ثم جف النبات وييس، وصار في أسرع وقت متفتتاً تطيره لخطته وتفرقه الرياح، فلا ترك له أثراً، وكان الله على كل شيء قانراً، بالإحياء والإفناء.

٤٦- المال والبنون مما يتزين به في الدنيا، لا في الآخرة، وأعمال الخير الباقية الثمرة أفضل ثواباً وأجدى عائداً لأهلها، وخير ما يرجوه الإنسان العاقل عند الله تعالى ليحيا سعيداً.

٤٧- واذكرو يوم نُزِّلَ الجبال عن أماكنها ونسبها كالسحاب، وهو يوم القيامة، وترى الأرض ظاهرة ليس عليها شيء من جبل وشجر وبناء، وجمعنا الخلاق إلى الموقف من كل مكان، فلم نترك منهم أحداً إلا حشرناه هناك.

٤٨- وعرض الناس مصفوفين، كل أمة صف، لا يحجب أحد أحداً، وقلنا لهم: لقد جئتمونا فرادى، كما خلقناكم في المرة الأولى في الدنيا حفاة عراة، لا شيء معكم من المال والولد، بل زعمتم أيها المنكرون للبعث أن لن نجعل لكم موعداً للبعث والنشور والحساب.

٤٩- وجعل كتاب (صحيفة أعمال) كل إنسان في يده حين الحساب، السعيد في يمينه، والشقي في شماله، فترى المجرمين خائفين مما فيه من الأعمال السيئة، ويقولون: يا هلاكنا، ما شأن هذا الكتاب، لا يترك سيئة صغيرة ولا كبيرة إلا عدّها وأثبتها، ووجدوا ما عملوا في الدنيا من المعاصي

وَيَوْمَ نُسَبِّطُ الْجِبَالَ نَزِيلًا وَنَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْتَهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعَرَضُوا عَلَيْنَا رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا لَيْلَنَّا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَمَنْ يُشْرِكْ بِي فَكُفِّرُوا بِلَيْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴿٥٠﴾ مَا أَشْهَدْتُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مُنْجِبِينَ الْمُضِلِّينَ عَصَدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

مكتوباً مثبتاً في كتاب كل واحد منهم، ولا يعاقب ربك أحداً من غير ذنب، ولا يتجاوز ما حده من الثواب والعقاب.

٥٠- واذكر حين قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم سجود انحاء، للتحية والإكرام، فسجدوا كلهم، إلا إبليس كان مخلوقاً من الجن، فعصى الأمر، وخرج عن طاعة ربه، أفتتخذون إبليس وأتباعه- وسماهم ذرية مجازاً- أنصاراً لكم من دوني، بعد الإباء والفسق، تطيعونهم، وهم لكم أعداء، بنس إبليس وأتباعه في إطاعتهم بدل إطاعة الله تعالى، أو بنس موالة الشيطان بدلاً عن موالة الله تعالى.

٥١- ما أشهدت إبليس وأتباعه خلق السموات والأرض ولا أشهدت بعضهم خلق البعض الآخر، أي ما كانوا شركاء لي في تدبير العالم، وما كنت متخذ المضلين من الشياطين أعواناً.

٥٢- واذكر أيها النبي حين يقول الله: نادوا شركائي الذين زعمتم أنهم شركاء لي من الأوثان وغيرهم ليشفَعوا لكم، فنادوهم فلم يجيبوهم، وجعلنا بين الكفار وألئهم وادياً عميقاً من أودية جهنم، للتفريق بينهم. والموبق: المهلك.

٥٣- ورأى الكفار المجرمون النار، فأيقنوا أنهم واقعون داخلون فيها، ولم يجدوا معدلاً عنها، ولا مكاناً ينصرفون إليه بعيداً عنها.



٥٤- ولقد بينا في القرآن مع الترداد والتكرار الأمثال الكثيرة لأجل مصلحة الناس، ليتعظوا، وكان الإنسان أكثر المخلوقات جدالاً بالباطل.

٥٥- وما منع المشركين في مكة وغيرها أن يؤمنوا بالله ورسوله، حين مجيء القرآن والرسول، وأن يستغفروا ربهم عن سيئاتهم إلا تحقيق سنة الله مع المكذبين السابقين وهي إهلاكهم، أو وقوع العذاب مقابلة وعياناً، كالقتل يوم بدر، والمراد أنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون إلا عند وقوع الهلاك المستأصل، أو حدوث ألوان العذاب في الدنيا.

٥٦- وما نرسل الرسل إلى الأمم إلا مبشرين المؤمنين بالجنة، ومخوفين الكافرين بالعذاب، ويجادل الكفار بالباطل بقولهم: الرسول مجرد بشر، لإبطال الحق وإزائه، واتخذوا آياتي المنزلة وهي القرآن، وما أنذروا به من الوعيد والعقاب استهزاء وسخرية.

٥٧- لا أحد أشد ظلماً ممن ذكر بآيات ربه، فلم يتدبرها ولم يتعظ بها، ونسي ما ارتكب من الكفر والمعاصي، فلم يتب عنها، إننا جعلنا على قلوب الكفار المعاندين أغشية لئلا يفهموا القرآن، وهو الختم على القلوب، وجعلنا في آذانهم ثقلاً في السمع، يمعنهم من استماعه سماع تفهم وتأمل، وإن تدعهم أيها الرسول إلى الهدى: الإيمان والطاعة، فلن يهتدوا أبداً لشدة عنادهم.

٥٨- وربك كثير المغفرة، واسع الرحمة، لو يؤخذ المجرمين بما كسبوا من الكفر والمعاصي والجدال والإعراض، لعاجلهم بالعذاب في الدنيا بمقتضى الحق والعدل، ولكن يمهلهم ويؤخرهم رحمة منه، ولهم وقت محدد للعذاب الأخرى، لن يجدوا من غيره ملجأً وحصناً يحميهم منه.

٥٩- وتلك قرى عاد وثمود ونحوها أهلكناهم لما ظلموا أنفسهم بالكفر وتكذيب الرسل، وجعلنا لهلاكهم وقتاً معيناً.

٦٠- واذكر أيها النبي حين قال موسى بن عمران لخادمه وتلميذه يوشع بن نون من نسل يوسف: لا أزال سائراً، حتى أصل إلى ملتقى البحرين، قيل: بحر الأردن والبحر الأحمر، أي ملتقى خليج السويس بخليج العقبة، وقيل: ملتقى البحر الأبيض والمحيط الأطلسي عند طنجة، أو أسير زماناً طويلاً.

٦١- فلما بلغ موسى وفتاه مجمع البحرين، نسيا زادهما وهو نوع من السمك: حوت مملح في زنبيل، وكان ذلك أمانة على تحقيق المطلوب، فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلطاً، مثل السرب: وهو الشق الطويل المسدود، فدخل فيه واختبأ.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ
الْإِنْسَانُ أَكْثَرِ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا نَعْنُ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا
إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ
الْأُولَىٰ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ
الْإِمْبَرِينَ وَمَنْ دَرِينٌ وَمَجْدِلٌ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَطْلِ
لِيُدْخِلُوا بِهِ الْحَىٰ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا
﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرْنَا بِرَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ
مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ أَنْ جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ
وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ نَدَعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا
أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبِّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا
كَسَبُوا لَاجَلَ الْعَذَابِ لَمْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْجِدًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا
وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْجِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتْنِهِ لَا أَرَىٰ
حَتَّىٰ أَتْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حِمًى ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ
بَيْنَهُمَا نِسَابَ جَاهُتَهُمَا فَأَخَذَسَا فِي السَّيْلِ فِي الْبَحْرِ سَكْرًا ﴿٦١﴾

٦٢ - فلما تركا مجمع البحرين، وسارا في اليوم الثاني إلى وقت الغداء، قال موسى لفتهاه: أتنا غداءنا: وهو الحوت، لقد لقينا هنا هذا تعباً وإعياء.

٦٣ - قال له فتاه: تنبه وأخبرني عما شغلني حين بلنا إلى الصخرة للاستراحة، بذلك المكان عند مجمع البحرين موعد الملاقاة، فإني فقدت الحوت وتركته هناك نسياناً، وما أنساني إلا الشيطان بوسوسته أن أذكر لك حادثة فرار الحوت مني إلى البحر بعد عودة الحياة إليه، واتخذ الحوت طريقاً مثار عجب يتعجب منه موسى وفتهاه.

٦٤ - قال موسى: ذلك وهو فقد الحوت هو الذي كنا نطلبه، فإن موضع فقدته هو علامة لنا على وجود الرجل الذي نريده، فرجعا على طريقهما الذي قدما منه، يتبعان آثارهما تتبعاً، لئلا يخطئا طريق العودة إلى مكان الصخرة.

٦٥ - فلما وصلا المكان وجدا عند الصخرة عبداً صالحاً: هو الخضر في رأي جمهور المفسرين، واسمه بكيا بن ملكان، أتياه ولاية ونعمة وقيل: نبوة، من عندنا، وعلمناه من قبلنا بعض المعلومات الغيبية التي خصصناه بها، والتي رحل موسى للقاءه من أجل تعلمها.

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ إِنِّي جَاءْتُكَ لَمَّا كُنَّا فِي الْبَحْرِ فَأَنْتَ نَسِيتَ هَذَا نَسِيًّا ۗ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيَيْتَ إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسِيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ۗ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّ عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ۗ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنَ لَدُنَّا عِلْمًا ۗ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَيْتَكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مَن يَخْتَارُ رُشْدًا ۗ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۗ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَيْرًا ۗ قَالَ سَجِدُنِي إِنْ سَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۗ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۗ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقْنَاهَا تَغْرِيفًا ۗ أَهْلُهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ۗ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۗ قَالَ لَا نَأْتِيكَ بِمِثْلِهِ بِمَا تَسِبُّ وَلَا تُرِيقُنِي مِنْ أَمْرِ عَسْرًا ۗ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَتَنَاهُ قَالَ أَقْبَلْتُ نَفْسًا رَكِيَةً بَعِيرٍ نَقِسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ۗ

٦٦ - قال موسى للخضر: أتأذن لي أن أكون تابعاً لك على أن تعلمني مما علمك الله، علماً فيه الإرشاد إلي، أي علماً ذا رشد: يدل على الخير؟ وقد يأخذ الفاضل عن المفضول، ويتواضع العالم للأعلم منه.

٦٧ - قال الخضر: إنك لا تطيق الصبر على ما تراه من علمي وأعمالي أثناء المرافقة.

٦٨ - وكيف تصبر يا موسى على شيء لم تعرف حقيقته؟

٦٩ - قال له موسى: ستجدني بمشيئة الله صابراً على ما أرى، وأطيعك فلا أعصي لك أمراً لا يصادم أوامره الله ونواهيه.

٧٠ - قال الخضر: فإن اتبعتني، فلا تسألني عن شيء من أفعالي التي تراها مخالفة، حتى أبتدئك بالبيان وأخبرك عن سببه ومآله.

٧١ - فانطلق موسى والخضر يمسيان على ساحل البحر، فمرت سفينة، فطلبا الركوب فيها، فلما ركبا في السفينة وصارت في وسط البحر، ثقبها الخضر ليعيها، بأن قلع لوحاً ليس من جهة الماء لئلا تغرق، فقال موسى له: أخرجتها لتغرق ركابها، لقد فعلت أمراً غريباً منكراً؟!

٧٢ - قال الخضر: ألم أقل يا موسى، لن تطيق الصبر على أفعالي؟

٧٣ - قال موسى: لا تؤاخذني بنسياني وصيتك، وعاملني بالعفو واليسر، ولا تكلفني عسراً ومشقة في صحبتي إياك بالمواظدة على النسيان، فذلك أمر عسير.

٧٤ - فانطلقا في سيرهما بعد الخروج من السفينة، حتى إذا وجدا غلاماً حدثاً غير بالغ، فقتله الخضر باقتلاع رأسه، فقال موسى له مستنكراً: كيف قتلت نفساً بريئة من الجرائم، بغير قتل نفس موجب للقصاص، لقد فعلت فعلاً منكراً في الدين!؟



٧٥- قال الخضر مكرراً عتابه: ألم أقل لك: لن تطيق معي الصبر على أفعالي. وأضاف هنا لفظ ﴿لك﴾ لتأكيد العتاب وتكرار المخالفة.

٧٦- قال موسى: إن سألتك عن شيء بعد هذه المرة، ففارقني ولا تجعلني صاحباً، قد أعذرت في فراقك لي، أو وجدت عذراً لك، حيث أخالفك ثلاث مرات.

٧٧- فانطلقا يمشيان معاً، حتى إذا وصلا إلى أهل قرية، قيل: هي أبله أو أنطاكية، طلبا إطعامهما، فأبوا ضيافتهما، فوجدوا في القرية جداراً آيلاً للسقوط. وقد استعار الإرادة للمشاركة على السقوط، والعرب تستعمل الإرادة لغير العاقل في معنى القرب. فأعاد الخضر عمارته، أو أنه رده مستقيماً كما كان، جاء في الحديث الصحيح: أنه مسح يده، فإذا هو قد استقام، قال له موسى: لو شئت لطلبت أجراً على إصلاحه، نشرتي به الطعام.

٧٨- قال له الخضر: هذا وقت الفراق بيني وبينك بعد مخالفة الاتفاق ثلاث مرات، وسأخبرك قبل فراقك لك بتفسير أفعالي، وبيان وجه كل فعل، مما لم تطق الصبر عليه.

٧٩- أما السفينة التي خرقتها، فكانت لمساكين ضعفاء ليس لهم مورد رزق غيرها، وهم عاجزون عن مقاومة من يظلمهم، يعملون في البحر بطريق الكراء وأخذ الأجرة، وكان أمامهم في طريقهم ملك ظالم يغتصب من أصحابها كل سفينة صالحة غير معيبة.

٨٠- وأما الغلام الذي قتلته فكان كافراً، وأبواه مؤمنان، فحفظنا أن يحملهما على تجاوز الحد المشروع، والضلال، والكفر بربهما، لشدة محبتهما له، وتأثرهما ببوله.

٨١- فأردنا أن يرزقهما الله ولداً آخر خيراً منه صلاحاً ودينياً وتطهراً من المعاصي، وأقرب منه رحمة لو الديه وبراً بهما وعطفاً عليهما.

٨٢- وأما الجدار الذي أصلحته، فكان لغلامين يتيمين في البلدة المذكورة سابقاً، وكان تحته كنز مدفون من ذهب، وكان أبوهما رجلاً صالحاً تقياً، وأدى صلاحه لحفظ مال ولديه، فأراد ريك أن يبلغ الغلامان الرشد: إحسان التصرف، ويستخرجا الكثر من تحت الجدار، وكان هذا التدبير رحمة من الله لهما، بسبب صلاح أبيهما، وما فعلت جميع أفعالي عن رأي المحض، وإنما بإلهام من الله، ذلك المذكور لك هو تفسير ما لم تقدر عليه صبراً، ولم تتحمل السكوت عليه.

٨٣- ويسألونك أيها النبي للاختبار عن قصة الملك الذي ملك الدنيا بأسرها وهو ذو القرنين، والسائل هم اليهود، والملك: هو كما حقق وزير معارف الهند سابقاً أبو الكلام آزاد: الملك الفارسي الصالح قورش، قل: سأتلو عليكم من بعض أخباره قرآناً منزلاً من الله تعالى. ولقُبْ بذو القرنين لبلوغه قرن الشمس في مطلعها ومغربها.

﴿ قَالَ لَوْ أَقْلُكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ ٧٥ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَلِّحْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴾ ٧٦ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدَانِ أَنْ يُتَّقِصَ فَأَقْبَرَا ﴿ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ ٧٧ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿ أَنَا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿ وَأَمَّا الْعُلَمَاءُ فَكَانَ أَبُوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرِيَهُمَا عَلَمِنَا وَكَفَرَا ﴿ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيُخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿ ٧٦ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿ ٧٧

٨٤- إنا جعلنا له في الأرض وراء آتته من كل شيء وسبياً ٨٤ فأتبع
 سبياً ٨٥ حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تقرب في عين
 حنثه ووجد عندها قوماً قلنا يا أيها الذين آمنوا إننا نعدب
 وإيماناً نتخذ فيهم حسباً ٨٦ قال أما من ظلم فسوف نعذبه
 ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً ٨٧ وأما من آمن وعمل
 صالحاً فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسراً ٨٨ ثم أتبع
 سبياً ٨٩ حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم
 لم نجعل لهم من دونها سبواً ٩٠ كذلك وقد أطينا بما آتاه
 خبراً ٩١ ثم أتبع سبياً ٩٢ حتى إذا بلغ بين السدين وجد
 من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً ٩٣ قالوا يا أيها
 الذين آمنوا إننا نخرج مفسدون في الأرض فهل نجعل
 لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً ٩٤ قال ما مكني
 فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً ٩٥
 ءأتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال
 انفخوا حتى إذا جعله نارا قال ءأتوني أفرغ عليه قطراً ٩٦

٨٤- إنا جعلنا له في الأرض سلطاناً وقدره على
 التصرف فيها، وأعطيناه من كل شيء يحتاج إليه في
 ملكته طريقاً يوصله إلى مطلوبه من علم أو معرفة أو
 صنعة أو غير ذلك.

٨٥- فسلك طريقاً باتجاه الغرب.

٨٦- حتى إذا بلغ موضع غروب الشمس وأقصى
 بلاد المغرب، وجد الشمس تغرب في عين ذات طين
 أسود، وذلك بحسب رأي العين الناظرة من بعيد،
 ووجد عند مغربها قوماً كفاراً، فألهنما بين أن يعذبهم
 بالقتل أو يحسن إليهم بدعوتهم إلى الحق والإيمان
 وتعلم الشرائع واتخاذ طريقة حسنى في معاملتهم.

٨٧- قال ذو القرنين مختاراً الدعوة الحسنة: أما
 من ظلم نفسه بالإصرار على الكفر، فسوف نعذبه
 بالقتل في الدنيا، ثم يرد إلى ربه في الآخرة، فيعذبه
 فيها عذاباً منكرًا شديدًا في النار، لم يعرف مثله.

٨٨- وأما من آمن بوحداية الله، وعمل عملاً
 صالحاً، فله المشوية الحسنى وهي الجنة، وسنأمره بما
 يسهل عليه من التكليف التي لا مشقة فيها.

٨٩- ثم سلك طريقاً آخر عكس الأول نحو

المشرق.

٩٠- حتى إذا وصل موضع طلوع الشمس وبلاد الشرق الأقصى وكانت النهاية عند (بلخ)، وجد الشمس تطلع
 على قوم بدائيين عراة يعيشون في الكهوف، لا يجدون شيئاً يستترون به من البسة ومبانٍ من دون الشمس.

٩١- أمر ذي القرنين مثلما وصفنا لك أيها النبي، وقد أحطنا علماً بما لديه من آلات وجنود وفتوحات وغيرها.

٩٢- ثم سلك طريقاً ثالثاً معترضاً بين الشرق والغرب، من الجنوب إلى الشمال.

٩٣- حتى إذا وصل بين جبلين عظيمين، وهما بين أرمينية وأذربيجان، أو بين بحر قزوين والبحر الأسود.
 والظاهر هذا- بين المغول والتتر في الشمال، وبين سكان آسيا في الجنوب، فلما وصل إلى ذلك المكان، وجد من
 وراثتهما من جهة الجنوب، قوماً لا يفهمون كلام غيرهم.

٩٤- قالوا: يا ذا القرنين- وكان يفهم لغتهم أو من طريق ترجمان- إن قبيلتي التتر والمغول اللتين تسكنان الجزء
 الشمالي من قارة آسيا مفسدون في الأرض بالإغارة والقتل وإتلاف الزروع ونهب الأموال، فهل نجعل لك جُعللاً
 من المال نخرجه لك على أن تجعل بيننا وبينهم حاجزاً منيعاً.

٩٥- قال لهم: ما جعلني فيه ربي متمكناً من السلطان والملك خير من خراجكم، فأعينوني بالآلات والعمال
 البتائين، أجعل بينكم وبينهم حاجزاً حصيناً، أكبر من السد وأحكم، وهو السد المبني بالحجارة.

٩٦- أتوني قطع الحديد، حتى إذا ردم ما بين جانبي الجبلين على نحو مساو لهما في العلو، قال للعمال: انفضخوا
 على قطع الحديد بالكيران، حتى إذا جعل الحديد المنصهر كالنار المحمرة، صب عليه النحاس المذاب، فالتصق
 المعدنان ببعضهما، وصار السد جبلاً صلباً أملس.



٩٧- فما استطاع المفسدون من يأجوج ومأجوج اعتلاء السد وتسلفه لارتفاعه وملاسته، ولم يستطيعوا خرقه لصلابته وسُمكه.

٩٨- قال ذو القرنين بعد الفراغ من بناء السد: بناؤه من آثار رحمة الله علي إذ وفقتي إليه، وأنعم به عليكم أيها القوم لمنع إفساد يأجوج ومأجوج، فإذا حان وقت تدمير السد من قبل ربي، جعله مذكوكاً مسويّاً بالأرض، وكان وعد ربي ثابتاً كأنثاً لا يتخلف.

٩٩- وتركنا بعض الناس يوم خروج يأجوج ومأجوج مما وراء السد والذي هو من علامات الساعة، يضطربون يوم القيامة، لكثرتهم وتراحمهم، ونفخ في القرن لقيام الساعة النفخة الثانية. نفخة البعث، فجمعنا الخلاق في مكان واحد للحساب والجزاء، بعد إحيائهم من القبور.

١٠٠- وأظهرنا جهنم يوم الحشر للكافرين ليشاهدوها، إظهاراً جلياً.

١٠١- الكفار الذين كانت أعينهم في غشاء عن ذكر الله: وهو القرآن والآيات الكونية المؤدية إلى التوحيد والتمجيد، وكانوا يكرهون سماع القرآن ومجالسة النبي خشية أن يؤمنوا، وليس المراد عجزهم عن السمع.

١٠٢- أظن الكفار أن يتخذوا عبادي كالملائكة والمسيح وعزير والشياطين وغيرهم أرباباً معبودين ولا أعاقبهم؟! إنا هيأنا جهنم للكافرين نُزلاً ينزلون به، والنُّزُل: مكان الضيافة، وعبر به تهكماً بهم.

١٠٣- قل أيها النبي للناس: هل نخبركم بأشد الناس خسارة لأعمالهم؟

١٠٤- هم الذين ضاع عملهم عبثاً في الحياة الدنيا بسبب كفرهم، وهم يظنون خطأ بعبادتهم غير الله أنهم يحسنون عملاً يجازون عليه.

١٠٥- وهم الذين جحدوا بدلائل توحيد الله من الآيات الكونية والتنزيلية، وكفروا بالبعث وكذبوا بقاء الله في الآخرة، فبطلت أعمالهم الحسنة لكفرهم بالله، فلا نقيم وزننا لهم ولا لأعمالهم، وإنما هم محقرين.

١٠٦- ذلك الأمر المذكور، وهو ترك إقامة الوزن هو ﴿جزاؤهم﴾ وهو ﴿جهنم﴾ بسبب كفرهم وهزتهم بآيات الله ودعوة رسله. ذلك: إشارة إلى ترك إقامة الوزن، و﴿جزاؤهم﴾: خير البتداء، و﴿جهنم﴾: بدل منه.

١٠٧- إن الذين صدقوا بالله ورسله، وعملوا الأعمال الصالحة التي أمرهم الله بها، لهم جنات الفرديس: وهي أعلى درجات الجنة منزلاً ينزلون فيها.

١٠٨- وهم خالدون فيها على الدوام، لا يطلبون تحولاً عنها إلى غيرها.

١٠٩- قل أيها النبي: لو كان ماء البحر حبراً لكتابة كلمات علم الله ومعلوماته غير المحدودة، لنفذ البحر في كتابتها قبل أن تنتهي، ولو جئنا بمثل البحر بحوراً أخرى تمدها، والمدد: الزيادة والمعونة، أي أن المعاني القائمة بنفس الله، وهي المعلومات لا تنهاى، والبحر متناه ضرورية. قالت اليهود: أوتينا علماً كثيراً، أوتينا التوراة، ومن أوتي التوراة، فقد أوتي خيراً كثيراً، فنزلت الآية.

فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَرَكَابُهُمْ يَوْمَئِذٍ مُّوَجَّجٌ فِي بَعْضٍ وَمَخْرَجٌ فِي آصُورٍ فَجَمَعْتَهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرْضًا جَحْشًا يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غَظَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَسِبَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ أَسْمَاءُ أَلْقَاهُمْ فِيهَا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ كَفْرِهِمْ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوْلًا ﴿١٠٨﴾ قُلْ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ مَادَّا كَلِمَتُ رَبِّي لَأَنفِذَ الْجَهَنَّمَ قَبْلَ أَنْ نَعْلَمَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَنَ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١٩﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَمْ مِثْقَالٍ ذَرَّةٍ رَحِمَ رَبِّكَ عَبْدُكَ زَكَرِيَّا ﴿١﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ يَدَّاءَ خَفِيًّا ﴿٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ سَقِيمًا ﴿٣﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٤﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٥﴾ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَسَّىٰ لَوْ جَعَلْنَا لَكُم مِّن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي مِنَ الْغُلَامِ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْبَةٍ ﴿٨﴾ وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ سَمِيًّا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَةُ إِلَيْنَا أَنَّ نَسُوكَ الْغُلَامَ تِلْكَ لَيَالٍ سُوِّيًّا ﴿١٠﴾

١١٠- قل أيها النبي: إنما أنا مجرد بشر آدمي مثلكم، ولكن خصني الله بالوحي والرسالة، ومن هذا الوحي الأمور به أن الإله المعبود إله واحد لا شريك له في ألوهيته، فمن كان يأمل ويطمح ببقاء الله بالبعث والجزاء، وهو شأن المؤمنين، فليعمل عملاً صالحاً في الدنيا: وهو كل ما دلّ الشرع على أنه خير يثاب عليه فاعله، ولا يشرك أحداً من الخلق بعبادة الله ربه، والرياء: داخل في الشرك، وهو الشرك الخفي.

سورة مريم

فضلها: قال ابن مسعود في قصة الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة من مكة: إن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قرأ صدر هذه السورة على النجاشي وأصحابه.

١- كاف، ها، يا، عين، صاد: حروف للتنبيه، وتحدي العرب بالإتيان يمثل القرآن المكون من مثل هذه الحروف العربية التي هي مادة الخطابة والكتابة والشعر، وهي لغتهم.

٢- هذا الذي تتلوه هنا قصة رحمة الله عبده زكريا من أنبياء بني إسرائيل، زوج خالة عيسى عليهما السلام، وكان نجاراً. أضاف الرحمة إلى فاعلها وهو الله، وعبده مفعولها، وزكريا: بيان للعبد.

٣- حين نادى ربه سرا في جوف الليل؛ لأنه أسرع للإجابة، وأبعد عن الرياء.

٤- قال: يارب، إنه ضعف العظم في بدني بسبب الكبر، وانتشر الشيب في رأسي، وهو كناية عن الهرم، ولم أكن محروماً خائباً من إجابتك، بل كنت تحيى دعائي، فلا تخيبي في هذه المرة.

٥- وإني خفت الأقارب والعصبات من بني العم ونحوهم من بعد موتي أن يرثوني، فيضيحوا الدين؛ لأنهم كانوا مهملين أمر الدين، وامرأتي عاقرة: لا تلد من أصل الخلق، فامتنحي من عندك ولدًا صالحاً من صلي.

٦- يرثني ويرث من آل يعقوب العلم والنبوة، ويعقوب: هوني الله إسرائيل، وزوجة زكريا هي أخت مريم بنت عمران، من ولد سليمان بن داود بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، وليس المراد وراثة المال؛ لأن الأنبياء لا يورثون، واجعله يارب مرضياً، في أخلاقه وأفعاله.

٧- فأجاب الله دعاه، فنادته الملائكة عن الله بقوله: ﴿يا زكريا﴾: نحن نبشرك بغلام اسمه يحيى، لم نسم أحداً قبله بهذا الاسم، ولا شبيه له في الصلاح والورع.

٨- قال زكريا: كيف وما الطريقة التي سيكون بها، كيف يوجد الغلام وزوجتي عقيم لا تلد من غير كبر، وقد بلغت منتهى الكبر والشيوخوخة؟ والسؤال بحسب الأحوال المعتادة، لا استبعاداً لقدرة الله تعالى.

٩- قال الله بالوحي: لا تتعجب، فالأمر منجز على هذه الحال، قال ربك: هو أمر سهل ميسور علي، فهو مثل خلقك من ابتداء، خلقتك من العدم قبل ذلك، ولم تكن شيئاً موجوداً، وإيجاد الولد بالتوالد المعتاد أهون من ذلك وأيسر.

١٠- قال زكريا: رب اجعل لي علامة على وقوع وتحقيق البشارة، قال الله: علامتك ألا تقدر على الكلام ثلاث ليالٍ مع أيامهن، وأنت سوي الخلق والحواس بلا علة من غرس ولا بكم ولا مرض يمنحك من النطق.

١١- فخرج زكريا على قومه من المصلى الذي يصلي فيه، فأشار إليهم إشارة بيده: أن صلوا صباحاً ومساءً، شكرًا لله على فضله.

١٢- ولما ولد يحيى وبلغ مبلغ الخطاب نودي وقلنا له: يا يحيى خذ التوراة بجد واجتهاد، وأعطيناها القدرة على فهم أسرار التوراة صبيًا قبل بلوغ سن الرجال.

١٣- وجعلناه ذا حنان وشفقة وعطف على الناس من عندنا، وذا طهارة نفس من الآثام، وكان من أهل الطاعة وإخلاص العبادة.

١٤- وكان كثير البر بوالديه والल्प والإحسان إليهما، ولم يكن متكبراً، ولا عاصياً لربه.

١٥- وأمان عليه من الله يوم ولادته وموته وبعثه حياً يوم القيامة، والإنسان أوحى إلى الأمان في هذه المواطن الثلاثة.

١٦- واذكر أيها النبي في القرآن خبر مريم بنت عمران عليها السلام، حين اعتزلت عن أهلها مكاناً نحو الشرق من دارها أو من بيت المقدس، لتخلو للعبادة، بسبب صلاحها وتقواها.

١٧- فاتخذت سترًا يستترها عن الناس، حتى لا يشغلها شاغل، فأرسلنا إليها جبريل عليه السلام، فتمثل لها بصورة بشر تام الخلق.

١٨- وفوجئت برؤيته وخافت، وقالت: إني أستجير بالرحمن منك، إن كنت ممن يخاف الله، فنتهي عني وتتعد بتعودي بالله تعالى.

١٩- قال جبريل مطمئناً لها ومهدتاً من روعها: يا مريم أنا رسول ربك الذي استعدت به، أرسلني إليك، ولست من فعلة سوء، وإنما لأتسبب في أن ينحك الله غلاماً طاهراً من الذنوب، وذلك بالنفخ في القميص.

٢٠- قالت مريم متعجبة مستغربة: كيف يكون لي غلام، ولم يقربني زوج، ولم أكن زانية؟!

٢١- قال جبريل: لا تعجبي، فالأمر هكذا على هذه الحال، من خلق ولد من غير أب، قال ربك: هو علي سهل يسير؛ لأنه القادر على كل شيء، ولنجعل هذا الغلام وخلقته من غير أب آية للناس على قدرتنا التامة، ورحمة لهم من لما يرشداهم إليه من الهداية والخير الكثير، وكان خلقه أمراً مقدراً مقضياً به في الأزل وفي علم الله تعالى.

٢٢- فنفخ جبريل في جيب قميصها، فوصلت النفخة إلى بطنها، فحملته، فاعتزلت به مكاناً بعيداً من أهلها وعن الناس، حتى لا يراها أحد.

٢٣- فألجأها واضطرها المخاض: حالة الولادة، إلى ساق النخلة لتستند إليه وتتعلق به، كما تتعلق كل حامل بشيء لشدة وجع الطلق، قالت: يا ليتني مت قبل هذا الأمر والكرب، استحياء من الناس ومخافة من لومهم، وكنت شيئاً مهملاً لا يعرف ولا يذكر.

٢٤- فناداها ملك من مكان منخفض، تحت الأكمة التي فيها النخلة: لا تحزني، قد جعل ربك تحتك نهراً صغيراً يجري ماؤه.

٢٥- وهزتي نحوك جذع النخلة، تسقط عليك رطباً (تمرًا طازجاً) طرياً ناضجاً.

فَجَرَحَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْحَرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَخِمُوا بِكُرَّةِ وَعَسِيًّا ۗ يَجِيئُ حِذَى الْكَتَبِ بَقْوَةً وَوَأْتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ۗ وَحَنَانًا مِّنَ لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ۗ وَبَرَّأ بَوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ۗ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ۗ وَأذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرِيًّا ۗ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَمَثَلْهَا بِنِسَاءِ سَوِيًّا ۗ قَالَتْ إِنِّي أُنْتَبِذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِن كُنْتَ تَقِيًّا ۗ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ۗ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَعْثًا ۗ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلِجَعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ۗ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ۗ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّسِيًّا ۗ فَأَادَهَا مِنْ تَحْتِهَا الْأَخْرُزِيُّ فَجَدَّ بِكَ تَحْتِكَ سَرِيًّا ۗ وَهَزَّتْ لِيكَ جِذْعَ النَّخْلَةِ فَسَقَطَ عَلَيْكَ رُطْبًا حَيًّا ۗ



فَكُلْ وَاشْرَبْ وَقَرَىٰ عَيْنًا فَأَمَّا زَيْنٌ وَمَنْ أَشْبَهَهُ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقَوْلِي إِنَّ
 نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنْتَ بِهِ
 قَوْمًا تَجْهَلُونَ قَالُوا لَيْسَ بِمَرْيَمَ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَا خَتَّ
 حُدُودِ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْمًا وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ نَبِيًّا ﴿٢٨﴾
 فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نَكَلِمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾
 قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَأَنْتَىٰ لِكَلِمِ الَّذِي نَكَلِمُ وَيَجْعَلُنِي نَبِيًّا ۖ وَجَعَلَنِي مَبَارَكًا
 آتِينَ مَائِكُمْ وَأَوْصِيَنِ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣٠﴾ وَبَرًّا
 بِوَالِدَتِي وَلَرَبِّجَعَلَنِي حَبِيبًا رَأْسَقِيًّا ﴿٣١﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ
 وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٢﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
 قَوْلَ الْحَى الَّذِي فِيهِ يَخْتَرُونَ ﴿٣٣﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَخْجِدَ مِنْ وَاوَدٍ
 سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٤﴾
 وَإِنَّ لِلَّهِ رَبِّ وَرَبِّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ
 ﴿٣٥﴾ فَأَخْلَفَ الْأَخْرَابُ مِنْ نَبِيِّهِمْ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 مِنْ مُشَاهِدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٦﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا
 لَكِنَ الْظَالِمُونَ الْيَوْمَ فِي صَلَابٍ مُمْسِكِينَ ﴿٣٧﴾

٢٦- فكلي من الرطب، واشربي من النهر،
 ولتسكن عينك أي لتطب نفسك وابتعدي عن
 الحزن، فإن رأيت إنساناً، فأشير له: إني نذرت
 للرحمن الصمت عن الكلام، فلن أكلم أحداً من
 الناس بعد ذلك، أي بعد هذا النذر.

٢٧- فأنت بعيسى ولدها قومها حاملة إياه من
 المكان القصبي، فلما رأوا الولد، قالوا لها
 مستنكرين: لقد فعلت شيئاً غريباً منكراً.

٢٨- يا شبيهة هارون في العفة والعبادة، وهو
 رجل صالح من بني إسرائيل في ذلك الوقت، أو
 هو النبي أخو موسى عليهما السلام المشهور
 بالهدوء والصلاح، لم يكن أبوك أهل فحش، ولم
 تكن أمك زانية، فمن أين لك هذا الولد؟

٢٩- فأشارت إلى طفلها عيسى ليحجب عن
 التساؤل، قالوا: كيف تكلم مولوداً ما يزال في
 المهد: وهو فراش الصبي الرضيع الموطأ؟

٣٠- قال عيسى: إني عبد الله- وهو أول اعتراف
 بالعبودية لله تعالى- قلر وقضى لي في الأزل
 بإعطائي الإنجيل (البشارة) وجعلني نبياً مرسلًا
 لهداية الناس به.

٣١- وجعلني نفاعاً للعباد معلمًا للخير،
 وأمرني بالصلاة وزكاة المال، ما دمت حياً في الدنيا.

٣٢- وجعلني باراً بوالدتي كثير الإحسان إليها، ولم يجعلني متكبراً متعظماً، عاصياً لربي.

٣٣- والأمان والسلامة من الله علي يوم الولادة، ويوم الموت، ويوم البعث حياً.

٣٤- ذلك الموصوف بهذه الصفات هو عيسى ابن مريم، لا ما يصفه النصارى، وهو قول الحق الذي لا
 رب فيه في حقيقة عيسى، الذي يشكّون ويختلفون فيه، وهم اليهود والنصارى.

٣٥- ما ينبغي ولا يصح لله تعالى أن يتخذ ولداً، تنزه الله وتقدس عما يقولون، إذا أراد أمراً، قال له: كن
 فيكون. والقادر على الخلق الفوري قادر على خلق عيسى من غير أب.

٣٦- وإن الله هو ربي وربكم، فاعبدوه وحده ولا تشركوا به أحداً، هذا هو الطريق القويم الذي لا عوجاج
 فيه، الموصل إلى الجنة.

٣٧- فاختلف أهل الكتاب من اليهود والنصارى فيما بينهم في أمر عيسى، فقال اليهود: إنه ساحر، وابن
 زني، ابن يوسف النجار، وقالت النصارى: هو ابن الله، أو هو الله، أو ثالث ثلاثة، فهلاك للذين كفروا بالله
 الذين زعموا أن له شريكاً، من شهود يوم عظيم الهول، وهو يوم القيامة.

٣٨- ما أشد سمعهم وما أقوى بصرهم يوم يأتيوننا للحساب والجزاء في الآخرة، أي أن سمعهم وبصرهم
 يكونان تامين، فيدركون حقيقة الأمر، خلافاً لما كانوا عليه في الدنيا، لكن الكافرون الظالمون أنفسهم في
 الدنيا في خطأ واضح.

٣٩- وخوف أيها النبي المشركين من يوم القيامة، يوم الحسرة والندامة، فيه يتحسر المسيء على إساءته، والمحسن على قلة إحسانه، حين فرغ من الحساب وسبق الفريقان إلى الجنة والنار، وهم الآن في الدنيا في غفلة عنه، وهم لا يؤمنون به، أي بيوم القيامة.

٤٠- إننا نحن الذين نرث الأرض كلها ومن كان عليها من أهلها بإهلاكهم، وإلينا يردون يوم القيامة للجزاء.

٤١- واذكر للناس أيها النبي في القرآن الموحي إليك به خبر إبراهيم، إنه كان كثير الصدق والتصديق بالحق، لم يكذب قط، نبياً مسلماً من عند الله. والمطالبة بذكر قصته؛ لأنه أبو العرب، ولا عرفاهم بجمته.

٤٢- حين قال إبراهيم لأبيه أزر: يا أبي، لماذا تعبد الأصنام التي لا تسمع دعواتك، ولا تبصر عبادتك، ولا تكفيك شيئاً من جلب نفع أو دفع ضرر.

٤٣- يا أبي، قد أتاني بطريق الوحي الإلهي نصيب من العلم، ما لم يأتك شيء منه، وهو علم يرشد إلى الحق، ويهدي الضال، فاتبعتني أرشدك إلى دين قوم فيه النجاة من المكروه والسعادة في الدارين.

٤٤- يا أبي، لا تطع الشيطان في عبادة الأصنام، فإن عبادتها في الحقيقة عبادة له؛ لأنه الأمر بها، فحين تطيعه

وَأَذْرَهُ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْهَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنِ الْعَلِيِّ يَا بَرهْمِيلِينَ لَمْ يَنْبَغْ لَهُ أَنْ يَكُنْكَ وَآهْرَبِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْرَبْ لَكَ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا أَعْرَبَهُ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمُ مِنْ دُونِ ذَلِكَ جَمِيعًا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾

في عبادة الأصنام، تكون عابداً له، إن الشيطان كثير العصيان للرحمن، وشديد المخالفة له.

٤٥- يا أبي، إنني أخاف عليك بهذه العبادة للأصنام أن يصيبك عذاب من الرحمن يوم القيامة، فتكون قريباً للشيطان في اللعن وعذاب النار.

٤٦- قال الأب أزر مهدداً: أمعرض أنت يا إبراهيم عن تلك الأصنام أللهتي، ومتصرف إلى غيرها؟ لئن لم تنته عن التعرض لها ومقالك فيها لأرجمك بالحجارة أو لأشتمك، فاحذرنى، وفارقني واتركني دهرأ طويلاً.

٤٧- قال إبراهيم لأبيه متلطفاً: سلام عليك مني، سلام توديع ومشاركة لن أتعرض لك بسوء، ولكن سأستغفر لك ربي طالباً منه الهداية والمغفرة، إنه كان مبالغاً في إكرامي واللفظ بي، فيجيب دعائي. وقد وفي بوعده قائلاً: ﴿واغفر لأبي﴾ [الشعراء ٢٦/٨٦] وكان هذا الوعد بالدعاء قبل أن يعلم أنه يموت على الكفر.

٤٨- وأترككم وما تعبدون من غير الله، وأعبد ربي وحده، أرجو ألا أكون بعبادة ربي خائباً شقيماً، مثل خيبتكم وشقاوتكم في عبادة أللهتكم.

٤٩- فلما تركهم هم وأصنامهم، وهاجر في سبيل الله من بلده إلى أرض بيت المقدس، وهبنا له إسحاق ابنه، ويعقوب حفيده، إيتاساً له في غربته، وبدلاً من الأهل الذين فارقه، وكل واحد من الابن والحفيد جعلناه نبياً.

٥٠- وأعطينا الثلاثة عدا النبوة كبيراً من خيرى الدنيا والآخرة من المال والولد والصحف، ورزقناهم ثناء حسناً رفيعاً على الألسن إلى قيام الساعة. استعمل اللسان فيما يصدر عنه وهو الثناء، كاستعمال اليد في العطاء.

٥١- واذكر أيها الرسول ما أنزل عليك في القرآن من قصة موسى، إنه كان مختاراً للطهر من النقائص وتكليم الله، وكان رسولاً مسلماً من الله لعباده، ونبياً يتبهم عن الله بشرائعه.

٥٢. وكلمناه من الجانب الأيمن: جانب الطور على بين موسى وهو متجه إلى مصر، وقربناه تقريب تشريف وتكريم لمناجاة ربه وتكليم الله بلا واسطة، بأن أسمعه الله كلامه.

٥٣. ومنحنا لموسى من رحمتنا به وإنعامنا عليه أخاه هارون نبياً لموازته، حين دعا قاتلاً: ﴿واجعل لي وزيراً من أهلي، هارون أخي﴾ [طه ٢٩/٢٠-٣٠].

٥٤. واذكر أيها الرسول فيما أنزل عليك في القرآن قصة إسماعيل، إنه كان مشهوراً بصدق الوعد، مبالغاً فيه، وكان رسولاً من ربه إلى قبيلة جرهم، على شريعة إبراهيم، نبياً يخبر بما شرعه الله تعالى.

٥٥. وكان يأمر أهله بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة لمن يستحقها، وكان مرضياً عند ربه، لاستقامة أقواله وأفعاله، والمرضي عند الله: الفائز في كل طاعاته بأعلى الدرجات.

٥٦. واذكر أيها الرسول فيما أوحى إليك في القرآن خبر إدريس، وهو سبط شيث، وجد نوح لأبيه، وأول من خط بالقلم، إنه كان كثير الصدق والتصديق بالحق، نبياً من الأنبياء الكرام.

٥٧. وجعلنا له منزلة عالية في الدنيا والآخرة

وَنَدَيْنَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ۖ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ تَحْتِنَا آخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ۖ وَذَكَرْنَا إِلَيْكَ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۖ وَكَانَ بِأَمْرٍ أَهْلًا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ۖ وَذَكَرْنَا إِلَيْكَ إِدْرِيْسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۖ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۖ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِنْ حَمَلَتِ امْرَأَتُ نُوحَ وَ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِنْ هَدْيَانَا وَاجْنِبْنَا إِذَا سَأَلْتَهُمْ عَنِّيهِمْ آيَاتِ الرَّحْمَنِ حُرًّا مَسْجُودًا وَبِكَيْفَا ۖ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا ۖ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يظْلَمُونَ شَيْئًا ۖ جَنَّتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْحَقِّ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ۖ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا مِّمَّنْ رَزَقَهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۖ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ نَفِيًّا ۖ وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا أَنْزَارًا لِمَا يَدِينُنَا ۖ وَمَا خَلَقْنَا وَمَا يَنْزِلُ إِلَّا مِنْ دُونِ سَمَاءٍ ۖ

يشرف النبوة والزلفى عند الله، رفعه الله إلى السماء الرابعة، كما جاء في الحديث الصحيح عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ.

٥٨. أولئك المذكورون من الأنبياء في هذه السورة من زكريا إلى إدريس: الذين أنعم الله عليهم من الأنبياء، من ذرية آدم كإدريس، ومن ذرية من حملنا في السفينة مع نوح كإبراهيم بن سام بن نوح، ومن ذرية إبراهيم كإسماعيل وإسحاق ويعقوب، ومن ذرية إسرائيل: وهو نبي الله يعقوب، وهم موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى، ومن جملة من هدينا إلى الإسلام، واخترناهم أنبياء كراماً، إذا تتلى عليهم آيات الرحمن بكوا من غير صوت وسجدوا من خشية الله تعالى.

٥٩. فخلف من بعد أولئك الأنبياء خلف سوء تركوا الصلاة، وارتكبوا المحرمات كشرب الخمر والزنى، فسوف يلقون شراً، أي جزاء ذلك.

٦٠. إلا من تاب من ذنوبه، وأطاع الله في أمره ونهيه، فأولئك يدخلون الجنة، ولا يتقصون شيئاً من الثواب.
٦١. هي جنات إقامة دائمة التي وعد الرحمن عباده وهي غائبة عنهم لم يروها، إن مواعده أت لا محالة.
٦٢. لا يسمعون في الجنة فضولاً هنراً من الكلام لا يفيد، لكن يسمعون سلاماً (تحية) من الملائكة ومن بعضهم، يأتيهم ما يشتهون من الطعام والشراب في الجنة، على الدوام، صباحاً ومساءً وكل وقت يريدون.
٦٣. تلك الجنة بهذه الأوصاف وغيرها التي لجعلها لأهل التقوى خاصة.

٦٤. وقال جبريل للرسول ﷺ حين سأله عن سبب قلة نزول الوحي عليه، أي وقل: يا جبريل: وما ننزل إلا إذا كنا مأمورين بالنزول، لا نتقل إلا بإذنه ومشيبته، لله كل ما يحيط بنا من الزمان والمكان والجهة، والزمان يشمل الماضي والحاضر والمستقبل، ولا ينسى الله شيئاً وإن تأخر. والمراد: ما كان عدم نزول الوحي إلا لعدم الأمر به.



٦٥- الله خالق السموات والأرض ومالكهما وما بينهما ومدبر شؤونهما، فاعبده وحده، وأثبت على عبادته واصبر على مشاقها، ليس لله مثل ولا نظير ولا شبيه، فلا بُدَّ من التسليم لأمره.

٦٦- ويقول الإنسان الكافر الذي ينكر البعث متعجباً: هل إذا مات سأخرج من القبر أو أبعث حياً بعد الموت؟ نزلت في أبي بن خلف حين أخذ عظاماً بالية، وفتحها بيده، وقال: زعم لكم محمد أنا نبعت بعدما نموت. وفي قول آخر: نزلت في الوليد بن المغيرة وأصحابه.

٦٧- ألا يتذكر هذا الجاحد أننا خلقناه في أول خلقه، ولم يكن شيئاً مذكوراً، فيستدل بالابتداء على الإعادة، وهي أهون.

٦٨- قسماً بربك أيها الرسول، لنجمعن الكفار المنكرين للبعث مع الشياطين في المحشر يوم القيامة، ثم لنحضرنهم حول جهنم من خارجها باركين على الركب، لا يتمكنون من الوقوف، لما يصيبهم من هول الموقف وشدة الحساب.

٦٩- ثم نتزع ونخرج من كل فرقة ضالة أشدهم كفرة أو تمرداً وتكبيراً، لنقدمه للعذاب أولاً، ثم الأتباع ثانياً.

٧٠- ثم إننا نعلم من هو أحق بجهنم ودخولها ومقاساة حرها.

٧١- وما منكم من أحد إلا ما ربحهنم وهي خامدة على الصراط المددود عليها، كان مروركم بها أمراً محتملاً واجباً، قضى الله بوقوعه، فلا ينقض وعده مطلقاً.

٧٢- ثم ننجي من العذاب الذين اتقوا الكفر والمعاصي، ونترك الكافرين فيها جاثين على الركب، أي هامدين لا يتمكنون من الخروج.

٧٣- وإذا تلى على الناس آيات القرآن المنزلة واضحات لمن تأملها، قال الكفار للمؤمنين: هل فريقنا خير مكاناً ومترلاً، وأحسن مجلساً ومجتمعاً وأكثر أنصاراً أو فريقكم؟

٧٤- وكثيراً ما أهلكنا من الأمم الماضية- والقرن: الأمة والجماعة- من هم أكثر مالاً ومتاعاً في البيت من فرش وأثاث، وأجمل منظراً وهيئة، أي نضارة وحسناً.

٧٥- قل أيها النبي لهؤلاء المشركين: من كان غارقاً في الكفر والأهواء، فجزاؤه أن يتركه في ضلالته وطغيانه، ويمده فيهما ويستدرجه، حتى إذا شاهد هؤلاء المشركون المتفخرون ما يوعدون به: إما العذاب في الدنيا بالقتل والأسر كما حدث يوم بدر، وإما العذاب الحاصل يوم القيامة، فسيعلمون حينئذ من هو شر وأسوأ مكاناً ومترلاً، لا خير مكاناً من الفريق الآخر، وأقل أعواناً، لا أكثر مجتمعاً ومجلساً.

٧٦- ويزيد الله المهتدين هداية إلى الخير، وثباتاً على الإيمان؛ لأن الخير يدعو إلى الخير، والأعمال والطاعات خير عند الله جزاءً، وخير مرجعاً وعاقبة.

رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَءِذَا مَاتُتْ لَسَوْفَ أُنْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْضُرَنَّهُمْ وَالشَّيْطَانَ ثُمَّ لَنَحْضُرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ حِثًّا ﴿٦٨﴾ نَزَّلْنَاهُ مِن كُلِّ شِجْعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ تُلْحِنُ أَعْيُنُ الَّذِينَ هُمُ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيلًا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نَجِّنِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَدَرُوا الظَّالِمِينَ فِيهَا حِثًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تَلَّىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا يَتَّبِعْتِ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَمْ نَلْمُكَ عَلَىٰ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مِّمَّا وَاحْسِنُ نِدْيًا ﴿٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نَاقِلُهُمْ مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَتْنًا وَرِدَاةً ﴿٧٤﴾ كُلُّ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَىٰ مَا يُوعَدُونَ إِنَّمَا الْعَذَابُ وَءَامَا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَن هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَاهْتَدُوا هُدًىٰ وَٱلْبَلِيَّةُ ٱلصَّٰلِحِينَ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّكَرًا ﴿٧٦﴾

أَوْتَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِنَانِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَا لَمْ يُؤْتِ لَنَا
 ﴿٧٧﴾ أَطْلَعِ الْغَيْبِ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا
 سَكَتَ مَا يَقُولُ وَعَدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَسَرَّهُ
 مَا يَقُولُ وَيَأْتِنَا فَركًا ﴿٨٠﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً
 لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ
 عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ نَرَأَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيْطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ
 فَيُزَيَّرُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَا تَجْعَلْ عَلَيْهِمْ مَثَلًا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ
 نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًّا ﴿٨٥﴾ وَسَوْفَ يُجْرِمُونَ إِلَى
 حِمْمِهِمْ وَرَدًّا ﴿٨٦﴾ أَلَيْسَ لَكُمُ الشُّعْبَةُ الَّتِي آمَنَ اتَّخَذَ عِنْدَ
 الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ
 شَيْئًا إِذَا ﴿٨٩﴾ تَكَادَ السَّمَوَاتُ يَنْقَطِعْنَ مِنْهُ وَنَشَقَّ الْأَرْضُ
 وَجُزِيَ الْجِبَالُ هُدًّا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَدْبَعُنِي
 لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَسْجُدَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِنْ كُنَّ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ إِلَّا مَا فِي الرَّحْمَنِ عِندًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُ
 وَعَدَّهُ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ إِلَهُ لَهُ يَوْمَ الْيَوْمِ فَركًا ﴿٩٥﴾

٧٧. أخبر بقصة هذا الكافر بآياتنا وهو العاص ابن وائل الذي كان ينكر البعث، ويقول استهزاء: لئن بعثت كما يقول محمد: ل يكونن لي مال كثير وأولاد، فلا يهمني شيء. نزلت في العاص بن وائل الذي جاءه خباب بن الأرت يتقاضاه ديناً، فرفض وقال: إني إذا مت ثم بعثت جسستي، ولي ثم مال وولد، فأعطيتك، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

٧٨. أعلم الغيب وأن يؤتى ما قاله، أم اتخذ عند الرحمن عهداً أن يؤتى ما قاله ويدخل الجنة؟!

٧٩. كلاً ليس كما قال، إنه مخطئ فيما تصوره لنفسه، لا يؤتى ذلك، بل سندون ونحفظ عليه قوله، ونزيده عذاباً فوق عذابه على الكفر والافتراء والاستهزاء بأحكام الله تعالى.

٨٠. ونزلت منه المال والولد الذي يقول بأنه يؤتاه، أي نسلبه منه بموته، ويأتينا يوم القيامة وحيداً لا مال له ولا ولد.

٨١. واتخذ المشركون من غير الله آلهة يعبدونها من الأصنام والأوثان، ليكونوا لهم في الآخرة منعة وقوة، أي أعواناً وشفعاء، وسبب عز لهم.

٨٢. كلاً، ليس الأمر كما زعموا، بل ستجحد الأصنام عبادتهم ويتبرؤون منهم، ويكونون عليهم شراً وأعداء، لا عزاً وأنصاراً.

٨٣. ألم تعلم أيها النبي أنا سلطنا الشياطين على الكافرين تغويهم إغواءً، وتغريهم على المعاصي!؟

٨٤. فلا تطلب أيها النبي العجلة بهلاكهم أو تعذيبهم، فلئما نعد أيام آجالهم عدداً، أي فلم يبق لهم إلا أيام محدودة، ويقاؤونهم أحياء ليزدادوا إثمًا.

٨٥. يوم نحشر (نجمع) المتقين ربهم بإيمانهم وافرين معزين إلى دار كرامة الرحمن وهي الجنة.

٨٦. ونسوق الكافرين بكفرهم سوقاً عنيفاً إلى جهنم عطاشاً مهانين.

٨٧. لا يملك أحد من الناس جميعاً الشفاعة، إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً بالإيمان الصحيح بالله (التوحيد) وتصديق الرسل، والعمل المرضي.

٨٨. وقال المشركون القائلون: الملائكة بنات الله، واليهود والنصارى الذين ألوهوا العزير وعيسى: اتخذ الرحمن ولداً من الملائكة أو البشر.

٨٩. لقد فعلتم منكراً عظيماً، وقتلتم قولاً شنيعاً. والإد: الداهية والأمر المنكر جداً.

٩٠. تكاد السموات تتشق من هذا القول، وتتصدع الأرض، وتهتد الجبال هدأً، أي تهتدم وتتفتت، لهول هذه الكلمة.

٩١. لأجل ادعاء ولد للرحمن.

٩٢. وما يصح ولا يستقيم أن يتخذ الرحمن ولداً، لأن هذا نقص، والله قادر على كل شيء، لا يحتاج لمعين.

٩٣. ما كل واحد في السموات والأرض إلا أتى الرحمن يوم القيامة خاضعاً له، مقراً بعبوديته. والإتيان هنا معنوي ومادي، بمعنى الخشوع لسلطان الله وقضائه.

٩٤. لقد حصرهم الله وعلم عددهم، وعد أشخاصهم عدداً دقيقاً، فلا يخفى أحد عليه.

٩٥. وكل فرد يأتي يوم القيامة وحيداً، بلا مال ولا نصير.

٩٦- إن الذين صدقوا بالله ورسله، وعملوا بطاعة الله واجتنبوا نواهيه، سيجعل لهم الرحمن في القلوب مودة، يجهبهم الناس، ويرضى الله عنهم.

٩٧- فلما يسرنا هذا القرآن وأنزلناه بلغتك العربية أيها الرسول، لتبشربه المتقين بالجنة، لإيمانهم وعملهم الصالح، وتخوف به قوماً شديدي الخصومة بالباطل، وهم كفار مكة وأمثالهم.

٩٨- وكثيراً ما أهلكنا أمماً ماضية لتكذيبهم الرسل، هل تجمد منهم أحداً، أو تسمع لهم صوتاً خفياً؟ لا تجمد ولا تسمع، والمراد: كما أهلكنا أولئك نهلك هؤلاء.

سورة طه

فضلها: سيأتي في سورة الأنبياء بيان فضلها.

١- ط، ها: حرفان للتشبيه والتحدّي بإعجاز القرآن، ما دام مركباً من الحروف التي تتكون منها لغة العرب.
٢- ما أنزلنا عليك أيها النبي القرآن لإضناء نفسك بتعب زائد في العبادة، أو بتحسر وحزن شديد على كفر قومك وترك الإيمان برسالتك، فخفف عن نفسك. قال مقاتل: قال أبو جهل والنضر بن الحارث للنبي ﷺ: إنك لتشقى بترك ديننا، وذلك لما رأياه من

طول عبادته واجتهاده، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ ما أنزلنا .. ﴾ [٢].

٣- ما أنزلناه إلا للتذكير والعظة لمن يخاف الله.

٤- نزلناه تنزيلاً من عند خالق الأرض والسموات العالية، ومعناه الإخبار عن عظمة منزل القرآن.

٥- الرحمن استوى (أي اعتلى وارتفع) على عرش ملكه، وهو استواء يليق به، من غير تشبيه ولا تمثيل.

٦- والرحمن مالك كل شيء ومدبره في السموات والأرض وما بينهما من الموجودات، وما في باطن الأرض من معادن ومخلوقات.

٧- وإن ترفع صوتك بذكر أو دعاء، فاعلم أن الله غني عن ذلك، فإنه يعلم السر الذي تخفيه، وما هو أخفى من السر كالحواطر والهواجس وأحاديث النفس دون النطق بها.

٨- الله واحد، لا إله معبود في الوجود إلا هو، له أحسن الأسماء الدالة على الكمال، وهي تسعة وتسعون، ورد بها الحديث الصحيح.

٩- وهل بلغك خبر موسى وقصته مع فرعون وملئه؟

١٠- حين رأى ناراً أثناء سيره من مدين إلى مصر، وبعد خطته في الطريق، فقال لأهله: أقيموا مكانكم، إني أبصرت ناراً، علمي أتيكم بشعلة من النار، أو أجد عند النار هادياً يدلني على الطريق.

١١- فلما أتى النار، نودي بصوت علي: يا موسى.

١٢- إني أنا الله ربك، فانزع نعليك من قدميك، للتواضع والتأدب، إنك بالوادي المطهر المحترم، المسمى: طوى، الموجود بجانب الطور.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا
فَأَنبَأَ سِيرَهُ بِلسانك لبشيره المتقين ونذيره قوماً لنا ﴿٩٧﴾ وكم
أهلكنا قبلهم من قبيل هل نحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً ﴿٩٨﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا نَذْرَةً لِمَنْ
يَخْتَفِي ﴿٣﴾ نَزِيلًا مِّنْ خَلْقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾
الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِنْ يُجْهَرُ بِالْقَوْلِ
فَإِنَّهُ بِعِلْمِ السِّرِّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ
الْحُسْنَى ﴿٨﴾ وَهَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ مُوسَى ﴿٩﴾ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ
لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنستُ نَارًا أَعْلَىٰ أَيْتِكُمْ مِنْهَا بَقِيصٌ أَوْ
أَجْدٌ عَلَى النَّارِ يُهْدَى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَنبَأَهَا نُودِيَ بِمُوسَى ﴿١١﴾ إني أَنَا
رَبُّكَ فَالْحُذِرْ نَعْلِكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمَقْدِسِ طَوًى ﴿١٢﴾



وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا
فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ
أَكَادُ أَخْضِهَا النَّجْمِيَّ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا
مَنْ لَدُونِمْ بِهَا وَاتَّبِعْ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴿١٦﴾ وَمَا لَكَ بِمِثْنِكَ
يَمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَوَّلَ مَا عَلِمْتُهَا وَأَهْسُ
بِهَا عَلَى عَنِّي وَلِي فِيهَا مَثَرٌ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا
يَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٠﴾ فَالْخُذْهَا
وَالْخُفِّ سُنْعِدُهَا وَسِيرْتُهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَأَضْمُ يَدَكَ
إِلَىٰ جَنَاحِكَ فَخَرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ أَبَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾
لِتُبْرِكَ مِنَ الْبَيْنَا الْكُبْرَىٰ ﴿٢٣﴾ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِتْمَطُنِ
﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اسْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَبَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾
وَاجْعَلْ لِي وَبِيئًا ﴿٢٧﴾ وَأَحْلِلْ عَقْدَةَ لِسَانِي ﴿٢٨﴾ بَقِّعُوا قَوْلِي ﴿٢٩﴾ وَاجْعَلْ لِي وَبِيئًا
مِّنْ أَهْلِي ﴿٣٠﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣١﴾ اسْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣٢﴾ وَأَشْرِكْهُ
فِي أَمْرِي ﴿٣٣﴾ كَسَحَّكَ كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَتَذَكَّرَ كَثِيرًا ﴿٣٥﴾ إِنَّكَ كُنْتَ
بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٦﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَىٰ ﴿٣٧﴾

١٣- وأنا اخترتك للنسوة والرسالة، فاستمع للوحي بإصغاء وقبول.

١٤- إنني الذي أناديك، أنا الله، فاعبدني ولا تعبد معي آخر، وأقم الصلاة لتذكركني فيها، وخص الصلاة لكونها أشرف الطاعات وأفضلها.

١٥- إن القيامة قائمة حتماً، أقرب مبالغاً في إخفائها ولا أظهرها لأحد، وقيل: أكاد أظهرها وأزيل خفاءها وإنهاء عالم الدنيا، لتجازي كل نفس بما عملت من خير أو شر.

١٦- فلا يصرفك يا موسى عن الإيمان بالساعة من لا يصدق بها، واتبع هواه في إنكارها، فتهلك إن صدقت عنها.

١٧- وما الذي تحمله في يدك اليمنى يا موسى؟ وهو العصا للتنبية على أن المعجزة تقع بها. وتكرار ﴿يا موسى﴾ لزيادة الاستئناس والتنبية.

١٨- أجاب موسى قائلاً: هي عصاي، أتعلم عليها عند الإعياء في المشي، وأضرب بها ورق الشجر ليسقط على غنمي، فتأكله، ولي فيها منافع وحاجات آخر، كحمل الزاد والسقاء وطرد الهوام. استمتع موسى عليه السلام بلذة الخطاب الإلهي، فأجاب بما يزيد على السؤال، وأجمل الكلام في آخره، ليسأله ربه عن تلك المآرب.

١٩- قال الله تعالى: ألق عصاك من يدك يا موسى.

٢٠- فألقها من يده على الأرض، فإذا هي حية تمشي بسرعة وخفة، بقلب أو صافها، فخاف موسى وهرب منها.

٢١- قال الله تعالى له: خذ الحية بيمينك ولا تخف منها، سنعدها إلى حالتها الأولى، وهي كونها عصا.

٢٢- وأدخل كفك اليمنى إلى جنبك الأيسر تحت العضد، ثم أخرجها، تخرج خلاف ما كانت عليه من السمرة مشعة مشرقة كشعاع الشمس، من غير مرض، كالبرص مثلاً، معجزة أخرى غير العصا، لإثبات صدقك في رسالتك.

٢٣- لتريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا العظمى الدالة على قدرتنا وعلى رسالتك.

٢٤- اذهب يا موسى رسولاً إلى فرعون، إنه تجاوز الحد في كفره وعتوه وتجبره، حتى ادعى الألوهية، فادعه إلى توحيد الله وطاعته.

٢٥- قال موسى: يا رب وسع لي صدري لتحمل أعباء الرسالة والصبر على مشاقها وأذى الناس.

٢٦- وسهل لي ما أمرتني به من تبليغ الرسالة.

٢٧- وأطلق عقدة لساني، أي حبسته لتيسير النطق وإفهام الناس، ولثلاث ينفر مني الناس.

٢٨- ليفهموا كلامي عند تبليغ الرسالة.

٢٩، ٣٠، ٣١- واجعل لي معيناً من أهلي: هارون أخي، أحكم به قوتي، والأزر: الظهر، أو القوة.

٣٢- واجعله شريكاً لي في أمر الرسالة، شفع له وطلب أن يكون نبياً مثله.

٣٣، ٣٤- كي نزهك تنزيهاً كثيراً، أو نصلي لك معاً، وتذكرك ذكراً كثيراً.

٣٥- إنك كنت وما زلت عالماً بأحوالنا، ونريد رضاك.

٣٦- قال الله مجيباً له: قد أعطيتك كل ما سألته يا موسى. والسؤل: المسؤل أو المطلوب.

٣٧- ولقد أنعمنا عليك يا موسى بنعم كثيرة أخرى .
والمن: الإحسان والتفضل .

٣٨- حين الهمنا أمك الإلهام كإلهام النحل اتخاذ البيوت،
وقد يكون بتمثل ملك في صورة بشر كما حصل لمريم في
النفخ في قميصها .

٣٩- الهمناها: أن ألقيه في الصندوق الخشبي، ثم ألق
الصندوق في نهر النيل، ثم أمرنا النهر أن يلقيه بالشاطئ،
فياخذ الصندوق عدو لله وعدو لموسى وهو فرعون،
وألقيت عليك يا موسى محبة كائنه مني في قلوب الناس،
فلا يراك أحد إلا أجك، ولتبري برعايتي وحفظي .

٤٠- حين تمشي أختك على الشاطئ، تسابع الصندوق
بنظرها لتري موضع استقراره، فأخذك فرعون وزوجته،
فعرفت أنهما يطلبان لك مرضعة، فلم تقبل بشدي امرأة غير
أمك، فقالت لهما: هل أدلكم على مرضعة تكفل إرضاعه
وتربيته، فردناك إلى أمك كي تُسرَّ وتسعد بروجوع ولداها
إليها، ولا تحزن أبداً على فراقك . وكنت قتلت خطأ قطياً
بمصر حين استغاث بك الإسرائيلي، فأمنك من الخوف،
ومجيناك من غم القتل، وخلصناك من المحن والشدائد مرة
بعد أخرى قبل النبوة كالسفر ماشياً من مصر إلى مدين،
وترك الوطن والأصحاب في مصر، وفقد الزاد، ورعي
الغنم عند شعيب، فبقيت عشر سنين مع أهل مدين: وهي
على ثمانين مراحل من مصر، في جنوب فلسطين في

الجنوب الشرقي للطور عند خليج العقبة، ثم جئت إلى جبل الطور في وقت مقدر في قضائي وقدري الأزلي لأكلمك وأجعلك نبياً
يا موسى، والمراد: جئت على وفق الوقت الذي قدرته للرسالة، وكرر ﴿يا موسى﴾ للتبني على غاية القصة، وهي التكليم.

وَلَقَدْ مَسْنَا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مَا يُوحَى
﴿٣٨﴾ أَنْ أَقْدِفْهُ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدِفْهُ فِي الْبَرِّ فَلْيَلْقِهِ الْيَكْمُ
بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوِّي وَعَدُوُّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ حَجَّةً مَنَى
وَلِنُصْنَعُ عَلَى عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمَثَّلَ لَكَ نَحْلٌ فَقُولْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى
مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ
نَفْسًا فَحَيَّيْنَاكَ مِنْ أَلَمِّ مَوْتِكَ فَهَوَّأْنَا فَلْيَلِّتْ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ
ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى ﴿٤٠﴾ وَأَصْطَفَيْنَاكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾
أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ ابْنَيْي وَلَا نَبِيَّ فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ أَذْهَبَا إِلَى
فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْسَ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَى
﴿٤٤﴾ فَلَا تَرْتَابًا إِنَّ خَافَ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴿٤٥﴾ قَالَ
لَاخُفَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمِعُ وَأُبْرِيءُ ﴿٤٦﴾ فَأَنبَأَهُمَا قَوْلَ اللَّهِ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ
فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَدُّ بِهِمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِكَ آيَةٍ
مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ أَمْرٍ أَلْهَدِي ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ
إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَيَّ مِنْ كَذَبٍ وَفُوكَ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا
يَا مُوسَى ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٥٠﴾

٤١- وجعلتك مختاراً لتحمل رسالتي وتبليغها للناس.

٤٢- اذهب أنت وأخوك هارون بمعجزاتي: وهي الآيات التسع كالجراد والظوفان والضفادع، ولا تفترا ولا تقصرا في ذكر الله
وتسبيحه وعبادته، وتبليغ الرسالة.

٤٣- اذهب يا موسى مع أخيك هارون إلى فرعون، إنه تجاوز الحد في الكفر والتعرد بادعائه الربوبية.

٤٤- فقولا له قولاً لا خشونة فيه، بدعوته إلى الإيمان برفق لا عنف فيه، لعله يتعظ ويتأمل فيؤمن، أو يخاف عذاب الله،
فيكف عن طغيانه.

٤٥- قالوا: ربنا إننا نخاف أن يعجل علينا بالعقوبة والقتل، أو يجاوز الحد في الإساءة إلينا ويزداد تكبراً.

٤٦- قال الله تعالى لهما: لا تخافا إنني معكما بالنصر والعمون والحفظ، أسمع وأرى ما يجري بينكما وبين فرعون.

٤٧- فاذهبوا إليه فقولا له: إننا أرسلنا من ربك إليك لتبليغك الرسالة والإقرار بتوحيد الله، فأطلق سراح بني إسرائيل من الأسر،
ولا تعذبهم بذبح أبنائهم وتسخير نساءهم للخدمة وتكليفهم بمشاق الأعمال، قد جئناك بآية من ربك تشهد لنا بالنبوة، وهي العصا
واليد، والسلامة من العذاب في الدارين لمن صدق بآيات الله تعالى.

٤٨- لقد أوحى الله إلينا أن الهلاك في الدنيا، والخلود في النار بسبب التكذيب بآيات الله ورسله، والإعراض عن الإيمان بها،
والإقرار بوحدانته الله تعالى . ولاحظ أنه تعالى قدم البشارة بالسلام للترغيب، ثم صرح بالعقاب للتهديد.

٤٩- قال فرعون: فمن ربكما يا موسى؟ خاطب الاثنين ثم خص موسى لأنه الأصل، وهارون وزيره.

٥٠- قال موسى: ربنا الذي منح كل نوع من المخلوقات تركيبه وصورته التي اختارها له، ثم أرشده لأداء وظيفته.

٥١- قال فرعون: فما حال الأمم الماضية التي لم تقر الله بالوحداية، وهو الرب الذي تدعو إليه يا موسى؟ بل عبت الأوثان ونحوها.

٥٢- قال موسى: علم أحوال الأمم الماضية وأعمالهم محفوظة عند ربي، في اللوح المحفوظ، لا يخطئ ربي في علم شيء، ولا ينسى ما علمه منها، والمراد بذلك إثبات كمال علم الله تعالى.

٥٣- الذي خلق لكم الأرض مهيّدة كالفرش، للعيش عليها يسر، وسهل لكم فيها طرقاً تسلكونها من أرض إلى أرض لتبلغوا منافعها، وأنزل من السماء (السحاب) مطراً، فأنتبت بها أصنافاً من النباتات المختلفة الألوان والطعوم والروائح.

٥٤- كلوا من تلك النباتات، وارعوا أنعامكم فيها، إن في ذلك المذكور هنا لدلالات على وحدانية الله وقدرته.

٥٥- من الأرض خلقناكم في الأصل، فلن التراب أصل خلقة آدم، وفي الأرض نعيدكم بعد الموت بالدفن فيها، ومن الأرض نبعثكم مرة أخرى للحساب والجزاء.

٥٦- ولقد بصّرنا فرعون كل الآيات التسع الدالة على نبوة موسى، فكذب فرعون بها، وأبى الإيمان وطاعة الله لعته وعناده.

٥٧- قال فرعون: أجتنا يا موسى بقلب العصا حية واليد البيضاء، وهو نوع من السحر، لتغلب على أرضنا مصر وتخرجنا منها، ويصبح الملك لك فيها.

قَالَ قَائِلٌ مِنَ الْأُولَى ۖ قَالَ عَلَّمْنَاكَ مَا كُنْتَ تَكْتُمُ
لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۗ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَوَّلَ
لَكُم فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن
نَّبَاتٍ شَتَّى ۗ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي
الْأَلْبَابِ ۗ ۞ ۝ ٥٣ ۗ مِنهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً
أُخْرَى ۗ وَلَقَدْ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ۗ ۝ ٥٤ ۗ قَالَ أَجْتَنَّا
لَمَن جَعَلْنَا مِن رِّضَابِنَا سَبَكًا يُمَسِّحُ بِهِ ۗ فَلَمَّا اتَّيْنَاكَ بِعَصَاكَ جَعَلْنَا
يَسًا وَيَدَك مَوْجِدًا ۗ لَظَلَمْتُمْ نَحْنًا وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوِيًّا ۗ قَالَ
مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَن يُخَشِرَ النَّاسُ سِحْرِي ۗ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ
جَمْعَ كَيْدِهِ ثُمَّ أُنبِئَ أَنَّ ۗ قَالَ لِمَ مَوْعِدُكُمْ وَلِمَ لَا تَنْفِرُوا عَلَيَّ ۗ اللَّهُ
كَذِبًا فَتَتَّبِعْكُم بِعَذَابٍ مُّذَابٍ ۗ مِّنْ أَعْرَابٍ ۗ فَذَكَرَ عَرُوفًا
أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرَأَ السُّعُوفِي ۗ فَاتَّوَلَّى هَٰذَانِ السِّحْرَانِ يَرِيدَانِ
أَن يُخْرِجَاكَ مِنَ أَرْضِكُ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرَفَيْكَ الْمَلَّةِ ۗ ۝ ٥٦ ۗ
فَأَجْبِضَا كَذِبًا ثُمَّ اتَّوَاصَفَا وَقَدْ أَقْبَلَ الْيَوْمَ مِنَ السَّمْعَلِيِّ ۗ ۝ ٥٧ ۗ
قَالُوا لِمَ مَوْعِدُكُمْ إِنَّمَا أَنْتَ تُنْفِقُ وَإِنَّمَا أَنْتَ تُكُونُ أَوْلَىٰ مِنَ الْقَوْلِيِّ ۗ ۝ ٥٨ ۗ

٥٨- فلنأتينك يمثل السحر الذي جئت به، لمعارضتك، فاجعل بيننا وبينك يوماً ومكاناً معلومين، وهو زمان الاجتماع، لأنخلق ذلك الورد نحن ولا أنت، في مكان وسط بين الفريقين، أو في مكان مستور، يشاهده جميع الحاضرين.

٥٩- قال موسى: موعدهم يوم العيد المشهور الذي تتزينون فيه، وحده موسى لفراغ الناس واجتماعهم فيه جميعاً، وأن يجمع الناس في الضحى، أي بعد شروق الشمس وارتفاعها عالياً، لتكون الرؤية واضحة، فلا يشكوا في المعجزة.

٦٠- فانصرف فرعون عن المجلس، فجمع ما يكيد به من السحرة وأدواتهم، ثم أتى الموعد بهم.

٦١- قال موسى للسحرة: هلاك لكم، أي أهلككم الله، لا تختلقوا كذباً على الله، بادعائكم أن المعجزات على يد الرسول سحر، فيستأصلكم بعذاب، وقد خسروا هلك من اختلق أي كذب على الله تعالى.

٦٢- فتشاور السحرة وتناظروا فيما بينهم واختلفوا في أمر موسى حين سمعوا كلامه، وتناجوا فيما بينهم سرّاً في خفاء تام فيما يعملون مع موسى.

٦٣- قالوا لأنفسهم: ما هذان إلا ساحران أي موسى وهارون، يريدان أن يخرجكما من أرض مصر بسحرهما، أو يذهبا بمذهبكم الأفضل في السحر؛ لأن السحرة كانوا معظمين.

٦٤- أحكموا تدبيركم الخفي واعزموا عزمًا مؤكداً على خطة واحدة، ثم تقدموا صفاً واحداً لتبهروا الأبصار، وقد فاز اليوم من غلب. وهذا قول السحرة مع بعضهم.

٦٥- قال السحرة عند بدء المباراة: يا موسى، أنت بالخيار بين أن تلقي أولاً على الأرض عصاك، أو بين أن تلقي نحن أولاً عصيتنا، وفي ذلك أدب عال.



قَالَ بَلْ أَلْقَوْنَا أَدْبَارَهُمْ وَعَصِيهِمْ فُجِّيلٌ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنْهَا
 تَسْمَى ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى ﴿٦٧﴾ فَلَمَّا لَاتَخَفَ
 إِنَّا أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٦٨﴾ وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْفُفٌ مَصْنُوعٌ إِنَّمَا
 صَنَعُوا كَيْدَ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٦٩﴾ فَأَلْقَى السِّحْرَ
 نَجْمًا فَالْوَاءُ مَنَابِرُ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿٧٠﴾ قَالَ أَمْتُرْ لَهُ قَبْلَ
 أَنْ أَدْنَى لَكُمْ أَنَّهُ لَكَبِيرٌ الَّذِي عَلَّمَكَ السِّحْرَ فَلَا تَطْعُنْ أَيْدِيَكُمْ
 وَأَنْتُمْ كُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صَلْبَيْكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ
 إِنَّمَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿٧١﴾ فَأَلْوَانٌ تُؤْتِرُكَ عَلَى مَا جَاءَكَ
 مِنَ النَّبِيِّتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَأَقْصِ مَا أَنْتَ فَأَقْصِ إِنَّمَا نَقَضَى
 هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّمَا مَنَابِرُنَا لِنُفِصِلَنَّكَ حَاطِبِينَ
 وَمَا أَكْرَهْنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ أَبْقَى ﴿٧٣﴾
 إِنَّهُ مِنْ بَابٍ رَبِّهِ رَجْمٌ وَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى
 ﴿٧٤﴾ وَمِنْ بَابٍ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ
 فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٥﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ تَجْرِي
 مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٧٦﴾

٦٦- قال لهم موسى مقابلاً للأدب بمثله ولتكون
 معجزته أظهر: بل ألقوا ما معكم من أدوات
 السحر، ففُجِّيلٌ إليه وتوهم أن حبالهم وعصيتهم
 تتحرك بسرعة كالإفاعي.

٦٧- فأحس موسى بالخوف من أن يغلب، وأن
 يلتبس أمره على الناس، فلا يؤمنوا به؛ لأن
 سحرهم من جنس معجزته.

٦٨- قلنا لموسى حينئذ: لا تخف، إنك أنت
 الغالب لهم

٦٩- وألق العصا التي في يمينك، تبتلع بقوة
 وسرعة جميع ما صنعوه من الحبال والعصي، فإنما
 الذي صنعوه مجرد حيلة مدبرة، وكيد سحري لا
 حقيقة له، ولا يفلح الساحر أينما كان وأينما أقبل.

٧٠- فعلم السحرة أن فعل موسى ليس بسحر،
 بل هو من الله، فخرروا ساجدين خاضعين لله، ثم
 قالوا: أمنا برب هارون وموسى، والمراد: أن
 معرفتهم الحق، أخضعتهم له بقوة، فسجدوا لله،
 وآمنوا بموسى.

٧١- قال فرعون للسحرة: كيف أمتتم لموسى
 واتبعتموه على دينه، قبل أن أسمح لكم، إن
 موسى معلمكم الكبير الذي علمكم السحر، وقد

تواطأتم على ما فعلتم، مريداً بذلك إدخال الشبهة على الناس حتى لا يؤمنوا، لأقطعن أيديكم وأرجلكم من
 جهتين مختلفتين، يد يميني ورجل يسرى مثلاً، ولأصلبكنم على جذوع النخل، وقد اختارها لخشوتها
 وأذاها، ولتعلمن هل أنا أشد وأدوم عذاباً أم رب موسى؟

٧٢- قال السحرة لفرعون: لن نختارك على ما جاءنا به موسى من المعجزات الواضحات الدالة على
 صدقه، ولن نختارك على الله الذي خلقنا، فاصنع ما أنت صانع، بما تهددنا به، إنما سلطانك وقضاؤك
 محصور في هذه الحياة الدنيا.

٧٣- إنا صدقنا برينا الخالق ليغفر لنا ذنوبنا السابقة من الكفر وغيره، ويغفر ما أكرهتنا عليه من عمل السحر
 - وهذا يدل على أنهم يعلمون أن السحر تضليل وخداع - والله خير منك ثواباً إذا أطيع، وأدوم منك عذاباً إذا
 عصي.

٧٤- إنه من يلق ربه ميتاً على الكفر والعصيان، فله جهنم لا يموت فيها فيستريح، ولا يحيى حياة سعيدة
 فتنفعه.

٧٥- ومن يلق الله ميتاً على الإيمان لا يشرك بالله أحداً، قد عمل ما أمر الله به، من الفرائض والنوافل،
 فأولئك لهم المنازل العالية عند الله تعالى.

٧٦- تلك المنازل في جنات إقامة دائمة، تجري الأنهار من تحت غرفها، ماكثين فيها على الدوام، وذلك
 جزاء من تطهر من الذنوب والكفر.

٧٧- ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعادي بني إسرائيل من مصر ليلاً، فاجعل لهم بعصاك التي تضربها في البحر طريقاً ييساً، وهو بحر السويس، آمناً من متابعة أحد، لا تخاف إدراكاً ولحوقاً من العدو فرعون، ولا تخاف غرقاً في البحر أو من فرعون.

٧٨- فأتبعهم فرعون بنفسه مع جنوده، فغمرهم وعلاهم من ماء البحر ما غمرهم، وتكرر غشيمهم أي غطاهم للمبالغة والتهويل. أي أطبق عليهم الماء، وغرقوا جميعاً.

٧٩- وأضل فرعون قومه عن الرشده في الدين، وما هداهم إلى خير، بدعوتهم إلى تاليه وعبادته.

٨٠- وناسب ذلك تعداد النعم على الإسرائيليين،

يا بني إسرائيل، قد أنجيناكم من عدوكم: فرعون وقومه بإغراقهم، ووجدنا رسولكم موسى لتلقي التوراة، جانب جبل الطور في سيناء في الناحية اليمنى على يمين موسى وهو قادم إلى مصر من مدين، ونزلنا عليكم في الشبه المن: وهو نوع من الحلوى تتجمع على أوراق الشجر، والسلوى: وهو طائر طيب اللحم هو السماني.

٨١- كلوا أيها الإسرائيليون من مستلذات الأطعمة الحلال التي أنعمنا بها عليكم، ولا تتجاوزوا المباح إلى

ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعادي فأضرب لهم طريقاً في البحر يساً لا تخف دركاً ولا تخشى فأتبعهم فرعون مجنونه فغشيمهم من ألم ما غشيمهم وأضل فرعون قومه وما هدى يئس أسره لئلا نجنكم من عدوكم ووعدكم جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيل عليكم غضبي ومن جعل عليه غضبي فقد هوى وإن لفنار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى وما أعمالكم عن قومك يمشي قال هم أولاء على أنرى وعجلت إليك رب لرخصي قال فإننا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري ووج موسى إلى قومه غضبنا أسفاً قال يقوم أرتعدكم ربكم وعداً حسناً أظال عليكم العهد أم أردتم أن نجعل عليكم غضب من ربكم فأخلفتموعدى قالوا ما أخلقنا موعدك بما لكنا وحملنا أوزاراً من ربة القوم فقد قتها كذلك ألقى السامري

الحرام بالبطر والسرف ومنع الحق، وكفر النعمة وترك شكرها، فينزل عليكم غضبي وعقوبي، ومن ينزل عليه غضبي فقد سقط وهلك في الهاوية وهي قعر النار.

٨٢- وإنني لكثير المغفرة وستر الذنوب لمن تاب من الشرك، وآمن بالله وحده وبما يجب الإيمان به من الملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر، وعمل العمل الصالح الذي أمر به الشرع، ثم استقام على ذلك حتى مات.

٨٣- ثم أخبر سبحانه عما حدث أثناء الميقات، مبتدئاً بعتاب موسى: وما الذي دفعك إلى العجلة في السير، حتى تركت قومك وسبقتهم، يا موسى؟

٨٤- قال موسى: هم لاحقون بي عن قريب، وعجلت إليك ربي لترداد رضاً عني بذلك.

٨٥- قال الله تعالى: فإننا قد اخترنا قومك بعبادة العجل بعد فراقك، وأضلهم موسى السامري الذي كان منافقاً بصناعة العجل والدعوة إلى عبادته.

٨٦- فعاد موسى إلى قومه غضبان شديد الأسف والحزن على ما صنع قومه، قال: يا قوم، ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً بإعطاء التوراة التي فيها هدى ونور، هل طال عليكم زمان المفارقة وهو شهر وأيام، فنسيتم الوعد بالثبات على الإيمان، أم أردتم أن ينزل عليكم عقاب ونقمة من ربكم؟ فأخلفتم وعدي الذي واعدتوني بالثبات على الإيمان وطاعة الله تعالى إلى أن أرجع من الطور.

٨٧- قالوا له: ما أخلقنا وعدك باختيارنا، وإنما اضطراراً، فإننا حملنا أثاماً من حلي قوم فرعون بمصر، حين أخذتها نساؤنا منهم إعارة، لما أردنا الخروج من مصر، لاستعمالها كذباً بمناسبة عيد أو وليمة، فطرحناها في النار بأمر السامري للخلاص من إثمها، وكما ألقينا الحلي، ألقى السامري ما معه من الحلي في النار، ثم ألقى عليه قبضة من أثر الرسول جبريل.



٨٨- فصاغ من تلك الحلي المذابة عجلاً مجرد جثة لا روح فيها، له خوار: صوت كصوت البقر، فقال السامري وموافقوه: هذا إلهكم وإله موسى، فنسي موسى ربه هنا، وذهب يطلبه عند الطور. وصناعة العجل: هو ما تعلمه بنو إسرائيل من المصريين.

٨٩- أفلا يتأملون في أن هذا العجل لا يرد عليهم جواباً إذا سألوه، ولا يقدر على أن يدفع عنهم ضراً أو يجلب لهم نفعاً، فكيف يكون إلهاً؟!

٩٠- ولقد قال لهم هارون قبل عودة موسى من الطور: إنما ابتليتكم واختيرتم في إيمانكم بهذا العجل، فإياكم أن تعبدوه، وإن الله الرحمن ربكم فاتبعوني في عبادته والشبات على الحق، ولا تتبعوا السامري، وأطيعوا أمري في تلك العبادة، لا أمره.

٩١- قالوا الهارون: سنستمر أو لن نزال مقيمين على عبادة العجل، حتى يرجع إلينا موسى، فينظر هل يقرنا على عبادة أم ينهانا عنها؟ فاعتزلهم هارون.

٩٢، ٩٣- قال موسى بعد رجوعه: يا هارون ما منعك من مقاومة الباطل والكفر بالله، وألا تبغني في الصلابة في الحق والغضب لله، حين رأيتمهم ضلوا بعبادة العجل، أفصيت أمري فيما عهدت إليك من

فَأُخْرِجْ لَهُمْ عِجْلاً جَدِيداً لَهُ خَوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى
فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّ الْأَبْرَاجَ الْيَوْمَ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ
ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمُ إِنَّمَا
فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي
﴿٩٠﴾ قَالَ الْوَالِدُ رَبِّحْ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَمِيدٍ خَيْرٌ لِي بِرَجْعِ آيَسَا مُوسَى
﴿٩١﴾ قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ
أَفْصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْتُؤُونَ لَنَا أَنْ نَأْخُذَ بِحَيْثِي وَلَا يَأْتِي
إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ
قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا خَطْبُكَ يَا سَمِيرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ
بَمَا لَمْ يُبْصَرُوا بِهِ فَقَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ
فَنَسِيتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّاتُ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ
فَإِنَّكَ فِي الْخَيْرِ أَنْ تَقُولَ لِمَسَاسٍ وَإِنَّكَ لَمَوْعِدًا
لَنْ نُخْلِفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا
نَنُوقُ لِقَائِهِ ثُمَّ نَلْسِفْهُ فِي النَّبِيِّ سَمَاءً ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ
اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

إقامة الدين، والدفاع عنه، ثم أقتت بين قوم لا يعبدون الله تعالى؟

٩٤- قال هارون: يا أخي ابن أمي- وخص الأم استعطافاً لقلبه- لا تأخذ بشعر لحيتي ولا بشعر رأسي عقاباً وغضباً علي، فإني لم أعص أمرك، وعذري أنني خفت لو اتبعتك في صلابتك ومقاومتهم أن تقول لي: فرقت جماعتهم وجعلتهم فريقين بين مؤيد ومعارض، ولم تعمل بوصيتي لك فيهم بالبقاء معهم وحفظهم، كما في قوله تعالى: ﴿اخلفني في قومي وأصلح﴾ [الأعراف ٧/١٤٢].

٩٥- ثم قال موسى منكراً: ما الذي حملك على هذا الأمر الخطير؟

٩٦- قال السامري: علمت ما لم يعلموه، فأخذت قبضة من التراب من أثر فرس جبريل، حين جاء لإهلاك فرعون، فطرحتها في الحلي المذابة المسبوكة على صورة العجل، ومثل ذلك زيتٌ وحسنتٌ لي نفسي. وهذا تفسير يحتاج لإثبات وتأمل. وقال أبو مسلم الأصفهاني: علمت من صنع التماثيل ما لم يعلموه، فاستعنت ببعض تعاليم الرسول، أي أنت يا موسى، واستخدمتها في هذا العمل الذي زيتته نفسي في أن يكون هذا العجل إله بني إسرائيل.

٩٧- قال موسى له: فاذهب من بيننا، فإن لك طوال حياتك أن تقول لمن رأته عقوبة على فعلك: لا تقربني ولا تخالطني، والمراد أن يعيش طريداً وحيداً مكروهاً منبوذاً، وإن لك موعداً في الآخرة لحسابك وعذابك، ليس فيه خُلفٌ وسيأتي به الله حتماً، وانظر إلى إلهك العجل الذي واطبت على عبادته لنحرقته بالنار، ثم لنذرينه في البحر بشدة، حتى لا يبقى منه أثر.

٩٨- ثم قال موسى لقومه: إنما إلهكم المستحق للعبادة هو الله الذي لا إله معبود بحق إلا هو، أحاط علمه بكل

كذالك نُنصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ
 مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا
 ﴿١٠٠﴾ خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ
 فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْجَحِيمَ يَوْمَ يُؤْمَدُ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَسْتَحْفُونَ
 بَنِيهِمْ لِأَنَّ لَيْسَ لَهُمُ الْآعْشُرَ ﴿١٠٣﴾ كُنْ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ
 أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَيْسَ لَهُمُ الْآيَاتُ ﴿١٠٤﴾ وَسَيَلْوَنُكَ عَنِ الْجِبَالِ
 فَقُلْ نِسْفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَا تَبْقَى
 فِيهَا جَبَلٌ وَلَا أَمْتٌ ﴿١٠٧﴾ يَوْمَ يُؤْمَدُ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَأَعْوَجَ لَهُ
 وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾
 يَوْمَ يُؤْمَدُ لَأَنْتَفِعَ الشُّفْعَةُ إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ رِضًى لَهُ فَوَلَا
 ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِ
 اللَّهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ ﴿١١٠﴾ وَعَسَى أَنْ تَمُرَّ بِهِمْ لُجُجٌ كَالْعِزِّ وَالْمُنِيرِ ﴿١١١﴾
 وَكَانَ لَكُمْ فِي الْقُرْآنِ حِكْمٌ وَإِذْرًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا
 وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ لَمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾

٩٩- مثلما قصصنا عليك أيها النبي قصة موسى والسامري هذه، نقص عليك من أخبار الأمم الماضية تسرية عنك، وإثباتاً لصدقتك، وقد أنزلنا عليك من عندنا قرآناً مبيناً.

١٠٠- من أعرض عن هذا القرآن، فلم يؤمن به، فإنه يحمل يوم القيامة عقوبة الذنب. والوزر في الأصل: الحمل الثقيل، ويطلق على الذنب، والمراد به هنا العقاب.

١٠١- خالدين في الجزاء بالنار، وبئس الحمل لهم يوم القيامة.

١٠٢- يوم ينفخ إسرافيل في الصور (القرن) النفخة الثانية وهي نفخة البعث للحشر والحساب، ونحشر الكافرين والمشركين يوم القيامة، زُرُق الأبدان والعيون من شدة الهول، والغیظ والندامة.

١٠٣- يتهايمون ويتساررون بينهم لشدة الرعب والهول قائلين: ما لبثتم في الدنيا إلا عشر ليال. يستقصرون مدة لبثهم فيها لزوالمها السريع.

١٠٤- الله أعلم بأقوالهم في مدة لبثهم، حين يقول عدلهم رأياً وأصحهم قولاً: ما لبثتم إلا يوماً واحداً.

١٠٥- ويسألك الناس من المشركين وغيرهم عن حال الجبال يوم القيامة، فقل لهم: يقلعها ربي من

أصولها قلعاً، ويفجرها تفجيراً حتى تتفتت ذراتها وتصبح كالرمل السائل، ثم يطيرها كالريح والغبار في يوم عاصف. قالت قريش: يا محمد، كيف يفعل ربك بهذه الجبال يوم القيامة؟ فنزلت هذه الآية.

١٠٦، ١٠٧- فيتركها مع الأرض مستوية ملساء، لا نبات فيها ولا بناء، لا ترى فيها انخفاضاً ولا ارتفاعاً.

١٠٨- يوم القيامة وبعد نسف الجبال والقيام من القبور يتبع الناس داعي الله إلى المحشر، لا انحراف لهم عنه، بل يسرعون إليه، وسكنت وذلت أصوات الخلاق رهبة وهيبة وخشوعاً لله، فلا تسمع أحداً يتكلم إلا بصوت خفي.

١٠٩- يوم القيامة لا تنفع الشفاعة من أحد إلا شفاعته من أذن له الرحمن أن يشفع، ورضي قوله في الشفاعة.

١١٠- يعلم الله سبحانه كل ما قدمه العالم وما أخروه من أمور الدنيا والآخرة، ولا يحيط علمهم بمعلوماته، ولا بذاته وصفاته.

١١١- وخضعت وذلت وجوه المخلوقات للحمي القائم بتدبير عباده ومجازاتهم، والقائم بشؤون ملكه، وقد خسر من حمل شيئاً من الظلم كالشرك وغيره.

١١٢- ومن يعمل الأعمال الصالحة المأمور بها شرعاً، وهو مؤمن بالله وحده، فلا يخاف يوم القيامة ظلماً بأن يعاقب من غير ذنب، ولا يخاف نقصاً من حسناته.

١١٣- ومثل إنزال ما ذكر من القصص أنزلنا هذا القرآن بلغة العرب ليفهموه، ونوعنا فيه ألوان الوعيد تخويفاً وتهديداً، كي يخافوا الله، فيجتنبوا الشرك والمعاصي، ويحذروا العقاب، أو يحدث لهم القرآن عظة وعبرة حين يسمعون آياته.



١١٤- فتعاطم الله الملك الحق في ذاته وصفاته
عن ماثلة المخلوقين، وعمما يقوله المشركون، ولا
تستعجل أيها النبي في ترداد القرآن حالة إنزاله،
حتى يتم وحيه وحتى يفرغ جبريل من إبلاغه لك،
وقل: يا رب زدني علماً إلى علومي، بدل
الاستعجال. قال السدي: كان النبي ﷺ إذا
نزل عليه جبريل بالقرآن، أتعب نفسه في
حفظه، حتى يشق على نفسه، فيخاف أن
يصعد جبريل، ولم يحفظه، فنزلت الآية.

١١٥- ولقد أمرنا آدم ووصيناه بعدم الأكل من
الشجرة، فسي العهد وترك الامتنال، ولم نجد له
صبراً على الاستمرار في ترك المنهي عنه، ولا
تصميماً على الذنب، وإنما فتر عزمه وأدركه ضعف
البشر، فأخطأ ولم يتعمد.

١١٦- واذكر أيها النبي حين قلنا للملائكة:
اسجدوا لآدم سجود تحية، لا سجود عبادة،
فسجدوا جميعاً إلا إبليس رفض أن يسجد حسداً
وتكبراً.

١١٧- فقلنا: يا آدم، إن إبليس هذا عدو لك
ولزوجك حواء، فلا يكون سبباً لإخراجكما من
الجنة بوسوسته، فتنعب بمتاعب الدنيا الكثيرة.

فَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكِ الْحَقُّ وَلَا تَجْعَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ
أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ
عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ نَسْفِ وَلَوْ جَعَلْنَا لَهُ عِزًّا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا
لِلْمَلِكِ اسْجُدْ وَابْتَغِ الْوَسِيلَةَ وَالْإِبْلِيسَ أَبَى ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا
يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا تَخْرُجْ جَنَّاتٍ مِنْ الْجَنَّةِ
فَسَقَى ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ الْأَجْمَعُ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ
لَا تَطْمَؤُنْ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴿١١٩﴾ فَوَسَّسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ
يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةٍ الْخَالِدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا
مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سُوءُ أَسْمَائِهِمَا وَطَفِقَا يَخْصِمَانِ عَلَيْهِمَا
مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٢١﴾ ثُمَّ آجَبَهُ رَبُّهُ
فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٢٢﴾ قَالَ أَهْبَطْنَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ
لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِنَّمَا يَأْتِيكُمْ رَبِّي هُدًى مِمَّنْ اتَّبَعَ هُدَايَ
فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنِّي فَسَقَى فَإِنَّ
لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾
قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾

١١٨- إن لك في الجنة أن تتمتع بأنواع المعاش، فلا تجوع فيها، ولا تعرى من الثياب.

١١٩- وألا تعطش فيها ولا تصيبك الشمس اللافة الحر.

١٢٠- فحذنه الشيطان خفية في نفسه، قال له: يا آدم، هل أدلك على شجرة الخلود، من أكل منها لم
يمت أصلاً، وأدلك على ملك لا يزول ولا يفنى. وكان ذلك كذباً من إبليس.

١٢١- فأكل آدم وحواء من تلك الشجرة التي نهيها عنها، فظهرت لهما عوراتهما، وشرعا يلصقان على
عوراتهما من ورق شجر الجنة ليستترا به، وعصى آدم ربه بالأكل من الشجرة، فضل عن الرشد وأخطأ وجه
الصواب، حيث اغتر بقول عدوه.

١٢٢- ثم اصطفاه ربه وقرّبه إليه، بعد أن تاب واستغفر، فقبل توبته، ووقفه للثبات على الطاعة والأخذ
بأسباب العصمة في الدنيا، وكان ما سبق منه في الجنة درساً بليغاً وعظة.

١٢٣- قال الله لآدم وحواء: اهبطا من الجنة جميعاً إلى الأرض، بعضكم أيها البشر عدو لبعض، بالتنافس
في أمر المعاش، فإن يأتيكم مني هداية بكتاب ورسول، فمن اتبع هداي بالعمل بأوامري، فلا يضل في الدنيا،
ولا يشقى في الآخرة.

١٢٤- ومن أعرض عن كل ما يذكر بالله من قرآن وغيره، فله في الدنيا معيشة شاقة ضيقة، شديدة القلق،
أما المؤمن فهو مستريح النفس، ونحشره يوم القيامة أعمى البصر، متحيراً تائهاً.

١٢٥- قال: ربي لِمَ حشرتني أعمى؟ وقد كنت بصيراً في الدنيا وعند البعث من القبر.

قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِبْنَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنصَبُ ﴿١٢٦﴾
 وَكَذَلِكَ نُجْزِي مَنْ سَرَفَ وَلَوْ تَوَيْبًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا
 أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿١٢٧﴾ أَفَلَا يَهْدِي لَهُمْ كَذِبًا أَهْلَكَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ
 يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴿١٢٨﴾ وَلَا
 كَلِمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَاصْبِرْ
 عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ
 غُرُوبِهَا وَمِنْ أَنَا فِي السُّجُودِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴿١٣٠﴾
 وَلَا تَدْعُ عَيْنُكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
 لِنَفْسِهِمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ
 بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْتَكْبِرْ رِزْقًا نَحْنُ نَزَرْنَا
 وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا لَوْلَا آيَاتُنَا يَا أَيُّهَا مَنْ رَّبِّهِ أَوْمَرُ
 نَأْتِيهِمْ بِنُورٍ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ
 بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا قَدْ جِئَ
 ءَآيَاتِكَ مِن قَبْلُ أَلَّا نَدْعُوكَ وَنُحْزِنِي ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّرْتَضٍ فَرِحُوا
 فَسْتَعْلَمُونَ مَنِ اصْطَبَأَ الصِّرَاطَ السَّوِيَّ وَمَنِ اهْتَدَى ﴿١٣٥﴾

١٢٦- قال الله: مثل ذلك فعلت أنت، وهو أنك أتتك آياتنا واضحة، فأعرضت عنها، وتركتها، ولم تؤمن بها، وكذلك اليوم ترك في العذاب.

١٢٧- ومثل جزائنا من أعرض عن ذكر القرآن، نجزي ونعاقب كل من انهمك في الشهوات، ونجاوز الحد في الكفر والمعاصي، ولم يصدق بآيات ربه، بل كذب بها، ولعذاب الآخرة أشد قسوة وليلاماً من عذاب الدنيا، وأدوم.

١٢٨- أفلم يتبين في القرآن لكفار مكة وأمثالهم أنه كثيراً ما أهلكنا قبلهم من الأمم الماضية، وهم يسرون في ديارهم، لتكذيب الرسل، إن في ذلك لعلباً لذوي العقول.

١٢٩- ولولا وعد سابق من الله بتأخير عذاب الإفناء عن هذه الأمة، وتأجيل العذاب إلى الآخرة، لكان الإهلاك وعقاب ذنوبهم لازماً لهم في الدنيا، لا يتأخر عنهم، ولولا الوقت المحدد أو المقدر لأعمارهم أو لعذابهم وهو يوم القيامة، لكان العقاب العاجل.

١٣٠- فاصبر أيها النبي على ما يقول المشركون من أنك ساحر كذاب ونحو ذلك، وداوم على التسبيح مع التحميد والصلاة في كل الأوقات قبل طلوع الشمس، أي في صلاة الفجر، وقبل غروبها، أي في صلاة العصر، ومن أجزاء الليل صل المغرب

والعشاء، وصل في وسط النهار- بين طرفي أو نصفي النهار- عند زوال الشمس إلى جهة الغرب وهي صلاة الظهر، لتنال ما عند الله ما به ترضى نفسك.

١٣١- ولا تطل نظر عينيك تمتياً ورغبة إلى ما في أيدي الآخرين من متع الحياة الدنيا مما هو من زيتها وبهجتها كالمال والمباني والأثاث والمراكب، لتختبرهم فيه، واجعل همك فيما عند الله، فما ادخره الله لك ووعدهك به في الآخرة خير مما منحهم في الدنيا، وأدوم لا يتقطع.

١٣٢- وأمر أهل بيتك بالصلاة، واصبر وداوم على الصلاة، لا تكلفك أن ترزق نفسك وأهلك، نحن نرزقك ونعطيك، والعاقبة المحمودة في الآخرة وهي الجنة لأهل التقوى.

١٣٣- وقال المشركون: هلا يأتينا بآية معجزة حسية من ربه دالة على صدقه في رسالته، كآيات الأنبياء السابقين، مثل ناقة صالح، وعصا موسى، وإبراء عيسى الأكمه والأبرص، فرد الله عليهم بقوله: أولم تصلهم أخبار الصحف الأولى كصحف إبراهيم وموسى والتوراة والإنجيل الذي فيها التصريح بنبوته، وبيان أحوال الأمم التي أهلكت بتكذيب الرسل، وهم معترفون بصحتها؟!!

١٣٤- ولو أننا أهلكنا هؤلاء المشركين بعذاب من قبل بعثة محمد ﷺ فيهم، لقالوا يوم القيامة: ربنا هلا أرسلت إلينا رسولاً في الدنيا، فتتبع آياتك المرسل بها من أوامر ونواهٍ، من قبل أن نذل بعذاب الدنيا، بالقتل والأسر، ونفتضح بدخول النار في الآخرة.

١٣٥- قل لهم أيها النبي: كل واحد منا ومنكم منتظر ما يوول إليه الأمر في الدنيا، فانتظروا، فستعلمون من هم أصحاب الطريق القويم باتباع الإسلام، ومن اهتدى من الضلالة.

سورة الأنبياء



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 اقْرَبِ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَا أَيُّهُمْ
 مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ يُخَذِّتِ إِلَّا أَسْمَعُوهُ وَهُمْ يُلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً
 قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ الْخَوِيُّ الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلُكُمْ
 أَفَأَنْتُمْ السَّمْعُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ
 فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ كَانُوا
 أَضْغاثَ أَحْلَامٍ بَلْ أَفْرَبَهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا
 أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ ﴿٥﴾ مَا آتَتْ قَبْلَهُمْ مِّن قُرْبَةٍ أَهْلَكْنَاهُمْ أَنهَمْ
 يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ
 فَشَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لِاتَّعَلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ
 جَسَدًا لِأَبَّا كَلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقَهُمْ
 الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾
 لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

فضلها: روى البخاري عن ابن مسعود قال: «بنو إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: هن من العتاق الأول، وهن من تِلادي» أي من قديم ما حفظ من القرآن.

١- قَرُبَ للناس زمان حسابهم وهو وقت يوم القيامة، وهم مشغولون بالدنيا، غافلون عن الآخرة، معرضون عن التأهب للحساب فيها، والغفلة في الأصل: عدم تذكر الشيء، والمراد هنا: الترك إهمالاً وإعراضاً.

٢- ما يأتي الكفار من قرآن جديد إنزاله إلا استمعوا تلاوته، وهم يستهزئون ويعبثون.

٣- ساهية متشاعلة قلوبهم عن التأمل في القرآن وتفهم معناه، وأخفى المشركون الظالمون إخفاء شديداً ما تناجوا به فيما بينهم سراً، قائلين: هل هذا- أي محمد- أي ما هذا إلا بشر مثل الناس، لا منزلة له عنكم، يأكل ويشرب، فكيف يكون نبياً؟! أتتبعون السحر وهو القرآن وأنتم تشاهدون وتعلمون أنه سحر؟

٤- قال النبي ﷺ فيما حكاه القرآن عنه: ربي يعلم القول في أي مكان قيل فيه، في السماء والأرض، وهو شديد السمع لكل مسموع، واسع العلم بكل معلوم.

٥- بل قال بعضهم: إن ما أتى به القرآن أباطيل وأكاذيب، وتخاليط أحلام رآها في النوم، والأضغاث: ما لم يكن له تأويل، وقال آخرون: بل اختلق القرآن من عند نفسه، وليس من عند الله، وقال جماعة: بل إن القرآن هو شعر شاعر عذب الكلام، قوي البيان، أي فهو كلام مزخرف باطل، فإن كان صادقاً فليأتنا بمعجزة حسية كما أرسل الرسل السابقون بها، كعصا موسى، وناقاة صالح، ومعجزات عيسى مثل إبراء الأكمة والأبرص وإحياء الموتى.

٦- ما آمن قبيل مشركي مكة أهل قرية أهلكتنا بتكذيب ما أتانا من الآيات التي اقترحوها، أفهم يؤمنون لو جئتهم بها؟ والمراد: لم تؤمن أمة أهلكت عند تلبية ما اقترحوا، فكيف يؤمن هؤلاء لو أعطوا ما اقترحوا؟ نزلت حينما طلب أهل مكة من النبي ﷺ أن يحول لهم الصفا ذهباً.

٧- رد الله عليهم بقوله: ما أرسلنا قبلك أيها النبي إلا رسلاً رجالاً نوحى إليهم بأياتنا، فإن جهلتم ذلك، فاسألوا أهل العلم بالكتب السماوية السابقة، إن كنتم لا تعلمون أن جميع الأنبياء والرسل كانوا من البشر.

٨- وما جعلناهم مجرد جسد مغاير لطباع البشر، يعيشون كالملائكة بلا طعام ولا شراب، ولم يكونوا مخلدّين في الدنيا، بل يموتون كغيرهم من البشر.

٩- ثم أنجزنا لهم الوعد وصدقناهم في الوعد، فأنجيناهم مع المؤمنين بهم من العذاب، وأهلكنا المكذّبين المجاوزين الحد في الكفر والمعاصي، وهم المشركون.

١٠- لقد أنزلنا إليكم يا معشر قريش قرآناً فيه تخليد ذكركم وسمعتكم، أفلا تتفكرون بما فيه من المواعظ والعبر؟

١١- وكم أهلكتنا من أهل قرية كانت كاسفة،
وأوجدنا بعد إهلاك أهلها قوماً آخرين مكانهم.
١٢- فلما أدرکوا وشعروا بعذابنا إذا هم من قريتهم
يهربون مسرعين.
١٣- لا تهربوا وارجعوا إلى ما نعمتم فيه من متع
الدنيا، وإلى مساكنكم التي كنتم تفخرون بها، لتسألوا
عما حدث لكم، وهذا على سبيل التهكم والاستهزاء
والتوبيخ.
١٤- قالوا: يا هلاكتنا، إنا كنا ظالمين لأنفسنا بالكفر.
وهذا اعتراف صريح منهم بالظلم في يوم القيامة.
١٥- فما زالت تلك دعوتهم التي يرددونها بتكرار
تلك الكلمة، حتى جعلناهم محصودين بالعذاب كالزروع
المحصود، هالكين، ميتين، كخمود النار إذا طفت.
١٦- وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما من
المخلوقات عابثين لاهين، بل دالين على قدرتنا،
مرشدين عبادنا.
١٧- لو أردنا أن نتخذ ما يتلهم به كالزوجة والولد
لاتخذناه من عندنا كالخور العين والملائكة، إن كنا
فاعلين ذلك أي ما كنا، ولكن نحن أجل من أن نلهو،
وكل أفعالنا حق لا عبث فيه. والفرق بين اللهو واللعب:
أن الأول يقصد به الترويح عن النفس، والثاني لا يقصد
به هدف صحيح.

وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَدِلَهَا قَوْمًا
آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَدْرَكُوا وَشِعْرُوا بِعَذَابِنَا إِذَا هُمْ مِنْ قَرْيَتِهِمْ
يَهْرَبُونَ مُسْرِعِينَ ﴿١٢﴾ لَا تَهْرَبُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا نَعَّمْتُمْ فِيهِ مِنْ مَتَاعِ
الدُّنْيَا وَإِلَىٰ مَسَاكِنِكُمْ الَّتِي كُنْتُمْ تَفْخَرُونَ بِهَا، لَتَسْأَلُوا
عَمَّا حَدَّثَ لَكُمْ، وَهَذَا عَلَىٰ سَبِيلِ التَّهْجُمِ وَالاسْتِهْزَاءِ
والتَّوْبِيخِ. ﴿١٣﴾ لَا تَهْرَبُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا نَعَّمْتُمْ فِيهِ مِنْ مَتَاعِ
الدُّنْيَا وَإِلَىٰ مَسَاكِنِكُمْ الَّتِي كُنْتُمْ تَفْخَرُونَ بِهَا، لَتَسْأَلُوا
عَمَّا حَدَّثَ لَكُمْ، وَهَذَا عَلَىٰ سَبِيلِ التَّهْجُمِ وَالاسْتِهْزَاءِ
والتَّوْبِيخِ. ﴿١٤﴾ قَالُوا: يَا هَلَاكُنَا، إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ لِنَفْسِنَا بِالْكَفْرِ.
وهذا اعتراف صريح منهم بالظلم في يوم القيامة. ﴿١٥﴾ فَمَا زَالَتْ
تِلْكَ الْكَلِمَةُ، حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ مَحْصُودِينَ بِالْعَذَابِ كَالزَّرْعِ
المَحْصُودِ، هَالِكِينَ، مَيِّتِينَ، كَخَمُودِ النَّارِ إِذَا طَفَتْ. ﴿١٦﴾ وَمَا
خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ مَخْلُوقَاتٍ عَبَثِينَ لَاهِينَ، بَلْ
دَالِينَ عَلَىٰ قُدْرَتِنَا، مُرْشِدِينَ عِبَادِنَا. ﴿١٧﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ
نَتَّخِذَ مَا يَتْلَمَهُ بِهِ كَالزَّوْجَةِ وَالوَلَدِ لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ عِنْدِنَا
كَالخُورِ الْعَيْنِ وَالْمَلَائِكَةِ، إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ذَلِكَ أَيِّ مَا كُنَّا،
وَلَكِنْ نَحْنُ أَجَلُّ مَنْ أَنْ نَلْهَوْ، وَكُلُّ أَعْمَالِنَا حَقٌّ لَا عَبْثَ فِيهِ.
والفرق بين اللهو واللعب: أن الأول يقصد به الترويح عن النفس، والثاني لا يقصد
به هدف صحيح.

١٨- بل نرمي بقوة بالحق وهو الإيمان على الباطل وهو الكفر، وكل ما قالوه كذب وباطل، فيقهره ويغلبه، فإذا هو
زائل ذاهب، ولكم يا كفار مكة العذاب الشديد في الآخرة، بسبب ما تصفون الله به من الزوجة أو الولد، وكل ما لا يليق
به.
١٩- والله جميع من في السموات والأرض ملكاً وعبيداً، والملائكة الذين عنده لا يتعاطمون ولا يأنفون من عبادته،
ولا يتبعون ولا يكلون.
٢٠- يتزهون الله ويعظمونه ويذكرونه دائماً في الليل والنهار، لا يسأمون ولا يتوانون، ولا يضعفون.
٢١- بل هل اتخذوا، أي المشركون آلهة كاتمة من الأرض كحجر ومعادن، هم يحيون الموتى من قبورهم؟
٢٢- لو كان في السموات والأرض آلهة غير الله لخربتا واختل نظام الكون لاستبداد كل إله بتصرف معين، فيقع التنازع
والاختلاف، فتتزه الله رب العرش عما يفترى هؤلاء المشركون.
٢٣- لا يسأل الله عما يفعل لعظمته وقوة سلطانه، وإطلاق تصرفه، والعباد يسألون عما يفعلون؛ لأنهم عبيد
مملوكون لله تعالى.
٢٤- بل اتخذ المشركون من دون الله آلهة يزعمون أنها تنفع وتضر، قل لهم أيها النبي: هاتوا برهانكم على صحة
ادعائكم أنها آلهة، هذا الدليل هو الكتب المنزلة، الأول القرآن الذي هو كتاب أمتي، ثم التوراة والإنجيل وغيرهما من
كتب الله التي تذكر أهل الأديان السابقة، ليس في واحد منها أن مع الله إلهاً، كما زعموا، وإنما كلها تؤكد توحيد الله، بل
أكثرهم لا يعلمون توحيد الله وتمييز الحق من الباطل، فهم معرضون عن الحق والتوحيد واتباع الرسول جهلاً منهم به.

٢٥- وما أرسلنا من قبلك أيها الرسول من رسول سابق إلا أوحينا إليه أنه لا إله معبود بحق إلا أنا الله، فاعبدوني وحدي دون غيري، وهذا تقرير التوحيد.

٢٦- وقال بعض المشركين العرب وهم خزاعة: اتخذ الرحمن ولدًا، فإنهم قالوا: الملائكة بنات الله، تنزيهاً له عن ذلك، بل هم عباد مخلوقون، مقربون لديه، والعبودية تنافي الولادة.

٢٧- لا يتكلمون حتى يأمرهم ربهم، وهم ينفذون أوامره، ولا يعملون شيئاً بغير أمره.

٢٨- يعلم ما عملوا وما هم عاملون في المستقبل، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى أن يشفع له، مهابة منه، وهم من عظمته ومهابته تعالى خائفون مرتعدون. والخشية: الخوف مع التعظيم، والإشفاق: الخوف مع التوقع والحد الشديد.

٢٩- ومن يقل من الملائكة أو من الخلائق على سبيل الفرض: إني إله من غير الله، كإبليس الذي دعا إلى عبادة نفسه، فذلك نعاقيه بهم، ومثل ذلك الجزاء نجزي المشركين وكل من ادعى الربوبية.

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا أَوْحَىٰ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَ رَبِّكَ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَسْمَعُونَ إِلَّا الْمَنْ أَرَادَ رِضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُسْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكِ نَجْمٌ الَّذِي تَجْحَمُ بِذَلِكَ تَجْرِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ كَانَّا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تُبِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُرَعْنَ آيَاتُهَا مُمْرَضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْقَ أَقْبَانَ تَتَّكَّفُ هُمْ تَحْتَهُ فَهَلْ أَحْسَنُ لَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أُولَٰئِكَ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الْمَوْتِ وَيَكْفُرُوا بِالْحُرْفِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ كَمَا يُدْعُونَ فَمَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ مِنْ شَيْءٍ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّمَا أَعِزَّنَا لِلدُّنْيَا طُغْيَانًا طُغْيَانًا وَبِئْسَ مَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّمَا الْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ وَلَوْ أَنَّكَ كُنْتَ تَدْرِي

٣٠- أولم يعلم الكفار بالله والمشركون الذي أشركوا مع الله إلهاً آخر أن السموات والأرض كانتا ملتصقتين شيئاً واحداً، ففصلناهما وميزناهما عن بعضهما بكتلة الهواء، وخلقنا من الماء كل شيء، من حيوان ونبات وغيرهما، أفلا يصدقون بقدرتي وتوحيدي؟!

٣١- وجعلنا في الأرض جبالاً ثوابت، لثلاث تتحرك وتضطرب بهم، وجعلنا في الجبال مسالك وطرقاً نافذة ليهتدوا بها إلى مصالحهم في الأسفار.

٣٢- وجعلنا السماء فوق الأرض مثل السقف، محفوظاً من الوقوع بقدرته، وهم عن آيات أو أدلة السماء الدالة على توحيد الله وقدرته وحكمته كالشمس والقمر وغيرهما معرضون لا يتدبرون فيها ولا يتفكرون في خلقها.

٣٣- وبيان تلك الآيات: أن الله هو الذي خلق الليل والنهار، والشمس والقمر، كل منهما يجري في مدار خاص به، يتحركون في هدوء كالسائح في الماء. وقد جمع الفعل الأخير باعتبار جنس الطوائف المتكاثرة كل يوم وليلة.

٣٤- وما جعلنا لبشر من قبلك أيها الرسول دوام البقاء في الدنيا، أفإن مت أيها الرسول كما يتوقعون، فهم المخلدون بعدك؟! نزلت هذه الآية لما قال الكفار: إن محمداً سيموت.

٣٥- وإذا انتفى الخلود لغير الله، فكل نفس ستموت في الدنيا، ونعامله معاملة المختبر بالبلايا والنعم، أو الشدة والرخص، اختباراً وابتلاءً لننظر أتصبرون عند الشدة، وتشكرون عند النعمة؟ وإلينا تعودون جميعاً للحساب والجزاء.

وَإِذْ آتَاكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَخَذُّونَكَ مِنَ الْأَعْرَابِ فَأَعِدْ لَهُمْ أَهْلًا أَدْنَى
 يَذْكُرُ الْهَيْكَمَ وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ هُكَفَرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ
 الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُولِيكُمْ ءَايَتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾
 وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ
 كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُونُونَ عَنْ وَجْهِهِمُ النَّارُ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا
 هُمْ يُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَيَهْتَهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
 رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظِرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَأُوا بِرُسُلِهِمْ مِنْ قَبْلِكَ
 فَخَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَنْ
 يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ
 ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ
 وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ
 عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا
 أَفَهُمُ الْمُغْلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ
 الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِنْ مَسَّتْهُمُ نَفْحَةٌ
 مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾

٣٦- وإذا آتاك أيها النبي الذين كفروا وهم جماعة المستهزئين المشركين، لا يتخذونك إلا سخرية مهزوءاً به، يقولون: أهذا الذي يعيب آلهتكم؟ والحال أنهم إذا ذكر الله الرحمن الواحد هم كافرون به، فهم أحق بالسخرية والعيب، لأنك محق وهم مبطلون. و ﴿هم كافرون﴾ للمبالغة في حصر الكفر بهم. نزلت هذه الآية لما استهزأ أبو جهل بالنبي ﷺ، وقال لأبي سفيان: هذا نبي بني عبد مناف.

٣٧- خلق الإنسان مطبوعاً على شدة العجلة والتسرع، ساريتكم أيها الكافرون أدلة صدق وعدي بحلول النقم بكم، فلا تستعجلون في الإتيان به قبل أوانه.

٣٨- ويقولون: متى وقت إتيان العذاب، إن كنتم أيها المسلمون صادقين في وعدكم فيما تتلونونه في القرآن؟ وهو ما وعدهم به الرسول وصحبه من عذاب الدنيا والآخرة.

٣٩- لو يعلم هؤلاء الكفار المستعجلون البلاء الذي ينتظرهم حين يتعرضون للنار، فلا يستطيعون ردّها، ولا يجدون ناصرًا ينصرهم وينقذهم من العذاب، لما بقوا على كفرهم بربهم، ولما استعجلوا هذا العذاب.

٤٠- بل تأتيهم النار أو الساعة فجأة فتدهشهم وتحيرهم، فلا يستطيعون صرفها عن أنفسهم، ولا هم يؤخرون لتوبة واعتذار.

٤١- ولقد استهزأ الكفار الماضون برسلك أيها النبي، فنزل وأحاط بالذين سخروا واستهزؤوا من رسلهم العذاب الذي أنذرتهم به الرسل جزاء استهزأتهم.

٤٢- قل أيها الرسول لهم: من يحفظكم ويحرسكم بالليل والنهار من العذاب أو العقاب الذي ينزله الرحمن بكم في الدنيا والآخرة إن أراده بكم؟ بل هم عن القرآن معرضون لا يتفكرون فيه.

٤٣- بل ألهم آلهة من دوننا تمنعهم من عذابنا؟ إن تلك الآلهة عاجزة عن نصر نفسها، فكيف تنصر غيرها؟ ولا هم يجارون من عذابنا، فلا يستطيع أحد منع عذابنا عنهم.

٤٤- بل متعنا هؤلاء مشركي العرب في عهد النبوة وآباءهم بما أنعمنا عليهم في الدنيا، حتى طال عليهم العمر في النعمة فاغترروا بها، وظنوا أنهم أهل لها، أفلا ينظرون أننا نأتي الأرض ننتقصها بتخريبها وإهلاك أهلها؟ أفهم الغالبون لنا؟ لا، بل هم المغلوبون.

٤٥- قل أيها الرسول: إنما أخوكم بالقرآن الذي أوحاه الله إلي بحلول الغضب الإلهي عند عصيان الله، ومن أصم الله سمعه لترك العمل بما سمع، لا يسمع الدعوة إلى الحق إذا ما أنذر.

٤٦- ولئن أصابهم قدر ضئيل من عذاب ربك، ليقولن: يا هلاكنا، إنا كنا ظالمين لأنفسنا بالكفر وتكذيب الرسل ومنهم محمد ﷺ.

٤٧- ونضع الموازين العادلة لوزن أعمال العباد يوم القيامة، فلا تظلم نفس شيئاً بنقص حسنة أو زيادة سيئة، وإن كان العمل في الخفية والصغر كحبة الخردل، وبمقدار وزنها، جثنا بها أينما كانت للمجازاة عليها، وكفى بنا مُحْصِنِينَ كل شيء من أعمال العباد.

٤٨- ولقد أعطينا موسى وهارون التوراة الفارقة بين الحق والباطل، والحلال والحرام، والتي فيها الهداية التي تنير الطريق، والموعظة التي يتعظ بها المتقون ربهم.

٤٩- الذين يخافون عذاب ربهم في خلواتهم، وهو غائب عنهم، أي إنهم مخلصون لا يراؤون الناس، وهم خائفون من أهوال القيامة.

٥٠- وهذا القرآن تذكرة وموعظة، كثير الخير والنفع، أنزلناه على النبي محمد ﷺ أفأنتم أي كيف يا أهل مكة تنكرون إنزاله من الله، وهو في غاية الوضوح؟ وهذا الاستهزام للتوبيخ.

٥١- ولقد أعطينا إبراهيم الرشد، أي الاهتداء

لوجوه الخير والصواب وصلاح الدين والدنيا، من قبل إتياء موسى وهارون التوراة، وكنا عالمين بأنه أهل لإتياء الرشد والاتصاف بمكارم الخصال.

٥٢- حين قال لأبيه آزر وقومه جماعة النمرود: ما هذه الأصنام التي أنتم مقيمون على عبادتها؟

٥٣- قالوا له: وجدنا آباءنا من قبل عابدين لها، فاعتدنا بهم.

٥٤- قال إبراهيم: لقد كنتم وآباؤكم عبادتها في خطأ بين، وزيف عن طريق الحق.

٥٥- قالوا له: هل أنت جادٌ في قولك، وإن قولك هو الشيء الثابت في الواقع، أم أنت من الهازلين المازحين؟!؟

٥٦- قال إبراهيم: بل ربكم المعبود وحده المستحق للعبادة هو مالك السموات والأرض، الذي أبدعهم وخلقهم على غير مثال سابق، وأنا على ذلكم من العالمين به، المتحققين صحته، والمبرهنين عليه. والشاهد: من تحقق من الشيء وأقام عليه الحجة.

٥٧- ووالله لأحطمن أصنامكم بعد أن تنصرفوا عنها وترجعوا عن عبادتها.

٥٨- فجعلهم قطعاً متناثرة بتحطيمها بعد ذهابهم إلى يوم عيد لهم إلا كبير الأصنام لم يكسره، ليرجعوا لهذا الكبير، فيسالونه عن الكاسر، فإن لم يجيبهم علموا أن الأصنام لا تقصر ولا تنفع.

وَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ آتَيْنَا بِهَا وَكُفَىٰ بِهَا سَائِرِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْقُرْآنَ رِضْيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأُحْرَجُوا مِنَ السَّاعَةِ يُسْتَفْقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَلِيمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ الْقَوْمَانِ السَّمَاوَاتِ أَنْتُمْ لَهُمَا عَلَيْهِمَا قُلُوبُكُمْ فَأَلْوُوا وَمَنْ أَلْوَاهُنَّ يَتَّبِعْنَ آيَاتَهُنَّ وَإِنَّكُمْ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٢﴾ فَأَلْوُوا أَجْتُنَا بِالْجَنَّةِ أَمْ أَنْتُمْ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ بَلْ زَكَّرْتُ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي ظَهَرُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٤﴾ وَكَانَ لَهُ لَآكِبِدُنْ أَصْلَدَكُمْ بَعْدَ أَنْ قُولُوا مُذْ بَرِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلَهُمْ جُدَادًا الْإِكْبِيرَ اللَّهُمَّ اعْلَمْهُ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٦﴾



قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِهَذَا لَهَيْتَا إِلَهُ لَنَا إِنَّمَا كُنَّا نَظْلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا
 سَمِعْنَا فِي يَدِكُمْ كُفْرًا يُقَالُ لَهُ وَإِبْرَاهِيمَ ﴿٦٠﴾ قَالُوا
 قَالُوا بِهِ عَلَىٰ آعِزِّ النَّاسِ لَعَالَهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا
 ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا يَا لَهَيْتَا يَا إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ
 كَبِيرُهُمْ هَذَا فَتَكَلَّمُوا لَهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا
 إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ
 نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾
 قَالَ أَتَقْبَدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ
 ﴿٦٦﴾ أَمْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا
 تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا لَاحِرُوهُمْ وَأَمْصُرُوهَا إِلَهُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
 فَعِيلِينَ ﴿٦٨﴾ فَلَمَّا بَيَّنَّارُ كُفْرَهُمْ بَرَدُوا سُلْطَانًا عَلَٰى
 إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾
 وَجَعَلْنَاهُ لُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا
 فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
 نَاكِلِينَ ﴿٧٢﴾ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٣﴾

٥٩ - قال الوثنيون بعد رؤيتهم تكسير الأصنام حينما عادوا من يوم العيد: من فعل هذا بالهتنا بتخطيمها، إنه لمن المعتدين الذين يستحقون العقاب.

٦٠ - قال بعضهم لبعض: سمعنا فتى يعييبهم ويسبهم، اسمه إبراهيم.

٦١ - قالوا فيما بينهم: فأحضره على مرأى ومشهد جميع الناس، ليشهدوا عليه بما فعل ويحضروا عقابه.

٦٢ - قالوا له بعد إحضاره: أنت الذي حطمت الهتنا يا إبراهيم؟

٦٣ - قال إبراهيم متهمكماً: بل الذي كسرهم هو كبيرهم هذا، وهو الصنم الذي لم يكسره، فاسألوهم لماذا فعل بهم ذلك، إن كانوا قادرين على النطق؟ والقصد تنبيههم إلى عدم الجدوى من عبادة العاجزين عن الكلام. أخرج أبو داود والترمذي عن أبي هريرة حديثاً صحيحاً: «لم يكذب إبراهيم في شيء قط إلا في ثلاث، كلهن في الله: قوله: إني سقيم، ولم يكن سقيماً، وقوله لسارة: أختي، وقوله: بل فعله كبيرهم هذا» وكل ذلك من الأسلوب المباح من التعارض.

٦٤ - فرجعوا إلى أنفسهم باللوم وراجعوا عقولهم، فقالوا: إنكم أنتم الظالمون لأنفسكم بعبادة هذه الجمادات التي لا تضر ولا تنفع، وليس الظالم هو مكسر الأصنام.

٦٥ - ثم عادوا إلى كفرهم وجهلهم ومكابرتهم، فقالوا لإبراهيم: لقد علمت ما هؤلاء ينطقون، فكيف تأمرنا بسؤالهم؟

٦٦ - قال إبراهيم لهم: أفتعبدون من غير الله ما لا ينفعكم شيئاً إن عبدتموه، ولا يضركم إن تركتم عبادته؟!
٦٧ - قبحاً لكم ولآلهتكم ولعبادتكم هذه المعبودات الآلهة المزعومة من غير الله، أفلا تتفكرون وتعقلون قبح صنعكم وأن هذه الأصنام لا تستحق العبادة؟! واللام في ﴿لكم﴾ لبيان المتضرر لأجله.

٦٨ - قال بعضهم لبعض: احرقوا إبراهيم بالنار حرقاً شديداً، وانصروا آلهتكم بالانتقام منه إن كنتم فاعلين شيئاً من أجلها.

٦٩ - قال الله تعالى بعد أن ألقي إبراهيم في نار عظيمة بواسطة منجنيق: يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم، فانقلبت الحرارة برداً، دون أن تضره، وخرج إبراهيم منها سالماً بإذن الله تعالى.

٧٠ - وأرادوا بإبراهيم تحريقاً ومكرأفي إضراره، فجعلناهم الأشد خسارة في الدنيا والآخرة.
٧١ - ونجينا إبراهيم ولوطاً ابن أخيه من بابل بالعراق إلى أرض بيت المقدس التي باركناها للناس بكثرة الأنهار والأشجار، وجعلناها مهبط الأنبياء.

٧٢ - ووهبنا لإبراهيم من زوجته سارة إسحاق ولداً، ويعقوب حفيداً زيادة على ما دعا إبراهيم، وكل واحد من هؤلاء الثلاثة، ولوط الرابع، جعلناه نبياً صالحاً.

٧٣- وجعلناهم رؤساء يقتدى بهم في الخير والطاعة، يهدون الناس إلى الدين والإيمان، بإذن الله تعالى، وأوحينا إليهم أن يفعلوا الطاعات، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، وكانوا موحدين مخلصين في العبادة.

٧٤- وآتيناهم لوطاً نبوة وعلماً بأحكام الدين، ونجيناها من قرية سدوم بشرق الأردن التي كان أهلها يعملون الخبائث (المنكرات) كاللواط، والضرط في المجالس، والرمي بالبندق، واللعب بالطيور، إنهم كانوا قوماً خارجين عن طاعة الله تعالى، بالإساءة لكل من خالطهم.

٧٥- وجعلناه من أهل رحمتنا بأن أنجيناها من قومه، إنه من القوم الصالحين في أعمالهم الذين سبقت لهم منا الحسنى (الجنة).

٧٦- واذكر نوحاً من قبل هؤلاء الأنبياء، حين دعا ربه يهلك الظالمين من قومه، فأجبنا دعاءه، فنجيناها وأهلها المؤمنين به في السفينة، من الطوفان

وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقاماً لأصلوات وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عبيدين ﴿٧٣﴾ ولوطاً آتيناه حكماً وعلماً ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبيث إنهم كانوا قوماً سوء فسقين ﴿٧٤﴾ وأدحلناه في رحمتنا إنه من الصالحين ﴿٧٥﴾ ونوحاً إذ نادى من قبل فأستجبنا له ونجيناه وأهله من الكرب العظيم ﴿٧٦﴾ ونصرته من القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوماً سوء فأغرقناهم أجمعين ﴿٧٧﴾ ودوّد سليمان إذ يجان في الحجر إذ نفثت فيه عمن القوم وكان الحكيم شهيداً ﴿٧٨﴾ ففهمنا سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلماً وسخرنا مع داود الجبال يسخر والطير ركناً فلين ﴿٧٩﴾ وعلّمناه صنعة لبوس لكم لحبسكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون ﴿٨٠﴾ ولسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين ﴿٨١﴾

والغرق.

٧٧- وجعلناه متصراً على القوم الذين كذبوا بآياتنا الدالة على صدق رسالته، إنهم كانوا قوم كافر وعصيان، فأغرقناهم جميعاً لإصرارهم على الكفر.

٧٨- واذكر أيضاً داود وسليمان، إذ يحكم كل منهما في الزرع حين رعته ليلاً غتم القوم، ولم يكن معها راع، وكنا لحكم كل منهما حاضرين، لا يخفى علينا شيء.

٧٩- ففهمنا الحكم سليمان وكلاً من داود وسليمان أعطينا نبوة وعلماً نافعاً في أمور الدين، وسخرنا (ذللتنا) مع داود الجبال والطير للتسبيح معه، فكان إذا سبح سبحت معه بأمره، وكنا فاعلين لأمثاله من إفهام الحكم وتسخير التسبيح معه، فليس يبدع منا.

٨٠- وعلّمنا داود صناعة الدروع بإلانة الحديد له، لتحميكم وتمنعكم من حربكم مع عدوكم، فهل أنتم أيها الناس ومنهم أهل مكة شاكرون نعمتي، بتصديق الرسول؟

٨١- وسخرنا لسليمان الريح قوية شديدة الهبوب ولكنها لينة، تسير بأمره إلى أرض الشام التي باركنا فيها، وكنا عالمين بكل شيء، لا تخفى علينا خافية.

وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَن يَعْصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ
ذَلِكَ وَكَأَلَّهُمْ حَفِظِينَ ﴿٨٢﴾ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ
أَنِّ مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴿٨٣﴾ فَأَسَجَبْنَا لَهُ
فَكَسَفْنَا مَا يَدْرِي مِنْ ضُرِّهِ وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم
مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾
وَأَذَانًا لَّهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾
وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْتَضِبًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ
فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن يَسْتَغِيثَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ
مِنَ الظُّلُمَاتِ وَكَذَلِكَ بُشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَذَكَرْنَا
إِذْ نَادَى زَيْدُ بْنُ كَلَبٍ رَبَّهُ بِأَن تَدْرِي فَرَدَّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ
﴿٨٩﴾ فَأَسَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ الْيَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ
زَوْجَهُ وَإِنَّهُمْ لَكَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْغَيْبَاتِ وَيَعُودُونَ
رَغْبًا وَرَهْبًا وَأَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾

٨٢- وسخرنا لسليمان الشياطين يعصون له في البحار لاستخراج اللؤلؤ، ويعملون أعمالاً أخرى سوى ذلك كبناء المحارِب والمدن والقصور والمساجد، وصناعة التماثيل والصناعات الغريبة، وكنا حافظين لأعمالهم، وحافظين لهم من الهرب أو الامتناع من العمل.

٨٣- واذكر أيها النبي قصة أيوب حين نادى ربه لما اشتد به المرض وطال: رب اني مسني الضر من المرض والهزال في بدني، والجهد في أهلي ومالي، وأنت أرحم الرحماء لإجابة الدعاء. والضر: ما يس الإنسان في نفسه كالمرض والهزال، والضر: الضرر في كل شيء.

٨٤- فأجبت دعاء أيوب، فكشفنا ضره الذي نزل به امتحاناً، وأعطينا مثل أهله عدداً، مع زيادة مثل آخر بالتوالد، وأتيناه ذلك رحمة منا، وتذكرة للعابدين، ليصبروا مثل صبره، فيثابوا كتابه.

٨٥- واذكر أيها الرسول أيضاً قصة إسماعيل، وإدريس، وذو الكفل وهو ابن أيوب، من أنبياء

بني إسرائيل، كل واحد من الصابرين على تحمل التكليف والشدائد طمعاً في مرضاتنا.

٨٦- وشملتهم رحمتنا في الدنيا بالنبوة، وفي الآخرة بالجنة، إنهم من زمرة عبادنا الأنبياء الصالحين الطائعين.

٨٧- واذكر كذلك أيها النبي قصة ذي النون وهو يونس بن متى صاحب الحوت، أرسله الله إلى أهل نينوى من أرض الموصل، حين ذهب غضبان من قومه لعدم إيمانهم، فظن أن لن نصيق عليه الأمر، بل نبيح له تركهم، فنادى في ظلمات ثلاث: وظلمة الليل، وظلمة النحر، وظلمة بطن الحوت، قائلاً: لا إله إلا أنت، تزهدت عما لا يليق، إني كنت من الظالمين لنفسي، بالهجرة من غير إذن، وترك قومي.

٨٨- فأجبت له دعاءه بتلك الكلمات، وأخرجناه من بطن الحوت، إذ قذفه إلى الساحل، وكما أنجينا من غمه وكرهه، ننجي المؤمنين من كربهم إذا استغاثوا بنا.

٨٩- واذكر أيضاً قصة زكريا حين دعا ربه بقوله: رب لا تتركني وحيداً بلا ولد يرثني، وأنت حسبي إن لم تزقني ولداً.

٩٠- فأجبت له دعاءه، ومنحته ولداً هو يحيى، وجعلنا زوجته ولو دأ بعد أن كانت عاقراً، إن زكريا وزوجه وابنتهما يحيى وهؤلاء الأنبياء المذكورين كانوا يبادرون إلى فعل الطاعات، ويتضرعون إلينا رغياً في رحمتنا وخيرنا، ورهباً من عذابنا ومن الشر، في حالي الشدة والرخاء، وكانوا لنا متواضعين في عبادتهم.

٩١- واذكر أيها النبي أيضاً قصة مريم بنت عمران التي حفظت فرجها من الحلال والحرام، فكانت عفيفة، فوضعا سرّاً من أسرارنا في بطنها أوجدنا به عيسى وأحبيناه، وجعلناها وابنتها آية لعالمي الإنس والجن والملائكة، حيث ولدته من غير رجل، ودليلاً لهم على تمام قدرتنا.

٩٢- إن هذا دينكم دين واحد لا خلاف فيه في شأن التوحيد، وهو ملة الإسلام، وأنا ربكم الله لا إله غيري، فوحدوني وعبدوني بإخلاص لا غير.

٩٣- وتفرّق الناس في أمر الدين فرقاً مختلفة، مع أن الدين في أصله واحد، فمنهم من آمن ووحد، ومنهم من كفر وأشرك، ومنهم من تأول فوق في الشرك كاليهود والنصارى، كل فرقة من هذه الفرق راجعون إلينا يوم القيامة، للجزاء.

٩٤- فمن يعمل صالح الأعمال التي أمر الله بها، وهو مؤمن بالله ورسله واليوم الآخر، فلا جحود ولا إنكار لعمله وثوابه وحسن جزائه، وإنما لسعيه حافظون مثبتون في صحيفة عمله.

٩٥- ويمتنع على أهل قرية أهلكتناهم بذنوبهم أن يرجعوا إلى الدنيا أو التوبة بعد الهلاك.

وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَحْنُ فِيهَا مِنْ رُوحِنَا
وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَذِهِ مِنْكُمْ
أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا
أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلِيْتَارٍ رِجُومٌ ﴿٩٣﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ
مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيهِ وَإِنَّا
لَهُ كَاتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَّمَ عَلَيْنَا قُرْبَةَ أَهْلِكَ نَهَا
أَنْتُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُجِّعَ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ
مِن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ أَنْ نَحْنُ
فَإِنَّا هِيَ شَيْخَصَةٌ أَبْصَرْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا يَلْوِيْنَ لَنَا
قَدْ كُنَّا فِي عَفْوٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾
إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا
وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُواهَا
وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَوْجٌ
وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْعَوْنَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ
لَهُمْ تِيبًا الْحَسَنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُعَادُونَ ﴿١٠١﴾

٩٦- ويستمر عدم رجوعهم إلى قيام الساعة وظهور أماراتها من فتح سد يأجوج ومأجوج وهما قبائل همجية، وهم من كل مرتفع من الأرض يخرجون مسرعين.

٩٧- واقترب بخروجهم الموعود به الحق وهو يوم القيامة، فذلك من أمارات الساعة، فإذا هي مرتفعة الأجناف لما دهمهم، وهو شخوص أبصار الكفار، لا تكاد تنظر من شدة الهول، أي تتوقف أبصارهم عن الحركة، يا هلاكنا، قد كنا في الدنيا غافلين عن هذا اليوم، لم نستعد له، بل كنا ظالمين أنفسنا بتكذيب الرسل، وإنكار البعث والحساب، وعدم الطاعة.

٩٨- إنكم أيها الكفار والمشركون وما تعبدون من غير الله من الأصنام والشياطين وقود جهنم وحطها، أنتم داخلون فيها.

٩٩- لو كان هؤلاء المعبودون الأوثان ونحوها آلهة كما تزعمون ما دخلوا جهنم؛ لأن المؤاخذ المذنب لا يكون إلهاً، وكل من العابدين والمعبودين مخلدون دائمون في جهنم، فليسوا إذن آلهة. وسبب إدخال المعبودين من الأوثان والشياطين في النار: أن يزداد العابدون بهم غمًا وحسرة. ويستثنى أو لا يشمل ذلك عزيزاً والمسيح والملائكة لقوله تعالى فيما يأتي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ الْحَسَنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُعَادُونَ﴾ [الأنبياء ٢١/١٠١] ولأن كلمة ﴿مَا﴾ لا تتناول العقلاء.

١٠٠- لعابدي الأوثان في جهنم أنين وتنفس شديد من أقصى الجوف، وهم فيها لا يسمعون شيئاً لشدة غلبانها وأهوالها.

١٠١- إن الذين سبقت لهم منا المنزلة الحسنى وهي الجنة لعملمهم بعمل أهل الجنة، أولئك معبدون عن جهنم، فهم السعداء بسبب إيمانهم الحق وإحسان طاعتهم. قال ابن عباس: لما نزلت آية ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ...﴾ [٩٨] قال ابن الزبير: عبد الشمس والقمر والملائكة وعزير، فكل هؤلاء في النار مع آلهتنا، فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ...﴾.

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾
لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَجُ الْأَكْبَرُ وَتَلْقَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ
الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نُظِيَ السَّمَاءُ كَطَيِّبِ
الْكَثْبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُمْ وَعَدًّا عَلَيْنَا أَنَّا مُعْتَدِلِينَ ﴿١٠٤﴾
وَلَقَدْ كُتِبْنَا فِي الزُّبُرِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَا الْأَرْضُ بِرِهَا
عِبَادِي الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَلِيمِينَ ﴿١٠٦﴾
وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَى
إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾
فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنِ أَدْرَىٰ
أَقْرَبُ بِأَمٍ بَعِيدٍ مَا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنِّي بَعَلُّهُ الْجَهْرَ
مِنَ الْقَوْلِ وَبِعَلِّمَاتِكُمُومُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنِ أَدْرَىٰ
أَعْلَىٰ فَنَسْتَأْذِنُكُمْ وَمَنْعَ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قُلْ رَبِّ أَحْكُم
بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾



١٠٢- لا يسمعون صوت النار ولهيبها، وهم مقيمون على الدوام فيما اشتهت أنفسهم من النعيم الدائم في الجنة.

١٠٣- لا يحزنهم الفزع الأعظم الذي يحصل بعد النسخة الثانية وهو أهوال القيامة، وتلقاهم الملائكة على أبواب الجنة مهتين، قائلين لهم: هذا يومكم الذي وعدتم به في الدنيا لنيل الجزاء الأحسن.

١٠٤- واذكر أيها النبي يوم نظوي السماء كطي الصحيفة على ما يكتب فيها، كما بدأنا أول خلقهم من العدم في الدنيا، كذلك نعيدهم يوم القيامة، أي إن هذا الطي كائن لا محالة يوم إعادة الخلاق بالبعث خلقاً جديداً، وعدناهم بذلك وعداً، علينا إنجازها والوفاء به، وهو الإعادة، إنا كنا فاعلين ما وعدناكم به حتماً، وقادرين على ما نشاء.

١٠٥- ولقد كتبنا في كتاب داود وهو كتاب الزمائر، من بعد التوراة أو اللوح المحفوظ: أن أرض الجنة وأرض الدنيا يرثها العباد الصالحون، وصلاح الآخرة بالتقوى، وصلاح الدنيا بعمارة الأرض.

١٠٦- إن في هذا القرآن وما ذكرناه في هذه السورة من الأخبار وقصص الأنبياء والمواعظ لبلاغاً كافياً في الاعتبار لقوم خاشعين لله، مشغولين بالعبادة.

١٠٧- وما أرسلناك أيها النبي بالشرائع والأحكام إلا رحمة مهداة للإنس والجن، لأن ما بعثت به سبب للسعادة والصلاح في المعاش والمعاد.

١٠٨- قل لهم أيها النبي: إن جوهر الموحى به إلي من ربي أن إلهكم الذي تعبدونه هو إله واحد، لا إله غيره، فهل أنتم متقادون خاضعون لما يوحى إليكم من العبادة وتوحيد الله؟ أي أسلموا تدخلوا الجنة، وتفوزوا بالرضوان.

١٠٩- فإن أعرضوا عن الإسلام، فقل لهم: أعلمتكم ما أمرت به، حال كونكم جميعاً مستوين في الإعلام، ولا أدري أقريب أم بعيد ما توعدون به من القيامة والعذاب، فعلم ذلك إلى الله سبحانه.

١١٠- إنه تعالى يعلم ما تجهرون به من قول أو فعل، وما تكتُمونه من ذلك وتخفونه، يعلم كل ذلك على السواء في الوضوح، لا تخفى عليه خافية.

١١١- وما أدري لعل تأخير العذاب عنكم اختبار وامتحان لكم، ليرى كيف صنعكم وترجعوا عما أنتم عليه، وتمتع بزخارف الدنيا إلى وقت مقدر تقتضيه مشيئة الله وحكمته، وهو انتهاء آجالكم.

١١٢- قال النبي ﷺ بعد تبليغ رسالته إلى قومه وتكذيبهم: يا رب احكم بيني وبين هؤلاء المكذبين كأهل مكة، بما هو الحق والعدل عندك، وربنا الرحمن بعباده، المستعان به على ما تقولون من التكذيب والافتراء.

سورة الحج

فضلها: قال العزيزي: وهي من أعاجيب السور، نزلت ليلاً ونهاراً، سفراً وحضراً، مكياً ومدنياً، سلمياً وحربياً، محكماً ومتشابهاً.

١- يا أيها الناس جميعاً، خافوا واحذروا عقاب ربكم، بأن تطيعوه، إن زلزلة الأرض يوم القيامة شيء مخيف هائل مزعج للناس.

٢- يوم ترون الزلزلة تغفل الأم المرضعة وتنسى رضيعها لشدة الهول، وتضع الحامل جنينها، وترى الناس كأنهم سكارى من شدة الخوف، وليسوا بسكارى حقيقة، ولكن عذاب الله شديد، يرهق هول، ويذهب العقل والتمييز. نزلت هاتان الآيتان ليلاً في غزوة بني المصطلق، فقراهما رسول الله ﷺ على الناس، فلم ير باكياً أكثر من تلك الليلة، وأصبح الناس بين باك وجالس حزين مفكر.

٣- وبعض الناس يجادل في وجود الله وصفاته من الوحدانية والقدرة على البعث وغير ذلك، بغير دليل ولا علم يعلمه، ويتبع في جداله بالباطل وساوس كل شيطان متمرّد على الله عات. نزلت في النضر بن الحارث.

٤- قضى على الشيطان أنه من اتبعه وصدق قوله، فإنه يضلّه عن طريق الحق، ويرشده أو يبدله إلى ما يؤدي به إلى عذاب السعير في نار جهنم. والسعير: النار المتوهجة.

٥- يا أيها الناس، إن كنتم في شك من إمكان البعث وكونه مقدوراً لله، فإننا خلقنا أصلكم آدم من تراب، وخلقنا ذريته من مني مشتمل على الحيوان المنوي، وهو الماء الدافق، الذي يستقر في الرحم، ويتعلق بيبيضة المرأة، ويحدث الجنين، ثم من دم جامد بعد تلاقح نطفة الرجل مع بويضة الأنثى، ثم من قطعة لحم صغيرة تامة الخلقة تصويراً وشكلاً، وغير تامة الخلقة، ثم نخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالاً - وطفلاً: حال أجريت على تأويل كل واحد منكم طفلاً - ثم نرعاكم لتبلغوا كمال العقل والقوة: وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين، ومنكم من يتوفى قبل بلوغ الأشد، ومنكم من يعود إلى مرحلة الهرم والخرف حتى لا يعقل، وكيلما يعلم شيئاً وينسى ما كان يعلمه، وترى الأرض أيها الإنسان يابسة ميتة لا نبات فيها، فإذا أنزلنا عليها ماء المطر، تحركت بالنبات، وارتفعت وزادت، وأنبتت من كل صنف نباتي حسن نظير.

٦- ذلك المذكور من خلق الإنسان ومروره بأطوار، وإحياء الأرض، بسبب أن الله هو الثابت الموجود في نفسه، الدائم الوجود، وأنه يحيي الموتى بعد فنائهم، وأن الله قادر على كل شيء؛ لأن قدرته لذاته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ كَمَا إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾
يَوْمَ تَرَوُنَّهَا نَخَعًا وَدُخَانًا مُدْمِنًا وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَسْتَعِجِلُّ بِكُلِّ شَيْطَانٍ مُّرِيدٍ ﴿٣﴾ كَبَّ عَلَيْهِ أَنَّهُ مِن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تَرَابٍ ثُمَّ نُوَفَّىٰكُمْ عُشْرًا مِّنْ عِلْقَتِكُمْ ثُمَّ مِّنْ مَّضْغَةٍ مَّخْلُوقَةٍ وَغَيْرِ مَخْلُوقَةٍ لَّسَبِّحِينَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ آخِلٍ مِّمَّا تَمْسِي ثُمَّ نَمُرُّكُمْ فَطِفْلًا ثُمَّ لَبَسْنَاكُمْ سَدْرًا وَنَجَعْنَاكُمْ مِنَ الْأَرْحَامِ فَمِنْ بَيْنِكُمْ مَن يُؤْتَىٰ وَمِنْكُمْ مَن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا نَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ سَبِيحًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ رَوْحٍ وَبُحْبُوحٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَيُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾

وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّارْتَيْبٍ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٨﴾ ثَانِي عَشْرَةَ يُضِلُّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَمَّا فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَيُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَالِمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ أَلْقَى عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَمَا لَا يَضُرُّهُمْ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا لِمَن صَرُّهُ أَوْ قُرْبٌ مِّنْ نَّبْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَ يَظُنْ أَن لَّنْ يَبْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِطُّ ﴿١٥﴾

٧- وأن القيامة واقعة لا شك فيها، وأن الله يعث الناس الذين في القبور وفي غيرها من أجواف الطير والسماك ونحوهما، بمقتضى وعده السابق الذي لا يقبل الخلف.

٨- ومن الناس من يجادل في قدرة الله ووجدانيته متكرراً ذلك جهلاً بغير دليل علمي واضح، ولا هداية فطرية أو عقلية معتمدة على النظر الصحيح، ولا كتاب إلهي موضح للحق. نزلت في الأخنس بن شريق، وروي عن ابن عباس في أبي جهل، وعلى ما ذهب إليه جمع في النضر بن الحارث، كالأية السابقة، فإذا اتحد المجادل في الآيتين، فالتكرار مبالغته في الذم، أو لانفراد كل آية بزيادة ليست في الأخرى.

٩- لاوي عنقه تكبراً وخيلاء، وإعراضاً مترفعاً، للإضلال عن دين الله، له في الدنيا ذل وهوان بما يناله من العقوبة المادية بعذاب معجل، أو المعنوية بسوء السمعة، ونذيقه يوم القيامة عذاب النار المحرقة.

١٠- ذلك الخزي (الذل) والتعذيب بسبب ما قدمته نفسك من الكفر والمعاصي، وأن الله لا يظلم أحداً، فيعذب بغير ذنب، وإنما هو مجازيهم على أعمالهم.

١١- ومن الناس من يعبد الله على شك وتردد في دينه، أما المؤمن فيعبد على ثقة وبصيرة، فإن أصابه خير دنيوي في نفسه وماله من صحة وعافية، ورخاء، ثبت على دينه، وإن أصابته محنة وشدة أو مكروه في نفسه أو أهله أو ماله، رجع إلى الكفر وارتد، خسر الدنيا وضيعها؛ لأنه لم يحقق فيها مجداً وثناء حسناً، وخسر الآخرة؛ لتعذبه فيها، ذلك هو الخسران الزوج الواضح؛ إذ لا خسران مثله. وحرف الشيء: طرفه، أي مذذب مضطرب في دينه. نزلت فيمن يدخل الإسلام، فإن أصابه خير من ولد ذكر، ونتاج خيل، قال هذا دين صالح، وإن أصابه شر بولادة أنثى أو لم تنتج خيله، قال: هذا دين سوء.

١٢- هذا الذي رجع إلى الكفر يعبد من غير الله الأصنام، وهي لا تنصره إن ترك عبادتها، ولا تنفعه إن عبدها، ذلك هو الانحراف البعيد عن الحق والرشد.

١٣- يعبد من غير الله ما يكون ضرره أقرب من نفعه إن نفع بتوهمه، بل ضررها بحت ولا نفع فيها بحال، لبس الناصر والمعين هو له، ولبس الصاحب المعاصر هو.

١٤- إن الله يدخل المؤمنين بالله ورسله، الذين يعملون الصالحات الأمور بها جنات تجري الأنهار من تحت غرفها، إن الله يفعل ما يريد من إكرام الطائع، وإهانة العاصي.

١٥- من كان يعتقد أن الله لن ينصر نبيه محمداً ﷺ وغاظه انتصاره خلافاً لما يتوقع، فليمدد حبلاً إلى سماء بيته أي سقفه، ثم ليقطع عنقه بالشنق، فلينظر هل يذهبن فعله وتدبيره أو حيلته ما يغضبه ويضايقه من نصر الله نبيه، والمراد: إذا أراد إراحة نفسه، فليعجل بإهلاكها هدراً من غير جدوى؛ لأن كيده لا يذهب غيظه. والسماء: كل ما ارتفع فوق رأس الإنسان، والمراد به هنا سقف البيت.

١٦ - ومثل إنزالنا الآية السابقة أنزلنا عليك أيها الرسول آيات واضحة الدلالة على مدلولاتها، وأن الله يهدي ابتداءً من يريد هدايته، ويوفى للهداية ويثبت على الهدى من أراد له ذلك.

١٧ - إن الذين آمنوا بالله ورسوله محمد ﷺ واليهود والنصارى، والمجوس: عبدة النار الذين يقولون: إن للعالم أصليين: النور والظلمة، والمشركين: عبدة الأوثان أو غيرها من دون الله، إن الله يفضل بينهم يوم القيامة فيما اختلفوا فيه، إن الله شاهد على كل شيء من أعمال خلقه، لا يخفى عليه شيء منها.

١٨ - ألم تعلم أيها الإنسان المخاطب أن الله يسجد ويخضع له أهل السموات وهم الملائكة، وأهل الأرض من مؤمني الإنس والجن، وسجودها بهيئة معروفة، والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وغيرها من المخلوقات، وسجودها بالانقياد التام، ويسجد له كثير من الناس الذين آمنوا وتبها سجد طاعة واختيار، راجين رحمته، وكثير وجب عليه العذاب لإيائه السجود لله وإهماله النظر في

ملكوت الله، ومن يهن الله يجعله كافراً شقيماً، لما علم الله من اكتسابه الشقاوة، فما له من مكرم يكرمه، ويدفع الهوان عنه، إن الله يفعل ما يشاء في خلقه.

١٩ - هذان فريقان مخصمان متنازعان، وهما المؤمنون والكافرون، اختلفوا في شأن ربهم، أي في دينه، ما هو الحق وما هو الباطل منه، وفيما يتعلق به من تنزيهه عن الصاحبة والولد، ونسبة الولد له واتخاذ الوسطاء الشفعاء عنده، فالذين كفروا بالله أو لم يؤمنوا برسول الله، فُصِّلت لهم نيران لبوساً لهم، يصب من فوق رؤوسهم الماء الحار المغلي بنار جهنم. نزلت في فريقي المبارزة يوم بدر: حمزة وعبيدة وعلي، وعتبة وشيبة والوليد بن عتبة.

٢٠، ٢١ - يذاب به ما في بطونهم من أمعاء وأحشاء، وتُشوى به جلودهم، ولهم مضارب (أدوات القمع) من حديد، يُضربون بها.

٢٢ - كلما أرادوا الخروج من النار، لأجل غم وحزن شديد، رُدُّوا إليها بالمقامع، ويقال لهم: ذوقوا عذاب النار المحرق بشدة.

٢٣ - إن الله يدخل المؤمنين بالله ورسوله، الذين يعملون صالح الأعمال التي أمر الله بها، جنات تجري من تحت غرفها الأنهار، يُزَيَّنون فيها بحلي في غاية الجمال في الصدور وغيرها، بأساور الذهب، واللؤلؤ (الذي يستخرج من البحر من جوف الصدف) ولباسهم في الجنة الحرير الذي كان ممنوعاً على رجالهم في الدنيا.

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ يُتْلَى وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِيَ مَن يَشَاءُ
 ١٦ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالنَّصَارَى
 وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ١٧ أَلَمْ تَرَ
 أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ لِمَن يَشَاءُ مِنَ السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسِ
 وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ وَالْجِبَالِ وَالشَّجَرِ وَالْدَّوَابِّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ
 وَكَذَلِكَ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ
 يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ١٨ هَذَانِ حَصْمَانِ اخْتَصَمُوا
 فِي دِينِهِمَا الَّذِينَ كَفَرُوا فُطِئَتْ لَهُمْ نِبَابٌ مِّن نَّارٍ
 يَصُبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ١٩ يَضْرِبُهُنَّ بِهَا فِي
 بَطُونِهِمْ وَأَجْلَادُهُمْ وَكَمْ تَقْلَعُ مِنْ حديدٍ ٢٠ كَمَا أَرَادُوا
 أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مَغْرَبًا مُّغْرَبًا ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ
 ٢١ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِن أَسَاوِرَ
 مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ٢٢



وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَنِيدِ
 ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
 وَاسْتَحِيدُوا الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَدْكُ
 فِيهِ وَالْبَادُ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يُظَلِّمْ نَفْسَهُ مِنْ
 عَذَابِ اللَّهِ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ
 أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ
 وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَا أُولِي
 الْأَبْصَارِ كُلَّ فَاعِلٍ لِيَأْتِيَ الْبَيْتَ مِنْ كُلِّ مَشْرَقٍ
 وَنُحُورٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي
 أَنْبَاءِ مَا نَزَّلْنَاهُمْ مِنْ حَجَابِ الْأَنْعَامِ فَاكْلُوا مِنْهَا
 وَأَطْعَمُوا النَّبَاتِ مِنَ الثَّقِينِ ﴿٢٨﴾ شَاءَ لِقِصْوَاتِهِمْ
 وَلِيُؤْفِقُوا ذُرِّيَّتَهُمْ وَيَلِيطُوا بِبَيْتِ الْعَرَبِ ﴿٢٩﴾
 ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمْ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ حَيْلُهُ إِعْتَدِ لَهُ
 رِزْقًا وَأَحْلِلْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا بَدَّلَ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا
 الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾

٢٤- وأرشدوا من الله تعالى في الجنة إلى القول الطيب الذي فيه تمجيد الله والإقرار بفضله، والبعد عن اللغو والتأنيث، وإلى تبادل السلام فيما بينهم، وأرشدوا إلى الطريق المحمود في آداب المعاشرة والاجتماع، فلا تحاسد ولا تبغض ولا كيد ولا تنافر أو تخاصم، بل أمثل ما يكون عليه الإخوة الأحبة.

٢٥- إن الذين كفروا بالله ورسوله، ويمنعون عن دين الله وطاعته، وعن دخول المسجد الحرام نفسه، أو الحرم كله، الذي جعلناه منسكاً ومتعبداً للناس جميعاً، مستويماً فيه المقيم فيه، الملازم له، والواصل الزائر من البادية غير المقيم فيه، الطارئ عليه، ومن يرد فيه الميل عن جادة الحق والصواب، والاستقامة ظلماً بغير وجه مشروع، نذقه بعض العذاب المؤلم. قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في أبي سفيان بن حرب وأصحابه، حين صدوا رسول الله ﷺ وأصحابه عام الحديبية عن المسجد الحرام، وقد كره عليه الصلاة والسلام أن يقاتلهم، وكان محرماً بعمرة، ثم صالحوه على أن يعود في العام المقبل.

٢٦- واذكر أيها الرسول حين بينا وعينا لإبراهيم مكان الكعبة لبناتها، ليكون مركزاً لتوحيد العبادة الخالصة لله، وأوصيائه ألا يشرك بعبادتي شيئاً، وطهر بيتي من الأوثان والأصنام للطائفين حول هذا البيت، والقائمين

فيه للصلاة والدعاء، والراكعين الساجدين. والركوع والسجود كناية عن الصلاة كلها؛ لأنها أهم أركانها.

٢٧- وناد في الناس بالحج بالدعوة إليه، قائلاً: يا أيها الناس، محبب عليكم الحج إلى البيت، فأجيبوا ربكم، لبيك اللهم لبيك، يأتوك مشاة وراكبين على كل بعير مضمر خفيف اللحم من كثرة السير، تأتي هذه الإبل الضوامر بالركبان من كل طريق بعيد. قال مجاهد: كانوا لا يركبون، فأنزل الله: ﴿يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر﴾ فامرهم بالزاد، ورخص لهم في الركوب والمتجر.

٢٨- ليحضروا ويحققوا منافع لهم في الدين والدنيا بممارسة التجارة وغيرها، ويذكروا اسم الله عند ذبح الهدايا والضحايا في أيام معلومات هي أيام التحرير يوم العيد وأيام التشريق الثلاثة التي بعده، يذكرون اسم الله عند ذبح ما رزقهم الله من الإبل والبقر والغنم، فكلوا من لحومها، فيستحب أكل شيء قليل من المتطوع به دون الواجب، وأطعموا الذي أصابه شدة الجوع وشدة الفقر، والأمر بالإطعام للوجوب.

٢٩- ثم ليزيلوا أوساخهم بسبب طول الشعر والظفر، وليوفوا نذورهم التي يندرونها في الحج وغيره، وليطوفوا طواف الإفاضة والوداع لإتمام التحلل، بالبيت الذي هو أقدم بيت بني للعبادة، وأعتقه الله من تسلط أي جبار عليه.

٣٠- ذلك المذكور من أعمال الحج من حرمت الله: وهي ما يجب القيام به، ويحرم التفريط به، ومن يعظم حُرْمَتِ الله، أي شعائره وتكائيفه وأحكام دينه، فالتعظيم خير له عند ربه في الآخرة، وأحلت لكم الأنعام (وهي الإبل والبقر والغنم) إلا ما يحرم تناول شيء منها كالميتة وغيرها، فاجتنبوا النجس معنوياً من الأصنام، واجتنبوا قول الباطل من الكذب والبهتان والشرك بالله وشهادة الزور.

٣١- مخلصين الدين لله، بعيدين عن الباطل، غير مشركين بعبادة الله شيئاً- وهو تأكيد لما قبله- ومن يشرك بالله، فكأنما سقط من السماء، فمات، فتخطف الطير لحمه بسرعة، أو ترمي به الريح في مكان بعيد.

٣٢- ذلك المذكور، ومن يعظم أعلام دين الله وأحكامه، ومنها الهدى ومناسك الحج والمساجد والعبادات، فإن تعظيم شعائر الله من خشية الله وأفعال المتقين.

٣٣- لكم منافع في الشعائر: وهي ما جعل الله تعظيمها علامة على رضاه، وهي الهدايا من الأنعام، والانتفاع بها بالركوب والدّر والنسل والصوف وغير ذلك إلى وقت نحرها، ثم مكان ذبحها الذي يحل فيه النحر عند البيت العتيق: وهو هنا جميع الحرم.

٣٤- ولكل أهل دين سابق أو جماعة متدينية، خصصنا متعبداً ومكاناً تدبج فيه القرابين أو الذبائح تقرباً إلى الله تعالى، ليذكروا اسم الله وحده على ما رزقهم من الإبل والبقر والغنم، فالهكم المعبود هو إله واحد، فله انقادوا وأخلصوا العبادة والطاعة، وبشّر المطيعين الخاشعين المخلصين.

٣٥- وهؤلاء المطيعون المتواضعون: هم الذين إذا ذكر الله خافت وخشعت قلوبهم، وحذرت مخالفته، والصابرون على ما أصابهم من البلايا والمحن، والمؤدون الصلاة بأركانها في أوقاتها، ويتصدقون بما رزقناهم في وجه الخير. وقوله ﴿والصابرين﴾ أي وأخص.

٣٦- وجعلنا من شعائر الله (أعلام دينه) الإبل ونحوها من البقر وغيرها المهداة إلى البيت الحرام، لكم فيها نفع في الدنيا والآخرة، فاذكروا اسم الله عليها عند نحرها أو ذبحها، بأن تقولوا: الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، اللهم منك واليك، قائمة قد صُفّت قوائمها؛ لأنها تنحر قائمة معقولة إحدى يديها بأن ترفع بالعقل، فإذا سقطت على الأرض بعد نحرها وكشط جلدها، فكلوا منها إن شئتم، وأطعموا الفقير الذي يرضى بما عنده ولا يسأل الناس، والسائل المتعرض. مثل ما وصفنا من نحرها قياماً، سخرناها وذللتناها لكم مع عظمتها وقوتها، لتشكروا هذه النعمة التي أنعم الله بها عليكم.

٣٧- لن ترفع ولن تصل إلى الله لحومها ودمائها، ولكن يصل إليه التقوى، ويقبل ويجازي على تقواكم، وخوفكم من الله وعملكم الصالح مع الإيمان، وهكذا سخرها الله لكم، لتعظّموا الله وتشكروه على ما أُرشدكم إليه لدينه وشرعه، وتعليمكم كيفية التقرب بهذه الذبائح، وبشّر أيها النبي بالجنة الذين أحسنوا طاعة ربهم، وصدر عنهم الخير لوجه الله تعالى.

٣٨- إن الله يدافع عن المؤمنين غوائل المشركين، إن الله لا يرضى عن كل كثير الخيانة لأمانته، كثير الكفر لنعمته، أي إنه يعاقبهم على خيانتهم وكفرهم. نزلت بسبب المؤمنين لما كثروا بكثرة، وآذاهم الكفار، وهاجر من هاجر إلى أرض الحبشة، وأراد بعض مؤمني مكة أن يقتل من أمكنه من الكفار، ويفتال ويفغدر ويحتال.

حُمْاءَ اللَّهِ عَصَى مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَطُفِقَهُ أَطِيرٌ أَوْ يَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ بَحِيحٍ ﴿٣١﴾
ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعِيرَةَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحْلَاهَا إِلَىٰ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا لِيُذَكَّرُوا أَتَمَّ اللَّهُ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ حَيْثُ مَنَآءٍ أَلَّا يُعْبَدُوا إِلَّا وَاحِدًا فَهُوَ وَاسِعٌ ﴿٣٤﴾
الْحَتِيبِ ﴿٣٥﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ جَعَلْنَا لَكُمْ مِنْ شَعِيرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَأَذْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوْفًا فَإِذَا وَجِيتُ جُنُوبَهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الطَّاعَةَ وَالْمَعْرُوكَ ذَكَرَ سَخِرْنَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ لَنْ يَبَالَ اللَّهُ لِحَوْمِهَا وَلَا دِمَائِهَا وَلَكِنْ يَبَالَ اللَّهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخِرْنَا لَكُمْ لِذِكْرِهِ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَبَشَّرَ الْحَسَنِينَ ﴿٣٨﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِبَّ اللَّهِ لَا يُبَيْتُ كُلَّ حِرَّانٍ كَقَوْلِ ﴿٣٩﴾



أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقُولُونَ بِأَنَّهُمْ ظَالِمُونَ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبُيُوتٌ وَمَسْجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَبِئْسَ اللَّهُ مِنْ بَصِيرٍ ﴿٤٠﴾ وَإِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَرْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَمَّا الْأَرْضُ لِلَّهِ وَمَا عَلَيْهَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ مُعْطِلَةً وَأَمَّا الزُّكْرَاءُ وَأَمْرٌ بِالْعُرْفِ وَنَهْوٌ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْأُمُورِ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ يَكْذِبُونَ فَكَذَّبْتُمْ فَلَهُمُ الْفُورُوجُ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٣﴾ وَقَوْمُ بَرْمِهٍ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٤﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُمُ الْكَاذِبِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرْسِهَا وَنَارٌ مَعْطِلَةٌ وَفُصِّرَ مَسِيرِ ﴿٤٦﴾ أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُوا لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْقَىٰ الْأَبْصَارَ وَلَكِن تَعْقَى الْقُلُوبُ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٧﴾

٣٩- رخص الله بالجهد ورد العدوان للمؤمنين الذين يقاتلون من قبل المشركين، بسبب ظلم الكفار إياهم وإيذائهم الشديد باللسان والأيدي، وإن الله قادر على نصرهم، كما نصرهم بدفع أذى الكفار عنهم، وهذا وعد لهم بالنصر في الحالين. هذه أول آية نزلت في المدينة للإذن بالقتال، بعد أن صبر المؤمنون على الأذى في العهد المكي، وكانوا حينما يشكون أذى المشركين إلى الرسول ﷺ يقول لهم: اصبروا فإنني لم أؤمر بالقتال، حتى هاجر، فأنزل الله هذه الآية بالمدينة. وقال أبو بكر لما هاجر النبي: أخرجوا نبيهم، إنا لله وإنا إليه راجعون، ليهلكن، فأنزل الله هذه الآية.

٤٠- والمأذون لهم بالقتال هم الذين أخرجهم المشركون من ديارهم وأموالهم في مكة، بغير ذنب ارتكبه، ولكن أخرجوا منها لقولهم: ربنا الله، ولولا مدافعة الله الناس بعضهم ببعض، فيسخر للقوي المعتدي من هو أقوى منه، لأدى ذلك لتهديم صوامع الرهبان، أي أديرتهم، وكنائس النصارى وهي البيعة، وكنائس اليهود، ومساجد المسلمين، التي يذكر فيها كثيراً اسم الله، فتقطع

العبادة بخرابها، ولينصرون الله من ينصر دينه، إن الله قوي قادر على كل شيء لا يقهر، منيع في سلطانه وقدرته، لا يعجزه شيء، ولا يغلبه غالب.

٤١- الذين إن جعلنا لهم في الأرض مكنته وسلطة بالنصر على عدوهم، أماموا الصلاة في أوقاتها، وأتوا الزكاة للمستحقين، وأمروا بما أمر به الشرع مما فيه خير قولاً أو فعلاً، ونهوا عما نهى عنه الشرع مما هو شر أو مفسدة، ومرجع الأمور في الدنيا إلى حكم الله وتدييره، وكذا في الآخرة ثواباً وعقاباً.

٤٢- وإن يكذبوك أيها الرسول، فقد كذب الرسل قبلك قوم نوح وعاد وثمود.

٤٣- وكذب قوم إبراهيم وقوم لوط نبيهما إبراهيم ولوطاً. والآية وما بعدها تسرية عن الرسول وتصبير له على تحمل الأذى كمن سبقه من الرسل.

٤٤- وكذب أصحاب مدين نبيهم شعبياً، وكذب فوعون وقومه موسى، فأمهلت الكافرين وأخرت عنهم العقاب، ثم أخذتهم بالعذاب، أي أهلكتهم، فكيف كان إنكاري عليهم وتغيير النعمة إلى نقمة؟!

٤٥- وكم من قرية، أي كثير، أهلكنا أهلها، وهم ظالمون أنفسهم بالكفر والتكذيب، فصارت القرية خربة متهدمة، سقطت حيطانها فوق سقفوها، وبثر متروكة بموت أهلها لا يتتبع بها، وقصر مرتفع البنيان خرب خال بموت أهله.

٤٦- أفلم يسافروا في نواحي الأرض ليروا مصارع المهلكين، فيعتبروا؟! فتصير لهم قلوب يتعقلون بها، أو آذان يسمعون بها الوحي سماع تدبر وتفهم، فإن الأبصار أو المشاعر ليست عمياء، وإنما العمى عمى البصيرة، وسوء استعمال العقل باتباع الهوى والتقليد. وذكر الصدور للتأكيد.

٤٧- ويستعجلك أيها النبي مشركو مكة بما توعدتهم به من العذاب، على سبيل الاستهزاء والسخرية، وإن يوماً عند ربك من أيام الآخرة بسبب العذاب، يقلد بألف سنة مما تعدون أو تحسبون في الدنيا، واليوم والألف سواء بالنسبة لقدرة الله تعالى.

٤٨- وكم من قرية أمهلت أهلها وهم ظالمون أنفسهم بالكفر، مثلكم أيها الكفار، ثم أخذتهم بالعذاب، وإلى حكمي المرجع بعد الهلاك.

٤٩- قل أيها النبي: يا أيها الناس في مكة وغيرها، إنما أنا لكم منذر واضح ومخوف من عذاب الله إن بقيتم على الكفر.

٥٠- فالذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا صالح الأعمال التي أمر الله بها، لهم مغفرة للذنوبهم، ورزق كريم في الآخرة وهو الجنة.

٥١- والذين اجتهدوا في محاربة القرآن وإبطال تعاليمه، ظانين أنهم يعجزوننا ويغلبوننا ويفوتونا بإنكار البعث والقيامة، أولئك هم سكان النار الموقدة.

٥٢- وما أرسلنا من قبلك أيها الرسول من رسول بشريعة جديدة يدعو الناس إليها، أو نبي

وَسْتَجْلِبُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا
عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ
أَمَاتَتْ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْنَاهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴿٤٨﴾
قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا كُرْهُ يَذُرُّ مُمِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾
وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّجِيمِ
﴿٥١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُولٍ وَلَا نَنْبِيٍّ إِلَّا إِذَا
تَمَنَّى الْبَاقِي الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ
ثُمَّ يُخَيِّرُ اللَّهُ ءَأْيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي
الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةَ قُلُوبُهُمْ
وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا
آيَاتِنَا أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ فَتَحَّتْ لَهُمْ قُلُوبُهُمْ
وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾
وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيَّةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ
السَّاعَةُ بَعْتَهُمْ وَإِنَّهُمْ وَعَدَابُ يَوْمِ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾

مبعوث لتقرير شرع سابق، كانباء بني إسرائيل بين موسى وعيسى عليهم السلام إلا إذا قرأ آيات الله، ألقى الشيطان في قراءته ما ليس في قراءته الموحى بها، مما يرضاه المرسل إليهم، فيبطل الله ما يلقي الشيطان من الوسوس، ثم يثبت الله آياته ويحفظها من التبديل، والله واسع العلم بما يوحى إلى أنبيائه وبأحوال الناس، وما يلقيه الشيطان، حكيم في تدبير أمور خلقه وفيما يفعله بهم. نزلت في بعض الروايات المرسله غير المسندة حينما قرأ النبي ﷺ في سورة [النجم ٥٣ / ١٩ - ٢٠]: ﴿أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ ألقى الشيطان كلمتين مقلداً صوت النبي: (تلك الغرائق العلاء، وإن شفاعتهن لترجي، والغرائيق: الأصنام، أو الملائكة، هم الشفعاء. قال ابن خزيمة: إن هذه القصة من وضع الزنادقة.

٥٣- ليجعل الله ما يلقي الشيطان من الوسوس محنة وابتلاء للذين في قلوبهم شك ونفاق، وللكفار والمشركين قساة القلوب عن قبول الحق، وإن الظالمين لأنفسهم بالنفاق أو الشرك في خلاف شديد مع الحق والرسول وبعده كبير عنهما، حتى صار كل فريق في شك لا يجتمعان.

٥٤- وليعرف أهل العلم المجردون عن التعصب والعناد أن القرآن هو الحق النازل من عند الله، لا تبديل فيه ولا تغيير، فيؤمنوا بالقرآن وبالله، أو يثبتوا على إيمانهم، فتخشع له قلوبهم وتتقاد، وإن الله لوفيق ومرشد المؤمنين إلى طريق قويم، لا عوج فيه.

٥٥- ولا يزال الكفار في شك من هذا القرآن، حتى تأتيهم القيامة فجأة، أو يأتيهم عذاب يوم لا خير فيه لهم، متفردين عن سائر الأيام لشدته، وهو يوم القيامة، ووصف بأنه عقيم؛ لأنه لا يوم بعده.

الْمَلِكُ يُوسِذُ اللَّهُ بِحُكْمِ رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي حَتَّى النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ
كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
مُهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا
أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ
خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لِيَذَّخِلَهُمْ مَدْحَلًا يَرْضَوْنَ
وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ
مَا عُوِّبَ بِهِ بَشَرًا فَعَنَى عَلَيْهِ لِيَصْرَبَهُ اللَّهُ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ
لِعَفْوِ عَفْوُهُ ﴿٦٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُوَجِّعُ الْإِنْسَانَ
فِي النَّهَارِ وَفِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ
بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَيُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ
مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَصُخِّبَ الْأَرْضَ
مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾

٥٦- السلطان القاهر والتصريف التام لله وحده يوم القيامة، يقضي بين الناس جميعاً، فالذين آمنوا بالله ورسله، وعملوا صالح الأعمال التي أمر الله بها، لهم جنات النعيم مستقرون فيها على الدوام.

٥٧- والذين كفروا بالله ورسله، وكذبوا بآيات الله في كتبه ومنها القرآن، لهم يوم القيامة عذاب مذل بالغ الإهانة.

٥٨- والذين هاجروا وتركوا أوطانهم من مكة إلى المدينة من أجل طاعة الله ورضوانه، ثم قتلوا في معركة في الجهاد، أو ماتوا في دار الهجرة، ليرزقهم الله رزقاً حسناً في الآخرة وهو الجنة، وإن الله هو خير الرازقين أو المعطين؛ فإنه يرزق بغير حساب.

٥٩- ليدخلهم ربهم إدخالاً مرضياً أو موضعاً يرضونه وهو الجنة، وإن الله واسع العلم بنياتهم وأحوالهم ودرجاتهم، كثير الحلم لا يعاجلهم بالعقوبة ولا يؤاخذهم بما فرط منهم.

٦٠- الأمر هو ذلك، ومن جازى الظالم بمثل ظلمه، ثم عاد إلى إلحاق الظلم بالظالم الأول، لينصرون الله المظلوم في هذه المرة على الباغي، إن الله كثير العفو عن المؤمنين، واسع المغفرة لهم. نزلت في شأن فئسة من المشركين قاتلوا سرية من المسلمين في الشهر الحرام، بالرغم من مناشدة الصحابة ألا يقاتلهم المشركون، فأبوا ذلك، فقاتلهم المسلمون، وانتصروا عليهم.

٦١- ذلك النصر بسبب أن الله قادر على كل شيء، فهو الذي يدخل كلاً من الليل والنهار في الآخر، بأن يزيد به وينقص الآخر، ويغلب بعض الأمور على بعض، وأن الله دقيق السمع مديد البصر، يسمع كل قول، ويصبر كل فعل.

٦٢- ذلك الاتصاف بالقدرة الكاملة والعلم التام لله تعالى، لأجل أن الله هو الحق، أي الموجود الثابت الواجب لذاته، وأن ما يعبدون من دونه من الآلهة كالأصنام هو الباطل المعدوم الزائل؛ لأنه لا يملك ضرراً ولا نفعاً، وأن الله هو المتعالي على كل شيء بقدرته وعظمته، الكبير العظيم عن أن يكون له شريك.

٦٣- ألم تعلم أن الله أنزل من السحاب مطراً- والسماء: كل ما علا من الأجرام والكواكب- فتصبح الأرض مخضرة بالنبات، إن الله لطيف بعباده، يصل علمه إلى كل دقيق وجليل، خبير بالتدابير الظاهرة والباطنة، والنوايا والأحوال.

٦٤- له جميع ما في السموات والأرض خلقاً وملكاً، وإن الله هو الغني في ذاته عن كل شيء، فلا يحتاج لأحد، المستحق للحمد في كل حال.



أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَآ فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَآئِكُ تَحْرِي
 فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَآءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ
 إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي
 أَنشَأَكُمْ مِنْ تُمُومِكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾
 لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُبْشِرُكَ
 فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٧﴾
 وَإِنْ جَدَدُ لَوْكَ فَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ
 بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾
 أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي
 كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لَمْ يَكُنْ لِيُنزَلِ
 مِنْ نَصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ
 فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكْفُرُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ
 يَسْتَلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَبْتُكُمْ يَسْتَلُونَ مِنْ دُونِكُمْ
 أَلَا تَارَوْعْدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَسْتَلِ الْمُصِيرُ ﴿٧٢﴾

٦٥- ألم تعلم أن الله ذللكم جميع ما في الأرض من جماد ونبات وحيوان لمنفعتكم، وذللكم السفن في حال جريها في البحر، بإذنه ومشيئته، ويحفظ السماء من وقوعها على الأرض إلا بأمره وقدرته، إن الله بالناس لشديد الرفاعة بعباده، واسع الرحمة بهم.

٦٦- والله هو الذي أحياكم بالإنشاء بعد أن كنتم جماداً: عناصر ونطفاً، ثم يميتكم عند انتهاء أجالكم، ثم يحييكم في الآخرة عند البعث، إن الإنسان لجحود للنعم حين ترك توحيد الله تعالى.

٦٧- لكل أمة جعلنا شريعة وعبادة يكفلون بها، هم عاملون بها، فلا يصح أن ينازعوك- أي المشركون- في أمر الدين، ومنه الذبائح، وادع إلى توحيد ربك وعبادته، إنك لعلى دين قويم. نزلت حين قال مشركو خزاعة: ما لكم تأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون ما قتله الله؟!

٦٨- وإن جادللك المشركون بعد ظهور الحججة

عليهم في أمر الدين، فقل أيها النبي: الله أعلم بما تعملون، أي فوكل أمرهم إلى الله، وهذا وعيد لهم.

٦٩- الله يفصل بين المؤمنين والكافرين فيما اختلفوا فيه من أمر الدين، ليعلم المحق من المبطل.

٧٠- أما قد علمت أيها النبي أن الله يعلم كل شيء في السماء والأرض، ومنه الخلافات القائمة، إن ذلك العلم المحيط بما ذكر من معلومات الله مدون في كتاب هو اللوح المحفوظ، وإحاطة علمه بجميع الأشياء أمر يسير عليه، لا صعوبة فيه، فسبحانك يا رب هذا دليل الوهيتك، فنحن لا نعلم شيئاً ما وراء جدار مجاور لنا مثلاً!!

٧١- ويعبد المشركون أصناماً من دون الله، لا حجة فيها ولا برهان من الله، ولم يقم عليها دليل علمي ولا عقلي، وليس للكافرين من ناصر ينصرهم، يقرر مذهبهم أو يدفع عنهم العذاب.

٧٢- وإذا تلى على المشركين آيات القرآن ووضحت الدلالة على توحيد الله، تظهر على وجوه الكفار علامات الإنكار والغضب والكره الدالة على إرادة الفتك بالغير، يكادون يبطشون بالنبي وبالؤمنين الذين يتلون عليهم آياتنا من شدة الغيظ، قل لهم أيها الرسول: أفأخبركم بشر من غيظكم على تالي آيات الله؟ هو النار التي وعدنا الله الكافرين بأن مصيرهم إليها، جزاء كفرهم، وبئس المصير هي النار.

يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاَسْمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْأَلْهُمْ
 الذَّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ
 وَالْمَطْلُوبُ ﴿٦٥﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ
 عَزِيزٌ ﴿٦٦﴾ اللَّهُ يَصْطَلِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمَنْ لَيْسَ إِنَّ اللَّهَ
 سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ
 رُجُوعُ الْأُمُورِ ﴿٦٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَزْكَوَاتٍ وَأَسْجُدُوا
 وَأَعْبَدُوا رَبَّهُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْحِرُونَ ﴿٦٩﴾ وَجَهِدُوا
 فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ
 مِنْ حَرَجٍ مَثَلًا لَكُمْ إِبْرَاهِيمَ إِذْ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ
 وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ
 عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَعِظُوا بِاللَّهِ
 هُوَ مَوْلَاكُمْ فِعْمَ الْمُؤْمِنِينَ وَالنَّصِيرُ ﴿٧٠﴾



٧٣- يا أيها الناس من أهل مكة وغيرهم بين وأبرز لكم مثال رائع وكلام بديع، فاستمعوا لهذا المثل سماع تدبر وتفكر، إن الذين تعبدون من دون الله وهي الأصنام، لن يقدروا على خلق ذباب مع صفره، ولو اجتمع جميع المعبودات لهذه المهمة، وإن يأخذ من هذه المعبودات الذباب شيئاً كالطيب والزعفران لا يقدران على استرداده منه لعجزهم، ضعف الصنم الطالب خلق الذباب، أورد المسلوب، والمطلوب وهو الذباب السالب، أو عابد الصنم والصنم المعبود.

٧٤- ما عظم المشركون الله حق عظمته، ولا عرفوه حق المعرفة، حيث أشركوا به هذه الأصنام العاجزة، إن الله لقادر تام القدرة، غالب لا يقهره أحد.

٧٥- الله يختار من الملائكة رسلاً بمهام معينة مثل جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، ويختار من الناس أناساً وهم الأنبياء لهداية الناس، إن الله سميع لقاتهم، مدرك للأشياء كلها، بصير بالأفعال ويمن يتخذة رسولاً.

٧٦- يعلم الله كل ما قدموا وما آخروا، وعملوا ويعملون من أعمال، وإلى الله مرجع الأمور كلها

٧٧- يا أيها المؤمنون صلوا لله الصلاة التي شرعها الله لكم، ووحّدوا ربكم وخصوه بالعبادة، وافعلوا ما هو خير من أداء الفرائض والنوافل ونبغ الناس ومكارم الأخلاق، لتفلحوا وتفوزوا في الدنيا والآخرة.

٧٨- وجاهدوا في سبيل الله بمدافة الأعداء جهاداً حقاً خالصاً لوجهه، هو اختاركم لدينه ولنصرة شرعه، وما جعل عليكم فيما شرعه لكم من الدين من ضيق ومشقة وشدة، بتكليفكم ما يشق عليكم، وإنما جعله سمحاً سهلاً، ورخص لكم الرخصة الشرعية الكثيرة كالقصر وجمع الصلاتين، والفطر في رمضان للمسافر والمرضى، والتيمم، وأكل الميتة وغيرها من المحرمات للضرورة، وإن تلك الشريعة الميسرة هي شريعة أبيكم إبراهيم- وإنما جعل أباً للمسلمين؛ لأنه أبو رسول الله ﷺ أي جده، والرسول كالأب في الشفقة على الأمة- فاتبعوها والزموها، الله سماكم المسلمين على لسان إبراهيم حين دعا ربه قائلاً: ﴿... ومن ذريتنا أمة مسلمة لك﴾ [البقرة ٢/١٢٨] من قبل القرآن في الكتب المتقدمة، وفي القرآن سماكم أيضاً المسلمين، وسماكم ليكون الرسول محمد ﷺ شاهداً عليكم يوم القيامة بتبليغه الرسالة إليكم، وتكونوا شهداء على الناس أن رسلهم قد بلغتهم رسالات ربهم، فواظبوا على الصلاة وإيتاء الزكاة وغيرهما من الطاعات، وثقوا بالله والتجشوا إليه وتوكلوا عليه، هو ناصركم ومتولي أموركم، فنعم الناصر والنصير للمؤمنين؛ إذ لا مثل له في الولاية والنصرة.

سورة المؤمنون

فضلها: روى الإمام أحمد وغيره: أن النبي ﷺ قال: «لقد أنزل علي عشر آيات، من أقامهن - أي لم يخالف ما فيهن - دخل الجنة، ثم قرأ ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ [١] حتى ختم العشر».

١- قد فاز المؤمنون بالنعيم الدائم. روى النسائي أن السيدة عائشة رضي الله عنها سئلت عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت: كان خلقه القرآن، ثم قرأت ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ حتى وصلت إلى قوله تعالى: ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ [٥] قالت: هكذا كان خلق رسول الله ﷺ.

٢- الذين هم في صلاتهم خاضعون متواضعون متذللون لله مع خوف وسكون.

٣- والذين هم منصرفون عن اللغو: وهو كل باطل وما لا خير فيه ولا فائدة من الكلام.

٤- والذين هم لأجل تنمية الخير وتزكية النفوس فاعلون كل ما يحقق ذلك: وهو ما أمرهم الله تعالى به، وليس المراد بالزكاة هنا المال؛ لأنه لا يقال: فعل فلان المال، وإنما يقال: فعل الإحسان، وفعل الشر.

٥- والذين هم يحافظون على فروجهم من الحرام، بالتعفف عنه وكف النفس عن اقتراه. والفرج: سواة الرجل والمرأة.

٦- إلا على زوجاتهم بعقد زواج مشروع، أو ما ملكت أيمانهم من الإماء أو السراي حينما كان الرق شائعاً في الماضي، ومصدره الحرب واسترقاق الإمام للنساء معاملة بالمثل، فهم غير ملومين في الاستمتاع بهن، ففي الزواج يملك الزوج المتعة بالعقد، والإماء مملوكات الرقة والمنفعة والمتعة.

٧- فمن طلب غير ذلك من الزوجات والسراي، فهم المعتدون المجاوزون حدود الله تعالى.

٨- والذين يربعون الأمانة والعهد ويحفظون ذلك، والأمانة: كل ما يوتمن الإنسان عليه من التكليف الشرعية أو الودائع المالية، والعهد: كل ما يلتزم الإنسان الوفاء به، من جهة الله كالصلاة، أو من جهة عباده كالمعاهدات.

٩- والذين هم يحافظون على صلواتهم بإتمام أركانها وأدائها في أوقاتها.

١٠- أولئك الجامعون لهذه الصفات هم وارثو الجنان.

١١- الذين يربون الفردوس: أعلى الجنة، هم مقيمون فيها على الدوام، لا يخرجون منها.

١٢- ولقد خلقنا جنس الإنسان من خلاصة ماء، مستلة من التراب في الأصل.

١٣- ثم جعلنا نسل الإنسان من طريق نطفة (مني) ملقاة في رحم المرأة لتستقر فيه.

١٤- ثم خلقنا النطفة وصيرناها قطعة دم جامد، ثم صيرناها قطعة لحم صغيرة، ثم صيرناها قطعة اللحم عظماً، ثم كسونا العظام لحماً بأن أنبتنا على كل عظم لحماً بمقدار يناسبه، ثم أنشأناه بعد صيرورته جنباً متكامل الخلقه خلقاً آخر ينفخ الروح فيه وولادته حياً، فتعاطم وتقدس الله في قدرته وحكمته أحسن المقدرين الصانين. والخلق يطلق عنى الإيجاد والتقدير، والمراد هنا الثاني.

١٥- ثم إنكم أيها البشر بعد مراحل النشأة والحياة ليتون عند انقضاء الأجل.

١٦- ثم إنكم تبعثون يوم القيامة للحساب والجزاء.

١٧- ولقد خلقنا فوقكم سبع سموات، طُورق بعضها فوق بعض، وما كنا غافلين عن حفظ هذه السموات من السقوط.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ

﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ الْقَوْمِ مُّصْرُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ

فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَى

أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾

فَمَنْ ابْتغى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ

هُمْ لِمَا شَرَعُوا لَهُمْ رِعْوُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ

يَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ

الْفَرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ

مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفَةً فِي قرارٍ

مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ

مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْلًا فَكَسَوْنَا الْعِظْلَ لَحْمًا

ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكْ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾

ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَنَسُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾

وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمَا كُنَّا عَنْ السَّمَاوَاتِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾

وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى
 ذَهَابٍ بِهِ لَلْقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جِبْتًا مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْتَبْنَا
 لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهَ كَثِيرَةً وَمِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَنَجْمَةٌ تَخْرُجُ
 مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَيْبٌ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَكُمْ
 فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِيُزَكِّيَكُمْ فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ
 وَمِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ
 أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ
 غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا
 الْإِنشُرُ مِثْلَكُمْ يُرِيدُ أَنْ يُفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ
 مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آيَاتِ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا
 رَجُلٌ يَدْعُوهُ بِحَنَةٍ فَذُصِّصُوا بِهِ حَتَّى حَبِينٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي
 بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا
 وَوْحَيْنَا لِإِسْحَاقَ إِيمَانًا وَوَحَيْنَا لِيُجَاوِزَ الْبَحْرَ فَأَسْلَكَ فِيهَا
 مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَئِينَ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَى الْأَمْنِ سَبْقَ عَلَيْهِ الْقَوْلَ
 مِنْهُمْ وَلَا تُخْطِئُ فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُخْرَجُونَ ﴿٢٧﴾

١٨- وأنزلنا من السماء مطراً بمقدار معلوم يحقق الكفاية، ولا يحصل به الهلاك، فجعلناه مستقراً في الأرض، ينبع منها عيون وأنهار، وكما قدرنا على إنزاله، فنحن قادرون على تخويره في الأرض بحيث يتعذر إخراجها، فيحدث الموت عطشاً، والهلاك في المزرعات والمواشي بسبب الجفاف.

١٩- فأوجدنا لكم بالماء بساتين من نخيل وأعناب، وهما أكثر فواكه العرب، لكم في هذه الجنات فواكه كثيرة مختلفة الألوان والأنواع، ومن ثمارها تنتفعون أكلاً وشرباً، رطباً ويابساً، صيفاً وشتاءً، فالمراد من الأكل هنا: الانتفاع والارتزاق.

٢٠- وأنشأنا بهذا الماء شجراً مباركاً، وهو شجر الزيتون الذي يخرج في طور سيناء (طور سينين) عند مناجاة موسى ربه، يخرج منه زيت الاستصباح، وزيت الأكل ليدهن به، وينتفع به إداماً للكاكين.

٢١- وإن لكم في الإبل والبقر والغنم لعظة تعتبرون بها وتستدلون بها على القدرة الإلهية، نسقيكم مما في بطونها لبناً طيباً، ولكم فيها منافع كثيرة في ظهورها وأصوافها وأوبارها وأشعارها وغير ذلك، ومنها تأكلون اللحوم والأسمان.

٢٢- وعليها وعلى السفن تحملون في الأسفار والتنقلات إكمالاً للنعمة، والركوب عادة يكون على الإبل دون باقي الأنعام من البقر والغنم، ولا مانع من عود الضمير على بعض مشتملات الكلام السابق.

٢٣- ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه الوثنيين، لدعوتهم إلى توحيد الله وعبادته، فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئاً، ليس لكم إله يستحق العبادة غيره، أفلا تخافون عذابه؟

٢٤- فقال أشراف قومه الكفار لأتباعهم: ليس نوح إلا مثلكم من البشر العاديين، يريد بما يدعي من النبوة أن يكون له التفضل والسيادة عليكم حتى تكونوا أتباعاً له، ولو شاء الله إرسال رسول لهداية البشر لأرسل ملائكة، ما سمعنا بهذا الذي دعا إليه نوح من التوحيد، وكونه من البشر، في الأم الماضية.

٢٥- ما نوح إلا رجل به جنون مضطرب العقل والكلام، فانتظروه إلى زمن لعله يفيق من جنونه أو يموت.

٢٦- قال نوح: يارب انصرنى على قومي بسبب تكذيبهم إياي، بأن تهلكهم.

٢٧- فأوحينا إلى نوح: أن اصنع السفينة بحفظنا ورعايتنا، وإرشادنا وتعليمنا إياك، فإذا جاء أمرنا بنزل العذاب بهم وإهلاكهم، وفار نبع الماء من مكان خبز الخباز: وهو بيت النار الذي ينضج به الخبز، فأدخل في السفينة من كل نوع من أنواع الحيوان صنفين: ذكر وأنثى، ليستمر توالد الحيوان وتبقى الحياة في الأرض، وأدخل أيضاً أهل بيتك ومن آمن معك إلا من تقرر إهلاكه لكفره، أي سبق القضاء بهلاكه، ولا تشفع في الذين كفروا بترك إهلاكهم، إنهم مغرورون حتماً، لظلمهم بالإشراك والمعاصي.

٢٨- فإذا اعتدلت بركوك في السفينة وصعدت إليها أنت ومن معك، فقل: الحمد لله الذي خلصنا من شر القوم الكافرين.

٢٩- وقل عند نزولك من السفينة: رب أنزلي إنزالاً مباركاً أو مكاناً فيه الخير والبركة، وأنت خير المتزين المكرمين عبادك.

٣٠- إن في قصة نوح عليه السلام المذكورة لدلالات على كمال قدرة الله تعالى، وعبراً وعظات وإن كنا لمختبرين عبادنا ومنهم قوم نوح بالآيات وإرسال الرسل، أي تعاملهم معاملة المختبرين ليظهر المطيع من العاصي.

٣١- ثم أوجدنا من بعد إهلاكهم قوماً آخرين، هم عاد قوم هود.

٣٢- فأرسلنا فيهم رسولاً من جنسهم، هو هود عليه السلام، قائلاً لهم: اعبدوا الله وحده، ما لكم من إله مستحق العبادة غيره، أفلا تخافون عقاب الله، فتركوا عبادة غيره، والإشراك به، أفلا تتقون عقابه، فتؤمنوا.

٣٣- وقال أشرف قومه رؤسائهم الذين كفروا بالله ورسوله، وكذبوا بالمصير إلى الآخرة وما فيها من ثواب وعقاب، ونعمناهم ووسعنا عليهم وجعلناهم في ترف وسعة من الرزق وكثرة الأولاد في الحياة الدنيا، حتى بطروا: ما هود هذا الذي يدعي النبوة إلا من جنسكم من البشر، يأكل من أكلكم، ويشرب من شربكم، ولو أرسل الله رسولاً لجعله ملكاً.

٣٤- والله لئن أطعتم بشراً مثلكم فيما يأمركم به وينهاكم عنه، وتركتم عبادة أللهتكم، إنكم إذا أطعتموه لمعبوثون في آرائكم، حيث أذلتكم أنفسكم لأمثالكم.

٣٥- أيعدكم هود أنكم إذا متم وأصبحتم تراباً وعظاماً نخرة لا لحم فيها أنكم مبعوثون من قبوركم أحياء؟!

٣٦- بعداً بعداً- أي بعد البعث بعد الموت- لما توعدون من الإخراج من القبور والبعث والحساب، والمعاد إنكار البعث وأذى النفس فيما بعد مئات السنين. ولا م ﴿لما﴾ هي لام البيان، تبين مرجع الضمير وهو البعث.

٣٧- لا حياة إلا حياة الدنيا التي نعيشها، يموت بعضنا ويولد بعض آخر، ولسنا نحن مبعوثين بعد الموت.

٣٨- ما هو إلا رجل اختلق على الله كذباً، ولسنا بمصدقين له في رسالته وادعائه البعث بعد الموت.

٣٩- قال هود: رب انصرتي عليهم بسبب تكذيبهم إياي.

٤٠- قال الله: بعد زمان قليل ليصيرن نادمين على كفرهم وتكذيبهم عندما يرون العذاب.

٤١- فأخذتهم صيحة العذاب وهي صوت شديد مهلك، باستحقاقهم العقاب بكفرهم، وبالوجه الثابت عدلاً، فصيرناهم هلكتهم كغشاء السيل: وهو ما يحمل من الورق والعيان اليابسة، فبعداً من الرحمة وهلاكاً للقوم الكافرين المكذبين.

٤٢- ثم أوجدنا من بعد إهلاكهم أقواماً آخرين، وهم قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم.

فَإِذَا أَسْتَوَيْتِ أُنْتِ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْعُلَاكِ فَقُلِ اتَّخَذَ اللَّهُ الَّذِي نَجَّيْنَاكَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُلِ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَأَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأَمِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا الْآخِرَةَ وَأَتْرَقَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا الْبَشَرُ مِثْلَكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا نَكُونُ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا نَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِنْ أَنْظَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ وَإِنَّكُمْ إِذْ لَخَسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيْعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِثَّمْ وَكُنْتُمْ تَرَابًا وَعِظْمًا أَنْكُمْ تُحْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ رَبِّ انصرتي بما كذبون ﴿٣٨﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْتُمُ الصَّيْحَةَ الْحَقَّ فَعَلَلْنَاهُمْ عَذَابَ فِعْدَا لِقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٤١﴾



مَا تَسْقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا
 نُنَادِي كُلَّ مَلْجَأٍ أُمَّةً رُسُومًا لِكَيْ يُوْهَ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا
 وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا
 مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ
 وَمَلَائِكِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَتُومِنُ
 لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا
 مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ
 ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ آيَاتٍ لِيُحْسِنُوا الصَّلَاةَ وَالْيَاذِرِينَ
 أَصْحَابَ الْأُمْنَانِ وَالْحَامِلِينَ حِمْلًا بَيْنَ يَدَيْهِمْ وَأَكْبَارَ الْعِلْمِ
 أُولَئِكَ أَجْرُ اللَّهِ الَّذِي لَا يُعْطَى لِمَنْ أَحْسَنُ إِلًّا إِلَّا لِلَّهِ
 الْعَلِيِّ الْعَلِيمِ ﴿٥٠﴾ وَإِنْ هَذِهِ مِنْ آيَاتِنَا لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ
 ﴿٥١﴾ وَأَنذَرْنَاكُمْ فَأَنْتَوْنَ سَافِرِينَ ﴿٥٢﴾ فَذَرَوْهُم مَّا هُمْ
 بِبَشَرٍ لِّدِينِهِمْ فَرِحُوا ﴿٥٣﴾ فَذَرَوْهُم مَّا هُمْ بِبَشَرٍ لِّدِينِهِمْ
 فَرِحُوا ﴿٥٤﴾ فَذَرَوْهُم مَّا هُمْ بِبَشَرٍ لِّدِينِهِمْ فَرِحُوا ﴿٥٥﴾ فَذَرَوْهُم
 مَّا هُمْ بِبَشَرٍ لِّدِينِهِمْ فَرِحُوا ﴿٥٦﴾ فَذَرَوْهُم مَّا هُمْ بِبَشَرٍ
 لِّدِينِهِمْ فَرِحُوا ﴿٥٧﴾ فَذَرَوْهُم مَّا هُمْ بِبَشَرٍ لِّدِينِهِمْ
 فَرِحُوا ﴿٥٨﴾ فَذَرَوْهُم مَّا هُمْ بِبَشَرٍ لِّدِينِهِمْ فَرِحُوا ﴿٥٩﴾

٤٣- ما تتقدم كل أمة الأجل المقرر لهلاكها، ولا تتأخر عنه.
 ٤٤- ثم أرسلنا رسلنا، يتبع بعضهم بعضاً، كلما جاء رسول إلى أمته كذبوه ولم يصدقوه برسالته، فاتبعنا بعضهم بعضاً في الإهلاك، وجعلناهم أحاديث للعبرة: وهي ما يتحدث الناس به لغرابته، فبعداً عن رحمة الله وهلاكاً لقوم لا يصدقون برسالات الرسل.
 ٤٥- ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بالمعجزات التسع المذكورة في [الأعراف ٧/ ١٣٣] وهي الجراد، والدم، والسنون، ونقص الثمرات، والطوفان، والقمل (حشرة تتلف الزرع) والصفادع، والطمس على الأموال، والطبع على القلوب، وأرسلناه أيضاً بحجة واضحة ملزمة للخصم على وحدانية الله، والسultan: صفة للآيات.
 ٤٦- أرسلناهما إلى فرعون وكبار قومه، فاستكبروا عن الإيمان، وكانوا قوماً مستعجلين على الناس بالبغي والظلم.
 ٤٧- فقال فرعون وقومه: أنسلّم لبشرين مثلنا ما يقولان، وقومهما لنا مطيعون متقادون انقياد العبيد؟!
 ٤٨- فكذبوا موسى وهارون، فكانوا بسبب تكذيبهم من المهلكين بالغرق في البحر.

٤٩- ولقد آتينا موسى التوراة لعل بني إسرائيل يهتدون بها إلى الحق والشرائع والأحكام، ويعملون بها.
 ٥٠- وجعلنا عيسى ابن مريم وأمه دليلاً على كمال قدرتنا، وأنزلناهما في بقعة مرتفعة من الأرض، فيها أسباب الاستقرار من الزرع والثمار، وفيها ماء جارٍ ظاهر للعين.
 ٥١- وقلنا: يا أيها الرسل، كلوا مما يستطاب ويستلذ من المباحات، واعملوا عملاً صالحاً موافقاً للشريعة من فرض ونفل، إني عليم بأعمالكم، لا يخفى علي منها شيء.
 ٥٢- وإن هذه ملة الإسلام ملتكم ودينكم وشريعتكم، وهي دين واحد أيها المخاطبون، وهي شريعة توحيد الله، فاتقوا الله وحده وخافوا عقابه، بأن تشركوا به غيره.
 ٥٣- فقطع الأتباع دينهم قطعاً، وتفرقوا فرقا مختلفة، وأصبحوا طوائف، كل جماعة معجبون، مسرورون بما لديهم من الدين.
 ٥٤- فآثرهم في جهلهم وغفلتهم إلى وقت موتهم وعذابهم في النار.
 ٥٥- أيقنون أن ما نعطيهم في هذه الدنيا من الأموال والأولاد؟
 ٥٦- نمجّل لهم به تكريماً وتحقيقاً لخيرهم؟ لا نفعل ذلك، بل إنما نستدرجهم ليزدادوا إثماً، وهم لا يشعرون. والمعنى: أيقنون أن الذي نعدهم به نسارع لهم به فيما فيه خيرهم وإكرامهم؟ الأمر عكس ذلك، فنحن لا نسارع لهم في خير، بل هم لا يشعرون بأننا نستدرجهم ليزيدوا في غيهم، فيزيد عذابهم.
 ٥٧- إن الذين هم من خشية عذاب ربهم شديدو الخدر، فلا يفعلون ما يفضيه تعالى.
 ٥٨- والذين هم يصدقون بآيات ربهم المنزلة في القرآن المجيد، وبالآيات الكونية في الأنفس والسموات والأرض.

٥٩- والذين هم بربهم لا يشركون معه شريكاً آخر، شركاً جليلاً ولا خفياً، نص على ذلك بعد التصريح بالإيمان؛ لأن الشرك قد يجتمع مع الإيمان بالله تعالى.

٦٠- والذين يعطون ما أعطوا من الصدقات والزكوات، وقلوبهم خائفة ألا تقبل منهم؛ لأنهم راجعون إلى الله تعالى يوم القيامة، فيجازيهم على ما عملوا.

٦١- أولئك الموصوفون بما ذكر يبادرون إلى الخيرات، ويرغبون في الطاعات أشد الرغبة، وهم يسبقون غيرهم إلى فعلها، ولأجلها يسبقون إلى الجنة.

٦٢- ولا تكلف نفساً شيئاً من الطاعات إلا بمقدار طاقتها دون مشقة ولا حرج، فتجوز مثلاً الصلاة للمريض قاعداً أو إيماء، وللمسافر والمريض الفطر في رمضان، ولدينا صحيفة أعمال الخلق، يظهر فيها الحق الواقع، والعمل يوم القيامة، وهم لا يظلمون بنقص ثواب أو زيادة عقاب.

٦٣- بل قلوب الكفار في غفلة عن هذا الكتاب الذي ينطق بالحق: وهو صحيفة الأعمال أو القرآن، ولهم أعمال سيئة سوى ما هم عليه من الكفر، هم عاملون بها، معتادون فعلها، فيُعذبون عليها.

٦٤- حتى إذا أخذنا بعذاب الآخرة المتنعمين منهم، وهم الأغنياء والرؤساء، إذا هم يصرخون ويضجّون مستغيثين.

وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَاوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْمَغِيرَاتِ وَهُمْ لَا أَسْمَاقَ ﴿٦١﴾ وَلَا كَلَّفَتْ نَفْسًا الْإِسْعَامَ ۖ وَأَدْبَارًا كَتَبَ بِطَبْعٍ بَاطِنٍ وَهُمْ لَا يُمْلُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَلُ مِّنْ ذَٰلِكَ هُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ ﴿٦٤﴾ لَاجِرُوا الْيَوْمَ إِنَّا كُنَّا نُصْرُونَ ﴿٦٥﴾ فَذَكَرْتَ آيَاتِنَا لِنَلِّيٰ عَلَيْهِمْ فَكَنَّمْ عَلَىٰ غَفْلَتِكُمْ تُنْكَسُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمَاءُ مَّجْرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَا يَذَرُّوْا الْقَوْلَ ۖ أَمْ جَاءَهُمْ مَّالٌ يَّاتِ آبَاءَهُمْ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَمُورُوا رُسُلَهُمْ فَمَهَلُكُمْ مِّنْ كُرْهُكُمْ ۖ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ حِجَّةٌ ۖ بَلْ جَاءَهُمُ الْبَلْغِيُّ وَكُنْتُمْ لَكُمُ الْكِرْهُونَ ﴿٦٩﴾ وَلَوْ أَنبَغَ الْخَلْقُ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ۖ بَلْ أَتَيْنَهُم بِبُكْرٍ مُّكْرَمٍ مِّنْ ذِكْرِهِمْ مَّعْرُضُونَ ﴿٧٠﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خِزْفًا ۚ رُحُوكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزْقِينَ ﴿٧١﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٢﴾

٦٥- فيقال لهم: لا تصرخوا ولا تستغيثوا يوم نزول العذاب، إنكم من عذابتنا لا تتقنون ولا تمنعون منا.

٦٦- قد كانت آياتي من القرآن تقرأ عليكم، لتأملوا فيها وتؤمنوا بها، فكنتم تعرضون عن سماعها إعراضاً شديداً شينياً. والأعقاب جمع عقب: وهو مؤخر قدم الرجل، والنكوص: الرجوع بالظهر إلى الخلف.

٦٧- مستكبرين بالبيت الحرام على المؤمنين، وهم كفار قريش الذين كانوا يفتخرون بأنهم أهل الحرم وخدامه، سامرين، أي حال كونكم تفعلون هذه الأمور. والهجر: الهذيان والفحش. قال سعيد بن جبير: كانت قريش تسمر حول البيت، ولا تطوف به، ويفتخرون به، فأنزل الله هذه الآية.

٦٨- أفلم يتدبروا القرآن الدال على صدق النبي ﷺ ويفكروا فيه ليعلموا أنه الحق من ربهم، أم (للاتنقال من توبيخ إلى توبيخ آخر) جاءهم ما لا عهد به لأبائهم الأقدمين، من الرسول والكتاب؟!.

٦٩- أم لم يعرفوا رسولهم بالأمانة والصدق وحسن الخلق، فهم منكرون له، مكذبون بدعواه.

٧٠- أم يقولون: به جنون، مع أنهم علموا أنه أرجح الناس عقلاً، بل (لإبطال ما قبله وإثبات ما بعده) جاءهم بالدين القويم والقرآن العظيم، وأكثرهم للحق كارهون؛ لأنه يخالف أهواءهم وشهواتهم.

٧١- ولو وافق الحق أهواءهم، وأيد القرآن رغباتهم، لفسدت السموات والأرض ومن فيهن، بخروجها عن نظامها المشاهد، بل أتيناكم بالقرآن الذي فيه مجددهم وشر فهم، فهم عن هذا الشرف والمفخرة معرضون عنه، مهملون له.

٧٢- أم تطلب منهم أجراً على أداء الرسالة، ففرق ربك في الدنيا وثوابه في الآخرة خير وأبقى، والله أفضل من أعطى وأثاب.

٧٣- وإنك أيها النبي لتدعو المشركين إلى دين قويم ومنهج سليم وهو دين الإسلام.

٧٤- وإن الذين لا يصلحون بالآخرة لعاطلون منحرفون عن طريق الرشاد إلى طريق الضلال .

٧٥- ولو رحمتنا هؤلاء المشركين المنحرفين، وكشفنا ما حل بهم من قحط وجدب وجوع، لتمادوا في ضلالتهم وكفرهم، يترددون ويتخبطون .

٧٦- ولقد عذبناهم بالجوع الذي أصابهم في سنوات القحط أو بالقتل في بدر، فما خضعوا ولا تذللوا الربهم ولا أطاعوه، بل تمردوا، ولا يرغبون إلى الله بالدعاء ولا يخشعون له في الشدائد . قال ابن عباس: جاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد، أنشدك بالله والرحم، قد أكلنا العلفن، يعني الوبر والدم، فأنزل الله هذه الآية .

٧٧- حتى إذا جاءهم نوع من العذاب الشديد في الدنيا أو يوم القيامة، إذا هم متحيرون لا يدرون ما يصنعون، يائسون من كل خير .

٧٨- والله الذي أوجد لكم السمع لتسمعوا المواعظ، والأبصار لتشاهدوا ما يدل على وحدانية الله من الآيات الكونية وتعتبروا، والقلوب والعقول لتتفكروا بها، ولكن لا تشكرون الله البتة على هذه النعم .

٧٩- والله هو الذي خلقكم ووزعكم في الأرض، وإليه تجمعون يوم القيامة بعد التفرق .

وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَوِّنُ ﴿٧٤﴾ وَنُحِشِّنُهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرِّ الْخَيْرِ أَوْ طَعْنِيهِمْ بِمَعْمُونٍ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكْبَرُوا لَهُمْ وَمَا يَصْرَعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَخَخْنَا عَلَيْهِمْ أَنَا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا إِنْ دَامَتْ سَاءُ وَكَانَ آبَاؤُنَا عِظَمَاءُ مَا لِمَجْعُونُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِن هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نَذْكُرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ يَدِينُ مَلَائِكَتِ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُخْبِرُ وَلَا يُجَادُ عَلَيْهِمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُشْرِكُونَ ﴿٨٩﴾

٨٠- والله هو الذي يتفرد بالإحياء والإماتة، ويستقل بتعاقب الليل والنهار، واختلافهما في الظلمة والإضاءة، وفي الزيادة والنقص، أفلا تدركون صنع الله وتفكرون في قدرته؟!

٨١- بل قال المشركون في مكة مثلما قال آباؤهم ومن تبعهم من قبل لمن سبقك من الرسل .

٨٢- قالوا: أتدنا متنا وصرنا تراباً وعظاماً بالية، أننا لمبعوثون يوم القيامة من القبور أحياء؟!

٨٣- لقد وعدنا هذا البعث نحن وآباؤنا، من قبل وعد محمد به، ما هذا إلا أكاذيب وخرافات المتقدمين تداوولوها .

٨٤- قل أيها النبي لأهل مكة وأمثالهم: لمن الأرض ومن فيها من المخلوقات، إن كنتم على شيء من العلم، فأخبروني عنه؟

٨٥- سيقولون حتماً: هي الله، قل: أفلا تتذكرون وتتعظون؟ فتعلموا أن القادر على خلق الكون قادر على البعث .

٨٦- قل لهم أيضاً: من رب السموات السبع، ورب العرش العظيم، أي الكرسي الذي هو أعظم من ذلك؟

٨٧- سيقولون حتماً: السموات كلها لله وهو ربها، قل لهم: أفلا تحذرون عقاب الله على شرككم؟

٨٨- قل لهم كذلك: من يبيد ملك كل شيء، وهو يغيث غيره إذا شاء، ولا يفاث ولا يمنع أحد من عذاب الله ولا يستطيع أحد نصره؟ إن كنتم على شيء من العلم فأخبروني به .

٨٩- سيقولون: كل ذلك لله وحده، قل لهم: فكيف تُخذعون عن الحق كأنكم مسحورون، فتصرفون عن الرشd وطاعة الله وتوحيده؟!

٩٠- بل جثتا هؤلاء المشركين بالقول الحق الثابت الذي لا شك ولا باطل فيه، للدلالة على وحدانيتنا، وإنهم لكاذبون فيما ينسبونه إلى الله من الشريك.

٩١- لم يتخذ الله ولدًا ولا شريكًا لتزهره وتقدسه عن ذلك، ولم يكن معه إله يشاركه في الألوهية والملك، ولو كان مع الله آلهة، لانفرد كل إله بما خلق واستقل به، وغلب القوي الضعيف وقهره ليوسع ملكه، كما يفعل ملوك الدنيا، تنزه الله عما يصفونه به ويكذبون من الولد والشريك، لقيام الدليل السابق على فساده.

٩٢- الله تعالى عالم كامل العلم بكل ما غاب عن الخلق وما يشاهدونه، فتعاطم الله عن أن يكون له شريك معه من أي مخلوق جماد أو غيره.

٩٣- قل أيها النبي: إن كان لا بد من أن تريني ما يوعدون به من العذاب في الدنيا والآخرة، والجواب في الآية التالية.

٩٤- رب، فلا تجعلني هالكًا مع القوم الظالمين، وأبعدي عنهم.

٩٥- وإننا لقادرون على أن نريك أيها النبي ما نعدهم به من العذاب، فلا تضجر لتكذيبهم.

٩٦- ادفع بالخصلة المفضلة الحسنة وهي الصفح

والعفو سيئتهم وأذاهم إياك، وصدّهم عن دينك، نحن أعلم منك أيها الرسول بما يصفونك به من الأوصاف الكاذبة، وسنجازيهم عليه.

٩٧- وقل أيها النبي عند المحنة أو الشدة: رب اعتصم واستجير بك من نزعات الشياطين ووساوسهم الشريرة.

٩٨- واستجير بك وأجأ إليك يا رب من حضورهم في أموري؛ لأنهم لا يحضرون إلا للوساوس والإغراء بالشر، والإبعاد عن الخير.

٩٩- حتى إذا جاء أحد المشركين الموت قال: يا رب رُدوني إلى الدنيا؛ لما يرى من المخاوف وسكرات الموت. وجمع ضمير (ارجعوني) فلم يقل: (ارجعني) إشارة لتكرار هذه الكلمة من شدة الفزع، أو لتعظيم الله تعالى.

١٠٠- لعلي أعمل صالحًا بتوحيد الله والقيام بالأعمال الصالحة فيما ضيعت، لارجوع، إن قوله: رب ارجعون لا فائدة فيه، ولو رُدّ لعاد لما نهي عنه، ومن أمام كل ميت حاجز مانع من الرجعة إلى الدنيا إلى يوم القيامة.

١٠١- فإذا نفخ في الصور (القرن أو البوق الذي ينفخ فيه) النفخة الثانية لقيام الساعة، فلا تفيدهم الأنساب شيئًا لا اهتمام كل أحد بنفسه، ولا يسأل بعضهم بعضًا لانشغاله بنفسه ولشدة الفزع.

١٠٢- فمن نقلت موزوناته بالحسنات من عقائد وأعمال، فأولئك هم الفائزون بالجنة والنجاة.

١٠٣- ومن خفت موزوناته بالسيئات، فأولئك الذين ضيعوا أنفسهم ولم ينعفوها، وهم ماكون في جهنم أبدًا.

١٠٤- تحرق وجوههم النار، وهم فيها عابسون مشهو الوجوه، كشرت شفاههم عن الأسنان.

١٠٥- ألم تكن آياتي من القرآن تقرأ عليكم في الدنيا، فكنتم تكذبون بها، وهو تأنيب شديد.

بَلْ أَنبَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ
وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذْ أَنزَلَ كُلَّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ
عَلَىٰ بَعْضٍ سَخِرَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
فَعَلَىٰ عَمَلِكُمْ لَبْرُونَ ﴿٩٢﴾ قُلْ رَبِّ إِنَّمَا نَعْبُدُكَ ﴿٩٣﴾
رَبِّ فَلَا تَجْعَلْ لِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيكَ
مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٥﴾ أَذْفَعُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّنَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ
بِمَا يُصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ
﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِي ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ
الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا
إِنَّمَا كَلِمَةٌ مَقُولُهَا وَمِنْ وَجْهِهِ رَاحُ الْوَيْلِ يَتَّبِعُونَ ﴿١٠٠﴾
فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا تَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾
فَمَنْ نَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُظْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ
مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ
خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ نَلْفَحُ وَجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾
أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِنَا تَسْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾

قَالُوا رَبَّنَا عَلَّمْتَنَا شِقْوَتَنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا
 أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْشَوْفِيهَا وَلَا
 تَكْمُلُونَ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّمَا فَاغَفِرُ
 لَنَا وَإِنَّمَا أَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذُوهُمُ سَخِرَاءً حَتَّى
 أَنْسَوْمُ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضَكُّونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ
 بِمَا صَبَرُوا إِنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١١١﴾ قُلْ لِمَ لَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدٌ
 سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَيْتَنَا يَوْمًا أُؤْتِنَصَّ يَوْمَ قُتِلَ الْعَادِينَ ﴿١١٣﴾
 قُلْ إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَكْفَرْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَلْقَسِمْتُمْ أَنَّمَا
 خَلَقْنَاكُمْ عَبَدَاءً وَأَنْتُمْ كُنْتُمْ لَنَا لَا تَرْجِعُونَ ﴿١١٥﴾
 فَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكِ الْحَقِّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ
 الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ
 لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾
 وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ ﴿١١٨﴾

سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ

١٠٦- قال الأشقياء: ربنا غلبت علينا شقاوتنا، أي سوء العاقبة، وهي ضد السعادة، والمراد: غلبت علينا لذاتنا وأهواؤنا، وكنا قوماً تائهين عن الحق والهدى.

١٠٧- ربنا أخرجنا من النار، فلن عُدنا إلى الكفر، فإننا ظالمون لأنفسنا.

١٠٨- قال الله تعالى: ابتعدوا تباعد سخط وذلة وهوان، ولا تتكلمون في رفع العذاب عنكم.

١٠٩- إنه كان جماعة من عبادي، وهم المؤمنون يقولون: ربنا أماننا بك ويرسلك، فاغفر لنا ذنوبنا، وارحمنا فلا تعذبنا، وأنت أرحم الرحماء.

١١٠- فاتخذوهم مهزوءاً بهم أو موضع هزء وسخرية، حتى نسيتم ذكر الله، لانشغالكم بالاستهزاء، وكنتم تضحكون استهزاء بهم في الدنيا، وهم بلال وصهيب وعمار وسلمان.

١١١- إني جزيتهم اليوم على صبرهم على أذامكم، بالفوز في الدرجات العليا في الجنة.

١١٢- قال الله للكفار: كم لبيتتم في الدنيا وأمواتاً في القبور، وكم كانت مدة إقامتكم في دنياكم؟

١١٣- قالوا في الجواب: مكثنا يوماً أو بعض يوم، فاسأل الملائكة الذين يعدون ويحصون أعمار الناس، أو أسأل المتمكنين من تذكر العدد، ينبؤوك بصدق ما قلنا.

١١٤- قال الله تعالى: ما لبيتتم في الأرض إلا لبناً قليلاً، لو أنكم علمتم مدة مكثكم بالنسبة إلى مكثكم في النار.

١١٥- أظننتم أننا خلقناكم لعباً من غير فائدة ولا حكمة: وهي امتحان الناس وجزاؤهم يوم القيامة، وأنكم لا ترجعون إلينا بالبعث ثم بالحساب والجزاء.

١١٦- فتنزه الله تعالى عن العبث وغيره مما لا يليق به من الولد والشريك، صاحب الملك المطلق، الثابت الذي لا يزول، لا إله إلا هو رب العرش الكريم، أي الكرسي الحسن المشرف.

١١٧- ومن يعبد مع الله إلهاً آخر، لا حجة واضحة ولا دليل واضح له عليه، فلنما جزاؤه عند ربه يوم القيامة، إنه لا يظفر الكافرون بشيء من السعادة.

١١٨- وقل أيها النبي: رب اغفر لي وللمؤمنين، وارحم عبداك المؤمنين رحمة واسعة، تشمل المحسنين والمسيئين، وأنت أرحم وأفضل الرحماء.

سورة النور

فضلها: ذكر مجاهد أن رسول الله ﷺ قال: «علموا رجالكم سورة المائدة، وعلّموا نساءكم سورة النور» وكتب عمر رضي الله عنه لبعض ولاته: أن تعلموا سورة النساء والأحزاب والنور.

١- هذه سورة (طائفة من آيات القرآن لها مبدأ ومختتم) أعطيتها الرسول، وأنزلنا فيها آيات واضحة وتكرير ﴿أنزلنا﴾ لمزيد العناية بإنزال هذه السورة، لعلكم تتعظون، فتعملوا بما فيها.

٢- الزانية والزاني البيحان غير المتزوجين، اضربوا بالسطوط أيها الحكام كل واحد منهما مئة جلدة عقاباً على معصيتهما، وثبت في السنة أيضاً زيادة على الجلد تغريب عام، وأما المحسن الحر فعقوبته الرجم بالسنة الصحيحة المتواترة، ولا تأخذكم بالزانية والزاني أدنى رحمة ورقة، في حكم الله، إن كنتم تصدقون بالله وحده وبالبعث الذي فيه الجزاء، وليحضر إقامة الحد جماعة من المؤمنين، وأقلهم هنا ثلاثة؛ لأن التشهير يحقق الزجر والردع والعظة. وهذا حد الزنى.

٣- والشأن الغالب أن الزناة لا تقبلهم العفيفات أزواجاً، وإنما القبول من الزانيات، فكل أمثاله، وهذا للزجر والتنفير من فاحشة الزنى، فالزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة، والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك. وعطف المشركة والمشرك لمزيد التنفير. وحرم نكاح الزواني والمشركات على

المؤمنين المتقين؛ لما فيه من التشبه بالفاسق، والمراد بالتحريم: التنزه والتعفف مبالغة في التنفير. نزلت الآية في شأن مرتد الغنوي حينما أراد أن يتزوج صديقه له في مكة يقال لها: عناق. وحكم الحرمة مخصوص بسبب الآية، أو منسوخ بقوله تعالى: ﴿وأنكحوا الأيامي منكم﴾ [النور ٢٤/٣٢].

٤- والذين يقدفون بالزنا النساء العفيفات، المؤمنات، وخصهن بالذكر؛ لأن قذفهن أشنع، ثم لم يثبتوا جريمة الزنى بأربعة شهود، فأجلدهم ثمانين جلدة، ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً ما لم يتوبوا. في رأي الجمهور، وعند أبي حنيفة: إلى آخر العمر. وأولئك هم الخارجون عن طاعة الله.

٥- إلا الذين تابوا من بعد القذف، وأصلحوا أعمالهم بالتدارك، فإن الله غفور لذنوبهم، رحيم بهم. وهذا حد القذف.

٦- والذين يقدفون زوجاتهم بتهمة الزنى، وليس لهم شهود على التهمة إلا أنفسهم، فشهادة أحدهم لرفع حد القذف عنه: أن يشهد (يحلف بالله) أربع مرات من الأيمان، إنه لمن الصادقين فيما رمى به زوجته من الزنى. نزلت حينما قذف هلال بن أمية امرأته بشريك بن سحساء. وفي رواية: نزلت بشأن عويمر العجلاني حينما قذف امرأته برجل وجده معها، وهذا هو الصحيح. وهذا حكم اللعان.

٧- ثم يشهد في الشهادة الخامسة: أن لعنة الله تحمل عليه إن كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنى.

٨- ويدفع عذاب حد الزنى عن الزوجة وهو الرجم: أن تحلف أربع مرات بالله: إن الزوج لمن الكاذبين فيما رماها به من الزنى.

٩- والشهادة الخامسة: أن غضب الله يحل عليها إن كان زوجها من الصادقين فيما رماها به من الزنى. ثم يفرق الحاكم بينهما، وتكون الفرقة أبدية. وتخصيص الغضب بالمرأة للتغليظ عليها، لكون الإغراء بالزنى هو الغالب من جهتها، ولأن النساء يكثرن اللعن في العادة.

١٠- ولولا فضل الله موجود عليكم أيها الناس، ورحمته بالستر عليكم، لما جلدكم بالعقوبة، ولأنه أيضاً كثير القبول لتوبة عباده، حكيم فيما يشرع لعباده من اللعان بين الزوجين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة أنزلناها وقرضناها وأنزلنا فيها آيات يبتك لتعلمن ذلكون
 ١ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذوا
 بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ولشاهد
 عدا بهما طائفة من المؤمنين ٢ الزاني لا ينكح إلا زانية
 أو مشركاً والزانية لا ينكح إلا زاناً أو مشركاً وحرم ذلك على
 المؤمنين ٣ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء
 فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم
 الفاسقون ٤ إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله
 غفور رحيم ٥ والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهادة إلا
 أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين
 ٦ والخامسة أن لعنت الله عليه إن كان من الكاذبين
 ويدروا عذاب العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين
 ٧ والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ٨
 ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم ٩



إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا حَسْبُوهُ سَرَّآ لَكُمْ بَلْ
 مُّوَسِّرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ أُمْرِ وَهُمْ مَّا اكْتَسَبُوا مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى
 كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ وَلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ
 وَالْمُؤْمِنَاتُ بَأْسَهُمْ خَبْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَوْلَا جَاءُوا
 عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِندَ اللَّهِ
 هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا
 وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَوْهُ
 بِالسِّتْرِمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ
 هَيِّئًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ
 مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَشْكُرَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ
 ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ بِإِذْنِ اللَّهِ كُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾
 وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لِكُلِّ أَتْلَكٍ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ
 أَنْ تَشِيعَ الْفُتْنَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا
 وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ
 اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

١١- وهذه قصة الإفك [في ١٨ آية]، إن الذين جاؤوا بالإفك: أبلغ الكذب المتعمد وأسوأ الافتراء على السيدة عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين بقذفها: هم جماعة منكم، وهم عبد الله بن أبي، وزيد بن رفاعه، وحسان ابن ثابت، ومسطح بن أثانة، وحنينة بنت جحش، ومن ساعدهم، لا تظنوه شرراً لكم أيها المؤمنون، بل هو خير لكم، لكل امرئ منهم جزاء ما اكتسب من السوء، والذي تولى معظمه منهم وهو ابن أبي زعيم المنافق له عذاب عظيم في الآخرة. نزلت في اتهام عائشة بالفاحشة في غزوة بني المصطلق، حين أضاعت عقدها، فرجعت تبحث عنه، وتأخرت عن الجيش الذي رحل، دون علم بتخلفها عن الركب.

١٢- هلا حين سمعتموه، ظن المؤمنون والمؤمنات بعضهم خيراً، وقالوا: هذا كذب ظاهر.

١٣- هلا جاء الخائفون بالإفك بأربعة شهود يشهدون على ما قالوا، فإذا لم يأتوا بالشهود فأولئك في حكم الله هم الكاذبون.

١٤- ولولا فضل الله موجود عليكم في الدنيا بعدم تعجيل العقاب، ورحمته بكم في الآخرة بالعفو، لمسكم أيها العصابة فيما خضتم فيه باتهام أم المؤمنين عذاب عظيم.

١٥- حين تلتقفون خبر الإفك، وترددونه بالستكم بين الناس ليتشر، وتقولون بأفواهكم قولاً ليس لكم به دليل علمي، وتظنونه قولاً هيئاً لا إثم فيه، وهو في حكم الله تعالى ذنب عظيم، وإثم ميين، بسبب هذه الأمور الثلاثة: وهي تلقي الإفك، والتحدث به من غير تحقق، واستصغار شأنه.

١٦- وهلا حين سمعتموه قلتم: ما ينبغي لنا ولا يصح، ولا يمكن أن نتكلم بهذا الحديث، تنزيهاً لله وتعجباً ممن يقول ذلك، أي نستبعد هذا القول، وهذا عتاب لجميع الخائفين، هذا القول كذب مختلق يبهت السامع، لعدم علمه به. والبهتان: أن يقال في الإنسان ما ليس فيه. وكلمة (سبحان الله) تأتي بها العرب عند التعجب من شيء غريب، بعيد عن العقول.

١٧- يأمركم الله بالامتنال، وينهاكم بشدة أن تعودوا لمثل هذا القول، ما دمتم أحياء مكلفين، إن كنتم حقاً من أهل الإيمان.

١٨- ويوضح الله تعالى لكم الآيات التشريعية والآداب العالية لتعملوا بها، والله عليم بأحوالكم، حكيم في تدييره.
 ١٩- إن العصابة الذين يريدون إشاعة الفاحشة (الزنا) وانتشارها، وترويج الأخبار الكاذبة، بين المؤمنين أهل العفة، لهم عذاب أليم في الدنيا بإقامة الحد عليهم، وفي الآخرة بعذاب النار، والله يعلم ما في الضمائر والظواهر، وأنتم أيها العصابة لا تعلمون بها.

٢٠- ولولا فضل الله موجود عليكم في الدنيا ورحمته بكم في الآخرة، وأن الله رؤوف بخلقه، لعاجلكم العقوبة. كرز ذلك لبيان المنة بترك تعجيل العقاب. والرؤوف: المزيل لأسباب البلاء، والرحيم: الذي يجزل الإحسان.



٢١- يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا طرق الشيطان التي يوسوس باتباعها، كإشاعة الفاحشة، ومن يتبع طرق الشيطان، فإن الشيطان يأمر بما عظم قبحه من الذنوب (الفحشاء) وبما ينكره الشرع (النكر) ومتبعه مطيع له مقتدي به، ولو لا فضل الله موجود عليكم ورحمته بكم، بالتوفيق إلى التوبة الماحية للذنوب، ما طهر من دنس الذنوب أحداً، ولكن الله يطهر من الذنوب من يشاء بقبول توبته، والله سميع لمقالتهم، عليم بنياتهم وجميع المعلومات.

٢٢- ولا يحلف أولو الفضل والإحسان، والغنى والشراء على ألا يؤتوا المال ذوي القرابة والمساكين والمهاجرين في سبيل إرضاء الله، وليعفوا بمحو الذنوب، وليصفحوا عن إساءتهم بالإغضاء عنها، ألا تريدون أن يغفر الله لكم على العفو والصفح عن المسيئين، والله واسع المغفرة لذنوب الطامعين، شامل الرحمة لعباده المؤمنين، مع كمال قدرته، فتخلقوا بأخلاقه.

٢٣- إن الذين يقذفون بالزنى العفيفات، البعيدات عن المعاصي والفواحش، السليمات الصدور، المؤمنات بالله ورسوله، طردوا من رحمة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالنَّكَرِ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا ذُكِرْتُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْكُلْ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالسَّكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَاقِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تُشْهِدُ عَلَيْهِمُ أَسْتِمْهُمُ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يُؤْمِدُ يُؤْفِكُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ الْحَيْثُ لِلْحَيْثِينَ وَالْحَيْثُونَ لِلْحَيْثِ وَالطَّيِّبُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَاسْأَلُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرًا لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾

الله في الآخرة، وعذبوا في الدنيا بحد القذف، ولهم عذاب عظيم يوم القيامة إن لم يتوبوا. وهذا هو الجزاء الآخروي للقاذفين، وهذه صفات السيدة عائشة رضي الله عنها. نزلت هذه الآية في نساء النبي ﷺ خاصة.

٢٤- يوم تشهد عليهم أستمتهم وأيديهم وأرجلهم بما عملوا في الدنيا من خطايا وذنوب، بأن ينطق الله هذه الأعضاء بالشهادة عليهم، بخلق آلة تطلق فيها.

٢٥- يوم القيامة يعطيهم الله جزاءهم الثابت الذي يستحقونه، وعندها يعلمون أن الله هو الإله الحق الثابت بذاته، الظاهر الألوهية، لا يشاركه في ذلك غيره.

٢٦- النساء الخبيثات للرجال الخبيثين، والرجال الخبيثون للنساء الخبيثات، لا يصلح كل منهم لغير ذلك ويختص بأمثاله، والطيبات الطاهرات من النساء للطيبين الطاهرين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء، فكل جنس يليق بجنسه، والرسول ﷺ أطيب الناس، ونساؤه أطيب النساء، وأولئك الطيبون والطيبات مبرؤون مما يقول أهل الخبث والإفك في حقهم من الافتراء، لهم مغفرة (ستر) من ربهم لذنوبهم، ورزق الجنة.

٢٧- يا أيها المؤمنون لا تدخلوا مساكن غير مساكنكم، حتى تستأذنوا بالدخول، وتسلموا على أهلها بأن يقول الواحد: السلام عليكم أدخل؟ ذلكم الاستئذان أفضل لكم من الدخول بغير إذن، لعلكم تتعظون، فتعملوا بما أمرتم به. نزلت في امرأة أنصارية، قالت: يا رسول الله، إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد، وإنه لا يزال يدخل علي رجل من أهلي، وأنا على تلك الحال، فكيف أصنع؟ فنزلت الآية.

فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آرْجُوا فَأَرْجُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُلِ الْمُؤْمِنِينَ يَعْضُونَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا أَرْوَاجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنْ اللَّهُ جَبَّيْنَمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُلِ الْمُؤْمِنَاتُ يَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُوهِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ الْوَالِدَاتِ وَالْإِخْوَانَ مِنَ الْوَالِدَاتِ أَوْ أَوْلَادِ الْوَالِدَاتِ إِلَّا زِينَةً لِجَاهِ النَّسَاءِ وَلَا يُضْرَبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

٢٨- فإن لم تجدوا في البيوت أحداً ياذن لكم بالدخول، فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم بدخولها، وإن قيل لكم من أهل البيت: ارجعوا، فارجعوا، ولا تكرر الاستئذان، والرجوع هو خير وأظهر لكم للبعد عن الرية، والله عليم بأعمالكم، وستجازون عليها.

٢٩- ليس عليكم إثم أن تدخلوا بيوتاً ليست مسكونة كالفنادق والمساجد والخوانيت، فيها حق تمتع وانتفاع كرقية سلعة وجلوس لمعاملة، والله يعلم ما تظهرون وما تخفون في صدوركم، من قصد صلاح أو سوء. وفيه وعيد لمن أخل بهذه الآداب. لما نزلت آية الاستئذان في البيوت، قال أبو بكر: يا رسول الله، فكيف يتجار قريش الذين يختلفون بين مكة والمدينة والشام، ولهم بيوت معلومة على الطريق، فكيف يستأذنون ويسلمون، وليس فيها سكان؟ فنزلت الآية.

٣٠- قل أيها النبي للمؤمنين: كُفُّوا أَبْصَارَكُمْ عَمَّا لَا يَحِلُّ النَّظْرَ إِلَيْهِ، وَغَضُّوا الْبَصَرَ: أَنْ يَخْفُضَ بَعْضُ بَصَرِهِ بَحَيْثُ تَمْتَنِعُ الرَّوْيَةُ، مِنْ أَجْلِ سَدِّ الذَّرَائِعِ إِلَى الزَّوْنِيِّ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكُمْ، ذَلِكَ الْغَضُّ وَالْحَفْظُ أَطْهَرَ لِلنَّفْسِ مِنَ التَّوَرُّطِ فِي الْحَرَامِ، إِنْ اللَّهُ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ مِنَ الْغَضِّ وَالْحَفْظِ، وَهَذَا وَعِيدٌ لِمَنْ خَالَفَ

ذلك. نزلت في رجل مسرف في طريق من طرقات المدينة، فتبادل النظر مع امرأة، واستمر على ذلك حتى اصطدم بحائط فشق أنفه، فأخبر النبي ﷺ بذلك، فقال له: هذا عقوبة ذنبك، وأنزل الله هذه الآية.

٣١- وقل أيها النبي أيضاً للمؤمنات: كُفُّوا أَبْصَارَكُمْ وَاحْفَظْ فُرُوجَكُمْ عَنِ الْحَرَامِ، وَالْآيَاتُ تَدُلُّ عَلَى تَحْرِيمِ النَّظْرِ، وَلَا يُبْدِينَ مَوَاضِعَ الزَّيْنَةِ مِنَ الْخَلِيَةِ وَغَيْرِهَا، كَالثِّيَابِ وَالْأَصْبَاغِ، إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا عَادَةً وَهُوَ الثِّيَابُ الظَّاهِرَةُ وَالْوَجْهَ وَالْكَفَّانَ، وَهُوَ مَا فِي إِخْفَائِهِ مَشَقَّةٌ وَجَرَتْ الْعَادَةُ بِظَهْرِهِ كَالْحَاتِمِ وَالْكَحْلِ وَالْحَضَابِ، أَمَا السَّوَارُ وَالْخَلْخَالُ وَالْقَلَادَةُ وَالْإِكْلِيلُ: وَهُوَ مَا يُوَضَعُ عَلَى شَعْرِ الرَّأْسِ، فَيَحْرَمُ إِظْهَارَهُ. وَلَيْسَتِ الرَّؤُوسُ وَالْأَعْنَاقُ وَأَعَالِي الصُّدُورِ بِالْحَمَارِ: وَهُوَ مَا تَغْطِي بِهِ الْمَرْأَةُ رَأْسَهَا، وَالْجَيْبُ: فَتْحَةٌ فِي أَعْلَى الثَّوْبِ يَبْدُو مِنْهُ بَعْضُ الصُّدْرِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى وَجُوبِ تَغْطِيَةِ الرَّأْسِ وَالصُّدْرِ، وَلَا يَظْهَرَنَّ زِينَتُهُنَّ الْبَاطِنَةَ كَالْتِي فِي الشَّعْرِ أَوْ عَلَى الصُّدْرِ إِلَّا لِأَزْوَاجِهِنَّ، أَوْ آبَائِهِنَّ، أَوْ أَبْنَاءِ أَزْوَاجِهِنَّ، أَوْ أَبْنَائِهِنَّ- وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ أَوْلَادُ الْأَبْنَاءِ وَأَوْلَادُ الْبَنَاتِ مَهْمَا نَزَلُوا- أَوْ آبَاءُ الْأَزْوَاجِ وَأَبَاءُ الْآبَاءِ وَأَبَاءُ الْأُمَّهَاتِ مَهْمَا عَلُوا، وَكَذَلِكَ أَبْنَاءُ الْأَزْوَاجِ وَإِنْ نَزَلُوا، وَأَبْنَاءُ الْإِخْوَةِ وَالْأَخَوَاتِ، وَالْعَمُّ وَالْحَالَ مِنْ الْمُحَارِمِ، وَالرِّضَاعُ كَالنَّسَبِ، أَوْ النِّسَاءِ التَّابِعَاتِ لَهُنَّ بِالْخِدْمَةِ أَوْ الصَّحْبَةِ، الْمُسَلَّمَاتِ، وَأَمَّا الْكَافِرَاتُ فَهِنَّ كَالْأَجَانِبِ عِنْدَ أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ، وَأَجَازُ الْخِتَابَةِ نَظْرُ الْكَافِرَةِ لِلْمُسْلِمَةِ فِيمَا عَدَا مَا بَيْنَ السَّرَّةِ وَالرِّبْكِ؛ أَوْ الْإِمَاءِ، أَوْ الْخَدَمِ الَّذِينَ لَا حَاجَةَ لَهُنَّ فِي النَّسَاءِ كَالشَّيْخِ الْهَرَمِ وَالْخَصِيِّ وَالْمَخْنَثِ وَالْمَعْتَوَةِ، أَوْ الْأَطْفَالِ الصَّغَارِ غَيْرِ الْمَرَاهِقِينَ الَّذِينَ لَمْ يَمَيِّزُوا بَيْنَ عَوْرَاتِ النَّسَاءِ وَبَيْنَ غَيْرِهَا لِصِغَرِهِمْ. وَالطُّفْلُ: يُطْلَقُ عَلَى الْوَاحِدِ وَالْمُتَعَدِّدِ. وَلَا تُضْرَبُ النَّسَاءُ بِأَرْجُلِهِنَّ إِذَا مَشِينَ لِيَسْمَعَ صَوْتَ الْخَلْخَالِ فِي أَرْجُلِهِنَّ. وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَتُوبُوا جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِمَّا وَقَعَ لَكُمْ مِنَ النَّظْرِ الْمُنْعِيِّ، لِتَفُزُوا بِسَعَادَةِ الدَّارَيْنِ. نَزَلَتْ فِي أَسْمَاءِ بِنْتِ مَرْثَدِ النَّبِيِّ اسْتَقْبَحَتْ دَخُولَ النَّسَاءِ عَلَيْهَا غَيْرَ مَتَأَزَّاتٍ، وَتَبَدُّوْا صُدُورَهُنَّ وَذَوَائِبَهُنَّ.

٣٢- وزوجوا من لا زوج له من أحرار الرجال والنساء، ماداموا قادرين على المهر والنفقة، وزوجوا أيضاً العبيد والإماء أهل التقوى والصلاح، أي الإيمان والقدرة على أداء الحقوق، إن يكن الرجال والنساء فقراء، يغنمهم الله من كرمه وفضله، فمن تزوج بغنه الله بغنى النفس والمال، والله غني ذو سعة وجود، لا ينقص ملكه مهما أغنى عباده، عليم بمصالح خلقه، يرزقهم حسبما تقتضي حكمته.

٣٣- وليجتهد في العفة عن الزنى والحرام من لا يتمكن من تكاليف الزواج كالمهر والنفقة، حتى يرزقهم الله من فضله ويوسع عليهم من عطائه، فيجدون ما يتزوجون به، والأرقاء الذين يرغبون في المكاتبه؛ وهي أن يتفق السيد مع رقيقه على مال يؤديه مقططاً، فإذا آداه فهو حر، فكاتبوهم إن علمتم فيهم قدرة على الآداء، وأعطوهم من زكاة أموالكم للإعانة على التحرر من الرق، وحطوا عنهم بعض ما كتبوا عليه عند الآداء، ولا تجبروا الإمام على الزنى بأجر، إن أردن تعففاً، وكذا إن لم يُردن، فهذا قيد لبيان واقع كان في الجاهلية، لتطلبوا ولتحصلوا على مكسب حرام، والعرض: المتاع الزائل، ومن يجبرهن على الزنى، فإن الله غفور لتلك المكرهات، رحيم بهن، والإثم على المكره. نزلت آية

وَأَحْسِنَ إِلَى الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ كُنُوا فُقَرَاءَ يَغْنِمُهَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾
وَلَيْسَ عَقَبٌ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتُغُونَ الْكِتَابَ بِمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآؤُهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تَجْرُواهُمُ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْبَيْعَاءُ إِنْ أَرَدْنَ مُخَصَّصًا لِنَبْوَاهُمْ أَعْرَضَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَمَثَلًا لِّلَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِثْلِهَا فِيهَا مُصْبِحٌ الْمُصْبِحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَوُتُمْسَسَهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَضَرِبَ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِي سُورَتِ آذَانَ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعُ وَيُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمَاءُ يُسْمِعُ لَهُ فِيهَا الْغُدُورَ وَالْأَصَالَ ﴿٣٦﴾

﴿والذين يبتغون﴾ في شأن غلام لحويطب بن عبد العزى، سأله عبده أن يكاتبه، فأبى عليه. ونزلت آية ﴿ولا تكرهوا﴾ في شأن جاريتين لعبد الله بن أبي كان يكرههما على الزنى.

٣٤- ولقد أنزلنا إليكم أيها المؤمنون آيات في القرآن مفصّلات توضح الأحكام والحدود والآداب، وقصة عجيبة مماثل غيرها، وهي هنا قصة السيدة عائشة التي تشبه قصة مريم ويوسف اللذين برأهما الله تعالى، قصة أو مثلاً كأمثال الذين مضوا من قبلكم في الكتب السابقة، وموعظة للذين يخافون عذاب الله، وخصوصاً بالذكر؛ لأنهم المنتفعون بالعظة.

٣٥- الله منور السموات والأرض، وأهلها وهم العالم كله يهتدون بنوره، صفة نوره العجيبة لتنوير قلوب المؤمنين، يهتدوا إلى الحق والرشاد كمثل كوة في جدار غير نافذة (وهي الطاقة) تجمع النور وتعكسه، فيها سراج مضئ، والسراج في زجاجة صافية (كريستال) الزجاج والنور فيها كأنها نجم مضئ في صفاته وإشراقه، والدُّرِّيُّ منسوب إلى الدرّ: نوع من الأحجار الكريمة، يُوقَدُ السراج (القنديل) من زيت شجرة مباركة هي الزيتون التي تتعرض للشمس طوال النهار؛ لأنها في موقع متوسط بين الشرق والغرب، مما يجعل زيتها من أطيب الزيوت، يكاد زيتها يضيء بنفسه من غير نار لصفاته ولعانه، نور فوق نور، المصباح نور، والزجاجة نور، وصفاء الزيت نور، فاكتمل الإشعاع، يوفق الله لاتباع قرآنه، ويبين الله الأمثال للناس، تقريباً لأفهامهم، ليعتبروا فيؤمنوا، والله عليم بكل شيء لا تخفى عليه خافية، وفيه وعد ووعد، وعد لمن تأمل ذلك، ووعد لمن أهمل ذلك.

٣٦- في مساجد أمر الله وقضى أن تُبنى وتعظم بتعظيم الله، وتطهر عن الأذناس، ويُردّد فيها اسمه بالأذان والتسبيح والأذكار والصلوات وتلاوة القرآن، يصلي الله فيها وينزهه ويقدهه أناس في أول النهار وآخره.

رِجَالٌ لَا لَهُمْ خِجْرَةٌ وَلَا يُعَاجِلُونَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾
يُخَيِّرُ لَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِعَرَفٍ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوا كَسَرَابٍ
بِئْسَ مَا يَحْتَسِبُ الظَّنَّانَ مَاءٌ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ الْمَوْتُ لَمْ يُجِدُوا شَيْئًا
وَوَجَدُوا اللَّهَ عِنْدَهُمْ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾
أَوْ كَالْمُنْتَجِ فِي تَخْرُجِي يَعْسَبُهُ مَوْجٌ مِنْ قَوْفِهِ مَوْجٌ
مِنْ قَوْفِهِ سَبَابٌ طَلَمَتْ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ
لَمْ يَكَدْ يَرَهَا وَمَنْ لَمْ يُجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَالَهُ مِنْ نُورٍ ﴿٤٠﴾ أَمْ تَرَى
أَنَّ اللَّهَ يَسْخَرُ لَهُمْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالظَّالِمُ صَفَّتْ كُلُّ
قَدْرَةٍ صَلَاتُهُ وَتَسْبِيحُهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَاللَّهُ مَالِكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْجِي
سَبَابًا أَمْ يُؤْتِي لَيْلَهُمْ لَيْلَةً يَجْعَلُ رُكُومًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
حُلَاهِ وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِرَنِّهَا
وَبَصْرَفِهِ عَنِ نَيْبِهَا يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَكْدُ هَبَّ الْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾

٣٧- يَسْبَحُ اللهُ فِي الْمَسَاجِدِ رِجَالٌ لَا تَسْتَغْلَمُ تِجَارَةً وَلَا عَقْدَ بَيْعٍ، وَلَا شَاغَلَ آخَرَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ فِي الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ فِي أَوْقَاتِهَا، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ لِمُسْتَحِقِّيهَا، يَخَافُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِي تَضْطَرِبُ فِيهِ الْقُلُوبُ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، وَكَذَا الْأَبْصَارُ لِشِدَّةِ الْخَوْفِ مِنَ الْمَصِيرِ الْمَجْهُولِ.

٣٨- وَالتَّسْبِيحُ وَالتَّنْزِيهُ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَحْسَنَ جِزَاءٍ عَلَى عَمَلِهِمُ الصَّالِحِ، وَيَزِيدُهُمْ مِنْ جُودِهِ وَكَرَمِهِ فَوْقَ الْجِزَاءِ الْمَوْعُودِ بِهِ، وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ رِزْقًا وَاسِعًا، بِغَيْرِ عَدْوٍ وَلَا إِحْصَاءِ.

٣٩- وَأَعْمَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى عَكْسِ حَالِ الْمُؤْمِنِينَ، هِيَ كَسْرَابٍ: وَهُوَ مَا يَرَى فِي الْفَلَاةِ مِنْ لَمَعَانِ الشَّمْسِ وَقَتِ الظَّهِيرَةِ عَلَى الظَّنِّ أَنَّهُ مَاءٌ، فِي قَبِيعَةِ (فَلَاةٍ): وَهِيَ مَا انْبَسَطَ مِنَ الْأَرْضِ، يَظُنُّ الْعَطْشَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ مَوْضِعُهُ فِي الصَّحْرَاءِ، لَمْ يَجِدْهُ مَاءً كَمَا ظَنَّنَا، وَمِثْلُ ذَلِكَ الْكَافِرُ يَظُنُّ أَنَّ عَمَلَهُ يَنْفَعُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِذَا مَاتَ، لَمْ يَجِدْ نَفْعًا لِعَمَلِهِ، كَمَا أَنَّ السَّرَابَ لَا يَنْفَعُ الْعَطْشَانَ، وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَ عَمَلِهِ يَنْتَظِرُهُ، أَيْ وَجَدَ جِزَاءَ عَمَلِهِ، فَجَازَاهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا، وَاللَّهُ سَرِيعُ الْمَجَازَاةِ. نَزَلَتْ فِي عَتَبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ أَوْ فِي شَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، كِلَاهُمَا مَاتَ كَافِرًا.

٤٠- أَوْ أَعْمَالُ الْكُفَرَاءِ تُشَبِّهُ الظُّلُمَاتِ الْمَتْرَاكِمَةَ فِي بَحْرِ عَمِيقٍ، يَغْطِيهِ مَوْجٌ، وَفَوْقَهُ مَوْجٌ آخَرَ، وَفَوْقَ الْمَوْجِ الْأَعْلَى غَيْمٌ كَثِيفٌ، ظُلُمَاتٌ ثَلَاثٌ أَوْ أَرْبَعٌ: ظُلْمَةُ الْبَحْرِ، وَظُلْمَةُ الْمَوْجِ الْأَوَّلِ وَظُلْمَةُ الثَّانِي، وَظُلْمَةُ السَّحَابِ، وَظُلْمَةُ اللَّيْلِ، وَهِيَ تُشَبِّهُ ظُلْمَةَ الْجَهْلِ، وَالْحَيْرَةِ، وَالرَّيْبِ، وَالْحَتْمِ وَالطَّيْعِ عَلَى قَلْبِ الْكَافِرِ، إِذَا أَخْرَجَ النَّازِرُ يَدَهُ فِي هَذِهِ الظُّلُمَاتِ، لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا، وَهِيَ أَقْرَبُ شَيْءٍ إِلَيْهِ، وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ هِدَايَةً فِي قَلْبِهِ، لَمْ يَهْتَدِ، أَيْ مَنْ لَمْ يُوَفِّقْهُ لِأَسْبَابِ الْهِدَايَةِ، لَمْ يَكُنْ مُهْتَدِيًا. وَهَذِهِ الظُّلُمَاتُ عَلَى قَلْبِ الْكَافِرِ ضِدُّ الْأَنْوَارِ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ: ﴿مِثْلُ نُورِهِ﴾ [٣٥].

٤١- أَلَمْ تَعْلَمْ أَيُّهَا النَّبِيُّ عِلْمَ الْيَقِينِ وَالْمَشَاهِدَةِ- وَالرُّؤْيَا هُنَا عِلْمِيَّةٌ- أَنَّ اللَّهَ يَنْزِعُهُ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيْقُ بِهِ مِنْ صِفَاتِ النِّقْصِ: كُلِّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنَ الْعُقُلَاءِ بِالنُّطْقِ الْمَعْرُوفِ، وَغَيْرِ الْعُقُلَاءِ بِمَا يَسْمَعُ مِنْ أَصْوَاتِهَا، وَمَشَاهِدَةِ أَثَرِ الصَّنْعَةِ الْبَدِيعَةِ فِيهَا، وَكَذَا الطُّيُورِ حَالَةَ كَوْنِهَا بِأَسْطَاتِ أَجْنَحَتِهَا، مُسْتَقِرَّةٌ فِي الْهَوَاءِ، تَسْبَحُ اللَّهُ أَيضًا، وَتَدُلُّ عَلَى وَجُودِ الْخَالِقِ وَقُدْرَتِهِ بِمَا يَسِّرُ اللَّهُ لَهَا مِنْ قُدْرَةِ التَّحْلِيْقِ فِي السَّمَاءِ، كُلِّ مَخْلُوقٍ مِنْ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ، قَدْ عَلِمَ اللَّهُ صَلَاتَهُ (دَعَاةً) وَتَسْبِيحَهُ (تَنْزِيهَهُ رَبَّهُ) بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي أَلْهَمَهُ اللَّهُ إِيَّاهَا، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ وَمَجَازِيهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ. وَخُصَّ الطَّيْرُ، لِأَنَّ فِي تَكْوِينِهَا وَأَحْوَالِهَا بَسْطًا وَقَبْضًا أَجْنَحَتِهَا مِنْ عَجِيبِ الصَّنْعِ وَالْإِتْقَانِ.

٤٢- وَاللَّهُ وَحْدَهُ لَا لَغْوَةَ لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؛ لِأَنَّهُ مُبْدِعُهَا وَمُتَصَرِّفُ فِيهَا، وَإِلَى اللَّهِ الْمَرْجِعُ بَعْدَ الْمَوْتِ.

٤٣- أَلَمْ تَنْظُرْ أَنَّ اللَّهَ يَسُوقُ السَّحَابَ عَلَى مَهْلٍ أَوْ بَرَقٍ إِلَى حَيْثُ يَرِيدُ، ثُمَّ يَضْمُ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ يَجْعَلُهُ مَتْرَاكِمًا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ، فَتَرَى الْمَطَرَ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ فُجُواتِ السَّحَابِ الَّتِي تَكُونُ بَيْنَ أَجْزَائِهِ، وَيَنْزِلُ مِنَ السَّحَابِ مِنْ جِهَةِ السَّمَاءِ الَّتِي تَكُونُ كَالْجِبَالِ فِي حَجْمِهَا وَامْتِدَادِهَا بَرْدًا مُتَكَافَأً، أَوْ مَطْرًا إِنْ لَمْ تَشْتَدِ الْبُرُودَةُ، فَيُصِيبُ بِالْبَرْدِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَيَمْنَعُهُ عَمَّنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ، يَكَادُ الْبَرَقُ الَّذِي فِي السَّحَابِ يَخْطِفُ الْأَبْصَارَ، مِنْ شِدَّةِ لَمَعَانِهِ وَبَرِيقِهِ.

٤٤- يغير الله أحوال الليل والنهار بالطول والقصر، والبرودة والحرارة، والزيادة والنقص، إن في هذا التغير والتصرف لدلالة واضحة على وجود الخالق، وكمال قدرته، وإحاطة علمه، لأصحاب البصيرة والعقل الذي يفكر.

٤٥- والله خلق كل ما دب على الأرض من إنسان وحيوان، من ماء مخصوص هو النطفة، فمنهم من يمشي (يزحف) على بطنه وهي الحيات والدود والحوت ونحو ذلك. أشار إليهم بـ «هم» و «من» اللذين للعقلاء للتشريف، وسمي الزحف مشياً بطريق الاستعارة. ومنهم من يمشي على رجلين وهو الإنسان والطيور، ومنهم من يمشي على أربع وهو سائر الحيوانات، يخلق الله ما يريد مما ذكر هنا وما لم يذكر مما يمشي على أكثر من أربع كالسرطان والعنكب، إن الله قادر على كل شيء، لا يعجزه شيء.

٤٦- لقد أنزلنا عليك أيها النبي في هذا القرآن آيات موضحات للحلال والحرام والشرائع والأحكام، والله يوفق من يشاء للنظر الصحيح والتأمل السديد إلى طريق قويم لا عوج فيه، مؤد إلى الجنة وهو دين الإسلام.

٤٧- ويقول المنافقون: صدقنا بالله وبالرسول

بَعَثَ اللَّهُ الْآلِ وَالنَّبَا وَإِن فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كُنْ لَكُمْ آخِذًا بِأَوْلَادِهِمْ مَدْعِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ أُنذِرُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ الَّذِي يَتَّقُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْوَجْهَ الْكَارِهُنَّ ﴿٥٢﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن أُمرْتَهُمْ لَيُخْرِجَنَّ قُلُوبَهُمْ طَاعَةَ مَعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ سَبْعُ مِائَةٍ مَعْمُولُونَ ﴿٥٣﴾

محمد، ثم يعرض فريق منهم ويمتنع عن قبول حكم الرسول، من بعد إظهار الإيمان، وليس أولئك المعرضون بالمؤمنين، لإعراضهم عن حكم الرسول.

٤٨- وإذا دُعي المنافقون إلى حكم الله ورسوله ليحكم النبي بينهم إذا تدل على حصول ما بعدها فجأة- فريق منهم معرضون عن المحاكمة إلى الرسول إذا كان الحق عليهم، فإن كان الحق لهم سارعوا إلى التحاكم إلى الرسول. نزلت هذه الآية والآيتان بعدها في شأن منافق تخاصم مع يهودي، فحاول المنافق الاحتكام إلى كعب بن الأشرف، وطلب اليهودي التحاكم إلى الرسول، لعلمه بأن الرسول لا يحكم إلا بالحق.

٤٩- وإن يكن للمنافقين الحق، يأتوا إلى الرسول طائعين خاضعين، لعلمهم بأنه يحكم لهم.

٥٠- أفي قلوبهم كفر ونفاق- والاستفهام هنا إنكاري- أم شكوا في نبوتك وقدرتك على الصواب، أم يخافون أن يجور الله ورسوله في الحكم عليهم ويظلمهم؟ لا، بل أولئك المنافقون هم الظالمون لأنفسهم. و «بل» حرف لإبطال ما قبله وإثبات ما بعده.

٥١- إنما كان قول: سمعنا حكمه، وأطعنا أمره، ورضينا بحكمه هو قول المؤمنين إذا دُعي إلى حكم الله ورسوله ليحكم بينهم، وأولئك المعلنون للطاعة هم الفائزون بخير الدنيا والآخرة.

٥٢- ومن يطع الله ورسوله فيما أمر وحكم، ويخف الله، ويتق عذابه، فأولئك هم الفائزون بنعيم الجنة.

٥٣- وأقسم المنافقون بالله أمام الرسول باذلين أقصى جهدهم في تأكيد أيمانهم: لئن أمرتهم بالجهاد ليخرجن معك، ولكن كانت أيمانهم كاذبة، فرد الله عليهم: قل أيها النبي، لا تحلفوا كذبا، طاعتكم طاعة معروفة بأنها بمجرد اللسان، لا بالفعل، أو المطلوب منكم طاعة معروفة أولى من الأيمان، إن الله خبير بعملكم، فلا يخفي عليه سرائركم.

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ
 وَعَلَيْنَا مَا حُمِّلْنَا وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ
 إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ
 مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ
 وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي
 شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾
 وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ
 تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ
 وَمَا لَهُمُ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ تَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا
 لَيَسْتَغْفِرَنَّ لَكُمْ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَٰكِن مَّا يَلْعَبُوا خَلَعَهُ
 مِنكُمْ فَلْيَسِّرْ لَكُمْ أَسْلَابَ الْغَنَاءِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ
 عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدُ مِنْ ظُلُوفِنَّكُمْ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى
 بَعْضٍ كَذَلِكَ سَيَّرَ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

٥٤. قل أيها النبي لهؤلاء المنافقين وغيرهم: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول في كل أمر ونهي، طاعة صادقة، في الظاهر والباطن، فإن تولى المأمورون، فما على النبي إلا ما كلف به من تبليغ الرسالة، وعليكم ما أمرتم به من الطاعة والتكاليف، وإن تطيعوا الرسول في حكمه وأمره ونهيه، تهتدوا إلى الحق والخير والرشد، وتفوزوا بالرضوان الإلهي، وليس على الرسول إلا التبليغ الواضح لرسالة ربه، المتضمنة ما كلفتم به.

٥٥. وعد الله الذين آمنوا بالله ورسوله منكم وعداً جازماً ليجعلنهم خلفاء متصرفين في الأرض تصرف الملوك في ممالكهم، كما استخلف الذين من قبلهم من بني إسرائيل مثلاً بدلاً عن فرعون وقومه، ويثب لهم قواعد دينهم بنحو مستقر، الدين الذي ارتضاه لهم وهو الإسلام، ويبدلهم أمناً واطمئناناً من بعد خوفهم من الأعداء، يعبدونني وحدي لا يشركون بي أحداً من المخلوقات، ومن كفر بعد ذلك بهذه النعم، فأولئك الكافرون هم المتصفون بالفسق: وهو الخروج عن الطاعة. نزلت في حق المؤمنين المهاجرين من مكة إلى المدينة، حينما تألبت عليهم العرب قاطبة، وعاشوا قلقين لا يبيتون

إلا بالسلاح، فقالوا: ترون أننا نعيش حتى نبيت مطمئنين، لا نخاف إلا الله؟ فنزلت هذه الآية.

٥٦. أطيعوا الله ورسوله، وأقيموا الصلاة في أوقاتها، وأدوا الزكاة للمستحقين، وأطيعوا الرسول فيما أمر به ونهى عنه، لكي تُرحموا وتفوزوا بالجنة والرضوان.

٥٧. لا تظنن أيها الرسول أن الكفار يعجزون الله تعالى، فلا يقدر على عقابهم، بأن يفلتوا في الأرض إذا أراد تعذيبهم، ومرجعهم أو مكان إيوائهم النار في الآخرة، وقُبِح هذا المرجع الذي هو النار.

٥٨. يا أيها المؤمنون ليستأذنكم في الدخول الأرقاء والخدم، والأطفال غير البالغين سن الرشد من أتباعكم وأقاربكم، ثلاث مرات في اليوم والليله بسبب احتمال ظهور العورات والتجرد من الثياب: من قبل صلاة الفجر وقت الاستيقاظ، وفي الظهيرة وقت القيلولة، وبعد صلاة العشاء، ثلاثة أوقات يحتمل فيها ظهور العورات، وسميت هذه الساعات عورات؛ لأن الإنسان يتجرد فيها من الثياب، فتظهر عورته، ليس عليكم ولا عليهم إثم في الدخول بغير استئذان بعد هذه الأوقات أو العورات الثلاث، هم كثير و التطواف أو التردد عليكم للخدمة، بعضكم يطوف على بعض، ولا يستغني عن المخالطة له، مثل ذلك التبين لما ذكر، بين الله (بوضوح) لكم الآيات التشريعية، والله واسع العلم، بالغ الحكمة. نزلت في شأن عمر رضي الله عنه الذي دخل عليه غلام أنصاري، فرأى عمر بحالة كره رؤيته ذلك، فودَّ عمر لو أن الله تعالى أمر ونهى في حال الاستئذان. أو أنها نزلت في شأن أسماء بنت أبي مرثد التي دخل عليها غلام كبير في وقت كرهته، فشكت الأمر لرسول الله ﷺ، فأنزل الله هذه الآية.

٥٩- وإذا بلغ الأطفال الأحرار الحلم بالاحتلام أو سن البلوغ وهي الخامسة عشرة، فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم وهم الذين بلغوا الحلم قبلهم وصاروا كباراً، وأمروا بالاستئذان في أوقات العورات الثلاث وغيرها، أي على كل حال، مثل ذلك التبيان لما ذكر، بين الله لكم الآيات التشريعية، والله عليم بأمور خلقه وأحوالهم، حكيم بما دبره لهم وشرع. وكرر ذلك للتأكيد.

٦٠- والعجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل والولد لكبرهن، اللاتي لا يطمعن في الزواج لكبرهن، فليس عليهن إثم أن يتخفن بالقاء الثياب الظاهرة كالجلابيب والرداء والقناع فوق الخمار، لاثياب العورة، غير مظهرات زينة خفية كسوار وقلادة وخلخال، وأن يطلبن العفة ويرتدين أكمل الثياب خبير لهن من تركها، والله واسع السمع لأقوالكم، والعلم بمقاصدكم. والتبرج: تكلف إظهار ما يجب إخفاؤه.

٦١- لا إثم ولا معصية على أصحاب الأعدار: الأعمى والأعرج والمريض، ولا على الأنفس الشخصية أن تأكلوا من بيوتكم التي فيها متاعكم وأهلكم، أو بيوت أولادكم لأن كسب الولد من كسب أبيه، أو بيوت آباءكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت الأعمام والعمات والأخوال والخالات، أو البيوت التي تتصرفون فيها بإذن أربابها، كالوكلاء والخدم والحراس والخزآن، أو بيوت الأصدقاء الذين علمتم رضاهم، والصديق يطلق على الواحد والأكثر كالعدو والطفل، وهو يطلق على من يصدق في مودته، لا إثم ولا معصية عليكم أن تأكلوا مجتمعين أو متفرقين. فإذا دخلتم أحد هذه البيوت المذكورة، فسلموا على أهلها، بأن تسلموا على أهل الدار المسكونة، وكذا غير المسكونة بالتسليم على النفس بأن تقولوا: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» فترد الملائكة عليكم، وسلموا سلاماً هو تحية من عند الله، كثيرة الخير، تطيب بها نفس المستمع لها، مثل ذلك البيان بين الله لكم آيات التشريع، لتتعقلوا آيات الله وتفهموا معانيها وتعملوا بما فيها. قال سعيد بن المسيب: أنزلت هذه الآية في أناس كانوا إذا خرجوا مع النبي ﷺ وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الأعمى والأعرج والمريض، وعند أقاربهم، وكانوا يأمرهم أن يأكلوا مما في بيوتهم إذا احتاجوا إلى ذلك، وكانوا يتقون أن يأكلوا منها، ويقولون: نخشى ألا تكون أنفسهم بذلك طيبة، فأنزل الله تعالى هذه الآية، ورجع ذلك الطبري. وقيل: لا حرج على هؤلاء في التخلف عن الجهاد، وهو قول الحسن البصري.

وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ كِتَافًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ نِسَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَّبِعَاتٍ بِرِيبَةٍ وَإِنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لهنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَئِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ هَذَا سَبِيحٌ فَذُكِّرُوا لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ عَامٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوا ۚ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُ تِلْكَ أَوْلِيَاكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ فَإِذَا اسْتَأْذِنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَنْزَلْنَا لِنَ شَيْءٍ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧﴾
 لَتَجْعَلُوهُنَّ أَسْوَءَ الْمَسَاجِدِ لِبُغْيِكُمْ ۖ وَاللَّهِ يَسْمَعُ الْكَيْدَ مِنَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾
 قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونَ مِنْكُمْ لَوْ آذَىٰ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ۚ إِنَّهُ يُصِيبُهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٩﴾
 اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يَرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنْشِرُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٠﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾
 الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ يُعْجِبُ لَمَّا وُلِدَ لَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدْ رُءُوهُ وَقَدِيرًا ﴿٢﴾

٦٢ - إنما المؤمنون حقاً الذين آمنوا بالله ورسوله محمد ﷺ، وإذا كانوا معه في أمر عام مهم يحتاج إلى الاجتماع والتشاور، لم يخرجوا من مجلسه لعذر، حتى يستأذنه، فيأذن لهم أو لا يأذن، على ما يرى، إن الذين يستأذنونك هم المصدقون بالله ورسوله حقاً، فإذا استأذنتك لبعض أمورهم المهمة، فأذن لمن شئت منهم بالانصراف، ولك ألا تأذن، حسبما ترى من المصلحة، واطلب لهم المغفرة من الله على انصرافهم؛ لأنه لا يخلو الاستئذان من إظهار المصلحة الذاتية على المصلحة العامة، إن الله كثير المغفرة لمن استغفرت له، واسع الرحمة لمن استرحمت. نزلت في أثناء حفر الخندق عام الأحزاب، فكان المنافقون يتسللون إلى أهليهم بغير إذن من الرسول ﷺ، وكان المسلم يستأذن النبي إذا طرأت له حاجة، فإذا قضى حاجته رجع، فنزلت الآية.

٦٣ - لا تجعلوا أيها المسلمون نداء الرسول لكم كنداء بعضكم لبعض في جواز الإعراض، والمساهلة في الجواب، ورفع الصوت، ولا تقولوا: يا محمد، بل قولوا: يا نبي الله، يا رسول الله، في لين وتواضع، فإن المبادرة إلى إجابته واجبة، والخروج بغير إذنه حرام،

ويعلم الله الذي ينسلون أو ينصرفون تدريجياً وخفية من مجلس الرسول ﷺ أثناء تشاغله عنهم، واللواذ: تستر بعضهم ببعض، وقد للتحقيق، فليحذر الذين يخالفون أمر الرسول ويعرضون عن أمره وينصرفون عنه بغير إذنه أن يتعرضوا لبلاء ومحنة في الدنيا، كالقتل والزلازل، أو يتعرضوا للعذاب مؤلم في الآخرة. قال ابن عباس: كانوا يقولون: يا محمد، يا أبا القاسم، فأنزل الله: ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول .. ﴾ فقالوا: يا نبي الله، يا رسول الله.

٦٤ - ألا إن الله جميع ما في السموات والأرض ملكاً وخلقاً، قد يعلم ما أنتم عليه معشر الناس من الأحوال بالإيمان أو العصيان، ويجازيكم عليه، ويعلم يوم يرجعون إليه، فيجازيهم فيه، والله محيط علمه بكل شيء، وسيكون الجزاء على وفق العمل. وكلمة: ألا لتنبية المخاطب لما يذكر.

سورة الفرقان

١ - تعظم قدر الله أو قدس، وتكاثر خيره، وتزايد تنزيهه عن كل نقص، الذي نزل القرآن تدريجياً فارقاً بين الحق والباطل، على عبده محمد ﷺ ليكون منذراً مخوفاً للإنس والجن من عذاب الله إن لم يؤمنوا بوحداية الله تعالى. وتبارك وقدس بمعنى واحد، ووصف النبي بالعبودية لله تكريم له وتشريف بكونه في أعلى مراتب العبودية.

٢ - الله الذي له ملك السموات والأرض، له السلطان الكامل والقدرة التامة على التصرف فيهما، ولم يتخذ ولداً لعدم الحاجة إليه، ولا شريكاً له في الملك لاستغناؤه، وخلق كل شيء من موجودات الكون، فقدّرته تقديراً بدقة وحكمة.

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَّا يُخَلِّقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخَلَّقُونَ
وَلَا يُغْنِيهِمْ كُفْرُهُمْ وَلَا يُمْسِكُهُمْ
مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ
هَذَا إِلَّا إِفَّاكَ أَتْرُفَةٌ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ
جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٧﴾ وَقَالُوا أَطُيَّرُوا بِالْأُولِيِّينَ
أَكْتَنِبْنَا فِيهِمْ نَمْلٌ عَلَيْهِ بَكْرَةٌ وَأَصِيلًا ﴿٨﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي
يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا
﴿٩﴾ وَقَالُوا مَا لَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَتَشَبَّهُ فِي
الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَالٌ فَيَكُونُ مَعَهُ ذَبِيرًا ﴿١٠﴾
أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ كُنُوزٌ لَّهُ جَنَّاتُ بَاكُلٍ مِنْهَا
وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مُتَّبَعًا أَظُنُّ
كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا
﴿١١﴾ بَارَكَ الَّذِي أَنْشَأَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَبَّتْ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴿١٢﴾ بَأْسَ كَذِبُوا
بِالسَّاعَةِ وَاعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١٣﴾

٣- واتخذ المشركون من غير الله آلهة: أصناماً
يعبدونها، لا يقدرون على خلق شيء، ويخلقهم
الله، ولا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم ضراً ولا
نفعاً، ولا قدرة لهم على إمامة أحد ولا إحيائه ولا
بعثه من قبره في عالم الآخرة. والنشور: الإحياء
بعد الموت للحساب.

٤- وقال الكافرون: ما هذا القرآن إلا كذب
واختلاق، اختلقه محمد بنفسه، وأعانه على
جمعه قوم آخرون ممن أسلم من اليهود والنصارى،
فقد قالوا ظلماً عظيماً، والظلم: وضع الشيء في
غير موضعه، وقالوا كذباً محضاً بعيداً عن الحق.
نزلت في النضر بن الحارث الذي قال هذا
القول بعد أن أسلم ثلاثة غلمان من أهل
الكتاب.

٥- وقالوا: هذا القرآن أكاذيب المتقدمين التي
سطروها، طلب أن تكتب له، فهي تقرأ عليه
ليحفظها؛ لأنه أمة لا يتمكن من قراءتها، تقرأ
عليه صباحاً ومساءً، أي دائماً.

٦- قل أيها النبي: ليس هذا القرآن مما يفترى،
 وإنما أنزله عالم الأسرار والخفايا في السموات
والأرض، فهو أمر سماوي؛ إنه كثير المغفرة

والرحمة، لا يعاجلكم بالعقوبة.

٧- وقال المشركون استهانة وتهكماً: ما لهذا الرسول؟ يأكل الطعام كما نأكل، ويتردد على الأسواق لطلب
معيشته كما نتردد، فهلاً كان ملكاً، وهلاً صاحبه ملك، فيكون معه مخوفاً من عذاب الله ويصدقه؟ فنعلم
صدقه.

٨- أو يلقى عليه كثر من السماء، فيستغني به عن طلب الرزق، أو يكون له بستان يأكل من ثماره، وقال
الكافرون: ما تتبعون إلا رجلاً مغلوباً على عقله بالسحر، أي مجنوناً.

٩- انظر أيها النبي لهؤلاء المشركين: كيف افتروا عليك الأكاذيب ليكذبوك، فوصفوك بأنك ساحر أو
شاعر أو مجنون. والأمثال: الأحوال النادرة والأقوال المستغربة. فضلوا بذلك عن الهدى والصواب،
وتحيروا في ضلالهم، فلا يجدون طريقاً معقولاً للطعن في نبوتك.

١٠- تعاطم وتقديس الله عن كل شيء، الذي لو شاء جعل خيراً لك مما اقترحوه: وهو بساتين تجري من
تحت غرفها الأنهار، ويجعل لك قصوراً مشيدة بالحجارة أو الطين. نزلت حينما عرض زعماء قريش
كأبي سفيان والنضر بن الحارث على النبي ﷺ المال والملك والجاه والشرف، ليكف عن دعوته،
فأبى ذلك، وقال: ما بعثت إليكم بهذا، ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً، فأنزل الله هذه الآية.

١١- لم يكذبك المشركون؛ لأنك بشر، بل لأنكارهم القيامة والبعث والحساب، وأعدنا لمن أنكر البعث
ناراً شديدة الاشتعال، يعذب بها.

إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَهَيُّبًا وَزَفِيرًا ۗ وَإِذَا
 أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا صَافِيًا تَمَّتَّ رَبِّينَ دَعْوَاهُنَّ أَلَّا يَكُونَ لَهَا
 لَآتٍ دَعْوَاهُنَّ الْيَوْمَ ۗ سُورَةٌ وَاحِدَةٌ وَدَعْوَاهُنَّ أَكْثَرًا
 ۗ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ
 ۗ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَاصِرًا ۗ لَمْ يَكُنْ فِيهَا مَائِدَةٌ وَنَ
 خَالِدِينَ ۗ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ۗ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ
 وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ يَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضَلُّمٌ عِبَادِي
 هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ۗ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ
 يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ
 سَتَعْمَهُوا ءَأَاءَ هُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا
 ۗ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا
 وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمُ مِنْكُمْ زِدْقُهُ عَذَابًا كَبِيرًا ۗ
 وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الرُّسُلِينَ إِلَّا أَنْتُمْ لِيَأْكُلُوا مِنَ الطَّعَامِ
 وَيَشْرَبُوا فِي الْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ
 فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ۗ

١٢- إذا كانت النار مجرداً من مكنهم، من مكن بعيد، سمعوا لها صوتاً يدل على شدة التغيط: وهو شدة الغضب، وزفيراً يسمع من الجوف عند شدة الانفعال. والمراد: سمعوا لها صوت غليان وفوران، وكالزفير من شدة الاشتعال. والزفير: النفس الخارج بشدة.

١٣- وإذا ألقوا من النار في مكان ضيق، ووصف بذلك لزيادة العذاب، مقيداً بالأغلال، نادوا في ذلك المكان الضيق: هلاكاً هلاكاً، أي يتمنون الهلاك لأنفسهم، للتخلص من شدة العذاب.

١٤- لا تطلبوا بدعائكم هلاكاً واحداً، واطلبوا أنواعاً من الهلاك، وادعوا على أنفسكم بالعديد من الويلات؛ لأن عذابكم أنواع كثيرة، كل نوع منها ثبور، لشدة، وتجدده. والمراد: التبييس من تحقيق ما يتمنون من الهلاك.

١٥- قل أيها النبي للمشركين للتأمل والمقارنة: أذلك المذكور من أنواع العذاب وأوصاف النار الدائمة الاستمرار خير، أم جنة الخلد الدائمة النعيم، التي وعدها الله المتقين، كانت لهم في حكم الله جزءاً، ومرجعاً طيباً.

١٦- لهم في الجنة ما يشاؤون من النعيم المقيم وأنواع اللذات، كان ذلك موعوداً به، جديراً بالسؤال وطلب الوفاء به. وهذا دليل على أن تحقيق جميع المشتبهات في الجنة، وأن الوعد بها منجز.

١٧- واذكر يوم يجمع الله المشركين يوم القيامة وأهلهم المعبودة من غير الله من الأصنام والملائكة والجن والمسيح وعزير، فيقول الله للمعبودين: أنتم أضللتهم عبادي هؤلاء بدعوتهم إلى عبادتكم، أم هم ضلوا أو انحرفوا عن طريق الحق بأنفسهم؟! وهو استفهام تقييد وتبكيك للعابدين.

١٨- قال المعبودون تعجباً من السؤال: تنزهت عما لا يليق بك من اتخاذ الولد أو الشريك، ما كان يحق ولا يصح لنا أن نتخذ من غيرك نصراء، والمراد: لا يتصور منا دعوة أحد إلى عبادتنا للعصمة عن ذلك والعجز عن هذا المقام، ولكن يارب، متمتهم مع آباؤهم بأنواع النعم، ووسعت لهم الرزق، وأطلت لهم العمر، حتى غفلوا عن ذكرك وتذكر نعمك، وصاروا قوماً بنسبائهم لذكرك هالكين. والذكر هنا: القرآن والشرائع.

١٩- فقال الله للمشركين بعد تبري المعبودين: لقد كذبكم هؤلاء المعبودون في زعمكم أنهم آلهة، فما تستطيعون اليوم صرفاً ودفعاً للعذاب عنكم، ولا تتجدون أحداً ينصركم ويمنعكم من عذاب الله، ومن يظلم منكم نفسه بالإصرار على الشرك دون توبة، نذقه في الآخرة عذاباً شديداً هائلاً، وهو النار.

٢٠- ثم رد الله على شبهة البشرية، فقال: وما أرسلنا قبلك أيها الرسول أحداً من المرسلين إلا إنهم بشر، يأكلون الطعام كما تأكل، ويترددون في الأسواق لكسب المعيشة كما تفعل، وجعلنا بعضهم لبعض اختباراً وابتلاء، فامتحننا الغني بالفقير، والصحيح بالمرضى، والشريف بالوضيع، لمعرفة مدى ثباته على الإيمان، أتصبرون على الحق والابتلاء؟ وكان ربك مطلعاً على الصابر وغير الصابر.



٢١- وقال منكرو البعث الذين لا يتظنون لقاء الله في الآخرة: هلا أنزل الله علينا ملائكة لإخبارنا بصدق محمد، أو نرى ربنا عياناً، فيخبرنا بأن محمداً رسول أرسله هو، لقد تكبروا تكبراً في شأن أنفسهم، فأرادوا الخضوع لعظيم، وتجاوزوا الحد في الظلم والظغيان بطلب إرسال الملائكة أو رؤية الله في الدنيا.

٢٢- يوم يرون الملائكة عند الموت أو يوم القيامة، قد منعوا من البشري فيه، ويقولون لهم: منعاً ممنوعاً أو حراماً محرماً عليكم البشري بالمغفرة أو الجنة كما يشربه المتقون. وكان العرب يقولون هاتين الكلمتين إذا رأوا ما يخيفهم كلقاء عدو، أو طروء نازلة، طالبين منع الشر عنهم. والكلمة الثانية للتأكيد.

٢٣- وتوجهت إرادتنا أو عمدنا إلى ما عملوا في الدنيا من عمل صالح كصلة الرحم، فجعلناه باطلاً مبدداً لا نفع فيه؛ لأنه كان في حال الكفر، ويراد به غير وجه الله تعالى.

٢٤- أهل الجنة يوم القيامة أفضل منزلاً مستقراً فيها، وأحسن ماوى للراحة والقبول.

٢٥- ويوم تفتح السماء بغمام يخرج منها، وتنزل الملائكة جماعة بعد جماعة من كل سماء، استعداداً لتنفيذ أوامر الله في يوم الفصل، ومعهم صحائف

﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْجَحْرِمِ مِنْهُ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَجْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ نَسْفُقُ السَّمَاءَ بِأَنعْمٍ وَنَزَّلْنَا الْمَلَائِكَةَ تَتَرِيلًا ﴿٢٥﴾ أَلَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ لِرَحْمَنِ كَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ نَعُضُّ الظُّلُمَ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ بَلِّغْ لِي آيَاتِي مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ بَلِّغْ لِي آيَاتِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا حَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَصْلَحْتِي مِنَ الْإِسْكِ بَعْدَ إِذْ جَاءْتِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَذَرُكُمْ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَجِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْجَحْرِ مِنْ كُنْهِ بَرِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ مِنْ جَمَلَةٍ وَاحِدَةٍ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾

أعمال العباد، وذلك يوم القيامة.

٢٦- الملك الشاهد يوم القيامة الله تعالى وحده، وكان ذلك اليوم يوماً صعباً شاقاً على الكافرين، بخلاف المؤمنين.

٢٧- ويوم بعض كل ظالم على يديه ندماً وتحسراً يوم القيامة، ويشمل ذلك عقبة بن أبي معيط الذي أسلم ثم ارتد إرضاء لأبي بن خلف، يقول: يا ليتني اتخذت مع الرسول محمد طريقاً إلى الهدى والنجاة. نزلت حينما نطق عقبة بن أبي معيط بالشهادتين، فعاتبه أبي بن خلف صديقه، وقال: صبات؟ فقال: لا.

٢٨- يا ويلتا، أي يا هلكتي. ويراد به التحسر على مصاحبة الأشرار. ليتني لم أتخذ فلاناً صاحباً وصديقاً.

٢٩- لقد أبعدني هذا الصاحب عن الإيمان بالله وذكره والقرآن، بعد مجيء من هداني إليه وكان الشيطان (المفسد من الإنس والجن) كثير الخذلان لمن يطيعه، خاذلاً كل من يواليه، حتى يؤديه إلى الهلاك.

٣٠- وقال الرسول محمد ﷺ مشتكياً إلى ربه في الدنيا: يا ربي إن قومي جعلوا القرآن مهملًا متروكاً.

٣١- وكما جعلنا لك أيها النبي عدواً من مشركي قومك، جعلنا لكل نبي قبلك عدواً من الكافرين من قومه، وكفى بربك هادياً لك إلى الحق والمصلحة، وناصراً لك على أعدائك. والمجرمون: هم الذين اشتد إفسادهم.

٣٢- وقال الكفار: هلا أنزل القرآن على محمد دفعة واحدة، كما أنزل التوراة على موسى؟! فرد الله عليهم: أنزلناه عليك مفرقاً، على هذا الوجه، لنقوي به قلبك، ونيسر لك حفظه وفهمه، ورتلناه عليك بلسان جبريل ترتيلاً بديعاً، يتمهل وتؤدة. عن ابن عباس: قال المشركون: إن كان محمد كما يزعم نبياً، فلم يعذبه ربه، ألا ينزل عليه القرآن جملة واحدة، فينزل عليه الآية والآيتين، فأنزل الله هذه الآية.

وَلَا يَأْتِيكَ بِمِثْلِ الْإِخْتِكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ نَفْسِيًّا ٣٣
 الَّذِينَ يُحْسِرُونَ عَلَىٰ رُجُومِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سَرُّ
 شَكَانَا وَأَصْلُ سَيْبِلَا ٣٤. وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ
 وَجَعَلْنَا مَعَهُ دَاخَاهُ هُرُونَ وَزَيْرًا ٣٥. فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى
 الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَذَمَّرْنَاهُمْ تَذْمِيرًا ٣٦
 وَقَوْمُ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ
 آيَةً وَأَعَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ٣٧. وَعَادًا وَثَمُودًا
 وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كِبِيرًا ٣٨. وَكُلًّا ضَرَبْنَا
 لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُنَّا بِرَأْيِنَا نَبِيرًا ٣٩. وَلَقَدْ آتَيْنَا عَلَى
 الْقَسْرِ آيَةً أَنْ مَطَرُ السَّمَاءِ أَفْئِدَةٌ يَكُونُ نُورًا بِرُؤْسِهَا
 بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ٤٠. وَإِذَا رَأَوْكَ إِسْتَعْجَدُوا
 بِحَيْدُوكِ الْأَهْرُورِ أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رُسُلًا ٤١. إِنْ كَادَ
 لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَاتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ
 حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا ٤٢. أَرَأَيْتَ مَنْ
 اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وِكِيلًا ٤٣

٣٣- ولا يأتيك المشركون يا محمد بمثل ما أتيتك بالجوهر الثابت الذي يبطل ما أتوا به من المثل، وأحسن بياناً وإيضاحاً لهم. والمثل: هو الكلام الخارج عن المعقول الذي يجري مجرى الأمثال في غرابته، والمراد به: الاقتراح الباطل.

٣٤- الذين يجمعون ويساقون على وجوههم إلى جهنم، أي مقلوبين، أولئك شرٌ منزلاً وهو جهنم، وأبعد طريقاً من غيرهم، وهو كفرهم.

٣٥- ولقد آتينا موسى التوراة، وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً معيناً ونبيّاً، لمؤازرته في تبليغ الرسالة.

٣٦- فقلنا لهما: اذهبا إلى فرعون وقومه الذين كذبوا بآياتنا (المعجزات) التسع، المتقدم ذكرها في الأعراف وغيرها، والمراد: آل حالهم إلى التكذيب، فأهلكناهم إهلاكاً عظيماً.

٣٧- وقوم نوح لما كذبوا نوحاً رسولهم أغرقناهم بالطوفان، وعبر عن الرسول الواحد بالرسول؛ لأن من كذب رسولاً فقد كذب جميع الرسل، وجعلنا إغراقهم عبرة وعظة لكل الناس، وأعدنا في الآخرة للكافرين عذاباً مؤلماً.

٣٨- وأهلكنا أيضاً قوم عاد الذين كذبوا رسولهم هوداً، يريح صرصر عاتية، وقوم ثمود الذين كذبوا رسولهم صالحاً، بالصيحة، وأهلكنا أصحاب الرس: وهي البشر غير المطوية قعداً، وهم في رأي بعضهم: أصحاب الأخدود: كانوا وثنيين يعبدون الأصنام، أهلكناهم بالخسف، أي انهارت بهم منازلهم، وأهلكنا أقواماً كثيرين، بين عاد وأصحاب الرس، بسبب كفرهم وتكذيبهم رسلهم.

٣٩- وكل قوم من هؤلاء الأقوام المهلكين خوفناهم وأندرتناهم بأخبار المكذبين، وكل قوم منهم أهلكناهم إهلاكاً شديداً.

٤٠- ولقد مرّ كفار مكة أثناء تجارتهم إلى الشام على قرى قوم لوط وهي سدوم وتوابعها التي أهلكت بالحجارة التي أمطروا بها، أفلم يكونوا يرونها عند سفرهم إلى الشام للتجارة، فيعتبروا بآثار العذاب الإلهي؟! بل كانوا كفره لا يتوقعون بعثاً من القبور.

٤١- وإذا رآك المشركون أيها النبي ما يتخذونك إلا موضع هزء وسخرية، أي لا ينظرون إليك إلا هكذا، قائلين: أهذا الذي بعث الله رسولاً في دعواه؟! نزلت في أبي جهل، فإنه إذا مرّ رسول الله ﷺ مع صحبه قال مستهزئاً: ﴿أهَذَا الَّذِي...﴾.

٤٢- إنه قد قارب أن يصرفنا عن عبادة آلهتنا، بمهارته في إثبات التوحيد، لولا ثباتنا وصدورنا على تلك العبادة، وسوف يعلمون علم اليقين حين يشاهدون العذاب الواقع بهم من هو أبعد طريقاً عن الحق، هم أم المؤمنون؟!.

٤٣- أخبرني عن جعل إلهه هواه، بأن أطاع هواه كطاعة الإله، أفانت تكون موكباً به تمنعه من اتباع هواه؟! وهذا استفهام إنكاري، والاستفهام الأول للتقرير والتعجب.

٤٤- بل أنظن أيها النبي أن أكثرهم يسمعون سماع تفهم أو يعقلون ما تقول لهم، فتجديهم الآيات والبراهين؟ ما هم إلا كالبهائم المعدومة الفهم والوعي، بل هم أضل من الأنعام طريقاً.

٤٥- ألم تنظر إلى صنع ربك وفعله كيف بسط الظل من وقت طلوع الفجر إلى شروق الشمس، وهو ظل لا شمس فيه، وبعد الشروق يمتد الظل إلى جهة الغرب، ولو شاء الله لجعل الظل على حال واحدة يسكون الشمس، ثم جعلنا الشمس علامة تدل على أحوال الظل طولاً وقصراً.

٤٦- ثم قلصنا الظل الممدود إلى النحو الذي نريد، تدريجياً، بقدر ارتفاع الشمس، أي محوناه على مهل قليلاً قليلاً بحسب دوران الأرض حول نفسها مقابل الشمس. وكلمة ﴿إِلَيْنَا﴾ تعلق لمحو الظل بإرادة الله، لا سلطان لأحد فيه سواه؛ لأنه تابع لحركة الأرض.

٤٧- والله الذي جعل لكم الليل ساتراً للأشياء بظلامه، وجعل النوم قطعاً لأعمالكم وراحة لأبدانكم، وجعل النهار وقت نشور، لبيتشر الناس فيه للعمل وابتغاء الرزق. والتعبير بالسبات لتشبيه النوم بالممات، والتعبير بالنشور لتشبيه اليقظة بالحياة.

٤٨- والله الذي أرسل لكم الرياح مبشّرات بنزول

المطر الذي هو رحمة بالعباد، وأنزل من السحاب جهة السماء ماءً طاهراً مطهراً، يطهر كل شيء ينزل عليه.

٤٩- لنحيي بالمطر بلدة لا نبات فيها- والإحياء: الإنبات، والميت يستوي فيه المذكر والمؤنث. ونسقي الماء بعض ما خلقنا من الأنعام (الإبل والبقر والغنم) وأناس أو بشر كثيرين، والأناسي جمع أنسي مثل كرسي وكراسي.

٥٠- ولقد وزعنا المطر في أماكن وأزمان ومقادير مختلفة بين المخلوقات الأرضية ليتذكروا نعمة الله به، فيشكروا ويعتبروا، فأبى أكثر الناس إلا جحود النعم وقلة الاكتراث بها، وكان العرب يضيفون نزول الأمطار إلى سقوط نجم في الغرب مع الفجر وطلوع رقيه في الشرق كل ١٣ يوماً.

٥١- ولو شاء الله لبعث في كل بلدة رسولاً ينذرهم، كقسمة المطر بينهم، ولكن بعثناك أيها النبي نذيراً عاماً.

٥٢- واجتهد في دعوتك ولا تطع الكافرين في أهوائهم وأباطيلهم، وجاهدهم بالقرآن جهاداً كبيراً؛ لأن الجهاد بالحجة والبرهان أكبر من المجاهدة بالسيف.

٥٣- والله الذي أجرى البحرين وجعلهما متجاورين بحيث لا يتمازجان، هذا عذب (غير مالح) شديد العذوبة، وهذا شديد الملوحة، وجعل بينهما حاجزاً حائلاً، ومانعاً ممنوعاً يمنع اختلاط أحدهما بالآخر، ويظل كل منهما متميزاً عن الآخر في تيار خاص بتقدير الله.

٥٤- والله الذي أوجد من ماء التطفة إنساناً، فجعله ذانسب ومصاهرة، والنسب: الولادة وما نشأ عنها من علاقة البنوة والأبوة والأخوة والعمومة. والمصاهرة: العلاقة الناشئة بين الزوج وأهل زوجته، وبين المرأة وأهل زوجها، وكان ربك تام القدرة على كل شيء.

أَفَتَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا
كَلَّا نُنْعِمُ بِلَهُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ
كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ
جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ فَوَقَّضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا
يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ
سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ رَشْوًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ
بُشْرًا بِيَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾
لَنَحْيِيَّ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسِفِيهَ بِمَا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ
كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى
أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا الْكَفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شَاءْنَا لَجَعَلْنَا
فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تَطِعِ أَلْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ
بِيُجَاهِدًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ
هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا
بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ
بَشَرًا جَعَلَهُمْ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾



٥٥- ويعبد الكفار من غير الله كالأصنام والأوثان ما لا يفهم إن عبده، ولا يضرهم إن تركوه، وكان الكافر معيناً للشيطان على معصية الله تعالى بالشرك والعداوة.

٥٦- وما أرسلناك أيها النبي إلا مبشراً من أطاعك بالجنة، ومخوفاً من عصاك بالنار.

٥٧- قل لهم أيها النبي: ما أطلب منكم على تبليغ القرآن ورسالة الله أجراً، لكن من شاء أن يتخذ إلى ربه طريقاً ابتغاء مرضاته تعالى، فليفعل.

٥٨- وتوكل أيها النبي واعتمد على ربك الدائم الحياة الذي لا يموت، والذي يوثق به في تحقيق المطالب والمصالح، ونزته عن كل صفات النقصان، مع شكره على ما أنعم، وكفى بالله تعالى مطلعاً على ذنوب عباده، لا يخفى عليه شيء منها.

٥٩- وهو خالق السموات والأرض وما بينهما من المخلوقات، بقدر ستة أيام من أيام الدنيا، ولو شاء لخلقهن دفعة واحدة، ثم اعتلى على العرش اعتلاء يليق بعظمته وجلاله، وهو الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء، فاسأل عنه وعمّا يليق به خبيراً من علماء الكتاب الإلهي.

٦٠- وإذا قيل لكفار مكة والقائل هو الرسول ﷺ- اسجدوا للرحمن دون غيره من الأصنام والأوثان،

ويعبدون من دون الله ما لا يفهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيراً ﴿٥٥﴾ وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً ﴿٥٦﴾ قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً ﴿٥٧﴾ وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيراً ﴿٥٨﴾ الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن ﴿٥٩﴾ فستل به خبيراً ﴿٦٠﴾ وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفوراً ﴿٦١﴾ تبارك الذي جعل في السماء بروحاً وجعل فيها سراجاً وقراً منيراً ﴿٦٢﴾ وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً ﴿٦٣﴾ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ﴿٦٤﴾ والذين يبيتون لربهم سجداً وقيماً ﴿٦٥﴾ والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً ﴿٦٦﴾ إنها ساءت مستقراً ومقاماً ﴿٦٧﴾ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ﴿٦٨﴾

قالوا: وما الرحمن؟ لا نعرف إلا رحمن اليمامة وهو مسيئة، أنامرنا بالسجود لمن لا نعرفه، وزادهم الأمر بالسجود إعراضاً عن الإيمان.

٦١- تعظم وتقدس وتنزه الرحمن الذي جعل في السماء منازل عالية ومدارات للكواكب السيارة وهي كما روي عن ابن عباس اثنا عشر منزلاً: وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدلي والدلو والحوت، وقيل: البروج هي الكواكب العظيمة وجعل في السماء شمساً ساطعة بالنهار، وقمرأ مضيئاً بالليل، غير متقد.

٦٢- وهو سبحانه الذي جعل الليل والنهار صاحبي خلفه، يخلف كل منهما الآخر، ويأتي بعده، ويتعاقبان في الإضاءة والظلام، والزيادة والنقصان، لمن أراد أن يتذكر، فمن تذكر علم أنه لا بد في تعاقبهما من ناقل ومحوِّج، ولن أراد شكر نعمة ربه على ما أنعم في الليل والنهار من نعم عظيمة.

٦٣- وعباد الرحمن هم الذين يمشون على الأرض بسكينة ووقار دون تكبر، وإذا خاطبهم الجاهلون (السفهاء) بما يسيء لهم، قالوا: سلاماً، أي سلام متاركة، بلا خير ولا شر، لا سلام تحية.

٦٤- والذين يبيتون في الليل ساجدين لله، قائمين يصلون صلاة التهجد؛ لأن ذلك أبعد عن الرياء وأكثر خشوعاً.

٦٥- والذين يدعون ربهم قائلين: ربنا اصرف عنا عذاب جهنم، إن عذابها كان لازماً دائماً.

٦٦- إن جهنم يستت وحبحت موضع استقرار وإقامة. والجملة تعليل للدعاء السابق.

٦٧- والذين إذا أنفقوا شيئاً من أموالهم لم يسرفوا- والإسراف: الخروج عن حد الاعتدال بكثرة الإنفاق- ولم يقتروا- والإقتار: البخل والتضييق في الإنفاق- وكان إنفاقهم وسطاً معتدلاً، لا زيادة فيه ولا نقص.



٦٨- والذين لا يعبدون مع الله إلهاً آخر ولا يتخذون رباً سواه، ولا يقتلون عمداً النفس التي حرم الله قتلها إلا بحق: وهو الكفر بعد الإيمان، والزنى بعد الإحصان (الزواج) وقتل نفس بغير نفس، ولا يقتربون الزنى بوطء الفرج الحرام بغير زواج ولا ملك بين، ومن يفعل أحد هذه الثلاثة المذكورة يلقى في الآخرة عقاباً: وهو جزاء الإثم الذي هو الذنب. أخرج الشيخان عن ابن عباس: أن ناساً من أهل الشرك قتلوا فأكشروا، وزنوا فأكشروا، ثم أتوا محمداً ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزلت هذه الآية.

٦٩- يضاعف له العقاب بسبب انضمام المعصية إلى الشرك، يوم القيامة، ويبقى دائماً في العذاب المضاعف ذليلاً حقيراً.

٧٠- لكن من تاب من ذنوبه في الدنيا، وأمن بالله ورسوله، وعمل بما أمر الله به وانتهى عما نهى عنه، فأولئك يجعل في الآخرة مكان أعمالهم السيئة أعمالاً صالحة، بأن يحسو عنهم المعاصي، ويثبت مكانها الطاعات، وكان الله كثير المغفرة والرحمة لعباده التائبين المحسنين. أخرج البخاري وغيره عن ابن عباس قال: لما أنزلت في الفرقان ﴿والذين لا يدعون...﴾

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ٦٨
يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهَا مُهَانًا ٦٩
إِلَّا مَنِ ابْتَدَأَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٧٠
وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ٧١
وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللُّغُورِ
مَسْرُورًا كَرِهُوا ٧٢
وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ
لَوْ يَخِرُّونَ عَلَيْهَا صُغُرًا وَعِيسَانًا ٧٣
وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا
هَبْ لَنَا مِنْ أَرْزُقِنَا وَقَدْ رَزَقْنَاكَ عَنِينًا
وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤
أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرُبَاتَ بِمَا
صَبَرُوا وَيُلَاقُونَ فِيهَا نَجَاتَهُمْ وَسَلَامًا ٧٥
خَالِدِينَ فِيهَا
حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ٧٦
قُلْ مَا يَعْبَأُكُمْ رَبِّي
بِذُنُوبِكُمْ قَدْ كَفَرْتُمْ قَدْ كَذَبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ٧٧



[٩٨] قال مشركو أهل مكة: قد قتلنا النفس بغير حق، ودعونا مع الله إلهاً آخر، وأتيننا الفواحش، فنزلت: ﴿إلا من تاب﴾ الآية.

٧١- ومن تاب عن المعاصي، وعمل صالح الأعمال أمراً ونهياً، فإنه يتوب توبة مقبولة عند الله، ويرجع إلى الله رجوعاً صحيحاً قوياً مرضياً عند الله تعالى.

٧٢- والذين لا يشهدون الشهادة الكاذبة عمداً، ولا يحضرون مجالس الباطل؛ لأن المشاهد كالمشارك، وإذا مروا باللغو: وهو كل ساقط من قول أو فعل، مروا معرضين عنه، أي إنهم يترفعون عن حديث اللغو ومشاركة أهله.

٧٣- والذين إذا أوعظوا بالقرآن، أقبلوا عليه سامعين مبصرين متفهمين، لم يعرضوا عنه.

٧٤- والذين يدعون قائلين: ربنا أعطنا من أزواجنا وأولادنا ما تقرُّ به عيوننا أي أسباب سرور، أي تسرُّ به نفوسنا بتوفيقهم للطاعة والصلاح والفضيلة، واجعلنا قدوة في الخير، وهذا دليل على مشروعية طلب الرئاسة الدينية للقيام بوجوبها، لا للفتخربها.

٧٥- أولئك عباد الرحمن المتصفون بهذه الصفات يجزون أعلى منازل الجنة وأفضلها، بسبب صبرهم على مشاق الطاعة وتجنب المعاصي، ويلقون في الدرجة الرفيعة في الجنة تحية من الملائكة وسلاماً، والسلام: تفسير التحية.

٧٦- ماكين فيها على الدوام، طابت الجنة موضع استقرار وإقامة، أي أن النعيم دائم لا ينقص مهما طالَّت المدة.

٧٧- قل أيها الرسول لجميع الناس: لا يبالي بكم ربي لولا عبادتكم إياه ودعواؤكم له، والمراد: أنه ما خلقهم إلا ليعبدوه، وكيف يعبا أو يبالي بكم وقد كذبتم الرسول والقرآن؟ فسوف يكون العذاب وجزاء التكذيب ملازماً لكم في الآخرة لا ينقطع.

سورة الشعراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَعَ ١ نَاكَ أَيُّكَ الْمُبِينِ ٢ لَعَلَّكَ بَئِخَ نَفْسِكَ
 الْأَكْبَرُ ٣ مُؤْمِنِينَ ٤ إِنْ نَسْنَا نَزَّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً
 فَظَلَّتْ أَعْيُنُهُمْ لَهَا خَضِيعِينَ ٥ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ
 الرَّحْمَنِ مُخْبَرٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ٦ فَذَكَرْنَاكَ ذَبُّوا
 فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ٧ أَوَلَمْ يَسِرُّوا إِلَى
 الْأَرْضِ كَمَا أَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ٨ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ
 أَكْثَرُكُمْ مُؤْمِنِينَ ٩ وَإِنْ رَبُّكَ لَهَوَّ الْغُرَبَاءَ الرَّحِمِ ١٠ وَإِنْ نَادَى
 رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتَ لَقَوْمٌ ظَالِمِينَ ١١ فَوَاعُونَ أَلا يَتَفَوَّنُونَ
 ١٢ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ١٣ وَضَيْقٌ صَدْرِي وَلَا
 يَبْطُلُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ لِي الْهَرُونَ ١٤ وَلَمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ
 يَقُولُونَ ١٥ قَالَ كَلَّا فَادْهَابًا لَيْسَ بِأَنَا مَعَكُمْ شَاشِعُونَ ١٦ فَأَيُّهَا
 فِرْعَوْنَ فَقُولَا أَنَا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٧ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنِي إِسْرَائِيلَ
 ١٨ قَالَ أَلَمْ نُنزِّكْ فِيهَا وَلِئَامًا وَلَمَّا نَبَتْ فِينَا مِنْ عَمْرِكِ سِينِينَ ١٩
 وَفَعَلْتَ فَعَلْنَاكَ الْغَى فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ٢٠

فضلها: عن البراء بن عازب أن النبي ﷺ قال: «إن الله أعطاني السبع الطوال مكان التوراة، وأعطاني السمين مكان الإنجيل، وأعطاني الطواسين مكان الزبور، وفضلني بالحواميم والمفضل، ما قرأهن نبي قبلي».

١- طا، سين، ميم، هذه الأحرف للتببيه، والإشارة إلى إعجاز القرآن، وتحدي العرب بالإتيان بمثله، ما دام مكرنًا من الأحرف الهجائية التي تركب منها اللغة العربية.

٢- تلك آيات هذه السورة آيات القرآن البين الواضح، الظاهر المعاني.

٣- لعلك أيها النبي مهلك نفسك من الحزن والتأسف لعدم إيمان قومك بما جئت به، والاستفهام إنكاري يفيد النهي عما بعده، وهذا تسرية عن الرسول ﷺ لغمته الشديد بسبب إعراض قومه عن الإيمان برسالته.

٤- لو نشاء أن نزل على كفار قومك معجزة من السماء تلجهم إلى الإيمان، فتصير أعناق أصحابهم، أي جماعاتهم متقادين لها حتمًا.

٥- وما يأتيهم تذكير وموعظة بطائفة من آيات القرآن، مجددًا إنزاله، إلا كانوا عنه معرضين عن سماعه.

٦- فقد كذب هؤلاء المشركون بالقرآن بعد إعراضهم، فسيحل بهم العذاب، عاجلاً أو آجلاً. والأنباء: أخبار ما يستحقونه من العقوبة.

٧- أولم ينظروا إلى عجائب الأرض، كثيراً ما أنبتنا فيها من كل صنف من الأشجار والنباتات.

٨- إن في ذلك الإنبات في الأرض للدلالة واضحة على تمام قدرة الله وحكمته، ولم يكن أكثر الناس مؤمنين بالله وحده.

٩- وإن ربك لهو القادر على الانتقام من الكفرة، مع كونه كثير الرحمة، حيث أمهلهم ولم يعاقبهم.

١٠- واذكر أيها النبي حين نادى ربك موسى أن اذهب إلى القوم الظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصي.

١١- وهم فرعون وقومه، ألا يخافون عقاب الله على كفرهم وظلمهم؟! قتل لهم: اتقوا الله.

١٢- قال موسى: يا رب، إني أخاف أن يكذبوني في رسالتي.

١٣- ويتضايق صدري غمًا بسبب تكذيبهم إياي، ولا يتطلق لساني بأداء الرسالة، فأرسل جبريل بالوحي إلى أخي هارون.

١٤- ولقوم فرعون علي تبعة ذنب هو قتل القبطي قبل النبوة حال الشباب، فأخاف أن يقتلوني به.

١٥- قال الله: كلا لا تخف من القتل، اذهب أنت وأخوك- بتغليب الحاضر على الغائب- بأيأتنا التسع المذكورة في [الأعراف ١٣٣/٧] و[طه ١٧/٢٠] وما بعدها كالطوفان والجراد، إننا معكم مستمعون ما يجري بينكما وبين فرعون من حوار.

١٦- فأتيا فرعون، فقولا له: كل منا رسول من رب العالمين، أرسلنا الله إليك. وفي اللغة العربية: الواحد فأكثر رسول.

١٧- ومضمون الرسالة: أن ترسل معنا الإسرائيليين، وتطلق سراهم من أسرك واستعبادك.

١٨- قال فرعون لموسى: لقد ريتك في قصرنا صغيراً، ولم تقتلك كبقية الأطفال، وأمتت عندنا عدداً من السنين نرعاك.

١٩- فجازيتنا على تربيتك أن كفرت نعمتنا، وقتلت منا نفساً- أي قتل القبطي- وأنت من الجاحدين لإنعامنا.

٢٠- قال موسى: فعلتها إذن وأنا من المخطفين الجاهلين بالعواقب قبل إتيان العلم والرسالة.

٢١- ففسرت منكم إلى مدين لما خفت منكم أن تقتلوني، فمحنني ربي نبوة وحكمة وعلماً بالتوراة، وجعلني أحد الأنبياء المرسلين.

٢٢- وهل تلك نعمة تمن علي بأن ربي تني وليداً، واستعبدت قومي بني إسرائيل وذبحت أبناءهم؟! وكلمة ﴿أن﴾ تفسيرية، يفسر ما بعدها ما قبلها.

٢٣- قال له فرعون: وما حقيقة رب العالمين الذي قلت: إنك رسوله؟

٢٤- قال موسى: هو خالق السموات والأرض وما بينهما من إنسان وحيوان وجماد ونبات، إن كنتم مصدقين بيلاه، فهذا أولى بالإيمان به. عين له ما أراد بالعالمين، وترك الجواب عن حقيقة الله، مكتفياً بما يدل على كمال قدرته الإلهية.

٢٥- قال فرعون لمن حوله من الحاشية والأشراف: ألا تستمعون ما قاله موسى؟ فإن جوابه لم يطابق السؤال، سألته عن حقيقة رب العالمين، فذكر أفعاله، متعجباً من ضعف المقال.

٢٦- قال موسى: الله ربكم الذي خلقكم، ورب آباءكم السابقين الذين خلقهم، والمراد أن فرعون أحد البشر المخلوقين.

٢٧- قال فرعون لحاشيته: إن رسولكم هذا المرسل إليكم لمجنون، حيث أسأله عن شيء ويجيبني عن غيره، ويزعم أن هناك رباً غيري. وسماه رسولاً استهزاء وسخرية.

٢٨- قال موسى: إنه الرب الذي تشاهدون آثاره كل يوم، فهو رب المشرق يأتي بالشمس، ورب المغرب يجعل الشمس تغرب، وما بينهما من مخلوقات، إن كنتم من أهل العقول التي تفكر برب العوالم.

٢٩- قال فرعون مهتداً: لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك سجيناً حتى الموت.

٣٠- قال له موسى: أتجعلني سجيناً ولو أتيتك بشيء بين صدقي وتأبيد دعواي؟

٣١- قال فرعون: فأت بهذا الدليل الواضح إن كنت صادقاً في دعواك.

٣٢- فالقى موسى عصاه على الأرض، فإذا هي ثعبان ظاهر حاله، بلا تقوية ولا تخييل.

٣٣- وأخرج يده من جيبه، فإذا هي ذات شعاع كالشمس، لكل من رآها، خلافاً لما كانت عليه من جلد ولحم وعظم.

٣٤- قال فرعون لمن حوله من الوجهاء والأشراف والسادة: إن هذا الساحر فائق في علم السحر.

٣٥- إن موسى يريد أن يخرجكم من أرض مصر بسحره، فما رأيكم ومشورتكم فيه وفي أمثاله التسلطين؟!

٣٦- قال الزعماء والرؤساء: آخره وأخاه هارون لفرصة أخرى، وأرسل في أنحاء البلاد جنوداً يجمعون السحرة.

٣٧- يأتوك بكل ماهر حاذق خبير بفن السحر وصنعته، ليتغلب على موسى.

٣٨- فجمع السحرة في ميقات يوم محددة هو يوم الزينة وهو يوم عيد عندهم، في وقت الضحى. والميقات: هو الزمن المحدد لعمل معين.

٣٩- وقيل لأهل مصر: هل أنتم مجتمعون في هذا الميقات؟ وهو حث لهم على الاجتماع، كأنه قال: اجتمعوا، لتشاهدوا المبارزة بين موسى والسحرة، ولمن تكون الغلبة؟

قَالَ فَعَلَّمَهَا إِنَّا وَأَنَا مِنَ الصَّالِينَ ﴿٢٠﴾ فَفَسَّرْتُ مِنْكُمْ
لَمَّا خَفْتُمْ قَوْلَهُ لِي رَبِّي حَكِيمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾
وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ
وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ
كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ
وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ
إِلَيْكُمْ جَحُشٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لِمَنْ اتَّخَذتَّ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ
مِنَ السَّجْدِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوْ لَوْ جُنُنُكَ بِشَيْءٍ مُؤْمِنِينَ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأَتَى
بِعِيسَى كُنْتُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَالْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ
مُبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَاءٌ لِلنَّظَرِ ﴿٣٣﴾ قَالَ الْمَلَأُ
حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ
بِسِحْرِهِ فَإِذَا تَأَمَّرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ
حَاشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَا تَوَكُّلْ بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجَمَعَ السَّحْرَةَ
لَمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾

لَعَلْنَا نَبْحَثُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْعَالِيْنَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ
فَأَلَوْا لِفِرْعَوْنَ أَيْنَ لَنَا أَجْرٌ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْعَالِيْنَ ﴿٤١﴾ قَالَ
تَعْرَوْا لَكُمْ إِذْ لِمَنْ التَّمْرِيْنَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُمُ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ
تُلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا حِجَالَهُم وَعَصِيَّهُمْ وَأَلْقَوْا بِعُرْوَةِ فِرْعَوْنَ
إِنَّا لَنَحْنُ الْعَالِيُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ
مَا يَأْتِيهِمْ ﴿٤٥﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ
الْعَالِيْنَ ﴿٤٦﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٧﴾ قَالَ أَمْنٌ لَهُ قَبْلَ أَنْ
أَأْتِيَنَّكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ نَعْلَمُونَ لِأَقْطَعَنَّ
أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَأَصْلَبُنَّكُمِ أَجْمَعِينَ ﴿٤٨﴾ فَأَلَوْا لَأَصْبِرَنَّ
إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٤٩﴾ إِنَّا نَقْطَعُكُمْ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَاتِنَا أَنْ كُنَّا
أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٠﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي
إِنكُمْ مُسْبُوعُونَ ﴿٥١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٢﴾ إِنَّ
هَؤُلَاءَ لَشُرُومَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِطُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ
حَدَرُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٦﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ
﴿٥٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٨﴾ فَأَتَّبَعُوهُمُ مُشْرِقِينَ ﴿٥٩﴾

٤٠- وقال قائلهم: لعلنا نحن أهل مصر نتبع
السحرة في دينهم إن غلبوا موسى .

٤١- فلما جاء السحرة في الموعد المحدد قالوا
لفرعون: هل لنا أجر مادي من مال أو جزء معنوي
من جاه، إن كنا نحن الغالبين لموسى؟

٤٢- قال فرعون: نعم لكم الجزاء المناسب الذي
تطلبونه، وإنكم إذا غلبتم موسى لمن المقربين عندي
في المناصب المختلفة .

٤٣- قال لهم موسى بعد تخيير السحرة بين البدء
والتأخر في الإلقاء: ألقوا ما عزتمت على إلقائه .

٤٤- فألقى السحرة حبالهم وعصيهم، وقالوا
حالفين: بعزة فرعون، إننا لنحن الغالبون . والعزة:
العظمة ذات القدرة التي لا تقهر .

٤٥- فألقى موسى بعدهم عصاه، فإذا هي تتلعب
بسرعة جميع ما يكذبون به على الناس من السحر .

٤٦- فأمن السحرة بالله، وخرّوا ساجدين لله،
لقوة المعجزة واقتناعهم المطلق بها، ولعلمهم يقيناً أن
ما صنعه موسى ليس سحراً، وأقروا بنبوة موسى .

٤٧، ٤٨- قال السحرة علانية: أمنا برب العالمين،
ومنهم فرعون . رب موسى وهارون، فليس فرعون
رب .

٤٩- قال فرعون للسحرة: كيف أتمتم لموسى بغير إذن مني لكم في الإيمان، ثم موه على الناس حتى لا يتبعوهم:
إن موسى هو رئيسكم الذي علمكم السحر- وصفه بأنه كبير السحرة لانبهار الناس بفعله- ثم هددهم بقوله: لسوف
تعلمون عقابي، لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف، أي اليد اليمنى مع الرجل اليسرى وبالعكس، ولأصلبنكم
بعد القتل أجمعين .

٥٠- قال السحرة لفرعون: لا ضرر علينا في ذلك وفي كل ما نتعرض له من عذاب الدنيا، إننا إلى ربنا راجعون
في الآخرة بعد موتنا، وعزأونا ما نمجده من ثواب عظيم وقرب من الله تعالى .

٥١- إننا نرجو أن يغفر لنا ربنا ذنوبنا بأن كنا أول المؤمنين من قوم فرعون بما جاء به موسى .

٥٢- وأوحينا إلى موسى: أن سرّ بعبادي المؤمنين ليلاً من أرض مصر، إنكم ملاحقون من قبل فرعون وجنوده .

٥٣- فأرسل فرعون أتباعه حين علم بمسيرة القوم، في البلاد المصرية، جامعين الجنود ليتبعوهم .

٥٤- قال فرعون لحاشيته وأتباعه: إن هؤلاء الإسرائيليين لطائفة قليلة، وأنتم الجمع الكبير قاعدة مصر .

٥٥- وإنهم لفاعلون ما يغيظنا من غير إذن منا، بخروجهم من مصر وأخذهم حلي النساء التي استعاروها .

٥٦- وإننا لجمع أي جمع مستعدون في حذر ويقظة وحزم ملاحقتهم حتى لا يغدر بنا أحد .

٥٧، ٥٨- فأخرجنا فرعون وقومه من بساتين على جانبي النيل، وأنهار جارية، وكنوز من الأموال، وقصور

عالية حسنة .

٥٩، ٦٠- وهكذا أخرجناهم كما وصفنا، وأورثنا الديار بني إسرائيل، فلحقوا بهم وأدركوهم في وقت شروق

الشمس .



- ٦١- فلما رأى كل من الجمع الآخر وتقاربا، قال أصحاب موسى: سيلحقنا جمع فرعون.
- ٦٢- قال موسى: كلا، لن يدركونا، إن الله سيرشدني إلى طريق النجاة منهم. وكلمة «كلا» للنهي عن قول سابق، أي لا تقولوا.
- ٦٣- فأوحينا إلى موسى: أن اضرب بعصاك البحر، أي بحر السويس، ففعل، فانشق البحر اثني عشر فرقا بينها مسالك، فدخلوا في شعابها، فكان كل قطعة من البحر أو جانب من الماء المنحسر كالجبل العظيم الضخم الثابت.
- ٦٤- ثم قربنا هناك فرعون وجنوده، حتى دخلوا وراء موسى وقومه في البحر لإغراقهم فيه.
- ٦٥- وأنجينا موسى وقومه أجمعين من الغرق، بحفظ البحر على تلك الحال إلى أن عبروا.
- ٦٦- ثم أغرقنا فرعون وجنوده بإطباق البحر عليهم، بعد أن دخلوا في شعابه.
- ٦٧- إن في ذلك الإغراق لعظة وعبرة، وآية عظيمة على قدرة الله الخارقة، وما كان أكثر الناس عن كانوا في مصر مع فرعون مؤمنين، فلم يؤمن غير آسية امرأة فرعون وأيسما حزقيل مؤمن آل فرعون ومريم بنت داموس التي دلت على تابوت يوسف عليه السلام.
- ٦٨- وإن ربك لهو القاهر المنتقم من أعدائه، الرحيم بأوليائه المؤمنين به.

فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ قَالِ اصْحَبُ مُوسَى إِنَّا لَمَذْكُورُونَ ﴿٦١﴾ قَالِ
 كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اصْرِبْ
 بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فَرَقٍ كَالظُّورِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾
 وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ وَأَجْمَعِينَ
 ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ كَثَرُ
 مُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَأَنْزَلْنَا
 نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا
 نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظُرُهَا عِبَادَةً ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ
 تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَبْصُرُونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا
 آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالِ أَوَلَمْ تَكُنْ تَعْبُدُونَ
 ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِلَّهِ
 الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي
 وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ
 يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ
 ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْخِفْ لِي الْغَلْظَ بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾

- ٦٩- واقرأ على مشركي قومك في مكة وغيرها خبر إبراهيم الخليل عليه السلام.
- ٧٠- حين قال لأبيه آزر وقومه الوثنيين في بابل: أي شيء تعبدونه؟ وسؤالهم للفت نظرهم أن ما يعبدونه من الأصنام لا يستحق العبادة.
- ٧١- قالوا له: نعبد أصناماً فنبقى ملازمين مداومين على عبادتها.
- ٧٢- قال إبراهيم لهم: هل يسمعون دعاءكم حين تدعونهم؟!.
- ٧٣- أو ينفعونكم حين تعبدونهم، أو يضرورنكم إن لم تعبدوهم. وإذا كانت لا تسمع ولا تضر فلا داعي لعبادتها.
- ٧٤- قالوا له حينما عجزوا عن الجواب: بل وجدنا آباءنا يفعلون مثل فعلنا، وهو مجرد تمسك بالتقليد.
- ٧٥- قال إبراهيم: أفأرى ما تعبدونه من هذه الأصنام؟!.
- ٧٦- أنتم ومن سبقكم من الآباء والأجداد القدماء.
- ٧٧- فأنهم أعداء لي لا أعبدهم، لكن أعبد الله رب العوالم كلها من الإنس والجن. وعدو: يطلق على الواحد والأكثر.
- ٧٨- الله الذي خلقتني فهو يرشدني إلى صلاح الدين والدنيا. وهاتان صفتا الخلق والهداية.
- ٧٩- والصفة الثالثة: الرزق، فالله هو يرزقني ويمدني بالطعام والشراب.
- ٨٠- والصفة الرابعة: تحقيق الشفاء، فالله يشفي من المرض إن مرضت بعد تعاطي الأسباب كالدواء.
- ٨١- والصفة الخامسة: الإمامة والإحياء، فالله هو الذي يميتني عند انتهاء الأجل، ثم يحييني في الآخرة.
- ٨٢- والصفة السادسة: المغفرة، والله الذي أرجو أن يغفر لي تقصيري وذنبي يوم الجزاء والحساب. وإنما قال ذلك إشعاراً بأنه لم يعمل شيئاً أمام نعم الله تعالى.
- ٨٣- رب امنحني حكمة وفهماً وعلماً بما هو خير، وألخفي بالكاملين في الصلاح وهم الأنبياء.

وَأَجْعَلِ لِي لِسَانَ صِدِّيقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ
 جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَأَغْفِرْ لِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي
 يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آمَنَ
 أَنَّىٰ أَنَّىٰ اللَّهُ يَقْبَلُ سَلِيمًا ﴿٨٩﴾ وَأَزَلَّ لِقَاءَ الْجَنَّةِ النَّارِ الَّذِينَ
 كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِرُوا بِالْإِيمَانِ وَالْهَدْيَةِ، إِنَّهُ كَانَ
 مِنَ الْمَخْطِئِينَ الْمُنْحَرِفِينَ عَنْ طَرِيقِ الْإِسْتِقَامَةِ.
 ٨٧- ولا تعرضني للذل والإهانة يوم القيامة.
 ٨٨- ذلك اليوم الذي لا نفع فيه مال ولا بأولاد.
 ٨٩- لا ينفع أحدا ماله ولا ولده عند الله إلا من جاء
 بقلب مؤمن مخلص، سليم من الكفر والنفاق.
 ٩٠- وقربت الجنة للذين اتقوا العذاب بالطاعة.
 ٩١- وأظهرت النار للكفار قبل أن يدخلوها.
 ٩٢- وقيل للمشركين: أين المعبودات التي كنتم
 تعبدونها من الأصنام والأوثان وغيرها؟
 ٩٣- تعبدونها من غير الله، هل ينصرونكم
 بإجاثكم من العذاب، أو ينتصرون لأنفسهم؟
 ٩٤- فالتقوا في جهنم على وجوههم: الآلهة
 المعبودة وعبدها الضالون الذين اغواهم غيرهم.
 ٩٥- وألقي فيها أتباع إبليس ومطيعوه أجمعون من
 عصاة الإنس والجن.
 ٩٦- قال الغواة وهم في جهنم يتخاصمون مع
 معبوديهم، يأنطق الله الأصنام:
 ٩٧- والله إنا كنا في ضلال واضح.
 ٩٨- حين نسأويكم في الطاعة والحب والعبادة والخوف بالله رب العالمين.
 ٩٩- وما أضلنا عن الحق والهدى إلا شياطين الإنس والجن من السادة وغيرهم، ممن عادوا الله تعالى.
 ١٠٠- فليس لنا الآن في هذه المحنة من شفعاء عند الله تعالى يتقذونا من العذاب. و ﴿من﴾ يفيد عموم نفي ما
 بعده.

١٠١- وليس لنا أيضاً صديق صادق الود، مخلص الإخاء يتقذنا من العذاب.
 ١٠٢- فليت لنا رجعة إلى الدنيا، فتصير من جملة المؤمنين. و «لو» هنا استعملت في معنى التمني.
 ١٠٣- إن فيما ذكر من قصة إبراهيم مع قومه لعبرة وعظة، وما كان أكثر الناس في مكة وغيرها مؤمنين.
 ١٠٤- وإن ربك أيها الإنسان لهو القادر على الانتقام من أعدائه، الرحيم بالإمهال ليؤمنوا، وبأوليائه المؤمنين.
 ١٠٥- كذبت قوم نوح رسولهم، وعبر عن نوح بالمرسلين؛ لأن من كذب رسولا فقد كذب الرسل جميعاً.
 ١٠٦- إذ قال لهم نوح أخوهم في النسب أو الجنس لا أخوة دين: ألا تتقون عذاب الله بترك عبادة الأصنام،
 وتؤمنون بالله ورسوله؟! و «ألا» حرف يفيد الحث على الفعل.
 ١٠٧- إني لكم رسول من الله، أمين فيما أبلغكم عنه.
 ١٠٨- فخافوا عذاب الله، وأطيعوني فيما أمركم به من توحيد الله وطاعته، وأداء فرائضه وشرائعه.
 ١٠٩- وما أطلب منكم أجراً على تبليغ الرسالة، ما أجري إلا على الله، أرجو منه الثواب. و ﴿من﴾ لعموم
 النفي.
 ١١٠- فخافوا عذاب الله وأطيعوني في الأوامر والنواهي الإلهية. كرر ذلك للتأكيد.
 ١١١- قال قوم نوح: كيف تتبعك ونصدقك، والحال أن قد اتبعك السفلة من الفقراء والضعفاء وأهل
 الصنائع!؟



١١٢- قال نوح: وما علمي بعملهم؟ إنني لم أكلف بالبحث عن أعمالهم، وسرايرهم.
 ١١٣- ما حسابهم على ضمائرهم أو مواطنهم، وأعمالهم إلا على الله تعالى، لو تعلمون ذلك.
 ١١٤- ولست بطارد المؤمنين من مجلسي.
 ١١٥- ما أنا إلا منذر مخوف، واضح الإنذار لكل الناس، لا فرق بين شريف ووضع.
 ١١٦- قالوا: لئن لم تنته عن دعوتك وسب آلهتنا، لتكونن من المقتولين رمياً بالحجارة.
 ١١٧- قال نوح: يارب، إن قومي أصروا على تكذبي ورفض دعوتي.
 ١١٨- فاحكم بيني وبينهم حكماً يظهر الحق من المبطّل، ويهلك من كذب رسولك.
 ١١٩- فأجبنا دعاه وأنجيناه، ومن آمن وركب معه في السفينة المملوءة بالناس والمتاع.
 ١٢٠- ثم أغرقنا بعد إيمانهم الباقيين من قومه.
 ١٢١- إن في ذلك المذكور من قصة نوح لعبرة وعظة للمعتبر المتأمل، وما كان أكثر الناس مؤمنين.
 ١٢٢- وإن ربك أيها الإنسان هو القاهر المتقم من أعدائه الكفرة، الرحيم بالمؤمنين التائبين.
 ١٢٣- كذبت قوم عاد رسولهم هوداً، وعبر عنه بصيغة الجمع؛ لأن من كذب رسولا فقد كذب جميع الرسل.

قَالَ وَمَا عَلِيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَيَّ لَوْ تَسْمَعُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ فَأَلَوْا لَيْنَ لَمْ يَنْتَهَ يَنُوحَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَأَفْخِ بَنِيَّ وَبَنِيَهُمْ فَأَخْرَجْنِي وَمَنِّجِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَفْخِئْهُ وَنَّ مَعَهُ فِي الْفَلَكَ السَّحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ كَثِيرًا مِّنْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنْ رَبِّكَ لَهَوَّ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ عَادُ الَّذِينَ سَلَوْنَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا عِوَابَ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِنَّا بِبَطْشِكُمْ بَطْشُكُمْ جَارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا عِوَابَ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجِبَّتِ وَصُيُونِ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ فَأَلَوْ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِمْ أَوْعَظْتُ أُمَّمَ مَكَّنَ مِنَ الْوَالِدِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا لِحُلُقِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾

١٢٤- حين قال لهم هود أخوهم في القبيلة والنسب لافي الدين: ألا تخافون عذاب الله بترك عبادة الأصنام، وتؤمنون بالله ورسوله؟!

- ١٢٥- إنني لكم رسول مرسل من الله، أمين على تبليغ رسالة ربي.
 ١٢٦- فاتقوا عذاب الله بالالتزام أوامره واجتناب نواهيه، وأطيعوني فيما أبلغكم به من التكاليف الدينية.
 ١٢٧- وما أطلب أجراً على تبليغ الرسالة، وما ثوابي وأجري إلا على الله رب العالمين.
 ١٢٨- أتبنون بكل مكان مرتفع قصرأ شامخاً كأنه جبل، لا للحاجة وإنما للعبث والتفاخر واللهو؟ والاستهفام إنكاري يدل على عدم الرضا عما بعده.
 ١٢٩- وتتخذون حصوناً منيعة، كأنكم تظنون الخلود في الدنيا.
 ١٣٠- وإذا ضربتم بشدة وعنف تعدياً، ضربتم عتاة متسلطين بلا رافة ولا شفقة.
 ١٣١- فاتقوا عذاب الله وأطيعوني فيما أمرتكم به ونهيتكم عنه.
 ١٣٢- واتقوا الله بإخلاص العبادة له، فهو الذي أنعم عليكم أو أعطاكم بما تعلمون من نعم ومواهب.
 ١٣٣، ١٣٤- أعطاكم الأنعام (المواشي) للأكل والنفع، والبنين للمعاونة، والساتين والأنهار الجارية.
 ١٣٥- إنني أخاف عليكم بعصيان عذاب يوم عظيم في الدنيا والآخرة.
 ١٣٦- قالوا: استوى عندنا وعظك وعدمه، لا نبالي في الحالين، ولن نؤمن بك، والمراد: التيبس والتعجيز.
 ١٣٧- ما هذا الذي نحن عليه إلا عادة الأقسام السابقين ودينهم، ونحن تابعون لهم ومقلدوهم.
 ١٣٨- ولستنا نحن بمعذبين بعد موتنا، إذ لا بعث ولا جزاء ولا حساب.

فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
 مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهَوَّاءٌ لَعَزِيزٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ
 الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَالَتُنْتُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنْ لَكُمْ
 رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَشْكُمُ عَلَيْهِ
 مِنْ آجِرٍ إِلَّا جَرَى الْأَعْلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُرْكُونَ فِي مَا هُمْتَا
 ءَأَمِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّتٍ وَعَيْوُنٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُدُوعٍ وَخِطَاطِعَا
 هَضِيمٍ ﴿١٤٨﴾ وَتَحْتُونَ مِنَ الْجِبَالِ يَوْمَ تَقُومِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ
 وَأَطِيعُوا ﴿١٥٠﴾ وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يَفْسِدُونَ
 فِي الْأَرْضِ وَلَا يَصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ فَالْوَالِئَا أَنتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ ﴿١٥٣﴾
 مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأَبَتِ بَاطِنُهَا أَنْ تُشْرِكَ مِنْ الصِّدْقِ ﴿١٥٤﴾ قَالَ
 هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبٌ يَوْمَ يَعْلَمُونَ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمْشُوهَا
 بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَاصْبِرُوا لِنِيعِ
 رَبِّكُمْ ﴿١٥٧﴾ فَأَعْدَاهُ الْعَذَابَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ
 ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهَوَّاءٌ لَعَزِيزٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٩﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ
 الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾

١٣٩ - فكذبوا هوداً، فأهلكناهم بريح صرصر جزاء على تكذيبهم، إن في ذلك لعبرة وعظة، وما كان أكثر الناس مؤمنين.

١٤٠ - وإن ربك لهو القادر القاهر المنتقم من أعدائه، الرحيم بأوليائه المؤمنين.

١٤١ - كذبت قبيلة ثمود رسولهم صالحاً، وعبر عنه بصيغة الجمع؛ لأن من كذب رسولاً فقد كذب جميع الرسل.

١٤٢ - حين قال لهم صالح أخوهم في القبيلة والنسب لا في الدين: ألا تتقون عذاب الله بترك عبادة الأصنام؟

١٤٣ - إني لكم رسول مرسل من ربكم، أمين في تبليغ رسالة الله تعالى.

١٤٤ - فأخلصوا الله العبادة والطاعة، وأطيعوني فيما أمرتكم به ونهيتمكم عنه.

١٤٥ - وما أطلب منكم أجراً على تبليغ الرسالة، ما أجري أو ثوابي إلا على رب العالمين من إنس وجن.

١٤٦ - أتحسبون أنكم تتركون ما هنا في هذه النعم الدنيوية والخيرات آمين من العذاب والموت؟ والاستفهام إنكاري يفيد النفي.

١٤٧، ١٤٨ - آمينين في بساتين وأنهار جارية، وزروع مختلفة الأنواع، وتخل ثمرها يانع سهل الهضم، لين لطيف.

١٤٩ - وتحتون من الجبال بيوتاً فخمة، بطرين أو ماهرين حاذقين.

١٥٠ - فاتقوا عذاب الله وأطيعوني فيما أمرتكم به ونهيتمكم عنه.

١٥١ - ولا تطيعوا أمر العصاة المتجاوزين الحدود المعتادة.

١٥٢ - الذين يفسدون في الأرض بالمعاصي، ولا يصلحون ما أفسدوه بالتوبة وبطاعة الله تعالى.

١٥٣ - قالوا له: إنما أنت من الذين فقدوا عقولهم، وغلب عليهم السحر، فصاروا مجانين.

١٥٤ - ما أنت يا صالح إلا بشر مثلنا يأكل ويشرب، فلا مزية لك علينا، فأت بمعجزة مادية محسوسة تدل على أنك رسول من عند الله، إن كنت صادقاً في ادعاء الرسالة إلينا.

١٥٥ - قال لهم صالح: هذه ناقة خلقها الله لكم، لها نصيب من الماء، ولكم نصيب مثله في اليوم التالي.

١٥٦ - ولا تصيبوها بسوء، أي شيء مؤذ، فيحل عليكم عذاب يوم عظيم هو يوم القيامة.

١٥٧ - فرموها بسهم ثم قتلوها، فعل ذلك أحدهم برضا وتحريض الآخرين، فأصبحوا نادمين على قتلها حينما رأوا آمارات العذاب، وخوفهم من صدق صالح.

١٥٨ - فأحاط بهم العذاب وهو الرجفة أو الزلزال الشديد، فأهلكهم، إن في ذلك لعبرة، ولم يكن أكثرهم مؤمنين.

١٥٩ - وإن ربك لهو القادر على الانتقام من أعدائه الكفرة، الرحيم بأوليائه التائبين.

١٦٠ - كذبت قوم لوط رسولهم لوطاً، وعبر عنه بصيغة الجمع؛ لأن من كذب رسولاً، فقد كذب جميع الرسل.

١٦١ - حين قال لهم نبيهم لوط وأخوهم في السكن والبلد لا في الدين والنسب: ألا تتقون عذاب الله بترك عبادة الأصنام، وتوحيد الله وطاعته؟! ولوط هو ابن أخي إبراهيم من بابل.

١٦٢- إني لكم رسول مرسل من الله، أمين على تبليغ الرسالة الإلهية دون زيادة ولا نقص .
 ١٦٣- فاتقوا عذاب الله بالعبادة والإخلاص والطاعة، وأطيعوني فيما أمركم به وأنهاكم عنه .
 ١٦٤- وما أطلب منكم أجراً على تبليغ الرسالة، ما أجري وثوابي إلا على الله رب العوالم كلها .
 ١٦٥- أتتعاطون الفاحشة مع الذكور من الناس؟ وكانوا يفعلون ذلك مع الغرباء .
 ١٦٦- وتتركون ما خلق الله من أجل استمتاعكم من جنس النساء في أقبالهن، بل أنتم قوم مجاوزون الحدود في المعاصي .
 ١٦٧- قالوا: لئن لم تنته يا لوط عن إنكارك علينا ما فعل، لتكونن من المطرودين المبعدين من بلدنا .
 ١٦٨- قال لوط: إني لعملكم وهو إتيان الذكور من المبغضين أشد البغض .
 ١٦٩- ربي احفظني وأهلي من سيئات أعمالهم وعقابهم .
 ١٧٠- فنجيناه وأهل بيته ومن آمن به أجمعين .
 ١٧١- إلا امرأة عجوزاً هي امرأة لوط كانت في الباقيين في العذاب من الهالكين .

إني لكم رسول أمين ﴿١٦٢﴾ فاتقوا الله وأطيعون ﴿١٦٣﴾ وما أسألكم عليه من أجر إن أجرينى إلا على رب العالمين ﴿١٦٤﴾ أتأتون الذكران من العالمين ﴿١٦٥﴾ وتذرون ما خلق لكم من أنفسكم بل الله قووم عادون ﴿١٦٦﴾ قالوا لئن لؤنته يلوطن لتكونن من المخسرين ﴿١٦٧﴾ قال إني لعملكم من القالين ﴿١٦٨﴾ رب نجني وأهلي مما يعملون ﴿١٦٩﴾ فنجيناه وأهله وأجمعين ﴿١٧٠﴾ إلا عجوزاً في الغدير ﴿١٧١﴾ فودعنا الآخرين ﴿١٧٢﴾ وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المندرين ﴿١٧٣﴾ إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ﴿١٧٤﴾ وإن ربك هو العزيز الرحيم ﴿١٧٥﴾ كذب أصحاب ليلة المرسلين ﴿١٧٦﴾ إذ قال لهم شعيب ألا تنفون ﴿١٧٧﴾ إني لكم رسول أمين ﴿١٧٨﴾ فاتقوا الله وأطيعون ﴿١٧٩﴾ وما أسألكم عليه من أجر إن أجرينى إلا على رب العالمين ﴿١٨٠﴾ أو فوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين ﴿١٨١﴾ وزنوا بالقسطاس المستقيم ﴿١٨٢﴾ ولا تحسوا الناس أشياءهم ولا تغتوا في الأرض مفسدين ﴿١٨٣﴾ فاتقوا الذي خلقكم والحيلة الأولين ﴿١٨٤﴾

١٧٢- ثم أهلكنا الآخرين بالخسف والحصى .

١٧٣- وأمطرنا عليهم حجارة من السماء، فبئس مطر المخوفين مطرهم، أنذرهم ربهم بالعذاب إذا عصوا الله .

١٧٤، ١٧٥- إن في تلك القصة لعبرة وعظة لكل متأمل، حيث أهلك الله العصاة ونجى المؤمنين، ولم يكن أكثرهم مؤمنين بالله ورسوله، وإن ربك لهو القاهر الذي لا يغلب، الرحيم بأوليائه التائبين .

١٧٦- كذب أصحاب الأيكة: وهي غيضة شجر كثيف قرب مدين رسولهم شعيباً، وعبر عنه بصيغة الجمع؛ لأن من كذب رسولاً فقد كذب جميع الرسل كما تقدم .

١٧٧- حين قال شعيب: ألا تتقون عذاب الله بفعل الأوامر وترك النواهي؟

١٧٨- إني لكم رسول مرسل من الله، أمين في تبليغ الرسالة دون تبديل ولا تحريف .

١٧٩- فأخلصوا العبادة لله واتقوا ما يسخطه، وأطيعوني فيما أمركم به وأنهاكم عنه .

١٨٠- وما أطلب منكم أجراً على النصيح والإرشاد، ما أجري وثوابي إلا على الله رب الإنس والجن .

١٨١- أموا الكيل، ولا تكونوا من ناقصي الحقوق بالتطفيف في الكيل والوزن .

١٨٢- وزنوا وزناً عدلاً بالميزان السوي المعتدل .

١٨٣- ولا تنقصوا الناس حقوقهم شيئاً، ولا تفسدوا في الأرض أشد الإفساد بالقتل والنهب وقطع الطريق وغير ذلك من ألوان الاعتداء .

١٨٤- وخافوا الله الذي خلقكم وخلق الخلائق أو الجماعات السابقين .

قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا
 وَإِنْ نَقُضْتَ لِمَنْ أَلْكَذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ
 السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ
 ﴿١٨٨﴾ فَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلُمَةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ
 عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾
 وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَرِيزِ الرَّحِيمِ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ
 ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ
 ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ زَكَاةٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٦﴾
 لِيَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى
 بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأُوهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾
 كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ
 يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾
 فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَعِدَّائِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾
 أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ
 مَا كَانُوا يَعِدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَخْتَلَيْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٢٠٧﴾

١٨٥ - قالوا: إنما أنت من الذين مسحروا.

١٨٦ - وما أنت إلا مثلنا من البشر، فكيف تأتينا النبوة، فجمعوا بين الوصفين لتكذيب الرسالة: البشر المسحور، وإنا نعتقد أنك كاذب.

١٨٧ - فإن كنت صادقاً في دعواك فأسقط علينا قطعاً من عذاب السماء.

١٨٨ - قال شعيب: ربي أعلم بما تعملون من المنكرات، ومجازيكم عليها، لا يخفى عليه شيء، ولست قادراً على إزلال شيء من العذاب بكم.

١٨٩ - فأصروا على تكذيبه، فأخذهم عذاب يوم الظلة: وهو السحاب الذي أظلمهم بعد حر شديد أصابهم، فاجتمعوا تحته، فأمرتهم ناراً وأحرقتهم جميعاً، إنه كان عذاب يوم عظيم.

١٩٠ - إن في قصة أصحاب الأيكة لعظة وعبرة للمعتبر، ولم يكن أكثر قوم شعيب مؤمنين بالله.

١٩١ - وإن ربك لهو القادر على الانتقام من أعدائه، الرحيم بأوليائه المؤمنين.

١٩٢ - وإن هذا القرآن لتنزيل رب العالمين.

١٩٣ - نزل به جبريل الأمين بوحى من الله.

١٩٤ - نزل به على قلبك أيها النبي؛ لأنه مركز الوعي والإدراك، لتحفظه ولا تنساه، لتكون من المنذرين من عصى الله بالعذاب.

١٩٥ - أنزله باللغة العربية الواضحة، لغة الرسول

العربي، لتلا يقول العرب: لا تفهم ما يقول بلسان آخر.

١٩٦ - وإن هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ مبشر به في كتب الأنبياء السابقين كالتروة والإنجيل.

١٩٧ - أو لم يكن مشركي مكة علامة دالة على صحة القرآن ونبوة محمد ﷺ: أن يعلم بيعة محمد علماء بني إسرائيل الذين آمنوا بحمد الله بن سلام وأمثاله.

١٩٨ - ولو نزلنا القرآن على بعض الأعاجم غير العرب. والأعجمي: كل من لا يفهم العرب كلامه.

١٩٩ - فقرأه على مشركي مكة قراءة عربية صحيحة بنحو معجز خارق للعادة، لم يؤمنوا به، لفرط عنادهم واستكبارهم. وبذلك تتوافر معجزتان: إعجاز القرآن في حد ذاته وإعجاز قراءته من أعجمي.

٢٠٠ - مثل إدخالنا التكذيب به والكفر، أدخلناه في قلوب المجرمين كفار مكة بقراءة النبي ﷺ، أي أن الكفر بخلق الله تعالى، والعبد مكتسب مختار له.

٢٠١ - لا يؤمنون بالقرآن حتى يروا العذاب المؤلم في الدنيا.

٢٠٢ - فأتيتهم العذاب فجأة، والحال أنهم لا يشعرون بآتياته.

٢٠٣ - فيقولوا عند مشاهدة العذاب: هل نحن مهملون لنؤمن ونعمل صالحاً؟ والمراد بالاستفهام هنا طلب ما بعده.

٢٠٤ - أيستعجلون عذابنا بقولهم: أسقط علينا حجارة من السماء أو قطعاً من السماء كما زعمت؟

٢٠٥، ٢٠٦ - أخبرني إن تركناهم يتمتعون بنعيم الدنيا سنين عديدة؟ ثم جاءهم من العذاب ما كانوا يوعدون به. ورثي النبي ﷺ كأنه متحير، فسالوه عن ذلك، فقال: ولم، ورأيت عدوي يكون من أمتي بعد؟ فنزلت هذه الآية وما بعدها، فطابت نفسه.

٢٠٧ - أي شيء أفادهم لدفع العذاب ما كانوا يتمتعون به في الدنيا؟ أو لم يقدمهم تمتعهم الطويل في دفع العذاب.

٢٠٨- وما أهلكنا من أهل قرية إلا بعد إرسال الرسل
للمنبرين، وإنزال الكتب.

٢٠٩- هذا الخبر تذكرة وعظة للناس في دار الدنيا، وما كنا
ظالمين في تعذيبهم بعد إنذارهم.

٢١٠- وما تنزلت الشياطين بهذا القرآن، خلافاً لما زعم
المشركون أنه إلقاء الشياطين على الكهنة.

٢١١- وما يصح وما يتسنى لهم أن ينتزلوا به، وما يقدر
على ذلك.

٢١٢- إنهم عن السمع لكلام الملائكة لمنوعون بالشهب
النارية، مرجومون بها.

٢١٣- فلا تدع أيها النبي مع الله إلهاً آخر، فتكون من
المعذنين. هذا التوجيه في الواقع للأمة، بدئاً به النبي ﷺ لأنه
القدرة، وللتبهيح والإلهاب، أي لو فعلت ذلك لعذبتك، فكيف
بغيرك؟

٢١٤- وخوف من عذاب الله عشيرتك الأقربين، الأقرب
منهم فالأقرب، وهم بنو هاشم وبنو المطلب، وخصوا بالإنذار
أولاً اهتماماً بشأنهم. لما نزلت دعوا النبي ﷺ قريشاً،
فاجتمعوا، فبدأ بالأقارب ثم عم، فحذرهم وأنذروهم. بدأ بأهل
بيته وفصيلته، فشق ذلك على المسلمين، فأنزل الله:
﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ [٢١٥].

٢١٥- وارفق وتواضع، وأظهر الحب والتكريم لمن اتبعك من
المؤمنين حقاً.

٢١٦- فإن عصاك قومك، فقل لهم: إني بريء مما تعملون
من الشرك بالله تعالى.

٢١٧- وفوض أيها النبي أمرك إلى الله القوي القادر على الانتقام من الكفار، الرحيم بالمؤمنين.

٢١٨- الذي يرك حين تقوم إلى الصلاة تدعوه وتتضرع إليه.

٢١٩- ويرى تنقلك من حال إلى حال في مراحل الصلاة قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً مع المصلين جماعة.

٢٢٠- إنه تعالى هو السميع لدعاك، المعلم ببيتك، فلا تجزع لشيء، فأت في رعاية الله تعالى.

٢٢١- هل أخبركم يا أهل مكة وأمثالكم على من تنزل الشياطين؟

٢٢٢- إنها تنزل على كل أفك (كذاب) كثير الإثم أو الذنب والفجور، والمراد: كل من كان كاهناً.

٢٢٣- الشياطين يصفون أشد الإصغاء إلى الملا الأعلى لاستراق شيء منهم، ثم يلقونه إلى الكهنة، ويكذبون في الأكثر، فكأكثرهم
الكاذبون فيما يقولون. ويحتمل أن يكون الضمير في «يلقون» عائداً إلى الكهنة، أي يكذبون؛ لأنهم يتلقون من الشياطين ما أكثره كذب
وزور من الظنون والأمارات.

٢٢٤- والشعراء الهجاءون يتبعهم الضالون غواة الناس؛ لأن أغلب ما يقوله الشعراء تخيلات لا حقيقة لها. قال ابن عباس: تهاجى
رجلان على عهد رسول الله ﷺ، أحدهما من الأنصار، والآخر من قوم آخرين، وكان مع كل واحد منهما غواة من قومه، وهم
السفهاء، فأنزل الله هذه الآية.

٢٢٥- ألم تر أن الشعراء في كل فن من فنون الكذب يخوضون ويتكلمون، فتارة يمدحون وتارة يهجون وتارة يأتون الخلاعة والمجون
كمدح الزنى واللواط والخمر. والهائم: هو الذي يسير بلا منهج ولا قصد إلى غرض معين.

٢٢٦- وأنهم يزعمون الفعل وهم كذبة في ذلك، ويكذبون في شعرهم كثيراً.

٢٢٧- إلا من اتصف بأربع صفات: وهي الإيمان بالله ورسوله، والعمل الصالح بامتنال الأوامر واجتناب النواهي، وذكر الله كثيراً في
أشعارهم، والانتصار لدينهم من بعد ظلم أعدائهم بهجو الكفار، كما كان يفعل شعراء النبي ﷺ مثل حسان بن ثابت بهجاء المشركين
والدفاع عن النبي والإسلام، وسيعلم الذين ظلموا أنفسهم من كذبة الشعراء والذين هجوا النبي ﷺ وأصحابه، أي مرجع سيء سيكون
مصيرهم إليه. والمنقلب: المرجع والمصير، ويتقلبون: يرجعون.

وَمَا أَهْلَكَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذَكَرْنِي وَمَا كَاظِمِينَ
﴿٢٠٩﴾ وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ
﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْرُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ
فَتَكُونَ مِنَ الْمَعذِبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾
وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ
فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾
الَّذِي يَرْبِكُ حِينَ تَقُومُونَ ﴿٢١٨﴾ وَقَتْلِبُكَ فِي السُّجُودِ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ
هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أَتَيْتُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾
نَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾
وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَمُسُونَ
﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا
وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مَنْقَلَبٍ يَنْصَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

سُورَةُ الشُّجَرَاءِ ﴿٢٦﴾

سورة النمل

فضلها: هذه السورة من الطواصين التي أعطيها النبي ﷺ مكان الزبور، كما تقدم في سورة الشعراء.

١- ط، سين، للتنبية والتحدي كما تقدم، هذه الآيات المذكورة في هذه السورة هي آيات القرآن العظيم، والكتاب الذي يوضح للناس ما فيه سعادتهم من أمور الدين والشريعة، ويظهر الحق من الباطل.

٢- وتلك آيات هادية إلى الحق والاستقامة، ومبشرة للمؤمنين بالجنة عند الطاعة.

٣- المؤمنون هم الذين يؤدون الصلاة في أوقاتها بأوصافها الشرعية التامة، ويؤتون الزكاة المفروضة للمستحقين، وهم يصدقون تصديقاً تاماً بالآخرة.

٤- إن الذين لا يصدقون بالبعث والحساب وهم الكفار، زيناً لهم أعمالهم السيئة حتى رأوها حسنة، وعاقبتهم على جرهم، فهم في ضلالهم يترددون.

٥- أولئك المنكرون لبعث لهم أشد العذاب في الدنيا كالقتل والأسر، وهم في الآخرة أشد الناس خسارة.

٦- وإنك أيها النبي لتلتقى وتعطى القرآن وحياً من لدن كثير الحكمة والعلم.

٧- اذكر أيها النبي حين قال موسى لاهرأته في مسيره من

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
طسُّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ۝ هُدًى وَبُشْرَى
لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيْنَاهُمْ
أَعْمَاهُمْ فَمَهْمُ يَعْمَهُونَ ۝ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ
وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ۝ وَإِنَّا لَنَلْقَى الْقُرْآنَ أَن مِّن
لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِيهِ إِنِّي آنستُ نَارًا
سَاءَ لَكُمْ مِمَّا تَعْبَثُونَ ۝ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ أَن تَصَلُّوا
فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسَخَّرَ اللَّهُ
رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ يَمْسُحُ اللَّهُ بِوَأْتِ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وَالْق
عَصَا أَفْعَفْنَا أَمَّا مُدْرِكًا أَجَانُودًا مُدْبِرًا وَرَبِّعًا يَمْسُحُ
لَاخْفَ إِنِّي لَأَخْفَى لَدَى الْمُرْسَلُونَ ۝ إِن لَّمْ يَظْمِمْ بَدَلًا حُسْنًا
بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي عَفُودٌ رَّحِيمٌ ۝ وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ فَمَرَجَّ بَضْءًا
مِّنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى الْعُجْرَيْنِ وَقَوْمِهِ إِذْ هُمْ كَانُوا قَوْمًا
فَاسِقِينَ ۝ فَلَمَّا جَاءَهُمْ آيَاتُنَا مِصْرَةَ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝

مدین إلى مصر: إني أبصرت ناراً من بعيد، سأتيكم منها بخبر يدلني على الطريق؛ لأنه قد أخطأه، أو آتاكم بشعلة من نار منها، لعلمكم تستدقون من البرد.

٨- فلما وصل موسى إلى موضع النار كما ظن، وهي في الواقع نور، نودي أو حوطف: أن بورك من في مكان النار أي بجوارها، ومن حولها، أي بارك الله موسى والبقعة المباركة من أرض الشام، وتنزه الله رب العالمين (الإنس والجن) عما لا يليق بأسمائه وصفاته، من كل سوء.

٩- يا موسى، إنه أنا الله ربك الذي يناديك، القوي القادر القاهر، الحكيم في صنعه قولاً وفعلاً.

١٠- وألقى عصاك من يدك، فلما ألقاها ورأها تتحرك مضطربة كما يتحرك الجنان، وهي حية خفيفة سريعة الحركة، ولئى (فر) موسى هارياً منها من شدة الخوف، ولم يرجع على عقبه، فقال الله تعالى: يا موسى، لا تخف من الحية، لا يخاف عندى المرسلون برسائلي من حية ونحوها، فلا تخف أنت.

١١- لكن الذي يخاف هو من ظلم نفسه أو غيره بالمعصية، ثم تاب من ذنبه وجعل العمل الحسن بدل السيء، فأقبل توبته، لأنى كثير المغفرة واسع الرحمة لمن تاب وأناب.

١٢- وأدخل يدك في فتحة القميص من جهة الرأس، تخرج ذات شعاع وإشراق خلاف لوننا الجلدي، من غير مرض أصابها كبرص ونحوه، وأيدتك بتسع معجزات: هي الطمس على الأموال، والطبع على القلوب، والجذب، والجراد، والمقمل (حشرة تصيب الزرع)، والدم (تحول الماء دماً)، والضفادع، والطوفان (الأمطار الكثيرة) ونقص الثمرات، مرسل بها إلى فرعون وقومه لدعوتهم إلى الإيمان بالله رباً واحداً لا شريك له، وإطاعة أوامره، إنهم كانوا قوماً خارجين عن الطاعة.

١٣- فلما جاءت فرعون وقومه آياتنا التسع بيّنة تدل على صحة نبوة موسى، قالوا: هذا الذي جاء به موسى سحر واضح.



١٤- وكذبوا بالآيات ولم يقرؤا بها حال كون أنفسهم متيقنة بها أنها من عند الله، ظلماً لأنفسهم وشركاء، وتكبراً وترفعاً عن الإيمان بها وبما جاء به موسى، فانظر أيها النبي وتأمل كيف كان عاقبة ومصير المفلسين في الأرض الجاحدين لرسالة موسى: وهو الإغراق في الدنيا، والإحراق في الآخرة.

١٥- ولقد أعطينا داود وسليمان علماً كثيراً هو علم الشريعة والقضاء بين الناس ومنطق الطير وغيره، فشكرا الله على فضله، وقالوا: الحمد لله الذي فضلنا وميزنا على كثير من عباده المؤمنين.

١٦- وورث سليمان من داود آية النبوة والعلم والمُلْك، وقال تحدثاً بنعمة الله: يا أيها الناس، علّمنا كلام الطير أي ما يقول الطير من خلال الأصوات المختلفة التي تختلف باختلاف أغراض الحيوان من خوف وطلب طعام ونحو ذلك، وأعطينا كل شيء نحتاج إليه في الدين والدنيا، كالنبوة والعلم والمال والطير والرياح والدواب، إن هذا المُعْطَى لهُوَ الْفَضْلُ الْبَيْنُ الظاهر.

١٧- وجمع لسليمان جنوده من أجناس الجن والإنس والطير، فهم يجمعون بإيقاف أولهم ليلحق به آخرهم، ثم يساقون. والوازع في الحرب: الموكل بالصفوف يرد من تقدم منهم، من الوزع: الكف والمنع.

١٨- حتى إذا أتى موكب سليمان على وادي النمل، قالت ملكة النمل حين رأت سليمان وجنوده: يا أيها النمل، ادخلوا مساكنكم - جعل خطاب النمل كخطاب العقلاء لفهما الخطاب - لئلا يطأكم سليمان وجنوده بالأرجل وحوافر الدواب، فيقتلوكم، وهم لا يشعرون بحظمكم، ولا يعلمون بكم، عدّرتهم قبل أن يفعلوا.

١٩- فتبسم سليمان - والتبسم: أول الضحك - ضاحكاً من قولها وتعجباً من فهمها، وقال: ربّ ألهمني أن أشكر نعمتك التي أنعمت بها علي وعلى والدي بأن أكون ملازماً لشركك، ووفقي أن أعمل صالحاً ترضاه تماماً للشكر، وأدخلني الجنة برحمتك مع جملة عبادك الصالحين من الأنبياء والمرسلين والأولياء.

٢٠- وتفقد سليمان الطير باحثاً، فلم يجد الهدهد بينها، فقال: ما لي لا أرى الهدهد؟ ظنّاً منه أنه حاضر محجوب عنه لسائر أو غيره، أم كان من الغائين. وأم: للانصراف عما قبله، والانتقال لما بعده.

٢١- لأعذبه عذاباً شديداً على غيابه من غير إذني، كتشف ريشه أو حبسه في قفص، أو لأذبحه ليكون عبرة لغيره، أو ليأتيني بحجة واضحة تسوخ عذره في الغياب.

٢٢- فبقي الهدهد غائباً زمناً يسيراً ثم عاد، فقال: اطلعتُ على ما لم تطلع عليه، والإحاطة بالشيء: العلم به من جميع جهاته، وجنتك من مدينة سبأ في اليمن بخبر مهم موثوق.

وَجَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا
وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلْنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ
﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنَظِقَ
الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَإِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾
وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ
يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ مَلَكَةٌ يَا أَيُّهَا
النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ
وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ
رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ
وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ
الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدُودَ
أَمْ كَانُ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لِأَعْذِبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذِيبَهُ
أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَكَتَبَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ
أَحْطَطْتُ بِمَا لَرِحْطٍ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾

٢٣- إني وجدت امرأة تحكمهم بصفة ملكة عليهم، هي بلقيس بنت شراحيل، وأعطيت من أسباب الدنيا كل ما يحتاج إليه الملك، من الآلة والعدة والجيش، ولها عرش (سرير الملك) عظيم بالنسبة لعروش أمثالها من الملوك.

٢٤- وجدتها وقومها يعبدون الشمس من دون الله، وزين لهم الشيطان عبادة الشمس وغيرها من الأعمال القبيحة، فرأوها حسنة، فصددهم عن طريق الحق والصواب، فهم لا يهتدون إليه.

٢٥- زين لهم الشيطان أعمالهم لثلاث يسجدوا لله، الذي يخرج أو يظهر المخبوء في السموات والأرض كإشراق الكواكب، وإنزال المطر، وإنبات النبات، وإظهار المعادن وغيرها من الأرزاق، ويعلم ما تسرون في قلوبكم، وما تظهرون بألسنتكم.

٢٦- الله الذي لا معبود بحق سواه، وهو رب العرش (الكرسي) العظيم؛ وخصه بالذكر لأنه أعظم المخلوقات، كما ثبت في الحديث المرفوع إلى النبي ﷺ. ونحن نؤمن به من غير تشبيه ولا تمثيل. ويطلب سجود التلاوة عند الفراغ من تلاوة العرش العظيم للقارئ والسامع المتطهرين.

إني وجدت امرأة تحكمهم وأوتيت من كل شيء وطسا عرش عظيم ﴿٢٣﴾ وجدتها وقومها يعبدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ﴿٢٤﴾ ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون ﴿٢٥﴾ الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم ﴿٢٦﴾ قال سنظروا صدقت أم كنت من الكاذبين ﴿٢٧﴾ أذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون ﴿٢٨﴾ قالت يا أيها الملوك إني إليكم كريم ﴿٢٩﴾ إني من سليمان وإني بسم الله الرحمن الرحيم ﴿٣٠﴾ ألا تعالوا على وأتوني مسلمين ﴿٣١﴾ قالت يا أيها الملوك أفتوني في أمري ما كنت فاطمة أمر آخني شهدةون ﴿٣٢﴾ قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والأممر إليك فانظري ماذا تأمرين ﴿٣٣﴾ قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون ﴿٣٤﴾ وإني مرسله إليهم بهديتة فاطرة يوم يرجع المرسلون ﴿٣٥﴾

٢٧- قال سليمان للهدد: سنظروا في خبرك، لتبين أصدقت فيما قلت أم كنت من الكاذبين؟ وفيه إرشاد إلى التوثق من الأخبار وكشف الحقائق.

٢٨- ثم كتب سليمان كتاباً وختمه بخاتمه، وقال للهدد: اذهب بكتابي هذا، فألقه إلى ملكتهم أهل سبا، ثم انصرف عنهم إلى مكان قريب، فانظر ماذا يردون من الجواب؟

٢٩- قالت بلقيس لأشرف قومها: يا أيها الخاصة والزعماء والأشرف: ألقى إلي كتاب مكرم محترم؛ لأنه محتوم بختم مرسله، وهو ملك عظيم.

٣٠- إن هذا الكتاب مرسل من سليمان بن داود، وإنه مبدوء ب: بسم الله الرحمن الرحيم.

٣١- مضمون الكتاب: ألا تعالوا ولا تتكبروا علي، وأتوني مسلمين، أي خاضعين متقادين لدين الله، مؤمنين بما جئت به.

٣٢- قالت بلقيس: يا أيها القادة والأشرف، أشيروا علي بالرأي في هذا الأمر، ما كنت مبرمة أمراً حتى تحضروا وتشيروا علي.

٣٣- قالوا في الجواب: نحن أصحاب قوة في السلاح والرجال، وأصحاب شدة وشجاعة في الحرب، والتدبير متروك لك فيما ترين، فانظري ماذا تأمرين به فنطيعك.

٣٤- قالت بلقيس: إن الملوك إذا دخلوا بلدة من البلاد أفسدوها بالتخريب، وأهانوا الأشرف وجعلوهم أذلاء بالقتل والتشريد، ومثل ذلك يفعلون بنا إن تغلبوا علينا.

٣٥- وإني مرسله إلى سليمان وجنوده بهدية، أختبرهم بها، فممتطرة بم يرجع به رسلي المرسلون من قبول الهدية أو ردها، فإن كان ملكاً قبلها، وإن كان نبياً ردها، ولم يرض منا إلا اتباع دينه.



فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالِ آدَمَ إِنَّنِي أَنزَلْتُهُ خَيْرٌ مِّمَّا
 ءَاتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ يَهْتَدُونَ بِكُمْ قَرَحُونَ ﴿٣٦﴾ أَرَجِعْ إِلَيْهِمْ فَلْيَأْتِنَهُمْ
 بِخُودٍ لِأَقْبَلْ لَهُمْهَا وَتَخْرِجَهُمْ مِنْهَا أَدْلَهُ وَهُوَ صَافِرُونَ ﴿٣٧﴾
 قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ الْأَيْمُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ يُبْغُونَ يَا أَيُّهَا الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾
 قَالَ عِفْرِيثُ مِنَ الْجِنِّ أَنَاءَ أَنْبِيَاكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي
 عَلَيْهِ لَقَوِي أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا
 ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ
 قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا
 يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ حَرْبِي عَنِّي كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ كَبُرَ الْهَذَا
 عَرَشَهَا نَظَرْتُ أَنه تَدْبِي أَمْ كُنُ مِنْ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا
 جَاءَتْ قِيلَ قِيلَ هَذَا عَرَشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأَوْسِنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا
 وَكَمَا سُلَيْمَانَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا
 كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ
 لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُرْدٌ مِنْ قَوَارِيرٍ قَالَتْ رَبِّ
 إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾

٣٦- فلما جاء رسول بلقيس بالهدية إلى سليمان، قال: أترقدوني بالمال استرضاء لأترككم وشركم؟ فما أعطاني الله من النبوة والملك والمال الوفير خير وأفضل مما آتاكم وأعطاكم من الدنيا وزينتها، بل أنتم تفرحون بالهدية؛ لأنكم أهل دنيا. و (أتمدوني) استفهام توبيخي، أي هل يصح أن تعطوني مالاً؟ و ﴿بل﴾ للانتقال من موضوع لآخر.

٣٧- ارجع أيها الرسول لقومك بهديتهم، فلنأتينهم بجنود لا طاقة لهم بها، ولنخرجهم من بلدكم سباً أذلة بتجريدهم من عزتهم وملكهم، وهم خاضعون أسرى مهانون.

٣٨- قال سليمان حينما علم بقدوم بلقيس وقومها إليه: يا أيها القادة، أيكم يأتيني بعرش بلقيس، قبل أن يأتي القوم خاضعين طائعين. أراد بذلك أن يريها بعض العجائب الدالة على النبوة.

٣٩- قال مارد قوي من الجن: أنا أتيك بعرشها قبل أن تقوم من مجلسك في القضاء بين الناس في ضحوة الغد إلى نصف النهار، وإني لقوي على حملي، أمين على ما فيه.

٤٠- قال أحد علماء الكتاب الإلهي وهو من الصلحاء واسمه آصف بن برخيا، من بني إسرائيل: أنا أتيك بالعرش قبل أن يرجع إليك بصرك في لمحة بصر، أي قبل أن تطبق جفن العين الأعلى على الأسفل، وهو كناية عن السرعة الفائقة، فلما رأى سليمان العرش قائماً أمامه، قال: هذا من فضل ربي علي، ليختبرني أشكره بالإقرار بإحسانه، أم أجدد الفضل بنسبته إلي وترك الشكر على النعمة، ومن شكر نعمة الله عليه، فإنما ثواب شكره لنفسه، ومن جحد النعمة ولم يشكرها، فإن ربي غني عن شكره، متفضل عليه بالإنعام. ولعل هذا الموقف من أعظم الاختبارات، وأنه أبلغ درس في الشكر لله المنعم.

٤١- قال سليمان لأتباعه: غيروا لها بعض أجزاء عرشها ومظاهرها بزيادة أو نقص وغير ذلك ليصبح غريباً غير معروف لديها، لنختبر عقلها، أنهتدي إلى معرفته، أم تكون من الذين لا يهتدون إلى معرفته، وما طرأ عليه من تعديلات.

٤٢- فلما جاءت بلقيس قيل لها: أمثل هذا عرشك؟ قالت: كأنه هو بذاته، فعرفته، فقال سليمان بعد إصابتها في الجواب وإظهار رجحان عقلها وعلمها: وأوتينا العلم بقدرة الله تعالى من قبل علم بلقيس، وكنا متقادين لحكم الله.

٤٣- ومنعها عن إظهار الإيمان وعبادة الله: عبادتها الشمس من غير الله، فهي من قوم كافرين لا يؤمنون بوجود الله.

٤٤- قيل لها: ادخلي القصر أو كل بناء مرتفع، سواء أكان قصراً أم غيره، فلما رأت ساحته وطرقه، فظنته ماء كثيراً كالبحر، وكشفت عن ساقها لتخوض فيه، قال سليمان: إنه بناء أملس مصنوع من زجاج، وليس بحراً، ثم دعاها إلى الإسلام، فقالت: رب إني ظلمت نفسي بعبادة غيرك، وأسلمت لك متقادة موحدة، أي خضعت، كائنة في هذا التوحيد مع سليمان، في انقياده لله رب العالمين. أخرج ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم عن ابن عباس أن سليمان تزوجها بعد ذلك. قال الشوكاني: والأرجح أن زواجه من أخبار أهل الكتاب التي لا تصدق ولا تكذب.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِهِمُ الْمُرْسَلِينَ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ بِهِ شُرَكَاءَ ۚ وَاعْبُدُوا اللَّهَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ يَخْتَارُ ۚ
 ٤٥. وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِهِمُ الْمُرْسَلِينَ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ بِهِ شُرَكَاءَ ۚ وَاعْبُدُوا اللَّهَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ يَخْتَارُ ۚ
 وَاعْبُدُوا اللَّهَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ يَخْتَارُ ۚ
 ٤٦. قَالَ صَالِحٌ لِمَنْ كَذَبَهُ: لِمَ تَتَعَلَّجُونَ بِالْعَذَابِ قَبْلَ الرَّحْمَةِ، هَلَا تَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ مِنَ الشَّرْكِ وَتَطْلُبُونَ الْمَغْفِرَةَ مِنَ الْكُفْرِ، كَيْ يَرْحَمَكُمُ اللَّهُ فَلَا يُعَذِّبَكُمُ.
 ٤٧. قَالُوا لَهُ: تَشَاءُ مِنَّا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ عَنِ الدُّخْلِ فِي دِينِكَ وَأَمْنٍ بِكَ، قَالَ لَهُمْ صَالِحٌ: شَوْكُمْ يَأْتِيكُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ بِيَدِهِ، لَا مِنْ عِنْدِ الطَّيْرِ الَّذِي تَتَشَاءُ مَوْنٌ بِهِ، بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَمْتَحِنُونَ وَتَخْتَبِرُونَ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ.
 ٤٨. وَكَانَ فِي مَدِينَةِ صَالِحٍ وَهِيَ الْحِجْرُ تِسْعَةُ رِجَالٍ مِنْ أَبْنَاءِ التَّرَفِّ وَالشَّرَفِ، يَفْسُدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يَصْلِحُونَ شَأْنَهُمْ، وَقَدْ اتَّفَقُوا عَلَى قَتْلِ صَالِحٍ وَعَقْرِ النَّاقَةِ.
 ٤٩. قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: احْلِفُوا بِاللَّهِ، لَنَأْتِيَنَّ صَالِحًا وَأَهْلَ بَيْتِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِهَ بَغْتَةً فِي اللَّيْلِ، فَنَقْتُلُهُمْ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِقُرْبَيْهِ الْعَصَبَةَ الْمَطَالِبَ بِدَمِهِ: مَا حَضَرْنَا مَكَانَ هَلَاكِ أَهْلِهِ وَلَا نَدْرِي مَنْ قَتَلَهُمْ، فَلَا نَعْلَمُ هَلَاكَهُ هُوَ نَفْسُهُ، وَإِنَّا لَصَادِقُونَ فِي قَوْلِنَا هَذَا.
 ٥٠. وَدَبَّرُوا أُمَّرًا فِي الْخِفَاءِ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ وَالتَّوَاطُؤِ عَلَى الْاِغْتِيَالِ، وَجَازَيْنَاهُمْ بِتَعْجِيلِ عِقَابِهِمْ وَإِهْلَاكِهِمْ، وَهَمْ لَا يَشْعُرُونَ بِذَلِكَ.
 ٥١. فَانظُرْ أَيُّهَا النَّبِيُّ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ تَأْمُرِهِمْ أَوْ مَكْرِهِمْ: أَنَا دَمَرْنَا الرَّهْطَ التَّسْعَةَ الْمَذْكُورِينَ، وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ، فَأَهْلَكْنَاهُمْ جَمِيعًا بِالصَّبْحَةِ: صَبْحَةَ جَبْرِيلَ، وَالِقَاءَ الْمَلَأَكَةِ حِجَارَةَ عَلَيْهِمْ.
 ٥٢. فَتَلَكُ بِيُوتُهُمُ الَّتِي بَقِيَتْ أَثَارُهَا خَالِيَةً عَنْ أَهْلِهَا، خَرَابًا مَتَهْدَمَةً، بِسَبَبِ ظَلْمِهِمْ وَكُفْرِهِمْ، إِنْ فِي ذَلِكَ التَّدْمِيرِ لَعِبْرَةٌ وَعِظَةٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ قُدْرَتَنَا، فَيَتَعَلَّظُونَ.
 ٥٣. - وَأَنْجَيْنَا صَالِحًا وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَخَافُونَ عَذَابَ اللَّهِ، وَيَتَّقُونَ الشَّرْكَ وَالْمَعَاصِيَ.
 ٥٤. - وَاذْكُرْ أَيُّهَا النَّبِيُّ لَوْطًا حِينَ قَالَ لِقَوْمِهِ: أَنْتُمْ تَأْتُونَ فَاحِشَةَ اللُّوَاطِ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ فَحِشَتَهَا، وَلَا تَسْتَتِرُونَ حَالَ تَعَاظِيهَا اسْتِهْتَارًا بِالْفَضِيلَةِ وَقِلَّةِ حَيَاءٍ.
 ٥٥. - أَنْتُمْ مَعْشَرَ الْقَوْمِ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً عَارِمَةً غَيْرَ مَفِيدَةٍ؛ لِأَنَّ الْقَصْدَ الْمَعْتَادَ هُوَ طَلَبُ النَّسْلِ، لَا قِضَاءَ الشَّهْوَةِ، مِنْ غَيْرِ النِّسَاءِ اللَّاتِي خَلَقَهُنَّ اللَّهُ لِذَلِكَ مِنْ طَرِيقِ الزَّوْاجِ، بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ شِئْنَ هَذِهِ الْفَاحِشَةِ، وَالْعَقُوبَةَ الشَّدِيدَةَ عَلَيْهَا.

٤٥. ولقد أرسلنا إلى قومه المرسلين أن اعبدوا الله ما لكم به شركاء. والعبدوا الله يخلق ما يشاء. والله يختار.

٤٦. قال صالح لمن كذبه: لم تتعجلون بالعذاب قبل الرحمة، هل تسيبون إلى الله من الشرك وتطلبون المغفرة من الكفر، كي يرحمكم الله فلا يعذبكم.

٤٧. قالوا له: تشاء منا بك وبمن معك عن دخل في دينك وأمن بك، قال لهم صالح: شؤمكم يأتيكم من عند الله، فالخير والشر بيده، لا من عند الطير الذي تتشاءمون به، بل أنتم قوم تمتحنون وتختبرون بالخير والشر.

٤٨. وكان في مدينة صالح وهي الحجر تسعة رجال من أبناء الترف والشرف، يفسدون في الأرض ولا يصلحون شأنهم، وقد اتفقوا على قتل صالح وعقر الناقة.

٤٩. قال بعضهم لبعض: احلفوا بالله، لنأتين صالحاً وأهل بيته المؤمنين به بغتة في الليل، فنقتلهم ثم لنقولن لقربيه العصبة المطالب بدمه: ما حضرنا مكان هلاك أهله ولا ندري من قتلهم، فلا نعلم هلاكه هو نفسه، وإننا لصادقون في قولنا هذا.

٥٠. ودبروا أمراً في الخفاء بهذه الطريقة والتواطؤ على الاغتتيال، وجازيناهم بتعجيل عقوبتهم وإهلاكهم، وهم لا يشعرون بذلك.

٥١. فانظر أيها النبي كيف كان عاقبة تأمرهم أو مكرهم: أنا دمروا الرهط التسعة المذكورين، وقومهم أجمعين، فأهلكناهم جميعاً بالصبح: صبح جبريل، واللقاء الملائكة حجارة عليهم.

٥٢. فتلك بيوتهم التي بقيت آثارها خالية عن أهلها، خراباً متهدمة، بسبب ظلمهم وكفرهم، إن في ذلك التدمير لعبرة وعظة لقوم يعلمون قدرتنا، فيتعتظون.

٥٣. - وأنجيننا صالحاً والمؤمنين به الذين كانوا يخافون عذاب الله، ويتقون الشرك والمعاصي.

٥٤. - واذكر أيها النبي لوطاً حين قال لقومه: أتأتون فاحشة اللواط، وأنتم تعلمون فحشها، ولا تستترون حال تعاطيها استهتاراً بالفضيلة وقلة حياء.

٥٥. - أنتم معشر القوم لتأتون الرجال شهوة عارمة غير مفيدة؛ لأن القصد المعتاد هو طلب النسل، لا قضاء الشهوة، من غير النساء اللاتي خلقهن الله لذلك من طريق الزواج، بل أنتم قوم تجهلون شناعة هذه الفاحشة، والعقوبة الشديدة عليها.



٥٦. فما كان جواب قوم لوط إلا أن قال بعضهم لبعض: أخرجوا أهل لوط من بلدتكم، إنهم أناس يزهون أنفسهم عن أفعالنا، ولا يقروننا على صنيعنا. قالوا ذلك استهزاء وتهكماً.

٥٧. فأجبتنا لوطاً وأهله المؤمنين من العذاب إلا أمراته حكمتنا أنها من الباقيين في العذاب.

٥٨. وأمطرنا عليهم حجارة من السماء، فأهلكناهم به، فبئس مطر القوم الذين أنذرتهم رسولهم بعقاب الله على معاصيهم، فرفضوا.

٥٩. قل أيها النبي: الحمد لله الذي وفقنا للهداية، وأهلك الكفار الفجار من الأمم الخالية، وسلام على عباده الذين اختارهم للنبوّة وهم الأنبياء صفوة البشرية وأتباعهم، هل توحيد الله وطاعته وثوابه خير، أم شرك المشركين مع الله الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع؟ وكلمة ﴿الله﴾ بالمد أصلها الله، أي هل الله خير؟ أو الذين يشركونه معه؟

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ
لُوطٌ مِّن قَوْمِهِمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَبْطِغُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَجَبْنَاهُ
وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ قَدَّرْنَا لَهَا مِنَ الْغَدِيرِ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا
عَلَيْهِمْ مَطْرًا فَمَا سَاءَ مَطْرَ الْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ
عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ؕ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾
أَمْنَ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ
أَنْ تُنْبِتُوا شَيْئَهَا ؕ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ بَلِّغُكُمْ قَوْمَ بَعْدَ لُوطٍ ﴿٦٠﴾
أَمْنَ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خَلْقَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا
رَوَابِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ؕ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ بَلِّغُكُمْ
أَنْ تَعْلَمُوا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمْنَ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ
وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيُعَلِّمُ الْخَلْقَ الْأَرْضِ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ
مَعَ اللَّهِ فَيَلِي مَا تَدْعُونَ ﴿٦٢﴾ أَمْنَ يَهْدِيكُمْ فِي
ظُلُمَاتٍ لَّيْلٍ وَنَهَارٍ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بُشْرًا يَنْبِئُ بِكَ دُبُرِ
رَحْمَتِهِ ؕ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٣﴾

٦٠. وهل ألهمتكم خير أو خالق السموات

والأرض، ومنزل المطر من السحاب جهة السماء، فأجبتنا لكم بالمطر بساتين- والحديقة: بستان لها حائط- ذات حسن ورونق، ما كان للبشر ولا يتهيأ لهم ولا يقدر على إنبات الشجر في الحدائق لعجزهم عن ذلك، أيصح أن يجعل إله يقرب مع الله ويتخذ شريكاً، وهو الخالق المكون؟ بل هؤلاء المشركون قوم يبعدون عن الصواب وينحرفون عن الحق وهو التوحيد، فيشركون بالله غيره.

٦١. هل ألهمتكم خير أو الذي جعل الأرض مكاناً يستقر عليه الناس، وجعل وسطها أنهاراً جارية، وجعل لها جبالاً ثابتة، وجعل بين البحرين: العذب والملح حاجزاً فاصلاً بينهما حتى لا يختلط أحدهما بالآخر، إله آخر معبود مع الله؟ بل أكثر الناس لا يعلمون الحق وهو التوحيد، يشركون به إلهاً آخر.

٦٢. هل ألهمتكم خير أو الله الذي يجيب المكروب المجهود الواقع في شدة، الذي لا قدرة له، فيلجأ إلى التضرع، ويرفع السوء (الضرر) عنه، ويجعلكم سكان الأرض يخلف بعضكم بعضاً؟ إله آخر معبود مع الله الذي يفعل ذلك؟ كلا، بل قليلاً ما يتعظون ويرجعون إلى الحق: وهو الإقرار بنعم الله وتخصيصه بالعبادة.

٦٣. هل ألهمتكم خير أو الذي يرشدكم إلى مقاصدكم في ظلمات الليل برأ وبعراً بالنجوم ليلاً إذا أخطأتم الطريق، والذي يرسل الرياح بمبشرات بالخير أمام المطر، إله معبود مع الله يفعل ذلك؟ كلا، تعاطم وتتره الله عما ينسبون له من الشركاء.

أَمَّنْ بَدَّدُوا الطَّلَقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكَ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
 أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾
 قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا
 يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلْ أَدْرَكَ عَلِيمُهُ فِي الْآخِرَةِ بَلَّغُكُمْ
 فِي شَيْءٍ مِنْهَا بَلَّغُكُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 أَهَذَا كَذَابٌ بَدِيعٌ وَأَبَاؤُنَا أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ وَعَدْنَا
 هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٧﴾
 قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
 الْأُمَّمِينَ ﴿٦٨﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٦٩﴾
 وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧٠﴾ قُلْ
 عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدْفٌ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي سْتَجِلُّونَ ﴿٧١﴾ وَإِنْ
 رَبُّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٢﴾
 وَإِنْ رَبُّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٣﴾ وَمِمَّنْ
 عَابَتِهِ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كَثِيرٍ مُبِينٍ ﴿٧٤﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا قُرْآنٌ
 يَفْصَحُ عَلَى نَبِيِّ إِسْرَائِيلَ بَلَّغُكُمْ مِنَ الَّذِي كَرِهْتُمْ لِيَخْتَلِفُونَ ﴿٧٥﴾

٦٤- هل آلهتكم خير أو الذي خلق الخلق ثم يميتهم ثم يحييهم بالبعث يوم القيامة، ومن يرزقكم رزقاً طيباً من السماء بالمطر، والأرض بإنبات النبات وإخراج الثمار وإيجاد الأنعام، إله معبود مع الله يخلق ويرزق؟ قل أيها النبي لهؤلاء المشركين: قدموا حججتكم على أن غير الله يقدر على شيء من ذلك إن كنتم صادقين في إشرائكم.

٦٥- قل أيها النبي: لا يعلم أحد من أهل السموات والأرض الغيب الذي غاب علمه عن الخلق إلا الله وحده، فهو الذي يعلم، ولا يشعر البشر متى ينشرون أو يبعثون من قبورهم للحساب والجزاء.

٦٦- بل أتتسابع وتلاحق وتكامل علم هؤلاء في الآخرة، بل هم في الحقيقة في شك وحيرة عظيمة من حصول القيامة، بل هم قوم عمي القلوب عنها، فلا يدركون دلائلها لاختلال بصائرهم التي يدركون بها الأشياء. و ﴿بل﴾ حرف للانتقال من حال إلى حال. والمراد: لم يتكامل لديهم أسباب علمهم من الحجج والبيانات على أن القيامة كائنة لا محالة.

٦٧- وقال الذين كفروا بالله واليوم الآخر: أنذا صرنا وأبائنا تراباً، أنخرج من قبورنا أحياء للحساب والجزاء؟

٦٨- لقد وعدنا بالبعث نحن وأبائنا من قبل وعد محمد به، فلم يتحقق شيء، ما هذا الذي تخوفنا به من البعث إلا أكاذيب وأباطيل الأقدمين فيما سطره في الكتب.

٦٩- قل أيها النبي لمنكري البعث: امشوا في الأرض وشاهدوا آثار السابقين، فانظروا نظرة تأمل وتفكر، كيف كان مصير الذين أجزوا، وكذبوا بالبعث، وبما جاءت به الأنبياء.

٧٠- ولا تحزن أيها النبي على تكذيبهم لك، وإنكارهم البعث والرسالة، ولا تكن في ضيق أو انقباض صدر مما ترى من مكروهم بك وكيدهم لك، فالله عاصمك وحافظك وناصرك عليهم.

٧١- ويقول الكفرة المكذبون: متى وعد العذاب إن كنتم صادقين في هذا الوعد؟

٧٢- قل لهم أيها الرسول: عسى أن يكون قرب بكم بعض العذاب الذي تتعجلون وقوعه في الدنيا، وعذاب الآخرة الأشد أت أيضاً لا شك فيه. وعسى ولعل وسوف من الله تفيد القطع بحصول ما بعدها.

٧٣- وإن ربك لصاحب فضل كبير على الناس بالإنعام المستمر عليهم ويتأخير العذاب عنهم، ولكن أكثرهم لا يشكرون فضله وإنعامه.

٧٤- وإن ربك أيها الرسول ليعلم ما تخفيه صدورهم من أسرار، وما يظهرون بالستهم من أقوال.

٧٥- وما من شيء خفي في غاية الخفاء في السماء والأرض إلا مدون في كتاب بين وهو اللوح المحفوظ، فكيف يخفى عليه شيء من ذلك؟ والغائبة: كل ما أخفى الله وغيبه عن خلقه. و ﴿من﴾ حرف تفيد عموم ما بعدها.

٧٦- إن هذا القرآن المنزل عليك أيها الرسول يبين لبني إسرائيل المعاصرين للنبي أكثر الأشياء التي يختلفون فيها من الحق كالتشبيه والتنزيه وأحوال الجنة والنار وعزير المسيح.

٧٧- وإن هذا القرآن لهداية للناس من الضلالة، ورحمة للمؤمنين من العذاب .

٧٨- إن ربك يقضي بين المختلفين من بني إسرائيل وغيرهم بحكمه الحق والعدل، فيعاقب البطل، ويكافئ المحسن، وهو سبحانه القوي القادر الذي لا يغلب، والعليم بأحوال خلقه .

٧٩- ففوض أمرك إلى الله وثق به ولا تبال بمعاداتهم، إنك على الدين الظاهر كونه حقاً .

٨٠- إنك أيها الرسول لا تسمع دعوتك الكفار الذين هم كالموتى الذين لا حس لهم، وكالصم الذين لا يسمعون شيئاً إذا عرضوا عن دعوة الحق والإيمان فارين منهزمين مبالغين في الإعراض .

٨١- ولست بوسعك بمرشد عمي القلوب والبصائر ومخرجهم من ضلالتهم إلى نور الحق والإيمان، فما تسمع إلا من يصدّق بالقرآن، فهم متقادون لأمر ربهم، مخلصون لله بتوحيده وطاعته .

٨٢- وإذا قرب حصول مضمون القول أي الكلام الإلهي الدال على وعيد الكفار، وحق العذاب الموعود به يوم القيامة، أخرجنا لهم دابة حية تدب على الأرض وهي الجساسة، الله أعلم بأوصافها، تخبرهم أن أكثر الناس كانوا آيات الله الدالة على

وَأَنَّهُ هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ لَمَوْتِي وَلَا تَسْمَعُ الدَّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَأْدِبِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمِّيِّ عَن صَلَاتِهِمْ إِنَّ تَسْمَعُ الْإِمْنَ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْمِلُونَ ﴿٨١﴾ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يَكْذِبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ قَالَ أَكُنْتُمْ بِآيَاتِي أَعْتَدُوا وَإِنِّي وَلِيُّكُمْ فَلَا تَصْطَلُونِ ﴿٨٤﴾ وَأَوْفَىٰ بِوَعْدِهِمْ إِذَا نَسُوا ﴿٨٥﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْظِقُونَ ﴿٨٦﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آيَةَ الْبَيْتِ لَيْسَ كُوفٍ فِيهِ وَالنَّهَارُ مُبْصِرٌ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٧﴾ وَيَوْمَ نُنْفِخُ فِي الصُّورِ فَتَسْمَعُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوَةٍ ذَلِيزِينَ ﴿٨٨﴾ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدًا وَهِيَ غَمْرٌ مِّمَّا تَحَابَّبَ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْشَأَ كُلَّ شَيْءٍ وَإِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٩﴾

مجيء الساعة لا يؤمنون بها. والمراد بالآيات: الآيات المنزلة في الكتب السماوية، والآيات الكونية الدالة على وجود الله ووحدانيته وصدق رسله .

٨٣- واذكر أيها النبي يوم تجتمع يوم القيامة من كل أمة جماعة ممن يكذب بآياتنا من الكتب والرسول، وهم الرؤساء المتبوعون، فهم يجمعون، يجمع أولهم ليلحق بهم آخرهم، ثم يساقون إلى موقف الحشر .

٨٤- حتى إذا حضروا إلى موقف الحساب قال الله: أكذبتكم بآياتي المنزلة على رسلي، ولم تعلموها وتعرفوا معانيها ودلالاتها، بل كذبت بها، أم أي شيء كنتم تعملون بعد ذلك، فلم تفكروا وتعملوا بها؟! .

٨٥- وحق بهم العذاب بسبب ظلمهم وهو الشرك والتكذيب بآيات الله تعالى، فهم لا يتكلمون باعتذار عند العذاب .

٨٦- ألم يعلم هؤلاء المكذبون بآياتنا أننا جعلنا الليل المظلم للسكون والاستقرار والنوم، والنهار المضيئ للعمل والمعاش وكسب الرزق، إن في ذلك لدلالات واضحات على قدرة الله وتوحيده لقوم يصدقون بالله ورسله .

٨٧- واذكر أيها النبي يوم ينفخ في البوق النفخة الأولى من إسرائيل، فخاف أشد الخوف المفضي إلى الموت جميع من في السموات والأرض إلا من شاء الله ألا ينفخ وهم الشهداء الأحياء عند ربهم يرزقون، وكل الخلاق ممن فزع أو لم ينفخ حضروا موقف الحساب بعد النفخة الثانية صاغرين خاضعين، فالنفخة الأولى للإماتة، والثانية للبعث والإحياء .

٨٨- وترى الجبال تظنها ثابتة في مواضعها وقت النفخة يوم القيامة، وهي تسير بسرعة كبير السحاب، صنع الله ذلك صنعاً، وهو الذي أحكم خلق كل شيء، على ما ينبغي من تمام الإتيان، إنه خبير بما تفعلون من خير أو شر، فمجازيكم عليه، والخبير: المطلع على الظواهر والضمائر .

مِنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُرْمٌ مِّنْ فَرْحٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴿٨٩﴾
 وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكَيْتٌ وَسُجُوهٌ فِي النَّارِ هَلْ يُخْرَجُونَ
 إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا أَمْرٌ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدِ
 الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
 ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَسْأَلُوا الْقُرْآنَ أَنْ يَهْتَدِي بِتِلْكَ الْأَمْثِلِ لِتُنصَبَ
 وَمَنْ صَلَّى فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ
 سِيرِكُمْ ءَايَاتِهِ فَعَرَفُونَهَا وَمَا رَبَّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 طَسَّرَ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ سَأَلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى
 وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ
 أَهْلَهَا شِيْعًا أَنْ يَضْعِفَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يُذِيعُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي
 نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ
 اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾

٨٩- من جاء بالحسنة الحسنة وهي الإيمان والعمل الصالح، فله ثواب أفضل منها أضعافاً مضاعفة، وهم آمنون يوم القيامة من الفرع الأكبر، لرعاية الله لهم.

٩٠- ومن جاء بالحسنة السيئة وهي الإشراك بالله والمعاصي، فآلقوا بعنف على وجوههم في النار، والمراد جميع أجسامهم، واقتصر على ذكر الوجه لأنه أشرف الأعضاء، لا تجزون إلا جزاء ما كنتم تعملون من الشرك والمعاصي. والاستفهام للتبكي.

٩١- قل أيها النبي: إنما أمرت أن أخص بعبادتي رب هذه البلدة: مكة التي جعلها الله حراماً آمناً، لا يسفك فيها دم، ولا يظلم فيها أحد، ولا يعضد شجرها، ولا ينقر صيدها، وأمرت أن أكون من المتقادين لأمر الله، المخلصين له العبادة.

٩٢- وأمرت أن أتلو القرآن الداعي إلى الإيمان بالله وطاعته، فمن اهتدى للإيمان والعمل بالقرآن، فإنما نفع الهداية لنفسه، ومن ضل بالكفر، وأعرض عن الهدى وأخطأ الطريق إليه، فقل أيها الرسول: إنما أنا من المخوفين من عذاب الله من عصاه.

٩٣- وقل أيها الرسول: الحمد لله على ما أنعم علي من نعمة النبوة والعلم والعمل بما يرضي الله، سيريكم أيها الكفار آياته القاهرة في الدنيا كوقعة بدر، أو في الآخرة التي تجعلكم، وما ربك بغافل عن أعمالكم، بل هو مطلع عليها، ولكنه يجهل ولا يهمل.

سورة القصص

فضلها: هي من الطواسين التي حلت محل الزبور، كما جاء في أوائل سورة الشعراء.

١- ط، سين، ميم، للتبني والتحدي وبيان إعجاز القرآن الكريم باللغة العربية كما بينا فيما سبق ذلك في السورة المقدمة.

٢- تلك الآيات المذكورة في هذه السورة هي آيات القرآن الواضح، المبين الحق من الباطل، والشرائع والأحكام.

٣- نقص عليك أيها النبي من خبر موسى وفرعون قصصاً بالحق، ليكون ما فيها من الصدق والأصالة هداية للمؤمنين، وخصوا بالذكر؛ لأنهم المتفتنون به.

٤- إن فرعون تكبر وتجب في أرض مصر، وادعى الربوبية، واستعبد أهلها، يجعل طائفة هم بنو إسرائيل ضعفاء مقهورين، يذبح أبناءهم، ويترك البنات أحياء للخدمة والمتعة، إن فرعون كان من عتاة المفسدين بالقتل والتكبر والاستعبد.

٥- ونريد أن ننعم على المستضعفين في أرض مصر، ونجعلهم قادة في الخير ودعاة إليه، ونجعلهم وارثين للأرض المقدسة في زمانهم وهي أرض مصر وبيت المقدس، وراثة الملك والقوة والسلطة.

٦- ويجعل لهم في تلك الأرض مكنة أو مكاناً يستقرون فيه، وسلطة، ونري فرعون ووزيره هامان وجنودهما من أولئك المستضعفين ما كانوا يخشون من بني إسرائيل، من زوال ملكهم، وهلاكهم، على يد رجل منهم.

٧- وألهمنا أم موسى برويا صادقة حين ولدتها أن ترضعه، فإذا خفت عليه من فرعون بأن يحس به أحد، فيبلغه، فألقيه في البحر وهو هنا نهر النيل، ولا تخافي عليه من الهلاك، ولا تخزي لرفاقه، إنا رادوه إليك عن قريب، وجاعلوه من الأنبياء المرسلين. اشتملت الآية على أمرين ونهيين، وخبرين بشارتين في إيجاز محكم يدل على قمة البلاغة والفصاحة والإعجاز.

٨- فالتقط تابوت الطفل موسى آل فرعون من البحر صبيحة ليل، ليصير لهم عدواً ومحزناً أو مصدر حزن. واللام لام العاقبة (أو الصيرورة) أي لتكون عاقبة التقاطهم له أنه يصير عدواً لهم، والمحزن: المحزن أي سبب حزن، والمحزن: الغم- إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا آثمين.

٩- وقالت امرأة فرعون المؤمنة وهي آسية، التي هي من نسل ملك مصر أيام يوسف عليه السلام حين هم فرعون يقتله: إن هذا الطفل مصدر سرور وسعادة لي ولك، لا تقتلوه، عسى أن ينفعنا في كبره، فإن فيه أمارات النجاة والخير، أو نتخذه ولدًا بالتبني. وكانت لا تلد. والحال أنهم لا يشعرون بعاقبة أمرهم معه وهلاكهم على يديه.

١٠- وأصبح فؤاد أم موسى خالياً من كل المشاغل إلا الاهتمام بولدها موسى حين سمعت بالتقاط آل فرعون له، وكادت تصرح بأنه ابنها من شدة وجدها وحزنها وخوفها عليه، لولا أن قوتنا قلبها بالصبر، وثبتناها، لتكون من المصدقين بوعد الله برده إليها.

١١- وقالت أم موسى لأخته: اقتفي أثره وتتبعي خبره حتى تعلمي مصيره، فأبصرته عن بُعد اختلاصاً، وهم لا يشعرون أنها أخته.

١٢- ومنعناه من قبول الرضاع من أي مرضعة، من قبل رده إلى أمه، فقالت عندئذ: هل أدلكم على أهل بيت يتعهدون إرضاعه والقيام بشؤونه لأجلكم، وهم مخلصون في خدمته وإرضاعه وتربيته.

١٣- فأعذناه إلى أمه كي تسعد بولدها، ولا تخزن على فراقه، ولتعلم علم مشاهدة أن وعد الله برد ولدها إليها حق ثابت وصدق مؤكد، ولكن أكثر الناس لا يعلمون بأن وعد الله حق منجز.

وَمَكَرَ لَهَا فِي الْأَرْضِ وَنَرَى فِرْعَوْنَ وَهَلْمُنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمَا كَانُوا يَجْدُرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِنْ خِفْتَ عَلَيْهِ فَاَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْقِطْعَةَ تَرَىٰ أَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزْبًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَلْمُنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتْ أُمُّ رَبِّي فِرْعَوْنَ قَرَّبْتِ ابْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُوَ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِعًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَّمَ قَلْبَهَا لِيُنكِرَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُوَ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَّمَ عَلَيَّهِ الرِّضَاعَ مِنْ قَبْلِ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصْحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴿١٣﴾ وَلَنَعْلَمَنَّ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾



وَمَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آيَاتُهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نُحَيِّرُ
 الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا
 فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ
 فَاسْتَعْتَبَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَّزَهُ
 مُوسَىٰ فَغَضِبَ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌ
 مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ
 الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَتَمَمْتُ عَلَىٰ قَلْنٍ أَكُونَ
 ظَهيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِبًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا
 الَّذِي اسْتَنْصَرُوا بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ
 لَنفَوِي مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا
 قَالَ يَمْوَسَىٰ أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ مِثْلًا نَفَسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا
 أَنْ تَكُونَ جَارًا لِّي فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿١٩﴾
 وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَمْوَسَىٰ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ
 يَأْمُرُونَ بِكَ لِتُقْتَلُوا فَخَرَجَ مِنْكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾
 فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِبًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾

١٤ - ولما بلغ غاية قوته ونموه - وبلوغ الأشد عادة من ثلاثين إلى أربعين سنة، لا اكتمال العقل حيثئذ، واكتمل خلقه الجسدي ونضجه العقلي في الأربعين، آتينا حكمة، وفهماً ومعرفة بالدين، ومثل ذلك الجزء الذي جزيناه به مع أمه، نجزي المحسنين لأنفسهم. والحكمة: معرفة أسرار الشريعة ووضع كل شيء في محله.

١٥ - ودخل موسى مدينة مصر عاصمة القراعة وهي منف مستخفياً في وقت لا يتوقع دخوله فيه، وكان ذلك قبل النبوة، فوجد فيها رجلين يقتتلان، هذا من شيعته وحزبه وتابعيه في الدين: إسرائيلي، وهذا من عدوه من القبط قوم فرعون، فطلب منه الغوث والنصرة والإعانة الذي من جماعته على الذي من أعدائه، فأغاثه موسى، فضرب القبطي بقبضة يده - وكان شديد القوة والبطش - فغضى عليه وقتله خطأ، ثم قال: هذا القتل من تزوين الشيطان الذي أغضبني؛ لأنه لم يكن مشروعاً قتله، إن الشيطان عدو للإنسان بإضلاله، ظاهر العداوة له. وكان القتل في عهد الشباب؛ لأن موسى عليه السلام أوحى إليه في سن الأربعين بعد زواجه بابنة شعيب في مدين، ورعيه الماشية عشر سنوات.

١٦ - قال: إني ظلمت نفسي بقتل النفس، فاعف عني ولا تؤاخذني بخطي، فغفر الله له، إنه واسع المغفرة والرحمة لعباده.

١٧ - قال موسى: رب بسبب إنعامك علي بالمغفرة والعلم والحكمة، فلن أكون معيناً لمجرم على إجرامه.

١٨ - فأصبح موسى في المدينة بعد قتل القبطي خائفاً على نفسه ينتظر ما يحدث من فرج أو كرب ومكره، فإذا بالإسرائيلي الذي استنصره بالأمس يستغيث به من قبطي آخر، قال له موسى: إنك ضال ظاهر الضلال أو الغواية.

١٩ - فلما أراد موسى أن يبطش بالقبطي المصري الذي هو عدو لموسى وللإسرائيلي المستغيث به، قال القبطي بعد علمه بالحوار الذي جرى بين موسى والإسرائيلي: أتريد أن تقتلني اليوم كما قتلت نفساً بالأمس (البارحة) ما تريد إلا أن تكون جباراً تتطاول على الناس ولا تنتظر العواقب، وما تريد أن تكون ممن يصلح بين الناس. فانتشر هذا الحديث بين الناس، وبلغ الخبر إلى فرعون وملته.

٢٠ - وقدم رجل هو مؤمن آل فرعون من آخر أطراف المدينة يسرع في مشيه من طريق أقرب من طريقهم، قال له: يا موسى، إن الوجهاء والقادة الكبار يتشاورون في شأنك، ليقتلوك، فخرج من المدينة، إني لك من الناصحين في الأمر بالخروج.

٢١ - فخرج من المدينة حذراً من الناس، خشية القبض عليه يتلفت مترقباً لحوقهم به، وقال متضرعاً لربه: رب نجني من القوم الظالمين أنفسهم بالكفر وهم قوم فرعون.

٢٢- ولما اتجه نحو ديار مدين بلدة شعيب عليه السلام، قال: لعل ربي، أي أرجو أن يرشدني إلى الطريق القويم، فلا أخطئ الطريق الأقرب للوصول إلى مدين. وسواء السبيل في الأصل: وسط الطريق.

٢٣- ولما وصل ماء مدين: وهو بئر فيها كانوا يستقون منها، وجد على الماء جماعة كثيرة من الناس يسقون مواشيهم، ووجد بعيداً عنهم امرأتين تتمعان أغنامهما عن ورود الماء والزحام، خوفاً من التصادم مع السقاة الرجال الأقوياء، قال: ما شأنكما لا تسقيان أغنامكما مع الناس؟ قالتا: لا نسقي أغنامنا حتى ينصرف الرعاة عن الماء، حذراً من مخالطتهم، وعجزاً عن السقي معهم، وأبونا شيخ كبير السن، لا يقدر على سقاية ماشيته من الكبر. والرعاة: جمع راع.

٢٤- فسقى موسى للمراتين أغنامهما من بئر أخرى بقربهما، ثم انصرف إلى ظل شجرة ليستريح فيه، وهو جائع، فقال: رب إني بحاجة إلى أي طعام كان.

وَلَمَّا تَوَجَّهَ بِلِقَاءِ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سُبُلَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾
 وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ
 وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ يَذَّوْبَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا
 لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدَّرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾
 فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَتَيْتُكَ
 إِلَىٰ مِنْ حَيْثُ قَفِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ
 قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرًا سَقَيْتَ لَنَا مَا كُنَّا
 جَاءَهُمْ وَقَضَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَاتَخَفْ حَسْرَتِي
 مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ
 اسْتَشْرِبْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَشْرَبَ الْقَوْمِ الْأَمِيْنُ ﴿٢٦﴾
 قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ إِحْدَىٰ ابْنَيْ هَٰذَيْنِ عَلَىٰ أَنْ نَأْجُرَنِي
 تَمَنَّىٰ حَتَّىٰ حُجِّجَ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ
 أَسْأَلَكَ عَلَيْهِ سَخِرْتَنِي إِنْ سَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾
 قَالَ ذَلِكَ بَيِّنٌ وَبَيْنَكَ أَتَمَّا الْأَجْلَبِينَ
 قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَيَّ بِمَا نَقُولُ وَكَفِيْلٌ ﴿٢٨﴾

٢٥- فلما عادت المرأتان إلى أبيهما سريعيتين في زمن أقل من المعتاد، سألهما عن السبب، فأخبرتا بهن سقى لهما، فقال لإحدهما: ادع لي، فجاءته إحدهما تمشي مستحيبة محتشمة، قالت: إن أبي يدعوك ليكيفتك جزاء سقيك لنا، فأجابها موسى حياً برؤية الشيخ والتعرف عليه، لا طمعاً في الأجر، فلما وصل إليه، وأخبره بقصته من قتله القبطي، وخوفه من فرعون، واغتياله، قال الأب: لا تخف، فقد نجوت من القوم الظالمين: فرعون وقومه، إذ لا سلطان له على مدين.

٢٦- قالت إحدى البنتين الكبرى أو الصغرى: اتخذها أجيراً ليرعى أغنامنا، إن خير من استأجرت من تميز بالقوة والأمانة، علمت بقوته من نزع الدلو الكبير من البئر، وعرفت أمانته حين طلب منها أن تمشي خلفه، حتى لا يرى منها شيئاً، ومن غض بصره.

٢٧- قال شعيب لموسى: إني أريد أن أزوجه إحدى هاتين البنتين على أن تكون أجيراً لي ثماني سنين، ترعى غنمي، وهو مهر الزواج، فإن أتممت مدة عشر سنين فمفك تفضلاً وتطوعاً لا إلزاماً مني لك، وما أريد إيقاعك في المشقة والحرَج بإتمام العشر، ستجدني بمشيئة الله من الصالحين في الصحبة والوفاء. وفيه مشروعية عرض ولي المرأة الزواج بالرجل الكفاء.

٢٨- قال موسى: ذلك الذي عاقدتني عليه قائم بيننا لا نخرج عنه، أي مدة من الثماني والعشر وقيتك إياه، فلا ظلم ولا اعتداء علي بالمطالبة بأكثر منه، سواء الأقل أو الأكثر، والله على ما نقول شاهد وراقب، فتم العقد بذلك.

٢٩- فلما أتم موسى الأجل المتفق عليه مع شعيب، وهو عشر سنين، غادر مدين وسار مع زوجته بإذن أبيها نحو مصر. فالرجل يذهب بأهله حيث شاء. أبصر من بعيد من جهة جبل الطور في سيناء ناراً، قال لأهله: ابقوا وانتظروا هنا، إني أبصرت ناراً لعلني آتيتكم منها بخبر عن الطريق، أو شعلة قطعة من الجمر الملتهب، لعلكم تستدفئون بالنار.

٣٠- فلما وصل إلى النار نودي من الشاطئ الأيمن للوادي، على يمين موسى التوجه إلى مصر، في المكان الذي بارك الله فيه لموسى، وهو المسمى بالوادي المقدس، لسماحه كلام ربه واختياره رسولاً، عند الشجرة النابتة على شاطئ الوادي، وهي شجرة عتاب أو علق: أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين. أخرج عبد ابن حميد وابن جرير عن ابن مسعود أنه سار إلى تلك الشجرة، فإذا هي سمراء خضراء ترف، فأكل منها بغيره ملء فمه، ولاكه ولم يستطع أن يسبغه.

٣١- وقال الله له في هذا الموقف: وألق

فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله ناراً من جانب الطور ناراً قال لأهله أمكروا إني أنست ناراً لعلني آتيتكم منها بخبر أو جدوة من النار لعلكم تصطلون ﴿٢٩﴾ فلما أنها نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يتوسى إني أنا الله رب العالمين ﴿٣٠﴾ وأن ألق عصاك فلما رآها هاتفت كأنها جان ولت مدبراً ولتنبعث يتوسى أقبل ولا تخف إنك من الأمنين ﴿٣١﴾ أسالك يدك في جنبك تخرج بيضاء من غير سوء واضم إتيك جناحك من الرهب فذاك برهتان من ذك إلى فرعون وملأه به إنهم كانوا قوماً فسقيين ﴿٣٢﴾ قال رب إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون ﴿٣٣﴾ وأخي هرون هو أفضع مني لساناً فأرسله معي ردءاً يصد في إني أخاف أن يكذبون ﴿٣٤﴾ قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكنا سلطاناً فلا يصلون إليك بآياتنا إنما ومن آتبعك الفالسون ﴿٣٥﴾

عصاك، فألقاها فصارت ثعباناً، فلما رآها تتحرك كأنها حية سريعة الحركة مع عظم الجسم والحلقة أدير هارياً منها، ولم يرجع، فتودي يا موسى، ارجع إلى مكانك، ولا تخف من هذا الشعبان، إنك من الأمنين من المخاوف.

٣٢- أدخل يدك في فتحة قميصك إلى ماتحت إبطك، ثم أخرجها منه، تخرج مشعة بيضاء من غير مرض أو عيب. وكان موسى كما ذكر البخاري آدم، أي أسمر اللون. واضم إليك. أي إلى صدرك. يدك المبسوطتين لاتقاء الحية وإذهاب الخوف، أي لتطمئن، فهذان العصا واليد حجتان واضحتان إلى فرعون ووجهاء قومه وأعوانه، إنهم كانوا خارجين عن طاعة الله تعالى وحدوده.

٣٣- قال موسى: رب، إني قتلت منهم نفساً، وهو القبطي من قوم فرعون، فأخاف أن يقتلونني بها ناراً أو قصاصاً.

٣٤- وأخي هارون هو أئين مني لساناً، فأرسله معي معيناً على تبليغ الرسالة، يؤيدني في توضيح ما قلته، وتقرير الحجة وإقامة الدليل؛ إني أخشى أن يكذبوني في رسالتي.

٣٥- قال الله تعالى مجيباً دعاءه: سنؤيدك وتقربك جعل أخيك رسولاً، ونجعل لكنا حجة وبرهاناً متفوقاً على فرعون وقومه، فلا يصلون إليك بالآذى، فاذهب بسبب قوة معجزاتنا، أنتما وأتباعكما المنتصرون على قوم فرعون. والعضد: ما بين المرفق والكتف.

٣٦- فلما جاء موسى إلى فرعون وقومه بأدلتنا القاطعة الدالة على صدق نبوته قالوا: ما هذا الذي جئت به إلا سحر مختلق مكذوب، أي افتراه موسى على الله، وما سمعنا بهذا الذي دعوتنا إليه في سيرة آباءنا الأقدمين الذين سبقونا.

٣٧- وقال موسى رداً على فرعون وملته: ربي يعلم أي محق وأنتم مبطلون، وجئت بهذه الآيات الدالة على الهدى من عنده، ويعلم من تكون له العاقبة المحمودة في الآخرة وهي الجنة، والنصر في الدنيا، إنه لا يفوز الظالمون (الكافرون) بشيء من الخير.

٣٨- وقال فرعون مغالطة لقومه وإيهاماً لهم باقتداره: يا سادة القوم، ما علمت لكم إلهاً غيري، وهذا إصرار منه على تكبره وتجبّره، ثم قال: يا هامان (وزير فرعون) اصنع لي الأجر (الطوب) بطبخ الطين على النار، فاجعل لي قصرأً عالياً، لعلني أصعد إلى إله موسى، ثم أنظر إليه، وإني لأظن موسى من الكاذبين في ادعائه إلهاً آخر، وأنه

فَلَمَّا جَاءَهُ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرَىٰ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾
وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا لَهْدَىٰ مِنْ عِنْدِ رَبِّي وَكَفَىٰ لَهُمْ عَذَابُهُ الدَّارِ إِنَّهُمْ لَا يُظِلُّونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا بَنِيَّ الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْدِي عَلَى الطَّيْنِ فَأَجْعَلِ لِي صَرْحًا لَّكَ لِأُظَلِّعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَأَسْتَكْبِرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمُ الْبَائِسُ الْارْتَبِيعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْخُلُونَ إِلَى النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَبْصُرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَبْنَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

رسول من الله. وهذا إيهام لقومه أنه باحث ينشد الحق.

٣٩- واستكبر فرعون هو وجنوده في أرض مصر تعدياً بغير استحقاق، والاستكبار: التعظم بغير حق، بل بالعدوان؛ لأنه عجز عن دفع حجة موسى، وتوهموا أنهم لا يعودون إلينا بالبعث.

٤٠- فأخذناه وجنوده، أي أهلكتناهم، فطرحناهم في البحر حتى غرقوا، فتأمل أيها النبي، وانظر، كيف كان مصير الكافرين وآخر أمرهم.

٤١- وجعلناهم قذوة في الضلال والتكبر لكل متكبر طاغية، وصيرناهم قادة يطيعهم غيرهم في الكفر، يدعون أتباعهم إلى النار لتقليدهم إياهم، ويوم القيامة لا ينصرهم أحد بدفع العذاب عنهم.

٤٢- وأنزلنا عليهم لعنة في الدنيا، أي طرداً من رحمتنا، ويوم القيامة هم من المطرودين من الجنة المبعدين الممقوتين.

٤٣- ولقد آتينا موسى التوراة من بعد إهلاك أهل القرون الماضية الأولى (الأمم) وهم قوم نوح وعاد وثمود ولوط وغيرهم، تبصّر بني إسرائيل أمور دينهم وتنور القلوب، وتهدي إلى الشرائع الإلهية والأحكام، وهي رحمة لمن آمن به، ليتعظوا بما في ذلك الكتاب من المواعظ.

وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ آلِ فِرْعَوْنَ إِذْ قَضَيْتَ إِلَىٰ مُوسَىٰ الْأَمْرَ وَمَا
 كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا فِرْعَوْنَ أَفْطَاوًا وَلَك
 عَلَيْهِمُ الْعُرْسُ وَمَا كُنْتَ تَأْوِيهِ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا
 عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كَانُوا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنْتَ
 بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحِمْنَا مَنَ رَبِّكَ لِنُنذِرَ قَوْمًا
 مَّا أَلَّهْتُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَنْذَكُرُونَ ﴿٤٦﴾
 وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُمُ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ فَيَقُولُوا
 رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ
 مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا
 لَوْلَا أُوْتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوْ لَرَبِّكَ فُكْرًا بِمَا أُوتِيَ
 مُوسَىٰ مِنْ قَبْلِ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ
 كَذِبٍ لَّكُونٌ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا
 اتَّبِعْهُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَتَّبِعُواكَ فَأَعْلَمْ
 أَنَّمَا يُتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ
 هُدًى مِّنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾

٤٤ - وما كنت حاضراً أيها الرسول بجانب الجبل الغربي من موسى عليه السلام وقت المناجاة، حيث عهدنا أو أوحينا إلى موسى التوراة وأمر الرسالة إلى فرعون وقومه، وما كنت من الحاضرين لما حدث في ذلك الزمان، فتعلم ذلك وأخبر به .

٤٥ - ولكننا أوجدنا أمماً مختلفة من بعد موسى، فامتد الزمان، وطالت المهلة، بين موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، فنسوا عهد موسى في الإيمان بمحمد ﷺ، وحرقت الأخبار، وتغيرت الشرائع، وما كنت أيها الرسول مقيماً في أهل مدين، كما أقام موسى، تذكر وتقرأ على أهل مكة آياتنا وأخبارنا، ولكننا أرسلناك إلى أهل مكة، وأوحينا إليك كتاباً فيه هذه الأخبار السابقة، ولولا ذلك لما عرفتها .

٤٦ - وما كنت أيها الرسول حاضراً بناحية جبل الطور حين نادينا موسى، ولكن علمناك وقصصنا عليك هذه الأخبار، رحمة من ربك، لتنذر أهل مكة وغيرهم، ما أتى المكيين من رسول منذ قبلك ينذرهم، لعلهم يتعظون .

٤٧ - لولا احتمال تعرض قومك لمصيبة: عذاب

في الدنيا والآخرة، وافتراض اعتذارهم بالجهل عند حلول العذاب قائلين: هلا أرسلت إلينا رسولاً من عندك، فتتبع آياتك المتزلة على رسلك، ونكون من المصدقين بها، لولا ذلك لما أرسلناك أيها النبي لإقامة الحججة عليهم . والمراد أن إرسال النبي ﷺ وكل رسول قبله كان لإبطال احتجاجهم بعدم الإعلام والتبليغ . و ﴿لولا﴾ في الموضعين حرف يدل على الرغبة في حصول ما بعده .

٤٨ - فلما جاء أهل مكة الحق من عند الله وهو محمد ﷺ والقرآن المنزل عليه، قالوا: هلا أوتي هذا الرسول مثل ما أوتي موسى من الآيات ومنها التوراة جملة واحدة، فأجابهم الله: أو لم يكفر اليهود وكفار قريش بآيات موسى كما كفروا بآيات محمد؟ حين سئل اليهود عن أمر محمد، فقالوا: إنا نجد في التوراة بنعته وصفته، وقالوا عن التوراة والقرآن: سحران تعاوننا على الكذب، وصدق كل منهما الآخر، وقالوا: إنا بكل من الكتابين والرسلين موسى ومحمد كافرون .

٤٩ - قل أيها الرسول جواباً لهم بعد كفرهم بالكتابين: فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى من التوراة والقرآن وأصلح لهداية البشر، لا يتبعه معكم، إن كنتم صادقين في قولكم .

٥٠ - فإن لم يفعلوا ما كلفتهم به من الإتيان بكتاب إلهي أهدى من التوراة والقرآن، ولم يؤمنوا بما جئت به، فاعلم أيها الرسول أنما يتبعون في كفرهم أهواءهم: ما تميل إليهم نفوسهم من غير حجة ولا برهان، ومن أشد ضللاً ممن اتبع هوى نفسه بغير هدى من الله؟ أي لا أحد أضل منه، إن الله لا يهدي للقوم الظالمين أنفسهم بالإصرار على الكفر والتماذي فيه .



٥١- ولقد أنزلنا القرآن متتابعاً، في الإنزال ليتصل التذكير، وأرسلنا للناس رسولاً بعد رسول، لعلمهم يتعظون، فيؤمنوا ويطيعوا.

٥٢- الذين أعطيناهم الكتاب الإلهي من قبل القرآن، هم بالقرآن والنبي محمد ﷺ يصدّقون، لمطابقة أوصافه لما جاء في كتبهم. وهؤلاء كعبد الله بن سلام ومن أسلم من الكتائين. نزلت في ناس من أهل الكتاب كانوا على الحق، حتى بعث الله محمداً ﷺ فأمنوا به، منهم سلمان الفارسي وعبد الله بن سلام.

٥٣- وإذا يتلى عليهم القرآن قالوا: آمنا به وصدقنا بأنه كلام الله تعالى، إنه الحق الثابت الذي نعرفه، المنزل من ربنا على محمد ﷺ، إنا كنا من قبل إنزاله مخلصين لله بالتوحيد والعبادة.

٥٤- أولئك يؤتون أجرهم مرتين، لإيمانهم بالكتائين: كتبهم والقرآن، والرسولين: رسولهم ومحمد عليهما السلام، بسبب صبرهم على أذى قومهم، والعمل بالكتائين والإيمان بالنبيين، ويدفعون بالكلام الحسن ما يتعرضون له من الأذى، أو بالطاعة المعصية، وينفقون أموالهم في مرضاة الله تعالى.

٥٥- وإذا سمعوا الساقط من القول، وهو الشتم والأذى

والاستهزاء من الكفار، عرضوا عنه تكراً وترفعاً، وقالوا: لنا أعمالنا من الإيمان والدين، ولكم أعمالكم من دينكم، لا يلحقنا من ضرر كفركم شيء، ولا يضيركم إيماننا، سلام عليكم سلام متاركة وأمان منا، لا نجيبكم بالسوء، لا نطلب صحبة الجاهلين ولا نريدها.

٥٦- إنك أيها النبي لا تهدي برادتك من أردت هدايته للإيمان، ولكن الله بقدرته وإرادته يهدي من يشاء هدايته، فيوفقه للإيمان، وهو أعلم بالمستعدين للهداية. نزلت كما جاء في صحيح مسلم والترمذي وغيرهما في أبي طالب لما امتنع عن الإسلام، مع شدة حرص النبي ﷺ على إيمانه، فمات على دين عبد المطلب.

٥٧- وقال مشركو قريش: إن ندخل في دينك يا محمد يتخطفنا العرب من أرضنا، أي مكة، بأن يخرجونا من بلادنا، فرد الله عليهم: أو لم نجعل لهم حرماً آمناً، تحمل إليه الثمرات والأرزاق من كل مكان، رزقاً لهم من عندنا، ولكن أكثرهم لا يعلمون أن ما نقوله حق، فهم جهلة لا يتفكرون في حقائق الأمور، والمراد: إذا كان هذا حالهم، وهم عبدة الأصنام، فكيف نعرضهم للخوف والإخراج من الديار إذا ضموا إلى حرمة البيت حرمة التوحيد؟! قال ابن عباس: إن أناساً من قريش قالوا للنبي ﷺ: إن تتبعك تخطفنا الناس، فنزلت.

٥٨- وكـم- أي كثيراً ما- أهلكتنا من أهل قرية ذات رخاء في العيش وأمن، فبطروا النعمة وطغوا وتكبروا، وبطر النعمة: البغي والتجبر والتقصير في حق الله، فأصبحت مساكنهم خالية لا يسكنها أحد بعدهم إلا زمناً قليلاً، كإقامة المسافر فيها يوماً أو بضع يوم، لشؤم معاصيهم، وكنا نحن الوارثين لديارهم؛ إذ لم يخلفهم فيها أحد.

٥٩- وما كان من عادة ربك إهلاك أهل القرى الكفرة، حتى يرسل في عاصمة البلاد رسولاً يتلو عليهم آياتنا المنزلتة عليه الداعية إلى الإيمان والعمل الصالح، وما كان من شأننا إهلاك القرى إلا وأهلها مصرّون على الكفر وتكذيب الرسل.

وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ الَّذِينَ
ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ يُوْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ يَتْلَى عَلَيْهِمْ
قُلُوبُهُمْ آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾
أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ
السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا
عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ
لَا نَبْنِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ
يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوا إِن نَّسِجَ
الْهُدَىٰ مَعَكَ نَحْنُطِفُ مِنْ رِضْوَانٍ أَوْ لَمْ نَكُنْ لَهُمْ حُرْمًا ءَامِنًا
يُجِئُ إِلَيْنَا تَوَكَّرْتُ كُلِّ شَيْءٍ رَزَقْنَا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنْ أَكْرَهُمْ
لَا بَعَاثُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا أَهْلَكَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرْتِ مَعِيشَتَهَا فَبَلَكَ
مَسْكَنَهُمْ لَوْ تَسْكُنُ مِنْ بَعْدِهِ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا
نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ
حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا
مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾

وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمِنَّعَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَمَا عِنَدَ
 اللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَن وَعَدْنَاهُ وَعَدَّ حَسَنًا
 فَهَوَّلَيْنَاهُ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
 مِنَ الْمُخْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِي
 الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا
 هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا
 إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ
 فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْمَعُونَ ﴿٦٤﴾
 وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَمَقِمْتِ
 عَلَيْهِمُ الْأَنْبِيَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَنْ تَابَ
 وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَحَسْبَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ
 يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ
 اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تَكْتُمُ
 صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
 فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾

٦٠- وما أعطيتكم من شيء من نعم الدنيا، فهو مجرد متاع قليل وزينة ظاهرة تتمتعون به في حياتكم الدنيوية ثم يزول عنكم، وما عند الله من الثواب والجزاء الآخروي في الجنة خيبر من المتاع الزائل؛ لأنه يدوم أبداً، أفلا تفكرون أن الباقي أفضل من الفاني الزائل؟!

٦١- أفمن وعدناه بالجنة ونعيمها وعداً خالصاً مُحَقَّقاً، جزاء حسن عمله، فهو واصل إليه ومدركه لا محالة؛ لأن الله لا يخلف الميعاد، كمن متعناه متاع الحياة الدنيا الذي يزول عن قريب، ويختلط بالآلام والمتاع، ثم هو يوم القيامة من الذين أحضروا للحساب والعذاب بالنار، فهل يستويان؟! نزلت في النبي ﷺ وفي أبي جهل بن هشام، أو في الحمزة وأبي جهل.

٦٢- واذكر أيها النبي يوم ينادي الله هؤلاء المشركين يوم القيامة نداء توبيخ، فيقول لهم: أين شركائي الذين كنتم تزعمون أنهم شركائي؟

٦٣- قال الذين وجب لهم العذاب يوم الحشر، وهم رؤساء الكفر: ربنا هؤلاء الذين دعوناهم إلى الغواية والشرك وهم الأتباع، أضللناهم كما ضللنا، تبرأنا إليك منهم ومن كفرهم، ما كانوا يعبدوننا، بل كانوا يعبدون أهواءهم.

٦٤- وقيل للكفار: نادوا أصنامكم الذين تزعمون أنهم شركاء الله، لينصروكم وينقذوكم، فنادوهم، فلم يجيبوهم لعجزهم عن الجواب، ورأى الفريقان التابع والمتبوع العذاب الواقع بهم، فتمنوا أن لو كانوا مهتدين في الدنيا إلى الحق والصواب، لنجوا من هذا العذاب، ولما راوه في الآخرة. وجواب ﴿لو﴾ مفهوم من سياق الكلام، وهو ﴿ورأوا العذاب﴾.

٦٥- ويوم ينادي الله الكفار نداء توبيخ، فيقول لهم: ماذا كان جوابكم للأنبياء المرسلين؟!

٦٦- فخفيت عليهم من شدة الحيرة الأخبار والحجج التي تنجيهم يوم القيامة، فهم لا يسأل بعضهم بعضاً عن شيء ولا عن الجواب، ولا يدرون بما يجيبون، لفرط الدهشة. والمراد لم يجدوا خيراً لهم فيه نجاة، فصارت الأنبياء كالعلمي عليهم لا تهتدي إليهم، ولا يجدون جواباً من غيرهم يسعفهم.

٦٧- فأما من تاب وآمن بالله ورسوله، وعمل صالحاً بالتزام المأمورات، فهو عند الله من الفائزين بمطلوبهم من الجنة والرضوان. (عسى) تحقيق على عادة الكرام.

٦٨- وربك يخلق ما يشاء أن يخلقه، ويختار ما يشاء أن يختاره. وفي هذا إثبات حرية الخلق والاختيار لله تعالى. ليس الاختيار باصطفاء بعض الأشياء وترك بعض لأحد من الخلق، بل الاختيار هو إلى الله تعالى، تنزه الله عن منازعة أحد في اختياره، وتعاطف وتقدير عن إشراكهم. والمراد: لم يكن اختيار الرسول موكولاً لهم حتى يختاروا الأغنياء.

٦٩- وربك وحده أيها النبي يعلم ما تخفي صدور خلقه، وما يظهرونه بالاستتھام من الطعن بالنبي وغير ذلك.

٧٠- وهو الله الذي لا معبود سواه، له الحمد على ما أنعم، وله القضاء النافذ في كل شيء، وإليه ترجعون بعد الموت.

٧١- قل: أخبروني، إن جعل الله عليكم الليل دائماً متصلاً متتابعاً إلى يوم القيامة، لا نهار فيه، من إله غير الله يأتيكم بنهار فيه ضياء، أفلا تسمعون ذلك سماع تفهم وتفكر؟!

٧٢- قل أيضاً: أخبروني، إن جعل الله عليكم النهار دائماً مستمراً إلى يوم القيامة، من إله غير الله يأتيكم ليل تستقرون فيه وتستريحون من التعب والعناء وطلب الرزق؟ أفلا تبصرون هذه المنفعة وما أنتم عليه من الخطأ في الإشراف، فترجعوا عنه؟!

٧٣- ومن رحمته تعالى بالناس أنه جعل الليل والنهار يتعاقبان، لتستقروا وتستريحوا من التعب ليلًا، ولتطلبوا الرزق من فضل الله نهاراً بأنواع المكاسب، ولتشكروا الله على ما أنعم.

٧٤- واذكر أيها النبي يوم بنادي الله المشركين يوم القيامة نداء توبيخ، فيقول لهم: أين شركائي الذين كنتم تزعمون في الدنيا أنهم أنصار لكم وشفعاء؟!

٧٥- وأخرجنا من كل أمة شاهداً عليهم هو نبينهم يشهد عليهم بما كانوا عليه، فقلنا لهم: أحضروا برهانكم على صحة ما قلتم من الإشراف وما كنتم تدعون به، فعلموا وقتئذ أن الحق في الألوهية لله، لا يشاركه فيها أحد، وغاب عنهم غيبة الضائع ما كانوا يختلقون في الدنيا من الباطل: وهو أن مع الله شريكاً آخر.

٧٦- إن قارون كان ابن عم موسى، من بني إسرائيل، فتكبر عليهم بكثرة المال وطلب أن يتزعمهم، وأعطيتاه من الأموال الوفيرة المدخرة، ما إن مفاتيح خزائنه ليثقل حملها على الجماعة الكثيرة الأقياء، حين قال له قومه: لا تفرح فرح بطر بكثرة المال، إن الله لا يرضى عن البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم، ويسخط عليهم ويعاقبهم.

٧٧- واطلب فيما أعطاك الله من المال ثواب الآخرة، بإنفاقه في مرضاة الله وطاعته، لا في التجبر والبغي، ولا تنس الإنفاق فيما أحل الله لك، وأحسن إلى عباد الله بالصدقة، كما أحسن وأنعم الله عليك بالمال والجاه، ولا تعمل بالمال في معاصي الله، إن الله لا يرضى عن المفسدين بالعصيان في الأرض ويجازيهم على عملهم.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِاللَّيْلِ سَاكِنًا فَأَفَلَا تَبْصُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْصُرُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَتَرَعَا فَيَقُولُ أَأَيْنَ شُرَكَاءِي الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَعَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٥﴾ إِنْ تَقْرُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَعِنِّي عَلَيْهِمْ ذَوَاتُهُمْ مِنَ الْكُفْرِ مَا إِنْ مَفَاتِيحُ لَنْبُوءٍ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَاتَّبِعْ فِيمَا أَنْتَ مِنَ الْبَارِ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَسْجُرْ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٧٧﴾



قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي وَأُوْتِيْتُهُ أَنْ لَئِن لَّمْ يَظْهَرِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِرَّةً وَكَرْهُجًا وَلَا يَسْئَلُ عَن ذُنُوبِهِمْ أَجْرٌ مُّوْتٌ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا لِلَّهِ كُنَّا مِثْلَ مَا أَوتِي الْقُرُونُ إِنَّهُ لَذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلِكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهٖ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَفِّرُ اللَّهُ بِسُطِّ الرِّزْقِ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيُكَفِّرُ بِنَا وَيَعْلَمُ الْكٰفِرِينَ ﴿٨٢﴾ يٰلِكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَلِيَّةُ السُّعْفِيْنَ ﴿٨٣﴾ مِّن جَاءِ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمِن جَاءِ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يَجْزِي الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

٧٨- قال قارون في الجواب على قومه: إنما أوتيت هذا المال بمعرفة مني ومهارة في الاكتساب والتجارة، أو لم يعلم أن الله قد أهلك بالعذاب من قبل قارون من الأمم الخالية من هو أشد منه قوة، وأكثر جمعاً للمال- مما يدل على أن القوة والمال ليسا فضيلة- ولا يسأل المجرمون العصاة عن ذنوبهم يوم القيامة سؤال عتاب واستعلام؛ لأن الله تعالى مطلع عليها، وإنما يسألون سؤال توبيخ.

٧٩- فخرج قارون على قومه ذات يوم في موكب مهيب متميز بمظاهر الزينة من المتاع وملابس الذهب والحريير والخيول والأثباع، فلما رآه الناس، قال أهل الدنيا المخدوعون بزيتها: يا ليت لنا من المال والمتاع مثلما أوتي قارون من الشراء والجاه، إن قارون لصاحب نصيب وافٍ في الدنيا.

٨٠- وقال أهل العلم بأحوال الآخرة وما وعد الله فيها وهم أجبار بني إسرائيل: ويلكم- المراد بها هنا الزجر والتأنيب، أي لا تقولوا هذا الخطأ، والأصل فيها أنها كلمة تدل على الهلاك- ثواب الله ونعيمه في الجنة خير مما تتمنونه، لمن آمن بالله ورسله والتزم المأمورات وعمل صالحاً فيما آتاه الله من المال، ولا يتلقى الجنة المثاب بها إلا الصابرون على الطاعات وعن المعاصي.

٨١- ولما اغتر قارون بكثرة المال، خسف الله به وبكنوزه وبداره ومنطقته التي كان فيها الأرض، أي غورها وغيبها وجعل عاليها سافلها، فما كان له جماعة أعوان ينصرونه من غير الله، بأن يدفعوا أو يمنعوا عنه العذاب والهلاك، وما كان من الممتنعين مما نزل به من الخسف.

٨٢- وأصبح الذين تمنوا منزلته وثروته منذ زمان قريب يقولون: يا أسفاً ألم تر أن الله، والمراد: بل إن الله يوسع ويعطي الرزق لمن يشاء من عباده، ويضيّق ويقتّر الرزق على من يشاء، اختصاراً وابتلاء، بمقتضى مشيئته وحكمته، لولا أن من الله علينا باللطف والرحمة والإحسان، ولم يؤاخذنا بما وقع منا، لخسف بنا الأرض كما خسف بقارون، بل إنه لا يفوز الكفار بمطلب لهم، مثل قارون.

٨٣- تلك الجنة ونعيمها- والإشارة إليها لقصد التعظيم والتفخيم لها، في مقابل تحقير ما أوتيه قارون وأمثاله من متاع الدنيا- نجعلها للذين لا يريدون رفعة بغير حق وتكبراً في الأرض وتطاولاً على الناس، ولا ظملاً للناس وعملاً بالمعاصي، والمصير المحمود لمن خاف عذاب الله، بفعل الطاعات وترك المنكرات.

٨٤- من جاء يوم القيامة بالفعل الطيبة: وهي الإيمان والعمل الصالح، فله أفضل منها بمجازاته بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف، ومن جاء بالفعل المنكرة الخبيثة وهي الكفر والمعصية، فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا بمثل ما كانوا يعملون في الدنيا دون مضاعفة أو زيادة.

٨٥- إن الذي أنزل عليك القرآن، وأوجب عليك العمل به، لرائك إلى بلدك مكة- وهذا إشارة إلى الهجرة من مكة، ثم الإعادة إليها غالباً منتصراً، علماً بأن السورة مكية- قل أيها الرسول للمشركين: ربي أعلم مني ومنكم من جاء بالهدى- وهو النبي ﷺ- ومن هو في ضلال واضح- وهم المشركون- قال الضحاك: لما خرج النبي ﷺ من مكة، فبلغ الجحفة، اشتاق إلى مكة، فأنزل الله: ﴿إن الذي فرض..﴾

٨٦- وما كنت أيها الرسول تتأمل قبل النبوة أن يُوحى إليك القرآن، لكن أوحى إليك رحمة من ربك، أي لأجل الترحم، فلا تكونن معينا للكافرين على دينهم الذي دعوك إليه، بمداراتهم وإجابة طلبهم.

٨٧- ولا يصرفنك الكافرون بأذاهم عن تلاوة آيات الله والعمل بها وتبليغها بعد أن أنزلها الله إليك وفرضت عليك، وادع الناس إلى توحيد ربك وعبادته والعمل بشريعته، ولا تكونن من المشركين بالله بإعاتتهم، فإنك إن جاملتهم في شيء تكن منهم. وفي ذلك تعريض بغيره، ومثله الآية التالية:

إِنَّا لَدَىٰ فَضْلِكَ الْغَنَىٰ إِن لَرَأَدَكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّ أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَرَبِّنَا هُوَ فِي صَلَاتِهِمْ إِذِ اتَّبَعُوا حَتَّىٰ إِذَا نَزَعُوا مِنْ رَبِّكَ وَرَبِّكَ فَلَا تَرْجُونَ أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهْرًا لِّلْكَافِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ نَزَّلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُسْرِكِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٧﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الرَّحِيمِ ﴿٨٥﴾ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَبْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿٨٧﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن سَبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٨٨﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٨٩﴾

٨٨- ولا تعبد مع الله إلهاً آخر، لا إله معبود بحق إلا الله وحده لا شريك له، كل شيء في هذا الوجود هالك إلا ذاته تعالى، فهو الدائم الباقي، له القضاء النافذ، وإليه ترجعون عند البعث بالثبور من قبوركم، فيجازيكم بعملكم.

سورة العنكبوت

- ١- ألف، لام، ميم، هذه الأحرف للتنبيه لما يتلى بعدها، وللدلالة على إعجاز القرآن وتحدي العرب بالإتيان بمثله مع أنهم أساطين البيان، والعربية لغتهم مكونة من هذه الحروف.
- ٢- أظن الناس أن يتركوا بغير اختبار بالتكاليف، لمجرد قولهم بأفواههم: آمنا بالله ورسوله، وهم لا يُبْتَلون في أنفسهم وأموالهم، ولا يُمْتَحَنون بالتكاليف والشاق. نزلت في عمار بن ياسر، إذ كان يعذب في الله: ﴿أحسب الناس..﴾ [٢].
- ٣- ولقد اختبرنا الذين من قبلهم من الأمم بأنواع البلياء والمحن، فليظهن الله صدق الصادقين وكذب الكاذبين، ويجازي كل فريق بعمله. وهذا علم مشاهدة لا ينافي علم الله القديم بكل شيء قبل الخلق.
- ٤- بل هل ظن الذين يعملون السيئات وهم العصاة والكفار أن يفوتونا ويعجزونا، أو يفلتوا من عقابنا، فلا تتمكن من عقابهم؟ إن ظنوا ذلك قبح أو بش الحکم الذي يحكمونه.
- ٥- من كان يأمل ويطمع بلقاء الله يوم القيامة، أي يؤمن به، فإن الوقت المحدد للبعث والخروج من القبور والحساب أت في حينه لا محالة، والله هو السميع لأقوال العباد، العليم بأفعالهم وبالمستعدين للقاء الله تعالى.

وَمَنْ جَاهِدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ
 ﴿٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنْتَبِهُ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنَ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَىٰ وَإِنَّ اللَّهَ بِأَعْمَارِنَا فِي ضَلُوبِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطِيئَتَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَبْعَثُونَ ﴿١٣﴾

٦- ومن جاهد لإعلاء كلمة الله، فإن ثواب جهاده لنفسه، إن الله لغني عن عباده من الإنس والجن والملائكة، غير محتاج لطاعتهم.

٧- والذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا صالح الأعمال التي أمروا بها، لنمحو عنهم ذنوبهم التي تورطوا بها، بإسقاط العقاب عنهم، ما داموا غير مصرتين عليها، ولنجزينهم بأحسن جزاء لأعمالهم الصالحة، الحسنة بعشر أمثالها وزيادة.

٨- وأمرنا كل إنسان أن يحسن لوالديه بإطاعتها وبرهما والعطف عليهما، وإن حاولا حمله على الشرك، وطلبا ذلك منه، مما ليس عليه دليل علمي على كونه إلهاً، فلا تطعهما في ذلك؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وتلحق سائر المعاصي بالشرك فلا طاعة فيها، إلي مصيركم جميعاً يوم القيامة، فأخبركم بما كنتم تعملون وأجازيكم على عملكم. وعبر بكلمة ﴿حسناً﴾ للدلالة على الإحسان العظيم جداً، حتى كأنه هو الحسن نفسه. نزلت حينما علمت أم سعد بن أبي وقاص بإيمانه، فحلقت ألا تأكل ولا تشرب حتى تموت أو يكفر، فنزلت.

٩- والذين صدقوا بالله ورسوله، وعملوا صالح الأعمال التي أمروا بها لنجعلتهم ونحشرنهم في زمرة العباد الصالحين في الجنة، وهم الأنبياء والأولياء.

١٠- ومن الناس وهم المنافقون من يقول بلسانه. صدقنا بالله، وقلبه فارغ من الإيمان، فإذا أُوذِيَ في الله أي من أجل إيمانه بالله، من قبل المشركين، جعل أذى الناس في الدنيا، كعذاب الله الحاصل له في نار جهنم في الآخرة، والمعنى: جزع من اليسير كما يجزع من العذاب الشديد، فيتزعزع إيمانه لأدنى ابتلاء، وينافق، ولئن تحقق نصر من الله للمؤمنين، قال المنافقون: إنا كنا معكم في الإيمان والدين، فأشركونا في الغنيمة، فرد الله عليهم بقوله: أو ليس الله بعالم بما في قلوب عباده من الإخلاص والنفاق؟ بلى. نزلت في أناس من المنافقين كانوا يؤمنون بالسننهم، فإذا أصابهم بلاء من الله ومصيبة في أنفسهم افتتنوا.

١١- ولظهروا لله كلاً من المؤمنين والمنافقين، ويميز بين الفريقين، فالؤمن المخلص صابر على الطاعة والأذى، والمنافق متذبذب في موقفه، إن أصابه أذى الكافرين وافقهم وكفر بالله تعالى، وإن انتصر المسلمون أعلن الإسلام وزعم أنه مسلم.

١٢- وقال الكفار للمؤمنين: اتبعوا ديننا، ونحمل عنكم أثم خطاياكم، فتواخذه دونكم، وليسوا بحاملين شيئاً من خطاياهم، إنهم لكاذبون في وعدهم. قال مجاهد: إن الآية نزلت في كفار قريش قالوا لمن آمن منهم: لا نبعث نحن ولا أنتم، فاتبعونا، فإن كان عليكم إثم فعلينا.

١٣- وليحملن هؤلاء الكفار يوم القيامة أوزارهم أو ذنوبهم التي اقترفوها، وأوزاراً وذنوباً أخرى مع أوزارهم: وهي أوزار من أضلواهم، وليسألن يوم القيامة سؤال توبيخ وتفرغ عما كانوا يخلقونه من الأكاذيب والأباطيل التي أضلوا بها غيرهم.

١٤ - ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه، فمكث معهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، يدعوهم إلى توحيد الله، فكذبوه، وفيه تثبيت للنبي ﷺ وتصبير له على متابعة دعوته، فقد سبقه إلى الصبر على الدعوة نوح عليه السلام طوال هذه المدة، فهو أولى بالصبر، فكان جزاء المكذبين أن غمرهم طوفان الماء النازل بغزارة من السماء، ونبت من الأرض، وهم ظالمون أنفسهم بالكفر.

١٥ - فأنجينا نوحاً ومن ركب معه في السفينة من أولاده وأتباعه المؤمنين، وكانوا ثمانين أو أقل، وجعلنا السفينة عبرة بالغة للعالم أجمع الذين أتوا بعدهم.

١٦ - واذكر أيها النبي أيضاً حين قال إبراهيم الخليل عليه السلام لقومه: اعبدوا الله وحده لا شريك له، وخافوا عقابه بامتنال أو امره واجتناب الشرك، تلك العبادة والتقوى خير وأصح لكم من الشرك. وبما أنه لا خير في الشرك فإنه خاطبهم بحسب اعتقادهم - إن كنتم تعلمون الخير وتميزون بينه وبين الشر.

١٧ - إنما تعبدون أيها القوم من غير الله أوثاناً لا تضر ولا تنفع، - والوثن: ما اتخذ من جص أو حجر، والصنم: ما كان من معدن كتحاس وغيره، والتمثال: ما هو مثال لكائن حي - وتصنعون أصناماً تسمونها آلهة كذباً وزوراً، إن الذين تعبدون من غير الله لا يقدرون

على أن يرزقوكم شيئاً، فاطلبوا عند الله الرزق، فهو الرزاق وحده، وهو المالك للرزق، واعبدوه وحده بإخلاص، واشكروا له النعم التي أنعم بها عليكم، إليه ترجعون يوم القيامة للجزاء والحساب.

١٨ - وإن تكذبوا برسالتي، فقد كذب أم كثيرة من قبلي وقبلكم رسلكم، وليس على الرسول إلا التبليغ الواضح لدعوته، يبلغها قومه، وليس في وسعه هدايتهم.

١٩ - أو لم ينظروا ويعلموا كيف يبدأ الله خلق الإنسان والحيوان والنبات، ثم يعيد الإنسان إلى الحياة بعد الموت والفناء، إن ذلك سهل يسير على الله، فمن قدر على الإيجاد أول مرة، فهو قادر على الإعادة، والأمران سواء عليه. و «يروا» بمعنى يعلموا هنا، وهمزة الاستفهام للإنكار والنفي، فإذا انضم إليه النفي المفهوم من «لم» أفاد التقرير، أي إنبات أنهم رأوا، ومثل ذلك «الم نشرح» [الشرح ١/٩٤].

٢٠ - قل أيها النبي لمكذبي رسالتك: سافروا في الأرض، فانظروا كيف بدأ خلق من كان قبلكم بأشكال مختلفة وطبائع وأخلاق متغايرة، لتعلموا تمام قدرة الله، وأثارهم تدل عليهم، ثم الله يعيد الخلق أحياء مرة أخرى، بعد النشأة الأولى التي هي الإبداء، فإنه والإعادة نشأتان، إن الله قادر على كل شيء، لا يعجزه أمر، ومنه البدء والإعادة. وبدأ وأبدأ بمعنى واحد هو الإيجاد ابتداءً، أي إيجاد شيء لم يكن. والنشأة الآخرة: إحياء الخلق يوم القيامة.

٢١ - يعذب من يشاء تعذيبه، ويرحم من يشاء رحمته، وإليه تردون بعد موتكم.

٢٢ - ولستم أيها المكذبون الجاحدون بمعجزتي الله عن إدراككم، في الأرض ولا في السماء، وليس لكم من غير الله ولي يتولى أموركم ويمنعكم منه، ولا معين ينصركم من عذابه.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾
فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾
وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَانصُوتُوا لِكُلِّ حَيْرٍ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ يَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ رَبِّهِ أَلَيْسَ بِأَبَدًا لِّلْمُكذِبِينَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَقَدْ كَذَّبْتُمْ مَنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَن يَبْلُغَ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾
أَوْ لِيُرِيوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَإِنِّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنزَلْنَا بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾

٢٣- والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمته وأولئك لهم عذاب أليم ﴿٢٣﴾ فإكان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرّوه فأنجاه الله من النار إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴿٢٤﴾ وقال إنما اتخذتم من دون الله آئداً مودةً يبغضكم في الحيرة الدنيا ثم يوم القيامة يبغضكم بعضكم بعضاً وأولئك النار وما لكم من نصيرين ﴿٢٥﴾ فقام له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم ﴿٢٦﴾ ووهبنا لله إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآئنا أجره في الدنيا والآخرة لمن الصالحين ﴿٢٧﴾ ولوطاً إذ قال لقوميه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين ﴿٢٨﴾ أيكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فإكان جواب قومه إلا أن قالوا أئننا لنبغض الله إن كنت من الصادقين ﴿٢٩﴾

٢٤- فما كان جواب قوم إبراهيم بعد دعوتهم لتوحيد الله إلا أن قال بعضهم لبعض: اقتلوه أو حرّوه تحريقاً بالنار، فأنجاه الله من نارهم، وجعلها عليه برداً وسلاماً، إن في إنجاء الله إبراهيم للدلالات قاطعة على وجود الله وتوحيده لقوم يصدقون بالله وقدرته، وخص المؤمنون بالذكر؛ لأنهم المتفقون بذلك.

٢٥- وقال إبراهيم: يا قوم إنما اتخذتم من غير الله أولئنا آلهة، للتوابع دينكم، والاتسقاء على عبادتها في الحياة الدنيا، ثم يوم القيامة يتبرأ بعضكم من بعض، فيتبرأ العابدون من الأوثان، وتبرأ الأوثان من العابدين لها، ويلعن الأتباع القادة، والقادة الأتباع، ومقرمك النار، وليس لكم من أنصار يتقدونكم من النار.

٢٦- فصدّق لوط برسالة إبراهيم عليهما السلام، وقال إبراهيم: إني مهاجر من بلدي (كوثى - قرية من سواد الكوفة بالعراق) إلى حرّان، ثم إلى الشام، أي مهاجر من ديارى إلى حيث أمرني ربي لأعبده، إن ربي هو القوي الغالب الذي يمتعني من أعدائي، الحكيم في صنعه وتدييره. وكان مع إبراهيم امرأته سارة ولوط ابن أخيه، فنزل فلسطين، ونزل لوط سدوم.

٢٧- ووهبنا لإبراهيم إسحاق بعد بكره إسماعيل، ويعقوب من إسحاق، وجعلنا في ذرية إبراهيم النبوة، فكل الأنبياء بعده من ذريته، والكتاب: التوراة والإنجيل والزيور والقرآن، وأعطيناه أجره في الدنيا: وهو الرزق الواسع والأولاد والثناء الجميل بين أهل الأديان جميعاً، وإنه في الآخرة في زمرة الكاملين في الصلاح.

٢٨- واذكر أيضاً أيها النبي لوطاً عليه السلام حين قال لقومه: إنكم تتعاطون الفعلة القبيحة التي تنفر منها النفوس الكريمة وهي اللواط: إتيان أديار الرجال، لم يسبقكم إلى فعلها أحد من الناس.

٢٩- أنتكم - والاستفهام للتوبيخ - لتلوطون بالرجال، وتقطعون الطريق على المارة بالقتل وأخذ المال والفاحشة، وتأتون في مجالسكم التي تجتمعون فيها ما يستنكره الشرع والعقل والطبع السليم، كاللواط وأنواع الفحش قولاً وفعلًا، فما كان جواب قومه إلا أن قالوا مستهزئين: أئننا نبغض الله إن كنت صادقاً فيما تهددنا به، فعداوا بهذا القول إلى التكذيب والعناد.



٣٠- قال لوط: رب انصرني بانزال عذابك على القوم المفسدين العاصين بإتيان الرجال وتعاطي المنكر، فأجاب الله دعاءه، وأرسل ملائكته لعذابهم.

٣١- ولما جاءت رسلنا الملائكة لإبراهيم بالبشرى بولادة إسحاق ومن بعده يعقوب، قالوا لإبراهيم: إنا مهلكو أهل قرية لوط وهي سدوم، إن أهلها كانوا ظالمين أنفسهم بالمعاصي، كافرين مكذبين رسولهم.

٣٢- قال إبراهيم لهم: إن في القرية لوطاً، فكيف تهلكونها؟ قالوا: نحن أعلم منك بمن فيها، لنتجيتها وأهله المؤمنين من الهلاك إلا امرأته كانت من الباقيين في العذاب.

٣٣- ولما جاءت رسلنا الملائكة لوطاً في صورة شباب حسان الوجوه مُرَد، استاء بهم واغتم مخافة من قومه، وتضايق وحزن من وضعهم، وعجزه عن حمايتهم من أذى قومه، فقالوا له: إنا رسل ربك، لا تخف علينا من قومك ولا تحزن، فإنهم لا يقدرون علينا، إنا منجوك وأهلك من الهلاك، إلا امرأتك كانت من الباقيين في العذاب.

٣٤- إنا منزلون على أهل هذه القرية عذاباً شديداً من السماء بسبب فسقهم، وهو الخسف والحصب، أي الزلزلة والرمي بالحجارة.

٣٥- ولقد أبقينا من القرية بعد تدميرها علامة واضحة وعبرة وعظة هي آثار الحجارة التي رُجموا بها والديار الخربة لقوم يستعملون عقولهم في الاستبصار.

٣٦- وأرسلنا إلى مدين أخاهم في القبيلة والنسب شعيباً، فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك له، وافعلوا ما ترجون به ثواب اليوم الآخر، ولا تركبوا أشد الفساد، مفسدين في الأرض. و﴿مفسدين﴾ حال مؤكدة لعاملها، مفيدة معنى الثبات على الفساد. وتعثوا: من عثي مثل تعب يتعب، والعثو والعثي: أشد الفساد.

٣٧- فكذبوا شعيباً، فأخذتهم الرجفة، أي الزلزلة الشديدة بصيحة جبريل: سبب الرجفة، فأصبحوا في دارهم باركين على الركب ميتين.

٣٨- وأهلكنا عاداً وثمود، وقد ظهر لكم من آثار مساكنهم بالأحقاف والحجر إذا نظرتم إليها عند مروركم بها مدى الدمار والهلاك، مما يصلح عبرة وعظة للمتفكرين، وزين لهم الشيطان أعمالهم السيئة فرأوها حسنة، فمنعهم بهذا التزيين عن سلوك الطريق الواضح الموصل للإيمان والحق والعمل الصالح، وكانوا عقلاء ذوي بصائر، متمكنين من النظر والتأمل، وتمييز الحق من الباطل، ولكنهم أهملوها تكبراً وعتاداً.

قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمَفْسُودِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّا أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا فَانجِيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا تَكُنْتَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَنْخِفْ وَإِنَّا مُنْجُونَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرًا تَكُنْ كَانَتْ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَتَّبِعُوا فِي الْأَرْضِ مَفْسُودِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَاجْتَاؤُهُمْ فَاصْبِرُوا فِي دَارِهِمْ جَمِيعِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَنبَّأَ لَكُمْ مِنْ قَبْلِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾

وَقَدَرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَلِفِينَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى
بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ
﴿٣٩﴾ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ
حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا
بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ غَرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ
لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ
الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ
اتَّخَذَتْ بُيُوتًا وَإِنْ أَوْهَرَ السُّيُوتِ لَبِثَتْ الْعَنْكَبُوتُ
لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ
دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَبِذَلِكَ
الْأَمْثَلُ نُضْرِبُهُمُ لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ
﴿٤٣﴾ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْحَيَّ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ أَتَى مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ
وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ نَهَتْ عَنِ الْفُسْهَاءِ وَالْمُنْكَرِ
وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

٣٩- وأهلكنا قارون الشري المتكبر، وفرعون الطاغية الجبار المتأله، وهامان وزيره الذي كان عوناً له على الظلم، ولقد جاءهم موسى بالحجج الواضحات الدالة على صدق رسالته، فتجبروا في الأرض وتعالوا عن الحق وعبادة الله، وما كانوا فائتين مفلتين من عذابنا.

٤٠- فكل واحد أو جماعة من المذكورين عاقبنا بذنبه: كفره وتكذيبه، فمنهم من أرسلنا عليه ريحاً عاصفاً فيها حصباء: حجارة صغيرة، وهم قوم لوط وعاد قوم هود، ومنهم من أخذته الصيحة: الصرخة الشديدة كمدين وتمود، ومنهم من خسفنا به الأرض كقارون، وقوم لوط، وهؤلاء عذبوا بالخسف والحصب، ومنهم من أغرقنا كقوم نوح وفرعون وجنوده، وما كان الله ليظلمهم بما فعل بهم، أي يعذبهم بغير ذنب، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بالكفر وتكذيب الرسل وارتكاب المعاصي.

٤١- مثل (صفة) الذين اتخذوا من غير الله أنصاراً لتحقيق منافعهم وحاجاتهم، سواء كانوا من الجمادات كالأوثان والأصنام، أو من الحيوان أو من الملائكة أو من الناس الأحياء أو الأموات،

مثلهم كمثل العنكبوت (حشرة صغيرة) اتخذت بيتاً لنفسها تآوي إليه، لا يبغي عنها شيئاً من حر أو برد أو مطر، ولا يحفظها من عدو، وإن أضعف البيوت لبیت العنكبوت، كذلك الأصنام ونحوها لا تنفع عابديها، لو كانوا يعلمون ذلك ما عبدوها.

٤٢- إن الله يعلم الذي يعبدون من الأصنام والأوثان من غير الله، ليس بشيء يُعبد لينفع أو يضر، وهو القوي المنتقم ممن كفر به، الحكيم في صنعه وتدبيره وجميع أقواله وأفعاله.

٤٣- وهذا المثل ونظائره في القرآن نبيها للناس للتنبية والتقريب للأفهام، وما يفهمها إلا العالمون المتدبرون الذين يتفكرون فيما يتلى عليهم وفيما يشاهدونه من الأشياء.

٤٤- خلق الله السموات والأرض بالعدل والقسط ومراعاة مصالح العباد محقاً غير مبطل، ولم يعاونه في الخلق أحد، إن في ذلك الخلق لدلالة على وحدانية الله وقدرته للمؤمنين؛ لأنهم المتفعون بها في الإيمان، بخلاف الكفار. فقوله ﴿بالحق﴾: يراد به لحكم عالية كما ذكرت.

٤٥- اقرأ أيها الرسول مع التدبر ما أوحى إليك من القرآن، متفكراً في معانيه، وأقم الصلاة المفروضة في أوقاتها وداوم عليها، إن الصلاة تنهى المؤمنين عن كل ما كان قبيحاً من العمل، مستنكراً في الشريعة، ولذكر الله وهو الصلاة أكبر من سائر الطاعات، وأفضل من كل عبادة لا ذكر فيها؛ لأن الانتهاء لا يكون إلا من ذاكر الله، مراقب له، والله يعلم ما تصنعون في حياتكم من خير أو شر، ويجازيكم عليه. والفحشاء: الفعلة القبيحة المتناهية في الفحش كالزنى، والمنكر: كل ما تنكره الشريعة والعقل السليم كالقتل والإفساد.



٤٦- ولا تجادلوا أيها المؤمنون اليهود والنصارى إلا جدالاً معقولاً لبيان الحق، بالخصلة التي هي أحسن، يراعى فيه جمال القول، ولين الكلام، وضبط النفس، لكن الذين ظلموا منهم بالإفراط في العناد، لا بأس بمقابلتهم بالمثل، وقولوا لهم في جدالكم: أمنا بما أنزل إلينا من القرآن، وبما أنزل إليكم من التوراة والإنجيل، دون تحريف ولا تبديل، وإلهنا وإلهكم واحد لا شريك له، ونحن له مطيعون خاضعون. أخرج البيهقي في الشعب عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا، إما أن تصدقوا بباطل، أو تكذبوا بحق، والله لو كان موسى حياً بين أظهركم، ما حل له إلا أن يتبعني».

٤٧- ومثل ذلك الإنزال للتوراة وغيرها أنزلنا إليك القرآن مصدقاً لما تقدمه من الكتب الإلهية، فالذين آتيناهم الكتاب وهم اليهود والنصارى ويتبعون ما جاء في كتبهم يؤمنون بهذا القرآن كعبد الله بن سلام وجماعته، ومن أهل مكة من يؤمن بهذا القرآن أيضاً، وما ينكر صحة آيات القرآن إلا المصرون على الكفر من المشركين وأهل الكتاب. والجحود: إنكار باللسان لما هو ثابت في القلب.

٤٨- وما كنت أيها الرسول تقرأ قبل القرآن كتاباً، ولا تكتب بيمينك، أي إنك أمة لا تقرأ ولا تكتب، ولو كنت تقرأ وتكتب لشك أهل الباطل بأمرك، وادعوا أن ما تتلوه مأخوذ من الكتب السابقة. والمبطلون: الذين يجعلون الحق باطلاً، ويتوغلون في الباطل. و﴿من كتاب﴾ تدل على عموم النفي لما بعدها.

٤٩- بل القرآن الذي جئت به آيات واضحات الدلالة على الحق، في قلوب أهل العلم وهم المؤمنون حفظة القرآن، وما ينكر آيات الله إلا الذين ظلموا أنفسهم، وجحدوا الحق بعد وضوح أدلة إعجاز تلك الآيات، وأصروا على الكفر.

٥٠- وقال كفار مكة: هلا أنزل على محمد معجزات حسية من ربه، مثل ناقة صالح، وعصا موسى، ومائدة عيسى، قل أيها الرسول جواباً لهم: إنما أمر المعجزات عند الله وحده، وليس يوسعي، وليس من شأنني إلا إنذار العصاة بالنار، وأنا مجرد محذر المخالفين من عذاب الله، موضح الحق من الباطل.

٥١- أو لم يكف المشركين آية لما طلبوا أننا أنزلنا عليك القرآن، تدوم تلاوته عليهم، يتحداهم بالإتيان بمثله، إن في ذلك الكتاب لنعمة عظيمة، وعظة وتذكرة، لقوم يُصدّقون بما جئت به من عند الله دون تعنت. نزلت لما جاء ناس من المسلمين بكتب كتبوها، فيها بعض ما سمعوه من اليهود.

٥٢- قل أيها النبي: كفى بالله شاهداً بصدقي بيني وبينكم، لا يخفى عليه شيء في السموات والأرض والذين آمنوا بالباطل: وهو كل ما يعبد من دون الله كالأصنام، وكفروا بالله: بأن أنكروا وجوده أو وحدانيته، أولئك هم الذين خسروا أنفسهم في صفتهم، حيث اشتروا الكفر بالإيمان.

وَلَا تَجِدُوا أُمَّةً إِلَّا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِمْ أَحْسَنُ
إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا
وَأُنزِلَ إِلَيْنَا وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ
مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ
ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ
وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنْتَ
تَسْمَعُ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُرُ بِمِثْلِكَ بِأَنَّ الْوَارِثَ
الْبَاطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ وَمَا يُجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا
لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ
اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوْ لَوْ يَكْفُرُونَ
أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرِجْمَةً
وَذِكْرًا لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ
شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا
بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾

وَيَسْتَجِئُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ
 وَلِيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٤﴾ يَسْتَجِئُونَكَ بِالْعَذَابِ
 وَإِنْ جَاءَهُمْ مُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٥﴾ يَوْمَ تَمِثُهُمْ أَعْدَابُ
 مِنْ فَوْقِهِمْ وَإِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٦﴾
 لِيَعَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنَّي أَنَا عَبْدُكَ ﴿٥٧﴾
 كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرًّا فَتَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أُمْرًا أَجْرًا لِّلْعَامِلِينَ ﴿٥٩﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ
 رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٦٠﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ ذَابَّةٍ لَا يَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا
 وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى
 يُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
 وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ
 نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ
 اللَّهُ فَلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ لَأَكْذِبُهُمْ لَا يَحْمِلُونَ ﴿٦٤﴾

٥٣- ويستعجلك أيها النبي المشركون بالعذاب استهزاء، ولولا وجود أجل معلوم وموعد محدد في علم الله، لكل عذاب أو قوم في الدنيا أو يوم القيامة، لجاءهم العذاب المستحق عاجلاً بسبب ذنوبهم، وليأتينهم فجأة، في الدنيا عند حدوث معركة مثلاً كوقعة بدر، وفي الآخرة عند نزول الموت بهم، وهم لا يشعرون بوقت إتيانه.

٥٤- يستعجلونك بالعذاب الدنيوي، قل لهم أيها النبي: إن العذاب الآخروي أت لا بد منه، وإن جهنم لمحيطة بالكافرين يوم القيامة.

٥٥- يوم يصيبهم ويغطيهم العذاب من جميع جوانبهم، من فوقهم ومن تحت أرجلهم، ويقال لهم: ذوقوا جزء ما كنتم تعملون، فلا تفوتونا.

٥٦- يا عبادي الذين آمنوا إن كنتم عاجزين في مكة أو غيرها عن إظهار شعائر الإسلام والعمل بها، خوفاً من أذى المشركين، فهاجروا إلى بلد آخر تيسر لكم العبادة فيه، إن أرضي متسعة، فأخلصوا لي العبادة في أي مكان آخر ليس فيه مضايقة لكم. نزلت في تحريض المؤمنين الذين كانوا بمكة على الهجرة، وقالوا: نخشى إن هاجرنا من الحرم وضيق المعيشة.

٥٧- كل نفس مخلوقة ذائقة الموت حتماً، في

الوطن والمقام أو في الغربية والمهجر، ثم ترجعون إلينا بعد الموت للحساب والجزاء.

٥٨- والذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا الأعمال الصالحة المأمور بها شرعاً، لننزلهم من الجنة غرماً (أمكنة عالية) تجري من تحت أشجارها ومسكنها الأنهار، ماكين فيها على الدوام، نعم هذا الأجر أجر العاملين بأوامر الله تعالى.

٥٩- الذين صبروا على أذى المشركين، والهجرة لإظهار الدين، وغير ذلك من المحن والبلايا، ويفوضون الأمر لربهم ويتقون به.

٦٠- وكم أي كثير من ذابئة. و«من» لبيان جنس الشيء الكثير قبله، أي وكثير من الدواب- لا تطيق حمل رزقها لضعفها، ولا ادخاره، والله يرزقها وإياكم بتيسير أسباب الرزق والحياة، وهو السميع لأقوالكم، العليم بأحوالكم وضمايركم. نزلت حينما طلب النبي ﷺ من أصحابه بمكة الهجرة إلى المدينة، فقالوا: ليس لنا بها دار ولا عقار، ولا من يطعمنا، ولا من يسقينا، فنزلت الآية.

٦١- ولئن سألت أيها النبي المشركين: من خلق السموات والأرض وأبدعها، وذلك الشمس والقمر يجريان لما فيه نفع المخلوقات؟ ليقولن: الله وحده هو الخالق والمسخر، فكيف يُصرفون عن توحيد بعد إقرارهم بذلك؟!

٦٢- الله يوسع الرزق لمن يشاء من عباده امتحاناً، ويضيقه على من يشاء ابتلاءً، إن الله بكل شيء عالم واسع العلم، يعطي ويمنع بمقتضى الحكمة والمصلحة.

٦٣- ولئن سألتهم أيها النبي: من الذي نزل من السماء مطراً، فأحيا به الأرض بالإنبات، من بعد قحطها وجذبها؟ ليقولن: الله وحده الفاعل لكل ذلك، قل: الحمد لله على ظهور الحجة والتوفيق للصواب، بل أكثر المشركين لا يدركون تناقضهم في ذلك.

٦٤- وما هذه الحياة الدنيا إلا لكهوى السعيان ولعبهنم، يلتقون ساعة ثم يتفرقون، وإن حياة الدار الآخرة لهي الحياة الحقيقية الدائمة التي لا تزول؛ لأنه لا موت بعدها، لو كانوا يعلمون ذلك، لما آثروا الدنيا على الآخرة.

٦٥- فإذا ركب الكفار في السفن- والفلك: يطلق على السفينة الواحدة والأكثر- دعوا الله مخلصين له الدعاء والتضرع، وتركوا الأصنام والأوثان؛ لعلمهم أنه لا يكشف الشدة واللحنة إلا الله تعالى، فلما نجّاهم إلى البر إذا هم يعودون إلى الشرك ودعاء غير الله سبحانه. و ﴿إذا﴾ حرف يدل على حصول ما بعده عقب ما قبله مباشرة.

٦٦- إنهم يشركون، لكي يكفروا بما أعطيتهم وأمددناهم من النعم، وليتتمتعوا بعبادة الأصنام- فاللام في الفعلين لام التعليل في تقدير الله، ولام العاقبة أو الصيرورة بالنسبة إليهم- فسوف يعلمون عاقبة ذلك.

٦٧- أو لم يعلم كفار قريش أننا جعلنا حرمهم هذا مكة حراماً آمناً على النفس والمال، ويختلس الناس من حولهم قتلاً وسبياً ونهباً، أفيالباطل (وهو الضمن أو الشيطان) يؤمنون، بعد ظهور الحججة عليهم، ويكفرون بنعمة الله، فلا يشكرون ربهم المنعم، ويشركون به غيره؟! قال ابن عباس: قال المشركون: يا محمد، ما يتعنا أن ندخل في دينك إلا مخافة أن يتخطفنا الناس لقتلنا، والأعراب أكثر منا.

٦٨- ولا أحد أظلم من اختلق على الله كذباً، فزعم أن له شريكاً، أو كذب بالقرآن والرسول، حينما أتاه وسمعه دون أن يفهمه، ليس في جهنم مأوى ومستقر للكفار جزاء كفرهم؟! والاستفهام تقرير لإقامتهم في جهنم.

٦٩- والذين جاهدوا في حقنا ومن أجل نشر دعوتنا، لنهديهم إلى طرق الخير ورضوان الله، وإن الله لمع المحسنين أعمالهم بالنصر في الدنيا، والثواب في الآخرة.

وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَاةِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكَ دَعَاؤَ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مِمَّا وَبِئْسَ تَخَافُ النَّاسُ مِنْ حَوَاطِمِ أَيْمَانِنَا لِظُلْمٍ نُسَبِّحُ بِهِ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَقْرَأَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- عَلِيَّا رُومٌ ﴿١﴾ فِي أَنْزِلِ الْأَرْضِ وَهَمٌّ مِنْ بَعْدِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٢﴾ فِي ضَمِّ سَيِّئِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدٍ وَتَوْمِيذٍ يَصْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ يَصْرُ اللَّهُ يَصْرُ مِنْ يَشَاءَ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤﴾

سورة الروم

١- ألف، لام، ميم، هذه الحروف تشبيه السامع وحثه على الإقبال على القرآن، ولتحدي العرب بمعارضة القرآن الذي تتألف كلماته وجمله من هذه الحروف وغيرها.

٢- غلبت دولة فارس الوثنية دولة الروم النصرانية بقيادة هرقل في العصر النبوي، في معركة جرت بينهما. وكانت دولتهم تشمل الشام والعراق، ففرح كفار مكة بذلك، وتفاءلوا بنصرهم على المسلمين. عن أبي سعيد الخدري قال: لما كان يوم بدر، ظهرت الروم على فارس، فأعجب ذلك المؤمنين، فنزلت: ﴿الم، غلبت الروم﴾.

٣- في أقرب أرض الروم إلى أرض فارس بالجزيرة، وإلى أرض العرب شمالاً، والروم من بعد هزيمتهم سيغلبون الفرس.

٤- في مدة تتراوح بين ثلاث إلى تسع سنوات، لله الأمر- أي القدرة وإنفاذ الأحكام- من قبل انقلاب الروم ومن بعد ذلك، ويوم ينتصر الروم على الفرس يفرح المؤمنون؛ لأنه انتصار لأهل الكتاب على المشركين.

٥- يفرحون بنصر الله الذي نصر الروم الكتابيين على الفرس الوثنيين، ينصر من يشاء الله من عباده أن ينصره، وهو القوي الغالب المنتقم من أعدائه، الرحيم بعباده التائبين المؤمنين. والآيات من دلائل النبوة؛ لأنها إخبار عن الغيب.



وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾
يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾
أَوَلَوْ يَتَفَكَّرُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿٨﴾
وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِي رَبِّهِمْ لَكٰفِرُونَ ﴿٩﴾
أَوَلَمْ نَسِبْهُمُ بِالْأَرْضِ قَبِيضًا وَوَعْدًا كَانَ عَقِبَهُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مُنْهَرِقِينَ ﴿١٠﴾ وَأَنَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١﴾
سَأَلْنَا الَّذِينَ أُوتُوا السُّوَابِيَّ أَن يُعَدِّبُوا عِبَادِي اللَّهِ وَيَذَّبُوا أَجْمَلِيَّةَ الَّذِينَ الَّذِينَ سَبَّوْنَهُمْ أَتَاهُمُ نَجْمٌ كَأَنَّهُ سَائِلٌ مُّجِيبٌ ﴿١٢﴾
تَقْوَمُ السَّاعَةُ يُبْسَلُ الْمُخْرِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ كُنْ لَهُم مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاؤُا وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كٰفِرِينَ ﴿١٤﴾
وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ ﴿١٥﴾

٦- وعد الله المؤمنين وعداً جازماً بالنصر- نصر الروم على الفرس الوثنيين، لا يخلف الله وعده في أي أمر، ولكن أكثر الناس ومنهم كفار مكة لا يعلمون وعده تعالى بنصرهم لجهلهم بالله تعالى وعدم تفكيرهم.

٧- يعلمون الأمور الظاهرة التي يشاهدونها من زخارف الدنيا ومكاسب الحياة، وتمتعهم بها، وهم غافلون عن نعيم الآخرة الدائم، لا يستعدون له، ولا يخطر ببالهم نهاية الدنيا.

٨- أولم يتفكر الغافلون عن الآخرة في خلق الله أنفسهم، فيرجعوا عن غفلتهم؟ ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما من المخلوقات إلا بالعدل ومن أجل العدل والحكم عالية لا عبثاً ولعباً، ولوقت معلوم محدد نهايته يوم القيامة، وإن كثيراً من الناس مثل كفار مكة لكافرون بالبعث بعد الموت.

٩- أولم يسيروا في الأرض سير تأمل واعتبار؟ فيشاهدوا كيف كان مصير الأقوام الذين كانوا من قبلهم، أهلكتهم الله بسبب كفرهم بالله وتكذيبهم

لرسل، كانوا أشد قوة كعاد وثمود من أهل مكة، وحرثوا الأرض وقلبوها للزراعة، وعمروها بالمباني والغراس والمزارع أكثر مما عمرها هؤلاء المكيون، بسبب طول أعمارهم، وقوة أجسامهم، وجاءتهم رسلهم بالمعجزات الدالة على صدقهم، فلم يؤمنوا، فأهلكهم الله، فما كان الله ليلظلمهم بتعذيبهم من غير ذنب، ولكن كانوا يظلمون أنفسهم بالكفر بالله وتكذيب رسله. وهذا يدل على أن الله تعالى عذبهم بسبب مظالمهم ومعاصيهم.

١٠- ثم كان عاقبة المسيئين الذين كفروا بالله وعصوا أوامره أقبح عاقبة في الآخرة؛ لأنهم كذبوا بآيات الله التي أنزلها على رسله، وكانوا يسخرون بها. والسواى: مؤنث الأسوا.

١١- الله تعالى وحده هو الذي يبدأ خلق المخلوقات، ثم يعيد الخلق مرة أخرى، ثم إليه ترجعون إلى الحساب والجزاء، ليكافأ المحسن، ويعذب المسيء.

١٢- ويوم تقوم القيامة يبأس المشركون من النجاة، ويسكتون متحيرين لانقطاع حجبتهم.

١٣- ولم يكن للمشركين من شركائهم الذين عبدوهم من دون الله وأشركوهم بالله شفعا يتقذونهم من العذاب، وكانوا حيثئذ كافرين بالهتهم الذين جعلوهم شركاء لله، متبرئين منهم.

١٤- ويوم تقوم القيامة ويتم الحساب يتفرق المؤمنون والكافرون، فيذهب الأولون إلى الجنة، والآخرين إلى النار.

١٥- فأما المؤمنون بالله ورسوله، وعملوا الأعمال الصالحة التي أمروا بها، فهم في روضة (بستان) من رياض الجنة يُسرون ويُكرمون.

١٦- وأما الذين كفروا بالله ورسوله، وكذبوا بآياتنا المنزلة في القرآن، وكذبوا بالبعث وتوابعه من جنة ونار، فأولئك مقيمون في العذاب، تحضر الملائكة عذابهم.

١٧- فتنتزه الله عن كل نقص، فتزهوه وصلوا له في وقت الصباح والمساء، ففي الصباح صلاة الفجر، وفي المساء صلاة المغرب والعشاء، وخص هذان الوقتان بالذكر، لوضوح آثار القدرة والعظمة الإلهية فيهما.

١٨- والله الشكر والثناء الجميل في أنحاء السموات والأرض وفي العشي (صلاة العصر) ووقت الظهيرة (صلاة الظهر). والعشي: الوقت الممتد من بعد العصر إلى الغروب.

١٩- يخرج الله الحي من الميت، كالإنسان من النطفة، والطير من البيضة، ويخرج الميت من الحي كالنطفة والبيضة من الإنسان، ويحيي

الأرض بالنبات بعد موتها بالبيس، ومثل ذلك الإخراج تخرجون من القبور. والمراد أن البدء والإعادة سواء في قدرة الله تعالى.

٢٠- ومن آيات الله تعالى الدالة على قدرته وعلى البعث: أن خلق أصلكم آدم من تراب، ثم بعد التناسل من آدم والصبورية بشراً من دم ولحم تتوزعون في الأرض، تبتغون من فضل الله تعالى.

٢١- ومن آياته تعالى أيضاً الدالة على البعث: أن خلق لكم أزواجاً من جنسكم في البشرية والإنسانية لتحققوا السكن والطمأنينة والأنس، وجعل بين الزوجين محبة وشفقة، إن في ذلك المذكور آيات دالة على قدرة الله تعالى، لقوم يفكرون في صنع الله تعالى وتدييره، وقدرته وحكمته.

٢٢- ومن دلائل قدرته إيجاد السموات والأرض، واختلاف لغاتكم ولهجاتكم، وتباين ألوانكم كالسواد والبياض، إن في ذلك لعلامات على قدرة الله لأولي العلم والبصيرة.

٢٣- ومن آياته تعالى، أي دلائل قدرته: نومكم بالليل للراحة، وابتغواكم (طلبكم) الرزق أو المعاش في النهار، إن في ذلك لدلائل واضحة على البعث، لقوم يسمعون المواعظ سماع تأمل وتفكر.

٢٤- ومن دلائل قدرته: أنه تعالى يريكم البرق (وهو شرارة كهربائية بسبب احتكاك السحب) خوفاً من الصواعق، وطمعاً في الغيث، وينزل من جهة السماء من السحاب مطراً، فيحيي الأرض من بعد جذبها، إن في ذلك لدلالات على قدرته تعالى، لقوم يفكرون في دلالاتها على القدرة الباهرة.

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسَجَّنَ اللَّهُ حِينَ تُسُونَ وَحِينَ تُضَيَّحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحُكْمُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعِشْيَانَا وَحِينَ نَظْهَرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ نُخْرِجُكُمْ ﴿١٩﴾ وَمَنْ آتَيْنَاهُم مِّنْ تَرَابٍ ثُمَّ إِذَا نَفَرْنَا مِنْهُمُ اشْرَبُوا ﴿٢٠﴾ وَمَنْ آتَيْنَاهُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلْ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ آتَيْنَاهُم مَّاءً حَلِيقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفْنَا لِسَانَكُمُ وَاللَّوئِيمُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِنَا فِي مَنَامِكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَآيَاتِنَا وَكُم مِّنْ فَضْلِنَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ آيَاتِنَا يَرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾

٢٥- ومن دلائل قدرته: قيام السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض فلا تتركوا، ثم إذا دعاكم الله بإرادته من غير أعمدة ولا ركائز، ثم إذا دعاكم الله تعالى دعوة من الأرض بالبعث والنفيخ في الصور، إذا أنتم تخرجون سراعاً أحياء، من غير تباطؤ. وقيامهما: بقاءهما قائمتين على حالهما.

٢٦- والله جميع من في السموات والأرض ملكاً وخلقاً وتعبداً، كل له مطيعون منقادون لفعله فيهما من إحياء وإماتة، وصحة ومرض، وبعث وحساب وغير ذلك.

٢٧- والله سبحانه هو الذي ابتدئ الخلق من العدم، ثم يعيده حياً بعد الموت للحساب والجزاء، والإعادة عليه أهون من الابتداء بحسب تصور الناس العقلاء، وأما بالنسبة لله تعالى فهما سواء، وله الصفة العليا البديعة التي لا يضارعه أحد فيها، كالقدرة العجيبة والحكمة النافذة، في السموات والأرض، وهو القوي الغالب القاهر، الحكيم في أفعاله وأفعاله، وتدبير خلقه. قال عكرمة: تعجب الكفار من إحياء الله الموتى، فنزلت هذه الآية.

٢٨- جعل الله لكم أيها المشركون مثلاً منتزعا من أحوال أنفسكم، تعتبرون به، لبطلان الشرك، وهو هل

وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ كُلِّ لَهْفَيْنِونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴿٢٧﴾ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٩﴾ بَلَىٰ أَتَيْتُمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ مِّنْ يَهْدِي مَنْ أَصَلَ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَأَقْرِبُوا وَجْهَكُمْ لِلدِّينِ حَنِيفًا فطَرَبَتِ اللَّهُ الَّذِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهِمَا لَاتُبَدِّلُ الْحَاقُّنِ اللَّهُ ذَٰلِكَ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرِ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣٢﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِبَعًا كُلِّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ قُرُونٌ ﴿٣٣﴾

لكم شركاء فيما تملكون من الرقيق والأموال وغيرها، فتكونون أنتم وشركاؤكم سواء في إمكان التصرف فيه، تخافون من الاستقلال بالتصرف في المملوك، كخوفكم من الأحرار مثلكم؟ والمعنى: إذا كنتم ترفضون إشراك غيركم في ممتلكاتكم، فكيف تقبلون الإشراك لله الخالق؟ مثل ذلك التفصيل نين الآيات والبراهين بأمثله واضحة لقوم يتدبرون ويتعظون و«هل» حرف استفهام للتوبيخ. قال ابن عباس: كان يلمي أهل الشرك: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك، فأنزل الله هذه الآية.

٢٩- بل (حرف للانتقال من كلام لآخر) اتبع الظالمون أنفسهم بالإشراك أهواءهم بتقليد آبائهم، جهلاً منهم بأنهم على ضلالة، فلا أحد يقدر على هداية من أضله الله بسبب تماديه في الكفر والعناد، وليس لهم من أنصار يخلصونهم من الضلالة، ولا منقذ لهم من الله تعالى.

٣٠- فاقبب أيها النبي ومن تبعك على دين الإسلام، وأخلص التوجه والقصد إليه وحده، مائلاً عن كل دين آخر إلى منهج الاستقامة، واتبع الفطرة: الحالة التي خلق الله الناس عليها وهي الخضوع لإله قادر حكيم واحد لا شريك له، لا قدرة لأحد على تغيير الفطرة الإلهية من التوحيد إلى الشرك، ذلك أي لزوم الفطرة هو الدين القويم الذي لا عوج فيه، ولكن أغلب الناس ككفار مكة لا يعلمون الحق والتوحيد لعدم تدبيرهم.

٣١- فأقيموا وجوهكم راجعين إليه تعالى بالتوبة وإخلاص العمل، والتزموا الأوامر واجتنبوا النواهي، وأقيموا الصلاة التامة الأركان في أوقاتها، واحذروا أن تكونوا من المشركين بالله إلهاً آخر.

٣٢- من المشركين الذين اختلفوا في عبادتهم بحسب أهوائهم، وكانوا فرقةً وأحزاباً، يشايح بعضهم بعضاً، كل فريق بما لديهم من الدين المخترع مسرورون بما لديهم يظنون أنهم على الحق.



٣٣- وإذا أصاب الناس مثل كفسار مكة ما يضرهم بسبب شدة وبلاء، دعوا ربهم لرفع الضر عنهم، راجعين إليه دون غيره، متضرعين بقلوب خاشعة، ثم إذا رحمهم وخلصهم من ذلك الضر والشدة إذا جماعة منهم مشركون بربهم، يعودون لما كانوا عليه من الشرك.

٣٤- ليصيروا كفاراً جاحدين بما أعطيناهم من النعم، فتمتعوا أيها الكفار بكفركم قليلاً، فسوف تعلمون مصير كفركم في الآخرة، وهذا تهديد ووعد.

٣٥- بل هل أنزلنا عليهم برهاناً ساطعاً وكتاباً قاطعاً يكون حجة لهم، فهو ينطق بإشراكهم بالله تعالى وجواز ما يعملون؟ وهذا على سبيل الإنكار، والمعنى: لا حجة لهم على ما هم عليه من الشرك والضلال.

٣٦- وإذا أذقنا الناس منا نعمة كرخاء وعافية، فرحوا فرح بطر بسببها، وإن يصيبهم بلاء وشدة بسبب ما جنت أنفسهم واقترفوا من السيئات، إذا هم يياسون من الرحمة الإلهية.

٣٧- أو لم يعلموا أن الله يوسع الرزق لمن يشاء

من عباده، ويضيقه على من يشاء بمقتضى حكمته امتحاناً واختياراً، إن في ذلك البسط والتقتير لدلائل على قدرة الله وحكمته لقوم يؤمنون بربهم، فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة.

٣٨- فأعط أيها المؤمن القريب حقه من صلة الرحم والبرّيه، وأعط المسكين المحتاج، والمسافر المنقطع عن بلده المحتاج إلى المال، من الزكاة والصدقات، ذلك الإيتاء أفضل من الإمساك لمن يريد الثواب بعمله وإخلاص النية لربه، والتقرب إلى الله تعالى، وأولئك هم الفاترون بالجنة والرضوان.

٣٩- وما أعطيتم قرضاً من مال بقصد المراباة وطلب زيادة خالية من العوض المقابل، ليزيد وينمو على حساب أموال الناس، فلا يزيد عند الله، بل يحقه الله، وما أعطيتم من زكاة للمستحقين ابتغاء مرضاة الله، فأولئك هم الذين يضاعف لهم الثواب بما أرادوه، أي هم أصحاب الأجر المضاعف.

٤٠- الله الذي خلقكم أيها الناس المؤمنون والمشركون، ثم رزقكم من الميلاد إلى الوفاة، ثم يميتكم في آخر العمر، ثم يعثكم أحياء في الآخرة للحساب والجزاء، هل (حرف استفهام يراد به التوبيخ) من شركائكم من يفعل هذه الأفعال، تنزه الله، وتقدس، وتعظم عن أن يكون له شريك.

٤١- ظهر الخلل في الأشياء كالجذب والقشط والحرق والغرق والمرض والقلق وتسلط الأعداء بسبب معاصي الناس وذنوبهم، ليذيقهم جزاء بعض ما عملوا في الدنيا قبل عقاب الآخرة، ليرجعوا عما هم عليه من المعاصي ويتوبوا من الذنوب.

وَإِنَّمَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَانَهُمْ
مِنَهُ رَمَحَهُ إِذَا فَرِحَ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٧﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا
ءَانَيْتَهُمْ فَتَمْتَعُوا بِسَوْفٍ تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ
سُلْطَانًا فَهُوَ يَسْكُرُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٩﴾ وَإِذَا آذَنَّا
النَّاسَ نَجْحَةً فَوَحَا بِهَا وَإِنْ تَصْبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَمَّا قَدَّمَتْ أَيْدِيَهُمْ
إِذَا هُمْ يَقْضُونَ ﴿٤٠﴾ أَوْ لَرَبِّ وَأَنَّ اللَّهَ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ
وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَاتَّخَذَ الْفَرِيقَ
حَقَّهُ وَالْمُسْكِينَ وَأَنْزَلَ السَّبِيلَ ذَلِكَ خَبَرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ
وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتْلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَاءَ الْيُسْقَى مِنْ رَبِّهَا
لَيُرْوَى فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْوَى عِنْدَ اللَّهِ وَمَاءَ الْيُسْقَى مِنْ زَكَاةٍ
تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْغَفُونَ ﴿٤٣﴾ اللَّهُ الَّذِي
خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ
شُرَكَائِكُمْ مَن يُفْعَلُ مِنْ ذِكْرِهِنَّ شَيْءٌ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٤﴾ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ
أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٥﴾

٤٢- قل أيها الرسول للمكذبين برسالتك: انتقلوا في أنحاء الأرض، وتأملوا فيما حدث فيها، لتتحققوا صدق وعيدنا، وتظنوا في مصير الأمم الماضية الذين أهلكتناهم، بسبب كون أكثرهم مشركين بالله إلهها آخر.

٤٣- فاجعل أيها النبي اتجاهك نحو الدين القويم واتباعه، وهو الإسلام، من قبل مجيء يوم القيامة الذي لا سبيل إلى رده، فلا راد له ولا مانع منه من أمر الله، يومئذ يتصدعون، أي يتفرقون بعد الحساب: فريق في الجنة، وفريق في السعير.

٤٤- من كفر بالله فعليه وبال كفره: وهو النار المؤبدة، ومن آمن وعمل صالحاً ملتزماً بما أمر الله به، فلا نفسهم يوظنون أو يهيشون منزلتهم في الجنة.

٤٥- ليجزي الله الذين آمنوا وعملوا بما أمر الله ثواباً من فضله وإحسانه، فالإثابة محض تفضل، إن الله يعاقب الكافرين ويسخط عليهم، فالغضب يستتبع العقوبة.

٤٦- ومن دلائل قدرته ووحدانيته تعالى: أن يرسل الرياح: رياح الخير والرحمة مبشرات

قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عظمة الذين من قبل
كان أكثرهم مشركين ﴿٤٢﴾ قائم وجهك للدين القويم
من قبل أن تأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون ﴿٤٣﴾ من
كفر فعليه كثره ومن عمل صالحاً فلا لنفسه يمهدوت ﴿٤٤﴾
ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله إنه لا يحب
الكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنَ الْبَيْتِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ
وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِيُخْرِجَ لَكُمْ الْفُلُوكَ بِأَمْرٍ
وَلِيُتَبَدَّلَ مِنْ فَضْلِهِ وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ فَضْلِهِ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ
رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاتَّقَمْنَا
مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُحْمَلُ
بِهَا السَّحَابُ فِي سُبُطٍ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ
وَيَجْعَلُهُ كَسَفًا أَوْ يَهْدِي السُّيُوفَ مِنْ جِهَتِهِ
وَإِذَا أَصَابَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبِشِرُونَ
﴿٤٨﴾ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُرْسَلَ عَلَيْهِمْ
مِنْ قَبْلِ لَيْلِيسِينَ ﴿٤٩﴾ فَأَنْظِرِ الْآلِهَةَ
الَّذِينَ رَحِمْتَ اللَّهُ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُنْحَى الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

بهطول الأمطار، وليذيقكم من رحمته الغيث والخصب والخيرات، ولتسير السفن في البحر بإذنه وإرادته، ولتطلبوا الرزق من بعض فضل الله بالتجارة في البحر والبر، ولتشكروا نعمة الله فيها، فتوحده.

٤٧- ولقد أرسلنا من قبلك أيها الرسول رسلاً إلى قومهم يدعونهم للتوحيد، فجاؤوهم بالمعجزات أو بالحجج الواضحات على صدقهم في رسالتهم إليهم، فانتقمنا من الذين اقتروا السيئات وتكذيب الرسل بالإهلاك والتدمير، وكان حقاً ثابتاً لازماً نصر المؤمنين على الكافرين بإهلاكهم وإحباط المؤمنين.

٤٨- الله الذي يحرك الرياح ويوجهها نحو هدف، فتحرك وتهب سحاباً، فينشره متصلاً بعضها ببعض في السماء، كيف يشاء من قلة وكثرة، ويجعله أحياناً قطعاً متفرقة، فتري المطر يخرج من وسطه، فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يبشرون بعضهم بعضاً بالخير والخصب بالمطر الذي هو أمانة ذلك. و﴿إذا﴾ حرف يدل على حصول ما بعده عقب ما قبله فجأة.

٤٩- وإنهم كانوا من قبل إنزال المطر لآيسين أو يائسين من نزوله. وقوله: ﴿من قبله﴾ لبيان سرعة قلبهم من اليأس إلى الفرح، وهذا من شأن أهل الخفة والطيش، أما المؤمن فصبور لا يتعجل.

٥٠- فانظر أيها المخاطب إلى آثار الغيث من النبات والزروع والشجر والثمر، كيف يحيي الله الأرض بالنبات من بعد يبسها وجديها، إن الذي أحيا الأرض بقدرته هو محيي الموتى يوم القيامة للحساب والجزاء، والله على كل شيء قادر متمكن كثير القدرة، لا يعجزه شيء.



٥١- ولئن أرسلنا ريحاً فارتأتهم مصفرةً ظلماً لعلهم يرجعون
فأرأوا الزرع أو النبات مصفرةً تالفاً من شدة الريح،
ظلوا أو مكثوا من بعد ذلك يكفرون بالله ويجحدون
نعمته. والمراد أنه لا ينفعهم التخويف لقسوة قلوبهم.

٥٢- فإنك أيها النبي لا تسمع موتى القلوب سماع
تدبر وانعاط، ولا تسمع الصم دعوتك إلى الحق إذا
انصرفوا معرضين بسرعة عن السماع والتفهم.
والمراد: الكفار الذين أصبحوا كالموتى والصم.

٥٣- وما أنت بهادي العمي وما نفعهم من
ضلالتهم، وسموا عمياً لفقدهم المقصود الحقيقي من
الإبصار، ما تسمع سماع إفهام وقبول إلا المؤمنين
بآياتنا القرآنية، فهم مقادون خاضعون لأمرنا.

٥٤- الله الذي خلقكم ضعفاء- وقال: من ضعف
حتى كان الضعف أساس تكوينكم- وسبب الضعف
بده التكوين من نطفة، ثم جعل من بعد ضعف
الطفولة قوة الشباب، ثم جعل من بعد قوة ضعف
الكبر وشيب الهرم، يخلق الله ما يشاء من الضعف
والقوة والشباب والشيبة، وهو العليم بخلقه، القادر
على ما يشاء.

٥٥- ويوم تقوم القيامة يحلف المجرمون ما مكثوا
في الدنيا غير مدة زمنية قليلة، أو لحظة، مثل ذلك
الصرف عن معرفة مدة المكث، كانوا يصرفون في الدنيا عن الحق الذي هو البعث وغيره من التكلم بالحق والصدق،
تصرفهم الشياطين عن الصواب.

٥٦- وقال أهل العلم والإيمان، وهم الملائكة أو الأنبياء: لقد مكثتم فيما كتبه الله في سابق علمه المدون في اللوح
المحفوظ إلى يوم البعث من القبور، فهذا يوم البعث، ولكنكم كنتم لا تعلمون أنه حق واقع، للتفريط في النظر.

٥٧- فيوم القيامة لا ينفع الظالمين أنفسهم بالكفر عندهم في إنكارهم له، ولا يطلب منهم الرجوع إلى ما يرضي
الله تعالى، من الإيمان والتوبة.

٥٨- ولقد بينا للناس في هذا القرآن الأمثلة الكثيرة التي ترشد إلى التوحيد والإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر،
ولئن جئت الكفار أيها النبي بمعجزة، ليقولن الكفار لفرط عنادهم وقسوة قلوبهم: ما أنتم أيها المؤمنون إلا أهل
أباطيل، تتبعون السحر ونحوه.

٥٩- مثل ذلك الطبع على قلوب هؤلاء الجهلة بسبب معارضة الحق ومعادنته، يطبع الله على قلوب الجهال
الذين فقدوا العلم النافع الذي يرشد إلى الحق وتجنب الباطل. والمراد: أن الله يختم على قلوب المصرين على الجهل
والكفر والتكذيب آيات الله تعالى.

٦٠- فاصبر أيها النبي على أذى قومك وفي سبيل دعوتك، فقد وعدك الله بالنصر، إن وعد الله بنصرك عليهم
وإظهار دينك حق ثابت، ولا يحملنك على الخفة والطيش الذين لا يوقنون بالله ولا يصدقون أنبياءه، فهم قوم
ضالون.

وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ وَيَكْفُرُونَ
٥١ فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الْقَمَمَ الدَّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا
مُدْبِرِينَ ٥٢ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعَمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمِعُ
إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْمَعُونَ ٥٣ اللَّهُ الَّذِي
خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعِيفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعِيفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ
بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ
٥٤ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِثُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَيْسَ لَهُمْ
سَاعَةٌ كَذَلِكَ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ كَوْنًا ٥٥ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
وَالَّذِينَ لَمْ يَلْقَوْا كِتَابَ اللَّهِ الْيَوْمَ الْأَبْتَحْ فَهَذَا يَوْمُ
الْأَبْتَحِ وَاللَّيْكُ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٥٦ فَيَوْمَئِذٍ
لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مُعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ
٥٧ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَيْنَ
جُنَّهْمُ بِآيَةِ الْقُرْآنِ الَّذِينَ كَذَبُوا أَنْتَهُ الْأَمْطَلُونَ ٥٨
كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ٥٩ فَاصْبِرْ إِنَّ
وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْحَبَنَّكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٦٠

سورة لقمان

١- ألف، لام، ميم، كافتتاح سورة البقرة، للتنبية إلى خطورة ما يتلى ما بعدها، ولإثبات إعجاز القرآن وكونه من عند الله، بتحدي العرب للإتيان بمثله، مع أنه مكون من أحرف لغتهم التي يتفاخرون بأنهم فرسان البيان فيها.

٢- هذه الآيات المذكورة في هذه السورة هي آيات القرآن المتصف بالحكمة: وهي وضع الشيء في موضعه المناسب، فهو صاحب الحكمة.

٣- الآيات هادية راحمة للذين يحسنون أعمالهم مع الله ومع الناس ومع أنفسهم.

٤- المحسنون الذين يؤدون الصلاة كاملة في أوقاتها، ويدفعون الزكاة المفروضة للمستحقين وهم على يقين بوجود الآخرة وما فيها من بعث وحساب وجزاء وغير ذلك.

٥- أولئك الموصوفون بما ذكرهم المهتدون المُسَدَّدون على نور من منهج ربهم، وأولئك هم وحمدهم الفائزون في الدنيا والآخرة برضوان الله.

٦- وبعض الناس يشتري بماله لهو الحديث: وهو كل ما يلهو به الناس من الغناء والملاهي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ١- يَا لَيْتَ الْبَشَرَ لَشَأْنِ اللَّهِ أَلْبِسُوا قُلُوبَهُمْ قُلُوبًا غَافِلِينَ
 ٢- وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ زَكَاةً وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ
 يُوقِنُونَ ٣- أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُحْسِنُونَ
 ٤- وَمِنَ النَّاسِ مَن يُتْرَكُ لِمَا يُوعَدُ الْبُغْيُ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لِيُغَيِّرَ عِلْمَهُ
 وَيُجِدَّهَا هَرًّا وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ٥- وَإِنَّا نُنزِّلُ الْغَيْثَ الْبَرَّ
 وَالْمُسْتَسْقِرَّ كَانَ لِنَوْمِهِمَا كَأَنَّ فِي آذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّضَهُ وَعَذَابٌ
 أَلِيمٌ ٦- إِنَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُحْيِيَنَّكَ لِنِعْمِ
 خَلْقِنَا فِيهَا وَعَدَّاكَ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ٧- خَلَقَ السَّمَوَاتِ
 بِغَيْرِ عِمْدٍ تَرَوْنَهَا وَالَّتِي فِي الْأَرْضِ رَوَايَا أَنْ نُمِيدَ بِكُمْ وَبَشَّ
 فِيهَا مِن كُلِّ ثَوْبَةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا
 مِن كُلِّ رَوْحٍ كَرِيمٍ ٨- هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ
 الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٩

والقصص، ليصد الناس ويضلهم عن دين الله وهو الإسلام، جهلاً بالإثم، ويتخذ سبيل الله وهو كتاب الله سخرية مهزوءاً به، أولئك لهم عذاب مذل في جهنم. والمراد: التنبية على فساد قصد القصاصين وصرفهم الناس عن القرآن. نزلت في رجل من قريش اشترى جارية مغنية، وهو النضر بن الحارث الذي كان يرسل الجارية لتغني لكل من يريد الإسلام لصرفه عن ذلك. وقوله: ﴿ليضل﴾ مراعاة للفظ ﴿من﴾ وقوله: ﴿أولئك﴾ مراعاة للمعنى أي فريق من الناس.

٧- وإذا قرأ على هذا القصص المفترى آيات من القرآن أعرض وأدبر متكبراً لا يعبا بها، كان لم يسمعها، كأن في أذنيه ثقلاً أو صمماً، فأخبره بعذاب بالغ الألم لا محالة يوم القيامة.

٨- إن الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا صالح الأعمال التي أمروا بها لهم نعيم الجنات.

٩- ماكثين في الجنة على الدوام، وعد الله ذلك وعداً حقاً لا خلف فيه، وهو القوي الغالب، الحكيم في تدبيره.

١٠- أوجد السموات من غير أعمدة تبصرونها، وألقى في الأرض جبلاً ثوابت لثلاثاً تضطرب وتتحرك بكم، وفرق في الأرض مختلف أنواع الدواب، وأنزلنا من جهة السماء من السحاب مطراً، فأنبتنا في الأرض من كل صنف حسن.

١١- هذا الشيء المشاهد هو خلق الله تعالى، فأروني أيها المشركون ماذا خلق الذين من غير الله من الآلهة المعبودة؟ بل الظالمون أنفسهم بالشرك بالله في متاهة ويُعد واضح عن جادة الحق والاستقامة، و﴿بل﴾ للانتقال من حال إلى حال.

١٢- ولقد أعطينا لقمان الحكمة، أي العلم وفقه الدين، فهي مجموعة فضائل تجعل صاحبها يضع كل شيء في محله، فهو عند الأكثرين ليس نبياً، وإنما كان حكيماً، ومن الحكمة: أن اشكر الله، أي الهمنته بأن اشكر؛ لأن الشكر مطلوب، ومن يشكر- والشكر: الثناء على الله تعالى وطاعته فيما أمر به، واستعمال الأعضاء فيما خلقت له من الخير- فإن نفع الشكر راجع إليه؛ لأن به دوام النعمة واستحقاق المزيد منها، ومن جحد النعمة وأنكر فضل الله عليه ولم يشكره، فإن الله غني عن شكره، مستحق للحمد من خلقه.

١٣- واذكر أيها النبي حين قال لقمان لابنه، وهو ينصحه: يا بني، لا تشرك بالله أحداً من خلقه، إن الشرك ظلم كبير؛ لأن الظلم: وضع الشيء في غير موضعه، والشرك: تسوية في العبادة بين الخالق المنعم والمخلوق غير المنعم.

١٤- وأمرنا الإنسان والزمنه أن يبرّ والديه ويحسن إليهما، واقتران الشكر لهما بشكر الله دليل على أن حقوقهما عظيمة جداً، حملته أمه في بطنها بضعف فوق ضعف، وفظامه عن الرضاع في فترة عامين، مما يدل على أن أقصى مدة الرضاع

وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَسًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالَهُ فِي سِنينَ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِنَّيَ الْأَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ بَنِي إِثْمَانَ تَكْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ آتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَبْنِي أَوَّامِلَ الصَّلَاةِ وَأَمْرًا يُعْرَفُ وَأَنَّهُ عَنِ الشُّكْرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَاكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُضَعِفْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْسُ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَأَجِبٌ كُلَّ مِحْنَالٍ خَوِيرٌ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

حولان، ووصيناه أن اشكر لي؛ لأنني مصدر النعم، ولوالديك لكونهما سبباً في إيجاد الولد ومعاناتهما في سبيل تربيته، إلي المراجع يوم القيامة.

١٥- وإن بذلا الجهد، وحاولا حمل الولد على الشرك في العبادة، ما لم يقدّم دليل على وجود شريك لله، فلا تطعمهما في تلك المحاولة؛ لأن الشرك ظلم، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وصاحب الوالدين بما هو معروف من الإحسان إليهما، واتبع سبيل من رجع إلي بالتوبة والطاعة والإخلاص، ثم يكون مرجعكم جميعاً أيها الناس إلي، لا إلى غيري، فأخبركم بما عملتم من خير أو شر، فأجازي كل عامل بعمله.

١٦- يا بني إن كانت الخطيئة أو الحسنة بوزن حبة خردل أصغر الحبوب، سواء وجدت في صخرة أو في أخفى مكان وأحززه، أو في السموات أو في الأرض وأي مكان، يحضرها الله يوم القيامة، إن الله لطيف باستخراجها، خبير بمكانها.

١٧- يا بني أقم الصلاة في وقتها على الوجه الأكمل، وأمر الناس بالمعروف؛ وهو كل أمر حسن، وإنه عن المنكر: وهو كل أمر قبيح، واصبر على المصائب والشدائد، إن امتثال هذه الوصايا من معزومات الأمور الواجبة على الناس.

١٨- ولأعرض بوجهك عن الناس تكبراً عليهم، ولا تمس في الأرض في حال اختيال وتبختر، والمراد: النهي عن التكبر، إن الله يعاقب كل متبختر في مشيه. والاختيال: هو التكبر، والفخر: المباهاة بالمال أو الشرف أو القوة. والمرح: الفرح الشديد مع البطر.

١٩- واعتدل في مشيك، فلا تسرع كثيراً ولا تبطئ كثيراً، واخفض من صوتك إذا تكلمت مع غيرك ولا تتكلف رفعه، إن أقبح الأصوات صوت الحمير: أوله زفير وآخره شهيق.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَآ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
وَأَسْمَعَ عَلَيْكُمْ بِمَهْمَاهُمْ ظَهْرَهُ وَأَبْطِئَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ
فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ
لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نُبْتِغِ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا
أَوْ لَوْ كُنَّا الشَّيْطَانَ يَدْعُوهُ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ وَفَن
يُسَلِّمُونَ رُءُوسَهُمْ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ خَيْرٌ مِمَّا أَسْمَكُوا بِالْعُرُوقِ
أَلَمْ نَقِمْ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوا عَذَابَهُ الْأُمُودَ ﴿٢٢﴾ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنُكَ كُفْرُهُ
إِنَّمَا جَزَاءُ جَمِيعِهِمْ فَنَتْنَهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ
﴿٢٣﴾ مَنَعَهُمْ فَلَا نُؤْمِنُ بِصَلَاتِهِمْ إِلَىٰ عَذَابِ عَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَإِن
سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ
أَوْ لَبَدٍ أَوْ أُجْرِيْمٍ دُرٍّ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةَ أَمْجُرٍ مَا نَفَعَتْ
كَلِمَتُ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَا خَلَقَكُمْ
وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَلِمَةً وَاحِدَةً إِنْ اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾

٢٠- ألم تنظروا أيها الناس أن الله ذللكم جميع ما في السموات من الشمس والقمر والنجوم والسحب وغير ذلك مما فيه المنفعة، وما في الأرض من الثمار والزرع والأنهار والدواب والمعادن وغير ذلك، بأن مكنكم من الانتفاع به، وأتم وأوسع عليكم نعمه، الظاهرة: وهي ما يعلم بالمشاهدة كالصحة والمال والولد والجمال والخلق والطاعة، والباطنة: ما لا يعلم إلا بدليل كالعرفة والعقل وحسن التدبير والرضا وتحصيل العلوم وحسن الاعتقاد واليقين، وبعض الناس كأهل مكة قديماً يجادل في وحدانية الله وصفاته مكابرة وعناداً، بغير دليل علمي: عقلي أو نقلي، ولا هداية من رسول، ولا كتاب ينير الطريق منزل من عند الله، بل بالتقليد.

٢١- وإذا قيل للوثنيين: اتبعوا ما أنزل الله على رسوله من القرآن، قالوا رافضين ذلك متمسكين بالتقليد في العقائد: بل إننا نتبع ما وجدنا عليه آباءنا من عبادة الأصنام، فرد الله عليهم: أيتبعونهم ولو دعاهم الشيطان إلى موجبات عذاب جهنم المستعرة؟ والاستفهام للإنكار والتعجب، وجواب ﴿لو﴾ محذوف، أي لا يتبعوه.

٢٢- ومن يفوض أمره إلى الله، ويخلص عبادته له، وهو محسن في أعماله، متقن لها، فقد تعلق بأوثق وأمتن ما يتوثق به من مستمسكات الحبل وعراه، أي بالعهد الأوثق الموصل إلى رضوان الله، وإلى الله وحده مصير الأمور، لا لأحد سواه.

٢٣- ومن كفر فلا يضرك كفره في الدنيا والآخرة، إلى الله مصيرهم يوم القيامة، فنخبرهم بما عملوا، ونجازهم بأعمالهم بالإهلاك والتعذيب، إن الله عليم بما تضره القلوب، لا تخفى عليه خافية.

٢٤- تركهم في الدنيا مدة قليلة يتمتعون بها؛ لأن الزائل قليل جداً بالنسبة للثابت، ثم نلجئهم إلى عذاب النار الشديد الثقيل.

٢٥- ولئن سألتهم أيها الرسول عن خالق السموات والأرض ليقولن معترفين: إن الله هو خالقهما، قل أيها النبي: الحمد لله على اعترافكم وظهور الحقيقة، فكيف تعبدون غيره؟ بل أكثر الناس يجهلون إلزامهم بتلك الحجة.

٢٦- لله جميع ما في السموات والأرض ملكاً وخلقاً وعبداً، فلا عبادة لغيره، إن الله هو الغني عن غيره، المستحق للحمد في الأمور كلها.

٢٧- ولو صارت جميع الأشجار أفلاماً للكتابة، والبحر المحيط ومعه سبعة أبحر أخرى، كلها حبر أو مداد، فكنت بها كلمات الله المشتملة على أمره وعلمه، لنفد ماء البحر، ولم تنفذ معلومات الله، إن الله قوي غالب لا يعجزه شيء، حكيم لا يخرج شيء عن علمه وحكمته. نزلت حينما قال اليهود للرسول ﷺ: في التوراة تبيان كل شيء، فقال الرسول: هي في علم الله قليل، فأنزل الله هذه الآية.

٢٨- ما خلقكم جميعاً أيها الناس ولا بعثكم من القبور يوم القيامة إلا كخلق نفس واحدة وبعثها، إن الله يسمع كل مسموع، ويبصر كل مبصر. نزلت في جماعة من قريش أنكروا البعث.



٢٩- ألم تنظر أن الله يدخل كلا من الليل والنهار في الآخر، فيزيد في أحدهما وينقص من الآخر، وذلك أو طوع الشمس والقمر بالطلوع والغروب، لتحديد الأجال وتحقيق المنافع، كل منهما يجري في فلكه إلى أجل محدد مقدر لنهاية السنة أو الشهر أو العمر كله، وأن الله مطلع على كل الأعمال، لا يخفى عليه شيء منها، ويجازي كل امرئ بما عمل.

٣٠- ذلك المذكور من سعة العلم وتمام القدرة وإتقان الصنع ليعلموا أن الله هو الحق الثابت في ذاته، الجدير بالعبادة، وأن ما يعبد المشركون من الأصنام والأوثان هو المعدوم في حد ذاته الزائل الباطل الألوهية، وأن الله هو العلي: المترفع على خلقه وكل شيء بالقهر، العظيم صاحب السلطان المطلق.

٣١- ألم تنظر أن السفن تسير بسرعة في البحر بلطف الله ورحمته وإحسانه ليظهر لكم ما يشاهد من آثار قدرته وعجائب صنعه، إن في المذكور من نعم الله، لعلامات وعبراً لكل كثير الصبر على المشاق وعن معاصي الله، كثير الشكر لنعم الله عليه.

٣٢- وإذا غلاهم وغطاهم موج كالظلال التي تظل من تحتها، من جبال وسحاب وغيرها، تضرعوا إلى الله ودعوا الله خاشعين متضرعين، فلما نجأهم إلى البر، صاروا قسمين: قسم يوفي ما عاهد الله عليه في البحر، من إخلاص الدين، وقسم خائف لا يوفي بالعهد، وما يكفر بآياتنا إلا كل غدار ناقض للعهد، جحود لنعم الله عليه.

٣٣- يا أيها الناس اتقوا ربكم بامتثال أوامره واجتنب نواهيه، واحذروا يوماً هو يوم القيامة، لا يجزي أو لا يغني كل من الولد والوالد الآخر، إن وعد الله بالبعث والحساب والجزاء حق لا شك فيه، فلا تخدعكم الحياة الدنيا بزيتها وزخارفها، فتبعدكم عن الآخرة، ولا يخدعكم الشيطان بوساوسه، فيصرفكم عن الإيمان.

٣٤- إن الله عنده علم وقت القيامة، فلا يعلمها أحد غيره، ويزنك المطر في زمان ومكان معينين، ويعلم أوصاف الأجنة في الأرحام من صلاح وفساد وذكورة وأنوثة ونحو ذلك من غير واسطة ولا تجربة، وما تعلم نفس ما تكسب غداً (أي في المستقبل) من خير أو شر، وما تدري نفس في أي مكان من الأرض تموت، إن الله واسع العلم بكل الأمور، مطلع على كل الأشياء ظاهرها وباطنها. والكسب هنا: كل ما يحصل للإنسان مما له أو عليه، من خير أو شر. نزلت في بدوي هو الحارث بن عمرو، حينما طلب من النبي إخباره عما تلد امرأته الحامل، وعن وقت نزول الغيث، وعن وقت موته، فأنزل الله هذه الآية في مفاتيح الغيب الخمسة.

أَوْرَأَ أَنَّا اللَّهُ يُوجِبُ الْإِثْمَ فِي النَّهَارِ وَيُوجِبُ الْإِثْمَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَوْرَأَ أَنَّ الْفَلَاحَ يَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَهْتَمُّ اللَّهُ بِرَبِّكُمْ مِنَ الْبَيْتِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلُمِ اللَّيْلِ دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْأَكْثَرُ خَارِفَةٌ ﴿٣٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنِ الْوَالِدِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارِعٌ عَنِ الْوَالِدِ وَالْوَالِدُ سَعِيدٌ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَتَّىٰ فَلَا تَكْفُورُ كُفْلُوهُ الَّذِي بَايَعْتُمْ وَلَا تَكْفُرُوا بِاللَّهِ الْعَزُورِ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُرْسِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾



سورة السجدة

فضلها: جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقرأ في الفجر يوم الجمعة: ﴿الم تنزيل﴾ [السجدة ١/٣٢-٢]، و﴿هل أتى على الإنسان﴾ [الإنسان ١/٧٦].

١- ألف، لام، ميم، أحرف هجائية يقال فيها ما قيل في السورة السابقة.

٢- تنزيل القرآن لا شك في تنزيهه من عند الله.

٣- بل أيقول المشركون: اختلف محمد عند نفسه، لا من عند الله، بل إن القرآن هو الحق الثابت المنزل من عند الله، لتحذّر به قوماً ما جاءهم رسول منذر سابق قبلك يحذّره من عذاب الله إن أشركوا أو عصوا، وهم أمة العرب، وغير العرب أيضاً مدعوون للإسلام العالمي كما جاء في آيات أخرى، لأجل أن يهتدوا بإنذارك إلى الحق والإيمان فيسعدوا. و﴿أم﴾ للانتقال من الكلام السابق إلى إنكار زعمهم أن القرآن مفترى. و﴿بل﴾ إضراب عن قولهم، وإثبات أن القرآن حق.

٤- الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في

سنة أوقات، الله أعلم بقدرها، ثم استوى على العرش

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ١- نَزَّلَ الْكِتَابَ لِأَرْبَبٍ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾
 أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَأَيْنَاهُ إِذْ نَزَّ مِنَ السَّمَاءِ مَا أَتَاهُمْ أَمْ يَقُولُونَ
 مِنْ نُزُورٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٢﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى
 عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا سَمِيْعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ
 ﴿٣﴾ يَدْبُرُ الْاَلَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْاَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ اِلَيْهِ
 فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ اَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤﴾ ذَاكَ
 عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾ الَّذِي اَحْسَنَ كُلَّ
 شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْاِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٦﴾ ثُمَّ جَعَلَ
 نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ قَبْلِهِمْ ﴿٧﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ
 رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْاَبْصَارَ وَالْاَفْئِدَةَ قَلِيلًا
 مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٨﴾ وَقَالُوا اءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْاَرْضِ اَلَّذِي نَا لَنِي
 خَلَقَ جَدِيدًا لَّهُمْ لِقَاءَ رَبِّهِمْ كَهْرُونَ ﴿٩﴾ قُلْ يَتَوَقَّعُ
 مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ شَيْءًا اِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٠﴾

أعظم المخلوقات استواء يليق بجلاله، دون حصر ولا كيف ولا تحديد بجهة معينة، ليس لكم من غير الله من ناصر ينصركم، وشافع يشفع لكم للنجاة من العذاب، أفلا تتذكرون بمواعظ الله فتؤمنوا؟!

٥- يدبر أمور خلقه من السماء إلى الأرض، وينظم الشؤون والأحوال الواقعة، ثم يصعد ويرجع إليه يوم القيامة ذلك الأمر والتدبير ويثبت في علمه، في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون في الدنيا. واليوم هنا: مدة من الزمان الله أعلم بها، واليوم عند الله في الدنيا كألف سنة بحساب أهلها، أما يوم الآخرة فمقداره خمسون ألف سنة.

٦- ذلك الخالق المدبر هو عالم كل ما غاب عن الخلق، وما حضر وشوهد من المحسوسات، القوي القاهر الذي لا يغلب ولا يعجزه شيء، الواسع الرحمة بعباده.

٧- الذي أحكم وأتقن خلق كل شيء من مخلوقاته، وبدأ خلق آدم أبي البشر من طين، أي تراب.

٨- ثم جعل ذريته من المادة التي تكونت منها النطفة التي تنسل من الإنسان، من ماء ممتهن ضعيف.

٩- ثم أتم تسويته وتقويمه حتى صار بشراً سوياً، ونفخ فيه من روحه. أضاف ذلك إلى نفسه تكريماً وتشريفاً. وأوجد لكم السمع (الإسماع) والأبصار والقلوب لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا، ولكن تشكرون الله شكراً قليلاً على نعمه.

١٠- وقال منكرو البعث: أنذا ذهبنا وضغنا في الأرض واختلطنا بين ذرات التراب، أنبعث ونصير أحياء مرة أخرى، خلقاً جديداً، بل هم في الواقع منكرون للآخرة والحساب بين يدي الله تعالى.

١١- قل أيها النبي: سوف يتوفاكم ملك الموت: عزرائيل الذي وكل بقبض أرواحكم عند انتهاء الأجل، ثم تردون إلى

خالقكم.

١٢- ولو ترى أيها الرسول حين يقوم المشركون منكرو البعث بين يدي ربهم خافضي رؤوسهم ومطأطيها حياءً وندما عند حساب الله لهم، لرأيت عجباً، يقولون: ربنا أبصرنا ما كذبتنا به وما وعدتنا من البعث، وسمعنا ما أنكرناه وهو الوعيد وتصديق الرسل، فارجعنا إلى الدنيا، نعمل عملاً صالحاً كما أمرتنا، إنا مصدقون بما جاء به الرسول محمد ﷺ.

١٣- ولو شئنا هداية الناس جميعاً لهدينا كل نفس، ولكن ثبت قضائي وسبق لأملان جهنم من الجن والإنس أجمعين بسبب اختيارهم الضلال.

١٤- فدوقوا العذاب بسبب إهمالكم وترككم ما أمرتكم به، والاستعداد للآخرة والإيمان باليوم الآخر، وذوقوا العذاب الدائم في جهنم بسبب ما كنتم تعملون في الدنيا من الكفر أو تكذيب الرسل، والمعاصي. وكرر التهديد بالعذاب للتأكيد، وعلل العذاب بأمرين (التكذيب والمعاصي) للدلالة على أن كلا منهما يقتضي ذلك.

١٥- إنما يصدق آياتنا القرآنية وينتفع بها الذين إذا وعظوا بها سجداً لله خاشعين، ونزهوا الله عما لا يليق به، وحمدوه على نعمه وأجلها الإيمان، وهم لا يتكبرون عن الطاعة، خاضعين لله تعالى.

١٦- تترك وتبتعد جنوبهم عن القُرش ومواضع النوم، يذعون ربهم خوفاً من سخطه وعقابه، وطمعاً في رحمته وجنته، وينفقون من رزق الله بما يجب عليهم وهو الزكاة، أو تجود نفوسهم به وهو الصدقات. نزلت في جماعة من الصحابة كانوا يصلون من المغرب إلى العشاء. وقال معاذ: هي قيام العبد أول الليل.

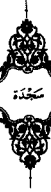
١٧- فلا تعلم نفس ما خبي لهم من الأجر والثواب الذي تقرُّ به أعينهم وتسراً، جوزوا جزاءً بما عملوا من الصالحات في الدنيا.

١٨- أممن كان مؤمناً بالله ورسله كمن كان خارجاً عن الإيمان والطاعة، لا يستنون عند الله يوم القيامة، والمراد: ليس المؤمن كالفاسق، فهما متفاوتان. روي أن الوليد ابن عقبة فاخر علياً يوم بدر، فنزلت هذه الآيات.

١٩- أما الذين صدقوا بالله ورسله، وعملوا صالح الأعمال التي أمروا بها، فلهم عند ربهم جنات المأوى (المسكن) التي يأوون إليها لحفظهم مما يكرهون، فهي المأوى الحقيقي لدوامها، نزل معدة لهم عند نزولهم، كإنزال الضيوف المكرمين بسبب ما عملوا في الدنيا من عمل الخير والطاعة.

٢٠- وأما الذين كفروا بالله وكذبوا رسله، فمستقرهم ومنزلهم النار، ويقال لهم توبيخاً: ذوقوا عذاب النار الذي كذبتم به في الدنيا. وسُميت النار مأوى الكافر في جهنم بالعزير الكريم.

وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكُسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَانزِعْنَا نَاظِرًا لِمَا كُنَّا نَعْمَلُ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٦﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى بَلْ كُنَّا بِقَوْلِكَ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾ إِذْ أَمَلْنَا جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ فَذُوقُوا بَأْسَ اللَّهِ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّا كُنَّا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا حُرُوا سُجَّدًا وَسُكُّوا سُجُودًا فَتَبَّهَ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٢١﴾ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٢٢﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿٢٤﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ الْمَأْوَى تَزُولُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ مُكَذِّبِينَ ﴿٢٦﴾



وَلَنذِيقَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ أَلَذَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ
 يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَتِ ابْتِغَاءً مِنْ رَبِّهِمْ أَعْرَضَ عَنْهَا
 إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ
 فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٣﴾
 وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آيَةً يُرَىٰ دُونَ بَأْسِنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا آيَاتِنَا
 يَتَّبِعُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا
 فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ
 الْقُرُونِ يَكْتُمُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي
 الْبَصِيرَةِ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ
 فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا نَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعُمُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا
 يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾
 قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ
 يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ فَنظَرْنَا عَنْهُمْ مَنِصْفُونِ ﴿٣٠﴾



٢١- ولننزلن بهم شيئاً من العذاب الأقل شدة: وهو عذاب الدنيا من أسر وخوف وذل وبلاء ومرض ومصيبة وغيرها، قبل عذاب جهنم في الآخرة، ليرجعوا إلى الطاعة والإيمان، ويتوبوا من الشرك والعصيان.

٢٢- لا أحد أشد ظلماً لنفسه ممن وعظ بآيات ربه القرآنية والكونية، ثم أعرض عنها، فلم يتفكر فيها ولم يتعظ بها، إنا من المشركين منتقمون بالعذاب الأليم.

٢٣- ولقد أعطينا موسى التوراة، فلا تكن أيها الرسول في شك من لقاءك الكتاب، أو من لقاء موسى الكتاب، وجعلنا كتاب التوراة هادياً ومرشداً لبني إسرائيل إلى طريق الحق والاستقامة.

٢٤- وجعلنا من بني إسرائيل قادة في الدين وهم الأنبياء يرشدون الناس ويدعونهم إلى التوحيد وعبادة الله والشرائع والأحكام، بأمرنا لهم بذلك، لما صبروا على مشاق التكليف وبلاء الدنيا، وكانوا آياتنا التنزيلية يصدقون بيقين، لإمعانهم النظر فيها.

٢٥- إن ربك أيها النبي هو يقضي بين المؤمنين

والكفار يوم القيامة فيما اختلفوا فيه من أمر الدين، ويجازي كل فريق بما يستحق.

٢٦- أو لم يتبين لكفار مكة كثرة من أهلكتهم من الأمم الماضية الظالمة بكفرهم، كعاد وشمود ونحوهم، يسير المكيون في أسفارهم في ديارهم، فيشاهدوا آثار العذاب، إن في ذلك المذكور لدلائل على قدرتنا، أفلا يسمعون سماع تدبر واتعاظ فيؤمنوا؟! و﴿كم﴾ معناها كثيراً. والقرن من الناس: القوم المقترنون في زمن واحد.

٢٧- أو لم يعلم منكرو البعث أننا بقدرتنا نسوق الماء إلى الأرض اليابسة الجرداء التي لا نبات فيها، فنخرج به زرعاً مختلفاً، تأكل منه أنعامهم كالتبن والحب والورق، وأنفسهم كالحب والتمر، أفلا يبصرون هذا، فيعلمون قدرة الله على إحيائهم بعد موتهم؟!!

٢٨- ويقول المشركون للمؤمنين: متى يوم البعث الذي تهدوننا وتعدوننا به إن كنتم صادقين في الوعيد به؟!!

٢٩- قل لهم أيها الرسول: يوم نزول العذاب بهم يوم القيامة، لا ينفع إيمان الكفار، إن آمنوا، ولا هم يمهلون لتوبة أو اعتذار. قال قتادة: قال الصحابة: إن لنا يوماً يوشك أن نستريح فيه وننعم، فقال المشركون: متى هذا الفتح إن كنتم صادقين، فنزلت.

٣٠- فأعرض أيها الرسول عن هؤلاء المشركين، ولا تبال بتكذيبهم، وانتظر يوم الفتح وتحقيق الوعيد بهلاكهم وهو يوم القيامة، إنهم منتظرون بك ما يريحهم منك من موت أو قتل أو غلبة عليك. وهذا قبل الأمر بقتالهم.

سورة الأحزاب

سميت بذلك لاشتغالها على وقائع غزوة الخندق أو الأحزاب الذين تجمعوا حول المدينة، من مشركي قريش وغطفان، بالتواطؤ مع المنافقين ويهود بني قريظة، لحرب المسلمين.

١- يا أيها النبي واظب على تقوى الله، وليتق الله المؤمنون الذين أنت قدوتهم، ولا تطع الكفار وأهل النفاق فيما يدعونك إليه من اللين والتساهل، وترك التعرض لأهتهم بسوء، إن الله كان وما يزال عليماً بكل شيء قبل وجوده، حكيماً فيما يخلق ويدير، ويأمر وينهى. قال المفسرون: دعا المشركون رسول الله ﷺ أن يرفض ذكر آلهتهم بسوء، وأن يقول: إن لها شفاعة، فكره ذلك، ونزلت الآية.

٢- واتبع الوحي في كل أمورك وهو القرآن، إن الله مطلع على كل ما تعملون، لا يخفى عليه شيء.

٣- واعتمد على الله وفوض جميع أمورك إليه، وكفى بالله حافظاً لك ولكل متروك عليه.

٤- ما خلق الله لإنسان قلبين في صدره، وما جعل أزواجكم اللاتي تظاهرون منهن كالأمهات محرمات عليكم بقول الرجل لامرأته: أنت علي كظهر أمي، وكان هذا في

الجاهلية طلاقاً، فبين الله تعالى أن الزوجة ليست أمّاً، وما جعل الأديعاء الذين تدعونهم أو تتبنونهم أبناء لكم- والأديعاء: الأبناء بالتبني- ذلكم الظهار والتبني ليس إلا مجرد قول بالأفواه لا حقيقة له، فلا تحرم الزوجة بالظهار، ولا يثبت نسب بالتبني، والله يقول الحق الذي يجب اتباعه. نزلت الآية في رجل من بني فهر قال: إن في جوفي لقلبين أعقل بكل واحد منهم أفضل من عقل محمد. أو في الوليد بن المغيرة الذي كان يقول: لي قلبان أعقل في أحدهما ما لا أعقل في الآخر. ونزلت آية الظهار في خولة بنت ثعلبة زوجة أوس بن الصامت كما سيأتي في سورة المجادلة. ونزلت آية إبطال التبني في زيد ابن حارثة الذي كان عند الرسول ﷺ ثم اعتقه وتبناه قبل الوحي.

٥- انسبوا الأبناء لأبائهم الحقيقيين الذين هم من أصلابهم، لا للذين تبنوهم، فنسب الابن لأبيه الأصيل هو أعدل حكماً، فإن لم تعلموا آباءهم فهم إخوانكم في الدين، وليس عليكم إثم فيما وقعتم فيه من خطأ سابق، ولكن يؤاخذكم فيما تعمدتم نسبتهم لغير آبائهم مع علمكم بذلك، وكان الله غفوراً لمن أخطأ، رحيماً به وبمن تاب.

٦- النبي أحق بالمؤمنين في كل أمور الدنيا والدين، وأولى بهم من أنفسهم، أخرج البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، اقرؤوا إن شئتم: «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم» فأياها مؤمن ترك مالا فلتثره عصبته من كانوا، فإن ترك ديناً أو ضياعاً- عيالاً- فليأتني فانا مولاه» وأزواج النبي كأمهات المؤمنين في التحريم والتعظيم، وذوو القربات بعضهم أحق بيمرات بعض- وهي ناسخة لما كان في صدر الإسلام من التوارث بالهجرة والمالاة، أي بالمواخاة أو الخلف- فهم أولى في شريعة الله بالإلث من المؤمنين الأبعد، إلا أن توصوا إلى أصدقائكم الذين تولونهم وتودونهم من المؤمنين والمهاجرين وصية- والمعروف هنا الوصية- كان ذلك الحكم وهو توارث ذوي الأرحام مكتوباً في اللوح المحفوظ، فيجب عليكم العمل به.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُطِيعُوا الْكٰفِرِينَ وَالْمُنٰفِقِينَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ۝ وَاتَّبِعُوا مَا يُوْحٰى بِكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكُنْ مِنَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ سَبِيلًا ۝ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِيْ جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ الَّتِي تَظْهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۝ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلٰكِنْ مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ نَفْسِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذٰلِكَ فِي الْكُتُبِ مَسْطُورًا ۝



وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ
 وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾
 لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودٌ
 فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
 بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ
 الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَ ﴿١٠﴾
 هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَدُرُّوا زُلْفًا لِأَسَدِيَّةٍ ﴿١١﴾
 وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ لَوْ عَدْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ
 لَأَعْرَضْنَا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَرْبِ لَا مَقَامَ
 لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ
 بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ
 دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ آفَاطِرِهَا نَمٌّ مَسَّلَوا لَأَنفَسَتْ لَأَوَّاهَا وَمَا
 لَنَبْتُو بِهَا إِلَّا بَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا لَ اللَّهِ مِنْ
 قَبْلِ لَأَيُوبُونَ إِلَّا دَبِيرًا وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾

٧- واذكر أيها النبي حين أخذنا من النبيين عهدهم بتبليغ الرسالة - والميثاق: العهد المؤكد - وأخذنا العهد منك أيها الرسول، ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم، وخصصهم بالذكر لكونهم أولي العزم من الرسل، وأخذنا منهم عهداً مؤكداً باليمين على تبليغ الرسالة والوفاء بالمهمة.

٨- فعلنا ذلك وأخذنا الميثاق ليسأل الله يوم القيامة أولئك الأنبياء الصادقين في عهدهم عن صدقهم في تبليغ الرسالة وعمما قالوه لأقوامهم، وأعد الله للكافرين بالرسل عذاباً مؤلماً شديداً.

٩- يا أيها المؤمنون، اذكروا نعمة الله التي أنعم بها عليكم في وقعة الخندق سنة خمس هجرية حين جاءكم جنود الأحزاب الكثيفة لغزو المدينة من قريش وغطفان واليهود، فأرسلنا عليهم ريح الصبا العاصفة التي اقتلعت خيامهم وقلبت قدورهم، وأرسلنا جنوداً لم تروها وهم الملائكة، فقلعت الأوتاد، وقذفت الرعب في قلوبهم، وكان الله بما تعملون من حفر الخندق وغيره بصيراً. نزلت في وقعة الأحزاب بقيادة أبي سفيان، وكان المنافقون يستأذنون النبي ﷺ قائلين: إن بيوتنا عورة، فضربتهم الريح، وهم يقولون: الرحيل الرحيل.

١٠- حين جاءكم الأعداء من أعلى الرادي جهة الشرق، ومن أسفل الرادي جهة المغرب، وحين مالت الأبصار عن مستوى نظرها من شدة الحيرة والدهشة، وارتفعت القلوب ووصلت الحناجر، كناية عن شدة الفزع والرعب والجبن، وتظنون مختلف الظنون من نصر، ويأس من النجاة، وشك بوعد الله تعالى.

١١- هنالك في هذه المحنة اختبر المؤمنون بالشدائد من الخوف والقتال والجوع والحصار ليُعرف المؤمن من المنافق، واضطربوا كثيراً من شدة الفزع، وكثرة العدو، وإحكام الحصار.

١٢- واذكر أيها النبي حين يقول المنافقون، والذين في قلوبهم شك وضعف اعتقاد: ما وعدنا الله ورسوله بالنصر والظفر إلا وعداً باطلاً لا حقيقة له أو خداعاً لا مصداقية فيه. ضرب النبي ﷺ أثناء حفر الخندق صخرة بالفأس، فطارت منها قطعتان، فقال: إن الله وعدني ملك فارس والروم، فقال بعض المنافقين: يعدنا ملك كسرى وقيصر، وأخذنا يخاف أن يذهب ليقضي حاجته.

١٣- واذكر أيها النبي حين قالت طائفة من المنافقين: يا أهل المدينة، لا إقامة ولا مكان أمن لكم في هذا المعسكر حول الخندق، فارجموا إلى منازلكم في المدينة للنجاة، ويستأذن فريق منهم النبي بالعودة قائلين: إن بيوتنا غير حصينة، يخشى عليها من الأعداء، فكذبهم الله بأنها حصينة، ما يريدون باستئذانهم إلا الهرب من القتال.

١٤- ولو دخل جيش الأعداء من نواحي المدينة وجوانبها، ثم طلب من هؤلاء المنافقين الردة عن الإسلام ومحاربة المسلمين، لفعلوها، وأسرعوا إليها، ولم يتمهلوا إلا زمناً قليلاً هو مقدار ما يستعدون.

١٥- ولقد كان هؤلاء المنافقون المستأذنون بالعودة عاهدوا الله ورسوله بعد موقعة بدر وقبل غزوة الأحزاب ألا يفروا ولا ينهزموا من المعركة - والأبصار: الظهور - وكان عهد الله مسؤولاً عن الوفاء به يوم القيامة، ومحاسباً عليه.



١٦- قل لهم أيها النبي: لن ينفعكم الفرار حين هربتم من التعرض للموت أو القتل، وإذا فررتم لا تمتنعون في الدنيا بعد فراركم إلا زمناً قليلاً هو مقدار الأجل أو العمر.

١٧- قل لهم أيها الرسول: من الذي يمنعكم أو يجبركم من الله إن أراد بكم هلاكاً وهزيمة، أو أراد بكم خيراً من نصر أو خصب أو سلامة وعافية، ولا يجدون من غير الله موالياً ينفعهم، وانصراً ينصرهم ويدفع الضر عنهم.

١٨- قد: للتحقيق، يعلم الله المشبطين همم غيرهم عن القتال في سبيل الله، وهم المنافقون، والقائلين لإخوانهم المجاهدين من سكان المدينة: تعالوا وأقبلوا إلينا لما نحن فيه من الحياة الوادعة الهانئة، وارتكوا الجهاد، فإننا نخاف عليكم من الموت، وإن أبا سفيان والأحزاب سيغلبون محمداً وأصحابه، ولا يأتون الحرب إلا إتياناً أو زماناً قليلاً، رياء وسمعة، بسبب الخوف من الموت.

١٩- بخلاء عليكم بالمساعدة في حفر الخندق والإنفاق في سبيل الله، فإذا جاء الخوف بسبب هجوم العدو، رأيتهم أيها النبي ينظرون إليك نظرة ارتباك وجبن، تدور أعينهم يميناً وشمالاً، كالجبان

قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُحْمِقُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَمْرًا بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لِحُجْمِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وِلْيَاءً وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْرَاجِهِمْ هَلْهُمُ الْيَتَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشْجَةٌ عَلَيْكُمْ إِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ نُظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذُكِرَ خَوْفُ سَلْفِكُمْ بِالسَّنَةِ جَمَادٍ أَشْجَةً عَلَى ظُهُورِهِمْ كَأَنَّكُمْ كَانْتُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَوِ يُدْهِبُوا وَإِنْ بَأَتِ الْأَحْزَابُ يُوَدُّوْا لَوِ اتَّهَمُوا بِكَ دُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَلُونَ عَنْ آيَاتِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

عند المخاوف، وكنظر المحتضر الذي نزل به الموت يرفع جفنه ثم يطبقه، فإذا زالت حالة الخوف آذوكم بالكلام بالسنة سليطة قاطعة كالحديد، يطلبون الغنيمة، يشاؤون المسلمين عند قسمة الغنيمة، أولئك لم يؤمنوا أصلاً، بل هم منافقون، فأبطل الله ثمره أعمالهم كالجهاد، لأنه لم يكن بعد إيمان، وكان ذلك الإحباط أو الإبطال يسيراً على الله وإرادته.

٢٠- يظن هؤلاء المنافقون لشدة خوفهم وجبنهم أن أحزاب الكفار الذين حاصروا المدينة باقون في معسكرهم لم يغادروا مواقعهم إلى مكة ولم ينهزموا لخوفهم منهم، وإن بأت الأحزاب كرة أخرى، يتمنوا أن يكونوا في بادية الأعراب غير المدينة. والبيادي: ساكن البادية، و﴿لو﴾ حرف يدل على أن ما بعده مؤول بمصدر، أي يتمنوا إقامتهم في البادية، والأعراب: سكان البادية. يسألون عن أخباركم انتظاراً لهلاككم، لكراهيتهم لكم، وخوفهم من الأعداء، ولو كانوا هذه الكرة معكم في المدينة، ما قاتلوا معكم إلا قتالاً ظاهرياً قليلاً، رياء وخوفاً من التعيير.

٢١- لقد كان لكم في مواقف رسول الله البطولية وتضحياته وصبره في القتال قدوة صالحة، يتأسى به، لمن كان يطمع في رضوان الله وجنته ورحمته يوم القيامة، وذكر الله ذكراً كثيراً في حال الخوف والأمن، والحرب والسلام.

٢٢- ولما شاهد المؤمنون كثرة جموع الأحزاب التي تحاصر المدينة قالوا مستبشرين: هذا ما وعدنا الله ورسوله من تحقق النصر أو الشهادة، والابتلاء والصبر على الشدائد حتى النصر، وصدق الله ورسوله في الوعد والابتلاء، وظهر صدق الخبر، وما زادهم حصار المدينة إلا ثباتاً على الإيمان، وتسليماً لأمر الله وقضائه.

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن
 قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِيَجْزِيَ
 اللَّهُ الصَّادِقِينَ صِدْقَهُمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ
 يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَذَٰلِكَ
 الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْتَظِرُهُمُ الْعَذَابُ الْأَخِيرَ وَكَرِهَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ
 أَنْ يَفْتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ﴿٢٥﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوا مِنْهُمْ
 مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَّاصِيهِنَّ وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرَّعْبَ
 فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأُورِثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَوَدَيْرَهُمْ
 وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطْفُوها وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
 شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ قُلُوا لِرُؤسَائِكُمْ إِن كُنْتُمْ
 تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرِزْقَهَا فَمَا لِنَأْتِيَنَّكُمْ وَأَنْتُمْ كَارِهِونَ
 سَرَّاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
 وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْحَسَنَاتِ لَكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾
 يَا نِسَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا لِيُحْفَظَ مِنْكُمُ الْبَيْتُ بِمَا نَبَّهْتُمْ بَعْضَهُ
 لِمَا أَعَدَّ اللَّهُ لِلْعَاصِيينَ وَكَانَ ذِكْرُكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾

٢٣- هناك رجال من المؤمنين وقوا ما عاهدوا الله
 ورسوله عليه ليلة العقبة من الثبات في قتال
 الأعداء، فمنهم من استشهد في سبيل الله، ومنهم
 من ينتظر الشهادة، كعشمان وطلحة، وما بدلوا
 العهد ولا غيره وتبدلاً، كما بدله المنافقون. نزلت
 في أنس بن النضر الذي غاب عن بدر، فعاهد
 الله على القتال في مشهد آخر، فشهد يوم
 أحد، فوجد في جسده بضع وثمانون من بين
 ضربة وطعنة ورمية.

٢٤- ليثيب الله صادقي الإيمان بسبب صدقهم،
 ويعذب المنافقين (الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا
 الكفر) إن شاء تعذيبهم إن استمروا على النفاق،
 أو يتوب (يقبل توبتهم) عليهم إن شاء وتابوا، إن
 الله كان واسع المغفرة لمن تاب منهم بتوفيق الله
 وترك النفاق، رحيماً بعباده المؤمنين.

٢٥- ورد الله الكفار الأحزاب عن المدينة بعد
 حصار قرابة شهر، متغيظين خائنين، لم يحققوا
 نصراً، وكفى الله المؤمنين مؤنة القتال، بما سلط
 على الأعداء من ربح عاصفة وملائكة أشداء،
 وكان الله قوياً على إيجاد ما يريد، غالباً على كل
 شيء، قاهراً أعداءه.

٢٦- وأنزل الله الذين أعانوا المشركين الأحزاب على المؤمنين، وهم بنو قريظة، من حصونهم لنقضهم
 العهد مع رسول الله ﷺ، وألقى الخوف الشديد في قلوبهم، تقتلون فريقاً وهم الرجال المقاتلة، وتأسرون
 فريقاً وهم الذراري، أي النساء والأطفال.

٢٧- وأورثكم أرضهم وديارهم (العقارات) وأموالهم المنقولة كالحلي والأثاث والمواشي والسلاح
 والنقود، وأرضاً لم تطأها أقدامكم وهي خيبر بعد قريظة، وكان الله وما يزال تام القدرة على كل شيء.

٢٨- يا أيها النبي قل لزوجاتك التسع اللاتي طلن منك رفاهية العيش بزيادة النفقة: إن كنتن تردن سعة
 العيش في الحياة الدنيا وزخارفها ونضارتها، فتعالين أعطين المتعة: وهي متعة الطلاق، وهي مال يعطى
 للمطلقة، وأطلقكن من غير ضرار أو خصام. نزلت حينما سألت زوجات النبي ﷺ ثياب الزينة وزيادة، فبدأ
 بعائشة، فخيرها، فاخترت الله ورسوله، ثم اختارت الباقيات اختيارها، فشكر الله لهن ذلك، وأنزل: ﴿لَا
 يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ﴾ [الأحزاب ٣٣/٥٢]. قالت عائشة: «خيرنا رسول الله ﷺ فاخترناه، فلم يعده
 طلاقاً».

٢٩- وإن كنتن تؤثرن ما عند الله ورسوله من فضل وإحسان، وثواب الآخرة، فإن الله أعد للمحسنات
 منكن ثواباً عظيماً على الصبر والقناعة.

٣٠- يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة أو معصية ظاهرة كالنشوز، يضاعف لها العذاب في الآخرة مثلي
 عذاب غيرهن؛ لأن الذنب منهن أقبح لعلو مكانتهن وتشجيع الغير على العصيان، كما أن ثوابهن مرتان،
 وكان ذلك التضعيف يسيراً سهلاً على الله تعالى.

٣١- ومن يداوم منكن على الطاعة الكاملة لله ورسوله، نوتها أجرها ضعفي ما يستحقه غيرها من النساء، وهياناً لها رزقاً طيباً في الجنة زيادة على أجرها.

٣٢- يا نساء النبي لستن كأحد من النساء في الفضل والمنزلة - وكلمة (أحد) في حال النفي تطلق على الذكر والأنثى، والواحد والجمع - إن لازمت التقوى باتباع الأوامر واجتناب النواهي، فلا تلن القول للرجال بإظهار الطراوة والميوعة الأنثوية، وقلن قولاً حسناً متعارفاً عليه من غير لين، بعيداً عن الريبة والشك. والقول المعروف: القول المعتدل الذي لا تكسر فيه.

٣٣- واثبتن في البيوت ولا تكثرن الخروج لغير حاجة مشروعة، ولا تظهرن الزينة والمحاسن التي يجب سترها وتستدعي شهوة الرجل وهو التبرج، وأقمن الصلاة في أوقاتها، وآتين الزكاة المفروضة، وأطعن الله ورسوله في كل ما شرع، إنما يريد الله ليذهب عنكن الذنب أو الإثم يا أهل البيت،

ويظهركم تطهيراً من الدنس والرجس. وأهل البيت كما هو واضح في مطلع الآية: هن زوجات النبي ص، قال الشوكاني: وهو الحق؛ لأن الآية نازلة فيهن، وما قبلها وما بعدها هو فيهن أيضاً، وليس في شيء من ذلك ذكر لعلي وزوجته وأولاده رضي الله عنهم. ومثله ﴿أهل البيت﴾ في زوجة إبراهيم عليه السلام [هود ٧٣/١١].

٣٤- وتذكرون دائماً ما يتلى في بيوتكن من آيات الله في القرآن، والسنة النبوية، إن الله كان عظيم اللطف بأوليائه وأهل طاعته، خبيراً بجميع خلقه، يعلم ويدبر ما يصلحهم.

٣٥- إن المتقدين لحكم الله وأوامره، من الرجال والنساء، وأهل التصديق بأركان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأهل الدوام على الطاعات، والتصديق في القول والعمل، والصبر على الطاعة وعن المعصية، والتواضع لله بالقلوب والأعضاء، والتصديق من المال بما يجب وبما يندب، والصوم المفروض في رمضان وغيره من التدور والكفارات عن اليمين والقتل الخطأ، وحفظ الفروج عن الحرام، وذكر الله بالقلب واللسان سرّاً وعلانية، وبخاصة القرآن، هياً الله لهم مغفرة لذنوبهم، وثواباً عظيماً على طاعتهم، وهو نعيم الآخرة: والقانت: العابد المطيع، والخاشع: المتواضع لله الخائف منه. أخرج الترمذي عن أم عمارة الأنصارية أنها أتت النبي ﷺ فقالت: ما أرى كل شيء إلا للرجال، وما أرى النساء يذكرن بشيء، فنزلت: ﴿إن المسلمين والمسلمات...﴾.

وَمَنْ يَنْتُ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُوتَهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْدَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَيْتُنَّ فَلَاحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ قَطْمَعِ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرْحٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقُلْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَأَذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنْ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ وَالْمُتَّصِدِينَ وَالْمُتَّصِدَاتِ وَالصَّامِينَ وَالصَّامَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُنَّ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ وَصَلَ صَلَائِمًا مُبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرَ زَوْجَهَا لِمَا كُنَّا نَقُولُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرَ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَعْتُودًا ﴿٣٧﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَوَضَّ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ فَدَمَقًا مَعْتُودًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يَسْلِفُونَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَسْلِفْهُ فَإِنَّه خِشْيَانُ اللَّهِ إِلا اللَّهُ وَكَانَ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَحَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أذكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَةٌ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾

٣٦- ما يصح لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً - وذكر الله لتعظيم أمر النبي والإشعار بأن قضاء الله قضاء الله - أن يكون لهم حق الاختيار في القبول والرفض، وإنما يلزمهم تنفيذ الأمر، ومن يعص الله ورسوله فيما أمر به، فقد انحرف وحاد عن طريق الحق والصواب والهداية انحرافاً واضحاً - خطب النبي ﷺ زينب بنت جحش لزيد بن حارثة الذي تبناه بعد أن اعتقه، فأبت ذلك، وقالت: أنا خير منه حسباً، فأنزل الله هذه الآية، فاستجابت لأمر النبي ﷺ وقبلت الزواج بزيد. فالحكم وإن كان عاماً إلا أن المراد به زينب وزيد.

٣٧- واذكر أيها النبي حين تقول لزيد بن حارثة الذي أنعم الله عليه بالإسلام، وأنعمت عليه بالإعتاق من الرق وحسن التربية: أمسك زوجتك زينب عندك، واتق الله في أمر طلاقها، وتخفي في نفسك ما الله مظهره وهو أمر الله بزواجك منها بعد طلاقها من زيد، وانقضاء عدتها، وتخاف من تعبير الناس أن يقولوا: تزوج محمد مطلقاً متبناه، والله وحده أحق أن تخشاه في كل حال وتستحجي منه، فلما قضى زيد بن حارثة من زوجته زينب حاجته منها بعد زواجها والدخول بها، وأصبح لا يريد، لشدها في معاملته، جعلناها لك زوجة، حتى لا يكون إثم على المؤمنين في التزوج بزوجات أبنائهم بالتبني قبل تحريم التبني، إذا انتهت حاجتهم منهم بعد الطلاق وانقضاء العدة، وكان مقضي الله نافذاً حاصلاً لا محالة، قال أنس: نزلت هذه الآية في زينب بنت جحش وزيد بن حارثة.

٣٨- ليس على النبي من إثم فيما أحل الله له من نكاح مطلقاً متبناه، سن الله ذلك سنة كالسنة أو الطريقة في معاملة الأم الماضية والأنبياء الذين مضوا قبله في رفع الحرج عنهم فيما أحل لهم من أمر الزواج وغيره، وكان مقضي الله حكماً مقطوعاً به. ويطلق القدر على الإرادة الأزلية، وذكر كلمة «مقدوراً» بعده للتأكيد.

٣٩- الأنبياء الذين مضوا الذين يبلغون رسالات الله إلى الناس، ويخافونه ولا يخافون أحداً إلا الله، وكذلك أنت يا محمد لا تبال في تبليغ أحكام الله وشرائعه، وكفى بالله محاسباً لهم حافظاً لأعمالهم، فيلزم الأيخشي إلا منه.

٤٠- ليس محمد بأب حقيقي لأحد من رجالكم، وليس هو بأب فعلي لزيد بن حارثة، حتى تحرم عليه زوجته، وأما أولاده الذكور الأربعة (إبراهيم والقاسم والطيب والمطهر) فلم يعيشوا حتى عهد الرجولة، ولكن كان رسول الله وأخيراً الأنبياء، وكان الله واسع العلم بمن يليق ختم النبوة به، فلا نبي بعده. قالت عائشة: لما تزوج النبي ﷺ زينب قالوا: تزوج حليمة ابنة، فأنزل الله الآية.

٤١، ٤٢- يا أيها المؤمنون اذكروا الله بالقلب واللسان ذكراً في أغلب الأوقات، ونزهوا الله عما لا يليق به أول النهار وآخره.

٤٣- هو الذي يصلي عليكم بالرحمة، وملائكته بالاستغفار ليخرجكم من ظلمات الكفر والعصيان إلى نور الطاعة والإيمان، وكان سبحانه رحيماً بالمؤمنين، يقبل القليل ويعفو عن الكثير. قال أبو بكر لما نزلت آية الصلاة على النبي: ما أعطاك الله تعالى من خير إلا أشركناه فيه، فنزلت الآية.

٤٤- تحية الله للمؤمنين يوم لقائه في الآخرة عند دخول الجنة بلسان الملائكة هي السلام من كل مكروه، وهيا لهم ثواباً عظيماً وهو الجنة.

٤٥- يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً على من أرسلت لهم بالتصديق والتكذيب، ومبشراً من صدقك وأطاعك بالجنة، ومنذراً ومحذراً من كذبك وعصاك بالنار.

٤٦- وداعياً إلى عبادة الله وحده وإخلاص الطاعة له بأمره وتيسيره، وكالسراج الوضاء الذي يستضاء به وهو الشمس، لإزالة ظلمة الكفر والضلال.

٤٧- وبشر أيها النبي المؤمنين الصادقين بأن لهم من الله ثواباً عظيماً على أعمالهم في الجنة. نزلت لما أنزل الله ﴿ ليغفر لك الله... ﴾ [الفتح ٤٨ / ٢] وأنزل ﴿ ليدخل المؤمنين... ﴾ [الفتح ٤٨ / ٥].

٤٨- ولا تطع أيها النبي الكافرين والمنافقين فيما يخالف شريعتك، وأعرض عن أذاهم والإضرار بهم، ولا تبال بهم، وفوض أمرك إلى الله، وكفى بالله مفوضاً إليه الأمر كله. أكد الله تعالى بهذه الآية ما جاء في مطلع هذه السورة لصرف النبي ﷺ عن المبالة بأقوال المرجفين، ولصون الشريعة من الاختلاط.

تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَإِعْبَا إِلَى اللَّهِ بِالدِّينِ وَسِرَّاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدَةٍ تَعْتَدُونَهَا فَيَعْبُوهُنَّ وَسِرَّاجُهُنَّ سِرَّاجٌ حَمِيمٌ ﴿٤٩﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي آتَيْتَ الْجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا آفَاءَ اللَّهِ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عِمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكِ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَأَسْرَاءَ مُؤْمِنَةٍ إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْتُمْ عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾

٤٩- يا أيها المؤمنون إذا عقدتم الزواج على المؤمنات، ثم طلقتموهن من قبل الدخول بهن (الجماع) أو الخلوة الصحيحة في رأي جماعة من الفقهاء (الحنفية والمالكية) فليس لكم عدة على المرأة تحصون عددها. والعدة: الشيء المعلوم. ولهن الزواج بعد الطلاق مباشرة، فأعطوهن متعة الطلاق جبراً للخاطر، وهي سنة للمفروض لها المهر، وواجب لمن لم يفرض لها المهر، وخلقوا سبيلهن من غير إضرار بهن ولا إيذاء. فالسراج الجميل: هو الذي لا إيذاء معه.

٥٠- عدد الله أنواع النساء اللاتي يجوز للنبي ﷺ الزواج بهن، إنا أبحننا لك زوجاتك اللاتي أعطيت مهورهن، والإماء المملوكات المأخوذات من الغنائم التي أعطاك الله من سبي الكفار، وبنات العم، وبنات العمات، وبنات الخال، وبنات الخالات اللاتي هاجرن معك من مكة إلى المدينة، دون من لم يهاجرن، وأحللنا لك المرأة الواهبة نفسها للنبي بلا مهر إن رغب النبي في زواجها، خصوصية لك لشرف النبوة وللتكريم دون غيرك من المؤمنين، فلا يجوز لهم الزواج من غير مهر، قد علمنا ما فرضنا من الأحكام على المؤمنين في زوجاتهم بالأل يزيدوا على أربع نسوة، ووجوب المهر والقسم بين الزوجات، والزواج بولي وشاهدين، وفي الزواج أو التسري بالإماء المملوكات بأن تكون الأمة مسلمة أو كتابية، لا وثنية ولا مجوسية، وأن تستبرأ بحيضة قبل الوطاء، والعجز عن صداق الحرة، وخوف الوقوع في الزنى في حال الزواج، وسعنا عليك في التحليل، لكيلا يكون عليك أيها النبي ضيق ومشقة في الإبقاء على الزوجات التسع دون ما عداهن، وفي رفع الحرج عن نكاح بعض النساء، وكان الله غفوراً فيما يعسر التحرز عنه، رحيماً بالتوسعة في مظان الحرج. قالت أم هانئ بنت أبي طالب: خطبني رسول الله ﷺ فاعتذرت إليه، فعذرني، فأنزل الله: ﴿ إنا أحللنا لك... ﴾.

﴿ تَرْجِي مِنْ نِسَاءٍ مِنْهُنَّ وَتُطَوِّقِي إِلَيْكَ مِنْ نِسَاءٍ وَمِنْ أُنْبِيَاتٍ
مِنْ عَمْرِكَ فَالْإِسْحَاحُ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَأَ أَعْيُنُهُنَّ
وَالْإِحْرَافَ وَبِرِّصَتَيْنِ بِمَاءِ الْيَهُودِ كَلِمَةٍ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي
قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لِأَيِّهِ لِكَ النِّسَاءِ
مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبْكَدَلَ بِهِنَ مِنْ أَرْوَاحٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ
إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَبِقِيَابًا ﴿٥٢﴾
بَنَاتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بِيُوتِ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ
إِلَى الطَّعَامِ وَعَفَى غَيْرِ تَطْرُقَ مِنْ ابْنَتِهِ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا
طَعِمْتُمْ فَانْسَبُوا وَلَا مُسْتَنْسَبِينَ لِحَدِيثٍ إِنْ ذَلِكَ لَكُمُ
كَانَ يُؤْذَى النَّبِيِّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي
مَنْ أَحْسَنَ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ
ذَلِكَ أَظْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ
أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِرُوا زَوْجَهُ مِنْ بَعْدِهِ
أَبَدًا إِنْ ذَلِكَ كُنَّ كَانِ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا
أَوْ حَفُّوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾

٥١- كان القسم بين الزوجات واجبا على النبي ﷺ، ثم رخص الله له، فرفع عنه الإيجاب، وخيره في هذه الآية، فلك أن تؤخر من تشاء أيها الرسول من أزواجك من ليلة محددة إلى أخرى، وتضم إليك من تشاء بتقدمها على غيرها، فكان يسوي في القسم بين من أواهن، ويقسم لمن أرجأها ما شاء، ومن طلبت وقربت عن تجنبت وأبعدتها عن ليلتها، فأردت أن تضمها إليك، فلا إثم عليك في ذلك، وهذا التخيير في صحبتتهن أقرب إلى سرورهن واطمئنانهن وارتياحهن، وعدم حزن من ترجئها بإيثارك بعضهن دون بعض، ويرضين بما أعطيتهن كلهن من تقرب وإرجاء، وعزل وإيواء، والله يعلم ما في قلوبكم من الميل لبعض النساء دون بعض، من غير اختيار، فاجتهدوا في الإحسان، وكان الله عليماً بخلقه وبأسرارهم، حليماً لا يعاجل بالعقوبة. قالت عائشة: أما تستحي المرأة أن تهب نفسها!! فأنزل الله: ﴿ تَرْجِي مِنْ نِسَاءٍ ﴾ فقالت: أرى ربك يسارع لك في هواك.

٥٢- لا يحل لك أيها النبي التزوج بالنساء من بعد التسع التي اخترتك، وهو في حقه كالأربع في حقنا، ولا أن تبدل بهن من زوجات، بطلاق بعضهن أو

كلهن، ثم تزوج بأخريات، ولو أعجبك حسن الزوجات الأخريات، وهذا تضييق عليه ﷺ ما هو واسع على أمته. إلا ما ملكت يمينك من الإماء مما تشاء، فتحل لك دون تحديد ولا تقييد، وقد ملك النبي بعدهن مارية القبطية التي أهداها له المقوقس، فسرى بها، وولدت له إبراهيم، ثم مات رضيعاً، وكان الله على كل شيء رقيباً مطلعاً. و ﴿ من أزواج ﴾ حرف ﴿ من ﴾ يدل على عموم نفي ما بعده. قال عكرمة: لما خير رسول الله ﷺ أزواجه اخترن الله ورسوله، فأنزل الله: ﴿ لا يحل لك .. ﴾.

٥٣- يا أيها المؤمنون لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم بأن تدعوا إلى طعام غير منتظرين نضجه وإدراكه، ولكن إذا دعيتم وأذن لكم فادخلوا، فإذا طعمتم فانصرفوا وتفرقوا، ولا تجلسوا بعد تناول الطعام مدة طويلة للاستئناس بالحديث، إن ذلك المذكور من أحوال الدخول من غير إذن والاستئناس للحديث، كان يؤذي النبي ويضايقه لتضييق المنزل عليه وعلى أهله، فيستحيي من إخراجكم، والله لا يترك بيان ما هو الحق، وإذا طلبتم من إحدى زوجات النبي عارية أو شيئاً محتاجاً إليه، فاسألوهن المتاع من وراء ساتر، ذلكم السؤال من وراء حجاب أظهر لقلوبكم وقلوبهن من الخواطر ووساوس الشيطان، وما صح وما جاز لكم أن تؤذوا رسول الله بقول أو عمل، ولا يحل لكم أن تزوجوا زوجاته من بعد وفاته، إن ذلكم الإيذاء كان عند الله ذنباً عظيماً. نزلت بسبب دعوة النبي ﷺ صحابته إلى طعام عند زواجه بزَيْنَب بنت جحش، ثم طعموا، وجلسوا يتحدثون، وقام النبي والصحابة وبقي ثلاثة، ثم أخبره أنس بخروجهم، فعاد، وألقى الحجاب بين أنس وبين نسائه.

٥٤- إن تظهروا شيئاً مما يؤذي النبي أو تخفوه في أنفسكم، فإن الله واسع العلم بكل شيء، وسيجازيكم عليه. نزلت كما قيل لما قال بعض الصحابة: إن مات رسول الله ﷺ تزوجت فلانة من زوجاته.

٥٥. لا إثم على نساء النبي وغيرهن في ترك الحجاب أمام آبائهن وأبنائهن وإخوانهن وأبناء الإخوة، وأبناء الأخوات، وأمام النساء المؤمنات دون الكافرات، وأمام الرقيق ذكوراً وإناثاً للدوام وجودهم في البيت للخدمة، واتفقن الله يا نساء النبي بالتمسك بالحدود، إن الله شاهد على كل شيء، فلا تخفى عليه خافية. ورد في الصحيحين عن أنس قال: قال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر، فلو حجبتن، فأنزل الله آية الحجاب.

٥٦. إن الله وملائكته يصلون على النبي محمد تعظيماً لشأنه، يا أيها المؤمنون صلوا وسلموا على النبي. والصلاة من الله: الرحمة والرضوان، ومن الملائكة: الدعاء والاستغفار، ومن المؤمنين دعاء وتعظيم، فاجتمع الثناء على النبي من أهل الأرض والسماء. أكد التسليم دون الصلاة لاستغنائها عن التأكيد بكونها يفعلها الله وملائكته.

٥٧. إن الذين يؤذون الله بنسبة الولد والشريك له، ويؤذون رسوله بتكذيبه والطعن فيه أو في رسالته، كأن يقال: تزوج امرأة ابنه أو يحل لنفسه ما يحرم على أمته، وهم المشركون واليهود والنصارى، أبعدهم الله وطردهم من رحمته، في الدنيا والآخرة، وأعد لهم عذاباً شديداً إذا هانوا وإذلالاً. نزلت في الذين طعنوا بالنبي ﷺ

حين اتخذ صفية بنت حبي زوجة له، أو بسبب قذف عائشة رضي الله عنها.

٥٨. والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بقرول أو فعل بغير حق كأن يشتم المؤمن أحداً، أو يضربه أو يقتله، فقد حملوا بمسقة كذباً شنعاً. قال ابن عباس: أنزلت في عبد الله بن أبي وناس معه قذفوا عائشة رضي الله عنها، فقال النبي ﷺ: «من يعذرنى من رجل يؤذيني، ويجمع في بيته من يؤذيني». وقال مقاتل: نزلت في علي، كان بعض المنافقين يؤذونه.

٥٩. هذه آية الحجاب، يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن: يرخين ويسدلن عليهن بعض ثيابهن التي تستر جميع البدن - والجلباب: ثوب ظاهري يستر جميع البدن - والمراد: يرخين بعض الثوب على الوجوه إلا شيئاً قليلاً كعين واحدة، ذلك إثناء الجلابيب أقرب إلى أن يميز بأنهن حرائر، لا إماء ولا غايا، فلا يتعرض لهن فاسق بأذى، وكان الله غفوراً لما سلف منهن لترك النستر، رحيماً بعباده. قال أبو مالك: كانت نساء المؤمنين يخرجن بالليل إلى حاجاتهن، وكان المنافقون يتعرضون لهن ويؤذونهن، فنزلت هذه الآية.

٦٠. لئن لم ينته عن إيذاء أهل الإيمان: المنافقون (الذين يظهرن الإسلام ويطنون الكفر) والذين في قلوبهم ضعف إيمان وشك في الدين وانحراف خلقي، واليهود وغيرهم المشيعون للأكاذيب ويزعزعون عقائد الناس لتوهين جانب المسلمين، وكان الصفات كلها واحدة وهي للمنافقين، لنسلطنك عليهم بالقتل والتشريد، ثم لا يساكنونك في المدينة، إلا وقتاً قليلاً بعد نزول هذه الآية.

٦١. مطرودين من الرحمة، أينما وجدوا أخذوا، أي أسروا وقتلوا أشد قتل، لغضب الله عليهم. وإنهاء خطرهم.

٦٢. سن الله ذلك العقاب في الأم الماضية، ولا تغيير لسنة الله، بل هي ثابتة دائمة في أمثالهم.

لأَجْنَحَ عَلَيْهِمْ فِيءَ آبَائِهِمْ وَلَا أَبْنَاءِهِمْ وَلَا إِخْوَانِهِمْ
وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِمْ وَلَا أَبْنَاءَ أَخْوَانِهِمْ وَلَا نِسَاءَهُمْ وَلَا
مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ وَأَتَقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ
يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ
لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
بِعَمِّيٍّ مَا كَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٥٨﴾
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِك وَبَنَاتِكِ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ
يَدِينِينَ عَلَيْهِمْ مِنْ جَلْبَابٍ ذَاكَ الَّذِي أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا
يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٩﴾ لَيْسَ لَكُمْ
بَيْتَ الْمُنَافِقِينَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجُونَ فِي
الْمَدِينَةِ لَعْنَةُ اللَّهِ لَعْنَتِكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُحْيَوْنَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا
﴿٦٠﴾ مَلْعُونِينَ أَيُّهَا النَّبِيُّ أَخْذُوا وَقْتَهُمْ تَفِيئًا ﴿٦١﴾ سَنَّةَ
اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾



يَسْأَلُكَ لَنَا مِنْ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يَدْرِيكَ
لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ
لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يُجِدُونَ وَلَا يَصْرِفُونَ وَلَا يَصْرِفُونَ
يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ
وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا
فَأَصَلْنَا السَّبِيلَ ﴿٦٦﴾ رَبَّنَا إِنَّا أَتَيْنَهُمْ ضَعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ
وَأَتَيْنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ
ءَادُوا مَوْسَى قَبْرًا اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٨﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٦٩﴾ يُصِغْ
لَكُمْ أَعْيُنَكُمْ وَيُغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
فَقَدْ قَارَىٰ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٠﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا
الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧١﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ
وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٢﴾

٦٣- يسألك أيها النبي المشركون عن وقت قيام
القيامة وحصوله استهزاء، قل لهم: إنما علمها عند
الله وحده، لم يطلع عليها ملكاً ولا نبياً، وما
يعلمك بها يا محمد؟ أي أنت لا تعلمها، وربما
توجد القيامة في وقت قريب. وفيه تهديد
للمستعجلين وإسكات للمتعنتين.

٦٤- إن الله طرد الكافرين وأبعدهم من رحمته،
وأعد لهم في الآخرة مع اللعن ناراً شديدة التسعير
والاقتاد.

٦٥- ماكثين فيها على الدوام أبداً بلا انقطاع، لا
يجدون لهم ولياً يواليهم ويحفظهم عنها، ولا
ناصراً ينصرهم ويخلصهم منها.

٦٦- يوم تتقلب وجوههم وأجسامهم في النار
من جهة إلى جهة، يقولون: يا ليتنا أطعنا الله
والرسول فيما أمرنا به ونهانا عنه.

٦٧- وقال الأتباع الكفرة: ربنا إننا أطعنا
الرؤساء والقادة والعلماء فيما أمرونا به من الكفر
والتكذيب، فأضلونا طريق الهدى والحق بما زينتوا
لنا من الكفر بالله ورسوله.

٦٨- ربنا أتهم مثل عذابنا مرتين: عذاب الكفر وعذاب الإضلال، واطردهم طرداً شديداً من رحمتك،
هو أشد اللعن وأعظمه.

٦٩- يا أيها المؤمنون لا تكونوا مع نبيكم كاليهود الذين آذوا موسى نبيهم، كقولهم: إنه آدر، أو ارتكب
فاحشة، فبرأه الله من التهم الباطلة، بإظهار البراهين الدالة على كذبهم، وكان موسى عند الله عظيماً ذا جاهة
وقدر رفيع.

٧٠- يا أيها المؤمنون: احذروا عقاب الله بالعمل بأوامره واجتناب معاصيه، وقولوا قولاً صواباً وحقاً.

٧١- يوفقكم للأعمال الصالحة ويؤجركم عليها، ويستر لكم ذنوبكم ويكفرها عند الاستقامة، ومن يطع
أوامر الله والرسول، فقد نال غاية مطلوبه، وحظي برضوان الله تعالى.

٧٢- إننا عرضنا أمانة التكليف والطاعة وحرية الاختيار والإرادة على السموات والأرض والجبال، وطلبنا
إليها تحملها والحفاظ عليها، فامتنعن عن حملها، وأشفتت منه وخافت، وحملها الإنسان آدم أبو البشر مع
ضعفه، وكذلك الجن، إنه كان ظلوماً لنفسه بما حملة، جهولاً به، حينما التزم بحقوق الأمانة.

٧٣- حملها الإنسان ليصير ماله ونتيجته أن يعذب الله أهل النفاق على نفاقهم وخيانتهم الأمانة، وأهل
الشرك على إشراكهم بالله، ويقبل توبة أهل الإيمان الذين أطاعوا الله ورسوله، وأدوا الأمانة، وكان الله كثير
المغفرة للذنوب التائبين، رحيماً بهم لأدائهم الأمانات من العبادة وغيرها.

سورة سبأ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 نُحْمَدُهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحُكْمُ فِي الْآخِرَةِ
 وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلْقَى فِي الْأَرْضِ وَمَا يُخْرِجُ مِنْهَا وَمَا
 يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرِجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ
 الَّذِينَ كَفَرُوا لَا نَأْتِيَا السَّاعَةَ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَأَتِيَنَّكُمْ عَلِيمٌ ﴿٣﴾
 لَا يَعْرِجُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ
 مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٤﴾ لِيُخَبِّرَ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَغْفِرَةً وَرِزْقًا كَرِيمًا ﴿٥﴾
 وَالَّذِينَ سَعَوْا عَلَيْنَا أَمْجَازًا وَلِيَكُنَّ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزِ
 أَلِيمٍ ﴿٦﴾ وَيَخَبِّرُ الَّذِينَ آمَنُوا وَالْعِلْمَ الَّذِي أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ
 مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٧﴾
 وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نُنَادِكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ نَبِيًّا كُنْتُمْ
 إِذَا مَرَرْتُمْ بِهِ كُلٌّ مَمْرُوقٌ إِنَّكُمْ لَفِي حَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٨﴾

١- الثناء الكامل التام على الله والشكر له، الذي له جميع ما في السموات وما في الأرض خلقاً وملكاً وتصرفاً، يفعل ما يشاء، وحمده على النعم التي أنعم بها في الكون مما خلقه لعباده، وله الحمد أيضاً في الدار الآخرة بإدخال عباده المؤمنين الجنة، فهو المحمود في الآخرة والدنيا، وهو صاحب الحكمة العالية بتدبير أمور خلقه، الخبير بمصالحهم وما يصلحهم.

٢- يعلم الله كل ما يدخل في الأرض كالماء والكنوز والأموات، وما يخرج منها كالزروع والنباتات وأنواع الحيوان والمعادن المستخرجة السائلة والجامدة وماء الينابيع، وما ينزل من السماء من مطر وثلج وبرد وريزق وملائكة وكتب ومقادير، وما يصعد فيها من أعمال العباد وغيرها من الملائكة والأبخره والأدخنة، وهو الرحيم بعباده، الغفور لذنوبهم بالتوبة.

٣- وقال الكفار منكرو البعث: لا تأتينا القيامة

والبعث، قل لهم أيها النبي للرد على كلامهم: بلى قسماً بربي لتأتينكم القيامة وتجازون بأعمالكم، ربي عالم الغيب: وهو كل ما غاب عن الناس علمه، لا يغيب عنه مثقال أي مقدار وزن ذرة في السموات والأرضين، ولا أصغر من ذلك المثقال ولا أكبر منه إلا وهو مثبت محفوظ في كتاب بين واضح وهو اللوح المحفوظ.

٤- علة إتيان الساعة ليجزي بالثواب الحسن الذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا الأعمال الصالحة التي أمروا بها، أولئك لهم مغفرة من ربهم لذنوبهم بحوها، وريزق طيب حسن لا عناء فيه في الجنة.

٥- والذين سعوا في إبطال آياتنا القرآنية، مغالين لنا، ظانين أننا لا نقدر عليهم لإحضارهم للحساب والجزاء، أولئك لهم عذاب من أشد أنواع العذاب، مؤلم أشد الإيلام.

٦- ويعلم أهل العلم بالدين السماوي وهم علماء أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام وأصحابه أن ما أنزل إليك من ربك وهو القرآن هو الحق الثابت الصحيح، وأنه يرشد الناس إلى دين الله وهو التوحيد، وطريق رضوان الله ذي العزة والغلبة، المحمود في جميع شؤونه.

٧- وقال بعض الكفار على جهة التعجب والسخرية: هل ندلكم على رجل، وهو محمد ﷺ، تجاهلوه كأنهم لا يعرفونه، يخبركم بأمر عجيب أنكم إذا قطعتم قطعاً صغيرة، وبليت أجسامكم، وصرتم تراباً متفرق الأجزاء، تعودون مرة أخرى وتخلقون خلقاً جديداً وتبعثون من القبور أحياء، للحساب والجزاء بعد التمزيق والتمزيق؟! وممزق: مصدر ميمي جاء على وزن اسم المفعول، والمراد كل تمزيق.

٨- قال المشركون: هل كذب على الله متعمداً بادعاء النبوة، أم به جنون؟ بل الذين يكذبون بالآخرة وينكرون البعث هم في عذاب النار، والانحراف البعيد عن الحق والصواب. والمراد: الرد عليهم من الله لإثبات ما هو أعظم من الأمرين وهو الضلال والعذاب. و ﴿بل﴾ حرف يدل على إبطال ما قبله وإثبات ما بعده.

٩- أفلم ينظروا إلى ما يحيط بهم من آيات الله في السماء والأرض، ليستدلوا بذلك على قدرتنا: إن نشأ نغيب بهم الأرض، فتبتلعهم كقارون، أو نسقط عليهم قطعاً من السماء، فهلكنهم بها، إن في ذلك المرئي لدلالة على قدرتنا على البعث لكل عبد راجع إلى ربه بالتوبة، مطيع له. والمعنى: إن فيما رأوا للدلالة على قدرة الله على البعث وغيره.

١٠- ولقد أعطينا داود منا نبوة وملكاً وكتاباً هو الزبور، وصوتاً حسناً، وقلنا: يا جبال رجعي ورددني معه التسبيح إذا سبّح، أي نزهي الله، وسحرنا الطير أيضاً أن تسبّح (تنزه الله) معه، وجعلنا الحديد في يده ليتأكل المعجين، وعلمناه كيفية إلاتته من غير نار، يصنع به ما يشاء.

أَفَرَأَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْعَمِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا كُتِبَ لَهُمْ وَمَا أَحْلَمَهُمُ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ شَأْنَنَا خَفِيفٌ بِهِمْ أَلا تَرْضَى لَآئِنِ سَقَطْنَا عَلَيْهِمْ سَكَابًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا لِيَجْزِيَ آلَ الْفِرْعَوْنَ أَتَمَّ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ أَمْ لَمْ يَنْظُرُوا إِلَى مَا يَحِيطُ بِهِمْ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لِيَسْتَدِلُّوا بِذَلِكَ عَلَى قُدْرَتِنَا: إِنْ نَشَاءُ نَغِيبُ بِهِمُ الْأَرْضَ، فَتَبْتَلِعُهُمْ كَقَارُونَ، أَوْ نَسْقُطُ عَلَيْهِمْ قِطْعًا مِنَ السَّمَاءِ، فَهَلِكُهُمْ بِهَا، إِنْ فِي ذَلِكَ الْمُرْتَبِي لِدَلَالَةِ عَلَى قُدْرَتِنَا عَلَى الْبَعْثِ لِكُلِّ عَبْدٍ رَاجِعٍ إِلَى رَبِّهِ بِالتَّوْبَةِ، مُطِيعٌ لَهُ. وَالمَعْنَى: إِنْ فِي مَا رَأَوْا لِدَلَالَةِ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ عَلَى الْبَعْثِ وَغَيْرِهِ.

١٠- وَلَقَدْ آعطينَا دَاوُدَ مَنَا نُبُوَّةً وَمَلِكًا وَكِتَابًا هُوَ الزَّبُورُ، وَصَوْتًا حَسَنًا، وَقُلْنَا: يَا جِبَالِ رَجِعِي وَرُدِّدِي مَعَهُ التَّسْبِيحَ إِذَا سَبَّحَ، أَي نَزْهِي اللَّهَ، وَسَحَرْنَا الطَّيْرَ أَيضًا أَنْ تَسْبِّحَ (تَنْزِهُ اللَّهَ) مَعَهُ، وَجَعَلْنَا الْحَدِيدَ فِي يَدِهِ لِيَتَأْكَلَ الْمُعْجِينَ، وَعَلَّمْنَاهُ كَيْفِيَّةَ إِلاتَتِهِ مِنْ غَيْرِ نَارٍ، يَصْنَعُ بِهِ مَا يَشَاءُ.

١١- ووجهناه أن تعمل دروعاً كوامل واقيات واسعات تغطي البدن كله، وهو أول من اتخذها، وقدر في النسخ بجعل الشيء على قدر الحاجة مع التناسب في الخلق، وقلنا له ولآله: اعملوا عملاً صالحاً شكراً لله، إنني مطلع على كل أعمالكم، فأجازيكم عليها.

١٢- وسخرنا لسليمان الريح، جريها بسرعة في فترة الصباح إلى الزوال مسيرة شهر، وجريها في فترة ما بعد الزوال إلى الغروب مسيرة شهر، وأذننا له عين النحاس المذاب، وسخرنا له من الجن من يعمل بين يديه بأمر ربه، ومن يعدل من الجن عن طاعته وأمرنا له بالطاعة، نذقه من عذاب النار في الآخرة، أو النار الملتهبة في الدنيا.

١٣- يعملون له ما يشاء من أبنية عالية وقصور مرتفعة. والمحراب في الأصل: مكان العبادة. وتمثيل مجسمة بصورة ما فيه روح، من نحاس أو رخام أو زجاج وغير ذلك. وكان هذا جائزاً في شريعته، وحرمة الإسلام، وصحاف تشبه حياض الإبل أو الماء الكبار، وقدور ثابتات لا تتحرك لعظمتها لطبخ الطعام، وقلنا لهم: اعملوا يا آل داود بطاعة الله، شكراً لله على ما آتاكم، وقليل من عبادي هو الشكور: العامل بطاعة الله، المؤدي شكر النعمة بقلبه ولسانه وأعضائه.

١٤- فلما حكمنا على سليمان بالموت، ما دل الجن على موته إلا الأرض: وهي التي تأكل الأخشاب ونحوها، تأكل عصاه التي كان يتكى عليها، فلما سقط على الأرض ميتاً، علمت الجن أنهم لو كانوا يعلمون الغيب، ما مكثوا وقتاً طويلاً يعملون في الأعمال الشاقة التي كلّفوا بها، لظنهم حياته.



١٥- لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا لله بلدة طيبة ورب غفور ﴿١٥﴾ فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذوات كل حيط وأثل ونشئ من سدر قليل ﴿١٦﴾ ذلك جزئناهم بما كفروا وهل نحزى إلا الكفور ﴿١٧﴾ وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير ووفينا فيها ليسان وأياماً آمين ﴿١٨﴾ فقالوا ربنا بعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومرقدهم كل ممزق إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور ﴿١٩﴾ ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين ﴿٢٠﴾ وما كان لهم عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في سلك وربك على كل شئ وحيط ﴿٢١﴾ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير ﴿٢٢﴾

١٦- فأعرضوا عن شكر هذه النعم وكفروا بالله، فأرسلنا عليهم سيل العرم الذي دمر الله به سد مأرب الذي أقيم بين جبلين للتحكم في ماء المطر، فأغرق الأراضي والبساتين، وأهلك الحرث والناس، وسيل العرم: هو السيل الذي لا يطاق لقوته وشدته، وبدلناهم ببساتينهم المثمرتين بستانين صاحبي ثمر مربشع الطعم، ونوع من شجر البادية هو شجر الطرفاء الكبير الحجم، وشيء قليل من شجر التبق له ثمر يؤكل، أتلف أشجارهم المثمرة وجعل بدلها الأراك والطرفاء والسدر.

١٧- ذلك التبديل والجزاء جزاؤهم بسبب كفرانهم النعمة، وتكذيبهم الرسل، ولا يجازي بمثل ذلك إلا المبالغ في كفران النعم والرسل.

١٨- وجعلنا بين بلد سبأ وبين قرى الشام المباركة

بالماء والشجر التي يسIRON إليها للتجارة قرى مرتفعة متواصلة متقاربة من اليمن إلى الشام للمبيت فيها والراحة، ونظمتنا السير فيها بحيث يقبلون في بلدة ويبيتون في أخرى، فلا يحتاجون لحمل ماء وزاد، وقلنا لهم: سيروا فيها ليالي وأياماً متى شئتم من ليل أو نهار، آمنين لا تخافون على أنفسكم وأموالكم.

١٩- فقالوا: ربنا باعد بين منازل أسفارنا: وهي القرى التي كانوا يتزلون فيها ظهراً ومساءً، من اليمن إلى الشام، وظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي، فجعلناهم أحاديث لمن بعدهم، يتحدث الناس بأخبارهم، فإن الله أجابهم بتخريب القرى المتوسطة، فلا يستطيع قطع المسافة الطويلة إلا الغني صاحب الإبل القوية التي تحمل الماء، وعجز الفقير، فأنحصرت التجارة في الأغنياء، وفرقناهم في البلاد غاية التفريق، حتى ضرب بهم المثل: «تفرقوا أيدي سبأ» إن في ذلك العقاب لعبيراً ودلالات واضحات لكل عبد كثير الصبر عن المعاصي وعلى الطاعات، كثير الشكر على النعم.

٢٠- ولقد صدق ظن إبليس بهم حين أغواهم، فاتبعوه، إلا فريقاً من المؤمنين لم يتبعوه، لصدق إيمانهم.

٢١- وما كان لإبليس على هؤلاء الجاحدين من تسلط وقهر على الكفر، وإنما مجرد وسوسة وتزيين، ولكن ابتليانهم بوسوسته لظهور من يؤمن بالآخرة ومن هو شاك مرتاب فيها، وربك على كل شيء رقيب.

٢٢- قل أيها الرسول للمشركين في مكة وغيرها: نادوا الأصنام التي زعمتم أنهم آلهة من غير الله لكشف الضر عنكم أو جلب الخير لكم، والواقع أنهم لا يملكون وزن ذرة من خير أو شر في السموات والأرض، وليس لتلك الآلهة من مشاركة في الخلق والملك والتصرف، وليس لله تعالى منهم من معين يعينه على تدبير شيء من أمور المخلوقات.

٢٣- ولا تتفع الشفاعة عند الله في أي حال إلا لمن أذن الله له أن يشفع، كالملائكة والنبیین والعلماء، إذا كان أهلاً للشفاعة، لا للكافرين، حتى إذا كشف الفزع وهو الخوف عن قلوب الشفعاء بسبب التعرف على المستحقين، قال بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم في الإذن بالشفاعة؟ قالوا: قال القول الحق: وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى، وهم المؤمنون، وهو تعالى صاحب العلو المطلق بالقهر، والكبرياء، لا يشاركه فيهما أحد.

٢٤- قل أيها النبي للمشركين: من الذي يرزقكم من السماء بالمطر، ومن الأرض بالنبات والثمر والمعدن ونحو ذلك؟ قل: الله هو الرازق، وأنا أو إياكم أيها المشركون أي أحد الفريقين إما في حال هدى أو في ضلال واضح. ﴿وَأَوْ﴾ للعطف مع الإبهام، وهذا خطاب رقيق مع الكفار لعلمهم يرجعون عن عنادهم. وهذا بعد بيان المهتدي والضال.

٢٥- قل أيها النبي لهم: لا تسألون يوم القيامة عما أذننا، ولا نسأل عما تعملون من كفر ومعصية. وهذا تقرير مبدأ المسؤولية الشخصية بخطاب لين لتخفيف عناد المشركين.

وَلَا تَسْمَعُ الشَّفَعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ فَخِي إِذَا فُرِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ فَأَلَوْا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾
 ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُلْ لَأَسْأَلُنَّ عَمَّا أَرْمَنَّا وَلَا أَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا فَتَضَيِّحْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أُحْشِرُ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ نَذِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُلْ لَكُمْ مِيعَادٌ يَوْمَ لَا تَسْتَجِيرُونَ عَنْهُ سَاعَةٌ وَلَا تَسْتَمْتَدُّونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِّلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾

٢٦- قل لهم: يجمع بيننا وبينكم يوم القيامة، ثم يحكم بيننا بالحق والعدل، وهو سبحانه الحاكم العدل، العالم بكل شيء وبأحوال الحكم والقضاء.

٢٧- قل لهم: أروني الذين جعلتموهم شركاء لله في العبادة، هل يقدر على شيء؟ كلا، أي ارتدعوا أو انزجروا عن ادعاء المشاركة، فالله هو المنفرد بالألوهية، القوي القاهر الغالب، ذو الحكمة الباهرة في تدبير خلقه.

٢٨- وما أرسلناك أيها النبي إلا للناس جميعاً، العرب والعجم، مبشراً من أطاعك بالجنة، ومنذراً مخوفاً من عصاك بالنار، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك، أي ما عند الله من النفع وما لدى الرسل من خير.

٢٩- ويقول المشركون تهكمياً: متى وقت هذا الوعد الذي تعدوننا به أيها المؤمنون وهو قيام الساعة، إن كنتم صادقين فيه؟

٣٠- قل لهم أيها النبي: لكم ميعاد يوم محدد، وهو يوم القيامة، لا تتأخرون عنه ولا تتقدمون عليه.

٣١- وقال الكفار من أهل مكة: لن نصدق بهذا القرآن الذي أتيت به يا محمد، ولا بالذي تقدمه من الكتب الإلهية كالتوراة والإنجيل، ولو ترى أيها النبي حين يكون الكافرون محبوسين ممنوعين في موقف الحساب، يتحاورون ويولم بعضهم بعضاً، يقول المستضعفون الأتباع للقادة المتكبرين: لولا أنكم صددتمونا عن الإيمان، وأوقعتمونا في الكفر، لكننا مؤمنين: مصدقين بالله ورسوله.



٣٢- قال القادة المتكبرون للمستضعفين: أنحن منعناكم عن الإيمان بعد إذ جاءكم الهدى؟ لا، بل كنتم قوماً مجرمين: مصرين على الكفر.

٣٣- وقال المستضعفون للمتكبرين: لم يكن إجرامنا باختيارنا، بل مكرهم بنا في الليل والنهار، ودعوتكم المستمرة لنا إلى الكفر هو الذي حملنا على هذا. والمكر: الخديعة والاحتيال. حين كنتم تأمروننا أن نكفر بالله، ونجعل له شركاء أمثاله، وأخفوا الندامة على ما فعلوا من الكفر، حينما شاهدوا العذاب المعد لهم، وجعلنا الأغلال (أي الأطواق أو سلاسل الحديد) في أعناق هؤلاء الكفار في النار، هل يجوزون (استفهام فيه معنى النفي) أي لا يجوزون إلا بما كانوا يعملون في الدنيا من الشرك بالله، والأعمال المنكرة؟!؟

٣٤- وما أرسلنا في أهل قرية من رسول ينذرهم ويحذرهم عقاب الله، إلا قال أثرياؤها وقادة الشرف فيها للرسول: إننا بما أرسلتم به مكذبون، نكذب بما أرسلتم به من التوحيد والإيمان. نزلت في رجل سأل شريكه عن أتباع محمد، فقال له: إنه لم يتبعه أحد من قريش إلا رذالة الناس ومساكينهم، فعرف بذلك أنه نبي حق، فأمن به، فنزلت هذه الآية، فقال له النبي ﷺ: وإن الله قد أنزل

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لَنْ نَحْنُ صَادِقُونَ
عَنْ هُدًى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ شُرَكَاءَ مِمَّنْ قَالُوا
الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لَنْ نَحْنُ صَادِقُونَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ الْبَلِ وَالنَّهَارِ
إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرَأُ النَّدَامَةَ
لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا
هَلْ يَجْزُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ
نَّبِيٍّ إِلَّا قَالَ مَثَرُومًا بِأَبْنَاءِكُمْ بِهِيَ كُفُرُونَ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا
لَنْ نَكُونَ فَرِحًا وَأَوْلَادًا وَمَنْ خَلَقْنَا بَعْدَهُمْ لَنْ يَسْطُرَ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُقَدِّرُ وَلَكِنَّا نُكَذِّبُ النَّاسَ لِيَعْلَمُونَ
﴿٣٤﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا
رُزْقًا لِّلْآمِنِينَ أَمَّنْ وَعَمَلٌ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعِيفِ
بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي
ءَالِيِنَا مُعْجِرِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٦﴾ قُلْ إِنْ
رَبِّي يَسْطُرَ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيُقَدِّرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ
مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٧﴾

تصديق ما قلت.

٣٥- وقال المترفون للرسول: نحن أكثر أموالاً وأولاداً ممن اتبعوكم من الضعفاء، وما نحن بمعذبين في الآخرة بعد إحسانه إلينا في الدنيا، أي إنهم قاسوا أمر الآخرة على الدنيا.

٣٦- قل لهم أيها النبي: إن ربي يوسع الرزق امتحاناً، ويضيق على من يشاء ابتلاءً، ولكن أكثر الناس لا يعلمون الحقائق، فيظنون أن كثرة الأموال والأولاد للشرف والكرامة، مع أنها قد تكون للاستدراج.

٣٧- وليست كثرة أموالكم وأولادكم أيها الكفرة التي هي سبب تكبركم وتسلككم بالتي تقرّبكم إلى رحمتنا وفضلنا تقريباً، وإنما هي للاختبار ومعرفة أوجه استعمالها في الطاعة أو المعصية، لكن من آمن بالله ورسوله وعمل عملاً صالحاً أمرنا به، فأولئك لهم الجزاء المضاعف للحسنات، الحسنة بعشر أمثالها، وهم في غرفات الجنة آمنون من جميع ما يكرهون من الموت وغيره. والزلقى: القريب، جاءت لتأكيد الفعل قبله.

٣٨- والذين يجتهدون في محاربة آياتنا القرآنية والطعن بها وتكذيبها، مسابقين مغالين لنا، زاعمين أنهم يفلتون منا، أولئك في العذاب الآخروي تحضرهم الملائكة الزبانية إلى النار.

٣٩- قل أيها النبي: إن ربي يوسع الرزق لمن يشاء من عباده، ويضيقه على من يشاء، وما أنفقتم من شيء من أموالكم في مرضاة الله وطاعته، فهو يخلفه (يعوضه) عليكم في الدنيا بالتعويض، وفي الآخرة بالثواب الجزيل، والله خير الرازقين، أي إنه الرازق الحقيقي، والعباد وسطاء. والفرق بين هذه الآية والآية السابقة [٣٦]: أن الآية هنا لبيان أن الرزق بيد الله وحده، وهناك للرد على من زعم أن الرزق علامة رضا الله، وأن البسط والتضييق هنا لشخص واحد في وقتين أو حالين، وهناك لتعدد الأشخاص.

٤٠ - ويوم يجمع الله الكفار جميعاً للحساب : العابد والمعبود، والمتكبر والضعيف، ثم يقول للملائكة تقريراً وتوبيخاً للمشركين : أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون؟ هل أنتم أمرتموهم بعبادتكم؟ والخطاب للملائكة ؛ لأنهم أشرف شركائهم .

٤١ - قالت الملائكة : تنزهت يارب عن الشريك، أنت الذي نتولاه ونعبده ونطيعه من دونهم، ولا موالاة بيننا وبينهم، ولم نكن معبودين لهم حقيقة، ونبرأ إليك مما فعلوا، بل كانوا يعبدون الشياطين الذين زينوا لهم عبادتنا، أكثر المشركين مصدقون بالجن، مطيعون لهم .

٤٢ - قال الله تعالى : فالיום يوم القيامة لا يملك بعضكم وهم المعبودون لبعض وهم العابدون نفعاً من شفاععة ونجاة، ولا يدفع ضرراً من عذاب وهلاك ؛ لأن الأمر كله لله، ونقلوا للذين ظلموا أنفسهم وكفروا بعبادة غير الله : ذوقوا عذاب النار التي كنتم تكذبون بها في الدنيا .

٤٣ - وإذا تتلى على المشركين آيات القرآن الواضحات الدلالة، قالوا لبعضهم : ما محمد هذا إلا رجل يريد أن يمنعكم عن عبادة آبائكم الأصنام والأوثان، وقالوا : ما هذا القرآن إلا كذب مختلق

لا أساس له، وقالوا ثالثاً عن أمر النبوة والدين الشامل للقرآن ومعجزات النبي : ما هذا إلا سحر ظاهر .

٤٤ - وما أنزلنا على أهل مكة من كتب يقرؤونها ويفهمونها تدل على صحة عقيدة الشرك - و ﴿ من كُتِبَ ﴾ من هنا تفيد عموم ما ذكر بعدها - وما أرسلنا إلى العرب قبلك أيها النبي من نبي منذر مخوف عقابنا . والمراد : من أين كذبوك، ولا دليل لهم من كتاب ولا رسول؟

٤٥ - وكذب الذين من قبلهم من الأمم السابقة كما كذبك قومك، وما بلغ مشركو العرب عشر ما أعطينا الأمم الماضية من القوة وطول العمر والمال والسلطة، مثل عاد وثمود ونحوهم، فكذبوا رسلي فأهلكناهم، فكيف كان إنكاري عليهم بالعذاب؟ أي أنه واقع موقعه .

٤٦ - قل أيها النبي لقومك : إنما أنصحكم برفق ببخلة واحدة وهي أن تجتهدوا بإخلاص في طلب الحق، اثنين اثنين مجتمعين، وواحدًا واحدًا منفردين ؛ لأن ذلك ادعى لصحة التفكير، ثم تفكروا في صاحبكم محمد الذي عرفتموه أميناً عاقلاً مدة طويلة، ليس به جنون حين دعاكم إلى توحيد الله، أي إذا فكرتم تعلمون أنه ليس به جنون، ما هو إلا منذر محذّر لكم من عاقبة العصيان قبل أو أمام محيي عذاب شديد في الآخرة .

٤٧ - قل أيها النبي للمشركين : ما طلبتكم من أجر مقابل دعوتي لتوحيد الله وعبادته، فإن طلبتة فهو لكم وليس لي، ما أجرى أو ثوابي إلا على الله، لا على غيره، وهو على كل شيء مطلع رقيب، يعلم صدقي .

٤٨ - قل لهم أيها الرسول : إن ربي يلقي الحق إلى أنبيائه، ويبين أدلة قاطعة عليه، يعلم كل ما غاب عن خلقه في السموات والأرض .

وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلَيْسَ لَنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ كَرِهُوا لَكُمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا كَذِبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تَتَلَا عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا نَبَّيْتُ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُ آبَاءَهُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا آفَاكُ مُفْتَرَى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَئِن لَّمْ يَأْتِنَا بِهِ آيَاتٌ مِمَّا نَحْنُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ وَمَا أَنبَأْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مَعَسَارَ مَا آتَاهُمُ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَحْدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَتَى وُفِّرْدَى ثُمَّ تَنفَكُّوْا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَمَا أَدْرِي إِنْ أُجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَماً الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾

لا أساس له، وقالوا ثالثاً عن أمر النبوة والدين الشامل للقرآن ومعجزات النبي : ما هذا إلا سحر ظاهر .

٤٤ - وما أنزلنا على أهل مكة من كتب يقرؤونها ويفهمونها تدل على صحة عقيدة الشرك - و ﴿ من كُتِبَ ﴾ من هنا تفيد عموم ما ذكر بعدها - وما أرسلنا إلى العرب قبلك أيها النبي من نبي منذر مخوف عقابنا . والمراد : من أين كذبوك، ولا دليل لهم من كتاب ولا رسول؟

٤٥ - وكذب الذين من قبلهم من الأمم السابقة كما كذبك قومك، وما بلغ مشركو العرب عشر ما أعطينا الأمم الماضية من القوة وطول العمر والمال والسلطة، مثل عاد وثمود ونحوهم، فكذبوا رسلي فأهلكناهم، فكيف كان إنكاري عليهم بالعذاب؟ أي أنه واقع موقعه .

٤٦ - قل أيها النبي لقومك : إنما أنصحكم برفق ببخلة واحدة وهي أن تجتهدوا بإخلاص في طلب الحق، اثنين اثنين مجتمعين، وواحدًا واحدًا منفردين ؛ لأن ذلك ادعى لصحة التفكير، ثم تفكروا في صاحبكم محمد الذي عرفتموه أميناً عاقلاً مدة طويلة، ليس به جنون حين دعاكم إلى توحيد الله، أي إذا فكرتم تعلمون أنه ليس به جنون، ما هو إلا منذر محذّر لكم من عاقبة العصيان قبل أو أمام محيي عذاب شديد في الآخرة .

٤٧ - قل أيها النبي للمشركين : ما طلبتكم من أجر مقابل دعوتي لتوحيد الله وعبادته، فإن طلبتة فهو لكم وليس لي، ما أجرى أو ثوابي إلا على الله، لا على غيره، وهو على كل شيء مطلع رقيب، يعلم صدقي .

٤٨ - قل لهم أيها الرسول : إن ربي يلقي الحق إلى أنبيائه، ويبين أدلة قاطعة عليه، يعلم كل ما غاب عن خلقه في السموات والأرض .



٤٩- قل جاء الحق، أي الإسلام والتوحيد، ولن يبقى أثر للشرك في مكة بعد الآن. والمراد بالباطل الزاهب هنا: هو الكفر، والإبداء: فعل الشيء أولاً، والإعادة: فعله ثانياً.

٥٠- قل أيها النبي للمشركين: إن ضللت عن الحق والهدى بترك عبادة آبائي، فإن إثم ضلالي على نفسي، وإن اهتديت إلى الصواب فيما يوحى إلي ربي من القرآن، إنه سبحانه سميع لأقوال عباده، قريب يجيب دعاء الدعاة.

٥١- ولو ترى أيها النبي الكفار حين خافوا وانزعجوا يوم القيامة، لرأيت العجب، فلا يفوتني أحد منهم ولا نجاة ولا مهرب لأحد من العذاب، وأخذوا إلى جهنم من القبور أو موقف الحساب، ولم يكتفوا من الهرب.

٥٢- وقالوا في تلك الساعة: آمنا بالله وبالقرآن وبمحمد، وكيف لهم تناول الإيمان تناولاً سهلاً في عالم الآخرة الذي هو بعيد عن محله، أي في الدنيا؟

٥٣- وقد كفروا بالله ورسوله من قبل في الدنيا، ويرمون بالظن فيما غاب عنهم قائلين: لا بعث ولا نشور، من جهة بعيدة، ليس فيها مستند لظنهم الباطل. والمراد: أن الذي يرمي الهدف من بعيد قلماً يصيب، فكيف بحال الذي يرمي من غير رؤية شيء؟

٥٤- وحجز بينهم وبين ما يشتهون من قبول الإيمان أو الرجوع إلى الدنيا، كما فعل بأمثالهم من قبلهم من كفار الأمم الماضية، فلم تقبل توبتهم، إنهم كانوا في الدنيا في شك موقع في الريبة والنهمة، وهي الشك في نزول العذاب بهم وفي أمر الرسل والبعث والجنة والنار.

سورة فاطر

ثبتت هذه السورة كغيرها من السور المكية الأصول الثلاثة للعقيدة: وهي التوحيد، والرسالة، والبعث.

١- الثناء التام الأكمل من الله على نفسه، لتعليم عباده كيفية الحمد، خالق السموات والأرض، ومبدعهما على غير مثال سابق، جاعل الملائكة رسلاً إلى الأنبياء وغيرهم لمهام معينة، والرسول: هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، أصحاب أجنحة لا يعلم حقيقتها ولا كيفيةها إلا الله، فمنهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة، يزيد في خلق الأجنحة وغيرها للملائكة وفي خلق غيرهم ما يشاء بمقتضى حكمته، كالخس والجمل في بعض الأعضاء، أو الصوت، أو العقل والتمييز، أو الصنعة والعلم، إن الله قادر على كل شيء.

٢- ما يفتح ويعطي الله للناس من نعمة كصحة وأمن ورزق، وعلم ونبوة وحكمة، فلا مانع لها، وما يمنع عنهم من خير، فلا مرسل لأحد سواه بعد المنع، وهو القوي الغالب الذي لا يقهر، الحكيم في فعله وتديبه، لا يخطئ.

٣- يا أيها الناس جميعاً تذكروا نعمة الله المنعم بها عليكم، واحفظوها بمعرفة حقها بشكره عليها، وفكروا: هل من خالق غير الله؟ أي لا خالق غير الله، يرزقكم من السماء والأرض، فكيف تشركون معه غيره؟ لا إله ولا رب يعبد بحق سواه، فكيف تصرفون عن توحيده، مع إقراركم بأنه الخالق الرازق؟!

قُلْ جَاءَ أَحْسَنُ وَمَا بَدِئُ الْبَاطِلَ وَمَا يُعِيدُ ﴿١﴾ قُلْ إِن صَلَّيْتُ فَأَنَا أَصِلُّ
عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَمَا يُوجِيهِ إِلَيَّ رَبِّي إِنْ سَمِعْتُ قَرِيبٌ ﴿٢﴾ وَلَوْ
رَبِّي إِذْ فَرَعُوا فَلَا قُوَّةَ وَأَخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٣﴾ وَقَالُوا لَأَمْنًا
بِهِ وَإِنِّي لَمُؤْتَسِقُونَ مِمَّنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤﴾ وَقَدَّحُوا بَابِيرٍ مِّنْ قَبْلُ
وَيَعْدُ هُوَ أَلْقِيْبٌ مِّنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥﴾ وَجِئِلَ لَهُمُ مَّوَدِعٌ مَّا يَشْتَهُونَ
كَأَفْعَلِ أَشْيَاءَهُمْ مِّنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٦﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَى
أَجْنَحَةٍ مَّشَىٰ وَتِلْكَ وَرَدَّعَ بِيْدِي فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَا يَبْتَغِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا
وَمَا يُمْسِكُ فَلَا يُرْسِلُ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾
يَتْلُوهَا النَّاسُ أَذْكَرَ أَوْ أُنْجَسَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ
يُرْزِقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَىٰ تَوْفِكُمْ ﴿٣﴾

٤- وإن يكذبك أيها النبي المشركون في دعوتك إلى التوحيد والإيمان باليوم الآخر، فقد كذبت رسل من قبلك في ذلك، فاصبر كما صبروا، وإلى الله تصير الأمور، فيجازي كل بما يستحقه.

٥- يا أيها الناس إن وعد الله بالبعث والجزاء حق ثابت لا بد منه، فلا تلهيكم الدنيا بزخارفها ولذاتها عن عمل الآخرة، ولا يغرنكم الشيطان الكثير التغيرير بحلم الله وإمهاله.

٦- إن الشيطان لكم عدو من القدم، فعادوه بطاعة الله، ولا تطيعوه في المعاصي ولا تتبعوه، إنما يدعو أتباعه المطيعين له، ليكونوا من أصحاب النار المستعرة الملتهية، لعادوته لبني آدم.

٧- الذين كفروا بالله ورسوله لهم عذاب شديد يوم القيامة، وهذا وعيد لمن اتبع الشيطان، والذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات المأمور بها، لهم مغفرة لذنوبهم، وأجر كبير وهو الجنة.

٨- أقم حسن له الشيطان سوء عمله أي عمله القبيح، فرأه حسناً أي رأى القبيح حسناً، كالذي آمن ولم يزين له؟ لا، فلينهما لا يتساويان. الهمزة للاستفهام الإنكاري المفيد للنفي، فإن الله يضل من يشاء إضلاله لسبق علمه بقبوحه وسوء فعله، ويهدي

وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك وإلى الله ترجع الأمور ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِن وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَغْرِبَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَلَا تَغْرِبَنَّ بِاللَّهِ الْفُرُودُ﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿الَّذِينَ هَرَّوْا هَرًّا شَدِيدًا وَالَّذِينَ اسْتَوَاعَوْا أَلْسِنَةً لِيُكَلِّمَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا كَبِيرًا﴾ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ عَمَلِهِمْ فَرَأَاهُمْ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُبَدِّلُهَا مِمَّا يَشَاءُ إِلَى بَلَدٍ مَشْرُوبٍ فَأُحْيِي بِيَاهِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْغُرْبَةَ فَلِلَّهِ الْغُرْبَةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُسَوِّرُ ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعْتَرِفُ مِنْ سُخْرٍ وَلَا يُلْقَضُ مِنْ غَيْرِهِ إِلَّا بِكُتْبِ إِنْ ذَاكَ عَلَى اللَّهِ يُسِيرٌ ﴿

من يشاء هدايته لسبق علمه بهدائيه، بالتوفيق إلى سلوك طريق الهداية والإيمان، فلا تهلك نفسك حزناً على كفرهم وضلالهم، إن الله عالم بما يصنعون لا تخفى عليه خافية، ويعاقب كل امرئ بما يستحق. قال ابن عباس: أنزلت هذه الآية ﴿أفمن زين..﴾ حيث قال النبي ﷺ: «اللهم أعز دينك بعمر بن الخطاب، أو بأبي جهل بن هشام، فهدي الله عمر، وأضل أبا جهل، ففيهما أنزلت.

٩- والله الذي أرسل الرياح مبشرات بهطول الأمطار، فتتحرك سحباً وتدفعه إلى جهة ما، فسقتنا هذا السحاب المحمل بالغيث إلى بلد مجذب قاحل غير منبت، فأحيينا بالمطر الأرض بنبات النبات، بعد يسها وجذبها، مثل ذلك الأحياء يحيي الله العباد بعد الموت.

١٠- من كان يريد الشرف والجاه والمنعة، فليطلبها من عند الله، فله كل العزة في الدنيا والآخرة، ولا تنال العزة إلا بطاعة الله، إليه تعالى يصعد الكلم الطيب، أي يقبل التوحيد وكل كلام طيب من ذكر الله ودعاء وتلاوة قرآن، والعمل الصالح يرفعه الله إليه ويقبله من المؤمن، والذين يعملون السيئات في الدنيا على وجه المكر والخديعة، ويكيدون للمسلمين، لهم عذاب شديد عند الله في الآخرة، ومكر أولئك المتأمرين يطل ويفسد.

١١- والله تعالى خلق أباكم آدم من تراب، ثم خلقكم من نطفة (مني) ثم جعلكم صنفين ذكوراً وإناثاً، وما تحمل من أنثى ولا تضع حملها إلا بعلمه وإذنه، ولا يمد في عمر إنسان، ولا ينقص من عمر آخر، إلا في اللوح المحفوظ، وذلك بحسب العرف والغالب: أن الذي يطول عمره يقال عنه: أخذ عمره، والذي يموت صغيراً يقال عنه بالنسبة لغيره: لم يكمل عمره، مع أن عمر كل منهما محدود مقدر لا يزيد ولا ينقص، إن تمديد الأعمار أمر يسير على الله، لا صعوبة فيه.

١٢- وما يتساوى البحران: العذب والملح - وهذا مثل للإيمان والكفر - هذا عذب شديد العذوبة مذهب للعطش، سائغ (سهل المرور في الخلق) شرايه، وهذا ملح شديد الملوحة غير مستساغ، وذلك مثل للمؤمن والكافر، ومن كل منهما تأكلون لحماً طرياً هو السمك، وتستخرجون من البحر الملح حلية يتزين بها النساء وهي اللؤلؤ والمرجان، وترى السفن في كل من البحرين عابرات شاقات الماء بجريها فيه، لتطلبوا من فضل الله تعالى بالتجارة والركوب فيها، ولتشكروا الله على ما أنعم به عليكم من ذلك.

١٣- يُدخل الليل في النهار، ويُدخل النهار في الليل، فيزيد في أحدهما وينقص من الآخر، وذلك الشمس والقمر لما فيه من مصالح الناس، كل منهما يجري في مدار معلوم لوقت محدد، في علم الله، ذلكم الخالق والفاعل لما ذكر هو الله ريكم القادر، الذي له ملك العالم يتصرف فيه كيفما يشاء، والذين تعبدون من غيره من الأصنام أيها المشركون ما يملكون من شيء صغير، مثل قشرة

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُراتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أجاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً يَتَّسُونَهَا وَتَرَى الْفُلَّكَ فِيهِ مَوَاجِرَ يَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَعَلَيْكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعْوَكُمْ وَلو سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَلو سَمِعُوا لَكُفْرًا وَكَفْرًا يُشْرِكُكُمْ وَلَا يَتَّبِعُكُمْ مِثْلَ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أُنثَى الْفُقَرَاءِ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَاكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِهَا لِأَجْلِ مَنْ سَمِعَتْهُ لَوَكَرْتِ لَأَنذَرْتُكَ لَئِنْ يَتَذَكَّرُ الَّذِينَ يَحْسَبُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَفْئُوتًا لَئِنْ أَصْبَحَ نَزَلَتْ فَانْتِزِكِي لِنَفْسِكَ إِلَى اللَّهِ الْأَصْبِحُ ﴿١٨﴾

النواة - بذرة التمر - الرقيقة البيضاء.

١٤- إن دعوتهم هذه الأصنام لا يسمعون دعاءكم، لأنها جمادات، ولو سمعوا الدعاء على سبيل الفرض ما أجابوكم، ويوم القيامة يجحدون بإشراككم إياهم مع الله، وعبادتكم لها، ويتبرؤون منكم، ولا يخبرك بحقيقة الأمر وأحوال القيامة أيها الرسول مثل خبير بها عالم مطلع على ما يحصل، وهو الله تعالى.

١٥- يا أيها الناس أنتم المحتاجون إلى الله في جميع أمور الدين والدنيا، والله هو الغني عنكم على الإطلاق، المستحق للحمد من عباده على جميع أفعاله، المحمود على كل حال.

١٦- إن يشأ يهلككم، ويأت بقوم آخرين بدلكم، هم أطوع منكم.

١٧- وما ذلك الإذهاب والإفناء لكم، والإتيان بآخرين بشيء صعب ولا تمتنع على الله تعالى.

١٨- ويوم القيامة لا تحمّل نفس أئمة إثم نفس أخرى غير ذنبها الذي اقترفته في الدنيا، وإن تطلب نفس محمّلة بالذنوب نفساً أخرى، لتحمل عنها بعض ذنوبها، لم تحمل عنها شيئاً من الذنوب، ولو كان المدعو قريباً لها في النسب كالأب والابن، فكيف بغير القريب؟! إنما يفيد إنذارك أو تحذيرك الذين يخافون ربهم حال كونهم في خلوة أو سر عن الناس، فهم بعيدون عن الرياء، أو: وهو غائب عنهم، وأقاموا الصلاة في أوقاتها وداوموا عليها، ومن تطهر من الشرك والمعاصي، وعمل صالحاً، فإنما يتطهر لنفسه؛ لأن نفع ذلك مختص به، وإلى الله المرجع والمآل، فيجازي كل إنسان بعمله.



وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمُتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظُّلُّ وَلَا النُّورُ ﴿٢١﴾ وَلَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْواتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ أَنْتَ إِلَّا أَنْذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنْ أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِنْ يَكْفُرُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَإِلَّا يَزِيدُوكَ الْكُفْرَ الْكَفْرًا وَمَا أَنْتَ إِلَّا أَنْذِيرٌ ﴿٢٥﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُمْ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ ﴿٢٨﴾ لِيُؤْتِيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٩﴾

١٩- وما يتساوى الأعمى والبصير، أي الكافر والمؤمن، والجاهل والعالم.

٢٠- ولا تتساوى ظلمات الكفر ولا نور الإيمان.

٢١- ولا يتساوى ظل الجنة وحر النار.

٢٢- ولا يتساوى أحياء القلوب وهم المؤمنون، وأموات النفوس وهم الكافرون، إن الله يسمع من يشاء إسماعه وهدايته من أوليائه الطائعين، ولست أنت أيها النبي بمسمع الكفار أصحاب القلوب الميتة.

٢٣- ما أنت أيها النبي إلا رسول منظر مخوف من عصاك بالنار، أما الهدى والضلال فبيد الله تعالى.

٢٤- إننا أرسلناك أيها النبي إرسالاً مصحوباً بالحق وهو الهدى والدين الحق، مبشراً بالجنة من أطاعك، ومنذراً محذراً بالنار من عصاك، وما من جماعة إلا جاءها رسول منظر أو عالم محذر من المعاصي، أي ومبشراً؛ لأن الإنذار قرين البشارة.

٢٥- وإن يكذبك المشركون في مكة أيها النبي،

فقد كذبت الأمم الماضية أنبياءهم، فليس هذا جديداً، فلا تحزن، جاءتهم رسلهم بالمعجزات والدلائل الواضحة، وبالكتب الإلهية المكتوبة، كصحف إبراهيم وموسى، وبالكتاب النير الواضح: وهو ما فيه شرائع وأحكام، كالطهارة والإنجيل.

٢٦- ثم أخذت الكفار بنزوبهم فعاقتهم، فكيف كان إنكاري عليهم بالعقوبة والإهلاك؟!

٢٧- ألم تعلم أن الله بقدرته وحكمته وحده أنزل من السحاب مطراً، فأخرجنا- التفات من الغيبة إلى التكلم- بالمطر ثمرات مختلفة الأجناس والألوان، وخلق الجبال أيضاً مختلفة الألوان، ففيها الطرق وخطوط الألوان التي تكون كالعروق، من بيضاء وحمراء وسوداء، شديدة السواد تشبه لون الغراب.

٢٨- وخلق أيضاً خلقاً آخر من الناس والدواب والأنعام خلقاً مختلفاً ألوانه كاختلاف الثمار والجبال، في الحجم واللون، وإنما يخشى الله بالغيب من العباد العلماء بالله بصفاته وأفعاله؛ لأنهم يدركون دقة صنع الله تعالى، فيعظمونه حق التعظيم، إن الله قوي غالب قاهر، غفور لذنوب عباده التائبين المؤمنين.

٢٩- إن الذين يداومون على تلاوة القرآن الكريم، وأدوا الصلاة في أوقاتها، تامة الأركان والشروط، وأنفقوا مما رزقهم الله سرّاً وعلانية، من زكاة وصدقات، يرجون بما عملوا تجارة لن تكسر ولن تخسر.

٣٠- يطمعون في تجارة غير كاسدة لأجل أن يوفيهم الله أجور أعمالهم الصالحة، ويزيدهم على ذلك من فضله وإحسانه، إن الله واسع المغفرة لذنوبهم، شكور لطاعتهم يتقبلها بقبول حسن، ويحسن جزاءهم.

٣١- والذي أوحينا إليك أيها الرسول من القرآن - من: بيانية- هو الحق الثابت الذي لا شك فيه، مصدقاً ومؤيداً لما تقدمه من الكتب، إن الله بعباده لعالم بأحوالهم مطلع عليها، بصير بشؤونهم محيط بجميع أمورهم الظاهرة والباطنة.

٣٢- ثم أورثنا وأعطينا القرآن العلماء الذين اخترناهم من عبادنا، فمنهم ظالم لنفسه بالمعصية المسرف فيها حتى غلبت سيئاته على حسناته، ومنهم مقتصد متوسط العمل يعمل بالقرآن غالباً وخطط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، ومنهم سباق إلى الأعمال الصالحة بإرادة الله وتوفيقه، وهو خير الثلاثة، ذلك التوروث للقرآن والاصطفاء هو الفضل الكبير من الله تعالى عليهم.

٣٣- جنات إقامة دائمة يدخلها هؤلاء المصطفون، يحلون فيها من أساور الذهب واللؤلؤ، ولباسهم الحرير في الجنة.

٣٤- وقالوا: الحمد لله الذي أذهب عنا الخوف من مخاطر المستقبل، إن ربنا لواسع الغفرة لذنوب

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلِّتُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَإِيْمَتَنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُ فِيهَا الْغُوبُ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُحْيَوْنَ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نُجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوْ لِنُرْسِلَ مَائِدَةً كَرِيمَةً مَنْ نَذَرَ حَيْثُ وَجَاءَ كُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَا الظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾

المؤمنين، كثير الشكر لطاعتهم، أي يحسن جزاءهم.

٣٥- الذي أنزلنا الجنة دار الإقامة الأبدية، من عطائه وفضله، لا يمسن فيها تعب وعناء، ولا يمسن فيها إعياء من التعب أو كلال. نزلت حينما سئل النبي ﷺ عن النوم في الجنة والراحة، فقال: ليس فيها لغوب، كل أمرهم راحة.

٣٦- والذين كفروا بالله ورسوله وبالقرآن، لهم نار جهنم خالدين فيها أبداً، لا يحكم عليهم بموت ثان، فيستريحوا من العذاب، ولا يخفف عنهم من عذاب جهنم، مثل ذلك الجزاء نجزي كل كثير الكفر، مصر على الجحود، مبالغ فيه.

٣٧- وهم يستغيثون في النار بشدة وصوت عالٍ قائلين: ربنا أخرجنا من جهنم نعمل العمل الصالح الذي أمرت به، غير الذي كنا نعمل في الدنيا من المخالفات والمعاصي، أو لم نجعلكم تعمرن وقتاً تتمكنون فيه من التذكر، لمن أراد أن يتذكر، وجاءكم الرسول المنذر المخوف من عذاب الله، فذوقوا عذاب النار، فليس للكافرين من معين يدفع عنهم العذاب.

٣٨- إن الله عالم غيب السموات والأرض، لا تخفى عليه خافية، إنه عليم بما تضمرة النفوس وما في القلوب من العقائد والظنون، ويجازي كل امرئ بما يستحق.

٣٩- هو الله تعالى الذي جعلكم أجيالاً وأما تخلف كل أمة من قبلها، أي خلفاء لمن قبلكم في المعيشة والانتفاع بخيرات الأرض، فمن كفر بوحداية الله ولم يشكر نعمه، فعليه ضرر وويل كفره، ولا يزيد الكافرين كفرهم عند الله ربهم إلا غضباً وبغضاً شديداً، ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا هلاكاً وخسارة للأخرة.

٤٠- قل أيها النبي للمشركين: أخبروني عن شركائكم الذين تعبدونهم من دون الله، وهم الأصنام والأوثان الذين زعمتم أنهم شركاء لله تعالى، أخبروني ماذا خلقوا من الأرض حتى عبدتموهم؟ أم لهم مشاركة في خلق السموات، حتى يكونوا أهلاً للالوهية، أم أنزلنا عليهم كتاباً يميز لهم الشرك بالله، فيكون لهم حجة واضحة، بل - لإبطال ما قبله والانتقال لكلام آخر - ما يعد الظالمون الكافرون بعضهم بعضاً من الشفاعة وغيرها إلا باطلاً مزخرفاً لا حقيقة له.

٤١- إن الله يحفظ السموات (وهي كل ما ارتفع فوق الرؤوس من الأجرام والكواكب والنجوم) والأرض بقدرته أن تزول عن أماكنها، ولئن زالت السماء والأرض ما أمسكها أحد سواه عن الزوال، إنه تعالى كان حليماً لا يعاجل بالعقوبة، غفوراً للذنوب التائين، وذلك سبب إمساكه السموات والأرض.

هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلْفًا فِي الْأَرْضِ فَمنْ كَفَرَ عَلَيْهِ كُفْرًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا مُقْتَاتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ فَلَمَّا يَنْتَشِرُ كَرَاهَا أَلَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَروني مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُم كِتَابًا فهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنَّمَا نَعُدُّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ الْأَعْرُوبَاءُ ﴿٤٠﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ بِمَا تُكْسِرُونَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكْتُمَا مِنْ أَحَاقِنَ بَعْدِي إِنَّهُمَا لَنَنفِكَنَّ جِلْمًا عَفْوَراً ﴿٤١﴾ وَأَسْمُوا بِاللَّهِ جَمْعًا يَجْمَعُهَا لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ أَحَدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُوراً ﴿٤٢﴾ أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرُ السُّيِّئِ لَا يَحْسِبُونَ الْمَكْرَ السُّيِّئِ إِلَّا بِأَهْلِهِ يَهْلِكُونَ الْإِنْسَانُ الْأَوَّلِينَ فَلَمَّا نَجَّدْنَا آلِهَتَهُمْ لَسْنَا إِلَهُ تَبْدِيلًا وَلَا نَحْمَدُ إِلَهًا تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أُولَئِكَ سِوَا فِي الْأَرْضِ قَبِيضٌ وَكَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكُلُوا شَرًّا أَسْءَلُ بِهِمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَجْزِمَهُمْ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾

٤٢- وحلف المشركون من قريش أيماناً مؤكدة قبل بعثة محمد ﷺ لئن أتاهم رسول منذر ليكونن أهدي من اليهود أو النصرى، لما رأوا من تكذيب بعضهم بعضاً، كل فريق يقول: ليس الفريق الآخر على شيء، فلما أتاهم ما تمنوه وهو رسول الله ﷺ أشرف وأكرم المنذرين والمرسلين، ما زادهم مجيئه إلا تباعداً عن الحق والهدى والإيمان. نزلت بعد أن كانت قريش تقول: لو أن الله بعث منا نبياً، ما كانت أمة من الأمم أطوع لخالقها، ولا أسمع لنيبيها، ولا أشد تمسكاً بكتابتها منا، فأنزل الله هذه الآية.

٤٣- لم يؤمنوا برسالة النبي محمد ﷺ تجبراً وتكبراً ومضياً في الفساد، ومكر العمل السيء بالرسول والمؤمنين - والمكر: الخيلة والخداع والعمل القبيح - ولا يحيط وينزل وبال المكر السيء إلا بأهله المسيئين، فهل ينتظر هؤلاء المشركون إلا سنة الله وطريقته في الأمم الماضية بإنزال العذاب بهم، فلن تجد لسنة الله تبديلاً للعذاب، ولا تحويلاً له إلى غير المستحق له. وسنة الله: هي عادة الله في عقاب مكذبي الرسل والعصاة.

٤٤- أو لم ينتقل هؤلاء المشركون في الأرض، فيظنوا كيف كان مصير الذين من قبلهم كعاد وثمود وأهل مدين ونحوهم بتعذيبهم لما كذبوا الرسل، والحال أنهم كانوا أشد قوة بدنية من القرشيين، وأطول أعماراً، وأكثر أموالاً، وما كان الله ليسبقه ويفوته أي شيء، في السموات والأرض، إنه كان عالماً بالأشياء كلها، لا تخفى عليه خافية، قادراً على كل شيء، لا يصعب عليه أمر.



٤٥- ولو يجعل الله العقاب للناس على ذنوبهم، ما ترك على ظهر الأرض من أي شيء يدب على الأرض، والمراد بذلك الناس؛ لأنهم أهل التكليف، ولكن يؤخر عقابهم إلى أجل محدد عنده هو يوم القيامة، فإن الله كان عالماً بأحوال عباده، فيجازيهم على أعمالهم.

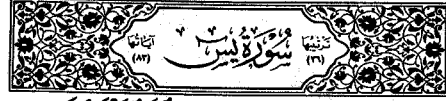
سورة يس

فضلها: أخرج أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن معقل بن يسار - وهو حديث حسن - عن النبي ﷺ قال: «اقرأوا يس على موتاكم». لأن فيها إثبات البعث والقدرة الإلهية والوحدانية بإحياء الأرض الميتة وإيراد الآيات الكونية.

١- «يس»: يا، سين، مثل غيرها من الحروف الهجائية المقطعة في أوائل السور، للتنبيه على ما بعدها، والإشارة إلى إعجاز القرآن وتحدي العرب به؛ لأنه مؤلف من حروف بناء الكلام عليها، وهم أساطين البيان، فيكون عجزهم أبلغ حجة عليهم.

٢- أقسم أنا الله بالقرآن المحكم بمعجب النظم وبديع المعاني على أن محمداً رسول من عند الله. نزلت حينما هم ناس من قريش أن يأخذوا الرسول ﷺ الذي تأذوا من قراءته سورة السجدة، فجمعت أيديهم إلى أعناقهم، فقالوا: نشدك الله والرحم يا محمد، فدعا حتى ذهب ذلك عنهم، فنزلت هذه

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِمْ دَابَّةً وَلَا كُنَ يُعَذِّبُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَيَأْتِيهِمْ فَإِنَّمَا جَاءَهُمْ فَآذَنُوا لَئِن كَانُوا يَعْلَمُونَ صَبْرًا ﴿١٥﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يس ﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الرُّسُلِ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنْزِيلِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرُوا وَأُولَآئِهِمْ عَقُوبٌ ﴿٦﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ عَلَىٰ أَكْثَرِ إِهْتِرَافٍ فَهَمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَىٰ الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهَمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا نُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ ﴿١١﴾ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١٢﴾ إِنَّا نَحْنُ مُخِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآخِرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٣﴾

الآية وما بعدها إلى [١٠] .

- ٣- إنك يا محمد رسول من جملة المرسلين لهداية الناس إلى الإيمان الحق وعبادة الله وطاعته .
- ٤- على طريق قوم لا عوج فيه ، طريق الأنبياء السابقين المؤدي إلى الجنة والنجاة .
- ٥- إن هذا القرآن تنزيل منزل من الله القوي الغالب القاهر ، الرحيم بخلقه أجمعين .
- ٦- أرسلناك وأنزلناه عليك لتنذر وتخوف من العذاب قوماً هم كفار مكة لم يُنذَرُوا مباشرة أبائهم الأقربون في زمن الفترة ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام ، فهم غافلون عن الإيمان والرشد والشرائع والأحكام .
- ٧- لقد استحق أكثر المكيين والعرب الوثنيين العذاب لإصرارهم على الشرك ، فهم لا يصدقون بما جاء به الرسول ﷺ .
- ٨- إنا جعلنا في أعناق المشركين قيوداً مشدودة إلى أذقانهم ، فهم رافعو الرؤوس لا يستطيعون خفضها بسبب الأغلال (جمع غُل) ، غاصو الأبصار لا يلتفتون إلى الحق . قال أبو جهل : لئن رأيت محمداً لأفعلن ، فأنزل الله هذه الآية وما بعدها ، فكانوا يقولون : هذا محمد ، فيقول : أين هو ، أين هو ؟ لا يبصر .
- ٩- حججنا بينهم وبين الإيمان بموانع من الأمام والخلف بسبب عتوهم ، فغطينا أبصارهم بغشاوة ، فهم بسبب ذلك لا يقدرون على إصباح سبيل الهدى .
- ١٠- وسواء على هؤلاء الكفار تخويفك من عذاب الآخرة ، أم عدم تخويفك ، فلا ينعهم الإنذار ، ولا يصدقون برسالتك .
- ١١- إنما يتبع بإنذارك من اتبع القرآن ، وخاف عقاب الله ، فبشره بمغفرة من الله لذنوبه ، وثواب حسن هو في الجنة .
- ١٢- إننا نحن نبعث الموتى من قبورهم أحياء ، ونكتب في اللوح المحفوظ ما قدموا في الدنيا من خير أو شر ، وما أبقوه بعدهم من آثار الأعمال النافعة والضارة ، وكل شيء ضبطناه في اللوح المحفوظ . نزلت في بني سلمة في ناحية المدينة الذين أرادوا النقلة إلى قرب المسجد .

وَأَضْرَبَ لَهُمُ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِالنَّارِ فَجَاءَ لَهَا أَتَانُ إِلَيْكُمْ فَسُئِلْتُمْ أَتَنْتُمْ إِلَيْنَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْزَلُونَ ﴿١٤﴾ وَمَا أُنزِلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَّا نَكِدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَلْوُوا أَرْبَابًا يَعْلَمُونَ بِمَا إِذَا إِلَيْكُمْ تُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ فَأَلْوُوا إِنَّا نَنْظُرُ نَجْمَكُمْ كَيْنَ لَوْ تَنْهَوْنَ الرَّحْمَنَ عَنْكُمْ وَكَيْتَسْتَكْمَرُونَ ﴿١٨﴾ فَالْوَالِطُ ذُرِّيَّتِكُمْ مَعَكُمْ أَمِنْ ذُكُرْتُمْ بِهِ لَأَنْتُمْ قَوْمٌ مُشْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ يَمْسُدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَالِي لَأَعْبُدَ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِيدُنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَأَتَّخِذَنَّ عَنْ يَمِينِهِ سَفِينًا ﴿٢٣﴾ وَلَا يَنْفَعُ دُونَ ﴿٢٤﴾ إِنِّي إِذًا لَئِي ضَلُّتُنِّي وَإِنِّي بِآيَاتِكُمْ مُرْسِلُونَ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَر لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾

١٣- واضرب أيها الرسول مثلاً للمشركين أصحاب القرية: وهي أنطاكية في رأي جماعة، حين جاءها أصحاب عيسى لدعوتهم إلى الله وتوحيده. ولم ير ابن كثير أنها أنطاكية لأنهم آمنوا جميعاً بالمسيحية.

١٤- حين أرسلنا إليهم اثنين، أرسلهما عيسى بأمر الله، فكذبوهما في الرسالة، فأيدناهما بمرسَل ثالث، فقالوا لأهل القرية: إنا مرسلون إليكم من ربكم لدعوتكم إلى توحيد الله وطاعته.

١٥- قال أصحاب القرية: لستم أنتم إلا مثلنا في البشرية، فلا مزية لكم علينا، لتكونوا دعاءً مرسلين، وما أنزل الرحمن من شيء من الأوامر والنواهي على يد الرسل، ما أنتم إلا كتابون في ادعاء الرسالة.

١٦- قال الرسل: ربنا يعلم صدقتنا، إنا إليكم رسل مرسلون لما دعوناكم إليه، أكدوا الجواب بالقسم.

١٧- وليس علينا إلا تبليغ الرسالة الإلهية تبليغاً واضحاً.

١٨- قال أهل القرية: إنا نشاء منا بكم واستغرينا ما تدعونه، لئن لم تتركوا هذه الدعوة أو المقالة لنرجمنكم بالحجارة حتى الموت، وليصيبنكم منا عذاب مؤلم شديد.

١٩- قال الرسل: شوؤمكم معكم بسبب كفركم وتكذيبكم، أئن ذكرناكم بالله، زعمتم حلول الشؤم عليكم وتهددوننا بالقتل؟ والمراد بالاستفهام التوبيخ، بل أنتم قوم متجاوزون الحد في الشرك والعصيان. و﴿بل﴾ حرف يفيد الانتقال من كلام لآخر.

٢٠- وجاء رجل مؤمن من أبعد مكان في المدينة: هو حبيب بن موسى النجار، كان قد آمن برسول عيسى، يسير بسرعة لما سمع بخبر الرسل، قال: يا قوم اتبعوا هؤلاء الرسل المرسلين فيما يدعونكم إليه من توحيد الله وعبادته.

٢١- اتبعوا من لا يطلب منكم أجراً على النصح والهداية، وهم جماعة مهتدون إلى الحق.

٢٢- سأله قومه: أنت على دينهم؟ فقال: بلى، وأي مانع يمنعني من عبادة الذي خلقتني، وإليه تعودون يوم القيامة، فيحاسبكم بأعمالكم، ويجازيكم بكفركم.

٢٣- لن أتخذ من غير الله آلهة وهي الأصنام، فأعبدها وأترك عبادة الله خالقي- والاستفهام بمعنى النفي- إن أردني الرحمن بإلحاق ضرربي، لا تغني عني شيئاً شفاعة هذه الأصنام، ولا يتقلدونني من ذلك الضر.

٢٤- إني إذا أشركت بالله واتخذت من دونه آلهة لفي انحراف واضح عن جادة الحق والصواب.

٢٥- إني آمنت بربكم الذي خلقتكم، فاسمعوا إيماني، وأشهدوا لي بذلك، واعملوا بما اعتقد، فقتلوه.

٢٦- قيل له من الملائكة تكريماً بعد قتله وعند موته: ادخل الجنة كبقية الشهداء، قال: يا ليت قومي يعلمون بمآلي الحسن.

٢٧- يعلمون بما غفر لي ربي ذنبي، وجعلني من المكرمين بدخول الجنة. تمنى لهم الإيمان والخير كإيمانه، بالرغم من قتله والإساءة إليه.



٢٨- وما أنزلنا على قومي من بعدهم من جديد من السماء وما كنا منزلين ﴿٣١﴾ إن كانت الأصيحة واحدة فإذا هو حسيدون ﴿٣٢﴾ يلهيهم عن الأعباد ما أتيتهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون ﴿٣٣﴾ الريسواكم أهلكتنا قباهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون ﴿٣٤﴾ وإن كل لما جمع لدينا نحضرون ﴿٣٥﴾ وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حيا فمنه يأكلون ﴿٣٦﴾ وجعلنا فيها جنت من نخيل وأعناب وفرنا فيها من الغنمين ﴿٣٧﴾ ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون ﴿٣٨﴾ سبحن الذي خلق الأزواج كلها مما نبتت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون ﴿٣٩﴾ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون ﴿٤٠﴾ والسَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٤١﴾ وَالْقَمَرَ قَدْرَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٤٢﴾ لَا السَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٣﴾

٢٩- ما كانت عقوبتهم إلا صيحة (وهي صوت شديد مزعج) صاح بها جبريل، فأهلكهم، فإذا هم ميتون هامدون لا حس لهم. و (إذا) تدل على سرعة حصول ما بعدها.

٣٠- هذا أوان الحسرة على العباد الذين كذبوا الرسل وهو يوم القيامة، ما يأتيهم من رسول يدعوهم إلى الإيمان والخير والسعادة إلا استهزؤوا به، وكذبوا برسالته.

٣١- ألم يعلم مشركو مكة.. والاستفهام هنا تقريي، أي أقروا أنكم علمتم- أننا كثيراً ما أهلكنا قبلهم من الأمم الماضية المكذبين رسلهم، وقد حكمنا أو قضينا أنهم لا يعودون إلى الدنيا بعد هلاكهم.

٣٢- ما كل واحد من الناس إلا ويحضر بين يدي الله للحساب، أي فكل الناس مجموعون في موقف الحشر يوم القيامة بعد بعثهم، للحساب والجزاء. وكلمة

﴿جمع﴾ هنا بمعنى مجموع، و﴿محضرون﴾ محضرم الملائكة للعذاب.

٣٣- وآية: علامة دالة لهم على قدرتنا على البعث (أي دليل): الأرض الميتة، أي المجذبة التي لا نبات فيها، أحييناها بالماء والنبات، وأخرجنا منها الحب المأكول كالخنطة والشعير وغيرهما، فمن هذا الحب يعيشون ويتغذون.

٣٤- وجعلنا في الأرض بساتين من نخيل وأعناب، وفتحننا وشققنا فيها عيون الماء المتدفقة.

٣٥- جعلنا ذلك ليأكل الناس من ثمر النبات والشجر في البساتين، ويأكلوا مما صنعتها أيديهم كالعصير واللبس ونحوهما، أفلا يشكرون الله على هذه النعم؟

٣٦- تنزه الله عما لا يليق، الذي خلق الأنواع والأصناف المختلفة، مما نبتت الأرض من النبات والشجر، وخلق الأزواج المزدوجة من أنفسهم وهم الذكور والإناث من بني آدم، ومن كل شيء لا يعلمون به من أصناف المخلوقات العجيبة والمصنوعات في البر والبحر، والسماء والأرض.

٣٧- ودليل آخر على قدرة الله ووحدانيته: أننا نفصل ضوء النهار عن الليل، والسلخ: إذهاب الضوء ومجيء الظلمة، فإذا هم داخلون في الظلام فجأة.

٣٨- والشمس تسير بسرعة في فلكتها لنهاية تستقر عندها في الصيف وفي الشتاء، ذلك الجري تقدير القوي القاهر، المحيط علمه بكل شيء.

٣٩- وقدرنا مسير القمر في منازل ينزل بها كل يوم وليلة في كل شهر، وهي ثمانية وعشرون منزلاً، حتى صار في آخر منزلة كعود عنقود التمر إذا جف وتوقس واصفر.

٤٠- لا يصح للشمس أن تلحق القمر في مسيره، فتجتمع معه في الليل، وليس لليل أن يسبق النهار قبل انقضائه، وكل من الشمس والقمر والنجوم في مدار خاص يسيرون فيه بسهولة في رأي العين.

وَأَيُّ لُحْمَةٍ أَتَّخَلْنَا زَرْقَتَهُ فِي الْفَلَاحِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا
 لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ
 لَهُمْ وَلَا هُمْ يُعْذَرُونَ ﴿٤٣﴾ الْإِرْحَمَةَ مِنَّا وَمِنَّمَا إِلَىٰ جَنِّبِ
 وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٤﴾
 وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا
 مُعْرِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْشَأَ
 كُنُوزَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْظِمُمْ مِنْ لُؤْيِيَّةٍ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْشَأَ
 الْآيَةَ ضَلَّلَ سَبِيلَ الَّذِينَ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ
 صَادِقِينَ ﴿٤٦﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ
 يَخِصِّمُونَ ﴿٤٧﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ
 يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمُ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ
 يَنْسِلُونَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَشَّرَنَا بِمَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ
 الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٠﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً
 وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدُنَّا مُحْضَرُونَ ﴿٥١﴾ فَالْيَوْمَ لَا نُظَلِّمُ
 نَفْسٌ سَنِيًّا وَلَا تَجْرُؤُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٢﴾

٤١- ودليل آخر على قدرتنا أنا حملنا آباءهم الأقدمين الذين في أصلابهم هم وذرياتهم في السفينة المملوءة، وهي سفينة نوح عليه السلام. وأصل الذرية: صغار الأولاد، ثم استعملت في الصغار والكبار، وامتن الله عليهم بذكر الذرية دونهم؛ لأنه أبلغ في الامتنان.

٤٢- وخلقنا لهم مثل تلك السفينة ما يركبون عليه وهو الإبل وسفن النقل البحري والمركبات والقطارات والطائرات الحديثة.

٤٣- وإن نشأ نغرقهم في البحر، أو في البر، فلا مغيث لهم، ولا هم ينجون من الغرق، أي يموتون سريعاً.

٤٤- إلا أن تدركم رحمة منا تنجيهم وتقلهم، وتمتعهم في الحياة بلذاتهم إلى أجل معلوم.

٤٥- وإذا قيل لهؤلاء المشركين أو الكفار: احذروا ما هو أمامكم من النكبات أو ما حل بالأمم السابقة، وما وراءكم منها في الآخرة، أي اتقوا أسباب الهلاك، ليرحمكم، أعرضوا، فجواب ﴿إذا﴾ محذوف مفهوم من الكلام بعده.

٤٦- وما تأتاهم من حجة أو دليل على توحيد الله وصدق رسوله أو آية قرآنية- و﴿من﴾ معلوم ما بعدها- إلا أعرضوا عنها، عناداً وتعتاً.

٤٧- وإذا قال الفقراء للكفار: تصدقوا على

الاحتاجين بما رزقكم الله، قال الكفار للمؤمنين استهزاء وتهكماً: أنظم من لو يشاء الله أطعمه- في زعمكم واعتقادكم- ما أنتم يا مؤمنون في قولكم: إن الله هو الرزاق إلا في انحراف واضح. و﴿إن أنتم﴾ إن: حرف نفي أي ما أنتم.

٤٨- ويقول الكفار للمؤمنين استهزاء أيضاً: متى هذا الشيء الموعود به وهو البعث من القبور إن كنتم صادقين في ادعائكم؟

٤٩- ما ينتظرون إلا صيحة واحدة (صوتاً شديداً الإرهاب مهلكاً) هي نفخة إسرافيل الأولى في الصور: وهي التي يموت بها الخلائق جميعاً، وتقضي عليهم بسرعة، وهم يختصمون في البيع والشراء وأمور الدنيا.

٥٠- فلا يستطيع بعضهم الإيضاء لبعض فيما له وما عليه، ولا يعودون إلى أهلهم ومنازلهم من مشاغلهم، لموتهم فيها.

٥١- ونفخ في الصور النفخة الثانية للبعث- وبين النفختين أربعون سنة- فإذا المخلوقون يخرجون بسرعة من قبورهم، للحساب بين يدي ربهم.

٥٢- قال منكرو البعث: يا هلاكنا!! من الذي أخرجنا من مرقد نومنا؟ قالوا ذلك لشدة الهول، فيرد عليهم من الملائكة: هذا هو البعث الذي وعد به الرحمن عباده، وصدق الأنبياء المرسلون فيما أخبروا به، من مجيء البعث.

٥٣- ما كانت تلك النفخة إلا صيحة واحدة لإسرافيل في الصور، فإذا هم جميع مجموعون عندنا بسرعة للحساب والجزاء.

٥٤- فيوم القيامة لا تظلم نفس شيئاً بنقص ثوابها أو زيادة عقابها، ولا تجازون إلا على أعمالكم التي عملتم بها في الدنيا.





٥٥- إن أهل الجنة يوم القيامة في شأن يشغل الإنسان عن غيره، متعمون متلذذون.

٥٦- هم وزوجاتهم الحلال في الجنة في ظلال الأشجار الوارفة، متكثون على الأسرة والفرش الناعمة.

٥٧- تقدم لهم الفاكهة المتنوعة، ولهم غير ذلك كل ما يتمنون ويشتون، مما تشتهي الأنفس، وتلذ الأعين.

٥٨- ويقال لهم: سلام تحية لكم، قولاً مقولاً من الله الرب الرحيم بعباده المؤمنين.

٥٩- أي تميزوا أيها الكفرة الذين أجرتم عن عبادي المؤمنين. يقال هذا لهم عند الوقوف للسؤال، وحين يؤمر بأهل الجنة إلى الجنة، كما ذكر القرطبي.

٦٠- ألم أمركم وأوصمكم يا بني آدم عن طريق الرسل ألا تطيعوا الشيطان في عبادة الألهة المزعومة، إن الشيطان لكم عدو ظاهر العداوة.

٦١- وأمرتكم أن تعبدوني، أي توحدوني وتطيعوني، هذا طريق قوم لا اعوجاج فيه، وهو دين الإسلام.

٦٢- ولقد أغوى الشيطان خلقاً كثيراً منكم،

إِنَّا صَحَبَ الْجَنَّةَ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَأَمْسَرُوا

الْيَوْمَ أَنهَا الْجَحِيمُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَصَلَّ مِنْكُمْ جِيلًا كَثِيرًا

أَفَرَأَيْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٦٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ أَصَلُّوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ الْيَوْمَ نَخْتِفُ

عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَنُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ وَسَهَادَ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا

الضَّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ

عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾

وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَاعَلَيْهِ

السَّعِيرُ وَمَا يُبْنِي لَهُ الْفَرِيقَانِ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيُحْيِيَ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾

أفلم تعقلوا وتدرکوا عداوة الشيطان وإضلاله لكم.

٦٣- هذه جهنم التي وعدتم بها في الدنيا على السنة الرسل.

٦٤- ادخلوها واحترقوا بها يوم القيامة، جزاء لكم على كفركم بالله وطاعتكم الشيطان، وتكذيبكم الرسل الكرام.

٦٥- اليوم في الآخرة تمنع أفواه الكفار من الكلام، فيكونوا كالحرس، وتكلمنا أيديهم، وتشهد أرجلهم بما فعلوا من المعاصي، بأن يخلق الله فيها القدرة على الكلام، فكل عضو ينطق بما صدر منه.

٦٦- ولو نشاء لأعميناهم، فإذا تسابقوا في الطريق إلى النجاة، فكيف يرونه، وقد عموا؟ أي لا يبصرون.

٦٧- ولو نشاء لحوكنا صورهم إلى صور قبيحة في المكان الذي أقاموا فيه وظنوا أنهم أقوياء فيه، واقتروا المعاصي، فما استطاعوا ذهاباً ولا رجوعاً، والمراد: هلكوا وذلوا.

٦٨- ومن نطّل عمره كثيراً، نغير خلقته ونبدل حالته من قوة إلى ضعف، وعقل إلى خوف، أفلا يعقلون أن من قدر على ذلك، قدر على ما تقدم من الطمس والمسح والبعث، فيؤمنوا؟

٦٩- وما علمنا رسولنا محمداً الشعر، وما يصح له أن يكون شاعراً، ما هذا القرآن إلا عظة وتذكير، وكتاب واضح مظهر للأحكام والشرائع وغيرها من الله رب العالمين، وليس شعراً كما تفترون.

٧٠- ليخوف بالقرآن من كان عاقلاً يقظ الفهم، يدرك ما يخاطب به، ويجب العذاب ويثبت على من اختار الكفر، وهم كالموتى لا يعقلون ما يخاطبون به.

أُولَئِكَ زُورًا أَنَا خَلَقْتَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِي بَنِي آدَمَ لَعَلَّمَا فَمَهَّمَهَا مَا كُونُوا
 ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لِأَجْلِهِمْ فَسَيَنْهَرُ كُفُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَفِيهَا
 فِيهَا مَسْفَعٌ وَمَسَارِبٌ فَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَأَسْتَوْدَأُ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 إِلَهًا لَعَلَّهُمْ يُبْصِرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ
 جُنْدٌ مُخَضَّرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَخْزِيكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يَلْمِزُونَ
 ﴿٧٦﴾ أُولَئِكَ زُورَ الْإِنْسَانِ أَنَا خَلَقْتَهُ مِنْ نَفْثَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ
 مُبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ مُجِي الْعِظَمِ
 وَهِيَ رَيْبِي ﴿٧٨﴾ فَلْيُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ مُكَلِّمٌ
 خَلَقَ عَلَيْهِ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ
 مِنْهُ نُورٌ قَدِيدٌ ﴿٨٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلْ وَهُوَ الْخَالِقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا
 أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ
 الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

سورة الصافات (٣٦) سورة النحل (٧١-٨٣)

٧١- أو لم يعلم المشركون- والاستفهام تقريرى-
 أنا خلقنا لأجلهم أنعاماً (وهي الإبل والبقر والغنم)
 فهم لها متملكون ضابطون يتصرفون بها كيف
 شاؤوا؟!!

٧٢- وجعلناها مذللة متفاداة غير متوحشة ولا
 ممتعة مما يريدون منها حتى الذبح، فممنها مركوبهم
 ومنها يأكلون من لحومها.

٧٣- ولهم في هذه الأنعام منافع كأصوافها
 وأوبرها وأشعارها والحمل عليها وغير ذلك،
 ومشارب من ألبانها، أفلا يشكرون الله على ما أنعم به
 من نعمها، فيؤمنوا؟!!

٧٤- واتخذوا من غير الله إلهة من الأصنام
 ونحوها يعبدونها، رجاء أن ينصروهم ويمنعوا عنهم
 العذاب.

٧٥- ولا تستطيع آلهتهم مناصرتهم في شيء ما،
 والحال أن المشركين هم الجنود المدافعون عن
 أصنامهم، بإعداد أنفسهم للاتصار لهم، وتحضرمهم
 الشياطين للدفاع عنهم، أما الأصنام فلا تفيدهم شيئاً.

٧٦- فلا يوقعك في الحزن والهجم قولهم: إنهم
 آلهتنا، وإنهم شركاء لله في العبادة، إننا نعلم سرهم
 وما في ضمائرهم، وعلنهم وما يقولون بالستهم،
 ونجازيهم على ذلك.

٧٧- أو لم يعلم أي إنسان وبخاصة منكر البعث أننا خلقناه من ذرة من ذرات المني مادة الحياة، فإذا هو شديد
 الخصومة لنا، يجادل بالباطل وينكر البعث بنحو واضح. قال ابن عباس: جاء العاص بن وائل إلى رسول الله
 ﷺ بعظم حائل، ففتنه، فقال: يا محمد، أيبعث هذا بعدما أرم؟ قال: نعم، يبعث الله هذا، ثم يبيتك، ثم
 يحييك، ثم يدخلك نار جهنم، فنزلت الآيات.

٧٨- وضرب لنا مثلاً بإيراد شيء غريب يعد كالمثل، وهو إنكاره إحياءنا العظام النخرة، ونسي خلقنا إياه من
 أضعف الأشياء، فقال: من الذي يحيي العظام البالية؟

٧٩- قل له أيها الرسول: يحييها الذي خلقها في المرة الأولى من غير شيء، وهو عليم بكل مخلوق، لا يخفى
 عليه شيء.

٨٠- ومن أدلة قدرته تعالى: أنه أوجد ناراً من الشجر الأخضر وهو المَرْخ والعَفَار، بأن يضرب منهما عودان
 على بعضهما، فتندح منهما النار، وهما أخضران، فإذا أنتم توقدون النار من ذلك الشجر الأخضر.

٨١- أو ليس الذي خلق السموات والأرض، وهما في غاية العظم، بقادر على إعادة خلق البشر الذي هو صغير
 ضعيف، بل هو قادر على ذلك، وهو الكثير الخلق، الواسع العلم بكل شيء.

٨٢- إنما أمر الله إذا أراد إيجاد شيء أن يقول له: كن فيكون موجوداً كأنه، أي إذا قضى أمره فنفذه بسرعة فائقة.

٨٣- فتزده الله عما لا يليق به، وعما ضربه له من المثل، الذي بيده ملك كل شيء ملكاً تاماً، عظيماً، وإليه
 تعودون في الآخرة.

سورة الصافات

فضلها: أخرج النسائي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ يأمرنا بالتخفيف، ويؤمنا بالصافات».

١، ٢- أقسم بالملائكة التي تصف في السماء صفوفاً للعبادة وانتظار أوامرها، فالملائكة التي تزجر السحاب، أي تسوقه.

٣، ٤- فالملائكة التي تتلو القرآن وغيره وتبلغه الرسل، إن الهكم واحد لا شريك له.

٥- خالق السموات والأرض ومالكهما ومدبرهما، ورب مشارق النجوم، أي ومغار بها.

٦- إننا زينا السماء الدنيا أي القربى من الأرض بزينة بديعة هي الكواكب أو النجوم المضيئة.

٧- وحفظناها حفظاً من كل شيطان عات متمرد خارج عن الطاعة، بقذفه بالشهب.

٨- لا يتسمعون خلصة إلى الملا الأعلى: وهم كبار الملائكة في السماء، ويرجمون بالشهب المحرقة من كل ناحية في السماء إذا حاولوا استراق السمع.

٩- يطرودون طرداً وإبعاداً قوياً، ولهم في الآخرة عذاب دائم لا يقطع، أو شديد مؤلم.

١٠- إلا من اختطف من الشياطين خلطة أثناء تفاوض الملائكة، أي استرق السمع خلصة، فأتبعه نجم مضئ فيحرقه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ١ فَالْتَجَرَّتْ نَجْرًا ٢ فَالْتَلَيَّتْ ذِكْرًا ٣ إِنَّ
الْهَكْمَ لَوْحَدٌ ٤ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ
٥ إِنَّا نَبَأَ السَّمَاءَ الذَّنْبَابِزِينَ الْكُرُوكِ ٦ وَحِطَّاتٍ مِنْ كُلِّ
شَيْطَانٍ مُبَارِدٍ ٧ لَا تَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيَعْدُونَ مِنْ رُجَابٍ
٨ دُحُورًا وَقَدْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ٩ إِلَّا مَنْ خَلِطَ خَلِطَةً
فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ نَاقِبٌ ١٠ فَاسْتَفِينَهُمْ أَهْرَاسُهُمْ خَلَقًا أَمْ مِنْ خَلْقِنَا
إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ١١ فَلْيَحْجَبْ وَيَحْمُرُونَ ١٢ وَإِذَا
ذَكَرُوا لِأَيْدِي رُبُونٍ ١٣ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً اسْتَسْتَفِرُّونَ ١٤ وَقَالُوا
إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَابٌ مُسْتَفِرِّينَ ١٥ أَوْ ذُرَّابِنَا وَكَانَ رَبُّنَا وَعَظَمَاءُ نَالْتَبِعُونَهُ
١٦ أَوْهًا أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ١٧ فَلْيَنْتَهِرُوا رَبَّهُمْ ذُرُونَ ١٨ فَاسْمَاعِي
نَجْرَةً وَحِدَةً فَإِنَّا نَهْرُ نَظْرُونَ ١٩ وَقَالُوا لَوْ لَنَا هَذَا يَوْمَ الدِّينِ
٢٠ هَذَا يَوْمَ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْدِبُونَ ٢١ أَحْسَرُوا
الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ٢٢ مِنْ دُونِ اللَّهِ
فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ٢٣ وَقِفْوهُمْ أَنَّهُمْ سَمْعُولُونَ ٢٤



١١- فاسأل أيها النبي المشركين منكري البعث: أهم أقوى أجساماً وأحكم خلقاً، أم من خلقنا من الملائكة وأهل السماء والأرض، إنا خلقنا أباهم آدم من طين لزج يلصق باليد، والسؤال للتقرير أو للتوبيخ، والأول أولى في مجال الدعوة إلى الله.

١٢- بل عجبت أيها النبي من تكذيبهم إياك وإنكارهم البعث وقدره الله تعالى، وهم يستهزئون من دعوتك. ﴿بل﴾ للانتقال من غرض إلى آخر، والمراد: لا تسألهم أيها النبي فإنهم معاندون، وانظر الفرق بينك وبينهم.

١٣- وإذا وعظوا بموعظة قرآنية لا يعظون بها ولا ينتفعون.

١٤- وإذا رأوا معجزة دالة على صدق رسول الله ﷺ يبالغون في السخرية والهزاء.

١٥- وقالوا: ما هذا الذي تأتينا به وهو القرآن إلا سحر ظاهر واضح.

١٦- أفئذا متنا وصرنا تراباً وعظاماً بالية، أنعت أحياء مرة أخرى!؟

١٧، ١٨- أو يُبعث أيضاً معنا أبائنا الأقدمون!؟ قل أيها الرسول لهم: نعم تبعثون جميعاً، وأنتم صاغرون ذليلون.

١٩- فإنما البعث صيحة واحدة هي النفخة الثانية لإسرا فيل في الصور، فإذا هم يبصرون الساعة والعذاب.

٢٠- وقال المشركون المكذبون بالبعث حيثئذ: يا هلاكنا، هذا يوم الدين: الحساب والجزاء الذي يجازى فيه بأعمالنا.

٢١- قالت الملائكة: هذا يوم الحكم والقضاء بين الخلائق وتمييز المحسن من المسيء، الذي كنتم تكذبون به في الدنيا.

٢٢- ويقال للملائكة: اجمعوا الذين ظلموا أنفسهم بالشرك وهم المشركون وأمثالهم وقرناء السوء وأتباعهم في الكفر والتكذيب، وما كانوا يعبدونه من الأصنام والأوثان والشياطين زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم.

٢٣- ما كانوا يعبدون من غير الله، فدلوهم وعرفوهم إلى طريق النار وسوقوهم إليها.

٢٤- واحبسوهم في الموقف حتى يسألوا عن معاصيهم وأنامهم.

٢٥- ما لكم لا ينصر بعضكم بعضاً بالتخليص من العذاب، كما كنتم في الدنيا؟
 ٢٦- بل هم اليوم مقادون لأمر الله .
 ٢٧- وأقبل بعضهم على بعض يتلارمون ويتخاصمون، ويسأل بعضهم بعضاً للتويخ والتقريع .
 ٢٨- قال الأتباع للقادة: إنكم كنتم تأتوننا عن أقوى الوجوه، فحملتمونا على الكفر، وإنكم أنتم أضللتمونا .
 ٢٩- قال القادة المتبوعون لهم: بل إنكم كنتم في الأصل غير مؤمنين، فكيف تدعون أننا أضللناكم؟
 ٣٠- ولم يكن لنا عليكم تسلط وقهر، بل كنتم قوماً مختارين الكفر، متجاوزين الحد في الطغيان .
 ٣١- فوجب علينا جميعاً حكم ربنا بالعذاب، وهو ﴿لأسلان جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ [السجدة ٣٢/ ١٣] إننا لذائقو العذاب جميعاً بسبب كفرنا وعصياننا .
 ٣٢- فدعوناكم إلى الضلال فأجبتم، إننا كنا جميعاً ضالين، وهو إقرار بتسببهم في الإغواء .
 ٣٣- فإن القرنيين السابعين والمتبوعين يوم القيامة مشتركون في العذاب، كاشتراكهم في الضلال . وهذا من قول الله تعالى .
 ٣٤، ٣٥- مثل ذلك الفعل فعل بالمشركين الذين اختاروا الكفر غير هؤلاء . إنهم كانوا إذا قيل لهم قولوا: لا إله إلا الله، يتكبرون عن قولها .

مَا لَكُمْ لَا تَنْصُرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمَ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سِيئَةً لُّؤُنَ ﴿٢٧﴾ فَأَلْوَأِلُ لُوَكُّوْهُمُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٨﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكَ مِنْ سُلْطٰنٍ بِمَا كُنْتُمْ قَوْمًا طٰغِيْنَ ﴿٢٩﴾ فَخَوَّعْنَا قَوْلَ رَبِّنَا إِنَّا لَأَنۢبِئُوكُمۡ فَاَعۡزَمۡتُمۡ إِنَّا كَاغۡوِبٰنٌ ﴿٣٠﴾ فَإِنَّهُمۡ يَوْمَئِذٍۭ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣١﴾ إِنَّا كَذٰلِكَ نَفۡعَلُ بِالظَّٰلِمِينَ ﴿٣٢﴾ إِنۢتُمْ كَاوۡلَآءِ قِيلَ لِمَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَا نَرٰكُمۡ إِلَّا نٰسًا عٰرِضِينَ ﴿٣٤﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ التَّوۡرٰتِیۡنَ ﴿٣٥﴾ إِنۢكُمْ لَأَنۢبِئُوۡا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٦﴾ وَمَا تَحۡزِنُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعۡمَلُونَ ﴿٣٧﴾ الْإِعۡبَادَ لِلَّهِ الْمُخۡلَصِينَ ﴿٣٨﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٌ مَّعۡلُومٌ ﴿٣٩﴾ وَهُمۡ مُكۡرَمُونَ ﴿٤٠﴾ فِي جَنّٰتٍ تَجۡرِيۡلِیۡمٍ ﴿٤١﴾ عَلَىٰ سُرۡرٍ مَّقۡبِلٰتٍ ﴿٤٢﴾ يُطَافُ عَلَیۡهِمۡ بِكَأۡسٍ مِّنۢ مَّعِیۡنٍ ﴿٤٣﴾ بِيۡضَاءَ لَبۡدٍ لَّسۡدِیۡنٍ ﴿٤٤﴾ لَدَیۡهَا عَوۡلٌ وَلَا هَرۡعَۡةٌ يَّزۡفَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَعِندَهُمۡ قِصۡرٌ لِّظُرۡفٍ عِیۡنٍ ﴿٤٦﴾ كَأَنۢهِنَّ بِيۡضٌ مَّكۡوۡنٌ ﴿٤٧﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمۡ عَلَىٰ بَعْضٍ يَسَّءَ لَوۡنَ ﴿٤٨﴾ فَاَلۡ قَابِلُۙ مِّنۡهُمۡ إِنۢى كَانَ لِيۡ قَرِیۡنٌ ﴿٤٩﴾

٣٦- ويقول المشركون الوثنيون: كيف تترك عبادة آلهتنا لقول شاعر مجنون؟ يريدون بذلك النبي ﷺ أحزاهم الله تعالى .
 ٣٧- بل جاء هذا النبي بالحق الثابت بالبرهان وهو القرآن والتوحيد، وأيد الأنبياء، ولم يخالفهم في شيء من الأصول .
 ٣٨- إنكم لذائقو العذاب المولم جداً في الآخرة على الكفر وتكذيب الرمل .
 ٣٩- وما تحزون في الآخرة إلا أجزاء العمل الحادث منكم في الدنيا من المعاصي والذنوب .
 ٤٠- لكن عباد الله المخلصون الذين أخلصوا العبادة لله تعالى .
 ٤١- أولئك لهم في الجنة رزق معروف بالخصائص من الدوام والانتظام والمتعة النافعة مطلقاً .
 ٤٢- ذلكم الرزق فواكه متنوعة، وهم مكرمون إكراماً عظيماً عند الله برفع درجاتهم .
 ٤٣، ٤٤- ويقعدون على أسرة يتكئون عليها، ينظر بعضهم إلى وجوه بعض، مسرورين .
 ٤٥- يطاف عليهم بكأس من خمر جارية على وجه الأرض كالعيون والأنهار، والمراد: شرب الخمر .
 ٤٦- تلك الخمر أشد بياضاً من اللبن، ولذيذة جداً لمن شربها، بخلاف خمر الدنيا، فإنها كريهة عند الشرب . و﴿لذة﴾ مصدر يراد بها اللذينة، حتى كأنها اللذة نفسها .
 ٤٧- ليس في هذه الخمر مادة كحولية مسكرة تذهب بالعقول، ولا يسكرون منها .
 ٤٨- وعندهم في الجنة نساء مملوءات بالحياة قصرن طرفهن على أزواجهن لا ينظرن لغيرهم، حسان الأعين، كبارها .
 ٤٩- كأنهن في صفاء اللون بيض النعام المستور بالريش من الريح والغبار، الصون المحفوظ عن لمس الأيدي .
 ٥٠- فأقبل بعض أهل الجنة يسأل عن أحوال بعض الناس التي كانوا عليها في الدنيا .
 ٥١- قال قائل من أهل الجنة: كان لي رفيق في الدنيا .

٥٢ - ذلك القرين كافر بالبعث منكر له يقول ساحراً:
 أنتك لمن المصدقين يوم القيامة؟
 ٥٣ - أنذا متنا وصرنا تراباً وعظاماً بالية، أننا لمجزيون
 بأعمالنا، محاسبون عليها؟
 ٥٤ - قال المؤمن لأهل الجنة: هل أنتم مطعمون معي إلى
 النار لتنظر حال ذلك القرين قائل المقالة؟
 ٥٥ - فاطلع ذلك المؤمن على النار، فرأى قرينه في وسط
 الجحيم (النار).
 ٥٦ - قال المؤمن موبخاً لقرينه لما رآه: والله لقد قاربت أن
 تهلكني بإغوائك وتوقعني في النار.
 ٥٧ - ولولا رحمة ربي وإنعامه علي بالإيمان والهداية إلى
 الصواب، لكنت من المحضرين معك في النار، الذين
 تحضرمهم ملائكة العذاب.
 ٥٨ - أنحن مخلدون ممنوعون غير ميتين؟
 ٥٩ - إلا الموتة الأولى التي كانت في الدنيا، وما نحن
 بمعدين في الآخرة؟ هذا استفهام تلذذ وتحدث بنعمة الله
 تعالى.
 ٦٠ - إن ما يحصل عليه أهل الجنة من النعيم والخلود
 والأمن من العذاب، فهو الفوز النهائي الذي لا يقدر قدره،
 ولا يحاط بوصفه.
 ٦١ - لمثل هذا الهدف العظيم الأمل فليعمل العاملون، لا
 العمل للدنيا الفانية.
 ٦٢ - أذلك المذكور لأهل الجنة خير كرامة وضيافة أم
 الشجرة المعدة لأهل النار ذات الثمر المر الكريه الرائحة الذي

يَقُولُ أَوَّانَكَ لَمَنِ الصُّدْرَيْنِ ﴿٥٢﴾ أَوَّانَنَا كَأَنَّ رَأْيَا وَعَظْمًا أَوَّانًا
 لِمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مَطْعَمُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَأَاهُ فِي سَوَاءِ
 الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ يَا إِلَهَ إِنِّي كَدْتُ لِلرَّبِّينِ ﴿٥٦﴾ وَوَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي
 لَكُنْتُ مِنَ الْخَاضِرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَأَنْتُمْ مَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَنَا
 الْأُولَىٰ وَمَنْتُمْ مَعْدِيْنَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَوْمُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾
 لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ أَوَّانَكَ حَيْرٌ لَّأُمَّ شَجَرَةٌ
 الرَّقُومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا قِئَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ
 تَخْرُجُ فِي أَصْلِ النَّجْمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيْطَانِ
 ﴿٦٥﴾ فَأَنْتُمْ لَا تَكُونُ مِنْهَا قَائِمِينَ مِمَّا الْطُورِ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ
 عَلَيْهِمُ الشُّجْرَاءَ مِنْ حِمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ إِلَىٰ الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾
 إِنَّهُمْ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٩﴾ فَهُوَ عَلَىٰ أَرْسِهِمْ مُرْجِعُونَ ﴿٧٠﴾
 وَلَقَدْ ضَلَّ قَلْبُهُمْ أَكْبَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ
 مُنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَذَرِّينَ ﴿٧٣﴾
 الْإِعْيَادَ لِلَّهِ الْمُتَخَلِّصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلْنِعْنَعْ
 الْغَابِغِينَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾

هو نُزِّلَهُمْ وضيافتهم ١؟ ومثلها بنيت في أرض تهامة العربية.

٦٣ - إنا جعلنا تلك الشجرة بإبانتها في قعر جهنم موضع محنة للكافرين، بإرغامهم على أكلها في الآخرة، ومحل إنكار في
 الدنيا حيث قالوا: كيف يكون في النار شجر؟ فيضاعف عذابهم بسبب هذا الإنكار، علماً بأن هناك أشياء غير قابلة للاحتراق،
 وأن من قدر على خلق ما يعيش في النار من الناس المعذبين، فهو قادر على خلق الشجر في النار.

٦٤ - إنها شجرة تنبت في قعر أو قاع جهنم، وأغصانها ترتفع إلى دركاتها.

٦٥ - ثمرها الذي يشبه طلع النخل كأنه في قبحه ويشاعته رؤوس الشياطين، وهذا على عادة العرب في تشبيه كل قببح
 الصورة بالشيطان، وكل حسن الصورة بالملائكة. والطلع: أول ما يظهر من ثمر النخل.

٦٦ - فإن الكفار لا يكون من تلك الشجرة مع قبحها لشدة جوعهم، فمائلون منها بطونهم بالإكراه.

٦٧ - ثم إن لهم بعد الأكل من الشجرة خلطاً مشوباً به الطعام وهو الماء الشديد الحرارة الذي يخلط بالنساق (البارد المنتن) في
 آية: ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا﴾ [النبا ٧٨/٢٥].

٦٨، ٦٩ - ثم إن مصيرهم بعد الأكل وشرب الحميم إلى دركات النار. إنهم وجدوا آباءهم ضالين، فافتقدوا بهم.

٧٠ - فهم في طريقهم يتبعونهم، بسرعة شديدة، كأنهم يزعمون إلى اتباعهم.

٧١ - ولقد ضل قبل قومك أكثر الأمم الماضية.

٧٢ - ولقد أرسلنا في الأولين رسلاً ينذرونهم العذاب إذا بقوا كفاراً.

٧٣ - فانظر كيف كان مصير الكافرين المنتذرين، أهلكتناهم أجمعين، وصاروا إلى النار.

٧٤ - إلا الذين أخلصهم الله للعبادة والطاعة.

٧٥ - ولقد دعانا نوح حين آيس من قومه، واستغاث بنا، فأجبنا دعاءه، وأهلكتنا قومه بالطوفان.

٧٦ - ونجيناها وأهلها المؤمنين، وكانوا ثمانين، من الفرق، والكراب: الغم الشديد.

٧٧- وأيقينا ذرية نوح متناسلين إلى يوم القيامة، من أولاده الثلاثة: سام وحام ويافث، والمعنى: أن المؤمنين الذين ركبوا مع نوح في السفينة ماتوا وانقرض نسلهم.

٧٨- وتركتنا على نوح عليه السلام ثناء حسناً بين الأنبياء والأمم الآتية بعده إلى يوم القيامة.

٧٩- يُسلمون عليه تسليماً، أي يثنون عليه ثناء حسناً ويدعون له من العوالم المختلفة.

٨٠- مثل ذلك الجزاء الحسن الذي جازيناه، نجزي المحسنين.

٨١- لأنه من عبادنا المؤمنين المخلصين.

٨٢- ثم أغرقتنا كفار قومه الآخرين ودمرناهم.

٨٣- وإن ممن تابعه على منهجه وأصل الدين والإيمان والتوحيد: إبراهيم الخليل عليه السلام.

٨٤- اذكر أيها النبي حين أقبل إبراهيم على ربه بالعبادة والطاعة بقلب مخلص سليم من الشرك.

٨٥- حين قال لأبيه وقومه موبخاً بسبب عبادتهم الأصنام: ما الذي تعبدون؟

٨٦- أتريدون إنكأ: وهو أسوأ الكذب، والهمزة للاستفهام التوبيخي، أي أتريدون آلهة من دون الله لأجل الإنكأ؟ والمعنى: هل يصح لكم اتخاذ آلهة غير الله، لا لسبب إلا للكذب؟

٨٧- فما ظنكم برب العالمين إذا لقيتموه، وقد عبدتم غيره، وما تظنون أنه صانع بكم؟

وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُرُوبًا وَآفَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَرَكَعًا عَلَيْهِ فِي الْأَخْرَبِ ﴿٧٨﴾ سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَّبْنَاكَ بِحُجْرَى الْحُسَيْنِ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْأَخْرَبِ ﴿٨٢﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَهُ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَفَعْبَادُ اللَّهِ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَظَرَّ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَى اللَّهِ الْمُهْتَمِ ﴿٩١﴾ فَقَالَ إِنَّا نَأْكُلُونَ ﴿٩٢﴾ مَا كُنَّا لَنَظْفِقُونَ ﴿٩٣﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ صَرْبًا يَأْتِينَ ﴿٩٤﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ ﴿٩٥﴾ قَالَ أَعْبُدُونَ مَا تَحْمِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَالْوَأْتُونَ الَّذِينَ نَسُوا مَا آتَاهُمُ الْبُحُورُ ﴿٩٨﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٩﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَاهِدِينَ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ فَفَشَّرْتَهُ بِعِلْمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُ الرِّجْلِ الرَّحَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا آدَمُ أَفَعَلْ مَا تَأْمُرُ سَجْدَ لِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٣﴾

٨٨، ٨٩- فنظر نظرة تأمل وتفكر عميق في النجوم، موهما لهم أنه يعتمد على النجوم، وموهما أنه مريض حتى لا يخرج معهم في عيدهم، والواقع أنه كان سقيم القلب لحزنه على كفرهم بالله تعالى.

٩٠، ٩١- فانصرفوا عنه معرضين، وذهبوا إلى عيدهم. فذهب حُفْيَةُ إلى أصنامهم، وعندها الطعام، فقال استهزاء وسخرية: ألا تأكلون من هذا الطعام الذي صنع لكم؟ فلم ينطقوا.

٩٢، ٩٣- ما لكم لا تتكلمون، ولا تجيبوني؟ فمال عليهم بضربهم بقوة وشدة، فكسرتهم.

٩٤، ٩٥، ٩٦- فأقبل إليه عبدة تلك الأصنام يسرعون المشي، لما علموا بما حدث. قال إبراهيم لهم موبخاً: أتعبدون أصناماً أنتم تتحتونها؟ والله خلقكم وخلق الذي تصنعونه، فاعبدوه وحده.

٩٧- قال القوم متشاورين فيما بينهم: ابنوا له بيتاً حائطاً من الحجارة، واملؤوه حطباً، وأضرموا النار، ثم ألقوه فيه.

٩٨- فأرادوا بإلقائه في النار التهلكة، فجعلناهم المقهورين، بإخراجه سالماً من النار.

٩٩- وقال إبراهيم: إني مهاجر إلى حيث أمرني ربي بالمهاجرة إليه وهو الشام، فإنه سيرشدني إلى ما فيه صلاح ديني والتمكن من عبادته، والظفر بما يرضيه.

١٠٠- وفي الشام دعا إبراهيم ربه قائلاً: رب هب لي ولداً صالحاً يطيعك ويؤيد دينك، ويعينني في الغربة على طاعتك.

١٠١- فبشّرناه بصبي ذكر يكبر ويصير ذا حلم كثير. وهو إسماعيل عليه السلام، وهو الذبيح؛ لأن إسحاق بُشِّرَ به بعله.

١٠٢- فلما وصل إلى السن التي تمكنه من السعي مع أبيه، قال يا بني إني أرى في المنام- ورويا الأنبياء حق ووحى- أنني أذبحك، فانظر ماذا ترى من الرأي، قال له ابنه: يا أباي افعل ونفِّذ ما تؤمر به، ستجدني على أمر الله صابراً.

١٠٣- فلما استسلم الأب والابن وانقادا لأمر الله وطاعته، وأضجعه أو طرحه على جانبه أو شقه، حتى صار أحد جبينيه على الأرض، مؤثراً ألا يرى وجهه حتى لا تأخذه الشفقة عليه، وذلك في المنحرب من عند الجمار.

١٠٤- ونادياته من جهة الجبل يا إبراهيم، ﴿وَأَن﴾ تفسيرية، تدل على أن ما بعدها تفسير.

١٠٥- قد حَقَّقَتْ ما طلب منك في الرؤيا بالعزم القوي على التنفيذ، وجعله مصداقاً بمجرد العزم، وإن لم يذبحه، إنا كما جزيناك تجزي المحسنين لأنفسهم بامتثال الأمر، والتخلص من الشدائد.

١٠٦- إن هذا الذبيح المأمور به لهو الامتحان الظاهر الذي نجح فيه إبراهيم، والذي يتميز فيه المخلص من غيره.

١٠٧- وقد يناه بحيوان يصير مذبحاً فيما بعد، عظيم الجنة، سمين. والذبيح بوزن الحِجَل أي المحمول.

١٠٨- وأبقينا على إبراهيم ثناء حسناً في الأجيال اللاحقة.

١٠٩- سلام منا على إبراهيم، وثناء حسن جميل من الناس عليه.

١١٠- كما جزيناه بهذا الجزاء تجزي المحسنين لأنفسهم بطاعة الله تعالى.

١١١- لأنه من عبادنا المخلصين.

١١٢- وبشرنا إبراهيم بشارة بولد آخر هو إسحاق يكون نبياً، مقدراً كونه من الصالحين. وهذا دليل على أن الذبيح هو الابن البكر الوحيد وهو إسمايل.

١١٣- وباركنا على إبراهيم وعلى إسحاق بإرداف النعم، وجعل أكثر الأنبياء من نسله، مثل أيوب وشعيب عليهما السلام، وكان من ذريتهما مؤمن وكافر عاصر، ظالم لنفسه، ظاهر الظلم، وبين الكفر. وهذا دليل على أن النسب لا أثر له في الهدى والضلal.

١١٤- ولقد أُنعمنا بالنبوة على موسى وهارون، وبغيرها من المنافع الدينية والدنيوية.

١١٥- وبخيناهما مع قومهما من الفرق وتغلب فرعون واستعباده بني إسرائيل، وهو غم شديد.

١١٦- ونصرنا موسى وهارون وقومهما على القبط، فكانوا هم المتغلبة على فرعون وقومه.

١١٧- وآتيناهما الكتاب البين الظاهر وهو التوراة.

١١٨- وأرشدناهما إلى الطريق القويم المتميز بأنه حق وصواب، وهو الإسلام وشرع الله تعالى.

١١٩، ١٢٠- وتركنا على موسى وهارون ثناء حسناً في الأمم المتلاحقة. سلام منا على موسى وهارون، ومن المؤمنين.

١٢١، ١٢٢- مثل ذلك الجزاء الحسن تجزي المحسنين المطيعين لله تعالى. إنيهما من عبادنا المؤمنين المخلصين.

١٢٣- وإن إلياس أحد أنبياء بني إسرائيل من نسل هارون عليهما السلام، من الرسل الكرام المرسلين إلى قومهم.

١٢٤- حين قال لقومه: ألا تتقون الله، فتعبودونه دون غيره، وتركون الشرك والعصيان؟

١٢٥- أتعبدون بَعْلًا، وهو بلغة اليمن الرب، وهو اسم صنم من ذهب؟ أي أتعبدون رباً من الأرباب الباطلة، وتركون عبادة

أحسن الخالقين المصورين!؟

١٢٦- وهو الله الإله الحق الذي رباكم بنعمه، وأوجدكم أنتم وأجدادكم الأقدمين.

فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَتَدْنِيهِ أَنْ نَبِيًّا بُرْهِيْمُ ﴿١٠٤﴾ فَذَكَرْنَا لَهُ أَوْلَادَهُ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبْتَلِيْنَ ﴿١٠٦﴾ وَتَدْنِيهِ بِذِيْعِ عَظِيْمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِيْنَ ﴿١٠٨﴾ سَلَّمَ عَلَيَّ إِبْرَاهِيْمُ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِيْنَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِيْنَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِيْنَ ﴿١١٢﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمَنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظِلًّا رِزْقِيْهِمْ مِّمَّنْ ﴿١١٣﴾ وَقَدَّمْنَا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَخَيَّرْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيْمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِيْنَ ﴿١١٦﴾ وَهَاتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيْمَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيْمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِيْنَ ﴿١١٩﴾ سَلَّمَ عَلَيَّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّكَ ذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِيْنَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِيْنَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّا إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِيْنَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ الْآسِفُوْنَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِيْنَ ﴿١٢٥﴾ إِنَّهُ رَبُّكُمْ رَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِيْنَ ﴿١٢٦﴾

فَكَذَّبُوهُ فَأَنهَمْ كُحُورُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَوَكَّنَا عَلَيْهِ ﴿١٢٩﴾ وَالْآخِرِينَ ﴿١٣٠﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ ﴿١٣١﴾ إِنْ كَذَّبْتُمْ يُجْرَىٰ أُنْحَسِينَ ﴿١٣٢﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَإِنْ لَوْطَا لَأَلْمَسِينَ ﴿١٣٤﴾ أَنْ يَخْبِتَهُ أَهْلُهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٥﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَلَبِينَ ﴿١٣٦﴾ ثُمَّ دَرَأْنَا الْآخِرِينَ ﴿١٣٧﴾ وَإِنَّكُمْ لَأَلْمُومُونَ عَلَيْهِمْ مُضِيِّينَ ﴿١٣٨﴾ وَاللَّيْلُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنْ يُوسُفُ لِنِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤٠﴾ إِذَا تَوَلَّىٰ إِلَىٰ الْفَلَكِ الْأَشْجُونَ ﴿١٤١﴾ فَسَاهُو فَمَا كَانَ مِنَ الْمُدْحِضِينَ ﴿١٤٢﴾ فَالْتَمَعَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُرِيمٌ ﴿١٤٣﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسْتَجِيرِينَ ﴿١٤٤﴾ لَكُنْتَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٥﴾ فَبَدَّلَهُ بِالضَّرْعَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٦﴾ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرًا مِنْ نَبْطِينَ ﴿١٤٧﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مَائِهِ أَلْفًا أَوْ يَبْرُبُونَ ﴿١٤٨﴾ فَاسْتَمَوْا فَوَسَّوهُمُ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٩﴾ فَاسْتَفْتِهِمُ الرِّبَاكَ الْبَنَاتَ وَرُؤُوسَهُنَّ ﴿١٥٠﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥١﴾ أَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ مَنْ فَعَلُوا فَيَكْفُرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَلَدَلَّ اللَّهُ وَآيَهُمْ لَكِدُونُ ﴿١٥٣﴾ أَصْطَفَىٰ الْبَنَاتَ عَلَىٰ الْبَنِينَ ﴿١٥٤﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٦﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴿١٥٧﴾ فَأَتُوا بِكُلِّكُمْ أَنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٨﴾

١٢٧ - فكذبوا دعوته، فإنهم لمحضرون في العذاب.
 ١٢٨ - إلا عباد الله الذين اصطفاهم للطاعة، فهم ناجون من العذاب.
 ١٢٩ - وأبقينا على إلياس ثناء حسناً في الأم.
 ١٣٠ - سلام منا على إلياس ومن المؤمنين - وإل ياسين؛ المراد به إلياس، أضيفت إليه ياء ونون؛ لأنه أعجمي، مثل طور سيناء، وطور سينين.
 ١٣١، ١٣٢ - مثل ذلك الجزء الحسن مجزي كل من أحسن عمله لله تعالى. لأنه من عبادنا المؤمنين.
 ١٣٣ - وإن لوطاً بن هاران أخي إبراهيم عليهما السلام من فئمة الأنبياء المرسلين إلى أهل سدوم الذين يتعاطون المنكرات والمعاصي والفواحش.
 ١٣٤ - حين يخبته وأهله المؤمنين برسالته أجمعين من الدمار والهلاك.
 ١٣٥، ١٣٦ - إلا عجوزاً هي زوجة لوط كانت مع الباقيين في العذاب. ثم أهلكتنا بالعذاب الشديد كفار القوم الآخرين.
 ١٣٧ - وإنكم أيها المشركون أهل مكة لتتمرون على منازلهم وآثارهم في أسفاركم ومتاجركم إلى الشام، في وقت الصباح أول النهار.
 ١٣٨ - وعمرون عليهم أيضاً في الليل، أي في المساء، أفلا تعقلون ما حل بهم، فتخافوا وتعتظوا؟!
 ١٣٩ - وإن يونس بن متى، من أنبياء بني إسرائيل، وهو ذو النون، من فئمة الأنبياء المرسلين إلى قومه: أهل نينوى، يدعوهم إلى توحيد الله، وترك الوثنية.
 ١٤٠ - حين هرب من قومه بغير إذن ربه غاضباً من قومه، ملتحجاً إلى السفينة المملوءة ركاباً وامتعة.
 ١٤١ - فافتقر يونس مع أهل السفينة حينما أشرفت على الفرق، ليلقوا بعضهم في البحر، خوفاً من الفرق، فكان من المغلوبين في القرعة، فألقي في البحر.
 ١٤٢ - فابتلعه الحوت، وهو أت بما يلام عليه من ذهابه إلى البحر.
 ١٤٣ - فلولا أنه كان من الذاكرين الله كثيراً بالتسبيح مدة عمره، وفي بطن الحوت.
 ١٤٤ - لكث في بطن الحوت مقبوراً فيه إلى يوم القيامة.
 ١٤٥ - فآلقيناه من بطن الحوت في المكان البري الخالي من الشجر والنبات على الساحل، وهو ضعيف البدن، عليل بما ناله.
 ١٤٦ - وأنبتنا فوقه شجرة تظله، هي شجرة الذبأ، أي القرع، حتى اشتد وصلب.
 ١٤٧ - وأرسلناه بعد معافاته إلى أهل نينوى من أرض الموصل، إلى مائة ألف، بل هم أكثر، فكان رسولا قبل ذهابه إلى البحر وبعده.
 ١٤٨ - فأمتوا بالله إلهاً واحداً، وأجابوا دعوته، فجعلناهم يتمتعون بالنعم الدنيوية إلى وقت انقضاء آجالهم.
 ١٤٩ - فاسألهم أو استخبرهم أيها النبي: أربك البنات أي الملائكة الذين يزعمون أنهم بنات الله، وهم أدنى الجنسين، ولهم البنون أي أعلى الجنسين وأرفعهما؟!
 ١٥٠ - بل، كيف جعلوا الملائكة إناثاً، وهم لم يحضروا عند خلقنا لهم؟ شاهدون: حاضرون، أي مثل ذلك لا يعلم إلا بالمشاهدة.
 ١٥١ - ألا: لتنبه السامع لما يأتي بعدئذ لأهميته، إنهم من كذبهم ليقولون:
 ١٥٢ - وكذ الله - حين زعموا أن الملائكة بنات الله - وإنهم لكاذبون في قولهم.
 ١٥٣ - هل اختار البنات وفضلهن على البنين، مع أن البنين عرفوا أفضل الجنسين، والأصل: أصفى؟!
 ١٥٤، ١٥٥ - ما لكم كيف تحكمون هذا الحكم الباطل؟! أفلا تتفكرون فتعرفوا بطلان قولكم؟!
 ١٥٦، ١٥٧ - أم لكم حجة واضحة على ما تقولون. فأتوا بالكتاب الذي يؤيد قولكم إن كنتم صادقين فيه.

١٤٠ - حين هرب من قومه بغير إذن ربه غاضباً من قومه، ملتحجاً إلى السفينة المملوءة ركاباً وامتعة.
 ١٤١ - فافتقر يونس مع أهل السفينة حينما أشرفت على الفرق، ليلقوا بعضهم في البحر، خوفاً من الفرق، فكان من المغلوبين في القرعة، فألقي في البحر.
 ١٤٢ - فابتلعه الحوت، وهو أت بما يلام عليه من ذهابه إلى البحر.
 ١٤٣ - فلولا أنه كان من الذاكرين الله كثيراً بالتسبيح مدة عمره، وفي بطن الحوت.
 ١٤٤ - لكث في بطن الحوت مقبوراً فيه إلى يوم القيامة.
 ١٤٥ - فآلقيناه من بطن الحوت في المكان البري الخالي من الشجر والنبات على الساحل، وهو ضعيف البدن، عليل بما ناله.
 ١٤٦ - وأنبتنا فوقه شجرة تظله، هي شجرة الذبأ، أي القرع، حتى اشتد وصلب.
 ١٤٧ - وأرسلناه بعد معافاته إلى أهل نينوى من أرض الموصل، إلى مائة ألف، بل هم أكثر، فكان رسولا قبل ذهابه إلى البحر وبعده.

١٤٨ - فأمتوا بالله إلهاً واحداً، وأجابوا دعوته، فجعلناهم يتمتعون بالنعم الدنيوية إلى وقت انقضاء آجالهم.
 ١٤٩ - فاسألهم أو استخبرهم أيها النبي: أربك البنات أي الملائكة الذين يزعمون أنهم بنات الله، وهم أدنى الجنسين، ولهم البنون أي أعلى الجنسين وأرفعهما؟!
 ١٥٠ - بل، كيف جعلوا الملائكة إناثاً، وهم لم يحضروا عند خلقنا لهم؟ شاهدون: حاضرون، أي مثل ذلك لا يعلم إلا بالمشاهدة.

١٥١ - ألا: لتنبه السامع لما يأتي بعدئذ لأهميته، إنهم من كذبهم ليقولون:
 ١٥٢ - وكذ الله - حين زعموا أن الملائكة بنات الله - وإنهم لكاذبون في قولهم.
 ١٥٣ - هل اختار البنات وفضلهن على البنين، مع أن البنين عرفوا أفضل الجنسين، والأصل: أصفى؟!
 ١٥٤، ١٥٥ - ما لكم كيف تحكمون هذا الحكم الباطل؟! أفلا تتفكرون فتعرفوا بطلان قولكم؟!
 ١٥٦، ١٥٧ - أم لكم حجة واضحة على ما تقولون. فأتوا بالكتاب الذي يؤيد قولكم إن كنتم صادقين فيه.



١٥٨- وجعل المشركون بين الله وبين الملائكة مصاهرة وصلة، فزعموا أن الملائكة بنات الله، وسموا بالجن لاجتنائهم، أي استتارهم عن الأعين، ولقد علمت الملائكة أن هؤلاء الكفار يحضرون عذاب النار، قال ابن عباس: أنزلت هذه الآيات في ثلاثة أحياء من قريش: سليم، وخزاعة، وجُهينة.

١٥٩- تنزه الله عما يصفه هؤلاء بأن الله ولدًا ونسبًا، أي عما يكذبون.

١٦٠- لكن عباد الله الذين اصطفاهم ربهم يزهون الله تعالى عما يصفه هؤلاء.

١٦١- ١٦٣. فإنكم أيها المشركون وما تعبدون من الأصنام، ما أنتم بمضلين أحدًا، أو مفسدين أحدًا يا غواصكم، إلا من قدر الله وسبق في علمه أنه من أهل النار يصلها، وهم المصورون على الكفر، ويصلى: يحترق بالنار. والمعنى: لن تستطيعوا أيها الكفار وشياطينكم أن تفسدوا على الله عباده الصالحين.

١٦٤- تقول الملائكة: ما منا معشر الملائكة أحد إلا له مقام معلوم في السموات لعبادة الله.

١٦٥، ١٦٦- وإنا نحن المصطفون صفوفًا في أداء الطاعة، ونحن المتزهون الله عما لا يليق به. كان الناس يصلون متسددين، فأنزل الله: ﴿وإنا نحن الصافون﴾ فأمرهم النبي أن يصفوا.

١٦٧- وإن حال كفار قريش كانوا قبل البعثة النبوية إذا عيروا بالجهل يقولون:

وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِجْرًا وَقَدْ عَلِمْتُمُ الْجِنَّةَ إِنَّمَا تُحْضَرُونَ
 ١٥٨ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ١٥٩ الْإِعْبَادَ لِلَّهِ الْمُخْلِصِينَ
 ١٦٠ وَاللَّيْلَ وَمَا تَعْبُدُونَ ١٦١ مَا أَنتَ عَلَيْهِ بِشَئِينٍ ١٦٢ الْإِيمَانَ
 ١٦٣ هُوَ صَالِ الْجَنَّةِ ١٦٤ وَمَا مَنَّا إِلَّا لَهُمْ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ١٦٥ وَإِنَّا لَنَحْنُ
 ١٦٦ الصَّافُونَ ١٦٧ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسْتَمُونَ ١٦٨ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ
 ١٦٩ لَو أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأُولِينَ ١٧٠ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ
 ١٧١ فَكَفَرُوا بِهِ فَسُوفَ يَعْلَمُونَ ١٧٢ وَقَدْ سَبَقَتْ كَرْمِنًا
 ١٧٣ لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ١٧٤ إِنَّمَا لَهُمْ الْمُصَوَّرُونَ ١٧٥ وَإِن جُنْدَانَا لَهْمُ
 ١٧٦ الْعَالِبُونَ ١٧٧ فَقَوْلُهُمْ حَتَّى جِئِنَا ١٧٨ وَأَبْصُرُهُمْ فَسُوفَ
 ١٧٩ يَبْصُرُونَ ١٨٠ أَيْعِدَانَا إِنَّا سَتَجِدُنَا إِنَّمَا نَحْنُ بِسَاحَتِهِمْ
 ١٨١ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذِرِينَ ١٨٢ وَقَوْلُهُمْ حَتَّى جِئِنَا ١٨٣ وَأَبْصُرُ
 ١٨٤ فَسُوفَ يَبْصُرُونَ ١٨٥ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٦
 ١٨٧ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ١٨٨ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٨٩



١٦٨- لو أن لدينا كتابًا منزلًا من الله تعالى، مثل كتب السابقين، كالتوراة والإنجيل.

١٦٩- لكننا عباد الله الذين نخلص العبادة له، ولم نخالف شرع الله مثلهم.

١٧٠- فكفروا بالقرآن لما جاءهم، فسوف يعلمون عاقبة كفرهم.

١٧١- ولقد سبق ما وعدنا به عبادنا الأنبياء المرسلين وأتباعهم في اللوح المحفوظ من النصر والغلبة.

١٧٢، ١٧٣- إن رسلنا هم المنصورون على أعدائهم، وإن جندنا المؤمنين أتباع الرسل المخلصين هم غالبو الكفار في الدنيا بالحجة والنصرة عليهم، فإن لم يتصروا في الدنيا انتصروا في الآخرة.

١٧٤- فأعرض عنهم واصبر إلى أن يحين موعد نصرتك عليهم وهو وقت إذنا بقتالهم، وتلك مدة معلومة عند الله تعالى.

١٧٥- انظر إليهم حين يتعرضون للقتل والأسر، فسوف يرون عاقبة كفرهم ويعاينون ما يسوءهم.

١٧٦- أيستعجلون عذابنا بقولهم: متى هذا العذاب أي الأخروي؟ وهو تهديد لهم. قالوا: يا محمد، أرونا العذاب الذي تخوفنا به، فعجله لنا، فنزلت الآية.

١٧٧- فإذا وقع العذاب بفنائهم (المكان الواسع) وديارهم، فبئس صباحًا صباح المنذرين بالعذاب، وهم الكفار.

١٧٨، ١٧٩- وأعرض عنهم إلى وقت آخر، وارتقب ما يحدث بهم، فسوف يرون عاقبة كفرهم، كرر ذلك للتأكيد، والآية السابقة [١٧٤] إلى حين وقوع عذاب الدنيا، وهذه الآية إلى حين وقوع عذاب الآخرة.

١٨٠- تنزه الله صاحب العزة الحقيقية، وهي كونه صاحب العظمة والغلبة التي يغلب بها غيره، ولا يغلبه أحد، وغيرها عزة كاذبة، تنزيهاً له تعالى عما ينسبه إليه المشركون من الولد والشريك.

١٨١- وسلام من الله على الأنبياء المرسلين المبلغين عن الله التوحيد والشرائع.

١٨٢- والشكر على الله رب الخلاق جميعهم على نصر الرسل وهلاك الكفرة.

سورة ص

١- صاد، أحد الحروف الهجائية للتبنيه والتحمدي كما قيل في أمثاله السابقة، أقسم بالقرآن المشتمل على الذكر، أي الشرف الرفيع، لما فيه من تبيان كل شيء. والحلف بالقرآن تنويه برفعة قدره.

٢- بل: للانتقال من كلام إلى آخر، الكفار في عزة كاذبة، وهي الأتفة الجاهلية والشقاق: الخلاف والعداوة.

٣- كم أي كثيراً، أي قد أهلكنا قبل قومك كثيراً من الأمم الماضية، فاستغاثوا، وليس الوقت وقت خلاص وفرار ونجاة. وهذا وعيد على كفرهم بالقرآن تكبيراً. و «ولات» مركبة من «لا» النافية، بمعنى (ليس) ومن التاء التي تتصل بالحروف، مثل: ربة رجل، أي رب، وثمت أي ثم.

٤- وعجب مشركو مكة أن أتاهم رسول من جنسهم البشري والعربي، يحذرهم من عذاب الله بالنار إن بقوا على الكفر، وقال الكفار: هذا الرجل ساحر بيبانه، كذاب يزعمه أنه رسول الله.

٥- كيف صير الألهة الها واحداً، إن هذا لعجيب جداً؟ وإنما تعجبوا؛ لأنه كان لكل قبيلة إله. نزلت حينما تعجبت قريش من دعوة محمد، وقالوا: إلهاً واحداً، إن هذا لشيء عجاب.

٦- وانطلق الأشراف منهم وهم كباراء قريش وقادتهم قائلين لبعضهم: امضوا على ما أنتم عليه، وانصرفوا عنه إلى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ص وَالْقُرْآنِ ذِكْرِ ١ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِمْ شِقَاقِ

٢ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَأَءَاتُوا وَلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ ٣

وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكُفْرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ

٤ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ٥ وَأَطَّاقَ

٦ الْمَلَأْنَهُمْ أَنْ أَسْمُوا وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ الْهَيْبَةِ كَمَا أَنَّ هَذَا لَشَيْءٌ مُبْرَأٌ

٧ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا آخِثَانٌ ٨

أَهْ نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا لَنْ نُبْرِكَ فِي سَكَتٍ مِنْ ذِكْرِي لَوْلَا يُدْرِكُوا

عَذَابٌ ٩ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنٌ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ١٠ أَمْ

لَهُمْ مَلَكٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَذُرُّوا فِي الْأَسْبَابِ ١١

جُنْدٌ مَا هُمْ إِلَّا نَسْرٌ وَرُؤُوسٌ الْأَخْرَابِ ١٢ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ

نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ١٣ وَثَمُودٌ وَقَوْمٌ لُوطٍ وَأَصْحَابُ

لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَخْرَابُ ١٤ إِنْ كُلِّ إِلَّا كَذَّابٌ أُرْسِلُ

لِحُوقِ عِقَابٍ ١٥ وَمَا يَنْظُرُ هِزْلًا إِلَّا أَيْسِيَّةً وَاحِدَةً قَالُوا

مِنْ قَوَانٍ ١٦ وَقَالُوا رَبَّنَا اجْعَلْ لَنَا قِطْعَةً قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ١٧

٧- ما سمعنا بهذا التوحيد في ملة النصارى القائلين: إن الله ثالث ثلاثة، ما هذا الذي يقوله محمد إلا كذب واقتراء.

٨- أنزل عليه القرآن من بين صفوفنا، ونحن الرؤساء والأشراف والكبراء سنأ وشرفاً، ولكنهم في الواقع لا يشكون في صدق محمد، بل هم في شك من أن القرآن منزل من عند الله، بل لم يدوروا عذابي بعد.

٩- أم عندهم مفاتيح نعم ربك، حتى يمنحوا النبوة لمن يشاؤون.

١٠- أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما من المخلوقات ليعطوا ويمنعوا من يريدون، فليصعدوا إلى السماء، لإنزال الوحي على من يريدون.

١١- هؤلاء كفار مكة المقاومون للدعوة الإسلامية هم جند مهزوم قطعاً ممن تحزبوا على الرسول من أحزاب إبليس.

١٢- كذبت قبلهم قوم نوح، وعاد قوم هود، وفرعون صاحب الأبنية للحكمة والملك الثابت.

١٣- وثمود قوم صالح، وقوم لوط، وأصحاب الغيضة الكثيفة الشجر، وهم قوم شعيب، أولئك الأحزاب الذين تحزبوا على

رسولهم.

١٤- ما كل أحد من الأحزاب إلا وقع منه تكذيب الرسل، ومن كذب رسولاً فقد كذب جميع الرسل، فوجب عقابي عليهم بتكذيبهم، وإن تأخر.

١٥- وما ينتظر كفار مكة إلا نفخة واحدة يوم القيامة هي النفخة الثانية، تأتيهم بالعذاب، ليس لها تأخر، بمقدار من الزمن، وهو ما بين حلبتي الناقة، أي إذا جاءت الصيحة لا تتوقف مقدار فواق الناقة.

١٦- وقالوا: يا ربنا عجل لنا قسطنا من العذاب الذي توعدنا به قبل يوم الحساب: يوم الآخرة، ولا توخره إلى يوم القيامة، كما يزعم محمد من أننا سنعذب فيه.

١٧- اصبر أيها النبي على قول هؤلاء المشركين من كفر وتكذيب، فإننا ناصروك، واذكر لهم قصة داود ذي القوة، أي الصلابة في الدين، إنه مع قوته كثير الرجوع والإنابة إلى ما يرضي الله ويحبه، وذلك تعظيماً للمعصية في أعينهم، فإنه مع علو شأنه، بادر إلى الاستغفار والإنابة لما توهم أنه أخطأ وعصى.

١٨- إنا ذلنا الجبال مع داود يسبحن (يتزهن) الله مع تسبيحه عند طلوع الشمس وعند غروبها، أي دائماً يسبحن، وكان يفهم تسبيحها.

١٩- وذلنا الطير مجموعة إليه تسبح الله تعالى، كل من الجبال والطيور لأجل تسبيحه رجاء إلى طاعة الله، خاضع لمشيئته سبحانه.

٢٠- وقويتنا ملك داود وثبتناه بالهيبة والنصر على الأعداء، وآتيناه النبوة وكمال العلم وإصابة الصواب في القول والعمل، ومنه كل ما يقضي به، والفصل في القضاء وبيان الحق من الباطل.

٢١- وهل أتاك أيها النبي خبر وقصة جماعة الخصوم، أي المتخاصمين، حين نزلوا عليه من فوق سور محراب عبادته التي كان يتعبد بها، والخصم يطلق على المفرد والجمع.

أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَذُكِّرْ عَلْنَا دَاوُودَ مَا الْأَيْمَانُ بِهِ وَأَوَّابٌ ﴿١٧﴾
 إِنَّا نَسَخْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُتْبَىٰ وَالْأَشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ
 مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَسَدَدْنَا مَالِكُوهَ أَبْنَتَهُ الْحِكْمَةَ
 وَوَصَّلَ الْخَطَابِ ﴿٢٠﴾ وَهَلْ أَتَاكَ نَبُوءُ الْخَصْمِ إِذْ تَسُوْرُوا
 الْأَحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيَّ دَاوُدَ فَفَرَّجَ مِنْهُم مَّا قَالُوا لَأَخْفُتْ
 حَصْمَانُ بَعِي بَعْضًا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكَمَ بَيْنَنَا بَيْنَهُمْ وَلَا يُشْطِطُ
 وَهَدَيْنَا إِلَى سَوَاءِ الصَّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنْ هَذَا أَخِي لَهُ تَسْعٌ وَسَعُونَ نَعْجَةً
 وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ
 ظَلَمَكَ بِسْؤَالِ نَعْيِكَ إِلَىٰ نَعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخَاطِءِ لَيَبْنِي
 بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ
 وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَحَرَّكَهَا وَاوَّابٌ ﴿٢٤﴾
 فَفَرَقْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّا لَعِندَنَا الرَّزْمِيُّ وَحَسَنٌ مِّنَ مَّآبِ
 يَدَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ
 بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ
 عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا نَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٥﴾

٢٢- حين دخلوا على داود، فخاف منهم، لدخولهم عليه بغير إذن، من غير الباب المعتاد للدخول، فقالوا له مطمئن: لا تخف، نحن خصمان متنازعان جار وظلم بعضنا على بعض، فاحكم بيننا بالحق والصواب، ولا تجر في الحكم ولا تبعد عن الحق، وأرشدنا إلى سلوك طريق الحق والسداد. والمشهور أنهما ملكان، والأقرب أنهما بشران عاديان.

٢٣- إن هذا أخي على ديني، له تسع وتسعون نعجة (أنثى الضأن) ولي نعجة واحدة، فقال: اجعلني كافلها وملكيتها حتى أضمها إلى نعاجي، وغلبني في بيان حجته وفي المجادلة.

٢٤- قال داود: لقد ظلمك أخوك، بطلبه تملك نعتك وضمها إلى نعاجه، وإن كثيراً من الشركاء في المال، ليعتدي بعضهم على بعض، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالح الأعمال، فإنهم لا يظلمون أحداً، وقليل هؤلاء، و﴿ما﴾ حرف لتأكيد القلة، وعلم داود أنما ابتليته واختبرناه بهذه الحادثة بالتسرع في الحكم- والأصح بالخوف من الناس وهو قائم بين يدي ربه في المحراب خلافاً لما كان عليه جده إبراهيم الذي لم يبال بالناس- فاستغفر ربه لذنبه وظنه السيء بالرجلين أنهما أتياه لاغتياله، وهو مفرد في محرابه، وسقط ساجداً، وتاب إلى الله ورجع إلى طاعته.

٢٥- فعضفونا عنه ذلك الظن السيء بالرجلين، وإن له عندنا لقراباً من الله وكرامة وحسن مرجع في الآخرة وهو الجنة.

٢٦- يا داود إنا استخلفناك على الملك في الأرض لتدبير أمور الناس، فاحكم بين الناس بالعدل، ولا تتبع هوى النفس، فيصرفك عن دلائل الحق، إن الذين ينحرفون عن العمل بأمر الله وهدايته، لهم عذاب شديد بسبب إهمالهم وتركهم العمل من أجل يوم الحساب في الآخرة، وهو الحكم بالعدل.

٢٧- وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما بطلاً لك الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ﴿٣٧﴾ أم يجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم يجعل للمتقين كالفجار ﴿٣٨﴾ كتب أنزلناه إليك مبارك ليدتروا آياته وليتذكر أولوا الألباب ﴿٣٩﴾ ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب ﴿٤٠﴾ إذ عرض عليه بالعرش الصفيق المجاد ﴿٤١﴾ فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ﴿٤٢﴾ زدوها على طفق مسحابا السوق والأعناق ﴿٤٣﴾ ولقد فتننا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب ﴿٤٤﴾ قال رب اغفر لي وعب لي ملكاً لأبغى لأحد من بعدي إنك أنت أواب ﴿٤٥﴾ فخرنا له الريح تجري بأمره ريحاً حيث شاء ﴿٤٦﴾ والشيطان كل بناء وعوالم ﴿٤٧﴾ وه آخرين مقرنين في الأصفاد ﴿٤٨﴾ هذا عطاؤنا فامتن أو أمسك بغير حساب ﴿٤٩﴾ وإن لله عندنا خزائني وحسن مخاب ﴿٥٠﴾ وأذكر عبدنا أيوب ﴿٥١﴾ إذ نادى ربه أني مسس الشيطان بصب وعذاب ﴿٥٢﴾

٢٨- بل انجعل المؤمنين بالله ورسوله، وعملوا بما أمروا كالشركين والعصاة في الأرض بل انجعل أتقياء المؤمنين كأشقياء الكافرين والمنافقين والعاصين، فليس التساوي بين الفريقين عدلاً. و﴿أم﴾ تفيد معنى حرفين: (بل) للانتقال من كلام لآخر، وهمزة الاستفهام الإنكاري التي تفيد نفي ما بعدها، وهو هنا التسوية بين الأتقياء والأشرار. والفجار: الفساق الذين يشقون ستر الشريعة.

٢٩- هذا كتاب أنزلناه إليك أيها النبي كثير الخير والنفع، ليتفكروا في معاني آياته، وليتعض أولو العقول السليمة، فيعملوا بما فيه.

٣٠- ووهبنا لداود سليمان، نعم العبد سليمان، إنه تواب كثير الرجوع إلى الله بالإنبابة.

٣١- واذكر أيها النبي حين عرض على سليمان بالعشي: فترة ما بعد الظهر إلى الغروب: الخيول الأصائل القائمت على ثلاث قوائم وطرف الحافر الرابع، وهي علامة القراهة، التي تسرع في الجري.

٣٢- فقال سليمان: إني أثرت حب الخير، وهو هنا الخيل، حباً ناشأ عن أمر ربي بالعناية بها؛ لأنها عدة الدفاع، لا عن شهوة الفخر وحب الدنيا، حتى غابت عن الأنظار بما وراءه من أفق أو غبار لسرعة جريها في الاستعراض.

٣٣- أعيدوها علي تارة أخرى، فشرع يمسحها بيده على السيقان والأعناق، تكريماً لها للاعتماد عليها في الجهاد.

٣٤- ولقد اختبرنا سليمان بالمرض، وألقينا على عرش الملك الذي كان يجلس عليه جسماً ضعيفاً كأنه جسد بلا روح، ثم رجع إلى الله متضرعاً مستغيثاً لكشف البلاء عنه، وعاد إلى الصحة.

٣٥- قال سليمان: رب اغفر لي ما صدر عني من الذنب الذي كان سبب ابتلائي، وامتنحي ملكاً لا يكون لأحد من بعدي أن يملك مثله؛ إنك أنت الكثير العطاء والهبات.

٣٦- فجعلنا الريح متقادة لأمره، ليئة قوية شديدة الهبوب والجري، تسيّر بأمره حيث قصد وأراد.

٣٧- وسخرنا له أيضاً الشياطين، يبنون له ما يشاء من الأبنية الرفيعة، ويغوصون في البحر لاستخراج الدر واللؤلؤ.

٣٨- وسخرنا له من مردة الشياطين آخرين منهم مقيدون في القيود والسلاسل، دُلُّوا له حتى قرنهم في السلاسل. ومقرنين: مربوطاً بعضهم ببعض.

٣٩- هذا العطاء من الملك الذي طلبته: عطاؤنا لك، فأعط من شئت، وامنع من شئت، لا حساب عليك في الحالين.

٤٠- وإن لسليمان عندنا لقربة وكرامة، وحسن مرجع في الآخرة: وهو الجنة.

٤١- واذكر أيها النبي عبدنا الصابر أيوب بن أروم حين دعا ربه متضرعاً بأني أصابني الشيطان بضر ومشقة وألم، أي مرضت، وقد نسب ما يؤلم إلى الشيطان تأديباً مع الله، أما الخير فينسب إلى الله تعالى.

٤٢- قلنا له: اضرب برجلك الأرض، يخرج ينبوع من الماء البارد، كما أمر موسى بضرب الحجر، فضرب، فنبعت عين جارية، قيل له: هذا ماء بارد مغتسل تغتسل به، وشراب تشرب منه، ففعل، فبرئ بما أصابه. والمغتسل: ما يغتسل به.

٤٣- وجمعنا عليه أهله بعد تفرقهم، وزيدنا بكثرة النسل، حتى صاروا ضعف ما كانوا عليه قبل ابتلائه، لرحمتنا عليه، وعظة وتذكيراً لهم ليتنظروا الفرج بعد الصبر، لأصحاب العقول الراجعة.

٤٤- وخذ بيدك حزمة من عيدان الحشائش، فاضرب امرأتك بتلك الحزمة، ولا تحنث في يمينك. والحنث: الوقوع في الذنب بسبب عدم فعل المحلوف عليه. وكان أيوب قد حلف في مرضه إن شفاه الله أن يضرب امرأته مئة جلدة، لذنب ارتكبته، وهو بطؤها في قضاء حاجة، وإنا وجدناه رجلاً صابراً على البلاء، نعم العبد أيوب، إنه كثير الرجوع إلى الله بالتوبة والطاعة.

٤٥- واذكر أيها النبي عبدان إبراهيم وإسحاق ويعقوب أصحاب القوة في الطاعة، وأصحاب البصيرة: وهي معرفة أسرار الدين وغيره.

٤٦- إنا جعلناهم خالصين لنا، بخصلة خالصة أي خصصناهم بمزية عن غيرهم: هي تذكر الآخرة.

أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مَغْتَسِلٌ يُارِدُ وَسْرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمَثَلَهُمْ فِيهِمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخَذْنَا مِنْكَ صِغْتًا فَأَضْرِبَ بِهَا وَلا تَحْنُثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَآذَنَّا عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَأِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذُكِّرُوا النَّارَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَ الْمَلِكِ الْمُصْطَفَى الْآخِيَارِ ﴿٤٧﴾ وَأَذْكَرَ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْآخِيَارِ ﴿٤٨﴾ هَذَا ذِكْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ لِّحَسَنِ تَابٍ ﴿٥٠﴾ جَنَّاتٍ عَنَّا يَجُودُونَ فِيهَا مُتَبَسِّمِينَ ﴿٥١﴾ وَمِنْهَا يَنْبُتُونَ فِيهَا بِغُلَابٍ كَثِيرٍ وَشَرَابٍ ﴿٥٢﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتٌ لِّظُرْفٍ أُنْزِلَتْ ﴿٥٣﴾ هَذَا مَا تُوَعَّدُونَ أَيُّهَا الْحَسَابِ ﴿٥٤﴾ إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَائِدٍ ﴿٥٥﴾ هَذَا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَشَرُّ نَمَابٍ ﴿٥٦﴾ جَحِيمٌ يَصَلُونَهَا فَأَنْسُ الْمُهَادُوا ﴿٥٧﴾ هَذَا فَايْدُوهُ حِيدٌ وَعَسَاقٌ ﴿٥٨﴾ وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِ أَزْجَجًا ﴿٥٩﴾ هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَصِرٌ مَعَكُمْ لَأَمْ جَاءَ بِهِمْ أَنْتُمْ صَالُوا النَّارَ ﴿٦٠﴾ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَأَمْ جَاءَكُمْ أَنْتُمْ فَدَعُونَهُمْ لَنَا فَيَنْسُ الْقَرَارُ ﴿٦١﴾

٤٧- وإنهم عندنا لمن المختارين للنبوة المفضلين على أبناء جنسهم، الكثيري الخير.

٤٨- واذكر أيضاً أيها الرسول إسماعيل بن إبراهيم جد العرب، واليسع بن أخطوب وذا الكفل ابن عم اليسع، من أنبياء بني إسرائيل، وكلهم آخيار، اختارهم الله على غيرهم لتحملهم الشدائد في سبيل الدعوة إلى الله.

٤٩- هذا ذكر جميل لهم في الدنيا، وثناء حسن عليهم، وإن للمتقين عذاب الله بطاعته لحسن مرجع في الآخرة، يرجعون فيه إلى مغفرة الله ورضوانه وحنته.

٥٠- إن حسن المرجع هو جنات استقرار وثبات وخلود، تفتح الملائكة لهم أبواب الجنة ليدخلوها.

٥١- متكئين في الجنة على الأرائك، يطلبون فيها أنواعاً كثيرة من الفاكهة والأشربة المتنوعة.

٥٢- وعندهم في الجنة نساء لا ينظرن إلى غير أزواجهن، لدات متساويات في السن والجمال.

٥٣- يقال لهم: هذا الجزء هو الذي توعدون به في يوم الحساب في الآخرة.

٥٤- إن هذا لعطاؤنا الذي أنعمنا به عليكم، ما له من انقطاع ولا فناء أبداً، أي دائم.

٥٥- هذا جزء المتقين، وللذين طغفوا وتمردوا عن طاعة الله وأسرفوا في المعاصي والكفر، لأسوأ مرجع ومصير.

٥٦- مرجعهم جهنم يدخلونها ويحترقون بنارها، وبس الفرائس الذي يفترونها تحتهم من نار جهنم.

٥٧- هذا العذاب فيلذوقوه: ماء شديد الحرارة، وصديد يسيل من أجساد أهل النار.

٥٨، ٥٩- وعذاب آخر من مثله في بشاعة الطعام، أصناف مختلفة من العذاب. يقال لهم: هذا جمع داخل معكم في النار كرهاً، لا ترحيب بهم ولا تكريم، إنهم داخلوا النار بأعمالهم السيئة، وعدم الترحيب هو قول القادة.

٦٠- قال الأتباع للقادة: بل أنتم لا ترحيب ولا كرامة لكم، أنتم قدمتم الكفر لنا، فبئس المقر جهنم، وهي لنا ولكم.



٦١- قال الاتباع أيضاً: ربنا من أوردنا هذا العذاب، فزده عذاباً مضاعفاً في النار.

٦٢- وقال الرؤساء الطغاة وهم في النار: ما لنا لا نرى رجلاً كنا نعدهم في الدنيا من الأراذل المحتقرين السفلة الذين لا خير فيهم، أي فقراء المؤمنين المستضعفين الذين كانوا يسخرون منهم.

٦٣- هل كنا نهزأ منهم في الدنيا خطأ، وكانوا أهل كرامة، أم هم معنا في النار، ولكن لم نرهم، ومالت عنهم الأبصار فلم تقع عليهم؟

٦٤- إن ذلك المذكور من تخاصم أهل النار فيها هو حق ثابت واقع لا بد منه.

٦٥- قل أيها النبي للمشركين: إنما أنا مخوف لكم من عذاب الله إن بقيتم على الشرك، وليس هناك من إله يستحق العبادة إلا الله الواحد الذي لا شريك له، القهار لكل من عده.

٦٦- إنه رب السموات والأرض وما بينهما من المخلوقات، القوي الذي لا يغلبه شيء، الغفار لذنوب عباده التائبين، أو الطاطعين.

٦٧، ٦٨- قل أيها النبي: هو- أي التوحيد والإنذار بالعقاب- خير مهم جداً. أنتم عنه غافلون غير ملتفتين، وهو توبيخ لهم.

قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدَّهُ عَلَيْنَا مَصِيفًا ۗ وَالنَّارُ ۗ وَقَالُوا مَا لَنَا لَنْزِيلِ رَبِّنَا لَا كَمَا نُعَذِّبُهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ۗ أَخَذْنَاهُمْ بَعِثْنَا أُمَّ زَاعَةَ عِنْدَهُمْ لِيُتَمَرَّضُوا ۗ إِنَّ ذَلِكَ لَكُنَّ تُخَابِثَ مُهْلِكِ النَّارِ ۗ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ۗ إِنَّمَا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۗ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۗ الْعَزِيزُ الْغَنِيُّ ۗ قُلْ هُوَ نَبِيُّ عَظِيمٍ ۗ أَنْزَلْنَاهُ مَرْصُومًا ۗ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمِ الْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يُخْتَصِمُونَ ۗ إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۗ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ۗ فَإِنَّا سَوَّيْنَاهُ وَنَحْنُ فِيهِ مِنْ رُوحٍ فَفَعَلُوا لِوَيْسِقِهِمْ ۗ فَمَعَدَ الْمَلَائِكَةُ كُفُوهُمْ أَجْمَعُونَ ۗ إِلَّا إِبْلِيسَ ۗ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۗ قَالَ يَا أَيْلِيلِيسُ مَا مَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۗ إِنَّكَ كَبَّرْتَ عَنْ كُنُوتِ رَبِّكَ الْعَلِيِّ ۗ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ۗ قَالَ فَأَخْرِجْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۗ وَإِنْ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ۗ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۗ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ۗ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ۗ

٦٩- ما كان لي من علم بكلام الملائكة في السموات حين اختصموا في شأن آدم عليه السلام، الذي أخبرهم الله بأنه سيكون خليفة في الأرض. و «من» حرف يدل على عموم نفي ما بعده.

٧٠- ما يوحى إلي إلا أنني رسول منذر بالعذاب، بين الإنذار.

٧١- حين قال ربك للملائكة: إني خالق بشر: هم آدم وذريته، من طين. وهو بيان المحاورة في الملا الأعلى.

٧٢- فإذا أتممت خلقه وسوَّيت أجزائه، فاسجدوا له سجود تحية وتكريم، لا سجود عبادة.

٧٣- فسجد الملائكة كلهم مجتمعين، ما بقي منهم ملك إلا سجد له.

٧٤- إلا إبليس تكبر وتعاطم عن السجود، وكان باستكباره ومخالفته أمر الله من الكافرين.

٧٥- قال الله لإبليس: يا إبليس، ما صرفك وصدك أن تسجد لما خلقته بيدي من غير واسطة، هل تكبرت الآن عن السجود بغير حق، أم كنت من المتطاولين التكبرين المستحقين للترفع عن طاعة الله؟

٧٦- قال إبليس: أنا خير من آدم، خلقتني من نار، وخلقته من طين، وعنصر النار المستعلي أشرف في زعمه من عنصر الطين الراكد.

٧٧- قال الله: فأخرج من الجنة، فإنك مرجوم بالكواكب، مطرود من الخير ومن جميع المخلوقات.

٧٨- وإن عليك لعنتي، أي طردني من الرحمة إلى يوم الحساب والجزاء.

٧٩- قال إبليس: رب فأمهلني ولا تعجل بإماتتي إلى يوم البعث، يوم يبعث بنو آدم من موتهم.

٨٠- قال الله: فإنك من الموجلين.

٨١- إلى وقت النفخة الأولى، يوم قدر الله فناء المخلوقات.

٨٢- قال إبليس: أقسم بمزتك لأضلن بني آدم أجمعين بتزين المعاصي والشهوات لهم.

٨٣- إلا عبادك منهم الذين أحلصتهم لطاعتك وعصمتهم من الضلالة.

٨٤- قال الله تعالى: فالحق مني أو أقسم بالحق- ولا أقول إلا الحق..

٨٥- لأملأن جهنم منك يا إبليس وعن تبعك من بني آدم أجمعين.

٨٦- قل أيها النبي لقومك: ما أطلبكم على تبليغ المنزل علي من القرآن وغيره من أجر تعطونه، ولست من المتقولين القرآن من تلقاء نفسي، أو المتصنعين المدعين النبوة والقول على الله وما لا علم لي به.

٨٧- ما هذا القرآن إلا تذكير وعظة للمخلوقات أجمعين.

٨٨- ولتعرفن يا أهل مكة وغيركم خبر صدقه وعاقبة وعده ووعيده بعد زمان.

سورة الزمر

فضلها: أخرج النسائي عن عائشة رضي الله عنها

قالت: كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول: ما يريد أن

يفطر، ويفطر حتى نقول: ما يريد أن يصوم، وكان ﷺ يقرأ في كل ليلة: بني إسرائيل (أي الإسراء) والزمر. وسبب

تسميتها المذكور في الآيتين [٧١، ٧٣].

١- هذا تنزيل القرآن من الله القوي في ملكه لا يغلبه أحد، الحكيم في صنعه، وهو الذي لا يفعل شيئاً عبثاً.

٢- إنا أنزلنا إليك أيها النبي القرآن ملازماً للحق بكل ما فيه من التوحيد والنبوة والمعاد وأنواع التكليف، لم نُنزله باطلاً لغير هدف، فاعبد الله وحده، مخلصاً له العبادة والطاعة، خالياً من الشرك والرياء.

٣- ألا الله وحده التعبد الخالص من الشرك والرياء، والذين اتخذوا من غير الله معبودات وأنصاراً، وهي الأصنام المعبودة وكل طاغوت معبود من غير الله، يقولون: ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله، ويشفعوا لنا عنده، إن الله لا يوفق للاهتداء إلى الحق، من هو كاذب في نسبة الولد إليه، شديد الكفر بعبادته غير الله تعالى.

٤- لو أراد الله أن يتخذ ولدأ. كما يزعم المشركون- لاختار مما يخلق ما يشاء، غير ما قالوا: الملائكة بنات الله، وعزير ابن الله، والمسيح ابن الله، تنزيهاً له عن اتخاذ الولد، هو الله الإله الواحد القاهر كل شيء من خلقه. والمراد: لو أراد اتخاذ ولد لكان قديماً من جنس أبيه، ويستحيل أن يكون المخلوق قديماً من جنس الخالق.

٥- خلق السموات والأرض بالحق، أي عبثاً، لا باطلاً، وخالق كهذا يستحيل أن يكون له شريك أو ولد، يلف الليل على النهار حتى يذهب ضوؤه، ولف النهار على الليل حتى تزول ظلمته، والكلام كناية عن طول أحدهما وقصر الآخر، وجعل الشمس والقمر متقادين لأمره في الطلوع والغروب بما ينفع الناس، وكل منهما يسير في مداره الذي حدده الله له لوقت معلوم: وهو يوم القيامة، ألا إن الله هو القوي الغالب، الكثير الغفران لمن تاب من خلقه عن ذنوبه. والآية تدل على وجود الله ووحدانيته وقدرته. وكلمة «ألا» لتنبية السامع للعناية بما بعدها.

قَالَ فَعَزَّكَ لَأَعْرَبَنَّهُمْ أَحْمَدِينَ ﴿٧١﴾ الْإِعْبَادُ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿٧٢﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٧٣﴾ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَعَمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَحْمَدِينَ ﴿٧٤﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٧٦﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٧٧﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٧١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ﴿٧٢﴾ أَلِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ الَّذِي تَتَّخِذُونَ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُوا إِلَى اللَّهِ وِلْدَانَهُ إِنَّ اللَّهَ يَجْمَعُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَهَّارٌ ﴿٧٣﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ مَا يَشَاءُ لَخَلَقَ الْوَحِيدَ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٧٤﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالشَّيْءَ بَيِّنَاتٍ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ مَا يَشَاءُ لَخَلَقَ الْوَحِيدَ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٧٥﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالشَّيْءَ بَيِّنَاتٍ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ مَا يَشَاءُ لَخَلَقَ الْوَحِيدَ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٧٦﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالشَّيْءَ بَيِّنَاتٍ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ مَا يَشَاءُ لَخَلَقَ الْوَحِيدَ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٧٧﴾

خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلْ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ
 مِنْ الْأَنْعَامِ ثَمِينَةَ أَرْوَاحٍ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ
 خَلْقٍ فِي ظِلْمَاتٍ ثَلَاثَ ذَاكُمُ اللَّهُ رَبِّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ كَهْرًا وَأَقْبَانَ اللَّهُ عِنْدَكُمْ
 وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكَهْرَ وَإِنْ شَكَرْتُمْ أَزِيدَنَّكُمْ وَلَا تَكْفُرُوا
 فَزِيدَنَّكُمْ وَزَيْدٌ آخِرٌ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنشِئُكُمْ بِمَا
 كُنتُمْ تَعْمَلُونَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ وَإِذَا مَسَّ
 الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَرَبَهُ نِعْمَةٌ مِنْهُ نَسِيَ
 مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلٍ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ
 قُلْ تَمَتَّعْ بِكْرَمِكُمْ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾ أَمْزِ هَوْنِيكَ
 وَأَنَاءَ الْبَيْتِ سَاجِدًا وَقَابِئًا تَحْدُرُ الْآخِرَةَ وَرَبِّجَارِ حَمَةَ رَبِّهِ
 قُلْ هَلْ يَسْعَى الَّذِينَ يَكْفُرُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ
 أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ قُلْ يَعْبادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ
 الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَأَرْضُ اللَّهِ
 وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾

٦- خلقكم أيها البشر جميعاً من نفس واحدة هي آدم عليه السلام، ثم خلق حواء من جنس آدم، ثم شعب الخلق منهما، وخلق وأوجد من الأنعام ثمانية أصناف: من الإبل والبقر والغنم والمعز، ذكراً وأنثى، يخلقكم في الأرحام في بطون أمهاتكم خلقاً متدرجاً من نطفة إلى علقة، إلى مضغة إلى عظام مكسوة لحماً، في ظلمات ثلاث: ظلمة المشيمة، وظلمة الرحم، وظلمة البطن، وعند الأطباء: أن الجنين محاط بثلاثة أغشية في داخل الرحم، فلم تمنع الظلمات من إحسان خلقه، ذلكم خالق هذه الأشياء هو الله ربكم، له الملك المطلق في الدنيا والآخرة، لا إله يعبد بحق سواه تعالى وحده، فكيف يصرفكم الشيطان وتعدلون عن عبادة الخالق إلى عبادة غيره؟! ٧- إن تكفروا بالله أيها الناس، فلإن غني عن إيمانكم، ولا يرضى الله بالكفر ولا يأمر به أحد من عباده، رحمة بهم، بل يعاقب عليه، وإن تشكروا الله، فتؤمنوا به، يرض الشكر لكم، ويحبه، ويشبكم عليه؛ لأنه سبب فلا تكليف، ولا يؤخذ أحد بذنب غيره، ثم إلى ربكم يوم القيامة مصيركم، فيخبركم بما علمتم من خير أو شر، إنه سبحانه عليم بما تضمرة النفوس، لا يخفى عليه شيء.

٨- وإذا أصاب الإنسان الكافر ضرر من بلاء وشدة كمرض أو فقر أو خوف، دعا الله ربه وتضرع إليه، راجعاً إليه، مستغيثاً به، للدفع ما نزل به، ثم إذا أعطاه نعمة تفضلاً منه، فكشف عنه ضرره، نسي الضر الذي كان يدعو الله لكشفه عنه من قبل ذلك، وجعل لله شركاء وأمثالاً من الأصنام وغيرها، ليضل الناس عن سبيل الحق: وهو الإسلام وعبادة الله وحده، قل أيها النبي لهذا الكافر: استمتع بكفرك استمتاعاً قليلاً ببقية أجلك، إنك في الآخرة في زمرة أهل النار. وهو تهديد شديد، وإقناط للكافر من نعيم الآخرة، وتعليل لذلك بالكفر.

٩- أذلك الكافر أحسن حالاً ومالاً، أم المؤمن بالله المطيع له الخاشع لربه، في ساعات الليل، ساجداً على الأرض وقائماً يناجي الحق في صلاته، يخاف عذاب الآخرة، ويطمع في جنته، قل أيها النبي: هل يتساوى العلماء والجهلاء؟ لا يتساويان، إنما يتعظ أصحاب العقول الرشيدة. وكلمة «أمن» مركبة من (أم) و(من). و(أم) هنا تفيد معنى الاستفهام الإنكاري المفيد للنفي، ومعنى (بل) للانتقال من كلام إلى آخر. والقانت: المداوم على الطاعة. قال ابن عمر: نزلت في عثمان بن عفان. وقال ابن عباس: نزلت في ابن مسعود وعمار بن ياسر، وسالم مولى أبي حنيفة.

١٠- قل أيها الرسول قل لي هذا: يا عبادي المؤمنين، اتقوا عذاب ربكم بلزوم طاعته، للذين أحسنوا بالطاعات في هذه الدنيا مثوبة حسنة في الآخرة وهي الجنة، وثناء حسن وسعادة في الدنيا، وأرض الله واسعة، فمن تعسر عليه الطاعة في بلد، فليهاجر إلى بلد آخر يتمكن فيه من العبادة وإقامة الشعائر، وترك المنكرات، إنما يوفي الله الصابرين أجرهم في مقابل صبرهم بغير تحديد ولا تقدير مسبق، فعطاه الله واسع من غير حصر ولا حساب محاسب.



قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ
أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلْ لِلَّهِ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لِلدِّينِ ﴿١٤﴾ فَأَعْبُدْ وَأَمَّا شِئْتُمْ
مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّا خَاسِرُونَ أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ الْكَبِيرُونَ ﴿١٥﴾ لَمْ يَكُنْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظِلٌّ
مِنَ النَّارِ وَمَنْ تَحْتَهُمْ ظِلٌّ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ بَعِيدًا فَاتَّقُونَ
﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ أَحْبَبُوا الظُّلُمَاتِ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ
الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادَ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أَوْلَى الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ أَفَنْ
حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿١٩﴾ لَكِنَّ
الَّذِينَ أَنْقَرْنَا رِمَّهُمْ لَهُمْ عَرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا عَرْفٌ مُّبِينَةٌ تُجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لِلْجَنَّةِ الْإِلْبَاعَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ يَخْرُجْ
أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ
بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَاهُ مَصْفُورًا ثُمَّ يُجْعَلُهُ
حُطًّا مَّا إِنْ فِي ذَلِكَ لِكَيْفَى لَأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾

١١- قل أيها الرسول: إني أمرت أن أعبد الله وحده،
مخلصاً له العبادة والطاعة.

١٢- وأمرت بأن أكون أول المسلمين من الأمة.

١٣- قل: إني أخاف إن عصيت ربي بترك عبادته
ودعوته إلى التوحيد ونبذ الشرك عذاب يوم عظيم الهول
وهو يوم القيامة.

١٤- قل: أعبد الله وحده، مخلصاً له، غير مشوب
بشرك ولا رياء، فلا أعبد غيره.

١٥- فاعبدوا ما شئتم أن تعبدوا من غير الله، وهذا
للتهديد والتفريع، قل أيها النبي: إن الخاسرين خسارة
كاملة هم الذين خسروا أنفسهم بالضلال وأهليهم
بالإضلال، بدخول النار، ألا ذلك هو الخسران الواضح
الذي بلغ حد الإفلاس.

١٦- لهؤلاء الخاسرين طبقات من النار فوقهم
وتحتهم، تلتهم بهم، وسي ما تحتهم ظلاً، لأنها تظل
من تحتها من المعذبين في النار، ذلك العذاب هو الذي
يخوف الله به عباده المؤمنين ليتقوه، للأمر بالتقوى في
قوله: (يا عبادي فاتقوني).

١٧- والذين اجتنبوا الطاغوت: كل ما عُبِد من دون
الله من الأوثان وغيرها، ورجعوا إلى الله وأقبلوا على

عبادته، لهم البشرى بالجنة والثواب، إما على السنة الرسل أو عند حضور الموت.. نزلت في ثلاثة نفر، كانوا في
الجاهلية يقولون: (لا إله إلا الله): زيد بن عمرو بن نفيل، وأبي ذر الغفاري، وسلمان الفارسي. فبشر أيها
النبي عبادي بذلك.

١٨- وهم الذين يستمعون القول الموحي به في الكتاب والسنة، فيتبعون أحسن ما يؤمرون به، ويعملون بأكثره ثواباً،
أولئك الذين وفقهم الله لدينه، وأولئك هم أصحاب العقول الرشيدة. قال جابر: لما نزلت آية ﴿لها سبعة أبواب﴾
[الحجر ١٥ / ٤٤] أتى رجل من الأنصار النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني لي سبعة مماليك، وإني قد
اعتقت لكل باب منها مملوكاً، فنزلت فيه الآية: ﴿فبشر عباد الذين...﴾ [١٧ - ١٨].

١٩- أفمن ثبت ووجب عليه كلمة العذاب، لإصراره على الكفر، وهي قوله تعالى: ﴿... لا ملأن جهنم منكم
أجمعين﴾ [الأعراف ١٨ / ٧] أفأنت تنقذه من النار؟! أي لا تستطيع إنقاذه. ومعنى ﴿أفمن﴾ الاستفهام الإنكاري المفيد
للنفي، أي هل أنت تملك التصرف في الناس؟ وقوله: ﴿أفأنت﴾ لتأكيد معنى الإنكار والنفي. والآية تسريّ الهموم عن
الرسول ﷺ الذي كان حريصاً على إيمان قومه.

٢٠- لكن الذين أطاعوا ربهم، لهم غرف فوق غرف؛ لأن الجنة درجات، مبنية بناءً محكمًا، تجري من تحت تلك
الغرف الأنهار العذبة، إكمالاً لبهجتها ورونقها، وعد الله ذلك وعداً مؤكداً، والله لا يخلف وعده.

٢١- ألم تعلم وتشاهد أيها الرسول وكل مخاطب أن الله أنزل من السحاب مطراً، فأدخله عيوناً ونبايح، والينبوع:
عين الماء، ثم يخرج أو ينبت بذلك المطر من الأرض زرعاً مختلفاً ألوانه، صفرة وخضرة وبياضاً واحمراراً، ثم يبس
ويجف، فتراه مصفراً بعد خضرته، ثم يجعله مفتتاً متكسراً، إن في ذلك التقلب لموعظة لأصحاب العقول.

أَمِنْ شَرِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ عَلَى نَوْمٍ مِنْ رَبِّهِ قَوْلٌ
لِلْقَلْبِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَيْكَ فِي صَلَاتِ مُبِينٍ ﴿٢١﴾ اللَّهُ
نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كَلِمًا مَتَّسَبًا مَثَانِي تَسْفِرُ مِنْهُ
جُلُودُ الَّذِينَ يَحْسُونَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى
ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِّ
اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٢﴾ أَمِنْ يَفْقِي بَوَّجْهِمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٣﴾ كَذَّبَ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْتَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٤﴾ فَأَذَانُهُمْ
اللَّهُ الْخَرَجِي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا
يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ صَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ أَنَا عَرَبِيٌّ عَجِيزٌ عَلَّمَهُمْ بَيِّنَاتٍ
﴿٢٧﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لرجُلَيْنِ فَسُوقَهُمَا شُرَكَاءَ مَا تَسْكُبُونَ
وَرَجُلًا سُلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّكَ مِثٌّ وَإِنَّهُمْ مِثَّتُونَ
﴿٢٩﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ كَحُجْمُونَ ﴿٣٠﴾

٢٢- هل فقدتم التمييز والبصيرة، فجعلتم من فتح الله قلبه للإسلام، فهو على هدى من ربه، كمن قسا قلبه وضاق صدره، فلا يدخله الإيمان، لسوء اختياره؟ أي لا يستويان، فهلاك وعذاب للمعرضة قلوبهم عن قبول القرآن، أولئك أي قساة القلوب في متاعة ويُعد واضح عن الحق. ﴿وَأَمِنْ﴾ استفهام إنكاري مفيد للثني، ومقابل الاستفهام مقدر في الكلام مفهوم من السياق، الآتي بعده.

٢٣- الله نزل القرآن، وسماه حديثاً؛ لأن النبي ﷺ كان يحدث به قومه، ويخبرهم بما أنزل الله عليه، كتاباً يشبه بعضه بعضاً في الحسن والإحكام، والنظم والمعنى والإيقان والإرشاد إلى كل نافع، مردد ومكرر فيه القصص والمواعظ والأحكام، وتكرر تلاوته وقراءته من غير ملل ولا سأم، ترتعد خوفاً قلوب الذين يخافون الله عند ذكر وعيده، ثم تلين جلود هؤلاء الخائفين وقلوبهم عند ذكر آيات رحمة الله، ذلك الكتاب هداية الله يهدي به من يشاء هدايته، ومن يخذله الله عن الإيمان بهذا القرآن، فما له من مرشد، ولا موثق لسلك طريق الحق. قال سعد بن أبي وقاص: نزل على النبي ﷺ القرآن، فتلاه عليهم زمناً، فقالوا: يا رسول الله، لو حدثتنا؟ فنزل: ﴿الله نزل أحسن الحديث﴾.

٢٤- هل من يجعل وجهه الذي هو أشرف أعضائه

وقاية له من العذاب السيء حينما يلتقي في النار مغلولة يده إلى عنقه، كمن هو آمن من كل مكروه، سالم من كل سوء؛ لدخوله الجنة، وقيل للظالمين أنفسهم وهم الكفار والمشركون في مكة وغيرها؛ ذوقوا جزاء ما كسبتم وعلمتم في دنياكم من الكفر والعصيان.

٢٥- كذب الرسل في إتيان العذاب الذين كانوا قبل أهل مكة، فاتاهم العذاب من الجهة التي لا تخاطر ببالهم.

٢٦- فأذاقهم الله الذل والهوان في الحياة الدنيا كالقتل والسيب والحسف والمسخ وغير ذلك، ولعذاب الآخرة أشد وأعظم لدوامه، لو كان هؤلاء المكذبون يعلمون عذاب الآخرة ما كذبوا.

٢٧- ولقد صرَبنا وجعلنا أمثالا وأخباراً من الأم السابقة، ونوعنا أسباباً على وجوه شتى للعظة في هذا القرآن ليتعظوا.

٢٨- قرأتنا بلسان عربي فصيح، مستقيماً لا تناقض فيه، ولا اختلاف، ليقوا الكفر والمعاصي.

٢٩- ضرب الله مثلاً للمشرك والموحد. وضرب المثل: تشبيه حال غريبة بحال أخرى مثلاً- رجلاً عبداً مملوكاً يملكه عدد من الشركاء التنازعين دائماً المختلفين فيما بينهم لسوء أخلاقهم وطباعهم، كل واحد يريد استخدامه لمنفعته ومصالحته، ورجلاً عبداً مملوكاً ملكية خاصة لرجل، لا شريك له فيه، هل يتساوى هذان العبدان، الذي يخدم جماعة شركاء، والذي يخدم واحداً لا يتنازع فيه أحد؟ إن هناك تفاوتاً واضحاً بينهما، الأول الذي يختار في خدمة أسياده مثل للمشرك، والثاني الذي يستقل بخدمة سيد واحد مثل للموحد، لا يستويان مثلاً، الحمد لله وحده الذي لا يشاركه فيه سواه، بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون الحق، يشركون بالله غيره، لفرط جهلهم.

٣٠- إنك أيها النبي ميت، وإنهم سيموتون، فالكل سواء في الموت، نزلت لما استبطوا موته ﷺ.

٣١- ثم إنكم يوم القيامة تحتكمون للقضاء وتتخاصمون فيما بينكم من المظالم وأمر الدنيا والدين، ويفصل الله بينكم.



فَنَظُمَ مَنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ
 إِذْ جَاءَهُ: أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِي
 جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ: أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ
 مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْحَسْبِيِّينَ ﴿٣٤﴾ لِيَكْفُرَ
 اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ
 الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ
 بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَالَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾
 وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَالَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَرِيمٍ ذِي نِقَامٍ
 ﴿٣٧﴾ وَلَيْسَ سَأَلُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ
 أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ
 أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِي فَلْيُحْسِبِ
 اللَّهُ عَلَيْهِ يَوْمَئِذٍ الْغَافِلِينَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَقُولُوا عَمَلُوا
 عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَنْ
 يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾

٣٢- لا أحد أكثر ظلماً من كذب على الله،
 فزعم أن له شريكاً أو ولداً أو صاحبة، وكذب
 بالصدق وهو القرآن الذي جاء به محمد ﷺ لما
 سمع به، أليس في جهنم مأوى أو مكان إقامة
 للكافرين؟! بلى، إنها مكان احتوائهم.

٣٣- والذي جاء بالقرآن وهو الرسول ﷺ،
 وصدق به وهم المؤمنون، أولئك هم المتقون
 الشرك والعذاب.

٣٤- لهم ما يريدون عند ربهم في الجنة من نعيم
 ودرجات رفيعة، ذلك جزاء الذين أحسنوا في
 أعمالهم الدنيوية.

٣٥- ليستر ويغفر لهم سيئ أعمالهم وذنوبهم،
 ويجزئهم ثوابهم على الطاعات ويحسن عملهم
 الذي عملوه في الدنيا، فضلاً منه سبحانه،
 لإيمانهم وإخلاصهم.

٣٦- أليس الله بحافظ عبده النبي ﷺ من وعيد
 المشركين وكيدهم؟ بلى، ويخوفك المشركون أيها
 النبي بالأصنام والأوثان أن تصيبك بسوء، فلا
 تخف، فإن الله يحميك مما يضرك، وليس عند
 آلهتهم نفع ولا ضرر، ومن يتركه في الضلال،
 لسوء اختياره، فليس له من هاد يرشده إلى الخير. نزلت آية ﴿ويخوفونك﴾ حينما قال المشركون
 للنبي ﷺ: لتكفرن عن شتم آلهتنا أو لنامرتها فلتخيلنك. وهمزة ﴿أليس﴾ للاستفهام الإنكاري المقيد
 للنفي، وبما أن ﴿ليس﴾ تفيد النفي أيضاً، فنفي النفي إثبات، والمعنى: الله يكفي عبده.

٣٧- ومن يوفقه الله للهداية والإيمان والعمل الصالح، فليس له من مضل يوقعه في الضلال، أليس الله
 يغالب كل شيء، ذي انتقام ينتقم من أعدائه وعصاته؟!

٣٨- ولئن سألت أيها النبي المشركين: من الذي أبداع وأوجد السموات والأرض؟ ليقولن: الله خلقهما،
 قل لهم بعد إقرارهم: أخبروني عما تعبّدون من غير الله وهي الأصنام، إن أردني الله بشدة وبلاء هل
 يكشفته؟ أو أردني الله بنعمة ورخاء ونفع هل يمسخه عني؟ لا، قل: الله كافي في تحقيق النفع ودفع الضرر،
 عليه لا على غيره يعتمد المعتمدون، وثيق الواثقون، لعلمهم بأن الكل منه تعالى. قال مقاتل: سألهم النبي
 ﷺ، فسكتوا، فنزل ذلك.

٣٩- قل أيها النبي: يا قوم اعملوا على طريقتكم أو حالتمكم التي أنتم عليها، إني عامل على طريقتي
 وحالتي التي أنا عليها، فسوف تعلمون سوء مصيركم، وخير عاقبتني.

٤٠- سوف تعلمون من الذي يأتيه عذاب يهينه ويذله في الدنيا، وينزل عليه عذاب دائم في الآخرة، وهو
 عذاب النار.

إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَلِنَافْسِهِ وَلَقَدْ نَزَّلْنَا يُضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِرُكْبِلٍ ﴿٤١﴾
 اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ كُتِبَ فِيهَا مِنْ مَقَامٍ آتٍ فَتُحْمَلُ إِلَىٰ قِيَمَتِهَا فِي يَوْمِ تُبْعَثُونَ ﴿٤٢﴾
 وَإِن فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَتَذَكَّرْ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ شَفَعَاءُ لِقَوْمٍ كَانُوا لَا يَعْلَمُونَ سَيِّئًا وَلَا يَعْلَمُونَ
 قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْتَدَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
 عَلِيمَ الْغُيُوبِ وَالشَّهَادَةُ أَنَّتُمْ حَكَمٌ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٤٧﴾
 وَبَدَأَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٨﴾ وَبَدَأَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٩﴾

٤١- إنا أنزلنا عليك القرآن لأجل الناس وبيان ما كُتفوا به، ليحقق مصالحتهم الدنيوية والأخروية، أنزلناه مقترناً بالحق، ملازماً له، فمن اهتدى به، فاهتداه لنفسه، ومن ضل أو انحرف عنه، فإن وبال ضلاله على نفسه، وما أنت أيها النبي على الناس بموكل عليهم، لتجبرهم على الهدى.

٤٢- الله يقبض الأرواح عند انتهاء أجلها، ويتوفى الأنفس التي لم تمت حين تمام، فيمسك الروح التي قضى على صاحبها الموت، فلا يردها إلى جسدها، وتنتقل إما إلى نعيم أو إلى شقاء، ويرسل روح النفس الأخرى وهي النائمة إلى بدن صاحبها، بأن يعيد لها إحساسها- والنفس والروح شيء واحد في رأي جماعة، وشيخان مختلفان في رأي آخرين، والمراد من التوفي في النوم إبعاد الروح عن البدن ظاهراً فقط، فيمتنع التصرف الاختياري فقط- وإعادة الإحساس بعد اليقظة مرهون بوقت معين هو العمر المحدد والموت المحقق، إن في ذلك المذكور من التوفي والإمسك والإرسال لدلالات على كمال قدرة الله وحكمته، لقوم يتفكرون في الحياة والموت.

٤٣- بل هل اتخذ المشركون من غير الله آلهة شفعا تشفع لهم عند الله؟ قل أيها النبي: أنتخذونهم شفعا وسطاء، ولو كانوا لا يملكون شفاعا ولا غيرها، ولا يعقلون شيئا من الأشياء، ومن ذلك أنكم تعبدونهم؟ و﴿أم﴾ لها معنى حرفين: همزة الاستفهام الإنكاري المقصود به هنا التوبيخ، و(بل) للانتقال من كلام إلى آخر، كما تقدم قريبا.

٤٤- قل أيها النبي: لله الشفاعا جميعاً، ليس لأحد منها شيء إلا برضا الله للشافع والإذن للشفوع له، له ملك السموات والأرض، أي مالك الملك والتصرف كله، لا يتكلم أحد إلا بإذنه ورضاه، ثم إلى الله تصيرون، فيكون له الملك أيضاً حيثنذ.

٤٥- وإذا ذكر الله وحده دون آلهتهم، نفرت وانقبضت قلوب الذين لا يصدقون بالآخرة، وإذا ذكر الذين من دون الله وهم الأصنام، إذا هم يظهرون البشر والسرور. و﴿إذا﴾ تدل على سرعة حصول ما بعدها. قال مجاهد: نزلت في قراءة النبي ﷺ النجم عند الكعبة وفرحهم عند ذكره الآلهة، أي قوله تعالى: ﴿أفرأيتم اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى﴾ [النجم ١٩/٥٣-٢٠].

٤٦- قل أيها النبي؛ يا الله أنت مبدع السموات والأرض، عالم ما غاب وما شوهد، أنت وحلك تحكم بين عبادك فيما اختلفوا فيه من أمر الدين، فظهر الحق من المبتل، اهدني لما اختلفوا فيه من الحق.

٤٧- ولو أن للذين ظلموا أنفسهم بالكفر والعصيان جميع ما في الدنيا من الأموال والأمتعة، وضعفه زيادة عليه، لجعلوه فدية لهم من سوء العذاب الذي يلاقونه يوم القيامة، وظهر لهم حيثنذ من أنواع العقاب ما لم يكونوا يتوقعون.

٤٨- وظهر لهم سيئات ما عملوا باختيارهم، وأحاط بهم من العذاب جزاء ما استهزؤوا به في دار الدنيا.



فَأَنسَلْ إِلَى الْوَسْطِ صَبْرًا ثُمَّ إِذَا حَرَسْتَهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلَىٰ فَتَنَةٌ وَلَكِن لَّئِن كَرِهْتَ لَتَتَّبِعُنَّ ۖ فَذَلِكُمُ اللَّهُ يَهْتَكُمُ الْيَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَٰكِن يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَجْمَعِينَ وَيُخَوِّدَ لَكُمْ أَسْمَاءَ ۚ فَاتَّبِعُوا حَقِّيذِينَ ۚ ﴿٥٠﴾

فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هَٰؤُلَاءِ سَيَّئِبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِعَاجِزِينَ ۖ ﴿٥١﴾ أَوْ لَوْ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِسَطْرِ الرَّزْقِ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِن فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۖ ﴿٥٢﴾ فَلْيَعْبَادُوا الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۖ ﴿٥٣﴾ وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ۖ ﴿٥٤﴾ وَأَنْبِئُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۖ ﴿٥٥﴾ أَلَمْ تَقُولْ أَنفُسِي أَحْسَرْتُ عَلَىٰ مَا قُرِطُ فِي حَبِّ اللَّهِ وَإِن كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ۖ ﴿٥٦﴾ أَوْ قَوْلَ لَوْلَىٰ اللَّهُ هَدَيْتَنِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُنْفِقِينَ ۖ ﴿٥٧﴾ أَوْ قَوْلَ حِينَ رَأَىٰ الْعَذَابَ لَوْلَىٰ لِي كَرَةٌ فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ۖ ﴿٥٨﴾

٤٩- فإذا أصاب الإنسان ضر من شدة وبلاء، كمرض أو فقر أو غيرهما، استغاث بنا لكشف الضر عنه، ثم إذا أعطيناه نعمة منا، بأن فرجنا كربه، قال: إنما أعطيتني على خبرة ومعرفة وذكاء مني بوجوه كسبه، بل (للاتنقال عما بعد الكلام السابق) النعمة اختبار وامتحان، أيشكر أم يكفر؟ ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الإمداد بالنعيم مع المُقام على المعصية استدراج لهم من الله، واختبار.

٥٠- قد قال هذه المقالة الذين من قبل كفار قریش، كقارون وغيره، فما أفادهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا الزائل.

٥١- فأصابهم جزاء سيئات فعلهم أو كسبهم، والذين ظلموا أنفسهم من كفار قومك، سيصيبهم جزاء أعمالهم، كالقحط والقتل والأسر، وليسوا هم بفاتنين أو مفلتين من عذاب الله، ولن يوقعوا الله في العجز، بل مرجعهم حتماً إلى الله تعالى.

٥٢- أو لم يعلم المشركون أن الله يوسع الرزق لمن يشاء من خلقه، ويضيق الرزق على من يشاء من عباده، إن في ذلك البسط والتضييق لدلالات وعلامات لقوم يؤمنون بالله ورسوله، ويأن الرزق

بهد الله تعالى، وجميع الحوادث من الله تعالى.

٥٣- قل أيها النبي: يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم بالإفراط في المعاصي والإكثار منها، لا تياسوا من مغفرة الله تعالى ما دام باب التوبة مفتوحاً، إن الله يغفر الذنوب جميعاً عفواً منه إلا الشرك الذي لم يتب منه صاحبه، إنه سبحانه الكثير المغفرة، الواسع الرحمة. قال ابن عباس: إن ناساً من أهل الشرك قتلوا فآكثروا، وزنوا فآكثروا، ثم أتوا محمداً ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن، أو تخبرنا أن لنا توبة، فنزلت هذه الآية.

٥٤- وارجعوا إلى ربكم بفعل الطاعات وترك المعاصي، وأخلصوا العمل له، من قبل أن يأتيكم العذاب، ثم لا تجلدون ناصراً ينصركم ويتخذكم من ذلك العذاب.

٥٥- وافعلوا ما أمركم الله به، وانتهوا عما نهاكم عنه، وهو ما جاء في القرآن الذي هو أحسن المنزّل إليكم من ربكم، من قبل أن يأتيكم العذاب فجأة، وأنتم غافلون عنه.

٥٦- ارجعوا خوف أن تقول نفس: يا حسرتي وندامتني على ما قصرت في جانب الله، أي طاعته وعبادته، وإني كنت لمن المستهزئين بدين الله في الدنيا. و﴿على﴾ يفيد أن ما بعدها علة وسبب لما قبلها.

٥٧- أو تقول نفس: لو أن الله وفقني وأرشدني إلى دينه، لكنت ممن يتقى الشرك والمعاصي.

٥٨- أو تقول نفس حين تشاهد العذاب: لو أن لي رجعة إلى الدنيا، فأكون من الذين أحسنوا القول والعمل، والإيمان والتكاليف.

عَلَىٰ قَدْحَاتِكَ أَيُّ وَكَذَّبَتْ بِهَا وَاسْتَكْبَرَتْ وَكُنْتِ
 مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ نَرَىٰ الَّذِينَ كَذَبُوا
 عَلَىٰ اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَةٌ لِّسَانِهِمْ فِي سَعْمٍ مِّثْوَىٰ
 لِّلْمُكٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيَحْنُ اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَا آزَنَهُمْ
 لَا يَسْمَعُونَ السُّوءَ وَلَا هُمْ يُحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ
 شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِدُ السَّمٰوٰتِ
 وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيٰتِ اللَّهِ أَؤَلِيكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ
 ﴿٦٣﴾ قُلْ تَغَيَّرَ اللَّهُ أَمْرًا وَمُرْسِيًّا عٰبِدُوْهُمُ الْغٰيِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ
 أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ
 عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعِبٌ وَكُنْ
 مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ
 جَمِيْعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَالسَّمٰوٰتُ مَطْوِيٰتٌ
 بِيَمِيْنِهِ سُبْحٰنَهُ وَعَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنَحْنُ فِي
 الصُّوْرِ لَمُصْبِحِينَ مِنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ الْآمِنِ
 شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَحْنُ فِيهِ آخِرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَّظُنُّونَ ﴿٦٨﴾

٥٩- بلى قد جاءتك آياتي القرآنية، فأنكرت كونها من الله، وتكبرت عن الإيمان بها، وكنت من الكافرين بالله ورسوله. و﴿بلى﴾ حرف يدل على رد الكلام السابق وهو زعمهم أن الله لم يهدمهم ولم يرشدهم.

٦٠- ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله بادهاء الشريك أو الصاحبة أو الولد، وجوههم مسودة لغضب الله وسخطه، ليس في جهنم مأوى للمتكبرين على الله، المستمعين عن طاعته وتوحيده؟ و﴿اليس﴾ أي إن في جهنم مثوى أو مكان.

٦١- وينجي الله من عذاب جهنم الذين اتقوا ربهم، فآدوا الواجبات، وتركوا الشرك والمعاصي، بفوزهم أو جعلهم في الجنة، لا يصيبهم مكروه، ولا هم يحزنون على ما فاتهم في الدنيا.

٦٢- الله وحده خالق كل شيء موجود في الدنيا والآخرة، وهو قائم بحفظ كل شيء ورعايته.

٦٣- له مفاتيح خزائن السموات والأرض من المطر والنبات والرزق، والذين كفروا بآيات الله في القرآن ودلائل قدرة الله، أولئك هم الخاسرون أنفسهم، بالزج بهم في عذاب النار.

٦٤- قل أيها النبي للمشركين: أغير الله تأمروني أن أعبد بعد هذه الأدلة القاطعة على وحدانية الله، أيها الجاهلون بوحدانية الله؟ قال المشركون للنبي ﷺ:

أتضلل آباءك وأجدادك يا محمد؟ فأنزل الله هذه الآية. وكانوا أيضاً طلبوا من النبي أن يزور آلهتهم، فيتبعونه ويؤمنون به بعدئذ.

٦٥- ولقد أوحى إليك أيها الرسول وإلى الرسل من قبلك: لئن أشركت بالله أحداً غيره. على سبيل الفرض والتهيج وإقنات الكفار. ليبتلن عملك السابق ويذهب هياك مثوراً، ولتكونن في الآخرة من الخاسرين خسارة كبرى. وغير الأنبياء في ذلك أولى.

٦٦- بل اعبد الله وحده، وإياك من عبادة غيره. وهذا رد لما أمروه به. وكن من الشاكرين نعمه عليك. و﴿بل﴾ تفيد رفض ما حاولوه.

٦٧- وما عظم المشركون الله حق تعظيمه، حين جعلوا له شريكاً ووصفوه بما لا يليق به، والأراضي كلها في قبضته وملكه وتصرفه، والسموات مجموعات بقدرته، تنزه الله وتقدس، وتعظم عما يشركون معه من الولد أو الشريك أو الصاحبة. قال ابن مسعود: أتى النبي ﷺ رجل من أهل الكتاب، فقال: يا أبا القاسم، بلغك أن الله يحمل الخلائق على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والثرى على إصبع؟ فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، فأنزل الله تعالى هذه الآية، والمعنى: أن الله يقدر على حمل السموات والأرض كقدرة أحدنا ما يحمله بأصبعه.

٦٨- ونُفخ في البوق النفخة الأولى، فمات كل من في السموات ومن في الأرض، إلا من شاء الله إيقاءه حياً، قيل: هم جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فإنهم يموتون بعد، والأصح أنه لا دليل على تعيينهم، ثم نفخ في البوق النفخة الثانية للبعث من القبور، فإذا جميع الخلائق الموتى قاثمون على أرجلهم من قبورهم، ينتظرون ما يفعل بهم.

٦٩- وأضاعت الأرض: أرض المحشر بعد النفخة الثانية بنور ربها حين يتجلى تعالى لحساب الخلائق وفصل القضاء بينهم، ووضع كتاب الأعمال، وحيى بالأنبياء والشهداء إلى الموقف، فيشهدون على من بلغوه من الأمم، فكذب بالحق، والشهداء: هم الشهود من الملائكة والمؤمنين والذين استشهدوا في سبيل الله، ومنهم المؤمنون من أمة النبي ﷺ وقضي بين المخلوق بالعدل والحق، وهم لا يظلمون شيئا من أعمالهم، فلا ينقص ثوابهم، ولا يزداد عقابهم.

٧٠- ووصلت كل نفس إلى حقها، وما قامت به من عمل الخير والشر، والله أعلم بما يفعلون في الدنيا من طاعة ومعصية، دون حاجة إلى كاتب وشاهد وحاسب.

٧١- وسبق الكفار بعنف وإهانة إلى النار جماعات أو أفواجا متفرقة مرتبة، بعضها إثر بعض بحسب ترتيب درجات كفرهم وجرائمهم، حتى إذا وصلوا إليها، فتحت أبوابها ليدخلوها، وهي سبعة أبواب، وقال لهم خزنتها الملائكة الزبانية تقريبا وتويخا: ألم يأتيكم رسل من أنفسكم، يتلون عليكم آيات ربكم التي أنزلها عليكم، ويخوفونكم أو يحذرونكم لقاء هذا اليوم الرهيب، قالوا: بلى (نعم) جاؤوا، أي أتانا الرسل، ولكن وجبت كلمة العذاب على الكافرين، وهي قوله سبحانه: ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ [السجدة ١٣/٣٢].

٧٢- قيل لهم: ادخلوا أبواب جهنم التي فتحت لكم، ما كثر فيها على الدوام، فبئس المأوى أو المكان الدائم جهنم.

٧٣- وسبق المتقون عذاب ربهم بسرعة ولطف إلى دار الكرامة لإدخال السرور عليهم، جماعات بحسب درجاتهم في الإيمان وأعمال الطاعة، حتى إذا وصلوها وفتحت أبوابها تشريفاً وتكريماً لاستقبالهم الحافل، وقال لهم خزنتها الملائكة الكرام: سلامة لكم من كل آفة ومكروه، طابت حالكم وحسنت بسبب طهركم من دنس المعاصي، فادخلوا الجنة، خالدين فيها إلى الأبد.

٧٤- وقال هؤلاء المتقون: الشكر لله والثناء الجميل على الله الذي أنجز لنا وعده بالبعث والثواب والجنة، وأورثنا أرض الجنة، ننزل فيها حيث نشاء، في أي مقام أردنا، فنعلم أجر العاملين: الجنة.

٧٥- وترى أيها التقى السعيد الملائكة في الجنة محيطين بالعرش، محققين به من كل جانب، يمجدون ربهم ويقدمونه شاكرين، قائلين: سبحان الله وبحمده، وقضي بين العباد بالحق والعدل، فأهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، وقال المؤمنون المقضي بينهم: الحمد لله رب العوالم أو الخلائق أجمعين على فضله وإحسانه.

وَأَسْرَفَتِ الْأَرْضُ بُيُوتَ رَبِّهَا وَأَوْضَعَ الْحِجَابَ بِاللَّيْلِ
وَالشَّهَادَةَ وَقَضَىٰ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَمَنْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾
وَوَقَّيْتُ كُلِّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ
الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ فَتَحَتْ
أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَيْسَ لَكُم رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ
آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِن
حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا
أَبْوَابَ جَهَنَّمَ ظَالِمِينَ فَمِن مَّيْمَنٍ مِّنْهُنَّ الْمُكَرَّمِينَ ﴿٧٢﴾
وَسِيقَ الَّذِينَ آمَنُوا رَبُّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ
وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ
سَلَامًا فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
صَدَقَنَا وَعَدَّهُ وَأَوْثَقَ الْأَرْضَ نَبِؤَاتِهِ مِنَ الْجَنَّةِ
حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ
حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ
بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

سورة غافر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 حَمْدٌ ﴿١﴾ نَزِيلَ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾
 غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ
 لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصْدُورِ ﴿٣﴾ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ
 إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَفْزُكُ تَقَالِبُهُمْ فِي الْبَلَدِ ﴿٤﴾
 كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْرَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ
 وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَيَجْعَلُوا بِالْبَاطِلِ
 لِيُدْجُوا بِهِ أَلْفًا فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ
 ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ لِكُلِّ ذِي نَفْسٍ حَقٌّ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا
 أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ
 حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ
 لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا
 فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾

وتسمى أيضاً سورة المؤمن، لذكرها قصة مؤمن آل فرعون. ونزلت الحواميم عقب الزمر، قال ابن مسعود: آل حم ديباج القرآن.

١- ﴿حم﴾: البدء بالحروف المقطعة في بعض السور للتنبيه لما يأتي بعدها، ولتحدي العرب بمعارضة القرآن.

٢- هذا القرآن تنزيل صادق غير مكذوب من الله القوي القاهر الذي لا يُغلب، الواسع العلم بأحوال خلقه.

٣- غافر الذنب للمؤمنين التائبين، قابل التوبة فضلاً منه ورحمة، شديد العقاب للكافرين، صاحب الفضل والإنعام على عباده، لا إله يستحق العبادة إلا هو، إليه المرجع للحساب والجزاء.

٤- ما يجادل في آيات القرآن لدفعها وتكذيبها إلا الكفار والمشركون، فلا تغتر بامهالهم، وتقلبهم في البلاد بالتجارة الرباحة، وجمع الأموال، ومظاهر الحياة الكريمة، فإن عقابهم أت عما قريب. قال أبو مالك: نزلت في الحارث بن قيس السهمي.

٥- كذب بالرسول قبل قومك قريش قوم نوح، والجماعات الذين تحزبوا على الرسل من بعدهم كعاد وشمود وغيرهما، وعزمت كل أمة من هؤلاء على إيذاء رسولهم والتمكن منه بالحبس والأسر والتعذيب والقتل، وجادلوا رسلهم بالباطل (ما لا حقيقة له) من القول، ليزيلوا به الحق ويظلموا الإيمان، فأخذتهم بالعذاب والهلاك، فكيف كان عقابي لهم!؟

٦- وكما وجبت كلمة ربك، أي حكمه بالهلاك ووعيده بالنار على كفار الأمم السابقة، وجبت أيضاً على كفار قومك لكفرهم، وتلك الكلمة: أنهم مستحقو النار.

٧- الذين يحملون العرش (وهو حقيقة الله أعلم به) وهم أعلى فئات الملائكة وأولهم وجوداً، يتزهون الله حامدين له نعمه، قائلين: سبحان الله وبحمده، ويؤمنون بالله وحده لا شريك له، ويطلبون المغفرة للمؤمنين بالله، يقولون: ربنا وسعت رحمتك كل شيء، ووسع علمك كل شيء، فاغفر للذين تابوا من الشرك والذنوب، واتبعوا سبيلك دين الإسلام، واحفظهم وأبعدهم من عذاب نار الجحيم.

٧- الذين يحملون العرش (وهو حقيقة الله أعلم به) وهم أعلى فئات الملائكة وأولهم وجوداً، يتزهون الله حامدين له نعمه، قائلين: سبحان الله وبحمده، ويؤمنون بالله وحده لا شريك له، ويطلبون المغفرة للمؤمنين بالله، يقولون: ربنا وسعت رحمتك كل شيء، ووسع علمك كل شيء، فاغفر للذين تابوا من الشرك والذنوب، واتبعوا سبيلك دين الإسلام، واحفظهم وأبعدهم من عذاب نار الجحيم.

٨- ربنا وأدخلهم جنات إقامة دائمة التي وعدتهم إياها عن طريق رسلك، ومعهم أدخل كل من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم، بأن كان مؤمناً موحداً، قد عمل الأعمال الصالحة التي أمروا بها، إنك أنت القوي القاهر الذي لا يغلب، الحكيم في صنعه وتدييره، تضع الشيء في موضعه المناسب.

٩- واصرف عنهم عقوبات الدنيا والآخرة، وهو من قبيل ذكر العام بعد الخاص الذي هو «عذاب الجحيم» [٧] بأن تغفر لهم ولا تؤاخذهم بشيء منها، ومن تق السيئات، أي تصرف عنه جزاء السيئات، يوم القيامة، فقد رحمته ونجته من عذابك، وذلك هو الفوز العظيم الذي لا شيء أعظم منه، وهو رضوان الله والجنة.

١٠- إن الكفار يُنادون من قبل الملائكة يوم القيامة: لبغض الله تعالى إياكم وكرهيته لكم في الدنيا أكبر من كراهيتكم أنفسكم اليوم إذ عايتم النار، وحين دعيتم إلى الإيمان بالله في الدنيا، فكفرتم.

١١- قال الكفار: ربنا أمتنا إمامتين: بأن خلقتنا أمواتاً أولاً من تراب لا حياة فيه، وحين كنا في

رَبَّنَا وَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتٍ وَعْدْنَاهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ
آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفِيرُ
الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَفِيهِ السَّيِّئَاتُ وَمَنْ تَقَى السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ
قَدْ رَجَحَتْ ﴿٩﴾ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠﴾ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا
يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ
إِلَى الْإِيمَانِ فَكَفَرُوا ﴿١١﴾ فَالْوَالِيَةُ أُمَّتُنَا وَأَحْيَيْنَا
أَنْفُسَ الَّذِينَ قَاتَلْنَا بَدُونَنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١٢﴾
ذَلِكُمْ بِاللَّهِ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ
دُيِّرْتُمْ بِهِ تَوَلَّيْتُمْ فَأَلْحَمْنَا اللَّهُ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٣﴾
هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا
يَبْذُرُ الْإِيمَانَ فِي تَبْتِيبٍ ﴿١٤﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ
لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٥﴾ رَفِيعُ
الَّذِي ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٦﴾ يَوْمَ هُمْ بَدُودًا يُنْحَى
عَلَى اللَّهِ مِنْهُمُ مَنٌ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ لِيَوْمَ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٧﴾

أصلاب الآباء، ثم صيرتنا أمواتاً عند انقضاء آجالنا، وأحييتنا إحياءين: الحياة الأولى في الدنيا، والحياة الثانية عند البعث، فاعترفنا الآن بذنوبنا التي ارتكبتها، من الشرك وتكذيب الرسل وترك التوحيد، ولكنه اعتراف في وقت لا ينفعهم الاعتراف فيه، فهل إلى خروج من جهنم، أي نوع من الخروج ولو بطيئاً، من طريق تيسره لنا؟

١٢- ذلكم العذاب الذي أنتم فيه، بسبب أنه إذا دُعي وعُبد الله في الدنيا وحده دون غيره، كفرتم بالتوحيد، وإن يجعل له شريك في العبادة، تُصدّقوا بالإشراك به، فالقضاء المبرم في شأنكم اليوم لله وحده لا شريك له، المتعالي عن الشرك ومماثلته في ذاته وصفاته، الذي كبر على كل شيء من المخلوقات.

١٣- هو الله الذي يريكم دلائل قدرته وتوحيده، وينزل لكم من السحاب مطراً، يكون سبب الرزق، فجمع تعالى بين قوام الأرواح وقوام الأبدان، وما يتعظ بتلك الآيات الباهرة إلا من يرجع عن الشرك والعناد، إلى طاعة الله والتفكير في هذه الآيات.

١٤- فاعبدوا الله مخلصين له العبادة من الشرك، ولو كره الكافرون ذلك، وشق عليهم.

١٥- الله رفيع الصفات، المنزّه عن مشابهة المخلوقات، صاحب العرش ومالكة وخالقه، والمتصرف فيه، يلقي الوحي على من يشاء من عباده، وسمي الوحي روحاً؛ لأنه كالروح للجسد، يلقيه من قوله، ليحترق ويخوف من يوم تلاقي الخلق مع الخالق، للحساب والجزاء.

١٦- يوم هم ظاهرون خارجون من قبورهم، لا يخفى على الله منهم شيء من أعمالهم في الدنيا، ويقول الله حينئذ: لمن الملك المطلق يوم القيامة؟ فلا يجيبه أحد، فيجيب الله سبحانه نفسه قائلاً: لله الواحد الأحد، القهار الخلقه.

١٧- اليوم تجزي كل نفس بما كسبت لا ظلم لأهل الأيوان الله
 سريع الحساب ﴿١٧﴾ وأذرتهم يوم الآزفة إذا القلوب لدى
 الحناجر كظلمين ما الظالمين من حميم ولا شفيع يطاع
 ﴿١٨﴾ يعلم حابية الأعين وما شئ الصدور ﴿١٩﴾ والله
 يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقصون بئس
 أن الله هو السميع البصير ﴿٢٠﴾ أولئك يسرون في الأرض
 فينظرون وكيف كان عقبة الذين كانوا من قبلهم
 كانوا أشد منه قوة وإن آثارا في الأرض فأخذهم الله
 بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ﴿٢١﴾ ذلك
 بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم
 الله إنه قوي شديد العقاب ﴿٢٢﴾ ولقد أرسلنا
 موسى بآياتنا وسلطان مبين ﴿٢٣﴾ إلى فرعون وهامان وقارون
 فقالوا اطرحوا عننا آياتك ﴿٢٤﴾ فلما جاءهم بالحق من عندنا
 قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معكم واستحبوا
 نساءهم وما كذب الكافرين إلا في ضلال ﴿٢٥﴾

أو شر، لا ظلم لأحد اليوم بنقص ثواب أو زيادة
 عقاب، إن الله يحاسب جميع الناس سريعا، في
 مقدار نصف يوم من أيام الدنيا، لأن علمه محيط
 بكل شيء.

١٨- وخوفهم وحذرهم أيها النبي يوم القيامة،
 وسمي بالأزفة لقربه، حين تصير القلوب خوفاً
 عند الحناجر، أي الخلق، كناية عن شدة الخوف
 والضيق، ممتلئة قلوبهم غمًا وكرهاً، ما للكافرين
 من قريب أو صديق ينفعهم، ولا شافع يطاع في
 شفاعته لهم.

١٩- يعلم الله تعالى خيانة الأعين: وهي
 استراق النظر إلى ما لا يحل النظر إليه، ويعلم ما
 تكتمه الضمائر، وتسره القلوب.

٢٠- والله يقضي بالعدل التام؛ لأنه المالك
 المطلق المطمع على جميع الأمور، والذين يعبدون
 الأصنام والأوثان من دون الله، لا يحكمون
 بشيء؛ لأنهم جمادات لا يعلمون شيئا، ولا
 يقدرين على شيء، إن الله هو السميع لأقوالهم،
 البصير بأفعالهم.

٢١- أو لم ينتقل هؤلاء المشركون في الأرض الواسعة، فينظروا كيف كان مصير الذين سبقوهم من الأمم
 المكذبين رسلهم، كانوا هم أشد منهم قدرة وتمكنا، وأعظم آثارا في الأرض بما بنوا من قصور وحصون، فلم
 تنفعهم شيئا، فعاقبهم الله بذنوبهم، ويسبب كفرهم، وما كان لهم من الله من دافع أو واق يدفع عنهم السوء
 أو العذاب.

٢٢- ذلك العذاب بسبب أنهم كانت تأتيهم رسلهم بالحق الواضحة، والمعجزات الباهرة، الدالة على
 صدقهم، فكفروا بما جاؤوهم به، فأهلكهم الله بذنوبهم، إن الله قادر على كل شيء، لا يعجزه شيء، شديد
 العقاب لمن عصاه.

٢٣- ولقد أرسلنا موسى بآياتنا التسع وهي المعجزات المعروفة: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع،
 والدم، والسنين والجذب، ونقص الثمرات، والطمس على الأموال، والطبع على القلوب، وأرسلناه
 بالحجة الواضحة. وجعل بعضهم اليد والعصا بدل الآيتين الأخيرتين.

٢٤- أرسلناه إلى فرعون حاكم مصر، وهامان: كبير وزراء فرعون، وقارون: الثري من قوم موسى،
 فقالوا عن موسى: إنه ساحر كذاب فيما جاء به.

٢٥- فلما جاءهم بالحق والصدق من عندنا: وهي معجزاته الظاهرة، قال فرعون وقومه: استمروا في قتل
 أبناء المؤمنين معه، واستبقوا إناهم أحياء، كما ذكر في الآية [٤] من القصص [٢٨]. أي إنه لما بعث الله
 موسى، جدد فرعون قتل أبناء بني إسرائيل، وما تديبر فرعون الخفي إلا في ضياع، أي لا يضر رسل الله
 تعالى.



وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ
 أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ
 ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُكْرِهٍ
 لِأَيُّومٍ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ
 فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ
 جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكْذِبْكُمْ فَعَلَيْهِ كَذِبُهُمْ وَإِنْ يَكُ
 صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ
 مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَقَوْمُ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَهَرَ فِي الْأَرْضِ
 فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ
 إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِي
 آمَنَ يَوْمَئِذٍ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾
 مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ
 وَمَا اللَّهُ لِيُضِلَّ عَنِّي ظُلْمًا لَعَلِّي كَادَ ﴿٣١﴾ وَيَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ
 عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُؤَلَّفُونَ مَدِيرِينَ مَا لَكُمْ
 مِنْ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

٢٦- وقال فرعون: اتركوني أقتل موسى بيدي، وليدع ربه لتخليصه مني. وفي هذا غاية الكيد والحقد والتجبر. إني أخاف إن لم أقتله أن يغير ما أنتم عليه من العبادة: عبادتي وعبادة الأصنام، أو أن يفسد أرض مصر بإثارة الفتن والخلافات.

٢٧- وقال موسى: إني استعنت وتحصنت بربي وريكم أيها الناس من شر كل متعظم لا يؤمن بالله ولا بيوم البعث والنشور والحساب، ويدخل في ذلك فرعون وغيره من الجبابرة لتعميم الاستعانة والتعريض الذي هو أبلغ من التصريح.

٢٨- وقال رجل مؤمن من أقارب فرعون، كان ابن عمه وصاحب شرطته كان يخفي إيمانه بالله خوفاً من فرعون: أتقصدون قتل رجل لا ذنب له إلا أن يقول: ربي الله وحده، والحال أنه قد جاءكم بالمعجزات الواضحات الدالة على صدق نبوته، وإن يك كاذباً فعليه إثم أو يبال كذبه وضرره وحده، وإن يك صادقاً في رسالته، يُصيبكم بعض ما يعدكم به من العذاب، إن الله لا يوفق للحق من هو عاص متجاوز للحد، مفتر، والمراد: لو كان

موسى كاذباً لما وُفق للبينات ولا ظهرت على يديه المعجزات.

٢٩- يا قوم انفردتم في هذا العصر بملك مصر، غالين عالين على بني إسرائيل، متحكمين في شعبها، فمن أين لنا من عذاب الله الشديد إن جاءنا بعد قتل موسى؟ قال فرعون مراوفاً موهماً أنه ناصح مؤتمن يقصد جلب النفع ودفع الضرر: ما أشير عليكم إلا بما أشير على نفسي، وهو قتل موسى، وما أدلكم إلا على الطريق الصواب.

٣٠- وقال المؤمن: يا قوم، إني أخاف عليكم في تكذيبه والتعرض لقتله مثل أيام ووقائع الأمم الماضية الذين تمزبوا على أنبيائهم وكذبوهم، أي أن يحل بكم من الهلاك مثلما حل بهم.

٣١- مثل العادة المتبعة في استئصال الكفرة الذين آذوا الرسل وكذبوهم، من قوم نوح، وعاد، وثمود، والذين من بعدهم كقوم لوط، وليس الله بظالم عباده، فلا يعاقبهم بغير ذنب.

٣٢- ويا قوم، إني أخاف عليكم يوم القيامة، حيث ينادي الكفار بعضهم بعضاً للاستغاثة والنجدة من أهوال ذلك اليوم.

٣٣- يوم تهربون مسرعين خوفاً من العذاب، ليس لكم من عذاب الله من مانع يعصمكم منه، ومن يُعبد الله عن الحق لسوء اختياره، فما له من مرشد ينقذه.

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْبَيْتِكُمْ فَأَزَلْتُمْ فِي شَكِّكُمْ
 تَمَّاجَاءَكُمْ بِرَحْمَتِي إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ
 بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ
 مُرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ
 أَنْتَهُمْ كَبُرُ مَقْصَادًا لَّهُ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ
 يَطَّعِ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُكْرِبًا ﴿٣٥﴾ وَقَالَ
 فِرْعَوْنُ يَهْمُنُ ابْنُ لِي صِرَاحًا أَلْعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْمَابَ ﴿٣٦﴾
 أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعُ إِلَى اللَّهِ مُوسِيًا وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَذِبًا
 وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ
 وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ أهداكم سبيل الرشد ﴿٣٨﴾ يَقُولُ
 إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ
 الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُحْزِنُهَا إِلَّا أَنفُسَهَا
 وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ دُونِ أُنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ
 يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْفَعُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

٣٤- ولقد جاءكم أيها المصريون نبي الله يوسف بن يعقوب عليه السلام، من قبل موسى عليه السلام، فما زلتم في شك مما جاءكم به يوسف من الأدلة الدالة على صدقه، ولم تؤمنوا به حقيقة، حتى إذا مات، قلتُم: لن يبعث الله من بعده رسولاً، وفيه تكذيب برسالة يوسف وموسى معاً، مثل إضلالكم يضل الله في العصيان من هو مسرف في المعاصي مستكثر منها، شك في وحدانية الله تعالى ووعدته ووعيده.

٣٥- الذين يجادلون في آيات الله الموحى بها ليطلوها، بغير برهان أو حجة واضحة، كبر أو عظم جدالهم بغضاً، أي ما أكبر ما يمقت الله والمؤمنون، والمقت: أشد البغض؛ لأنه جدال بالباطل وتعنّت ومكابرة، وكما طبع (ختم) الله على قلوب هؤلاء المجادلين، فكذلك يختم الله على قلوب جميع المتكبرين الجبارين عقاباً لهم، ومتى تكبر القلب تكبر صاحبه.

٣٦- وقال فرعون (ملك القبط في مصر): يا

هامان (وزير فرعون) ابن لي قصرأ مشيداً (بناءً عالياً) لعلي أصل إلى الطرق الموصلة إلى المطلوب.

٣٧- الطرق المؤدية إلى السموات، فأنظر إلى إله موسى - وهذا تائر بدين المشبهة الذين يعتقدون أن الله في السماء - وإني لأظن موسى كاذباً في ادعائه بأن له إلهاً غيري، ومثل ذلك التزيين الشيطاني، زين الشيطان لفرعون عمله السيئ، من الشرك والتكذيب، ومنع بهذا عن سلوك طريق الهداية والاستقامة والرشد، وما تدبير فرعون الذي دبره لإبطال رسالة موسى إلا في خسارة وضياح.

٣٨- وقال مؤمن آل فرعون أيضاً: يا قوم، اقتدوا بي واعملوا بنصحي، أهدكم طريق الرشد (ضد الغي والضلال) والفوز والنجاة.

٣٩- يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متعة زائلة، وإن الآخرة هي دار الخلود والبقاء.

٤٠- من عمل في الدنيا معصية، فلا يجزى إلا بقدرها، عدلاً من الله، ومن عمل عملاً صالحاً من ذكر أو أنثى، والحال أنه مؤمن بالله ورسله، فأولئك لا غيرهم يدخلون الجنة، يرزقون فيها رزقاً حسناً وافراً، من غير تقدير ولا تحديد.



٤١- ويا قوم، مالي أدعوكم إلى طريق النجاة وهو الإيمان بالله وحده، كرر ذلك للتأكيد والتصريح بإيمانه، وتدعوني إلى ولوج النار، بالشرك، والمراد: أخبروني كيف أدعوكم لدخول الجنة بالإيمان، وتدعوني إلى دخول النار بالكفر؟!

٤٢- ثم أوضح هذا المؤمن الدعوتين بقوله: تدعوني لأكفر بالله وأشرك به، ما لا وجود له ولا علم لي بكونه شريكاً لله، وأنا أدعوكم إلى الله تعالى القوي القاهر الذي لا يغلب، الغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً.

٤٣- حقاً، أن الذي تدعوني إليه لأعبده، ليس في مقدوره إجابة دعاء من يدعو، في الدنيا والآخرة، وأن مرجعنا بعد الموت إلى لقاء الله، وأن المستكثرين من المعاصي كالإشراك والظنيان وسفك الدماء هم أهل النار.

٤٤- وستتذكرون عند معاينة العذاب ما أقول لكم من النصيحة، وأسلم أمري إلى الله وأتوكل عليه، إن الله مطلع على أحوال العباد وأفعالهم من

﴿ وَيَقَوْمَ مَا لِي ادْعُوكُمْ إِلَى الْغُيُوتِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ٤١ ﴾
 تدعوني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم
 وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار ﴿٤٢﴾ لأجرم أنما تدعوني
 إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وأن مرزناً
 إلى الله وأن المشركين هم أصحاب النار ﴿٤٣﴾
 فتذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري
 إلى الله إن الله بصير بالعباد ﴿٤٤﴾ قوله الله سيئات
 ما مكروا وحاق بك آل فرعون سوء العذاب ﴿٤٥﴾
 النار يرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة
 أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴿٤٦﴾ وإذ يخآخرون في
 النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم
 سباعاً فهل ننتقمون عنا نصيباً من النار ﴿٤٧﴾
 قال الذين استكبروا إنا كنا كل فينا إن الله
 قد حكم بين العباد ﴿٤٨﴾ وقال الذين في النار لخزنة
 جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب ﴿٤٩﴾

طاعة أو عصيان.

٤٥- فحماه الله وحفظه من شدائد مكرهم وشر ما أرادوا به، ونزل أو أحاط بفرعون وقومه العذاب السيئ، بالغرق في الدنيا، والنار في الآخرة.

٤٦- تُعرض أرواحهم على النار في البرزخ (أي بعد موتهم وقبل القيامة) صباحاً ومساءً، لإزعاجهم، وينعكس أثر العذاب على أجسادهم ولو تبددت، ويوم تقوم القيامة يقال للملائكة: أدخلوا آل فرعون في أشد أنواع العذاب في جهنم. والظاهر أن عذاب القبر دائم لهؤلاء.

٤٧- واذكر أيها النبي حين يتخاصم أهل النار فيها، فيقول الضعفاء: الأتباع للقادة الذين تكبروا عن الإيمان، وهم رؤساء الكفر: إنا كنا في الدنيا أتباعاً لكم نأتمر بأمركم، فهل تنفَعوننا دافعين عنا جزءاً من عذاب النار؟ فكلمة «مغنون» متضمن معنى (مدافعين).

٤٨- قال الرؤساء والزعماء الذين تكبروا: إنا وأنتم معاً في جهنم، فكيف نغني عنكم؟ إن الله قضى بالعدل بين العباد، ولا معقب لحكمه، وآل كل فريق إلى مصيره.

٤٩- وقال أهل النار لخزنة جهنم (وهم الملائكة القائمون بتعذيب أهل النار): ادعوا الله ربكم يخفف عنا شيئاً يسيراً من العذاب بمقدار يوم، أي إنهم طلبوا من الملائكة الشفاعة عند الله تعالى.

قَالُوا أَوَلَمْ نَكُ نَأْتِيكُم بِرُسُلِكُمْ بِآيَاتِنَا وَقَالُوا
بَلَىٰ قَالُوا فَأَدْعُوا أَوْلَادَهُمْ الْكَافِرِينَ الْأَفْضَلُ
﴿٥٠﴾ إِنَّا نَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَتُهُمْ
وَهُمْ اللَّغْوَةُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا
مُوسَىٰ الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ
﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾ فَاصْبِرْ
إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَجِدُونَ فِي آيَاتِنَا
اللَّهِ بِعَدْرِ سُلْطَانِ اللَّهِ إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ لَإِكْبَارٌ
مَّا هُمْ بِبَالِيغِيهِ فَاصْبِرْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَثِيرِينَ
خَلَقَ النَّاسَ وَالْجِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾
وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَلَا النُّسُوبُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾

٥٠- قال الخزنة تهكماً: أليست كانت الرسل والأنبياء تأتيكم بالحنج على توحيد الله؟ قالوا: بلى أتونا بها، فكذبناهم، قال خزنة جهنم: فادعوا إذن أنتم، فإننا لا ندعو لمن كفر بالله وكذب رسله، وليس دعاء الكفار إلا في ضياع وخسران، فلا يستجاب.

٥١- إننا لننصر رسلنا والمؤمنين، فنجعلهم متغلبين على أعدائهم، في الدنيا، بالقتل والأسر والسلب، وإظهار الحججة، ويوم القيامة حين تشهد الملائكة للأنبياء والرسل بالبلاغ، وعلى الكفار بالكذب، فيدخل الله أهل الإيمان الجنة، ويدخل الكفار النار.

٥٢- يوم القيامة حيث لا يفيد الكفار اعتذارهم ولا يقبل منهم؛ لأن أعدائهم وأهية باطلة، ولهم الطرد والبعد من رحمة الله، ولهم النار حيث يقيمون فيها.

٥٣- ولقد آتينا موسى ما يهتدى به من الضلالة إلى الحق، من التوراة المشتعلة على الشرائع والمعجزات المثبتة للصدق، وأورثنا بني إسرائيل كتاب التوراة من بعد موسى.

٥٤- هداية وإرشاداً، وتذكرة وموعظة لأصحاب العقول الرشيدة.

٥٥- فاصبر أيها النبي على أذى المشركين، إن وعد الله بالنصر وإعلاء كلمة الله حق ثابت لا يخلقه أبداً، واستغفر لذنبك لزيادة الثواب، وكونك قائد الأمة ليتأسوا بك، ونزهة الله مع حمده وشكره وداوم على ذلك، في المساء والصباح.

٥٦- إن الذين يجادلون في آيات القرآن، بغير حجة وبرهان جاءهم من عند الله، ما في صدورهم إلا تكبر عن اتباع الحق، ما هم بيالغي مرادهم وهو الزعامة والتغلب على النبي، فالتجئ إلى الله من شرهم وكيدهم، إن الله هو السميع لأقوالهم، البصير بأحوالهم وأفعالهم. نزلت في منكري البعث مشركي مكة وغيرهم من الكفار عامة.

٥٧- ثم رد الله على هؤلاء الكفار منكري البعث بأن خلق السموات والأرض في ابتداء الكون أعظم من بعث الناس بعد الموت، ولكن أكثر الناس لا يعلمون بما عليه قدرة الله، ولا يتأملون لغفلتهم واتباع أهوائهم.

٥٨- ولا يستوي الكافر والمؤمن، والجاهل والعالم، والغافل والمتبصر، ولا يستوي المحسن الذي آمن وعمل الصالحات، والسيء المقصر بالكفر والمعاصي، قليلاً ما تتعظون أيها الناس، والمراد أن تذكرهم قليل جداً في حكم المعدم.

٥٩- إن القيامة آتية لا شك في حصولها، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون بذلك، ولا يصدقونه، لضعف تفكيرهم ومحاكماتهم العقلية.

٦٠- وقال ربكم: اعبدوني أنبكم، واسألوني أعطكم، والمراد بالدعاء: السؤال بطلب النفع ودفع الضر، وهو في ذاته عبادة؛ لأن «الدعاء مخ العبادة» كما جاء في الحديث الصحيح، إن الذين يتكبرون عن عبادتي ودعائي سيدخلون جهنم صاغرين أذلاء. وهذا وعيد لكل من تكبر عن عبادة الله ودعائه.

٦١- الله الذي أوجد لكم الليل مظلماً لتستريحوا فيه من عناء العمل والكسب في النهار، وجعل لكم النهار مضيئاً لتبصروا فيه أعمالكم وحوادثكم، إن الله لصاحب فضل عظيم على الناس بما أنعم عليهم من نعم كثيرة لا تحصى، ولكن أكثر الناس لا يشكرون الله على هذه النعم، فلا يؤمنون ولا يطيعون ربهم فيما شرع لهم.

إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِن كَرِهَ النَّاسُ لِيُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْآيَاتِ لَتَشْكُرُوا فِيهَا وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِن أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاَن تَوَفَّاكُم مِّثْلَ الَّذِي تُوَفَّاكُمُ الَّذِينَ كَانُوا يَاءِبُونَ أَن يَخْتَدُوا ﴿٦٢﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَبَارِكُوا لَهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٣﴾ هُوَ الْخَلْقُ لِإِلَٰهِ الْأَهْوَاءِ دَعْوُهُ مُخْلِصٌ لَهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أُعْبَدَ الَّذِينَ دُعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَ فِي الْبَيْتِ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِلرَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾

٦٢- ذلكم الخالق المنعم هو الله ربكم خالق كل شيء في السماء والأرض، لا إله معبود بحق إلا الله، فكيف تصرفون عن عبادة الله إلى عبادة غيره؟

٦٣- مثل ضلال هؤلاء وانصرفهم عن عبادة الله إلى عبادة الأصنام، يصرف كل من جحد بآيات الله ومعجزاته، وينكر توحيده عن اتباع الطريق القويم.

٦٤- الله وحده الذي جعل لكم الأرض مستقراً، والسماء مبنية بإحكام، وخلقكم في أحسن صورة، ورزقكم من طيبات الرزق ولذائذه، ذلكم المبدع الرازق هو الله ربكم، فتقدس الله وتنزهه رب الخلاق كلها.

٦٥- هو سبحانه الحي الدائم الحياة، الباقي الذي لا يموت، لا معبود بحق في الوجود سواه، فادعوه واعبدوه مخلصين له الطاعة والعبادة، وقولوا: الشكر والثناء التام لله رب الخلاق أجمعين.

٦٦- قل أيها النبي للمشركين: إنني نُهيت ومنعت أن أعبد الذين تعبدون من غير الله من الأصنام والأوثان، لما جاءتني الأدلة القاطعة الواضحة الدالة على وحدانية الله، من ربي الذي رباني بنعمه، وأمرت أن أخضع وأنقاد لله رب الخلاق كلها. أخرج جويبر عن ابن عباس: أن الوليد بن المغيرة، وشيبة بن ربيعة قالوا: يا محمد، ارجع عما تقول بدين آبائك، فأنزل الله هذه الآية.

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ
 ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَسْلُوا أَسَدَكُمْ ثُمَّ لِلدَّكْوَانِ
 شُبُهَاتٍ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلِ أَنْ يَبْلُغَ أَجَلَ مُسَمًّى
 وَاللَّائِيكُمْ تَعْبَهُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِنَّا
 فَصَحْنَا أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى
 الَّذِينَ يَمْجِدُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّهُمْ يُصِرُّونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا
 بِالْكِتَابِ وَمَا أُرْسِلُوا بِهِ رُسُلًا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾
 إِذْ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ
 ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَنِمْ مَا كُنْتُمْ
 تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَالْوَاضِلُ وَاعْتَابِلُ لِمَ
 كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ قَبْلِ سَيِّئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾
 ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَمْرُجُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنَّمَا كُنْتُمْ
 تَمْرُجُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى
 لِلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِنَّمَا تِرْيَاقُ بَعْضِ
 الَّذِي نَعِدُهُمْ وَأَتَوْفِينَاكَ فَاِتْبَاءً يَرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾

٦٧- الله وحده هو الذي خلقكم أيها الناس في الأصل من تراب بخلق أبيكم آدم عليه السلام، ثم خلقكم من نطفة (مادة المني) ثم من علقة (دم متجمد) ثم يخرجكم أطفالاً (الطفل يطلق على الواحد والأكثر) أي يخرج كل واحد منكم طفلاً، ثم لتصلوا مرحلة بلوغ الأشد: وهي مرحلة اكتمال القوة والعقل من ثلاثين إلى أربعين، ثم لتصيروا كبار السن في مرحلة الشيخوخة (بعد الستين) ومنكم من يموت قبل هاتين مرحلتين أو إحداهما، ويفعل الله ذلك لتبلغوا وقتاً محدداً، هو وقت الموت، ولكي تتأملوا وتفكروا بما في ذلك من دلائل التوحيد والقدرة الإلهية.

٦٨- الله وحده هو القادر على الإحياء والإماتة، فإذا أراد إيجاد شيء، فإنما يقول: كن فيكون موجوداً كما أراد الله تعالى.

٦٩- ألم تنظر أيها النبي تعجباً إلى الذين يجادلون بالباطل في آيات الله القرآنية، كيف يصرفون أو يبعدون عن الإيمان بالله والإقرار بالحق؟!

٧٠- الذين كذبوا بالقرآن وغيره من الكتب السماوية، وما أرسلنا به رسلاً من الدعوة إلى

توحيد الله والبعث والأخلاق والشرائع والأحكام، فسوف يعلمون عاقبة أمرهم وتكذيبهم.

٧١، ٧٢- سوف يعلمون حين توضع الأغلال في أعناقهم، ويسحبون بالسلاسل (وهو الحديد في الأيدي والأرجل) يعنف في جهنم والحميم: الماء الشديد الحرارة، ثم يحرقون ويوقدون في النار. وإذ للماضي، استعملت هنا مثل «إذا» للمستقبل.

٧٣- ثم يقال لهم تويحاً وتقريعاً: أين الأصنام والأوثان التي كنتم تعبدونها وتشركونها مع الله في الدنيا؟!!

٧٤- تشركونها في العبادة من غير الله، ما لهم لا يتقذونكم من العذاب؟ قالوا: ذهبوا عنا وغابوا، فلم ينفعونا، بل لم تكن تعبد شيئاً يستحق العبادة في الدنيا، أي إنهم أنكروا عبادتها، وأقروا بأنها مجرد أوهام، مثل إضلال هؤلاء المكذبين، يضل الله الكافرين، فلا يهتدوا إلى خير، بسبب كذبهم وضلالهم.

٧٥- ذلكم العذاب بسبب ما كنتم تبطلون وتكبرون ومظهري السرور بالمعصية في الدنيا بغير الحق وهو الشرك والعصيان وإنكار البعث، وبما كنتم تختالون بطراً وخيلاء، فرحين بالمعاصي، ومخالفة الرسل والكتب. والفرح المذموم: هو التجرؤ على المنكرات مع الظن أن ذلك من علامات القوة.

٧٦- ويقال لهم بعد دخول النار تبيكيتاً وتقريعاً: ادخلوا أبواب جهنم ما كنتم فيها على الدوام، فبئس (قبح) ماوى المتكبرين عن عبادة الله والإيمان بالآخرة.

٧٧- فاصبر أيها النبي على أذى المشركين، إن وعد الله بنصرك والانتقام من أعدائك كائن حتماً، فإن أريناك بعض ما نعدهم به من العذاب الدنيوي كالقتل والأسر، أو نتوفينك قبل رؤية تعذيبهم، فإلينا يصيرون ويردون يوم القيامة، لنجازيهم بأعمالهم.

٧٨- ولقد أرسلنا رسلاً كثيرين إلى أممهم من قبلك أيها الرسول، منهم من أخبرناك بأخبارهم، ومنهم من نذكر لك أخبارهم، وما كان لرسول أن يأتي بمعجزة دالة على نبوته، إلا بأمر الله وإرادته، فإذا جاء أمر الله بتزول العذاب على الكفار في الدنيا أو في الآخرة، حكم بين الرسل ومكذبيهم بالحق، بإنهاء المحق، وتعذيب المبطل، وظهرت في ذلك الوقت خسارة الذين يتبعون الباطل ويعملون به.

٧٩- الله تعالى الذي خلق لأجلكم الأنعام (والمراد بها هنا الإبل) لتركبوا بعضها، وتأكلوا بعضها الآخر.

٨٠- ولكم فيها منافع كثيرة أخرى كالإبلان والجلود والأصواف والأوبار، ولتحققوا حاجاتكم بالسفر عليها وحمل الأثقال إلى البلاد، والحاجة: الأمر المهم، وعليها وعلى السفن في البحر تحملون.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقِصُّصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَاتٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُتَّطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِيَسَئُرَ عَلَيْهَا حَاجَةٌ فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الصَّلَاةِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيُّ الْآيَاتِ لَلَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرًا مِنْهُمْ وَأَشَدُّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَ نُهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَقَّ بِهِمْ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بُاسَنَا لَوْ آتَيْنَاهُم بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كَانُوا يُشْرِكُونَ ﴿٨٤﴾ فَكَذَّبُوا بِعِزَّتِهِمْ أَنِ مَنَّا رَأَوْا بُاسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

٨١- ويريكم الله دلائله الدالة على كمال قدرته ووحديته وسعة رحمته، فأني تلك الدلائل تنكرون؟ فإنها لوضوحها لا تقبل الإنكار.

٨٢- أفلم يسافر في الأرض هؤلاء المشركون المجادلون بالباطل، فينظروا ويتأملوا في أسفارهم فيما حلّ بالأمم السابقة من العذاب بسبب كفرهم وتكذيبهم رسلهم! كانوا أكثر منهم عدداً، وأشد قوة وأبقى آثاراً في الأرض بالعمائر والمصانع والمزارع، فما أفادهم ومنع عنهم العذاب ما عملوا به في الدنيا من شرك ومكبر، وما كسبوه من ثروات وأموال.

٨٣- فلما جاءتهم رسلهم بالمعجزات وأدلة توحيد الله، فرحوا بما لديهم من عقائد زائفة وشبه داحضة، ونزل بهم ما هزئوا به من العذاب، وأحذق بهم جزاء استهزائهم.

٨٤- فلما رأوا شدة عذابنا قالوا: أمانا بالله وحده، وكفرنا بما أشركنا به من عبادة الأصنام والأوثان، أي إنهم تبرؤوا من شركهم.

٨٥- فلم يكن ينفعهم إيمانهم عند معاينة عذابنا، لفوات وقت قبول التوبة، فإنه ينفع الإيمان الاختياري، لا الإيمان الاضطراري، والحكم بعدم نفع الإيمان عند مشاهدة العذاب: هو سنة الله المقررة في الأمم كلها، وخسر حيثئذ الكافرون خسارة لا تعوض إذا رأوا العذاب.

سورة فصلت



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ الْقُرْآنَ بِقُدْرَتِهِ عَنِ الْيَمِينِ ۗ
 ٢- وَإِنَّ أَوَّلَ آيَاتِهِ لَخَلْقُ الْإِنسَانِ مِنْ طِينٍ ۖ
 ٣- ثُمَّ عَلَّمْنَاهُ قَلَمًا لَمَّا سُقِيَ ۖ فَأَوَّلَ وَتَرْتِيبًا
 ٤- فَاعْلَمْ أَنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ ۖ ۝
 ٥- وَإِنَّا لَنَرَاهُ فِي صَدَقَاتِكُمْ يُسْهِمُ ۖ
 ٦- وَأَنَّا لَنَبْغِي بِكَ الْوَدَّاعِينَ ۖ ۝
 ٧- وَإِنَّا لَنَرَاهُ فِي صَدَقَاتِكُمْ يُسْهِمُ ۖ
 ٨- وَأَنَّا لَنَبْغِي بِكَ الْوَدَّاعِينَ ۖ ۝
 ٩- وَإِنَّا لَنَرَاهُ فِي صَدَقَاتِكُمْ يُسْهِمُ ۖ
 ١٠- وَأَنَّا لَنَبْغِي بِكَ الْوَدَّاعِينَ ۖ ۝
 ١١- وَإِنَّا لَنَرَاهُ فِي صَدَقَاتِكُمْ يُسْهِمُ ۖ
 ١٢- وَأَنَّا لَنَبْغِي بِكَ الْوَدَّاعِينَ ۖ ۝

فضلها: أخرج عبد بن حميد وأبو يعلى والبخاري:
 أن النبي ﷺ قرأها على عتبة بن ربيعة إلى قوله تعالى:
 ﴿فإن أعرضوا﴾ [١٣] وكانت قريش قد أرسلته
 مندوباً عنها، ليفاوض النبي في ترك دعوته، ويقدموا
 له المال والنساء وغيرهما، فعاد عتبة قائلاً عن القرآن:
 والله ما هو بشعر ولا كهانة، وقرأ ما سمع.

١- حا، ميم: للتنبيه إلى خطورة ما وراء ذلك،
 ولتحدي العرب بالإتيان بمثل القرآن الذي هو من
 لغتهم.

٢- هذا القرآن تنزيل من الله تعالى ذي الرحمة
 الواسعة، المنعم بعظائم النعم ودقائقها.

٣- وهذا القرآن كتاب بُيئت أحكامه من حلال
 وحرام، ووضحت معانيه لنفهم ببسر وسهولة، حال
 كونه قرآناً عربياً في لفظه وأسلوبه، تذكيراً لهم،
 وحجة عليهم، لقوم يعلمون قدره.

٤- يبشّر المؤمنين بالجنة إن عملوا به، وينذر العصاة
 المخالفين بالنار، فأعرض أكثر الكفار عن قبوله، فهم
 لا يسمعون سماع تأمل وقبول وانتفاع.

٥- وقال كفار قريش: قلوبنا مغطاة بأغذية، فلا تفهم شيئاً، وفي آذاننا صمم، ومن بيننا وبينك أيها النبي ستار
 وحاجز، وهو شدة كرهنا لك، يحول دون اتباع رسالتك، فاعمل على دينك، إننا عاملون على ديننا دون مفارقة.

٦- قل أيها النبي للمشركين: إنما أنا بشر كأمثالكم، لستُ ملكاً أو جنياً لا ألتقي بكم، إلا أنه يوحي إلي من ربي
 أنه الإله الواحد المستحق للعبادة، فاستقيموا إليه بالطاعة، واطلبوا المغفرة، وهلاك للمشركين لفرض جهلهم بالله
 تعالى.

٧- وهم الذين لا يؤدون الزكاة للمحتاجين، وهم جاحدون بالآخرة لا يصدقون بها.

٨- إن الذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا الصالحات لهم ثواب غير مقطوع عنهم، ولا يمتن به.

٩- قل أيها النبي للمشركين توبيخاً وتقريعاً: كيف تكفرون بالله الذي خلق الأرض في مقدار يومين، وتجعلون له
 شركاء مماثلين له في القدرة والقدر، ذلك المتصف بما ذكر هو رب المخلوقين كلهم.

١٠- وجعل هذا الرب في الأرض جبلاً ثوابت مرفوعة فوقها، وجعل الأرض كثيرة الخير، وقدر فيها أرزاق
 أهلها في مقدار أربعة أيام، مستوية لا تفاوت بينها لمن سأل عن مدة خلق الأرض، وجعلها متساوية لطالبي الرزق
 بالسعي فيها.

١١- ثم توجهت إرادته أو عمد إلى خلق السماء، وهي كتلة غازية (وهي السديم) تشبه الدخان (ما ارتفع من
 لهب النار) فقال للسماء والأرض بعد خلقهما: اتبيا في الوجود طائعتين أو مكرتين، قالتا: أتينا متقادين لأمرك
 دون تلكؤ. والمراد تصوير تأثير قدرته تعالى في تهيتها للانتفاع بهما، وتأثرهما بسرعة لأمر الخالق.



١٢- فأتهم سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها
 فيكون تمام خلق السموات والأرض في ستة أيام،
 وأوحى (أي أوجد، وهو الأمر التكويني) في كل
 سماء ما هي مهية له من وجوه الارتفاع بها كالشمس
 والقمر والنجوم وغيرها، وزين السماء الدنيا بكواكب
 متلألئة، كالمصابيح. وقد حوّل الكلام من الغيبة إلى
 التكلم لفتاً لنظر السامع لبديع ما يذكر بعده. وحفظها
 حفظاً من الاختلال والسقوط واستراق الشياطين
 السمع بالشهب، ذلك الخلق تقدير القوي التام القدرة
 في ملكه، العليم بمصالح خلقه. وكان خلق
 السموات قبل خلق الأرض كما اختار أبو حيان،
 والترتيب في قوله: ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ [١١]
 في الذكر فحسب لا في الواقع، واختار الرازي
 والشوكاني وغيرهما أن الأرض متقدمة خلقاً، متأخرة
 دحواً، أي بسطاً وهو الأصح.

١٣- فإن أعرضوا. أي كفار مكة. عن الإيمان بهذه
 الآيات التنزيلية، فنقل لهم أيها النبي: خوفاً منكم
 صاعقة كصاعقة عاد وثمود، والصاعقة، هي التي
 تقتل في الحال، وهي صوت شديد مزعج، من نار
 محرقة أو ريح مدمرة أو غيرهما، والمراد حذرتكم
 مثل العذاب الذي أهلك أولئك الأقوام.

فَصَلَّوْهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا
 وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبُوحٍ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ
 الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِن أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ
 عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَهُمْ نَهْمُ الرَّسُولِ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ
 خَلْفِهِمْ أَلَّا يَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً
 فَأَنزَلْنَا أُرْسُلَهُمْ فِي سَكِينٍ مِّنْ سَمَوَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا
 فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَن أَشَدُّ مَقَامَةً أَوْ تَرَبُّوا أَن اللَّهَ
 الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ
 ﴿١٤﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صِرَاصًا فِي أَيَّامٍ مَّحْسَبَاتٍ لِّنَذِيقَهُمْ
 عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَذَابَ الْآخِرَةِ أَخْرَىٰ وَهُمْ
 لَا يُنصَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحْوَا الْعَصَىٰ عَلَى
 الْمُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةٌ الْعَذَابُ لَهِونٌ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ
 ﴿١٦﴾ وَبَيْنَمَا الَّذِينَ آمَنُوا كَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ
 أَعْدَاءَ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءَهُمْ شَاهِدٌ
 عَلَيْهِمْ سَمِعُوهُمْ وَأَبْصَرُوهُمْ وَجَلَدُوهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾

١٤- حين جاءتهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم، المتقدمون والمتأخرون تصافر جميعهم على إقناعهم بأساليب
 شتى، وطلبوا منهم ألا يعبدوا إلا الله إلهاً واحداً، قالوا: لو شاء الله لأرسل إلينا ملائكة، ولم يرسل إلينا بشراً من
 جنسنا، فإننا كافرون بما تزعمون أنكم أرسلتم به إلينا.

١٥- فأما قوم عاد جماعة هود فتكبروا عن الإيمان بالله ورسله بغير حجة ولا حق، وقالوا: لا أحد أقوى منا، أو
 لم يعلموا أن الله خالقهم هو أقوى منهم وأقدر عليهم وكانوا ينكرون آياتنا ومعجزات الرسل عتاداً. وقولهم: ﴿من
 أشد...﴾ استفهام إنكاري يفيد النفي، أي لا أحد.

١٦- فأرسلنا عليهم ريحاً شديدة البرد والصوت في أيام ثمانية مشؤمات عليهم، لنذيقهم عذاب الذل والهوان
 في الدنيا بسبب تكبرهم، وعذاب الآخرة أشد خزيًا وذلاً، وهم لا يُنصرون بمنع العذاب عنهم.

١٧- وأما قوم ثمود جماعة صالح فبينما لهم طريق الهدى والخير والنجاة وعرفاتهم طريق الشر، بإرسال الرسل
 وبيان الحجج والأدلة، فاختاروا الكفر على الإيمان، فأخذتهم النار التي أهلكتهم فوراً، بسبب كفرهم وتكذيبهم.

١٨- ونجيننا المؤمنين المتقين وهم صالح ومن آمن برسالته.

١٩- ويوم يجمع ويساق أعداء الله بعنف إلى نار جهنم، وهم كل من كذب الرسل وكفار الأمم جميعاً، فهم
 يُحسبون، ليتلاحقوا ويجمعوا، ثم يساقون إلى الجحيم.

٢٠- حتى إذا حضروا النار شهدت عليهم أسماعهم وأبصارهم وجلودهم بأن ينطقها الله، والمراد بالجلود هنا
 جميع أعضائهم، من عطف العام على الخاص، بسبب ما عملوا في الدنيا من المعاصي، وارتكبوا من الكفر
 والآثام.

٢١- وقال أعداء الله لجوارحهم (أعضائهم): لماذا شهدتم علينا؟ فأجابوا: أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء من المخلوقات، فشهدنا بما عملتم من القبائح، ومن قدر على خلقكم في ابتداء الأمر، قادر على إعادتكم ورجوعكم إليه، فكلكم راجعون إليه بعد الموت للحساب والجزاء.

٢٢- وما كنتم تستترون وتستخفون عند ارتكاب الفواحش من شهادة جميع الجوارح عليكم يوم القيامة، ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً من أعمالكم من المعاصي، فاجترأتم على فعلها. وهذا إما من كلام الجلود أو من كلام الله أو من كلام الملائكة. نزلت في ثلاثة من القرشيين تساءلوا عن سماع الله كلامهم، فقال أحدهم: إنا إذا رفعنا أصواتنا سمعه، وإذا لم نرفعه لم يسمعه، وقال آخر: إن سمع منا شيئاً سمعه كله.

٢٣- وذلكم ظنكم بأن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون أو وقعكم في الردى والهلاك في النار، فأصبحتم من الخاسرين أنفسهم، الهالكين.

٢٤- فإنا يصبروا على العذاب، فالنار محل

وقالوا للجلود هزر شهدتم علينا فأنا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون ﴿٢١﴾ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون ﴿٢٢﴾ وذلكم ظنكم الذي ظننتم من ربكم أزدكم فأصحبتم من الخاسرين ﴿٢٣﴾ فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستغيثوا يغاثوا من المعصين ﴿٢٤﴾ وقيضنا لهم قرآناً قرئوا به ما بين أيديهم وما خلفهم وحي عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين ﴿٢٥﴾ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغفلون ﴿٢٦﴾ فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون ﴿٢٧﴾ ذلك جزاء أعداء الله النار التي فيها دار الخلد جزاءهم كما كانوا يديننا بجدوك ﴿٢٨﴾ وقال الذين كفروا ربنا أربنا الذين أضلنا من الجن والإنس يجعلهم تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين ﴿٢٩﴾

إقامة واستقرار لهم، وإن يطلبوا العتبي، أي الرضى، أي زوال سبب العتبي وهو غضب الله عليهم، بأن يرضى الله عنهم، فليسوا من المرضيين، أي المجابين إلى ما يطلبون، لقوات الوقت.

٢٥- وهياناً وسلطاناً عليهم قرناء من شياطين الإنس والجن كالأصحاب، لانحرافهم عن الصواب، فزيتوا لهم شهوات الدنيا المحرمة والكفر والضلال، وزينوا لهم من أمور الآخرة الأبعث ولا حساب، وثبت أو وقع عليهم العذاب، كما ثبت على الأم الخالية (الماضية) من قبلهم، من الجن والإنس، الذين أصروا على الكفر حتى الموت، إنهم كانوا خاسرين بسبب تكذيبهم ومعاصيهم، أي لأنهم، فهو تليل لاستحقاقهم العذاب.

٢٦- وقال الكفار عند سماع القرآن من النبي ﷺ لبعضهم بعضاً: لا تنتصوا القراءة هذا القرآن، وعارضوه بالكلام اللغو الذي لا معنى له، من لفظ وتشويش وصياح، حتى لا يؤثر فيمن يسمعه، ولكي تغلبوا محمداً وصحبه، فيسكتوا.

٢٧- فلنذيقن العذاب الأليم الشديد جميع الكفار ومنهم هؤلاء القائلون المعارضو القرآن، ولنجزينهم في الآخرة جزاء أقبح أعمالهم في الدنيا، وهو الشرك. وهذا وعيد لجميع الكفار.

٢٨- ذلك الجزاء جزاء أعداء الله وهم الكفار والعصاة وهو النار، لهم في جهنم دار الإقامة الدائمة، يجزون جزاء بسبب تكذيبهم بآيات القرآن.

٢٩- وقال الكفار بعد دخول النار: ربنا أرنا من أضلنا من فرقي الجن والإنس، اللذين أوردانا موارد الهلاك، لكي ندوسهما بأقدامنا، ليكونا من الأذلين المهانين.



٣٠- إن الذين قالوا: ربنا الله وحده لا شريك له، ثم ثبتوا وداوموا على الاستقامة في العمل الصالح والإقرار بالتوحيد، تنزل عليهم ملائكة الرحمة بالبشرى السارة عند الموت، وفي القبر، وعند القيام من قبورهم، بألا يخافوا مما يقدمون عليه من أمور الآخرة، ولا يحزنوا على ما فاتهم من أمور الدنيا، ويقال لهم: أبشروا بالجنة التي وُعدتموها في الدنيا على لسان الرسل، فإنكم واصلون إليها. نزلت في أبي بكر الصديق الذي قال: ربنا الله وحده لا شريك له، ومحمد ﷺ عبده ورسوله، فاستقام، وقال المشركون: ربنا الله، والملائكة بناته، وهؤلاء شفعاؤنا عند الله، فلم يستقيموا.

٣١- وتفعل الملائكة لهم: نحن أنصاركم في شؤونكم، نحفظكم ونوفقكم لما فيه الخير والرشد في الدنيا، ونحن أيضاً أنصاركم في الآخرة بالشفاعة والكرامة حتى تدخلوا الجنة، ولكم في الجنة ما تشتهي أنفسكم من النعيم وأنواع اللذات، ولكم فيها ما تطلبون.

٣٢- تُنزل معداً لكم من الرزق والإكرام، من رب غفور للذنوب، رحيم بالعباد.

٣٣- ولا أحد أحسن قولاً من دعا إلى عبادة الله وحده، وعمل العمل الصالح الذي أمر الله به، وقال صراحة: إنني من المنقادين لأمر الله، وهذا جمع بين العقيدة والعمل. و﴿من﴾ اسم استفهام فيه معنى النفي، أي لا أحد أحسن في القول. نزلت في الرسول ﷺ وأصحابه.

٣٤- ولا تتساوى الحسنة التي يرضى الله بها، والسيئة التي يكرها الله، في الجزاء وحسن العاقبة، ادفع الخصلة السيئة بالحسنة أي الطريقة الهادئة التي لا شدة فيها، بمقابلة الإساءة بالإحسان، والذنب بالعفو، والغضب بالصبر، والجهل بالحلم، فإذا فعلت ذلك، صار عبدك كالصديق القريب، في بره ولطفه. نزلت في أبي سفيان بن حرب كان معادياً للنبي ﷺ، فصار له ولياً مصافياً بالمصاهرة التي حدثت بينهما.

٣٥- وما يؤتى هذه السجدة ويحملها، وهي دفع السيئة بالحسنة، إلا الصابرون على المكاره وكظم الغيظ، وما يؤتاها ويتقبلها ويتلقاها إلا صاحب الحظ العظيم من الخير وكمال النفس والثواب.

٣٦- وإن يصرفك وسواس الشيطان عن الخصلة الخيرة أو الدفع بالتي هي أحسن، فاستعد بالله من شر الشيطان، والتجئ إلى الله ولا تطع الشيطان، يدفع الله عنك وساوسه، إن الله سميع لاستعدادك وقولك، عليم ببيتك وفعلك.

٣٧- ومن أدلة وحدانية الله وقدرته وعظمته وحكمته: خلق الليل بظلامه، والنهار بضياؤه، والشمس بضياتها، والقمر بنوره، لا تسجدوا أيها الناس للشمس والقمر؛ لأنهما من مخلوقات الله، لا شريكين له، وأسجدوا لله الذي خلق هذه الأشياء الأربعة، إن كنتم تعبدونه حقاً. وهي رد على الصابئة في عبادة الكواكب.

٣٨- فإن استكبر البشر عن الامتثال والسجود لله تعالى، فالملائكة لا يستكبرون عن عبادته تعالى، فهم يديون التسييح له ليلاً ونهاراً، ولا يملون ولا يفترون. والعندية ﴿عند ربك﴾ عندية منزلة وكرامة، وليست عندية مكان.

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَحْفَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ مَن أُولِيَا ذُكُوفٍ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ وَلَكِنَّ فِيهَا مَا أَنْشَأْتُمْ أَنفُسَكُمْ وَلَكِنَّ فِيهَا مَا لَمْ تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ تَزَلُّونَ مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يَلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يَلْقَاهَا إِلَّا الْأَذْوَابُ عَظِيمَةٌ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّمَا يَرْتَعَنُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ أَنبِلُ الرَّاتِبَاتِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِن اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾



وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خُشْعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ
 اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنْ الْأَرْضُ لَأَنْحَا لِحَى الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
 قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنْ الَّذِينَ يُلْقُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَحْكُمُونَ عَلَيْهَا الْقُرْآنَ
 بَلْ قَالُوا فِي النَّارِ حَيْرَاتٌ مَنْ يَأْتِيهِمْ آيَاتُنَا وَآيَاتُ الْقُرْآنِ لَمَّا جَاءَهُمْ
 وَإِنَّهُمْ لَمَّا يَلْعَنُونَ نَجَسًا ﴿٤٠﴾ إِنْ الَّذِينَ يُحَرِّفُونَ آيَاتِ الْقُرْآنِ
 بِالتَّوِيلِ وَالْبَاطِلِ وَالطَّعْنِ فِيهَا، لَا يَخْفُونَ عَلَى اللَّهِ، بَلْ نَحْنُ
 نَعْلَمُهُمْ وَسَنَجَازِيهِمْ بِمَا يَسْتَحِقُونَ، أَفَمَنْ يَلْقَى فِي النَّارِ
 الْكُفْرَ وَعَصْيَانَهُ خَيْرٌ، أَمَنْ يَأْتِيهِ آمَنًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ لِإِيمَانِهِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ! أَعْمَلُوا أَيُّهَا النَّاسُ
 بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ، فَمَجَازِيكُمْ عَلَيْهِ. وَهَذَا تَهْدِيدٌ وَتَخْوِيفٌ
 شَدِيدٌ، وَوَعِيدٌ بِالْمَجَازَاةِ، لِتَيْبَةِ النَّاسِ مِنْ غَفْلَتِهِمْ.
 نَزَلَتْ فِي أَبِي جَهْلٍ وَعِمَارِ بْنِ يَاسِرٍ.

٤١- إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْقُرْآنِ وَكَذَّبُوا بِهِ لَمَّا جَاءَهُمْ،
 يَجَازُونَ بِكُفْرِهِمْ، وَإِنَّ الْقُرْآنَ الْمَجِيدَ لِكِتَابٍ مَنِيحٍ لَا يَأْتِيهِ إِطْطَالُهُ وَتَحْرِيفُهُ وَتَبْدِيلُهُ.

٤٢- لَا يَتَعَرَّضُ إِلَيْهِ الْبَاطِلُ إِطْلَاقًا، بِنَقْصِ مَنْه

٣٩- ومن أدلة الله على قدرته على البعث أنك ترى الأرض اليابسة لا نبات فيها، فإذا أنزلنا عليها المطر تحركت وانتفخت بالنبات. وهذا تصوير الأرض المنبثة بصورة الحي المتحرك. إن الذي أحيها بالإنبات، لمحي الموتى يوم القيامة بالبعث والنشور، إنه على كل شيء قدير من الإحياء والإماتة، لا يعجزه شيء مهما كان.

٤٠- إن الذين يحرفون آيات القرآن بالتأويل الباطل والطعن فيها، لا يخفون على الله، بل نحن نعلمهم وسنجازيهم بما يستحقون، أفمن يلقي في النار الكفر وعصيانه خير، أمن يأتي آمناً من عذاب الله يوم القيامة لإيمانه بالله ورسوله! اعملوا أيها الناس بما كنتم تعملون، فمجازيكم عليه. وهذا تهديد وتخويف شديد، ووعد بالمجازاة، لتيبته الناس من غفلتهم. نزلت في أبي جهل وعمار بن ياسر.

٤١- إن الذين كفروا بالقرآن وكذبوا به لما جاءهم، يجازون بكفرهم، وإن القرآن المجيد لكتاب منيع لا يتأني إططاله وتحريفه وتبديله.

٤٢- لا يتعرض إليه الباطل إطلاقاً، بنقص منه

أو زيادة فيه، أو تكذيب كتاب آخر له، أو إلغاء كتاب آخر يبطله، تنزيل من إله حكيم في جميع أفعاله، وتدبير شؤون خلقه، محمود على كل حال، يحمده جميع خلقه بما أنعم عليهم من النعم الكثيرة.

٤٣- ما يقول لك كفار قريش من وصفك بالسحر، والكذب، والجنون، وتكذيب الرسالة، إلا مثل ما قالت الأم السابقة للرسول، فاصبر على الأذى كما صبروا، إن ربك لصاحب مغفرة للمؤمنين التائبين، وصاحب عقاب مؤلم للكفار أعداء الله، المكذبين لرسالتك.

٤٤- ولو جعلنا القرآن بغير لغة العرب، لقال المشركون العرب: هلا بُيِّتت آياته بلغتنا حتى نفهمها؟! وقالوا أيضاً: أكلام أعجمي غير عربي ورسول عربي؟ قل لهم أيها الرسول: هذا القرآن للمؤمنين هداية إلى الحق والخير، وشفاء للصدر والنفوس من الجهل والشك والشبهة. والذين لا يؤمنون بالقرآن في آذانهم صمم عن سماعه وفهم معانيه، وهو على قلوبهم معصم لا يفهمونه، لتعاميهم عن آيات الله، أولئك الذين لا يؤمنون بالقرآن كالمنادي من مكان بعيد، لا يسمع ولا يفهم ما ينادى به.

٤٥- ولقد أتينا موسى كتاب التوراة كإيتائك أيها النبي القرآن، فاختلف فيه قوم موسى بين مصدق ومكذب، كما اختلف في القرآن، ولولا حكم سابق من ربك بتأخير الحساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة، لفضي بينهم في الدنيا فيما اختلفوا فيه، بتعجيل العذاب للمكذبين، وإن المكذبين لفي شك من التوراة والقرآن، موقع في الريبة والباطل.

٤٦- من عمل عملاً صالحاً فيعود نفع عمله لنفسه، ومن أساء عمله فيعود ضرر إساءته على نفسه، وما ربك بذي ظلم لأحد، فلا يعاقب أحداً إلا بذنبه.

٤٧- إليه تعالى لا إلى غيره مرد العلم بقيام القيامة، فذلك من مفاخ الغيب التي اختص الله بها، وكل شيء غير ذلك بعلمه تعالى، فما تخرجه الأشجار من الثمار من أوعيتها أو أعطيتها التي تكون على الثمرة قبل ظهورها، وما تحمله الإنث في بطونها، وما تضعه من أولادها إلا بعلم الله، فإليه تعالى علم الساعة، وعلم هذه الأشياء، ويوم ينادي الله تعالى المشركين يوم القيامة بقوله: أين شركائي من الأصنام وغيرها الذين أشركتموهم معي في العبادة؟ قال المشركون: أعلمنك وأخبرناك: ما من أحد يشهد لهم بأنهم شركاؤك. فيكون السؤال عنهم للتوبيخ.

٤٨- وغاب وزال عنهم ما كانوا يعبدون في الدنيا من الأصنام ونحوها، فلا تتفعمهم شيئاً، وأيقنوا أنه لا مهرب لهم من العذاب.

٤٩- لا يميل الإنسان الكافر من طلب الخير لنفسه، والخير: المال والصحة والحياة والسلطة والجاه، وإن أصابه الضيق من فقر وشدة ومرض ونحوها، كان يائساً أشد اليأس من فضل الله ورحمته، ظاهراً عليه آثار اليأس والحزن والكآبة والاستكآنة.

إِلَيْهِ رُدُّ عِلْمِ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ تَرْبٍ مِنْ أَكْثَمِهَا وَمَا نَجْمَلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا نَضَعُ الْأَيْدِيَّ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَشْرَكَ كَيْفَ قَالُوا أَذُنَاكَ مَا مِمَّا مِنْ شَهِيدٍ ۝ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلِ وَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ نَجْوَى ۝ لَا نَسْمُ الْإِنْسَانَ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ نَسَهُ الشَّرُّ فَوَيْسُ قَوْمٍ ۝ وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّةٍ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي لَأَنْبِئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَسْمَائِهِمْ أَنَّهُمْ أَكْفَرُوا وَلَنْدَقِبُهُمْ مِنْ عَذَابٍ عَلِيبٍ ۝ وَإِذَا أُنْمِتْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ عُرْضًا وَنَايَجَانِيهِ وَإِنَّمَا سَعَةُ الشَّرِّ قَدْ دُعِيَ عَرْضًا ۝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانُوا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرُوا بِهِ مِنْ أَضَلُّ مِنْ هُوَ فِي سَفَاةٍ يَعْبُدُونَ ۝ سَأَرْبِعُهُ آيَاتِي فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَلْبِثُوا لَهَا اللَّهُ لَعْنًا أَوْ لَرَبِّكَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَشَهِيدٌ ۝ إِلَّا إِلَهُهُمْ فِي مَرِيضَةٍ مِنْ لَعْنَاءِ رَبِّهِمْ إِلَّا إِلَهُ يَجْلِبُ شَيْءٌ مَحْجُوطٌ ۝

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ
١١٧

٥٠- ولئن آتينا هذا اليأس الكافر سعة وفرجاً وخيراً من بعد شدة وكرب، ليقولن: هذا حق لازم لي استحقه على الله بمجهودي، لا فضل لأحد فيه، ولست متيقناً أن القيامة ستكون كما يخبرنا به الأنبياء، ولئن عُذت إلى ربي بالبعث بعد الموت، على سبيل الافتراض، سيكون له عنده نعيم الجنة والتكريم، فلنخبرن الذين كفروا يوم القيامة بما عملوا في الدنيا من المعاصي، ولنذيقنهم شيئاً من عذاب شديد.

٥١- وإذا أنعمنا على الإنسان-جنس الإنسان-انصرف عن شكر المنعم، وتباعد عن قبول الحق تكبراً وتجبراً، وإذا أصابه البلاء من فقر أو مرض، فهو صاحب دعاء كثير مستمر. نزلت هذه الآيات في كفار كالوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة.

٥٢- قل أيها النبي للمشركين: أخبروني إن كان هذا القرآن من عند الله، ثم كذبتهم به وجحدتم ما فيه، لا أحد أشد ضلالاً منكم، وفي خلاف بعيد عن الحق، لا يمكن تلافيه.

٥٣- سنري هؤلاء الكفار دلائل صدق آياتنا في القرآن وأنه من عند الله، ودلائل قدرتنا ووحدانيتنا في أقطار السموات والأرض ونواحيها من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار، والرياح والأمطار، والأشجار والجبال والبحار، وغيرها، وفي خلق أنفسهم وما فيها من عظمة الصنع ودقة الحكمة، ليتبين لهم بوضوح أن القرآن هو الحق الثابت المنزل من الله، أو لم يكشفهم أن ربك شاهد على كل شيء من أعمال الكفار، وأن القرآن منزل من عنده!؟

٥٤- ألا إن هؤلاء المشركين في شك من البعث بعد الموت، ألا إنه تعالى محيط علمه بكل شيء، ويجازي الكفار بكفرهم.

سورة الشورى

١، ٢- حاء، ميم، عين، سين، قاف: هذه الحروف المقطعة للتنبية لما بعدها، ولتحدي العرب للإتيان بمثل القرآن، ما دام مكوناً من هذه الحروف العربية التي هي أحرف لغتهم.

٣- مثل ذلك الإيحاء لسائر الأنبياء من الكتب الإلهية المنزلة، يوحي إليك أيها النبي وإلى من قبلك من الأنبياء: الله القوي القاهر في ملكه، الحكيم في تدبيره وصنعه.

٤- الله ما في السموات وما في الأرض ملكاً وخلقاً وعبداً، وهو المتعالي الرفيع الشأن، العظيم السلطان والقدر، والمراد: إقامة الدليل على كمال قدرة الله ونفوذ تصرفه في مخلوقاته.

٥- تكاد السموات يتشققن من فطاعة جرم المشركين، أو من عظمة الله وجلاله، الذي هو فوقهن بالالوهية والقدرة، والملائكة ينزهون الله عما لا يليق به، مع حمده وشكره، ويطلبون المغفرة للمؤمنين في الأرض- وقوله: ﴿لمن في الأرض﴾ عموم أريد به الخصوص- إلا إن الله كثير المغفرة والرحمة للمؤمنين المنيبين إليه. والمراد بيان الفرق بين المخلصين من العباد والفاجرين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 حَرَّ عَسَقٍ ١ كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ
 اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٢ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ
 الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ٣ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطِرْنَ مِنْ فَوْقِنَّ
 وَاللَّذَاتُ الْكَافِرَاتُ خَائِفُونَ ٤ وَسَيَقْفِرُونَ لَنْ فِي
 الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ اللَّهُ هُوَ الْعَزُورُ الرَّحِيمُ ٥ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا
 مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ
 ٦ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى
 وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَبَّ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ
 وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ٧ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً
 وَلَكِنْ يَدْعُونَ مِنْ بَيْنِهِمْ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَاهُونَ
 ٨ مِنْ بَيْنِ وَبَيْنِ وَلَا نُصِيرُ ٩ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ
 آلِهَةً هُمْ يُوقِنُونَ ١٠ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
 ١١ وَمَا أَحْتَسَبْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ وَخُفْتُمْهُ إِلَى
 اللَّهِ وَاللَّهُ ذَا الْكُرْسِيِّ عَلَيْهِ تَوَكَّلْ وَإِلَيْهِ أَنْتَ ١٢

٦- والذين اتخذوا من غير الله نصراء من الأصنام وغيرها يعبدونها، الله رقيب على أحوالهم وأعمالهم، يحفظها ليحازيهم عليها، وما أنت أيها النبي بموكل إليك هدايتهم وجبرهم على ذلك، وإنما عليك البلاغ فقط.

٧- ومثل ذلك الإيحاء للأنبياء السابقين أو حيناً إليك قرآناً عربياً بلغة قومك، لتخوف به أهل مكة ومن حولها من الناس جميعاً، وتحذر من العقاب يوم القيامة الذي تجمع به الخلائق للحساب والجزاء، والذي لا شك فيه، ثم يتفرق فيه الناس فريقين: فريق في الجنة وفريق في النار المستعرة.

٨- ولو شاء الله لجعل الناس جميعاً على دين واحد من هدى أو ضلال، ولكنهم افترقوا ملاماً شتى، فالؤمنون يدخلهم في رحمته بالهداية والتوفيق إلى الطاعة، والكافرون لا يجدون معيناً وولياً يتولى أمورهم، ولا نصيراً يدفع عنهم العذاب.

٩- بل اتخذ المشركون من غير الله أعواناً من أصنام وغيرها، والله هو المعين الناصر للمؤمنين، وهو يحيي الموتى بالبعث يوم القيامة، وهو سبحانه تام القدرة على كل شيء، فهو الجدير بالعبادة والنصرة والالوهية. و ﴿أم﴾ بمعنى (بل) للانتقال من كلام سابق إلى الإنكار عليهم باتخاذ أولياء غير الله تعالى.

١٠- وما اختلفتم في شيء من أمور الدين، فحكمه مردود إلى الله، يحكم فيه يوم القيامة بالحق والعدل، ذلكم الحاكم في كل شيء هو الله ربي، عليه اعتمدت في جميع أموري لا على غيره، وإليه وحده أرجع تائباً ومستعنياً في كل أمر، والوقاية من كل شر.

١١- خالق السموات والأرض على غير مثال سابق، خلق لكم من جنسكم نساء، وخلق من جنس الأنعام (الإبل والبقر والغنم) أزواجاً أيضاً، يُكثركم في هذا التدبير ويثبتكم بسبب هذا التزاوج بين الجنسين الذي يكون سبباً في كثرة النسل، ليس مثل الله شيء في ذاته وصفاته، وهو السميع لكل الأصوات، البصير بكل شيء صغير أو كبير.

١٢- له سبحانه وحده مفاتيح خزائن السموات والأرض، يوسع الرزق لمن يشاء من خلقه، ويضيقه على من يشاء، إنه تعالى تام العلم بكل شيء، لا يخفى عليه خافية، ولا تغيب عنه مصلحة المخلوق.

١٣- أوضح الله، وبين في شريعته ودينه لكم أيها المؤمنون برسالة محمد ﷺ ما أمر به نوحاً أول الرسل بشريعة إلى البشر، وأوضح لكم الذي أوحينا إليك أيها النبي في القرآن، وما أمرنا به إبراهيم الخليل وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام: أن حافظوا على الدين: وهو توحيد الله وطاعة رسله وقبول شرائعه، ولا تختلفوا في هذا الأصل العام، فتأتوا ببعض وتتركوا بعضاً، أما الخلاف في الجزئيات والفروع وتفصيل الأحكام فلا مانع منه، لاختلاف كل شريعة عن الأخرى؛ لقوله تعالى: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾ [المائدة ٤٨/٥] عظم على المشركين وشق عليهم ما تدعوهم إليه أيها الرسول من توحيد الإله، ونبذ الأصنام والأوثان، الله يختار لرسالته من يشاء من عباده، ويرشد ويوفق لدينه من يقبل على طاعته وعبادته بإخلاص.

١٤- وما اختلف أهل الأديان في الدين، بأن وحد آمن بعض وكفر بعض، إلا من بعد علمهم بالدين الحق الذي أرسل به الرسل، ولولا حكم سابق من الله بالإمهال وتأخير الجزاء إلى وقت محدد، لقضي بينهم بإهلاك الكافرين وإنجاء المؤمنين، وإن الذين أتوا الكتاب (أي أهل الكتاب من اليهود والنصارى) المعاصرين للنبي ﷺ لفي حيرة من أمرهم وكتابهم حيث لم يؤمنوا به، ولم يؤمنوا أيضاً بالقرآن، وشكهم موقع في الريبة والحيرة.

١٥- فلاجل ما ذكر من الاتفاق والاختلاف على الملة الحنيفية، ادع أيها الرسول الناس إلى توحيد الله، واستقم على دعوتك، وتبليغ رسالتك، كما أمرك الله، ولا تتبع أهواء المشركين الباطلة، وقل: أمنت (صدقت) بجمع الكتب التي أنزلها الله على رسله، وأمرت بأن أعدل بينكم في أحكام الله، الله ربنا وربكم، ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم، فيجازي كلأ بعمله، لا محاجة ولا مجادلة بيننا وبينكم، الله يجمعنا جميعاً في المحشر يوم القيامة، وإليه المرجع، فيجازي كلأ بعمله.

فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا
وَمَنْ لَا تَعْلَمُ أَرْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَأَنَّكُمْ كَيْدًا بَيْنِي
وَبَيْنَهُمْ وَالصَّمِيعَ الْبَصِيرَ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾
سَرَّعَ لَكُمْ مِنَ الَّذِينَ مَآرَضْتُمْ بِهِ نُوْحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ
وَلَا تَتَّبِعُوا فِيهِ كَثَرًا عَلَى الشَّرْكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ
يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا
تَدْرَأُ الْأَعْيُنُ بِرَأْيِهِمْ وَلَا تُفَكِّرُ بَعْدَ مَا جَاءَهُمْ الْعِلْمُ بِعِبَابِهِمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفَقَضْنَا بِهِمْ إِنْ الَّذِينَ
أُورُوا الْكُتُبَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَقَدْ شَكَّ مِنْهُ رَبِّيبٌ ﴿١٤﴾
فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ هُمْ وَقُلْ
ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ
اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَنْجَحَهُ بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

وَالَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آلِهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجَبَ لَهُمْ جَحِيمٌ ذَاتَ الْحَبَّةِ
عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ وَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾
اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْجَلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا
وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ الْآيَاتِ
الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي السَّاعَةِ لِيُصَلِّيَ بَعِيدٌ ﴿١٨﴾ اللَّهُ أَطِيبُ
بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾
مَنْ كَانَ يُرِيدْ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزَدْنَاهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ
كَانَ يُرِيدْ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ
مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ
الَّذِينَ مَا لَهُمْ بِأَذْنٍ بِهِ اللَّهُ وَلَوْ لَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِحَ
بِبَنِيهِمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ
مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ
مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

١٦- والذين يجادلون في دين الله من بعد ما استجاب الناس له، حجتهم باطلة عند ربهم، لا ثبات لها، وعليهم غضب عظيم من الله لمجادلتهم بالباطل وإصرارهم على الكفر، ولهم عذاب شديد مؤلم في الآخرة على كفرهم.

١٧- الله الذي أنزل القرآن وسائر الكتب المنزلة إنزالاً مقترناً بالحق، وأنزل قواعد العدل ليحكم به بين الناس- وسمي العدل ميزاناً لأنه آلة الإنصاف- وما يدريك أيها الإنسان لعل ساعة القيامة قريب حدوثها. والمراد بإنزال الميزان: إيجاده والإرشاد للعمل به.

١٨- يستعجل بساعة القيامة استهزاء المنكرون لها، والذين صلّوا بوجودها خائفون من مجيئها، ويعلمون أنها واقعة آتية لا ريب فيها، إلا- وهي لتنبية السامع لما بعدها- إن الذين يجادلون في وقوع القيامة وينكرون ذلك لفي ضلال (زيف وانحراف) عن الحق والهدى، بعيد عن الصواب.

١٩- الله متلطف رفيق بعباده حيث لم يعجل بعذابهم، وكثير الإحسان إليهم، يرزق من يشاء منهم بحسب حكمته توسيعاً أو تضيقاً، وهو الباهر القدرة، المنيع الذي لا يُغلب.

٢٠- من كان يريد بأعماله ثواب الآخرة، يُضاعف له حسناته إلى سبعمائة ضعف، ومن كان يريد بعمله لذات الدنيا وشهواتها دون العمل للآخرة، نعطه منها، وليس له في الآخرة من حظ، لإهماله الاستعداد لها.

٢١- بل لهؤلاء المشركين شركاء في الكفر وهم الشياطين، فلا يتبعون ما شرع الله لهم من الدين، وإنما يتبعون ما ابتدعوا لهم من الشرك وإنكار البعث والمعاصي، ما لم يأذن الله به، ولولا كلمة الفصل: وهي وعده سبحانه بإمهال العذاب عنهم، لفضي بينهم بالإهلاك وعُجلت العقوبة لهم، وإن الظالمين (الكافرين) لهم عذاب مؤلم. و ﴿أَمْ﴾ بمعنى (بل) للانتقال من كلام إلى آخر، وبمعنى همزة الاستفهام الإنكاري المفيد للنفي. أي ليس الأمر كما يفعلون.

٢٢- ترى أيها النبي الكافرين يوم القيامة خائفين مما كسبوا في الدنيا من السيئات، وجزاء ما كسبوا واقع بهم لا محالة، وترى الذين آمنوا بالله ورسله، وعملوا الصالحات التي أمروا بها من ربهم: في رياض الجنان، أي أطيب مساكنها، لهم ما يتمنون عند ربهم من أنواع النعم، ذلك النعيم والتكريم هو الفضل الإلهي الكبير الذي لا يوصف قدره ويفوق كل نعيم في الدنيا.

٢٣- ذلك الثواب العظيم هو الذي يبشر الله به عباده المؤمنين الذين يعملون الأعمال التي أمر الله بها، وترك ما نهى عنه، قل أيها النبي: لا أطلب منكم أجراً أو جُعلاً على تبليغ الرسالة، «إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة» كما في البخاري عن ابن عباس. فإن له في كل بطن من قريش قرابة، ومن يعمل عملاً حسناً، ويكتسب طاعة، نضاعف له ثوابه أو نزيد له في الثواب أجراً حسناً، إن الله كثير المغفرة لذنوب عباده التائبين، كثير الشكر للقليل من الطاعات والحسنات. قال قتادة: قال المشركون: لعل محمداً فيما يتعاطاه يطلب أجراً، فنزلت هذه الآية ليحشهم على مودته ورعايته قرباته.

٢٤- بل يقول المشركون: اختلق محمد الكذب على الله، فادعى القرآن من عند الله، وادعى النبوة، ولكن الافتراء بعيد جداً عن مثله، فإنما الذي يجترئ على الله من كان مطبوعاً الكفر على قلبه، جاهلاً بربه، فلو فرض وجود الافتراء منك على الله كذباً، لطبع على قلبك إن شاء، فلم تقدر عليه، ويزيل الله الباطل، ويبين الله الإسلام ويثبت به ما أنزله من القرآن، إنه عالم بما في قلوب الناس جميعاً.

٢٥- والله هو الذي يتقبل التوبة من عباده إذا تابوا،

ويعفو عن السيئات التي ارتكبوها، ويعلم ما تفعلون من خير أو شر. و«عن عباده» بمعنى (من) لأن القبول يتعدى بمن.

٢٦- ويجيب الله دعاء الذين آمنوا بالله ورسله، وعملوا الأعمال التي أمر الله بها، وتركوا ما نهى عنه، ويزيدهم من إحسانه وتفضله أكثر مما يستحقون من الثواب، وللكافرين عذاب شديد مؤلم يوم القيامة.

٢٧- ولو وسع الله الرزق لعباده جميعاً، لوقعوا في البغي (مجاوزة الحد المشروع) والطغيان والفساد، ولكن ينزل الرزق بتقدير معين بمقتضى حكمته وبما يتفق مع طبائع الناس وما يلائمهم غنى أو فقراً، إنه سبحانه يعلم خفايا أمور عباده وجلايا أحوالهم، بصير بما يصلحهم ويضرهم. قال علي رضي الله عنه: نزلت هذه الآية في أصحاب الصفة، وذلك أنهم قالوا: لو أن لنا، فتمنوا الدنيا والغنى.

٢٨- والله هو الذي أنزل المطر لإغاثة الناس بعد بأسهم من نزوله، ويعم رحمته كل شيء، وينشر منافع الغيث في كل مكان، وهو الذي يتولى الصالحين من عباده بالإحسان، المحمود على كل حال، المستحق للحمد والشكر على نعمه الكثيرة.

٢٩- ومن دلائل قدرة الله إيجاد السموات والأرض بهذه الصنعة العجيبة، وإيجاد ما نشر وقرق فيهما من الكائنات الحية، وهو على حشرهم يوم القيامة إذا شاء قادر تام القدرة.

٣٠- وما أصابكم أيها الناس من بلية وشدة أو غيرهما فبسبب ما جتته أيديكم أي معاصيكم، ويعفو عن كثير من الذنوب، فلا يعاقب عليه. وما يصيب غير المذنبين فلرفع درجاتهم.

٣١- ولستم أيها الناس بجاعلين ريبكم عاجزاً عن عقابكم، فتفتلون منه في الأرض، وإنما أنتم في قبضته، وليس لكم من غير الله من متولٍ أموركم وحارس لكم، وناصر يدفع العذاب عنكم إذا وقع بكم.

ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَعْرِفْ
حَسَنَةً نَّذِرْ لَهَا فَمِنَ حَسَنَاتِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ سُكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ
يَقُولُونَ أَفَرَحَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَاءُ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ فَمُكِّ وَيَمْحُ
اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحْيِي الْحَيَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾
وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَن عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ
وَيَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَيَزِيدُهُمْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾
﴿وَلَوْ سَـَّطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن نَّذِرْ
بَعْدَ مَا نَشَاءُ إِنَّهُ بِعبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ
الغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَطَرُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْمُجِيدُ ﴿٢٨﴾
وَمِن آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِن نَّارٍ
وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّن مُّصِيبَةٍ
فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَا أَنْتُمْ
بِعَجْرِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نصِيرٍ ﴿٣١﴾



وَمِن آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ وَالسَّمَاءِ لَا تَمُرُّ أَرْدَبًا ۚ إِنَّ يَسْأَلُ شَيْئًا لَّيُسْكِنَ الْرِيحَ
فَطَلَّانَ زَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ
شَكُورٍ ۝ أَوْ يُوقِنُ أَنَّ مَا كَسَبُوا مِنْ شَيْءٍ أَوْ بَعِثُ عَنْ كَثِيرٍ ۝ وَيَعْلَمُ
الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ حِجْبٍ ۝ فَأَوْتِنَهُ
مِن شَيْءٍ فَمَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَنبَىٰ لِلَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ وَالَّذِينَ يَبْغِيُونَ
كَثِيرَ الْأَرْبَابِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا عَضِبُوا هُمْ يَعْفُرُونَ
۝ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ
شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُقْفُونَ ۝ وَالَّذِينَ
إِذَا أَصَابَهُمُ امْتِحَانٌ هُمْ يَبْصُرُونَ ۝ وَجَزَاءُ سِنِّيَّةٍ سِنِّيَّةٍ
مِّثْلَهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ
۝ وَلَكِنْ أَنْصَرَفْ دُظْلُهُ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ
مِنْ سَبِيلٍ ۝ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْمُونَ النَّاسَ
وَيَتَّبِعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝
وَلَكِنْ صَبْرٌ وَعَفْوٌ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِزَّةً لِلَّذِينَ

٣٢- ومن دلائل قدرته تعالى: السفن الجوارى في البحر كالجبال.

٣٣- إن يشأ الله يجعل الريح المحركة للسفن الشراعية ساكنة، فتصير ثوابت على ظهر البحر، إن في جريها فوق الماء وتوقفها لدلالات باهرة على القدرة الإلهية لكل كثير الصبر، كثير الشكر للنعمة، وهو المؤمن.

٣٤- وإن يشأ الله يهلك الركاب بالغرق بما كسبوا من الذنوب، ولكنه تعالى يتجاوز عن ذنوب الكثير من أهل تلك السفن.

٣٥- ويعلم الله الذين يجادلون بالباطل في آياتنا المنزلة في القرآن، وهم الكفار، ما لهم من فرار ولا مهرب من العذاب. وهذا لبيان قدرة الله وتحذير الكافرين في كل زمان.

٣٦- فما أعطيتم من شيء من نعم كالغنى والقوة، فما هو إلا متاع قليل مؤقت يتمتع به ثم يزول، وما عند الله من ثواب الطاعات خبير من متاع الدنيا وأبقى أثراً؛ لدوامه وعدم انقطاعه، للذين صدقوا بالله ورسوله، وفوضوا أمورهم لربهم. قال علي رضي الله عنه: تصدق أبو بكر رضي الله عنه بماله كله، فلامه جمع، فنزلت.

٣٧- ما عند الله خبير للذين آمنوا والمتوكلين والذين يجتنبون كبار الذنوب (وهي التي توعد الله عليها أو قرر لها حداً عقابياً معيناً) والمعاصي القبيحة الفاحشة كالزنى

والقتل، وهو من عطف الخاص على العام، وإذا غضبوا تجاوزوا عن الذنب وكظموا الغيظ. نزلت في عمر حين شتم بمكة.

٣٨- والذين أجابوا ربهم إلى ما دعاهم إليه من التوحيد والعبادة وإطاعة الرسل، وأدوا الصلاة على وجهها الأكمل، وخصها بالذكر لأنها أرفع العبادات، وتشاوروا في أمورهم العامة والخاصة دون تفرد أو استبداد بالرأي، كأمير الخلافة والولاية والقضاء، والشؤون الخاصة، وأنفقوا مما رزقهم الله في سبيل الخير. والمراد أن المشاورة لازمة في أمورهم. نزلت في الأنصار دعاهم الرسول ﷺ إلى الإيمان فاستجابوا وأقاموا الصلاة.

٣٩- والذين إذا تعرضوا للظلم وتجاوزوا الحدود انتصروا أو انتقموا لأنفسهم عن ظلمهم، بمقابلة السيئة بمثلها.

٤٠- وجزاء الفعل السيئة أو القبيحة عقوبة ماثلة لها، وسمى الجزاء سيئة للمشكلة أو مشابهة الجريمة في الصورة أو الظاهر، فمن عفا عن ظالمه، وأصلح ما بينه وبينه من عداوة، فثوابه على الله عز وجل، إنه سبحانه لا يحب المعتدين في القصاص وتجاوز الحد، وإنما يعاقبهم؛ لأن التجاوز ظلم.

٤١- والذي يقابل الظلم بمثل فعل الظالم لا مواخذة ولا عقاب عليه، ومن سبيل أي طريق للمواخذة. نزلت مع ما بعدها في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقد شتمه بعض الأنصار، فرد عليه، ثم أمسك.

٤٢- إنما المواخذة والعقاب على الذين يجورون ويتعدون على الناس، ويفسدون في الأرض ظلماً بغير حق، ويتكبرون ويتجبرون بالاعتداء على النفوس والأموال، أولئك لهم عذاب مؤلم في الآخرة.

٤٣- والذي صبر على الأذى وغفر للمسيء ذنبه، وعفا عن ظلمه، فذلك الصبر والمغفرة من معزومات الأمور، أي المطلوبات شرعاً التي يجب العزم والثبات عليها.

٤٤- ومن لم يوفقه الله إلى الإيمان بسبب إصراره على الكفر، فليس له ناصر يتولى هدايته، وترى الظالمين (الكافرين) المكذِّين بالبعث، حين رأوا النار وعذابها يقولون: هل إلى الرجعة إلى الدنيا من طريق، لنتوب ولنعمل عملاً صالحاً؟ و﴿من ولي﴾ يفيد عموم ما بعدها، و﴿هل﴾ حرف استفهام للتمني هنا مثل (ليت).

٤٥- وترى أيها الرسول الظالمين يعرضون على النار خاضعين خائفين عما لحقهم من الذل والهوان، ينظرون إليها نظرة يسترقونها بحدقة، خفي معظمها تحت الجفن من شدة الخوف، وقال المؤمنون: إن الخاسرين حقاً هم الذين خسروا أنفسهم وأهليهم بالتعريض لعذاب الخلد في النار يوم القيامة، ألا إن الظالمين في عذاب دائم مؤلم. و﴿ألا﴾ تشبيه السامع للتأمل فيما بعده.

٤٦- وما كان لهؤلاء الكافرين من أعوان يتقذونهم من العذاب، ومن يضلل الله بأن يخذله ولا يوفقه للهداية، فليس له من طريق للنجاة من العذاب.

٤٧- أجيئوا دعوة ربكم بسرعة وإخلاص إلى الإيمان بالله وكتبه ورسله وعبادته وطاعته، من قبل مجيء يوم هو يوم القيامة لا يرد الله بعد حكمه

وَمَنْ يُضِلَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ يُتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مَرْتَبَةٌ مِنْ سَبِيلِ ﴿٤٤﴾ وَرَبُّهُمْ يَعْرُضُونَ عَلَيْهَا حَسِيبِينَ مِنَ الذَّلِيلِ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُتَقِمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يَصُرُّونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضِلَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمًا لَا مَرَدَّ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ نَجِيٍّ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ كَافِرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَأَنْرَسْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَضِيظًا أَنْ عَلَيْكَ إِلَّا التَّبَلُّغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَبْنَا بِهَا وَإِنْ نُصِيبُهُمْ سَيْئَةً مِمَّا قَدَّمْتْ أَيْدِيَهُمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ اللَّهُ مَالِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يُهَبِّئُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّا وَيُهَبِّئُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذَكَرًا وَانْثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ الْإِنْسَانَ أَوْ يُزَيِّجَ حِجَابَ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذُنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُبِينٍ ﴿٥١﴾

بإثباته، ليس لكم أيها الناس من حصن تتحصنون فيه حيثئذ من العذاب، ولا تجدون فيه إنكاراً لتزول العذاب بسبب ذنوبكم، بعد شهادة الأعضاء والكتب والملائكة.

٤٨- فإن أعرضوا عن الإجابة، فلم تُرسلك أيها الرسول موكلاً بهم ومحاسباً لأعمالهم ترغمهم على الإيمان، ليس عليك إلا تبليغ الرسالة، وقد بلغت، وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة كصحة وثروة، بطر بها وتكبر بسببها، وإن تصب الإنسان سيئة، كبلاء من مرض أو فقر أو خوف أو موت حبيب مثلاً، بسبب ما قدمت أيديهم وغيرها من الذنوب والآثام، فإن الإنسان جحود للنعمة، ينسى النعم، ويذكر البلياء، ولا يتأمل بسببها. و﴿إن عليك﴾ إن: حرف نفى بمعنى (ما) وعبر بالأيدي، لأن أكثر الأفعال تزاول بها.

٤٩- الله ملك السموات والأرض يتصرف فيها بما يريد، يخلق ما يشاء خلقه، ويهب لمن يريد إناثاً من الأولاد أو ذكوراً، حسبما يرى من الحكمة.

٥٠- أو يجمع لهم بين الجنسين: الذكور والإناث، ويجعل من يشاء عقيماً، فلا يولد له أحد، إنه سبحانه عليم بخلقه، قدير على ما يشاء، يفعل ما يراه المصلحة والحكمة.

٥١- وما صح لبشر أن يكلمه الله إلا بوحي ينزله عليه. والوحي: كلام خفي يدرك بسرعة. أو يكلمه من وراء ستار، كما كلم موسى عليه السلام، أو يرسل إليه رسولاً من الملائكة كجبريل عليه السلام، فيوحي أو يلقي إلى المرسل إليه، بأمر الله ما يشاء، إنه سبحانه متعال منزه عن صفات المخلوقين، يفعل ما تقتضيه حكمته، واضعاً كل شيء موضعه الصحيح. نزلت هذه الآية حينما قال اليهود للنبي ﷺ: ألا تكلم الله وتتنظر إليه إن كنت نبياً كما كلمه موسى؟ فنزلت وقال: لم ينظر موسى إلى الله تعالى.



وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحَانًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ
وَالْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا
وَإِنَّا لَأَنهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
حَمْدٌ ﴿٥٢﴾ وَالْكِتَابِ الْمُنِينِ ﴿٥٣﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ ﴿٥٤﴾ وَالَّذِي أَنزَلْنَا الْكِتَابَ لَدُنَّا عَلَيَّ حَكِيمٌ ﴿٥٥﴾
أَفَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنْتُمْ قَوْمًا تُسْرِفُونَ ﴿٥٦﴾ وَكَمْ
أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا
بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥٨﴾ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى
مِثْلَ الْأَوَّلِينَ ﴿٥٩﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقْنَاهُنَّ لَعَزِيزًا عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لِكُرْحِهَا سُجْلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٦١﴾

٥٢. مثل إيحائنا إلى غيرك من الرسل أوحينا إليك يا محمد هذا القرآن، وهو من أمر الله، وسمي القرآن روحاً؛ لأن القلوب تحيا به، ويهتدى به، وفيه حياة تقابل موت الكفر، ما كنت تعرف قبل الوحي إليك أي شيء هو القرآن؛ لأنك أمي، وما كنت تعرف حقيقة الإيمان المتضمن مختلف الشرائع والأحكام، ولكن جعلنا هذا القرآن نوراً مضيئاً ودليلاً على التوحيد والإيمان، نرشد به من نشاء من عبادنا إلى الدين الحق، وإنك أيها النبي لترشد الناس إلى طريق مستقيم.

٥٣. دين الله الذي له ملك جميع الموجودات في السموات والأرضين، ألا إلى الله ترجع الأمور، من غير سائط، فيثيب المحسن، ويعاقب المسيء.

سورة الزخرف

١- حا، ميم، حرفان عربيان للتبنيه على ما يأتي بعدهما، وليبيان إعجاز القرآن ما دام مكوناً من حروف اللغة التي ينطق العرب بها.

٢- أقسم بالقرآن الواضح الجلي على أن القرآن هداية بلسان عربي.

٣- إنا أوجدنا القرآن بلغة العرب لتفهموا معانيه، وتعملوا بما جاء فيه.

٤- وإن هذا القرآن المبتى في اللوح المحفوظ عندنا لرفيع القدر أو الشأن، لكونه معجزاً مهيمناً على كل ما سبقه من الكتب، ولا اختلاف ولا تناقض فيه، وهو ذو حكمة بالغة.

٥- هل يصح أن نترككم هملأ أيها الناس، فلا نذكركم بالقرآن ونعظكم ونأمركم وننهاكم؟ كلا، لأجل أنكم قوم متجاوزون الحد في الإسراف والضلال، مشركون بالله. وهمزة «أفَضْرِبُ» للاستفهام الإنكاري، و«الذِّكْرُ» القرآن، و«صفحة»: إعراضاً، والمراد هنا: معرضين. والمراد: إنكار أن يكون الأمر على خلاف المطلوب من انزال القرآن بلغتهم، ليفهموه، بل لا بد من تذكيركم لإقامة الحججة عليكم في الآخرة.

٦- وكثيراً ما أرسلنا رسلاً وأنبياء من قبلك أيها الرسول في الأمم الماضية.

٧- وما يأتي الناس من نبي لدعوتهم إلى الإيمان وطاعة الله إلا استهزؤوا به، وكذبوا برسالته. وهذا ليسرِّي الله (يكشف عنه الهم) عن النبي ﷺ بسبب استهزاء قومه. و«من نبي» تدل على عموم ما بعد «من».

٨- فأهلكنا أشد من قومك قوة، وسبق في القرآن أكثر من مرة ذكر قصص السابقين وحالهم العجيبة، وإهلاكهم، بسبب بغيهم وكفرهم، فاحذروا مثل مصيرهم.

٩- ولئن سألت هؤلاء الكفار من قومك: من أبدع وأنشأ السموات والأرض؟ لاعتترفوا بأن الخالق هو الله وحده، القوي الذي لا يقهر، العليم بكل شيء، وهم مع هذا يعبدون مع الله غيره.

١٠- الذي جعل لكم الأرض مهيّدة للعيش عليها كالفراش أو البساط، وجعل لكم فيها طرقاً، لكي تهتدوا بها لنافعكم. وهذه الآية إلى الآية [١٤] لتربّيخهم على الشرك، بعد اعترافهم بأن الله هو الخالق المنعم بالنعمة الكثيرة.

١١- والذي نزل من السماء ماءً بقدر فأشربنا به بلدة نبيها
والمقتضى المصلحة، فأحيينا به بلدة مجدبة لانيات
فيها، مثل ذلك الإحياء تُخرجون من قبوركم أحياء
لحساب والجزاء.

١٢- والذي خلق الأصناف كلها من المخلوقات
التي بينها تزاوج وارتباط، وجعل لكم ما تركبون عليه
في البر والبحر، على السفن، والأنعام، والمراد بها
هنا الإبل.

١٣- لتستقروا على ظهور المركوبات المذكورة، ثم
تذكروا نعمة الله عليكم إذا استقرت بكم الركوب،
فتحمدهم وتعظموه، وتقولوا بعد الركوب: تنزه الذي
ذلل لنا هذا المركوب عن كل نقص وعيب، وما كنا
لتسخره وركوبه مطيقين، لولا تسخير الله لنا
وترويضه هذه الأشياء.

١٤- وإنا إلى ربنا لراجعون بعد الموت، لتجزى كل
نفس بما كسبت.

١٥- وجعل المشركون لله بعد الاعتراف بأن الله هو
الخالق من عباده ولداً، وهم الملائكة، حيث قالوا:
الملائكة بنات الله، لأن الولد جزء من الوالد، إن
الإنسان القائل بذلك لجحود مبالغ في الكفر، مظهر
كفره، لأن جحود هذه النعم بعد وضوحها كذب
ظاهر.

وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَشْرَبْنَا بِهٖ بَلَدَةً نَّيْبًا
كَذَٰلِكَ نُخْرِجُوكُم مِّنَ الْأَرْضِ ۖ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا
وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفَلَاحِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ۗ لَيْسَتُوا
عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ذِئَابُ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا
سُبْحٰنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُّقْرِنِينَ ۗ وَإِنَّا
إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ۗ وَجَعَلُوا لَهُ مِّنْ عِبَادِهِ جِزْءًا إِن
الْإِنسٰن لَكٰفِرٌ مُّبِينٌ ۗ أَمْ اتَّخَذَ جِمْيًا بَنَاتٍ وَأَصْفٰكُم
بِأَبْنِينَ ۗ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمٰنِ مَثَٰلًا ظَلَّ
وَجْهَهُ سَوْدًا ۖ وَهُوَ كَاطِمٌ ۗ أَوْ مِّنْ بُشْرٰنِ فِي اللَّيْلِ
وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ۗ وَجَعَلُوا الْمَلَٰئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ
عِبَادٌ لِلرَّحْمٰنِ إِنثًا شَٰهِدَةً وَأَخْلَفَهُم مَّسَكِنًا ۖ شَٰهِدَةٌ هُم
وَيَسْأَلُونَ ۗ وَقَالُوا لَوْلَا رَأَىٰ الرَّحْمٰنُ مَا عٰبَدْتُمُ
مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِّنْ عِلْمٍ إِن هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۗ أَمْ أَلْبَسَهُمُ
كِتَابًا مِّنْ قَبْلِهِ فَهَمَّ بِهٖ مَّسْمُوكُونَ ۗ بَلْ قَالُوا
إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ وَإِنَّا لَنَٰرُهُمْ مُّهْتَدُونَ ۗ

١٦- بل اتخذ الله مما يخلق من مخلوقاته بنات لنفسه، وخصكم بالبنين؟ أي ليس المراد كما يظنون، حيث
تزعمون أنه جعل المفضول لنفسه ولكم الفاضل منهما.

١٧- وإذا بُشِّرَ أحد المشركين بولادة بنت له، صار وجهه أسود حزناً متغيراً بسبب الكآبة، وهو ممتلئ غمّاً
وغيظاً.

١٨- أو يجعلون لله من يتربى في الزينة؟ وهم البنات، والهمزة همزة الإنكار، يتربى في وسط الزينة، وهو عاجز
عن إظهار حجته في الخصام، أي الجدال لضعفه وعجزه عن الجدال، بسبب الأنوثة.

١٩- وجعل المشركون الملائكة عباد الرحمن إناثاً حيث قالوا: إنهم بنات الله، هل حضروا لإيجادهم حتى حكموا
بأنهم إناث؟ ستكتب شهادتهم أي قولهم في سجل أعمالهم للجزاء عليها، ويسألون عنها يوم القيامة. قال قتادة:
قال ناس من المنافقين: إن الله صاهر الجن، فخرجت من بينهم الملائكة، فنزل فيهم هذه الآية.

٢٠- وقال المشركون: لو شاء الرحمن - كما تزعمون أيها المؤمنون - ما عبدنا الملائكة، والمراد: ادعواهم أن تلك
العبادة بإرادة الله ورضاه عنها، ليس لهم بما يدعون من دليل علمي مقبول، وما هم إلا يكذبون. و﴿من﴾ في قوله:
﴿من علم﴾ تفيد عموم ما بعدها، و﴿إن هم﴾ إن: حرف يفيد النفي مثل (ما) النافية.

٢١- بل هل أعطيناهم كتاباً من قبل القرآن يؤيد ما قالوه ويجيز لهم عبادة الأصنام، فهم بذلك الكتاب متمسكون
بقوة، عاملون بما فيه، ويحتجون به. والمراد: أنه لم يقع ذلك.

٢٢- بل قال المشركون حين أفلست حججتهم: إنا وجدنا آباءنا على دين وملة وعادة، وإنا على آثارهم مهتدون في
سيرنا، أي تتبع طريقة آبائنا، ونسلك منهاجهم.

٢٣- وكما قال هؤلاء المشركون في تسويغ شركهم، قال المترفون المنعمون، وهم الزعماء والكبراء من الأمم السابقة الذين أرسل إليهم الرسل: إنا وجدنا آباءنا على طريقة ودين موروث، وإنا على طريقتهم سائرون متبعون. نزلت هذه الآية في الوليد بن المغيرة وأبي سفيان وأبي جهل وعتبة وشيبة ابني ربيعة من قريش، فكما قال هؤلاء قال من قبلهم أيضاً.

٢٤- قال لهم رسولهم: أتتبعون آباءكم، ولو جنتكم بدين أهدى إلى طريق الحق من دين آباءكم؟ قال القوم للرسول: إنا بما أرسلتم به جاحدون، لا نؤمن ولا نعمل به.

٢٥- فانتقمنا من مكذبي الرسل قبلك بمعاقبتهم وإهلاكهم، فانظر أيها الرسول كيف كان مصير المكذبين، فهو عبرة للمعتبر.

٢٦- واذكر أيها النبي حين قال إبراهيم لأبيه وقومه عبدة الأوثان والأصنام: إني بريء من هذه الأصنام التي تعبدونها، لا أعبدوها ولا أقربها أصلاً. و﴿إبراهيم﴾ يستوي فيها الواحد والجمع والمذكر والمؤنث.

٢٧- لكن الذي خلقني وهو الله هو الذي أعبدته وأدعوه دون غيره، وهو سيرشدني إلى الدين الحق، ويثبتني عليه.

وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قُرْآنٍ مِنْ نَدْبٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا
إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ أَتَّخَذُوا آلِهَةً
﴿٢٣﴾ قُلْ وَلَوْ جِئْتُمْ بِآيَاتٍ إِذْ أَبَدْتُمْ عَنْهَا وَإِنَّا بِمَا
أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظَرْنَا رَيْفَ
عِيقَةَ الْمُكذِبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأبيه وَقَوْمِهِ إِتَّبِعُوا
بِمَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيُبدِينِ ﴿٢٧﴾
وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِمْ لَعَلَّهُمْ يُرجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ تَمَنَّتَ
هُؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الرُّسُولُ مُبشِّرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا
جَاءَهُمُ الرُّسُولُ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا
نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْشِينَ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهَمْ
يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ كُنْ قَسِمًا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ
الرُّسُولُ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ
الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ أَهْلُ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَإِنَّا لَنَرَاهُمْ فِي
الْعَذَابِ مُتَسَاوِينَ ﴿٣٣﴾ وَأَنزَلْنَا إِلَهُنَّ بِاللَّيْلِ وَأَنزَلْنَا
النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَجَعَلْنَا أَلْسِنَهُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّا
لَنَرِيهِمْ فِي الْعَذَابِ مُتَسَاوِينَ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّا لَنَرِيهِمْ فِي
الْعَذَابِ مُتَسَاوِينَ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّا لَنَرِيهِمْ فِي الْعَذَابِ
مُتَسَاوِينَ ﴿٣٧﴾ وَإِنَّا لَنَرِيهِمْ فِي الْعَذَابِ مُتَسَاوِينَ ﴿٣٨﴾

٢٨- وجعل إبراهيم كلمة التوحيد: (لا إله إلا الله) باقية في ذريته ووصاهم بها، فلا يزال فيهم من يوحد الله، رجاء أن يرجع إليها من يشرك، فيصبح موحداً بدعوة الموحدين.

٢٩- بل تمتعت هؤلاء المشركين في مكة، وامتعت آباءهم من قبلهم بالدنيا ليزدادوا إثمًا، فلم أعاجلهم بالعقوبة على كفرهم، فاغترتوا بذلك، حتى أتاهم القرآن ورسول موضح لهم طريق الهداية، ظاهر الرسالة بالمعجزات، وهو محمد ﷺ.

٣٠- ولما جاءهم القرآن من عند الله، قالوا: هذا الذي جاء به محمد سحر لا وحي، وإنا بالقرآن جاحدون.

٣١- وقال كفار مكة: هلا نزل هذا القرآن على رجل عظيم سيد في قومه من عظماء وسادات مكة أو الطائف، وهو الوليد بن المغيرة من مكة، وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف، والمراد: لو كان قرآنًا لنزل على عظيم من عظماء القريتين. و﴿لولا﴾ للحض على طلب ما بعده. ذكر ابن عباس أن العرب قالوا: وإذا كان النبي بشراً، فغير محمد كان أحق بالرسالة.

٣٢- أهؤلاء القوم يقسمون رحمة ربك يا محمد، فيختارون للنبوّة من أرادوا؟ لا، نحن جعلنا معيشتهم مقسومة فيما بينهم، فجعلنا بعضهم غنياً، وبعضهم فقيراً، فكيف لا يقتنعون بقسمته في أمر النبوّة ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات في الرزق والمواهب وغيرها، و﴿ورحمة ربك﴾: وهي النبوّة أو الجنة خير مما يجمعون من ثروات الدنيا ومتاعها. نزلت هذه الآية رداً على المشركين الذين طلبوا جعل النبوّة في أحد عظيمين.

٣٣- وخشية أن يكون جميع الناس على ملة واحدة وهي الكفر، لجعلنا لبيوت الكفار سقفاً من فضة، ومصاعداً وسلاماً فضية يصعدون عليها.



٣٤- وجعلنا لبيوتهم أيضاً أبواباً فضية، وأسرة فضية

يستندون عليها.

٣٥- وجعلنا لهم كذلك زينة ونقوشاً في السُّفِّ

والأبواب والسُّرور- والزخرف: الذهب أو الزينة- وما كل

ذلك إلا شيئاً يتمتع به في الدنيا، ثم يزول بالموت، والجنة

عند ربك في الآخرة لمن اتقى الشرك والمعاصي و ﴿إِنْ﴾

حرف نفي بمعنى (ما). و ﴿لَمَّا﴾ بمعنى (إلا). والمراد بالآيات

الثلاث: لولا كراهة صيرورة الناس أمة واحدة في الكفر،

لجعلنا للكافرين أنواع الترف بالفقصة واللوان الزخارف

والزينة، لحقارة نعيم الدنيا إذا قيس بنعيم الآخرة.

٣٦- ومن يعرض عن القرآن نهياً له ونسلط عليه

شيطاناً، فهو له صاحب ملازم، لا يفارقه، ويتبعه في جميع

أموره. نزلت هذه الآيات في كفار قريش الوثنيين.

٣٧- وإن هؤلاء الشياطين من الإنس والجن الذين

يقيضهم الله لكل من يتعاضى ويعرض عن القرآن، ليصدون

أصحابهم ويصرفونهم عن طريق الهداية، ويظنون أنهم

بسبب وسوسة الشياطين واتباعهم لهم مهتدون إلى الحق

والصواب.

٣٨- حتى إذا جاءنا المعرض عن القرآن في الآخرة، قال

لشيطانه المقارن له: يا ليت بيني وبينك بُعد ما بين المشرق

والمغرب، فبئس صاحب القرين لي أنت، حيث أصلتني

عن الإيمان. والمشرقان: من باب التغليب، هما المشرق

والمغرب.

٣٩- ولن ينفعكم أيها المعرضون عن القرآن ندمكم يوم القيامة؛ لأنكم ظلمتم أنفسكم في الدنيا بالكفر، ولأنكم مع قرنائكم

مشركون في العذاب المستحق، ولا ينفع الندم. و ﴿إِذْ﴾ بمعنى لام التعليل. والمراد: أن المشاركة في العذاب الأخروي لا تهون

الأمر، فللكل واحد نصيبه منه، على خلاف حال المصائب في الدنيا تكون المشاركة فيها مخففة أثرها.

٤٠- أفأنت أيها الرسول تسمع الصم عن سماع الحق، أو تهدي العمي عن إيصار الصواب والهدى، وتهدي كل من كان في

بُعد واضح عن الحق وخطأ بين؟ والمراد أن هؤلاء الكفار بمنزلة الصمِّ والعُمي وأهل الضلالة لإفراطهم في الجهل والكفر.

وقوله: ﴿أفأنت﴾ الهمزة للاستفهام المراد به حمل السامع على التعجب. نزلت الآية لأن رسول الله ﷺ كان يتعجب نفسه في

دعاء قومه، وهم لا يزيلون إلا غياً.

٤١- فلما توفيتك قبل إنزال العذاب بهم، فإنا منتقمون منهم، متى شئنا عذبناهم بعدك.

٤٢- أو نُصبرنك الذي وعدناهم من العذاب قبل موتك، فنحن قادرون على عقابهم، وتمَّ ذلك يوم بدر.

٤٣- فتمسك بقوة أيها الرسول بالقرآن الذي أوحى به إليك، وإن كذب به المكذوبون، إنك على طريق قويم ودين حق.

٤٤- وإن القرآن لشرف عظيم لك ولقومك العرب لنزوله بلغتهم، وسوف تسألون يوم القيامة عن العمل به.

٤٥- وأسأل أيها الرسول أم الرسل الذين بعثناهم قبلك: هل أذن الله بعبادة الأوثان من دون الله في ملة من الملل؟ والمراد:

الاستشهاد بإجماع الأنبياء على التوحيد، وأن الأمر به قديم.

٤٦- ولقد أرسلنا من قبلك موسى بالآيات الدالة على وحدانيتنا وبالمعجزات التسع الدالة على صدق رسالته، المذكورة في

الآية [١٣٣] من الأعراف [٧] وغيرها، أرسلناه إلى فرعون وأشرف رعيته وقومه، فقال لهم: إني رسول مبعوث إليكم من رب

العالمين لدعوتكم إلى توحيد الله.

٤٧- فلما جاءهم موسى بآياتنا الدالة على رسالته، قابلوه فجأة بالهزء والسخرية.

وَلِيُؤْتِيَهُمْ آيَاتٍ وَأَوْسُرًا عَلَيْهِمْ يَتَكُونُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرًا وَإِنْ

كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا سَمِعَ الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ

لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَكَانَ يَعْشُرُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضًا لَهُ سَيِّطَانًا

فَهُؤْلَاءُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ

أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ نَادَىٰ بَيْنَكَ وَبَيْنَكَ

بَعْدَ الْمَشْرِفَيْنِ فَيْسَأَلُ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكَ الْيَوْمَ

إِذْ ظَلَمْتَهُمْ أَنُكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ

الصَّمَّ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَىٰ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ

﴿٤٠﴾ فَإِنَّمَا نَذَرْنَا بِكَ فَإِنَّا مَتَّبِعُهُمُ شَاقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ تَرْتَأَتُكَ

الَّذِي وَعَدْتَهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَسْيِكَ بِالَّذِي

أَوْحَىٰ إِلَيْكَ إِنَّا كُنَّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّا لَنَذُرُّكَ

وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسَوْفَ نُرْسِلْنَا مِنْ قَبْلِكَ

مِن رُّسُلِنَا أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ

أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ

رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ آيَاتُنَا إِنَّا هُمْ نَسُوا بَاطِلًا

﴿٤٧﴾

٤٨- وما نري هؤلاء الجاحدين من آية من آيات المعجزات إلا هي أكبر مما قبلها وأعظم في الإعجاز، وأخذناهم أخذ قهراً بعدذاب، كالسنتين (الجدب) والظوفان والجراد ونقص الأموال والثمرات، ليرجعوا عن الكفر والضلال.

٤٩- وقال فرعون وقومه لموسى لما رأوا العذاب: يا أيها الساحر أي العالم، حيث كانوا يُسَمُّونَ السحرة علماء، ادع الله لنا بما أخبرتنا به من عهده إليك أنا إذا أمنا كُشِفَ عنا العذاب، أي إن الله يجيب دعاءك؛ لأنك رسول الله، إننا لمؤمنون مصدقون بما جئت به.

٥٠- فدعا موسى ربه، فكشَفَ عنهم العذاب، فلما رُفِعَ عنهم العذاب إذا هم يتقصون عهدهم، ويلازمون كفرهم.

٥١- أعلن فرعون بين قومه قائلاً: يا قوم اليس لي ملك بلاد مصر، دون منازعة من أحد، وهذه الأنهار تجري من تحتي قصري، أي أنهار النيل، بتصرفي، أفلا تُبصرون قوة ملكي وعظمة سلطاني؟!

٥٢- بل أنا خير من موسى الذي هو ضعيف حقير لا عزة له، ولا يكاد يوضح الكلام، لأنه ألق في لسانه.

٥٣- فهلا ألقى على موسى أساور ذهب إن كان عظيماً، أو جاء معه ملائكة متتابعون متقارنون

وَمَا يُرِيدُ مِنَ آيَةِ الْآيِ كِبْرٍ مِنْ آخِثَهَا وَأَخَذْتَهُمْ بِالْعَذَابِ لَأَعْلَهُمْ جُرْحُومٌ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا مُلْتَمِدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُورُونَ ﴿٥٠﴾ وَسَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يُغْوِيهِمُ الْيَسِيرُ إِلَىٰ مَآءٍ وَمِنْ هَٰذَا الْأَنْهَارِ يُجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفْلا يُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَدِينٌ وَلَا يُكَادُ يَنْبِيئُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أَنِّي عَلَيْهِ أُسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِبِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا اسْتَفْوَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَافًا وَنَسَلًا لِلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذْ قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا أَبْنَاتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِجْرًا لِأَبْرِهِمْ قَوْمٌ حَسِيمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ هُوَ الْإِعْدُ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجْعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴿٦٠﴾

مصاحبون له، ويعاونونه على تأديب مخالفيه، ويشهدون له بالنبوة؟

٥٤- فحمل قومه على خفة الجهل والسفه بكيد، فأطاعوا أمره، إنهم كانوا خارجين عن طاعة الله تعالى.

٥٥- فلما أغضبونا بالإفراط في العصيان والفساد، انتقمنا منهم، فأغرقناهم أجمعين في البحر.

٥٦- فجعلناهم متقدمين غيرهم من الكفار في العذاب في القبر والآخرة، وقدموا لمن بعدهم، وعظة وعبرة للآخرين.

٥٧- ولما جعل عيسى ابن مريم مثلاً، أي حجة وبرهاناً، إذا قومك كفار قريش يضحجون ويضحون بالضحك فرحين بذلك المثل، زاعمين أنهم أفحموا النبي ﷺ بما سمعوا. نزلت في مجادلة ابن الزبير مع النبي ﷺ حين نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء ٢١/٩٨] فقال ابن الزبير: خَصَمْتُكَ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ، أليست النصراني يعبدون المسيح، واليهود عزيزاً، وبنو مليح الملائكة؟ ففرح بذلك من قوله، فنزلت هذه الآية، وآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ﴾ أولئك عنها مبعدون [الأنبياء ٢١/١٠١].

٥٨- وقالوا: أآلهتنا خير أم عيسى خير منها، فإن كان في النار فلنكن آلهتنا معه في النار أيضاً، فردَّ الله عليهم بأن المشركين ما ضربوا لك هذا المثل إلا لأجل الجدل والخصومة بالباطل، لا طلباً للحق والحقيقة، بل هم قوم مجادلون بالباطل، شديدو الخصومة.

٥٩- ما عيسى ابن مريم إلا عبد من عباد الله أنعمنا عليه بالنبوة والرسالة، وجعلنا ولادته من غير أب مثلاً، أي آية ودليلاً على قدرتنا، لبني إسرائيل وغيرهم من الناس. و ﴿مَثَلًا﴾ أي كالمثل السائر في غرابته، يستدل به على قدرة الله تعالى.

٦٠- ولو نشاء لجعلنا بدلاً منكم ملائكة في الأرض يخلقونكم فيها ويقومون بعمارتها.



٦١- وإن خروج المسيح لعلامة على قيام الساعة، لكونه من أسرارها وأماراتها، كخروج الدجال، فلا تشكوا في وقوعها، فهي واقعة كائنة لا محالة، واتبعوني وأطيعوني فيما أمركم به من توحيد الله وإبطال الشرك، وهذا الذي أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ طَرِيقٌ قَوْمٌ لَا عِوَجَ فِيهِ، مُؤَدِّينَ إِلَى الْجَنَّةِ وَرِضْوَانَ اللَّهِ تَعَالَى.

٦٢- ولا يصرفنكم الشيطان بوساوسه عن اتباع الحق، إنه لكم عدو ظاهر العداوة، يدعوكم للضلال والهلاك.

٦٣- ولما جاء عيسى بالمعجزات وآيات الإنجيل لبني إسرائيل قال: قد جئتكم بالنبوة والإنجيل، ولأوضح لكم بعض ما تختلفون فيه من أحكام التوراة، فخافوا عقاب الله، باجتناب معاصيه، وأطيعوني فيما أمركم به من التوحيد والشرائع.

٦٤- إن الله هوري وربكم فاعبدوه وحده وأطيعوا أمره وشرعه، وهذا الذي أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ هُوَ الطَّرِيقُ الْقَوِيمُ الْمَوْصِلُ إِلَى الْجَنَّةِ وَرِضْوَانَ اللَّهِ تَعَالَى.

٦٥- فاختلفت الفرق المتحزبة من اليهود والنصارى في شأن عيسى، أهو إله، أم ابن الله، أم ثالث ثلاثة، فهلاك وعذاب للذين كفروا وأشركوا بالله ولم يعملوا بشرائعه، من عذاب مؤلم يوم القيامة.

وَاللَّهُ لَعَلُّهُ السَّاعَةَ فَلَا تَعْدُرُ بِهَا وَأَتَّبِعُونَ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٣﴾ فَأَخْلَفَ الْآخْرَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلًا لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَدَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ ﴿٦٤﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٥﴾ الْأَخْلَافُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ يَسْأَلُ لَأَخَوْفُ عَلَيْكُمْ النَّوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٧﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٦٩﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا تَخْلَدُونَ ﴿٧٠﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾

٦٦- هل ينتظرون إلا مجيء الساعة فجأة، وهم لا يشعرون بوقت مجيئها، لغفلتهم عنها. و ﴿هل﴾ حرف استفهام إنكاري يفيد النفي، أي لا ينتظرون إلا قيام الساعة.

٦٧- الأصحاب أو الأصدقاء المتحابون في الدنيا من أجل متاعها ومنافعها فقط، يعادي بعضهم بعضاً يوم القيامة، إلا أهل التقوى الذين التزموا الأوامر واجتنبوا النواهي وتحابوا في الله، فإنهم أصدقاء أوفياء. نزلت في أمية بن خلف الجمحي وعقبة بن أبي معيط اللذين كانا خليلين، واتفقا على إيذاء النبي ﷺ، فقتلا يوم بدر.

٦٨- ويقال للمتقين المتحابين في الله يوم القيامة: يا عبادي لا خوف عليكم اليوم من مكروه، ولا أنتم تحزنون على شيء فاتكم في الدنيا.

٦٩- أنتم يا عبادي الذين صدقوا بآياتنا القرآنية، وكانوا خاضعين منقادين لله، مخلصين، طائعين.

٧٠- يقال لهم: ادخلوا الجنة، أنتم وزوجاتكم المؤمنات، تسرون وتكرومون وتعمون.

٧١- يطاف عليهم في الجنة بطعام في صحاف (قصاع وطباق) وآية شراب من ذهب، وفي الجنة ما تشتهي الأنفس تحصيله، وتلذذ الأعين النظر إليه، من فنون الأطعمة والأشربة، وأنتم في الجنة مآكثون على الدوام، لا تموتون ولا تخرجون منها.

٧٢- ويقال لهم: هذه الجنة التي صارت إليكم كصيرورة الميراث، تشبيهاً لجزاء العمل بالميراث، بسبب ما علمتم في الدنيا من صالح الأعمال.

٧٣- لكم في الجنة أيضاً فاكهة كثيرة الأنواع، تأكلون منها ما لذ وطاب، دون نفاذ لدوامها.

٧٤- إن الذين كفروا بالله ما كشون على الدوام في نار جهنم، لا يخرجون منها.

٧٥- لا يُخَفَّفُ عنهم العذاب فترة، وهم فيه آيسون من النجاة.

٧٦- وما ظلمناهم شيئاً، فلا تعذبهم بغير ذنب، ولا تزيد عليهم ما يستحقون، ولكن كانوا هم الظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصي.

٧٧- ونادى هؤلاء المجرمون الكافرون بعد بأسهم من تخفيف العذاب: يا مالك خازن النار، ليقض علينا ربك بالموت، أسأله أن يمتينا فيرحنا من العذاب، نرجو الله ذلك، فأجابهم: إنكم مقيمون في العذاب أبداً.

٧٨- قال الله تعالى: لقد جئناكم أيها المكيون وغيركم من الكفر بالحق الثابت من البعث والحساب على لسان رسولنا، وأنزلنا عليكم القرآن والكتب السابقة، ولكن أكثركم كارهون للحق.

٧٩- بل أحكموا تدبير أمر، في كيد النبي ﷺ، وقتله وإبطال دعوته؟ فلينا محكمون لهم كيدياً بإهلاكهم ومجازاتهم. قال مقاتل: نزلت في تدبيرهم في المكر بالنبي ﷺ في دار الندوة. أم للانتقال من كلام سابق إلى الإنكار عليهم في تأمرهم.

٨٠- بل إنهم يظنون أن الله لا يسمع حديث الخفية مع النفس أو الغير في مكان، وتناجهم فيما يتهامون به بينهم، بل، نسمع ذلك ونعلم به، وتكتب رسلنا حفظة الملائكة

إِنَّ الْحَرَمِينَ فِي عَذَابٍ حَمِيمٍ ٧٦ لَا يَخْفَى عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْسُوتُونَ ٧٥

وَأَادُوا بِبِلَاكٍ لِيُقْضَىٰ عَلَيْكَ قَوْلُنَا إِنَّكُمْ تَكْفُرُونَ ٧٦ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرُكُمْ لِحَقِّ كَرِهُونَ ٧٨ أَمْ أُرْمُوا أَمْراً فَأَنَّا مَبْرُؤُونَ ٧٧ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سُرُورَهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُوبُونَ ٧٩ قُلْ إِنْ كَانَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَأَنزَلْنَا أَوَّلَ الْعِيدِينَ ٨٠ سُبْحٰنَ رَبِّ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٨١ فَذَرَهُمْ مَخَصُوماً وَلْيَعْمُوا حَتَّىٰ يَلْقَؤا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ٨٢ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ٨٣ وَبَارِكْ لِلَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٨٤ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ

سُئِلَ بِإِذْنِهِ فَسَيَكْفُرُونَ بِمَا كَفَرُوا وَيَعْلَمُونَ الْحَقَّ ٨٥ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَهُودِ وَالنَّاصِرِينَ الَّذِينَ قَالُوا سَوَاءٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْيَهُودِ وَالنَّاصِرِينَ قُلْ سَوَاءٌ بَيْنَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ ٨٦ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٨٧ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٨٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٨٩ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٩٠ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٩١ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٩٢ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٩٣ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٩٤ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٩٥ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٩٦ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٩٧ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٩٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٩٩ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٠٠

الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٠١ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٠٢ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٠٣ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٠٤ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٠٥ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٠٦ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٠٧ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٠٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٠٩ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١١٠

الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١١١ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١١٢ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١١٣ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١١٤ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١١٥ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١١٦ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١١٧ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١١٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١١٩ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٢٠

الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٢١ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٢٢ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٢٣ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٢٤ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٢٥ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٢٦ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٢٧ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٢٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٢٩ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٣٠

الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٣١ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٣٢ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٣٣ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٣٤ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٣٥ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٣٦ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٣٧ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٣٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٣٩ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٤٠

الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٤١ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٤٢ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٤٣ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٤٤ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٤٥ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٤٦ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٤٧ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٤٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٤٩ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٥٠

الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٥١ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٥٢ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٥٣ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٥٤ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٥٥ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٥٦ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٥٧ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٥٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٥٩ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٦٠

الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٦١ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٦٢ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٦٣ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٦٤ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٦٥ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٦٦ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٦٧ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٦٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٦٩ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٧٠

الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٧١ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٧٢ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٧٣ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٧٤ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٧٥ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٧٦ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٧٧ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٧٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٧٩ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٨٠

الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٨١ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٨٢ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٨٣ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٨٤ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٨٥ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٨٦ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٨٧ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٨٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٨٩ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٩٠

الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٩١ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٩٢ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٩٣ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٩٤ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٩٥ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٩٦ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٩٧ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٩٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ١٩٩ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٠٠

الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٠١ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٠٢ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٠٣ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٠٤ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٠٥ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٠٦ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٠٧ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٠٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٠٩ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢١٠

الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢١١ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢١٢ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢١٣ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢١٤ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢١٥ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢١٦ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢١٧ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢١٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢١٩ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٢٠

الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٢١ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٢٢ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٢٣ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٢٤ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٢٥ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٢٦ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٢٧ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٢٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٢٩ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٣٠

الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٣١ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٣٢ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٣٣ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٣٤ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٣٥ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٣٦ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٣٧ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٣٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٣٩ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٤٠

الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٤١ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٤٢ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٤٣ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٤٤ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٤٥ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٤٦ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٤٧ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٤٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٤٩ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٥٠

الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٥١ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٥٢ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٥٣ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٥٤ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٥٥ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٥٦ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٥٧ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٥٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٥٩ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٦٠

الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٦١ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٦٢ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٦٣ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٦٤ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٦٥ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٦٦ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٦٧ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٦٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٦٩ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٧٠

الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٧١ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٧٢ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٧٣ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٧٤ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٧٥ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٧٦ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٧٧ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٧٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٧٩ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٨٠

الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٨١ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٨٢ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٨٣ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٨٤ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٨٥ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٨٦ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٨٧ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٨٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٨٩ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٩٠

الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٩١ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٩٢ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٩٣ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٩٤ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٩٥ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٩٦ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٩٧ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٩٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٢٩٩ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٣٠٠

الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٣٠١ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٣٠٢ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٣٠٣ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٣٠٤ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٣٠٥ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٣٠٦ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٣٠٧ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٣٠٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٣٠٩ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ ٣١٠

الملازمون عندهم جميع ما يصدر عنهم من أقوال وأفعال و «بلى» لإبطال النفي قبله، وتقرير ما بعده. نزلت في ثلاثة بين الكعبة وأستارها، وهم قرشيان وثقيفي، قال واحد منهم: ترون الله يسمع كلامنا؟ وقال آخر: إذا جهرت سمع، وإذا أسررت لم يسمع.

٨١- قل أيها الرسول: إن ثبت أو وجد للرحمن ولد كما تزعمون، فأننا أول المعظمين له، ولكنه شيء مستحيل، وثبت بالدليل القاطع ألا ولد له تعالى، فمستحيل أن أعبد غير الله تعالى.

٨٢- تنزه الله مالك السموات والأرض عن كونه ذا ولد وعن كل نقص، خالق العرش ومالكه، تنزيهاً عما يصفون.

٨٣- فدعهم أو اتركهم يخوضوا في باطلهم، ويلهوا في دنياهم، حتى يلاقوا يوم القيامة الذي يوعدون به.

٨٤- والله هو الإله في السماء وفي الأرض، لا يعبد بحق سواه، وهو الحكيم في تدبير خلقه، العليم بمصالحهم.

٨٥- وتعاضم وتجدد الله مالك السموات والأرض وما بينهما كالهواء وجميع المخلوقات، وعنده علم وقت القيامة، وإليه ترجعون في الآخرة، فيجازي كل واحد بما يستحق من خير أو شر.

٨٦- ولا يملك العبودون من دون الله كالأصنام والأوثان. ويدعون: يعبدون. الشفاعة عند الله، لكن من شهد بأن الله هو الحق، وهو الإله الواحد، وهم على علم وبصيرة ويقين بما شهدوا به، فهم الشافعون بإذن الله تعالى.

٨٧- ولئن سألت أيها النبي المشركين: من الذي خلقهم؟ لقالوا وأقروا بأن الله هو خالقهم وخالق كل شيء، فكيف يصرفون عن عبادة الله إلى عبادة غيره بعد هذا الإقرار؟!

٨٨- «وقيله»: الواو للقسمة، والقال والقبيل والقول واحد، أي وحق قول الرسول شاكياً أنهم لا يؤمنون لأعدبهم بما يستحقون، وقوله: «بارب»، إن هؤلاء الذين بعثني إليهم قوم لا يؤمنون برسائلي ودعوتي.

٨٩- فأجاب الله تعالى بقوله: فاعرض عن المشركين، وأعرض عنهم إعراض العاقل عن الجاهل، وقل لهم: سلام عليكم سلام ترك وإهمال، لا سلام تحية، فسوف يعلمون عاقبة تكذيبهم وكفرهم. فيه تهديد ووعيد شديد.

سورة الدخان

- ١- حاميم: للدلالة على إعجاز القرآن المركب من هذه الحروف العربية، والعرب لا يتمكنون من معارضتها، وللتنبية إلى خطورة ما يليق بعدها من أحكام.
- ٢- أقسم بهذا القرآن الموضح للناس ما يحتاجون إليه من الأحكام والشرائع.
- ٣- ابتدأنا إنزال القرآن في ليلة القدر المباركة، إنا كنا مخوفين من المعاصي ومحذرين منها.
- ٤- في ليلة القدر يفصل وبين كل أمر محكم لا كسب فيه، من التشريعات والأزواق والأجال ونحوها. والتعبير بـ ﴿يفرق﴾ للمستقبل عن الماضي، لأجل استحضار الصورة.
- ٥- أعني بهذا الأمر أمراً حاصلًا من عندنا على مقتضى حكمتنا، إنا أنزلنا لأجل أنا كنا مرسلين للأنبياء.
- ٦- إنا كنا مرسلين الرحمة إلى البشر، وهي رسالة الرسل رافة بالمرسل إليهم، إنه سبحانه السميع لأقوال عباده، العليم بأحوالهم وأفعالهم.
- ٧- خالق ومدبر السموات والأرض وما بينهما، إن كنتم تطلبون اليقين وتريدونه، فإن اعترفتم بأنه تعالى الخالق، فعليكم الاعتراف بوحدانيته.
- ٨- لا إله يعبد بحق إلا الله وحده لا شريك له، يحيي ويميت كما تشاهدون، خالقكم وخالق آبائكم السابقين.
- ٩- بل المشركون في شك من البعث وهذا القرآن،

يهزؤون بالنبي ﷺ ويقرأهم بأن الله خالقهم وخالق سائر الناس والمخلوقات، فهم يفعلون ذلك لعباً وهزأً. وهو رد لكونهم موقنين.

١٠- فانتظر أيها النبي ما يحل بهؤلاء المشركين المستهزئين يوم تأتي السماء بظلمة في الجور، يراها المكروب كأنها دخان واضح. وهذا من أشرط الساعة، أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود: أن قريشاً لما استعصت على رسول الله ﷺ وأبطؤوا عن الإسلام، قال: اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف، فأصابهم قحط وجهد، حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء، فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجوع. فانزل الله ﴿فارتقب يوم تأتي السماء﴾ فأتى النبي ﷺ فقيل: يا رسول الله، استسق الله لمضر، فاستسقى لهم فسقوا.

١١- يحيط الدخان بالناس من كل جانب، فيقولون: هذا عذاب مؤلم.

١٢- ويقولون: ربنا اكشف العذاب عنا، إنا مصدقون بك وبنبيك. وهذا وعد بالإيمان إن كشف العذاب عنهم.

١٣- كيف ومن أين لهم التذکر عند كشف العذاب؟ والحال أنه جاءهم رسول يبين لهم الحق، وكل ما يحتاجون إليه من أمر

الدين.

١٤- ثم أعرضوا عنه وقالوا عنه تارة: يعلمه بشر وليس رسولاً، وتارة: إنه مجنون.

١٥- أخبر الله عن نفسه بأنما كاشفو العذاب بدعاء النبي ﷺ كشفاً أو زماناً قليلاً، إنكم عائدون إلى الكفر، فعادوا إليه بحسب

طبعهم.

١٦- يوم نأخذ بقوة وشدة بالضربة الكبرى إما يوم القيامة أو يوم بدر، وذلك عند عودتكم إلى الضلال، إنا منتقمون منكم

كالاتقام من السابقين، حتى لا يبقى أثر للشرك فيهم.

١٧- ولقد اختبرنا قبل مشركي مكة قوم فرعون وهم الأقباط، أرسل الله إليهم رسولاً جامعاً لحصال الخير، وهو موسى عليه

السلام.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ
 مُبْرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٢﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ
 حَكِيمٍ ﴿٣﴾ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كَامِرٌ سَلِيمٍ ﴿٤﴾ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ
 إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
 إِنَّ كُنُوزَ مُوقِنِينَ ﴿٦﴾ لِإِلَهِ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ
 وَرَبُّ آبَائِكُمْ الْأُولِينَ ﴿٧﴾ لَيْلُ هُرْفٍ شَدِيدٍ لِيُعْبُونَ
 ﴿٨﴾ فَأَرْقَبُ يَوْمَئِذٍ السَّمَاءَ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴿٩﴾ يُعَسَى
 أَنْتَاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠﴾ رَبَّنَا اكشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ
 إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ أَتَى لَهُمُ الدَّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ
 ﴿١٢﴾ وَقَوْلُوا عَنْهُ وَقَالُوا مَعَهُ مَجْذُونٌ ﴿١٣﴾ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ
 قَلِيلًا إِنكُمْ عَابِدُونَ ﴿١٤﴾ يَوْمَ نَبْطِئُ الْبَاطِنَةَ الْكُرْئَى إِنَّا مُنْقِفُونَ
 ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٦﴾



١٨- أَنْ أَدْعُوا إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَنْ لَّا تَعْلَمُوا
 عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ إِنِّي لَأَعِدُّنَا
 رَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ فَاغْرِبُوا ﴿٢١﴾ فَمَا
 رَبُّهُ إِلَّا هُوَ ذُو الْعَرْشِ الْمُبِينُ ﴿٢٢﴾ فَاسْتَرْسَبْ إِذْ يَلْبَسُ لِبَاسًا
 مِّنْ جَبِّ ۖ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّتَمَرُّونَ ﴿٢٣﴾ كَذَّبُوا
 بِرَبِّكَ مِنْ جَبِّ وَعَيْونَ ﴿٢٤﴾ وَذُرُوعًا وَمَقَامِرَ كَرِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَنَعْمَةٌ
 كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٦﴾ كَذٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٧﴾
 فَجَاءَكَ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٨﴾ وَلَقَدْ
 نَجَّيْنَا نوحًا إِسْرَءِيلَ مِنَ الْقَارِبِ الْمُهِينِ ﴿٢٩﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ
 كَانَ عَلِيًّا مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلٰى
 الْعٰلَمِينَ ﴿٣١﴾ وَآءَاتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيٰتِ مَا فِيهَا بَلَاغٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾
 إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٣﴾ إِن هٰٓؤُلَاءِ إِلَّا أَشْرَافُ الْأَوَّلِينَ
 وَمَا نَحْنُ بِمُشْرِكِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَنزَلْنَا بِآيٰتِنَا أَنْ كَثُرَ صٰدِقِينَ ﴿٣٥﴾ أَهْمُرُ
 حَبْرًا مُّزْمَجًا مِّنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَ كَلْبَةَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُجْرَمُونَ ﴿٣٦﴾
 وَمَا خَلَقْنَا السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَبِيدَ ﴿٣٧﴾

١٨- أن أرسلوا معي بني إسرائيل أو أدوا إلي حق الله من الإيمان وقبول الدعوة، إني لكم رسول مؤمن على ما أرسلت به وأوحى إلي، غير متهم.
 ١٩- والآن تتكبروا على الله بتبرك طاعته، والاستهانة بوحيه ورسوله، إني آتيتكم ببرهان واضح على رسالتي، وهذا علة النهي عن التجبر والتكبر.
 ٢٠- وإني تحصنت أو اعتصمت بالله ربي وربكم من قتلي رمياً بالحجارة.
 ٢١- وإن لم تصدقوا برسالتي، فاتركوني وشأني، أو خلوا سبيلي، ولا تؤذوني.
 ٢٢- فدعا موسى ربه أن هؤلاء: فرعون وقومه قوم كافرون. وهو سبب الدعاء عليهم.
 ٢٣- ففسر ببني إسرائيل عبادي ليلاً، إنكم ملاحقون يتبعكم فرعون وجنوده.
 ٢٤- واترك البحر ساكناً مفتوحاً على هيئته بعد ضربه بالعصا، حتى يدخل فيه فرعون وجنوده، إنهم جند غارقون في البحر. وهذا الخبر لتسكين قلب موسى وقومه.
 ٢٥- كثيراً ما تركوا من بساتين خضراء وعيون ماء جارية.
 ٢٦- وزروع متنوعة ومنازل ومجالس حسنة.

٢٧- ونعمة: وهي المال والخير الواسع، كانوا فيها منتعمين هانئين.

٢٨- الأمر كذلك، وورثنا أموالهم قوماً آخرين غيرهم وهم بنو إسرائيل.

٢٩- فما بكت عليهم السماء لعدم العمل الصالح، ولا الأرض لعدم العبادة فيها، وهو مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم، وما كانوا مؤجلي العقوبة، بل عوجلوا بها لشدة كفرهم.

٣٠- ولقد خلصنا بني إسرائيل من الذل والاستعباد وقتل الأبناء، بإهلاك عدوهم.

٣١- نجيناهم من طغيان وتعذيب فرعون، إنه كان متعالياً على الناس، من المتجاوزين الحد في الكفر والعصيان.

٣٢- ولقد اخترنا بني إسرائيل على الناس في زمانهم، على علم منا باستحقاقهم ذلك في زمانهم؛ لأنهم كانوا مؤمنين، وأغلب من سواهم وثيون، فلما بدلوا وخالفوا الوحي الإلهي غضب الله عليهم إلى الأبد.

٣٣- وآتيناهم على يد موسى من المعجزات والأدلة والبراهين ما فيه اختبار ظاهر.

٣٤، ٣٥- إن هؤلاء المشركين القرشيين ليقولون: ما هي إلا موتتنا الأولى التي نموتها في الدنيا، وما نحن بمبعوثين بعد الموت.

٣٦- فإن كان البعث حقاً فأتوا بأبائنا الذين ماتوا قبلنا وأرجعهم إلينا بعد موتهم، إن كنتم صادقين في اعتقاد البعث وفيما تخبروننا به من أمر الآخرة.

٣٧- أهؤلاء المشركون خير في القوة والمنعة، أم قوم تبع الحميري من ملوك اليمن، الذي تغلب على سكان الدنيا وقهرهم، ولكنه كان رجلاً مؤمناً صالحاً؟ وكذلك الذين جاؤوا من قبلهم من الكفار كعاد وثمود، أهلكتهم بذنوبهم، إنهم كانوا كافرين. والمراد: ليس كفار قريش أقوى منهم.

٣٨- وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما من المخلوقات عابثين لاهين.

٣٩- ما خلقتاهما وما بينهما إلا خلقاً ملامزاً للحق، وإقامة الحق، ولكن أكثرهم وهم المشركون المكيون لا يعلمون أن الأمر كذلك لقلّة نظرهم.

٤٠- إن يوم القضاء الفصل بين الخلائق، وهو يوم القيامة لتمييز المحسن من المسيء هو وقت موعدهم للعذاب الدائم.

٤١- يوم لا ينفع قريب عن قريب، ولا يدفع عنه شيئاً، ولا هم ينعون من العذاب.

٤٢- لكن من رحم الله بالعفو عنه وقبول الشفاعة فيه، وهو المؤمن، فهو الذي ينجو بإذن الله، إنه تعالى القوي الغالب، فلا ينصر من أراد تعذيبه، الرحيم بمن أراد أن يرحمه، وهم المؤمنون.

٤٣، ٤٤- إن شجرة الزقوم ذات الشمر الثمر التي تثبت في أصل الجحيم هي طعام الأثم كثير الإثم. قال أبو مالك: إن أبا جهل كان يأتي بالتمر والزبد، فيقول: تزقموا فهذا الزقوم الذي يعدكم به محمد، فنزلت هذه الآية.

٤٥، ٤٦- وهو طعام كعكر الزيت والقطران أو كسائل المعادن من الذهب والفضة والنحاس ونحوها، يغلي في بطون الكفار، كغلي الماء الساخن.

٤٧- يقال للزبانية: خذوا الأثم، فجرّوه بعنف وقسوة إلى وسط النار.

٤٨- ثم صبوا فوق رأسه من الماء الشديد الحرارة الذي يصهر الرأس.

٤٩- ويقال له تهكماً وتوبيخاً: ذق العذاب أيها المتعزز المكرم في زعمك حين تقول: ما بين جليلها أعز وأكرم مني. قال عكرمة: «لقي رسول الله ﷺ أبا جهل، فقال: إن الله أمرني أن أقول لك: أولى لك فأولى، ثم أولى لك فأولى، فنزع يده من يده، وقال: ما تستطيع لي أنت ولا صاحبك من شيء، لقد علمت أنني أمتع أهل البطحاء، وأنا العزيز الكريم، فقتله الله يوم بدر، وأذله وغيره بكلمته، ونزل فيه قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾».

٥٠- إن هذا العذاب ما كنتم به تشكرون في الدنيا.

٥١، ٥٢- إن المتقين في مجلس أو مكان آمن من جميع المخاوف في الآخرة، في بساتين خضراء، ويتابع جارية.

٥٣- يلبسون في الجنة ثياباً من رقيق الديباج وغلظه أو سمكه، متقابلين في مجالسهم ينظر بعضهم إلى بعض.

٥٤- الأمر كذلك وهو حال أهل الجنة، وقرّناهم بنساء بيض حسان، وأساعت الأعين، مع شدة بياضها وشدة سوادها.

٥٥- يطلبون في الجنة ما أرادوا ويأمرون بإحضار ما يشتهون من الفواكه وغيرها آمنين من نفاذها ومن الآلام.

٥٦- لا يذوقون في الجنة الموت أبداً، لكن الموتة التي ذاقوها في الدنيا وانتهى أمرها، وحماهم من عذاب الجحيم.

٥٧- أعطاهم ربهم ذلك تفضلاً وإحساناً، ذلك الفوز الذي لا فوز بعده، لخلاصه من المكارة.

٥٨- فإمّا أنزلنا القرآن بلغتنا، وجعلناه ميسراً للفهم، ليتذكروا ويتعظروا بما فيه، فيؤمنوا بك.

٥٩- فانتظر ما وعدناك به من النصر عليهم وإهلاكهم إن لم يؤمنوا، إنهم منتظرون موتك، أو غيره من المصائب.



سورة الجاثية

فضلها ونزولها: عن ابن عباس: أنها نزلت في عمر رضي الله عنه، شتمه رجل من المشركين بمكة قبل الهجرة، فأراد أن يبطش به، فأنزل الله عز وجل الآية [١٤].

١- حا، ميم، كما تقدم في السورة السابقة.

٢- هذا القرآن منزل عليك أيها الرسول من عند الله القوي الغالب في ملكه، الحكيم في صنعه.

٣- إن في خلق السموات والأرض لأدلة على حكمته تعالى وقدرته ووحدانيته للمصدقين به.

٤- وفي خلق الله لكم أيها الناس في أطوار وأحوال مختلفة، وما ينشر ويوزع في الأرض، من أي دابة تدب على الأرض، دلالات واضحة على قدرة الله، لقوم يصدقون بقدرة الله على البعث وغيره.

٥- وفي اختلاف الليل والنهار طولاً وقصرأ، وتعاقبهما أثر بعضهما، وفي إنزال المطر الذي هو سبب الرزق، فأحيا به الأرض بالإنبات بعد جدها، وفي تغيير اتجاهات الرياح من جهة إلى جهة، جنوباً وشمالاً، حارة وباردة، عاصفة وليئة، دلالات واضحة على وحدانية الله وقدرته، لقوم ذوي عقول.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ح ١- نَزَّلَ الْكِتَابَ مِنَ اللَّهِ الْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ١- وَإِن فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ٢- وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُذَّبُ مِنْ دُونِكُمْ
لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ٣- وَأَخْلَفَ لَيْلٍ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ
مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ٤- تَاكُ آيَاتُ اللَّهِ تَنْزِيلَهَا عَلَيْكَ الْحَقَّ فَمَا فِي حَدِيثِكَ بَعْدَ
آلِهَةِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ ٥- ذَلَّلْ لِكُلِّ قَوْمٍ نَبِيًّا ٦- تَسْمَعُ آيَاتِ
اللَّهِ تَنزِيلًا عَلَيْهِ فُورِصٌ مُسْتَكْرَبًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِيرَةٌ لِّعَذَابِ أَلِيمٍ
٧- وَإِنَّا عَلِمْنَا مِنَ الْبَنَاتِ أَنَّهَا هَرُوا أَوْلِيكَ لَمْ نَعَذِّبْ
شُعْبَةَ ٨- مِن دُونِكُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يَخْفَى عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا
وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٩- هَذَا
هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ نَعَذِّبْ مِن نَّحْنِ الْبَرِّ ١٠-
اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِيَجْرِيَ لِفَتَاكُ فِيهِ بِأَمْرٍ وَلِيَتَّبِعُوا مِن
فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١١- وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٢-

٦- تلك الأدلة والآيات القرآنية تقصها عليك، متصفة بالحق والصدق الذي لا باطل فيه ولا كذب، فبأي كلام بعد كلام الله وأدلته وآياته يصدقون؟!

٧- هذا عذاب وهلاك لكل كذاب مفتر على الله، كثير الإثم.

٨- يسمع آيات الله تقرأ عليه، ثم يبقى مصراً على كفره وجعوده، متكبراً متعاضماً في نفسه عن الانقياد للحق الذي هو كلام الله، كأنه لم يسمع ما فيها من وعد ووعد، فأخبره بأن له عند الله عذاباً شديداً الألم يوم القيامة. والبشارة هنا تهكم به، والمراد: الإنذار والتخويف. نزلت في النضر بن الحارث الذي كان يشتري أحاديث الأعاجم، ويشغل بها الناس عن استماع القرآن.

٩- وإذا لم يسمع الآيات، ولكنه علم بها من غيره، اتخذ الآيات القرآنية موضوعاً للسخرية والهزاء، أولئك الأفاكون الساخرون لهم عذاب مذل مفضوح يوم القيامة.

١٠- تنتظرهم جهنم، ولا يدفع عنهم شيئاً من العذاب ما كسبوا من الأموال والأولاد في الدنيا، ولا تمنعهم آلهتهم الأصنام ونحوها التي عبدوها واتخذوها نصراء من دون الله، ولهم عذاب عظيم شديد في جهنم.

١١- هذا القرآن هداية وإرشاد إلى الحق والصواب، والذين جحدوا وكذبوا بآيات القرآن لهم عذاب من أشد أنواع العذاب.

١٢- الله الذي هياً وذللكم البحر يجعله على صفة قابلة للركوب عليه في السفن، لتسير فيه السفن بإذنه، وتسخيرها، ولتطلبوا فيه من فضل الله بالتجارة والصيد والغوص، ولتشكروا الله على هذه النعم بسبب التسخير في البحر.

١٣- وذللكم لعباده جميع ما في السموات من شمس وقمر وأمطار ورياح، وجميع ما في الأرض من خيرات وكنوز ومنافع، إن في ذلك التذليل لدلائل واضحة على قدرة الله وتوحيده، لقوم يتفكرون فيها.



١٤- قل أيها الرسول للمؤمنين بالله ورسالتك: أن يصفحوا عن الذين لا يتوقعون عذاب الله، كعذاب الأمم السابقة، ليجزي قوماً وهم المؤمنون في الآخرة بما كسبوا في الدنيا من الأعمال الصالحة. والمراد بأيام الله: أنواع العذاب والمصائب التي أنزلها الله بالأمم الماضية. نزلت هذه الآية كما تقدم في عمر (رض) وفي الذي أساء إليه وشتم المؤمنين وهو عبد الله بن أبي، فاشتمل عمر بسيفه يريد التوجه إليه، فأنزل الله هذه الآية في بدء الإسلام قبل إنزال آيات الجهاد.

١٥- من عمل عملاً صالحاً فلنفسه الأجر والثواب، ومن أساء بالمعصية فعلى نفسه وزر عمله، ثم ترجعون إلى ربكم جميعاً أيها الناس، فيحاسبكم على أعمالكم.

١٦- ولقد أعطينا بني إسرائيل التوراة، ووسائل فصل الخصومات من الفهم وفقه الدين، وجعلنا منهم الأنبياء والرسل، ورزقناهم من المباحات اللذات كالمال والسلوى، وفضلناهم على عالمي زمانهم البشر بما كلف البحر، والتوراة، وقوة الإيمان واليقين.

١٧- وأعطيناهم دلائل وواضحات من أمور الدين ومنها المعجزات، أو شواهد إثبات نية خاتم النبيين فلم يقع الاختلاف بينهم في الدين إلا بعد مجيء العلم إليهم ببيان مبادئ الدين وشرائع الحلال والحرام، عداوة

وحسداً بين بعضهم، وطلباً للرئاسة، إن ربك أيها النبي يحكم بينهم يوم القيامة في اختلافات الدين، فيجازي كل إنسان بما يستحق، حسناً أو سوءاً. و «يقضي» أي بالمواخاة والمجازاة.

١٨- ثم جعلناك أيها الرسول على طريقة ومنهاج واضح من أمر الدين، يوصلك إلى الحق، فاعمل بشريعتك المنزلة إليك، ولا تتبع أهواء كفار قريش ونحوهم الذين لا يعلمون توحيد الله وشرائعه فيما دعوك إليه من اتباع ملتهم.

١٩- إن هؤلاء المشركين الجاهلين الذين لا يعلمون، لن يدفعوا عنك شيئاً من عذاب الله إن اتبعت أهواءهم، وإن الكافرين بعضهم أنصار بعض على الباطل، والله ناصر المتقين الذين تجنبوا الشرك والمعاصي.

٢٠- هذا القرآن وآياته مبصرات ومنيرات للقلوب وبراهين على أحكام الدين، وهدى من الضلال، ومرشد لطريق الفوز بالجنة وبرضوان الله، ونعمة من الله، لقوم يطلبون اليقين ويؤمنون حقاً بالبعث.

٢١- أبطل ظن الذين اقتصروا أو اكتسبوا الكفر والمعاصي أن يجعلهم في الآخرة كالذين آمنوا بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر، وعملوا الأعمال التي أمر الله بها، بأن نسوي بين المسيئين والمحسنين، أو يجعلهم مستوين في الحساب في حياتهم وبعد موتهم، بشس هذا الحكم الذي يحكمون به بالتسوية بين الفريقين. و «أم» تفيد الإنكار وقطع الكلام عما قبله، والمراد: إنكار الحسبان أو الظن، أي: أبطل، نزلت في ثلاثة من المشركين: عتبة وشيبة والوليد بن عتبة، قالوا لثلاثة من المؤمنين: حالنا في الآخرة أفضل من حالكم، كما أننا أفضل حالاً منكم في الدنيا.

٢٢- وأوجد الله السموات والأرض بالحق، والخلق بالحق يستدعي العدل وتفاوت المحسن والمسيء، والمراد: أن الله فعل ذلك لتمام العدل، ولتجزي كل نفس بما كسبت من الطاعات والمعاصي.

قُلْ الَّذِينَ آمَنُوا بَعَثْنَا الَّذِينَ لَا بِرُجُونٍ بِأَمْرِ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلِمَ أَنْهُ إِلَىٰ رَبِّكَ رُجُوعٌ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ تَبْيِينَ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا آخَرُوا الْإِيمَانَ بَعْدَ مَا جَاءَهُمْ الْعِلْمُ بِهَا بَيْنَهُمْ إِنْ رَبِّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيحَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَبَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ آجَرُوا حُرًّا لَسَيِّئَاتٍ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَفَىٰ عَلَىٰ سَمْعِهِ
 وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ عِشْرَةَ فَرَسٍ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا
 تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْدِيكُمُ
 إِلَّا الدُّهْرُ وَمَا لَهُ مِنْ عَلَمٍ إِلَّا هُزْءٌ لِمَنْ يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِن تَسْتَأْذِنُوا
 عَلَيْهِمْ أَذِنُوا لِيَسْتَأْذِنَ بَآبَاتِ إِنْ
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ
 الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَوَلِلَّهِ
 السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِخُ بِالسُّبْحِ الْمُبِيطُونَ ﴿٢٧﴾
 وَرَبِّي كُلُّ أُمَّةٍ جَانِبَهُ كُلُّ أُمَّةٍ لَدَعَىٰ إِلَىٰ كَيْفِهَا الْيَوْمَ تُحْرَجُونَ مَا كُنْتُمْ
 تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَذَا كَيْدُنَا يَطُوقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ
 تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ
 رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ
 كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَابِيئًا لِّسُلَىٰ عَلَيْهِمْ فَمَا سَتِيتُمْ وَمَا كُنْتُمْ قَوْمًا
 تُحْجَرُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن قِيلَ لِيَنَّ وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَالسَّاعَةُ لَا رَبَّ فِيهَا فَلَهُ
 مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُحْسِنِينَ ﴿٣٢﴾

٢٣- أخبرني عن جواب الاستفهام الآتي: من الكافر الذي يعبد ما يهواه، ولم يعبد الإله الحق؟ وخذله الله ولم يوفقه على علم منه بالحق واختيار الضلال، وطبع على سمعه وقلبه، حتى لا يسمع ما ينفعه من الإرشاد، ولا يعقل ولا يفقه الهدى، وجعل على بصره غطاء حتى لا يبصر الرشد، فمن يهديه ويرشده من بعد إضلال الله له؟ أفلا تتعظون؟ (من) اسم استفهام يفيد النفي، أي لا أحد يهديه، فعلنا التذكر حتى نعلم حقيقة الحال. قال مقاتل: نزلت في الحارث بن قيس السهمي أحد المستهزئين؛ لأنه كان يعبد ما تهواه نفسه. وقال سعيد بن جبير: نزلت في قريش الذين كانوا يعبدون الحجر أحياناً، فإذا وجدوا أحسن منه، طرحوا الأول وعبدوا الآخر. والذي ختم على سمعه وقلبه: هو أبو جهل.

٢٤- وقال المشركون منكرو البعث: لا حياة إلا هذه الحياة الدنيوية الحالية، يصيبنا الموت والحياة فيها بموت البيض وولادة آخرين، وليس هناك حياة أخرى، وما يفينا إلا مرور الزمان- لأن بعض العرب كانوا ينسبون كل حادث إلى الدهر- فرد الله عليهم: بأنهم لم يقولوا ذلك عن علم بالحقيقة، وإنما عن مجرد شك، أو ظن وتخمين. قال أبو هريرة: كان أهل الجاهلية يقولون: إنما يهلكنا الليل والنهار، فأنزل الله هذه الآية.

٢٥- وإذا تليت عليهم آيات القرآن الظاهرة المعنى، الواضحة الدلالة على قدرتنا على البعث، لم تكن لهم حجة إلا قولهم: اتنوا بآياتنا الأموات، وأعيدوهم إلى الحياة كدليل على البعث، إن كنتم صادقين في ادعائكم بوجود البعث، ليشهدوا لنا بذلك.

٢٦- قل أيها الرسول لشكري البعث: الله يحييكم في الدنيا، ثم يميتكم عند انتهاء آجالكم، ثم يجمعكم إلى يوم القيامة أحياء للحساب والجزاء، الذي لا شك فيه، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الله قادر على إحيائهم مرة أخرى كما بدأ خلقهم أول مرة، لقلعة تفكرهم. والمراد: أن من قدر على خلقكم أول مرة، قادر على إعادتكم ثانياً.

٢٧- والله ملك السموات والأرض وما فيها من مخلوقات، فهو صاحب الحق في التصرف بهما كما يشاء، ويوم تقوم القيامة يومئذ يخسر الكافرون المكذبون، وتظهر خسارتهم؛ لأنهم يصيرون إلى النار.

٢٨- وترى أصحاب كل ملة أو دين بركة على الرب، كهيبة الخائف الذليل، كل أمة تدعى إلى صحيفة أعمالها فرداً فرداً، ويقال لهم: اليوم تُحجرون مقابل ما كنتم تعملون في الدنيا.

٢٩- هذا ديوان الحفظ الذي كتبناه عليكم، يشهد عليكم شهادة بالحق من غير زيادة ولا نقصان، إننا كنا نستكتب الملائكة بتدوين أعمالكم وتبئتها وحفظها في صحيفة أعمالكم.

٣٠- فأما الذين صدقوا بالله ورسله، وعملوا الأعمال التي أمرهم الله بها، فيدخلهم ربهم في جنته، ذلك هو الظفر البين الظاهر الذي لا يعادله فوز آخر.

٣١- وأما الذين كفروا بالله ورسله، فيقال لهم توبيخاً: أفلم تكن آياتي القرآنية ونحوها تقرأ عليكم، فتكبرتم عن الإيمان بها، وكنتم قوماً كافرين آثمين عصاة.

٣٢- وإذا قيل للكفار: إن وعد الله بالبعث والحساب واقع لا محالة، والقيامة لا ريب في وقوعها، قلتم: ما نعلم أي شيء هي الساعة (القيامة)؟ ما نظن وقوعها إلا ظناً، أي نتوهم توهماً، وما نحن بمحققين أو متحققين أن الساعة آتية.

٣٣- وظهر لهم في الآخرة عقوبات ما عملوا في الدنيا، ونزل وأحاط بهم جزاء أعمالهم بدخولهم النار التي استهزؤوا بها في الدنيا.

٣٤- وقيل للكفار: اليوم تترككم في النار، كما تركتم العمل للقاء هذا اليوم، ومكان إيوائكم أو مستقركم النار، وليس لكم أنصار يمنعون عنكم العذاب. و﴿من﴾ حرف يدل على عموم نفي ما بعده.

٣٥- ذلكم العذاب الواقع بكم بسبب اتخاذكم آيات القرآن مهزوءاً بها، أي استهزأتم بها، وخدعتكم الحياة الدنيا بزخارفها وأباطيلها، حتى قاتم: لا بعث ولا حساب، فالיום لا يخرجون من النار، ولا يطلب منهم الرجوع عن موجب العتب بإرضاء ربهم بالتوبة والطاعة. وقوله: ﴿لا يستعيبون﴾ لا يسترضون.

٣٦- فله الشكر والثناء بالجميل على وفاء وعده، فهو خالق السموات والأرض وكل ما سوى الله ومدير شؤون الكون، وكل ذلك نعمة ودليل على كمال قدرة الله. و﴿رب العالمين﴾ تأكيد وتعميم.

٣٧- والله تعالى العظمة والسلطان، وهو القوي

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ لِيَوْمٍ نَسْتَدْرِكُ كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُمْ بِأَنكُم بِآيَاتِنَا أَتَيْتُمُوهَا وَعَذَّبْتُمْ عَلَيْهَا أَلَدَّتْ بِأَلْسِنَتِكُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَأَلْيَوْمَ لَا يُخْرِجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْعَفُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ﴿١﴾ نَزِيلَ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّشْتَمٍ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُذُنُوا مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أُرْسِلُوا مَاذَا حَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ لَقَوْلِي يَكْتُبُ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرُونَ مِنْ عَلِيمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾

الذي لا يُغلب، الحكيم في أحكامه وقدره وقضائه.

سورة الأحقاف

- ١- حا، ميم، معناهما كما قيل في سورة الدخان.
- ٢- هذا القرآن منزل عليك أيها الرسول من الله القوي في ملكه وسلطانه، الحكيم في تدبيره وفعله، يضع كل أمر في موضعه.
- ٣- ما أوجدنا السموات والأرض وما بينهما من المخلوقات إلا إيجاباً ملازماً للحق والعدل، ومقتضى الحكمة، للدلالة على قدرة الله ووحدانيته، لا باطلاً ولا عبثاً، ويتقدير أجل معين ينتهي إليه كل شيء، وهو يوم القيامة، والذين كفروا مولون مدبرون عن التفكير بما أنذروا أو خوفوا به من البعث والحساب والجزاء، غير مستعدين له.
- ٤- قل أيها النبي للمشركين: أخبروني عن حال آلهتكم من الأصنام والأوثان وغيرها التي تعبدونها من دون الله، أروني أي شيء خلقوه مما في الأرض، أم لهم مشاركة في السموات، تقتضي تملك جزء منها، أحضروا لي كتاباً منزلاً من قبل هذا القرآن، أو بقية من علم يؤثر ويروي عن الأولين بصحة دعواكم في عبادة الأصنام أنها تقر بكم إلى الله، إن كنتم صادقين في دعواكم. والمراد: ليس عندكم أي حجة أو أقل علم بما تدعون. و﴿أم﴾ همزة الاستفهام للإنكار.

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ
كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تَنَادَى عَلَيْهِمْ
إِنَّ إِلَهُنَا يَأْتِيكُم بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ
﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَنُزِّلُهُمْ بِقُلِّبٍ إِنْ أَفَرَّتْهُمْ قُلُوبُنَا فَلَا مَلَأُكُونَ لِي مِنْ اللَّهِ
شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا نُفِيسُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شُهيدًا لِلَّذِينَ
وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْعَظُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدُعَاءِ مَنْ أُرْسِلُ وَمَا أَدْرِي
مَا يَقُولُ بِي وَلَا يَكْفُرُ إِنْ أُلْحِقُوا بِي بِالْكُفْرِ وَمَا أَنَا إِلَّا
نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ إِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ جَاءَهُمْ نَارٌ
وَشِهَادٌ سَاهِدٌ مِنْ نَبِيِّ إِسْرَائِيلَ يَلْعَلُ عَلَى مِثْلِهِ وَمَنْ أَشَدُّ كِبْرًا
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ حَقًّا مَا سَبَقْنَا إِلَيْهِ وَإِذْ
لَوْ يَهْتَدُوا بِهِ فَيَسْقِئُونَ هَذَا آفَاتِكُمْ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمَنْ قَسِبَ
كُتُبَ مُوسَىٰ أَوْ حَمَلَهَا فَإِنَّ جُزْءًا مِنْهَا كَانَ مِنْ عَمَلِهِ وَهُوَ
لِلسَّاعَةِ عَرِيًّا لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُنشِئَ لِحُكْمِهِنَّ ﴿١٢﴾

٥- لا أحد أشد ضللاً من المشرك الذي يعبد من لا يستجيب له دعاءه وسؤاله أبداً إلى يوم القيامة، وهم أي الأصنام والأوثان غافلون عن دعواتهم وعبادتهم؛ لأنهم جمادات لا يعقلون ولا يسمعون. والجملة الأخيرة كالتعليل لما قبلها.

٦- وإذا جمع يوم القيامة عبدة الأصنام، كانت الأصنام أعداء لهم، تبتراء منهم، وكان المعبودون كافرين بعبادة المشركين العابدين، أي متبرين.

٧- وإذا تتلى على المشركين آيات القرآن واضحات ظاهرات، قال كفار مكة الذين كذبوا بالله ورسوله للحق وهو آيات القرآن لما جاءهم من عند الله، من غير نظر ولا تأمل: هذا سحر ظاهر. ولا م ﴿للحق﴾ بمعنى (عن).

٨- بل يقولون: اختلق محمد هذا القرآن من عند نفسه، قل لهم أيها الرسول: إن اخترعته وكذبت على الله. على سبيل الافتراض. فلا تتمكنون أن تردوا عني شيئاً من عذاب الله، إن عاجلني بالعقوبة، الله أعلم بما تقولون في القرآن من القدح والطعن، كفى بالله شاهداً يشهد لي بالصدق والبلاغ، ويشهد عليكم بالكذب والإنكار، وهو الكثير المغفرة لمن تاب، الرحيم بمن آمن به وصدق بالقرآن. و ﴿أم﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري،

والمراد: الإضراب عن تسميتهم القرآن سحراً إلى ذكر ما هو أشنع منه وأعجب. والافتراء: أقيح أنواع الكذب.

٩- قل أيها الرسول: لست مبتدعاً لا مثال له، ولست بأول رسول لا سابقة له، ولست أدري ما يفعل الله بي في الدنيا، من الإبقاء في مكة أو التهجير أو القتل، ولا ما يفعل بكم من العقوبة أو الإمهال، ما أتبع إلا ما يوحى إلي من القرآن، ولا ابتدع شيئاً من عندي، ولست أنا إلا مخوف لكم من عذاب الله، واضح التحذير أو الإنذار، إن بقيتم على الكفر. و ﴿إن﴾ في قوله: ﴿إن أتبع﴾ حرف نفى، أي لا أتبع.

١٠- قل أيها النبي: أخبروني أيها المشركون عن حالكم إن كان هذا القرآن من عند الله، وجحدتم وكذبتم به، وشهد شاهد من علماء بني إسرائيل على وجود مثل معاني القرآن المصدقة له في التوراة من الدعوة إلى التوحيد وأصول الفضائل، فصدق به، وتكبرتم عن الإيمان به، إن الله لا يهدي إلى الإيمان القوم الكافرين. أخرج البخاري ومسلم عن سعد بن أبي وقاص: أن هذه الآية نزلت في عبد الله بن سلام، وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله.

١١- وقال الذين كفروا بالله ورسوله عن الذين آمنوا- اللام بمعنى عن- أي تحدثوا عن الذين آمنوا، وهم عبد الله بن سلام وأصحابه، لو كان هذا القرآن خيراً مما وجدنا عليه آباءنا، ما سبقونا إلى الإيمان به، أي هؤلاء الأعداء، قالوا ذلك استهزاء بهم لفقرهم، ولأنهم لم يهتدوا سيقولون: هذا القرآن كذب قديم من جنس أساطير الأولين. و ﴿إذ لم يهتدوا﴾ بمعنى لام التعليل. نزلت في ناس من المشركين قالوا: نحن أعز، ونحن ونحن، فلو كان خيراً ما سبقنا إليه فلان وفلان.

١٢- ومن قبل القرآن كتاب موسى وهو التوراة جعلناه للإسرائيليين قدوة وسبب رحمة، وهذا القرآن مصدق لما قبله من الكتب الإلهية، حال كونه بلسان العرب الفصيح، ليحذر بهذا القرآن الذين ظلموا أنفسهم بالكفر وهم مشركو مكة، ومبشر للمؤمنين المحسنين بالجنة.

١٣- إن الذين قالوا: ربنا الله وحده لا شريك له، ثم استقاموا على أحكام الشريعة، فجمعوا بين التوحيد وطاعة الشريعة، فلا خوف عليهم من مكروه يوم القيامة، ولا هم يحزنون على فوات محبوب في الدنيا.

١٤- أولئك هم أهل الجنة، ماكثين فيها على الدوام، جوزوا جزءاً حسناً بما عملوا من صالح الأعمال في الدنيا.

١٥- وأمرنا الإنسان أمراً مقترباً بال العناية والاهتمام بإحسان صحبتة لوالديه، حملته أمه بمشقة، وولده بمشقة، ومدة حملته وطاقمه ثلاثون شهراً، أقصى الفطام عن الرضاع سنتان، وأقل الحمل ستة أشهر، حتى إذا بلغ متتهى القوة الجسدية والعقلية، فبلوغ الأشد: كمال العقل والرأي والقوة، وبلغ تمام أربعين سنة، وهو أكثر الأشد، قال: رب أهمني ووفقي أن أشكر نعمتك التي أنعمت بها علي، وعلى والدي في الدين والدنيا، ووفقي أن أعمل عملاً صالحاً تتقبله مني، واجعل الصلاح سارياً في ذرتي، راسخاً فيهم، وهو تقوى الله، إني تبت إليك من ذنوبي، وإني من المتقدين لأمرك، الطائعين. نزلت في أبي

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَعَدْنَا الْإِنْسَانَ بِلَوْلَدِهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنَيْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾

أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ حَسَنًا مَّا عَمِلُوا وَبِحَارُورٍ عَنِ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصَّدَقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِي قَالَ لَوْلَدِيهِ أَيْ لَكُمْ أَتَعْلَمَانِي أَنْ أُخْرِجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنِّي قَبْلِي وَمَا اسْتَعِينَانِ اللَّهُ وَبِئَاكُءَ إِمْنٍ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطُورٌ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَيُوفَّقُهُمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَأَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ ﴿١٩﴾

بكر الصديق رضي الله عنه الذي أسلم وصدق رسول الله، وهو ابن ثمان وثلاثين سنة، حيث بعث النبي ﷺ وهو ابن أربعين سنة، فلما بلغ أبو بكر أربعين سنة، قال: ﴿رب أوزعني أن أشكر نعمتك...﴾

١٦- أولئك الشاكرون القائلون هذا القول: الذين تقبل منهم - عن بمعنى من - أعمالهم الصالحة في الدنيا، بأن تعطيهم ثواب أعمالهم على قدر أحسنها تفضلاً ورحمة، ونصفح عن ذنوبهم ونغفر لهم، فلا تعاقبهم عليها، كائنين في عداد أهل الجنة، وُعدوا ذلك على السنة الرسل في الدنيا وعداً صادقاً كانوا يوعدون به.

١٧- وفيما يتلى عليكم: خبر الذي قال لوالديه حينما طلبا منه الإيمان بالله واليوم الآخر: أفألكما، بمعنى أتضجر منكما، أتعدانني أن أبعث حياً من قبري بعد موتي، وقد مضت الأمم الكثيرة من قبلي؟ وهما يسألان الله أن يوفق ولدهما إلى الإيمان، يقولان لولدهما: ويحك هلكت، آمن بالبعث وبالله وحده، إن وعد الله بالبعث والحساب حق ثابت لا شك فيه، فيقول: ما هذا القول بالبعث إلا أكاذيب الأولين وأباطيلهم التي سطروها في الكتب؟ نزلت هذه الآية في عبد كافر عاق لوالديه، وليست في عبد الرحمن بن أبي بكر، كما في بعض الروايات؛ لأن عبد الرحمن أسلم بعد ذلك، وحسن إسلامه.

١٨- أولئك المنكرون للبعث هم الذين وجب عليهم العذاب، ونزل ما هددناهم به، في جملة أم كثيرة قد مضت من قبلهم من الجن والإنس، إنهم كانوا خاسرين لأنفسهم في الآخرة.

١٩- ولكل من الفريقين: المؤمن والكافر مراتب متفاوتة من الثواب والعقاب، وليوفيهم الله جزاء أعمالهم، وهم لا يظلمون شيئاً بنقص ثواب، أو زيادة عقاب.

٢٠- واذكر أيها النبي يوم يعرض الدين كسروا بالله ورسله على النار، حيث يعذبون فيها أو تكشف لهم، يقال لهم: أذهبتم لذائذكم وقوتكم في حياتكم الدنيا، بأن صرفتم طاقاتكم في المعاصي، واتبعت الشهوات واللذات في معاصي الله، وتمتعتم في الملذات، فما بقي لكم منها شيء، فالיום تجزون عذاب اللذ والهوان والحزني، بسبب تكبركم في الأرض عن الإيمان بالله وتوحيده ظلاماً بغير وجه حق، وبسبب خروجكم عن طاعة الله، واقرار معاصيه.

٢١- واذكر أيها النبي لقومك للاتعاظ والاعتبار أخاصاد في النسب لا في الدين، وهو هود عليه السلام، حين حذر قومه بالأحقاف: واد باليمن فيه منازل عاديين عمن ومهرة، وهي رمال بلاد الشحر باليمن في حضرموت، وقد مضت الرسل الذين يحذرون أمهم من عذاب الله، أي كثرت قبله وحوله في أم عديدة، بأن قال: ألا تعبدوا إلا الله وحده لا شريك له، إني أخشى إن عبدتم غير الله عذاب يوم عظيم هائل هو يوم القيامة. و«بين يديه» قبل إرساله، و«من خلفه» بعد إرساله في زمانه.

وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ لَكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَعْتَمْتُمْ بِهَا أَيَّامَ تَجْرُؤُونَ عَذَابَ لَهْمُونَ بِمَا كُنْتُمْ تَسْكُرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنَّمَا كُنْتُمْ تَقْسِفُونَ ﴿٢٠﴾ وَادُّرُّوْا أَحَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرْتُمُوهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ اللَّيْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَيْهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَذَكَّرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَأَبْلَغُ مَا نَأْتِيهِمْ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَأَيْكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مَطْرٌ أَمْ إِنَّا لَأَبْهَمَا أَكْثَرُ قَالُوا أَتَسْتَعْجِلُ بِهِ يَوْمَ هَذَا عَذَابَ الْيَوْمِ ﴿٢٤﴾ تَذَكَّرَ كُلُّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْحَوْا الْآيْرِي الْأَمْسَلِكُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْجَاهِلِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ كَذَّبْتُمْ فِيهَا إِنَّمَا كُنْتُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهْرَ سَمْعًا وَأَبْصَرَ وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾

٢٢- قالوا: يا هود أجئتنا لتصرفنا عن عبادة

آلهتنا؟ فأتنا بما تعدنا به من العذاب إن كنت من الصادقين في تهديك وإنذارك.

٢٣- قال لهم هود: لا يعلم أحد متى يأتيكم العذاب، وإنما علمه عند الله، وأبلغكم ما أرسلت به إليكم، ولكني أراكم قوماً تجهلون وظيفة الرسل وأنهم مجرد مبلغين، وتجهلون المستقبل المظلم باستعمالكم العذاب ما هو، وبإصراركم على الكفر.

٢٤- فلما رأوا أمارات العذاب وسحاباً معترضاً في أفق السماء، متجهاً أو مقبلاً نحو أوديتهم، قالوا: هذا سحاب عارض يأتينا بالمطر والخير، فأجابهم هود بقوله: بل هو العذاب الذي استعجلتم به، ويصح أن يكون هذا من قول الله، إنه ريح مشتملة على عذاب مؤلم.

٢٥- تهلك كل شيء من النفوس والأموال بإذن الله وإرادته، فأصبحوا هلكى لا يرى من آثارهم شيء سوى مساكنهم الخالية، وكما جزيناهم نجزي القوم الكافرين.

٢٦- ولقد أمددناهم ومكناهم في المال وقوة الأبدان وطول العمر ما لم نمكنكم فيه يا أهل مكة، وبمقدار لم تبلغوا مثله، وجعلنا أسماً وأبصاراً وقلوباً للفهم وإدراك الأدلة، فلم تنفعهم تلك الحواس والطاقت شيئاً لتعطيلهم إياها، فلم يتوصلوا إلى توحيد الله وإنجائهم من العذاب؛ لأنهم كانوا يتكرونها ويكذبون بآيات الله، ونزل بهم من العذاب ما استهزؤوا به وتعجلوه سخرية وعناداً. «إن مكناكم» حرف نفي، «فما أغنى» لم ينفعهم «من شيء» من: يفيد عموم نفي ما بعده و«إذ كانوا» حرف تعليل، أي لأنهم كانوا.

٢٧- ولقد أهلكنا يا أهل مكة من كان جواركم من أهل القرى، كشمود وعاد وقوم لوط ونحوهم، ونوعنا الأدلة وبيننا البراهين، لكي يرجعوا عن كفرهم، فلم يفعلوا.

فَلَوْلَا نَصْرُهُ لَإِذْنُ الَّذِينَ يَأْتُونَكَ بِاللَّيْلِ مِنَ الْمَدِينَةِ مَقْبضَاتٍ يُؤْتُونَكَ بِاللَّيْلِ مِنَ الْمَدِينَةِ مَقْبِضَاتٍ كَمَا كَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ الْفُرَّانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصُرْنَا فَلَمَّا حَضَرُوا قَالُوا أَنصُرْنَا وَمَنَّا مَشِيرَةٌ لَّهُمْ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمِ إِنَّا سَمِعْنَا كَيْدَ الْأُنثَىٰ مِن بَعْدِ مَوْسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ فَهَاتُوا إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ مَسْئِمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَاعْمُوا بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيَجْزِكُمْ عَذَابَ الْبَرِّ ﴿٣١﴾ وَمَنْ لَّيْجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِعَجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي صُلْحٍ مِّمِينَ ﴿٣٢﴾ أَوْ لَرَبِّ وَأَنَّ اللَّهَ الَّذِي هُوَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَرَبُّنَا يُخَلِّقُ عَلَى نَهْيِهِ مَن يَشَاءُ لَيْسَ عَلَى اللَّهِ عِزٌّ كَثِيرٌ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ كُفْرُهُمْ وَلَوْلَا رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ لَسَاءَ جُزَاءً لَّهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوعَدُونَ لَوْ لَبِثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَّغْ فَمَلَّ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٤﴾

٢٨- فهلا نصرتهم ألهمهم التي عبدوها من غير الله لتشفع لهم، وتمتع عنهم العذاب. والمراد بهذا التهمك- بل غابوا عنهم حين إيقاع العذاب بهم، وذلك أي عدم نفع ألهمهم لهم سببه كذبهم أنها تقربهم إلى الله، وصرّفهم أنفسهم عن الحق إلى الباطل، وسببه أيضاً افتراؤهم بأن الله شركاء. و ﴿قربانا﴾ مفعول لأجله، أي للتقرب بهم إلى الله. و ﴿بلى﴾ لإبطال ما قبله، وإثبات ما بعده، و ﴿يفترون﴾ يكذبون.

٢٩- واذكر أيها النبي حين وجهنا إليك نفرًا من الجن- والنفر: عدد قد يصل إلى أربعين، وأقله ثلاثة- لاستماع القرآن الكريم، فلما حضروا تلاوته، قال بعضهم لبعض: أنصتوا أي استمعوا لسماع القرآن، فلما فرغ من قراءته، رجعوا مسرعين، مخوفين قومهم العذاب إن لم يؤمنوا. وهذا دليل واضح أن الرسول ﷺ كان مرسلًا إلى الجن والإنس. نزلت في تسعة من الجن هبطوا على النبي ﷺ، وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة، فلما سمعوه ﴿قالوا: أنصتوا﴾.

٣٠- قالوا: يا قومنا: إنا سمعنا قرآنًا عجيبًا أنزل من بعد موسى- وقالوا ذلك لأنهم كانوا يهودًا فأسلموا كما قال عطاء- مصدقًا لما تقدمه من الكتب المنزلة

كالتوراة، يهدي إلى الدين الحق، وإلى طريق قويم مؤد إلى الجنة والرضوان الإلهي.

٣١- يا قومنا أجيبوا داعي الله، وهو محمد ﷺ الذي يدعو إلى الإيمان بالله، وصدقوا به وبرسالته، يغفر لكم بعض ذنوبكم وهي المتعلقة بحقوق الله تعالى، وأما حقوق العباد فلا تغفر بالإيمان، وإنما تسقط برضا أصحابها، ويخلصكم من عذاب مؤلم، وهو عذاب النار.

٣٢- ومن لا يستجب لدعوة النبي إلى الله والإسلام، فلا يمكن أن يفلت من الله بالهرب من عقابه، وليس له من غير الله أنصار يمنعونه من عذاب الله، أولئك الذين لا يستجيبون في خطأ بين واضح ويعد عن الحق.

٣٣- أولم يعلم منكرو البعث أن الله الذي أبدع السموات والأرض، ولم يتعب ولم يضعف بخلقهن بقادر على إحياء الموتى وبعثهم يوم القيامة؟ بلى هو قادر على ذلك، لا يعجزه ما أراد. و ﴿بلى﴾ لإبطال النفي، وإثبات المنفي.

٣٤- ويوم يُعرض الذين كفروا على النار، بأن يعذبوا فيها، يقال لهم تويخًا: أليس هذا العذاب بالحق والعدل؟ قالوا: بلى والله ربنا إنه لحق، قال الله: فذوقوا العذاب بسبب كفركم بالله تعالى وبهذا العذاب في الدنيا.

٣٥- فاصبر أيها الرسول على أذى قومك كما صبر أهل الثبات والحزم من الرسل، وهم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، فإنهم أصحاب الشرائع الكبرى، الذين صبروا على تبليغها وتحمل مشاقها، ولا تتعجل العذاب يا محمد للكفار بالدعاء عليهم، فإنه واقع بهم حتمًا، كأنهم يوم يرون ما يوعدون من العذاب، لم يكتفوا في الدنيا في ظنهم إلا مقدار ساعة، لشدة ما يرون من أهوال، هذا الذي وعظتهم به تبليغ من الله يقطع حجة الكافرين، فهل (حرف استفهام يفيد النفي) أي لا يهلك إلا القوم الكافرون الخارجون عن طاعة الله تعالى.

سورة محمد

(أو سورة القتال)

فضلها: أخرج الطبراني في الأوسط عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ كان يقرأها في صلاة المغرب.

١- الذين كفروا بالله ورسوله، وصدوا أنفسهم وغيرهم عن الإسلام أي منعوها، وهم كفار قريش وأهل الكتاب وغيرهم، أبطل أعمالهم وضيع فائدتها، فلا تنفعهم من الخلود في النار، ولا ثواب لهم في الآخرة، بسبب كفرهم. قال ابن عباس: هم أهل مكة نزلت فيهم.

٢- والذين صدقوا بالله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله به، وصدقوا بالقرآن الذي أنزله الله على نبيه محمد ﷺ. وهذا من عطف الخاص على العام- والقرآن هو الحق الثابت الذي لا شك فيه من الله، كفر عنهم ذنوبهم، وأصلح شأنهم وحالهم، في الدين والدنيا بالتوفيق والتأييد، والبال: الحال. قال ابن عباس: هم الأنصار.

٣- ذلك الجزاء العادل بسبب اتباع الكافر للباطل وهو عبادة غير الله، والشرك بالله، وبسبب اتباع المؤمن للقرآن المنزل من الله على رسوله محمد ﷺ، كهذا البيان لأحوال الكافرين والمؤمنين، يبين الله للناس أحوال المؤمنين والكافرين في كل زمان.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَصْلَ أَعْمَالِهِمْ ۗ وَالَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَمْوَالُهُمْ أُنزِلَتْ عَلَىٰ حِمْلٍ وَهُوَ لِقَىٰ مِنْ
رَبِّهِمْ لَفَرَعْنَهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۗ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
اتَّبَعُوا الْبَطْلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ ۗ كَذَلِكَ يَضْرِبُ
اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ۗ فَإِذَا لَقِيْتَهُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ
حَتَّىٰ إِذَا انْحَرَجْتُمْ فَضِدُّوا الرِّقَابَ ۗ فَمَا مَتَابِعِدُ ۗ وَمَا فِدَاءٌ حَتَّىٰ تَضَعَ
الْحَرْبُ أَرْوَاحَهَا ۗ ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآتَصَّرْتُمُوهُمْ وَلَكِنْ يُبَيِّنُ لَكُمْ
بَعْضَ مَا يَكْفُرُ بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ
أَعْمَالَهُمْ ۗ سَيَجْزِيهِمْ وَصْعُ الْمُنْتَهَىٰ ۗ وَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةُ
عَرَفًا هُمْ فِيهَا ۗ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ فَاللَّهُ يَنْصُرُكُمْ
وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا أَعْمَالُهُمْ وَأَصْلَ أَعْمَالِهِمْ
ۗ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا ۗ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۗ

٤- فإذا لقيتم في القتال أيها المؤمنون أعداءكم المشركين المقاتلين وغيرهم من الكافرين الذين نقضوا العهد، فاقتلوهم بضرب الرقاب ضرباً- وهو مجاز عن القتل؛ لأن الغالب في القتل أن يكون بضرب الرقبة- حتى إذا أوهنتموهم بالقتل والجرح، أو أكثرتم فيهم القتل وقهرتموهم، فأسروهم وأحكموا وثاقهم (رباطهم) بالحبال أو القيود وغيرها لتلا يهربوا، فإذا انتهى القتال فإما تموت عليهم مناً (بإطلاق سراحهم بغير مقابل) أو تفادونهم فداء (بمبادلة الأسرى بالنفس أو المال) حتى تنتهي الحرب ولم يبق إلا مسلم أو مسالم- والأوزار: الأثقال من السلاح والخيول (الكرام) وغيرها من أدوات القتال الثقيلة والخفيفة- ذلك هو حكم قتال الكفار المتدينين، والله قادر على الانتصار (الانتقام) منهم بغير قتال كالخسف والفرق والرجفة، ولكن أمركم بالقتال ليختبر المؤمنين بالكافرين، في الجهاد والصبر على البلاء، فيثيب المؤمنين، ويعذب الكفار، والذين استشهدوا من أجل إعلاء كلمة الله والظفر برضوانه، فلن يضيع الله أجر أعمالهم، وإنما يبيهم عليها ثواباً تاماً كريماً. قال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ذكر لنا أن هذه الآية نزلت يوم أحد.

٥- سيهدي ويرشد من بقي حياً إلى طريق الجنة، ويصلح أحوالهم في الآخرة بالتجاوز عن سيئاتهم.

٦- ويدخلهم جنات الخلد، عرفهم منازلهم بإلهام من الله تعالى.

٧- يا أيها المؤمنون بالله ورسوله إن تصبروا دين الله ورسوله بالدفاع عنه واتباع أحكامه، ينصركم على عدوكم، ويثبت أقدامكم أثناء القتال ومجاهدة الأعداء.

٨- والذين كفروا فهلاكاً لهم وخيباً وخزياً، وأبطل أعمالهم الحسنة، بسبب كفرهم وكونها لغير الله تعالى.

٩- ذلك الإهلاك وإبطال الأعمال بسبب كراهتهم ما أنزل الله من القرآن، فأبطل ثواب أعمالهم.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَرْنَا لَهُمْ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴿١٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿١١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَأَعْمَلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَيُجْعَلُونَ أَمَاكُنَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَعْمَى مِنَ النَّارِ مَتَوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَانَ مِنْ قَرِيبٍ هِيَ آسِنٌ شَدِيدَةٌ مِنْ فَرَيْتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَا أَهْلَكُكُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِنْ زَيْبٍ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءٌ عَلَيْهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٤﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدْنَا الْمُتَّقِينَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَيْسَ غَيْرِ طَعْمِهِ وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمِيمٍ وَالنَّارِ الشَّرِيبِ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَفَأَنْصَأُ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَمِعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قُلُوبَهُمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ آهْتُوا زَادَهُمْ هُدًىٰ وَءَانَّهُمْ يَقُولُهُمْ ﴿١٧﴾

١٠- أفلم يتنقل هؤلاء الكافرون المكذبون برسالة الرسول في الأرض، فيروا كيف كان مصير الأمم السابقة كعاد وثمود وقوم لوط ليعتبروا، فإن آثار العذاب ما تزال ظاهرة في ديارهم، أهلك الله أنفسهم وأولادهم وأموالهم مطلقاً واستأصلهم، وللكافرين المكذبين بالله ورسوله أمثال تلك العاقبة.

١١- ذلك بسبب أن الله ناصر المؤمنين المجاهدين بحق، وأن الكافرين المعادين لا ناصر لهم. قال قتادة: نزلت يوم أحد، والنبى ﷺ في الشعب إذ صاح المشركون: يوم بيوم، لنا العزى ولا عزى لكم، فقال النبى ﷺ: قولوا: الله مولانا، ولا مولى لكم.

١٢- إن الله يدخل المؤمنين بالله ورسوله، العاملين بما أمر الله جنات تجري من تحت غرفها ويساتئها الأنهار، والذين كفروا بالله ورسوله يتنفعون بتجاج الدنيا، ويأكلون كأنهم أنعام إذ لا هم لهم إلا بطونهم، ونار جهنم مقام لهم.

١٣- وكمن من أهل قرية كان أهلها أشد بأساً من أهل قريتك: مكة، الذين أخرجوك منها، أهلكناهم بأنواع مختلفة من العذاب، فلا ناصر يمنع العذاب عنهم. قال ابن عباس: لما خرج رسول الله ﷺ تلقاء الغار، نظر

إلى مكة، فقال: أنت أحب بلاد الله إلي، ولولا أن أهلك أخرجوني منك، لم أخرج منك، فأنزل الله هذه الآية.

١٤- أصبح أن تكون تسوية بين من كان على حجة ويقين من ربه، فهو يعبد على نور وبصيرة، وبين من حسن الشيطان له فيبيع عمله كعبادة الأوثان والشرك بالله وعصيان الله، فرأى ذلك حسناً، واتبع هواه الباطل، في عبادة الأصنام ونحوها، بلا أي دليل أو شبهة دليل؟! وهمزة ﴿أفمن﴾ للاستفهام الإنكاري المفيد لنفي التسوية.

١٥- لا يستوي أهل الجنة والخالدون في النار، ومعنى الآية: صفة الجنة العجيبة الشأن التي وعد الله بها المتقين، فيها أنهار جارية من ماء غير متغير الرائحة والطعم، وأنهار من حليب لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذيدة للشاربين، غير مؤذية ولا كريمة الطعم كخمر الدنيا، وأنهار من عسل مصفى من الشوائب، ولهم فيها من أصناف الثمرات المشتهية، وعفرو لهم عن سيئاتهم ومغفرة لهم لذنوبهم، ليس كالقريق الخالد في النار، وسُقوا ماء حاراً شديد الغليان، فقطع أمعاءهم، لشدة حرارته، وتقدير المعنى: أمثل أهل الجنة على هذه الصفات كمثل جزاء من هو خالد في النار أو كمن هو خالد في النار؟! والجواب واضح: لا عاقلة بين الفريقين.

١٦- ومن الكفار فئة المنافقين من يستمع إلى كلامك أيها الرسول، حتى إذا خرجوا من مجالسك في مواقف الوعظ ومواطن الخطبة، قالوا لأهل العلم من صحابتك سائلين لهم: ماذا قال النبي الساعة قبل قليل؟ بطريق الاستهزاء والاستعلاء، يريدون كأنه قال كلاماً لا قيمة له، أولئك الذين حتم الله على قلوبهم بالكفر، فلم يؤمنوا ولم يهتدوا إلى الحق، واتبعوا أهواءهم في النفاق من غير حجة. و﴿أنفاً﴾ في الزمان الماضي القريب. نزلت في شأن المنافقين الذين كانوا يسمعون كلام النبي فلا يعون، فإذا خرجوا سألو المؤمنين: ماذا قال أنفاً؟

١٧- والذين اهتدوا وهم المؤمنون، زادهم الله هدى بالتوفيق، وألهمهم ما يتقون به ربهم بالتوفيق للعمل المرضي.

١٨ - فهل ينتظر أهل مكة غير مجيء القيامة؟ أي ما ينتظرون إلا أن تأتيهم القيامة فجأة، وهم على حالهم من النفاق والكفر، فقد جاءت علامات الساعة، فكيف ومن أين لهم التذكر والاتعاظ إذا جاءتهم الساعة بغتة؟
 ١٩ - فاعلم أيها النبي أنه لا إله إلا الله وحده يستحق العبادة، ودم واثبت على ما أنت عليه من العلم بالوحداية، واطلب المغفرة لذنوبك. وهذا للتعليم واستئنان أمته به. ولذنوب المؤمنين والمؤمنات، فأنت الرؤوف الرحيم بأمك، والله يعلم تصرفكم وتفلكم في البلاد للكسب، وسكونكم واستقراركم في الليل والنهار.

٢٠ - ويقول المؤمنون للنبي: هلا نزلت سورة في أمر الجهاد لنجاهد؟ فإذا أنزلت سورة واضحة الدلالة على المراد، وفرض فيها القتال، رأيت المنافقين الذين في قلوبهم شك في الدين وضعف في الإيمان، ينتظرون إليك أيها النبي نظر المغمي عليه خوفاً من الموت في القتال، فهلاك قريب الحصول لهم. وهذا معنى ﴿فأولى لهم﴾ في لغة العرب عند التهديد. و﴿لولا﴾ للترغيب في حصول ما بعده.

٢١ - طاعة واستجابة لأوامر الله والرسول وقول كريم طيب يدل على الإيمان خير لهم، أي أحسن وأمثل.

فَهَلْ يُظُنُّونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا
 فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ فَهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ ﴿١٨﴾ فَأَعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
 وَأَسْتَغْفِرُ لِدِينِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ
 وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نَزَّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا
 نَزَّلَتْ سُورَةٌ فَتُحَكَّمُ وَذَكَرَ فِيهَا الْقِتَالَ رَأَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
 مَرَضٌ يُظُنُّونَ إِلَيْكَ نَظْرَ الْغَمْضِيِّ عَلَيْهِ مِنْ مَوْتٍ فَأَوْلَى لَهُمْ ﴿٢٠﴾
 طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذْ عَمِّرُوا الْأَمْرَ فَلَوْصَدَقُوا اللَّهُ لَكَانَ خَبَرًا
 لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا
 أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ
 ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَوْ عَلَى قُلُوبِهِمْ أَفْعَالَهُمْ ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ
 آذَنُوا عَلَى آذُنِ بَرٍّ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ
 لَهُمْ وَأَمَلِي لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ
 سَطِينًا فِي بَعْضِ الْأُمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ
 إِذَا تَوَلَّيْتُمْ لَمَلَكَ تُبْصِرُونَ وَجُوهَهُمْ وَأَذْبُرُهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
 اسْتَعَاؤا مَا اسْتَخَطَّ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَحَاطَظَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾

وجاز الابتداء بقوله: ﴿طاعة﴾ لأنها موصوفة تقديراً، أي طاعة مخلصة. فإذا جد الأمر وفرض القتال، فلو صدقوا الله في إيمانهم، لكان خيراً لهم.

٢٢ - فلعلكم إن عرضتم عن القتال والإيمان، يتوقع ويتنظر منكم: أن تفسدوا في الأرض، بالظلم والفتن والافتتال وسفك الدماء، وتقطع الأرحام وقتل الأقارب.

٢٣ - أولئك المفسدون الظالمون المتخلفون عن الجهاد طردهم الله من رحمته، فأصمهم عن استماع الحق والكلام النافع، وجعلهم كالعُمى عن طريق الهدى.

٢٤ - أفلا يتفهمون القرآن ليدركوا مواضعه؟ بل على قلوبهم مغاليق لا تفتح، فلا يفهمونه ولا يؤمنون به.

٢٥ - إن الذين رجعوا إلى ما كانوا عليه من الكفر، وتراجعوا عما كانوا يظهرونه من الإيمان، وهم المنافقون، من بعد ما وضح لهم طريق الهدى، الشيطان زين خطاياهم وسهل لهم، وخدعهم بالأمل، ومد لهم في الأمانى الباطلة.

٢٦ - ذلك الضلال والارتداد بسبب أن المنافقين قالوا للمشركين واليهود الذين كرهوا ما أنزل الله على نبيه محمد ﷺ: سئطعكم في بعض أموركم، كالتعود عن الجهاد ضدكم، ومعاداة محمد، بما يعطل دعوة الإسلام، والله يعلم إسرارهم بهذا القول، أي إخفاء كيدهم، فأظهره الله الذي يعلم السر وأخفى.

٢٧ - فكيف تكون حالهم إذا توفتهم الملائكة، وهم يضربون وجوههم وظهورهم بمقامع من حديد، فاستخرجت أرواحهم بالعنف والشدة.

٢٨ - ذلك التوفي على هذه الصورة بسبب أنهم اتبعوا ما أغضب الله من الكفر وعصيان الأمر، وكرهوا العمل بما يرضيه من الإيمان والجهاد وسائر الطاعات، فأبطل أعمالهم.



أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ نُنْخِجَ اللَّهُ أَصْغَنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ
 شَاءَ لَأَرْسَلْنَاكُمْ قَلْبَهُمْ لَفَهْرِ بِلْسَانِهِمْ وَلَعَرَفْتَهُمْ بِلُغِنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ
 يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَتَبْلُوَنكُمْ حَتَّىٰ تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ
 وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُوا أَعْيَابَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ
 اللَّهِ وَشَاقُوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرَّوْا اللَّهَ
 شَيْئًا وَسَيُحِطُّ بِأَعْمَالِهِمْ ﴿٣٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا
 اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا جِبُلُوا أَعْيَابَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
 وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ هَكَذَا فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾
 فَلَا تَهْتَفُوا بِدَعْوِ اللَّهِ إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَهْزِمَ
 أَعْيَابَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ إِنْ تَوَيْتُمْ أَنْ تَتَّقُوا
 يَوْمَكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِنْ يَسْأَلْكُمْ هِيَ حَسْبُكُمْ
 فَيَسْأَلْكُمْ بِحَالِهِمْ وَيُخْرِجُ أَصْغَنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَذَا تَمَّ هَذَا لَعَلَّ
 تَدْعُونَ لِتُقْفَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمَنْ مِنْكُمْ مَنْ يَخْلُ وَفِي مَنْ يَخْلُ
 فَإِنَّكَ يَخْلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْعَلِيُّ وَالْكَرِيمُ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ
 سَأَلْتُمْ لَتَسْتَبْدِلُوا قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٣٨﴾

٢٩- أم ظن الذين في قلوبهم نفاق أن لن يظهر الله أحقادهم على النبي ﷺ والمؤمنين .

٣٠- ولو نريد لأعلمناك بأعيان المنافقين ، فعرفتهم بعلامات خاصة يتميزون بها ، ولتعرفتهم في فحوى القول ولهجة الحديث بالخداع ، والتعريض بك وبالمسلمين ، والله يعلم أعمالكم ، لا تخفى عليه منها خافية .

٣١- ولتختبرنكم أو لتعاملنكم معاملة المختبر معشر المسلمين بالجهاد والتكاليف الشرعية ، حتى تعلم المجاهدين منكم ، والصابرين في أمور الدين ومشاق التكليف ، وتختبر أعمالكم ونظورها .

٣٢- إن الذين كفروا بالله ورسوله ، ومنعوا الناس عن الإسلام واتباع الرسول ﷺ وهم على الراجح يهود بني قريظة وبني النضير ، وعادوا الرسول ، من بعد علمهم أنه نبي من عند الله ، لن يضروا الله شيئاً بكفرهم وصدعهم عن الإسلام ، وسيبطل الله أعمالهم الخيرية لكفرهم ، ومكائدهم ضد الإسلام . قال ابن عباس : هم المطعمون يوم بدر . وقال غيره : في أهل الكتاب .

٣٣- يا أيها المؤمنون بالله ورسوله : أطيعوا أوامر الله ، وأوامر الرسول فيما بلغكم من الشرائع في القرآن

والسنة ، ولا تضيعوا ثواب أعمالكم بما يبطل به هؤلاء أعمالهم بالرياء والسمة والنفاق ، ولا تبطلوا حسناتكم بالمعاصي ومخالفة أوامر الله ورسوله . نزلت في بعض الصحابة ، لتنبههم ، فخافوا أن يبطل الذنب العمل .

٣٤- إن الذين كفروا بالله ورسوله ، ومنعوا الناس عن الدخول في الإسلام ، ثم ماتوا على الكفر ، فلا يغفر الله لهم ذنوبهم ، وإنما يعذبهم لشركهم . نزلت في أصحاب القليب ، أي بشر بدر ، حيث ألقى قتلة المشركين فيها .

٣٥- فلا تضعفوا عن القتال ، وتدعوا الكفار إلى الصلح والمسالة ابتداء منكم ، وخوراً وتذلاً مع الكفار إذا لقيتموهم ، وأنتم الغالبون بالسيف والحجة . والمراد أن الغلبة في النهاية لكم ، وإن تغلبوا عليكم أحياناً ، فالله يؤيدكم بنصره ، ولن يضيع ثواب أعمالكم ولن ينقصها شيئاً من الأجر .

٣٦- إنما شأن الحياة الدنيا والاشتغال فيها لعب : وهو كل ما لا منفعة فيه في المستقبل ولا يشغل عن مهام الأمور ، وهو : وهو ما ليس فيه منفعة ويشغل عن النافع ، وإن تومنوا بالله ورسوله ، وتتقوا الله بالالتزام بأوامره واجتناب نواهيه ، يُعطكم الثواب على الطاعة ، ولا يُطلب إخراج جميع أموالكم من ملكيتكم ، بل يقتصر على الزكاة المفروضة .

٣٧- إن يطلب الله منكم إنفاق جميع أموالكم في سبيله ، فيجهدكم ويلح عليكم ، تبخلوا بها وتمتنعوا عن أدائها ، ويخرج أحقادكم وما في قلوبكم من البخل والعداوة وكرهه الإنفاق .

٣٨- ها أنتم معشر المؤمنين تدعون لتتفقوا في سبيل الله بالزكاة ونفقات الجهاد ونحوها ، فمنكم من يبخل في هذا السبيل ويسير المال ، ومن يبخل بالزكاة والصدقات ، فلئذا يبخل على نفسه بمنع الخير عنها ، وتفويت الثواب ، والله الغني عن نفقتكم ، وأنتم الفقراء إلى الله ، وإن تعرضوا عن طاعته ، يجعل بدلکم قوماً آخرين ، ثم لا يكونوا أمثالكم في الإعراض عن الإيمان والطاعة والبخل بالإنفاق في سبيل الله تعالى .

سورة الفتح



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۝ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ
 وَيُغْفِرَ لَكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝ وَيُبْصِرْ لَكُمْ اللَّهُ
 نَصْرًا عَرَبِيًّا ۝ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ
 لِيَزِدُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ۝ وَاللَّهُ جُنُودَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ
 اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي
 مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُخَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۝ وَكَانَ ذَلِكَ
 عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝ وَيُعَذِّبُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ
 وَالْمُشْرِكَاتِ ظُلْمًا ۝ إِنَّ اللَّهَ ظَنُّ السُّوءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ وَعَجِيبٌ
 اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝
 وَاللَّهُ جُنُودَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيمًا حَكِيمًا
 ۝ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ لَتُؤْتُوا بِاللَّهِ
 وَرُسُلِهِمْ نِعْمَ زُورًا وَمُؤْمِرًا ۝ وَأَسْحَبًا كَمَا ۝

فضلها: نزلت هذه السورة على النبي ﷺ بعد عودته من الحديبية، روى أحمد والبخاري وغيرهما عن عمر أن النبي ﷺ قال: «نزل علي البارحة سورة هي أحب إلي من الدنيا وما فيها: ﴿إنا فتحنا لك...﴾».

١- إنا فتحنا لك أيها الرسول فتحاً مؤزرًا و واضحاً، بالنصر على المشركين في صلح الحديبية. نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة في شأن الحديبية من أولها إلى آخرها.

٢- كي يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك قبل الفتح وبعده. والمراد بالذنب هنا: فعل ما هو خلاف الأولى والأفضل بالنسبة لمقام الأنبياء. ويمن نعمته عليك بإظهار الدين وإعلانه، ويرشدك الطريق القويم لتبليغ رسالتك، والمراد: لكي يجتمع لك هذه الأمور الثلاثة: النصر المؤزر، وتمام النعمة في الفتح وإعلاء الدين، وهداية الصراط.

٣- ولكي ينصرك الله نصراً فيه عز ومنعة، وقوة وغلبة، أي نصراً يصعب حصول مثله لغيرك.

٤- هو الله الذي أنزل وأوجد الطمأنينة والسيئات في

قلوب المؤمنين وهم الصحابة يوم الحديبية الذين يبعوك بيعة الرضوان على الشيات في القتال حتى النصر، ليزدادوا يقيناً إلى يقينهم السابق بالنصر وعزة الإسلام وانتشاره، والله جنود السموات والأرض لتنفيذ أوامره، من الملائكة والإنس والجن والحجارة والزلازل ونحوها، يدير أمرهم ويوجههم كيفما يشاء، وكان الله عليماً بأحوال خلقه، حكيماً في تدبيره وصنعه. والمراد: جنود الله تعالى التي ثبت بها المؤمنين.

٥- يتلي الله بجنوده من شاء ليدخل أهل الإيمان جنات تجري من تحت غرفها ويساتئها الأنهار، ويستريحونهم ولا يظهرها ولا يعذبهم بها، وكان ذلك الوعد بالجنة والمغفرة عند الله وفي حكمه فوزاً لا يعادله فوز آخر. قال جابر: قال النبي ﷺ: «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة».

٦- ويعذب أهل النفاق والشرك في الدنيا بالغم والقهر والأسر والقتل، وفي الآخرة بنار جهنم، أهل الظن السعي بأن الله لن ينصر نبيه، وأن كلمة الكفر تعلق، عليهم دائرة ما يظنون ويتظنون بالمؤمنين، وسخط الله عليهم، وطردهم من رحمته، وهياً لهم جهنم، ويشتت مرجعاً ومكاناً ينتظروهم في الآخرة. و«دائرة السوء» الداهية التي تحيط بهم.

٧- والله جنود السموات والأرض كالملائكة والصواعق والزلازل والغرق وكان الله وما يزال قوياً لا يغلب، حكيماً في صنعه فلا يسوي بين المؤمن والكافر. والمقام هنا مقام تهديد المشركين، وفيما سبق مقام تدبير شؤون الخلق.

٨- إنا أرسلناك أيها الرسول شاهداً على أمتك بتبليغ الرسالة، ومبشراً بالجنة من أطاعك، ومحذراً بالنار من عصاك.

٩- أرسلناك بهذه الرسالة لتؤمنوا بالله وحده لا شريك له، ويرسلوه خاتم الأنبياء، وتنصروه وتعظموه، وتزهروا الله عما لا يليق به، صباحاً ومساءً، أي كل وقت.

١٠- إن الذين يبايعونك أيها النبي ببيعة الرضوان يوم الحديبية على الثبات في الجهاد وقتال قريش، إنما يبايعون الله، فالعقد مع النبي كالعقد مع الله، يد الله فوق أيديهم، أي أنه تعالى مطلع على مبايعتهم، وهذا تأكيد البيعة، فمن نقض العهد أو البيعة، فإنما ينقض على نفسه، أي يرجع وبال نقضه عليه وضرره به، ومن وفى في مبايعته بالصبر عند القتال، والثبات في مواجهة الأعداء، فسيعطيه الله ثواباً عظيماً، وهو الجنة.

١١- سيقول لك أيها الرسول المتخلفون من الأعراب حول المدينة، الذين لم يخرجوا معك إلى الحديبية أو إلى مكة للعمرة، وهم أسلم وجُهينة وغِفَار وأشجع والدليل، معتذرين بالانشغال في شؤون أموالهم وأهليهم من النساء والأطفال عن الخروج معك، يقولون: لا يوجد من يقوم بهم، فاطلب لنا المغفرة من الله على التخلف عن الخروج معك، فكذبهم الله، في الاعتذار والاستغفار، فإنهم يقولون ذلك بمجرد النطق بألسنتهم من غير تعبير حقيقي عما في قلوبهم من النفاق، قل أيها النبي: فمن يمنعكم مما أراد الله بكم من خير أو شر؟ أي لا أحد يمنعكم من مشيئته، إن أراد إضراركم اللاحق

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ بِدَٰلِكَ اللَّهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن يَكُفْ فَإِنَّمَا يَكُفُّ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهُ فَسَوْفَ لَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلْفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْنَعُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ سَيَبَيِّنُ إِن أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نِعْمًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَرُبِمَا كَانَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوِيًّا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَاللَّهُ مَلِكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا رَحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلْفُونَ إِنَّا أَنْطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَعَانِمٍ لَّنَا أَخَذْنَاهَا ذُرُوعًا نَّتَعَمَّقُ بِرِيدُونَا أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَن نَّبْعَثَنَّكُمْ كَلِمَ اللَّهِ قَالِ اللَّهُ مِن قَبْلِ سَيَقُولُونَ بَلْ نَحْسَدُونَكَ وَإِنَّا لَأَنفِقُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

بالأهل والمال والنفس، من قتل وهزيمة وسوء حال وضياع، أو أراد نفعكم بما يفيد حفظ النفس والمال والأهل وتيسير الحصول على المال بالغنيمة أو تحقيق العزة بالنصر، بل كان الله خبيراً بأعمالكم، لا تخفى عليه خافية منها، وقوله: ﴿فمن يملك﴾ استفهام بمعنى النفي، أي لا أحد يمنعكم، ﴿وبل﴾ للانتقال من غرض إلى آخر.

١٢- بل ظننتم أيها المنافقون أن لن يرجع الرسول والمؤمنون إلى بلدكم وأهليهم من العشيرة والقرابة أبداً، وإنما يستأصلهم المشركون، وزيّن لكم من الشيطان في قلوبكم امتناعكم من الخروج، وظننتم ظناً سيئاً ما ذكر وهو تخلي الله عن نصرة رسوله، وكنتم قوماً هلكت عند الله بهذا الظن وفساد العقيدة وسوء النية.

١٣- ومن لم يصدق بالله ورسوله، فأضمر النفاق وتشكك في إمداد الله عباده المؤمنين، فإنما أعددنا للكافرين ناراً ملتهبة شديدة الاستعار.

١٤- والله وحده ملك السموات والأرض، يديره كيف يشاء، ويتصرف به كيف يريد، يغفر (يستر) الذنوب لمن يشاء من عباده، ويعذب بعدله من يشاء أيضاً، وكان الله واسع المغفرة والرحمة ولم يزل متصفاً بهما لكل من تاب وأناب.

١٥- سيقول المتخلفون المذكورون عن الحديبية، إذا ذهبتم إلى معانم خبير لتأخذوها وتحوزوها: اتركونا تتبعكم لتأخذ منها، يريدون أن يغيروا كلام الله: وهو وعده لأهل الحديبية خاصة أن يعوضهم عن غنائم مكة بغنائم خبير، قل لهم أيها الرسول: لن تتبعونا إلى خبير، يمثل ذلك أخبرنا الله أن غنيمة خبير لن شهد الحديبية خاصة، فسيقول المنافقون عند سماع هذا الخبر: إنكم تمنعوننا من اتباعكم والخروج معكم حسداً منكم، لثلاث تشاركونا في الغنيمة، بل كانوا في الواقع لا يعلمون من أحكام الدين إلا شيئاً قليلاً: وهو ما يتعلق بالغنائم فقط.

١٦. قل أيها النبي للمتخلفين عن الحديدية من الأعراب سكان البادية. كرر ذلك مبالغة في الذم وشناعة التخلف. - استدعون إلى قتال قوم أصحاب قوة ضاربة وعزيمة صارمة في الحروب، بأحد الأمرين فقط: إما المقاتلة أو الإسلام، فإن طبعوا الله ورسوله فيما أمر، وتصبروا عند لقاء الأعداء، يؤتكم الله ثواباً جزيلاً: هو الغنيمة في الدنيا، والجنة في الآخرة، وإن تعرضوا وتتخلفوا كما تخلفتكم عن الحديدية، يعذبكم الله عذاباً مؤلماً.

١٧. ليس على أصحاب الأعدار إثم ومواخذة في ترك الجهاد لعجزهم وعدم استطاعتهم وهم الأعمى والأعرج والمريض، ومن يطع الله ورسوله في كل ما أمر به ونهى عنه، يدخله جنات تجري من تحت غرفها وبساتينها الأنهار، ومن يعرض عن الطاعة، يعذبه الله عذاباً مؤلماً في نار جهنم. قال ابن عباس: لما نزلت: ﴿وإن تتولوا كما توليتم من قبل﴾ [الفتح ٤٨ / ١٦] قال أهل الزمارة: كيف بنا يا رسول الله؟ فأنزل الله: ﴿ليس على الأعمى حرج ٠٠﴾.

١٨. لقد رضي الله عن المؤمنين من الصحابة حين يبيعوك بيعة الرضوان تحت الشجرة في الحديدية على

الثبات في القتال ضد قريش، فعلم ما في قلوبهم من

قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّعُونَ إِلَى قَوْمِهِ أُولَىٰ بِأَسْسِدِي
تَمَلُّوْهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ طَبِعُوا يَتُوبُكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا
وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ لَيْسَ
عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ
وَمَنْ طَبِعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
وَمَنْ يَتَوَلَّ يَؤَذِّبْهُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ
الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ
السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۝ وَمَعَاقِمَ كَبِيرَةً أَخَذَ بِهَا
وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝ وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَعَاقِمَ كَثِيرَةً
تَأْخُذُ بِهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ
وَلَيَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝
وَأُخْرَى لَوْ تَقَدَّرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۝ وَلَوْ فَدَّاكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا
الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُجِدُونَ بَأْسًا وَلَا نَصِيرًا ۝ سُنَّةَ اللَّهِ
الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجْعَلَ لَسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۝

الصدق والوفاء وإخلاص البيعة، فأنزل الطمأنينة والأمن عليهم، وسكن نفوسهم، وجازاهم بفتح خيبر وانتشار الدعوة الإسلامية بعد صلح الحديدية مباشرة. نزلت بعد أن بايع الصحابة تحت شجرة (سمرة) رسول الله ﷺ.

١٩. وأتابهم ومنحهم أيضاً مغنم كثيرة يأخذونها هي مغنم خيبر بعد فتحها سنة ٧ هـ ومصالحة أهلها على نصف ما يخرج من أرضها من ثمر أو زرع، وكان الله قوياً لا يُغلب، حكيماً في تدبير أمور خلقه.

٢٠. وعدكم الله أيها المؤمنون مغنم كثيرة تأخذونها من أعدائكم إثر الفتوحات إلى يوم القيامة، فعجل لكم غنائم خيبر، ومنع عنكم أيدي قريش بالصلح واليهود وحلفائهم حول المدينة بإلقاء الرعب في قلوبهم، ولتكون هذه الغنائم المعجلة وكف اليهود دليلاً على صدق وعد الله تعالى ووعد رسوله في جميع ما يعدهم به، ويهديكم طريقاً قوياً بتلك الآية (الدليل) لطاعته ومرضاته.

٢١. ووعدكم أيضاً فتوحات ومغنم أخرى هي مغنم فارس والروم وهو ازن وثقيف يوم حنين، لم تقدروا عليها الآن، لحاجتها إلى إعداد أقوى، علم الله أنها ستكون لكم، وكان الله وما يزال تام القدرة على كل شيء، لا يعجزه شيء.

٢٢. ولو قاتلكم الكفار القرشيون بالحديدية، لهربوا وانهمزوا، ثم لا يجدون صديقاً حامياً يحرسهم، ولا معيناً يدفع عنهم الهزيمة والعار، وينصرهم عليكم.

٢٣. هذا حكم الله وقانونه العام القديم في الماضي من نصر المؤمنين وهزيمة الكافرين المعادين، ولن تجد أيها النبي لهذه السنة الدائمة العامة تغييراً، وإنما هي دائمة مستمرة ثابتة.



وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطِينِ مَكَّةَ
 مِنْ بَعْدِ أَنْ أظْهَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
 بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ
 مَنكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ حِلَّهُمْ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ
 مُؤْمِنَاتٌ لَمَتَّكَلَفْتُمْ أَنْ تَطَّوَّفُوا فَصُدِّيكُمْ مِنْهُنَّ مَعْرَظًا
 بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مِنَ نِسَاءٍ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا
 الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُنَّ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 فِي قُلُوبِهِمْ آخِزَةً حَبِطَةَ الْإِبِلِ لِأَنَّهُمْ قَاتَلُوا اللَّهَ سَكِينَتَهُ
 عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَاهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا
 أَحْسَنَ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَقَدْ
 صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الْرَّبَّ بِالْحَقِّ لِنَدْحُلِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
 إِنْ سَاءَ اللَّهُ عَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ
 لَا تَخَافُونَ ﴿٢٧﴾ فَهَلْ مَا لَتَرَعَلُّوا فَعَلَّ مِنْ دُونِ ذَلِكَ
 فَتَحَاقَرْنَا ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ
 الْحَقِّ يُظَاهِرُهُمْ عَلَى الدِّينِ كَلِمَةٍ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٩﴾

٢٤- والله هو الذي كفف أيدي المشركين عنكم،
 وكفف أيديكم معشر المؤمنين عنهم، بوادي الحديبية
 القريب من مكة، لما جاؤوا يصدون رسول الله ﷺ
 وصحبه عن البيت الحرام، عام الحديبية، من بعد أن
 أظهركم عليهم وجعلكم متغلبين عليهم، حيث طاف
 ثمانون رجلاً من المكين بعسكر المسلمين ليصيبوا
 منكم، فأخذهم المسلمون ثم تركوهم، وكان الله بما
 تعملون بصيراً مطلعاً على جميع الأمور. أخرج
 مسلم وغيره عن أنس قال: لما كان يوم الحديبية،
 هبط على رسول الله ﷺ ثمانون رجلاً من جبل
 التنعيم، يريدون غرة النبي ﷺ، فأخذوا،
 فاعتقهم، فنزلت الآية.

٢٥- هم كفار مكة الذين كفروا بالله ورسوله،
 ومنعوا المسلمين أن يطوفوا بالبيت الحرام، ومنعوا
 الهدي (الإبل ونحوها) عن بلوغ محله، أي منحره،
 حيث يحل نحره من الحرم، وكان الهدي سبعين
 بدنة، فرخص الله تعالى لهم ذبحه في الحديبية خارج
 الحرم، ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات
 مستضعفون أبرياء موجودون بمكة مع الكفار لم
 تعرفوهم بأعيانهم لاختلاطهم بالمشركين، لئلا
 تهلكوهم، لأمرناكم بقتالهم، فتصيبكم من جهة
 أولئك الأبرياء مشقة، بغير علم منكم، فيقول المشركون: إن المسلمين قتلوا أهل دينهم، لو تميز المؤمنون عن
 الكافرين، لعذبنا الذين كفروا من أهل مكة بالقتل عذاباً مؤلماً موجعاً. قال أبو جعفر حبيب بن سبع: قاتلت
 النبي ﷺ أول النهار كافراً، وقاتلت معه آخر النهار مسلماً، وكنا ثلاثة رجال وسبع نساء، وفيها
 نزلت: ﴿ولولا رجال مؤمنون...﴾.

٢٦- وقت العذاب حين جعل هؤلاء الكفار المشركون في قلوبهم الأنفة- أنفة الجاهلية- الناشئة عن غرور بالعظمة
 الكاذبة، حين منعوا المسلمين من دخول المسجد الحرام عام الحديبية، فانزل الله الطمأنينة والرضا والشبات على
 رسوله وعلى المؤمنين، حيث لم يغتروا ولم تأخذهم الحمية، وأمرهم بكلمة التقوى ووقفهم إليها، وهي: (لا إله
 إلا الله، محمد رسول الله) لأنها سبب التقوى وأساسها، وهي الباعثة على الوفاء بالعهد، وكانوا أجدر وأولى بها،
 وأهلاً لها، ولما يترتب عليها من الوفاء بالعهد، وكان الله واسع العلم بكل شيء، لا تخفى عليه خافية.

٢٧- لقد أنفذ وحقق الله رؤيا رسوله، ولم يكذبه، لتدخلن أيها النبي مع صحبك المسجد الحرام بمشيئة الله في
 العام القادم، مُحَلِّقًا بعضكم جميع شعورهم، ومقصرًا آخرون بعض شعورهم، لا تخافون أبداً، فعلم ما لم
 تعلموا من الحكمة في تأخير ذلك، فجعل من دون دخول المسجد، وفتح مكة فتحاً قريباً حصوله: وهو فتح خبير
 وصلح الحديبية الذي كان أعظم فتح لانتشار الإسلام. قال مجاهد: أرى النبي ﷺ وهو بالحديبية أنه يدخل
 مكة هو وأصحابه آمنين، محلِّقين رؤوسهم ومقصرين، فنزلت الآية.

٢٨- الله هو الذي أرسل رسوله محمداً ﷺ بالقرآن، ودين الإسلام الحق، ليعليه على جميع الأديان، وكفى بالله
 شاهداً على تحقيق وعده وصحة نبوة رسوله.

تَحْمَدُ رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ
بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا
سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْبَةِ
وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَرْدٌ أَخْرَجَ شَطْرَهُ فَفَازَهُ فَأَسْتَغْلَظَ
فَأَسْوَى عَلَى سَوْفِهِ يُحِبُّ الرَّزَّاعَ لِيَغِظَ بِهِمُ الْكَاهِنُ وَعَدَّ اللَّهُ
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٧﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا إِيَّايَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْقُوا
اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا
أصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ
بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ يَحْطَبَ أَعْيُنُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّ
الَّذِينَ يَغْتَابُونَ اصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ
اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٩﴾

٢٩- محمد هو رسول الله، وأصحابه المؤمنون به غلاظ شداد على الكفار، متراحمون متعاطفون فيما بينهم، تبصرهم حال كونهم راكعين ساجدين، لاشتغالهم بالصلاة في أكثر أوقاتهم، يطلبون الثواب والرضا والجنة من الله تعالى، علامتهم المميزة لهم من وجوههم من كثرة السجود في الصلاة، ذلك وصفهم في التوراة، ووصفهم في الإنجيل، كزرع أخرج فراخه أو فروعه، فقواه، فغلظ، وقوي واشتد واستقام على أصوله، يعجب هذا الزرع للزرع لحسنه وغمائه وكثرتة، شبهوا بالزرع ليغظ الله بكثرتهم وقوتهم الكفار، وعد الله الذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا ما أمرهم الله به ونهاهم عنه، صفحاً وعفواً عن ذنوبهم، وثواباً جزيلاً وهو الجنة على أعمالهم.

سورة الحجرات

١- يا أيها المؤمنون بالله ورسوله لا تقررروا في مسألة حكماً قبل أن يحكم الله ورسوله فيها، وخافوا الله في جميع أموركم بفعل ما أمر وترك ما منع، إن الله سميع لأقوالكم، عليم بأفعالكم.

أخرج البخاري وغيره عن عبد الله بن الزبير قال: (قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ، فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد، وقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، فقال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فأنزل الله هذه السورة).

٢- يا أيها المؤمنون لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي إذا تكلم، صوتاً لاحترامه وتقديره، وتركاً لما يتنافى مع توقيره والاحترام منه، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض فلا تتادوه باسمه وإنما بصفته من النبوة أو الرسالة، ولا تخاطبوه كما يخاطب بعضكم بعضاً، إجلالاً له، خوف أن يبطل ثواب أعمالكم، وأنتم لا تشعرون بضياعها وأنهما محبطة. قال قتادة: كانوا يجهرون له بالكلام، ويرفعون أصواتهم، فأنزل الله: ﴿ لا ترفعوا أصواتكم ﴾.

٣- إن الذين يخفضون أصواتهم عند رسول الله تأدباً معه، مرّن الله قلوبهم على احتمال المشاق والتكاليف، حتى صارت خالصة للتقوى، أي الطاعة وتجنب المعصية، لهم مغفرة لذنوبهم، وثواب عظيم على طاعتهم. يقال: امتحن الصائغ الذهب: إذا أذابه ليخلصه من شوائبه، والمراد: أخلص قلوبهم للتقوى. نزلت في ثابت ابن قيس الذي جلس يبكي في الطريق خشية أن يرفع صوته فوق صوت النبي؛ لأنه كان صيِّتاً رفيع الصوت، فدعاه رسول الله ﷺ وقال له: أما ترضى أن تعيش حميداً، وتقتل شهيداً، وتدخل الجنة؟ قال: رضيت، ولا أرفع صوتي أبداً على صوت رسول الله ﷺ، فأنزل الله: ﴿ إن الذين يغضون ﴾.

٤- إن الذين ينادونك من خلف أو خارج غرفات سكنك في زمن الراحة، أكثرهم جاهلون لا يتعمقون ما ينبغي مراعاته من الأدب والاحترام لك. قال زيد بن أرقم: جاء ناس من العرب إلى حَجْرِ النَّبِيِّ ﷺ، فجعلوا ينادون: يا محمد، يا محمد، فأنزل الله هذه الآية.

٥- ولو أنهم انتظروا خروجك، لكان صبرهم خيراً لهم من الاستعجال، لما فيه من الأدب وتعظيم مقامك، والله واسع الغفرة للمستغفرين، والرحمة للثابتين، حيث اقتصر على النصح وتقرع المستئين للآداب.

٦- يا أيها المؤمنون إن جاءكم بخبر مهم فاجر خارج عن حدود الدين لا يبالي بالكذب، فاطلبوا بيان الحقيقة وتثبتوا من صحة النبأ قبل ترتيب الآثار عليه، خشية أن تصيبوا قوماً أبرياء بسوء أو مكروه، فتصيروا على ما فعلتم من الخطأ نادمين مغتمين، متمنين أنه لم يقع. نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط، بعثه رسول الله ﷺ إلى بني المصطلق مُصَدِّقاً (ياخذ الزكوات الغنم) فلما سمعوا به ركبوا إليه، فخالفهم ورجع، وقال: إن القوم هموا بقسلي، ومنعوا صدقاتهم، فهم النبي ﷺ بغزوهم، فجاه فداهم، وقالوا: يا رسول الله، سمعنا برسولك، فخرجنا نكرمه، ونؤدي إليه ما قبلنا من الصدقة.

٧- واعلموا معشر المؤمنين أن فيكم رسول الله، فلا تقولوا قولاً باطلاً، فإن الله يخبره بالحال، لو يطعكم في كثير من الأمور التي تخبرونه بها على خلاف الواقع، لوقعت في العنت وهو الجهد والمشقة، والهلاك والعناء، ولكن الله

حسنٌ وحبب إليكم الإيمان، وغرسه في قلوبكم، وبغض إليكم الكفر (تغطية نعم الله تعالى بجحودها) والفسوق (الخروج عن الحد الديني وهو هنا الكذب) والعصيان (المخالفة والمعاصي) والذنوب، وهو من عطف العام على الخاص) أولئك البعض المتبوءون هم الثابتون على دينهم، المهتدون إلى الفضائل والآداب.

٨- فعل الله ذلك بكم بتحيب ما حبب، وتكريه ما كره، فضلاً من الله ونعمة، والله عليم بأمور عباده وأحوالهم من التفاضل، حكيم في صنعه وتدييره بهم من الإنعام والتوفيق.

٩- وإن تقاطلت فتتان من المؤمنين، فأصلحوا بينهما أيها المسلمون بالنصح والإرشاد للعمل بكتاب الله والرضا بحكمه، فإن تعدت ومحاروزت الحد في الطغيان إحدى الفتنين على الأخرى، ورفضت المصالحة، فقاتلوا الفئة المعتدية، حتى ترجع إلى كتاب الله، فإن عادت، فأصلحوا بينهما بالعدل بتضمين المعتدي جزاء عدوانه، واعدلوا، إن الله يحب العادلين، أي يحمد فعلهم بحسن الجزاء. نزلت في رجلين من الأنصار، تنازعا في حق بينهما، واستعان كل منهما بعشيرته، فتدافعا، وتناول بعضهم بعضاً بالأيدي والنعال، لا بالسيف.

١٠- إنما المؤمنون إخوة في الدين والعقيدة، فأصلحوا بين أخويكم عند الاقتتال أو المنازعة، واتقوا الله في مخالفة حكمه والوساطة، لكي ترحموا وتوفقوا في الإصلاح بسبب التقوى.

١١- يا أيها المؤمنون لا يهزأ قوم رجال من قوم آخرين، عسى أن يكون المهزوء بهم عند الله خيراً من الهازئين، ولا يسخر نساء من نساء ربما كان المسخور منهن خيراً من الساخرات بهن، ولا يطعن بعضكم ببعض بقول أو إشارة، ولا تلتقبوا بالقباب قبيحة مكروهة، ساء تسمية أحد فاسقاً أو كافراً بعد اتصافه بالإيمان، ومن لم يتب عما نهى الله عنه، فأولئك هم الظالمون لأنفسهم بالتهيب للعذاب. نزلت في وفد بني تميم الذين نزلت السورة بشأنهم، استهزؤوا بفقراء الصحابة، لما رأوا رقائدهم حالهم، فنزلت في الذين آمنوا منهم.

إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ كَثُرُوا لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢﴾ بَنَاتِهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَاتٍ فَبَيِّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِحُّوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٣﴾ وَأَعْلَمُوا أَن فِتْنَةٌ رَسُولُ اللَّهِ يُؤْتِيهِمْ بَيِّنَاتٍ وَكَذَرُوا الْأَخْرَافَ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الَّذِينَ ذَرَبْتُمْ فِي قُلُوبِكُمْ كِتَابَ الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ أُولَئِكَ هُمُ الرَّسُولُ ﴿٤﴾ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَأْتِيَ بِالنَّاصِرِ مِنَ اللَّهِ فَإِنَّ فَاتَهُ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ حُبِّبٌ لِلْمُصْطَلِقِينَ ﴿٦﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٧﴾ بَنَاتِهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَصْرُقُوهُمْ قَوْمٌ عَسَى أَنْ يَكُونُوا آخِرًا مِنْهُنَّ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءِ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا لَكُمْ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ وَلَا تَنَايَرُوا بِاللَّغْلِ بَلِّسْ لِلْأَسْمِ الْفُسُوقِ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ يَرْغَبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٨﴾

١٢- يا أيها المؤمنون ابتعدوا وتجنبوا عن كثير من الظنون، وذلك بأن يظن بأهل الخير سوءاً، إن بعض الظن ذنب موقع في الإثم يوجب العقاب، وهو ظن سوء بأهل الخير، أما أهل سوء والفسق فيجوز ظن سوء بهم بأمارات، مثلما ظهر منهم، ولا تبخثوا عن عورات الناس وعيوبهم المستورة، ولا يغتب أحد غيره، والغيبة: ذكرك أخاك بما يكره في غيبته، أي حب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً، أي إن الغيبة تشبه أكل ميتة الإنسان. وهذا تصوير فعل الغتاب بأشنع صورة طبعاً وعقلاً. وأكل لحوم البشر حرام مستقذر، ومثله الغيبة، كلاهما قبيح، واتقوا الله باتباع أمره واجتتاب نهيهِ، إن الله قابل التوبة، رحيم بعباده التائبين. قال ابن جرير: زعموا أنها نزلت في سلمان الفارسي أكل ثم رقد، فذكر رجل أكله ورقاده، فنزلت.

١٣- يا أيها الناس، إنا خلقناكم من أصل واحد، آدم وحواء، فلا تفاخر بينكم في الأنساب، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتتعرفوا، أي خلقناكم لأجل التعارف، لا للتفاخر بالأنساب، والشعوب: الأمم الكبيرة كربيعة ومضر وخزيمية التي تضم قبائل، والقبائل: ما دون الشعوب، كبنو بكر من ربيعة، وبني تميم من مضر، إن أفضلكم وأرفعكم منزلة عند الله أتقاكم له، إن الله عليم بكل شيء، خبير ببواطن

الأمر والأسرار. نزلت بشأن التهكم من بلال، حينما رقي على ظهر الكعبة، يوم فتح مكة للأذان، فدعاهم النبي ﷺ وزجرهم على التفاخر بالأنساب.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْنَاهُ وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾
يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴿١٤﴾ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّو تَوَضَّعُوا لَكَ فَرَلُّوا أَسْلَمْنَا وَلَا مَلَأْنَا بِدِينِكُمْ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِفَنَّ لَكُمْ مِن أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٦﴾ قُلْ أَعْمَلُونَ اللَّهُ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا مَنُوعَ لَّكُمْ عَلَىٰ إِسْلَامِكُمْ بِاللَّهِ عَمَّنْ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُمُ الْإِيمَانَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾

١٤- قالت الأعراب (سكان البادية): صدقنا بما جئت به أيها الرسول، وامتنلنا الأوامر، قل لهم: قولوا أعلننا إسلامنا في الظاهر، وانقذنا ظاهراً فقط، ولم يدخل الإيمان الصحيح إلى الآن في قلوبكم، إن طيعوا الله ورسوله بالإخلاص وترك النفاق، لا ينقصكم الله شيئاً من ثواب أعمالكم، إن الله غفور لما فرط منكم، وإذا تبتم، رحيم بالفضل عليكم بقبول التوبة، وبالمتغفرين. نزلت في نفر من بني أسد بن خزيمية، قدموا المدينة في سنة جدية، وأظهروا الشهادتين، ولم يكونوا مؤمنين في السر.

١٥- إنما المؤمنون بحق: الذين آمنوا بالله ورسوله، ثم لم يشكوا في شيء من الإيمان، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في طاعة الله ورضوانه، أولئك هم الصادقون في إيمانهم، لا من قالوا: آمنا ولم تؤمن قلوبهم، ولم يوجد منهم غير الإسلام الظاهري.

١٦- قل أيها الرسول لهؤلاء: أتخبرون الله بقولكم: آمنا، والله يعلم بذلك وبكل شيء في السموات والأرض، والله بكل شيء واسع العلم، لا يخفى عليه شيء.

١٧- يمتنون عليك أي أولئك الأعراب بإسلامهم، ويعلمون ذلك منه ونعمة مقدمة منهم، ويفضلون بقولهم: قاتلك بنو فلان، ولم نقاتلك، قل لهم: لا تمتنوا علي بإسلامكم، بل الله يمتن عليكم أن أرشدكم ووفقكم للإيمان، إن كنتم صادقين في ادعاء الإيمان. والمن: تعداد النعم.

١٨- إن الله يعلم ما غاب في السموات والأرض، والله بصير بما تعملون في السر والعلانية، ومجازيكم بما تستحقون خيراً أو شراً.



سورة ق

فضلها: أخرج مسلم وأبو داود والبيهقي وابن ماجه عن أم هشام بنت حارثة بن النعمان قالت: ما أخذت ﴿ق﴾، والقرآن المجيد ﴿إلا عن لسان رسول الله ﷺ﴾، يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر، إذا خطب الناس.

١- قاف: حرف هجاء للتنبيه على إعجاز القرآن بتحدي العرب الإتيان بمثله ما دام مكوناً من حروف لغتهم، وللدلالة على خطورة ما يتلى بعده، أقسم بالقرآن الرفيع القدر والشرف على سائر الكتب.

٢- بل عجب المشركون من مجيء رسول محذّر من عقاب الله لمن عصاه، وهو محمد ﷺ فلم يقتصروا على الشك، بل قالوا: هذا الإنذار، والدعوة لتوحيد الله، والإيمان بالشيء يدعو للعجب. و ﴿بل﴾ للانتقال من كلام إلى آخر.

٣- أنبئتم من بعد الموت والصيورة تراباً مشوراً للحساب والجزاء؟ ذلك البعث بعث أو رجوع بعد الموت بعيد الحصول، لا يصدقه العقل.

٤- رد الله عليهم بأننا نعلم ما تأكل الأرض من أجسادهم بعد الموت، فلا يغيب عنا شيء منه، وعندنا سجل دقيق شامل حافظ لجميع الأشياء والأعمال، وهو اللوح المحفوظ.

٥- بل إنهم في الواقع كذبوا بالقرآن والنبوة الثابتة بالمعجزات، بمجرد تبليغهم إياه وسماعهم له، فهم في أمر مضطرب في شأن القرآن، أهو سحرام كهانة أم شعر؟

٦- أفلم يبيصروا حين كفروا بالبعث آثار قدرة الله بخلق السماء فوقهم على هذه الصفة العجيبة، كيف بنيناها ورفعناها بلا عمد، وزيناها بالكواكب، واللون الأزرق البديع، وليس لها من شقوق أو صدوع تعيبها.

٧- والأرض بسطناها بحسب نظر الإنسان لما حوله، وألقينا فيها جبالاً ثوابت، وأنبتنا فيها من كل صنف حسن من النبات.

٨- خلقنا ذلك للتبصير، والتذكير بقدرتنا لكل عبد راجع إلى الله تعالى بالطاعة، فمن قدر على هذا قادر على البعث.

٩- ونزلنا من السحاب القاتم في جو السماء مطراً كثيراً الخير والبركة والمنفعة، فأنبتنا به بساتين مشجرة كثيرة، وزرعاً مختلفة ذات جوب كالبر والشعير مما يحصد ويدخر.

١٠- وأنبتنا أيضاً نخيلاً متميزاً بأشجار طوال عالية، لها ثمر منضد: متراكب بعضها فوق بعض.

١١- جعلنا ذلك قوتاً للعباد، وأحيينا بالماء (المطر) أرضاً جدياء، والخروج من القبور بالبعث كمثل إحياء هذه الأرض.

١٢- كذبت قبل قريش بالبعث والنبوة قوم نوح، وأصحاب الأخدود، وثمود قوم صالح. والرّس: بئر لم تبن أقاموا عندها.

١٣- وكذبت بالبعث قبيلة عاد قوم هود وفرعون ملك مصر وقومه، وقوم لوط.

١٤- وكذبت بالبعث والنبوة أصحاب الغيضة الكثيفة الشجر، وهم قوم شعيب، وقوم تُبّع الحميري ملك اليمن، كل هؤلاء كذبوا الرسل، فوجب عليهم نزول العذاب.

١٥- أي أفمعجزنا في ابتداء الخلق، حتى نعجز عن إعادتهم بعد الموت؟ وهو توبيخ لمنكري البعث، وجواب لاستبعادهم

الإعادة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ق وَالْقُرْآنَ الْحَمِيدَ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَاذِبُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَلَمْ نَسْأَلْكَ آيَاتِنَا أَنْ تَأْتِيَنَا بِالْحَقِّ نَرَىٰ أَعْيُنُنَا وَمَنْ يَنْزِلُ الْوَيْحَ إِلَّا الْمَاءُ الْمُطَهَّرُ ﴿٣﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جِبْتِ وَجِبَّ حَبَابٍ ﴿٤﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ نِجْمًا كَذِبْتُمْ عَنْهُ فَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴿٥﴾ وَتَبَوَّأُوا مِنَ السَّمَاءِ مَهْلَكًا ﴿٦﴾ وَتَبَوَّأُوا مِنَ السَّمَاءِ مَهْلَكًا ﴿٧﴾ وَتَبَوَّأُوا مِنَ السَّمَاءِ مَهْلَكًا ﴿٨﴾ وَتَبَوَّأُوا مِنَ السَّمَاءِ مَهْلَكًا ﴿٩﴾ وَتَبَوَّأُوا مِنَ السَّمَاءِ مَهْلَكًا ﴿١٠﴾ وَتَبَوَّأُوا مِنَ السَّمَاءِ مَهْلَكًا ﴿١١﴾ وَتَبَوَّأُوا مِنَ السَّمَاءِ مَهْلَكًا ﴿١٢﴾ وَتَبَوَّأُوا مِنَ السَّمَاءِ مَهْلَكًا ﴿١٣﴾ وَتَبَوَّأُوا مِنَ السَّمَاءِ مَهْلَكًا ﴿١٤﴾ وَتَبَوَّأُوا مِنَ السَّمَاءِ مَهْلَكًا ﴿١٥﴾

١٦- وتالله لقد خلقنا الإنسان (أوجدنا) الإنسان، ونعلم ما تتحدث به نفسه سراً، ونحن أقرب إليه من العرق الذي في صفحة العنق، وهو الذي يجري فيه الدم ويعود إلى القلب.

١٧- اذكر حين يأخذ الملكان الموكلان بالإنسان ما يتحدث به ويثبتانه، أحدهما قعيد عن يمينه لكتابة حسناته، والآخر قعيد عن شماله لكتابة سيئاته.

١٨- ما يتكلم الإنسان من كلمة أو كلام إلا لديه ملك يرقب قوله وعمله، ويكتبه ويحفظه، حاضر عنده مهياً لا يفارقه، لكتابة الخير والشر.

١٩- وجاءت شدة الموت وغمرته المذلة للعقول بحقيقة الأمر ويكل ما ينكره الكافر من أمور الآخرة، ذلك الموت الذي كنت تهرب وتفزع منه. ففي لحظة الموت يظهر للكافر صدق ما جاءت به الرسل من الإخبار بالبعث.

٢٠- ونفخ في القرن نفخة البعث، وهي النفخة الثانية، ذلك اليوم هو الذي توعد الله الكفار به، وهو يوم إنجاز الوعيد وتحقيقه بالعذاب.

٢١- وجاءت في ذلك اليوم إلى المحشر كل نفس معها سائق يسوقها إلى المحشر، وشهيد من الملائكة يشهد لها أو عليها من الخير أو الشر.

٢٢- ويقال للكافر: لقد كنت في الدنيا في غفلة من هذا الذي تشاهده من الشدائد، وسوء المصير، فكشفنا

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمَا أَوْسُوسَ بِهِ نَفْسَهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ
مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ بَلَغْتُمُ الْمَتَابِعِينَ عَنْ آبَائِكُمْ وَالْعَنَائِلَ
فَعَيْدٌ ﴿١٧﴾ مَا لَيْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَبِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ
سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَاكَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿١٩﴾ وَيُخَوِّفُ فِي الصُّورِ
ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعْدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَعَبِيدٌ ﴿٢١﴾
لَقَدْ كُنتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكُشِفْنَا عَنْكُمْ غَفْلَةَ كَافِرِيكَ الْيَوْمِ
حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَى عَيْنِي ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ
كَاذِبٍ عَابِدٍ ﴿٢٤﴾ مَتَاعٍ لِلْقَرِينِ مُدْتَرِبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ
إِلَهَاءً آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا
مَا أَطَعْتُنِي وَكَأَنَّكَ وَالِيٌّ عَلَيَّ وَأَنْتَ أَكْبَرُ مِنْهُ وَالْيَوْمُ لِلَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ فِي سَكْرَةٍ مِنَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ بِمَا كُنتُمْ
فَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعْدِ ﴿٢٨﴾ مَا يَدَّبُ الْقَوْلُ لَدَى وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ
لِلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا كَاذِبُونَ ﴿٣٠﴾ هَذَا مَا
أَنْعَدْتُمْ وَلَكِنَّكُمْ فِي سَكْرَةٍ مِنَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ بِمَا كُنتُمْ فَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ وَأَلْقَى الْجِنَّةَ الشَّقِيَّةَ فِي النَّارِ ﴿٣٢﴾ هَذَا مَا أَنْعَدْتُمْ
لِكُلِّ آثَابٍ حَافِظٍ ﴿٣٣﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ ﴿٣٤﴾ وَجَاءَ
بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٥﴾ ادْخُلُوا هَاهُنَا سَلَامًا ذَاكَ يَوْمَ الْخُلُودِ ﴿٣٦﴾

عنتك حجابك الذي كان في الدنيا يحجبك عن أمور الآخرة، فبصرك اليوم حاد نافذ، تبصر به ما أنكرته في الدنيا.

٢٣- وقال الملك الموكل به والمراقب له: هذا ما عندي من كتاب أعمالك حاضر مهياً.

٢٤- ويقال للملك السائق والشهيد: ألقيا في جهنم كل كثير الكفر، معاند للحق.

٢٥- كثير المنع للخير من وصوله إلى أهله كالزكاة، معتد على الناس، ظالم ينكر توحيد الله، شك في الله.

٢٦- الذي أشرك، فجعل مع الله إلهاً آخر، فألقياه (للتأكيد) في العذاب الشديد بنار جهنم. نزلت الآيات [٢٤ -

٢٦] في الوليد بن المغيرة الذي منع بني أخيه عن الخير، وهو الإسلام.

٢٧- قال شيطان المقارن له الذي أضله: ربنا ما أطغيته، ولكن كان في انحراف بعيد عن الحق، فاستجاب لي

باختياره.

٢٨- قال الله لهما: لا تتجادلوا عندي في موقف الحساب، فلا ينفع الجدل هنا، وقد تقدمت إليكم في الكتب مع

الرسل بوعيدني بالعذاب.

٢٩- لا يغير القول عندي، ولا يبدك وعيدي، ولست بظالم أحداً، فلا أعدب بغير ذنب.

٣٠- اذكر حين نقول للجهنم: هل امتلأت بالمعذنين وأجزت وعدي لك، وتقول، هل هناك مزيد من هؤلاء؟

٣١- وقرئت الجنة تقريباً كثيراً غير بعيدة عنهم، بل يشاهدونها بأعينهم.

٣٢- يقال لهم: هذا هو الثواب الذي وعدتم به على السنة الرسل، لكل تواب إلى الله وطاعته، حافظ الشرائع.

٣٣- من خاف عقاب الله في وقت ومكان لا يراه فيه أحد، وجاء بقلب سليم مقبل على طاعة الله، مخلص في

عبادته.

٣٤- يقال لهم: ادخلوا الجنة سالين من كل خوف وعذاب، وسلامنا عليكم، ذلك اليوم يوم الخلود في الجنة.



٣٥- لهؤلاء الأقياء ما يتمنون وما يشتهون من ألوان
التعيم، ولدنيا زيادة نعيم مما لا يخطر لهم ببال.

٣٦- وكثيراً ما أهلكتنا قبل هؤلاء المشركين كفار قريش
من أمة أو قرن (وهم الجماعة المقترنون في زمن واحد) هم
أشد من قريش قوة، كعاد وثمود وغيرهما، فتنقلوا وساروا
في البلاد يطلبون الرزق والأمن، هل من مفر للتخلص من
العذاب؟

٣٧- إن في ذلك المذكور في هذه السورة ومن قصة
هؤلاء لتذكرة وموعظة لمن كان له عقل واع يدرك به الحق،
أو أصغى بسمعه للوعظ، وهو حاضر الذهن والفهم،
متيقظ القلب.

٣٨- ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما من
المخلوقات، وما أصابنا من تعب وإعياء. نزلت للرد على
اليهود الذين زعموا أن الله استراح في اليوم السابع بعد
خلق السموات والأرض، وهو يوم السبت، فكذبهم الله
تعالى.

٣٩- فاصبر أيها النبي على ما يقول المشركون من
إنكارهم البعث ورسالتك، فالله قادر عليهم متقم منهم،
واصبر على قول اليهود بتشبيه الخالق بالبشر والتكذيب لك،
وزنه الله عما لا يليق بجناحه قبل طلوع الشمس، أي في
صلاة الفجر، وقبل غروب الشمس، أي في صلاة الظهر
والعصر.

لَمْ يَأْتِ شَاءٌ مِنْ فِئْمَا وَلَدَيْنا مَرِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكنا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ
أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحْصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ وَأَلْيُّ السَّمْعِ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقنا
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا سَأَلنا مِنْ لَعْنٍ ﴿٣٨﴾
فَأَصْبَحنا عَلى ما يَقولون وَسَخَّجنا بِكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ
﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَجَّجنا وَأَدْبَارَ النُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَأَسْمَعُ يَوْمَ تَبَايَعِ الْمُنَادِ
مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ تَسْمَعُونَ الصَّخِيرةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ
﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِنَّا لَمُبْصِرٌ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ نَسْفُقُ الْأَرْضَ
عَنَّا سَرَّاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا لَيْسَ لِيَسْرُورٌ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقولون وَمَا أَنتَ
عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ أَنْ مِّنْ يَخَافُ وَعِمِيدٌ ﴿٤٤﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالذَّرِيَّتِ دَرَرًا ﴿١﴾ فَالْمَلَكِ وَوَرَا ﴿٢﴾ فَالْجَبْرِيتِ بُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمُصَنِّعِ
أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّا نُوْعِدُونَ لَمُصَادِقٍ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾

٤٠- ونزهة الله في الليل بصلاة المغرب والعشاء، وفي أعقاب الصلوات. وأديار: أواخر الشيء.

٤١- واستمع أيها النبي لما أخبرك به من أحوال القيامة، يوم ينادي المنادي وهو إسرأفيل بالنفخة الثانية، طالباً إحياء الأنفس،
أو هو جبريل ينادي أهل المحشر: هلموا للحساب، من مكان قريب للناس، يسمعه جميع الخلائق.
٤٢- يوم يسمع الخلق كلهم صيحة البعث وهي النفخة الثانية من إسرأفيل، مقترنة بالحق الذي يتكرونه، ذلك يوم الخروج من
القبور للحساب والجزاء.

٤٣- إنا نحن نحيي الموتى، ونميت الأحياء، وإليتنا المرجع، لنجازي جميع الخلق بما عملوا.

٤٤- يوم تتصدع وتتشقق الأرض عنهم، مسرعين في الخروج إلى المنادي والمحشر، ذلك بعث وجمع هين علينا.

٤٥- نحن أعلم بما يقول كفار قريش، وما أنت عليهم بمسلط تجبرهم على الإيمان، فذكر بالقرآن من يخاف وعيدي.

سورة الذاريات

- ١- أقسم بالرياح التي تذر ذرواً التراب وغيره، أي تنقله من مكان إلى آخر، حتى يتطاير، وتشر الأبخرة في الجو حتى تنعقد
سحاباً. يقال: ذروت الشيء أذروه: طيرته.
- ٢- فبالسحب التي تحمل الأمطار حملاً ثقيلاً. والوقر: حمل البعير، والمراد به السحاب الثقيل.
- ٣- فبالسفن التي تجري على سطح الماء، جرياً هيناً سهلاً.
- ٤- فبالملائكة التي تقسم أمور العباد والأمطار والأرزاق وغيرها.
- ٥- إن الذي توعدون به من البعث والحشر والثواب والعقاب لوعده محقق الوقوع.
- ٦- وإن الجزاء والحساب لكائن حتماً، لا محالة.

٧- أقسم والسماء ذات الطرق، لسير الكواكب.
 ٨- إنكم معشر الناس لفي قول متناقض مضطرب، فتقولون تارة: سحر وساحر، وتارة شعر وشاعر، وأحياناً كهانة وكاهن، ومرة: الله خالق السموات والأرض، ثم تعبدون الأوثان.
 ٩- يُصِرُّوا عن هذا القرآن والرسول والإيمان بهما من صرفه الشيطان عن الهداية.
 ١٠- لَمَن الكذابين أصحاب القول المختلف، المترابون في مواعيد الله تعالى.
 ١١- الذين هم في جهل يغمرهم، لاهون عما هم أمروا به وعما قادمون عليه في الآخرة.
 ١٢- يسألون النبي سؤال استهزاء وتكذيب: متى يوم القيامة؟ و﴿آيان﴾ اسم استفهام عن زمان.
 ١٣- يوم هم يُحَرِّقُونَ وَيُعَذِّبُونَ يعرضهم على جهنم. وأصل معنى الفتنة: إذابة المدن لاختياره.
 ١٤- يقال لهم: ذوقوا تعذيبكم أو عذابكم، هذا الذي كنتم تتعجلون وقوعه في الدنيا استهزاء.
 ١٥- إن المطيعين أو امر الله المجتنبين معاصيه في بساتين فيها عيون جارية.
 ١٦- متلقين بالقبول والرضا ما أعطاهم ربهم من الثواب والخير والتكريم؛ لأنهم كانوا في الدنيا محسنين أعمالهم. و﴿إنهم﴾ أي لأنهم، تعليل لاستحقاقهم ذلك.

- ١٧، ١٨- كانوا ينامون سبيراً، ويصلون أكثر الليل. وكانوا أواخر الليل قبل الفجر يطلبون من الله المغفرة.
 ١٩- وفي أموالهم نصيب للمستعطي الفقير الذي لا يجد شيئاً، والعاجز عن الكسب، أو الفقير المتعفف.
 ٢٠- وفي الأرض دلائل واضحة على وحدانية الله وقدرته للموحدين الذين أيقنوا بالله واستعدوا للإيقان.
 ٢١- وفي تركيب أنفسكم وخلقتكم آيات دالة على توحيد الله وقدرته، أفلا تنظرون نظرة تأمل واعتبار؟
 ٢٢- وفي جهة السماء أسباب الرزق وهو المطر، والذي توعدون به من الثواب والعقاب، فهو مُدَوِّنٌ في اللوح المحفوظ.
 ٢٣- فوالله رب السماء والأرض إن ما توعدون به من البعث والجزاء وضمان الرزق لحق ثابت لا شك فيه، مثل نطقكم، أي عاتل لنطقكم، أي إنه لحق مثلما تشعرون من القدرة على النطق، فما يعدكم الله به لا شك فيه.
 ٢٤- هل علمت أيها النبي بقصة ضيوف إبراهيم من الملائكة، المكرمين عند الله تعالى؟ والضيف يطلق على الواحد والجمع.
 ٢٥- حين دخلوا على إبراهيم، فقالوا له: نسلم عليك سلاماً، فأجابهم: سلام عليكم، أنتم قوم غير معروفين.
 ٢٦- فذهب خفية إلى أهله، فجاء بعجل مشوي، دسم. وفي سورة [هود ٦٩/١١]: ﴿بعجل حنيذ﴾ أي مشوي.
 ٢٧- فوضعه بين أيديهم وقال لهم: ألا تأكلون منه؟ فلم يجيبوا. و﴿ألا﴾ حرف للترغيب فيما يحصل بعده.
 ٢٨- فلما امتنعوا من الأكل، أحس في نفسه الخوف منهم، مضمراً ذلك، ثم صرح به، فقالوا: لا نخف منا، إن أرسل الله، وبشره بولد ذي علم كثير، هو إسحاق عليه السلام، كما ذكر في سورة هود.
 ٢٩- فأقبلت امرأته (سارة) في صيحة وضجة، فلطمت وجهها بأطراف أصابعها عجباً وحياء، وقالت: كيف ألد، وأنا عجز كبيرة السن، عاقر لم ألد قط؟!
 ٣٠- قالوا لها: هكذا قال ربك، فلا تشكّي فيما أخبرناك، إن الله هو الحكيم في صنعه، الواسع العلم بأحوال خلقه.



﴿ قَالَ فَاخْطِبْكُمْ إِنِّي أَرْسَلْتُ إِلَىٰ قَوْمِ مِثْرَ مِيقَاتِهِمْ جَاهِدًا مِنْ طِينٍ ﴾ ﴿٣١﴾ وَسُوءَ مَعَادٍ لِّذَلِكَ السُّوءِ ﴿٣٢﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٣﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٤﴾ وَرَكَعًا يُبَايِعُ اللَّهَ الَّذِينَ يُخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٥﴾ وَفِي مَوْسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٦﴾ فَمُلَّا بِرَأْسِهِ وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٧﴾ فَأَخَذْتَهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُمْ يُلِيمُونَ ﴿٣٨﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٣٩﴾ مَا تَذَرُونَ شَيْئًا عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٠﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّقُوا اللَّهَ يَوْمَ تُرْفَعُ أَرْسَالُهُمْ وَأُخْبِرُوا مِنْ غَيْرِهِمْ ﴿٤١﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّاعِقَةَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٢﴾ فَأَنسَطَعُوا مِنَ الْقَامِ وَمَا كَانُوا لَمْتَمِسِينَ ﴿٤٣﴾ وَفِرْعَوْنَ إِذْ هَمَّ بِالنَّاصِيَةِ ﴿٤٤﴾ وَفِرْعَوْنَ إِذْ هَمَّ بِالنَّاصِيَةِ ﴿٤٥﴾ وَفِرْعَوْنَ إِذْ هَمَّ بِالنَّاصِيَةِ ﴿٤٦﴾ وَفِرْعَوْنَ إِذْ هَمَّ بِالنَّاصِيَةِ ﴿٤٧﴾ وَفِرْعَوْنَ إِذْ هَمَّ بِالنَّاصِيَةِ ﴿٤٨﴾ وَفِرْعَوْنَ إِذْ هَمَّ بِالنَّاصِيَةِ ﴿٤٩﴾ وَفِرْعَوْنَ إِذْ هَمَّ بِالنَّاصِيَةِ ﴿٥٠﴾ وَفِرْعَوْنَ إِذْ هَمَّ بِالنَّاصِيَةِ ﴿٥١﴾

٣١- قال إبراهيم للملائكة: فما شأنكم الخطير أيها الملائكة المرسلون، وما الأمر الذي أرسلتم به؟
 ٣٢- قالوا: إنا أرسلنا إلى قوم أجرموا وكفروا، وهم قوم لوط عليه السلام.
 ٣٣- لنجدهم بحجارة من طين متحجر.
 ٣٤- معلمة عند ربك بعلمات تعرف بها، مخصصة للمتجاوزين الحد في الفجور.
 ٣٥- فأخرجنا من كان في قري قوم لوط من المؤمنين برسالة لوط عليه السلام كيلا يهلكوا.
 ٣٦- فما وجدنا فيها غير أهل بيت من المسلمين، وهم أهل بيت لوط إلا امرأته. والإيمان: هو العقائد، والإسلام: هو الأعمال المفروضة.
 ٣٧- وتركنا في تلك القري علامة ودلالة على الهلاك للذين يخافون العذاب المؤلم.
 ٣٨- وجعلنا في قصة موسى آية وعبرة، حين أرسلناه إلى فرعون بحجة ظاهرة.
 ٣٩- فأعرض بجانبه فرعون متكبراً عن الإيمان برسالة موسى، وقال عنه: هو ساحر أو مجنون.
 ٤٠- فوجئنا فرعون مع جنوده للحاق بموسى، فطرحناهم في البحر، وفرعون أت بما يلام عليه من الكفر والطغيان.

٤١- وفي قصة عاد قوم هود جعلنا أيضاً عبرة وعظة حين أرسلنا عليهم الريح التي لا خير فيها ولا نفع، ولا تحمل مطراً، ولا لقاحاً لشجر، وهي ريح الهلاك والعذاب.
 ٤٢- ما ترك من شيء مرت عليه إلا جعلته كالرماد أو كالشيء الهالك، و﴿من﴾ حرف لعموم ما بعده.
 ٤٣- وتركنا في قصة ثمود قوم صالح كذلك عبرة ودلالة حين قيل لهم بعد عقر الناقة: استمتعوا في عيشتكم إلى موعد انتهاء آجالكم.
 ٤٤- فتكبروا عن أمر الله، وتجاوزوا الحد في الطغيان، وعقروا الناقة، فأخذتهم فجأة الصاعقة: وهي كل عذاب مهلك، وهم ينظرون إليها، لمجيئها نهاراً.
 ٤٥- لم يقدر على النهوض أو الهرب، وما كانوا محميين أو ممتنعين من العذاب بنصرة غيرهم لهم.
 ٤٦- وأهلكنا قوم نوح من قبل إهلاك هؤلاء المذكورين، إنهم كانوا قوماً خارجين عن طاعة الله تعالى.
 ٤٧- والسماء بناها بقوة وقدرة، وإنا لقادرون على خلقها وخلق غيرها، وذو سعة على كل شيء.
 ٤٨- والأرض مهدناها وهيأناها كالفرش للاستقرار والراحة عليها والحياة فوقها، فنعم الماهدون نحن.
 ٤٩- وخلقنا من كل جنس من الأجناس صنفين ونوعين ذكراً وأنثى لتتذكروا وتعلموا قدرة الله وأنه ليس كمثل شيء، وأنه خالق كل شيء، فتستدلوا بذلك على توحيده.
 ٥٠- قل لهم أيها الرسول: فرؤا من عقاب الله ومعاصيه إلى ثوابه ورضاه بالتوبة والإيمان والطاعة، إني لكم محذّر واضح مخلص من عذاب الله المعد لكل من أشرك وعصى.
 ٥١- ولا تتخذوا في عبادتكم مع الله إلهاً آخر، إني لكم من عذاب الله مخوف، بين التحذير، والتكرار للتأكيد.

كذالك ما أتى الذين من قبلهم من رسل إذا قالوا ساحر أو مجنون
 ﴿٥٢﴾ أو أصوا يؤيد لهم قوم طاعون ﴿٥٣﴾ قول عنهم فما أنت
 بملوم ﴿٥٤﴾ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴿٥٥﴾ واخلقت
 الجن والإنس إلا ليعبدون ﴿٥٦﴾ ما أريد منهم رزق وما
 أريد أن يطعمون ﴿٥٧﴾ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴿٥٨﴾
 فإن الذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون
 ﴿٥٩﴾ قول للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون ﴿٦٠﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رُبِّ مَشْهُورٍ ﴿٣﴾ وَالتَّبِيتِ
 التَّمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّفِّيفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمِ الْمُنْتَهِرِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ
 رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَمْ يَلْمِزْ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ نَوْمَ عَمُورٍ الشَّمَاءِ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسْبِيرَ
 أَيْمَانٍ سَبْرًا ﴿١٠﴾ قَوْلٍ لِمُعْجِبِ الْكَافِرِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي حُورٍ يَلْعَبُونَ
 ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعْوًا ﴿١٣﴾ هَذِهِ نَارُ الَّتِي كُذِّبَتْ بِهَا كَذِبُونَ ﴿١٤﴾

٥٢- الأمر مثل ذلك، فهذا شأن الأمم المتقدمة، فلم يأت رسول لقومهم قبل أهل مكة، إلا كذبوه، وقالوا عنه: ساحر أو مجنون. والأصل في ﴿كذلك﴾ الأمر كذلك، أي أمر أمثك أيها الرسول كأمر السابقين.

٥٣- هل أوصى أول الناس آخرهم بتكذيب الأنبياء؟ لا، بل في الواقع لم يتواصوا، بل هما جميعاً قوم طغاة، تجاوزوا الحد في الكفر. ﴿اتواصوا﴾ الهمزة للاستفهام التعجبي، أي تعجبوا كأنهم وصى بعضهم بعضاً بالتكذيب. ﴿بل﴾ للانتقال من كلام إلى آخر.

٥٤- فأعرض عنهم أيها النبي ولا تجادلهم ولا تقاتلهم، فلست ملوماً على الإعراض عنهم.

٥٥- وداوم على التذكير والمعظة بالقرآن، فإن التذكير يفيد أهل الإيمان، فهم المستفعمون به. لما نزلت الآية ﴿فصول﴾ عنهم.. ﴿ [٥٤] ﴾ لم يبق منا أحد إلا يقين بالهلكة، إذ أمر النبي ﷺ أن يتولى عنهم، فنزلت: ﴿وذكر فإن الذكرى﴾ فطابت أنفسنا.

٥٦- وما خلقت الجن والإنس إلا لنعبدكم بالعبادة: وهي التذلل والخضوع والافتقار لله تعالى.

٥٧- ما أريد من العباد تحقيق منفعة لي، وما أريد منهم إطعامي، فإني الغني المطلق الغنى، الرازق المطعم ولا يطعم ٥٨- إن الله وحده هو الذي يرزق كل محتاج، الشديد القوة، و﴿المتين﴾ تأكيد لما قبله.

٥٩- فإن للذين ظلموا أنفسهم بالكفر والعصيان من أهل مكة وغيرهم نصيباً من العذاب، مثل نصيب نظائرهم من الأمم السابقة الهالكين قبلهم، فلا يستعجلون بالعذاب استهزاء إن أخرته عنهم، فإنه آت لا محالة.

٦٠- فهلاك للذين كفروا، وشدة عذاب من يومهم الذي يعدهم الله بالعذاب فيه، وهو يوم القيامة.

سورة الطور

- فضلها: أخرج البخاري وغيره عن أم سلمة: «أنا سمعت رسول الله ﷺ يصلي إلى جنب البيت بالطور، وكتاب مسطور».
- ١- أقسم بجبل الطور طور سيناء الذي كلم الله تعالى موسى عليه، تشريفاً له وتكريماً.
 - ٢- وكتاب مكتوب منضد منظم في اللوح المحفوظ من الكتب السماوية كالنوراة والروح موسى والزبور والإنجيل والقرآن.
 - ٣- مكتوب في جلد رقيق يكتب فيه، أو في ورق وغيره، مبسوط مفتوح.
 - ٤- والكعبة المعمورة بالحجاج والزوار والعباد، لعبادة الله فيه.
 - ٥، ٦- والسماء المرفوعة بلا عمد، والبحر المملوء ماء الذي يوقد ناراً يوم القيامة.
 - ٧، ٨- إن عذاب ربك أيها النبي لكائن لا محالة يوم القيامة لمن يستحقه. ليس له من يدفعه أو يمنعه عن المستحقين.
 - ٩- يوم تتحرك السماء وتضطرب تحركاً شديداً، وهو يوم القيامة.
 - ١٠- وتسير الجبال سيراً سريعاً قبل نسفها عن وجه الأرض، وتصبح هباء منبثاً.
 - ١١- فهلاك شديد يومئذ للمكذِّبين بالله ورسله واليوم الآخر.
 - ١٢- الذين هم في تردد بالباطل يخوضون ويلهون، فلا يذكرون حساب الآخرة.
 - ١٣، ١٤- يوم تدفعهم الملائكة دفعاً شديداً بعنف إلى نار جهنم. ويقال لهم: هذه هي النار التي كذبتكم بها في الدنيا.

١٥- تقول الملائكة لهم تويحاً: أفسح هذا العذاب الذي تشاهدونه؟ بل أنتم عني لا تبصرون العذاب أيضاً، كما كنتم لا تبصرون في الدنيا ما يدل عليه.

١٦- ادخلوا النار وتعرضوا لشدة حرارتها، لا يفيدكم في دفع العذاب صبر ولا صجر أو جزع، فلا محيص لكم عنها، والصبر والجزع سواء، إنما تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا، من كفر بالله وتكذيب لرسوله، فإن الجزاء بالعمل.

١٧- إن الملتزمين بأوامر الله، المجتنبين نواهيه هم في جنات ونعيم مستمر في الآخرة.

١٨- مستنعمين بما أعطاهم ربهم من النعم في الجنة، وصرف عنم ربهم وحماهم عذاب النار.

١٩- يقال لهم: كلوا من الطيبات، واشربوا شراباً هنيئاً: وهو ما لا تنغص فيه ولا كدر.

٢٠- مكثين على أسرة متصلة ببعضها حتى تصير صفاً واحداً، وقربانهم بنساء من الحور البيض، الجميلات الأعين. والحور مفردا حوراء، والحوراء: المرأة شديدة بياض العين، شديدة سوادها، والعين: مفردا عينا: وهي واسعة العينين.

٢١- والذين صدقوا بالله ورسوله، وتبعتهم ذريتهم بالإيمان، ألحقنا بهم ذريتهم في دخول الجنة والدرجة، وإن لم يعملوا بعملهم، تكريماً للأباء باجتماع أولادهم معهم، ولتقر أعينهم وتطيب نفوسهم، وما نقصنا الآيات من ثواب

أَفِصْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتَ لَا تَبْصُرُونَ ﴿١٥﴾ أَصْلُوهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَكَلِمَةٍ بَيِّنَةٍ أَنَّهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَّهَتْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُسْكِينٍ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَوَجَّهْتُمْ بِيُحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَسْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِغُلَامَةٍ وَنَحْرًا يَسْتَهْنُونَ ﴿٢٢﴾ يَسْتَحْنُونَ فِيهَا كَأْسٌ آلَا لُفُوفِهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ فِيهَا سُرَّةٌ وَلَا ذِيئَةٌ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ زُجَّانٌ مِّنْهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ تَكْوِينٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ نِّسَاءً لَّوْنٌ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كَأَقْبَلِ فِي أَهْلِنَا مُسْتَغْفِينَ ﴿٢٦﴾ فَرَى اللَّهُ عَلَيْهِمْ فُجُورَهُمْ وَأَوَّعَنَّا عَذَابَ السَّمُورِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كَأْسٌ قَلْبٌ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكَرْنَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا يُحْمَدُونَ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ مِّثْلَ بَدْرِ بْنِ رَبِيعِ السُّؤْمِيِّ ﴿٣٠﴾ قُلْ رَبِّصُوا أَيُّكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ أَهْلِ مَدْيَنَ بَعْدَ مَا هَدَيْتُهُمْ أَتَى بَعْضُهُمْ أُمَّةً مِّنْكُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٣٢﴾

علمهم شيئاً، فيزداد في عمل الأولاد بالتفضل عليهم، كل امرئ مرتبط أو مرتين بعمله يوم القيامة، خيراً أو شراً، لا يواخذ أحد بذنب غيره.

٢٢- وأعطيناهم زيادة على النعيم فاكهة متنوعة، ولحوماً كثيرة، من كل ما تشتهي أنفسهم.

٢٣- يتجادون في الجنة كؤوس بعضهم بعضاً من أيدي أصحابها تلذذاً وسروراً، لا يتكلمون في الجنة بكلام باطل لا خير فيه، ولا يفعلون ما يوجب التأنيم، أي يقع في الإثم من فحش الكلام وغيره مما يغضب الله؛ لأن خمر الجنة لا تذهب بعقولهم، بعكس خمر الدنيا.

٢٤- ويطوف على أهل الجنة وهم المتقون خدَم مخصوصون بهم، كأنهم في الحسن واللفظ لؤلؤ مصون في الصدف.

٢٥- وأقبل بعضهم على بعض في الجنة يسأل كل منهم الآخر عما كان عليه في الدنيا من أحوال وأعمال.

٢٦- قالوا: إننا كنا في الدنيا خائفين من عذاب الله في الآخرة.

٢٧- فامتن الله علينا بالغفرة والرحمة، ووقانا (حماناً) عذاب النار وحرها. والسؤموم: ما يوجد من حر جهنم.

٢٨- إننا كنا في الدنيا نعبد الله ونوحده، إنه هو الكثير الإحسان، الواسع الرحمة بعباده.

٢٩- فداوم أيها الرسول على تبليغ رسالتك، ووعظك وتذكيرك، فلست بإنعام ربك عليك بالنبوة بكاهن: وهو الذي يدعي علم الغيب من دون وحي إلهي، ولا مختل العقل كما يزعم المشركون الأفاكون.

٣٠- بل أيقول المشركون: إنك شاعر، نتنظر به حوادث الدهر، فيموت كما مات غيره؟! نزلت حينما قامرت قريش في دار الندوة، على أن يقيدوا النبي ﷺ في وفاق، ويتركوه حتى يموت.

٣١- قل: انتظروا موتي أو هلاكي، فإني أنتظر هلاككم وتبين عاقبة أمركم، وأنا واثق من نصر الله تعالى.

٣٢- بل أتأمرهم عقولهم بهذا الكلام المتناقض، وهو ادعاء كون القرآن سحراً أو كهانة أو شعراً؟ بل أطغوا وتجاوزوا الحد في العناد والمكابرة، فتكلموا بما قالوا.



٣٣- بل يقول المشركون: اختلق محمد القرآن من تلقاء نفسه ونسبه إلى الله؟ لا، ليس كما قالوا، بل هم قوم لا يصدقون بالقرآن وبالرسول، ويطعنون بهذه المطاعن لكفرهم وعنادهم.

٣٤- فليأتوا بقرآن مثله في نظمه ومعانيه إن كانوا صادقين في زعمهم أن محمداً اختلقه، مع أن فيهم كثيراً من الفصحاء.

٣٥- أم خلقوا من غير خالق قديم، فهم لا يعبدونه، أم إنهم هم الخالقون أنفسهم؟!

٣٦- أم خلقوا السموات والأرض، وهم عاجزون عن ذلك، فلم لا يعبدون الخالق؟ لا، بل إنهم لا يوفنون حقيقة بالله، وإلا لأمتوا به، وينسبه، وانصرفوا لعبادة ربهم.

٣٧- أم عندهم خزائن رزق الله، حتى يرزقوا النبوة والثروة وغيرهما، فيخصصوا من شاؤوا، أم هم المُسَلِّطُونَ على الأشياء، يديرونها كيف شاؤوا.

٣٨- أم لهم مرتقى أو مصعد إلى السماء، فيصعدون عليه، فيستمعون فيه كلام الملائكة وما يوحي عليهم، فليأت مستمعهم إن ادعى ذلك بحجة واضحة ظاهرة على ما يدعي.

٣٩- أم لله النبات يزعمكم، ولكم الذكور، وتلك قسمة جائرة؟!

أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ لَنْ لَأَرْسِلُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا كَاثِرِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خَلَقُوا مِنْ عَدْرٍ شَيْءٌ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَأَرْسِلُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رِزْقِكُمْ أَمْ هُمُ الْمُصِيطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلُوكٌ مِنْ بَيْنِ أُمَّةٍ أَمْ لَمْ يَسْمَعُوا فِيهِ فَيَلْبِثُوا مُنْتَمِعِينَ بِأَلْسِنَتِهِمْ لِيَنْتَهِبُوا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ فَتَشِيعُوا ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُمْ حُكْمٌ يُضَعَّفُونَ لِمَنْ يُرِيدُونَ أَمْ هُمُ الَّذِينَ هَرَّوْا مِنْ آلِ كَلْبَةَ بْنِ كَعْبٍ فَأَنْتَقَبُوا بِنِسْبَتِهِمْ أَمْ لَمْ يَسْمَعُوا فِيهِ فَأَجْزَلُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ أَمْ لَمْ يَلْقُوا يَوْمَ الْيَوْمِ ﴿٤٠﴾



٤٠- أم تطلب منهم أجراً مقابلاً لتبليغ الرسالة، فهم من التزام غرمة ومسؤوليته مَحْمَلُونَ ما ينقلهم، فيصعب عليهم أداؤه، فلا يقبلون على الإسلام بسببه؟!

٤١- أم عندهم علم الغيب، فهم يكتبون ما فيه، ويحكمون بناء عليه؟!

٤٢- أم يريدون تدمير مكيدة وشر بالتأمر على قتلك أيها الرسول في دار الندوة؟ فالكافرون بالله ورسوله هم المغلوبون المهلكون، الذين يعود عليهم وبال كيدهم وتأمرهم.

٤٣- أم لهم إله غير الله يحميهم من العذاب في الآخرة، تنزيهاً لله عن إشراكهم وما يشركون به.

٤٤- وإن يشاهدوا جزءاً ساقطاً من السماء عليهم لتعذيبهم، وهو مقدمات العذاب الذي يطالبون به استهزاء، يكابروا، ويقولوا لفرط عنادهم وكفرهم: هذا سحاب تراكم بعضه على بعض، نرتوي به، ثم لا يؤمنون أبداً، وهذا طبع العنيد. ﴿كسفا﴾ قطعاً جمع كسفة وهي القطعة.

٤٥- فاتركهم أيها الرسول في ضلالهم حتى يموتوا أو يقتلوا بالحرب. والصق: الموت قتلاً أو الهلاك السريع.

٤٦- يوم لا ينفعهم شيء في ردِّ العذاب، مثل مكرهم في الدنيا بالنبي ﷺ، ولا هم يمينعون من عذاب الله تعالى في الآخرة، بل هو واقع بهم حتماً.

٤٧- وإن للذين ظلموا أنفسهم بالكفر عذاباً في الدنيا قبل عذاب الآخرة، وهو القتل في بدر وغيره من الجوع والقحط سبع سنين، ولكن أكثرهم أغرار جهلة لا يعلمون ذلك العذاب.

٤٨- واصبر أيها النبي لقضاء ربك بإمهالهم وتبليغ الرسالة، ولا تتضايق من إعراضهم، فإنك مرعي برعايتنا وحفظنا، وداوم على تنزيه ربك عما لا يليق به، قارناً التسبيح بالتحميد والشكر، فقل: سبحان الله وبحمده.

٤٩- وسبح الله ونزهه بقولك: سبحان الله في بعض الليل؛ وصل فيه صلاة الليل؛ لأن العبادة فيه أشق على النفس وأبعد عن الرياء، وسبحه عقب غروب النجوم آخر الليل، وصل فيه صلاة الفجر.

سورة النجم

فضلها: أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال: «أول سورة أنزلت فيها سجدة: ﴿وَالنَّجْمِ﴾ فسجد رسول الله ﷺ، وسجد الناس كلهم إلا رجلاً رأيتُه أخذ كفاً من تراب، فسجد عليه، فرأيتُه بعد ذلك قتل كافراً وهو أمية بن خلف.

- ١- أقسم بالنجم (جنس النجم) إذا سقط وذهب ضوؤه يوم القيامة.
- ٢- ما عدل محمد عن الحق وطريق الهدى، وما صار غاوباً، أي ما اعتقد باطلاً.
- ٣- وما يتكلم بالقرآن عن هواه وميله الشخصي.
- ٤- ما هذا القرآن إلا وحي يوحيه الله إليه.
- ٥- علمه إياه جبريل صاحب القوى الشديدة.
- ٦- ذو قوة وشدة في الخلق، أو ذو حصافة في عقله ومثانة في رأيه، فاستقام على صورته الحقيقية التي خلقه الله تعالى عليها، حينما جاء إلى النبي ﷺ بالوحي.
- ٧- وجبريل بأجواء السماء العليا، والمراد الجهة العليا للنظر إلى جهة السماء.
- ٨- ثم قرب من النبي ﷺ فزاد في القرب، ونزل وتعلق به، وهو تمثيل لعروجه بالرسول ﷺ.
- ٩- فكان اقتراب جبريل من النبي مثل مقدار مسافة قدر قوسين أي ذراعين أو أقل من قوسين. والقاب: المقدار.
- ١٠- فأوحى الله تعالى إلى عبده جبريل ما أوحى جبريل إلى النبي ﷺ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَبْطِئُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَيْهِ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ الْأَفْخَىٰ ۝٧ أَفْخَىٰ عَلَىٰ مَارِئِي ۝٨ فَتَدَلَّىٰ ۝٩ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝١٠ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ ۝١١ مَا أَوْحَىٰ ۝١٢ مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١٣ أَفَتُكْفَرُوا بِهِ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٤ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٥ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۝١٦ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۝١٧ إِذْ يَنْفَعُ الشَّدِيدُ مَا يُنْفَعُ ۝١٨ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٩ لَقَدْ كَرِهَ مِنْ أَيْبَتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۝٢٠ أَفَوْهُ بَدْرُ آلَتِ الْغُرَبَىٰ ۝٢١ وَمَنْوَةَ الْثَالِثَةِ الْآخِرَىٰ ۝٢٢ أَلَمْ تَكُنْ أَتَىٰ ۝٢٣ الْآخِرَىٰ ۝٢٤ تِلْكَ إِذْ أُنزِلَتْ مِنْ سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَ مُرْسِنًا ۝٢٥ لِيَمْلَأَ مِنْهُمْ الْقُدَىٰ ۝٢٦ أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا كَفَىٰ ۝٢٧ فَالْهُ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ۝٢٨ وَكَم تَزَكَّىٰ ۝٢٩ وَالسَّمَوَاتِ لَا تَفْحَىٰ ۝٣٠ سَفَعْتُمْ سَبِيًّا ۝٣١ الْأَمْرُ بَعْدَ أَنْ بَأَدَنَ اللَّهُ لِرَبِّكَ وَرَضِيَ ۝٣٢

- ١١- ما أنكر فؤاد النبي ﷺ ما رآه بصره من صورة جبريل عليه السلام.
- ١٢- اقتجادلون أيها المشركون محمداً وتكذبونه على ما يراه معاينة من آيات الله؟ فمارنونه: من المراء: وهو الجدال بالباطل.
- ١٣- ولقد رأى محمد جبريل على صورته الحقيقية مرة أخرى.
- ١٤، ١٥- عند شجرة من السدر، الله أعلم بحقيقتها، في أعلى مكان في السماء، وهي في السماء السادسة كما في الصحيح. والمتهى: مكان الانتهاء، قيل: إليها ينتهي علم الخلاق. عندها الجنة التي تأتي إليها أرواح المؤمنين الأتقياء.
- ١٦، ١٧- إذ يغطي شجرة السدر ما يغطيها من مخلوقات، لا يعلمها غير الله. ما مال بصر الرسول عما رآه، وما تجاوز ما رآه.
- ١٨- لقد رأى النبي ﷺ في ليلة المعراج بعض آيات ربه العظام ما لا يوصف.
- ١٩، ٢٠- أفرايتم أيها المشركون اللات: صنم ثقيف بالطائف، والعزى: صنم غطفان وهو شجرة بيطن نخلة، ومناة: صخرة لهذيل وخزاعة. ﴿وَالثَّالِثَةِ الْآخِرَى﴾ صفتان لتأكيد الدم، والآخري: المتأخرة الوضعية القدر.
- ٢١- كيف تحكمون أيها المشركون بأن لكم الولد الذكر، والله تعالى الأثنى التي لا ترضونها لأنفسكم؟
- ٢٢- تلك إذن قسمة جائزة ظالمة، يجعل الأثنى لله، والذكر لكم.
- ٢٣- ما هذه الأصنام إلا مجرد أسماء سميتموها آلهة أنتم وآباؤكم، ما أنزل الله بعبادتها من حجة وبرهان، ما يتبعون في عبادتها إلا مجرد الظن غير القائم على الدليل، وما تشبهه الأنفس، ولقد جاءهم من ربهم البرهان القاطع وهو الرسول والقرآن على أن مستحق العبادة هو الله وحده، فلم يقلعوا عن شركهم.
- ٢٤- بل الكُل إنسان منهم ما ممتى من أن الأصنام تشفع لهم؟ ليس الأمر كما يمتنون.
- ٢٥- فالله مالك الآخرة والدنيا، والحاكم فيها على الإطلاق، فليس للأصنام وغيرها سلطان في أمر الدنيا والآخرة.
- ٢٦- وكثير من الملائكة في السموات (لبيان علو منزلتهم) لا تفيد شفاعتهم لأحد شيئاً إلا من بعد الإذن لهم في الشفاعة لمن شاء الله أن يشفعوا له، ورضي عنهم من أخلصوا له القول والعمل.

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُونُ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى ﴿٣٧﴾ وَمَا
 لَهُمْ بِعِلْمِ اللَّهِ أَنْ يَسْمُونَ إِلَّا الظَّنُّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يَغْنَى مِنَ الْحَقِّ
 شَيْئًا ﴿٣٨﴾ فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَوْ تَرَى إِلَّا الْحَيَاةَ
 الدُّنْيَا ﴿٣٩﴾ ذَلِكَ سَبَلُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَظْلَمُ مِنْ صَلَكِ
 عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَهْتَدَى ﴿٤٠﴾ وَرَبِّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ
 وَمَا فِي الْأَرْضِ لَيَجْعِلَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ظُهُورَهُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا
 بِالْحَقِّ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ يَحْتَدُونَ كِبَرُ الْإِيمِ وَالْفَوْحُضُ إِلَّا اللَّهُ
 إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمُعْتَرِفَ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ
 أَنْشَأَ أُخْتَهُ فِي بَطْنِ أُمِّكُمْ فَلَا تَرَوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ
 بِمَنْ أَنْقَى ﴿٤٢﴾ أَوَّهَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴿٤٣﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى
 ﴿٤٤﴾ أَعْنَدَهُ عِلْمُ الْعَلْبِ فَهُوَ بَرِيءٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ لَوْ بَدَأْنَا مَا فِي صُفْحِ
 مُوسَى ﴿٤٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٤٧﴾ الْأَنْزِلُ وَالزُّدَّةُ وَذُو الْأُخْرَى
 ﴿٤٨﴾ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٤٩﴾ وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ بَرِيءٌ
 ﴿٥٠﴾ ثُمَّ يُخْبِرُنَا أَجْرَاءَهُ الْأَوْفَى ﴿٥١﴾ وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴿٥٢﴾
 وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكٌ وَأَنْكَى ﴿٥٣﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا ﴿٥٤﴾

٢٧- إن المشركين الذين لا يصدقون بالآخرة ليسمون كل واحد من الملائكة تسمية الأنثى، أي يصفونهم بأنهم بنات الله.

٢٨- وليس لهم بهذا القول من دليل صحيح، ما يتبعون في هذا الوصف بالأنوثة إلا توهمًا وتخيلًا، وإن الظن الباطل أو التوهم لا ينعف بدل الحق شيئًا ولا يقوم مقامه أبدًا. والحق هنا: العلم القطعي، وهو الذي تشبث به الاعتقادات، ولا يفيد غيره.

٢٩- فأعرض أيها النبي عمَّن أعرض عن القرآن أو عن ذكر الله، واترك مجادلتهم، فقد بلغت رسالة ربه، وهو في الواقع يقصر همه على الدنيا.

٣٠- ذلك وهو طلب الدنيا وزينتها هو غاية ما وصلوا إليه من العلم، إن ربك أيها النبي هو أعلم بمن انحرف عن دينه الحق، وهو سبحانه أعلم بمن اهتدى إلى الصواب.

٣١- والله جميع ما في السموات والأرض، فهو الخالق والمالك والمتصرف فيهما، وعاقبة أمر الخلق أن يجزي الله كلاً من المسيء والمحسن بعمله، فللمسيء المذنب النار، وللمحسن الطائع الجنة، وهي المثوبة الحسنة.

٣٢- والمحسنون: هم الذين يتجنبون كبائر الذنوب: وهي كل ذنب توعد الله عليه بالنار، كالشرك، ويتجنبون الفواحش: وهي كل ذنب عاقب الله عليه بالحد الشرعي كالقتل العمد والزنى والقتل والسرقة وشرب المسكرات، إلا اللطم: وهي صفات الذنوب كالقُبلة والغمزة والنظرة

الحرام، أي لكن اللطم يغفرها الله، إن ربك كثير الغفران للذنوب، هو أعلم بكم وبأحوالكم، حين خلقكم من تراب الأرض في ضمن خلق أبيكم آدم، وحين كنتم أجنة في بطون الأمهات، والجنين: هو الولد ما دام في بطن أمه، فلا تمدحوا أنفسكم ولا تبرئوها من الذنوب، هو أعلم بمن ائتمر بأوامر الله واجتنب المعاصي. أخرج الواحدي والطبراني وغيرهما عن ثابت بن الحارث قال: كانت اليهود تقول إذا هلك لهم صبي صغير: هو صدق، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: (كذبت اليهود، ما من نسمة يخلقها الله في بطن أمه، إلا وهو يعلم أنه شقي أو سعيد، فأنزل الله عند ذلك هذه الآية: ﴿هو أعلم...﴾.

٣٣- أخبرني أيها النبي عن الذي أعرض عن اتباع الحق والإسلام، بعد أن هم باتباعه.

٣٤- وأعطى قليلاً من المال، وقطع العطاء ولم يتمه، فالكلام كناية عن التوقف عن العطاء.

٣٥- أعنده علم من الغيب، فهو يرى أن غيره يتحمل عنه عذاب الآخرة؟ وهو الوليد بن المغيرة أو غيره.

٣٦- بل لم يُخبر بما جاء في أسفار التوراة، واختيرت لقبها وشهرتها.

٣٧، ٣٨- وبما في صحف إبراهيم الذي أتم جميع ما أمر به. وبما في تلك الصحف ألا تتحمل نفس ذنب نفس أخرى.

٣٩- وأنه ليس للإنسان إلا سعيه الخَيْرُ، أي إلا جزء عمله في الدنيا.

٤٠- وأن سعيه سوف يرى في صحيفة أعماله، ويراه الله تعالى ورسوله والمؤمنون وصاحبه أيضاً.

٤١- ثم يُجزي على عمله كله الجزء الأكمل الأتم. هذه الآيات [٣٣- ٤١] نزلت في الوليد بن المغيرة الذي أعطى بعض

المشركين شيئاً من المال على أن يتحمل عنه عذاب الله تعالى، فأعطى بعض ما وعد، وبخل بالباقي.

٤٢- وأن إلى ربك المرجع والمصير بعد الموت يوم القيامة.

٤٣- وأنه تعالى أوجد أسباب الضحك وأسباب البكاء، نزلت في قوم يضحكون في الدنيا.

٤٤- وأنه سبحانه هو الذي خلق الموت والحياة.

٤٥- وأنه عز وجل خلق الزوجين: الذكر والأنثى، سواء من الإنسان والحيوان.

٤٦- خلقهما من نطفة من ماء يصب في الرحم.

٤٧- وأن عليه تعالى إعادة الحياة مرة أخرى عند البعث. والنشأة الأخرى: البعث من القبور.

٤٨- وأنه هو تعالى أغنى بعض عباده، وأفقر بعضهم الآخر.

٤٩- وأنه سبحانه هورب الشعري: كوكب مضىء تخلف الجوزاء، كانت خزاعة تعيدها.

٥٠- وأنه تعالى أهلك قوم عاد الأولى قوم هود، وهي أول أمة أهلكت بعد نوح.

٥١- وأهلك قوم ثمود قوم صالح، فما أبقي أحداً منهم.

٥٢- وأهلك قوم نوح من قبل إهلاك عاد وثمود، إنهم كانوا أشد ظلماً وطغياناً من عاد وثمود.

٥٣- وأهلك المؤتفكة: وهي قرى قوم لوط، سميت بذلك لأنها انقلبت بهم وصار عاليها سافلها.

٥٤- فغطاها ما غطها من الحجارة وأنواع العذاب، وذلك تهويل وتعميم لما أصابهم.

٥٥- فبأي نعم ربك أيها الإنسان المكذب ترتاب؟

٥٦- هذا القرآن والرسول محذّر من عذاب الله،

وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ۗ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ۗ

٤٦ وَأَن عَلَيْهِ النَّشَأُ الْأُخْرَى ۗ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ

وَأَقْنَىٰ ۗ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَىٰ ۗ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ

٥٠ وَثَمُودًا ۖ فَمَا أَبْقَىٰ ۗ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ

أَقْلَمَ وَأَعْلَىٰ ۗ وَلَلَّذِيكْرُ الْأَهْوَىٰ ۗ فَفَسَّخْنَا

مَا عَشَىٰ ۗ فَبِأَيِّ آيَاتِنَا تَتَمَارَىٰ ۗ هَذَا نَذِيرٌ مِّن

النُّذُرِ الْأُولَىٰ ۗ أَرَأَيْتَ الْآرَافَةَ ۗ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ

كَاشِفَةٌ ۗ أَفَمِن هَذَا الْحَدِيثِ فَعْبُونَ ۗ وَتَضْحَكُونَ

وَلَا تَبْكُونَ ۗ وَأَنْتُمْ سَادُونَ ۗ فَأَسْجُدُوا لِلَّهِ وَعَبُدُوا ۗ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَ السَّاعَةِ وَأَشَقَّ الْقَمَرِ ۗ وَإِنْ رَوَاهُ بِهِ تُعْرَضُوا وَيَقُولُوا

سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۗ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أُمَّرٍ مُّسْتَمِرٌّ

٦٠ ۗ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ ۗ

كالرسل السابقين، فإنه أنذركم كما أنذروا قومهم.

٥٧- اقتربت الساعة وأشقق القمر: أو تحقق وقوعها، وكان ذلك قريباً بالنسبة إلى ما مضى من الدنيا.

٥٨، ٥٩- ليس لها نفس أخرى تمنع قيامها. أفمن هذا القرآن تتعجبون إنكاراً له وتكذيباً به.

٦٠، ٦١- وتضحكون استهزاء، ولا تبكون حزناً على ما فرطتم. وأنتم لاهون مُعْرَضُونَ عما يطلب منكم.

٦٢- فأسجدوا لله وحده الذي خلقكم، وخصوه بالعبادة دون غيره من الآلهة المزعومة كالأصنام.

سورة القمر

فضلها: روى أحمد ومسلم وأصحاب السنن الأربعة عن أبي واقد الليثي: «أن رسول الله ص كان يقرأ بقاف ﴿اقتربت الساعة﴾ في الأضحى والظفر». وتقدم إيراده في سورة ﴿ق﴾.

١- دنا وقت القيامة، وانشق القمر معجزة لرسول الله ﷺ. أخرج البخاري ومسلم والترمذي عن أنس قال: سألت أهل مكة النبي ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقتين، حتى رأوا حمراء بينهما، فنزلت ﴿اقتربت الساعة﴾. إلى قوله: ﴿سحر مستمر﴾.

٢- وإن ير المشركون معجزة دالة على صدق النبي ﷺ يعرضوا عن التصديق والإيمان، ويقولوا: هذا سحر محكم. ٣، ٤- وكذبوا النبي ﷺ واتبعوا أهواءهم الباطلة: وهي ما زين لهم الشيطان من الوسوس، وكل أمر مُنْتَهٍ إلى غاية، يستقر بعدها، سواء من الخير أو الشر. ولقد جاء مشركي قريش من أخبار الأمم الماضية المكذبة ما يجرهم عن الشرك.

٥- هذا القرآن وما فيه من الآيات عبرة واضحة لكل عاقل، وحكمة تامة، فما تنفع الإنذارات أو التحذيرات لمن أصر وعاند ولازم الكفر؟

٦- فأعرض عنهم ولا تجد لهم يوم يدعو إسرافيل عند النفخة الثانية إلى شيء شديد الهول تنكره النفوس. والتكر: الأمر الشديد الذي ينكره استعظماً، لعدم وجود مثيل له.

٧- ذليلة أنصارهم، لا يقدر على رفعها لشدة الهول، يخرجون من القبور، كأنهم جراد منتشر في الكثرة والانتشار والاختلاط.

٨- مسرعين إلى الداعي، وهو إسرافيل، يقول الكافرون: هذا يوم صعب شديد الهول على الكفار.

٩- كذبت بالرسل قبل مشركي قريش قوم نوح، فكذبوا عبداً وهو نوح عليه السلام، وقالوا عنه: إنه مجنون مزجور عن تبليغ ما أرسل به بأنواع الأذى والسب، أي زجره الكفار بشدة فازدجر وكف عن دعوى الرسالة.

١٠- فدعا نوح ربه بأني مغلوب: غلبني قومي، فاتصرت أنت لدينك، وانتقم لي منهم.

١١- ففتحتنا أبواب السماء بمطر عذير منصب بشدة وتتابع.

حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ التَّنْذِرَ ﴿٥﴾ قَوْلَ عَتَمَةٍ يَوْمَ بَدَأَ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ عَظِيمٍ ﴿٦﴾ خُفَاً أَبْصَرَهُمْ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ ﴿٧﴾ تُطْعَمُونَ إِلَى الدَّاعِ بِقَوْلِ الْكُفْرَانِ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْتَهِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أُمَّرٍ قَدِ فُجِّرَ ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوْجِ وَدُسُرَ ﴿١٣﴾ فَجَرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَن كَانَ كُفِرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهُ آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ نَزَّاعَةً لِلنَّاسِ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَتَكَالُفُ أَبْشِرْنَا وَاحِدًا نَبِيْعَهُ ﴿٢٤﴾ إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٥﴾

١٢- وفجرتنا (شققتنا) عيون الأرض بالمياه، فالتقى ماء السماء وماء الأرض على أمر قضي به في الأزلي (القدم) وقدره الله وهو الطوفان. و﴿على أمر﴾ أي لأجل نفاذ أمر وهو إغراقهم.

١٣- وحملنا نوحاً على سفينة ذات ألواح خشبية عريضة، ومسامير تُشدُّ بها الألواح.

١٤- تجري بحراستنا وحفظنا، وأغرقوا عقاباً لكفرهم وجحودهم بنوح، وتكذيب رسالته.

١٥- ولقد أبقينا حادثة السفينة عبرة ودليلاً لمن يعتبر بها، فهل من متذكر متعظ؟!

١٦- فانظر كيف كان عذابي وانتقامي وإنذاراتي لهم بالعذاب قبل وقوعه، على كيفية عجيبة.

١٧- ولقد سهلنا القرآن للحفظ والتذكر والاتعاظ، فهل من متذكر معتظ بمواعظ؟!!

١٨- كذبت قبيلة عاد نبيهم هوذاً عليه السلام، فانظروا كيف كان تعديبي لهم وإنذاري إياهم؟!

١٩- إنا أرسلنا على قوم عاد ريحاً شديدة الصوت والبرد، في يوم شؤم، دائم الشؤم، حتى أهلكهم.

٢٠- تقلع الناس من أماكنهم كأنهم أصول نخل مقتلع من مغارسه.

٢١- فكيف كان تعديبي لهم وإنذاري إياهم، وكرره للتحويل.

٢٢- ولقد يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلحَفْظِ وَالتَّذْكَرِ وَالتَّعَاظِ، فهل من متذكر متعظ؟!

٢٣- كذبت قبيلة ثمود نبيهم صالحاً عليه السلام بالإنذارات والمواعظ التي جاءهم بها.

٢٤- ﴿فقالوا﴾: أنتبع رجلاً واحداً من جنسنا أو من جملتنا، لا فضل له علينا؟ إنا إذا اتبعناه لفي خطأ ويعد عن الحق، وجنون. وقولهم: ﴿واحداً﴾ أي ضعيفاً لا يخشى بأسه.

٢٥- ألقى عليه الوحي، وكيف خص بالنبوة من بيننا، وفينا الأجلر منه بذلك؟ بل هو كذوب فيما يوحي إليه، بطر متكبر.

٢٦- سيعلمون عند نزول العذاب بهم في الدنيا، أو يوم القيامة من الكذوب المتكبر أنتم ثمود، أم النبي صالح؟

٢٧- إنا باعشو ومخرجو الناقة كما طلبوا، اختياراً لهم، فانتظرهم، واصبر على أذاهم.

٢٨- وأخبرهم أن ماء البئر أو النهر الذي كانوا يشربون منه مفسوم بينهم وبين الناقة، كل نصيب من الماء، يحضره صاحبه في نوبته.

٢٩- فنادت ثمود صاحبهم الذي كان رجلاً طائشاً، هو قدار بن سالف أحيمر ثمود، وحرصوه على قتل الناقة، فتناول السيف من غيره غير مبال بالنتيجة، فقتل الناقة، بضرب قواتهما بالسيف، ثم قتلها.

٣٠- فكيف كان عذابي لقوم ثمود، وإنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله؟ أي إن العذاب في محله.

٣١- إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة هي صيحة جبريل عليه السلام، فكانوا كبقايا ورق الشجر اليابس، وهو المتششم أي المتكسر من الأوراق والعيدان والأعشاب.

٣٢- ولقد يسرنا القرآن للحفظ والتذكر والانتعاش،

فهل من متعظ معتبر!؟

٣٣- كذبت قوم لوط بإنذارات نبيهم لوط عليه السلام من عذاب الله على الفحش والكفر.

٣٤- إنا أرسلنا عليهم ريحاً رمتهم بالحجارة - والحاصب في الأصل: الذي يرمي غيره بالحصاء. وهي الحجارة الصغيرة، لكن أهل لوط إلا امرأته نجيناهم بسحر من الليل: وهو السدس الأخير من الليل.

٣٥- نجيناهم إنعاماً منا عليهم، ومثل ذلك الجزاء مجزي من شكر نعمتنا بالإيمان والطاعة.

٣٦- ولقد خرقهم لوط عليه السلام أخذتنا بعذابهم بشدة، فشكوا في الإنذارات وكذبوا بها.

٣٧- ولقد طلبوا منه تسليمهم أضيافه بقصد الفجور بهم، فحجبتنا إدراكهم وصيرناهم غمياً عما أرادوا، فلم يروا أحداً، وقلنا لهم على السنة الملائكة: ذوقوا إنذاري وتخوفي من طريق لوط عليه السلام، أي نالوا نتيجة.

٣٨- ولقد جاءهم وقت الصباح عذاب مطبق دائم النزول مستقر بهم حتى أهلكهم.

٣٩- فذوقوا شدة عذابي وثمره تحذيري. وهذا التكرار للتأكيد والترسيخ.

٤٠- ولقد يسرنا القرآن للحفظ والانتعاش، فهل من متذكر!؟

٤١- ولقد جاء قوم فرعون الإنذارات والتحذيرات على لسان موسى عليه السلام.

٤٢- بل كذبوا بالمعجزات والآيات التسع التي أوتيتها موسى كلها، فأخذناهم بالعذاب أخذ قوي قادر على كل شيء.

٤٣- أكفاركم يا قريش خير وأشد من الأقوام السابقين المهلكين، أم لكم براءة من عذاب الله في الكتب المنزلة سابقاً.

٤٤- أم يقولون قائلين: نحن جمع متوحدون، منتصرون على أعدائنا، لكثرة عددا وقوتنا.

٤٥- سيهزم جمع قريش القوي، ويفرون منهزمين. وقد هزمهم الله يوم بدر. قال المشركون يوم بدر: ﴿نحن

جميع منتصر﴾ فنزلت: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾.

أه لقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب يسر ١٥ سيعلمون عذاباً من الكذاب الآسر ١٦ إنا أمرنا لولا الناقة فنته لوطاً نصيبهم وأصطبر ١٧ ونبتهم أن الماء قسمه بينهم كل شرب مختصر ١٨ فأدوا أصحابهم فعاطى فعقر ١٩ فكيف كان عذابي ونذير ٢٠ إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهيئ الجمظير ٢١ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من متذكر ٢٢ كذبت قوم لوط بالندير ٢٣ إنا أرسلنا عليهم حاصباً إلا آل لوط نجيناهم بسحر ٢٤ نعمت من عندنا كذلك نجزي من شكر ٢٥ ولقد أنذناهم بطسنا قهاراً وبالندير ٢٦ ولقد ردوه عن صبغهم فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذير ٢٧ ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر ٢٨ فذوقوا عذابي ونذير ٢٩ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من متذكر ٣٠ ولقد جاء آل فرعون الندى ٣١ كذبوا بأنبيائنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر ٣٢ أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبير ٣٣ أم يقولون نحن جميع منتصر ٣٤ سيهزم الجمع ويولون الدبر ٣٥

بِالسَّاعَةِ مُوعَدُهُمْ وَالسَّاعَةَ أَدْمَنُ وَأَمْرٌ ﴿١٦﴾ إِنَّ الْحَجْرَ مِنْ فِي
ضَلَّلَ وَسُعْرٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَ نَبُحُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا
مَسَّ سَقَرٍ ﴿١٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿١٩﴾ وَمَا نَحْنُ إِلَّا أَلْفُودَةٌ
كَلِمَةٍ بِالْبَصْرِ ﴿٢٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَلِمَ تُمَدِّدُونَ ﴿٢١﴾
وَكُلَّ شَيْءٍ فَهَلَوُهُ فِي الزَّيْرِ ﴿٢٢﴾ وَكُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿٢٣﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ
فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٢٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ ﴿٢٥﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾
الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يُحْسِبَانِ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّوَارِبُ يَحْسِبَانِ ﴿٦﴾
وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقْبُوا
الْوِزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا
لِلْأَنْعَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو
الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ الْآيَةِ رَبِّكَ تَكْذِبُونَ ﴿١٣﴾

٤٦ - بل القيامة موعدهم بالعداب والحساب، و عذاب الساعة أشد إيلاماً، وأشد مرارة من عذاب الدنيا.
٤٧ - إن الكفار والمشركين المعاندين في خطأ وتعد شديد عن الحق، و نيران مستعرة في جهنم. أخرج مسلم والترمذي عن أبي هريرة قال: جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر، فانزل الله تعالى: ﴿إن الحجريين في ضلال وسعر﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إننا كل شيء خلقناه بقدر﴾ [٤٩].

٤٨ - يوم يخرون في النار على وجوههم، ويقال لهم: ذوقوا حر النار وألمها. و ﴿سقر﴾ اسم جهنم.
٤٩ - إننا خلقنا كل شيء مقدراً بمقدار معلوم مكتوب في اللوح المحفوظ قبل وقوعه.

٥٠ - وما أمرنا بإيجاد شيء نريده إلا كلمة واحدة هي ﴿كن فيكون﴾ [البقرة ١١٧/٢ ومواقع أخرى] موجوداً، كسرعة لمح البصر، أو طرفة عين.

٥١ - ولقد أهلكنا أشباهكم في الكفر من الأمم الماضية، فهل من متذكر منعطف؟! والاستفهام بمعنى الأمر، أي اذكروا واتعظوا بالمواعظ.

٥٢ - وكل شيء فعله السابقون مكتوب عند الحفظة.
٥٣ - وكل شيء صغير أو كبير من أعمال الخلق وأقوالهم مسجل أو مدون في اللوح المحفوظ.

٥٤ - إن الذين يخافون عذاب الله باتباع أوامره واجتناب نواهيهِ في بساتين مختلفة، وأنهار متنوعة.

٥٥ - في مكان مرضي كريم، لا لغو فيه ولا تأثيم، عند ملك قادر لا يعجزه شيء، أي إنهم مقربون عند الله تعالى، فالعندية عندية مكانة وتشريف. والمليك: صيغة مبالغة، أي ملك عظيم ملكه.

سورة الرحمن

- ١، ٢ - الله تعالى هو الرحمن المنعم بجلال النعم الدنيوية والأخرية، علمه رسوله القرآن بإيحاته إليه لتبليغه للناس.
- ٣، ٤ - خلق الإنسان، أي الجنس الإنساني، علمه التعبير عن النفس وإفهام غيره بنطق واضح.
- ٥ - الشمس والقمر يجريان بحساب دقيق منظم، فيدلان على حساب الشهور والأعوام.
- ٦ - والنجم، أي النبات الذي لا ساق له، والشجر، أي النبات الذي له ساق وأغصان. والنجم أيضاً: الكوكب المرئي في السماء، يقادان الله تعالى فيما أمر، ولما أراد الله سبحانه منهما.
- ٧ - وخلق السماء مرفوعة بغير عمد، وأنزل في الأرض نظام العدل، وأثبته وشرعه.
- ٨ - لتلا تجوزوا في الأحكام والأفضية، ولا تتجاوزوا مبدأ العدل.
- ٩ - وقوموا الوزن للأشياء بالعدل في الأخذ والعطاء، ولا تنقصوا الموزون، ولا تبخسوا حقوق الناس.
- ١٠ - والأرض بسطها ومهدتها للمخلوقات للعيش والاستقرار.
- ١١ - فيها أنواع الفاكهة الكثيرة، وفيها النخل ذات أوعية الطلع، وأغطية الثمر.
- ١٢ - وفيها الحب كالحنطة والشعير وكل ما يقتات، ذو الورق الجاف، وهو التين، وفيها كل نبات طيب الرائحة.
- ١٣ - فبأي نعم ربكما معشر الإنس والجن تكذبان؟ والاستفهام للتقرير، أي لا يمكنكما التكذيب. والسنة أن يقول عقباها: «لا بشيء من نعمك ربنا نكذب، فلك الحمد». وتكرار هذه الآية أمر حسن في مجال تعداد النعم، للتبني على النعم.

١٤ - خلق الإنسان من صلصال، أي طين يابس له صلصلة، أي صوت، كالفخار: وهو ما طبخ من الطين.

١٥ - وخلق الجن، أي أصل الجن من لهب خالص لا دخان فيه، من نار.

١٦ - فبأي نعم ربكما أيها الجن والإنس تكذبان!؟

١٧ - رب مشرقى الشمس في الشتاء والصيف، ورب مغربيهما أيضاً.

١٨ - فبأي نعم ربكما أيها الجن والإنس تكذبان!؟

١٩ - أرسل وأجرى البحرين: العذب والملح، يلتقيان، أي يتجاوران دون فاصل بينهما.

٢٠ - بينهما حاجز من قدرة الله تعالى، لا يتعدى أحدهما على الآخر، حتى يذهبه، فلا يختلط به.

٢١ - فبأي نعم ربكما أيها الجن والإنس تكذبان!؟

٢٢ - يخرج من أحدهما وهو الملح اللؤلؤ: صغار الدر للمخلوق في الأصداف، والمرجان: كبار الدر، أو الخرز الأحمر المعروف.

٢٣ - فبأي نعم ربكما أيها الجن والإنس تكذبان!؟

٢٤ - وله سبحانه السفن الجارية في البحر المرفوعات الشراع كالجبال العالية عظماً وارتفاعاً.

٢٥ - فبأي نعم ربكما أيها الجن والإنس تكذبان!؟

حَاقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ۝ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ۝ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكَ كَذِبَانِ ۝ رَبِّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبِّ الْمَغْرِبَيْنِ ۝ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكَ كَذِبَانِ ۝ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكَ كَذِبَانِ ۝ يَخْرُجُ مِنْهَا الْوُثُوقُ وَالرِّيحَانُ ۝ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكَ كَذِبَانِ ۝ وَآلُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ۝ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكَ كَذِبَانِ ۝ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكَ كَذِبَانِ ۝ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۝ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكَ كَذِبَانِ ۝ سَنَفَعُ لَكُمْ إِيَّاهُ الثَّقَلَانِ ۝ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكَ كَذِبَانِ ۝ لَيَعْمَشَنَّ الْجِنُّ وَالْإِنْسَانُ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنْفُذُوا مِنْ أَطْرَافِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَآتَكُمْ وَلَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ۝ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكَ كَذِبَانِ ۝ يُرْسَلُ عَلَيْكُمُ شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْصُرَانِ ۝ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكَ كَذِبَانِ ۝ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ۝ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكَ كَذِبَانِ ۝

٢٦ - كل من على الأرض من الناس والحيوانات هالك زائل.

٢٧، ٢٨ - ويبقى ذات الله ووجوده، فهو الحي الدائم الذي لا يموت، وذو العظمة والكبرياء، وصاحب الفضل والإنعام الذي يُحرم عباده المؤمنين. فبأي نعم الله ربكما معشر الجن والإنس مما ذكرنا قبلُ تكذبان!؟

٢٩، ٣٠ - يسأله جميع من في السموات والأرض كل ما يحتاجون إليه من إسعاد ورزق وحال، كل وقت هو في أمر من الأمور، يُحدث أشخاصاً، ويجدد أحوالاً بحسب قضاائه الأزلي، من إحياء وإماتة، وإعزاز وإذلال، وإغناء وإفقار، وإجابة سؤال وحرمان وغير ذلك. فبأي نعم ربكما أيها الجن والإنس من اختلاف شؤونه في تدبير عباده تكذبان!؟

٣١، ٣٢ - سنقصد حسابكم معشر الجن والإنس يوم القيامة، ونجازي كل واحد بما يستحق. والثقلان: الإنسان والجن، لثقلهما على الأرض، بالوجود فيها. فبأي نعم الله تكذبان أيها الجن والإنس!؟

٣٣، ٣٤ - يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تخرجوا من جوانب السموات والأرض، هرباً من قضاء الله وقدره، فاحرجوا منها، لا تقدرن على النفوذ إلا بقوة وقهر مختصين بالله تعالى. فبأي نعم الله تكذبان أيها الجن والإنس!؟

٣٥ - يُرسل عليكم إن حاولتم الخروج أو النفوذ لهب من نار خالص لا دخان فيه، ومن نحاس مُذاب تشوى به جلودهم ويطونهم، فلا تقدرن على الامتناع من عذاب الله، ولا تجدان من ينصركما.

٣٦ - فبأي نعم الله تكذبان أيها الجن والإنس!؟

٣٧ - فإذا تصدعت السماء يوم القيامة، فكانت كوردة حمراء، ومثل الزيت المغلي.

٣٨ - فبأي نعم الله تكذبان أيها الجن والإنس!؟

٣٩- فيوم انشقاق السماء حين الخروج من القبور لا يسأل أحد من الناس والجن عن ذنبه، وسيكون الحساب بعدئذ في موقف الحشر.

٤٠- فبأي نعم الله أيها الإنسان والجن تكذبان؟!

٤١- يعرف المجرمون الأثمون بعلامتهم على وجوههم، حيث يكونون سود الوجوه، زرق العيون، فتأخذهم الملائكة بمقدم شعر الرؤوس، وتضم الأقدام إلى النواصي - جمع ناصية: وهي مقدم الرأس - ويقذفون إلى النار.

٤٢- فبأي نعم الله أيها الإنسان والجن تكذبان؟!

٤٣- يقال لهم: هذه جهنم التي تشاهدونها هي التي كذب بها الكافرون المنكرون للبعث.

٤٤- يترددون بين جهنم التي يحرقون فيها، وبين ماء حار بلغ منتهى الشدة في الحرارة.

٤٥- فبأي نعم ربكما تكذبان؟!

٤٦- ولئن خاف حساب ربه في موقف الحساب بين يدي الله تعالى جنتان، بأن أطاع الأوامر واجتنب المعاصي.

٤٧- فبأي نعم ربكما تكذبان؟!

٤٨، ٤٩- جنتان ذواتا أغصان كثيرة، فبأي نعم ربكما تكذبان؟!

٥٠، ٥١- فيهما عينان تجريان حيث شاؤوا، فبأي نعم ربكما تكذبان؟!

٥٢، ٥٣- فيهما من كل أنواع الفاكهة صنفان: رطب ويابس، فبأي نعم ربكما تكذبان؟!

٥٤، ٥٥- مستندين جالسين على فرش بطانتها من ديباج ثخين، وثمر الجنتين قريب التناول. فبأي نعم ربكما تكذبان؟!

٥٦، ٥٧- في مشتملات الجنتين المذكورتين من النعم والفرش والغرف نساء قصرن أبصارهن على أزواجهن المتكئين على الفرش، لم يمسهن أحد من الإنسان والجن، فبأي نعم ربكما تكذبان؟!

٥٨، ٥٩- كان هؤلاء النساء في صفاء اللون وحمرة الياقوت المعروف: الحجر الأملس الصافي، وكانهن المرجان: هو الخرز الأحمر الذي يؤخذ من البحر. فبأي نعم ربكما تكذبان؟!

٦٠، ٦١- ما جزاء الإحسان في العمل الدنيوي إلا الإحسان في الثواب الأخروي، وهو الجنة، فبأي نعم ربكما تكذبان؟!

٦٢، ٦٣- ومن دون تلك الجنتين المذكورتين للمقربين وأقل منهما منزلة جنتان أخريان لأصحاب اليمين، فبأي نعم ربكما تكذبان؟!

٦٤، ٦٥- جنتان شديدتا الخضرة من كثرة الري والعناية، كأنهما سوداوان أو مسودتان، فبأي نعم ربكما تكذبان؟!

٦٦، ٦٧- في هاتين الجنتين عينان فوارتان بالماء، فبأي نعم ربكما تكذبان؟!

فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا
تُكذَّبَانِ ﴿٤٠﴾ يَعْرِفُوا الْخَيْرَ مَن سَجَّهَهُ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَعْدَادِ
﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَلْ يَرَوْنَكَ يَا مَرْجَانُ ﴿٤٣﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا
تُكذَّبَانِ ﴿٤٤﴾ يَطُوفُونَ فِيهَا أَبْنَاءُ حَرِيمٍ إِنَّ ﴿٤٥﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ ﴿٤٦﴾
وَلَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتُنَا ﴿٤٧﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ ﴿٤٨﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٩﴾
فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ
﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ ﴿٥٣﴾ فِيهَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ رُزْقَانِ ﴿٥٤﴾
فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ ﴿٥٥﴾ مُسْتَنْدِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَاطِنُهَا مِنْ إِسْتَنْدِيقٍ
وَحَنِيٍّ لَخْتِيشٍ ذَانِ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ ﴿٥٧﴾ فِيهَا نِسَاءٌ
أَطْفَالٌ لَمْ يَطْمِئِنُّوا فِيهَا وَلَا جَانٌّ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا
تُكذَّبَانِ ﴿٥٩﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا
تُكذَّبَانِ ﴿٦١﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ
رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ ﴿٦٣﴾ وَمِنْ دُونِهَا جَنَّاتُنَا ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا
تُكذَّبَانِ ﴿٦٥﴾ مَدَامَاتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ ﴿٦٧﴾
فِيهَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ ﴿٦٩﴾

٦٨ ، ٦٩ - في الجنتين المذكورتين فاكهة مختلفة الأنواع، ونخل ورمان، وهما من عطف الخاص على العام، فبأي نعم ربكما تكذبان؟!
٧٠ ، ٧١ - في مشتملات هاتين الجنتين نساء فاضلات الأخلاق، جميلات الوجوه، فبأي نعم ربكما تكذبان!؟

٧٢ ، ٧٣ - إن هذه النساء فائقة الجمال، شديدات بياض العيون وسوادها، مخدرات مستورات ملازمات البيوت، فبأي نعم ربكما تكذبان؟! والحيام جاء على استعمال العرب، وهي أماكن النعيم.
٧٤ ، ٧٥ - لم يجامعهن أحد قبلهم من الإنس والجن، فبأي نعم ربكما تكذبان!؟

٧٦ ، ٧٧ - مستندين على وسائل مرتفعة، وبسط وطاقس منقوشة مزخرفة الألوان، جميلة رائعة، فبأي نعم ربكما تكذبان!؟ والعبقري: كل شيء عجيب الجودة، وهو لفظ يطلق على الواحد والأكثر، كالطفل والفلك.
٧٨ - تعاطم وتنزه اسم الله أي ذاته، صاحب العظمة، والإنعام على عباده.

سورة الواقعة

فضلها: أخرج الإمام أحمد عن جابر بن سمرة

يقول: كان رسول الله ﷺ يصلي الصلوات كنعو من

صلواتكم التي تصلون اليوم، ولكنه كان يخفف، كانت صلواته أخف من صلواتكم، وكان يقرأ في الفجر: الواقعة ونحوها من السور.

- ١ - إذا قامت القيامة - عبر بالفعل الماضي لأنها واقعة قطعاً. والواقعة والأزفة والحاقة بمعنى القيامة..
- ٢ - لا يكون عند وقوعها تكذيب. والكاذبة هنا لفظ يراد به المصدر، أي الكذب، كخاتنة بمعنى الحيانة.
- ٣ - تخفض قوماً وترفع آخرين، القوم الأول: الكفار والفساق، والثاني: أهل الإيمان.
- ٤ ، ٥ - إذا زلزلت وحركت الأرض تحريكاً شديداً يؤدي إلى سقوط البناء والجبال. وفتت الجبال فتناً شديداً دقيقاً
- ٦ ، ٧ - فصارت غباراً منتشراً متفرقاً. وصرتم أصنافاً ثلاثة.
- ٨ - فأهل اليمين الذين يعطون كتبهم بأيمانهم هم أهل المنزلة العالية لفوزهم بالجنة والرضوان الإلهي. و ﴿ما﴾ اسم استفهام لتحويل الأمر المتحدث عنه، إما في حسن الحال كما هنا أو في قبحه.
- ٩ - وأهل الشمال الذين يأخذون كتبهم بشمائلهم هم أهل المنزلة الدنيا.
- ١٠ - والسابقون في الدنيا إلى الإيمان والخير والطاعة واجتناب المعصية هم السابقون إلى رحمة الله وفضله.
- ١١ ، ١٢ - أولئك الذين قربت درجاتهم وأعليت مراتبهم في الجنة والنعيم، فهم أهل الحظوة والتكريم عند ربهم.
- ١٣ - جماعة من الأم السابقة من عهد آدم إلى نبينا عليهما السلام.
- ١٤ ، ١٥ - وقليل من أمة النبي ﷺ، ووصفوا بالقلة بالنسبة لمجموع من كان قبلهم وهم كثيرون. أخرج أحمد وغيره عن أبي هريرة قال: لما نزلت ﴿ثلة من الأولين وقليل..﴾ شق ذلك على المسلمين، فنزلت ﴿ثلة من الأولين، وقللة من الآخرين﴾ [٤٠]. على سرر منسوجة بإحكام، ومطعمة بخيوط الذهب.
- ١٦ - جالسين أو مضطجعين على السرر، يقابل بعضهم بعضاً، لا ينظر أحدهم إلى قفا الآخر.

فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾
فِيهِنَّ خَبِيرَاتُ حَسَنَاتٍ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ
مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخَامَاتِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَا يَطْفِئُهُنَّ
إِسْرٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جِآنٌ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾
مُتَّكِئِينَ عَلَى رُفُوفٍ خَضْرَاءَ وَعَبَقِيرٍ حَسَنَاتٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبْرَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَأَذَىٰ ۗ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٢﴾
إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿٣﴾ وَسُيِّتَ الْجِبَالُ كَسُدِّمَاتٍ ۖ فَكَانَتْ هَبَاءً
مُنْبَثًا ﴿٤﴾ وَكُنَّ الْأَرْضُ لِنَاسِهِمْ نَارًا ﴿٥﴾ فَاصْحَبْ أَسْحَابَ الْجَنَّةِ ﴿٦﴾
وَاصْحَبْ أَسْحَابَ النَّشْءِ ﴿٧﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿٨﴾
أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٩﴾ فِي حَسْبِ النَّعِيمِ ﴿١٠﴾ لَئِنَّ الْأَوَّلِينَ ﴿١١﴾ وَقَلِيلٌ
مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٢﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونٍ ﴿١٣﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَلِّبِينَ ﴿١٤﴾



١٧- يدور حولهم للخدمة صبيان باقون على صفتهم
 أبداً، لا يهرمون.
 ١٨- معهم أفداح لا عرى لها ولا خراطيم، وأفداح لها
 عرى وخراطيم، وإناء من خمر جارية من منيع لا يقطع.
 ١٩- لا تتصدع رؤوسهم من شربها، ولا تذهب عقولهم
 بالسكر منها، بخلاف خمر الدنيا.
 ٢٠- ويفاكهة مما يختارون ويرضون.
 ٢١- ويلحم طير مما يتمنون ويرغبون وتشتهيهم أنفسهم.
 ٢٢- ولهم نساء حوريات شديديات سواد العيون
 وبياضها، واسعات العين حسان.
 ٢٣- هن في الصفاء والحسن والبياض كأمثال اللؤلؤ
 المصون في صدفه، ولم تمسه الأيدي.
 ٢٤- يفعل ذلك كله بهم جزاء على أعمالهم.
 ٢٥- لا يسمعون في الجنة كلاماً ساقطاً أو باطلاً، ولا ما
 يوقع في الإثم.
 ٢٦- لكن قولاً: سلاماً سلاماً، أي يقولون: سلمك الله
 سلاماً مباركاً.
 ٢٧- وأهل اليمين الذين يُعطون كتبهم بأيامهم هم أهل
 المنزلة العالية المعدة لهم.
 ٢٨- يتمنون في شجر يمتاز بكثرة أوراقه وأغصانه، وله
 فاكهة تليق بالجنة، ولا شوك فيه.
 ٢٩- وشجر الموز المترابك الثمر، بعضه فوق بعض.
 ٣٠- ٣١- ٣٢: وظل دائم ممتد، وماء جار دائم لا
 يقطع، وفاكهة متنوعة وفيرة الكميات.
 ٣٣- لا تنقطع في وقت ما، ولا تمتنع عن تناولها بحال من الأحوال، بل هي معدة لمن أرادها.
 ٣٤- وفُرُشٌ عالية منضدة فوق الأسرة.
 ٣٥- ٣٦- ٣٧: إنا خلقنا نساء الجنة الحوريات خلقاً جديداً من غير ولادة، فجعلناهن فتيات عذارى، شديديات الحب
 لأزواجهن، متساويات في السن، وهو سن الشباب.
 ٣٨- خلقناهن لأهل اليمين الذين يُعطون صحفهم بأيامهم، أي أنشأنا الزوجات لأصحاب اليمين.
 ٣٩- ٤٠- جماعة كثيرة من السابقين قبل نبينا، وجماعة كثيرة من أمة النبي محمد ﷺ.
 ٤١- وأهل الشمال الذين يأخذون صحفهم بشمالهم في منزلة دنية حقيرة.
 ٤٢- في لهب النار أو في ريح شديدة الحرارة تنفذ في المسام، وماء شديد الحرارة.
 ٤٣، ٤٤، ٤٥- وظل من دخان جهنم شديد السواد والحرارة، لا هو بارد كبقية الظلال، ولا هو نافع يدفع أذى الحر لمن يأوي
 إليه، ولا حسن المنظر. إن أصحاب الشمال كانوا في الدنيا متعمين منهمكين في الشهوات.
 ٤٦- وكانوا يقيمون ويدامون على الذنب الكبير، وهو الشرك وبقية الكيئات.
 ٤٧- وكانوا ينكرون البعث، ويقولون: كيف إذا متنا وصرنا تراباً وعظاماً بآلية نعوذ أحياء من قبورنا؟!
 ٤٨- وهل يبعث أبأوتنا الأقدمون؟ أي إنهم أشد إنكاراً لبعث آبائهم وأجدادهم لتقدم الزمن.
 ٤٩- قل لهم أيها الرسول: إن الأولين من الأمم والأخريين منهم وأنتم من جملتهم.
 ٥٠- لمجموعون محشورون إلى وقت يوم معلوم هو يوم القيامة.
 ٥١- ثم إنكم معشر الضالين عن الحق، الذين أنكرتم وجود الله وتوحيده.

١٧- يدور حولهم للخدمة صبيان باقون على صفتهم
 أبداً، لا يهرمون.
 ١٨- معهم أفداح لا عرى لها ولا خراطيم، وأفداح لها
 عرى وخراطيم، وإناء من خمر جارية من منيع لا يقطع.
 ١٩- لا تتصدع رؤوسهم من شربها، ولا تذهب عقولهم
 بالسكر منها، بخلاف خمر الدنيا.
 ٢٠- ويفاكهة مما يختارون ويرضون.
 ٢١- ويلحم طير مما يتمنون ويرغبون وتشتهيهم أنفسهم.
 ٢٢- ولهم نساء حوريات شديديات سواد العيون
 وبياضها، واسعات العين حسان.
 ٢٣- هن في الصفاء والحسن والبياض كأمثال اللؤلؤ
 المصون في صدفه، ولم تمسه الأيدي.
 ٢٤- يفعل ذلك كله بهم جزاء على أعمالهم.
 ٢٥- لا يسمعون في الجنة كلاماً ساقطاً أو باطلاً، ولا ما
 يوقع في الإثم.
 ٢٦- لكن قولاً: سلاماً سلاماً، أي يقولون: سلمك الله
 سلاماً مباركاً.
 ٢٧- وأهل اليمين الذين يُعطون كتبهم بأيامهم هم أهل
 المنزلة العالية المعدة لهم.
 ٢٨- يتمنون في شجر يمتاز بكثرة أوراقه وأغصانه، وله
 فاكهة تليق بالجنة، ولا شوك فيه.
 ٢٩- وشجر الموز المترابك الثمر، بعضه فوق بعض.
 ٣٠- ٣١- ٣٢: وظل دائم ممتد، وماء جار دائم لا
 يقطع، وفاكهة متنوعة وفيرة الكميات.
 ٣٣- لا تنقطع في وقت ما، ولا تمتنع عن تناولها بحال من الأحوال، بل هي معدة لمن أرادها.
 ٣٤- وفُرُشٌ عالية منضدة فوق الأسرة.
 ٣٥- ٣٦- ٣٧: إنا خلقنا نساء الجنة الحوريات خلقاً جديداً من غير ولادة، فجعلناهن فتيات عذارى، شديديات الحب
 لأزواجهن، متساويات في السن، وهو سن الشباب.
 ٣٨- خلقناهن لأهل اليمين الذين يُعطون صحفهم بأيامهم، أي أنشأنا الزوجات لأصحاب اليمين.
 ٣٩- ٤٠- جماعة كثيرة من السابقين قبل نبينا، وجماعة كثيرة من أمة النبي محمد ﷺ.
 ٤١- وأهل الشمال الذين يأخذون صحفهم بشمالهم في منزلة دنية حقيرة.
 ٤٢- في لهب النار أو في ريح شديدة الحرارة تنفذ في المسام، وماء شديد الحرارة.
 ٤٣، ٤٤، ٤٥- وظل من دخان جهنم شديد السواد والحرارة، لا هو بارد كبقية الظلال، ولا هو نافع يدفع أذى الحر لمن يأوي
 إليه، ولا حسن المنظر. إن أصحاب الشمال كانوا في الدنيا متعمين منهمكين في الشهوات.
 ٤٦- وكانوا يقيمون ويدامون على الذنب الكبير، وهو الشرك وبقية الكيئات.
 ٤٧- وكانوا ينكرون البعث، ويقولون: كيف إذا متنا وصرنا تراباً وعظاماً بآلية نعوذ أحياء من قبورنا؟!
 ٤٨- وهل يبعث أبأوتنا الأقدمون؟ أي إنهم أشد إنكاراً لبعث آبائهم وأجدادهم لتقدم الزمن.
 ٤٩- قل لهم أيها الرسول: إن الأولين من الأمم والأخريين منهم وأنتم من جملتهم.
 ٥٠- لمجموعون محشورون إلى وقت يوم معلوم هو يوم القيامة.
 ٥١- ثم إنكم معشر الضالين عن الحق، الذين أنكرتم وجود الله وتوحيده.

لَا كُؤُنَ مِنْ بَحْرٍ مِّنْ رُّعُومٍ ﴿٥٢﴾ فَاَلْقَوْهَا أَبْوَابًا ﴿٥٣﴾ فَسَوَّيْتُ
عَلَيْهِمْ مِنَ الْجِمْيمِ ﴿٥٤﴾ فَسَوَّيْتُ سُرْبًا لِّجِمْيمٍ ﴿٥٥﴾ هَذَا زُرْعَةُ يَوْمِ الدِّينِ
﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا نَصِيحُونَ ﴿٥٧﴾ أَوْ رَدُّ مَا قُتِلُوا ﴿٥٨﴾ أَمْ أَنْتُمْ
تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ
بِمُسَبِّحِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَيْنَ أَنْ يَدَّ لَأَسْأَلَكُمْ وَنَسْأَلَكُمْ وَمَا لَأَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾
وَلَقَدْ عَلَّمْنَا النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَوْ رَدُّ مَا تَحْرُثُونَ
﴿٦٣﴾ أَمْ أَنْتُمْ نَسِيتُمْ نَارَ الزَّرْعِ وَأَمْ نَحْنُ الزَّرْعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ
حُطْبًا فَظَلَمْتُمْ تَفَكُّهُنَّ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمَعْرُومُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ
﴿٦٧﴾ أَوْ رَدُّ الْمَاءِ الَّذِي سَرَبُوا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ
نَحْنُ الْمَنْزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أَمْجًا فَلَوْلَا نَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾
أَوْ رَدُّ نَارِ النَّارِ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ أَنْتُمْ نَسِيتُمْ نَارَ بَيْتِكُمْ أَمْ نَحْنُ
الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَمَعْمًا لِلْعُقُومِ ﴿٧٣﴾ فَسَمِعَ
بِأَسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْجِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ
لَقَسَمٌ لِّتَوْفَىٰ لِمُؤَنِّ عَظِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّأَنْ كَرِيمٍ ﴿٧٧﴾
﴿٧٨﴾ وَرَكِبَ فُكُوهُنَّ لَأَيْبَسَهُنَّ إِلَّا الْبَاطِرُونَ ﴿٧٩﴾

والحرث: إثارة الأرض أو فلاحتها.

- ٦٤- ألتم تنبتونه- وتزرعونه مشتق من الزرع: وهو الإنبات- أم نحن المنتبتون؟
٦٥، ٦٦- لو نشاء لجعلنا ذلك الزرع هشيمًا متحطماً متكسراً، لا نفع فيه، فبقيتم نهاراً تمتعجون من سوء حاله، ملازمين حال
الفرم، تقولون: إننا الذين ذهب مالهم وضاع سدى.
٦٧- بل نحن في الواقع محرومون من الخير، ممنوعون من الرزق. و ﴿بل﴾ للانتقال من كلام إلى آخر.
٦٨- أخبروني عن الماء الذي تشربون منه لإرواء العطش.
٦٩- ألتم أنزلتموه من السحب أم نحن المنزولون له بإرادتنا وقدرتنا دون غيرنا؟ والمُزَن جمع مزنة.
٧٠- لو نشاء جعلنا ذلك الماء المنزل العذب ملكاً لا يمكن شربه، فهلا تشكرون أمثال هذه النعم الضرورية؟
٧١، ٧٢- أخبروني عن النار التي تقدحون أعواد شجرتها بضرب عود منها بأخر مع احتكاك شديد، فيخرج منها شرر النار،
مثل ضرب الحجر بقطعة حديد وهو الزناد، أم نحن المنشئون لها بقدرتنا دونكم؟ ومن هذه الأشجار: شجر معروف عند العرب
يقال المرخ والعفار والكلكخ التي تقدح ناراً بالتماس الشديد.
٧٣- نحن جعلنا نار الدنيا بالزناد وغيره تذكيراً لكم بنار جهنم، وشيئاً يتمتع به، أي يتفجع به للمسافرين.
٧٤- فتره الله تعالى أي ذاته وصفاته العظمى عن كل ما لا يليق به.
٧٥- فلا أقسم- لا: مزيد للتأكيد. أي أقسم بمساقط الكواكب أي مغاربهها.
٧٦، ٧٧- وإنه لقسم عظيم جداً لو تعلمون قدره وعظمته، وكنتم من أهل العلم بذلك، نزلت حينما مطر الناس، فقوال
بعضهم: إنما مطرنا بنوء كذا وكذا، أي بسبب سقوط نجم كذا. إن هذا الموحى به إليك أيها النبي لقرآن كثير الخير والنفع.
٧٨- أي في كتاب مصون عند الله تعالى، محفوظ عن التبديل والتغيير، وهو اللوح المحفوظ، أو المصحف الذي بين أيدينا
وهو الأظهر.
٧٩- أي لا يميس ذلك الكتاب إلا المطهرون من الذنوب وهم الملائكة، أو لا يمسه إلا المتوسى الطاهر.

٥٢- لآكئون من بحر من رؤوم- لآكئون من شجر الزقوم الذي هو في غاية المرارة،
وكراهة الطعم والنظر والراحة.

٥٣- فمائلون من شجر الزقوم بطونكم الجائعة.

٥٤- فساربون كرهاً على الزقوم المأكول، لشدة العطش،
من ماء شديد الحرارة.

٥٥- فساربون هذا الشراب شرب الإبل العطاش التي لا
ترى لئاء الهيام: وهو داء يشبه الاستسقاء يصيب الإبل،
فتشرب حتى تموت أو تمرض.

٥٦- هذا هو المعد لهم يوم القيامة من الطعام والشراب.
والتزل: ما يعد للضيف تكريماً له.

٥٧- نحن خلقناكم أيها الناس، فهلا تصدقون وتقرون
بالبعث والإعادة كبد الخلق؟

٥٨- أفرأيتم ما تلقونه من النبي في الأرحام؟!

٥٩- ألتم تجعلون النبي بشراً سويماً تام الخلق، أم نحن
الخالقون له؟!

٦٠- نحن جعلنا الموت فيما بينكم مقدراً لكل واحد منكم
بأجل محدد ووقت معين، ولنا بعاجزين.

٦١- لا نعجز على أن نخلق بدلکم خلقاً عائلاً أو
أحسن، ونجعلكم في صورة قبيحة لا تصورون قبحها.

٦٢- ولقد علمتم وأدرتكم أن الله هو الذي خلقكم في
المرّة الأولى في الدنيا، فهلا تتذكرون؟ فمن قدر على النشأة
الأولى (بده الخلق) قادر على الإعادة للنشأة الثانية أو
الأخرى وهي البعث.

٦٣- أخبروني عما تزرعون في الأرض بالحرث والبذر.



٨٠- القرآن منزل من عند الله تعالى رب العوالم كلها على قلب نبيه محمد ﷺ.

٨١- أفسهذ القرآن أيها المشركون أنتم متهاونون، وتظهرون بمظهر من لا يهمه أمره!؟

٨٢- وتجملون شكر رزقكم وهو المطر، وحظكم من هذا القرآن أنكم تكذبون بنعمة الله، وتقولون: مطرنا بنوء كذا أي بسقوطه في المغرب مع الفجر، وطلوع رقبه في المشرق!؟

٨٣- فهلا إذا بلغت الروح وقت النزح الخلقوم: أعلى مجرى الطعام.

٨٤- وأنتم أيها الجالسون بجوار المحتضر ترونه يكابد سكرات الموت، لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً ينفعه أو يخفف عنه.

٨٥- ونحن أقرب إلى المحتضر وأعلم بحاله منكم، ولكن لا ترون ولا تدركون حقيقة ما يجري حوله.

٨٦- فهلا إن كنتم غير محاسبين على أعمالكم يوم القيامة وسنكرين البعث كما زعمتم؟

٨٧- ترجعون الروح إلى مقرها في الجسد إن كنتم صادقين في نفي البعث.

٨٨- فأما إن كان التوفى من السابقين المقربين، أحد الأصناف الثلاثة المتقدمة.

٨٩- فله راحة ورحمة، ورزق حسن طيب، وجنة ذات نعيم.

٩٠، ٩١- وأما إن كان المتوفى من أصحاب اليمين، فتسقول الملائكة له عند الموت: سلام لك من إخوانك أصحاب اليمين، الذين سبقوك وأنت منهم.

نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥١﴾ أَفَلَا أُحْيِيهِ أَنْتُمْ مَدَّهُونُونَ ﴿٥٢﴾
وَتَجْمَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٥٣﴾ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُقُوفَ ﴿٥٤﴾
وَأَنْتُمْ حِينِيذٌ نُّظَرُونَ ﴿٥٥﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ
لَا بُصِيرُونَ ﴿٥٦﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ عِزًّا مَدِينِينَ ﴿٥٧﴾ تَرْجِعُونَهَا
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥٨﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿٥٩﴾ فَسَوْخٌ
وَرِيحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٦١﴾
فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٦٢﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ
الْأَصْحَابِينَ ﴿٦٣﴾ فَرُزُقٌ مِّنْ جَهَنَّمَ ﴿٦٤﴾ وَصَلْبَةٌ جَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ إِنْ هَذَا
هُوَ حَىُّ الْبَقِيَّةِ ﴿٦٦﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٦٧﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَوْ مَكَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ نَحْيِي وَيُسَبِّحُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ
الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ كُلُّ شَيْءٍ عَالِمٌ ﴿٣﴾

- ٩٢- وأما إن كان المتوفى من المكذبين بالله ورسوله وبالبعث، الضالين المنحرفين عن الهدى، وهم أصحاب الشمال.
- ٩٣- فالنزل المعد له شيء من ماء متناه في حرارته. ٩٤- وجعله في جهنم، وإذاعة حرها.
- ٩٥- إن هذا الموحى إليك به في هذه السورة لهو الخبر الحق المتيقن الثابت الذي لا شك فيه.
- ٩٦- فنزه الله بذكر اسمه عن كل ما لا يليق بعظمة شأنه، وتفوق قدرته وعلمه.

سورة الحديد

فضلها: أخرج الإمام أحمد وغيره عن عرياض بن سارية: أن رسول الله ﷺ كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد، وقال: إن فيهن آية أفضل من ألف آية وهي قوله تعالى: ﴿هو الأول والآخر...﴾ الآية [٣].

- ١- نزه الله تعالى عن كل ما لا يليق به كل شيء في السموات والأرض، وهو القوي في ملكه، الغالب القاهر، الحكيم في صنعه وتديبه.
- ٢- مالك السموات والأرض لأنه الخالق لهما، فلا يتفقد تصرف غيره فيهما، يحيي الأموات، ويميت الأحياء، وهو قادر على كل شيء لا يعجزه أي شيء كان.
- ٣- الله هو الذي ليس قبله شيء (لم يسبق في الوجود) والآخر الذي ليس بعده شيء (يبقى بعد فناء الموجودات) والظاهر الذي ليس فوقه شيء (وظاهر بأثاره الدالة على وجوده) والباطن الذي ليس دونه شيء (ولا تحيط به الحواس والعقول) وهو واسع العلم بكل شيء، لا يخفى عليه شيء.

٤- الله هو خالق أو مبدع السموات والأرض في أيام ستة، ثم استوى على العرش (عرش الملك) استواء يليق بجلاله، يعلم ما يدخل في الأرض من مطر وهوام وغيرها، ويعلم ما يخرج من الأرض من نباتات ومياه ومعادن وغيرها، ويعلم ما ينزل من السماء من مطر ورحمة وملائكة وعذاب وغير ذلك، ويعلم ما يصعد في السماء من أبخرة وملائكة وأعمال العباد ودعواتهم، وهو بقدرته وعلمه مع الموجودات، لا يفارقكم بحال، فليس المراد المعية بالذات، والله بصير بما تعملون، لا يخفى عليه شيء، فيجازيكم عليه.

٥- له ملك السموات والأرض، والمتصرف فيهما، والنافذ الأمر في كل شيء- وكرر ذلك للتأكيد.. وإلى الله لا إلى غيره تصير أمور الموجودات والخلائق يوم القيامة، فيحكم فيها بالحق والعدل.

٦- يُدخل الليل في النهار، ويُدخل النهار في الليل بالزيادة والنقص، وهو عليم بالنيات الخفية في الصدور، أو الضمائر والمعتقدات والأسرار والخواطر، جلّ جلال الله.

٧- صدقوا أيها البشر بوجود الله وتوحيده، وبصحّة رسالة رسوله، وأنفقوا أو تصدقوا في سبيل

الله بشيء من الأموال التي جعلكم خلفاء في التصرف فيها، فإن المال في الحقيقة هو لله، وهو وديعة في أيديكم، فالذين صح إيمانهم بالله ورسوله، وأنفقوا في سبيل الله، لهم ثواب كبير، وهو الجنة. نزلت في غزوة العمرة وهي غزوة تبوك.

٨- وما لكم أيها الكفار لا تؤمنون بالله؟ أي لا مانع لكم من الإيمان، والرسول يطالبكم بالتصديق بوجود الله ووحدانيته، وقد أخذ العهد عليكم حين أخرجكم من ظهر أبيكم آدم، وهو الإسهاد على وجود الله، إن كنتم مريدين الإيمان به، فبادروا إليه.

٩- الله وحده الذي ينزل على عبده محمد ﷺ آيات واضحات ظاهرات ليخرجكم أيها الناس من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الحق والإيمان، وإن الله في ذلك الإخراج لرؤوف رحيم بكم، حين بعث فيكم الرسل وأنزل الآيات والكتب لهدايتكم.

١٠- وأي غرض لكم في عدم الإنفاق في الخير؟ أي أطلب منكم الإنفاق في سبيل إعلاء كلمة الله بالجهاد وغيره، والله يرث كل شيء في السموات والأرض، ومصير الأشياء كلها إليه، لا يتساوى من أنفق وقاتل قبل فتح مكة، وفعل ذلك بعد الفتح، أولئك المنفقون قبل فتح مكة أرفع درجة من الذين أنفقوا بعد هذا الفتح، وكلاً من الفريقين وعدّ الله الجنة، مع تفاوت درجاتهم فيها، والله خبير بما تعملون من أعمال ظاهرة وباطنة، فيجازيكم عليها. نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

١١- من ذا الذي ينفق ماله في سبيل الله طيبة به نفسه، بلا من ولا أذى، فيضاعف له الأجر أضعافاً مضاعفة، وله ثواب عظيم في الآخرة، وهو الجنة.

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَصْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾
 ٥- لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ بُوِجِ
 آيَاتِ فِي النَّهَارِ وَبُوجِ النَّهَارِ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾
 ٦- آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ
 ٧- آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَأْتُمُنُونَ بِاللَّهِ
 ٨- وَالرَّسُولَ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْتُوا بِرُكُومٍ وَقَدْ أَخَذَ مِنْكُمْ كَيْفَ تُمْ
 ٩- مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم
 ١٠- مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ
 ١١- أَلَّا تَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمُ
 ١٢- دَرَجَةً مِمَّنْ آتَيْنَ الْأَنْفُقَ مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا أَوْلِيَاءَ
 ١٣- اللَّهِ أَحْسَنُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يَفْرُضُ
 ١٤- اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعَفُهُ لَكُمْ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾

١٩- والذين صدقوا بالله ورسله تصديقاً تاماً، أولئك هم المبالغون في التصديق وهم الذين كثر صدقهم وصار سجية لهم، والذين استشهدوا أي قتلوا في سبيل الله لهم: ثوابهم الموعود به في كتاب الله، ونورهم الذي يضيئ لهم الطريق إلى الجنة، والذين جمعوا بين الكفر بالله ورسله، وتكذيب الآيات، أولئك أهل جهنم التي يعذبون فيها.

٢٠- اعلموا معشر الناس أنما الحياة الدنيا مجرد لعب لا فائدة منه في الآخرة، وهو يتلهى به ثم يذهب، وزينة يتزين بها في الدنيا، ومفخرة يفتخر بها بعضهم على بعض وتسابق في تكثير ما يشغل عن الآخرة في جمع الأموال وإنجاب الأولاد، كمثل مطر أعجب الزراع نباته ونضرته، ثم يبس بعد خضرته، ثم يكون هشيماً متكسراً، وفي الآخرة عذاب شديد لمن آثر الدنيا على الآخرة من الكفار والفجار، وغفران من الله ورضوان تام لمن آثر الآخرة وأطاع وهو مؤمن، وما الحياة الدنيا إلا شيء يتمتع به لمن اغتر بها وانخدع، ولم يعمل لآخرته. وسمى الزراع كفاراً؛ لأنهم يسترون

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَادَةُ
عِنْدَ رَبِّهِمْ لَمْ تَأْخُذْهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا
بِعَايِنَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّجْمِ ﴿١٩﴾ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا لَعِبٌ وَمَهُمْ وَزِينَةٌ وَمَتَاعٌ بَيْنَكُمْ وَكَأْتُرُ فِي الْأَمْوَالِ
وَالْأَوْلَادِ كَمَا كُنْتُمْ تُعْبَدُ الْكُفَّارَ إِنَّهُمْ يَصِيحُونَ فَزَرْنَهُ
مُضْمَرًا ثُمَّ كَانُوا كَطَمَّاءٍ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ
مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ﴿٢٠﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمْعٌ لِّقُرْءٍ
﴿٢١﴾ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ
فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٢﴾
مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٣﴾ لَكَيْلَا
تَأْسَأَ عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٤﴾ الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ بِأَمْوَالِ النَّاسِ
بِالْخُلَّةِ وَمَنْ يَبْتَخُلْ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ لَعْنَى الْحَمِيدِ ﴿٢٥﴾

الحب في التراب كما يستر الكفار نور الإيمان.

٢١- أسرعوا أيها الناس إلى أسباب المغفرة من الله بالتوبة والعمل الصالح، وسارعوا إلى جنة عرضها كعرض السماء والأرض، أُعِدَّتْ وخلقت للمؤمنين بالله ورسله لا لغيرهم، ذلك الموعود به من الجنة والمغفرة تفضل من الله على أهل طاعته، والله ذو الفضل الواسع الذي لا حدود له. وإعداد الجنة دليل على خلقها القائم الموجود.

٢٢- ما أصابكم أيها الناس من مصيبة في الأرض كالجذب ونقص الثمار، والآفة الزراعية، وغلاء السعر وغير ذلك، وفي أنفسكم كالمرض والفقير وفقد الولد إلا وهو مكتوب في اللوح المحفوظ من قبل أن نخلق الأنفس، إن إثبات ذلك في كتاب الله أمر سهل يسير على الله تعالى.

٢٣- أطلعناكم على ذلك كيلا تمزنوا على ما فاتكم من نعيم الدنيا، ولا تفرحوا بما آتاكم فرح بطر وتكبر، والله لا يحب أي يعاقب كل متكبر بما أوتي، متباه على الناس بماله أو جاهه.

٢٤- وهؤلاء هم الذين يبتخلون بما يجب عليهم، ويأمرون الناس بالبخل به، ويرغبونهم في ترك حقوق الله، ومن يعرض عن الإنفاق المطلوب منه، فإن الله هو الغني عنه وعن نفقته، المحمود عند خلقه في ذاته وصفاته وأفعاله، لا يضره ذلك.

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ
لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيَتَّقُوا اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ
الْعِقَابِ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ
بِالْعِلْمِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا
وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ
مُهْتَدٍ وَكثيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آلِهِم بِرُسُلِنَا
وَقَفَّيْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِرُسُلِهِمْ وَجَعَلْنَا فِي
قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابِيتَةٌ إِتْبَعُوهَا
مَا كُتِبَ عَلَيْهِنَّ إِلَّا الْأَيْقَاءُ رِضْوَانًا لِيُؤْمِنُوا فَارْتَضُوا حَقَّ
رِعَايَتِنَا فَاتَّبَعُوا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ
فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرُسُلِهِ
يَوْمَ تُنْفَخُ السَّمَاوَاتُ كَالرِّيِّ الْمُنْفُوشِ فَيَجْعَلُ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَعَلَّكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى صُلْبِهِمْ آيَاتُ اللَّهِ وَرِزْقُ اللَّهِ وَأَنْ لَفُضِّلَ بِإِذْنِ اللَّهِ
يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴿٢٩﴾

٢٥- تالله لقد أرسلنا رسلنا الأنبياء إلى الأمم بالحجج والمعجزات الواضحة وأنزلنا معهم الكتب السماوية المشتملة على الشرائع، وأنزلنا الميزان، أي ضوابط العدل في الأحكام ليتعامل الناس بالعدل في معاملاتهم، وخلقنا أو أوجدنا الحديد فيه قوة وشدة وصلابة، وفيه منافع كثيرة للبناء والزراعة والصناعة في السلم والحرب، وليعلم الله من ينصر دينه وينصر رسوله في حال غيبته عنهم في الدنيا، إن الله قادر على كل شيء، قاهر لا يغلب ولا حاجة له إلى نصره عباده.

٢٦- ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم رسولين إلى قومهما، وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتب المنزلة لتبليغها للناس، فمن الذرية مهتد إلى الإيمان، وكثير منهم خارجون عن الطريق المستقيم.

٢٧- ثم أتبعنا على أعقابهم وهي الطرق التي سلكوها برسولنا المرسلين بالأدلة الواضحة على صدقهم، وأتبعناهم بعيسى ابن مريم، وهو من ذرية إبراهيم من جهة أمه، وأعطيناها الإنجيل، وجعلنا في قلوب الذين آمنوا برسالته واتبعوا دينه

وهم الخواريون وأتباعهم رقة وشفقة، أي في اتباع الأحكام الدينية والعقوبات والمعاملات، وأحدثوا رهبانية هي البالغة في العبادة مع العزلة، ما أوجبناها عليهم، لكن فعلوها واخترعوها من أنفسهم بقصد إرضاء الله، فما رعاها جميعهم رعاية صحيحة، بل أهملوها وتجاوزوها، فأتينا المؤمنين منهم وهم الذين أخلصوا في إيمانهم ثوابهم المستحق، وكثير من هؤلاء الرهبان خارجون عن اتباع أوامر الله تعالى. والرافة: دفع الشر باللطف واللين، والرحمة: جلب الخير والمودة بالحسنى.

٢٨- يا أيها المؤمنون بالله ورسوله، اتقوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، وآمنوا برسوله محمد ﷺ، يعطكم على إيمانكم بالرسول نصيبين من رحمته وفضله، ويجعل لكم نوراً تمشون به على الصراط، ويغفر لكم ذنوبكم، والله غفور للمستغفرين التائبين، رحيم بهم. نزلت لبيان الأجرين للمؤمنين مثل أجور مؤمني أهل الكتاب، وزادهم النور.

٢٩- ليعلم أهل الكتاب وهم اليهود الذين لم يؤمنوا بالنبي محمد ﷺ أنه لا يحصلون على شيء مما ذكر من فضل الله ورحمته، وأن الفضل بيد الله من نبوة وعلم وتقوى، يؤتية من يشاء من عباده، والله صاحب الفضل العظيم. قال قتادة: بلغنا أنه لما نزلت ﴿يؤتكم كفلين من رحمته﴾ [٢٨] حسد أهل الكتاب المسلمين عليها، فأنزل الله ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب﴾ ولا في ﴿لئلا﴾ زائدة أي لكي يعلم. و﴿ألا يقدرون﴾ أن مخففة من الثقيلة، أي أنه لا ينالون شيئاً مما ذكر من فضله.

سورة الحجارة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتُسْتَضَكُّ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ
يَسْمَعُ مَا تَحَاوَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝ الَّذِينَ يَطَّهَّرُونَ مِنْكُمْ مِنْ
نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أَهْلُهُنَّ إِنْ أَهْلُهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدْتُمْ لَهُمْ لِيَقُولُوا
مَنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ عَلِيمٌ ۝ وَالَّذِينَ يَطَّهَّرُونَ
مِنْ نِسَائِهِمْ لَمْ يَبُودُوا بِمَا قَالُوا لِقَوْلِ رَبِّهٖ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَآ ذَٰلِكُمْ
فَوْظُونَ بِمَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ فَمَنْ رَجَعُوا إِلَىٰ نِسَائِهِمْ
مُتَّابِعِينَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَآ فَمَنْ طَعِفَ فَاطْعَامٌ سِتِّينَ
مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ
وَالَّذِينَ عَذَابُ آلِيمٌ ۝ إِنْ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
كُنُوا أَكْثَرًا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ يَبَيِّنَاتٍ
وَاللَّكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ۝ يَوْمَ يُنْفَخُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنْفِثُهُمْ
فِي أَعْمَالِهِمْ أَلْحَصَلَةُ اللَّهُ أَلْسُونَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝

١- قد استجاب الله تضرع أو دعاء المرأة في أن يفرج الله كربتها، وتراجعك أيها النبي الكلام في شأن زوجها الذي ظاهر منها، وهي خولة بنت ثعلبة زوجة أوس بن الصامت، والله يسمع حواركما وتراجعكما الكلام، إن الله سميع للأقوال، بصير بالأحوال والأعمال. أخرج الحاكم وصححه عن عائشة قالت: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة، ويخفي علي بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وتقول: يا رسول الله، أكل شبابي، ونشرت له بطني، حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدي، ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، فما برحت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات: ﴿قد سمع..﴾ وهو أوس بن الصامت.

٢- الذين يقولون لزوجاتهم بأن يقول الواحد: أنت علي كظهر أمي، فكانت تحرم عليه حرمة مؤبدة، فهو أشد طلاق في عرب الجاهلية، يقول بعضهم أيها العرب، نافرين من نسائهم، وفيه

توبيخ على هذه العادة القبيحة، ما نساؤهم في الحقيقة بأمهاتهم، فذلك كذب منهم، وما أمهاتهم في الواقع إلا اللاتي ولدنهم، وإنهم بهذا القول أي بالظاهر، ليقولون قولاً منكراً في الشرع، وكذباً محضاً، وإن الله لصاحب العفو والمغفرة لمن تاب وأدى الكفارة.

٣- والذين يظاهرون من نسائهم، ثم يعدلون عن قصد التحريم بإمسك الزوجة، فعليهم تحرير رقبة، أمة أو عبد، من قبل استمتاع أحدهما بالآخر، فيحرم الوطء قبل الكفارة، ذلكم الحكم المذكور تؤمرون به، والله خير بأعمالكم لا يخفى عليه منها شيء.

٤- فمن لم يجد الرقبة في ملكه أو ثمنها، فعليه صيام شهرين متتابعين من قبل استمتاع أحدهما بالآخر، فمن لم يستطع الصوم لهرم أو مرض مزمن مثلاً، فعليه إطعام ستين مسكيناً، لكل مسكين في رأي الخنفة نصف صاع من بر أو تمر أو أرز ونحو ذلك. وفي رأي الشافعية: مد من غالب قوت البلد (٦٧٥ غم، والصاع ٢٧٥١ غم) ذلك الحكم المخفف بالكفارة لتصدقوا بالله ورسوله في قبول شرائعه، وتلك الأحكام حدود الله، أي أحكامه التي لا يجوز تعديتها، ولللكافرين (الجاحدين) بتلك الأحكام عذاب مؤلم يوم القيامة.

٥- إن الذين يعادون الله ورسوله بمخالفة الأوامر، خذلوا وأذلوا، كما أذل الذين من قبلهم من الأقوام الكاذبة السابقة، وقد أنزلنا آيات واضحة، ولللكافرين عذاب ذو إهانة وإذلال.

٦- يوم يبعث الله الناس جميعاً من قبورهم، فيخبرهم بما عملوا في الدنيا، أحاط الله بأعمالهم عدداً، وهم نسوه لكثرة ما صدر عنهم، والله مطلع على كل شيء لا يغيب عنه شيء.



٧- ألم تعلم أيها النبي أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض، لا يخفى عليه شيء، ما يوجد من تناجي ومسارة ثلاثة إلا هو رابعهم، ولا خمسة إلا هو سادسهم، ولا أقل من ذلك كالواحد والاثني ولا أكثر إلا هو معهم، يعلم كل ما يقولون وما يجري بينهم، يعلم بهم في أي مكان كانوا، فعلمه تعالى شامل لكل شيء، لا يتحدد بمكان، ثم يخبرهم بما عملوا يوم القيامة كشفاً وتوبيخاً لهم، وإلزاماً بالحجة، وتقريراً لجزائهم، إن الله عالم بكل شيء على حد سواء.

٨- ألم تنظر أيها النبي وتتعجب من حال اليهود والمنافقين الذين نهاهم رسول الله ﷺ عن التحدث سراً فيما بينهم للتأمر على المؤمنين، ثم يعودون لمثل فعلهم من التناجي سراً، ويتناجون بما حرم الله عليهم بما هو معصية وذنب، واعتداء على غيرهم من المؤمنين، ومخالفة الرسول، وإذا جاء اليهود أيها النبي حيوك بغير تحية الله من (السلام عليكم) قائلين: (السلام عليك) أي الموت أو الهلاك، ويقولون استهزاء فيما بينهم: هلا يعذبنا الله بسبب التحية لو كان محمد نبياً؟! كافيههم عذاب جهنم، يدخلونها ويقاسون حرها، فبئس المرجع وهو جهنم مرجعهم.

أَنْزَلَ اللَّهُ بِعِلْمِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا كُنْ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَنْزَلَ إِلَى الَّذِينَ نَهَوْا عَنِ النَّجْوَى شَيْءٌ يَمُودُونَ لِمَا نَهَوْا عَنْهُ وَيَسْجُونَ بِالْآثِمِ وَالْعُدُودِ وَمَصِيبَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءَكَ مِنَ النَّجْوَى بِمَا لَمْ يَحْجِبْكَ بِهِ اللَّهُ وَبِقَوْلُونِ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسِبْتُمْ أَنْ تُصَلُّوا فِيهَا وَلَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَنْتُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا لِلْإِيمَانِ الْهَيْبَةَ كَالْهَيْبَةِ الَّتِي كَانَتْ لِلْكَافِرِينَ إِنَّهُمْ يَخِفُّونَ بِهَا وَلَكِنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ بِالْمُنَافِقِينَ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ جَوْارِئِكُمْ فَتَقَا وَلَا تَخِفْهُنَّ فَإِنَّهِنَّ يَنْتَسِبْنَ بِأَفْئِدَتِكُمْ خِلَافَ مَا نَبَّأَنَّكُمْ أَنْ تَبْلُغُوا الْكِبْرِيَاءَ وَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُنَافِقِينَ ﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكَ مِنَ النَّجْوَى مِنْ عَدُوِّكَ فَوَلِّ مَقَامَكَ الْكَرَامَةَ وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْفَصْلَ الْكَبِيرَ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكَ مِنَ النَّجْوَى مِنْ عَدُوِّكَ فَوَلِّ مَقَامَكَ الْكَرَامَةَ وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْفَصْلَ الْكَبِيرَ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكَ مِنَ النَّجْوَى مِنْ عَدُوِّكَ فَوَلِّ مَقَامَكَ الْكَرَامَةَ وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْفَصْلَ الْكَبِيرَ ﴿١٢﴾

قال مقاتل بن حيان: كان بين النبي ﷺ وبين اليهود موادة، فكانوا إذا مر بهم رجل من الصحابة، جلسوا يتناجون بينهم، حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله، أو بما يكرهه، فنهاهم النبي ﷺ عن النجوى، فلم ينتهوا، فأنزل الله: ﴿ ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ﴾ الآية. وقالت عائشة: جاء ناس من اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم، فقلت: السام عليكم، وفعل الله بكم، ونزلت آية: ﴿ وإذا جاؤوك ﴾.

٩- يا أيها المؤمنون في الظاهر إذا تحدثتم سراً، فلا تحدثوا بما يوقع في الذنب والمعصية، ولا بما فيه ظلم واعتداء، وعصيان أوامر الرسول، كما يفعل المنافقون، ولكن تناجوا بما يتفق مع الطاعة والخير وترك المعصية، واتقوا الله بامثال أمره واجتناب نهيه، الذي تجتمعون إليه يوم القيامة، فيجازيكم بأعمالكم. والبر: كل ما فيه خير.

١٠- إنما النجوى بالإثم والعدوان من وسواس الشيطان لا من الرحمن، لإيقاع المؤمنين في الحزن، وليس الشيطان بضار المؤمنين، إلا بمشيئته وإرادته، وعلى الله فليعتمد المؤمنون، ويفوضوا الأمر إليه في جميع شؤونهم. قال قتادة: كان المنافقون يتناجون بينهم، وكان ذلك يغيظ المؤمنين، ويكبر عليهم، فأنزل الله هذه الآية.

١١- يا أيها المؤمنون إذا قيل لكم: توسعوا في المجالس لغيركم من القادمين، يوسع الله لكم في رحمته من المكان والصدر والرزق والجنة وغيرها، وإذا قيل لكم: انهضوا للتوسعة على القادمين، فانهضوا دون تباطؤ، ويرفع الله المؤمنين منكم منزلتهم في الدنيا وفي الجنة، ويرفع العلماء منهم خاصة درجات في الكرامة وعلو المنزلة في الدنيا والآخرة، لجمعهم بين العلم والعمل، والله خير بأعمالكم كلها. وهو تهديد لمن لم يمتثل الأمر. قال قتادة: كانوا إذا، أو من جاءهم مقبلاً، ضنوا بمجلسهم عند رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية.



يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَذَكَّرْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُحُودِكُمْ
 صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْرَهُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
 ﴿١٦﴾ وَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُحُودِكُمْ صَدَقَاتٌ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا
 وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ
 وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَلرَّسُولُ إِلَى الَّذِينَ
 تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى
 الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ
 مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٩﴾ اتَّخَذُوا مِنْهُمْ حِجَّةً مَصْنُوعَةً عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
 فَاهُمْ عَذَابُ سَبْعِينَ لَيْلَةً قَدِ نَبَّحْنَاهُمْ مِنْهُمُ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ
 شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٠﴾ يَوْمَ يُبْعَثُهُمُ اللَّهُ
 جَمِيعًا يَحْلِفُونَ لَهُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَّا يُنذِرَهُمُ
 هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٢١﴾ اسْتَخَوذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَسْخَمَهُمْ ذَكَرَ
 اللَّهُ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٢﴾
 إِنَّ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذْيَانِ ﴿٢٣﴾
 كَتَبَ اللَّهُ لَأَخْلِفَنَّهُمْ إِنْ أَوْرَسْتُمْ إِنْ أَلَّفْتُمْ قَوْمًا مَخْرِبِينَ ﴿٢٤﴾

١٦- يا أيها المؤمنون إذا أردتم مناجاة الرسول سرّاً
 والتحدث معه في أمر ما، فقدموا قبل المناجاة صدقة
 للفقراء، تعظيماً للرسول ﷺ، ذلك التصديق خير لكم عند
 الله تعالى، وأطهر للنفس، فإن لم تجدوا صدقة، فلا بأس
 عليكم، والله غفور لمناجتكم، رحيم بكم.
 ١٧- أخفتم الفقر في تقديم الصدقات للمحتاجين قبل
 مناجاة الرسول ﷺ؟ فحين لم تفعلوا الصدقة لمشفقة عليكم،
 وتاب الله عليكم بترخيص الترك ورفع هذه المشقة، فأدوا
 الصلاة المفروضة بأوقاتها، والزكاة المفروضة بمواعيدها،
 وداوموا على ذلك، وأطيعوا الله ورسوله في سائر الأوامر،
 والله خبير بما تعملون ظاهراً وباطناً، فمجازيكم بأعمالكم.
 قال ابن عباس: إن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله
 ﷺ حتى شقوا عليه، فأراد الله أن يخفف عن نبيه، فأنزل
 ﴿ إذا ناجيتم الرسول... ﴾ فلما نزلت، صبر كثير من
 الناس، وكفوا عن المسألة، فأنزل الله بعد ذلك:
 ﴿ أشفقتم... ﴾.
 ١٨- ألم تنظر أيها النبي وتتعجب من المنافقين الذين والوا
 وادّاروا قوماً هم اليهود، سخط الله عليهم، ما هم منكم أيها
 المؤمنون ولا من اليهود بل هم مذنبون بين الفريقين،
 ويحلفون على الكذب وهو ادعاء الإسلام وكونهم من
 المؤمنين، وهم يعلمون أنهم كاذبون في الحلوف عليه. قال
 مقاتل والسدي: بلغنا أن هذه الآية نزلت في عبد الله بن
 نبتل المنافق، كان يجالس النبي ﷺ، ثم يرفع حديثه إلى
 اليهود، فعاتبه الرسول، فحلف بالله ما فعل ذلك، فأنزل

الله هذه الآية.

- ١٥- أعد الله لهؤلاء المنافقين عذاباً شديداً في الآخرة بسبب أفعالهم المذكورة في الآية السابقة، إنهم قبح ما كانوا يعملون من
 المعاصي، وموالاته الأعداء.
- ١٦- اتخذ المنافقون إيمانهم التي يحلفون بها أنهم مسلمون وقاية وسترأ على أنفسهم من المواخذه، فصدّوا (منعوا) الناس عن
 الإسلام بالتحريش والتشيط، فلهم عذاب يهينهم ويذلهم. وهو وعيد ثان وتهديد بالعذاب.
- ١٧- لن تقيدهم أموالهم وأولادهم في درء العذاب عنهم، أولئك الموصوفون بهذه الصفات أهل النار، هم ما تكون فيها على
 الدوام، لا يموتون ولا يخرجون منها.
- ١٨- اذكر لهم يوم يبعثهم الله جميعاً من قبورهم للحساب والجزاء، فيحلفون لله كذباً، كما يحلفون لكم في الدنيا أنهم
 مؤمنون، ويظنون بأيانهم الكاذبة أنهم على شيء من نفع حلفهم في الآخرة كالدنيا، ألا إنهم هم الكاذبون في إيمانهم وأقوالهم.
 قال ابن عباس: نزلت في شأن ابن نبتل المذكور الذي دعا أصحابه الذين سمعوا شتمه لرسول الله ﷺ، فحلفوا له ما قالوا وما
 فعلوا، فأنزل الله هذه الآية.
- ١٩- استولى عليهم الشيطان بوسوسته وإغرائه، فأنساهم تذكر الله والعمل بطاعته، أولئك أتباع الشيطان، ألا إن أتباعه وأعوانه
 هم الخاسرون خسارة كبرى لتركهم الطاعة والإيمان.
- ٢٠- إن الذين يعادون الله ورسوله يترك أومره، أولئك في عداد المغلوبين الأذلاء.
- ٢١- قضى الله وحكم في علمه السابق واللوح المحفوظ: لأغلبن بالحجة والقوة أنا ورسلي كل من عاداني، إن الله قوي على
 نصر عباده المؤمنين، غالب قاهر أعداء الجاحدين. نزلت حينما ترجى المسلمون فتح بلاد فارس والروم، فقال عبد الله بن
 أبي: أتظنون الروم وفارس كبعض القرى التي غلبتم عليها، والله إنهم لأكثر عدداً وأشد بطشاً من أن تظنوا فيهم ذلك،
 فنزلت.

لَا يُجَدُّوهُمَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ تَوَدُّونَ مَن حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ
كُتِبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانُ وَأُكِّدَهُمْ رُوحَ نَبِيِّهِ وَلَوْ كَانُوا عَدُوًّا
لَغَرَّبْنَاكَ مِنْهُمْ وَإِن يَقولُوا فَذَرْهُمْ لعلَّ قلوبهم يأتوا
بالحق



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ
الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكُتُبِ مِنْ دِيَارِهِمْ لَدُولِ
الشُّرْكِ مَا ظَننْتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَلُّوا أَنَّهُم مَّا نَعْتَهُمُ صُورُهُمْ
مِنَ اللَّهِ فَأَنزَلَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ
الرَّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا
يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ۚ وَلَوْلَا أَن كُتِبَ اللَّهُ عَلَيهِمْ الْجَلَاءُ
لَعَذَّبْتُمْ فِي الذُّنُوبِ وَالْعُسْرِ فِي الْأَخْزَةِ عَذَابَ النَّارِ ۚ

٢٢- لا تجدد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يحبون
ويوالون من عادي الله ورسوله وخالف أحكامه، أي لا
ينبغي لهم ذلك، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم
أو أقرباءهم، أي ولو كان المحادون لله ورسوله آباء
الموادرين. الخ فالإيمان يمنع ذلك، أولئك المؤمنون الذين
لا يوادون المحادين، أثبت الله الإيمان في قلوبهم،
وقواهم بنور يقذفه في قلوبهم، ويدخلهم جنات تجري
من تحت بساطتها الأنهار، ما كثر فيها إلى الأبد، رضي
الله عنهم بطاعته، وقبل منهم، ورضوا عنه بثوابه الذي
وعدهم به، أولئك جند الله وأنصار دينه، إلا إن هؤلاء
الأنصار هم الفائزون بخيري الدارين. قال عبد الله بن
شاذب: نزلت هذه الآية في أبي عبيدة بن الجراح
حين قتل أباه يوم بدر: ﴿لا تجدد قوماً...﴾

سورة الحشر

فضلها: أخرج أحمد والترمذي عن معقل ابن يسار
قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال حين يصبح ثلاث
مرات: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم،
وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر، وكَّلَّ الله به

سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يُمسي، وإن مات في يومه، مات شهيداً، ومن قرأها حين يُمسي فكذلك» قال
الترمذي: حديث حسن غريب.

١- نزهة الله تعالى عن كل ما لا يليق به - ولا م ﴿الله﴾ مزيدة - كل ما في السموات والأرض، وهو القوي الغالب في
ملكه، الحكيم في صنعه وتدييره. أخرج البخاري عن ابن عباس قال: سورة الأنفال نزلت في بدر، وسورة الحشر
نزلت في بني النضير.

٢- الله سبحانه هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب وهم يهود بني النضير الذين كانوا مع طوائف اليهود
الثلاثة يقيمون في المدينة، من مساكنهم حول المدينة في الحشر أو الجمع الأول للإخراج من المدينة إلى خيبر، وآخر الحشر:
إخراج اليهود من خيبر وإجلاؤهم في زمن عمر رضي الله عنه من جزيرة العرب إلى الشام؛ لأنهم غدروا بالنبي ﷺ بعد أن
عاهدوه، وتأمروا عليه مع المشركين، فحاصروهم رسول الله ﷺ حتى رضوا بالجلاء، ما ظننتم أيها المؤمنون أن يخرجوا
من ديارهم، لشدة بأسهم ومنعتهم، واعتقلوا أن حصونهم تمنعهم من بأس الله وعذابه - والحصون: القلاع المشيدة -
فجاءهم عذاب الله وأمره بالجلاء، من حيث لم يخطر لهم ببال، لثقتهم بأنفسهم، وألقى بقوة في قلوبهم الخوف،
وملاها رعباً، يخربون بيوتهم من الداخل بأيديهم لئلا يسكنها المسلمون، وبأيدي المؤمنين من الخارج لتصفية آثارهم،
فاتعظوا أيها المؤمنون بحالهم يا أولي العقول البصيرة. والحشر: إخراج جمع من مكان إلى آخر، وأضيف (أول) إليه
كإضافة (جميل) للصبير، أي الصبر الجميل، والحشر الأول. والبصيرة: نور القلب.

٣- ولولا أن قضى الله على يهود بني النضير بالجلاء: الطرد من الديار، لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي، كما فعل ببني
قريظة، ولهم في الآخرة عذاب جهنم.

٤ - ذلك الإجماع بسبب معاداتهم الله ورسوله بمخالفة الأوامر، ومحاولة قتل النبي ﷺ ومن كان يعادي الله ويعصيه، فإن الله شديد العقاب لمن عاداه.

٥ - ما قطعتم أيها المؤمنون في المعارك لضرورات حربية من شجر نخيل، أو تركتموها قائمة على جذوعها، فبإرادة الله ومشيتته، وليذل الخارجين عن طاعته، المنحرفين عن شريعته. أخرج الشيخان عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ حرق بني النضير - أي أشجارهم - وقطع ودي - صغار النخل - البويرة، فأنزل الله: ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ .. ﴾.

٦ - ما جعله الله فينا للرسول ﷺ كأموال النضير - والفيء: ما أخذ من أموال الكفار الأعداء من غير قتال - فما أسرعتم فيه لقتال عدوكم بركوب خيل ولا ركائب إيل، ولم تتعرضوا فيه للمشاق والشدائد، ولكن الله يسלט رسله على من يشاء من عباده، بإلقاء الرعب والاستسلام بلا قتال، والله تام القدرة على كل شيء.

٧ - ما أعاد ورد - أي صير - الله على رسوله من غنائم أهل البلاد الكافرة، فله الأمر فيه كما يشاء، ولرسوله يتفق منه على أهله ونفسه، ولأقربائه من بني هاشم وبني المطلب الذين لا تحل لهم الصدقة، حفظاً لرفعتهم ورقبيهم، ولليتامى الذين فقدوا آباءهم، ولذوي الحاجة من الفقراء والمساكين، ولابن السبيل: المنقطع أثناء سفره عن الوصول لبلده، لئلا يكون مال الفيء متداولاً بين الأغنياء فقط، وما أعطاكم الرسول فخذوه، وما منعكم عنه فاتتهوا عنه، واتقوا الله بالتزام أوامره واجتناب نواهيه، إن الله شديد العقاب لمن عصاه وخالفه.

٨ - يعطى الفيء لذوي الحاجة المهاجرين الذين طردوا من ديارهم في مكة، وأخرجوا من أموالهم يطلبون أن يوسع الله عليهم من فضله وإحسانه، ويلتمسون رضا الله عنهم، ويتناصرون دين الله ورسوله بالجهاد بالنفس والمال، أولئك هم الصادقون في إيمانهم وجهادهم.

٩ - ويعطى من الفيء الذين سكنوا المدينة وهم الأنصار، ولزموا الإيمان ورضوه وأخلصوا العمل لله، من قبل هجرة المهاجرين، يحبون المؤمنين الذين هاجروا إليهم، ولا يجدون في صدورهم مرضاً نفسياً كالحسد والغيظ، فلا يحسدون المهاجرين على ما خصوا به من أموال الفيء، ويُقدِّمون ويفضلون إخوانهم المؤمنين على أنفسهم، ولو كان بهم فقر وحاجة، ومن كان يمنع ويحرم من بخل نفسه، وهو حب المال وبغض الإنفاق، فأولئك هم الفائزون بالثواب العاجل والآجل وبالسعادة الحقيقية. أخرج ابن المنذر عن زيد الأصم: أن الأنصار قالوا: يا رسول الله، أقسم بيننا وبين إخواننا المهاجرين الأرض نصفين، قال: لا، ولكن تكفونهم المؤنة، وتقاسمونهم الثمرة، والأرض أرضكم، قالوا: رضينا، فأنزل الله: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ .. ﴾.

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَكَانَ اللَّهُ شَدِيدًا الْعِقَابِ ﴿١﴾ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أَصُولِهَا فَإِذِ انْتَبَهَرَ اللَّهُ وَبَخَسَ مِنْهُ ثَمَنًا ﴿٢﴾ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣﴾ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةَ بَيْنِ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى الرَّسُولِ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٦﴾

وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا
الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ
آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُكُمْ أَحَدًا أَبَدًا
وَإِنْ قُوتِينَا لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ
﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ
وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولَيَنَّ الْأَدْبَارَ لَنَنْصُرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنْتُمْ
أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يَتَّقُونَكُمْ كَمَا تَجِبُوا لِآلِي قُرَيْشٍ مَخْضَمَةٌ
أَوْ مِنْ وَرَاءِ حُدُودِ آبَائِهِمْ شَدِيدًا مُخَصَّبَةٌ مُجْتَمِعَةٌ
وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاتُ أَرْهَامٍ وَهُمْ عَلَىٰ عَذَابٍ
الِيمٍ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اهْكُرْ فَلَمَّا كَهَرَ
قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾

١٠ - ويعطى من الفيء الذين جاؤوا من بعد المهاجرين إلى المدينة والأنصار، وهم التابعون لهم بإحسان إلى يوم القيامة، يقولون: ربنا اغفر لنا وإخواننا السابقين بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا حقدًا وحسدًا لجميع المؤمنين، ربنا إنك الرؤوف بخلقك، تزيل أسباب البلاء والشقاء، واسع الرحمة بهم تجزول الإحسان والعطاء لهم.

١١ - ألم تنظر أيها النبي إلى المنافقين الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، كعبد الله بن أبي وصحبه يقولون لإخوانهم الكفرة من اليهود كبنى النضير وغيرهم: والله لئن أخرجتم من دياركم لنخرجن معكم، ولا نطيع أبدأ أحدًا من المسلمين في قتالكم وخذلانكم، وإن قاتلكم المسلمون لنعاونكم على عدوكم، والله يشهد إنهم لكاذبون فيما يقولون، لعلمه بأنهم لا يفعلون ذلك. قال السُّدِّي: أسلم ناس من أهل قريظة، وكان فيهم منافقون، وكانوا يقولون لأهل النضير: ﴿لئن أخرجتم...﴾ فنزلت هذه الآية: ﴿ألم تر...﴾.

١٢ - والله لئن أخرجوا من الديار لا يخرجون

معهم، وإن قوتلوا لا يساعدونهم ولا يؤازرونهم، وإن جاؤوا لنصرتهم على سبيل الفرض مضطرين، ليفرن هارين منهزمين، ثم لا يجدون نصرًا من الله بعدئذ، بل نخذلهم، ولا ينفعهم نصرة المنافقين.

١٣ - لأنتم أيها المؤمنون أشد خوفًا ومرهوبة في صدور المنافقين واليهود من الخوف من الله، ذلك بسبب أنهم قوم لا يعلمون عظمة الله حتى يخشوه.

١٤ - لا يقاتلونكم أي اليهود مجتمعين إلا ضمن قرى محصنة بالحصون والخنادق أو من خلف الحيطان، لفرط رهبتهم، عداوة بعض اليهود والمنافقين لبعض شديدة؛ لأن اليهود لهم دين، والمنافقون مشركون، تظنهم مجتمعين متفقين، وقلوبهم متفرقة لافتراق عقائدهم، وتغاير مقاصدهم، بسبب أنهم لا يدركون الحق وما فيه صلاحهم.

١٥ - مثل اليهود والمنافقين كمن تقدمهم من المشركين الذين قتلوا وعذبوا في زمان قريب في معركة بدر قبل إجلائهم بستة أشهر، ذاقوا سوء عاقبة كفرهم في الدنيا من القتل وغيره، ولهم عذاب مؤلم في الآخرة. والوبال: الثقل والشدة، ومنه مطر وبيبل، أي ثقيل القطر، والمراد هنا: أنه مؤذ.

١٦ - مثل المنافقين في إغراء اليهود على القتال كمثل الشيطان حين أغرى الإنسان فقال له: اكفر، وزينه له، فلما كفر بربه، قال الشيطان: إني بريء منك، إني أخشى الله رب العالمين.



فَكَانَ عَاقِبَةُ أُولَئِكَ الْبَأْسَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ فَكَانَ عَاقِبَةُ الشَّيْطَانِ الْغَاوِي وَالْإِنْسَانِ الْمَغْوِي أَنَّهُمَا فِي النَّارِ، حَالٌ كَوْنُهُمَا مَا كَثُرَ أَوَّلًا فِيهَا، وَذَلِكَ الْخُلُودُ فِي النَّارِ جِزَاءَ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ.

١٨- يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ اتَّقُوا اللَّهَ بِفِعْلِ أَمْرِهِ وَتَرْكِ نَوَاهِيهِ، وَتَنْظُرْ كُلَّ نَفْسٍ أَيَّ عَمَلٍ صَالِحٍ قَدَّمَتْهُ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا اللَّهَ: لِلتَّكْيِيدِ، إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِأَعْمَالِكُمْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَهُوَ مُجَازِيكُمْ عَلَيْهَا.

١٩- وَلَا تَكُونُوا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ كَالَّذِينَ تَرَكُوا أَمْرَ اللَّهِ وَحَقُّوقَهُ، فَلَمْ يَطِيعُوهُ وَشَغَلَتْهُمْ الدُّنْيَا، فَعَاقَبَهُمُ اللَّهُ بِأَنَّهُمْ حَقُّوا أَنفُسَهُمْ، فَلَمْ يَقْدُمُوا لَهَا خَيْرًا يَنْفَعُهَا فِي الْآخِرَةِ، أَوْلَئِكَ هُمُ الْخَارِجُونَ تَمَامًا عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

٢٠- لَا يَتَسَاوَى عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ قَصُرُوا فِي الْعَمَلِ وَأَهْلُ الْجَنَّةِ الَّذِينَ أَدَّوْا مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، أَهْلُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ بِالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ وَبِرِضْوَانِ اللَّهِ، النَّاجُونَ مِنْ عَذَابِهِ.

٢١- لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جِبَلٍ وَجَعَلْنَاهُ

فَكَانَ عَاقِبَةُ أُولَئِكَ الْبَأْسَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ فَكَانَ عَاقِبَةُ الشَّيْطَانِ الْغَاوِي وَالْإِنْسَانِ الْمَغْوِي أَنَّهُمَا فِي النَّارِ، حَالٌ كَوْنُهُمَا مَا كَثُرَ أَوَّلًا فِيهَا، وَذَلِكَ الْخُلُودُ فِي النَّارِ جِزَاءَ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ.

١٨- يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ اتَّقُوا اللَّهَ بِفِعْلِ أَمْرِهِ وَتَرْكِ نَوَاهِيهِ، وَتَنْظُرْ كُلَّ نَفْسٍ أَيَّ عَمَلٍ صَالِحٍ قَدَّمَتْهُ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا اللَّهَ: لِلتَّكْيِيدِ، إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِأَعْمَالِكُمْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَهُوَ مُجَازِيكُمْ عَلَيْهَا.

١٩- وَلَا تَكُونُوا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ كَالَّذِينَ تَرَكُوا أَمْرَ اللَّهِ وَحَقُّوقَهُ، فَلَمْ يَطِيعُوهُ وَشَغَلَتْهُمْ الدُّنْيَا، فَعَاقَبَهُمُ اللَّهُ بِأَنَّهُمْ حَقُّوا أَنفُسَهُمْ، فَلَمْ يَقْدُمُوا لَهَا خَيْرًا يَنْفَعُهَا فِي الْآخِرَةِ، أَوْلَئِكَ هُمُ الْخَارِجُونَ تَمَامًا عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

٢٠- لَا يَتَسَاوَى عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ قَصُرُوا فِي الْعَمَلِ وَأَهْلُ الْجَنَّةِ الَّذِينَ أَدَّوْا مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، أَهْلُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ بِالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ وَبِرِضْوَانِ اللَّهِ، النَّاجُونَ مِنْ عَذَابِهِ.

٢١- لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جِبَلٍ وَجَعَلْنَاهُ

يُدْرِكُ مَا فِيهِ مِنْ عِظْمَةٍ وَوَعْظٍ وَشَانٍ، لِرَأْيَيْهِ خَاضِعًا مُتَشَقِّقًا مِنْ خَوْفِ اللَّهِ، تَعْظِيمًا وَخَوْفًا مِنْ عِقَابِهِ، وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ الْمَذْكُورَةُ فِي الْقُرْآنِ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لِيَتَفَكَّرُوا وَيَتَعَطَّوْا وَيَتَوَبَّوْا. وَالْمَرَادُ بِالْكَلَامِ: التَّمْثِيلُ لِقِسَاوَةِ قَلْبِ الْإِنْسَانِ، وَتَرْكِ الْخَشْيَةِ عِنْدَ سَمَاعِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

٢٢- هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ سِوَاهُ، وَلَا رَبَّ يَحِقُّ غَيْرُهُ، الْعَالَمُ بِكُلِّ مَا غَابَ عَنِ الْحَسَنِ وَالْمَشَاهِدَةِ، وَبِالْمَادِيَّاتِ وَالْمُرْتِيَّاتِ الْمَحْسُوسَةِ، أَيَّ يَسْتَوِي فِي عِلْمِهِ مَا غَابَ وَمَا حَضَرَ، الْوَاسِعُ الرَّحْمَةَ بِجَمِيعِ الْعِبَادِ، وَالِدَائِمُ الرَّحْمَةَ.

٢٣- هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ مَعْبُودٌ يَحِقُّ غَيْرُهُ، الْمَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ وَالْمُتَصَرِّفُ فِيهِ، الْمُنْزَهُ عَنِ كُلِّ نَقْصٍ، الطَّاهِرُ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ، السَّالِمُ مِنْ كُلِّ نَقْصٍ وَعَيْبٍ، الْمُسَلِّمُ مِنْ جَمِيعِ الْمَخَاطِرِ، مَانِحُ الْأَمَانِ لِعِبَادِهِ مِنَ الظُّلْمِ أَوِ الْمَصْدَقِ رَسَلَهُ فِيمَا بَلَّغُوهُ عَنْهُ، صَاحِبُ السُّلْطَانِ الرَّقِيبِ عَلَى عِبَادِهِ، الْقَوِيُّ الْغَالِبُ، صَاحِبُ الْعِظْمَةِ أَوِ الْجَبْرُوتِ، الَّذِي يَخْضَعُ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ، الْبَلِيجُ الْكَبِيرِيَاءِ وَالِاسْتِعْلَاءِ الْمُتَرَفِّعِ عَنِ كُلِّ نَقْصٍ، تَزَهُ اللَّهُ عَمَّا يَصِفُهُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الصَّاحِبَةِ وَالْوَالِدِ وَالشَّرِيكِ.

٢٤- هُوَ اللَّهُ الْمُقَدِّرُ لِلْأَشْيَاءِ عَلَى مَقْتَضَى حِكْمَتِهِ وَإِرَادَتِهِ، وَهَذَا هُوَ الْمَرَادُ هُنَا، وَيَطْلُقُ الْخَالِقُ أَيْضًا عَلَى الْمُنْشِئِ الْمَوْجِدِ لِلشَّيْءِ مِنَ الْعَدَمِ، الْبَارِئِ، أَيِ الْمُنْشِئِ مِنَ الْعَدَمِ وَهُوَ مَعْنَى الْخَالِقِ بِالْمَعْنَى الثَّانِي، الْمَوْجِدِ لِلْأَشْيَاءِ بِالصُّورَةِ الَّتِي قَدَّرَهَا لَهُ، لَهُ الْأَسْمَاءُ الدَّالَّةُ عَلَى مَعَانٍ فِي مَتْنِهِ الْحَسَنِ، يَنْزَهُ اللَّهُ عَمَّا يَصِفُهُ بِهِ الْمَخْلُوقَاتُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ الْقَوِيُّ الْغَالِبُ الَّذِي لَا يُغْلَبُ، الَّذِي يَقْضِي بِالْحِكْمَةِ فِي جَمِيعِ أَمُورِهِ.

سُورَةُ الْحَشْرِ

سُورَةُ الْحَشْرِ

سورة المتحنه

١- يا أيها المؤمنون لا تتخذوا عدوي وعدوكم : وهو الكافر أو المشرك الذي لم يؤمن بما أنزل الله في كتبه أصدقاء وأنصاراً - والعدو يطلق على الواحد والجمع - توادونهم بإطلاعهم على أخبار النبي والمؤمنين ، أي تلقون إليهم بأسرار المؤمنين بسبب المودة بينكم وبينهم ، وهم قد كفروا بما جاءكم من الحق ، أي دين الإسلام والقرآن ، يخرجون الرسول وإياكم من مكة ، لأجل إيمانكم بالله ورسوله ، فلا تتخذوا عدوي أنصاراً إن كنتم خرجتم من دياركم للجهاد في سبيلي ، ومن أجل طلب رضائي ، تبلغونهم بالأخبار سرّاً سبب المودة ، وأنا أعلم من كل أحد بما أضمتم وما أظهرتم ، وهذا تخويف بأنه تعالى يعلم كل شيء ، ومن يتخذهم أولياء أو أنصاراً ، فقد أخطأ طريق الحق الذي هو الطريق المستوي . نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب إلى مشركي قريش يخبرهم بمسير النبي ﷺ إليهم في غزوة الفتح سنة ثمان هجرية .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ
إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنْ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ
وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ جِهَادًا فِي سَبِيلِي
وَأَيُّهَا مَرْضِيَ سُرُونِ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ
وَمَا أَعْلَمْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝ إِنْ
يَقْضُوا كَيْفَ كُفَرُوا لَكُمْ أَعْدَاءٌ وَيَسْطَوْا إِلَيْكُمْ آيَاتِهِمْ وَأَنْسَهُمْ
بِالشُّوْءِ وَوَدُّوا لَوْ كَفَرُوا ۝ لَنْ نَنْفَعَكُمْ أَرْحَامَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْضَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ قَدْ
كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا
لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُوكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كُفْرًا كَرِيمًا وَبَدَأَ
بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ الْهَذَا حَتَّىٰ تَوْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا
قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأبيه لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْرُكَ لِي مِنْ شَيْءٍ ۝
رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَأْنَا وَإِلَيْكَ لَمْصَدُورٌ ۝ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا
فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآخِرُ قَوْلُنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝

٢- إن يظفروا بكم وهم المشركون ، يظهروا لكم العداوة المتمكنة في قلوبهم ، ويمدوا إليكم أيديهم بالقتل والأسر ، وألستهم بالسب والشتم ، وتمنوا كفركم ورجوعكم عن دينكم .

٣- لن تنفعكم أيها المؤمنون قرباتكم ولا أولادكم الذين توالون المشركين لأجلهم ، في يوم القيامة ، يُفَرِّقُ اللهُ بينكم وبينهم ، فيدخل الطائعين الجنة والعصاة النار ، والله مطلع على أعمالكم يرى كل شيء ، ولا يخفى عليه شيء .

٤- قد كانت لكم قدوة حميدة في إبراهيم الخليل قولاً وفعلًا ، وفي الذين آمنوا معه من المؤمنين ، حين قالوا لقومهم المشركين : إنا بريئون منكم ، ومن ألهمتكم المعبودة من غير الله وهي الأصنام ، كفرنا بما أمتمت به من الأوثان ، وظهر بيننا وبينكم العداوة والبغض والكرهية إلى أن تركوا ما أنتم عليه من الشرك ، لكن استثناء من القدوة الحسنة قول إبراهيم لأبيه أزر : لأستغفرن لك الله ، فلا تتأسوا به ، فتستغفروا للمشركين ، ولست أملك لك من الله شيئاً ، ولا أدفع عنك عذاباً ، ربنا فوَضْنَا أَمْرَنَا إِلَيْكَ ، ورجعنا وتبنا ، وإليك المرجع والمآب .

٥- ربنا لا تجعلنا مفتونين في ديننا بأن تسلط الأعداء الكفار علينا ، فيعذبونا بعذاب لا تحمله ، واغفر لنا خطايانا وذنوبنا ، إنك أنت القوي الغالب الذي لا يقهر ، الحكيم في تدبيرك وصنعك ، حكمة بالغة .



٦- لقد كان لكم أيها المؤمنون في إبراهيم والذين آمنوا معه قدوة حسنة لمن كان منكم يرجو أو يطمع في ثواب الله وفي فضل الآخرة والنجاة من العذاب، ومن يعرض عن ذلك، فإن الله هو الغني عن خلقه، المستحق الحمد في جميع أفعاله.

٧- لعل الله يجعل بينكم أيها المؤمنون وبين أعدائكم المشركين محبة ومودة، بأن يسلموا، فيصبحوا إخواناً لكم في الإيمان، والله قادر على تأليف القلوب والهداية إلى الإيمان، والله واسع المغفرة لمن تاب، رحيم بمن أناب من المؤمنين. لما نزلت الآية المتقدمة عادى المؤمنون أقرباءهم المشركين في الله، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿عسى الله...﴾ ثم فعل ذلك بأن أسلم كثير منهم، وصاروا لهم أولياء وإخواناً، وخالطوهم.

٨- لا ينهاكم الله عن بر وإكرام الذين لم يقاتلوكم من أجل دينكم ولم يظردوكم من دياركم، كصلة الرحم، ومودة الجار، والضيافة، ولا ينهاكم أن تعاملوهم بالعدل، إن الله يحب العادلين المنصفين. والمراد لا ينهى الله عن موادة المعاهدين وعن معاملتهم بالعدل.

٩- إنما ينهاكم الله معشر المؤمنين عن بر المقاتلين لكم في الدين والذين أبعدوكم عن دياركم، وهم زعماء

الكفر من قريش، وعاونوا الذين قاتلوكم على إخراجكم من دياركم، وهم سائر المكين ومعاهدتهم، ينهاكم عن اتخاذهم أنصاراً وحلفاء، ومن يتخذهم أنصاراً، فأولئك هم الظالمون لأنفسهم، لعداوتهم الله ورسوله وقرآنه.

١٠- يا أيها المؤمنون إذا جاءكم اللواتي آمن حديثاً مهاجرات من مكة إلى المدينة بعد صلح الحديبية الذي يتضمن شرط رد الرجال المسلمين لا النساء، فاختروهن، للتأكد من صدق رغبتهن في الإسلام، الله أعلم بإيمان هؤلاء النساء المهاجرات، فإن علمتموهن بعد الامتحان مؤمنات، فلا تردوهن إلى أزواجهن الكفار، لأنه لا تحل المؤمنات للكفار، ولا يحل للكفار التزوج من المسلمات، وأعطوا أزواج هؤلاء المهاجرات ما أنفقوا عليهن من المهور، ولا إثم عليكم أن تزوجوهن بعد إسلامهن إذا دفعتم إليهن مهورهن، ولا تتسكوا بعقود الزواج من المشركات، لاختلاف الدين، واطلبوا ما أنفقتم من مهور أزواجكم اللاتي ارتدن ولحقن بالكفار، وليطلب الأزواج الكفار ما أنفقوا من مهور نسائهم المهاجرات إليكم، ذلك إرجاع المهر من الجانبين هو حكم الله مع المشركين بعد صلح الحديبية، بخلاف من لا عهد لهم، يحكم الله بينكم بالعدل، والله واسع العلم بأمر عباده، لا يشرع لهم إلا ما فيه الحكمة قولاً وفعلًا. أخرج البخاري ومسلم عن المسور ومروان بن الحكم أن رسول الله ﷺ لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية، جاءه نساء من المؤمنات، فأنزل الله هذه الآية.

١١- وإن انفلتت منكم امرأة ولحقت بالكفار مرتدة، فكانت لكم مغنم القتال بعد الحرب، فأعطوا الذين ذهبوا أزواجهم من الغنيمة مهور أزواجهم، بدل الفاتت عليهن من جهة الكفار حيث لم يردوا المهور، وخافوا الله الذي أمتمت به، فلا تخالفوا أوامرهم. قال الحسن: نزلت في أم الحكم بنت أبي سفيان أوتدت، فتزوجها رجل ثقيفي، ولم تردت امرأة من قريش غيرها. وعاقبتهم: أصبتم الكفار بعقوبة، أي هزيمة في حرب وغنيمة.

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ
وَمَن تَوَلَّىٰ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿١٠﴾ عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَجْعَلَ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾
لَا يَنْهَىٰكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم
مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١٢﴾
إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُم فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن
دِيَارِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَقُولُوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَوَلَّيْنَاكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ
مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ إِنَّهُنَّ لَمَّا بَيْنَهُنَّ فَإِنَّ عَلَيْهِنَّ مِثْرًا مَّا
فَلَا تَرْجُوهُنَّ إِلَى الْكُفْرِ لَأَن جَلَّسَهُنَّ وَلَا تَرْجُوهُنَّ لَمَّا قَوْلُهُنَّ
مَّا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنْكُوهنَّ إِذَا آتَيْنَهُنَّ أُجُورَهُنَّ
وَلَا تَعْسِكُوا بِهِنَّ الْكُفْرَ وَسَلُّوهُنَّ أَنْفُسَهُنَّ وَلَيْسَلُّوا مَّا أَنْفَقُوا
ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُم بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٤﴾ وَإِن فَانَكُوهُ
سُنَّي مِّنْ أَزْوَاجِكُم إِلَى الْكُفْرِ فَمَا قَبِلْتُم فَاُولَٰئِكَ الَّذِينَ ذَهَبَتْ
أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَأَنْفَقُوا اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ فِيهِ مِثْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ
بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ
بِهِنَّ بِبُرْيَانٍ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَنْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي
مَعْرُوفٍ فَمَا يَعْنَنَ وَأَسْتَغْفِرُ لِمَنْ لَمْ يَلْمَعْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ
﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَكَذَّبُوا
بِئْسَ أُمَّةٌ مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَسُوءُ الْكُفَّارِينَ مِنْ أَحْصَابِ الْقُبُورِ ﴿١٢﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾
يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَتَوَلَّوْا مَا لَا تَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ
اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَعْمَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقِيمُونَ
فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُيُوتٌ مَرْصُومٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى
لِقَوْمِهِ يَتَقَوَّمُوا لِقَوْمِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا
زَاغُوا زَاغًا اللَّهُ فُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾

١٢- يا أيها النبي إذا جاءك النساء المؤمنات بقصد البيعة أو المعاهدة على الإسلام، على ترك الشرك بالله، والسرقه، والزنى، وقتل أولادهن خوف الفقر أو العار، والإتيان بشيء كذب بأن يلحقن بأزواجهن أولاداً لقطاه ليسوا منهم. والمعروف: هو كل أمر وافق طاعة الله أو أمر عرف حسنه شرعاً وعقلاً، كتترك النواح وعزيق الثياب وجز الشعر وشت الجيب وغير ذلك من تقاليد الجاهلية، فبايعهن على الإسلام والطاعة، واطلب المغفرة لهن على سالف ذنوبهن، إن الله واسع المغفرة والرحمة. نزلت يوم الفتح، فإنه ﷺ لما فرغ من بيعة الرجال، أخذ في بيعة النساء.

١٣- يا أيها المؤمنون بالله ورسوله لا تتخذوا أنصاراً قوماً سخط الله عليهم، قد يتسوا من نعيم الآخرة وخيرها لكفرهم بها، كما يش الكفار من بعث موتاهم من القبور، أي رجوعهم أحياء إلى الدنيا. والكفار هم المغضوب عليهم، وإنما عبر عنهم بالوصف بدل الضمير لبيان سبب الغضب. قال ابن عباس: كان عبد الله بن عمر وزيد بن الحارث يوادان رجلاً من يهود، فأنزل الله هذه الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا...﴾.

سورة الصف

فضلها: أخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن سلام قال: تذاكرنا أيكم يأتي رسول الله ﷺ، فيسأله: أي الأعمال أحب إلى الله؟ فلم يبق أحد منا، فأرسل رسول الله ﷺ إلينا رجلاً رجلاً، فقرأ علينا هذه السورة، يعني سورة الصف كلها.

١- نزه الله عما لا يليق به جميع ما في السموات وما في الأرض من المخلوقات، مما يدل على مشروعية التسبيح في كل وقت، وهو القوي الذي لا يغلب، الحكيم في أقواله وأفعاله.

٢- يا أيها المؤمنون لماذا تقولون: قد فعلنا شيئاً، مع أنكم لم تفعلوا. والمقصود التائب على الكذب في طلب الجهاد وغيره، أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون: وددنا لو أن الله دلنا على أحب الأعمال إليه، فنعمل به، فأخبر الله نبيه أن أحب الأعمال إليه إيمان بالله لا شك فيه، وجهاد لأهل معصيته الذين جحدوا الإيمان به، وإقرار برسالة نبيه ﷺ، فلما نزل الجهاد، كره ذلك ناس من المؤمنين، وشق عليهم أمره، فأنزل الله هذه الآية.

٣- ثم ذم الله هؤلاء المتقولين بأن الله يمقت. والمقت أشد البغض. ذلك مقتاً عظيماً. و ﴿كبر﴾ عظم وبشع، و ﴿مقتاً﴾ عظم كرهاً لكم عند الله قولكم ما لا تفعلون.

٤- إن الله يرضى عن الذين يقاتلون في سبيله ولإعلاء كلمته، صافين صفواً واحداً، كأنهم بنيان متراص متماسك بعضه ببعض، والمراد كانه قطعة واحدة.

٥- واذكر أيها النبي حين قال موسى لقومه: أيها القوم، لماذا تؤذونني بالعصيان ومخالفة أوامري بالشرائع المفروضة من الله عليكم، وأنتم تعلمون يقيناً أنني رسول الله إليكم، والرسول يطاع ويحترم، فلما مالوا عن الحق وانحرفوا عن الهدى والصواب، أمال الله قلوبهم عن الحق وزادها بعداً عن الصواب، جزاء بما فعلوا، والله لا يوفق لمرفة الحق القوم الخارجين عن الطاعة.

٦- واذكر أيها الرسول حين قال عيسى ابن مريم: يا بني إسرائيل اني رسول الله إليكم مؤيداً ومصداقاً لما تقدمني من الكتب كالطوراة والزبور، ومبشراً بمجيء رسول يأتي بعدي اسمه أحمد، أي كثير الحمد لربه، فلما جاءهم عيسى بالمعجزات والأدلة الدالة على صدقه، قالوا: هذا سحر واضح.

٧- ولا أحد أشد ظلماً من افترى على الله الكذب بأن أشرك به، وهو يدعى إلى توحيد الله وطاعته واتباع شرعه، والله لا يوفق للحق والخير القوم الذين ظلموا أنفسهم بالكفر.

٨- يريد الكفار بتكذيبهم الرسل أن يطلوا شرع الله بأقوالهم المقترة عن القرآن: إنه سحر أو شعر أو كهانة، والله مظهر دينه وناشره في الآفاق، ولو كره الكفار الجاحدون ذلك. قال ابن عباس: إن النبي ﷺ أبطأ عليه الوحي أربعين يوماً، فقال كعب ابن الأشرف: يا معشر اليهود، أبشروا، فقد أطفأ الله نور محمد فيما كان ينزل عليه، وما كان ليتم أمره، فحزن رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآية، واتصل الوحي بعدها.

٩- الله هو الذي أرسل بالقرآن البالغ النهاية في الهداية، كانه الهدى نفسه، ليعليه على جميع الأديان، ولو كره المشركون ذلك، لما فيه من التوحيد.

١٠- يا أيها المؤمنون المصدقون بالله ورسوله، هل أدلكم على عمل رابح بمنزلة التجارة، يؤدي إلى دخول الجنة

والنجاة من النار، ويخلصكم من عذاب مؤلم موجه يوم القيامة؟ وهو الإيمان والجهاد المذكوران في الآية التالية. أخرج ابن جرير عن أبي صالح قال: قالوا: لو كنا نعلم أي الأعمال أحب إلى الله وأفضل؟ فنزلت هذه الآية، ففكرها الجهاد، فنزلت آية: ﴿لم تقولون ما لا تفعلون﴾ السابقة.

١١- تصدقون تصديقاً تاماً بالله ورسوله، من غير أي شك ولا شرك، وتجاهدون في سبيل الله بالأموال والأنفس، ذلكم الإيمان والجهاد خير لكم من الدنيا، إن كنتم تعلمون لا تجهلون ذلك، فافعلوا. أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت آية ﴿هل أدلكم على تجارة﴾ [١٠] قال المسلمون: لو علمنا ما هذه التجارة، لأعطينا فيها الأموال والأهلين، فنزلت: ﴿تؤمنون بالله...﴾

١٢- وهذا ثمن البضاعة المتاجر بها، إن تؤمنوا يغفر لكم ذنوبكم التي بدرت منكم، ويدخلكم في مساكن طاهرة خالصة ذات بهجة في بيستان إقامة دائمة، وذلك الجزء المذكور من المغفرة والجنة هو الفوز أو الظفر العظيم الذي لا فوز مثله.

١٣- ولكم عند ربكم ثوبة أخرى تعجبكم: هي نصر من الله لكم، وفتح قريب الحصول يفتح عليكم، وهو فتح مكة، وبشر أيها النبي معشر المؤمنين بالنصر والفتح في الدنيا، وبالجنة في الآخرة.

١٤- يا أيها المؤمنون، كونوا أنصار دين الله بأن تداوموا على اتباع الأوامر واجتتاب النواهي، كما قال عيسى ابن مريم لأصحابه وخواصه: من جنودي المتجهون إلى نصرة دين الله ودعوته؟ قال الأصفياء الخالص: نحن الذين ينصرون دين الله معك، فأمنت طائفة من بني إسرائيل بدعوة عيسى عليه السلام، وجحدت طائفة أخرى برسالته، فقوينا الذين آمنوا بالحجة أو بالحرب على أعدائهم المبطلين، بعد رفع عيسى، فصاروا غاليين لهم بالحجة والبينة. أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن قتادة في قوله: ﴿كونوا أنصار الله﴾ قال: قد كان ذلك بحمد الله، جاءه سبعون رجلاً، فبايعوه عند العقبة، وآووه ونصروه حتى أظهر الله دينه.

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ يُرِيدُونَ لِيُظْلَمُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُبْتَلِيهِمْ تَوْرَةً وَنُورًا وَكُتُبًا ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينٍ مُبِينٍ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَجَرَةٍ يُبْحِكُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٤﴾ تَوَمَّنْ يَا أَيُّهَا اللَّهُ وَرَسُولِهِ حِجْرًا مَدِينًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥﴾ يُغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَسَكَنٍ طَيِّبَةٍ فِيهَا زَوْجَاتٌ طِينِيَّةٌ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٦﴾ وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَامْسِكْ ظَلَامَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكُفَّرتْ طَائِفَةٌ فَأَبْدَأُ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَاقِدُوهُمْ فَأَصْحُرُوا أَظْهَرَ لِمَنْ

سورة الجمعة

فضلها: روى مسلم عن ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين.

١- ينزه الله ويمجده جميع ما في السموات وما في الأرض من المخلوقات، صاحب الملك والسلطان، المنزه عما لا يليق به، المتصف بصفات الكمال، القوي الغالب الذي لا يقهر، الحكيم في صنعه وتدبير شؤون خلقه، يضع الأمور في موضعها الصحيح.

٢- هو سبحانه وحده الذي أرسل محمداً رسولاً في العرب الأميين: الذين لا يقرؤون ولا يكتبون، والمراد أكثرهم أمي، رسولاً من جملتهم، عربياً أمياً، يتلو عليهم آيات الله التي أنزلها في القرآن، مع كونه أمياً مثلهم، ويطهرهم من الشرك وخبث العقيدة والعمل، وسوء الأخلاق، ويعلمهم القرآن والسنة وفقه مقاصد الشريعة وأسرارها، وإن كانوا من قبل بعثته لفي خطأ بين واضح بعيد عن الصواب، وهو الشرك وخبائث الجاهلية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 يُسَبِّحُ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
 ① هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَيْلٍ ضَالِّينَ ②
 ③ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْفُتُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ④
 ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ⑤
 مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَا يُحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا
 بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
 الظَّالِمِينَ ⑥ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَكَأُنَاسٌ زَعَمْتُمْ أَنْكُمُ
 أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَمَتَّوِ التَّوْرَةَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ⑦
 وَلَا تَحْمِلُونَهَا إِذْ هِيَ أَدْبَالُ مَا قَدَّمْتُمْ أَبْهِيمٌ وَاللَّهُ عَالِمُ بِالظَّالِمِينَ ⑧
 قُلْ إِنْ آمَنُوا لَدَى تَقَرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَكٌ بِكُمْ ثُمَّ تَرْكُونَ
 إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ⑨

٣- ويزكي أقواماً آخرين منهم وبعثه إليهم، وهم من جاء بعد الصحابة من العرب إلى يوم القيامة، وهو الغالب الذي لا يغلبه أحد، في ملكه وتمكيته من النبوة، الحكيم في صنعه واختياره.

٤- ذلك الفضل التمييز بإرسال هذا النبي عن أقرانه هو فضل الله الذي يؤتیه من يشاء من عباده الذين اصطفاهم، والله صاحب الفضل العظيم الذي لا يساويه فضل على عباده.

٥- صفة اليهود الذين كلفوا العمل بالتوراة، ثم لم يعملوا بموجبها كمثل الحمار يحمل كتباً علمية نافعة، قبح هذا المثل مثل القوم المكذبين بالأدلة والمعجزات وآيات التنزيل الدالة على نبوة محمد ﷺ، والله لا يوفق للحق والخير القوم الظالمين أنفسهم بالكفر والتكذيب.

٦- قل أيها النبي: يا أيها اليهود إن زعمتم أنكم أحبباء الله وأصفياءه من دون الناس، فتمنوا من الله أن يميئتم لتحصلوا على أمنيئتم بقاء الله، إن كنتم صادقين في زعمكم أنكم أولياء الله، فالولي يؤثر الآخرة، ومبذوها الموت، فتمنوه.

٧- ولا يقع منهم تمنى الموت بسبب ما قدموا من الأعمال السيئة من الكفر والعصيان، والتحريف، والله عالم بالظالمين أنفسهم الكافرين، ويجازيهم على أعمالهم.

٨- قل أيها النبي لهم: إن الموت الذي تكرهونه، فإنه آت لاحق بكم لا محالة، ثم تردون إلى عالم الغيبات والحسيات المشاهدات، فيخبركم بأعمالكم، ويجازيكم عليها. وهذا تهديد ووعد.



٩- يا أيها المؤمنون إذا أذن للصلاة الأذان الثاني بين يدي الخطيب إذا جلس على المنبر يوم الجمعة، فامشوا إلى الصلاة والخطبة؛ لأنهما يذكر فيهما اسم الله، واتركوا البيع والشراء وكل ما يشغل عن أداء الصلاة، ذلك السعي إلى ذكر الله وترك البيع خير لكم من مشاغل الدنيا ومعاملاتها؛ لما فيها من الثواب العظيم إن كنتم من أهل العلم بالخير والشر الحقيقيين، وإذا علمتم أنه خير فاعملوه.

١٠- فإذا أديت الصلاة وفرغ منها، فتوزعوا في الأرض، واطلبوا الرزق من فضل الله بالسعي، واذكروا الله كثيراً بقلوبكم وأستسكنم في مجالسكم المختلفة، بالحمد والتسبيح والتكبير والاستغفار ونحو ذلك كي تفوزوا بخير الدارين.

١١- وإذا رأى المصلون صلاة الجمعة تجارة وهي كل أنواع الكسب، أو لهواً كالتبول والمزامير ونحوها، انصرفوا مسرعين إلى التجارة واللهو، وتركوا أيها النبي قائماً على المنبر وأنت تخطب، قل: ما عند الله من الجزاء العظيم وهو الجنة خير من اللهو والتجارة للذين ذهبتم إليهما، والله خير رازق ومعط، فتوكلوا عليه، واطلبوا الرزق منه. أخرج أحمد والبخاري ومسلم والترمذي عن جابر

بأنها الذين آمنوا إذا أودى بالصلاة من يوم الجمعة فاستعوا إلى ذكر الله وذكروا تسبيح ذلك خير لكم إن كنتم تعلمون ﴿١﴾ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً تعلمون ﴿٢﴾ وإذا رأوا تجارة أو بطراً أنفقوا إليها وتركوا قلوبهم ما عند الله سريين القلوبين ﴿٣﴾ والله خير الرازقين ﴿٤﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِكُفْرٍ وَأُطْعِمُوا قُلُوبَهُمْ فَهُمْ لَا يَتَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَوْهُ تَعْجَبًا أَعْسَمُوا بِهِ وَإِنَّ يُقُولُوا لَشَيْءٌ لَقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُصْبٌ مُسْنَدٌ يَجْحَدُونَ بِحَيْثُ وَجَّهْتُمُ اللَّهُ فَأَعَدُّوا عُذْرًا لِقَوْلِهِمْ إِنَّنَا لَيُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾



قال: كان النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة إذ أقبلت عير (إبل محملة طعاماً) قد قدمت، فخرجوا إليها حتى لم يبق معه إلا اثنا عشر رجلاً، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

سورة المنافقون

- ١- إذا جاءك أيها النبي المنافقون قالوا: نحلف بالله إنك رسول الله، لحماية أنفسهم وأموالهم، والله يعلم إنك لرسوله حقاً، وهذه جملة معترضة لإظهار العناية بحفظ مقام الرسول ﷺ، والله يعلم ويحلف، إن المنافقين كاذبون فيما ادعوه من الإيمان. والمنافق: من يظهر الإسلام ويبطن الكفر.
- ٢- اتخذوا أيمانهم الكاذبة وقاية وستراً لهم من القتل والأسر وأخذ المال، فمنعوا الناس عن الدخول في الإسلام، إنهم قبيح ما كانوا يعملون من الكفر والإفساد، والنفاق والصد.
- ٣- ذلك أي سوء أعمالهم بسبب أنهم آمنوا نفاقاً باللسان، ثم كفروا بالقلب وعادوا لكفرهم في الباطن، فحتم على قلوبهم بسبب كفرهم. والختم: كناية عن عدم استعدادهم لقبول الإيمان- فهم لا يفقهون حقيقة الإيمان.
- ٤- وإذا رأيت أولئك المنافقين تعجبك أجسامهم لضخامتها، وهيئاتهم لجمالها، وإن يتكلموا تنصت لقولهم وطلاوة أساليبهم لفصاحتهم وذلاتهم، كأنهم في مقام ومجالس الرسول ﷺ أخشاب منصوبة مسندة إلى الجدار، لخلوهم من الفهم والعلم النافع، يظنون أن كل صوت واقع بهم لجسبتهم واهلهم، هم الأعداء لك أيها النبي وللمؤمنين- والعدو يطلق على الجمع والمفرد- لعنتهم الله وطردهم من رحمته، كيف يصرفون عن الحق والإيمان بعد قيام البرهان؟!

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا اسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّازَهُ وَسُوءَ مَذَلَّتِهِمْ
 يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ
 أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ
 ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تَنْفِقُوا عَلَىٰ مَا رَزَقْنَا مِنْهُ
 اللَّهُ حَتَّىٰ يَنْفُسُوا بِرِزْقِ اللَّهِ وَالرِّزْقِ الَّذِي كُنَّ
 الْمَتَّعِينَ بِهِ يَنْفِقُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا
 الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأُولَىٰ وَلَهُ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلَسَوْفَ يَنْ
 وَلَكِنَّ الْمُدْفِعِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَهْلِكُمْ
 أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ
 فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَازَرَكُمْ
 مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَنَّكُمْ الْمُتُوفِّيَاتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ
 أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ وَأَكُنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ
 اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾



٥- وإذا قيل للمنافقين: تعالوا يستغفر لكم رسول الله عما أصبتم من ذنوب، صرفوا وجوههم عن المتكلم استكباراً، ورأيهم يعرضون عن القائل وعما دعوا إليه من الاستغفار، وهم مستكبرون عن التوبة. أخرج ابن جرير عن قتادة قال: قيل لعبد الله بن أبي: لو أتيت النبي ﷺ فاستغفر لك، فجعل يلوي رأسه، فنزلت فيه هذه الآية.

٦- سواء على هؤلاء المنافقين الاستغفار لهم أم عدم الاستغفار، فلا ينفعهم ذلك، لإصرارهم على الكفر والنفاق، إن الله لا يوفق للحق والإيمان القوم الخارجين عن طاعة الله ورسوله. أخرج ابن جرير عن عروة قال: لما نزلت: ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم﴾ [التوبة ٩/ ٨٠] قال النبي ﷺ: لا يزيد على السبعين، فأنزل الله هذه الآية.

٧- هم أي زعماء المنافقين الذين يقولون لأصحابهم الأنصار في المدينة: لا تنفقوا على من عند رسول الله من فقراء المهاجرين، حتى يتفرقوا عنه حين لا يجدون قوتهم، ويبد الله مفاتيح الرزق، فهو الرزاق لهؤلاء المهاجرين، ولكن المنافقين لا يعلمون أن خزائن الأرزاق بيد الله، لجهلهم بالله تعالى.

٨- يقول المنافقون: لئن عُذنا إلى المدينة من غزوة بني المصطلق ليخرجن الأعز- يعنون أنفسهم وهم المنافقون-

من المدينة الأذل وهم في زعمهم المؤمنون، وله العزة ولرسوله وللمؤمنين لاغيرهم، أي القوة والغلبة لله وحده ولمن منحها من المؤمنين، ولكن المنافقين لا يعلمون أن العزة لله ولأصفيائه، لفرط جهلهم وغرورهم. أخرج الترمذي عن زيد بن أرقم: أن أعرابياً نازع أنصارياً في بعض الغزوات على ماء، فضرب الأعرابي رأسه بخشبة فشجته، فشكا إلى ابن أبي، فقال: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفصوا، وإذا رجعنا إلى المدينة، فليخرج الأعز الأذل، عنى بالأعز نفسه، وبالأذل: رسول الله ﷺ.

٩- يا أيها المؤمنون بالله ورسوله، لا تلهكم الأموال وفتنتها والأولاد ومحبتهم عن تذكركم الله وهو أداء الفرائض أو العبادات الإسلامية، ومن يفعل ذلك وهو اللهو والانشغال بملهي الدنيا، فأولئك هم الخاسرون في تجارتهم يوم القيامة، لأنهم باعوا الشيء العظيم الباقي بالخير القاني.

١٠- وأنفقوا أيها المؤمنون بعض أموالكم التي رزقناكم إياها في سبيل الخير، من قبل إتيان علامات الموت ودلائله، فيقول: يا رب هلاً أخرت موتي إلى مدة قريبة غير بعيدة، فأصدق بما لي بالزكاة وغيرها، وأكن من العاملين الصالحين الذين يعملون بما يرضيك كالحج وغيره.

١١- ولن يؤخر الله نفساً عن الموت إذا حضر أجلها المكتوب وآخر العمر، والله مطلع على ما تعملون، لا يخفى عليه شيء، فيجازيكم بأعمالكم. أخرج الترمذي وابن جرير عن ابن عباس قال: «قال رسول الله ﷺ: من كان له مال يبلغه حج بيت الله، أو تجب عليه فيه الزكاة، فلم يفعل، سأل الرجعة عند الموت، فقال له رجل: يا ابن عباس اتق الله، فإنما يسأل الرجعة الكافر، فقال: سأتلو عليكم بذلك قرآناً: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم﴾ [٩] إلى آخر السورة».

سورة التغابن

١- ينزه الله تعالى عن كل نقص ويمجده جميع المخلوقات في السموات والأرض، بطريقة لا ندرکها، له الملك والتصرف المطلق، وله الشكر الجزيل على نعمه الكثيرة، وهو القادر على كل شيء إيجادا وإعداما لا يعجزه شيء.

٢- هو الله وحده الذي أوجدكم أيها الناس، فمنكم كافر جاحد بالله، ومنكم مصدق بالله، والله بصير عالم بأعمالكم كلها، لا يخفى عليه شيء، ومجازيكم عليها.

٣- أوجد السموات والأرض بما يتفق مع الغرض الصحيح والحكمة البالغة، أي خلقاً مقترناً بالحق والحكمة، لا لهواً ولا لعباً، وجعل أشكالكم الآدمية بأحسن صورة، أي أتقنها وأحكمها، بنحو لا مثيل له في الهيئة والمنظر والعقل، وإليه المرجع يوم القيامة.

٤- يعلم الله تعالى جميع ما في السموات والأرض، فلا تخفى عليه خافية، ويعلم ما تخفونه وما تظهرونه من أقوال وأفعال، والله عليم بما تخفيه الضمائر من أسرار وخطرات.

٥- ألم يأتكم أيها الكفار- والاستفهام للتعجب من أمرهم- خبر الكفار السابقين، كقوم نوح وعاد وثمود، فذاقوا في الدنيا عقوبة كفرهم- والويل: الثقل والشدة الناتجة من أمرهم- وأمرهم: كفرهم، ولهم عذاب مؤلم في الآخرة، وهو عذاب النار.

٦- ذلك المذكور وهو عذاب الدنيا بسبب أنه كانت تأتيهم الرسل بالمعجزات والدلائل الظاهرة على الإيمان، فقالوا: كيف يهدينا البشر؟ أنكروا كون الرسل بشراً، فكفروا بالرسل، وأعرضوا عن الإيمان، واستغنى الله عن إيمانهم وطاعتهم، والله محمود من كل مخلوق على أفعاله.

٧- زعم الكافرون بالله- والزعم: ادعاء العلم وأكثر ما يكون في الباطل- أن لا بعث بعد الموت يوم القيامة، قل لهم أيها النبي: بلى تبعثون والله ربي- ويلي: كلمة جواب تقع بعد النفي للإثبات- ثم لتخبرن بأعمالكم، وذلك البعث والجزاء يسير على الله لقدرته التامة.

٨- فصدقوا بالله ورسوله النبي محمد ﷺ والقرآن الذي أنزلناه عليه، فهو نور يهتدى به في الظلمات، والله خبير بأعمالكم لا يخفى عليه شيء، فهو مجازيكم عليها.

٩- أذكر أيها النبي وكل مخاطب يوم يجمعكم الله ليوم القيامة الذي تجمع فيه الخلائق كلها من ملائكة وإنس وجن للحساب والجزاء، ذلك يوم التناسي والذهول من شدة الهول، ويوم الندم والغبن حيث يظهر فيه غبن الكافر بتركه الإيمان، وغبن المؤمن بتقصيره في الإحسان، ومن يؤمن بالله واليوم الآخر، ويعمل عملاً صالحاً وهو ما أمر الله به، يمح الله عنه ذنوبه، ويدخله جنات تجري الأنهار من تحت غرفها ويساتينها، ماكين فيها إلى الأبد، ذلك الظفر بالجنان هو الظفر الذي لا يساويه شيء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يُسَبِّحُ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ
كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْلَمُونَ نَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ وَصُورَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾
يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَوَلَيْسَ لَكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ
فَدَاوُوا وَآلَ أَمْرِئِمُّوسَةَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ
تَأْيِيهُمُ رَسُولَهُمْ بِأَلْبَيْتٍ فَهَاتُوا بُسْرًا مَدُونًا فَعَهَّرُوا وَيَوْلُوا
وَأَسْتَفْتَى اللَّهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ
يُعْتَدُوا قُلُوبًا وَرَبِّي أَعْلَمُ نُفُوسًا لَمَّا عَلَّمَهُ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ سِيرٌ ﴿٧﴾ فَاذْكُرُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَالنُّورَ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ يَمَّا تَعْلَمُونَ حَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْعَلُكُمْ
لِيَوْمِ الْحِسَابِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَعَمِلْ صَالِحًا
يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ لِقَوْلِ الْعَطَّيْفِ ﴿٩﴾

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ
خَالِدِينَ فِيهَا وَأَنْتَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ
اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾
وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۚ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ
فَمَا عَلَيَّ رَسُولُكَ أَتَبَعُ الْمُتَّبِعِينَ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى
اللَّهِ قَلْبُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَنْ
أَرْزَقَكُمْ وَأَوْلَاكُمْ عَدُوًّاكُمْ فَأَحْذَرُوا هُمَ وَإِنْ
تَعَفَّوْا وَتَضَعُوا أَعْنَافَهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾
إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾
فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا
لِلنَّفْسِ كُفْرًا وَمَنْ يُوقِ شَعْنَهُ فَإِنِّي وَأَوْلِيكُمْ هُمْ الْمُظْلَمُونَ ﴿١٦﴾
إِنْ تَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ فَاقْرَبُوا إِلَيْهِ حَسْرَةً وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧﴾
وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٨﴾ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيمِ الْحَكِيمِ ﴿١٩﴾



١٠- والذين جحدوا وأنكروا وجود الله وتوحيده، وكذبوا بآياتنا وهي القرآن، أولئك أصحاب النار ماكين فيها إلى الأبد، وبئس المرجع مرجعهم في الآخرة.

١١- ما أصاب أحداً من مصيبة: وهي كل ما يتعرض له من خير أو شر في نفس أو مال إلا يعلم الله ومشيئته وقضائه وقدره، ومن يصدق بالله حقاً، يهد قلبه للخير والصبر والرضا عند المصيبة، فيعلم أنها من الله، والله عالم بكل شيء، لا يخفى عليه خافية، حتى بالضمائر وأحوال القلوب.

١٢- وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول أيها المؤمنون وغيركم، فإن أعرضتم عن الطاعة، فلإنما على رسولنا التبليغ الواضح، وليس عليه شيء آخر سواه، وعلينا الحساب والجزاء في الآخرة.

١٣- الله لا إله في الوجود سواه، ولا معبود غيره، فوحدوه، وعلى الله فليترك أهل الإيمان، وليفوضوا الأمر كله إليه.

١٤- يا أيها المؤمنون إن بعض أزواجكم أعداء لكم يشغلونكم عن طاعة الله وعمل الخير، بسبب حبيكم لهم، فاحذروا موافقتكم لهم في ذلك،

وإن تعفوا عن ذنوبهم بترك العقاب، وتصفحوا عنهم بالإعراض وترك اللوم وستر الذنب، فإن الله واسع المغفرة والرحمة، يعاملكم بمثل ما عملتم.

١٥- إنما أموالكم وأولادكم بلاء واختبار لكم، قد يشغلكم حبهن عن الطاعة وقد يحملونكم على كسب الحرام، ومنع حقوق الله كالزكاة، والله عنده ثواب عظيم لمن أثر محبة الله وطاعته على محبة الأولاد والأموال.

١٦- فاتقوا الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه بقدر جهدكم وطاقتكم، واسمعوا ما تؤمرون به، وأطيعوا الأوامر، وأنفقوا من أموالكم في سبيل الخير، يكن ذلك خيراً لأنفسكم، ومن يحفظ من البخل مع الحرص، فأولئك هم الفائزون بخيري الدنيا والآخرة. [أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت ﴿ اتقوا الله حق تقاته ﴾ [آل عمران ٣ / ١٠٢] اشتد على القوم العمل، فقاموا حتى ورمت عراقيبهم، وتقرحت جباههم، فأنزل الله تخفيفاً على المسلمين: ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ .

١٧- إن تنفقوا في وجوه الخير التي يرضى الله عنها، طيبة بذلك الإنفاق نفوسكم، يضاعف لكم الثواب أضعافاً كثيرة، ويستر لكم ذنوبكم، والله شكور يعطي على الطاعة أجراً عظيماً، يمنح الكثير لفاعل القليل، لا يعاجل بالعقوبة على المعصية.

١٨- يعلم سبحانه كل ما غاب عن الخلق والمشاهد لهم، أو ما غاب وما حضر، القوي الغالب القاهر، ذو الحكمة في صنعه وتدبيره.

سورة الطلاق

١- ﴿يا أيها النبي﴾ - والمراد به أمته؛ لأنه إمام الأمة - إذا أردت تطليق النساء، فطلقوهن مستقبلات لعدتهن، أي في طهر لا جماع فيه، واضبطوا العدة واحفظوا وقتها، بأن تكملوها ثلاثة قروء، أي حيضات أو أطهار - والخطاب للأزواج - وأطيعوا الله ربكم في أمره ونهيه، لا تخرجوهن من البيوت التي كن فيها وقت الفراق حتى تنقضي عدتهن، ولا يخرجن من تلك البيوت ما دمن في العدة إلا لأمر ضروري، إلا إذا ارتكبن فاحشة الزنى، أو السرقة مثلاً، فلكن إخراجهن لإقامة الحد عليهن، أو للتخلص من بذاتهن وتطاولهن على الزوج أو أسرته، وتلك الأحكام المذكورة هي أحكام الله وشرائعه لعباده، ومن يتجاوز أحكام الله، فقد ظلم نفسه، بأن أضر بها إذ عرضها للعقاب، لا تدري أيها المطلق لعل الله يحدث بعد الطلاق أمراً جديداً، وهو الندم والرغبة في مراجعتها بعد الطلاق ما دامت في العدة، أو استئناف عقد جديد بعد انتهاء العدة أو الطلاق البائن. وفي هذا تحريض على إيقاع طلقة واحدة. أخرج ابن أبي حاتم وابن جرير وابن المنذر عن أنس قال: طلق رسول الله ﷺ حفصة، فأتت أهلها، فانزل الله تعالى: ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء..﴾ فقبل له: راجعها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِأَيْهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا
الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ
وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بَيْتَهُنَّ مُبَيَّنَةٌ وَرَبِّكَ حُدُودُ
اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَسَدَّ اللَّهُ عَنْهُ لَاتُدْرِي لَعَلَّ
اللَّهُ يُخَيِّدُكَ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغَ الْأَجَهْنَ فَأَسْكُوهُنَّ
بِعَرُوفٍ وَأَفَارِقُوهُنَّ بِعَرُوفٍ وَأَشْهَدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ
وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُؤَظَّظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ
مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنْ اللَّهُ
بَلَغَ أَمْرًا فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَالَّتِي يَسْنَ
مِنَ الْحَيْضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ رَأَيْتُمْ عَلَتْهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ
وَالَّتِي لَا يَحْيَضْنَ وَوَلَّتْ الْأَحْمَالُ أَجْهَنَ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ
وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَلِكَ أَمْرٌ اللَّهُ أَنْزَلَهُ
إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيُغْنِهِ اللَّهُ بِرِزْقِهِ

فإنها صوامة قوامة، وهي من أزواجك ونسائك في الجنة.

٢- فإذا قاربن انقضاء عدتهن، فراجعوهن بحسن معاشرة من غير إضرار، أو فارقوهن حتى تنقضي عدتهن، وأوفوهن حقوقهن، واتقوا الإضرار بهن بالمراجعة، كأن يراجعها ثم يطلقها، تطويلاً لعدتها، وأشهدوا - وهو للندب - شاهدين عدلين على الطلاق أو الرجعة، بعداً عن الشك، وإنهاء للنزاع، وأدوا أيها الشهود الشهادة خالصة لوجه الله دون تحيز وبلا تجاوز للحق، ذلكم المأمور به من الطلاق أو الرجعة والإشهاد يؤمر به المؤمن بالله واليوم الآخر، لأنه المنتفع بالموعظة، ومن يتق الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، يسهل له أموره. أخرج ابن مردويه والخطيب عن ابن عباس: أن الآية نزلت في ابن لعوف بن مالك أسره العدو، فاستكثر والداه من الحوقلة، فتغفل عنه العدو، فاستاق غنمه، وجاء بها إلى أبيه.

٣- ويرزقه بتهيئة أسباب الرزق من وجه لا يخطر بباله، ومن يفرض أمره لله، فهو كافيه، إن الله منفذ حكمه ومراده وقضاه في خلقه، قد جعل الله لكل شيء من رخاء وشدة تقديره لا يتعداه في مقداره وزمانه.

٤- والنساء اللاتي بلغن سن اليأس لكبر ونحوه، فانقطع حيضهن إن شككن في عدتهن أي جهلتم، والنساء الصغيرات أو المريضات اللاتي انقطع الدم عنهن: عدتهن ثلاثة أشهر في حال الطلاق لا الوفاة، وعدة الحوامل مطلقاً بوضع الحمل، ومن يطع الله يسر له أمره في الدنيا والآخرة، ويوفقه لكل خير. نزلت في الصغار والكبار اللاتي قد انقطع عنهن الحيض، وأولات الأحمال، أي صاحبات الحمل.

٥- ذلك المذكور من الأحكام، ومنها حكم العدة حكم الله أنزله في القرآن إليكم أيها الناس للعمل به، ومن يعمل بطاعة الله، يمح عنه ذنوبه ويستر عيوبه، ويضاعف ثوابه، ويمنحه الجنة.

٦- أسكنوا المطلقات المعتدات بعض مساكنكم بقدر وسعكم وطاقتكم، ولا تؤذوهن في النفقة أو السكنى بالإخراج كرهاً من مساكنهن، وإن كانت المطلقات حوامل، فأنفقوا عليهن في عدتهن حتى يضعن حملهن، ولا خلاف بين العلماء في إيجاب النفقة والسكنى للحامل المطلقة، فإن أرضعن لكم أولادكم بعد الفراق، فأعطوهن أجورهن على الإرضاع، وتأمروا وتشاوروا بينكم بما هو معروف غير منكر بإحسان المعاملة بإعطاء الأب أجر الرضاعة وعناية الأم بالطفل، وإن ضيق بعضكم على بعض في تقدير أجر الأم بأن طلبت فوق المعتاد، أو امتنع الأب من الأجرة، فيحق للأب استئجار مرضعة أخرى غير أمه المطلقة.

٧- لينفق المورس بقدر يسره على المطلقات والمرضعات، ومن ضيق عليه رزقه، فصار فقيراً، فلينفق بما أعطاه الله على قدر طاقتة، لا يكلف الله نفساً إلا بقدر ما أعطاه من الرزق قليلاً أو كثيراً، سيبدل الله بالعسر يسراً، عاجلاً أو آجلاً.

أَسْكُونَهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَىٰ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَمْرُهُمْ بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُم فَسَرِّضْ لَهُ أُخْرَىٰ ۗ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْفِلُ اللَّهُ تَفْسًا إِلَّا مَاءً أَنهَآ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۗ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرِيبَةٍ عَنَّتْ عَنْ أَمْْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِمَا سَبَّحْنَاهَا بِأَسْمَاءٍ وَعَدْبَتَهَا عَذَابًا مُنكَرًا ۗ فَذَاقَتْ وَآلَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ۗ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَانقُرُوا لَهُ تَأْوِيلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۗ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مَبِيتٍ يُخْرِجُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۗ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ۗ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لَعَلَّوْا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ

٨- وكثير من أهل القرى عصوا أوامر ربهم ورسولهم، فحاسب الله أهل تلك القرى حساباً شديداً في الدنيا بالاستئصال، وفي الآخرة بالعذاب، وعذبهم عذاباً منكرًا عظيمًا وهو عذاب النار.

٩- فلاقت جزاء كفرها وطغيانها، وكان عاقبة أمرها هلاكاً وخسراناً، هلاكاً في الدنيا، وعذاباً في الآخرة.

١٠- أعد الله لهم عذاباً مشدداً في الآخرة، وهو عذاب النار، فاتقوا الله بامتنال أمره واجتتاب نهييه يا أصحاب العقول الراجحة. الذين آمنوا بالله ورسوله محمد ﷺ قد أنزل الله إليكم قرآناً عظيماً.

١١- وأرسل لكم رسولاً هو محمد ﷺ يقرأ عليكم آيات الله، موضحات لكم كل ما تحتاجون من شرائع وأحكام، ليخرج المؤمنين العاملين الصالحات المأمور بها من ظلمات الضلالة إلى نور الهداية، ومن الكفر إلى نور الإيمان، ومن يصدق بالله ويعمل صالحاً باتباع أوامر الله، وترك معاصيه، أي يجمع بين الأمرين، يدخله جنات تجري من تحت غرفها وبساتينها الأنهار، ماكين فيها إلى الأبد، قد وسع الله له الرزق في الجنة.

١٢- الله وحده الذي أوجد سبع سماوات وخلق من الأرض مثلهن في التكوين، أي سبعاً من الأرضين، يجرى أمر الله وقضاؤه بينهن، وينفذ حكمه فيهن، كي تعلموا أيها العباد أن الله قادر على كل شيء، وأن الله قد أحاط علمه بكل شيء، فلا يخفى عليه خافية.

سورة التحريم

١- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾، لم تحرم على نفسك أو تمنعها ما أحل الله لك من الحلال من طعام وغيره، تطلب بالتحريم رضا زوجاتك: عائشة وحفصة فقط، والله واسع المغفرة والرحمة بعباده التائبين وبك حيث لم يواخذك على تحريم ما أحل الله لك، وعاتبك حفاظاً على عصمتك. فالاستفهام للعتاب. الصحيح كما ذكر البخاري ومسلم أن هذه الآية وما بعدها نزلت في تحريم النبي ﷺ العسل على نفسه؛ لأنه كان يشرب العسل عند زينب بنت جحش، فتواطأت عائشة وحفصة أن تقول له إذا دخل عليهما: إنا نجد منك ريحاً، فحرم العسل على نفسه.

٢- قد شرع الله لكم تحليل الأيمان بكفارة اليمين في سورة المائدة [٥] في الآية [٨٩] والله متولي أموركم وناصركم، وهو العليم بما يصلحكم، التفتن في أفعاله وأحكامه وتبدير أموركم.

٣- واذكر أيها النبي حين أسرت النبي إلى بعض أزواجه وهي حفصة حديثاً، هو تحريم العسل الذي كان يتناوله عند زينب بنت جحش، فلما أخبرت حفصة به عائشة وأن حيلتهما نجحت، وأطلعته الله على إفساء حفصة للسر، عرفت حفصة بعض ما دار من الحديث بينها وبين

عائشة، وما أفشته من السر، وهو قوله: لن أعود إلى شرب العسل، وكتم بعض الحديث تكراً منه، وامتناعاً من زيادة تخجيلها، قالت: من أخبرك هذا الخبر؟ قال لها: أخبرني به الله العليم بكل شيء من السرائر، الخبير بخفايا الأمور.

٤- إن تتوبا إلى الله، أي يا حفصة وعائشة، تُقبِلَا، فقد مالت القلوب عما يجب للنبي ﷺ عليهما من الاحترام والتوقير إلى ما يكره، واتجهت إلى التوبة من الظاهر على النبي، وإن تتعاوننا عليه بما يكره بسبب الغيرة عليه منكما، فإن الله ناصر، وكذا جبريل عليه السلام، وخيار المؤمنين، والملائكة بعدئذ أعوان له، وهو عطف عام على خاص. والأصل (قلباكما) لكن العرب تكره اجتماع تثنيتين فيما يشبه الكلمة الواحدة متى كان المراد واضحاً.

٥- لعل ربه إن طلق أزواجه، أو بعضهن وذلك على سبيل التغليب، أن يُبدله زوجات خيراً منهن منقادات للإسلام والله تماماً، مصدقات بالله ورسوله مخلصات، مطيعات لله ورسوله، تائبات من ذنوبهن، متذلات لله عابدات، صائمات متاملات في ملكوت الله، متزوجات أرامل، وعذارى غير متزوجات سابقاً. أخرج البخاري عن أنس قال: قال عمر: اجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه، فقلت: عسى ربه إن طلقك أن يُبدله أزواجاً خيراً منك، فنزلت هذه الآية.

٦- يا أيها الذين صدقوا بالله ورسوله، جنبوا أنفسكم وأهليكم النار بترك المعاصي وفعل الطاعات، تلك النار التي يكون ما توقد به: الناس (الكفار) والحجارة (الأصنام المعبودة) عليها خزنة من الملائكة عدتهم تسعة عشر، غلاظ الخلق والطباع، قساة أقوياء البدن على الشدائد، لا يعصون أمر الله في الماضي، ويفعلون ما يؤمرون به في المستقبل.

٧- يقال للكافرين عند دخول النار: يا أيها الكفار، لا تعتذروا في هذا اليوم-يوم القيامة؛ لأنه لا ينفعكم الاعتذار، إنما تنالون جزاء أعمالكم في الدنيا.

سورة التحريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمُ الْبُنَىٰ مِمَّنْ رَضَا زَوْجِكُمْ وَاللَّهُ عَفُوفٌ
رَحِيمٌ ۝ فَدَرُوسٌ لِلَّهِ لَكُمْ حَلَةٌ أَيْدِيكُمْ وَاللَّهُ مُؤَلِّمٌ وَهُوَ الْعَلِيمُ
الْحَكِيمُ ۝ وَإِذَا سَأَلَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا تَبَيَّنَتْ
بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا تَبَيَّنَ مَا
بِهِ قَالَتْ مَنْ أَبْتَأْتِكُ هَذَا قَالَ نَبِيُّ الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ ۝ إِنْ تَوْبَا إِلَى
اللَّهِ فَذُنُوبُهُمْ فَلَوْ كُنَّا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ
وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ۝ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ
طَلَعَكَ نَوْمٌ بَدَأَهُ زَوْجًا خَيْرًا مِمَّنْ سَبَّحْتَ بِمُؤْمِنَاتٍ مِّمَّنْ تَبَدَّلَ
عِدَاتٍ سَبَّحَتْ بِكَ وَأَجَارَكَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ
وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غُلَاظٌ شِدَادٌ
لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ
 أَنْ يَكْفُرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي
 مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ
 نُورَهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَيَأْمُرُهُمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا
 أَنْتُمْ لَنَا نُورٌ وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَفِيدٌ ﴿٨﴾
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ جَاهَدُوا الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَعْلَظْ عَلَيْهِمْ
 وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا
 لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطَ كَانَتَا
 عَبْدَتَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ
 اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴿١٠﴾
 وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ
 رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِغْنِي مِنْ فِرْعَوْنَ
 وَظَلَمِهِ وَتَجَنَّبَنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ إِذْ
 عَمَّرْنَا آلِي آدَمَ فَخَفَا فِيهِ مِنْ زَوْجِنَا
 وَصَدَقَتْ بِكَامَتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَوَالِمِ

٨- يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله توبوا إلى الله توبة صادقة خالصة: وهي الندم في القلب على الذنب، والاستغفار باللسان، والإقلاع بالبدن، والعزم على عدم العودة لمثله في المستقبل، ورد الحقوق لأصحابها، لعل ربكم أن يمحو عنكم خطاياكم، ويدخلكم جنات تجري من تحت غرفها ويساتينها الأنهار العذبة، يوم لا يفضح الله النبي في رد شفاعته بمن يشفع بهم، ولا المؤمنين برسالته، نور الإيمان بعد انتهاء الحساب يسعى بهم على الصراط، ويضئ لهم الطريق، يقولون: يا ربنا آدم وأمم لنا نورنا إلى الجنة، واسترنا واغفر لنا خطايانا، إنك قادر على كل شيء. أما المنافقون فيطفى الله نورهم.

٩- يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين بمختلف الوسائل، بالسيف والحجة أو اللسان، واشتد عليهم في الدعوة والقتال؛ لأنهم مصممون على الفساد، ومكان إيواتهم جهنم، وقبح المرجع مرجعهم.

١٠- جعل الله مثلاً لحال الكفار في أنه لا يغني أحد عن أحد: امرأة نوح وامرأة لوط كانتا زوجتي نبيين صالحين، فخانتاهما بالرفاق في أمر الدين، فكانت امرأة نوح تقول لقومها: إنه مجنون، وامرأة لوط تدل قومها على أضيافه، فلم يفيداهما شيئاً نوح ووط، ولم ينفعهما كونهما زوجتي نبيين لإتقادهما من عذاب الله، وقيل لهما عند موتهما: ادخلا النار مع الداخلين فيها من الكافرين، مثل قوم نوح وقوم لوط.

١١- وجعل الله مثلاً لحال المؤمنين في أن بيئة الكفر وصولة الكفار لا تضربهم، وفي ضرورة الثبات على الدين: امرأة فرعون التي آمنت بالله ورسوله موسى، ولم تخش بأس فرعون، حين قالت: يا رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة، قريباً من رحمتك، وخلصني من طغيان فرعون وتعذيبه وعمله الشنيع، وخلصني من القوم الكافرين الظالمين أنفسهم وهم القبط الوثنيون أتباع فرعون.

١٢- وجعل الله مثلاً آخر لحال المؤمنين في الجمع بين كرامة الدنيا والآخرة مع كونها في بيئة عصاة: مريم ابنة عمران التي حفظت فرجها وصانته عن الفواحش، فنضختها في فرجها أو في جيب درعها من روح خلقناه بلا توسط أب، فحملت بعيسى عليه السلام، وصدقت بشرائع الله وكتبه التي أنزلها على رسله، والتزمت أوامره واجتنبت نواهيه، وكانت من عداد الطائعين لله تعالى.

سورة الملك

فضلها: أخرج أحمد وأصحاب السنن الأربعة عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: إن سورة في القرآن ثلاثين آية، شفعت لصاحبها، غفر له: ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾.

١- تعالي قدره، وتعاطم خيره الذي بيده ملك السموات والأرض، وهو تام القدرة على كل شيء، لا يعجزه أمر من الأمور.

٢- الذي أوجد الموت وقدره أزلاً، وأوجد الحياة وقدرها، ليعاملكم معاملة المختبر لأعمالكم، أيكم أخلص عملاً لله وأطوعه، القوي الغالب الذي لا يغلبه شيء، الكثير المغفرة والستر للثانين.

٣- الذي أوجد سبع سموات متطابقة بعضها فوق بعض، ما تجد في خلق الرحمن من تناقض ولا تباین وتنافر وعدم تناسب، فردد البصر أو الطرف إلى السماء، وتأمل: هل تجد فيها من خلل أو تشقق وتصدع. و﴿من﴾ تفيد عموم نفي ما بعده، و﴿هل﴾ استفهام يراد به الإنكار، أي النفي، أي لا ترى.

٤- ثم أعد النظر إليهما مرة بعد مرة، يرجع إليك

البصر ذليلاً صاغراً عن رؤية عيب أو خلل، والبصر كليل منقطع، لم يدرك المطلوب بعد كثرة المراجعة.

٥- وتالله لقد زينا السماء الدنيا: القريبة من الأرض بكواكب مضيئة، وجعلناها راجمات للشياطين من الجن والإنس، أي مرجوماً بها كالحجارة، وأعدنا وهبانا لهم عذاب النار المستعرة.

٦- وأعدنا للكافرين الجاحدين بربوبية الله عذاب جهنم، وبئس المرجع الذي ينتظرهم وهو جهنم.

٧- إذا طرخوا في جهنم، سمعوا لها صوتاً منكراً شديداً كصوت الحمير عند بدء النهيق، وهي تغلي بهم كغليان الرجل. وقال بعضهم: المراد بالشهيق هنا: الحسيس (الصوت الخفي) المذكور في الآية (١٠٢) من سورة الأنبياء.

٨- تكاد تنقطع من شدة غيظها منهم- وهذا تمثيل لشدة غليانها-. كلما ألقى فيها جماعة من الكفرة، سألهم الملائكة الخزنة، أي الأعوان مالك وجماعته: ألم يأتكم رسول يحذركم من عذاب الله؟ والاستفهام توبيخي.

٩- قالوا في الجواب: بلى لقد أتانا رسول محذّر مخوف من عذاب الله، فكذبنا به، وقلنا: ما أنزل الله عليك شيئاً، ما أنتم أيها الرسل إلا في بُعد شديد عن الحق والصواب. و﴿من﴾ حرف يفيد عموم نفي ما بعده.

١٠- وقالوا أيضاً: لو كنا نسمع سماع تفهم من الرسل، أو نُدرك منهم ما دعونا إليه ونتفكر في آيات الكون، ما صرنا الآن في عداد أهل النار ومن جملتهم.

١١- فأقروا بذنوبهم حيث لا فائدة من الإقرار، فبعداً لأهل النار من رحمة الله تعالى.

١٢- إن الذين يخافون عذاب ربهم في خلواتهم لهم مغفرة لذنوبهم وثواب عظيم وهو الجنة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ أَحْسَنَ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْمُغْتَبَرُ ۝ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَأَنْزَجَ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ۝ ثُمَّ أَنْزَجَ الْبَصَرَ كَرِيحٍ يَغْلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرَ حَاسِبًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبُوعٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْدَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ۝ وَالَّذِينَ هَرُّوا رَبَّهُمْ عَذَابَ جَهَنَّمَ وَيَسُئُونَ الْأَلْقَامَ إِذَا الْتَقَوْا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفُورٌ ۝ كَذَاتٍ مُدْبِرٍ مِنَ الْعَظِيمِ الَّذِي فِيهَا فَوْجٌ سَاهُ خَزَنَاتُهَا أَلْمَ يَاكُمْ بَدِيرٌ ۝ فَالْوَأَلَىٰ قَدْ جَاءَ نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ۝ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝ فَأَعْرِضُوا بِذَنبِهِمْ فَحَتَمَ الْأَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يُحْسِنُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝



١٣- ويا أيها الناس أخفوا كلامكم أو أعلنوه، إنه تعالى واسع العلم بضمائر وخفايا القلوب. قال ابن عباس: نزلت في المشركين كانوا يبالغون من رسول الله ﷺ، فيخبره جبريل عليه السلام بما قالوا فيه ونالوا منه، فيقول بعضهم لبعض: أسروا قولكم لتلا يسمع إله محمد.

١٤- ألا يعلم السر والجهر من أوجد الأشياء وخلقها، وهو العالم بدقائق الأمور، الخبير المطلع على ظواهر الأشياء وبواطنها؟ و﴿ألا﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري المفيد للنفي، و﴿لا﴾ للنفي، ونفي النفي إثبات، والمراد أنه يعلم قطعاً.

١٥- الله تعالى هو الذي جعل لكم الأرض منذلة سهلة العيش عليها والانتفاع بها، فامشوا في جوانبها وطرقها وسافروا في أنحائها، واكلوا مما رزقكم الله في الأرض، وإليه البعث من القبور للحساب والجزاء.

١٦- أأنتم الله الذي له السلطان في السماء- أي يجب ألا تأمنوا- أن يغور بكم الأرض ويفيكم فيها، كما فعل بقارون، فإذا هي تتحرك!؟

١٧- أم أأنتم الله الذي في السماء والمتصرف فيها أن يرسل عليكم ريحاً شديدة فيها حصباء ترميكم بها وتهلككم، فستعلمون عند معاينة العذاب كيف كان

إنذاري بالعذاب أنه حق.

١٨- ولقد كذب كفار سابقون قبل مشركي مكة، فكيف كان إنكاري وغيبي لهم!؟

١٩- أولم ينظر الكفار إلى الطير تطير فوقهم في الهواء باسطات أجنحتها في الجو عند طيرانها تارة، وقابضات بضمها تارة أخرى، ما يسكنهن عن الوقوع في الحالتين إلا الرحمن بقدرته، إنه تعالى مبصر كل شيء، يعلم كيف يخلق الغرائب ويدبر العجائب.

٢٠- من هذا الذي هو جند لكم أعوان، ينصرمكم ويدفع العذاب عنكم من غير الرحمن، أي لا ناصر لكم، ما الكافرون الجاحدون إلا في حال غرور وخداع غرهم الشيطان بأن العذاب لا ينزل بهم. و﴿أمن﴾ أصلها (أم، من) و(أم) هنا بمعنى (بل) الدالة على الانتقال من توبيخ وتهديد على عدم التأمل إلى توبيخ وتهديد آخر.

٢١- من هذا الذي يرزقكم غير الله؟ إن حبس رزقه عنكم، بل تمادوا في تكبر عن قبول الحق، وإعراض عنه.

٢٢- ومثل الكافر والمؤمن مثل من يمشي ووجهه إلى أسفل، غارقاً في الضلالة والمعاصي وهو الكافر، أمو أرشد سيلاً، أم من يمشي معتدلاً منتصب القامة على طريق قويم، وهو المؤمن؟

٢٣- قل أيها النبي لكل من جحد بالله: الله الذي خلقكم، وأوجد لكم السمع الذي تسمعون به، والأبصار التي تبصرون بها، والقلوب التي تفكرون وتعقلون بها، ولا تشكرون ويكم على هذه النعم إلا شكراً قليلاً.

٢٤- قل أيها الرسول: الله هو الذي خلقكم وكرّمكم في الأرض، وإليه تجمعون بالبعث من القبور للحساب.

٢٥- ويقول المشركون على سبيل الاستهزاء والتهمك: متى هذا الحشر أو إيقاع العذاب الذي تهددوننا به إن كنتم صادقين في قولكم أيها المؤمنون، فأخبرونا به!؟

٢٦- قل أيها الرسول: إنما العلم بوقت حدوث الساعة عند الله، وإنما أنا محذّر موضع غاية الإيضاح.

وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾
يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ
﴿١٥﴾ ءَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ
تُورُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا
فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
فَكَيْفَ كَانَ نَذِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفْتٍ وَبِقِضْنِ
مَا يَسْكُنْنَ فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ لَكُلِّ شَيْءٍ بِصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمْ نَحْنُ الَّذِي
هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِّنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ
﴿٢٠﴾ أَمْ نَحْنُ الَّذِي يَرِزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُلُودًا فِي عَتَوٍ
وَنُورٍ ﴿٢١﴾ أَمْ نَحْنُ الَّذِي يَهْدِي سُبُلَنَا أَمْ نَحْنُ الَّذِي يَمُنُّ سُبُلَنَا
عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ
وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ
فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٦﴾

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ زُبُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَأَوْبِقِلَ هَذَا الَّذِي
 كُنتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ
 أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِبُ الْكُفْرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ
 الرَّحْمَنُ أَسْمَاءُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسْتَعْمَلُونَ مِنْ هُوَ فِي صَلَاتِ الْمُؤْمِنِينَ
 ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٣٠﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِمُعْزِزٍ لِمَنْ يَمْجُرُونَ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ
 لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَبِّحْهُ وَصَبِّحُوهُ
 ﴿٥﴾ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ
 وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تَطْعُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَذُو الْأَوْتَادِ هُنَّ
 قِدْهُنَّ ﴿٩﴾ وَلَا تَطْعُ كُلَّ جَلَّافٍ مَهِينٍ ﴿١٠﴾ هَذَا نَسْلَهُ بِحَبِيمٍ
 ﴿١١﴾ مَنَاجِرَ لِلْخَافِرِينَ أَسْمَاءِ ﴿١٢﴾ عَلِيُّ مَعْدَدُ ذَلِكَ رَبِّمِ ﴿١٣﴾ أَنْ كَانَ ذَا
 مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تَنَاقَلَ عَلَيْهِ أَيْسَاتُ قَالَ اسْطَبْرًا لِأَوْلَادِهِ ﴿١٥﴾

٢٧- فلما رأوا العذاب الموعود به قريباً، غشيت وجوه الكفار ما يسوؤها واسودت وعلتها الكآبة، وقيل لهم توبيخاً من الخزنة: هذا هو العذاب الذي كنتم تطلبون استهزاء واستنكاراً. وعبر بفعل (رأى) الماضي عن المستقبل لإفادة تحقيقه كأنه حصل فعلاً. وزلفة: مصدر، ومعناه قريباً.

٢٨- قل أيها الرسول: أخبروني إن أماتني الله ومن معي من المؤمنين، أو رحمتنا بتأخير أجالنا، فمن ينجي الكافرين من عذاب مؤلم؟ أي لا ينجيهم أحد. روي أن كفار مكة كانوا يدعون على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين بالهلاك، فنزلت الآية.

٢٩- قل: هو الله الرحمن صدقنا به إلهاً واحداً، لا نشرك به شيئاً، وعليه لا غيره اعتمدنا وفوضنا إليه أمورنا، فستعلمون أيها المشركون من هو في بعد واضح عن الصواب منا ومنكم.

٣٠- قل: أخبروني إن أصبح ماؤكم غائراً ذاهباً في جوف الأرض، فمن الذي يأتيكم بماء ظاهر جارٍ كثير؟ الله رب العالمين. و «غوراً»: مصدر، أي غائراً.

سورة القلم

فضلها: هذه السورة من أوائل ما نزل من القرآن بمكة، فقد نزلت كما قال ابن عباس: «اقرأ باسم ربك» ثم هذه، ثم الزمل، ثم المدثر.

١- نون: للتحدي بالإتيان أو بعضه ما دام مركباً من أمثال هذا الحرف، وهو مادة لغتهم التي يتفاخرون بأنهم أفصح الناس فيها. أقسم بالقلم الذي يكتبون، يكتب به الناس، والملائكة التي تكتب أعمال الخلق. وهو تعظيم لسان الكتابة أداة العلم.

٢، ٣- ما أنت أيها الرسول بسبب نعمة ربك عليك بالرسالة والنبوة بمجنون، أي كما زعم المشركون. والمراد: انتفى عنك الجنون. أخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: كانوا يقولون للنبي ﷺ: إنه مجنون، ثم شيطان، فنزلت: ﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾. وإن لك لثواباً غير منقطع.

٤- وإنك أيها الرسول لعلى خلق عظيم أدبك به ربك في القرآن. سئلت عائشة رضي الله عنها- كما ثبت في الصحيح عن خلقه، فقالت: كان خلقه القرآن، ألسنته قرأ القرآن: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ [المؤمنون ١/٢٣] إلى عشر آيات.

٥، ٦- فسبِّحْ أيها الرسول وصبِّر الكفار عند تبيين الحق يوم القيامة، بأي منكم الجنون، أبلك أم بهم؟

٧، ٨- إن ربك أيها الرسول هو أعلم بمن هو الحائذ عن دينه، وهو أعلم بالمهتدين إلى طريقه المؤدي إلى السعادة، الفائزين، والمعنى: بل هم الضالون التائهون الزائفون. فلا تطع أيها النبي المكذِّبين بآيات الله وبرساتك.

٩- تمنوا أن تلين لهم في تعظيم آلهتهم، فيلينون لك بترك الطعن برسالتك الموافقة. و «لو»: حرف يجعل الفعل بعده في حكم المصدر.

١٠- ولا تطع كل كثير الحلف في الحق والباطل، وهو الوليد بن المغيرة، حقيير الرأي.

١١، ١٢- كثير العيب للناس، وكثير المشي بالنميمة للإفساد بين الناس. بخيل بالمال، ظالم، كثير الإثم والذنب.

١٣، ١٤- جاف غليظ، دعي في قريش. ألكونه ذا مال وبنين؟

١٥- إذا تتلى عليه آيات القرآن، قال: خرافات وأباطيل الأقدمين.



١٦- سنجعل له سمة، أي علامة على أنه يميز بها ما عاش، فحطم أنف الوليد بن المغيرة بالسيف يوم بدر.
 ١٧- إنا امتحننا أهل مكة بال حفظ والجوع وغيرهما من ألوان البلاء والآفات، كما امتحننا أصحاب البستان حين حلقوا ليقطعن ثمرة بستانهم وقت الصباح، كيلا يشعروا بهم المساكين، فلا يعطونهم شيئا، كما كان يفعل أبوهم.
 ١٨- ولا يتنون استثناء شيء من حق المساكين، أو لا يقولون في بينهم: إن شاء الله.
 ١٩- فأحاط أو أصاب البستان بلاء محيط بها من عذاب ربك، وهو نار أحرقتها، وهم نيام ليلا.
 ٢٠، ٢١- فأصبح البستان (الجنة) محترقا أسود كالليل، وتلف ثمرة. فنأى بعضهم بعضاً في الصباح.
 ٢٢- أن اخرجوا مبكرين في الصباح إلى الثمار والزروع، إن كنتم مريدين الصرم، أي الحصاد وقطع الثمار واغدوا: اذهبوا وقت الغدوة: وهو وقت الصباح الباكر. والحراث: ما تنتجه الأرض من ثمار الأشجار والزروع.
 ٢٣- فانطلقوا إلى بستانهم، وهم يتسارون فيما بينهم ويتناجون حتى لا يسمعه أحد.
 ٢٤- أن لا يدخلن الجنة (البستان) اليوم عليكم مسكين أو فقير. و (أن) مفسرة لما به التخافت.
 ٢٥- وساروا غدوة (ما بين صلاة الغداة إلى طلوع الشمس) على تصميم، قادرين على الصرم في ظنهم.
 ٢٦- فلما رأوا الجنة سوداء محترقة، قالوا: إنا نئاتهون، فليست هذه جنتنا.

سَمِعُ عَلَى الرُّطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْتُمْكَ بِلَاوَأَ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْبَمُوا لَئَصْرُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتِ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اعْمَلُوا لَنَا عَمَلًا إِن كُنْتُمْ مُرْسِلِينَ ﴿٢٢﴾ فَنَاطِقُواوَهُمْ يُحَنِّنُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنهَا يُيُومًا وَعَلَيْكُمُ الشُّكُوكُ ﴿٢٤﴾ وَفَدُوا عَلَى حَرِّ قَدِيرٍ ﴿٢٥﴾ فَتَنَادَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَأَصْحَابُ الْآلَةِ الْكَاثِرِينَ ﴿٢٦﴾ لَكُم مِّنْ حَرِّ مَرْمُومٍ ﴿٢٧﴾ نَالُوا وَسْطَ الْجَهَنَّمَ إِذْ قَالُوا لِمَ لَمْ يَأْتِكُمْ مَلَكٌ أَوْ لَوْلَا إِنَّا لَأَكْظِيمِينَ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوُمُونَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا وَيْلًا إِنَّا كَاظِمِينَ ﴿٣٠﴾ عَسَىٰ رَبِّنَا أَن يَبْدِلَنا حَرًّا لَّيْمًا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣١﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْثَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّ لِلَّذِينَ عَذَّبْنَاهُمْ فِي حَسْبِ الْعَذَابِ ﴿٣٣﴾ أَفَجَعَلُ الْمَسْكِينِ كَالَّذِينَ يَدْعُونَ أَن يَكُنَ آلُهُمُ الْكَاثِرِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ كُنْتُمْ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ كُنْتُمْ كَذِبًا فِيهِ تَلْمِزُونَ ﴿٣٦﴾ إِن لَّكُمْ فِيهِ مَا تَحْتَرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ كُنْتُمْ لَأَكْظِيمِينَ عَلَيْنَا بِاللَّغْوِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِن لَّكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ ﴿٣٨﴾ سَلَّمْتُمْ أَنفُسَكُمُ بِهِ ذَلَاكُمُ زَعِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُرَكَاءَ فَلَاحُوا شُرَكَاءَ بِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ كُفِّتْ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَبِطُونَ ﴿٤١﴾

٢٧- ثم قالوا: لسنأبتناهم، بل نحن ممنوعون ثمرتها لعزما على منع المساكين حقهم. و ﴿بل﴾ للرجوع عما قبله، والاعتراف بما بعده.
 ٢٨- قال أعدلهم وخيرهم عقلاً وديناً: ألم أقل لكم: هلا تذكرون الله وتستغفرونه من فعلكم، فلا تفعلوا ما يفضبه.
 ٢٩- قالوا: تنزه ربنا عن أن يكون ظالماً لنا، فذلك بسبب ذنبا، إنا كنا ظالمين أنفسنا بمنع الفقراء حقهم.
 ٣٠- فأقبل بعضهم على بعض، يلوم كل واحد منهم الآخر على قصدهم السيئ.
 ٣١- قالوا: يا هلاكنا، إنا كنا متجاوزين حدود الله في منعا حقوق المساكين.
 ٣٢- لعل ربنا أن يبدلنا خيراً من جنتنا ببركة التوبة والاعتراف بالخطية، إنا إلى ربنا طالبون منه العفو والخير.
 ٣٣- مثل ذلك العذاب لهؤلاء أصحاب الجنة عذاب الدنيا، ولعذاب الآخرة أعظم من عذاب الدنيا، لو كانوا يعلمون نوع العذاب الآخروي، لاحتزروا عن موجب العذاب.
 ٣٤، ٣٥- إن للمتقين عند ربهم في الآخرة جنات يتعمون فيها على الدوام. أفجعل المسلمين مثل الكافرين في المنزلة والجزاء!
 ٣٦، ٣٧- أي خيل أصابكم، كيف تحكمون هذا الحكم الفاسد: وهو التسوية بين الطائعين والعصاة؟ ﴿كيف﴾ اسم استفهام يراد به التعجب. أم لكم كتاب منزل من عند الله فيه تفرؤون وتجدون الطبع كالعاصي؟. و ﴿أم﴾ أي بل ألكم؟
 ٣٨- إن لكم في ذلك الكتاب ما تختارونه وتشتهونه من الأحكام وخيري الدنيا والآخرة.
 ٣٩- أم لكم عهد مؤكدة فيها التوثق من دخول الجنة، تحكمون به لأنفسكم؟
 ٤٠- سلّمهم أيها الرسول توييخاً وتقريعاً أيهم كقبيل لهم بذلك الحكم وهو تحصيل ثواب الآخرة كالمسلمين.
 ٤١- بل ألهم شركاءه بزعيمهم قادرين على تسويتهم بالمسلمين، فليأتوا بشركائهم الكافلين إن كانوا صادقين في دعواهم.
 ٤٢- يوم شلة الهول وهو يوم القيامة، فالكشف عن الساق كناية عن يوم الشدة، ويطلب منهم السجود توييخاً على تركهم السجود في الدنيا، فلا يستطيعون ذلك لذهاب الرقت وزوال القدرة عليه.

تَسْتَعْتِبُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ وَّهُمْ يَدْعُونَ إِلَى الْبُحُورِ وَهُمْ سَالِمُونَ
 (٤٣) فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَلِّمْ بِهِ الْأَحْيَاطَ سَكَتَ دَرَجَتُهُمْ مِنْ حَيْثُ
 لَا يَسْمَعُونَ (٤٤) وَأَمَّا لِقْدَانُ كَرِيمٍ مِنْ (٤٥) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ
 مِنْ مَعْرُوفٍ مُنْقَلَبُونَ (٤٦) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكِيدُونَ (٤٧) فَاصْبِرْ
 لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا حَسْبُكَ الْحَوْتُ إِذَا دَأَى وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٨) أَوْ لَا
 أَنْ تَذَكَّرَ لِقَاءَ رَبِّهِ لَيْدًا بِالرَّعْوِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (٤٩) فَأَجْسِبْ بِهِ جَهْلَهُ
 مِنَ الصَّالِحِينَ (٥٠) وَإِنْ كَادَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يُزِفُواكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا
 سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (٥١) وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٥٢)



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ الْحَاقَّةُ (٣) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِعَادٍ
 بِالْقَارِعَةِ (٤) فَأَتَاهُمُ ثَمُودُ فَأَهْلَكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَتَاهَا عَادٌ فَأَهْلَكُوا بِرِيحٍ
 صَرْصَرٍ عَالِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَفَرَى الْقَوْمُ
 فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْمَاءُ نَحْلٍ جَائِعَةٍ (٧) فَهَلْ رَزَى لَكُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ (٨)



٤٣ - ذليلة أبصارهم منكسرة لا يرفعون طرفهم، تشاهم وتلحقهم ذلة شديدة وحسرة، وقد كانوا يُدعون في الدنيا إلى أداء السجود، وهم أصحاب متكئون.

٤٤ - فدعني أيها النبي وارك لي أمر عقاب هؤلاء المكذبين بهذا القرآن، سنأخذهم بالعذاب تدريجياً، وهم في غفلة من حيث لا يعلمون أن ذلك استدراج؛ لأنهم يظنونهم إنعاماً.

٤٥ - وأمسلمهم وأطيل لهم المدة، فلا أعاجلهم بالعقوبة، إن تدريبي وعذابي شديد لا يطاق.

٤٦ - بل أنسألهم أيها الرسول على تبليغ الرسالة أجرة أو مقابلاً لدعوتهم إلى الإيمان، فهم من عُرم وتقل ذلك الأجر محمولون انتقالاً، فيعرضون عنك، ولا يؤمنون برسالتك؟!

٤٧ - بل أعندهم علم الغيب أو اللوح المحفوظ الذي فيه الغيب، فهم يكتبون منه ما يقولون، ويحكمون بما يريدون؟!

٤٨ - فاصبر أيها النبي لقضاء ربك، ولا تكن كيونس عليه السلام الذي ابتلعه الحوت في الضجر والعجلة، حين دعا ربه، وهو مملوء غيظاً وغماً.

٤٩ - لولا أن أدركت يونس عليه السلام رحمة من الله؛ وهي توفيقه للتوبة وقبولها، ل طرح من بطن الحوت

في الأرض الخالية من الشجر والزرع، وهو ملوم غير مكرم.

٥٠ - فاختره ربه للنبوة مرة ثانية، فجعله من الأنبياء الكاملين في الصلاح حين رده إلى قومه الذين آمنوا.

٥١ - ويقرب الكفار بنظراتهم إليك حين قراءة القرآن أن ينظروا إليك نظرة مليئة بالعداوة والبغضاء والغيظ حين سمعوا القرآن يتلى، ويقولون حسداً وعداوة: إن محمداً لمجنون في ادعائه نزول قرآن عليه من السماء.

٥٢ - وما هذا القرآن إلا تذكير نافع وموعظة شافية لجميع العالمين من الإنس والجن، فلا يحدث بسببه جنون.

سورة الحاقة

- ١، ٢ - الحاقة: هي القيامة الثابتة المحيي، مثل الواقعة والطامة، والغاشية، والصاخة، والقارعة، من حق الشيء: وجب وثبت، فهي واجبة الحصول. أي شيء هي الحاقة في أوصافها؟ المراد تهويل الشيء المتحدث عنه.
- ٣ - وأي شيء أعلمك ما هي القيامة؟ أي لا سبيل لك إلى معرفة وقتها وإدراك كنهها.
- ٤ - كذبت قبيلة ثمود قوم صالح، وقبيلة عاد قوم هود بالقيامة التي تقرع الناس بأهوالها.
- ٥ - فأما قبيلة ثمود فأهلكوا بالواقعة التي جاوزت الحد في الشدة والقوة، وهي الصيحة أو الرجفة (الصاعقة).
- ٦ - وأما قبيلة عاد فأهلكوا بريح شديدة الصوت والبرد والسرعة، شديدة القوة في التدمير.
- ٧، ٨ - سلطها الله عليهم بقدرته طوال مدة سبع ليالٍ وثمانية أيام متتابعة، تحمسهم أي تفنيمهم، فترى القوم فيها هلكى موتى مطروحين، كأنهم أصول نخل ساقطة فارغة. فهل نجد لهم من نفس باقية؟! لقد ماتوا جميعاً.

٩- وجاء فرعون طاغية مصر ومن تقدمه من الأمم الكافرة، والموتفكات: أهل قري قوم لوط بالفعلة الخاطئة وهي الشرك والفاحشة وغيرها من المعاصي.
 ١٠- فعصى كل قوم رسول ربهم، فلم يؤمنوا بدعوته، فأخذهم الله أخذة زائلة في الشدة.
 ١١- إننا لما ارتفع الماء وعلا كل شيء من الجبال وغيرها زمن الطوفان في عهد نوح عليه السلام، حملنا أصولكم في السفينة التي تجري فوق الماء، وهي سفينة نوح.
 ١٢- لنجعل لكم تلك الفعلة بإنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين عظة، ونحفظها أذن حافظة.
 ١٣- فإذا نفخ إسرافيل في الصور (البوق) النفخة الأولى لخراب العالم، وبدء القيامة.
 ١٤- ورفعت الأرض والجبال من أماكنها، فدقتا أو كسرتا كسرة واحدة، فصارت أرضاً مستوية.
 ١٥، ١٦- فيومئذ قامت القيامة. وتشقق السماء وتفرقت أجزاؤها، فهي يومئذ ضعيفة.
 ١٧- والملائكة على جوانب السماء وأطرافها، ويحمل عرش ربك فوق رؤوسهم يوم القيامة ثمانية أملاك.
 ١٨- يومئذ تعرضون على الله للحساب، لا يخفى شيء من سائركم وأعمالكم على الله تعالى.
 ١٩- فأما من أعطي كتابه (صحيفة أعماله) بيمينه، فيقول سروراً: خذوا اقروا كتابي، فقد نجوت. وهاء «كتابه» و «ماليه» و «سلطانيه» هاء السكت، وهي حروف يلحقها العرب بالكلمة إذا أرادوا السكوت بعدها.
 ٢٠- إني علمت وتيقنت في الدنيا أنني أحاسب في الآخرة، ومعين حسابي.
 ٢١- فهو في عيشة مرضية، يرضى بها أصحابها.
 ٢٢، ٢٣- في جنة مرتفعة المكان والدرجات. ثمارها قريبة، يتناولها القائم والقاعد والمضطجع.
 ٢٤- يقال لهم: كلوا واشربوا أكلاً وشراباً هنيئاً لا تنغيص فيه بسبب ما قدمتم في الدنيا من الأعمال الصالحة.
 ٢٥- وأما من أعطي كتابه (صحيفة أعماله) بشماله، فيقول حزناً وأسفاً: يا ليتني لم أعط كتابي.
 ٢٦- ولم أعلم أي شيء من حسابي.
 ٢٧- يا ليت الموتة التي متها في الدنيا كانت القاطعة لأمري وحياتي، فلم أبعث بعدها.
 ٢٨- ما أفادني مالي شيئاً في دفع عذاب الله تعالى.
 ٢٩- هلكت عني حجتي، وضلت عني، أو زال عني ملكي وسلطاني على الناس.
 ٣٠- يقال لخزنة جهنم: خذوه فأدخلوه النار مشدوداً في الأغلال، بجمع يده إلى عنقه.
 ٣١- ثم أدخلوه الجحيم ليقاسي حرها ويحترق بها.
 ٣٢- ثم اربطوه وأدخلوه جهنم في سلسلة طولها سبعون ذراعاً بذرار الملك، والمراد أنها سلسلة طويلة.
 ٣٣- إنه كان لا يصدق بوجود الله العظيم ويوحديته.
 ٣٤- ولا يحث الناس على إطعام المحتاج من فقير أو مسكين.

١٨- يومئذ تعرضون على الله للحساب، لا يخفى شيء من سائركم وأعمالكم على الله تعالى.

- ١٩- فأما من أعطي كتابه (صحيفة أعماله) بيمينه، فيقول سروراً: خذوا اقروا كتابي، فقد نجوت. وهاء «كتابه» و «ماليه» و «سلطانيه» هاء السكت، وهي حروف يلحقها العرب بالكلمة إذا أرادوا السكوت بعدها.
 ٢٠- إني علمت وتيقنت في الدنيا أنني أحاسب في الآخرة، ومعين حسابي.
 ٢١- فهو في عيشة مرضية، يرضى بها أصحابها.
 ٢٢، ٢٣- في جنة مرتفعة المكان والدرجات. ثمارها قريبة، يتناولها القائم والقاعد والمضطجع.
 ٢٤- يقال لهم: كلوا واشربوا أكلاً وشراباً هنيئاً لا تنغيص فيه بسبب ما قدمتم في الدنيا من الأعمال الصالحة.
 ٢٥- وأما من أعطي كتابه (صحيفة أعماله) بشماله، فيقول حزناً وأسفاً: يا ليتني لم أعط كتابي.
 ٢٦- ولم أعلم أي شيء من حسابي.
 ٢٧- يا ليت الموتة التي متها في الدنيا كانت القاطعة لأمري وحياتي، فلم أبعث بعدها.
 ٢٨- ما أفادني مالي شيئاً في دفع عذاب الله تعالى.
 ٢٩- هلكت عني حجتي، وضلت عني، أو زال عني ملكي وسلطاني على الناس.
 ٣٠- يقال لخزنة جهنم: خذوه فأدخلوه النار مشدوداً في الأغلال، بجمع يده إلى عنقه.
 ٣١- ثم أدخلوه الجحيم ليقاسي حرها ويحترق بها.
 ٣٢- ثم اربطوه وأدخلوه جهنم في سلسلة طولها سبعون ذراعاً بذرار الملك، والمراد أنها سلسلة طويلة.
 ٣٣- إنه كان لا يصدق بوجود الله العظيم ويوحديته.
 ٣٤- ولا يحث الناس على إطعام المحتاج من فقير أو مسكين.



٣٥، ٣٦ - فليس له اليوم ها هنا قريب مشفق يحميه أو صديق يتفجع به . وليس له طعام إلا من صديد أهل النار وما يسيل منهم من فيج أو دم .

٣٧ - لا يأكله إلا الكافرون أصحاب الخطايا .
٣٨، ٣٩ - أقسم بكل شيء تشاهدونه، وما لا تشاهدونه من الموجودات .

٤٠ - إن هذا القرآن لقول وتلاوة رسول كريم عند الله مبلغاً عن ربه، وهو جبريل أو محمد عليهما السلام . قال مقاتل في سبب نزول الآيات [٣٨ - ٤٠] : إن الوليد بن المغيرة قال : إن محمداً ساحر، وقال أبو جهل : شاعر، وقال عقبه : كاهن، فقال الله عز وجل : ﴿ فلا أقسم .. ﴾ أي أقسم .

٤١ - وليس هو بقول شاعر؛ لأن الرسول ﷺ ليس بشاعر، تؤمنون أيها المشركون إيماناً قليلاً .

٤٢ - وليس هو بقول كاهن : وهو الذي يدعي علم الغيب، قليلاً ما تتعظون وتأملون بهذا القرآن .

٤٣ - إنه - أي القرآن - تنزيل من الله رب العالمين .

٤٤ - ولو تقول أي افترى محمد بعض الأقوال المكذوبة أو الباطلة من عند نفسه ونسبها إلينا .

٤٥، ٤٦ - لعاقبناه وانتقمنا منه بقوة، أو لأخذنا بيده اليمنى يباهة بالغة . ثم لقطعنا منه العرق المتصل بقلبه أي أمنتاه، وهذا تصوير لإهلاكه بأشنع صورة .

٤٧ - فليس أحد منكم عنه مانعين أو دافعين، يمنعنا من عقابه، أو ينقذه منا، فكيف يكذب على الله؟

٤٨ - وإن هذا القرآن لعظة لمن يلتزمون أوامر الله ويخافون عقابه ويجتنبون معاصيه، وخص أهل التقوى؛

فَلَيْسَ لَهُ يَوْمَ مَهْمًا حَمِيمٌ ۝ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ ۝ لَا يَأْكُلُهُو إِلَّا الْخَاطِئُونَ ۝ فَلَا أَقْسَمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝ وَمَا الْبَصِيرُونَ ۝ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝ نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ وَلَوْ تَرَوْنَا عَلَيْهِمْ بَصُرَ الْأَفَاقِ ۝ لِأَخَذْنَا مِنْهُمُ الْبَأْسَ ۝ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۝ فَمَا نَكَرَ مِنْ أَجْدَعِنَهُ حِجْرِينَ ۝ وَإِنَّهُ لَشَدِيدُ الرَّحْمَةِ ۝ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِبِينَ ۝ وَإِنَّهُ لَشَدِيدُ الرَّحْمَةِ ۝ وَإِنَّهُ لَشَدِيدُ الرَّحْمَةِ ۝ فَسُبْحَ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ۝



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝ لَكَرِهَ لِمَنْ يُلَاقِعُ ۝ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَنْ يَلْمُزَهُ ۝ أَمْ حَسِبَ أَنَّ الْفِتْنَةَ ۝ فُاصِرَةٌ ۝ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝ إِنَّهُمْ يَرْتَدُّونَ مُبْعِدًا ۝ وَرَبُّهُمُ يَعْلَمُ ۝ يَوْمَ كُنُوزُ السَّمَاءِ كَالْمَلْأَمِ ۝ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۝ وَلَا يَسْأَلُ حِمِيمٌ ۝

لأنهم المتضمنون بالذكر .

٤٩ - وإننا لنعلم أن منكم أو بعضهم أيها الناس يكذب بهذا القرآن، فنحن مجازيه .

٥٠ - وإن هذا القرآن يكون سبب حسرة وندامة لهم يوم القيامة إذا رأوا ثواب المؤمنين .

٥١ - وإن هذا القرآن لهو اليقين الحق الثابت الذي لا ريب فيه، وهو ما يدرك بالحواس أو الوجدان .

٥٢ - فتزه الله تعالى عن كل ما لا يليق به أيها النبي وكل من آمن بك، والعظيم : الذي يتضاءل أمام عظيمته كل شيء، و ﴿ باسم أي ذات الله، والباء زائفة .

سورة المعارج

١ - طلب استهزاء طالب من صناديد الكفر بمكة إزال عذاب واقم عما حذر منه محمد بن عبد الله ﷺ .

٢ - واقع كائن للكافرين لا يدفعه ولا يمنه أحد . أخرج النسائي وابن أبي حاتم عن ابن عباس أنه قال : هو النضر بن الحارث، قال : ﴿ اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك، فأمطر علينا حجارة من السماء ﴾ [الأنفال / ٨ / ٣٢] .

٣ - واقع من الله صاحب المصاعد، أي الدرجات التي تصعد فيها الملائكة .

٤ - تصعد إلى الله الملائكة وجبريل عليه السلام في يوم القيامة، مقداره لغير الملائكة خمسون ألف سنة من سنوات الدنيا، لو صعد فيها غير الملك، إشعاراً بشدة أهواله .

٥ - فاصبر أيها النبي على تكذيبهم لك صبراً لا يخالطه ضجر ولا شكوى لمخلوق .

٦، ٧ - إن هؤلاء المشركين يظنون ذلك اليوم بعيد الحصول، محالاً . وزراه قريباً من الوقوع؛ لأن كل ما هو آت قريب .

٨ - يوم تكون السماء كالمدن الأحمر المذاب من النحاس والرصاص والفضة ونحوها .

٩، ١٠ - وتكون الجبال كالصوف المنفوش . ولا يسأل قريب قريبه عن شأنه، لاشتغال كل واحد بحاله .

يُبْصِرُونَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَوْ أَنَّ مِنْهُمْ مُؤْمِنٌ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَكْتُمُونَ ۚ
 وَيَصْحَابِهِ وَأَخِيهِ ۚ وَصَلَاتِهِ الَّتِي نُفِثَ فِيهَا ۚ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
 حَيْمًا مِمَّنْ نَبِّئِهِ ۚ كَلَّا إِنَّا لَطَنَّا ۚ تَرَاغُةً لِلشَّوْطِ ۚ نَدْعُوا
 مَنْ أَدْبَرَ تَوَلَّى ۚ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ۚ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَا
 ۚ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ رَوَّعًا ۚ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۚ إِلَّا
 الْمُصَلِّينَ ۚ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۚ وَالَّذِينَ فِي
 أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّلُومٌ ۚ لِلضَّالِّينَ وَالْمُحْرَمِينَ ۚ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ عَذَابٍ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ۚ إِنَّ عَذَابَ
 رَبِّهِمْ غَيْرُ مَا يُؤْمِنُونَ ۚ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ رَفْعِ حِفْظُونَ ۚ إِلَّا عَلَى
 أَرْجُلِهِمْ ۚ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَأَهُمْ بِغَيْرِ مُلُومِينَ ۚ فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَرَادَ
 ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۚ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَنْفُسِهِمْ وَعَدِمُوا رِعْوَانَ
 ۚ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ۚ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ حَافِظُونَ
 ۚ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمِينَ ۚ فَالَّذِينَ هُمْ أَوْلِيَاكُم بِطَعْنٍ
 ۚ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ عَزِيزِينَ ۚ أُطِيعَ كُلُّ أَمْرٍ مِّنْهُم
 أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ۚ كَلَّا إِنَّا لَحَافِظُهُمْ فَمَا يُعْلَمُونَ ۚ

١١ - يُعْرِفُ كل حميم بحميمه، أي من الله سبحانه، فلا يلتفت إليه لشدة الهول، يحب الكافر ويتمنى اقتداء نفسه من عذاب القيامة الذي نزل به وبأولاده. و (لو) حرف يجعل الفعل بعده في قوة المصدر أي اقتداء نفسه.
 ١٢، ١٣ - يشتديه أيضاً بزوجته وأخيه. وهؤلاء أعز الناس لديه. وعشيرته التي تضمه ويأوي إليها عند الشدائد.
 ١٤ - ويود لو يفتدي نفسه بجمع من في الأرض من الثقلين: الجن والإنس، ثم لو ينجيه الاقتداء من العذاب. و ﴿ثم﴾ للاستبعاد.
 ١٥، ١٦ - ﴿كلا﴾: ردع للمجرم وزجر عما قبله، أي لا ينجيه من العذاب شيء، إن جهنم تلتهب على الكفار. تتسع جلدة الرأس بشدة، ثم تعود إلى ما كانت عليه.
 ١٧ - تمجذب جهنم وتحضر من أدبر (أعرض ظهره للحق) عن الإيمان والحق، وأعرض عن الطاعة.
 ١٨ - وجمع المال، فجعله في عاء، وكثره ولم يود حق الله فيه. والمراد: حبس المال عن وجوه الخير، لشدة حرصه على الدنيا.
 ١٩ - إن الإنسان خلق شديد الجزع عند المكروه، وشديد المنع عند الخير، والهلع: أشد الحرص.
 ٢٠ - إذا أصابه الفقر أو المرض ونحوه من الآفات لم يصبر ولم يحسب أجره عند ربه.
 ٢١ - وإذا أصابه الغنى من خصب وسعة أو من زراعة وغيرها، كان كثير المنع والشح. وهذه الخصال الثلاث (الهلع والجزع والمنع) طبائع إنسانية.

٢٢ - إلا المؤمنين المقيمي الصلاة، ليسوا على هذه الصفات الثلاث، تائراً بإيمانهم ودين الحق.
 ٢٣ - الذين هم على صلاتهم مواظبون، لا يفرطون بشيء منها.
 ٢٤ - والذين في أموالهم نصيب معين واجب وهي الزكاة المفروضة.
 ٢٥ - للسائل الفقير الذي يستجدي، والفقير المتعفف عن السؤال، فيظن أنه غني، فيحرم.
 ٢٦ - والذين يصدقون بيوم الجزاء، وهو يوم القيامة تصديقاً قليلاً وعملياً.
 ٢٧ - والذين هم حائفون على أنفسهم من عذاب ربهم، مع قيامهم بالطاعات.
 ٢٨، ٢٩ - إن عذاب ربهم لا يأمنه أحد، فهو واقع لا محالة. والذين هم حافظون لفروجهم من الحرام كالزنى ونحوه.
 ٣٠ - إلا فيما هو حلال من التمتع بزوجاتهم أو بإيمانهم المملوكات، فهم غير مؤاخذين في ممارسة المباح.
 ٣١ - فمن طلب غير ذلك، فأولئك هم المتجاوزون حدود الله تعالى.
 ٣٢ - والذين هم لما اتتمنوا عليه من أمور الدين والدنيا، ولما عاهدوا عليه غيرهم: حافظون لا يخونون، ولا يغدرون.
 ٣٣ - والذين هم بتحمل شهادتهم وأدائها قائمون على الوجه الأكمل، من غير نقص ولا زيادة.
 ٣٤، ٣٥ - والذين هم يحافظون على صلاتهم بأوقاتها وأركانها وشرائطها، من غير مشغلة عنها. وتكرار ذكرها للتأكيد والدلالة على فضلها. وأولئك المذكورون في جنات مكرمون بثواب الله ومستقرون فيها.
 ٣٦ - فما للذين كفروا ونحوك وحولك مسرعين إلى التكذيب والاستهزاء بك وما يسمعونك منك.
 ٣٧، ٣٨ - عن بينك أيها الرسول وعن شمالك جماعات جماعات متفرقة. أيطمع كل امرئ من هؤلاء الكفار دخول جنة نعيم كالمسلمين؟ كان المشركون يقولون: لئن دخل هؤلاء الجنة، لندخلنها قبلهم، فأنزل الله هذه الآية.
 ٣٩ - ﴿كلا﴾: للردع والزجر عن الطمع في الجنة، لا يدخلونها، إنا خلقناهم وغيرهم مما يعلمون من نطف مهينة، فلا ينبغي لهم هذا التكبر.

٤٠- فأقسم برب المشارق والمغرب للشمس والقمر والنجوم إننا لقادرون على كل شيء .

٤١- قادرون على أن نهلكهم ونأتي بخلق أمثل منهم أو بدلهم أطوع لله، وما نحن بمخلوبين أو عاجزين عن ذلك .

٤٢- فاترك المشركين يتحدثوا في باطلهم، ويلعبوا في دنياهم، حتى يلاقوا اليوم الذي يوعدون فيه العذاب، وهو يوم القيامة .

٤٣- يوم يخرجون من القبور مسرعين إلى المحشر، كأنهم يسرعون أو يتسابقون إلى شيء منصوب: علم أو راية، كإسراع من ضل الطريق إذا رأى علامة تهديه .

٤٤- ذليلة منكسرة أبصارهم لما يتوقعونه من العذاب، تغشاهم ذلة شديدة، ذلك يوم القيامة الذي كانوا يوعدون به في الدنيا .

سورة نوح

١- إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن حذر قومك من العذاب إذا خالفوا أمر الله، من قبل مجيء عذاب شديد الألم، وهو عذاب النار، إن لم يؤمنوا .

٢- قال نوح: يا قوم، إني لكم محذّر مخوف من عقاب الله، واضح الإنذار، ببيان رسالة الله تعالى .

٣- بأن اعبدوا الله وحده لا شريك له، وامثلوا أوامرهم، وخافوا ما يوقعكم في العذاب، وأطيعوني فيما أمر به، وأنهى عنه .

٤- يغفر لكم بعض ذنوبكم وهي المتعلقة بحقوق الله لا بحقوق العباد، ويؤخر أعماركم إلى أمد معين عند الله، لا يتجاوزها؛ لأن الأمة المطيعة المستقيمة تطول أعمارها، إن الأجل الذي قدره الله لكم إذا بقيتم على الكفر لا يؤخر عن مييعاده، بل يقع لا محالة، لو كنتم تعلمون ذلك لبادرتكم إلى الإيمان . والمراد كأنهم لا تشغلهم في حب الحياة الدنيوية شاكون في الموت .

٥- قال نوح: رب إني دعوت قومي إلى الإيمان دائماً متصلاً بغير تقصير في الليل والنهار .

٦- فلم تزدهم دعوتي لهم للإيمان والتوحيد إلا فراراً وبعداً من الإيمان والطاعة .

٧- وإني كلما دعوتهم إلى الإيمان والطاعة لتغفر لهم خطاياهم، سلّوا مسامعهم عن استماع الدعوة، وغطّوا بشياهم وجوههم لتلا يروني ويسمعوا قولتي، وأصرّوا على الكفر، وتكبّروا عن اتباعي وقبول دعوة الحق والإيمان، تكبراً شديداً . وفي هذا التصرف منتهى الكراهة والإباء عن الإيمان .

٨- ثم إني دعوتهم للإيمان بك يا الله مجاهرة بأعلى صوتي .

٩- ثم إني أعلنت لهم دعوتي بصوتي، وأسررت الكلام لهم إسراراً بيني وبينهم، مرة بعد أخرى .

١٠- فقلت لهم: اطلبوا المغفرة من الله على الكفر أو الشرك، إن الله كثير المغفرة للذنوب التائبين .

فَلَا أَقْسَمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَعَالِمُونَ ﴿١﴾ عَلَّانٌ يُبَدِّلُ خَيْرَاتِهِمْ وَمَا نَحْنُ بِمُسَوِّينَ ﴿٢﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ مِجْرَافًا وَلَمْ يَكُنْ لِقَائِهِمْ يَوْمَهُمَ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٣﴾ يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْآبَتَاتِ سِرًّا كَمَا نَهَى أَنْ تُصَبُّ يَوْصُوفُهُمْ حُشْبَةً أَبْصَرَهُمْ رَبُّهُمْ ذَلَّةَ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِذْ نَادَى قَوْمَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي كُنْتُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَوْيَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّا أَجَلُ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٤﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ مِجْرَافًا فَارًّا ﴿٥﴾ وَإِنِّي كَلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لَتُغْفِرَ لَمْ يَجْعَلُوا أَصْوِعًا فِيهِ إِذْ أَنَّهُمْ وَاسْتَفْسَدُوا بِآيَاتِهِمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا تَسْتَكْبَرًا ﴿٦﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهْرًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٨﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿٩﴾

يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيَذَرُكُمْ بِأَمْوَالٍ رَيْنٍ وَيَجْعَلُ
لَكُمْ حَبِيبًا وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾
وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَ يَا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ
طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿١٦﴾
وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يَعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ
إِحْرَامًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لَتَسْكُوتُنَّهَا
سُبُلًا فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّ الْإِنْسَانِ يُشْكِرُ ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّي عَصَاكَ وَأَتَّبَعْتَ
مَالَهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَشَاكَ ﴿٢١﴾ وَتَكَرَّرَ بِكَ الْكَاذِبَ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ الْوَالِدُ
لَا تَذَرْنِي وَالْحَنَظَلُ وَلَا تَذَرْنِي يَا لَأَسْرَاعًا وَلَا يَفْعُولُ وَيَعُوقُ
وَسَرَّارًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾
بِمَا خَطَبْتَهُمْ أَغْرَقُوا فَأَنْدَجُوا تَارًا فَامْرَأَتُكَ أَهْلًا مِنْ دُونِ اللَّهِ
أَنْصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي وَالْأَرْضَ مِنْ آلِ الْكَافِرِينَ
ذِيَارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْتَهُمْ يَضِلُّوا عِمَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فِتْرًا
كَفَارًا ﴿٢٧﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيْ وَلِي مَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا
وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْأَنْبِيَاءَ ﴿٢٨﴾

١١- يرسل المطر عليكم كثير الدور مرتباً.
١٢- ويمدكم كثيراً بالأموال والبنين، أي يكثر
أموالكم وأولادكم، ويجعل لكم بساتين وأنهاراً.
١٣- ما لكم أيها القوم لا تثقرون الله حقاً، ولا
تخشون عظمته وجلاله؟ والوقار: العظمة. والمراد:
ما لكم لا تكونون على حال تأملون فيها الخير
والثواب.

١٤- وقد خلقكم الله طوراً بعد طور في أدوار
مختلفة في النمو والخلقة: نطفة، ثم علقة، ثم
مضغة إلى تمام الخلق.
١٥- ألم تنظروا كيف خلق الله سبع سموات
متطابقة، بعضها فوق بعض؟!

١٦- وجعل القمر في السماء الدنيا منوراً لأهل
الأرض، وجعل الشمس كالمصباح المضيء لهم.
١٧- والله أنشأكم من عناصر الأرض إنشاءً كإيجاد
النبات، إذ خلق أبائكم آدم منها، وجعل فيها ثمائكم
وغذائكم.

١٨- ثم يعيدكم في الأرض بالموت، ويخرجكم
إخراجاً بالبعث والحشر يوم القيامة.
١٩- والله جعل لكم الأرض مهيأة منبسطة،
لتستقروا عليها وتقبلوا فيها كالتحرك على البسط.

٢٠- لتسيروا فيها متخذين منها طرقاً فسحة واسعة، والفتاح: جمع فح وهو المسلك بين الجبلين.

٢١- قال نوح: رب، إن قومي عصوني فيما أمرتهم به من الإيمان ولم يجيبوا دعوتي، وأتبع الأصاغر منهم
رؤساءهم وأثرياءهم الذين لم تزدهم كثرة المال والولد إلا ضلالاً في الدنيا، وخسارة في الآخرة.

٢٢- ومكر الرؤساء مكرًا عظيماً جداً، وهو تحريض السفلة على قتل نوح.

٢٣- وقال الرؤساء للاتباع: لا تترك عبادة آلهتكم وهي الأصنام، ولا تتركوا عبادة وِدَ (صنم لكلب) وسُوع
(صنم لهذيل) ولا يعوث (صنم لثعيط عند سبأ أو المذحج) ولا يعوق (صنم لهمدان) ونسر (صنم لحمير آل ذي
الكلاب) فهي أصنام آبائهم، خصصوها بالذكر بعد العموم.

٢٤- وقد أضل الرؤساء أتباعهم إضلالاً كبيراً بأن أمرهم بعبادة الأصنام أو بعبادتهم، ولا تزدد المشركين بتلك
العبادة إلا حيرةً وبعداً عن الحق وخسراناً.

٢٥- من أجل ذنوبهم الكثيرة أغرقوا في الدنيا بالطوفان، فأدخلوا نار جهنم في الآخرة، فلم يجدوا لهم من غير
الله أنصاراً يدفعون عنهم عذاب الله تعالى.

٢٦- وقال نوح بعد يأسه من إيمان قومه والإيحاء إليه: يا رب لا تترك على الأرض أحداً حياً من الكفار.
والديار: نازل الدار، أي أحد.

٢٧- إنك يا الله إن ترك الكفار أحياء يضلوا عبادك عن طريق الحق والإيمان بوحدايتك، ولا يلدوا من ذرياتهم
إلا فاسقاً غير طائع، شديد الكفر بوجودك وتوحيك ونعمتك.

٢٨- رب اغفر لي خطاياي، واغفر لوالدي المؤمنين، ولن دخل منزلي أو مسجدي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات
إلى يوم القيامة، ولا تزدد الظالمين أنفسهم بالكفر إلا هلاكاً.

سورة الجن



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أوحى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَهُمْ اقْتَرَبُوا وَتَسْمَعُوا فَأَنَا غِيٓبٌ ۝١
 بَهِيمٌ إِلَىٰ الرَّشْدِ فَقَامَ لَهُمْ وَلَنْ يُشْرِكَ بِيُنَا أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ
 رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ وَأَنَّهُ كَانَ يَفْقَهُ لِسَانِ اللَّهِ شَطَطًا ۝٤
 وَأَنَا ظَنَّنَا أَنَّ لِنُفُوسِنَا لَإِنْسًا وَقُلْنَا لَإِنْسًا عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا ۝٥
 وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ
 رَهَقًا ۝٦ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنُ بَيْعَتُ اللَّهِ أَحَدًا ۝٧ وَأَنَا
 لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَا مُلْأَةً حَرَسًا سَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَا كُنَّا
 نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدِ الْطَّيْرِ ثُمَّ كُنَّا تَسْمَعُ الْإِنْسَانَ مِمَّا حَدَّثَ كُنَّا مِنْهَا ۝٩
 وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ بِمِنِ الْإِنْسِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ
 رَشَدًا ۝١٠ وَأَنَا مِمَّا الْصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كَمَا طَرَفَ الْإِنْسُ فَإِنَّا
 إِذْ أَنْزَلْنَا إِلَيْنَا الْقُرْآنَ لَمَكِّنَّا بِهِ بِالْأَرْضِ وَلَنْ نَجْزِيَ هَرَبًا ۝١١ وَأَنَا لَمَّا
 سَمِعْنَا الْمَدَائِكَ إِنَّمَا يَمُوزُ الَّذِينَ يَدِينُونَ رَبَّنَا بِالْحُكْمِ وَالْإِسْلَامِ ۝١٢

١- قل أيها النبي لأمتك: استمع لقراءتي القرآن عدد من الجن-والنفر: ما بين الثلاثة إلى العشر- فقلوا لقومهم: إنا سمعنا قرآنًا عجيباً في فصاحته وبلاغته ومعانيه، لم نسمع له نظيراً من قبل. **والجن: عنصر** من المخلوقات، خلقوا من نار، والملائكة من نور. قال ابن عباس في رواية البخاري ومسلم والترمذي: استمع نفر من الجن القرآن حينما كان النبي ﷺ بنخلة يصلي بأصحابه صلاة الفجر.

٢- يدل ويرشد هذا القرآن إلى الحق ومعرفة الله، فصدقنا بالقرآن أنه من عند الله، ولن نشرك بعبادة ربنا أحداً من خلقه.

٣- وأنه تعظم وارتفع جلال وعظمة ربنا عن اتخاذ صاحبة: زوجة، أو ولد، كما يقول الكفار المفترون. **والجد: العظمة.**

٤- وأنه كان يقول جاهلنا والطائش منا على الله غلواً في الكفر والكذب وتجاوز الحد بنسبة الصاحبة والولد إليه. والسفه هنا: القول البعيد عن الصواب.

٥- وأنا اعتقدنا أو حسبنا أن لن تقول الإنس والجن

قولاً مكذوباً على الله بنسبة الشريك والصاحبة والولد إليه.

٦- وأنه كان رجال من الإنس يستجيرون برجال من الجن في السفر، فزاد رجال الجن المستعيز بهم طغياناً وكبراً وطيشاً وإثمًا. كان العرب إذا نزل الرجل بواد قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه، فبييت في جواره حتى يصبح. نزلت في راعي غنم استجار بعامر الوادي حينما أخذ الذئب حملاً من الغنم.

٧- وأن الإنس ظنوا كما ظننتم أيها الجن أنه لن يبعث الله أحداً، فلا بعث وجزاء.

٨- وأنا توجهنا إلى السماء لاستماع أخبارها، فوجدناها ملئت حرساً قوياً وهم ملائكة يحرسونها من استراق السمع، ونجوماً محرقة.

٩- وأنا كنا نقعد من بعض نواحي السماء قبل ذلك مقاعد لاستماع أخبارها، أي نحاول الاستماع والترصد، فمن يرد الاستماع الآن بعد بعثة خاتم الرسل، يجد له شهاب نار أرصد له ليُرْمَى به، أي مرصوداً معداً لطرده التسمع.

١٠- وأنا لا ندري أشراً أريد بأهل الأرض بسبب حراسة السماء، أم أراد بهم ربهم خيراً وصلاحاً؟!

١١- وأنا منا الكاملون في الصلاح، ومنا الأقل درجة في الصلاح، كنا أصحاب طرق مختلفة، مسلمين وكفاراً.

١٢- وأنا علمنا أن لن نفلت من الله تعالى بالدخول في الأرض أو الهرب في السماء، فالله يدركنا أينما ذهبنا.

١٣- وأنا لما سمعنا القرآن صدقنا بأنه من عند الله، فمن يصدق بالله ربه إلهاً واحداً، فلا يخاف نقصاً من حسناته، ولا ظلماً بالزيادة في حسناته. والبخس: التقصان، والرهنق: الطغيان والتجاوز.



سورة المزمل

- ١- يا أيها النبي المتزمل المتلفف بشيابه، والمراد هنا: المعتكف حزناً عما يقول المشركون.
- ٢- قم الليل للصلاة إلا قليلاً منه للراحة والنوم.
- أخرج الحاكم عن عائشة قالت: لما أنزلت ﴿يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً﴾ قاموا سنة حتى ورمت أقدامهم، فأنزلت: ﴿فاقرؤوا ما تيسر منه﴾ [٢٠].
- ٣- وبيان القليل: هو نصف الليل أو انقص من النصف قليلاً إلى الثلث. وهذا للتخير.
- ٤- أورد على هذا النصف حتى يكون أكثر من النصف دون الثلثين، وقرأ القرآن بؤدة وتثبت، ليسهل فهمه وإدراك معانيه. والترتيل: بيان جميع الحروف وإيفاء حقها من الإشباع.
- ٥- إنا سنلقي عليك أيها النبي قرآناً مهيئاً شاقاً، لما فيه من التكاليف الشاقة على النفوس.
- ٦- إن العبادة التي تنشأ بالليل أشد ثباتاً ورسوخاً في النفس من عبادة النهار، وأشدّ مقللاً لأن السكون يساعد على استحضر المعاني.
- ٧- إن لك أيها النبي في النهار قلباً في مهامك، وتصرفاً في حوائجك لمدة طويلة، فصل قيام الليل.

سورة المزمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمَزْمُولُ ﴿١﴾ فِيمَ الْبَيْتِ الْأَقْلِيلِ ﴿٢﴾ نَصَفَهُ وَأَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾
 أَوْ رَدَّ عَلَيْهِ وَرَبِّ الْقُرْآنِ تَرْبِيلاً ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا تَقِيلاً ﴿٥﴾
 إِنْ أَرَادَ نَشْءَ الْبَيْتِ أَحْشَدًا وَقَوْمًا قَبِيلاً ﴿٦﴾ إِنَّكَ فِي النَّهَارِ
 سَعَجًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَأَذْكُرُ اسْمَ رَبِّكَ بِمَثَلٍ إِلَيْهِ بَيْبِلًا ﴿٨﴾ رَبِّ الْمَشْرِقِ
 وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَهُرِّمُوهُمُ
 حُرَّ الْجَبَلِ ﴿١٠﴾ وَدَرْبِ وَالْكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ وَمَهَلُكُمْ قَلْبِيلاً ﴿١١﴾
 إِنْ لَدَيْتُمْ أَنْكَارَ لَوْحِيهَا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غِصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾
 يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلاً ﴿١٤﴾
 إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾
 فَكَيْفَ يُعْرَفُونَ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً ﴿١٦﴾ كَيْفَ تَقُولُونَ
 إِنْ هُوَ إِلَّا نَوْمٌ لِمَنْ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ الشَّيْءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ
 مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنْ هَذِهِ يَذْكُرُهُ فَمَنْ شَاءَ اتَّخِذْ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٩﴾

- ٨- دوام على ذكر الله بالتهليل والتحميد والتهليل والدعاء، وتفريغ لعبادة الله ومراقبته بقلبك.
- ٩- الله رب المشرق والمغرب وما بينهما، أي رب العالم كله، لا إله يستحق العبادة سواه، فاتخذته وكيلاً عنك، أي قائماً بأمرك، مفوضاً إليه شأنك.
- ١٠- واصبر على ما يقول كفار مكة من الأذى والاستهزاء، ولا تتعرض لهم ودارهم، والهجر الجميل: هو ما لا عتاب معه.
- ١١- واتركني والمكذبين برسالتك، فإني قادر عليهم، وأكفيك أمرهم، أصحاب التمتع بالأموال والأولاد، واتركهم زماناً قليلاً برفق وعدم مبالاة. نزلت في صنديد قريش ورؤساء مكة من المستهزئين.
- ١٢- إن عندنا قيوداً ثقيلة، و ناراً محرقة شديدة التوقد.
- ١٣- وطعاماً يغيص به أكله وعذاباً مؤلماً يوم القيامة إذا استمروا في كفرهم.
- ١٤- يوم تضطرب وتزلزل الأرض والجبال عند النفخة الأولى، وتصير الجبال ملاماً متجمعاً، ورخوياً تغوص به الأقدام.
- ١٥- إنا أرسلنا إليكم يا أهل مكة رسولاً هو محمد ﷺ يشهد عليكم يوم القيامة بأعمالكم، أنكم عصيتموه، كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً هو موسى عليه السلام.
- ١٦- فكذب فرعون الرسول موسى ولم يؤمن برسالته، فأخذناه أخذاً ثقيلاً شديداً.
- ١٧، ١٨- فكيف تقرون أنفسكم إن أصبرتم على الكفر عذاب يوم يشيب الولدان لشدة هول. السماء تصبح متشققة لهول ذلك اليوم- وإنما جاء ﴿منظر﴾ مذكراً؛ لأن السماء تذكر باعتبارها سقفاً، كان وعده تعالى كائناً لا محالة.
- ١٩- إن آيات القرآن المخوفة المتقدمة هذه تذكير وموعظة، فمن شاء الاتعاظ والانتفاع بها اتخذ طريقاً إلى ربه بالإيمان.

٢٠- إن ربك يعلم أيها الرسول تعلم أنك تقوم للتهجد ليلاً أقل من ثلثي الليل أحياناً، ونصفه أحياناً، وثلثه أحياناً، وتقوم ذلك القدر معك طائفة من أصحابك، والله يعلم مقادير ساعات الليل والنهار ويحصيها بدقة، علم أن لن تتمكنوا ضبط مقادير الليل والنهار بدقة، ولا تطبقوا قيام الليل، فحفظت عنكم بأن تفعلوا اليسير لكم، فصلوا قارئين القرآن ما تيسر لكم من صلاة الليل- عبر بالقراءة عن الصلاة- وهذه الآية نسخت وجوب قيام الليل عن الأمة، علم الله أن سيكون منكم مرضى لا يطبقون قيام الليل، وآخرون يسافرون في الأرض للتجارة وغيرها يطلبون العطاء من رزق الله، وآخرون يجاهدون في سبيل إعلاء دين الله والحق، فصلوا قارئين القرآن ما تيسر منه- ذكر ثانياً مراعاة لأسباب أخرى وهي السفر والمرض والجهاد- وأقيموا الصلاة المفروضة تامة الأركان في أوقاتها، وادفعوا الزكاة الواجبة لمستحقيها، وأنفقوا في سبيل الخيرات زيادة على الزكاة- وعبر بالقرض الحسن لله للترغيب في الإنفاق التطوعي- وما تقدموا أيها المؤمنون لأنفسكم من فعل الخير، تمجده مدخراً لكم عند الله، أفضل مما أنفقتهم، وأجزل ثواباً، واطلبوا المغفرة من الله على ذنوبكم، إن الله كثير المغفرة للمستغفرين، كثير الرحمة للمسترحمين.

إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ وَنُصْفَهُ وَمَلَائِكَتُكَ مَبْرُؤُونَ مَعَكَ وَاللَّهُ بِعِبَادِكَ عَلِيمٌ أَن لَّنْ نَّحْصُوهُ فَبِأَعْيُنِنَا قَوْلُهُ وَأَمَّا يُتَسَّرْنَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِيمٌ أَن سَكَوْنَ مِنْكُمْ مَرْضًىٰ وَأَخْرُوجُونَ يُضْرَبُونَ فِي الْأَرْضِ يُنْفَعُونَ مِنْ فِضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَقْرَعُ وَأُمَّا يُتَسَّرْنَ مِنْهُ وَاقْبُولُوا الصَّلَاةَ إِنَّهُ الْزَّكَاةَ وَأَوْصُوا اللَّهَ فَرَضًا حَسَنًا وَمَا تَقَدَّمُوا لَأَسْتَأْذِنَكُمْ مِنْ خَيْرِ عَمَلِكُمْ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَأَسْتَعِزُّ بِاللَّهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ كَبِيرٌ ﴿٣﴾ وَنَبَأُكَ ظَهْرٌ ﴿٤﴾ وَالزَّيْرُ ﴿٥﴾ فَأَجْرٌ ﴿٦﴾ وَلَا تَحْنَبْ أَشْكَرٌ ﴿٧﴾ وَرَبِّكَ أَصْدَرٌ ﴿٨﴾ فَأَذَانُ فِي لَنَاءٍ أُرْوَى ﴿٩﴾ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ وَّوَعْدٌ عَسِيرٌ ﴿١٠﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ عَسِيرٍ ﴿١١﴾ ذَرَىٰ وَمَنْ خَلَقَتْ وَجِدًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلَتْ لِمَا لَا مَعْلَمَ لَهُ ﴿١٣﴾ وَسِينَ سَهْوًا ﴿١٤﴾ وَهَدَتْ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَطَمَعُ أَنْ يُرِيدَ ﴿١٦﴾ كَلَّا إِنَّكَ لَأَنْتَ عَبْدٌ مُّغْنَمٌ ﴿١٧﴾ سَأَرْفَعُهُ صُورًا ﴿١٨﴾

سورة المدثر

- فضليها: أخرج البخاري عن جابر أنه كان يقول: أول شيء نزل من القرآن: ﴿يا أيها المدثر﴾. وخالفه الجمهور، فذهبوا إلى أن أول القرآن نزولاً قوله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك﴾ [العلق ١/٩٦].
- ١- يا أيها النبي المتدثر المتلطف بشيابه بعد نزول الوحي عليه.
 - ٢- انهض وحذر من عذاب الله من لا يؤمن برسالتك. أخرج البخاري ومسلم عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «جاءت بحراء شهراً، فلما قضيت جوارى، نزلت، فاستنبت الوادي، فنوديت، فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء، فرجعت، فقلت: ذروني، فأنزل الله: ﴿يا أيها المدثر، قم فأنذر﴾».
 - ٣- وعظم ربك مصلح أمورك، بالتكبير، فإنه واحد لا شريك له.
 - ٤- وطهر ثيابك من النجاسات المادية، وباطنك من العيوب.
 - ٥- واترك وسوسة الشيطان، والأوثان، والمآثم أسباب العذاب، فلا تعبدها.
 - ٦- ولا تعط شيئاً، فتطلب أكثر منه، بل أعطه لوجه الله تعالى.
 - ٧- واصبر على تحمل أمر ربك، ولا تعباً بأذى المشركين.
 - ٨- فإذا نفخ في الصور وهو الصور وهو القرن النفخة الثانية لبعث الناس من القبور.
 - ٩، ١٠- فذلك يومئذ يوم التقويم شديد صعب على الكفار، غير سهل عليهم.
 - ١١- دعني واتركني وحدي وهذا الذي خلقته مفرداً بلا مال له ولا ولد، وهو الوليد بن المغيرة.
 - ١٢، ١٣- وجعلت له مالاً كثيراً، وبنين حضوراً معه في محافل مكة يتمتع بهم، دون حاجة بهم للسفر، كانوا عشرة.
 - ١٤، ١٥- وبسطت له في العيش والجاه العريض بسطاً. ثم يطعم في الزيادة بالمال والولد على ما أوتي.
 - ١٦، ١٧- كلا، جزأه عن هذا الطمع، إنه كان معانداً ومكابراً لأياتنا، مكذباً بها. ساكفه وأحملة عذاباً شاقاً صعباً.

١٨، ١٩- إنه تأمل في القرآن، وقدر في نفسه ما يمكن أن يكون طعناً فيه، فلنن كيف فكر وتوصل إلى ما تريده قريش.

٢٠، ٢١- ثم لئن كيف قدر، وكرر الدعاء عليه للمبالغة وتأکید الذم وتسييح ما فكر به، ثم نظر فيما يقدر به في القرآن ويرد الحق.

٢٢، ٢٣- ثم قطب جبهته بين الحاجبين، وكبح وجهه وتغير، ثم أعرض عن الإيمان وعن اتباع النبي.

٢٤، ٢٥- فقال: ما هذا القرآن إلا سحر يروى ويتعلم، ما هذا إلا قول البشر، وليس حياً وكلاماً من الله، كالتأكيد لما سبق.

٢٦، ٢٧- سأدخله جهنم، وما أعلمك أي نار هي؟! ٢٨، ٢٩- لا تبقي على شيء حي يلقى فيها حتى تهلكه وتحرقه، ولا تتركه يخرج منها، ويتجدد جسمه وبعاده، تظهر للناس من مسافات بعيدة، أو مسودة للجسم.

٣٠- عليها تسعة عشر من الملائكة الأشداء هم خزنتها. نزلت بعد سؤال رهط من اليهود رجلاً من الصحابة عن خزنة جهنم.

٣١- وما جعلنا خزنة النار الذين يتولون التعذيب إلا ملائكة غلاظاً شداداً، فلا يمكن مقاومتهم، وما جعلنا عددهم تسعة عشر إلا اختصاراً للكافرين لتظهر به

الله فكرو قدر ١٨ فقل كيف قدر ١٩ ثم قل كيف قدر ٢٠ ثم نظر ٢١
 ذعبر ولسر ٢٢ ثم أدبر وأستكبر ٢٣ فقال إن هذا إلا سحر
 يورث ٢٤ إن هذا إلا قول البشر ٢٥ سأل عليه سقر ٢٦ وما أدراك
 ما سقر ٢٧ لا تبقي ولا تذر ٢٨ أو أوحى للبشر ٢٩ عليها تسعة عشر
 ٣٠ وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة
 للذين كفروا ليستغنوا الذين أوفوا بالآيات ويزداد الذين كفروا حسداً
 ولا يربأ الذين كفروا ولا يؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض
 والكهرون ماذا أراد الله بهذا مثلا كذلك يضلل الله من يشاء ويهدي
 من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكري للبشر ٣١ كلاً
 والقمر ٣٢ والتل إذ أدبر ٣٣ وأصبح إذا أسفر ٣٤ إنها إحدى
 الكبر ٣٥ نذير للبشر لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر ٣٦ كل
 نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين ٣٧ في جنت يساءلون
 عن الخمر من ٣٨ ما سألكم في سقر ٣٩ فالوالم نك من
 المصلين ٤٠ ووزنك نطم المسكين ٤١ وكنا نخوض مع
 الخافضين ٤٢ وكنا نكذب يوم الدين ٤٣ حتى ألقنا اليقين ٤٤

طبيعتهم، بأن يقولوا: لم كانوا تسعة عشر، ليتبين أهل الكتاب (اليهود والنصارى) صدق القرآن، وصدق نبوة محمد ﷺ لموافقته لما في كتابهم، ويزداد المؤمنون إيماناً، ولا يشك بعد الإيمان الكتابيون والمؤمنون في الدين وعدد خزنة جهنم، وليقول الذين في قلوبهم فساد أو شك، وهم منافقو المدينة، والكفار مشركو قريش: ماذا أراد الله بهذا العدد حكمة وغرابة كالمثل؟ مثل ذلك الإضلال للمنافقين والمشركين، يضل الله من يشاء بإبعاده عن الهدى لعناده، ويرشد من يشاء للحق لاستعداده الطيب، ولا يعلم قوة خزنة النار وأعوان هؤلاء التسعة عشر من الملائكة إلا الله تعالى، وما وصف سقر (النار) إلا تذكرة وموعظة للناس. قال ابن إسحاق وقتادة: قال أبو جهل يوماً: يا معشر قريش، يزعم محمد أن جنود الله الذين يعذبونكم في النار تسعة عشر، وأنتم أكثر الناس عدداً، أفيعجز مئة رجل منكم عن رجل منهم، فأنزل الله: ﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة﴾.

٣٢، ٣٣- كلا، للردع والزجر لمن قال: يمكنه مقاومة خزنة النار، أقسم بالقرم المني، والليل المظلم إذا مضى وولى.

٣٤، ٣٥- والصبح إذا أضاء وظهر، إن سقر (جهنم) لإحدى الدواهي أو البلايا العظام.

٣٦، ٣٧- النار إنذار للناس، لمن أراد أن يتقدم للخير والإيمان، أو يتأخر للشر والكفر.

٣٨، ٣٩- كل نفس مرتتهنة محبوسة عند الله بعملها، إما نجاة وإما هلاكاً إلا أهل اليمين الذين أعطوا كتبهم بأيمانهم، وهم المؤمنون، فلا يرتنون بذنوبهم، فإنهم تجوا أنفسهم بما أحسنوا من أعمالهم.

٤٠، ٤١- هم في جنات يساءلون بينهم، عن أحوال المجرمين.

٤٢، ٤٣- ما الذي أدخلكم جهنم؟ قالوا لهم: لم تكن في الدنيا من المصلين الصلاة المفروضة لله تعالى.

٤٤، ٤٥- ولم تكن نطم المحتاج، وكنا ندخل مع أهل الباطل في باطلهم، ونقع في الغواية مثلهم.

٤٦، ٤٧- وكنا نكذب بيوم الجزاء يوم القيامة، حتى أتانا الموت.

فَأَنفَعُهُمْ سَعَةً السَّعِينِ ﴿١٨﴾ فَأَلَمَ عَنِ التَّنَادِرِ مُعْرِضِينَ ﴿١٩﴾ كَأَنَّهُمْ
 حَمْرٌ مُسْتَنْزَفَةٌ ﴿٢٠﴾ فَوَيْلٌ مِنَ الْقَوْمِ ﴿٢١﴾ بَلْ رِيْدُكُلٌ أَرِيْضٌ يَتَّبِعُونَ بَنِيَّ أَهْلَ
 مَنَشَرَةٍ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لِيَأْكُلُنَّ الَأَخْرَةَ ﴿٢٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ ﴿٢٤﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْ
 ﴿٢٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ الْقُوَى وَأَهْلُ الْمَعْرِفَةِ ﴿٢٦﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَسْأَلُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَسْبُ
 الْإِنْسَانَ أَنْ يُجْمَعَ عِظَامُهُ ﴿٣﴾ بَلَى فَيَدْرِينِ عَلَيَّ أَسْوَى بَنَانِهِ ﴿٤﴾ بَلْ
 يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ يَسْأَلُ أَنْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرَأَ الْبَصْرُ
 ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ
 أَيُّ الْمَقَرِّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَاوَدَّ ﴿١١﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يَبْنُو الْإِنْسَانُ
 يَوْمَئِذٍ مَّا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَى
 مَعَادِيرَهُ ﴿١٥﴾ لَأَخْرَجَ بِهِ لِسَانَهُ لِنَهْلِهِ ﴿١٦﴾ إِنْ عَلَيْنَا جُمُوعُهُ
 وَقَوْلُهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ وَرَاءَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنْ عَلَيْنَا بَيِّنَاتُهُ ﴿١٩﴾

٤٨، ٤٩ - فما تفعهم شفاعة الشافعين من الملائكة والأنبياء
 والصالحين، فما لهم عن التذكر والاعتاظ بالقرآن معرضين؟
 ٥٠، ٥١ - مثل الحمير الوحشية، الشاردة الهاربة بقوة،
 هربت من أمئد مدعورة خائفة.

٥٢ - بل يريد كل امرئ من المشركين أن يعطى كتاباً مفتوحاً
 خاصاً به من الله يثبت أنك رسول الله. قال السدي: قالوا لئن
 كان محمد صادقاً، فليصح تحت رأس كل رجل منا صحيفة
 فيها براءته وأمنه من النار فنزلت.

٥٣ - ﴿كلا﴾: للزجر والردع عن اقتراح ما يريدون من
 الآيات أو المعجزات تعنتاً، بل (للاقتعال من تعنتهم إلى بيان
 سببه) وهو إنكار الآخرة.

٥٤ - ﴿كلا﴾: زجر لهم عن إنكار الآخرة، إن القرآن وعبره
 عظة كافية للناس.

٥٥ - فمن شاء الاعتاظ به انظر، وقرأه.

٥٦ - وما يتعظرون بالقرآن إلا بمشيئة الله الذي هو أهل لأن
 يتقى بطاعته وترك معصيته، والحقيق بأن يغفر للمؤمنين التائبين
 ذنوبهم.

سورة القيامة

- ١ - ﴿لا أقسم﴾: لا زائدة، أي أقسم بيوم القيامة، والقسم
 به تعظيم وتخصيم له. والمراد تأكيد تحقق البعث.
- ٢ - وأقسم بالنفس التي تلوم صاحبها دائماً على تقصيره في
 الطاعة، فهي يقظة دائماً لنفسها.

٣ - أيظن الإنسان الكافر المنكر للبعث أن لن يجمع عظامه مرة أخرى بعد صيرورتها رفاتاً بالية.

٤ - بلى نجتمعها حال كوننا قادرين على جمع ما دق منها، وإعادة أصابعه وبصماتها وعظامها كما كانت. قال عدي بن ربيعة لرسول
 الله ﷺ: يا محمد حدثني عن يوم القيامة متى يكون امره، فأخبره الرسول، فقال: لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك ولم أومن به، أو
 يجمع الله هذه العظام بعد بلاها؟ فنزلت هذه الآية وما قبلها.

٥ - بل يريد الإنسان أن يدوم على فجره في مستقبل الزمان، ويكذب بالبعث في الآخرة.

٦ - يسأل استهزاء متى يكون يوم القيامة؟

٧، ٨ - فإذا أهضت وتحير وزاغ البصر لما رأى ما كان يكذبه. وأظلم القمر وذهب ضوءه.

٩ - وذهب ضوء الشمس والقمر معاً يوم القيامة، فلا يتعاقب الليل والنهار.

١٠ - يقول الإنسان الكافر المكذب بالبعث: أين الفرار؟

١١، ١٢ - ﴿كلا﴾: للردع عن طلب الفرار، لا ملجأ يتحصن به، إلى ربك يوم القيامة المرجع والمصير الدائم.

١٣ - يُخَبِّرُ الْإِنْسَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلٍ حَسَنٍ أَوْ سَيِّئٍ، وَمِمَّا تَرَكَ مِنْ أَمْرٍ يَعْمَلُ بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ.

١٤، ١٥ - بل الإنسان شاهد على نفسه، يعرف حقيقة ما هو عليه من إيمان وكفر، وطاعة ومعصية. وبصيرة: حجة واضحة ناطقة
 بعمله. ولو جاء بكل ما يعتذر به؛ لأنه كاذب.

١٦ - لا تحرك أيها النبي بالقرآن لسانك قبل أن يتم وحيه، لتعجل بحفظه مخافة أن يذهب من ذاكرته. أخرج البخاري ومسلم وأحمد
 عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا أنزل الوحي، يحرك به لسانه، يريد أن يحفظه، فأنزل الله هذه الآية.

١٧ - إن علينا حفظه في صدرك أيها النبي وإقدارك على قراءته متى شئت. والقرآن هنا بمعنى القراءة.

١٨ - فإذا قرأناه عليك بلسان جبريل، فاستمع قراءته على الوجه السليم غير المتسرع في ملاحظته.

١٩ - ثم إن علينا بيان ما أشكل فيه من المعاني والأحكام، والحلال والحرام.



كَلَّا بَلْ يُجِئُونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَيَذُوبُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وَجِوهٌ يُؤْمِنُونَ وَيُؤْمِنُونَ بِهَا ﴿٢٢﴾ وَإِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَجِوهٌ يُؤْمِنُونَ بِأَسْرَةٍ ﴿٢٤﴾ نَظَرُوا أَنْ يَضَعَهَا بِهَا فَارَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّا إِنَّا لَنَلْقَى التَّارِكِينَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَاللَّيْقَاتِ لَسَاقٍ ﴿٢٩﴾ إِلَى رَبِّكَ يُؤْمِنُ لَلْأَسَاقِ ﴿٣٠﴾ فَلَا سَدَقَ وَلَا صَلَاحِي ﴿٣١﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَقَتَلَى ﴿٣٢﴾ فَرُدَّ هَبْ إِلَى أَهْلِهِ تَطْعَى ﴿٣٣﴾ أَوَّلِكَ فَأَوَّلَى ﴿٣٤﴾ ذَاوَلِكِ فَأَوَّلَى ﴿٣٥﴾ أَتَحْسَبُ الْإِنْسَانَ أَنْ يُبْرَكَ ﴿٣٦﴾ سَعَى ﴿٣٧﴾ أَلَمْ يَكُنْ لَطْفَةً مِنْ رَبِّي فَخَيَّ ﴿٣٨﴾ وَكَانَ عَلَاقَةً فَلَقَى مُسَوِّمًا ﴿٣٩﴾ فَبَلَ سِنَّةً أَوْ يُصَبِّرُ وَلَكَرَّ لِلْآخِرَةِ ﴿٤٠﴾ التَّيْسُ لَكَ بِعَدِيٍّ عَلَّانٍ يُخَيِّئُ التُّورَى ﴿٤١﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَقْدُوراً ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْسَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِنَّمَا شَكَرَ وَإِنَّمَا كَفَرَ ﴿٣﴾ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَقْنَا وَسْعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّا الْأَبْرَارَ يُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ كَاسِ مَا كَانَ مَرَأَجًا كَأَقْوَارِ

٢٠- ﴿كَلَّا﴾: لردع الإنسان عن الاغترار بالدنيا، بل تحبون أيها الكفار وتختارون الدنيا ومتاعها الفاني.
٢١- وتتركون العمل للأخرة والاستعداد لها.
٢٢- وجوه المؤمنين يوم القيامة مضيئة مشرقة سروراً، متهللة بشراً بالنعيم.
٢٣- ناظرة رائية عياناً إلى ربها بلا حجاب ولا حصر وإحاطة، تواترت بذلك الأحاديث الصحيحة.
٢٤، ٢٥- ووجوه يوم القيامة قبيحة المنظر، شديدة العبوس، كشيبة. توطن أن يفعل بها داهية عظيمة تكسر الفقرات.
٢٦، ٢٧- ﴿كَلَّا﴾: لزرع الكافر عن تفضيل الدنيا على الآخرة، إذا بلغت الروح العظام المحيطة بالبحر في العنق. وقيل لمن حضر حوله: من يرقبه وينجيه ليشفي؟
٢٨- ويتفنن المحتضر أنها ساعة الفراق من الدنيا.
٢٩- والثوت إحدى ساقيه على الأخرى عند الموت، فيعجز عن تحريكها، والمراد عند وضعه في كفته.
٣٠- إلى حكم ربك يوم القيامة المرجع.
٣١، ٣٢- فلا صدق الإنسان بما يجب عليه التصديق به، ولم يود صلاته المقروضة. ولكن كذب بالقرآن والرسول وأعرض عنهما.
٣٣- ثم ذهب إلى أهله يتبختر ويختال في مشيته إعجاباً وافتخاراً بذلك.
٣٤، ٣٥- الويل والهلاك لك، ثم الويل والهلاك، وهذا تأكيد للحملة الأولى، وهو دعاء عليه للتحذير من فعله،

والجملة الثانية تفيد تكرار ذلك عليك مرة بعد مرة. قال أبو جهل: بأي شيء تهددني؟ لا تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلوا بي شيئاً، وإني لأعز أهل هذا الوادي. فلما كان يوم بدر قتل.
٣٦، ٣٧- أيقن الإنسان أن يترك مهملًا لا يكلف بالشرائع ولا يحاسب! ألم يكن نقطة من مني يراق في الرحم؟
٣٨- ثم صار قطعة دم جامد، فأوجد الله منه بشراً كامل التركيب، فعدله الله وأكمل نشأته وتسوية أعضائه.
٣٩، ٤٠- فجعل من الإنسان المكتمل المذكور الصنفين: الرجل والمرأة. أليس ذلك الفعال لهذه الأشياء، المنشئ لها بقادر على إحياء الموتى من بعد مماتهم؟ فإن الإعادة أمون من الابتداء (بلى إنه على كل شيء قدير) وهذا القول مطلوب في السنة النبوية.

سورة الإنسان

١- قد أتى على الإنسان (جنس الأدمي) وقت من الزمن لم يكن شيئاً مذكوراً، حيث كان نقطة، فعلقة، فمضغة، ثم نفخ فيه الروح، فصار إنساناً سوياً. و ﴿هل﴾ حرف بمعنى (قد) لتحقيق ثبوت ما بعدها.
٢- إنا خلقنا الإنسان (ابن آدم) من نقطة وهي المنى، أخلاط، يختلط فيها مني الرجل ومني المرأة، نخبته بالتكليف، أي خلقناه مريدين ابتلاءه بالتكليف والخير والشر، فجعلناه سمياً مبصراً لیسأل عن أعماله يوم القيامة بعد مشاهدة الأدلة واستماع الآيات.
٣- إنا بينا له طريق الخير وطريق الشر وعرقناه المنافع والمضار، إما مؤمناً بالله شاكراً نعمه، وإما كافراً جاحداً بالله تعالى.
٤- إنا أعدنا للكافرين قيوداً في الأرجل، يسحبون بها إلى النار، وأطواقاً في الأيدي التي تجمعهم إلى أعناقهم، وجهنم تتقد بهم.
٥- إن أهل الطاعة والإخلاص وهم المؤمنون الصادقو الإيمان يشربون في الجنة من كأس (إناء فيه شراب) كان ما تخرج به كافوراً: وهو طيب معروف، له رائحة جميلة.

٦- يشربون من خمر ممزوجة بكافور، وبماء عين يشرب منها عباد الله الصالحون الفاترون بالجنة، يجرونها ويصرفونها كما يريدون بسهولة، ويتصفون بها.

٧- يوفون ما أوجبوه على أنفسهم من الطاعات، والنذر: التزام قربة لله تعالى لم تسعين، من صلاة أو صوم أو ذبح أو صدقة ونحوها، ويخشون يوماً هو يوم القيامة كان عذابه فاشياً منتشرأ.

٨- ويطعمهم هؤلاء الأبرار الطعام، مع حبهم له وحرصهم عليه محتاجاً لفقره أو مسكته وعجزه عن الكسب، ومحتاجاً له عن لا أب له، ومن كان أسيراً أريد الأعداء أو سجيناً ونحوه.

قال ابن جرير: نزلت في أسارى أهل الشرك، كانوا يأسرونهم في العذاب، فنزلت فيهم، فكان النبي ﷺ يأمرهم بالإصلاح إليهم.

٩- يقول المطعمون في أنفسهم: إنما نطعمكم ابتغاء رضوان الله وطلب ثوابه، لا نزيد منكم مكافأة ولا شكراً.

١٠- إننا نخاف من ربنا عذاب يوم تبعس فيه الوجوه لهوله وشدته، صبم مظلم شديد في العوس.

١١- فلدغ الله عنهم بسبب خوفهم منه شر ذلك اليوم العبوس، وأعطاهم بدل العبوس المخيم على الكفار حسناً وبهجة وبهاء في الوجوه، وسروراً في القلوب. والنضرة: النقاء والبياض بسبب النعمة.

١٢- وكافأهم وأثيبتهم بسبب صبرهم على أداء الواجب واجتناب الحرام جنة (بستاناً) يعيشون فيها، وحريراً يليسونه.

١٣- لهم جنة حالة كونهم جالسين فيها يتمكنون راحة على الأسرة الفاخرة المجللة بأغطية (استار) لا يجدون فيها حرأ ولا بردأ شديداً.

عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادَ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعَمُونَ أَلْفَامًا عَلَى حُدُودِ مَسْكِنَاتِهِمْ وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لِرِجْوَةِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَّهِنَّ اللَّهُ شِرْكَكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهِنَّ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَعْرَاقِ لَا يُزَلُّونَ فِيهَا تَمْتَسًا وَلَا نَهْمًا ﴿١٣﴾ وَرَبِّانِيَّةً عَلَيْهِمْ ظِلْمُهَا وَذُلَّتْ أَيْدِيهِمْ أَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَسِطَافٌ عَلَيْهِمْ بِكَائِنَاتٍ مِنْ فَضَّةٍ وَأَكْوَابُ كَانَتْ فَوارِيرًا ﴿١٥﴾ فَوارِيرًا مِنْ فَضَّةٍ قَدَرُوا فِيهَا قَدَرًا مِثْلَ نَقْدَرُوا فِيهَا كَأَسَاكَانَ مِنْ أَمْحَازٍ نَجِيلًا ﴿١٦﴾ عَيْنَا فِيهَا تُنَمَّى سَلْسِيلًا ﴿١٧﴾ وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ خَمْرًا وَلَذُنَّ مَخْلُوكًا إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَسْمُورًا ﴿١٨﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ رَبَّيْتَهُمْ وَمَلَكًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ شَرَابٌ سُنْدُسٌ خَضِرٌ وَإِسْتِزْقٌ وَأَحْوَالٌ أَسَاوِرٌ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّا نَخَنِّنُ لَكُمْ لِقَاءَ عَلَيْكُمْ أَلْقُرْآنَ نَنْزِيلًا ﴿٢٢﴾ فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ مِنْهُمْ آيَةً أَوْ كَهْفًا ﴿٢٣﴾ وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٤﴾

١٤- وقربة منهم ظلال أشجارها زيادة في نعيمهم وإن كان لا شمس في الجنة، وسخرت وسهلت ثمارها لتناولها في أيديهم تسخيراً وتسهيلاً واضحاً، يتناولها القائم والقاعد والمضطجع.

١٥- ويدار عليهم في الجنة بوساطة الخدم بأواني طعام وأواني شراب فضية، كانت رقيقة كالزجاج، ففيها صفتا بياض الفضة، وصفاء الزجاج. والأكواب: أقدمح بلا عرى.

١٦- أصل القوارير في الجنة من فضة ولكنها كالزجاج، قدرها السقاة لهم في الشكل تقديراً دقيقاً على قدر حاجتهم، دون زيادة ولا نقص.

١٧- ويسقى الأبرار في الجنة خمراً ممزوجة بالزنجبيل في الطعام: وهو نبات يوضع مع البهارات، والكأس: إناء الخمر.

١٨- وممزوجة أيضاً من ماء عين تسمى السلسيل لسلاسة انحدارها في الحلق. والسلسيل: ماء في غاية السلاسة.

١٩- ويطوف على أهل الجنة أولاد شباب لا يهرمون ولا يموتون، إذا رأيتهم ظننتهم لحسنهم وصفاء ألوانهم لؤلؤاً متشراً في الجنة.

٢٠- وإذا نظرت أيها النبي أو الناظر هناك في الجنة، نظرت نعيماً لا يوصف وملكاً واسعاً. نزلت حينما رأى عمر النبي ﷺ على حصير من جريد، أثر في جنبه.

٢١- حالة كون من «يطوف عليهم» [١٩] لا يسين يعلوهم ثياب من حرير رقيق خضر، وثياب من حرير غليظ، وزينهم ربهم بأساور فضية، وسقاهم ربهم شراباً نقياً من الشوائب بالغ الطهارة.

٢٢- ويقال لهم: إن ما أعد لكم من الثواب جزاء أعمالكم الصالحة، وكان عملكم مجازي عليه غير مضيع مقبولاً عند الله تعالى.

٢٣- إننا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً متفرقاً مفصلاً لحكمة جليلة، لا جملة واحدة.

٢٤- فداوم على تبليغ رسالة ربك، واصبر على أذى قومك حتى يأتيك النصر والإذن بالقتال والدفاع، ولا تطع من الكفار مجاهرأ بالمعاصي، مغالياً في كفره. قال قتادة: بلغني أن أبا جهل قال: لئن رأيت محمداً يصلي لأطان على عنقه، فانزل الله هذه الآية.

٢٥- وداوم على ذكر الله أول النهار وآخره، في صلاة الصبح، والظهر والعصر.



٢٦- ومن بعض الليل فصل أيها النبي وأمتك صلاة المغرب والعشاء، وتهجد له طائفة طويلة (جزءاً كبيراً) من الليل وهي صلاة التهجد.

٢٧- إن هؤلاء الكفار يحبون الدنيا، ويتركون أمامهم يوماً شديداً لما فيه من الأهوال، وهو يوم القيامة، فلا يستعدون له بالإيمان والعمل الصالح.

٢٨- نحن خلقنا هؤلاء الكفار والمشركين وقبونا أعضائهم ومفصلهم وشددنا بعضها إلى بعض بالعروق والأعصاب، وإذا شئنا أهلكتهم وبدلنا أمثالهم في الخلقه وجئنا بأخرين غيرهم.

٢٩- إن هذه السورة والآيات القرآنية المتقدمة موعظة وتذكير، فمن شاء النجاة في الآخرة من العذاب اتخذ طريقاً يتقرب به إلى ربه بالصالح.

٣٠- وما تشاءون أيها البشر اتخاذ سبيل الطاعة إلا وقت مشيئة الله، فالأمر له لا لكم، إن الله كان وما يزل واسع العلم بأحوال خلقه وما يستحقه كل واحد، حكيماً في فعله وتدبيره.

٣١- يُدخل من يريد من عباده المؤمنين في جنته، بعد الهداية والتوفيق للطاعة، وهياً للكافرين في الآخرة عذاباً مؤلماً.

وَمِنَ اللَّيْلِ فَسُجِّدُوا لِلْبَاطِلِ ۗ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَمُجْرِمُونَ الْعَاجِلَةَ
وَيَذُرُونَ وَإِنَّ هَؤُلَاءِ لَمُتَقَبِلُونَ ۗ مَن ظَنَّنْهُ وَمَسَّدَ نَاسُوهُ وَإِذَا
سُئِلُوا بِآيَاتِنَا تَبَدَّلُوا ۗ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَمُتَذَكَّرُونَ ۗ قُلْ إِنِّي رَسُولٌ
سَيِّئٌ ۗ وَمَا أَنشَأُونِي إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۗ
يُخَلِّصُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابَ الْآلِيمِ ۗ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالرَّسُلَ عُرْفًا ۗ فَأَلَمَّصَتْ عَصْفًا ۗ وَالشَّرَّ نَشْرًا ۗ
فَالفَرْقَ فَرَا ۗ فَاَلْمَلَيْتَ ذِكْرًا ۗ عُدْرًا أَوْ ذَدْرًا ۗ إِنَّمَا
تُوعَدُونَ لَوَفْعٍ ۗ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ۗ وَإِذَا السَّمَاءُ فُجِحَتْ
ۗ وَإِذَا الْجِبَالُ سُفِّتْ ۗ وَإِذَا الرُّسُلُ أُنْقِذَتْ ۗ لِأَيِّ يَوْمٍ
أُتِيتْ ۗ لِيَوْمِ الْفُضْلِ ۗ وَمَا أَذْرَكَ مَا يَوْمَ الْفُضْلِ ۗ وَبِئْسَ
يَوْمِيذٌ لِلْكَافِرِينَ ۗ أَلْزَمْنَاكَ الْآثَانَ ۗ ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ
ۗ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ۗ

سورة المرسلات

فضلها: أخرج أحمد عن ابن عباس عن أمه (أم الفضل): أنها سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالمرسلات عرفاً. وفي رواية مالك والشيخين: إنها لأخر ما سمعت من رسول الله ﷺ يقرأ بها في المغرب.

- ١، ٢- أقسم بالرياح متابعات يتبع بعضها بعضاً. فالرياح القوية الشديدة الهبوب التي لها صوت شديد.
- ٣- والرياح التي تنشر (توزع) المطر أو السحاب في آفاق السماء، أو الملائكة الموكلين بالسحب ينشرونها.
- ٤، ٥- فالملائكة التي تنزل بالوحي لتفرق بين الحق والباطل، والحلال والحرام. فالملائكة التي تنزل بالوحي.
- ٦- للإعذار من الله للعباد حتى لا يحتجوا بشيء عند الله، وللتخويف من الله تعالى بالعذاب إن لم يؤمن الناس.
- ٧، ٨- إن الذي توعدون به أيها الناس من مجيء القيامة والبعث والجزاء لكائن لا محالة. فإذا النجوم محقت وذهب نورها.
- ٩، ١٠- وإذا السماء فتحت وانشقت. وإذا الجبال قلعت من أماكنها، وصارت هباءً متناثراً.
- ١١- وإذا الرسل عُيِّن لها وقت تحضر فيه للشهادة على الأمم بالتبليغ.
- ١٢- لأي يوم عظيم أُخِّرت الرسل للشهادة على الأمم، وفي هذا تخويف وتهديد.
- ١٣- ليوم الفصل الذي يفصل فيه بين الخلاق بأعمالهم، إما إلى الجنة، وإما إلى النار.
- ١٤- وما أعلمكم ما يوم الفصل لهوله وشدته؟ وفي هذا تهويل لشأنه.
- ١٥- ألا هلاك وعذاب يوم القيامة. والويل: تهديد بالهلاك، للمكذبين بيوم القيامة وغيره.
- ١٦- ألم نهلك كفار الأمم الماضية حين كذبوا الرسل؟ كقوم نوح وعاد وثمود.
- ١٧- ثم نلحق بهم الكفار الآخرين أمثالهم، مثل مشركي مكة وقوم لوط وشعيب وموسى.
- ١٨- مثل ذلك الفعل تفعل بكل من أجرم، أي كفر أو أشرك، في الدنيا أو الآخرة.
- ١٩- هلاك وعذاب يوم القيامة للمكذبين بآيات الله وأنبيائه وبالبعث.

٢٠- ألم نخلقكم أيها الناس من نطفة مستقررة في نظر
الناس، ضعيفة ذليلة.

٢١، ٢٢- فجعلنا ماء المنى في مقر حصين، وهو
الرحم. إلى زمان معلوم هو وقت الولادة.

٢٣- فقد رنا على تصويره وخلقه، فنعم القادرون نحن.
وقدر وقدر التقدير المحكم بمعنى واحد.

٢٤- هلاك وعذاب للمكذبين بقدرتنا على الخلق أو
على البعث والإعادة.

٢٥- ألم نجعل الأرض وعاء وكافتة جامعة لهم،
وكفات: مصدر أريد به اسم الفاعل.

٢٦- تضم الأحياء على ظهرها، والأموات في بطنها.

٢٧- وجعلنا في الأرض جبلاً مرتفعة، وأسقيناكم ماء
عذباً. وهذا كله أعجب من البعث.

٢٨- هلاك وعذاب يوم القيامة للمكذبين بالنعم.

٢٩- تقول خزنة جهنم لهم: سيروا أيها الناس إلى ما
كذبتم به في الدنيا من العذاب.

٣٠- سيروا إلى ظل دخان جهنم ذي ثلاث فِرَق أو
فروع، فإنه تشعب لعظمته.

٣١- لا وقاية فيه من حر ذلك اليوم، ولا يدفع شيئاً من
لهب جهنم. وهو تهكم بهم.

٣٢- إن النار التي يخرج منها الدخان يطاير منها شرر
عظيم كالبناء العظيم في ارتفاعه وعظمته.

أَرَأَيْتُمْ كُمْ مِنْ تَمَؤْمِهِمْ ﴿٢٠﴾ جَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَهًا
مَعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَجَعَلْنَا مَاءَ الْمَنِيِّ فِي مَقْرٍ حَصِينٍ ﴿٢٣﴾ وَقَدَرْنَا عَلَىٰ تَوَسُّؤِهِ خَلْقَهُ وَخَلْقَنَا
أَرَأَيْتُمْ الْأَرْضَ كَمَا هِيَ ﴿٢٤﴾ أَحْيَاءُ وَأَمْوَاتٌ ﴿٢٥﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوَايَ
سَلْحَتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فَرَاثًا ﴿٢٦﴾ وَإِلَىٰ يَوْمِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٧﴾
أَنْطَلَقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٨﴾ أَنْطَلَقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ
شُعَبٍ ﴿٢٩﴾ لِأَظْلِيلٍ وَلَا يُبْنِي مِنْ آلِهَةٍ ﴿٣٠﴾ إِنَّمَا تَرْمِي بِشَرِّ
كَالْقَضَرِ ﴿٣١﴾ كَأَنَّهُ جَلَّتْ صَفْرٌ ﴿٣٢﴾ وَإِلَىٰ يَوْمِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٣﴾
هَذَا يَوْمٌ لَا يُبْطَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْبُدُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ يَوْمِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ هَذَا يَوْمٌ أَنْفَصَلْ جَمْعَتُكُمْ وَلَا أَوْلِيَانَ ﴿٣٧﴾ فَإِنْ كَانَ
لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا ﴿٣٨﴾ وَإِلَىٰ يَوْمِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا الْمُقَدِّرُونَ فِي
ظِلٍّ وَعُشُونٍ ﴿٤٠﴾ وَفَوَكَّهُ بِمَا تُشْهَرُونَ ﴿٤١﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا
بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٢﴾ إِنَّا ذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٣﴾ وَإِلَىٰ يَوْمِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٤﴾ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلاً إِنَّكُمْ مُّجْرِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَإِلَىٰ يَوْمِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آذِكُوا لِأَرْكُمُونَ ﴿٤٧﴾ وَإِلَىٰ
يَوْمِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٤٩﴾

٣٣، ٣٤- كأن الشرر المتطاير كالجمال الصفراء في الهيئة
واللون. ويطلق العرب الصَّفْرُ على ما يخالط صفاره سواد. هلاك وعذاب للمكذبين بهذا اليوم وأمواله ووعيد الله تعالى.

٣٥- هذا يوم القيامة الذي لا ينطق فيه الكفار المكذبون بحجة نافعة بعد الحساب.

٣٦- ولا يسمح لهم بالاعتذار، فيعتذرون عن جرائمهم في الدنيا من كفر وعصيان.

٣٧- هلاك وعذاب للمكذبين بأحداث هذا اليوم.

٣٨، ٣٩- هذا يوم الفصل الحاسم في القضاء بين الحق والمبطل، جمعناكم فيه أيها المكذبون من هذه الأمة، مع المكذبين
السابقين قبلكم. فإن كان لكم حيلة في دفع العذاب والخلاص منه، فافعلوا وانقذوا أنفسكم منه.

٤٠- هلاك وعذاب يوم القيامة لمن كذب بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر، إذ لا حيلة لهم في الخلاص من العذاب.

٤١- إن المؤمنين المتقين الشرك والمعاصي هم يعيشون في ظلال الأشجار، ويتمتعون بعيون الماء الجارية في الجنة.

٤٢- ويتمتعون بفواكه متنوعة من كل ما تشتهي أنفسهم.

٤٣- ويقال لهم: كلوا واشربوا متهينين بسبب ما كنتم تعملون في الدنيا من الأعمال الصالحة.

٤٤- إننا كما جزينا المتقين مجزي المحسنين أعمالهم.

٤٥- هلاك وعذاب يوم القيامة لهؤلاء المكذبين بهذا التعميم للمؤمنين، وبالبعث والحساب.

٤٦- ويقال للكفار المكذبين في الدنيا تهديداً لهم: كلوا وتمتعوا قليلاً بمتع الدنيا، إنكم مشركون بالله تعالى.

٤٧، ٤٨- هلاك وعذاب لهؤلاء المكذبين، كرر ذلك عشر مرات لزيادة التوبيخ والترغيب. وإذا قيل للكفار: صلوا واخضعوا
لأوامر الله، لا يصلون استكباراً وعناداً. قال مجاهد: نزلت في ثقيف، امتنعوا من الصلاة، فنزل ذلك فيهم.

٤٩- هلاك وعذاب يوم القيامة لمن كذب بالقرآن وأحكامه من أوامر ونواه.

٥٠- أي في أي كتاب بعد القرآن المعجز الوضح يصدقون إن لم يؤمنوا بهذا القرآن!؟

سورة النبأ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 عَرَسَاءَ لَوْنٍ ① عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ② الَّذِي فِيهِ تُخْتَلَفُونَ
 ③ كَلَّا سَمِعْتُمُونَ ④ ثُمَّ كَلَّا سَمِعْتُمُونَ ⑤ الرَّجُلَ الْجَلِيْلَ ⑥
 هَذَا ⑦ وَالْجِبَالَ أُرْتَادًا ⑧ وَطَائِفَكُمْ أُرْوَادًا ⑨ وَجَعَلْنَا
 نَوْمَكُمْ سَبَاتًا ⑩ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ⑪ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا
 ⑫ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَمَاوَاتٍ مُّشَدَّدَاتٍ ⑬ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَقَنَابًا ⑭
 وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً نَّجِيًّا ⑮ فَخَرَّجَ بِهِ جِبًّا وَأَنْبَاتًا ⑯ وَجَنَّبَ
 أَلْمَاقًا ⑰ إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ⑱ يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْوَاقُ فَأُتُونَ
 أَقْرَبًا ⑲ وَطُفِيَ النَّارُ فَكَانَتْ نُورِيًّا ⑳ وَسُيِّرَ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا
 ㉑ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ㉒ لِلظَّالِمِينَ نَابًا ㉓ لَيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا
 ㉔ لَا يَدْخُرُونَ فِيهَا رَبًّا وَلَا شِرَابًا ㉕ الْأَجْمِيَ وَعَسَافًا ㉖ جَزَاءَ مَا فَعَلُوا
 ㉗ إِنَّهُمْ كَانُوا لَارْجُونَ حِسَابًا ㉘ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ㉙ وَكُلَّ
 شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ㉚ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ㉛

- ١- عن أي شيء يسأل بعض المشركين بعضاً؟ والاستفهام تفخيم شأن ما يتساءلون عنه . أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن البصري قال : لما بعث النبي ﷺ جعلوا يتساءلون بينهم ، فنزلت : ﴿ عم يتساءلون .. ﴾ .
- ٢- والجواب : إنهم يتساءلون عن الخير الهائل المهم ، وهو يوم البعث والنشور .
- ٣- الذي هم يترددون فيه بين الإقرار والإنكار ، بين صدق ومكذب به .
- ٤- ﴿ كلا ﴾ : للردع لهم والزجر عن التساؤل ، إنهم سيعلمون ما يحل بهم من البعث والحساب ، فهو حق .
- ٥- ثم كلا ، سيعلمون بعد الموت صدق ذلك ، كرر ذلك للتأكيد والمبالغة في الوعيد ، فلا ينبغي أن يختلفوا في شأن البعث والقرآن الذي أخبر به ، فهو حق .
- ٦- ثم أورد الله تعالى أدلة من خلقه تسعة أشياء في غاية الإقناع على قدرته على البعث ، أولها : ألم يجعل الأرض بساطاً مهاداً كالقراش أو مهد الصبي .
- ٧ ، ٨- وجعلنا الجبال كالأوتاد في حفظ توازنها ، ولولا تتحرك . وخلقناكم زوجين ذكوراً وإناثاً .
- ٩- وجعلنا نومكم قطعاً لأعمالكم وراحة لأبدانكم .
- ١٠- وجعلنا الليل كاللباس في الستر والتغطية .
- ١١- وجعلنا النهار سبباً للحياة والمعاش ، ووقت عمل

وجد ، أي تحصيل ما به الحياة .

- ١٢ ، ١٣- وبينا فوقكم سبع سموات قوية محكمة البنيان . وجعلنا الشمس في السماء كالسراج (المصباح) .
- ١٤ ، ١٥- وأنزلنا من السحب والغيوم إذا حان وقت عصرها أي نزول مائها ماءً غزيراً كثيراً الهطول . فالمعصرات : السحب المملئة ماء . لتخرج بالماء حباً مقيتاً للإنسان كالخططة والشعير ونحوهما ، ونباتاً تأكله الدواب من حشيش ونحوه .
- ١٦- وساتين ملتفتة أغصانها على بعض ، لجودتها .
- ١٧- إن يوم الفصل وهو يوم القيامة الذي يفصل فيه بحكم الله بين الخلائق ، كان في حكم الله وقتاً محدداً للثواب والعقاب .
- ١٨- يوم ينفخ في البوق النفخة الثانية للبعث من القبور ، فتأتون من قبوركم جماعات مختلفة أو طوائف .
- ١٩- وشققتم وصدعت السماء ، فصارت ذات أبواب كثيرة .
- ٢٠- وأزيلت الجبال عن أماكنها ، قبل النفخة الثانية ، فصارت هباء منبثاً ، مثل السراب ترى بصورة الجبال وليست جبالاً .
- ٢١ ، ٢٢- إن جهنم كانت موضعاً للرصد والترقب ، يرصد فيه خزنة النار الكفار . للطغاة الكافرين ، بمخالفة أوامر الله ، مرجعاً .
- ٢٣- ماكين في جهنم دهوراً لا نهاية لها . والأحقاب : جَمْعُ حَقْب ، وهي جمع حقة : مدة من الزمن غير محددة .
- ٢٤- لا يدوقون في جهنم برداً لإطفاء الحر ، ولا شرباً لإرواء العطش . والبرد : هواء رطب يخفف الحر .
- ٢٥ ، ٢٦- إلا ماء حاراً شديد الغليان ، وسائلاً منتناً من جلود المعذنين . جوزوا بذلك جزاء موافقاً لأعمالهم وكفرهم .
- ٢٧- إن هؤلاء الكفار أهل جهنم كانوا لا يتوقعون حساباً على أعمالهم ، ولا يخافون محاسبة .
- ٢٨- وكذبوا بآيات الله في القرآن تكذيباً شديداً معانداً .
- ٢٩- وكل شيء من الأعمال سجلناه في كتاب هو صحيفة أعمالهم ، أو هو اللوح المحفوظ .
- ٣٠- يقال لهم في الآخرة عند التعذيب : فذوقوا جزاءكم ، فلن نزيدكم إلا عذاباً فوق عذابكم .

٣١- إن للمتقين بالتزام الأوامر واجتناب النواهي فوزاً ونجاة من النار أو مكان فوز بالتعميم.

٣٢- بساتين شجرة ومشجرة، وحقول العنب.

٣٣- ولهم فتيات عذارى في مستقبل العمر، متساويات في السن، والكواعب جمع كاعب: وهي الفتاة التي استدار ثديها ولم يتهدل.

٣٤- وإناء من الخمر التي لا تسكر مملوءاً، والمراد بالكأس: الخمر المائلة الأوعية.

٣٥- لا يسمعون في الجنة باطلاً من القول، ولا تكذيب بعضهم لبعض.

٣٦- جزاهم الله جزاء (ثواباً) بمقتضى وعده على صلاحهم، وأعطاهم عطاء كافياً فضلاً منه.

٣٧- رب السموات والأرض وما بينهما، الشامل الرحمة لكل شيء، لا يقدر على سؤال الله شيئاً كالشفاعة إلا بإذنه.

٣٨- يوم يقوم جبريل عليه السلام والملائكة مصطفين صفوفاً، لا يتكلم واحد منهم بطلب زيادة ثواب أو إنقاص عقاب إلا من أذن له الرحمن بالشفاعة، ونطق بالصواب، أي بالحق والصدق، بأن يكون المشفوع له موحداً الله تعالى.

٣٩- ذلك اليوم الثابت وقوعه، وهو يوم القيامة، فمن شاء اتخذ إلى ربه مرجعاً بالإيمان.

٤٠- إنا حذرناكم أيها الناس عذاباً قريب الوقوع في

إِنَّ الْمُتَّقِينَ مَعَالِ ۙ حَدَائِقٍ وَأَعْنَابٍ ۖ وَكَوَاعِبٍ أَكْرَابٍ ۖ وَكُنَاسًا ۖ يَدْخُلُونَ فِيهَا مِنْ أَعْيُنٍ مُّسَوَّمَةٍ وَأَعْيُنٍ لَا كُنُوسَ ۖ جَزَاءً مِمَّنْ تَرَكَ عَطَاءَهُ حِسَابًا ۖ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنَ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ۗ يَوْمَ يُنْفَخُ الْأُرُوقُ وَالْمَلَكُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ۗ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْخُلُقُ ۗ قَسَّ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَثَابًا ۗ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تَرَابًا ۗ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالرَّعِيَّتِ غَرَابًا ۖ وَالشَّطِيطِ نَشَابًا ۖ وَالسَّيِّئِ سَبَابًا ۖ فَالسَّيِّئِ سَبَابًا ۖ فَالْمُنِيرِ أَمْرًا ۖ وَوَرَجَّتِ الرَّاحَةَ ۖ تَبِعَهَا الرَّادِفَةُ ۖ قُلُوبٌ يُوسِدُ وَرِجَّةٌ ۖ أَبْصَارٌ خَشَعَةٌ ۖ يَقُولُونَ إِنَّا نَرُدُّونَ وَالْمَافِرَةُ ۖ أَوْدَاكُ عِطَابِ الْخَيْرَةِ ۖ قَالُوا لَيْتَ إِذَا كُنَّا عَاصِرَةً ۖ فَأَنَّمَا هِيَ تَجْرَةٌ فَحَدَّةٌ ۖ فَاذْهَبْ بِالسَّاهِرَةِ ۖ

يوم القيامة، يوم يرى المرء كل ما قدمه من خير أو شر، ويقول الكافر: يا ليتني أعود تراباً، فلا أعذب هذا العذاب.

سورة النازعات

- ١- أقسم بالملائكة التي تنزع أرواح الكفار نزاعاً شديداً مؤلماً، إغراقاً في النزاع من أجزاء الجسد.
- ٢- والملائكة التي تخرج أرواح المؤمنين برفق وسهولة.
- ٣- والملائكة التي تسبح (تنزل) من السماء مسرعة بأمر الله تعالى.
- ٤، ٥- والملائكة التي تسبق بالأرواح إلى مستقرها سبقاً فاتحاً. فالملائكة التي تنزل بتدبير ما أمرت به في الدنيا.
- ٦- يوم تضطرب الأرض والجبال وتتحرك، عند النفخة الأولى لموت جميع الخلق. والراجفة: الأرض عند زلزلتها.
- ٧- تلمح بها السماء والكواكب في الاضطراب والتشقق. وقيل: الراجفة: النفخة الأولى، والرادفة: النفخة الثانية.
- ٨- هناك قلوب يوم القيامة خائفة شديدة الاضطراب والانزعاج بسبب أهوال القيامة.
- ٩- أبصار أهلها ذليلة خاضعة عند معاينة الأهوال. وهم غير المؤمنين.
- ١٠، ١١- يقول الكفار منكرو البعث: أترد بعد الموت إلى الحياة؟ أأنذا صرنا عظاماً بالية سنرد ونبعث؟! قال منكرو البعث: تلك الرجعة إلى الدنيا تعد إذن رجعة خاسرة خائبة.
- ١٣- فلإنما هي صيحة واحدة تنفخ في القرن، وهي النفخة الثانية لبعث الناس من القبور.
- ١٤- فإذا كل الخلائق أحياء بارض بيضاء، بعد أن كانوا أمواتاً فيها. وقيل: الساهرة أرض بالشام.

١٥- هل بلغك أيها النبي خبر أو قصة موسى؟ والمراد التسرية عنه بسبب تكذيب قومه.
 ١٦- حين ناداه ربه بالوادي المبارك المطهر، وهو واد بأسفل جبل طور سيناء.
 ١٧- وقال له: اذهب إلى فرعون مصر، إنه تجاوز الحد في الكفر بالله والتكبر والفساد.
 ١٨- فقل له بلطف: هل لك رغبة أو ميل إلى أن تطهر من الكفر والمعاصي بتوحيد الله؟
 ١٩- وأرشدك إلى معرفة ربك والإيمان به، فتخاف عقابه بأداء الواجبات وترك المنكرات.
 ٢٠، ٢١- فذهب، فأرى موسى فرعون المعجزة الكبرى الدالة على صدق نبوته: وهي انقلاب العصا حية. فكذب فرعون بموسى، وعصى أمر ربه.
 ٢٢- ثم أعرض عن موسى والإيمان به، يسعى في الأرض بالفساد، وفي إبطال أمر موسى ورسالته.
 ٢٣- فجمع الناس، فأعلن منادياً في الجمع.
 ٢٤- فقال لهم: أنا ربكم الأعلى في ولاية أمركم، لا رب فوقي.
 ٢٥- فعاقبه الله للتكبر به والتعذيب وجعله عبرة لغيره بالإغراق في الدنيا، والإحراق بالنار.
 ٢٦- إن في ذلك العقاب لعظة لمن يخاف الله.
 ٢٧- أأنتم في تقديركم أصعب إيجاداً وأشق، أم خلق السماء أشد، إنه بناها بإحكام؟ والاستفهام توبيخ لمنكري البعث.

هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ مُوسَى ۝ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۝
 ۱۱ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ۝ فَذُكِّرْهُ لَعَلَّ إِلَىٰ أَنْ تَرَكَهُ ۝
 وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رِبِّكَ فَخَتَىٰ ۝ فَإِنَّهُ آيَةُ الْكُورَىٰ ۝ فَكَذَّبَ
 وَعَصَىٰ ۝ ثُمَّ أَذْبَرَ نَبِيَّ ۝ ففِرْعَوْنَ أَدَىٰ ۝ فَقَالَ تَارُوتُكُمْ الْأَهْلَ
 ۱۲ فَأَحْذَرَهُ اللَّهُ حَتَّىٰ كَالِ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ۝ إِن فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّمَن
 يَخْشَىٰ ۝ ۱۳ إِنَّ اللَّهَ أَشَدُّ حَقًّا مَّا لِسَمَاءِ بَيْنَهَا ۝ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا
 ۱۴ وَأَعْرَضَ لِبَنَاتِهَا وَأَخْرَجَ صُحَّهَا ۝ وَالْأَرْضَ مِدْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا
 ۱۵ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ۝ وَالْجِبَالَ أَرْسَلْنَا ۝ مَتَاعًا لَّكُمْ
 وَلَا تَلْمِزْهُمْ ۝ فَإِن جَاءَ مِنَّا فَتَاةٌ الْكُورَىٰ ۝ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ
 مَا سَعَىٰ ۝ وَوَرِثَ الْجِيمَ لِمَن رَّبَّىٰ ۝ فَأَقَامَن طُوًى ۝ وَهَ أَنزَ
 ۱۶ أَنْجُوهُ الدُّنْيَا ۝ فَإِنَّ الْحَبِيَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۝ وَأَتَمَّنَ خَافَ مَقَاءَ
 رَبِّهِ وَنَبَى النَّفْسَ عَنِ الْفَوَىٰ ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۝
 ۱۷ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا ۝ فِيْمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا
 ۱۸ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَا ۝ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مِّمَّنْ جُنَّهَا ۝
 ۱۹ كَمَا أَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَوْ لَبِئُوا الْأَعْشِيَّةَ أَوْ صَحَّهَا ۝

٢٨- جعلها عالية مرتفعة، أي مقدار ارتفاعها من الأرض وسماكتها باتجاه العلو رفيعاً، فجعلها مستوية الخلق معدلة.
 ٢٩- وجعل ليها مظلماً، وأبرز نهارها بضوء الشمس. والضحى: النهار. وفي الأصل: أول النهار.
 ٣٠- والأرض بعد إحكام السماء بسطها ومهدا للإنسان، مع أنها كروية، ليصلح العيش عليها.
 ٣١- أخرج من الأرض ماءها بتفجير العيون والأنهار، وأنبت نباتها الذي يرمى.
 ٣٢- والجبال نبثها في الأرض كالأتاد، لتلا تتحرك.
 ٣٣- خلق الله كل ذلك متعة ومنفعة لكم ولأنعامكم: جميع دوابكم ومواشيكم: وهي الإبل والبقر والغنم.
 ٣٤، ٣٥- فإذا جاءت الداهية العظمى وهي القيامة. يوم يتذكر الإنسان ما عمل في دنياه من خير أو شر.
 ٣٦- وأظهرت النار المحرقة لكل راء إظهارها لا يخفى على أحد.
 ٣٧، ٣٨- فأما من تكبر وتجاوز الحد، حتى كفر، وفضل الدنيا على الآخرة، بترك الاستعداد لها.
 ٣٩- فإن نار جهنم هي المستقر له، والمكان الذي يأوي إليه.
 ٤٠، ٤١- وأما من خاف الذات الأقدس وهو الله، وشدة الموقف بين يديه يوم القيامة، وكف النفس عن هواها وتباعد شهواتها. فإن الجنة هي مكان إيوانه، لا مأوى له سواها. والمراد أن المعاصي في النار، والطائع في الجنة.
 ٤٢، ٤٣- يسألونك، أي كفار مكة أيها النبي عن القيامة متى وقوعها وقيامها، ومتى يوجد الله؟ وسؤالهم استهزاء. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس: أن مشركي مكة سألو النبي ﷺ، فقالوا: متى تقوم الساعة؟ استهزاء منهم، فأنزل الله هذه الآية. في أي شيء أنت يا محمد من ذكرها لهم؟ أي ليس عندك علمها حتى تذكرها لهم.
 ٤٤- إلى ربك منتهى علمها، لا يعلم وقتها غيره.
 ٤٥- إنما ينفع تحذيرك من يخافها ويخشى أهوالها، أي إنما بعثت للإنذار بذلك.
 ٤٦- كان هؤلاء المنكرين للقيامة يوم يشاهدونها لم يكتفوا في الدنيا إلا بمقدار عشية يوم أوصحاه.

سورة عبس



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّى ۝١ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهِ بُرَىٰ ۝٣
أَو يُدْرِكُكَ فَنَنْقَعَهُ الْذِكْرَىٰ ۝٤ أَتَأْمَنُ بِاسْتِنْتَىٰ ۝٥ فَآتَتْ
لَهُ نَصْدَىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ الْاِبْرَىٰ ۝٧ وَأَتَمَّنْ جَاءَهُ لَيْسَىٰ ۝٨
وَهُوَ جُنَىٰ ۝٩ فَآتَتْ عَنْهُ نَلَىٰ ۝١٠ كَلَّا إِنَّمَا تَذَكُرَىٰ ۝١١
شَاءَ ذَكَرَىٰ ۝١٢ وَصِفْ شُكْرَىٰ ۝١٣ مَرْفُوعَةٌ مَطَهْرَىٰ ۝١٤
بِأَيْدِي سَفَرَىٰ ۝١٥ كَرَامِ بَرَزَىٰ ۝١٦ فَسَلِ الْإِنْسَانَ مَا كُنْهَىٰ ۝١٧
مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۝١٨ مِنْ طَعْفَةٍ خَلَقَهُ فَهَدَىٰ ۝١٩ ثُمَّ السَّبِيلَ
يَسْرَىٰ ۝٢٠ ثُمَّ أَمَّا هُوَ فَاذْهَبَ ۝٢١ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشُرَىٰ ۝٢٢ كَلَّا
لَمَّا يَبْضُرْ ۝٢٣ فَلَظُرْ الْإِنْسَانَ إِلَىٰ طَعَامِهِ ۝٢٤ أَنَّا صَبَّأْنَا
الْمَاءَ صَبًّا ۝٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۝٢٦ فَأَبْنَيْنَا فِيهَا جَبًّا ۝٢٧
وَعِجَابًا وَقَضَبًا ۝٢٨ وَزَيَّنَّا الْأَرْضَ زِينًا ۝٢٩ وَجَعَلْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٣٠
وَأَبًّا ۝٣١ مَسَا لَكُمْ وَلَا تَعْمَىٰ ۝٣٢ فَإِذَا جَاءَتْ لَصَاعَةُ ۝٣٣

١- قطب النبي ﷺ وجهه لانشغاله بهداية كبار قومه .
أخرج الترمذي والحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت :
أنزل الله ﷻ عبس وتولى في ابن أم مكتوم الأعمى ، أتى
رسول الله ﷺ ، فجعل يقول : يا رسول الله أوشدني ،
وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين ، فجعل
رسول الله ﷺ يعرض عنه ، ويقبل على الآخر ، فيقول له :
أتري بما أقول بأساً ؟ فيقول : لا ، فنزلت : عبس
وتولى ..

٢- لأجل أن جاءه الأعمى : ابن أم مكتوم .

٣- وما يُعلمك أيها النبي لعل الأعمى يتطهر من
الذنوب بما يسمع منك ، فيزداد إيماناً وعملاً صالحاً .

٤- أو تعظ بقولك ، فتفتحه المرعظة .

٥- أما من استغنى بثروته وماله وجاهه عن سماع القرآن
وما جئت به من الخير .

٦ ، ٧- فانت له تعرض وتقبل عليه أملاً في إسلامه .
وليس عليك بأس في ألا يتزكى بالإسلام ، حتى تحرص
عليه ، وتعرض عمن أسلم .

٨- وأما من جاءك مسرعاً لطلب العلم والمرعظة .

٩ ، ١٠- وهو يخاف عقاب الله ، وهو الأعمى ، فانت

تلهي وتشاغل عنه وتعرض .

١١- كلا ، لا تفعل مثل ذلك ، أيها النبي ، إن هذه الآيات

عظة تستحق العمل بها .

١٢- فمن أراد تعظ بالقرآن .

١٣ ، ١٤- إن هذه التذكرة مثبتة في صحف مكرومة شريفة عند الله ، رفيعة القدر عنده ، منزهة لا يمسه إلا المطهرون .

١٥- منسوخة بأيدي كتبة من الملائكة ينسخونها من اللوح المحفوظ ، ويسفرون بالوحي بين الله ورسوله .

١٦- ملائكة مكرمين أعزاء على الله تعالى ، أتقياء مطيعين لله تعالى .

١٧- لئن الإنسان الكافر ما أشد كفره ! دعاه عليه بأشنع الدعوات .

١٨- من أي شيء خلق الله هذا الكافر؟ بيان لما أنعم عليه ، والاستهزام للتحقير .

١٩- خلقه من ماء مهين ضئيل ، وأنشأه مقدراً وجوده في أطوار مختلفة ، وقدر له أعضاء لمصلحة نفسه .

٢٠ ، ٢١- ثم سهل ولادته ، ويسر له طريق الخير والشر ليختار أحدهما . ثم أماته بأجله ، فجعله في قبر يستره تكريماً له .

٢٢- ثم إذا أراد ، بعثه بعد الموت للحساب والجزاء . والإنشاز : الإحياء بعد الموت في الوقت المراد له .

٢٣- كلا ، لردع الإنسان عن الكفر ، لم يفعل الإنسان ما أمر الله به من العبادة والشكر بنحو كامل إلا القليل .

٢٤- فليتنظر الإنسان نظرة تأمل وتفكر كيف أوجد الله له مطعمه الذي هو سبب حياته؟

٢٥ ، ٢٦- أننا أنزلنا المطر إنزالاً سخياً كثيراً . ثم شققنا الأرض بالنبات شقاً محكماً لائقاً بما يخرج منه صغيراً أم كبيراً .

٢٧ ، ٢٨- فأبنتنا في الأرض حباً كالخطة والشعير ، وأعناياً ، وكل ما يقطع أخضر طرياً ، ومنه برسيم الدواب .

٢٩ ، ٣٠- وأشجار زيتون ونخيل ، ويسنين ضخمة كثيرة الأشجار .

٣١ ، ٣٢- وفاكهة مختلفة الألوان والأنواع ، وعشباً للدواب ، خلقها الله منفعة لكم ولجميع حيواناتكم .

٣٣- أي إذا جاءت القيامة أو صيحتها التي تصخ الأذن ، أي تصمها فلا تسمع .

٣٤-٣٦: يوم يفر (يهرب) المرء من أخيه؛ لأنه يستنصر به عادة، وأمه وأبيه، وزوجته، وأولاده الذكور؛ وهم أقرب القرابة، وأولاهم بالشفقة، ولكن الفرار منهم لهول أشد وأعظم.

٣٧- لكل امرئ منهم حال يشغله ويصرفه عن الأفتاب، فلا يفكر إلا في نفسه.

٣٨، ٣٩- وجوه المؤمنين يوم القيامة مضيئة متهللة، ضاحكة مستبشرة بما تراه من النعيم.

٤٠، ٤١- وجوه الكافرين يومئذ عليها غبار وكدورة، تغشاها ظلمة وذلة، لما تراه من العذاب.

٤٢- أولئك هم المتصفون بالكفر والفسق؛ وهو العصيان والخروج عن حدود الله تعالى.

سورة التكويد

فضلها: أخرج الإمام أحمد والترمذي والحاكم عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة، كأنه رأي عين، فليقرأ: ﴿إذا الشمس كورت﴾ [التكويد ١/٨١] و ﴿إذا السماء انفطرت﴾ [الانفطار ١/٨٢] و ﴿إذا السماء انشقت﴾ [الانشقاق ١/٨٤].

١- إذا الشمس لُتت وطويت وأزيل ضوءها

ونورها. هذه الأحداث الـ (١٢) هنا تحدث من أول زمن النسخة الأولى إلى انقضاء الحساب وإعلان الجزاء، ومنها يكون بعد النسخة الثانية.

٢، ٣- وإذا النجوم تساقطت وتهاوت على الأرض. وإذا الجبال قلعت من أماكنها بزلزلة الأرض.

٤- وإذا أهملت النوق الحوامل التي مضى على حملها عشرة أشهر، وبقي على وضعها شهران فقط، وهي من أنفس أموال العرب، والعشار: جمع عُشراء. وهذا كناية عن انشغال الإنسان بنفسه.

٥- وإذا الوحوش جمعت بعد البعث ليقصص من بعضها لبعض، ثم تصير تراباً.

٦، ٧- وإذا البحار أوقدت، فصارت ناراً تَحترق بالبركان والزلازل. وإذا النفوس قرنت فيها الأرواح بالأجساد.

٨، ٩- وإذا البنت المدفونة حية خوف العار أو الحاجة سئلت: بأي ذنب قتلت؟ وهذا سؤال توبيخ لقاتلها بغير ذنب.

١٠، ١١- وإذا صحف الأعمال فتحت وبسطت. وإذا السماء قلعت كما يفلح السقف.

١٢، ١٣- وإذا النار أجمت وأوقدت إيقاداً شديداً. وإذا الجنة قُربت وأدبنت لأهلها المتقين لدخولها.

١٤، ١٥- علمت نفس ما قدمت من خير أو شر. أقسم- ولا زائدة لتأكيد الخبر- بالكواكب التي تظهر في الليل وتختفي في النهار تحت ضوء الشمس، وهي رُحُل والمشتري والزهرة وعطارد.

١٦- الكواكب السيارة التي تجري مع الشمس في النهار، وتستتر في ضوء الشمس.

١٧، ١٨- وأقسم بالليل إذا أقبل بظلامه، أو أدبر، فهو من الفاظ الأضداد. والصبح إذا أقبل وأضاء بنوره.

١٩- إن هذا القرآن لقول أجراء الله على لسان رسول مكرم عند الله هو جبريل عليه السلام، لكونه نزل به من جهة الله تعالى على رسوله محمد ﷺ.

٢٠- على لسان رسول ذي قدرة كبيرة، وحافظة فائقة، وذو منزلة رفيعة عالية عند الله سبحانه.

يَوْمَ يُعْرَأُ الرَّءْيُ مِنْ أَخِيهِ ١١ وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ ١٢ وَصَلَاتُهُ وَبَيْنَهُ ١٣
لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُنَّ يَوْمٌ يَدُ شَأْنٍ بَيْنَهُ ١٤ وَوَجْهٌ يَوْمَئِذٍ
سُمْرَةٌ ١٥ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ١٦ وَوَجْهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا
عَبْرَةٌ ١٧ نَزْفُهَا قَرَّةٌ ١٨ أَوْلَيْكَ هُمُ الْكُهْرُ الْفَجْرَةُ ١٩



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ١ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ٢ وَإِذَا الْجِبَالُ
سُيِّرَتْ ٣ وَإِذَا الْمَآرِ عُظِّمَتْ ٤ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ٥
وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ٦ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ٧ وَإِذَا
النَّوَارُ سُيِّمَتْ ٨ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ٩ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ١٠
وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ١١ وَإِذَا الْجِبَةُ سُعِّرَتْ ١٢ وَإِذَا
الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيََتْ ١٤ فَلَا أَقْبَلَ الْبُحْسِ
١٥ نَجْوَا الْكُنُوسِ ١٦ وَاللَّيْلُ إِذَا غَمَسَتْ ١٧ وَالصُّبْحُ إِذَا انْفَسَتْ
١٨ اللَّهُ لَقَوْلِ رَسُولٍ كَرِيمٍ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ٢٠

نُطْعَاحٌ ثُمَّ أَمِينٌ ﴿١٦﴾ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿١٧﴾ وَقَدْ رَدَّ لَوْ بِالْأُنْفِ
الْمُئِينِ ﴿١٨﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَلِيلٍ ﴿١٩﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ
رَّجِيمٍ ﴿٢٠﴾ فَإِنَّ نَازِعَاتِهِنَّ أَنْ هُوَ الْأَذَى الذُّرَّ الْعَالِينَ ﴿٢١﴾ لِمَنْ شَاءَ
مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٢﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انشَدَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُوقَتْ ﴿٣﴾
وَإِذَا الضُّفُورُ انشَدَتْ ﴿٤﴾ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَقْدَمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾
يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَفَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾
فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَبُّكَ ﴿٨﴾ كَلَّا لَنْ نَذُوقُونَ بِالَّذِينَ ﴿٩﴾ وَإِنْ
عَلَيْكُمْ لَحِطْفِينَ ﴿١٠﴾ وَكَمَا كُيِّبَ ﴿١١﴾ يَلْمُونَ مَا لَمْ يَلْمَعُوا ﴿١٢﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ
لِرَبِّهِمْ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ لِنَجَارِ لِرَبِّهِمْ ﴿١٤﴾ يَصَلُّونَ أَيَّامَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ
عَنْهَا بِعَابِدِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَذْرَكَ مَا يُؤْمَرُونَ
الَّذِينَ ﴿١٨﴾ بَوْرَ لَا تَمْلِكُ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْآخِرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾

٢١- تطيحه الملائكة في السماء في الملائكة الأعلى، أمين على الوحي والرسالة.

٢٢- وما صاحبكم محمد ﷺ يا مشركي مكة بمجنون، كما زعمتم، فأنتم عاملون بأمره وعقله وحكمته فهو صاحبكم.

٢٣- ولقد رأى النبي ﷺ جبريل عليه السلام على صورته الحقيقية، وهو في مطلع الشمس الأعلى، له ست مئة جناح.

٢٤- وما محمد ﷺ على الوحي وخبر السماء الغيبي ببخيل مقصر بالتعليم والتبليغ.

٢٥- وما هذا القرآن بقول شيطان مسترق السمع، مرجوم مطرود من رحمة الله تعالى.

٢٦- فأى طريق تسلكون بعد إنكاركم القرآن!

٢٧- ما هذا القرآن إلا تذكير وعظة للعالمين.

٢٨- لمن أراد منكم أن يستقيم على الطريق الواضح باتباع الحق والإيمان بالإسلام.

٢٩- وما تشاؤون الاستقامة على الحق إلا وقت أن يشاء الله لكم ذلك، هو مالك الخلق كلهم.

سورة الانفطار

فصلها: أخرج الإمام أحمد والترمذي - كما تقدم -

عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال: «من سره أن ينظر إلى القيامة رأي العين، فليقرأ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير ١/٨١] و﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار ١/٨٢] و﴿إِذَا السَّمَاءُ انشقت﴾ [الانشقاق ١/٨٤].

١، ٢- إذا السماء تشققت، وإذا الكواكب تساقطت متفرقة.

٣، ٤- وإذا البحار شققت جوانبها وزالت الحواجز بينها، فصارت بحراً واحداً، وإذا القبور قلب ترابها على موتاها، وبعث من كان في جوفها من الأموات.

٥- علمت نفس يوم القيامة ما قدمت من أعمال، وأخّرت منها فلم تعمل بها بسبب الكسل.

٦، ٧- يا أيها الإنسان (المراد جنس الإنسان) ما الذي خدعك وجراك على عصيان ربك. أخرج ابن أبي حاتم قال: نزلت في أبي بن خلف. الذي أوجدك، فجعل أعضائك سوية سالمة ناعمة، وجعلك معتدل القامة متناسب الخلق.

٨- ربك وكونك في أي صورة من أعجب الصور وأحكمها دون أن تختار صورة لنفسك.

٩- كلا: للرد عن الاعتراض بكرم الله تعالى، بل: للانتقال من موضوع لآخر، تكذبون بالحساب والجزاء الأخرى على الأعمال.

١٠- وإن عليكم لملائكة حافظين أعمالكم، يسجلون كل شيء ويكتبونه في صحائفكم.

١١، ١٢- مكرمين عند الله، كاتبين لكل صغيرة وكبيرة. يعلمون جميع الأفعال.

١٣، ١٤- إن المؤمنين الصادقين في إيمانهم لفي نعيم الجنة. وإن الكفار التاركين لشرع الله لفي نار محرقة.

١٥، ١٦- يدخلونها ويقاسون حرها يوم الجزاء في الآخرة. وما هم عن النار بخارجين منها، لخلودهم فيها.

١٧، ١٨- وما أعلمك ما حقيقة يوم الجزاء والحساب، ثم ما أدراك ما ذلك، وكرر الجملة للتضخيم وشدة الهول.

١٩- يوم لا تملك نفس شيئاً من المنفعة لنفس أخرى، والأمر كله يوم القيامة لله وحده، لا أمر لغيره فيه.



سورة المطفين

- ١- هلاك وعذاب للأخذين بالكيل أو الوزن شيئاً طفيفاً، أي قليلاً، إما بالنقصان إن كالتوا، أو بالزيادة إن اكتالوا. أخرج النسائي وابن ماجه بسند صحيح عن ابن عباس قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة، كانوا من أبيض الناس كيلاً، فأنزل الله: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّينَ﴾ فأحسوا الكيل بعد ذلك.
- ٢- الذين إذا أخذوا من غيرهم حقوقهم، أخذوا الكيل وافيًا كاملاً.
- ٣- وإذا كالتوا لغيرهم أو وزنوا نقصوا الوزن.
- ٤- ألا يخطر ببال هؤلاء المطفين أنهم مبعوثون، فيحاسبون على أعمالهم، فهلا تدبروا عاقبة أمرهم؟
- ٥، ٦- أنهم مبعوثون في يوم عظيم خطره وهوله وهو يوم القيامة، يوم يقوم الناس من قبورهم أمام ربهم للحساب والجزاء.
- ٧- كلا: حرف لتنبية السامع لأهمية ما بعده، إن كتاب (المكتوب) الكفار في سجل أهل النار.
- ٨- وما أعلمك ما كتاب سجين؟ سجل أهل النار.
- ٩- كتاب مسطور بين، أو معلم، دوت فيه أسماء الفجار، يعلم من يراه أن ما فيه شر كله.
- ١٠- هلاك وعذاب يوم القيامة للمكذبين بالحق من القرآن والبعث.

سُورَةُ الْمَطْفِينِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِلْمُطَفِّينَ ١ الَّذِينَ إِذَا كَانُوا عَلَى النَّاسِ سَبَوْنَ ٢
وَإِذَا كَانُوا لَهُمْ أَوْزَارُهُمْ تِيْسِرُونَ ٣ أَلَا يُظَنُّ أَوْلَئِكَ أَنَّهُمْ
مَبْعُوثُونَ ٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ رَبًّا عَلِيمٍ ٦ كَلَّا
إِنْ كَذَّبَ الْتَبَارِكُ لَفِي سَجِينٍ ٧ وَمَا أَدْرَاكَ بِسَجِينٍ ٨ كَذَّبَتْ ثَمُودُ
بِطَوْعِ اللَّكْدِيِّينَ ٩ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ١٠ وَمَا يَكْتُوبُ بِهِ
إِلَّا الْأُكْتُمَاتُ ١١ إِذْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِ الْإِسْبَاطَ ١٢ الْأُولَى ١٣ كَلَّا لَئِنْ
رَأَى عَلَى ثَمُودٍ مَا كَانُوا يُكْسِبُونَ ١٤ كَلَّا لَأَنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ أَعْمَتُوا ١٥
فَأَنزَلْنَا لَهُمْ لُصَالًا ١٦ أَلْوَجْهَ ١٧ ثُمَّ بَقِيَ هَذَا الَّذِي كُتِبَ بِكَ ١٨
كَلَّا لَأَن كَذَّبَ الْأُزْلُجَ ١٩ وَالْمَآءَ ٢٠ وَالْمَآءَ ٢١ كَتَبَتْ مُرُوءَةٌ ٢٢
بِشَهَادَةِ الْمُتَرَوِّتُونَ ٢٣ إِنْ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ٢٤ عَلَى
الْأَدَاكِ يَنْظُرُونَ ٢٥ تَرْفُوفٍ فِي جُودِهِمْ ٢٦ ضَرَّةَ التَّعِيمِ ٢٧ يُسْقَوْنَ مِنْ
رَيْحٍ مُخْمَرَةٍ ٢٨ خَمُّهُمُوسٌ ٢٩ فِي ذَلِكَ فَلْيَنصُرُوا ٣٠

- ١١- الذين يكذبون بوقوع يوم الحساب والجزاء.
- ١٢- وما يكذب بيوم القيامة إلا كل متجاوز الحدود في الكفر، كثير الأثام والمعاصي.
- ١٣- إذا تتلى على هذا المكذب آيات القرآن، قال عنها: حكايات وأكاذيب وأباطيل وخرافات القدماء.
- ١٤- كلا: للردع والزجر عن هذا القول، ليس القرآن أساطير الأولين، بل غطى على قلوبهم حجاب منع عنهم أسباب الهداية، وهو ما كسبوه من الذنوب والسيئات.
- ١٥- كلا: حرف تنبيه لما بعده، إن الكفار محجوبون ممنوعون عن ربهم يوم القيامة، لا ينظرون إليه كالمؤمنين.
- ١٦- ثم إن الكفار لدخلوا النار المحرقة وملازموها.
- ١٧- ثم تقول لهم خزنة جهنم: هذا هو العذاب الذي كتتم به تكذبون في الدنيا.
- ١٨- كلا: للتنبيه كما تقدم، إن مكتوب أو صحيفة المؤمنين الصادقين لم يثبت في ديوان الخير وسجل البررة.
- ١٩، ٢٠- وما أعلمك ما كتاب عليين؟ وهذا للتعظيم، إنه كتاب البررة، إنه كتاب مسطور بين الكتابة أو معلم بعلامة.
- ٢١- يشهد كتابة ذلك الكتاب ويحضره الملائكة المقربون، الذين لهم عند ربهم منزلة خاصة.
- ٢٢، ٢٣- إن أهل الإيمان والطاعة لفي نعيم الجنة الخالد. على الأسرة المفروشة ينظرون إلى ما أعطوا من النعيم والتكريم.
- ٢٤- تعرف في وجوه البررة بهجة النعم وحسنه ويريقه ورونقه.
- ٢٥- يُسْقَوْنَ مِنْ شَرَابٍ خَالِصٍ لَا غَشَّ فِيهِ وَلَا فُسَادٍ: وهو الخمر غير المسكرة، ختم إناءه ومنع من مساس الأيدي.
- ٢٦- غطاؤه فتوح منه رائحة المسك، وفي ذلك فليترغب الراغبون، ويتسابق المتسابقون بالمبادرة إلى طاعة الله تعالى.

٢٧- وما يمزج به ويخلط الرحيق من ماء ينصب عليهم من مكان مرتفع.

٢٨- والتسليم: عين ماء يشرب منها الأبرار.

٢٩- إن الذين كفروا من كبراء مكة وأشرفها ونحومهم كانوا من المؤمنين يستهزئون في الدنيا. نزلت في أكابر المشركين كأبي جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمي، كانوا يضحكون من عمار وصهيب وبلال وغيرهم من فقراء المسلمين ويستهزئون بهم.

٣٠- وإذا مر المؤمنون بالكفار، يغمز بعضهم بعضاً بأعينهم استهزاء. والغمز: إرخاء الجفن والحاجب استهزاء.

٣١- وإذا رجع المجرمون إلى منازل أهلهم، رجعوا متلذذين باستهزائهم بالمؤمنين.

٣٢- وإذا رأى الكفار المؤمنين قالوا: إن هؤلاء لفي ضلال وبعد عن الصواب لإيمانهم بمحمد ﷺ.

٣٣- ولم يرسل الكفار على المؤمنين حافظين لأعمالهم، رقباء يهيمنون على أعمالهم.

٣٤- ففي يوم القيامة، المؤمنون يضحكون من الكفار حين يرونهم أذلاء معذبين.

٣٥- على الأسرة المفروشة ينظرون من منازلهم إلى الكفار، وهم يعذبون في النار.

٣٦- هل كوفي أو جوزي الكفار على أعمالهم التي

وَمَرَّاجُهُمْ مِنْ تَسْبِيرٍ ﴿٣٧﴾ عَسَىٰ أَشْرَبُ بِهَا الْقُرْبُونَ ﴿٣٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَعْرَضُوا كَأَنَّمِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَصْضَكُونَ ﴿٣٩﴾ وَإِذَا تَوَلَّوْا يَمُوجُونَ ﴿٤٠﴾ وَإِذَا تَوَلَّوْنَا إِلَىٰ أَهْلِهَا تَقْبَلُونَهُمْ ﴿٤١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمُ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَأَصْحَابُ الْكَفَرِ ﴿٤٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٤٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٤٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٤٥﴾ هَلْ يُؤِيبُ الْكَفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذْنُ رَبِّهَا وَصُفَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذْنُ رَبِّهَا وَصُفَّتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلِيقُهُ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْلَهُ بِئَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يَحْاسِبُ حِسَابًا سَعِيدًا ﴿٨﴾ وَيَقْلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْلَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا بُرُورًا ﴿١١﴾ وَيَصِلُ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾

فعلوها في الدنيا من الاستهزاء والسخرية؟ والتثويب معناه المجازاة، واشتهر في المجازاة بالخير، فكان استعماله هنا تهكمًا بالكفار.

سورة الانشقاق

فضلها: تقدم في حديث سابق في مطلع سورتي التكوير والانفطار، وأخرج مسلم والنسائي: أن أبا هريرة قرأ بهم: ﴿إذا السماء انشقت﴾ فسجد فيها، فلما انصرف أخبرهم أن رسول الله ﷺ سجد فيها.

- ١- إذا السماء تشققت وتصدعت.
- ٢- وانقادت لأمر ربها واستمعت، أي حصل ما أَرَادَهُ اللهُ مِنْهَا مِنَ الانشقاق، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَسْمَعَ وَتَمْتَلِ.
- ٣- وإذا الأرض بسطت ومُدَّتْ كما يمد الجلد بزوال جبالها وقذف جميع ما فيها.
- ٤- وألقت ما فيها من الموتى والكنوز إلى ظاهرها، وخلت خلواً تاماً مما كان في جوفها.
- ٥- وانقادت لأمر ربها واستمعت، وحُقَّ لها ذلك.
- ٦- يا أيها الإنسان إنك مجاهد وجاد في عملك إلى لقاء ربك، فملاق عملك من خير أو شر يوم القيامة.
- ٧، ٨- فأما من أعطي كتاب أعماله يمينه، وهو المؤمن. فسوف يحاسب في الآخرة حساباً سهلاً لا نقاش فيه.
- ٩- ويرجع إلى أهله الذين في الجنة من الزوجة والأولاد وعشيرته المؤمنين فرحاً بحسابه السير.
- ١٠- وأما من أعطي كتاب أعماله بشماله على كره منه من وراء ظهره، وهو الكافر.
- ١١- فسوف يدعو على نفسه بالهلاك قائلاً: يا بُرُوراه ليستريح. والبور: الهلاك.
- ١٢، ١٣- ويدخل ناراً مستعرة. إنه كان بين أهله وعشيرته في الدنيا فرحاً بطراً باتباعه الهوى.



إِنِّي لَأَنْزِلُكَ أَجْرًا لَئِن رَّبَّكَ كَانَ مِنْ مُبْصِرِينَ ﴿١٥﴾ فَلَا أَقْسَمُ بِالسَّمَوَاتِ
وَاللَّيْلِ وَالنَّوْاسِقِ ﴿١٦﴾ وَالْقُرْآنِ إِذَا تَنَسَّقَ ﴿١٧﴾ لَتَكُنَّ مِنْكُمْ جَلْدَةٌ نَسِيَّةٌ
طَبِقَتْ لَكُمُ الْعَاقِبَةَ لَأَيُّكُمْ أَتَىٰ نَهْرَهُ مِنَ الْعَذَابِ لَو أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾
بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٠﴾ فَسَتَرْنَا
بِعَذَابِنَا أَعْيُنَهُمْ فَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِنَ النُّجُومِ فَاصْبِرُوا لَهَا عَجْرًا مِمَّنْ يَنْسَوْنَ ﴿٢١﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾
فَلْيَصْحَبْ أَعْدُوهُ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُجُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾
وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَرُوا مِنْهَا لَأَن يُؤْمِنُوا
بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَبْدُوا لَهُمْ عَذَابَ
جَهَنَّمَ وَاللَّهُ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
جَنَّاتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾

١٤- إنه اعتقد أن لن يرجع إلى ربه للحساب الأخرى .
١٥- بلى إنه يرجع إليه، إن ربه كان به بأعماله عالماً
خبيراً، فلا يهمله ويعيده. وبلى: لإبطال ما قبله وإثبات ما
بعده، أي لا بد من رجوعه .

١٦-١٨: أقسم بالسفق، أي الحمرة التي ترى في الأفق
الغربي بعد غروب الشمس، وتمتد إلى وقت العشاء. وبالليل
وما ضمّ وجمع ما دخل عليه في ظلامه. وبالقمر إذا تمّ نوره
في ليال ثلاث من كل شهر وهي ١٣، ١٤، ١٥ .

١٩- لتلائم أيها الكفار أحوالاً من شدائد القيامة، بعضها
فوق بعض وهي الموت ثم البعث، ثم السوق إلى المحشر. ثم
الوقوف للحساب .

٢٠، ٢١- فما لهؤلاء الكفار أو المشركين لا يؤمنون بالله
واليوم الآخر؟ وقد أقيمت لهم البراهين على ذلك. وإذا تلى
عليهم القرآن لا يخضعون لأمر الله، بأن يؤمنوا بالقرآن
لإعجازه .

٢٢، ٢٣- بل الكفار يكذبون بالقرآن والبعث والحساب .
والله أعلم بما يضمرون في صدورهم من الشرك أو الكفر
وعداوة الإسلام .

٢٤- فأخبرهم محلاً لهم بعذاب مؤلم، والمراد بالبشارة
الإخبار تهكماً واستهزاء بهم .

٢٥- لكن الذين آمنوا بالله ورسوله وبالقيامة، وعملوا بما
أمر الله واجتنبوا المعاصي، لهم ثواب غير مقصود ولا
مقطع ولا ين به عليهم .

سورة البروج

فضلها: أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في العشاء الآخرة بـ ﴿ذات البروج﴾
و﴿السماء والطارق﴾ [الطارق / ٨٦ / ٤١].

- ١- أقسم بالسماء ذات منازل الكواكب، وهي اثنا عشر برجاً لاثني عشر كوكباً، منها الشمس.
- ٢- وأقسم باليوم الذي وعده الله به عباده للحساب والجزاء، وهو يوم القيامة.
- ٣- ويكل شاهد على غيره في ذلك اليوم، ومشهود عليه بالأفعال التي ارتكبها، ويشمل الرسل والأمم.
- ٤- لئن أصحاب الشق المستطيل المحفور في الأرض، وهم قوم كفار أحرقوا جماعة من المؤمنين في أخدود باليمن، وهم نصارى بجران، الذين كانوا على دين التوحيد.
- ٥، ٦- النار ذات اللهب الشديد بما توقد به، حين كانوا قاعدين على حافة أخدود النار.
- ٧- وهم حضور على ما يفعلون بتعذيب المؤمنين بالله، بالإلقاء بالنار.
- ٨- وما أنكروا وعبأوا عليهم إلا أنهم يؤمنون بالله وحده.
- ٩- مالك السموات والأرض، فهو حقيق بالإيمان به وتوحيده، والله شاهد عالم مطلع على ما فعلوه ومجازيهم.
- ١٠- إن الذين ابتلوا واختبروا المؤمنين والمؤمنات بالأذى والإحراق لردهم عن دينهم، ثم لم يتوبوا من قبح فعلهم، لهم يوم القيامة عذاب جهنم بكفرهم وإحراقهم المؤمنين، ولهم عذاب جهنم المحرق أو العذاب شديد الإحراق، وهذا بيان لما سبق.
- ١١- إن الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر، وعملوا صالح الأعمال التي أمر الله بها، لهم يوم القيامة جنت تجري من تحت غرفها وبساتينها الأنهار، ذلك هو النجاح الأكبر الذي لا يعادله نجاح آخر.

إِنْ بَطَسَ رَبِّكَ لَشَدِيدٍ ﴿١١﴾ إِنَّهُ هُوَ سَيِّدُنَا وَيُعِيدُ ﴿١٢﴾ وَهُوَ الْعَاقِبُ ﴿١٣﴾
 أَوْدُودٍ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدِ ﴿١٥﴾ فَعَالِمٌ لِمَ يَرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أُنثِيَكَ حَدِيثُ
 الْجَنُودِ ﴿١٧﴾ وَعَوْنُ وَمَعُونٍ ﴿١٨﴾ بِأَلِّ لَيْلٍ كَهْرُ وَا فِي تَكْدِيبِ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ
 وَرَاءِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ لَنْ هُوَ قَرَأَنُكَ مُجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْضُومٍ ﴿٢٢﴾

سُورَةُ الطَّارِقِ ﴿٨٦﴾
 مَكِّيَّةٌ
 آيَاتُهَا (١٧)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾
 إِنْ كُلُّ نَافِثٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ
 مَاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِ وَالْخَلْبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ
 لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ سِنَّاتُ الْوُجوهِ ﴿٩﴾ فَأَلْهَمَ فِئْتَانٍ مِنْ قُوَّةٍ لِأَنَّهُمْ كَانَتَا
 آتِجَتِ ﴿١٠﴾ وَالْأَرْضُ ذَاتُ الصَّدْعِ ﴿١١﴾ إِذْ أُنزِلَتْ فَضَلَّتْ ﴿١٢﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا لَمْرَلٌ
 ﴿١٣﴾ أَنْتُمْ كِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٤﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٥﴾ فَمَعَلِ الْكَافِرِينَ مَهْلِكُهُمْ وَوَيْدًا ﴿١٦﴾

سُورَةُ الطَّارِقِ ﴿٨٦﴾
 مَكِّيَّةٌ
 آيَاتُهَا (١٧)

١٢- إن أخذ ربك بشدة وعنف لبالغ الشدة، والمراد أنه تعالى مضاعف تعذيبه بالكفار.

١٣- إن الله ينشئ الخلق في البدء، ثم يعيدهم أحياء بعد الموت يوم القيامة.

١٤، ١٥- وهو سبحانه الكثير المغفرة للثائنين، المحب لهم. إنه تعالى خالق العرش ومالكه وصاحبه، العظيم الجليل في ذاته وصفاته.

١٦- أي كثير الفعل، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لا معقب لحكمه.

١٧- هل بلغك أيها الرسول خبر الأرقام الذين حاربوا الرسل الكرام وقتلواهم؟

١٨- أولئك الجنود المجندة لمحاربة الرسل هم جنود فرعون وأتباعه في مصر، وقبيلة ثمود قوم صالح، والمراد ما وقع منهم من الكفر والعدا، وتعذيبهم في النهاية.

١٩- بل هؤلاء الكفار العرب في تكذيب شديد لك أيها الرسول وللقرآن، ولم يتعظوا بمن قبلهم من الكفار. و ﴿بل﴾ لإبطال أسباب تكذيبهم وإثبات الحق، أي إن حال كفار قريش أعجب من السابقين.

٢٠- والله محيط بهم قادر عليهم لا يفوتونه، فهم في قبضته وسلطانه، سيُعذبهم كما عذب من قبلهم.

٢١- بل إن هذا القرآن قرآن شريف عظيم معظم، وليس كما زعموا أنه شعر أو كهانة أو سحر.

٢٢- مكتوب في لوح مصون عن الشياطين من الزيادة والنقص، وهو أم الكتاب أو اللوح المحفوظ.

سورة الطارق

فضلها: أخرج النسائي عن جابر بن عبد الله قال: صلى معاذ المغرب، فقرأ البقرة والنساء، فقال النبي ﷺ: أتان يا معاذ! ما كان يفتيك أن تقرأ ب ﴿والسما والطارق﴾ و ﴿والشمس وضحاها﴾ [الشمس ١/٩١] ونحوها؟!

- ١- أقسم بالسما والكوكب الطالع ليلا. وسمي بالطارق لأنه يأتي ليلاً ويخفي بالنهار.
- ٢، ٣- وما أعلمك أيها النبي ما الطارق؟ في التساؤل تعظيم لشأن الطارق. النجم المضيئ الثاقب بضوئه ظلمة الليل.
- ٤- ما كل نفس إلا عليها حافظ من ربه، موكل بحراستها، وإحصاء أعمالها، وهم الملائكة الحفظة.
- ٥- فلينظر الإنسان نظرة تأمل واعتبار من أي شيء خلقه ربه؟! أخرج ابن حاتم عن عكرمة في قوله: ﴿فلينظر الإنسان مم خلق﴾ قال: نزلت في أبي الأشد بن كلدة الجمحي، كان يقوم على الأديم (الجلد) فيقول: يا معشر قريش، من أزالني عنه فله كذا، ويقول: إن محمداً يزعم أن خزنة جهنم تسعة عشر، فأنا أكفيكم حدي عشرة، واكفوني أنتم تسعة.
- ٦- خلق من ماء (مني) مصبوب في الرحم. ودافق: بمعنى مدفوق، كالحافرة: المدفوق.
- ٧- يخرج هذا الماء من بين ظهر الرجل وعظام صدر المرأة. والترائب: مواضع القلادة من الصدر، جمع تريبة.
- ٨- إن الله على إعادة الإنسان بالبعث بعد الموت لقادر.
- ٩- يعيده يوم تختبر السرائر وتعرف، أي تظهر، والسرائر: مكونات القلوب من العقائد والنيات وغيرها.
- ١٠- فما لمنكر البعث وهو الكافر من قوة يتمتع بها عن عذاب الله، ولا ناصر يبقده مما نزل به.
- ١١، ١٢- وأقسم بالسما ذات المطر الذي يرجع إليها بالتيخر من الأرض، وبالأرض التي تصدع أو تشقق عند خروج النبات فيها.

١٣، ١٤- إن القرآن لقول يفصل بين الحق والباطل، كأنه الفصل نفسه، وليس هو باللهو ولم ينزل باللعب.

١٥- إن الكفار يدبرون الكائد (التدابير الخفية) لمحاربة الإسلام والنبي ﷺ، ومحاوله إبطال ما جاء به.

١٦- وأقابل تدبيرهم بتدبير أقوى منه يطله، ثم أجازيهم بما يستحقون.

١٧- فأختر أيها النبي الكفار ولا تستعمل هلاكهم، وأنظرهم قليلاً.

سورة الأعلى

فضلها: ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لما ذاب:
«هلا صليت بـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى ٨٧/ ١]
﴿والشمس وضحاها﴾ [الشمس ١/ ٩١] ﴿والليل إذا يغشى﴾ [الليل ١/ ٩٢].

- ١- نزه إليها النبي اسم ربك البالغ النهاية في العلو عن كل ما لا يليق به، بقولك: (سبحان ربي الأعلى).
- ٢- الذي خلق الإنسان وغيره، فجعله معتدل القامة، متناسب الأجزاء، مهياً لما خلق له.
- ٣- والذي قدر كل شيء ومنه الرزق بمقادير معينة، فعرفه وجه الانتفاع بما خلق له.
- ٤- والذي أنبت العشب والنبات والشجر والزرع، ومراعي الأنعام والدواب.
- ٥- فجعله يابساً، مائلاً للسواد بعد اخضراره.

٦- سنقرتك أيها الرسول القرآن على لسان جبريل عليه السلام، فلا تنسى ما تقرؤه. قال مجاهد والكلبي: كان النبي ﷺ إذا نزل عليه جبريل بالوحي، لم يفرغ جبريل من آخر الآية، حتى يتكلم النبي ﷺ بأولها، مخافة أن ينسأها، فنزلت ﴿سنقرتك فلا تنسى﴾ بعد ذلك شيئاً، فقد كفيته.

٧- إلا ما شاء الله أن تنساه، ينسخ تلاوته وحكمه، إنه تعالى يعلم ما ظهر من الأحوال وما بطن.

٨- ونوفقت للشرية السمحة التي لا عسر فيها في كل أمر من أمور الدين والدنيا.

٩، ١٠- ففظأ أيها النبي الناس بالقرآن وأرشدهم لسبل الخير، حين ينفخ التذكير، سينتدرك ويتعظ من يقي الله ويخافه.

١١، ١٢- ويهمل الذكرى ويتركها جانباً المغرق في الشقاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ١ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ٢ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ٣
وَالَّذِي أَرْخَسَ الرِّجَى ٤ فَجَعَلَ غَمًّا أُخْوَى ٥ وَسَوَّكَ فَاسْتَوَى ٦
إِنَّمَا شَاءَ اللَّهُ يُعَلِّمَ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ٧ وَيُنزِّلُ الْبُرْسَى ٨ فَذَكَرْ
إِنْ نَسِيتَ الذِّكْرَى ٩ سَيَذَكِّرُنَّ خَلْقَى ١٠ وَيَسْمِعُ الْأَسْفَى ١١ الَّذِي
يَصِلُ النَّارَ الْكُورَى ١٢ وَيَلْمِزُكَ فِيهَا الْوَلِجَى ١٣ قَدْ أَلَمَّ مِنْ رَبِّكَ ١٤
وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ١٥ بَلْ يُؤْمِنُ الْإِنْسَانُ بِالْآخِرَةِ خَبْرٌ
وَأَبَى ١٦ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ١٧ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ١ وَجُوهٌ وَوَيْدِيَّةٌ ٢ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ٣
تَصَلُّوْنَ أَرَاغِبِيَّةً ٤ تَسْقَى مِنْ عَيْنِ آيَةِ ٥ تَيْسٌ لَوْطَاءُ ٦ الْآ
مِنْ سَرِيعٍ ٧ لَا يَبْرُمْنَ وَلَا يَمِينُ ٨ مِنْ جُوعٍ ٩ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِبَةٌ ١٠
أَسْمِعْهَا رَاضِيَةً ١١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ١٢ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ١٣

- وهو الكافر، الذي يدخل نار جهنم العظمى وهي أسفل الدرجات.
- ١٣- ثم إنه لا يموت في النار فيستريح، ولا يحيا حياة طيبة، فيسعد.
 - ١٤- قد فاز ونجا من تطهر من الكفر والمعصية، فأمن بالله ووحده وعمل بشريعته.
 - ١٥- وتذكر اسم ربه بلسانه، ولاحظ صفاته العليا بقلبه، فصلى الصلوات المفروضة.
 - ١٦- بل تفضلون أيها البشر الحياة الدنيا ولذاتها العاجلة الفانية على الآخرة الباقية.
 - ١٧- وثواب الآخرة خير من الدنيا، وهي باشتغالها على الجنة أفضل وأدوم من الدنيا.
 - ١٨- إن هذا المذكور من فلاح من تزكى وصلّى وكون الآخرة خيراً من الدنيا موجود في الكتب الأولى المنزلة قبل القرآن.
 - ١٩- وهي عشر صحف إبراهيم، وعشر صحف موسى غير التوراة.

سورة الغاشية

فضلها: أخرج مسلم وأصحاب السنن عن النعمان بن بشير: أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى ٨٧/ ١] والغاشية في الجمعة والعيدين.

- ١- هل جأك أيها النبي خير القيامة التي تغشى الناس بشداقها وأهلها؟ والغاشية: الداهية.
- ٢- وجوه يوم القيامة ذليلة خاضعة، لإدراكها بطلان عملها الدنيوي، وتعرضها للعذاب.
- ٣- عاملة في النار عملاً متباً، تعباً، بجر السلاسل والأغلال وخوضها في النيران. والنصب: التعب.
- ٤، ٥- تدخل ناراً شديدة الحر، تسقى من عين ماء شديدة الحرارة. والماء الآني: المتناهي في الحر.
- ٦- لا طعام لهم إلا طعام ردي، شديد المرارة. والضرع: نوع من الشوك اليابس المرتعاه الإبل إذا لم تجد غيره، ولكنه لا يفيد. فإذا كان رطباً سمي الشبرق.
- ٧- لا يسمن أكله، ولا يفيد، ولا يحقق شيئاً من جوع.
- ٨، ٩- وجوه يوم القيامة متمتعة ذات بهجة وحسن، راضية في الآخرة بعملها الصالح في الدنيا، وهو الطاعة.
- ١٠، ١١- يدخل أصحابها في جنة رفيعة المكان والقدر؛ لأن الجنة درجات، لا تسمع في الجنة لغواً من القول، ساقطاً باطلاً.



فَهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَهَا سُرُورٌ رُفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾
وَنَارٌ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَدَلَابُ مَسْفُوفَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ
حُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ
﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذُكِّرُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ ﴿٢١﴾ أَنْتَ
عَلَيْهِمْ بِصُطْبِئِكَ ﴿٢٢﴾ وَالْأَمْنُ نَوْلُكَ وَكَفَرٌ ﴿٢٣﴾ فَعِذْبُهُ اللَّهُ الْعَذَابُ
الْأَكْبَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ الْبِتَّائِبِينَ آتَاهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَبِالْأَسْحَرِ ﴿٢﴾ وَالشُّعْرِ وَالنُّجُومِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَنسَرِ ﴿٤﴾
هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِزْدَادَ
الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا
الصَّخْرَ بِرُؤَادٍ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَارِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ
طَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْفَرُوا بِهَا النِّسَانَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ
عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْأَعْيُنِ
الرَّاسِخِينَ ﴿١٤﴾

١٢، ١٣ - في الجنة عين جارية متدفقة بشراب لذيد، وفيها أسرة رفيعة ذاتاً وقدرًا ومحلًا.

١٤، ١٥ - وفيها آتية لا عرى لها، موضوعة بين أيديهم، لتسهيل تناولها، ووسائد صُفِّ بعضها بجانب بعض. والنمارق جمع ثمرقة.

١٦ - وفيها بسط فاخرة، وطنافس لها خمل، مبسوطة مفرقة في المجالس، والزرابي جمع زُرْبِيَّة.

١٧ - أفلا ينظر كفار مكة وأمثالهم نظرة اعتبار وتأمل إلى الجمال والنوق كيف خلقها الله تعالى خلقًا بدعيًا. أخرج ابن جرير وغيره عن قتادة قال: لما نعت الله ما في الجنة، عجب من ذلك أهل الضلالة، فانزل الله: «أفلا ينظرون إلى الإبل...».

١٨ - وينظرون إلى السماء كيف رفعها الله فوق الأرض بلا عمد، وأمسكها بكواكبها.

١٩ - وينظرون إلى الجبال كيف جعلت قائمة.

٢٠ - وينظرون إلى الأرض كيف بسطت، حتى صارت مهددة صالحة للعيش عليها.

٢١ - فذكر أيها النبي وحوقب آياتي الكونية والقرآنية ونعمي وأدلة توحدي، إنما أنت مذكر.

٢٢ - لست عليهم بمسلط لإجبارهم على ما تريد.

٢٣، ٢٤ - لكن من أعرض عن القرآن وكفر به، فيعذبه الله يوم القيامة العذاب الأشد وهو عذاب جهنم.

٢٥، ٢٦ - إن علينا رجوعهم بعد الموت، ثم إن علينا حسابهم في المحشر، فتجازي كل إنسان بما قدم.

سورة الفجر

فضلها: روى النسائي - كما تقدم - عن جابر قال: صلى معاذ صلاة، فجاء رجل، فصلى معه، فطوك، فصلى في ناحية المسجد، ثم انصرف، فبلغ ذلك معاذًا، فقال: متناق، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فسأل الفتى، فقال: يا رسول الله، جئت أصلي معه، فطوك علي، فانصرفت وصليت في ناحية المسجد، فعلقت ناقتي، فقال رسول الله ﷺ: «أفتان يا معاذ؟ أين أنت من سيح اسم ربك الأعلى؟» [الأعلى ١/٨٧] «والشمس وضحاها» [الشمس ١/٩١] «والفجر» [الفجر ١/٨٩] «والليل إذا يغشى» [الليل ١/٩٢].

١، ٢ - أقسم بالفجر: فجر كل يوم؛ لأنه وقت انفجار الظلام عن الليل، وبالليالي العشر من ذي الحجة.

٣، ٤ - والزوج والفرد، من كل الأشياء، والليل إذا يمضي أو يذهب، وجواب القسم محذوف مقدر: أي ليعذبني الكافر.

٥ - هل فيما أقسمت به من هذه الأشياء قسم كاف لذي عقل يعلم أن ما أقسم الله به حقيق أن يقسم به؟!

٦ - ألم تعلم أيها النبي كيف فعل ربك بعاد الأولى قوم هود الذين عذبوا بالصيحة؟ أي سأنقم من قومك كما فعلت بهؤلاء.

٧ - وعاد سبط إرم، وهو اسم آخر لعاد الأولى، ذات البناء الرفيع، سكان الخيام العالية. وهذا كناية عن الغنى وبسطة العيش. كانت منازلهم بالرمال في الأحقاف بين عمان وحضرموت.

٨ - التي لم يوجد في البلاد مثلها في البطش والقوة والطول، فقالوا: من أشد مناقرة؟!

٩، ١٠ - وثمود قبيلة عربية باندة قوم صالح، سكنوا بالحجر بين الشام والحجاز، الذين قطعوا الصخر ونحتوا منه بيوتًا، بالحجر أو بوادي القرى، على طريق الشام من المدينة المنورة. وفرعون صاحب المباني العظيمة التي تشبه الجبال في الثبات.

١١ - هؤلاء (عاد وثمود وفرعون) الذين تمردوا وعتوا في بلادهم، وتجاوزوا الحد في الظلم.

١٢ - فأكثروا في البلاد الفساد بالكفر والمعاصي من قتل وتعذيب وظلم الناس.

١٣ - فانزل بأولئك الأقوام نوعًا من العذاب المناسب لهم.

١٤ - إن ربك أيها الرسول يرصد ويرقب أعمال العباد، فيجازيهم عليها خيرًا أو شرًا.

فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾
 وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْلَنِ ﴿١٦﴾
 كَلَّا لَوْلَا لَأَكْرَمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحْضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ
 الْمَسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَأَكُلُونَ الْكُرْأَىٰ أَكْلًا مُّكْرَمًا ﴿١٩﴾ وَيُحْسِنُونَ إِلْمَالًا جَائِعًا
 كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًا ﴿٢٠﴾ وجاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا
 صَفًّا ﴿٢١﴾ وجاءتْ يَوْمَئِذٍ بِجَنِّمْ يُؤْمِدُونَ بِذِكْرِ الْإِنْسَانِ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٢﴾
 يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٣﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا
 وَلَا يُؤْتِيهِمْ وَالْفَاءُ وَلَا يُعَذِّبُ أَحَدًا ﴿٢٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٥﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ
 رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٦﴾ فَأَدْخِلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٧﴾ وَأَدْخِلِي جَنَّتِي ﴿٢٨﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 لَا أَسْمُ هَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَالْوَالِدُ وَمَا وَلَدٌ
 ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ أَحْسَبُ أَنْ لَّنْ يَبْدُرَ عَلَيَّ أَحَدٌ
 ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا آئِبَتَا ﴿٦﴾ أَحْسَبُ أَنْ أُرْوَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾

١٥ - فاما الإنسان إذا ما اختبرته وامتنحه ربه بالغنى والبسر، فأكرمه ونعمه بالجاء والمال، فيقول: ربي فضّلني بما أعطاني، وصيرني مكرماً أهلاً لذلك، والمراد أنه يغتر فينسى شكر الله تعالى. والمقصود بالابتلاء: معاملتهم معاملة المختبر بالخير والشر.
 ١٦ - وأما إذا ما عامله معاملة المختبر بالفقر والتقتير، فضيق عليه رزقه، فيقول: ربي أذلني وبادرنني بالإهانة بالفقر.
 ١٧، ١٨ - «كلا»: للزجر عن هذا الزعم المخطئ، بل: للانتقال من قبيح إلى أقبح، لا تحسبون إلى اليتيم مع غناكم. ولا تحسبون على إطعام المسكين.
 ١٩ - وتأكلون الميراث أكلاً شديداً جامعاً كل شيء من حلال أو من حرام، كماخذ حق النساء والأطفال. واللمم في الأصل: الجمع بين الأشياء المنفردة.
 ٢٠، ٢١ - وتحسبون المال حباً كثيراً. «كلا»: ارتدعوا عن هذا، إذا دكّت الأرض دكاً متتابعاً، أي رُزلت حتى يتهدم كل بناء عليها، فتصير مستوية.
 ٢٢ - وجاء أمر ربك وقضاؤه المبرم، ومعه الملائكة مصطفين صفوفاً أو ذوي صفوف بحسب منازلهم.
 ٢٣ - وأحضرت وأظهرت جهنم، يومئذ يتذكر الإنسان تفریطه ومعاصيه في الدنيا، ومن أين له فائدة التذكر، وقد فات الأوان؟! وهو استفهام بمعنى النفي، أي لا يفتحه التذكر والتوبة حيتذ.
 ٢٤ - يقول هذا المقصر: يا ليتني قدمت في الدنيا حياتي هذه أي لأجلها الخير والإيمان. ويا: للتبعية.

٢٥ - فيومئذ لا يتولى أحد عذاب الكافر إلا الله، ولا يفعل مثل عذابه في الشدة.
 ٢٦ - ولا يوتق أحد مثل إيتاقه وتقييده أو ربطه بالسلاسل والأغلال. وضمير «عذابه» و«وثاقه» يعود للكافر. والوثاق: الرباط، أو الإيتاق بمعنى الربط، والثاني هو المراد هنا.
 ٢٧ - ويقال للنفس عند الموت: يا أيها النفس المتيقنة بالله، المطمئنة بسبب ذكر الله، والرضا بقضائه.
 ٢٨ - ارجعي إلى ثواب ربك وتكريمه، راضية بالثواب، مرضية عند الله بعملك الصالح.
 ٢٩ - فادخلي في زمرة عبادي المقربين.
 ٣٠ - وادخلي جنتي الواسعة معهم. أخرج ابن حاتم عن بريدة في قوله: «يا أيها النفس...» [٢٧] قال: نزلت في حمزة. وقال ابن عباس: نزلت في عثمان حين اشترى بئر رومة لسقاية للمسلمين.

سورة البلد

١، ٢ - أقسم بالبلد الحرام وهو مكة المكرمة. وأنت أيها النبي حلال بهذا البلد، استحل مشركو مكة إيفامك، ففي الكلام تفریع لهم، أو وحالك مقیم فيه، إظهاراً لمزيد فضله، وإشعاراً بأن شرف المكان يشرف أهله.
 ٣ - وأقسم بكل والد وكل مولود من الموجودات المتولدة؛ لأن بالتولد بقاء النوع، والدلالة على قدرة الله وحكمته.
 ٤ - لقد خلقنا جنس الإنسان مغموراً في مكابدة المشاق والشدائد، والتعب والمعاناة حتى يموت.
 ٥، ٦ - أيظن أن لن يستطيع أحد الانتقام منه؟ بلى، فإله قادر عليه قاهر له. نزلت في أبي الأشهد بن كلدة الجمحي، الذي كان مغترباً بقوته اليدنية. يقول: أنفقت مالا كثيراً، إظهاراً للتفاخر بكثرة المال وللفاخرة بالغنى. قال ابن عباس: كان أبو الأشهد يقول: أنفقت في عداوة محمد مالا كثيراً، وهو في ذلك كاذب.
 ٧ - أيظن أن لم يره أحد فيما أنفقه، فيعلم بقدره، والله عالم بقدره ومجازيه؟!



أَرْجُلَهُ عَيْنِينَ ﴿٩﴾ ولساناً يطق به ﴿١٠﴾ ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب ونحوها.
 ١٠- وبيننا له طريق الخير والشر، وعرفناه بعاقبة كل منهما ليختار أحدهما؟
 ١١- فهلا اجتاز أو تخطى الطريق الصعب، أي التكليف الشرعية لفعل الخير وترك الشر.
 ١٢- وما أعلمك ما اقتحام العقبة؟
 ١٣- إنها عتق رقبة أو تحريرها من الرق.
 ١٤- أو إطعام أحد في يوم ذي مجاعة.
 ١٥- أن أطعم يتيمًا صغيراً قريباً فقد أباه. واليتيم: الصغير الذي لا أب له.



بِأَيْتَانِهِمَا أَحَبُّ الشَّجَمَةِ ﴿١١﴾ عَلَيْهِمُ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ﴿١٢﴾
 ١٦- أو أطعم مسكيناً معلماً لا شيء له، كأنه ألصق يده بالتراب، كناية عن شدة فقره.
 ١٧- ثم كان من الذين آمنوا بالله ورسوله، وأوصى بعضهم بعضاً بالصبر على الطاعة وعن المعصية، وبالرحمة على الناس أو التراحم فيما بينهم و«ثم» للترقي في ذكر الرتب، أي ثم كان قيل كل ما ذكر مؤمناً، حتى تقبل أعماله.
 ١٨- أولئك الموصوفون بهذه الصفات أصحاب اليمين الذين يأخذون صحابتهم بأيانهم يوم القيامة، ويظفرون بالجنة.
 ١٩، ٢٠- والذين جحدوا بأياتنا القرآنية والكونية هم أصحاب الشمال الذين يأخذون كتبهم بشمالهم، ويدخلون النار. عليهم نار مطبقة مغلقة عليهم.

سورة الشمس

- ٢، ١- أقسم بالشمس وضوئها أول النهار، والقمر إذا تبعها مباشرة في الطلوع عند الغروب.
 ٣، ٤- والنهار إذا جلى الشمس وأظهرها ساطعة، والليل إذا غطى ضوء الشمس بظلامه.
 ٥، ٦- والسماء ومن بناها وهو الله تعالى، فذلك دليل على وجوده، والأرض ومن بسطها وجعلها صالحة للمقام عليها.
 ٧، ٨- وبالنفس الإنسانية ومن أحكم خلقتها وتعديل أعضائها، فعرّفها طريق الضجور وحذرنا منه، وطريق الخير والتقوى ورغبنا فيه. قال ابن عباس: بين لها الخير والشر، والطاعة والمعصية، وعرّفها ماتاتي وماتتي. قال المفسرون: أقسم سبحانه بسبعة أشياء إظهاراً لعظمة قدرته وانفراده بالألوهية.
 ٩، ١٠- قد فاز من طهر نفسه من الذنوب وأتمها بالطاعة والتقوى، وقد خسر من أهمل تهذيب نفسه، وأغواها، وهذا جواب القسم. والتدسية: النقص والإخفاء، وهي ضد التزكية.
 ١١- كذبت قبيلة ثمود قوم صالح عليه السلام بسبب طغيانها: وهو تجاوز الحد المعتاد. وغيرها كعاد وقوم لوط وفرعون.
 ١٢، ١٣- حين اندفع وذهب لعقر الناقة أشقى ثمود، وهو قمدار بن سالف. فقال لهم رسول الله صالح عليه السلام: ذروا واحذروا عقر ناقة الله والتعرض لها، واتركوا لها شربها الخاص بها في يومها، فلا تذودوها عنها.
 ١٤، ١٥- فكذبوا صالحاً عليه السلام وخالفوه فيما حذرهم منه، فقتلوا الناقة، لأن ذلك تم باتفاقهم ورضاهم، فأطبق عليهم العذاب من ربهم بسبب ذنبهم، أي فعمهم العذاب وأهلكهم جميعاً، أو سوى القبيلة بالأرض، فأصبحوا لا وجود لهم على ظهرها. ولا يخشى الله عاقبة الإهلاك أو تبعة الدممة؛ لأنه المهيمن القادر على كل شيء.

سورة الليل

فضلها: تقدم حديث جابر في الصحيحين: أن النبي ﷺ قال لمعاد: فهلا صليت بـ ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ [الأعلى 1/87] ﴿والشمس وضحاها﴾ [الشمس 1/91] ﴿والليل إذا يشئ﴾ [الليل 1/92].

١، ٢- أقسم بالليل حين يغطي كل شيء بظلامه، والنهار متى ظهر وانكشف لزوال ظلمة الليل.

٣، ٤- والقادر الذي خلق الذكر والأنثى من كل شيء في الإنسان والحيوان والنبات. إن علمكم أو مسعاكم أيها الناس لمختلف متفرق، فمنه عمل صالح للجنة، ومنه عمل سيء للنار، وهذا جواب القسم.

٥- فاما من بذل المال وأدى فريضة الزكاة، والتزم الأوامر واجتنب النواهي وللحارم. نزلت في أبي بكر الذي كان يعتق العجائز والنساء إذا أسلمن، فقال له أبوه: أراك تعتق أناساً ضعفاء، فقال: إنما أريد ما عند الله، فنزلت هذه الآيات فيه.

٦- وصدق بالكلمة الحسنی، وهي عقيدة توحيد الله وتصديق رسله ووعده الله بالثواب على الطاعة.

٧- فسهل له ونهيسه لسلك الطريقة السهلة، ونرشده لأسباب الخير وطاعة الله تعالى.

٨- وأما من يخل بإنفاق ماله في طرق الخير، واستغنى عن ثواب الله بشهوات الدنيا وترك طاعة الله تعالى. قال ابن عباس: نزلت في أمية بن خلف.

٩- وكذب بعود الله بإثابة المؤمنين في الآخرة.

١٠- فنهيه ونوجهه للطريقة العسرى السيئة، ونسملها له،



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَأْسَى ١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ٢ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ٣

٤ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ٥ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ٦ وَصَدَقَ الْحَسَنَى ٧

٨ فَسَيَّرَهُ لِلْعُسْرَى ٩ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ١٠ وَكَذَّبَ

بِالْحَسَنَى ١١ فَسَيَّرَهُ لِلْعُسْرَى ١٢ وَمَا يَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ١٣

إِن عَلِمْنَا لَمَعَتَا ١٤ وَإِن لَنَا الْآخِرَةَ وَالْأُولَى ١٥ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ١٦

١٧ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ١٨ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ١٩ وَسَيِّئَهَا

الَّذِي كَفَرَ ٢٠ الَّذِي بَوَّأَ مَلَأَهُ يَتْرَكَ ٢١ وَمَا لِأَعْدَائِهِ مِنْ نِعْمَةٍ

يُجْزَى ٢٢ إِلَّا آيَاتِنَا وَمَهْلِكُ رَبِّهِ الْأَعْلَى ٢٣ وَسَوْفَ يُرْضَى ٢٤



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَى ١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ٣

فلا يعمل إلا شراً مودياً به إلى النار.

١١- ولا يفيد ماله وغناه إذا هلك وسقط في النار.

١٢- إن واجبنا الذي أوجبه الله علينا بحسننا وحسننا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلال.

١٣- وإن لنا جميع ما في الدنيا والآخرة تنصرف به بمشيتنا، فمن طلبهما من غيرنا فقد أخطأ.

١٤، ١٥- فحذرتكم وخوفتكم مخالفة أمرى أيها الناس بنار جهنم التي تتوقد وتلتهب. لا يدخلها ولا يحترق بنارها إلى الأبد إلا الشقي

الكافر كأبي جهل وأميه بن خلف. أما الفاسق وإن دخلها فلا يستمر فيها.

١٦- الأشقى الذي كذب بالقرآن وأعرض عن الإيمان بربه ورسله، وطاعته.

١٧- وسبيعد عن النار التقى الذي اتقى الكفر والمعاصي وخاف من الله تعالى. أخرج ابن أبي حاتم عن عروة: أن أبا بكر الصديق

اعتق سبعة، كلهم يعذب في الله، وفيه نزلت هذه الآية وما بعدها.

١٨- الذي يعطي ماله في سبيل الله، يظهر بإخراجه لله تعالى، من غير رياء ولا سمعة، ويظهر نفسه من الشح.

١٩- وليس لأحد عنده معروف يكافئه ويجازيه عليه.

٢٠، ٢١- لكن فعل ذلك طلباً لرضاءه فقط، والظفر بثوابه وفضله. وسوف يرضى بما يعطاه من الثواب في الجنة.

سورة الضحى

فضلها: يسن التكبير عند الإمام الشافعي رحمه الله، بأن يقول: (الله أكبر) عقب سورة ﴿والضحى﴾ وخاتمة كل سورة بعدها.

١، ٢- أقسم بوقت ارتفاع الشمس أول النهار. أخرج سعيد بن منصور والفرهاني عن جندب قال: أبطأ جبريل على النبي ﷺ،

فقال للمشركون: قد وُدَّ محمد، فنزلت. وبالليل إذا سكن الناس فيه للراحة، وغطى بظلامه الأشياء.

٣- ما ترك ربك ولا قطعك ولا أهملك، وما أبغضك. وهو جواب القسم.

٤- والأخرة الباقية الخالدة وما فيها من الجنة والكرامات أفضل من الدنيا الفانية المشوية بالمضار . أخرج الطبراني في الأوسط عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : (عرض علي ما هو مفتوح لأمتي بعدي ، فسرني ، أنزل الله : ﴿ وللاخرة خير لك من الأولى ﴾ وإسناده حسن .

٥- وسوف يعطيك ربك في الآخرة من الخيرات عطاء جزيلاً ، فترضى به تماماً كالثواب والشفاة لأمته في الآخرة ، والحوض . أخرج الحاكم والبيهقي في الدلائل والطبراني وغيرهم عن ابن عباس قال : عرض علي رسول الله ﷺ ما هو مفتوح على أمته كقراً كقراً أي قرية قرية - فسر به ، فانزل الله : ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ .

٦- لقد وجدك ربك يتيماً لقد أبوك ، فأواك وضمك إلى من يحنك وهو عمك أبو طالب . والاستفهام ﴿ ألم يحنك ﴾ تقرير يفيد طلب الإقرار بما بعده ، أي وجدك بمعنى علمك .

٧- ووجدك مسخطاً في معرفة أحكام الشرائع والقرآن ، فهذاك إلى مناهجها وكيفياتها .

٨- ووجدك فقيراً ذا عيال ، فأغناك من فضله من الاتجار بمال خديجة ، وغنائم الفتوحات .

٩ ، ١٠- وبما أن الله أنعم عليك بهذه النعم ، فيوصيك بالوصايا التالية : أما اليتيم فلا تستنذله وتستضعفه بأخذ ماله أو بتسخيره ونحو ذلك ، بل أعطه حقه متذكراً يتمك . وأما السائل عن مال أو علم فأعطه أو علمه ، ولا تجره لفقره ، فقد كنت فقيراً ، فأطعمه أو رده رداً جميلاً .

١١- وأما بنعمة ربك عليك بالنبوة وغيرها ، فأخبر بها الناس ، واشكر الله عليها ، والتحدث بنعمة الله شكر .

وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ۝ وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ۝
 أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ۝ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ۝
 وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ۝ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَهْجُرْ ۝
 وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝ وَوَضَعْنَا عَنَّا وِزْرَكَ ۝
 إِذْ نَادَىٰ عَن الْيَمِينِ ۝ وَإِن مِّنْ أَعْيُنٍ تُرَىٰ
 الْعَسْرِينَ ۝ فَأَذْفُقْنَا فَآصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ أَزْعَبْ ۝



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝ لَقَدْ
 خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ فَرُدِّدْنَاهُ فَمَا كَانَ يُشْكِرُ

سورة الشرح

- ١- ألم تُفسح ونوسع لك يا محمد قلبك لقبول النبوة والهدى والإيمان ، وملأناه علماً وحكمة . وهو كناية عن السرور .
- ٢ ، ٣- وحططنا وأزلنا عنك حملك التجيل الذي أثقلتك وهو اهتمامك الشديد بهداية قومك وحمايتك من إيذائهم .
- ٤- ورفعنا لك سمعتك بالنبوة وغيرها في الدنيا والآخرة ، ومنها اقتران اسمك باسم الله في التشهد والأذان والإقامة وغيرها .
- ٥ ، ٦- فإن مع كل شدة فرجاً بسعة ، مثل مقاساة النبي ﷺ مضايقات المشركين ، ثم تحقيق اليسر والنصر عليهم . نزلت لما عسير للشركون للمسلمين بالفقر . ولما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ فيما أخرجه ابن جرير عن الحسن البصري : «أبشروا أتاكم اليسر ، لن يغلب عسر يسرين» . إن مع كل عسر وشدة يسراً آخر ، ففي مواجهة كل عسر يسران .
- ٧- فإذا فرغت أيها الرسول من أداء الرسالة وتبليغ الناس بها ، فاتعب في الدعاء والعبادة ، وثابر عليها .
- ٨- وإلى ربك وحده توجه بالدعاء والتضرع ، ولا توجه رغبتك إلى غير ربك ، فهو القادر للمجيب .

سورة التين

فضلها : أخرج الجماعة (مالك وأصحاب الكتب الستة) عن البراء بن عازب : «كان النبي ﷺ يقرأ في سفره في إحدى الركعتين بالتين والزيتون ، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه» .

- ١- أقسم بشجر التين والزيتون ، لأنهما مباركان ، الأول يأكله الناس ، والثاني يأكلونه ويعصرون منه الزيت .
- ٢- وبالجيل الذي كلم الله تعالى موسى عنده ، وناجى فيه ربه . وسيناء وسيناء اسمان للموضع الذي فيه هذا الجبل .
- ٣- وبمكة المكرمة التي كرمها الله بالكعبة وجعلها حرماً آمناً للناس .
- ٤ ، ٥- لقد خلقنا جنس الإنسان في أحسن تعديل لصورته وشكله . ثم رددنا بعض أفراد الإنسان وهو الكافر ، وجعلناه في النار . أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال : نزلت في نفر رذوا إلى أردل العمر .



إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿١﴾
فَمَا يَكْفُرُكَ بَعْدَ الْدِينِ ﴿٢﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ السَّاكِرِينَ ﴿٣﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَوَّلَ سُوْرَةٍ أَلَدَى خَلْقِ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾
أَوَّلَ وَرَيْكَ الْأَكْرَمِ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ
مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ﴿٦﴾
إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجُوعَ ﴿٧﴾ أَوْرَثْتَ الَّذِينَ يَبْغُونَ ﴿٨﴾ عِبَادًا
إِذَا صَلَّى ﴿٩﴾ أَوْرَثْتَ أَنْ كَانَ عَلَى الْمَذْكَاءِ ﴿١٠﴾ وَأَمْرًا بِالتَّقْوَى ﴿١١﴾
أَوْرَثْتَ أَنْ كَذَّبَ وَقَتَلَهُ ﴿١٢﴾ أَوْرَثْتَ أَنْ يَأْتِيَ اللَّهَ بِرَى ﴿١٣﴾ كَلَّا لَئِنْ لَمْ
نَنْهَ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٤﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٥﴾ فليدع ناديه ﴿١٦﴾
سَنَدَعُ الرِّيَابِيَةَ ﴿١٧﴾ كَلَّا لَا تُطْعَمُهُ وَاَسْجَدُ وَاقْتَرَبَ ﴿١٨﴾



٦- لكن الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا بما أمر الله به، فلهم ثواب أخروي دائم غير مقطوع عنهم.
٧- فأي شيء يجعلك أيها الإنسان بعد هذه الأدلة الواضحة على قدرة الله على البعث تكذب بيوم القيامة؟ والمراد: ما يجعلك مكذبا بالبعث من غير موجب لهذا التكذيب؟
٨- أليس الله بأحكم الحاكم قضاء وعدلاً وتنبيراً؟ أخرج الترمذي عن أبي هريرة مرفوعاً: «فإذا قرأ أحدكم: ﴿والتين والزيتون﴾ فأتى على آخرها: ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ فليقل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين».

سورة العلق

فضلها: نزل صدر هذه السورة أول ما نزل من القرآن الكريم، أما بقية السورة فهو متأخر النزول، بعد انتشار دعوته ﷺ بين قريش، وتحرشهم به وإيذاهم له.
١، ٢- ابتدئ يا محمد قراءة القرآن مبتدئاً باسم ربك، أو مستعنياً به، الخالق كل شيء، والخلق أول النعم. خلق الإنسان من علقه: وهي الدم الجامد.
٣- اقرأ: تأكيداً للأول، وأنت واثق معتقد أن ربك أكرم الكرماء، ومن كرمه: تمكينك من القراءة وأنت أمي.
٤، ٥- الذي علّم الإنسان الكتابة بالقلم، وهو نعمة عظيمة من الله تعالى. علّم الله الإنسان، أي جنس الإنسان بالقلم ما لم يكن يعلم به.

٦- كلا: هنا أي حقاً، إن الإنسان كثيراً ما يتجاوز الحد في

العصيان. نزلت في أبي جهل الذي قال: لئن رأيت محمداً يفعل - أي يصلي - لأطأن على رقبته، ولأعفرن وجهه في التراب، فأنزل الله هذه الآية وما بعدها.

٧- لأجل أن رأى نفسه غنياً، اغتنى بالمال وغيره من أنواع القوى.

٨- إن إلى ربك الرجوع يوم القيامة للحساب والجزاء. والرجعي مصدر بمعنى الرجوع.

٩- أخبرني أيها السامع عن الذي ينهى وهو أبو جهل. أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يصلي، فجاءه أبو جهل، فنهاه، فأنزل الله: ﴿أرايت الذي ينهى...﴾ إلى قوله: ﴿كاذبة خاطئة﴾ [١٦].

١٠- ينهى عبداً إذا صلى، وهو النبي محمد ﷺ، والمراد: هل هو محق في هذا النهي، وهل أمن على نفسه العقوبة؟

١١- أخبرني أيها السامع عن حال هذا الرجل، أهو على طريق الهدى والرشاد؟

١٢- أو هو أمر بتقوى الله والخوف من عقابه، حينما أمر غيره بترك طاعة الله؟ والمراد أنه لا على هدى ولا على تقوى.

١٣- أخبرني أيها النبي عن حال هذا الرجل حين كذب برسالتك وأعرض عن الإيمان، أبظن أنه ناج من عقابنا؟ كلا.

١٤- ألم يعلم هذا المكذب المعرض بأن الله يعلم ما يفعله، أي يجب أن يعلم أن الله مطلع على أعماله وأحواله.

١٥، ١٦- ﴿كلا﴾: لردع الناهي، فعليه أن يتزجر، والله إن لم ينته عن إيذاء رسولنا محمد ﷺ لتقبضن بناصيته، ونرميه في النار. والناصية: مقدم شعر الرأس. ناصية شخص كاذب خاطئ أي آثم مغنّب.

١٧- فليطلب أبو جهل أهل ناديه ومجلسه. والنادي: مكان الاجتماع، أو القوم المجتمعون فيه، وهذا هو المراد هنا. والمقصود أن

يجمعهم عنده ليحارب المؤمنين. أخرج أحمد والترمذي وغيرهما عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يصلي، فجاءه أبو جهل، فقال: ألم أنك عن هذا؟ فزجره النبي ﷺ فقال أبو جهل: إنك لتعلم ما بها ناد أكثر مني، فأنزل الله: ﴿فليدع ناديه...﴾.

١٨- سندعو الملائكة الغلاظ الشداد. وحذفت الواو من ﴿سندع﴾ تخفيفاً.

١٩- ﴿كلا﴾: لردع الناهي أيضاً، لا تطعه يا محمد في ترك الصلاة، بل داوم على سجودك، وصل لله، وتقرب إليه.



سورة القدر

١- إنا أنزلنا القرآن، أي ابتداء إنزاله في ليلة العظمة والشرف من ليالي شهر رمضان.

٢- وما أعلمك أيها النبي ما هذه الليلة وما فضلها؟ والاستفهام لتعظيم شأنها.

٣- ليلة القدر هذه، العمل الصالح فيها خير منه في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر. أخرج ابن جرير عن مجاهد قال: كان في بني إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح، ثم يجاهد العدو بالنهار حتى يمسي، فعمل ذلك ألف شهر، فأنزل الله: ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ عملها ذلك الرجل.

٤- تنزل تبعاً للملائكة وجبريل الأمين إلى الأرض في هذه الليلة بأمر ربهم من كل أمر قضاء الله فيها للسنة التالية، ويكل خبير للطائمين من التسليم عليهم والاستغفار والدعاء لهم.

٥- هي سلامة وخير كلها من أولها إلى طلوع فجر ليلتها.

سورة البينة

فضلها: أخرج أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ

لأبي بن كعب: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك: ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ [البينة ١/٩٨] قال: وسماني لك؟ قال: نعم، فيكي.»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ الْقَدْرِ قَدْرٌ مِّنْ لَّيْلِ شَهْرٍ ۝ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۝ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الْفَجْرُ ۝



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَرْكِبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُتَكَبِّرِينَ حَتَّىٰ نَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝ رَسُولٌ مِّنْ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝ فِيهَا كُتِبَ فِيهَا ۝ وَمَا تَرَوْنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝ وَمَا أَهْلُوا بِهَا إِلَّا لِيُتَيْدُوا بِاللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ حَقَّاهُ وَيُحْمِلُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ۝ إِنَّا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فَإِذَا جَمَعْتُمْ حُلَاةَ فِيهَا ۝ أُولَئِكَ هُمُ سُرَّاءُ الرِّيَّةِ ۝ إِنَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمُ حَبْرُ الرِّيَّةِ ۝ جَرَّاهُمْ عِنْدَ رِيَّتِهِمْ جَحَّتْ عَدْنُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ حُلَاةَ فِيهَا ۝ أَيُّهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ رَبَّهُ ۝

١- لم يكن كفار أهل الكتاب من اليهود والنصارى والصابئين، والمشركين: عبدة الأوثان والأصنام متهين عن كفرهم، متروكين بدون إرشاد للحق، حتى تأتيهم الحججة الواضحة التي تبين الحق، والمراد هنا القرآن أو الرسول محمد ﷺ. والمعنى: لا تركهم إلا بعد بيان الحججة لهم متعاً من الاعتذار يوم القيامة. و﴿من﴾ في قوله: ﴿من أهل﴾ للبيان. وتلك البينة رسول مبعوث من الله وهو محمد ﷺ يقرأ عليهم قرآناً مكتوباً في صحف منزّهة عن الباطل والتحريف.

٢- لم يكن كفار أهل الكتاب من اليهود والنصارى والصابئين، والمشركين: عبدة الأوثان والأصنام متهين عن كفرهم، متروكين بدون إرشاد للحق، حتى تأتيهم الحججة الواضحة التي تبين الحق، والمراد هنا القرآن أو الرسول محمد ﷺ. والمعنى: لا تركهم إلا بعد بيان الحججة لهم متعاً من الاعتذار يوم القيامة. و﴿من﴾ في قوله: ﴿من أهل﴾ للبيان. وتلك البينة رسول مبعوث من الله وهو محمد ﷺ يقرأ عليهم قرآناً مكتوباً في صحف منزّهة عن الباطل والتحريف.

٣- في الصحف آيات مكتوبات وأحكام تشريعية مستقيمة محكمة لا عوج فيها، بل فيها الصلاح والرشاد. ٤، ٥- وما اختلف الكتائبون وانقسموا فرقاً في شأن النبي محمد ﷺ إلا بعد مجيء الدليل الواضح الدال على الحق، فبعضهم آمن به، وبعضهم كفر. وما أمر أهل الكتاب في كتبهم كالنور والإنجيل إلا أن يعبدوا الله وحده لا شريك له، ومخلصين له العبادة، مائلين عن الشرك، مبتعدين عن الباطل إلى الحق، ويؤدوا الصلاة المفروضة كاملة في أوقاتها، ويُعطوا الزكاة لمستحقها، وذلك دين الملة المستقيمة على طريق الحق.

٦- إن كفار أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وعبدة الأوثان والأصنام، مألهم يوم القيامة في نار جهنم، ماكتبن فيها على الدوام، أولئك هم شر الخليقة حالاً، لتركهم الحق حسداً وبغياً.

٧- إن الذين صدقوا بالله ورسوله، وعملوا بما أمر الله من صالح الأعمال أولئك أفضل الخلق حالاً ومآلاً.

٨- ثوابهم على الإيمان والعمل الصالح عند ربهم يوم القيامة جنات إقامة، ثم استعمل ﴿عدن﴾ اسماً من أسماء الجنة، لخلود الإقامة فيها، تجري من تحت غرفها وبساتينها الأنهار، ماكتبن فيها إلى الأبد، رضي الله عنهم، فأحسن ثوابهم؛ لأنهم أطاعوا أمره، ورضوا عن جزائه لهم وسرّوا به، ذلك الجزاء الحسن المتقدم لمن خاف مقام ربه عند كل عمل.

سورة الزلزلة

فضلها: أخرج الترمذي وأبو داود والنسائي عن عبد الله بن عمرو في حديث فيه: أن رجلاً قال: أقرنتي يا رسول الله سورة جامعة، فأقره ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ [الزلزلة ١/٩٩] حتى إذا فرغ منها، قال الرجل: والذي بعثك بالحق نبياً، لا أزيد عليها أبداً، فقال الرسول ﷺ: أفلح الرويجل، أفلح الرويجل. وأخرج الترمذي أيضاً عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: ﴿إذا زلزلت الأرض﴾ ربع القرآن.

١، ٢. إذا اضطربت الأرض وتحركت يوم القيامة حركة عنيمة عند النسخة الأولى أو بعدها، بزلزال مخصوص بها. وأخرجت الأرض ما في جوفها من الأموات والدفائن والكنوز وغيرها.

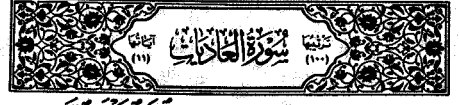
٣، ٤. وقال الإنسان الكافر الذي يفاجأ بما كان ينكره: أي شيء حصل للأرض بهذه الزلزلة، وهو تعجب من الهول. في ذلك اليوم تخبر الأرض بأخبارها، وتنطق بلسان الحال أو المقال بإنطاق الله تعالى بكل ما عمل عليها من خير أو شر.

٥. تحدث بذلك بسبب إحياء الله لها، أي أمره لها بإخراج أقالها والتحدث بأخبارها.

٦، ٧. يومئذ يخرج الناس من القبور إلى موقف الحساب متفرقين ليربهم الله جزاء أعمالهم من الجنة أو النار. فمن يحمل وزن ذرة من خير في الدنيا يجد ثوابه في الآخرة. أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ سمي هذه الآية الفأذة الجامعة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 إِنَّا زَلَّزَلْنَا الْأَرْضَ زَلَّزَالًا ۝ وَخَرَجْنَا الْأَرْضَ تُقَالًا ۝
 قَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ۝ يَوْمَئِذٍ تُخْبِرُكَ أَنَّكَ رَبُّكَ ۝
 أَنْجَلْنَاكَ ۝ يَوْمَئِذٍ يَصُدُّكَ النَّاسُ أَنْتَانَا أَيُّهَا أَهْلَهُمْ ۝ فَتَنْجَلُكَ ۝
 يَوْمَئِذٍ يَخْبِرُكَ ۝ وَمَنْ يَعْلَمْ يَتَّقَالَ ذَرَّةً مُسْكِرَةً ۝



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۝ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ۝ فَالْمُعِيرَاتِ حُبْحًا ۝
 فَأَنْزِلْنَاهُنَّ نُفُوحًا ۝ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ
 لَكَنُودٌ ۝ وَأَنْتَ عَلَيَّ ذَلِكَ شَهِيدٌ ۝ وَأَنْتَ لَبَّيْكَ الْخَبِيرُ
 لَسُدِّدُكَ ۝ أَفَلَا يَلْمُ إِذَا بُعِثَ إِلَى الْقُبُورِ ۝ وَكُضِّلَ
 مَا فِي الصُّدُورِ ۝ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ عَلِيمٌ ۝



٨. ومن يعمل وزن ذرة من شر في الدنيا يجد جزاءه في الآخرة. أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبيرة قال: لما نزلت ﴿ويطعمون الطعام على حبه...﴾ [الإنسان ٨/٧٦]، كان للمسلمون يرون أنهم لا يؤجرون على الشيء القليل إذا أعطوه، وكان آخرون يرون أنهم لا يلامون على الذنب اليسير: الكلبة، والنظرة، والغيبة، وأشبه ذلك، ويقولون: إنما وعد الله النار على الكبائر، فأنزل الله الآيتين [٨، ٧].

سورة العاديات

١. أقسم بخيل المجاهدين التي تجرهم وتعدو (والخيل الجارية) المصدرة صوتاً هو أنفاس الخيل عند جريها. والعاديات: من العدو وهو الجري. والضح: صوت النفس. أخرج البزار والحاكم وغيرهما عن ابن عباس قال: بعث رسول الله ﷺ خيلاً، ولبشت شهراً، لا يأتيه منها خبر، فنزلت ﴿والعاديات﴾.

٢، ٣. فالخيل الضاربات على حجارة الأرض، فتخرج شرر النار بحوافرها، كالقدح بالزناد. والموريات جمع موربة، من الإبراء: إخراج النار من الحجر بالزناد مثلاً. والقدح: هو الضرب على الحجر لإخراج النار. وضبحاً وقدحاً: حال كونها ضابحات قاذحات. فالخيل المغيرات التي تغير أو تهجم على العدو وقت الصباح. وصبحاً: وقت الصباح، وهو ظرف.

٤، ٥. فأثارت الخيول أثناء جريها غباراً في وجه العدو. فتوسطن بعدوهم أو في وقت الصباح وسط الأعداء.

٦. إن الإنسان لكفور جحود نعمة الله عليه. والمراد جنس الإنسان المتحدث عنه.

٧، ٨. وإنه على كنوده (جحوده) لشاهد يشهد على نفسه بصنعه، لظهور أثر ذلك عليه، أي أن أعماله تشهد عليه بجحوده، فهي شهادة بلسان الحال. وإنه لحب المال الكثير لشديد الحب له، فيبخل به، أو لقوي مجد في طلبه وتحصيله.

٩، ١١. أفلا يدري إذا نشر وأخرج ما في القبور من الموتى، أي بغشوا. وأبرز وجمع ما في الصدور مما تخفيه من خير أو شر، أو نية حسنة وسيئة. إن رب المبعوثين لعالم بهم، لا تخفى منهم خافية، ويجازيهم في ذلك اليوم على أعمالهم.

سورة القارعة

١- القارعة: القيامة، سميت بذلك لأنها تفرع القلوب والأسماع بأهوالها وأفزاعها الشديدة.
٢، ٣- أي شيء هي القارعة؟ والاستفهام لتفخيم شأنها وتعظيمه. وما أعلمك أيها الإنسان ما شأن القارعة؟ فانت لا تعرفها ولا تصورها خيالك.
٤- يوم يخرج الناس من القبور يوم القيامة، هائمين على وجوههم كالفراس (الطير الصغير الذي يتجمع ليلاً على نور السراج أو الضوء) المنتشر المتفرق. يضرب بالفراس المثل في الحيرة وجهل العاقبة.

٥- وتصير الجبال كالصوف المتدوف في خفته وسرعة تطايره. وفي كل ذلك تخويف وتحذير.
٦، ٧- فأما من رجحت حسناته على سيئاته، فهو في الجنة في عيشة مرضية سارة.

٨، ٩- وأما من رجحت سيئاته على حسناته، فمسكرته أو مرجعه ومأواه جهنم. وسميت أمه؛ لأنه يأوي إليها كما يأوي الطفل إلى أمه، وهذا من قبيل التهم.

١٠، ١١- وما أعلمك أيها الإنسان ما هذه الهاوية الهالكة؟ وسميت جهنم هاوية؛ لأنه يهوي فيها مع عمق قعرها. وأصل الهاوية: المكان المنخفض جداً.

والاستفهام للتهويل. وهاء «هيه» هاء السكت، تزداد في آخر الكلمة عادة للسكوت، ثم أثبتت مع الوصل. إن الهاوية هي نار جهنم الشديدة الحرارة.

سورة التكاثر

١- شغلتم أيها الناس التسابق في جمع المال، والتفاخر بكثرة الأموال والأولاد، أخرج أحمد ومسلم والترمذي والنسائي عن عبد الله بن الشَّخِير قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول: «أهلاكم التكاثر» يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأبقيت.

٢، ٣- حتى متم ودفتم في القبور، والمراد: شغلتم ملاذ الدنيا. كلا: للردع والزجر عما تقدم من التكاثر، ليس الأمر كما تريدون، سوف تعلمون بعد الموت ويوم القيامة سوء عاقبة تفاخركم، وأن السعادة ليست بذلك.

٤- ثم كلا سوف تعلمون، كرر الله تعالى ذلك للتأكيد والتحذير من الحرص على المال، وترك طاعة الله تعالى.

٥، ٦- «كلا»: ردع آخر، لو علمتم علماً يقينياً عاقبة التفاخر ما اشتغلتم به. وجواب «لو» مقلد، أي لتركتم التفاخر وعلمتم بما يحقق السعادة الخالدة. والله لترون بأبصاركم بعد الموت الجحيم بارزة ظاهرة غير بعيدة، وهي النار المستعرة.

٧- ثم لترونها بأعينكم بعد ذلك عياناً وهي اليقين نفسه، بدخولكم فيها، وهو تأكيد لما سبق.

٨- ثم لتسألن يوم الحساب عن نعم الدنيا الذي شغلتم عن العمل للأخرة. و«ثم» للترتيب الإخباري؛ لأن السؤال في موقف الحساب قبل رؤية الجحيم.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القارعة ١ ما القارعة ٢ وما أدراك ما القارعة ٣ يوم
يكون الناس كالفراس المتبوث ٤ ويكون الجبال كالمنفوش
٥ فلأمن نزلت موزينو ٦ فوفي عيشة راضية ٧ ولأمن خفت
موزينو ٨ فأمه هاوية ٩ وما أدراك ما هيئة ١٠ نار حامية ١١



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ألمكم التكاثر ١ حتى زدتم المقابر ٢ كلا سوف تعلمون ٣ ثم
كلا سوف تعلمون ٤ كلا لو تعلمون علم اليقين ٥ لترون الجحيم
٦ ولترونها عين اليقين ٧ ولتسألن يومئذ عن النعم ٨



سورة العصر

فضلها: أخرج الطبراني عن عبيد الله بن حفص قال: كان الرجلان من أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقيا لم يفترقا، إلا أن يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر، إلى آخرها، ثم يسلم أحدهما على الآخر. وأخرجه البيهقي عن أبي حذيفة.

٢، ١. أقسم بالعصر، وهو الدهر، لما فيه من العبر والأعاجيب. إن الإنسان (جنس الإنسان المكلف) لفي خسران عظيم في تجارته مع الشيطان وإيثار الدنيا، ولو تاجر مع الله تعالى، لكان له الربح الخالد، إذا أطاع الله وأثر الآخرة. وهذا جواب القسم.

٣. الإنسان خاسر إلا الذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا صالح الأعمال التي أمر الله بها، وأوصى بعضهم بعضاً بما هو حق: وهو العمل بشرع الله، من الإيمان به وتوحيده، وفعل أوامره، وترك نواهيه، وهذا يشمل كل خير وفضيلة، وأن يوصي الناس بعضهم بعضاً بالصبر على الطاعة وعن المعصية وعلى الصواب. وهذا من قبيل عطف الخاص على العام، لأن الصبر من خصال الحق.

سورة الهمزة

١. هلاك وخزي وعذاب شديد لكل همتاز (كثير الهمز) وهو المغتاب الطعان في أعراض الناس وكراماتهم، وكما أن كثير

اللمز) وهو العياب الذي يطعن بالناس خفية باللسان أو العين أو اليد أو الرأس ونحوها تحقيراً لهم وترفعاً عليهم.

٢. الذي يجمع الأموال، ويعدها مرة بعد أخرى تلذذاً بإحصائها. وهذا سبب الهزء بالناس وتحقيرهم.

٣. يظن أن ماله يجعله حياً خالداً لا يموت، والمراد: أنه يعمل عمل من لا يفكر بالموت.

٤. «كلا»: للزجر له عن هذا الفعل، والله ليطرحن ويرمين بإهانة وتحقير في نار جهنم كثيرة التحطيم والتكسير لكل ما يلقي فيها.

«لينذن»: جواب قسم محذوف كما قدرنا.

٥. وما أعلمك ما الخطمة: نار جهنم؟ وهذا للتوهيل، أي أي شيء هي؟ كأنها غريبة عن العقول.

٦. نار الله الملتهبة التهاباً شديداً، والتي لا تخمد أبداً.

٧. التي تعلق أوساط القلوب أو تصل إلى أعماقها، وتحيط بها، وخصت القلوب؛ لأنها محل العقائد الزائفة.

٨، ٩. إنها (النار) على أهلها مغلفة مطبقة. في أعمدة طويلة ممدودة، وهذا إشعار باليأس من التخلص أو الخروج منها.

سورة الفيل

١، ٢. ألم تعلم أيها النبي كيف فعل ربك بأصحاب الفيل العظيم: قوم من الجيش النصارى حكموا اليمن، جاؤوا بقيادة أبرهة لهدم

الكنيسة المشرفة، بقصد تحويل العرب إلى تعظيم كنيسة بنوها في صنعاء، حدث ذلك قبل بعثة النبي ﷺ بأربعين عاماً. والاستفهام للتقرير.

ألم يجعل الله تدبيرهم السوء بتخريب الكنيسة وفكرهم الخبيث، في إيصال وتضييع. والضللال في الأصل: ضياع العمل عبثاً.

٣، ٤. وأرسل الله عليهم مجموعات كثيرة متفرقة من الطيور. والطيور: كل ما طار في الهواء، صغيراً أو كبيراً، فيشمل الذباب والبعوض. ترميمهم بحجارة من طين متحجر، فتهلكهم. وعبر بالمضارع «ترميمهم» عن الماضي لاستحضار الصورة العجيبة.

٥. أي فجعلهم كورق الشجر الذي عصفت به الريح، وأكلته الدواب ثم راته، فأهلكهم جميعاً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَأَعْظِرْ ۚ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ۚ
إِلَّا الْذَرِيرَ ۚ آمَنُوا
وَعَلِمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَآمَنُوا بِأَوْصِيَاءِهِمْ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلِكُلِّ هَمَزٍ لُزْمٌ ۚ
الَّذِي جَمَعَ مَا لَوْ عَدَدَهُ ۚ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدُهُ
كَلَّا لَيُنْبِتُهُ فِي الْخَلْقِ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْخَلْقُ ۚ
أَلَمْ يَطَّلِعْ عَلَى الْآيَةِ ۚ إِنَّهَا عَلِيمٌ مُّؤْتِنَةٌ ۚ
فِي عَمْدٍ مُّكْتَمَةٌ ۚ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۚ
الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ
فِي تَضَلُّعٍ ۚ وَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۚ
تَرْمِيهِمْ
بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ۚ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ۚ

سورة قريش

(وتسمى سورة الإيلاف)

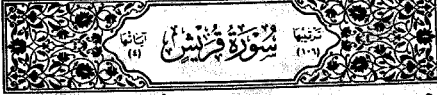
فضلها: روى البيهقي في الخلافات عن أم هانئ بنت أبي طالب: أن رسول الله ﷺ قال: «فضل الله قريشاً بسبح خلال... ذكر منها: أن الله أنزل فيهم سورة من القرآن، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه السورة».

١- اصحجوا الإيلاف قريش: وهي أعظم القبائل العربية المتفرعة من النضرين كنانة، وهي قبيلة النبي ﷺ. والإيلاف: مصدر الف، أي عكف عليه مع الأنس به. أخرج الحاكم وغيره حديث أم هانئ للتقدم لبيان سبب النزول.

٢- إيلافهم بأمان واطمئنان رحلة الشتاء إلى اليمن؛ لأنها بلاد حارة، ورحلة الصيف إلى الشام؛ لأنها بلاد باردة، من أجل التجارة التي جعلت لقريش نفوذاً وشهرة بين القبائل. وإيلافهم: بدل من «إيلاف» في الآية الأولى، وإنما جيء به أولاً مطلقاً لتشويق النفوس للقيء المذكور في الآية الأولى.

٣- ومن أجل نعمة الإيلاف هذه، فليعبد القرشيون رب الكعبة، التي تشرفوا بها على سائر العرب، وعاشوا بجوار البيت الحرام في أمان.

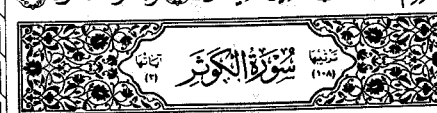
٤- الذي وسع عليهم في الرزق وأطعمهم بسبب هاتين الرحلتين، فتخلصوا من جوع شديد، كانوا فيه قبل الرحلتين، وجعلهم يعيشون في أمان لمكان الحرم، فلا تغير العرب عليهم، كما أمّتهم من هجوم الحبيشة مع القبيل.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِلَافٍ قُرَيْشٍ ۝ إِيَّاهُمْ رَحَلَةُ الشَّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ۝



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَوْتَيْتَ الَّذِي كَذَّبَ بِالذِّينِ ۝ فَلَكَ الَّذِي بُدِعَ الْبَيْتِ ۝ وَلَا يُحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۝ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ يُرِيءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ۝



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝ إِنَّ سَانَكَ هُوَ الْأَبْدَرُ ۝

سورة الماعون

١- أعرفت وأبصرت أيها النبي المكذَّب بالحساب والجزاء في الآخرة، وبالعقائد والشرائع في هذا الدين؟ اليس مستحقاً عذاب الله؟ والاستفهام لحمل المخاطب على التعجب من فعل هذا المكذَّب.

٢، ٣- فذلك المكذَّب هو الذي يدفع التيميم ويطرده عن حقه دفعاً شديداً، يعنف وخشونة. ومن المعلوم أن عرب الجاهلية كانوا لا يورثون النساء والصغار. ولا يبحث نفسه وأهله وغيرهم من الناس على إطعام المحتاج، ليخله وحرصه.

٤- فهلاك وخزي وعذاب يوم القيامة للمصليين المناقين. أخرج ابن المنذر عن ابن عباس في قوله: ﴿فويل للمصليين﴾ قال: نزلت في المنافقين كانوا يراؤون المؤمنين بصلاتهم إذا حضروا، ويتركونها إذا غابوا، ويمنعونهم العارية، أي الشيء للمستعار.

٥- الذين هم غافلون عن أداء الصلاة في أوقاتها بخشوع واعتقاد، فلا يرجون ثواباً منها، ولا يخشون عقاباً بتركها.

٦، ٧- الذين يراؤون في الصلاة وغيرها، طلباً للمدح والثناء فقط على أعمالهم. ويمنعون عن الناس كل وسائل العمون والمساعدة والانتفاع، كالماء والملح والإناء والفأس والقدر ونحو ذلك، كما يمنعون الزكاة.

سورة الكوثر

فضلها: أخرجه الإمام أحمد عن أنس بن مالك: أن النبي ﷺ أفضى إغفاءة، ثم تبسم، لتزول هذه السورة عليه. وفسر الكوثر: بقوله: هو نهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة، عليه خير كثير، ترد عليه أمتي يوم القيامة، أي هو الخوض المورود.

١، ٢- إنا أعطيناك أيها الرسول الكوثر: وهو الخير البالغ النهاية في الكثرة، ومنه نهر في الجنة، كما روى أحمد ومسلم وغيرهما. فداوم على الصلاة المفروضة الخاصة لوجه الله، وكذا صلاة العيد، شكراً لإتمام الله، وانحر ذبيحتك لله، وباسمه وحده، خلافاً لما كان عليه عرب الجاهلية من الصلاة لغير الله، والتحر لغير الله.

٣- إن مبغضك أيها الرسول هو المنقطع عن الخير الدنيوي والأخروي، ومنه الذكر الحسن والثناء الجميل، بل يلازمهم الذكر السيئ، فهو خالد معهم حتى في جهنم. وأما أنت أيها النبي فيبقى ذكرك الحسن وصيتك الطيب إلى يوم القيامة، وفي الآخرة.

سورة الكافرون

فضلها: أخرج مسلم عن جابر أن رسول الله ﷺ قرأ بهذه السورة و: «قل: هو الله أحد» [الإخلاص ١/١١٢] في ركعتي الطواف، وأخرج أيضاً عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قرأ بها في ركعتي الفجر. وثبت أنه قرأ بها في ركعتي المغرب، وأوتر بها و: «سبح» [الأعلى ١/٨٧] و «قل هو الله أحد» [الإخلاص ١/١١٢].

١. قل أيها النبي للمشركين: يا أيها الكافرون بالله ورسوله. نزلت هذه السورة حينما طلب الكفار من رسول الله ﷺ أن يعبد آلهتهم سنة، ويعبدوا إلهه سنة، فأمره الله بهذه السورة.
 ٢. لا أعبد ما تعبدون من الأصنام والأوثان، أي في المستقبل. و «ما» بمعنى الذي، أي الإله الذي تعبدونه.
 ٣. ولا تعبدون أنتم في المستقبل ما أعبد في الحال، وهو الإله الحق، ويعبر عن الله سبحانه مرة بـ «من» مثل «أنتم من في السماء» [الملك ١٦/٦٧] أو بـ «ما» مثل المذكور هنا، ومثل «ما تعبدون من بعدي» [البقرة ١٣٣/٢] ومثل «نفس وما سواها» [الشمس ٧/٩١].
 ٤. ولست أنا عابداً في الحال أو في الماضي شيئاً مما عبدتوه فيما سلف، أو لا أعبد عبادتكم الباطلة، بجعل «ما» هنا مصدرية، تجعل ما بعدها في معنى الصلبر.
 ٥. ولستم أنتم عابدين في وقت ما أنا عابده. أو لا أنتم عابدون عبادتي الصحيحة.
 ٦. لكم دينكم وهو الشرك الذي أنتم عليه، ولي ديني وهو التوحيد والإسلام الذي أنا عليه، لا أرفضه.
- والخلاصة: ليس بمعبودنا واحداً، ولا عبادتنا واحدة، فلكم دينكم أنتم مسؤولون عنه، ولي ديني أسأل عنه.

سورة النصر

(وتسمى سورة التوديع)

- فضلها: جاء في حديث الترمذي عن أنس بن مالك أنها تعدل ربع القرآن، و «إذا زلزلت» [الزلزلة ١/٩٩] تعدل ربع القرآن. وعند النسائي أنها آخر سورة من القرآن نزلت. وعند البزار والبيهقي أنها نزلت أوسط أيام التشريق، فعرف أنه الوداع. وعند أحمد وابن جرير عن ابن عباس: لما نزلت قال رسول الله ﷺ: «فصحت إلي نفسي».
١. إذا تحقق نصر الله لك أيها النبي مع المؤمنين على أعدائك من قريش، وفتح مكة. أخرج البخاري وغيره عن ابن عباس أنه فسّر هذه السورة لعمر والصحابية بأنها أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له، قال: «إذا جاء نصر الله والفتح» فذلك علامة أجلك.
 ٢. وأبصرت الناس من العرب وغيرهم يدخلون في الإسلام جماعات كثيرة، كأهل مكة والطائف واليمن والهوازن وسائر قبائل العرب.
 ٣. فتزده الله وصلّ له، حامداً ريك على نعمه، وأسأله المغفرة لك تواضعاً له، ولمن تبعك من المؤمنين، إنه سبحانه كان وما يزال كثير القبول لتوبة عياده.

سورة المسد

١. هلك وخسر أبو لهب (عبد العزى بن عبد المطلب، عم النبي ﷺ، ولكنه كان أشد الناس عداء له) وقد خسر، وهذا خبر عنه. وأبو لهب: كنية له لشدة احمرار وجهه، ذكر بذلك تهكماً به. والجملة الأولى: دعاء دائم على أبي لهب إلى يوم القيامة. ثبت في الصحيحين وغيرهما: أن النبي ﷺ لما دعا قومه على جبل الصفا إلى الإسلام، قال أبو لهب: تبا لك، أما جمعنا إلا لهذا؟! فنزلت هذه السورة.
٢. ما أفاده ولا نفعه ولا دفع عنه عذاب الله ما جمعه من المال، وما كسبه من العمل السيئ في محاربة النبي ﷺ بل فشل.
٣. سوف يدخل نار جهنم ذات الاشتعال والتوقد وشدة الحرارة. والتعبير بذات لهب مناسب لكتيبته بأبي لهب.
- ٤، ٥. وكذلك امرأته أم جميل أخت أبي سفيان ستدخل معه جهنم، التي كانت تحمل الشوك والحسك، فتطرحه في طريق رسول الله ﷺ لإيذائه. وحمالة: منصوب بفعل مقدر، أي أريد أو آدم. في عتقها جبل مفتول من ليف قتلا شديداً، تعذب به في النار.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَا كَافِرُونَ ١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ٢ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ٣
وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ٤ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ٦



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ
أَقْرَابًا ٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّكَ تَوَّابٌ ٣



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَبَّتْ يَا أَبِي لَهَبٍ وَرَبِّ ١ مَا عَفَى عَنْهُ مَالُهُ إِذَا كُتِبَ ٢ سَيْئَلِي
نَارًا ٣ وَرَأَيْتُ حِمْلًا لَهَبًا ٤ وَجِئْتُ بِمَا كُنْتُ تَسَدُّ ٥

سورة الإخلاص

فضلها: أخرج أحمد والبخاري عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أيمجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟ فشق ذلك عليهم، وقالوا: آينا يطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: الله الواحد الصمد ثلث القرآن».

- ١- قل أيها النبي: الله واحد في ذاته، لا هو مادة ولا غير مادة، هو واحد لا شريك له. فنزل حينما قال للمشركون: يا محمد انسب لنا ربك، أي اذكر لنا نسبه، فنزلت هذه السورة.
- ٢- الله السيد المقصود في جميع الخواص على الدوام.
- ٣، ٤- لم يلد أحداً ولم يولد من أحد؛ لأنه قديم أزلي غير محدث. ولم يكن له على الإطلاق مكافئ ومماثل في ذاته وصفاته وأفعاله، فلا يساويه أحد ولا يشاركه في شيء.

سورة الفلق

فضل للمعوذتين: أخرج مسلم وأحمد والترمذي والنسائي عن عتبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «الم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط: ﴿قل: أعوذ برب الفلق﴾ [الفلق ١/١١٣] و﴿قل: أعوذ برب الناس﴾ [الناس ١/١١٤]. وأخرج الترمذي وحسنه والبيهقي عن أبي سعيد الخدري، قال: كان رسول الله ﷺ يتعوذ من عين الجان ومن عين الإنس، فلما نزلت سورتا المعوذتين، أخذ بهما وترك ما سوى ذلك».

- ١- قل أيها النبي: الجأ وأستجير برب الصبح الذي يفلق ضوءه ظلمة الليل، فينطق الليل عن الصبح.
- ٢- أعوذ بالله من شر مخلوقات الله تعالى.
- ٣، ٤- وأعوذ بالله من شر الليل إذا أقبل بظلمته في الكون والغاسق: ليل اشتد ظلامه وكلمة «وقب» دخل ظلامه



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ صَمَدٌ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ لَمْ يَلِكْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝ مَلِكِ النَّاسِ ۝ إِلَهِ النَّاسِ ۝ مِنْ شَرِّ أَلْوَسَاوِسِ الْخَنَّاسِ ۝ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝ مِنَ الْغَيْثِ وَالنَّاسِ ۝

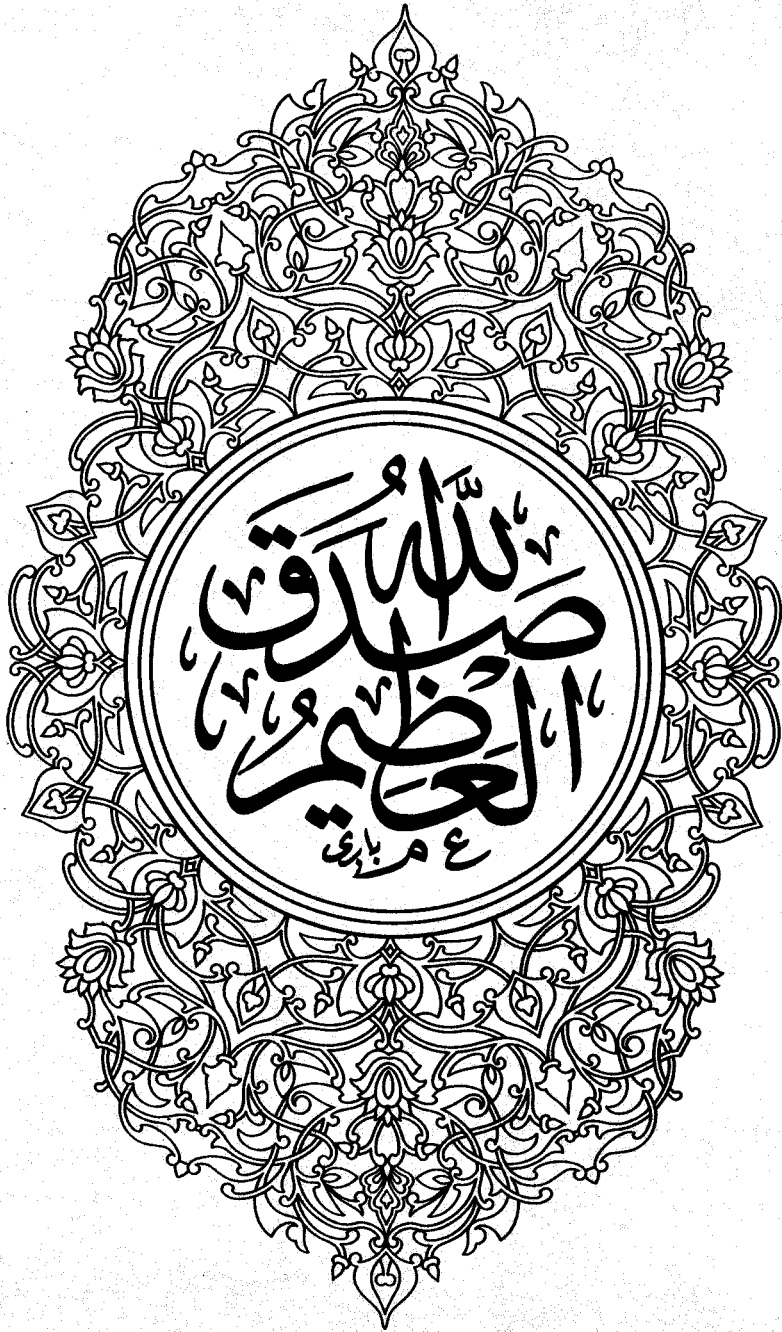
بتعمق. وأعوذ بالله من شر السواحر من النفوس للإفساد بالسحر بين الناس. والنفثات جمع نفثاة، والنفث: النفث الخفيف. والعقد: جمع عقدة وهي ما يعقد بالخيط أو الحبل ونحوهما. جاء في الصحيحين عن عائشة: أن لبيد بن الأعمس اليهودي سحر النبي ﷺ، فأنزلت عليه للمعوذتان، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة، حتى انحلت العقدة الأخيرة، وجعل جبريل يرقى رسول الله ﷺ فيقول: «باسم الله أرقبك، من كل شيء يؤذيك، من شر حاسد وعين، والله يشفيك». واقتصر تأثير هذا السحر بالنبي على مجرد كونه قد صار في بعض أمور الدنيا. لا فيما يتعلق بالوحي. في حالة صداع خفيف، وهو معنى التخيل في الحديث، وقد يحدث تخيل في اليقظة كالنام. ٥- وأعوذ بالله من شر حاسد: وهو الذي يتمنى زوال نعمة المحسود، إذا نفذ حسده بالسعي في إزالة نعمة المحسود. ولا يضر السحر والعين والحسد ونحو ذلك بلذاته، وإنما يفعل الله وتأثيره، وينسب الأثر إلى هذه الأشياء في الظاهر فقط.

سورة الناس

- ١- قل أيها النبي: الجأ واعتصم (أو احتصم) بالله خالق الناس ومربيهم ومدير أمورهم.
- ٢- مالك الناس ملكاً تاماً وحاكمهم، والمتصرف في أمورهم
- ٣- معبود الناس بحق، واسم الإله خاص بالله تعالى لا يشاركه فيه أحد، فهذه صفات ثلاث لله: الربوبية، والملك، والألوهية.
- ٤، ٥- أعوذ بالله تعالى من شر الذي يوسوس كثيراً، بأن يلقي في النفوس خواطر الشر والسوء، والذي من عادته أن يخنس، أي يختفي ويرجع كلما رأى مانعاً فذكر الله تعالى. الذي يلقي في قلوب الناس ما يضلهم ويضرهم.
- ٦- الموسوس من الجان: وهم خلق مستتر لا يعلم به أحد إلا الله تعالى، فشياطان الجن وهو الجان الشرير، يوسوس في صدور الناس. ومن الناس الذين يوسوسون بالسوء، فشياطان الإنس: أن يري نفسه كالتناصح، ثم يدس في كلامه السوء. و«من» بيانية بيان للموسوس: وهو كل ما لا تراه العيون.

والحمد لله تعالى الذي بنعمته وتوفيقه تتم الصالحات

تم ذلك في أثناء أذان العشاء ليلة الجمعة مساء الخميس الواقع في ٢ من جمادى الآخرة سنة ١٤١٣ هـ الموافق ١١/٢٦/١٩٩٢ م



دَعَاءُ حَيْمِ الْقِرَاتِ

الحمد لله وصلاة و سلام على رسول الله

اللهم ارحمني بالقرآن ، واجعله لي إماماً ونوراً ، وهدني ورحمته ، اللهم ذكرني منه ما نسيت ، وعلمني منه ما جهلت ، و ارزقني تلاوته آنا الليل وأطراف النهار ، واجعله لي حجة يارب العالمين ، اللهم اني أسألك رضاك والجنة ، وأعوذ بك من سخطك والنار ، و ارزقني شفاعته نبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم وسعادة الدنيا والآخرة ، اللهم حبب الي الإيوان ، وزين في قلبي وكره الي الكفر والفسوق والعصيان ، واجلني من الراسخين ، اللهم اجعل لي من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ، و ارزقني من حيث لا أحتسب ، اللهم نور بالقرآن عقلي وسمعي وبصري وحواصي كلها ، و ارزقني الاخلاص في القول والعمل ، واحسن عاقبتني في الأمور كلها ، واجرني من ضري الدنيا وعذاب الآخرة ، واغفر لي ولذري واخلني ومشائخي وأهل الإيوان والتوحيد أجمعين ، و وحد بين قلوب عبادك المؤمنين لرفع راية الإسلام . اللهم اجلني للحق داعياً ، وبالحق عزيزاً وقويماً وإقامة الحق والقرآن عاطلاً ، ومن أجل الحق والإيمان وحب القرآن والشي وآله مجاهداً ، وأهمني رشدي للعمل بكل ما انزلت في كتابك ، واجل هواي في هواك ، وقصدي رضاك ، وخلصني من أهوار النفس والدنيا ، واجل آخرتي خيراً من دنياي ، وأمنخي العون من ذاك الحلية للقيام بكل ما تجبه وترضاه .

والحمد لله في البدر والنجوم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، الفاتحة

المصطلحات

أحكام الوقف

تفيد بأن الوصل أول مع جواز الوقف	ص
تفيد بأن الوقف أول مع جواز الوصل	ط
تفيد عدم جواز الوقف عليهما وألدهما بما بعدها	لا
تفيد جواز الوقف وجواز الوصل دون تدحيح	ج
تفيد لزوم الوقف	م
تفيد جواز الوقف بأحد الموضعين وليس في كليهما	هـ

أحكام الجواز

فوق الألف للدلالة على زيادته وعدم التعلق به حين الوصل	٥
فوق حرف العلة للدلالة على زيادته وعدم التعلق به مطلقاً	٥
للدلالة على سكن الحرف وإظهاره	٦
للدلالة على وجود الألف	٢
للدلالة على إظهار التنوين	هـ
للدلالة على الإذعام والإخفاء	هـ
للدلالة على وجوب التعلق بالأحرف المشروكة	ا و ن
للدلالة على أن التعلق بالسين أشهر من الصاد	س
وإذا وضعت بالأشقل كان التعلق بالصاد أشهر	س
فوق آخر الآية للدلالة على سكتة لطيفة يُشار لها بزخرفة	س
للدلالة على لزوم المد الزائد	١
للدلالة على موجب التجدة	—
للدلالة على موضع الشجود	☉
للدلالة على بداية الأجزاء والأحزاب وأنصافها وأزبائها	☉
للدلالة على انتهاء الآية الكريمة ووقفها	①
علامة الإماله والإشمار	٥
علامة التسهيل	٥

تعريف بهذا المصحف الشريف

كُتِبَ هذا المصحفُ وضُبطَ على ما وافق رواية حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي الكوفي لقراءة عاصم بن أبي النجود الكوفي التابعي عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلميّ عن عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وزيد بن ثابت وأبي بن كعب عن النبي ﷺ .

وأخذ هجاؤه مما رواه علماء الرسم عن المصاحف التي بعث بها الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى البصرة والكوفة والشام ومكة، والمصحف الذي جعله لأهل المدينة، والمصحف الذي اختص به نفسه، وعن المصاحف المتسخة منها. وقد روعي في ذلك ما نقله الشيخان أبو عمرو الداني وأبو داود سليمان بن نجاح مع ترجيح الثاني عند الاختلاف.

هذا وكل حرف من حروف هذا المصحف موافق لنظيره في المصاحف العثمانية الستة السابق ذكرها.

وأخذت طريقة ضبطه مما قرره علماء الضبط على حسب ماورد في كتاب (الطراز على ضبط الخراز) للإمام التنسي مع الأخذ بعلامات الخليل بن أحمد واتباعه من المشاركة، بدلاً من علامات الأندلسيين والمغاربة.

وأتبعت في عدآياته طريقة الكوفيين عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلميّ عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه على حسب ماورد في كتاب (ناظمة الزهر) للإمام الشاطبي، وغيرها من الكتب المدونة في علم الفواصل، وآي القرآن على طريقتهم ٦٢٣٦ آية.

وأخذ بيان أوائل أجزاءه الثلاثين وأحزابه الستين وأرباعها من كتاب (غيث النفع) للعلامة السفاقي. و(ناظمة الزهر) للإمام الشاطبي وشرحها. و(تحقيق البيان) للشيخ محمد المتولي، و(إرشاد القراء والكاتبين) لأبي عيد رضوان المخللاتي.

وأخذ بيان مكّته ومدنيّه وترتيب سوره حسب النزول في الجدول الملحق بأخر المصحف من كتاب أبي القاسم عمر بن محمد بن عبد الكافي وكتب القراءات والتفسير على خلاف يسير في بعضها.

وأخذ بيان وقوفه وعلاماتها مما قرره عدد من اللجان والقراء حسب أقوال أئمة التفسير وعلماء الوقف والابتداء.

وأخذ بيان مواضع السكتات عند حفص من (الشاطبيّة) وشرّاحها وتعرف كيفيتها بالتلقي من أفواه المشايخ.

وأخذ بيان السجّادات ومواضعها من كتب الفقه والحديث.

توضيحات ينبغي مراعاتها

للقارئ برواية حفص عن عاصم من الشاطبية

- ١- في قوله تعالى: ﴿مَجْرِيهَا﴾ في الآية ٤١ من سورة هود إمالة للألف الواقعة بعد الراء، وذلك بتقريب الألف نحو الياء، ويلزم منه ترقيق الراء.
- ٢- في قوله تعالى: ﴿تَأْمَنَّا﴾ في الآية ١١ من سورة يوسف وجهان:
الاحتلاس: ويعبر عنه بالروم، وذلك بلك الإدغام والنطق بنونين مع إخفاء ضمة النون الأولى أي النطق بمعظمها. والإشمام: وذلك بضم الشفتين على هيئة من ينطق بالواو دون صوت قبيل النطق بالنون المشددة. والوجه الأول مقدم أداء.
- ٣- في قوله تعالى: ﴿ءَءَعْجَمِي﴾ في الآية ٤٤ من سورة فصلت تسهلّ الهمزة الثانية بين أي بين الهمزة والألف.
- ٤- في قوله تعالى: ﴿يَرْضَهُ﴾ في الآية ٧ من سورة الزمر تضم الهاء دون صلة وفي لفظ ﴿أَرْجَهُ﴾ في الآية ١١١ من سورة الأعراف، وفي الآية ٣٦ من سورة الشعراء تسكن الهاء، وفي لفظ ﴿فَالْقَهْ﴾ في الآية ٢٨ من سورة النمل تسكن الهاء أيضاً، وفي لفظ ﴿فِيهِ﴾ في الآية ٦٩ من سورة الفرقان توصل الهاء وتمد بمقدار حركتين.
- ٥- في لفظ ﴿ضَعْفٌ﴾ و ﴿ضَعْفٌ﴾ من قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشِيبَةً﴾ في الآية ٥٤ من سورة الروم يجوز فتح الضاد في المواضع الثلاثة، ويجوز ضمها، والفتح هو المقدم أداء.
- ٦- في قوله تعالى: ﴿ءَاتَتْ﴾ في الآية ٣٦ من سورة النمل وجهان وفقاً: إثبات الياء ساكنة، وحذفها أي بالوقف على النون، والأول هو المقدم أداء، أما حال الوصل فتثبت الياء مفتوحة.
- ٧- في قوله تعالى: ﴿سَلْسَلًا﴾ في الآية ٤ من سورة الإنسان وجهان وفقاً حذف الألف، وإثباتها والأول هو المقدم أداء، أما في حال الوصل فتحذف الألف.
- ٨- في قوله تعالى: ﴿وَيَبْصُطُ﴾ في الآية ٢٤٥ من سورة البقرة، وقوله تعالى: ﴿بِصْطَةً﴾ في الآية ٦٩ من سورة الأعراف يقرأ بالسين، أما في قوله تعالى: ﴿الْمُصَيِّرُونَ﴾ في الآية ٣٧ من سورة الطور فيقرأ بالصاد وبالسين، ووجه الصاد هو المقدم أداء.
- ٩- في قوله تعالى: ﴿مَالِيَةَ هَلَكٌ﴾ في الآيتين ٢٨ و ٢٩ من سورة الحاقة يجوز حال الوصل وجهان: الإظهار مع السكت، والإدغام، والوجه الأول هو المقدم أداء. أما في قوله تعالى: ﴿عَوْجًا﴾ في الآية الأولى من سورة الكهف، و﴿مَرْقَدَانًا﴾ في الآية ٥٢ من سورة المطففين، فيتعين السكت وصلًا.
- ١٠- في قوله تعالى: ﴿ءَالله﴾ في الآية ٥٩ من سورة يونس، وفي الآية ٥٩ من سورة النمل، وقوله ﴿ءَأَلْتَن﴾ في الآيتين ٥١ و ٩١ من سورة يونس، وقوله ﴿ءَالذَّكْرَيْن﴾ في الآيتين ١٣٤ و ١٤٤ من سورة الأنعام وجهان إبدال الهمزة الثانية ألفاً ومدها مداً مشبهاً للساكن بعدها، وتسهيل الهمزة الثانية بين أي بين الهمزة والألف، والوجه الأول هو المقدم أداء.

ولا يتم ضبط هذه الأوجه إلا بالتلقي والمشاهدة.

كتبه

د. أحمد شكري

١٩٩٣ / ١٢ / ١٩

قواعد التجويد أو الترتيل

مقدمة

إن الهدف المقصود من إنزال القرآن الكريم هو العمل بأدابه وأخلاقه، وتشريعاته، وأحكامه، والانتعاض بمواعظه، وقصصه، بحيث يكون دستوراً أعلى للفرد في سلوكه وحياته، وللمجتمع في نظامه وتحديد غاياته ومقاصده. ويتطلب العمل بالقرآن المجيد فهمه وتدبر معانيه، وذلك عن طريق التفسير أو التأويل السابق، وهو ينحو موجز، يعد الحد الأدنى الواجب على كل مسلم ومسلمة معرفته وتعلمه، وهناك تفاسير مطولة مثل كتابي (التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج) يحسن بالمسلم أن يترقى في درجة تعلمه، فينتقل من الحد الأدنى إلى الحد الأعلى في استيعاب أحكام القرآن وعلومه. قال الله تعالى: ﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أولئك الذين هداهم الله، وأولئك هم أولو الألباب﴾ [الزمر/٣٩].

ومن أهم الواجبات المساعدة على فهم القرآن العظيم: ترتيله وتجويده على وفق ضوابط معينة قررها العلماء المتخصصون في فن التلاوة، يجب على كل مسلم ومسلمة وجوباً عينياً تعلمها، لقوله تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته﴾ [البقرة/٢/١٢١] وقوله سبحانه: ﴿ورتل القرآن ترتيلاً﴾ [الزلزل/٧٣/٤]. وقال رسول الله ﷺ فيما رواه أبو يعلى عن عائشة رضي الله عنها: «من لم يتغن بالقرآن فليس منا» والمقصود بالتغني: الترتيل، لا التمطيط ومراعاة الأنغام فذلك مكروه كراهة شديدة. وأخرج البخاري والترمذي وأبو داود عن عثمان بن عفان رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه». وأخرج أبو داود عن سعد بن عباد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من امرئ يقرأ القرآن، ثم ينساه إلا لقي الله عز وجل يوم القيامة أجدم».

ولتلاوة القرآن ثواب عظيم، والنظر إلى القرآن عبادة، أخرج الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ﴿الم﴾ حرف، ولكن ألف: حرف، ولام: حرف، وميم: حرف». وأخرج البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه، وهو عليه شاق، له أجران».

ومن آداب التلاوة الواجبة شرعاً: إخلاص النية والطهارة من الحدثن الأصغر والأكبر بأن يكون متوضئاً إذا لمس القرآن، وغير جنب إذا تلاه أو لمسه، والقراءة بتؤدة وترسل وترتيل، دون إسراع ولا تمطيط مخل بأصول التلاوة، والقراءة بوعي وتدبر وفهم لمعاني آيات القرآن الكريم حتى ينتقل من العبادة إلى العمل والفائدة والامثال الذي هو الهدف الجوهرى من إنزال القرآن. ويستحسن استقبال القبلة والاستيائك والجلوس كجلسة التشهد في الصلاة.

الاستعاذة والبسملة :

يبتدئ قارئ القرآن في الصلاة وغيرها بالاستعاذة والبسملة لقوله تعالى : ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ [النحل ١٦/٩٨] . وقال الله سبحانه في بدء إنزال القرآن على النبي المصطفى محمد ﷺ : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم . اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ [العلق ١/٩٦] .

١ - وتكون الاستعاذة مطلوبة وحدها إذا كان البدء بالقراءة من غير أول السورة ، أي عند تلاوة بعض الآيات من السورة القرآنية أو أثناء القراءة .

٢ - وتقرأ الاستعاذة والبسملة معاً إذا كان البدء بالقراءة من أول السورة .

٣ - وتكفي البسملة عند انتقال القارئ من سورة إلى سورة أخرى ، سواء أتم القارئ السورة الأولى أم لم يتمها .

٤ - ولا حاجة إلى الاستعاذة والبسملة عند الانتقال من سورة إلى بعض آيات من سورة أخرى ليس من أولها .

٥ - يأتي القارئ بالبسملة ويتبعها بما بعدها ولو بكلمة واحدة إذا وصل سورة بأخر سورة قبلها ، حتى لا يظن أن البسملة من السورة المتقدمة . ويعيد البسملة إذا وقف عليها لضرورة انقطاع النَّفَس في هذه الحالة . فإن وصل سورة بما قبلها ، وقطع التسمية عما بعدها ، كانت البسملة غير جائزة ، لثلاثيهم أنها من السورة التي قبلها .

٦ - لا تبدأ سورة التوبة (براءة) بالبسملة ؛ لأن البراءة من المشركين وغضب الله عليهم لا يتناسب مع ذكر صفات الرحمة لله عز وجل ، ولأن هذه السورة نزلت بمناسبة القتال في السنة التاسعة من الهجرة . روى ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن علي كرم الله وجهه : أن البسملة أمان ، وبراءة نزلت بالسيف .

ويسن في حق القارئ أن يكبر عند ختم كل سورة ، فيبتدئ بالتكبير من آخر سورة الضحى ، ويستحب إذا ختم القرآن أن يفتتح بالفاتحة ويقرأ من البقرة [٢] إلى ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ [٥] ثم يدعو الله عز وجل دعاء ختم القرآن .

تعريف علم التجويد وحكمه :

التجويد لغة : التحسين والإجادة ، واصطلاحاً : إعطاء الحروف حقوقها من المخارج والصفات من الإدغام والإظهار والإخفاء ، والغن والمد ، والترقيق والتفخيم ، والقلقلة ، والهمس ، ومعرفة الوقف والابتداء ، وغير ذلك من الأحكام .

وحكمه : وجوب تعلمه لقوله تعالى : ﴿ورتل القرآن ترتيلاً﴾ [المزمل / ٧٣ / ٤].

وفائدته أو غايته : صون اللسان عن الخطأ في تلاوة كتاب الله تعالى . وله فائدة أخرى هي إجادة النطق في التكلم بغير القرآن الكريم . لكن لا بد في هذا العلم من التلقي والسماع في التطبيق من رجل عالم متقن القراءة وأحكامها ، وقد تلقاها بالمشافهة عن أهل القرآن ، ولا يكفي مجرد حفظ هذه الأحكام من الكتب .

وثمرته : الفوز برضاء الله تعالى .

والكلام في التجويد يتناول : المدود ، وأحكام النون والميم الساكنة والتنوين ، ومخارج الحروف وصفاتها . ومنها أحكام الهمزة ، والألف ، واللام ، والراء ، والقلقة ، والسكت ، والوقف والابتداء .

المدود

المد : إطالة الصوت بحرف من حروف المد .

حروف المد : هي ثلاثة : الواو الساكنة المضموم ما قبلها ، والياء الساكنة المكسور ما قبلها ، والألف الساكنة المفتوح ما قبلها ، المجموعة في قوله : ﴿نوحياً﴾ . مثل ﴿بيوتاً تستخفونها﴾ وفيها واوان . ﴿سراييل تقيكم﴾ وفيها ياءان ﴿ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها﴾ وفيها ستة ألفات .

عدد المدود : المدود عشرة : طبيعي ، وبدل ، وعوض ، وصلة ، وتمكين ، ومتصل ، ومنفصل ، ولازم ، وعارض لسكون ، ولين .

١ - المد الطبيعي وحرركته :

المد الطبيعي : هو الذي لا تقوم ذات الحرف إلا به ، ولا يتوقف على سبب من همز أو سكن ، وأحرفه : أحرف المد المتقدمة المجتمعة في قوله تعالى : ﴿نوحياً﴾ ويمد بمقدار حركتين ، مثل : قالوا ، سافروا . وسمي مداً طبيعياً ؛ لأن صاحب الطبع السليم لا ينقصه عن حده ، ولا يزيد عليه .

مقدار الحركة : هي بمقدار ما يقبض الإنسان أصبعه أو يبسطها بحالة وسطى . ويلحق بالمد الطبيعي أربعة مدود : مد البدل ، ومد العوض ، ومد الصلة الصغرى ، ومد التمكين .

٢ - مد البدل وحرركته :

مد البدل : هو أن يأتي همز وبعده همز ساكن في كلمة واحدة ، وقد يأتي في أول الكلمة ، مثاله : آمنوا ، أوتوا ، إيماناً . وقد يأتي في وسطها مثل : ﴿الموءودة﴾ ، ﴿فأوى﴾ .

ويمد بمقدار حركتين كالمد الطبيعي . وسمي بدلاً لإبدال الهمزة الثانية الساكنة مداً من جنس الحركة التي قبلها . فأصل ﴿آمنوا﴾ آمنوا ، وأصل ﴿أوتوا﴾ أوتوا ، وأصل ﴿إيماناً﴾ إيماناً ، فأبدلت

الهزة الثانية الساكنة بحرف مناسب لحركة الهزمة الأولى، فصارت في المثال الأول ألفاً ساكنة، وفي الثاني واواً ساكنة، وفي الثالث ياء ساكنة.

٣ - مد العوض :

هو مد في حالة الوقف، عوض عن فتحتين في حالة الوصل، مثاله: ﴿غفوراً رحيماً﴾ ﴿عليماً حكيماً﴾ فتقرأ هكذا عند الوقف: ﴿غفوراً﴾، ﴿رحيماً﴾، ﴿عليماً﴾، ﴿حكيماً﴾. فقد آل التنوين بالنصب إلى ألف ساكنة قبلها مفتوح.

ويمد بمقدار حركتين كالمد الطبيعي. وسمي عوضاً لأنه عوض عن التنوين.

٤ - مد الصلة الصغرى وحركته :

هو مد هاء الضمير المفرد المذكر الغائب إذا وقعت الهاء بين حرفين متحركين، أي يكون ما قبلها متحركاً، وما بعدها متحركاً. مثل ﴿إنه هو﴾، ﴿ماله يتزكى﴾ فإشباع الضمة على الهاء يجعلها واواً ساكنة، ومثل ﴿به بصيراً﴾، ﴿إلى أهله مسروراً﴾ فإشباع الكسرة على الهاء يجعلها ياء ساكنة. ويمد بمقدار حركتين كالمد الطبيعي.

أما إذا كان قبل هاء الضمير حرف ساكن فلا تمد مثل ﴿منه﴾، ﴿إليه﴾ إلا في قوله تعالى: ﴿فيه مهاناً﴾ فإنه يمد مد الصلة حركتين.

وأما لو كان بعد هاء الضمير حرف ساكن فلا تمد كذلك مثل ﴿كما علمه الله﴾.

ويستثنى من مد الصلة قوله تعالى: ﴿وإن تشكروا يرضه لكم﴾ فلا تمد الهاء مع أنها واقعة بين متحركين، ويكتفى فيها بالقصر، فتقرأ كما تكتب: ﴿يَرْضَهُ لَكُمْ﴾.

وإن أتى بعد هاء الضمير همز تمد كمد المنفصل، ويسمى صلة كبرى مثاله: ﴿ماله أخلده﴾، ﴿ومن آياته أن﴾. وتختلف الصلة الصغرى عن الكبرى من ناحيتين: مقدار المد، فالأولى تمد حركتين، والثانية خمس حركات. ثم إن الحرف المتحرك بعد هاء الضمير لا يشترط في الصغرى أن يكون همزاً، بينما يشترط ذلك في الصلة الكبرى.

٥ - مد التمكين وحركته :

هو المد الذي يكون عند اجتماع ياءين أو لهما ساكنة، والثانية مكسورة. مثل ﴿حييتم﴾ ﴿النبیین﴾ ﴿الأميين﴾. ويمد بمقدار حركتين كالمد الطبيعي. وسمي كذلك لأن الشدة الحاصلة من اجتماع الياءين مكنته.

٦ - المد المتصل وحركته :

هو أن يجتمع حرف المد وبعده الهمز في كلمة واحدة، مثل: ﴿أولئك﴾ ﴿جاء﴾ ﴿النسيء﴾

﴿تبوأ﴾ . ويمد باتفاق القراء بمقدار خمس حركات وجوباً في حال الوصل، ويجوز عند بعضهم أربع حركات. وفي حال الوقف تجوز الزيادة إلى ست حركات لعروض السكون بالوقف. وسمي مداً متصلاً لاتصال الهمزة مع المد في كلمة واحدة.

٧ - المد المنفصل وحركته:

هو أن يأتي حرف المد في آخر كلمة، وبعده الهمز في أول كلمة أخرى، مثاله: ﴿بمأ أنزل﴾ ﴿إنأ أعطيناك﴾ ﴿بأ أيها﴾ . ويمد بمقدار خمس حركات جوازاً، لجواز فصل الطبيعي عن الهمز. وإنما كان مده جوازاً لا واجباً، لعدم اتفاق القراء على وجوب مده، فبعضهم أجاز مده حركتين، وبعضهم أربعاً، وبعضهم خمساً.

٨ - المد العارض للسكون وحركته:

هو أن يأتي بعد حرف المد حرف متحرك يوقف عليه بالسكون، مثاله: ﴿نستعين﴾ ﴿الدين﴾ ﴿نمنون﴾ ﴿الحساب﴾ . ويجوز في مده ثلاثة أوجه: الطول: ست حركات، والتوسط: أربع حركات، والقصر: حركتان.

٩ - مد اللين وحركته:

هو إطالة الصوت بالواو والياء الساكتين، المفتوح ما قبلهما، الساكن ما بعدهما سكوناً عارضاً في حالة الوقف، ولا يمد في حالة الوصل أبداً، مثاله: ﴿خوف﴾ ﴿بيت﴾ ﴿يوم﴾ ﴿خير﴾ . ويجوز في مده ثلاثة أوجه كالعارض للسكون المتقدمة: الطول، والتوسط، والقصر. وبناء عليه أحقه العلماء بالعارض للسكون.

١٠ - المد اللازم وحركته وتقسيمه:

المد اللازم: هو أن يكون بعد حرف المد حرف ساكن سكوناً أصلياً، سواء في حالة الوصل أو الوقف، مثاله: ﴿أتمأجوني﴾ ﴿والصآقات﴾ ﴿الحآقة﴾ ﴿الطآمة﴾ ﴿ق﴾، ﴿ن﴾، ﴿الم﴾ . فقد جاء بعد حرف المد سكون لازم في كل من ﴿الحآقة﴾ و ﴿الطآمة﴾ لأن الحرف المشدد اجتمع فيه حرفان من جنس واحد، أولهما ساكن، والثاني متحرك، فالحآقة هي (الحآققة) والطآمة هي (الطآمة). وحروف أوائل السور تقرأ هكذا: «قاف، نون، لام ميم».

ويمد اللازم بمقدار ست حركات وجوباً، من غير زيادة ولا نقص باتفاق القراء.

أقسام المد اللازم: يتقسم المد اللازم إلى قسمين:

أولاً - مد لازم كلي: وهو المد الواقع في كلمة، مثل: ﴿الطآمة﴾، ﴿الحآقة﴾، ﴿الصآخة﴾ . وهو نوعان:

أ - مد لازم كلمي مثقل : وهو حين يأتي في الكلمة حرف مد، بعده حرف مشدد : مثل ﴿الطامة﴾، و ﴿الحاقة﴾، و ﴿الصاخة﴾، و ﴿الضالين﴾ .

ب - ومد لازم كلمي مخفف : وهو حين يأتي في الكلمة حرف مد، بعده حرف ساكن سكوناً لازماً غير مشدد . مثاله : ﴿الآن﴾ . ولا يوجد في القرآن على قراءة حفص إلا في آيتين من سورة يونس ، وهما : ﴿الآن وقد كنتم﴾ ﴿الآن وقد عصيت﴾ .

ثانياً - مد لازم حرفي : وهو الذي يقع في حرف من أوائل السورة، وهو نوعان :

أ - مد لازم حرفي مثقل : وهو أن يأتي في حرف من أوائل السور حرف مدّ بعده مشدد، مثل ﴿الم﴾ فالمد على اللام مد لازم حرفي مثقل ؛ لأنه أتى بعد حرف المد وهو الألف حرف مشدد؛ لأن الألف تقرأ هكذا (ألف لا ميم) .

ب - ومد لازم حرفي مخفف : وهو أن يأتي في حرف من أوائل السور حرف مدّ، بعده حرف ساكن سكوناً لازماً، مثل : ﴿ق﴾ ﴿ن﴾ وحرف الميم من ﴿الم﴾ فالمد هنا مد لازم حرفي مخفف، لمجيء حرف المد فيها وبعده حرف ساكن سكوناً لازماً؛ لأنها تقرأ هكذا : (قاف، نون، ميم) .

وضابط المد اللازم الحرفي بنوعيه : أن يكون على ثلاثة أحرف أو سطرها حرف مد، ولا يوجد إلا في أوائل السور المجموعة بقولك : (نقص عسلكم) ويستثنى العين في قوله تعالى : ﴿كهيعص﴾، ﴿حمعسق﴾ فإنها تمد مداً لازماً طويلاً وهو ست حركات، ويجوز أن يكون متوسطاً أربع حركات . وهناك أحرف من فواتح السور تمد مداً طبيعياً هي أحرف (حي طهر) مثاله ﴿طه﴾ .

والخلاصة : المد اللازم إما واقع في كلمة، وإما واقع في حرف، وكل من الكلمتي والحرفي إما مثقل وإما مخفف .

أقسام المد من حيث الصفة :

ينقسم المد من حيث الصفة إلى قسمين : أصلي وفرعي .

المد الأصلي : هو المد الطبيعي المتقدم، ويلحق به العوض والصلة الصغرى ومد البدل ومد التمكين .

والمد الفرعي : هو الذي يتوقف على سبب الهمز أو السكون، فإن أتى بعد حرف المد همز أو سكون، زيد المد فيه على مقدار حركتين بسبب ذلك، مثل : ﴿إنأ أعطيناك﴾، ﴿وما أدراك﴾ .

والمد الذي يتوقف على سبب الهمز ثلاثة أنواع : متصل مثل ﴿جاء﴾، ومنفصل، ويلحق به الصلة الكبرى، والبدل مثل : ﴿آدم﴾ .

والمد الذي يتوقف على سبب السكون: هو ثلاثة أنواع أيضاً: لازم، وعارض للسكون، ولين.

أحكام النون الساكنة والتنوين

النون الساكنة: هي النون المجزومة التي لا حركة لها مثل: ﴿إِنْ﴾، ﴿مِنْ﴾، ﴿كُنْتُ﴾، ﴿بَيْنَهُمْ﴾.

والتنوين: هو نون ساكنة تتبع آخر الاسم لفظاً، وتفارقه خطأ ووقفاً، مثل: ﴿عَلِيماً﴾، ﴿عَلِيمٌ﴾، ﴿عَلِيمٍ﴾. فهو الفتحان، أو الضمتان، أو الكسرتان اللتان نشبتهما في كتابة الأسماء. أما عند الوقف عليها بالنطق، ففي حالة النصب نقف عليها بألف ساكنة، فنقول ﴿عَلِيماً﴾ وفي حالتي الرفع والجر نقف عليها بساكن، فنقول في حالتي الرفع والجر ﴿عَلِيمٌ﴾.

وللنون الساكنة والتنوين بالنسبة لما يقع بعدهما من حروف الهجاء الثمانية والعشرين أربعة أحكام: هي الإظهار، والإدغام، والإقلاب، والإخفاء.

١- الإظهار وحروفه:

الإظهار لغة: البيان، واصطلاحاً: النطق بكل حرف على حدة من مخرجه بغير غنة، عندما يقع بعد النون الساكنة أو التنوين حرف من حروف الحلق الستة، وهي حروف الإظهار: الهمةز والهاء، والعين والحاء، والغين والخاء.

وأمثلته: الهمةز: ﴿مَنْ آمَنَ﴾، ﴿عَذَابَ أَلِيمٍ﴾، ﴿يَنْتُونَ﴾.

والهاء: ﴿إِنْ هَذَا﴾، ﴿قَوْمَ هَادٍ﴾، ﴿يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾.

والعين: ﴿مَنْ عَمِلَ﴾، ﴿أَجْرَ عَظِيمٍ﴾، ﴿الْأَنْعَامِ﴾.

والحاء: ﴿مَنْ حَكِيمٍ﴾، ﴿غَفُورٍ حَلِيمٍ﴾، ﴿وَتَنْحَتُونَ﴾.

والغين: ﴿مَنْ غَلَّ﴾، ﴿لَعَفُورٍ غَفُورٍ﴾، ﴿فَسَيَنْغَضُونَ﴾.

والخاء: ﴿مَنْ خَيْرٍ﴾، ﴿لَطِيفٌ خَبِيرٍ﴾، ﴿وَالْمُنْحَنِقَةُ﴾.

وسميت حروفه حروف الحلق؛ لأن مخرجها من الحلق، لهذا يسمى حكمها: إظهاراً حلقياً.

٢- الإدغام وحروفه:

الإدغام لغة: إدخال الشيء في الشيء، واصطلاحاً: هو إدخال حرف ساكن بحرف متحرك، بحيث يصيران حرفاً واحداً مشدداً، وذلك إذا وقع بعد النون الساكنة أو التنوين حرف من حروفه، وحروفه ستة مجموعة في لفظ (يرملون).

فهذه الحروف الستة إذا وقع أحدها بعد النون الساكنة أو التنوين، تدغم النون أو التنوين بها،

أي بحرف الإدغام، بحيث يصيران حرفاً واحداً كالثاني مشدداً، مثل: ﴿فمن يعمل﴾ ﴿رحيم ودود﴾ ﴿من ماء مهين﴾ ﴿من نذير﴾ ﴿من لدنا﴾ ﴿غفوراً رحيماً﴾ .

أقسام الإدغام: ينقسم الإدغام إلى قسمين: إدغام بغنة، وإدغام بلا غنة.

الأول - الإدغام بغنة: وهو أن يكون بعد النون الساكنة أو التنوين حرف من حروف (يومن) أو (ينمو) مثل ﴿من يعمل﴾ ﴿صراطاً مستقيماً﴾ . والأمثلة المنفردة هي:

مثال الياء: ﴿من يشاء﴾ ﴿وجوه يومئذ﴾ .

مثال الواو: ﴿من واق﴾ ﴿هدى ورحمة﴾ .

مثال الميم: ﴿من محيص﴾ ﴿قول معروف﴾ .

مثال النون: ﴿يومئذ ناعمة﴾ ﴿توبة نصوحاً﴾ .

والغنة: صوت رخيم يخرج من الخيشوم، لا عمل للسان فيه، يمد بمقدار حركتين. وتكون كاملة، والإدغام كاملاً في الميم والنون المشددين، مثل: ﴿عم﴾، ﴿إن﴾ . وفي الواو والياء يكون الإدغام ناقصاً، مثل: ﴿كنفس واحدة﴾ ﴿في كل واد يهيمون﴾ .

ولا يقع الإدغام إلا في كلمتين، بحيث تكون النون الساكنة أو التنوين في آخر كلمة، ويكون حرف الإدغام في أول كلمة تليها.

أما إذا وقع الإدغام في كلمة واحدة فهو إظهار شاذ بدون غنة، مثاله: ﴿دنيا﴾ ﴿صنوان﴾ ﴿قنوان﴾ ويسمى هذا الحكم إظهاراً مطلقاً من كلمة. كما أن النون الساكنة التي قبل الواو في لفظ ﴿يس﴾، والقرآن الحكيم ﴿وفي﴾، والقلم ﴿لا تدغم﴾، بل يجب إظهارها بدون غنة، ويسمى هذا الحكم إظهاراً مطلقاً من كلمتين.

الثاني - الإدغام بلا غنة: وهو أن يكون بعد النون الساكنة أو التنوين (لام أو راء) وهما (لر) مثاله: ﴿من ربهم﴾ ﴿هدى للمتقين﴾ . والأمثلة المنفردة هي:

مثال اللام: ﴿من لدنا﴾ ﴿لئن لم﴾ ﴿همزة لمزة﴾ .

ومثال الراء: ﴿من ربكم﴾ ﴿رءوف رحيم﴾ .

٣ - الإقلاب وحرفه:

الإقلاب: هو قلب النون الساكنة أو التنوين ميماً مع الغنة عند الباء، وحرفه هو الباء فقط، نحو: ﴿من بعد﴾ ﴿سميع بصير﴾ . وبعبارة أخرى: الإقلاب: هو وجوب قلب النون الساكنة والتنوين ميماً خالصة بغنة عندما يتلوها (باء).

٤ - الإخفاء وحروفه:

الإخفاء لغة: الستر، واصطلاحاً: هو حالة بين الإظهار والإدغام من غير تشديد مع بقاء الغنة،

وذلك إذا أتى بعد النون الساكنة أو التنوين حرف من حروف الإخفاء الخمسة عشر، المجموعة في أوائل هذا البيت:

صف ذا ثنا، جود شخص، قد سما كرمأً، ضع ظالمأً، زد تقى، دم طالبأً، فترى

أمثله: ﴿ينفقون﴾، ﴿أنتم﴾، ﴿أنثى﴾، ﴿الإنسان﴾، ﴿ينصركم﴾، ﴿ينطق﴾، ﴿انظر﴾، ﴿أنزلناه﴾، ﴿منشوراً﴾، ﴿مقلباً﴾، ﴿منضود﴾، ﴿أنفسكم﴾. وهذا في كلمة واحدة.

﴿حلية تلبسونها﴾، ﴿يوماً ثقيلاً﴾، ﴿من جاء﴾، ﴿فصبر جميل﴾، ﴿من دابة﴾، ﴿وكأساً دهاقاً﴾، ﴿من ذا الذي﴾، ﴿باسطٌ ذراعيه﴾، ﴿نفساً زكية﴾، ﴿بقرات سمان﴾، ﴿بأس شديد﴾، ﴿ريحاً صرصراً﴾، ﴿قوماً ضالين﴾، ﴿حياة طيبة﴾، ﴿ظلاً ظليلاً﴾، ﴿ماءً فراتاً﴾، ﴿سميع قريب﴾، ﴿أفمن كان﴾، ﴿قولاً كريماً﴾. وهذا في كلمتين.

ففي هذه الأمثلة يكون النطق بالنون الساكنة والتنوين بصفة ما بين الإظهار والإدغام بلا تشديد، بحيث يخفى ويذهب معظم لفظهما، ويكون مكانهما غنة كاملة، ولا يكون للسان عمل في حالة إخفائهما، ففي الإظهار والإدغام يخرجان من طرف اللسان عند التصاقه بسقف الفك العلوي. وفي حالة الإخفاء يبقى اللسان معلقاً بين الفكين، وتكون الغنة التي تخرج من الخيشوم عوضاً عن النون الساكنة أو التنوين.

فالإخفاء: هو وجوب تحقيق الغنة وإخفاء معظم لفظ النون الساكنة والتنوين، عندما يتلوها حرف من حروف الإخفاء الخمسة عشر المتقدمة.

أحكام الميم الساكنة

أحوال الميم الساكنة:

للميم الساكنة أحوال ثلاثة: تدغم في مثلها مع الغنة، ويسمى (إدغاماً متماثلاً) بغنة، نحو ﴿لكم ما كسبتم﴾ وتخفى عند الباء ويسمى (إخفاءً شفويًا) نحو ﴿ترميهم بحجارة﴾ وتظهر عند باقي الحروف الهجائية ويسمى (إظهاراً شفويًا) نحو ﴿أم حسبتم﴾ غير أنها تكون أشد إظهاراً عند (الواو والفاء) مثل: ﴿عليهم ولا﴾ ﴿لكم فيها﴾ لتقارب مخرجيهما من الميم.

١ - الإخفاء الشفوي:

الإخفاء: هو أن تكون الميم الساكنة مخففة بغنة عندما يقع بعدها حرف (ب) مثل ﴿ومن يعتصم بالله﴾، ﴿منامكم بالليل﴾.

ويكون هذا الإخفاء بنطق الميم الساكنة التي أتى بعدها باء، من الخيشوم، مع وجوب الغنة، ويسمى هذا إخفاءً شفويًا، ويتحقق المطلوب بعدم إطباق الشفتين عند النطق بالميم.

٢ - الإظهار الشفوي :

- الإظهار : هو أن يكون النطق بالميم الساكنة ظاهراً من غير غنة ، عندما يقع بعدها أحد حروف الهجاء ما عدا الميم المتحركة والباء ، مثل ﴿ألم تر﴾ ﴿أم لهم﴾ ﴿وهم فيها﴾ ﴿تمسون﴾ ﴿عمنون﴾ ﴿يمشي﴾ .

ويكون هذا الإظهار بأن تكون الميم الساكنة ظاهرة وواضحة بدون غنة ، عندما يأتي بعدها أحد حروف الهجاء ، غير الميم المتحركة والباء .

غير أن الميم الساكنة تكون - كما تقدم - أشد إظهاراً عند الواو والفاء ، لثلا يختفي لفظها بسبب قرب مخرجها من مخرجهما ، مثل ﴿عليهم ولا﴾ ﴿لكم فيها﴾ .

٣ - الإدغام بحسب الذات :

ينقسم الإدغام بحسب الذات بعد الميم الساكنة إلى ثلاثة أقسام : إدغام متمائل ، وإدغام متجانس ، وإدغام متقارب ، فإن اتفق الحرفان في المخرج دخل تحتها المتجانس والمتمائل ، وإن اختلفا فهو المتقارب .

النوع الأول - الإدغام المتمائل :

هو أن يتحد الحرفان في المخرج والصفة ، ويأتي أحدهما الآخر ، كما إذا وقع بعد الميم الساكنة ميم متحركة . فتدغم الميم الأولى بالميم الثانية بغنة ، وتصيران ميماً واحدة مشددة بغنة مثل ﴿ولكم ما﴾ ﴿كسبتم﴾ ﴿والله يعدكم مغفرة﴾ ﴿لهم موعد﴾ .

أو يقع بعد الحرف حرف آخر مثله ، نحو ﴿فما ربحت تجارتهم﴾ ﴿أن اضرب بعصاك﴾ ﴿أووا﴾ و﴿نصروا﴾ و﴿عصوا وكانوا﴾ .

النوع الثاني - الإدغام المتجانس :

هو أن يتحد الحرفان في المخرج ، ويختلفا في بعض الصفات ، ويأتي أحدهما الآخر كطاء وطاء ، نحو : ﴿لئن بسطت﴾ أو تاء وطاء ، نحو : ﴿قالت طائفة﴾ أو تاء ودال نحو : ﴿أنقلت دعوا الله﴾ أو دال وطاء ، نحو : ﴿وجدتم﴾ أو تاء وذال نحو : ﴿يلهث ذلك﴾ أو باء وميم ، نحو : ﴿اركب معنا﴾ .

النوع الثالث - الإدغام المتقارب :

هو أن يتقارب الحرفان في المخرج والصفة ، ويأتي أحدهما الآخر ، كاللام مع الراء ، نحو : ﴿بل﴾ رفعه﴾ و﴿كالف مع الكاف نحو : ﴿ألم نخلقكم﴾ .

حكم الميم والنون المشددتين

- الروم والإشمام -

إذا اجتمعت الميم والنون المشددتان ، كل واحدة مع مثيلتها ، كان حكمهما وجوب الغنة حركتين ، مثل ﴿لَمَّا﴾ ﴿الجنَّة﴾ .

أما نون ﴿تَأْمَنَّا﴾ [يوسف ١٢/١١] ففيها مع الغنة الإشمام: وهو ضم الشفتين عند سكون النون، كمن يريد أن ينطق بضممة، دون أن يظهر أثر ذلك في النطق. والإشمام لا يدركه الأعمى. ويجوز إخفاء ضمة النون، ويعبر عنه بالرؤم: وهو الإتيان ببعض حركة النون المرفوعة، وتحكمه المشافهة بالسمع، أي أنه الإتيان ببعض الحركة على النون الأولى في ﴿تَأْمَنَّا﴾ ولا يسمعه إلا القريب المصغي.

ويلاحظ أن الإمام حفص انفرد في قراءته بضم الهاء في قوله تعالى: ﴿وما أنسانيه﴾ في سورة الكهف، وفي قوله تعالى: ﴿وعليه الله﴾ في سورة الفتح.

مخارج الحروف

أنواع المخارج: المخارج في الجملة خمسة: هي الجوف، والحلق، واللسان، والشفتان، والخيشوم، وتفصيلاً هي على القول المختار سبعة عشر مخرجاً. وإذا أردت معرفة مخرج فسكته وأدخل عليه همزة الوصل، وأصغ إليه، فحيث انقطع الصوت في الفم، فذلك مخرجه.

المخرج الأول - الجوف: وهو خلاء الفم والحلق، ويخرج منه الألف الساكنة المفتوح ما قبلها، والواو الساكنة المضموم ما قبلها، والياء الساكنة المكسور ما قبلها، وحروف الجوف هي حروف المد واللين.

المخرج الثاني - أقصى الحلق: ويخرج منه الهمزة والهاء.

المخرج الثالث - وسط الحلق: ويخرج منه العين والحاء.

المخرج الرابع - أدنى الحلق: أي أقربه إلى الفم، ويخرج منه الغين والحاء المعجمتان. وأحرف الحلق الستة من هذه المخارج الثلاثة في الحلق تسمى الحروف الحلقية، نسبة إلى الحلق.

المخرج الخامس - أقصى اللسان مما يلي الحلق مع ما فوقه من الحنك الأعلى، ويخرج منه القاف.

المخرج السادس - أقصى اللسان مع ما يليه من الحنك من أسفل مخرج القاف قليلاً، ويخرج منه الكاف. ويقال لكل من القاف والكاف حرف لهوي: نسبة إلى اللهاة وهي اللحمية المشرفة على الحلق.

المخرج السابع - وسط اللسان مع ما يحاذيه من وسط الحنك، ويخرج منه الجيم والشين والياء غير المدية، وتسمى بالحروف الشجرية: نسبة إلى شجر الفم أي منفثه.

المخرج الثامن - من أول حافة اللسان مع ما يليه من الأضراس من الجانب الأيسر عند الأكثر، ومن الأيمن عند الأقل، ويخرج منه الضاد.

المخرج التاسع - من أدنى حافة اللسان إلى منتهى طرفه وما بينهما وبين ما يليها من الحنك مما فوق الضاحك والأنياب والرابعة والثانيا، ويخرج منه اللام.

المخرج العاشر - من بين طرف اللسان وبين ما فوق الثنايا أسفل اللام قليلاً، ويخرج منه النون المتحركة والساكنة المظهرة.

المخرج الحادي عشر - من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا العليا تحت مخرج النون قليلاً، غير أنها أدخلت في ظهر اللسان، ويخرج منه الراء، وتسمى النون واللام والراء ذَلْقِيَّةً، لخروجها من طرف اللسان.

المخرج الثاني عشر - طرف اللسان وأصول الثنايا العليا، مصعداً إلى جهة الحنك، ويخرج منه الطاء والذال والطاء، وتسمى هذه الحروف نَطْمِيَّةً إلى نِطْعِ الغار الأعلى، وهو سقفه.

المخرج الثالث عشر - من بين طرف اللسان ومن بين الثنايا السفلى والعليا، ويخرج منه حروف الصفير الثلاثة: الصاد والسين والزاي، وهي الحروف الأَسْلِيَّةُ، نسبة إلى أسلة اللسان، أي طرفه.

المخرج الرابع عشر - من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا، ويخرج منه الطاء والذال والطاء، وهذه هي الأحرف اللَّتَوِيَّةُ، نسبة إلى اللثة، وهو اللحم المركب فيه الأسنان.

المخرج الخامس عشر - من بطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا، ويخرج منه الفاء.

المخرج السادس عشر - مما بين الشفتين، ويخرج منه الواو غير المدية، أي المتحركة، والباء والميم المظهرة مع انفتاح الشفتين في الواو، وانطباقهما في الباء والميم، وحروف هذا المخرج والذي قبله تسمى بالحروف الشفهية أو الشفوية، نسبة إلى الشفة.

المخرج السابع عشر - الخيشوم: وهو أقصى الأنف، ويخرج منه أحرف الغنة، وهي النون الساكنة والتونين والميم الساكنة، حالة إدغامها بغنة، أو إخفائها، أو إقلابها، فتتحول من مخرجها الأصلي إلى الخيشوم، وكذلك غنة النون والميم المشدَّدتين^(١).

والخلاصة:

مخرج القاف والكاف: من أقصى اللسان مع ما فوقه من الحنك الأعلى، لكن الكاف أسفل منه بقليل.

ومخرج الجيم والشين والباء: من وسط اللسان مع ما يحاذيه من وسط الحنك الأعلى.

ومخرج الضاد: من حافة اللسان الأيسر، وهو كثير، أو الأيمن وهو قليل، أو منهما، وهو أقل مستطيلة إلى ما يلي الأضراس.

ومخرج اللام والنون والراء: من أول حافة اللسان مع ما يليه من الحنك الأعلى، لكن المعتمد في اللام أن مخرجها أدنى من الضاد والنون تحت اللام بقليل، والراء تقارب النون.

ومخرج الطاء والذال والطاء: من طرف اللسان من فوق، ومن بين الثنايا العليا.

ومخرج الصاد والزاي والسين: من طرف اللسان ومن بين الثنايا السفلى والعليا.

ومخرج الظاء والذال والطاء: من طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا.

ومخرج الفاء: من بطن الشفة مع أطراف الثنايا العليا.

ومخرج الواو والباء والميم: من بين الشفتين، لكن بانفتاحهما في الواو، وانطباقهما في الباء والميم، ومخرج الغنة تقدم في تعريف الغنة.

صفات الحروف

للحروف سبع عشرة صفة، عشر منها لها ضد، وسبع لا ضد لها^(٢).

الصفات التي لها ضد:

وهي عشر صفات:

- ١، ٢ - الجهر: وهو منع جريان النَّفَس مع الحرف، لقوة الاعتماد عليه في مخرجه، وضده الهمس: وهو جريان النَّفَس مع الحرف لضعف الاعتماد عليه في مخرجه، وحروف الهمس عشرة، مجموعة في جملة: (فحْتُهُ شَخْصٌ، سَكَّتْ) وبقية الحروف هي المجهورة.
- ٣، ٤ - الشدة: وهي امتناع جريان الصوت مع الحرف، والحروف الشديدة مجموعة في (أَجْدُ، قَطُ، بَكَتْ) وضده الرخاوة والتوسط، والرخاوة: جريان الصوت مع الحرف لضعفه، والحروف المتوسطة بين الرخوة والشديدة مجموعة في (لِنْ عُمُرٍ) وباقي الحروف هي الرخوة.
- ٥، ٦ - الاستفال: وضده الاستعلاء، والاستعلاء: من صفات الحروف، وحروفه سبعة: (خُصَّ صَغَطٌ قَطٌّ) وفيما يرتفع أقصى اللسان إلى الحنك الأعلى، وهي حروف التفخيم، وباقي الحروف هي المستفلة، وترقق دائماً عدا الراء واللام والألف في بعض الأحوال.
- ٧، ٨ - الانفتاح: وضده الانطباق، والحروف المنطبقة هي الصاد والضاد والطاء والظاء، وفيها ينطبق اللسان على ما يقابله من الحنك الأعلى، وهي أقوى حروف الاستعلاء، وباقي الحروف هي المفتحة.

٩ ، ١٠ - الإذلاق : وهو سرعة النطق بالحرف وحروفه : (فَرَّ من لُبِّ) وسميت بذلك لاعتمادها على ذلق اللسان أو الشفة، أي طرفيهما، وضده الإصمات في باقي الحروف، ومعناه أن يمتنع تركيب كلمة، أصولها أربعة أو خمسة أحرف من الحروف المصمتة وحدها إلا إذا كانت أعجمية.

الصفات التي لا ضد لها :

وهي سبع صفات :

١ - الصفير : وهو صوت زائد يصاحب أحرفه الثلاثة التي هي الصاد والسين والزاي، سميت بذلك لخروج صوت عند النطق بها يشبه صفير الطائر.

٢ - القلقللة : وهي إظهار نبرة للصوت حال النطق بحرفها إذا سكن، أو هي شدة الصوت وتحريك مخرج الحرف الساكن حتى يسمع له نبرة أقرب إلى الفتح، وحروفها خمسة جمعت في لفظ (قطب جد).

وتنقسم القلقللة إلى قسمين : صغرى وكبرى، فالصغرى : هي التي تكون في أثناء الكلمة مثل ﴿يجعلون﴾ . والكبرى : هي التي تكون في آخر الكلمة نحو : ﴿لقد﴾ ﴿قريب﴾ .

٣ - اللين : وحروفه الواو والياء الساكتان بعد فتح، مثل ﴿خوف﴾ ﴿البيت﴾ ومعناه : إخراج الحرف في لين وعدم كلفة.

٤ - الانحراف : حروفه اللام والراء، لانحرافهما عن مخرجهما إلى مخرج غيرهما، فاللام : تميل إلى مخرج النون، والراء : تميل إلى ظهر اللسان.

٥ - التكرير : هو ارتعاد طرف اللسان، وهو للراء لقبولها له، وهذه الصفة يجب اجتنابها في الراء.

٦ - التفشي : وهو انتشار الريح في الفم عند النطق بالشين.

٧ - الاستطالة : في الضاد؛ لأنه استطال في الفم عند النطق به، حتى اتصل بمخرج اللام.

والخلاصة :

حروف الاستعلاء : هي حروف (خصّ ضغظ قط) وتسمى الحروف المفخمة .

حروف الصفير : هي ثلاثة : الصاد والزاي والسين، بشرط إسكانها، مثل : ﴿صبر﴾ ، ﴿مستقيم﴾ .

حروف الهمس : هي عشرة يجمعها قولك : (فحثة شخص سكت) .

الحروف اللثوية : هي ثلاثة : الثاء، والذال، والطاء .

همزة الوصل وهمزة القطع

همزة الوصل: هي التي تثبت في الابتداء وتسقط في الدَّرَج أي الوصل.

وتكون في الأفعال نحو: ﴿ادعوا ربكم﴾ وفي الأسماء نحو ﴿بغلام اسمه يحيى﴾ وفي حرف (أل) فقط.

ويبدأ فيها بالضم إذا كان ثالث كلمة الفعل مضموماً بضمّة أصلية، أي ضمّاً لازماً، مثل: ﴿اعبدوا ربكم﴾، ﴿اسجدوا﴾، ﴿ادخلوا﴾. أما إذا كان ثالث الفعل مضموماً ضمّاً عارضاً، فيبدأ بكسرها نظراً لأصله، مثل فعل: (امشوا، واقضوا، وارموا، وابنوا) فإن الضم في ثالث حرف منها عارض غير أصلي، فأصل (امشوا) أمشيوا، و (اقضوا) اقضيوا، و (ارموا) ارميوا، و (ابنوا) ابنيوا. أي أن ثالث حرف منها مكسور، بدليل التشية فيها، فتقول: امشياً، واقضياً، وارمياً، وابنياً. وتفتح همزة الوصل في حرف (أل) فقط عند الابتداء في الاسم المعرف بالألف واللام، نحو: ﴿الرجل﴾، ﴿الحمد﴾، ﴿الرزق﴾، ﴿الرحيم﴾، ﴿العرش﴾، ﴿العقاب﴾.

ويبدأ بهمزة الوصل بالكسر في عشرة أسماء منكرة سماعاً وهي: اسم، واست، وابن، وابنم، وابنة، وامرئ، وامرأة، واثنان، واثنتان، وإمين. وفي غير هذه الأسماء قياساً تعلم من كتب الصرف.

وتكسر إذا كان الحرف الثالث في كلمة الفعل مكسوراً أو مفتوحاً، نحو: اقرأ، اذهب، ارجع، اهبط، اضرب، استغفروا، ارجعوا.

وهمزة القطع: هي التي تثبت في الابتداء والدَّرَج، أي الوصل نحو: ﴿الهاكم﴾، ﴿استبرق﴾، ﴿أجيت﴾.

الألفات السبع

يجب إثبات الألف في حالة الوقف، وحذفها في حالة الوصل في سبعة مواضع هي:

- ١- ألف ضمير المتكلم (أنا) في كل موضع في القرآن الكريم.
- ٢- ألف ﴿لكنّا﴾ في قوله تعالى: ﴿لكنّا هو الله ربي﴾ في سورة الكهف.
- ٣- ألف ﴿الظنون﴾ في قوله تعالى: ﴿وتظنون بالله الظنونا﴾ في سورة الأحزاب.
- ٤- ألف ﴿الرسولا﴾ في قوله تعالى: ﴿وأطعنا الرسولا﴾ في سورة الأحزاب.
- ٥- ألف ﴿السّيلا﴾ في قوله تعالى: ﴿فأضلونا السّيلا﴾ في سورة الأحزاب.
- ٦- ألف ﴿قواريرا﴾ في قوله تعالى: ﴿كانت قواريرا﴾ في سورة الدهر.
- ٧- ألف ﴿سلاسل﴾ في قوله تعالى: ﴿إنّا أعتدنا للكافرين سلاسل﴾ في سورة الإنسان.

ويجوز في هذه الكلمة وجهان في حالة الوقف عليها: إما بالألف بعد اللام، أو على اللام ساكنة من غير ألف ﴿سلاسل﴾.

أحكام لام المعرفة

للام المعرفة أربعة أحكام: التفخيم، والترقيق، والإدغام، والإظهار.

تفخيم اللام وترقيقها:

تفخم اللام من لفظ الجلالة (الله) إن ضمَّ ما قبلها أو فتح، نحو: ﴿إني عبد الله﴾، ﴿سيؤتينا الله من فضله﴾. وترقق فيما عدا ذلك.

إدغام اللام وإظهارها:

تدغم اللام المعرفة إذا وليها حرف من أربعة عشر حرفاً مجموعة في أوائل هذا البيت:

طب ثم صل رحماً تفضض ذا نعم دع سوء ظن، زر شريفناً للكرم

وتسمى لاماً شمسية، نحو (الطاعة) (الثواب) وسميت لاماً شمسية لأنها مثل لام (الشمس).

وتظهر اللام إذا وليها حرف من حروف (ابغ حجك وخف عقيمة) وتسمى لاماً قمرية، نحو

(الخالق) (البارئ) (الجال). وسميت لاماً قمرية لأنها مثل لام (القمر).

والحاصل أنه إذا أتى بعد اللام المعرفة مشدد، فهي الشمسية، كالشمس، وإلا فهي القمرية،

كالقمر. ونظم بعضهم الحروف القمرية في أوائل ما يأتي:

قمر جلا، بدر وفي هلا حسبت كماله

عذب اللّمي، فرد غلى خلٌّ، محبٌّ، ياله

لام الفعل: لا توصف لام الفعل بكونها شمسية ولا قمرية؛ لأنها من بنية الكلمة، كما في قوله

تعالى: ﴿التقتا﴾، ﴿التقى﴾، ﴿أهاكم﴾. وكذلك لام الاسم الموصول لا يوصف بهذه الصفة.

التفخيم والترقيق

الحروف من حيث الترقيق والتفخيم ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما يفخم في جميع أحواله، وهي حروف الاستعلاء: (خص ضغط قظ)

وأقوى هذه الحروف حروف الإطباق: وهي الصاد والضاد والطاء والظاء، مثل ﴿الضالّين﴾

﴿القلوب﴾.

القسم الثاني: وهي الحروف المستقلة: وترقق دائماً فيما عدا الألف واللام والراء.

القسم الثالث : حروف ترقق أو تفخم بحسب الأحوال وهي الألف واللام والراء .

أما الألف : فتفخم إن كان قبلها حرف مفخم مثل ﴿الصَّآخَةِ﴾ وإلا فترقق نحو : ﴿الباطل﴾ .

وأما اللام : فتفخم من لفظ الجلالة إذا سبقها مفتوح أو مضموم كما تقدم، نحو ﴿فَالله﴾

﴿نَسُوا الله﴾ . وترقق إذا سبقها مكسور نحو ﴿بِالله﴾ ﴿بِسْمِ الله﴾ أما غير لفظ الجلالة فترقق اللام دائماً نحو ﴿الضَّالُّونَ﴾ ﴿اللطيف﴾ .

وأما الراء : فترقق حال الوصل إذا كانت مكسورة، نحو ﴿يريد﴾ أو ساكنة بعد كسر من أصل

الكلمة نحو : ﴿فرعون﴾ ﴿واستغفره﴾ . وذلك ما لم يكن بعدها حرف استعلاء متصل بها، فتفخم نحو : ﴿فرقة﴾ ، ﴿قرطاس﴾ .

وفي كلمة ﴿فَرَّقَ﴾ وجهان والتفخيم أرجح، وفيما عدا هذه الأحوال فتفخم في الوصل نحو :

﴿ضرب﴾ ﴿يَأْتَمِرُونَ﴾ ﴿من ارتضى﴾ .

أما في الوقف : فترقق الراء إن كان قبلها كسر نحو : ﴿قُدِّرَ﴾ أو كان قبلها ياء ساكنة عند

الوقف، مثل ﴿قَدِيرٌ﴾ ﴿غَيْرٌ﴾ . وفيما عدا هذه الأحوال في الوقف، فتفخم، مثل الوقف على ﴿غفور﴾ ﴿النذر﴾ ﴿الكفر﴾ .

ويجوز التفخيم والترقيق إن سكنت الراء قبل ياء محذوفة تخفيفاً، مثل ﴿ونذِرِ﴾ ﴿يَسْرِ﴾ إذ

أصلها : نذري، ويسري، والترقيق أرجح لدلالته على الياء المحذوفة .

والتفخيم أرجح في راء ﴿مِصْرٌ﴾ . والترقيق أرجح في راء ﴿عين القطر﴾ عند الوقف .

خلاصة أحكام الراء :

للراء ثلاثة أحكام : التفخيم، والترقيق، وجواز الوجهين .

وتفخم الراء في خمسة مواضع : إن ضمت أو فتحت نحو ﴿عُرْباً أتراباً﴾ أو سكنت وكان قبلها

ضم أو فتح، مثل ﴿القرآن﴾ و ﴿العرش﴾ أو سكنت وكان قبلها كسر عارض نحو ﴿لمن ارتضى﴾ أو

سكنت وكان قبلها كسر أصلي وبعدها حرف استعلاء غير مكسور، مثل ﴿قرطاس﴾ و ﴿مرصاد﴾ أو

سكنت وقفاً وكان قبلها ساكن، وقبل الساكن ضم أو فتح نحو ﴿والعصر﴾ والشكر .

وترقق الراء في أربعة مواضع : إن كسرت نحو ﴿رجال﴾ أو سكنت وكان قبلها كسر أصلي،

ولم يكن بعدها حرف استعلاء نحو ﴿فرعون﴾ ﴿مرية﴾ أو سكنت وكان قبلها ياء ساكنة نحو

﴿قَدِيرٌ﴾ ﴿خير﴾ أو سكنت وكان قبلها ساكن، وقبل الساكن كسر نحو : ﴿السحر﴾ .

ويجوز التفخيم والترقيق للراء في موضعين: فيما إذا سكنت وكان قبلها كسر أصلي، وبعدها حرف استعلاء مكسور نحو ﴿فَرَقٌ﴾ أو سكنت وكان قبلها حرف استعلاء ساكن، وقبل حرف الاستعلاء مكسور، نحو ﴿قَطْرٌ﴾، و﴿مَصْرٌ﴾، لكن في ﴿قَطْرٌ﴾ جواز الوجهين والترقيق مقدم، وفي ﴿مَصْرٌ﴾ جواز الوجهين والتفخيم مقدم.

وكان شيخنا المرحوم الشيخ أحمد السماق يقول لنا: الراء المتحركة أميرة نفسها، إن ضمت أو فتحت فحُتت، وإن كسرت رُققت.

السكتة اللطيفة

يجب أن يسكت القارئ على رواية حفص سكتة لطيفة في أربعة مواضع:

أحدها - في سورة الكهف، عند قوله تعالى: ﴿عِوَجًا﴾ فيسكت القارئ سكتة لطيفة مقدار حركتين بدون تنفس، ثم يقول: ﴿فِيمَا﴾.

والثاني - في سورة يس، عند قوله تعالى: ﴿مَنْ مَرَقَدْنَا﴾ ثم يقول: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾.

والثالث - في سورة القيامة، عند قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ: مَنْ﴾ ثم يقول القارئ بعد سكتة لطيفة ﴿رَأَى﴾.

والرابع - في سورة المطففين، عند قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ﴾ ثم يقول القارئ بعد سكتة لطيفة: ﴿رَأَى﴾ فيقف على ما قبل هذه الكلمات من غير أن يتنفس، ثم يقرأ الكلمة التي بعدها. ويجوز السكت في موضعين:

الأول - في سورة الحاقة عند قوله تعالى: ﴿مَالِيهِ، هَلْكَ﴾.

والثاني - بين آخر سورة الأنفال وأول التوبة، إذا أحب القارئ أن يصل بين السورتين، فيقرأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ويسكت عند كلمة ﴿عَلِيمٌ﴾ مع تسكين الميم، ثم يقول: ﴿بِرَاءةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

الوقف والابتداء

يسن الوقوف في آخر كل الآيات لقوله تعالى: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ ولما روى أحمد وأبو داود والترمذي عن أم سلمة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ كان إذا قرأ، قطع آية آية، يقول: ﴿بِسْمِ اللَّهِ

الرحمن الرحيم ﴿﴾ ، ثم يقف ، ثم يقول : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ ، ثم يقف ، ثم يقول : ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ ، ثم يقف ، ثم يقول : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ ، ثم يقف .

والمراد بالوقف : السكوت على آخر الكلمة زمنياً يتنفس في أثناءه بحكم العادة ، والوقف أربعة أقسام : تام ، وكافي ، وحسن ، وقبيح .

أما الوقف التام : فهو الوقف على آخر كلمة يتم بها المعنى مع ما قبلها ، دون تعلق بما بعدها لفظاً أو معنى .

والتعلق اللفظي : التعلق من جهة الإعراب ، كأن يكون صفة أو معطوفاً أو مضافاً إليه ، فيكون الوقف على الموصوف والمعطوف عليه والمضاف وفقاً غير تام ، مثل قوله تعالى : ﴿ يتلو صحفاً مطهرة ﴾ لا يوقف على كلمة ﴿ صحفاً ﴾ لأن ﴿ مطهرة ﴾ صفة لما قبلها .

والتعلق المعنوي : التعلق من جهة المعنى ، كالإخبار عن حال المؤمنين أو الكافرين ونحو ذلك ، مثل الوقوف على قوله تعالى : ﴿ خالددين فيها ﴾ في آية : ﴿ إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالددين فيها ، أولئك هم شر البرية ﴾ والجملة الأخيرة من تمام الخبر عن حال الكافرين .

والوقف التام في الغالب يكون في أواخر الآيات ، وأواخر السور ، ونهاية القصة .

والابتداء التام في الغالب في بدء رؤوس الآيات ، وأوائل السور ، وعند الابتداء ببياء النداء ، والاستفهام ، ولام القسم ، والشرط ونحو ذلك .

ويحسن الوقوف عند الوقف التام ، والابتداء بما بعده .

والوقف الكافي : هو الوقف على كلمة لم يتعلق بها ما بعدها ، ولا ما قبلها لفظاً ، وتعلق ما بعدها بما قبلها معنى ، كالوقف على كلمة ﴿ يؤمنون ﴾ في آية ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ لأن ما بعدها وهو ﴿ ختم الله على قلوبهم ﴾ متعلق بحال الكافرين تعلقاً معنوياً .

ويحسن الوقوف عنده ، والابتداء بما بعده .

والوقف الحسن : هو الوقف على كلمة تمّ بها المعنى ، لكن تعلق ما بعدها بها لفظاً

وفي الوقف على ﴿آتاني﴾ في قوله تعالى: ﴿فما آتاني الله﴾ في سورة النمل في قراءة حفص وجهان: إثبات وحذف.

ويحسن التزام علامات الوقف على بعض الأحرف التي اصطلح عليها العلماء في رسم المصحف، من واجب مثل ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ [آل عمران ٧/٣] وجائز مثل ﴿وينشر رحمتك﴾ [الشورى ٢٨/٤٢] وممنوع مثل ﴿طيبين لا﴾ [النحل ٣٢/١٦] وكون الوصل أولى مثل: ﴿فاصبر إن وعد الله حق صلى﴾ [الروم ٦٠/٣٠] وكون الوقف أولى مثل ﴿له مقاليد السموات والأرض صلى﴾ [الزمر ٦٣/٣٩] وأنه إذا وقف على موضع لا يقف على الآخر، مثل ﴿لا ريب﴾ و ﴿فيه﴾ [البقرة ٢/٢].

ثمانى كلمات لها قراءة خاصة

- ١- ﴿بسم الله مجريها﴾ سورة هود آية ٤١ - وضعت هذه العلامة (◇) تحت الراء لإمالة فتحه الراء إلى الكسرة وإمالة الألف التالية إلى الياء.
- ٢- ﴿مالك لاتأمننا﴾ سورة يوسف آية ١١ - وضعت هذه العلامة (◇) للدلالة على إشمام الميم وهو ضم الشفتين كمن يريد النطق بضمه من غير أن يظهر لذلك أثر في النطق.
- ٣- ﴿أأعجمي وعربي﴾ سورة فصلت آية ٤٤ - وضعت هذه النقطة السوداء (●) فوق الألف الثانية للدلالة على تسهيلها بين الهمزة والألف.
- ٤، ٥- ﴿بيصط﴾ سورة البقرة آية ٢٤٥ و ﴿ببصطة﴾ سورة الأعراف آية ٦٩ - وضعت (س) صغيرة فوق الصاد للدلالة على أن الأشهر قراءتها (ببسط) و(بسطة) وإن كان من الجائز قراءتهما (بيصط وبصطة).
- ٦، ٧- ﴿المبصيطرون﴾ سورة الطور آية ٣٧ و ﴿بمبصيطر﴾ سورة الغاشية آية ٢٢ - وضعت (س) صغيرة تحت الصاد للدلالة على أن الأشهر قراءتهما (المبصيطرون و بمبصيطر) وإن كان الجائز قراءتهما (المبصيطرون و بمبصيطر).
- ٨- ﴿ننجي﴾ سورة الأنبياء آية ٨٨ - وضعت (ن) صغيرة بجوار الأخرى للدلالة على أنها تقرأ (ننجي).

اسماء السور وفوتسبتها بالاصحاف الشريف

الجزء	ترسورة	اسم السورة	ترصفحة	الجزء	ترسورة	اسم السورة	ترصفحة
١	١	سورة الفاتحة	٢	٢٠	٢٠	سورة طه	٣١٣
٢	٢	سورة البقرة	٣	١٧	٢١	سورة الانبياء	٣٢٣
٣	٤	سورة العنكبوت	٥١	٢٢	٢٢	سورة الحج	٣٢٣
٤	٥	سورة النساء	٧٨	١٨	٢٣	سورة المؤمنون	٣٤٣
٥	٧	سورة المائدة	١٠٧	٢٤	٢٤	سورة التور	٣٥١
٦	٨	سورة الانعام	١٢٩	٢٥	٢٥	سورة الفرقان	٣٦٠
٧	٩	سورة الاحزاب	١٥٢	١٩	٢٦	سورة الشعراء	٣٦٨
٨	١٠	سورة الانفال	١٧٨	٢٧	٢٧	سورة التمدك	٣٧٨
٩	١١	سورة التوبة	١٨٨	٢٠	٢٨	سورة القصص	٣٨٦
١٠		سورة يونس	٢٠٩	٢٠	٢٩	سورة الجن	٣٩٧
١١	١٢	سورة هود	٢٢٢	٢١	٣٠	سورة الروم	٤٠٥
١٢	١٣	سورة يوسف	٢٣٦	٣١	٣١	سورة لقمان	٤١٢
١٣		سورة الزمر	٢٥٠	٣٢	٣٢	سورة السجدة	٤١٦
١٤		سورة الزمر	٢٥٦	٣٣	٣٣	سورة الاحزاب	٤١٩
١٥	١٤	سورة الممتحنة	٢٦٣	٢٢	٣٤	سورة سبأ	٤٢٩
١٦		سورة التكاثر	٢٦٨	٣٥	٣٥	سورة قاطر	٤٣٥
١٧	١٥	سورة الاسراء	٢٨٣	٣٦	٣٦	سورة يس	٤٤١
١٨	١٦	سورة الكهف	٢٩٤	٢٢	٣٧	سورة الصافات	٤٤٧
١٩		سورة مريم	٣٠٦	٣٨	٣٨	سورة ص	٤٥٤

اسماء السور وفق ترتيبها بالصحف الشريف

الجزء	رقم سورة	اسم السورة	رقم صفحة	الجزء	رقم سورة	اسم السورة	رقم صفحة
	٣٩	سُورَةُ الرَّحْمٰنِ	٤٥٩	٢٨	٥٨	سُورَةُ الْحٰجٰلِ الْاٰتِزَةِ	٥٤٣
٢٤	٤٠	سُورَةُ غٰفِرٍ	٤٦٨		٥٩	سُورَةُ الْحٰسِرِ	٥٤٦
	٤١	سُورَةُ فَضَلَتِ	٤٧٨		٦٠	سُورَةُ الْمُتَجَنِّبِ	٥٥٠
٢٥	٤٢	سُورَةُ الشُّوْرٰى	٤٨٤		٦١	سُورَةُ الصَّفٰتِ	٥٥٢
	٤٣	سُورَةُ الرَّحْمٰنِ	٤٩٠		٦٢	سُورَةُ الْحٰجٰتِ	٥٥٤
	٤٤	سُورَةُ الرَّحْمٰنِ	٤٩٧		٦٣	سُورَةُ الْاٰتِزَةِ	٥٥٥
	٤٥	سُورَةُ الْحٰجٰتِ	٥٠٠		٦٤	سُورَةُ الْبَقٰرَةِ	٥٥٧
٢٦	٤٦	سُورَةُ الْاٰتِزَةِ	٥٠٣		٦٥	سُورَةُ الطَّلٰقِ	٥٥٩
	٤٧	سُورَةُ الْحٰجٰتِ	٥٠٨		٦٦	سُورَةُ الْبَقٰرَةِ	٥٦١
	٤٨	سُورَةُ الْفٰحِ	٥١٢	٢٩	٦٧	سُورَةُ الْمَلِكِ	٥٦٣
	٤٩	سُورَةُ الْحٰجٰتِ	٥١٦		٦٨	سُورَةُ الْقٰتِلَةِ	٥٦٥
	٥٠	سُورَةُ قٰ	٥١٩		٦٩	سُورَةُ الْحٰقِقَةِ	٥٦٧
٢٧	٥١	سُورَةُ الْاٰتِزَةِ	٥٢١		٧٠	سُورَةُ الْمَعٰرِجِ	٥٦٩
	٥٢	سُورَةُ الطَّلٰقِ	٥٢٤		٧١	سُورَةُ نُوْحٍ	٥٧١
	٥٣	سُورَةُ الْبَقٰرَةِ	٥٢٧		٧٢	سُورَةُ الْحٰجٰتِ	٥٧٣
	٥٤	سُورَةُ الْقٰتِلَةِ	٥٢٩		٧٣	سُورَةُ الْمُرْتَمِلِ	٥٧٥
	٥٥	سُورَةُ الْبَقٰرَةِ	٥٣٢		٧٤	سُورَةُ الْمَدٰثِرِ	٥٧٦
	٥٦	سُورَةُ الْاٰتِزَةِ	٥٣٥		٧٥	سُورَةُ الْقِيٰمَةِ	٥٧٨
	٥٧	سُورَةُ الْحٰجٰتِ	٥٣٨		٧٦	سُورَةُ الْاٰتِزَةِ	٥٧٩

اسماء السور وفق ترتيبها بالصحف الشريف

الجزء	ترتيب سورة	اسم السورة	ترتيب سورة	الجزء	ترتيب سورة	اسم السورة	ترتيب سورة
	٧٧	سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ	٥٨١		٥٩٩	سُورَةُ الْجُلُودِ	
٣.	٧٨	سُورَةُ النَّبَاِ	٥٨٣		٦٠٠	سُورَةُ الْقَلَمِ	
	٧٩	سُورَةُ التَّائِيَاتِ	٥٨٤		٦٠٠	سُورَةُ الْبَيِّنَاتِ	
	٨٠	سُورَةُ عَبَسَ	٥٨٦		٦٠١	سُورَةُ الْبُرُجِ	
	٨١	سُورَةُ التَّكْوِيْنِ	٥٨٧		٦٠١	سُورَةُ الطَّارِقِ	
	٨٢	سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ	٥٨٨		٦٠٢	سُورَةُ الْقَارِعَةِ	
	٨٣	سُورَةُ الْمُطَفِّفِيْنَ	٥٨٩		٦٠٢	سُورَةُ النَّجْمِ	
	٨٤	سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ	٥٩٠		٦٠٣	سُورَةُ الْاَحْزَابِ	
	٨٥	سُورَةُ الْبُرُجِ	٥٩١		٦٠٣	سُورَةُ الْاٰهِنَةِ	
	٨٦	سُورَةُ الطَّارِقِ	٥٩٢		٦٠٣	سُورَةُ الْفَيْلِ	
	٨٧	سُورَةُ الْاَعْلٰى	٥٩٣		٦٠٤	سُورَةُ قُرَيْشٍ	
	٨٨	سُورَةُ الْغَاشِيَةِ	٥٩٣		٦٠٤	سُورَةُ الْمَاعُونِ	
	٨٩	سُورَةُ الْفَجْرِ	٥٩٤		٦٠٤	سُورَةُ الْكُوْنِ	
	٩٠	سُورَةُ الْبَلَدِ	٥٩٥		٦٠٥	سُورَةُ الْكَافِرِيْنَ	
	٩١	سُورَةُ الشَّمْسِ	٥٩٦		٦٠٥	سُورَةُ الْبَصْرِ	
	٩٢	سُورَةُ الْاَلَمِ	٥٩٧		٦٠٥	سُورَةُ الْمَسِيْدِ	
	٩٣	سُورَةُ الْاَضْحٰجِ	٥٩٧		٦٠٦	سُورَةُ الْاٰخِرٰتِ	
	٩٤	سُورَةُ الْاَشْرِجِ	٥٩٨		٦٠٦	سُورَةُ الْاٰتِيْنَ	
	٩٥	سُورَةُ الْاَلَمِ	٥٩٨		٦٠٦	سُورَةُ الْاَسْرِ	

اسماء السور وفتحها الأولى

ترتيب	اسم السورة	آية	حرف	ترتيب	اسم السورة	آية	حرف	ترتيب	اسم السورة	آية	حرف
٥٢٩	سورة القمر	٥٤	ق	٤٩٠	سورة الرخوف	٤٣	ز	٥١	سورة آل عمران	٣	أ
٥٧٨	سورة القيامة	٧٥	ك	٦٠١	سورة الزلزلة	٩٩	س	٢٥٦	سورة إبراهيم	١٤	ب
٦٠٥	سورة الكافرون	١٠٩	ل	٤٥٩	سورة الزمر	٣٩	ش	٤١٩	سورة الأحزاب	٢٢	ت
٢٩٤	سورة الكهف	١٨	م	٤٢٩	سورة سبأ	٣٤	ط	٥٠٣	سورة الأحقاف	٤٦	ث
٦٠٤	سورة الكوثر	١٠٨	ن	٤٦٦	سورة السجدة	٣٢	ع	٦٠٦	سورة الإخلاس	١٢	ج
٤١٢	سورة لقمان	٣١	هـ	٥٩٨	سورة الشرح	٩٤	غ	٢٨٣	سورة الإسراء	١٧	ح
٥٩٧	سورة الليل	٩٢	و	٣٦٨	سورة الشعراء	٢٦	ف	١٥٢	سورة الأعراف	٧	د
١٠٧	سورة المائدة	٥	ي	٥٩٦	سورة الشمس	٩١	ق	٥٩٣	سورة الأهل	٨٧	ذ
٦٠٤	سورة الماعون	١٠٧		٤٨٤	سورة الشورى	٤٢		٣٢٣	سورة الأنبياء	٢١	ر
٢٤٣	سورة المؤمنون	٢٢		٤٥٤	سورة ص	٢٨		٥٧٩	سورة الإنسان	٧٦	
٥٤٣	سورة المجادلة	٥٨		٤٤٧	سورة الصافات	٢٧		٥٩٠	سورة الانشقاق	٨٤	
٥٠٨	سورة محمد	٤٧		٥٥٢	سورة الصف	٦١		١٢٩	سورة الأقسام	٦	
٥٧٦	سورة المذثر	٧٤		٥٩٧	سورة الضحى	٩٣		١٧٨	سورة الأفعال	٨	
٥٨١	سورة المرات	٧٧		٥٩٢	سورة الطارق	٨٦		٥٨٨	سورة الانقار	٨٢	
٢٠٦	سورة مريم	١٩		٥٥٩	سورة الطلاق	٦٥		٥٩١	سورة البروج	٨٥	
٥٧٥	سورة المزمل	٧٢		٢١٣	سورة طه	٢٠		٣	سورة البقرة	٢	
٦٠٥	سورة المسد	١١١		٥٢٤	سورة الطور	٥٢		٥٩٥	سورة البلد	٩٠	
٥٨٩	سورة المطففين	٨٣		٦٠١	سورة العاديات	١٠٠		٦٠٠	سورة البينة	٩٨	
٥٢٩	سورة المقارج	٧٠		٥٨٦	سورة عبس	٨٠		٥٦١	سورة التخيير	٦٦	
٥٦٢	سورة الملك	٦٧		٦٠٣	سورة الضحى	١٠٣		٥٥٧	سورة التين	٦٤	
٥٥٠	سورة الممتحنة	٦٠		٥٩٩	سورة العلق	٩٦		٦٠٢	سورة التكاثر	١٠٢	
٥٥٥	سورة المنافقون	٦٢		٢٩٧	سورة العنكبوت	٢٩		٥٨٧	سورة التکویر	٨١	
٥٨٤	سورة النازعات	٧٩		٥٩٣	سورة الفاشية	٨٨		١٨٨	سورة التوبة	٩	
٦٠٦	سورة الناس	١١٤		٤٦٨	سورة غافر	٤٠		٥٩٨	سورة التين	٩٥	
٥٨٣	سورة النبيل	٧٨		٢	سورة الفاتحة	١		٥٠٠	سورة الجاثية	٤٥	
٥٢٧	سورة التجم	٥٣		٤٣٥	سورة فاطر	٣٥		٥٥٤	سورة الجمعة	٦٢	
٢٦٨	سورة التخل	١٦		٥١٢	سورة الفتح	٤٨		٥٧٣	سورة الجت	٧٢	
٧٨	سورة التشاء	٤		٥٩٤	سورة الفجر	٨٩		٥٦٧	سورة الحاقة	٦٩	
٦٠٥	سورة النصر	١١٠		٣٦٠	سورة الفرقان	٢٥		٣٢٣	سورة الحج	٢٢	
٢٧٨	سورة النخل	٢٧		٤٧٨	سورة فصلت	٤١		٢٦٢	سورة الحجر	١٥	
٥٧١	سورة نوح	٧١		٦٠٦	سورة الضلق	١١٣		٥١٦	سورة الحجرات	٤٩	
٢٥١	سورة النور	٢٤		٦٠٣	سورة الضيل	١٠٥		٥٢٨	سورة الحديد	٥٧	
٦٠٣	سورة العزة	١٠٤		٥١٩	سورة ق	٥٠		٥٤٦	سورة الحشر	٥٩	
٢٢٢	سورة هود	١١		٦٠٢	سورة القارعة	١١		٤٩٧	سورة الذخان	٤٤	
٥٢٥	سورة الواقعة	٥٦		٦٠٠	سورة القدر	٩٧		٥٢١	سورة الذاريات	٥١	
٤٤١	سورة يس	٢٦		٦٠٤	سورة قريش	١٠٦		٥٢٢	سورة الزمکن	٥٥	
٢٢٦	سورة يوسف	١٢		٢٨٦	سورة القصص	٢٨		٢٥٠	سورة الزمعد	١٣	
٢٠٩	سورة يونس	١٠		٥٦٥	سورة القلم	٦٨		٤٠٥	سورة الروم	٢٠	

الفهرس العام للمحتويات

٦٠٦ - ١	القرآن العظيم مع تفسيره الوجيز
٦٠٨	دعاء ختم القرآن
٦٠٩	المصطلحات
٦١٠	تعريف بهذا المصحف الشريف
٦١١	توضيحات ينبغي مراعاتها
٦١٢	قواعد التجويد أو الترنيل
٦٢٢	فهرس أسماء السور وفق تسلسلها في المصحف الشريف
٦٢٥	فهرس أسماء السور وفق حروفها الأولى
٦٢٦	الفهرس العام